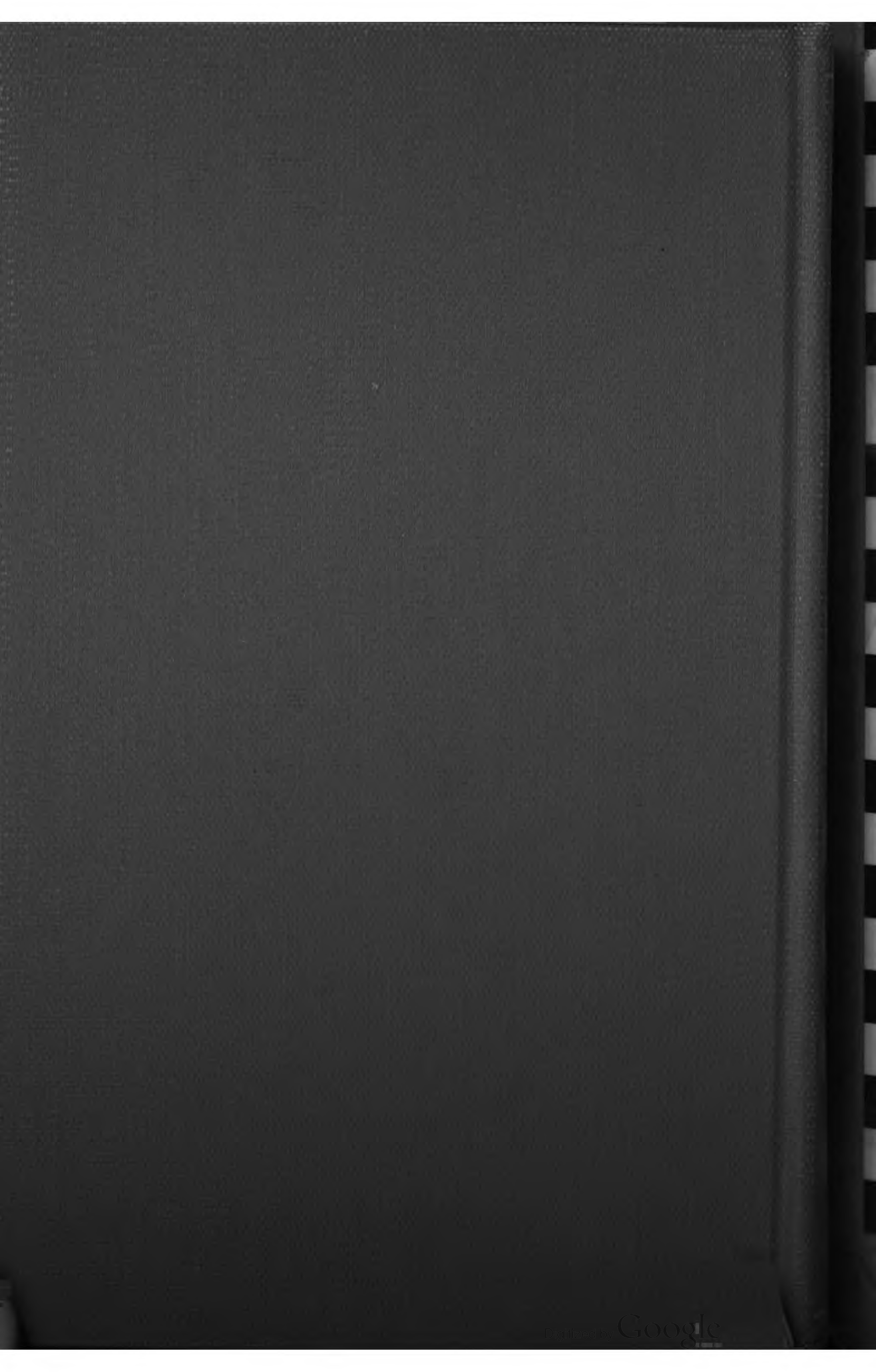
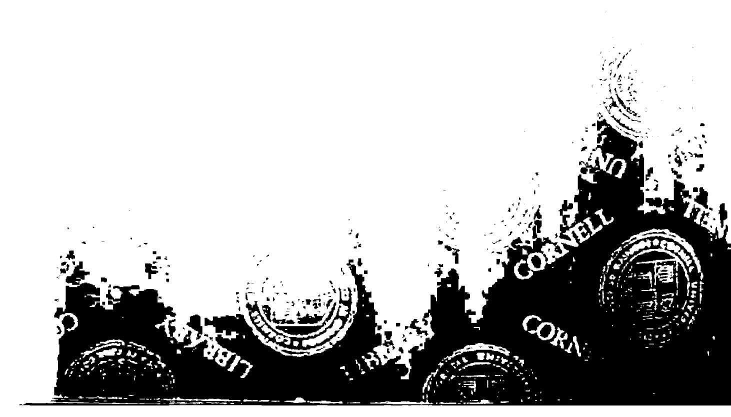



CORNELL UNIVERSITY
FOUNDED BY EZRA CORNELL


CORNELL





المشرق

مجلّة كاثوليكية تصدر مرّتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة الثانية

١٨٩٩

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و١٥ فرنكًا للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٩

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université St Joseph

Paraissant le 1 et le 15 de chaque mois

en un fascicule de 48 pages, grand in-8°

avec illustrations selon les besoins du texte.

DEUXIEME ANNÉE

1899

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1899

المشرق

السنة الاولى للمشرق

هي العادة أَلِفها كثير من الامم والقبائل . ان يقام في كل عام يوم حافل . لتذكار مولد الاحباب او السَّراة الأَماثل . يُحتفَل بهِ بغاية الأُبَّهة والسرور الشامل . وهاكَ ولله المنَّةُ الفُضلى . قد استوفت مجلَّتنا سنتها الأُولى . وتخطَّت منها الى أُخرى . وما كادت تبرز الى عالم الوجود . حتى اماطت عنها تمائم الاحداث فضلًا عن قُمُط المهود . وتصدَّت منذ نشأَتها لاحراز المعالي تبغي الترقي فيها والصعود . فيحقُّ لنا أَلَّا نَدَع يوم مولدها الميمون . دون ان تقرَّ لعودهِ العيون . وتَثْلج الصدور بعد انقشاع الشجون . كما اننا ننتهز الفرصة بهذه الغضون . ان نستمطر لها من جود ربّ المراحم سحاب نِعَمهِ الهَتُون

هذا وانَّ المسافر اذا ما تفرَّع قمم الجبال . يُسرّ ان يتوقف برهةً عن الترحال . فيلقي عنهُ لحينٍ أُهبة السياحة . ويأْخذ لهُ نصيبًا من الراحة . ثمَّ يتتبَّع بالنظر ما قطعهُ في طريقهِ من العقَبات والثنايا . وما ركبهُ من المشاقّ والبلايا . فتنتعش قواهُ . ويواصل بنشاطٍ جديد سيرهُ بسُراه

فاذا استقرينا اعمال سنتنا المنصرمة بالذكر وجدنا انَّ اوَّل ما يتحتَّم علينا في بادئ الامر . أَن نخلص لعزَّتهِ تعالى الشكر الحميم . على ما خصَّ بهِ



مشروعنا من الفضل العميم . فالى منارهِ وجَّهنا الابصار . ومن ضوئهِ اقتبسنا الانوار . كيف لا وهو الشمس يستمدُّ من بهائِها كلُّ كوكب سيَّار . وبها يستضيُّ كلُّ فلكٍ دوَّار . وليس مشرقنا غير شعاع من نورهِ مستعار . هذا ما نقرُّ بهِ على رأس الملأ واتخذناهُ لمجلَّتنا كشعار

ثمَّ لا يسعنا السكوت عمَّا وجدناهُ في ظلّ الاريكة الشاهانية . عند ارباب الامر وأُولي المناصب العليَّة . من حسن الالتفات الى عملنا وجميل الاريحيَّة . فاننا نعدُّ رضاهم كمنشّط عظيم لمواصلة خدمتنا الوفيَّة . لوجه الله وفي سبيل السلطان الشرعيّ والوطنيَّة . جازاهم الله عنَّا خيرًا وأَمدَّهم بهباتهِ السنيَّة

امَّا قرَّاؤنا الكرام فاننا لا ننسى ما لقينا عندهم من حُسْن المجاملة . وطيِّب المعاملة . فانَّ كثيرًا منهم وبينهم السادة الاجلاَّء . والسَّراة الفضلاء . احبُّوا ان يستنهضوا همَّتنا . وينشِّطوا قوَّتنا . فارسلوا الينا عدَّة كتاباتٍ يثنون بها على مقالاتنا الثناء الحسَن . فحمَّلونا بذلك أَعباء المِنَن . فليقبلوا منَّا مُفترَض الشكر . وشيَّنا بهِ اوَّل صفحات سنتنا الجديدة كما سُطِّر على الواح القلب وأُفعم بهِ الصدر . ولولا ضيق المكان لأَثبتنا اقوالهم بحرفها النَّضر . فنستميح منهم العذر . اذ اغضينا عنها بالذكر . صان الله اصحابها ما لاح شارق . وهلَّ بارق

٢

ذلك واذا اعتبر قرَّاء مجلَّتنا . مُجمَل موادّ ماضي سنتنا . لا يلبثون ان يتحقَّقوا عند مطالعة مقالاتها الشتَّى . انَّنا لم نألُ جهدًا في تطبيق اسمها على المسمَّى . ومن دأب المشرق اذا ما افترَّ ثغرهُ ان يحمل على جيش الظلام .

فيهتك ما أرخى بهِ الليـل من سدول الادلهام . ثم يهمّ بان يكسو الارض بساطع جلبابهِ . ويرشقها بسهامهِ الذهبية وأسنّة لعابهِ

تلك غاية توخّيناها ايضًا في مشرقنا فما كاد يظهر اوّل اعدادهِ حتى ألجأتنا الحاجة الى تخطئة بعض الجرائد المصرية . في ما كتبتهُ عن الوطنيَّة . تزعم انها تقوم بلا المبادئ الدينية . ولمَّا موَّهت بعد ذلك جريدةٌ أخرى على العقول . في صدد الطاولات الدائرة . تعزو غرائب امورها الى مجرَّد قوى الطبيعة الظاهرة . بيَّنا ما في هذا القول من الشطط والفضول . ثمَّ وهمت مجلَّة الهلال في شرح احوال النفس فتصدَّينا لزعمها ولم نرضَ ان يكون عثرةً في سبيل السُّذَّج من النَّاس . وكذا صوَّبنا سهام التفنيد على ما شردت بهِ مجلَّة المقتطف في عقل الانسان . اذ بخسته حقَّهُ وكادت تساويه بوهم الحيوان . الى فصول عديدة . وشذرات سديدة . نبَّهنا فيها القرَّاء . على ما تضمَّنتهُ هذه الجرائد من فاسد الاراء . فكانت اوهامها الفريَّة كظلام . قشع المشرقُ منهُ الاحكامَ . عن سماء الافهام . وقد عجبنا انَّ اصحاب هذه المزاعم لم يُحيروا علينا جوابًا . فعددنا سكوتهم لقولنا استحسانًا ولأدلَّتنا استصوابًا . صاننا الله واياهم عن محجَّة الضلال . وعاقبة الوبال

بيد ان المشرق لم يكتفِ بنقض هذه الاضاليل . حتَّى نهض لبعث اشعَّة انوارهِ في كل سبيل . وتصدَّى للكتابة في العلوم والآداب . لتكون نبراسًا للعقول وقوامًا للآداب . والحقُّ يقال انهُ ولج منها في كل باب . ومن اراد شاهدًا مصداقًا على ذلك فعليهِ بمراجعة الفهرسين . المطوَّلين النفيسين . الذين ألحقناهما بالمجلَّد الاوَّل . وهو بهما مزيَّنٌ مكلَّل . فهناك يجد المطالع انَّنا ضمنَّنا مجلَّتنا ما يلذُّ الادباء . ويفيد طبقات الالبَّاء . من ابحاث علميَّة . وفصول ادبيَّة



ومسائل تاريخية . وفوائد لغويَّة . وشذرات فنيَّة.ومشاكل رياضيَّة . وروايات خيالية فكاهيَّة . وتقاويم آثار جوّيَّة . كما اننا افردنا فيها بعض صفحات للمباحث اللاهوتيَّة والفلسفيَّة . ودروس العلوم الكتابيَّة . لما في ذلك من الخطارة وعظم الاهميَّة . وكلُّ هذه المقالات يمضيها قومٌ من الاساتذة الاجلاء . والكتبة الادباء . والمنقّبين العلماء . الذين جعلوا التحقيق دينهم . والتدقيق ديدنهم . فجاء مجموع مقالاتهم مجلَّدًا ضخمًا . يُرْبي على ١١٥٠ صفحة حجمًا

ولنا الامل في بدء هذا العام الجديد ان ستُحرز مجلَّتنا حُسْنًا وكمالاً . وترقى في معارج الفلاح وتتعالى . فنسأل الله ان يرشدنا في هذه السنة الى كل عمل مفيد . وقول سديد . وفقًا لمرادهِ . وخدمةً لعبادهِ . ونطلب الى كل اصحاب الذوق السليم . والدين القويم . ان يقبلوا على هذه المجلَّة ويردوا مواردها . ويجتنوا من اثمارها ويلتقطوا فوائدها . كما اننا نطلب من ذوي المعرفة وارباب الفضل . ممَّن اتاهم اللهُ القول الفَصل . ان يتحفوها بكل ما تستضيء بهِ العقول . من منقول ومعقول . عساها بذلك تحظى عند الجميع بالقبول . والله في توفيقها المسؤول . هو حسبنا ورجاؤنا المأمول

الاب لويس شيخو اليسوعي

مدينة اورشليم

هل هي وسط الارض ؟

لحضرة الاب لاون بوريار الحلبي الفرنسيسكاني

لقد ازداد في هذه الايام تقاطُر الناس الى المدينة المقدسة اورشليم من كلّ وجهة وصوب ايَّ ازدياد حتى لا يكاد يقلع قفل الّا وردها آخر والرَّسل في ذلك على اختلاف مَعباٍ ومنشاٍ . فكان الغرض من زيارة هذه المدينة متبـاينًا تبايُنَ المذاهب

والمشارب كل بحسب ما هو عليهِ منها: هذا للحج تيمُّناً وذاك لعجم عُود البلاد واهلها إحاطةً والاخر لتفقُّد المعاهد العهيدة والآثار القديمة تفقُّهاً . واماَّ النتيجة لاهل هذه البلاد فواحدة وهي عَوْدُ العائدة عليهم وجرُّ الفائدة اليهم ماديًّا وأَدبيًّا . فكما ان التاجر ينال حظهُ برواج سلعهِ وبضائعهِ الرائجة والدليل يوَّفى حقهُ أُجرةً وصاحب النزل او الفندق يصيب النصيب كسباً ومربحاً كذلك طالب العلم وابن الادب لا يُحرَم كلٌّ منهما الجدوى بمخالطتهِ اولئك القوم ومجالسته اياهم حيث يتسنَّى لهُ ان يسبر غورهم ويلمَّ باحوالهم وما هم عليـهِ من المذاهب والاراء في مسائل شتَّى فيُضيْ لبَّهُ ويثقف عقلهُ بامور جمة او يؤَيّد بحقائق جليلة اذا ما احتكَّ آراءهم بمحكّ المطارحة والمناظرة الذي بهِ يستخرج بريق تلك الحقائق فيعود ذلك بالجدوى على كلا الفريقين

وقد اتَّفق لي مع أَحدهم « الخواجا ف . س . » بان ضمني واياهُ نادٍ ادبيٌّ منذ بضعة عشر يوماً دارت فيهِ بيننا رحى المباحث على محور علمي . فكنتُ واياهُ على وفاق في اكثر المسائل الى ان افضى بنا الكلام الى المدينة المقدسة اورشليم من حيث الموقع المركزي فانشقت حينئذٍ بيننا العصا واصطفق الرأي بان ذهبنا حالفين ايجاباً وسلباً . وقد اخذ كلٌّ منَّا في إدلاء حججهِ وإيتاء ادلَّتهِ وشواهدهِ تأييداً لمذهبهِ فيتبيَّن بها البصيرُ وجه الحق والسداد وهي لا تخلو من بعض الفائدة . واماَّ موضوع البحث والجدال فهو هـذا « هل ان مدينة اورشليم واقعة بحصر الكلام في وسط الارض » اي هـل موقعها من الكرة الارضية هو المركز حقيقةً ؟

حجج من يزعم ان موقع اورشليم في مركز الارض

فذهب مناظري الخواجا ف . س . الى الرأي الايجابي وذهبتُ انا الى الرأي السلبي . وهاتان هما حجتاهُ اللتين ايَّد بهما مذهبهُ ولم يكن لهُ غيرهما فقال: ١ً ان بعض آيات الكتاب العزيز تدلُّ صريحاً على ان اورشليم في كبد الارض . ٢ً التقليد المتسلسل منذ عهد عهيد يشيرُ قاطعاً الى ان المدينة المقدسة المذكورة واقعـة حصراً في وسط الكرة الارضية وهي منها بمنزلة المركز من الدائرة

اماَّ الحجَّة الاولى فبيانها ما ورد في المزمور (٧٣ : ١٢) وهذا نصهُ « اماَّ الله ملكنا فصنع الخلاص في وسط الارض » ولا مِرْيَة ان خلاص الجنس البشري قد تمَّ صنيعهُ بموت ابن الله المتجسد وهو لم يكن الَّا على جبل الجلجلة في مدينة اورشليم كما هو



مُجمع عليهِ. فإذن لا ريب في ان مدينة اورشليم هذه واقعة « في وسط الارض ». — وقد ورد ايضاً في نبوءة حزقيال (٥ : ٥) ما نصهُ: « هكذا قال السيد الرب هذه اورشليم قد جعلتها في وسط الامم ومن حولها الاراضي ». وجاء ايضاً في هذه النبوءة عينها (١٢:٣٨) ما حرفيَّتهُ: « لكي تعيد يدك على . . . الشعب المجموع من الامم ذي المقتنى الذي اخذ يسكن في سُرّة الارض » مشيرًا بقولهِ الى مدينة اورشليم كما روى ذلك الحجري وغيره كثيرون في تفسيرهم تلك الاية. فهذه الايات الشريفة المنزلة والمنزهة عن كل خلل وتحريف تصرّح اي تصريح بان اورشليم هي في كبد الارض. فإذن . . .

واماً الحجة الثانية اي التقليد المتسلسل فبيانها ما ذهب اليهِ الربَّانيون الاقدمون من ان الاية الاولى من نبوءة حزقيال (٥ : ٥) الانفة الذكر تبين صحة القول بالرأي الايجابي وتؤيده تأييدًا. وأخص هؤلاء الربَّانيين كمشي الذي قال لدى تفسيره تلك الآية « ان الارض الاسرائيلية انما هي واقعة في وسط العالم المعمور ». والربَّاني رازشي ايضاً قد قطع بصحَّة ذلك وغيرهما كثيرون من امثالهما قد ذهبوا مذهبهما فضلًا عن الاباء القديسين العديدين الذين وافقوا الربانيين على قولهم بذلك كالعلاَّمة ايرونيمس الذي قال عند تفسيرهِ الاية الثانية من نبوءة حزقيال (١٢:٣٨): « لقد شهد هذا النبي (حزقيال) هنا ان اورشليم واقعة في وسط العالم بأنْ دعاها سُرّة الارض ». ولا جرم ان مثل هؤلاء العلماء الثقة المحققين الذين يدققون في البحث ويمعنون النظر في الكلام ولا يرمونهُ على عواهنهِ يجب ان يُتَّخذ قولهم حجةً قاطعةً وان يكون رأيهم احرى بالاتباع مما سواهُ. فإذن . . .

ثم ختم الخواجا ف. س. كلامهُ بان قال: اننا اذا ما أنعمنا النظر ودقَّقنا في البحث رأينا ان القول بالرأي الايجابي في مناظرتنا هذه لم يزل ولن يزال ملحوظًا بعين الرضى والاعتبار ليس لدى العوامّ الأمّيين فقط بل لدى الخواصّ المحققين ايضاً ودليلهُ انَّ اسفارًا جمة قد نسج بُرُدَها سيَّاحٌ ورحَّالون من جلة الكتبة ذوي الاستبصار الذين عرفوا غثَّ الامور من سمينها ووُفّقوا باجتهادهم وحصافتهم الى اكتشافات علمية وآثار تاريخية عند زيارتهم هذه البلاد نرى فيها اذا ما تصفحناها بعين الامعان ما يؤيد هذا الرأي الايجابي. وفوق كل ذلك اننا نرى لعهدنا هذا مرأى العين في كنيسة القيامة الكبرى في اورشليم قاعدةً حجريَّة اشبه بالعمود قائمةً في وسط كنيسة الروم التي كانت

قبلًا مصلّى القانونيين اللاتينيين وتُعرف حتى يومنا هذا بكنيسة « نصف الدنيا » ما يؤيد قولنا بصراحة اللفظ . فهذا التقليد المتسلسل من عهدٍ عهيد وأمدٍ بعيد انّما هو حجة قاطعة بصحة القول بالرأي الايجابي كما جرى على مثلهِ عموم المناظرين إثباتًا ونفيًا في كل اين وآن ولم يقوَ احد على ردّهِ . فمن الثابت اذًا للعيان الذي لا يختلف في حقيقتهِ اثنان ان مدينة اورشليم انّما هي في وسط الارض حصرًا وهي من الكرة الارضية بمنزلة المركز من الدائرة .

نقض الحجج السابقة

وهنا وقف مناظري الخواجا ف . س . ولم يزد . فلمّا رأيتُ انهُ قد أنزف برهانًا وحجّةً وأغلقت في وجههِ ابواب البراهين والادلّة غير ما تقدّم أثبتُّ انهُ انما جرى على تلك الخطّة التي نهجها من قبلهِ القائلون بزعمهِ هذا ولم يكن لهم ان يتعدّوا هذا الحدّ فاخذتُ اذ ذاك بتفنيد زعمهِ فقلتُ :

١ امّا نظرًا الى الاولى أنّ آيات الكتاب العزيز هي جديرة بكل اجلالٍ واعتبار وملحوظة بعين القدْر والتصديق ومنزّهة عن كل خلل وتحريف ويجب دائمًا الإذعان لما تعنيهِ او تشير اليهِ بصراحة اللفظ فسلّم بهِ كل التسليم . وامّا أن يباح لكلٍّ تفسيرُها بحسب رأيهِ وهوائهِ ولاسيما ما لا ينطبق منهُ على اقوال مشاهير المفسرين المعوَّل عليهم في ذلك كتفسير الايات المذكورة فمُنكر . ولا يخفى على البصير ان لكل آية من آيات الاسفار الالهية طرقًا يُقضى على المسيحي ان يسلكها بفطنة وتروٍّ وان يستنير في الوعرة منها بمنائر المفسرين والّا ركب متن الغواية والخطإ ضالّا سواء السبيل . ثم ان لتأويل تلك الايات الشريفة قاعدةً اساسيةً واجبة الاتباع وهي ان لا حتمَ بالوقوف عند معنى الاية الحرفي ولاسيما ما يؤُول منهُ الى المُحال او الخلل المنزّه عنهما كتاب الله العزيز بل لا بأس من التخطي الى المعنى الاستعاري او المجازي اذا كان بهِ القوام والصحة لانهُ هو يكون المراد لا سواهُ كما استقرّ على ذلك رأي جميع المحققين بالاجماع

فالاية الاولى الشريفة الواردة في المزمور (٧٣ : ١٢) « امّا الله ملكنا فصنع الخلاص في وسط الارض » التي اتخذها حضرة مناظري دليلًا وشاهدًا على ان مدينة اورشليم هي مركز الكرة الارضية فليس فيها شيءٌ من ذلك بتّةً يؤيد زعمهُ . ذلك اوّلًا لان لفظة « وسط » الواردة في الاية الكريمة لا يراد بها هنا معنى الوسطيّة الحقيقي اي

ليست هي عبارة عن المكان الذي يستوي اليهِ المساحة من الجوانب بل يراد بها الظرفية ليس غير. ولذلك نرى ان الترجمة العربية التي عُني بوضعها وطبعها بالضبط والدقّة حضرات المرسلين اليسوعيين الافاضل في بيروت نقلًا عن الاصلين العبراني واليوناني ومقابلةً بالنسخ القديمة المتداولتها الكنيسة المقدّسة كالسريانية واليونانية (المعروفة بالسبعينية) ولاسيما اللاّتينية لم تذكر في هذه الاية لفظةَ «وسط» بل اقتصرت على اداة الجرّ «في» ليس الّا وهذا هو نصُّها بالحرف: «الله هو ملكي من القديم صانع الخلاص في الارض». فكأنَّ النبيَّ المتوَّج قد اراد بذلك ان الله جلّت رحمتهُ لم يدع اهل الارض في الويل والثبور جزاء ما جنت ايديهم من المعصية والاثم بل اسرع الى انقاذهم وخلاصهم في الارض

وهب ان قد جاء في الاصلين العبراني واليوناني اللذين وُضع بهما الكتاب العزيز «في وسط الارض in medio terræ» فيجدر ان يراد بمعناها هنا «العلانية والاحتفال العظيم» كما روى ذلك ثاودوريطس وافتيميوس وغيرهما كثيرون(١. ويكون مفهومها اذ ذاك انَّ الله عزَّ وجلَّ قد صنع خلاص الجنس البشري ليس بنوع خفي غير محسوس بل بمجالي الاحتفال جهارًا على مرأى من الارض كلها بمتعلقات وحوادث كان لها في المسكونة بأسرها وقع عظيم اعني بذلك آلام الفادي وصلبَهُ وموتَهُ التي عمَّت فوائدها جميع البشر بدون استثناء فضلًا عن الايات البيّنة الباهرة والعجائب الظاهرة التي صحبت موت ابن الله على جبل الجلجلة كما روى متى البشير (٢٧: ٥١) ان «الارض تزلزلت والصخور تشقّقت والقبور تفتَّحت وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور من بعد قيامتهِ وأتوا الى المدينة المقدسة وتراءوا لكثيرين». فهذا كلهُ انّما كان احتفالًا عظيمًا ومظهرًا جليًّا لذلك الخلاص الذي آتاهُ السيد لهُ المجد اهل البسيطة كلها

ومما يؤيد شرحنا ورود هذه العبارة «في وسط» في مواضع كثيرة من الكتاب ولاسيما في اسفار الانبياء ولم تحتمل الّا المعنى المارّ ذكرهُ ولم تؤوَّل الّا بهِ عينهِ مخرَجةً هذا المخرج نفسهُ كما انها كثيرًا ما وردت فيهِ مقصورًا بهـا على معنى الظرفية فقط.

١) راجع العلّامة تِيرينس في تفسيرهِ هذا الموضع

ويتضح ذلك بسهولة لكل من تصفح الأسفار المقدَّسة بإمعان (١

وفوق هذا كلهِ اننا اذا ما راجعنا العلاَّمة ريكاردُس والقديس برنردُس وروفينس حتى القديس ايرونيمس عينهُ وغيرهم كثيرين من مشاهير المفسرين رأينا انهم قد اخرجوا معنى « في وسط الارض » الواردة في الاية المذكورة مُخرجاً آخر وهو ان المراد بذلك احشاء العذراء المجيدة المجبولة من تراب الارض

واما الاية الثانية الواردة في نبوءة حزقيال (٥:٥) « هذه اورشليم قد جعلتها في وسط الارض ومن حولها الاراضي » فلا تحتمل ايضاً الَّا المعنى الذي ذكرناهُ آنفاً كما تتَّضح حقيقة ذلك لمن تتبَّع الايات التي تليها. فكانهُ عزَّ وجلَّ قال موبخاً ومعنِفاً مدينة اورشليم المتمرِّدة « هذه اورشليم التي أقمتُها بمثابة ملكة بين سائر الامم ليخدموها ويخفروها مُحيطين بها من كل جهة (٢ واني لقد اسبغت عليها آلاء لا تحصى وجعلتها في موقعها هذا رأسَ العالم واساسهُ وينبوعهُ وقلبهُ لكي يستمدَّ منها سائر الامم شعائر العبادة والدين ويتلقون منها قواعد الايمان والتقوى ومعرفة حفظ الناموس المؤدي اليَّ. فمنها ينبثق نور الحق ومنها يصدرُ كلُّ خير لجميع المسكونة كما تستمدُّ سائر الاعضاء روح الحياة من الرأس ويأخذ البناء الثباتَ والمنعة من الاساس وينبثق الماء من الينبوع وتصدر العواطف من القلب. هذه هي اورشليم التي نوَّهتُ بها ورفعتها على سائر الامم وعظَّمت شأنها ايَّ تعظيم. واما هي فلم تقم بحرمة صنيعي ولم تفِ بحقي بل جارت عن مقصدي هذا وليس ذلك فقط بل انَّها ازدرت بأحكامي وتعدَّت رسومي وتلقَّت الكفر من الامم التي حولها. اني لقد اقمتها للامم معلِّمةَ الحق ومقتدى الصلاح فاضحت تلميذة الضلال والنفاق بل أحرزت عليهم في ذلك قصب السبق. ولذلك حقَّ لي ان اصبَّ عليها شِرَّة غضبي لتكون عبرةً لمن سواها ومثلاً يتحدَّث بهِ

١) راجع اشعيا ١٠ : ٢٣ « لانَّ السيّد ربَّ الجنود يجري الفناء والقضاء في وسط الارض كلها ». و ١٩ : ٢٤ « ذلك اليوم يكون اسرائيل ثالثاً لمصر واشور و بركة في وسط الارض » راجع ايضاً ٢٤ : ١٢. وحزقيال ٢٠ : ٨ الخ

٢) يحيط بمدينة اورشليم شمالاً سورية وارمينية وبُنطُس. وشرقاً آسية. وغرباً اوربة. وجنوباً افريقية. فتكون هكذا واقعةً « في وسط الأمم ومن حولها الاراضي » المسكونة يومئذ وفقاً لقول النبي الواضح ان الآية لا يُراد بها بتَّةً ان اورشليم هي مركز الكرة الارضيَّة

الغابر ويعجبُ منهُ الناظر »(١ . فاذا جمعنا بين العدد الخامس من الفصل المذكور والاعداد التالية تبيَّن لنا معنى ذلك جليًّا كما ترى: ٥ « هذه اورشليم قد جعلتها في وسط الامم ومن حولها الاراضي » ٦ « فعصت احكامي بنفاقها اكثر من الامم ورسومي اكثر من الاراضي التي من حولها لانهم نبذوا احكامي ولم يسلكوا في رسومي» ٧ « لذلك هكذا قال السيد الرب ها ءنذا عليكِ وسأجري احكامًا في وسطكِ امام عيون الامم » ٩ « وأفعل بكِ ما لم أَفعل وما لا اعود افعل مثلهُ لاجل جميع ارجاسكِ » ١٠ « فالاباء يأكلون البنين في وسطكِ الخ . . . »(٢ . وما ذهب اليهِ جمهور الاباء القديسين وقالهُ جلةُ العلماء المفسرين في تأويل هذه الايات انما هو منطبق على ما تقدم ولا يستشفّ منهُ بتة ان المدينة المقدَّسة واقعة في كبد الارض بالمعنى الذي زعمهُ الخواجا ف . س . — وعلى هذا التأويل عينه يُحمل معنى الاية الثانية من نبوءة حزقيال (٣٨ : ١٢) « الشعب الذي اخذ يسكن بُجرة الارض » . وانما دعا النبي هذه المدينة « بُجرة الارض » لوقوعها في وسط الامم ومن حولها اراضٍ وبلدان (بالمعنى المارّ بيانهُ) وقوع البُجرة (السرَّة) في وسط الانسان . فكما ان الجنين يتلقَّى بالبجرة الغذاء اللائم طبيعتهُ كذلك جعل الله الامم باسرها ان تتلقى باورشليم الغذاء الخلاصي كما اسلفنا القول (٣ ويُحتمل ايضًا ان يكون النبي قد اشار بذلك الى علو منزلة اورشليم على سائر المدن (٤ . ولذلك نرى ان قد ورد في ترجمة حضرات الاباء اليسوعيين المنوَّه بها قبلًا « سنام الارض » بدلًا من « بُجرة الارض » . وذهب بعض المفسرين الى انهُ قد أُشير بذلك الى خصب هذه المدينة المقدَّسة الواقعة في الارض التي كانت تدرُّ لبنًا وعسلًا (٥

فينتج مما تقدَّم أَن ليس في آيات الكتاب ما يدلُّ على ان اورشليم واقعة بالحصر في وسط الارض كما توهم مناظري وأَنَّ ما اتخذهُ حجةً تأييدًا لزعمهِ فانما قد ركب

١) راجع كرنيليوس الحجري ومَلدوناتُس وغيرهما كثيرين في تفسيرهم هذا الموضع

٢) لاحظ في هذه الآيات ان المراد بالعبارة « في وسط » ليس الوسطيَّة حصرًا بل مجرَّد معنى « في » او العلانية والاحتفال كما سبق القول منَّا

٣) راجع الحجريَّ في تفسيرهِ هذه الآية

٤) راجع كَلمت (Calmet) في تفسيرهِ هذه الآية

٥) طالع دي لاهاي (De la Haye) وملدوناتُس عند تفسيرهما هذا الموضع

فيهِ مطيَّةَ الوهم ليس الَّا لجريهِ في تأويل تلك الايات على غير المعنى المراد. ويجمل بنا هنا ان نأتي على ذكر ما نبَّه اليهِ العلَّامة كلمت (١ في هذا الباب حيث قال: « ان جميع آيات الكتاب الدالّ ظاهرها على ان اورشليم هي في وسط الارض انما يراد بها الاشارة الى رفعة شأن هذه المدينة التي جعلها الله ملكةً على سائر المدن والى مجدها وسعتها ». وقال ايضًا في موضع آخر (٢: « ليس لنا ان نجري في تفسير الايات الكريمة التي يقال فيها ان اورشليم في وسط الارض على المعنى الحرفي بحقيقة الحصر بل يجب ان نقتفي تفسيرًا افسح وأليق »

٢ واما نظرًا الى الحجة الثانية التي أيَّد بها الخواجا ف.س. مذهبهُ وهي التقليد المتسلسل من عهد عهيد وانهُ برهان ساطع يجب تصديقهُ والاستناد اليهِ والوثوق بهِ في ما يسلمهُ الينا من القضايا ففي ذلك نظرٌ وتمييز. فالقضايا التي يكون موضوعها قابل التصديق ومنطبقًا على حقيقة العلم والعقل او كان مصدرُها ثقةً لا يعتور احدى جهاتها فسادٌ وبطلان فسلّم بها والّا لكان قد سقط ركن من الحقائق الادبية والدينية. واماَّ القضايا التي يكون موضوعها محالًا او خرافيًّا غير قابل التصديق او كانت مسلمةً الينا من مصادر غير ثقة فمنكر. والحال ان كون مدينة اورشليم هي مركز الكرة الارضية ذلك محال لا ينطبق على العلم ولا يحتملهُ العقل ولم نستلمهُ من مصدر ثقةٍ. فاذن...

اماَّ وجهُ فسادهِ من حيث العلم فذلك اشهر من ان يُذكر اذ ليس بخافٍ على صغار الطلبة ان قد اصطلح الجغرافيون ان يقسموا دائرة الارض الى ١٨٠ درجة طولًا في مثلها عرضًا معيّنين لكل بقعة وموقع المدينة درجتي الطول والعرض بحسب وقوعها الطبيعي من الدائرة. فلو سلّمنا بان مدينة اورشليم هي مركز الدائرة اي سطحها الحقيقي لوجب ان تكون واقعةً في منتصف درجات الطول والعرض. والحال ان هذه المدينة واقعة في الدرجة الـ ٥٦ طولًا والـ ٣١ عرضًا بحسب رأي الاقدمين اتباعًا

(١ Calmet في تفسيرهِ ٥: ٥ من نبوّة حزقيال

(٢ في تفسيرهِ المزمور (٧٣: ١٢) « In his, quæ de Jerosolyma in medio terrarum sita dicuntur, non mathematica veritas, sed commodior laxiorque explicatio tenenda est ».



لبطلميوس او في الدرجة الـ ٣٢ طولًا في شرقي باريس والـ ٣١ عرضًا بحسب رأي المتأخرين (وليس بين الرأيين بون شاسع). فاذن ليست اورشليم بحسب العلم مركز الدائرة. . .

واما وجه بطلانهِ من حيث العقل اي عدم احتمالهِ لهُ فذلك واضح ايضًا اذ قد ثبت في ايامنا هذه لدى العموم حتى في القرون الماضية ايضًا عند اغلب الاقدمين ذوي الاستبصار انَّ الارض كرويَّة الشكل والمسكونة على سطحها. واذا كان ذلك كذلك أفيسلِم العقلُ يا ترى بعد ثبوت ما تقدَّم بتعيين وسط او مركز على سطح جرم كروي كالارض؟ اذ ان تعيين ذلك لا بدَّ لهُ من جوانب محدودة معينة ما لا يمكن ان يكون فوق سطح كروي بل في باطنهِ فقط كما هو غنيٌّ عن البيان. فاذن. . . — ولقد زعم كسينوفون (١ قديمًا ان مدينة اثينة هي وسط الارض. وخال أوفيديوس الشاعر اللاتيني (٢ ان دِلفس هي الوسط (٣. ووهم آخرون في غير ذلك ممّا لا حاجة الى استيفائهِ. فيمكننا ان نقول في ذلك بفساحة انهم لقد صدقوا وكذبوا معًا. فوجهُ صدقهم من حيث ان كل نقطة من الكرة الارضية يصحّ ان تكون مركزًا لها بالنظر الى سطح كرويَّتها كما تقدَّم القول ووجه كذبهم من حيث انهُ لا يصح ان يُفرد منها نقطة واحدة منها بالتعيين ان تكون هي الوسط دون غيرها

واما وجه فساد التقليد (المحتجّ بهِ هنا) من حيث مسلِّميهِ فلأن جميع الذين خلفوا لنا هذا الرأي فمنهم من اسند قولهُ بذلك الى آيات الكتاب العزيز فقط التي بيناً سابقًا عدم قطعها بالرأي الايجابي ضرورةً بل الاجدر ان يتخطى بها من المعنى الحرفي غير المحتمل الى المعنى المجازي القابل الاحتمال بانطباقهِ على الحقيقة. ومنهم (ولاسيما الرحالون والسياح والمورّخون) من عزا هذا القول الى غيرهِ نقلًا بطريق الشك في صحتهِ (٤. وما كان كذلك فلا جرم انهُ يكون قليل الاعتبار غير موثوق بهِ لان مسلِّمهُ

---

١) Xénophon في تأليفهِ πόρους صحيفة ٩٢٠

٢) Ovid. « *Metamorph.* » X, 167

٣) روى پوسنياس أنهُ قد كان في هيكل أپولّون في مدينة دِلفُس محلٌّ مزيّن بالرخام الابيض وكان الاهلون يسمّونهُ « بُجرة » 6μβαλος لزعمهم انهُ هو مركز الكرة الارضية

٤) منهم دزهاي **Deshayes** قال في تأليف Chateaubriand : *Itinéraire de Paris à Jérusalem*, P. IV « Le chœur de l'Église où ils (les Grecs) officient,

عينهُ غير أمين من صحّتهِ . فاذن ان برهان التقليد هذا لقد غدا واهياً اذا لم نقل لا قوّة لهُ بتةً

ويجدر بنا في الختام ان نقول ان الاقدمين الذين ذهبوا مذهب الايجاب مستندين بهِ على آيات الكتاب لم يقولوا بهِ الّا لزعمهم ان مدينة اورشليم هي في وسط الارض المأهولة (١ اي المسكونة في تلك الايام لعهد النبيين داود وحزقيال . فأنّى

---

au milieu duquel il y a un petit cercle de marbre, dont *ils estiment* que le centre soit le milieu de la terre ».

b. سوريوس **Surius** في كتابهِ « (*Le pieux pèlerin ou voyage de Jérus.*, Liv. II, c. 68.) قال : « Au milieu de son pavé se voit un petit cercle de marbre blanc de deux pieds en quarré, qui a en son milieu une ronde fossette, laquelle, *comme disent les Grecs*, est le centre ou le milieu de la terre habitable ».

c. دي جِرَمب **De Géramb** (في رسالاتهِ المعنونة *Pèlerinage à Jérusalem et au Sinaï*) كتب في الرسالة ١٦ : « On remarque dans le milieu du chœur des Grecs un cercle de marbre, au centre duquel se trouve une petite colonne qui, *selon eux* (les Grecs), indique le centre de la terre !... » علامة العجب ونُقَط التوقُّف موجودةٌ في الاصل

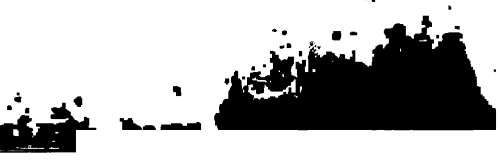
d. غيرين **V. Guérin** قال في « *La Terre-Sainte* » ما نصُّهُ : « Les Grecs montrent encore maintenant dans le chœur de leur chapelle et au milieu de l'Église du S[t] Sépulcre le *prétendu* centre de la terre ; tradition qui semble avoir eu pour point de départ le verset d'Ezéchiel interprété trop à la lettre ».

e. والاخ ليڤين **Fr. Liévin de Hamme** الفرنسيسيُّ دليل الزوّار الشهير الذي قد أغنت سمعتُهُ عن تقريظهِ فبعد ان قضى نحوًا من ٣٠ سنة في التبحُّث عن الامور الفلسطينية في مدينة اورشليم المقدسة قال في مؤلفهِ *Guide-Indicateur des Lieux-Saints*, 4[e] éd. 1897 ما حرفيَّتهُ : « Cet hémisphère marque le point que l'on prétendait autrefois, fort naïvement, être le centre et l'ombilic de la terre ».

(١ نجتزئ عن جملتهم بذكر **Martini** في تفسيرهِ المزمور ٧٣ : ١٢ حيث قال « La quale (Gerusalemme)» *era* comunemente *creduta* il punto di mejjo del mondo *allor conosciuto* ».

و **Maldonatus** في تفسيره ف ٣٨ ع ١٢ من نبوّة حزقيال قال — « Aut quia in medio omnium terrarum, quæ *tunc habitabantur*, esse *videbatur* ».

وكرنيليوس الحجري **a Lapide** فسَّر الآية النبوية المذكورة بقولهِ Umbilici terræ, id est,



يصح القول الان ان اورشليم في وسط الارض وقد اكتُشف بعد ذلك عالم جديد اعني بهِ اميركة ؟...(١

هذه خلاصة تلك المناظرة التي جرت بيني وبين الخواجا ف.س. وهي قد اسفرت عن عدولهِ عن مذهبهِ الايجابي الى التسليم بالمذهب السلبي والله الموفّق الى السداد والهادي الى الصواب

نظر في محاسن حلب واثارها

للاب بولس جوون اليسوعي

لمَّا قيَّض الله لنا في تمُّوز الماضي الرحلة الى حلب الشهباء لم يَعلق بوهمنا ان نلقى فيها اثرًا يُذكر وكنَّا قد قرأْنا في تاريخ سوريَّة لجرجي افندي يني (ص ٣٠٥) ما حرفهُ: « لقد قرَّر كثيرون من الافرنج انَّ حلب ليست بمدينة ذات آثار تاريخية تستدعي الناس الى التقاطُر اليها للبحث في متعلقاتها وانَّها ليست بذات موقع ظريف وليس بها شيء ممَّا يفيد من جهة البناء القديم والاثار التاريخية. ولذلك قلما يرغبها السيَّاح » فكان هذا القول مبرّدًا لهمّتنا مضعفًا لنشاطنا

ولكن ما كاد يستقرّ بنا المسير في ربوع هذه المدينة الشهيرة حتى وقفنا على شطط كاتب هذه الاسطر فوجدنا في الشهباء ما لم يسنح في فكرنا ولم يَدُر في خلَدنا. وذلك أنّنا سكنّا مدَّة في مصر وشاهدنا عجائب عمرانها ثم دخلنا الشام فشُغفنا بمحاسن بنيانها غير انا تأَسَّفنا على فقد قسم من رونقهما الشرقي وقد مسح كثيرًا من بهائهما العمران الاوربيّ. امَّا حلب فلقينا منها خريدةً عذراء لم تطمس محاسنها مرافقُ التمدُّن الحديث اللهمَّ الَّا قليلًا فتراها كما وصفها السيَّاح الاقدمون في حسن وَضعها وإتقان ترتيبها واتساع اسواقها الحافلة المسقّفة بالخشب ونضارة بساتينها التي تولي النفس نشاطًا وسرورًا ولا يبعد ان يصحّ فيها قول ابن بطوطة « انَّها من المدن التي تصلح للخلافة »

Judææ, quæ erat in medio terræ *tunc habitatæ* ».

(١ طالع Surius في الموضع المذكور آنفًا

١

واول ما يشاهدهُ المسافر عند ورودهِ الى هذه الحاضرة العُظمى أكَمةٌ ضخمةٌ هي قلعتها الشهيرة تكتنفها من كلّ جهاتها ديارُ اهلها كأنّها صخرةٌ في ثبَج البحر مُعتزلة تحدق بها غمَرات اليمّ

ومن أحبَّ ان يسرّح ابصارهُ بمناظر حلب الفتّانة فعليهِ ان يرقى كما فعلنا تلّةً في غربيّ المدينة تشرف على جميع انحائها موقعها فوق مشهدي الحَسَن والحُسين حيث مربط الدراوشة. فمن ثمَّ عاينًا حلب فاخذت بمجامع قلبنا بحسنها الرائق وجمالها الفائق. فعلى مقربةٍ منّا كنّا نرى بسيطها الأفيح وبساتينها الغنّاء تصدح على افنان شجرها اصناف الطيور وترقرق بين رياضها مياهُ القويق. امّا المدينة فانّها تمتدُّ وراء هذه الجنان البديعة الحُسن فتبدو للابصار وتتجلّى كالعذراء من الابكار. وفوق مساكنها تميس المنارات الرائعة الشكل المبنية بضروب الحجارات. وفي وسطها قلعتها المرتفعة كأنّها سلطانة تتولّى حراستها وتبسط على اطراف البلدة كنف حمايتها. وبين شهبة ابنية المدينة وخضرة بساتينها مباينةٌ تزيد هذا المنظر الجميل رونقًا وبهاء. وتحفُّ بالمدينة من كلّ جهاتها رُبىً قليلة الارتفاع يضرب لونها الى الحمرة وهي لها بمثابة تاجٍ يزين مفرقها

ولعلَّ سائلًا يسأل ما نال القدماء بنوا مدينة حلب في صحن هذه البقعة حيث تشتدُّ عليها وَغرة الحرّ وتصخدها حمارَّة القيظ. أجل انّهُ كان أولى لحلب لو بُنيت فوق المشارف التي تحدق بساحتها غير انَّ تلك الاكام ماحلة لا ماء فيها. فتحتّم اختيار ذلك الغور لبنائها وبهِ تسيل المياهُ الغزيرة فضلًا عمّا تحتويه البلدة من الابار العذبة المياه ولها ايضًا قناةٌ تأتيها بالمياه من حيلانَ على مسافة ثلاث ساعات شمالًا وليس أُوار الحرّ بحلب مفرطًا ولو تصاعد فيها ميزان الحرارة الى ٤٠ْ وذلك لنَشف هوائها. وقد أتاح الله لها في ابّان الصيف ريحًا غربية تُرطّب هواءها في معظم ساعات النهار. ومُجمل القول انَّ حلب طيبة السُكنى مُعتدلة الهواء صحيحة الاديم

هذا وللشهباء موقع ناهيك بهِ من مركز اثير رغمًا عن كونهِ عند حدود الريف وعلى جوانب الصحراء. فانَّ حلب باب ارمينية وما بين النهرين تجتمع فيها ارفاق هذين القطرين [illegible] العميمة. وفي شوارعها واسواقها تزدحم جموعٌ من اهل البلاد المجاورة بلباس[illegible] وهيئاتهم المختلفة وعوائدهم الشتّى. وحلب تحدُّ شمالًا الانحاء التي [illegible]

شاعت اللغة العربية . فاذا خرجت منها ويمّمت الشمال لم تعد تسمع سوى اللغة التركية

امَّا ما يختصّ بالاديان فتجد في حلب ما خلا المسلمين واليهود عددًا غفيرًا من كلّ الطوائف النصرانية كالموارنة والروم الملكيين والسريان والكلدان والارمن لا ينقصها سوى الاقباط . وحلب آخر التخوم التي اتصل إليها نفوذ ملوك القسطنطينية وأتباع المجمع الخلقيدوني من اهل الشام . فاذا سرت شرقًا وجدت اليعاقبة ثمَّ النساطرة الذين انفصلوا عن القسطنطينية في القرن الرابع والخامس ونبذوا وحدة الايمان بغضًا بملوكها الَّا انَّ الله اختار لهُ بين أتباع اوطيخا قومًا ارشدهم الى سبيل الصواب في هذه القرون المتأخرة صار منهم طائفتان جليلتان هم السريان والكلدان المعتصمون بعُرْوة الايمان المستقيم

٢

قد اجمع الكتبة على انَّ حلب مدينة عريقة في القدم . ولا يجهل القُرَّاء ان التقاليد العربية تعزو بناء حلب لابراهيم فتذكر انَّ الخليل احتلَّ ربوعها بقطعانهِ عند خروجهِ من بلاد الكلدان فكان يحلب غنمهُ ويتصدَّق بحليبها على الفقراء فيقول الفقراء : حلبَ ابراهيم . وقد خطَّأَ ياقوت الحموي هذا الرأي في معجم البلدان فقال (٢ : ٣٠٤) : « وهذا فيهِ نظرٌ لانَّ ابراهيم (عم) واهل الشام في ايَّامهِ لم يكونوا عَربًا انما العربية في ولد ابنهِ اسماعيل وفي ولد قحطان » . وللعرب تقليد آخر رواهُ ياقوت لعلّهُ اقرب الى الصواب فينسبون بناء حلب الى العمالقة من ولد عيسو (تك ٣٦ : ١٢) ويزعمون ان عمليق ولد اولادًا كثيرين بنى اثنان منهم مدينتي حمص وحلب ودعواهما باسميهما . وقيل بل بناها العمالقة بعد رجوع بني اسرائيل الى ارض الميعاد فطردهم يشوع من عمَّان ونواحيها فساروا الى جهات قِنّسرين وبنوا حلب وجعلوها حصنًا لانفسهم واموالهم

وما لا سبيل لانكارهِ انَّ حلب كانت في القرن الرابع عشر قبل المسيح مدينة عامرةٌ تشهد بذلك كتابةٌ مصرية ترتقي الى زمن رعمسيس الثاني وُصف فيها سفر بعض المصريين الى شمالي سوريَّة وجاء فيها مرارًا ذكر « خلبو » اي حلب (١) . وورد

(١) راجع Chabas : *Voyage d'un Egyptien en Syrie*... p. 100 وقد وهم دليل بديكر (Bædeker, *trad. f.*, p. 403) لمَّا زعم انَّ الكتابات المصريَّة تذكر حلب في سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح

ايضًا في رقيمٍ في هيكل رعمسيس المذكور ان هذا الفرعون انتصر على امير حلب وكان اتى في ١٨٠٠٠ مقاتل لنصرة ملوك الحِطّي او الحِثيين في واقعة قادش فغلبهُ رعمسيس ورماهُ في نهر العاصي فنجا منهُ بهمَّة جنودهِ . وصورتهُ على هذه البناية تمثلهُ معلقًا برجليهِ يتقيأ ما تجرَّعهُ من الماء

ولم تخلُ الكتابات البابلية من ذكر حلب وهي تُدعى فيها باسم « حلبو » كما بيَّن ذلك العلاَّمة اوبير (Oppert) . وزعم قوم انَّ بانيها نمرود اوَّل ملوك بابل

وما نراهُ الارجح في اصل مدينة حلب انَّ بُناتها الحثيون من سلالة حام بن نوح وكانوا شعبًا قويًّا تملكوا على سوريَّة الشمالية قبل فتوحات ملوك مصر من القرن السابع عشر الى القرن الرابع عشر قبل المسيح وقد ابقوا آثارًا جليلة من ملكهم في جهات حمص وحماة وحلب . وقد وُجد في تلك الجهات تماثيل ورسوم وكتابات كثيرة سُطِرت بلغتهم التي لم يهتدِ العلماء حتى الآن الى حلّ رموزها ونظن انَّ اسماء هذه المدن نفسها مشتقة من هذه اللغة الحثية . وما يؤيد رأينا انَّ في قلاع المدن المذكورة تشابهًا عظيمًا وكلها مبنية فوق تلال مركومة صناعيًّا وجوانبها مصفَّحة بصفائح الحجارة كما انَّ رسوم الكتابات الحثية فيها متشابهة تنبئ باصل واحد . وقد بقي في حلب من هذه الخطوط كتابة غايةٌ في القدم قد ذهب الدهر بقسمٍ منها فطمسهُ وهي الآن في حائط الجامع الشهير المعروف بجامع القيقان الذي يشرف على سورها القديم من جهة الغرب

ومن يعتبر قلعة حلب المار ذكرها يتحقق انها من البنايات العاديَّة تنطق بلسان حالها عن سمو مدارك بُناتها وسطوتهم واقتدارهم على الاعمال الشريفة يصدق فيها وصف ابن جُبير اذ قال: « ولحلب قلعة شهيرة الامتناع . بائنة الارتفاع . تنزَّهت حصانةً ان تُرام او تُستطاع . منحوتة الارجاء موضوعة على نسبة اعتدالٍ واستواء . قد طاولت الايَّام والاعوام . وشيَّعت الخواصَّ والعوام . . . وقلعة حلب تسمَّى الشهباء . وبداخلها جُبَّان ينبع منهما الماء . فلا تخاف الظماء . ويطيف بها سوران وعليها خندق عظيم ينبع منهُ الماء وسورها متداني الابراج . وقد انتظمت بها العلاليُّ العجيبة المفتَّحة الطيقان . وكلُّ برج فيه مسكون والطعام لا يتغيَّر بهذه القلعة على طول العهد . وبها مشهد يقصدهُ بعض الناس يقال انَّ الخليل عليهِ السلام كان يتعبَّد بهِ »

هذا ما كتبهُ فيها ابن جبير في اواخر القرن الثاني عشر الّا انّها اشتهرت بمناعتها وحزانتها قبل ذلك بقرون عديدة. وقد اشار الى ذلك بقولهِ « طاولت الايّام والاعوام ». والشائع ان باني قلعة حلب هو سلوقوس الاوّل الملقب بنيقاطور احد قوّاد الاسكندر الذي اخضع لسلطتهِ بعد وفاة ذي القرنين قسماً كبيرًا من المشرق وملك على الشام من سنة ٣٠١ الى ٢٨١ قبل المسيح فجعل هذه القلعة حصناً حصيناً في وجه اعدائهِ. بيد اننا نظنّها اقدم من سلوقوس عهدًا وانما جدَّد هذا الملك الشهير بناءها وزادها منعةً وتحصيناً. ولا نرانا نشطُّ عن الحق اذا نسبنا عمارة القلعة للحثّيين كما ألمعنا الى ذلك آنفاً

وقد استولى الخرابُ على قلعة حلب مرارًا من جرّاء الحروب والزلازل وكور الايّام فعاد اصحابها الى توثيق بنائها وشدّوا أزرها. والقلعة كما تُرى اليوم انما هي من عهد الاسلام (١. وهيئتها على شكل اسطوانة اهليلجية يبلغ قطرُها عند الحضيض ٤٠٠ مترٍ وفي علوها خمسين مترًا. وحولها خندق واسع منقور في الصخر يفصلها عن الابنية المجاورة لها واذا مسَّت الحاجة يُمكن غمر الخندق بالمياه. امَّا جوانب التلّ الذي فوقهُ بُنيت القلعة فهي مفروشة بنحيت الحجارة والصفائح الضخمة. وفي اعلى الربوة سور كانهُ التاج يكلِّل رأسها أُسند اليهِ عدَّة بروج لسكنى الجند يرمون منها العدوّ باصناف القذائف والسهام والمرامي الحربية

ولا يُصعد الى قلعة حلب سوى من الطرف الواحد عند جَنوبها. ومدخلها عجيب البنيان مُتقن الصنعة يلجهُ الداخل بعد مرورهِ فوق مَجازٍ يسندهُ ستُّ سوار ضخمة مرتفعة. وهذا المدخل على جانب عظيم من المنعة والقوَّة في وجههِ نقوش بديعة تزينهُ وعلى طولهِ كتابةٌ عربية تبهر النظر يُستفاد منها ان السلطان الملك الاشرف خليل بن قلاوون امر بعمارة هذا المدخل بعد إهمالهِ اشرافهِ على الدثور وذلك سنة ٦٩٠ (١٢٩١ م). وللمدخل المذكور عدَّة ابواب يُمكن إقفالها وعلى كلها النقوش والكتابات الجميلة. وحول سطح المدخل شُرُفات ومرامٍ لادوات الحرب تزيدهُ حسناً وجمالًا. وفي اعلاهُ شبَّاك كبير مربَّع مستطيل لهُ إطار مُحكم الصنع دقيق العمل يروق لهُ النظر يعدّهُ الداخل اجدر بقصرٍ منهُ بقلعةٍ. وهذا النقش البديع قد اعتادهُ اهل حلب فعُرفوا بهِ وشاع عنهم فتراهُ يزين ابنيةً عديدةً كالجوامع والخانات والقبور لاسيما المقابر التي

١) ومنذ فتح المسلمون حلب على يد ابي عبيدة قد جُدّد بناء القلعة ثلاث مرات



منظر لقلعة حلب عمومي

بجوار باب المقام وجامع الاطروش المستولي عليهِ الخراب وخان الصابون وخان الوزير. والشبابيك في هذه البنايات كلها مستطيلة في تربيعها والإِطار المنعطف حولها كثير النقوش مع تساوي الخطوط فيها. وبين الاطار المذكور وتطاريف الشبَّاك فُرْجةٌ تكون تارةً خلواً من النقوش وتارةً موشَّاة بتصاوير في غاية الاختلاف والحسن

واذا تجاوزتَ باب المدخل تصعد الى سفح القلعة مارًّا بمَعْبر واسع كثير الزوايا المستقيمة ذي ابواب عديدة. وفي طرفي الباب الاوسط قد نُقش ثعبانان هائلان فوقهما كتابات جميلة للملك الظاهر غياث الدين غازي وهو الذي حصَّن القلعة وبنى على هذا المدخل برجين وجعل لهُ ثلاثة ابواب من حديد امَّا الباب الاخير الداخلي فقد صُوِّر على جانبيهِ اسدان عظيمان ناتيان

وليس سفح القلعة مناسباً في حسنهِ لهذا المدخل. فترى في صحنها ابنيةً قد اخنى عليها الدهر فدرست محاسنها. اللهمَّ الَّا الشيء النزر منها كباب الجامع القديم وفيهِ انواع الوشي والنقوش. بيد انَّ الذي يكشف من ثمَّ على المدينة يجد لذلك منظرًا بديعاً لهُ في النفس آثرُ موقع وخصوصاً من علوّ المنارة التي في وسط القلعة. فلا شيء يحجب من رأسها النظر الى مسافة بعيدة (ستأتي البقيَّة)

فن التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حبيقة مدرّس البيان في كلّيَة القديس يوسف

١

انَّ التمثيل فنّ جليل القدر رفيع الشأن « من اعظم ما أنتجتهُ قوَّة التعبير. فاق على جميع الفنون الشعريَّة ومن ثمَّ على كل ما جادت بهِ قرائح البشر (١) ». فانهُ يُعيد لنا اخبار السلف بطريقة شائقة لا نظير لها. اذ يحاكيهم في طبائعهم وعوائدهم واقوالهم وافعالهم محاكاةً بها يخيَّل لنا انَّهم نُشروا من مدافنهم وظهروا علينا بمظهر الاحياء على حالتهم الاصلية. كانهم لم يغيبوا من عالم الوجود. فهذا التخييل هو علّة شغفنا الشديد

(١) هكذا وصفهُ شليغل (Schlegel) النقَّاد الالمانيّ

بالروايات التمثيلية وتأثيرها فينا . ومما يساعد على اتقانهِ انّ « اصناف الصناعات تألّفت على خدمة التمثيل فتتحفهُ بألطف ما عندها . فصناعة الالقاء تورد اساليب الحركات والاشارات للتعبير عمّا قصد من المعاني المختلفة فتسطو علينا في سبيلهِ بقوّة الفصاحة وتعيير الهيئة في المحاكاة . والهندسة تبذل لهُ من اشكالها غرائب ولا تدّخر وسعاً في استخدام انواع الآلات وابواب الزينة لاجلهِ . وصناعة التصوير تبسط في معرضهِ من بدائع المشاهد ما يأخذ بالقلوب فضلاً عن الابصار . والموسيقى تجود لهُ من ضروب النغمات بما يفتن الالباب » (شليغل)

واليونان اوّل من اهتدى الى هذا الفنّ . كان لهم فيهِ اليد الطولى والمقام الاعلى . وجرى على اثرهم الرومان في مضمارهِ فلم يشقّوا لهم غباراً . واخذهُ عنهم الاوربيّون في مستحدث القرون وتصرّفوا فيهِ حتى بلغوا في كل ابوابهِ حدّ الاعجاز . امّا العرب فقد نقلوا عن اليونان جلّ العلوم وعرّب بعضهم كابن سيناء وابن رُشد وابي بشر متّى مقالة ارسطو في التمثيل فلم يُحسنوا . ولا اخالهم اتوا على تعريبها الّا اتباعاً لسواها من المقالات . فلم يعيروها جانب العناية . فجاءت سقيمة عقيمة لا تُحلّ رموزُها . فلذا اعرض عنها العرب ولم يفطنوا الى هذا الفنّ الكريم . ولو صرفوا اليهِ اهتمامهم لنبغوا فيهِ . كيف لا وهم المعروفون بقوّة الخيال وحسن التصوّرات الشعريّة وحدّة الفؤاد وسرعة الخاطر والمقدرة على ابراز الافكار والعواطف باقوال رشيقة واساليب تسحر القلوب . ولهم في افكارهم من مكارم الاخلاق وعزّة النفس والشهامة مواضيع لا يضمّها احصاء

ولقد توفّق بعض كتّاب العصر الى وضع روايات تمثيلية من تأليفهم او تعريبهم . وقلّ منهم مَن راعى شروطها وانتبه الى الغاية المقصودة منها . فتكاد لا تجد خمساً منها ذات شأن يُذكر . بيد أنك ترى الناس يُقبلون على حضور التمثيل ولا اقبال الجياع على القصاع . باذلين الدرهم والدينار وصارفين من الليل الساعات الطوال في هذا السبيل غير آسفين . ولا بدع فانّهُ حوى من اسباب اللذة اوفرها . وما احسن ما قال في هذا الشأن الشاعر الالماني غِوْت (Gœthe) . وهو من أئمة هذا الفن : « انّ مَن احبّ اسباب الهناء لا يتيسّر لهُ ايجاد محل تتوفّر فيهِ انواع المتعة كما في نادي التمثيل . فهنالك لا تتكلّف شيئاً من العناء . فليس ما يجبرك على تحريك شفتيك إن رغبت في

السكوت. تجلس بكل راحةٍ وعزٍ كالامير. يُقدّم لك كلّ ما تريد. تجد جميع ما ترتاح اليهِ افكارك وحواسُك على غاية ما تتمنّى. وهناك تلقى الشعر والتصوير والغناء وحسن المحاكاة وهلمّ جرًّا. فاذا ما اجتمعت كل هـذه الامور واتّفقت في السهرة الواحدة اصناف المشاهد وضروب المحاسن ولاسيما ان كانت الرواية من الطبقة الرفيعة فقد حصلتَ بها على ليـلة انسٍ وسرور لا مثيل لها. واماً اذا كانت من سقط المتاع لا يتخلّلها سوى بعض الحسن فذلك افضل وايمُ الله من وقوفك بالنافذة او لعبـك الوِيست تحت ضباب من دخان لفائف التبغ في حلقةٍ من القوم ضيقةٍ حَرجة »

على ان الروايات وان تكن من جملة وسائل التهذيب ومن دواعي التمدن الصحيح فهي مع ذلك مصدر الأضرار الجسيمة ومبعث الاخطار على الاداب الشخصيـة والعمومية اذا خرج بها اصحابها عن شروطها المفروضة. ولذا ترى بوالو (Boileau) استاذ الشعراء وحاميـة الذوق السليم وكثيرين غيرهُ من الائمة يحذروننا من غوائل بعض الروايات المفسدة للاخلاق. وارباب هذا الفن انفسهم كراسـين (Racine) وكورنيل (Corneille) ابي الرواية الفرنسية يحظرون علينا دخول المراسح لـما يُخشى فيها من دواعي الشرّ. وكان البرنس دي كونتي (de Conti) يتمنّى لو يُلغى التمثيل لا اعتقادًا بخبث جوهرهِ بل اشمئزازًا ممّا كان يصادفهُ من الروايات الخلاعية في ايامهِ. وروي عنهُ قوله: « ان كان احد المعاصرين لا يجد من خطر في المراسح فلانهُ قد بات مفسود الآداب ». وقد نشر ابو الخطابة بوصويت مقالة رنّانة ردًّا على من نفى اضرار الرواية التمثيلية فختمها بالثناء العاطر على من سعوا في تطهيرها من ادرانها

ويحقّ للاهلين ان يسهروا كما يفعلون على بنيهم ويمنعوهم من التردّد الى الاندية المضرة. لكن ما الحيلة والشبّان في حاجة الى بعض الملاهي. وان لم يتيسر لهم الحصول على المحلّلة منها زلّت بهم القدَم الى ما يورث الندَم

فحبذا لو اعتنى كرام القوم بانشـاء عمدة تهتمّ بتأليف او تعريب الروايات المفيدة وتمثيلها. وما اشرفها خدمةً في سبيل البلاد واجلّها نفعـاً للعباد. وقد روي عن احد الامراء في القرن السابع عشر انهُ كان شديد الولَع بهذا الفنّ حتى رغب في اقامة استاذ يدرّس اصوله ويرشد واضعي الروايات الى سواء السبيل كي لا يخرجوا بها عن خطّـة الفضيلة. وقد رغب ايضًا في جمع نخبـة من الشبّان ليقوموا بالتمثيل احسن قيام فلا

تُلقى مقاليدهُ الى الرّعاع الذين يحملهم على اتخاذهِ مهنةً فقرُهم او شقاوتُهم بل الى الادباء الاذكياء ذوي السيرة الحميدة والاخلاق الشريفة فتبدو في حركاتهم واقوالهم مزايا نفوسهم

امَّا نحن فنرى من ابناء العيال الكريمة اقبالًا على التمثيل وذلك اعلاء لهذا الفنّ وخدمةً للفقراء الذين يُصرف الدخل في سبيلهم فاكرِم بهذه النوايا النبيلة امَّا التأليف فقلَّ ذووهُ. فهيَّا معشر الادباء والشعراء وما انتم منهم بالنزر اليسير يا من تصرفون الوقت الثمين من غير جدوى وتُجهدون القرائح بنظم القصائد الفارغة والمديح الكاذب اني استنهض هممكم الى المباراة في هذا المضمار الشريف. فانَّ لكم فيه مجالًا فسيحًا وفوزًا مجيدًا. وما انا من يحجم عمَّا دعوتكم اليهِ. ولكني ابدأُ بنفسي فان وفّقني الله اوافِكم تباعًا بما لي من الروايات معلقًا عليها ما امكن من الحواشي في شرح او انتقاد ولكم علوّ الرأي في تقديرها قدرَها. بيدَ اني لا إخال الكثيرين من ابناء جنسنا الّا يجهلون اصول هذا الفن وشروطَهُ. ولستُ اعلم انّ احدًا من كتَّاب العربية وضع فيهِ مجموعةً تذكر. وغاية ما جادوا بهِ انما كان بعض شذرات لا طائل تحتها

ولقد رغبتُ في سدّ الخلل ما امكن فاقدمتُ على هذه المهمَّة الخطيرة مع ما فيها من المصاعب والمتاعب. وشرعتُ في مقالة بهذا المعنى ضمَّنتها ما توفَّقت الى جمعه من شوارد اقوال الائمة وما فتحهُ الله عليَّ. وقسمتها الى بابين احدهما في اصول الرواية من حيث تأليفها والثاني ادارة تمثيلها

هي خلاصة ازفُّها الى اهل الذوق السليم. وعساهم ان يتكرَّموا بتنبيهي الى ما فيها من مَغمز او مطعنٍ فاكون لهم من الشاكرين. لان جلّ ما ابتغي اخلاص الخدمة باتقان العمل. فان احسنتُ فالى الاحسان قصدت والَّا فذلك غير ما اردت

(ستأتي البقيَّة)



العوائد اللبنانية

لحضرة الاب يوسف تانّي احد اساتذة مدرستنا الكلية

قد استحدث الاوربيّون في عصرنا هذا علوماً شتّى لم يعجم عودَها من سبقهم اللهمّ الّا بعض الافراد. ومن جملتها علم معرفة أخلاق الامم وعوائد البلاد استرسلوا في البحث عنها وانشأوا لها مجلّات عديدة جعلوها مضماراً تخوضُ فيهِ جياد اقلام الكتبة المفلقين. ورأينا منهم قوماً دخلوا بلادنا فاستغربوا احوال سكّانها وعوائد اهلها فصاروا ينفّرون عنها تنفيراً قاصياً ويسطرون في وصفها الاساطير المطوّلة زانوا بها صفحات جرائدهم واودعوها في بطون تواريخهم

وقد قرأنا من هذه التآليف قسماً فرأينا انّ اصحابها هداهم الله ربّما جاروا عن سبيل الحقّ فنسبوا لاهل هذه البلاد ما هم بَراء عنهُ او اطلقوا على العامّة ما لم يصحّ الّا في بعض الافراد. فسدًّا لهذا الخلل قد تصدّينا للتنقيب عن عوائد مواطنينا لنصف منها ما عهدناهُ ورأيناهُ رأي العيان

ولا ريب في انّ الفرنج يحبّون الاطلاع على هَدْينا وطريقتنا لما خصّهم الله بهِ من التحفّي في امور الغرباء لاسيما ان حاول وصفها احد ابناء الوطن. ولا اخال انّ اهل بلادنا يسأمون ذكر ما ألفوهُ منذ نعومة اظفارهم وورثوهُ من آبائهم. وخصوصاً اذا عرفوا انّ لبعض هذه العوائد شأناً خطيراً او تاريخاً قديماً اثيراً. وحدانا الى هذا المشروع باعث آخر وهو اننا نرى في هذه الايّام اهل الشرق يتهافتون على التخلّق باخلاق الاجانب وسلوك مناهجهم ولا تهافُت الظباء على مناهل المياه اذا ما جهدها الظماء. فلا شكّ ان كثيراً من هذه العوائد سوف تذهب درج الرياح وتدخل عمّا قليل في خبر كان فلا يبقى اذ ذاك للخلف لمعرفة احوال السلف الّا التنقيب عنها في الكتب المسطورة

وقد جعلتُ هذه الابحاث فصولاً قصيرة يشتمل كلٌّ منها على بعض الفوائد في موضوعٍ خاصّ ووصف حالةٍ من احوالنا

ولادة الاطفال

قد دُقّت في هذه الايام للعالم المسيحي بشائر الافراح ذكراً بمولد ابن الله المتأنس

فلا بأس ان نشرع بوصف العوائد الجارية عندنا حين ولادة الاطفال وقد شاء الربّ العليّ ان يولد طفلًا صغيرًا مثلهم ويُقمَّط بقُمُطهم ويُضجع في مذودٍ يُشبه مهدهم. فسبحانهُ من ربّ قدير تعنو لهُ الملائكة سجّدًا وهو في سرير

اذا ولد الطفل الصغير تُسرع اليهِ القابلة والعامّة يدعونها الداية (١ فتضمّخ جسدهُ بماء الورد والرياحين ثم تلفّهُ بقُمطهِ ولا تلبث ان تخرج بهِ خارج المنزل ليرى النور ويستنشق الهواء. ولعلّ هذه العادة تشمل كثيرًا من الشعوب والدليل على ذلك انّ الولادة عندهم يكنى عنها بالابراز الى النور (edere in lucem) والميلاد برؤية النور (videre lucem). ومن خرافات بعض نساء لبنان زعمهم بأنّ الطفل اذا لم يُخرج بهِ على النمط المذكور ينزل بهِ نازلةٌ او تخترمهُ المنون

ونرى في صنيع القابلة رمزًا كأني بها ولسان حالها يقول: « ألا انظر ايُّها الطفل الحبيب الى الدنيا واحزانها فاني أُطلعك عليها اوّل مرّة كما تُعرَض السفينة بعد نجازها على ثبج البحر المتلاطم بالامواج فتقضي فيهِ جاريةً مجراها زمنا يسيرًا الى ان تُحطَّم وتبتلعها اللجج ». وكان أَولى بالقابلة ان تتّجه بالصبي نحو مدفنٍ لانّ المهد يذكّر اللحد والولادة انما هي رسول الموت. « ولذلك نرى الصغير يستهلّ ببكاء ولا يضحك سرورًا كأنّهُ يشعر مذ ذاك بما يحلّ بهِ يومًا من الشقاء والنكال (٢

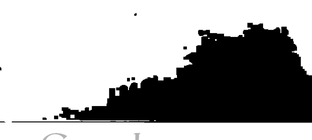
وقد روي عن الرومان واليونان ما يُشبهُ عادة اهل لبنان بعض الشبه فكان يجتمع اعضاء العائلة والاحباب والاقارب في اليوم التاسع او العاشر لولادة الطفل فتطوف احدى النساء بالمولود حول النار كأنّها تُعلن بذلك انّ الصبيّ صار عضوًا من العائلة يستنير بموقدها ويعيش بعيشتها (٣

وبعد عرض الولد للنور تعود بهِ القابلة فتقدّمهُ لابيهِ ليفرح ويُسرّ بهِ سرورًا هو واصحابهُ. واذا كان الوالد غائبًا فيبادر الحاضرون ويبعثون اليهِ البشائر ومن حمل هذه

١) الداية لفظة فارسيّة معناها المُرضع والظئر وقد شاعت بين العامّة بمعنى القابلة (sage-femme)

٢) هذا كلام القديس اوغسطينوس معلم الكنيسة (راجع اعمالهُ الجزء ١٢ ص ١٠٠ والجزء ١٩ ص ٤٢٥)

٣) راجع F. de Coulange: *Cité antique* l. II, c. 3



البشرى لابِ الطفل او لاقاربهِ الادنَيْن يجازى خيرًا. وعند ميلاد المسيح تولَّى الملائكة أَنفسهم نقل هذه البشارة للرعاة (لوقا ٢ : ١٠). والى هذه العادة يُشير النبيّ بقولهِ: ملعون الانسان الذي بشَّر ابي قائلًا قد وُلد لك ابن ذَكَر وفرَّحهُ تفريحًا (ارميا ٢٠ : ١٥)

وكانت تقدمة المولود لوالدهِ عادةً عند الرومان فكانوا يضعون الطفل امام والدهِ يأتمر في موتهِ او حياتهِ فان وجدهُ وسيمًا قسيمًا نهض بهِ عن الحضيض وقضى بحياتهِ وهو معنى قولهم (puerum tollere vel suscipere). امَّا اذا استنكف منهُ لنقص او عيب يراهُ فيهِ فكان يُعرض عنهُ فيُطرَح المولود دون شفقة او يُقتل. تلك كانت سُنة قومٍ أجلاف لم يستنيروا بعد بنور الايمان القويم ولم يعرفوا ثمن نفسٍ فداها ابنُ الله بدمهِ سواء كانت في جسم صحيح البنية او في بدن سقيم

ومن العادات الجارية بين اهل لبنان عند الولادة ان يصنع اهل الصبي نوعًا من الحلواء يُدعى المغلي فيرسل الى الاقارب والاحباب. والمغلي عبارة عن أرزّ مسحوق يُغلَى ويُخلَط بسكَّر وجوز ولوز وما شاكل من التوابل (المكسَّرات). وهو الطعام الذي يدعوهُ العرب الخُرْس يتَّخذونهُ للولادة وكانوا يطعمونهُ النُّفساء

امَّا اولاد الاقارب والجيران فانَّهم يهرعون الى بيت المولود يطلبون « حلوانة الصبيّ » او « حلوَيْنتهُ »(١ وهي زبيب وقضامة (٢ وقمح مسلوق او فاكهة من الشرالخ

ومنها ايضًا ان يصنع اهل الصبيّ وليمةً يجمعون فيها انواع المسرَّات فيدعون للمولود ويطلبون لاهلهِ الحياة الطويلة ليفرحوا بهِ وباولادهِ واولادهِ. وتسمَّى هذه الوليمة وَقْعةً (٣ ويدعونها ايضًا لقمة الولادة او لقمة الخلاص

هذا ما يفعلهُ الوالدان وأسرَة البيت ترحيبًا بولادة الطفل الصغير. امَّا الاصحاب

١) الحلوانة والحُلوَيْنة عند العامَّة كالحُلوان وهو في الاصل اجرة الدلَّال او المتكهّن اي الساحر ثمَّ توسعت فيهِ العامَّة فجعلوهُ بمعنى الهبة. ويرادفهُ عندهم « البخشيش » وهي كلمة فارسيَّة. وتقول العامَّة بهذا المعنى « شَوْفة خاطر ». وشاف خاطرهُ بشيءٍ اي طيَّب بهِ قلبهُ واهداهُ ايَّاهُ

٢) القضامة الحمّص اليابس المشويّ على النار أُخذ من القَضْم وهو اكل الشيء اليابس باطراف الاسنان. والحُوَيْسة عند العامَّة حمّص اخضر يُشوَى على النار فيؤكل

٣) الوقعة عند العامة ما يؤكل بمرَّة واحدة. والعرب تقول اكل الوقعة اي المرَّة

فانهم اذا علموا بهذا الخبر السارّ تقاطروا الى بيت الوالدين ليقــدّموا لهما التهاني ويشاركوهما بافراحهما. كما اخبر القــديس لوقا (١ :٥٨) عن يوحنا الصابغ انهُ لمّا وُلد سَمع الجيران والاقارب بخبر أليصابات ففرحوا معها

والكنائس الشرقية جريًا على هذه العادة تحتفل في اليوم التابع لميلاد الربّ عيدًا تدعوهُ عيد تهنئة العذراء بولادة المخلّص

ومن عوائد القادمين على اهل المولود للتهنئة ان يهدوهم هدايا على اختلاف طبقاتهم كالسكّر والأرزّ او البنّ او الدجاج اشارةً الى سرورهم ومساعدةً للعائلة التي تتكلّف في تلك الآونة مصاريف ونفقاتٍ خارقة العــادة. ومنهم من يضع دراهم على طبق النقل حين يُقدَّم لهُ فيُدعى ذلك « تنقيطًا » يقولون: فلان نقَّط الصبيّ اذا اهــداهُ شيئًا من الدراهم. وهذه الهدايا عند الولادة اعتادها الشرقيون منذ زمن قديم وحسبُنا ان نذكر هدايا المجوس لمّا اتوا بيت لحم ليسجدوا للطفل يسوع فأهدوهُ ذهبًا ولبانًا ومُرًّا (متى ٢ :١١)

واذا دخل الوفود على الوالدين باركوا لهما بالطفل الجديد بهذه العبــارات: « مبارك ما جاءكم ان شاء الله يعيش ويكون من اولاد السلامة ويُربَّى بالدلال ونرى (نقشع) على رأسـهِ الاخوة » ويقولون للامّ: « انتِ ولدتِ (جبتِ) وانت تُربّين (تربّي) فالحمد لله على سلامتكِ ». ولا يرجع الزائرون الى بيوتهم الّا بعد شربهم القهوة وأكلهم « حلوانة الصبيّ » ويقدَّم لهم الشَّراب والعرق والحُلويات وفي كثيرٍ من القرى يقدّمون لهم الزبيب والقضامة والقمح المسلوق « والقينار » وهو عبارة عن يانسون مغليّ بمــاء ممزوج بالدبس او السكّر ويضاف اليهِ حبُّ الصنوبر

لكنَّ هذه العادات الموصوفة آنفًا اكثر ما تجري في لبنان عند ولادة الصبيان. امّا اذا ولدت (جابت) الامُّ بنتًا فتراها يعتريها الغمّ والكدر ويُقبل عليها صواحبها يعزّينها بكلام رقيق فيقلنَ لها: « الحمد لله على سلامتــكِ وقيامكِ بالخير. التي تأتي بالبنت تأتي بالصبيّ (اللي تجيب البنت تجيب الصبيّ) الله يخلّي لها اباها (بيَّها) » واذا كانت المولودة بكرًا ذكّروها بالمثل: « من اسعدها زمانُها جاءت ببناتها قبل صبيانها ». او قالوا: « هنيئًا لكِ (نيَّالك) جاءتكِ (اجاكِ) بنتٌ تخــدمكِ فالبنت خلقة الله



والصبيّ خلقة الله » . اما اذا كان المولود غلاماً فحدّث بسرور اهله وأدعية الصواحب ولا حرَج

واعتبار مقام الصبيان على البنات امرٌ طُبع عليهِ النـاس في كلّ البلاد. الّا انَّ السوريين يبالغون في ذلك حتى تراهم يبخسون حقّ اولادهم الاناث وينتقصون شأنهنَّ ويستندون بذلك الى انَّ الولد يحيي اسم ابيهِ ويقوم مقامهُ ويخلفـهُ بينما تترك البنت بيت ابيها وتصير لبعلها امرُها منوطٌ بامرهِ تتشرّفهُ فهي بشرفها وتُلحق بهِ عارها (١. وسُئل بعض اللبنانيين: هل من رحِم بينك وبين فلان. فأجاب ليس بيننـا قرابة ولا تجمعنا دنيا ولا سلالة ولكن بيننا آصرة من جهة النساء. فقيل لهُ: إذن لا تعتبر هـذه القرابة وتزدري بجنس النساء. قال: لا ولكن القرابة من جهتهنَّ ليست قرابةً والأُسرات تنتسب الى الرجل (٢

ومن احتجاج اللبنانيين على البنات انَّهنَّ يكلّفنَ اهلهنَّ النفقات الطائلة في سبيل تهذيبهنَّ وكسوتهنَّ وزواجهنَّ. وقيل لبعضهم: ما لك تفضّل اولادك على بنـاتك. فاجاب: « ألا تعرف المثـل الدارج البنات همُّهنَّ للممات فسواء تزوَّجت البنت اولم تتزوَّج اتاك من قبلها الهمّ والغمّ فالاولاد يعمّرون البيت والجواري يهدمنهُ تلك غريزة في طباعهنَّ لا تغيرها الايّام ولا يلاشيها التهذيب. فترى الغلام اذا ترعرع ورام اللعب اخذ الحجارة ليبني لهُ بيتاً والبنت لا تفكّر سوى في بعلها. فتتخـذ لها أُلعوبةً تدعوها العَرُوس (٣ فتمزّق الخرق وتخيطها اثواباً لتكسو العروس وتبدأ على هذا النمط بخراب بيت ابويها غير آسفةٍ عليهِ وهي فيهِ فكيف تأسف على خرابهِ اذا تركتهُ وصارت الى رجلها فبغضاً بالبنت كان عرب الجاهليَّة يئدونها (٤ »

---

١) وعلى هذا المنوال يدعو الفرنج المرأة المتزوجة باسم بعلها (Madame une telle) بعد ان كان وقت عزو بها تدعى باسم ابيها (Mademoiselle une telle)

٢) وذلك كان رأي الاقدمين كاليهود مثلًا فكانوا يحفظون جداول انساجم من جهـة الذكور فقط (راجع متّى ١ ولوقا ٣). وكان اليونان يعتبرون الرجل الذي لا يلد سوى الاناث كانهُ لم يخلف نسلًا البتَّة

٣) والفرنج يدعونها poupée

٤) في هذا القول غلوٌّ فانَّ وأْدَ البنات اي دفنهنَّ أحياء لم يجرِ عليهِ الّا بعض اجلاف العرب قبل الاسلام ممَّن طبع الله على قلوبهم فسلبوا كل شعائر الانسانيَّة

(قلنا) ان الاعتبارات السابق ذكرها لا تكفي لحطّ منزلة البنات وخفض شأنهنَّ كما نرى في كثير من نواحي لبنان وسوريّة . وكان الاحرى بالاهل النصارى ان يزيدوا اهتماماً في تربيتهنَّ فيعود ذلك عليهم بالخير وعلى الوطن بالمنفعة الجزيلة (ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ورأيت بخطّ ناصر الدين الحسين ما هذه صورتهُ : « توجهنا الى الكرك نهار الثلاثاء خامس ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة (١٣٤٢م) الموافق لاوّل نيسان واقمنا عليها محاصرين من اوّل ذي الحجة الى سابع صفر سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣م) ووصلنا الى البلاد الحادي عشر منهُ بخير وسلامة ولله الحمد والشكر . وكانت الاشياء غالية فكيل الدقيق بثمانية عشر درهماً والخبز ثمان اواقٍ دمشقية بدرهم والشعير الكيل بعشرة دراهم . وكان غير ذلك من الاصناف متعذّر الوجود والحب زمان (كذا) الرطل باربعة دراهم وكذلك الجبن »

ولما دخلت سنة اربع واربعين وسبعمائة ضعفت حال السلطان احمد والكركيين وكان زرعهم قد رُعي رعاهُ التركمان والعربان . وكان اكثر دوابّهم قد نُهبت وانقطع عنهم الجلب وحالهم كما جاء في ضعفٍ . وأُخذت قلعة الكرك في شهر صفر من سنة خمس واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) وأُخذ السلطان احمد تحت الحوطة في القيد وشُدّد عليهِ وقتل . ثمَّ رأيتُ بخطّ ناصر الدين الحسين ما حرفهُ : هرب سعد الدين سعيد بن ناصر الدين ابو الفتح بن سعدان من حبس الكرك ليلة الثلاثاء سابع عشر شوّال سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) وكان اعتقالهُ بها نهار الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) ووصولهُ (٥٥٧) الى دمشق من الابواب الشريفة بالديار المصريّة يوم الجمعة ثاني ذي الحجة من السنة المذكورة ورُسم لهُ بتكملة عشرة رماح وكان لهُ قديماً خمسةٌ فقط

وهذه نسخة جواب كتبهُ ناصر الدين الحسين عن مرسوم ورد عليهِ من نائب

الشام(١) وهو: « ورد المرسومُ العالي اعلاهُ الله تعالى يتضمَّن الامر بعمارة جسر نهر الدامور الجاري بين صيداء وبيروت لما يقاسي السِفارة فيهِ من المشقَّة والعطب وما أُنهي الى العلوم الكريمة عنهُ صحيح. وفي اصلاح هذا الجسر حسنةٌ عظيمةٌ ساقها اللهُ تعالى لتسطَّر في صحائف مولانا ملك الامراء عزَّ نصرهُ وتجري في أيامهِ السعيدة اداما الله وخلّدها. ولم يبقَ في السواحل نهر مثل هذا النهر بغير جسر ويغرق عليهِ كثيرون من الجبليّين الى حدّ البقاع. وكان الامير سنجر الشجاعيّ رسم للدمياطيّ الذي تولى صيداء و بيروت في اوَّل الفتوح الاشرفي بان ينشئ على الدامور جسرًا وكان الشجاعي عاين مشقَّتهُ وهو عابر الى بيروت. فلمَّا عمرهُ الدمياطيّ اقام الجسرُ سنتين وفي الثالثة اخذهُ السيل وبقي خرابًا الى ان رسم المرحوم سيف الدين تنكز بعمارتهِ فعُمِر ولم يُقم الّا بعض الشتاء فسقط من السُيول وحمل الماء بعض حجارتهِ الى البحر المالح وسقوطهُ من جانب القبلي كان في المرَّتين لضعف الاساس ومَنع الماء عن تغميقهِ (٤١ ٥) الى الصخر كما في الجهة الشمالية. فمن ثمَّ لا بُدَّ من تصريف الماء وعمل صناديق كبار اعلى من الماء فتُقيَّر مثل المراكب ويُنزح الماء منها ويُحفر فيها اساس جيد الى الصخر ويُقطع لهُ حجارة كبار وعمدٌ روابط ويُغمس في كلس بغير تراب. واماَّ التقدير فقد عيَّنهُ النوَّاب. ولا يخفى انَّ العمل الجيّد يحتاج الى كلفة زائدة. وان سُخّر الفعلة لذلك كان البلاء اعظم وان ضجرت الرعيَّة من هذا العَمَل فيحصل للناس عَسف وتعجز قدرتهم عنهُ لانَّ البلاد متداعية الى الخراب لولا يشملهم عدل مولانا ملك الامراء. وقد تضايقوا من الجراد والمَحْل وكلفة تجردة الكرك. ثمَّ يُعلِم المملوكُ سعادةَ مولانا انَّ في طرابلس مهندسًا خبيرًا بالاعمال الساحلية يقال لهُ ابو بكر بن البصيص البعلبكيّ وهو الذي عمَّر جسر نهر الكلب ولهُ غير ذلك من الاعمال الثقال ببلاد طرابلس فان اقتضت الآراء العالية نطابهُ الى هذا العمل فيحصل بهِ النفع. والمملوك يمتثل ما يردُ عليهِ من المراسيم العالية »

ولم يكن لهذا الجواب تاريخ ولكنهُ اشار الى زمانهِ بذكر كلفة الكرك. وربما كان

١) وجاء في حاشية الكتاب: « ان هذا المرسوم كان ورد على ناصر الدين من طقزدمر نائب الشام تاريخهُ محرَّم سنة خمس واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م). ثمَّ بعد كتابة هذه الاوراق وجدتُ المرسوم المذكور فكتبت مضمونهُ ولصقتهُ تجاه هذه الورقة ». (قلنا) ولم نجد هذا المرسوم في النسخة الاصليّة ولعلَّهُ سقط منها

نائب الشام الذي كتب اليهِ هذا الجواب سيف الدين طقزدمر الحمويّ نائب الملك الصالح اسماعيل بن محمَّد (١. لانَّ طقز دمر استمرَّ في النيابة الى حين وفاة اسماعيل المذكور في ربيع الاوَّل سنة ست واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م). فطلب طقزدمر الى مصر وأُحضر يلبغا اليحياوي (٢ من حلب وجعلهُ نائبًا في الشام عوضًا (٥١ آ) عن طقز دمر. وكان طقز دمر هذا مملوكًا للملك المؤيد صاحب حماة (٣. فلمَّا توفي الملك المؤيد قام موضعهُ في سلطنة حماة ولدهُ الملك الافضل نور الدين عليّ ابن الملك المؤيَّد وبقي مدَّةً بحماة. ثمَّ وُلّي طقز دمر المذكور نيابة حماة وعُزل الملك الافضل من السلطنة وبطلت السلطنة من حماة واستمرَّت نيابةً الى آخر وقت. وكانت نيابة طقز دمر على حماة في ربيع الآخر سنة اثنتين واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م) وذلك بعد وفاة الملك الناصر محمَّد بن قلاوون بقريب من اربعة اشهر وبعد خلع ابنهِ الملقب بالملك المنصور ابي بكر بن محمَّد. وتسلطن بعد المنصور هذا اخوهُ كجك ابن الناصر محمَّد (٤ وتلقب بالملك الاشرف. وكان طقز دمر المذكور قد تزوَّج امَّهُ فصار نائبهُ بمصر ثمَّ توجه الى نيابة حماة بعد خلع ابن استاذهِ الملك المؤيد ومنها توجَّه الى نيابة الشام. فلينظر الناظر في طباع الناس على انَّ طقز دمر المذكور كان مشهورًا بالجودة والعقل

وفي ايَّام ناصر الدين الحسين قدم صاحبُ حماة سائرًا الى السواحل ليزور القدس الشريف. وكان وقتئذٍ عزّ الدين جواد في بيروت فارسل الى الجبل يخبر ناصر الدين بقدوم صاحب حماة فنزل ناصر الدين الى الدامور لملاقاتهِ وترحَّل للسلام عليهِ. فلمَّا سمع ملك

---

١) الصالح رابع اولاد الملك الناصر محمَّد بن قلاوون بويع لهُ بالسلطنة في مصر بعد اخيهِ احمد الذي مرّ ذكر اخبارهِ في الكرك (المشرق ١: ١٠٩٣) واحسن السيرة في الرعيَّة واصلح احوال الدولة وتوفي بعد ثلاث سنين لسلطنتهِ سنة ٧٤٦ ﻫ (١٣٤٥م)

٢) كان هذا من امراء الملك الناصر محمَّد بن قلاون فخدمهُ وخدم السلاطين اولادهُ. فولَّاهُ الملك الكامل شعبان ابن الناصر نيابة الشام سنة ٧٤٦ ﻫ (١٣٤٥م). ولمَّا تولى الملك المظفرُ حاجي خافهُ نائب الشام يلبغا فهرب فتبعهُ عسكر دمشق وقاتلوهُ الى ان قُتِل سنة ٧٤٧ ﻫ (١٣٤٦م)

٣) هو المؤرخ الشهير ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ ﻫ (١٣٣١ م) راجع ترجمتهُ في مجاني الادب (٥: ٢٩٤)

٤) المنصور والاشرف كجك ولدا الناصر محمد بن قلاوون بويع لاولهما في آخر سنة ٧٤١ﻫ (١٣٤١م) وتولَّى اخوهُ الامر بعدهُ بثلاثة اشهر فملك خمسة اشهر فقط

حماة بقدوم ناصر الدين ترحَّل هو ايضاً لملاقاته. فقال لهُ ناصر الدين: يا مولانا السلطان ما المملوك قبيل هذا الاكرام وقدرُك يجلُّ عنهُ. فاجاب صاحب حماة: « اذا انت لم تعرف قدري ولم اعرف انا قدرك فمن يعرفهُ ». ونزل السلطان على باروثا عند جانب النهر. واقام ناصر الدين (52ᵛ) بواجبهِ وخلع عليهِ صاحب حماة خلعةً كاملة

واخبرني ابو جميل من بيصور قال: كنت في خدمة ناصر الدين لمَّا تلقى صاحب حماة في الدامور. وكنت اذ ذاك شابًّا حدث السنّ. ولم يذكر اسم صاحب حماة ولا لقبهُ ووجدت غيرهُ ممن لهم علم بهذه الحكاية فلم يكن لهم ايضاً معرفة باسمهِ. (قلتُ) هو احد الاثنين امَّا الملك المؤيَّد اسماعيل (ابو الفداء) وامَّا ولدهُ الملك الافضل علي ورأيتُ بين آثار السَّلف خلعًا فكان بينها خلعة طَرْدوحش (١ بقرٍ وسنجابٍ دائرهُ قندس (٢ وحياصة (٣ وطرفان من الشاش. وذُكر لي انَّها خلعة صاحب حماة المذكور

ستأتي البقيَّة

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي

١ً توطئة

ليس من ديانة تتغيَّر على ممرّ الاعوام. لا بل على ممرّ الايام. مثل ديانة اتباع يزيد. فهي كل يوم تنقص او تزيد. بما يدخلها من رأي جديد. او بما يسقط منها ما اصبح فيها غير مفيد. وذلك حسب اهواء الشيوخ والرؤساء. اذ يخطّئون غالباً بحكمهم الجائر من احسن ويصوّبون من اساء. حسبما تهب بين ايديهم نَفحاتُ الصفراء والبيضاء. تلك التي تصفّر اوجهًا او تسوّدها وان كانت بالحقيقة حسناء وضَّاء. وربما كان ايضاً سبب تلوّنهم في الاراء الدينية. عدم وجود كتب سَنَدية. يعتمدون عليها في تعاليمهم الاخروية والدنيوية. ولذا ترى اليزيدي:

---

١) الطَّرْد-وحش كلمة مركبة يراد بها جلد الوحش القنيص وقد عيَّن نوعهُ بقولهِ « طرد وحش بقر وسنجاب » راجع تاريخ المماليك للمقريزي Quatremère ;*Hist. des Mamluks* II², 69 seqq.

٢) اي جلد قَنْدَس وهو كلب البَحْر ٣) الحياصة المنطقة

كريشة بمهبّ الريح ساقطة لا تستقرّ على حال من القلقِ

فهو كل يوم برأي دينيّ جديد. وبمعتقد واهٍ او سديد. حسبما قال عمل او جمع. ان كان من الامراء. او حسبما رأى سمع او دَفع. ان كان من الفقراء. وعليهِ فيحقّ لكل واحد من هذه الشيعة المقوتة ان يقول. ما نطق بهِ بديع الزمان صاحب المعقول والنقول. عن لسان ابي الفتح الاسكندري الذي لا تعرف دراريُّ مبتكَراتهِ الأفول:

انا ابو قلمونٍ في كل لونٍ اكونُ

او كما قال آخر: كابي براقش كلّ يو مٍ لونهُ يتقلّبُ

٢ التعريف بهم تبعًا لمذهبهم

ومصداقًا لما قلتهُ. في هذا الموضوع. أورد بعضًا ممّا نلتهُ. من اصحاب هذه الديانة من المعروف عندهم الفاشي الشيوع. لا تأييدًا لزعمهم. بل لاستقباح الناس لمذهبهم ودينهم فاقول: سُئل احد شيوخ اليزيدية في هذه الايام عن اصلهم فقال ما معناهُ: انّ اصل اليزيدية قديم شريف يتصل باوائل خلق الانسان. وذلك انّ الله عزّ وجلّ بعد ان خلق آدم وحوّا. وقع بينهما الخصام في شأن ذرّيتهما. فآل بهما النزاع الى ان افترقا في مكان معلوم يبعد الواحد عن الاخر مسافة اربعين يومًا فرُزق آدم بنوعٍ عجيبٍ ولدًا قسيمًا. فاستاءت لذلك حوّاء وانفردت بخلوة وطلبت الى الله أَلّا تكون ذليلةً في عيني زوجها فولدت طفلةً غادةً اخذ حسنُها في قلب آدم فزوّجا الشابَّ بالطفلة فجاء منهما نسل اليزيدية المبارك. غير انّ هذه الذرّية لم تسمَّ بهذا الاسم الجديد الّا بعد زمن مديد. وذلك ان تلك السلالة بقيت محافظةً على شرف اصلها بدون ان تختلط بسلالة اخرى وعلى سموّ ديانتها من عبادة الله وطاووس ملك (اي الملَك الطاووس وهو عندهم الشيطان) حتى دخل هذه العبادة بعض الطوارئ على ممرّ الزمان فقام واحد من الخلفاء اسمهُ يزيد وعمل من الآيات والمعجزات ما عمل ومنذ ذلك الحين تسمى أتباعهُ باليزيدية

واما يزيد المذكور فيزعمون انهُ يزيد بن معاوية بن سفيان وانّ امّهُ من اصل نصراني اسمها شلخة ويحكون عنهُ الحكايات المختلَقة بل السفاسف الساقطة بل الفضائح الشائنة التى لا توافق شيئًا من اخبار الاقدمين. ويندى من ذكرها خجلًا كلُّ جبين. ويزيدون على خرافاتهم انّ يزيد التجأ لإدراك اوطارهِ السيئة الى احد الشيوخ اسمهُ عادي وكان رجلًا عالمًا ذا تقشُّف وشظف عيشٍ. الّا انّ صدرهُ يكنُّ الخداع والمكر

قد ابتدع نِحلةً في الدين فتعلّم يزيد طريقتهُ وعلمها لجميع من اتّبعهُ وهي الطريقة التي يتبعها اليوم اليزيدية

وسئل بعض أئمة اليزيديين عن الشيخ عادي فذهب الى انّهُ كان شيخ قبيلة وانّهُ كان من اتباع يزيد فاراد ان يُحدِث او ينشئ بدعةً يكون إماماً فتوارى يوماً عن الابصار بحجّة انهُ يذهب الى مكة للحج. فتراءى لهُ طاووس ملَك (اي الشيطان) وعلمهُ أشياء مختلفة. فلماّ قفل الى قومهِ قال لهم: « اني ذهبت الى مكّة وامرني الله أن اعظكم. ومن جملة ما وعظهم انّهُ قال لهم: لا حاجة للصوم ولا للصلوة فحسبُكم ان تؤمنوا بقدرة طاووس ملك وسلطتهِ فتتخلصوا في يوم الدين ». فآمنوا بهِ وتبعوهُ. انتهت الرواية

اما تحرير الرواية في كل ذلك فهو ان اليزيدية على ما قالهُ الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل هم: « اصحاب يزيد بن أُنَيسة الذي قال بتولّي المحاكم الاولى قبل الازارقة وتبرّأ ممّن بعدهم الّا الأباضية فانهُ يتولّاهم. وزعم انّ الله تعالى يبعث رسولًا من العجم ويُنزل عليهِ كتاباً قد كُتب في السماء ويُنزِل عليهِ جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى (صلعم) ويكون على ملّة الصابئة المذكورة في القرآن وليس هي الصابئة الموجودة بحرّان وواسط وتولّى يزيد من شهد للمصطفى (صلعم) من اهل الكتاب بالنبوءة وان لم يدخل في دينهِ وقال ان اصحاب الحدود من موافقيهِ وغيرهم كفّار مشركون وكل ذنب من صغيرٍ وكبيرٍ فهو شِركٌ عندهم ليُعلَم ذلك » (اه بحرفهِ)

فلما وقف المسلمون على كنه ديانة اليزيديين وأصولها الفاسدة أصلوهم نارًا حاميةً لما في بدعتهم ما ينافي الدين المحمّدي. فامسى اليزيدية ممقوتين من المسلمين اهل السنّة لقولهم بان الله يبعث رسولًا من العجم. وكَرِهم اهلُ الشيعة ايضاً لانّ يزيد بن أُنَيسة صاحب اليزيدية كان من الاباضيّة والاباضيّة هم شعبة من الحكميّة والحكميّة فرقة من الخوارج او النواصب او الحرورية نسبةً الى حروراء وهو الموضع الذي خرج فيهِ اول الشُراة على عليٍّ الذي يغالي اهل الشيعة في حبهِ وتقديمهِ. وما زال المسلمون يضايقون اهل هذه البدعة الغريبة حتى ألجأُوهم الى الفرار الى جبال سنجار فتحصّنوا واستحكموا فيها

غير انّهُ لما كانت بدعتهم تُعظّم العجم وتجلّهم اذ كانوا ينتظرون منهم مجيءَ نبيهم

من بلادهم تزاحم اهل فارس على الانخراط في سلك هؤلاء المبتدعين. ولم تكن يومئذٍ بلاد فارس اسلاميـة كما هي اليوم بل كان يغلب على سكانها الديانة المانوية او الثنوية. فما زال الزنادقة او المزدكية او من ضاهاهم بعقائدهم يدخلونهـا افواجاً حتى رأى اليزيدية في ذلك الفوز والنصر من الله. فغلب اذ ذاك العنصر العجمي او الفارسي او الكردي على العنصر العربي او الشرقي واثّر هذا التغلّب في الديانة اليزيدية نفسها. فان لغتهم الدينية بعد ان كانت عربية غدت فارسية او كردية. وبعد ان كانت ديانتهم تقرب من الاسلامية في عقائدها وشعائرها ورسومها ابتعدت عنها واقتربت من الديانة المانوية فان أتباع يزيد يكرمون الى يومنا هذا الشمس والقمر وسائر الكواكب والنار والماء وسائر العناصر والسحاب والبرق وسائر الاحداث الجويّة والعَلَويّة واخذوا يعظّمون ما يسمونهُ بالمبـدأين الأوّلين كما يسميهما الثنوية وهما الخير والشر. النور والظلام وبعبارة اخرى: الرحمـان والشيطان. فاصبحوا يترضّون (والعياذ بالله) ابليس الرجيم الى يومنا هذا كما يترضّون الاله الرحيم. وزد على ذلك اعتقاداتٍ وأعمالًا اخرى لا محلّ لذكرها في هذا الباب لخروجها عنهُ وكلها تشهد بصدق ما نكتبهُ

ودخول مثل هذه الاشياء في الديانة اليزيدية هي التي اوقعت كتبة الافرنج في مَهواة الخلط في اصلهم والخبط فيهِ ولا خبطَ العشواء فتقوّلوا تقوّلات تنافي التواريخ الشرقية والنقول الاسلامية والتقاليد المِلّيّة. فممّا ذهبوا في اصلهم: « ان اليزيدية هم من الفرس ويشهد على ذلك اسمهم فهو مشتق من يَزْد او إزد ومعناهُ اله او روح صالح وهو ضدّ أهرمان الذي هو المبدأ الشرير. وزاد اوجين بوره (Eugène Boré) قائلًا: «ولَعمر الحق ان كل شيء فيهم يوضح آراء يُشَمّ منها رائحة ديانة زَرَادَشت التي ادخل فيها ماني صاحب الثنوية المانويّة بعض التغييرات(١)» (اه). وقال غيرهُ: «وقد عدّ المؤرخون الاقدمون هذه الملّة بين القبائل الكردية الخمس الاصلية مع تمييز الفروق الموجودة في ما بينها وهي فُروق بيّنة واضحة تميزها عن سائر السلائل الاصلية المتوطنة هناك» (٢) (اه)

ولا شكَّ انَّهُ دخل في هذه الديانة جماعة من النصارى في اوائل نشوئها. والادلة على ذلك كثيرة منها: ١ً وجود بعض أعمال دينيّـة لا توجد الّا عند النصارى

(١ Apud Migne. – *Diction. des Religions* T. IV, art. *Yézidis*

(٢ Vital Cuinet — *La Turquie d'Asie*, p. 77²



كالمعمودية الموجودة عند جميع اليزيدية والشَّبر (٣ . ولا يوجد الّا عند اليزيدية المقيمين في خارج سنجار. ٢ً ومنها ايضاً ان سكان جبل سنجار كانوا كلهم سابقاً نصارى وكان فيهِ للسريان الشرقيين مطرانيَّة شهيرة تسمى مطرانيـــة شيكَر اي سنجار. اما اليوم فاهــل سنجار كلهم يزيدية الّا في ما ندر. وهل يمكن ان اليزيدية طرأوا على نصارى سنجار حتى اجتاحوهم عن آخرهم فهذا ممَّا يأباهُ العقل السليم. وبالاخصّ اننـا نعلم العلم اليقين ان النصارى لم يزالوا فيهِ حتى اواسط القرن الثامن عشر من تاريخنا. فلا بُدَّ من ان بعض النصارى تراخوا في ديانتهم من بعد ان عاشروا هؤلاء الاقوام مُدَّة ثم دانوا بدينهم لغايةٍ من الغايات لا محلَّ لذكرها هنا. ٣ً ومن ذلك ايضاً ان نصارى تلك الاصقاع الخاضعة لابرشية الموصل يُسمون اليزيدية دَسْنَاية اي داسانيّين او سكان ارض داسن وكانت هذه ايضاً من أبرشيات النساطرة. فلعلَّ هؤلاء النصارى لمَّا بلغ منهم الجهل كل مبلغ كما هم عليهِ الان دانوا باليزيدية جَهلًا منهم او حبًّا بألفتهم والتزوج بنسائهم وغير ذلك من الغـايات الدنيوية الدنية. ٤ً ومن ذلك ايضاً ان طائفةً من النصارى في تلك النواحي يقولون بان الشيخ عادي المكرَّم عنـد اليزيدية ليس الّا الرسول أدّي او عَدي من الرسل الذين نصَّروا اهل هذه البلاد وكان قد أُقيم على اسمهِ بيعة هي اليوم مزار الشيخ عادي مُصْلح اليزيدية. ٥ً ومنها ايضاً ان من الذائع على السن النصارى في تلك البلاد انهُ يوجد اليوم في جبل سنجار مكتبة عظيمة مشحونة بل مرصوفة بالكتب النفيسة القديمة الكلدانية وعليها حارس يحافظ عليها اشدَّ المحافظة وهم يكرمونها ويعظمونها بما في طاقتهم اذ انهم يوافونهـا كل يوم احدٍ وجمعة من الاسبوع ويبخّرونها ويشعلون سُرُجًا امامها ويخفون امر وجودها على عامَّتهم ولا يُطلعون عليها الّا من كان منهم في صدور المناصب الرفيعة الكاتمين لبنات الصدور مبينين بذلك ان اجدادهم كانوا من النساطرة وهم يحافظون على كتبهم هذه خوفاً من ان تغتالها ايدي الجهلة (١ . غير اني اخشى ان تكون هــذه الحجَّة على غير سندٍ

---

١) الشَّبَر هو المعروف اليوم عند النصـارى بسرّ القربان او سرّ الاوخاريستيَّة والشَّبَر تعريب معنويّ كاسم εὐχαριστία اليونانية التي معناها الشكر وابداء المعروف. ومعنى الشَّبَر لغوياً العطيَّة والخير وهو بمعنى اليونانية تقريباً

٢) هذان الدليلان اخذتهما عن حضرة القس قرياقوس مَنّوق الكلداني الذي كان قد أُولع

مكين صادقٍ بل على سندٍ وهميّ او على مبالغةٍ لا غير وقد اشاع هذه الاراجيف بعض المتشدّقين بمعرفة أسرار هؤلاء الاقوام وتمويهًا على عقول الاغرار

وقد سألت بذاتي يزيديًّا مُطَّلعًا كلّ الاطلاع على أخبار قومهِ واستطلعتهُ حقيقة الامر في ذلك فقال: «كان اخي من المتردّدين الى جبل سنجار كلّ التردُّد فسألتهُ قائلًا: أصحيح انهُ يوجد عندنا في الجبل مكتبة نفيسة عظيمة فيها كتب عديدة جليلة قديمة على ما يرويهِ نصارى هذه الاصقاع. قال: اني انا ايضًا قد سمعتُ مثلك بهذه الاخبار فاستخبرتُ عن ذلك صديقًا كان مقرَّبًا من الشيخ فقال: انهُ لا يوجد الَّا ستة او ثمانية كتب محفوظة في غرفة خصوصية ومفتاح قفلها عند الشيخ وقد أُقيم على بابها حارس يحرسها. وهو يُخرجها في الشهر مرّةً في ايام القيظ ويشمّسها لكي لا تفنيها الرطوبة. ثم يبخّرونها وتُعاد الى محلّها. والغاية من هذا التبخير طرد السوس عنها لانها تكرهُ رائحتهُ ولا يجوز لاحدٍ ان يمسك هذه الكتب بيديهِ الَّا الشيخ وابنهُ وإلَّا يُقتل

والخلاصة ممَّا تقدَّم انَّ ديانة اليزيدية هي بمنزلة كشكول لجميع الاديان. او هي بين الملل والنحل بمنزلة سفينة ابينا نوح في ايَّام الطوفان. اذ بها من كل معتقدٍ مقبولًا او مرذولًا زوجان. او هي في وسعها كقصر غمدان. اذ يُقبل فيها كل ما يدخل في حيز الحال والامكان. كما يتضح لك ذلك ممَّا نذكرهُ باجلى برهان. واوضح بيان. وعلى الله التكلان

(البقية تأتي)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

الفصل السَّادس

في النجاة

ان مدينة نيويرك من ابهج مدن الدنيا واعظمها رونقًا وفخامةً وهي قائمة في

بالبحث عن هذه الشيعة واصحابها وكان قد اعدَّ مقالةً لدرجها في المشرق لكن لمَّا وقف على ما كتبتهُ في زيارتهِ اياي امسك عن الكتابة ورفع اليَّ ما ابتدأ بتدوينهِ. وعليهِ فاني كلَّ مرة اخذتُ عنهُ شيئًا نوَّهتُ بهِ قيامًا بواجب الشكر وارجاع الفضل لذويهِ



جزيرة على مصبّ نهر الهدسون ونظرًا لتزايد اتساعها ضاقت الجزيرة عن استيعابها فمدّت الى الناحية الشمالية خطوطًا طويلة من المنازل يفصلها عن بعضها شوارع متآزية وتقطعها زوايا مستقيمة مما يجعل لها مشهدًا يشبه رقعة الشطرنج العظيمة. وقد تشيّدت حول المدينة الاصلية مدن أخرى عديدة ولكنها ما لبثت ان اتصلت بها بحيث صارت معها مدينة واحدة كبيرة لا تقلّ مساحة سطحها عن ١١٠ كيلومترات مربعة. وفي هذه المدينة مليونان من السكّان تراهم دائمًا في تزاحم وتسارع الى اشغالهم. اما الشوارع فلا تزال تجري فيها ليلًا ونهارًا العربات والحوافل (أمنيبوس) وعجلات التراموي الكهربائي كما تمرّ ايضًا مركبات السكك الحديدية فوق المنازل

على ان الغريب الذي يشاهد هذه المناظر يقف عندها مبهوتًا حائرًا بينما ان الاميركي لا يتأثر منها مطلقًا لكونهِ قد ألف رؤيتها واعتاد مشاهدتها كل يوم. وجميع المخابرات تجري في نيويرك امّا بالتلغراف او بالتليفون ولذلك تُعدّ الاسلاك الممدودة في الجوّ لهاتين المصلحتين بالالوف ولا تكاد تدخل فندقًا الّا تجد فيهِ كل ما يلزم للمخابرة مع اقصى اطراف المدينة. وابلغ من ذلك انك تستطيع وانت في حجرتك ان تستدعي ما شئت من عربة او شُرطي او غيرهما حتى اذا احتجت الى رجال المطافئ ايضًا امكنك ان تأتي بهم في الحال. نعم ان في الشوارع الكبيرة من نيويرك قصورًا عظيمًا من الحجر المانع (غرانيت) او الرملي الاحمر او الرخامي الابيض الّا ان فيها ايضًا كثيرًا من البيوت الخشبية. وانما يختار الاميركيون بناء منازلهم بالاخشاب لانها اوفر اقتصادًا واخف ثقلًا فيمكنهم عند الاقتضاء ان ينقلوها من مكان الى آخر مجرورة بالقواطر الكهربائية. وحوادث الحريق كثيرة في اميركة ولكن ماذا يهمّ الاميركيين اذا احترقت منازلهم الخشبية طالما انهم قادرون على ان يجدّدوا بناءها على طرز أجمل وأوفر ملاءمة للصحّة. ثم انهُ لا يخفى ان الاختراعات في اميركة ما زالت تتوالى وتتعاقب واللاحق منها يقوّض السابق فاذا كانت تؤول الى جرّ مغنم لمخترعها فقد ادركتْ غايتها القصوى وغرَضها الاسمى وكل ما تبقّى يُعدّ امرًا ثانويًا قليل الاهمّية. على أنّ كلّ من باشر عندهم امرًا ولم يصب فيهِ نجاحًا لا يقنط ولا ييأس بل يستأنفهُ مرةً أخرى بعزم اشدّ وطرق أجدّ فاذا حبط مسعاهُ نهض ايضًا بهمة اعظم واذا قُدّر لهُ عدم النجاح هذه المرّة فانهُ يأمل التوفيق في مرّةٍ أخرى ولا يزال هكذا حتى يستتبّ لهُ الفوز

بالمرام او الحِرمان التامّ. والمزاحمة في اميركا اعظم بكثير ممَّا نتصوَّرهُ بل انها تجري على وجوه لا يعرفها الاوربيُّون فكثيرًا ما يتفق ان تتعاون الشركات المتنافسة وتساعد بعضها على النجاح ولكن على امل ان تسعى بخراب بعضها في المستقبل

ومن يخرج الى السهول الاميركية يرى اسلاك الحديد ممتدَّة بعضها حذاء بعض ويشاهد المحطات متقاربةً متدانيةً. وللمسافر ان يختار ركوب السكة التي يشاء ويريد. واما الحكومة فانها لا تقتصر على بسط حمايتها على هذه الشركات المتنافسة بل انها تخصص رواتب معينة لكل واحدة منها

وكانت الشمس وقتئذٍ قد اشرقت مرسلة اشعَّتها الذهبيَّة على سقوف المنازل. واخذ الناس يخرجون من بيوتهم وينبثُّون في شوارع المدينة. فمنهم من يركب العَرَبات ومنهم من يتزاحم عند محطَّات السكك الحديدية بينما كانت قواطرها المعلقة في الجوّ تُسمع اصوات صفيرها الحادَّة والقطارات المتحركة بالكهربائية او المجرورة بواسطة الخيل تنقل جماعة الفعلة الى المعامل التي فيها يشتغلون. وكان اصحاب الحانات قد بادروا الى فتح حوانيتهم وبعضهم كانوا قد فتحوها مدَّة الليل بطولهِ فكان الفعلة يمرُّون عليها ويتناولون قدحًا من الشراب وهم وقوف ثم يستأنفون مسيرهم بسرعةٍ

وكان «المستر نسيب» قد نهض من النوم في اليوم المذكور وهو فرح جذلان لانهُ كان قد كسب ارباحًا غير قليلة من البضائع التي اتى بها من سان فرنسيسكو. والمستر الموما اليهِ معتدل القامة اسود الشعر خفيف الشاربين وكان قد اطلق شعر عارضيهِ تبعًا لعادة الاميركيين وحلق شعر ذقنهِ. أمَّا القذال منهُ فكان مسطَّحًا. ولكن لا بد ان تعلم ان المستر نسيبًا هذا كان قبلًا من لابسي الطربوش الاحمر وقد أقام في لبنان وولد فيهِ. ولمَّا بلغ السنة العشرين من عمرهِ ترك الجبل قاصدًا الديار الاميركية حيث مضى على اقامتهِ فيها نحو عشرين سنةً وبما انهُ كان موفَّقًا في اشغالهِ فلم يخطر لهُ ببال فكر العودة الى وطنهِ. وكان في بدء امرهِ قد ذاق من العيش أمرَّهُ حتى ألجأتهُ الحال الى التكفُّف فضاقت الدنيا في وجههِ وعزم ان يرجع الى وطنه لو أُتيح لهُ ذلك. وبينما هو في ضيقة شديدة تيسَّر لهُ الاستخدام بصفة عامل عند احد المُعدّنين في مناجم كاليفورنية فاقبل على الشغل بانصباب فاحبَّهُ معلِّمهُ وجعلهُ شريكًا لهُ في العمل. ثم ما لبث معلِّمهُ ان توفي فورث ثروتهُ وبقي وحدهُ مالكًا لتلك المناجم المكتشفة. وبما انهُ كان اقترن بشابَّة

اميركية اتخذ مقامهُ في مدينة سان فرنسيسكو لانها مركز الاشغال ومحور الاعمال. هذا من حيث احواله المالية واما من حيث الديانة فكان قد اهملها كل الاهمال وانخرط في سلك احدى الشيع البروتستانية. وما كان انخراطهُ فيها ليقينهِ بصحة عقيدتها بل لانهُ وجد فيها مصلحتهُ وفائدتهُ ولا يخفى ان المصلحة او اهواء القلب هي العامل الوحيد الذي يُنكّب بكل رجل متراخٍ عن سلوك الطريق القويم

سبق القول ان المستر نسيب كان في صباح اليوم المذكور فرحاً جذلاً وقد خرج من الفندق الذي كان نازلاً فيهِ قبل موعد خروجهِ الاعتيادي لانهُ همَّ بان يتمّم بعض حسابات لهُ قبل سفرهِ الى سان فرنسيسكو. وبينما كان يُسرع الخطى الى مصيف بقرب نيويرك اذ سمع وهو ذاهب صوت شخص يئنُّ ويتوجَّع. فوقف واصاخ سمعاً فاذا بالصوت قد انقطع فظنَّ ان أُذنهُ قد خدعتهُ. وهمَّ بان يستأنف السير ولكنهُ سمع الصوت مرَّة ثانية وكان اقوى من المرَّة الاولى. فوقف واخذ يتفرَّس في الأدغال التي خرج منها الصوت ثم ازاح اغصانها الملتفّة بيدهِ فشاهد بين العليق والاشواك جثّةٍ رجل مصفرّ الوجه رثّ الثياب متلوث بالغبار والاوحال

فمدَّ اليهِ يدهُ فجسَّهُ فلم يرَ فيهِ علامة حياةٍ ثم أحنى رأسهُ ووضع أُذنهُ على صدرهِ وطفق يتسمع نحوًا من ثانيةٍ فلم يسمع لقلبهِ خفقاناً فاصفرَّ وارتعش وغلب على ظنّهِ ان الرجل ميت

ثمَّ تفرَّس في وجههِ وسائر ملامحهِ فخطر لهُ انهُ لبناني لانهُ لم يكن نسي هيأة اللبنانيين الذين عاش بينهم منذ طفوليته الى حد العشرين من سنّهِ. وتذكر انهُ شاهد منهم بالامس عددًا غير قليل كانوا قد وصلوا مع السفينة «مدينة بوردو» فعرفهم من مجرَّد النظر اليهم. وبما انهُ أتى هو ايضاً الى اميركا فقيرًا وقاسى في بدء امرهِ مرارات الشقاء حنَّ قلبهُ على ذلك الفقير الذي كان يشاهد جثّتهُ

ثمَّ انهُ فتش جيوبه لعلهُ يرى ما يؤكد لهُ كونهُ لبنانياً فلم يرَ شيئاً فحينئذٍ حوّل وجههُ ومشى ليُخبر رجال الشرطة فلماَّ تخطَّى الدغل والتفت الى الجثة التفاتةً اخيرة رآها ترتجف فظنَّ لاوَّل وهلة ان الريح تتلاعب بالعليق. فحدَّد النظر فابصر ان الحركة في الجثة فعاد على عقبيه وتسمَّع باذنيهِ فسمع القلب يخفق خفقاناً خفيفاً. فتردَّد نسيب برهةً وقال في نفسهِ اذا كنت اذهب لآتي بمعونة الى هذا المسكين فانهُ يموت قبل ان

اعود. فالاوفق ان اعمل ما في مكنتي لمساعدتهِ لعلَّ الله يمنّ عليهِ بالنجاة ممَّا هو فيهِ. ثم اقبل يفرك جسمهُ البارد. وما زال يجدّ والرجاء واليأس يتنازعانهِ حتى تصبب جسمهُ عرقًا ومع ذلك لم يكلّ عن الفرك الى ان عاد التنفس شيئًا بعد شيء للرجل المجهول فصرخ متنهّدًا وفتح عينيـهِ. ثم انهُ هتف قائلًا كأنهُ استيقظ من حلم شنيع: « اتركوني اتركوني. لا ترجعوني الى سوريَّة ».. وهاج بعد ذلك محاولًا التخلص. فرام المستر نسيب ان يهدئ روعه ويسكّن خوفه فازداد هياجًا وهو يقول: « انهم لاحقون بي وقد قبضوا عليَّ فيا لتعاستك يا فاضل »

— يا صاح ليس ههنا احد يريد بك شرًّا

لكن المسكين لم يسمع شيئًا من هذا الكلام لانَّ رأسهُ كان ملقى على الارض وقواهُ خائرة. على انهُ كان يجهل اللغة الانكليزيَّة التي تكلم بها مخلّصهُ

حينئذٍ تقدَّم نسيب الى مسيل بالقرب من المحلّ واتخذ منهُ ماء ورشهُ على جبهة الرجل المجهول الذي بقيت عيناهُ مطبقتين مع ان لسانهُ كان يكرّر هذه الكلمات: « اتركوني اتركوني.. وجسمهُ يختلج اختلاجًا مرعبًا »

امَّا نسيب فبذل غاية جهدهِ ليزيل عن فاضل خوفهُ ويرجع اليهِ صوابهُ فما استطاع الى ذلك سبيلًا. ولمَّا نفدت منهُ الحيل خطر لهُ ان ينطق ببعض كلمات عربية لعلّ هذا المجهول يستأنس بها اذا كان سوريًّا.

وما كاد يُخرج فكرَهُ الى العمل حتى رفع الرجل رأسهُ قليلًا وأصاخ باذنه ثم فتح عينيهِ وحدَّق ببصره في الشخص الذي يكلمهُ ثم قال لهُ بصوت متخافت: « بحياة ربّك لا تسلمني ولا تخنّي »

فقال المستر نسيب: من أنت ومن اين آتٍ ومن يطلبك

امَّا المجهول فتردَّد برهةً ثم قال اخيرًا: « اني لبناني ». وبعد ان استوقف من المستر نسيب شرع يخبرهُ بحكايته

الفصل السابع

سان فرنسيسكو

بينما كان فاضل يحدث نسيبًا بقصته كان نسيب يتذكر ايامهُ السالفة التي فيهـا اتى



الى الديار الاميركية مدفوعًا بمحبة الذهب. وخطر لهُ ما ذاق في فاتحة امره من المشاقّ ومصاعب الفقر والاحتياج فشفق على فاضل الذي يجمعهُ واياهُ وطن واحد وافتكر ان يعلم رجال الشرطة بامره فيأخذونهُ الى المستشفى حيث يُعالَج فان شُفي أُعيد الى وطنهِ مجانًا وان مات أُخذت جثته لكونه غريبًا الى المدرسة الطبية فشُرحت امام الطلبة

اما فاضل فقرأ على وجه نسيب ما كان يجول في ذهنه من الافكار ثم نهض متثاقلًا حتى وصل الى قدميهِ وانحنى عليهِ قائلًا : « بحياة الله أخفني ولا تدع احدًا يراني »

فحوّل نسيب رأسهُ ولم يُحرِ جوابًا . امّا فاضل فكرر كلماتهِ السابقة قائلًا: « بحياة الله استرني »

—كيف السبيل الى اخفائك وانا غريب وقد جئت هنا لبعض اشغال وانا مسافر اليوم . ولو كان بيتي هنا لكنت افتحهُ لك بكل قبول ولكن ليس لي هنا بيت بل انا مقيم في سان فرنسيسكو التي تبعد ١٤٠٠ كيلومتر عن نيويرك

فما سمع فاضل اسم سان فرنسيسكو حتى ارتكض قلبهُ في صدرهِ وصرخ قائلًا لنسيب: « بحياة والدتك ارجوك ان تأخذني معك الى سان فرنسيسكو . وتأكّد انك اذا فعلتَ معي هذا الجميل لا انقطع عن خدمتك كل حياتي » . وكان فاضل يقول هذه الكلمات وقلبهُ يخفق وجسمهُ يرتعش (ستأتي البقية)

آثار شرقية جديدة

كتاب التحفة السنيّة باسماء البلاد المصريّة

جمع الشيخ الامام شرف الدين يحيي بن المقرّ بن الجيعان

طُبع في القاهرة بهمّة الدكتور ب . موريتس سنة ١٨٩٨ صفحاتهُ ٢٧٠

قد اصبحت المكتبة الخديويَّة منذ تولى ادارتها بعض اماثل العلماء المستشرقين كالدكتورين ڤولرس (K. Vollers) وموريتس (B. Moritz) منهلًا للآداب يستقي

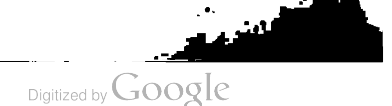
من زلال مياههِ المصريون والاجانب على انَّ مناظري هذه الكتبخانة لم يكتفوا بان يجعلوا هذه الموارد قريبة المنال بل اخذوا منذ بضعة سنين بنشر كثير من الكنوز التي تشتمل عليها هذه الخزانة الشهيرة كتاريخ ابن دقماق وتاريخ ابن اياس وغير ذلك من الكتب الجليلة . امَّا كتاب التحفة السنية المذكور اعلاه فهو مأثرة جديدة اتحفنا بها اصحاب هذه المكتبة زادها الله نموًّا وفلاحًا . وهو يتضمَّن اسماء الاقاليم المصريَّة واعمالها ومُدنها وقراها كما دوَّنها المؤلف وكان مستوفي ديوان الجيش في اواسط القرن التاسع للهجرة (وتوفي سنة ٨٨٥ هـ ١٤٨٠ م) . وفي تدوين هذه الاسماء فائدة كبرى لمعرفة احوال مصر في ايَّام الملوك الشراكسة . وكان العلاَّمة دي ساسي قد نشر جداول هذا التأليف في آخر ترجمة كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي الَّا انَّهُ وهم في تعيين صاحبهِ وترك محسّنات كثيرة من شأنها ان تزيدهُ نفعًا . والدكتور موريتس أحكم هذه الطبعة الجديدة واودعها فوائد كثيرة وختمها بفهرسين نفيسين يتضمَّن الاوَّل اسماء البلاد والمدن والثاني اعلام الرجال وكلاهما على حروف المعجم

Répartition chronologique du Monnayage

DES ROIS PHÉNICIENS D'ARVAD

par le Dr J. Rouvier, Athènes, 1898, 25 pp.

لا يزال جناب الدكتور روڤيه مواصلًا بكل نشاط وغيرة أبحاثهُ عن فينيقية وآثارها ونقودها القديمة وتواريخها . وهاك اليوم قد اتحفنا بنبذةٍ لهُ حسنةٍ كتبها في مسكوكات مدينة ارواد . وكانت هذه المدينة من حواضر فينيقية علا امرها وتسامى شأنها منذ زمن قديم وقد ضربت باسمها المسكوكات العديدة في القرن الخامس قبل المسيح فجمع منها الدكتور روڤيه جانبًا كبيرًا وسعى بتحرير تواريخها استنادًا الى هذه الآثار الجليلة . فبيَّن ان ملوك ارواد الفينيقيين ضربوا هذه المسكوكات منذ نحو سنة ٤٥٠ الى ٣٣٢ ق.م . واستدلَّ ببعض الاشارات على انَّ اقدم هذه النقود ما رُسم عليهِ صورة معبودها بعل داجون منتصب القامة ثم يليها النقود التي صُوِّر بها داجون على صورة سمكة وقسَّم كل اصنافها بين فضيّة ونحاسيَّة واستخلص من ذلك عدَّة فوائد لتاريخ ارواد



منتخبات من تآليف الموقَّر توما الكنبيسي

ترجمها من الافرنسية الاب الفاضل القس عبد الاحد جرجي السرياني

انَّ كتاب الاقتداء بالمسيح قد جعل اسم توما الكنبيسيّ اشهر من نار على علم كيف لا وقد قيل عنهُ انَّ لهُ بعد الاسفار المنزلة اعلى مرتبة واسمى مقام بين التآليف البشريَّة بيد انَّ لهذا الكاتب المفضال عدَّة كتب روحيَّة غير الاقتداء بالمسيح من شأنها ان تنعش في القلوب روح التقوى وتنشط النفوس على الصعود في معارج الكمال. وهذه التآليف قد طُبعت مرارًا ونُقلت الى لغات شتى فلم يرضَ حضرة الاب عبد الاحد جرجي ان يُحرَم منها شرقُنا العزيز فاخذ ان ينقل طرائفها الى العربية وينشرها بالطبع. وقد وصلنا اليوم القسم الاوَّل منها فوجدناهُ صغير الحجم كثير الفائدة يتضمَّن تأليفين لتوما الكنبيسي وهما كتاب جنّة الورود وكتاب وادي السّوسن وكلاهما يُقسم الى فصول كثيرة كلّها محاسن وتحف لا يسمح لنا ضيق المكان بتفصيلها. جازى الله خيرًا صاحب هذه الترجمة وحضرات الآباء الدومنيكان الذي همّوا بطبع هذا السّفر الجليل

ل. ش.

هدايا

أُرسلت الى ادارة المشرق

١ منشور غبطة السيد اغناطيوس افرام الاوَّل بطريرك السريان بمناسبة ارتقائهِ الى السدَّة البطريركية بالعربية والفرنسيَّة

٢ شذرات في اللغة الايطالية عن بعض المسائل الكنسيَّة Prof. Umberto Benigni : *Ecclesiastica Miscellanea di Storia*

٣ تفسير ابن العبري على الانبياء الصغار الاثني عشر سعى بنشرهِ الدكتور ب. موريتس بالسريانيَّة

٤ آثار جديدة مكتشفة في صيداء وهي مقالة افرنسية للاب ه. لامنس اليسوعي نشرها في مجلة العاديات (Revue Archéologique)

٥ قصائد مختلفة للادباء الآتية اسماؤهم: الشيخ حسن عارف افندي المحموديّ وخليل افندي حصلب وجرجس افندي كحيل

شذرات

الموارنة في جونية

سرّنا ما رأينا من اقبال الجمهور على مطالعة مقالتنا في آثار لبنان. بيد انّ « احد العلماء » من مراسلي الروضة (في عددها الصادر في ١٧ ك ١) استاء من استشهادنا بالشريف الادريسي وايرادنا لقولهِ في بلدة جونية « وجونية حصن على البحر واهلها نصارى يعاقبة » فنسب نقلنا لهذه الشهادة الى شيء من التعصب على الملّة المارونية اكرمها الله وأعزّ شأن أبنائها. ثم حاول الردّ على ما استراب بهِ من نيّاتنا السليمة فزعم انّ هذه الشهادة لا تُقبل واستطرد الى بيان استقامة الطائفة المذكورة في سبيل الايمان

(قلنا) اننا نشكر الشكر الحميم لراقم هذه المقالة المُسهبة وقد شِمنا من خلال اسطرها مخايلَ غيرةٍ متَّقدة في سبيل الحقّ وحبٍّ مُخلص نحو السدَّة البطرسيَّة التي لم يزل الموارنة يفتخرون باتّباع ايمانها القويم. غير اننا نأخذ على حضرة الكاتب « العالم » سوء فهمهِ لقصدنا فانّنا استشهدنا بالشريف الادريسي بيانًا لقدم جونية اذ كانت بلدةً ذات شأن في القرن الحادي عشر. امّا قول الادريسي بانّ اهل جونية كانوا من نصارى اليعاقبة فلا ينتج عنهُ ان الموارنة كانوا يعاقبة بل انّ الموارنة لم يسكنوا بعدُ هذه القرية. وقد بيّنّا فكرنا في مقالتنا عن الاخ (فرا) غريفون (المشرق ١ : ٥٦) فكتبنا ما نصّهُ: « لم تكن الطائفة المارونيَّة بلغت في تلك الايام شأوًا بلغتهُ من بعد فكان معظم ابنائها يسكنون شمالي لبنان. . . وابنيتهم لا تكاد تتعدَّى نهر ابرهيم ». فان صحّ ذلك في القرن الخامس عشر كما يظهر من اقوال مشاهير الطائفة المارونية كالسيد البطريرك اسطفان الدويهي وجبرائيل القلاعي ويوسف السمعاني فكم بالحري يصدق في الموارنة قبل هذا العهد بثلاثمائة سنة. فوهم اذًا كاتب هذه الاسطر وعزا الينا سامحهُ الله ما نحن براء منهُ . ونختم كلامنا طالبين من قرّائنا الكرام ان يُساعدونا على تحقيق آمالنا في درس آثار هذه البلاد دون ان يُسيئوا الظنّ فينا فيُضعضعوا بذلك القوى ويفشلوا العزائم

ه . ل



الشاعر كورنيل

قرأنا في الهلال (العدد الرابع) نبذة حسنة في هذا الشاعر المُفلق الذى بلَغ فنّ التمثيل في فرنسة أوج كمالهِ لكننا استغربنا كيف شوَّهَ صاحبها اسماء رواياتهِ الشهيرة فدعا روايتهُ المعروفة باسم Cinna (Cinné) وروايةPolyeucte (ليوكت Lyeucte) ورواية الكذّاب Le Menteur (Le Menturet) . وهذه اغلاط لا يسقط فيها احداث المدارس فضلًا عن ادباء الكتبة مثل منشئ الهلال

كهربائيٌّ شهير

هو الاستاذ نيقولا تِسْلا الطائر الشهرة مخترع الآلة المحرِّكة ذات المجرى المستدير (moteur à courant rotatoire) . ومن جملة الاختبارات العجيبة التي اجراها في هذه الايام الاخيرة انَّهُ انفذ في جسمهِ مجاري كهربائية تبلغ مئات الوف من الفُلت (volts . وهي وحدة قياس الكهرباء) وحاول ذلك ليبيّن انَّ المجاري الكهربائية اذا بالغت في السرعة تخرق الجسم دون ان تؤذيهُ وهي عادةً تقتل الحيوان قتلًا وَحِيًا كما ترى في الصاعقة . وكان المسيو تِسلا بين آمل وآيس من نتيجة عملهِ بعد ان انجز جهازَهُ الذي اتخذهُ لاختباراتهِ ولذلك ودَّع اهلهُ واوصى بوصيَّتهِ ثم اوقد مصباحًا كهربائيًّا منوطًا ببعض اصابعهِ غير آسفٍ على تضحية الحياة في سبيل العلم . فصار جسمهُ شعلةً من تشعشع الكهرباء الَّا انَّهُ لم يصبهُ من جرَّائهِ اذًى

حيَّة البُوَا

لا يجهل احد انَّ البوا من اضخم اجناس الحيَّات يعدُّها من يراها انَّها من قلوس (حبال) السفن . ويوجد في البرازيل صنف منها يباع في الاسواق ويُغالى في ثمنها ويشتريها الاهلون فيجعلونها من دواجن بيوتهم فتحرسها من الفأر والجرذان واصناف الدبَّابات وربَّما بلغ طولها نحو اربعة امتار وهي تألف صاحبها ويدعونها giboias

سؤال رياضي لحضرة الاب جبرائيل رزق مرهج

كُرَة ذهبيَّة وُضعت على الجليد في محلّ قياس الجاذبية فيهِ ٩٨٠ سنتيمترًا في الثانية فنفذت الجليد على حرارة ٢٣٨ درجة سنتيغراد بعد ان كانت اولًا على درجة ٣٠٠ وتدحرجت على سطح منحدر على الافق ٣٠ ثا، ٣١ دق، ٢١ در . فلمَّا بلغت اسفلهُ صارت سرعتها في الثانية

٢٦٨١٬٦٧٥ سنتيمترًا. فكم ليرة من سعر ١٠٠ فرنك ثمنها على فرض انها اذابت من الجليد عددًا من الغرامات يساوي ٢٦٬٧٣٦٥ مرَّة عدد دوراتها على محورها وانها بقيت على حرارة واحدة حين خروجها من الجليد. هذا ومن المعلوم انَّ ثقل الذهب النوعي على درجة الصفر وبالنسبة الى الماء المقطَّر ١٩٬٢٥٨ وحرارتهُ النوعية ٠٬٠٣٢٤ وتمدُّدهُ الطولي لكل درجة س ٠٬٠٠٠٠١٥١٤ وثقل الذهب في كل ليرة ٢٩٬٠٣٢٢ غرامًا اذ لا عبرة للنحاس الممزوج فيها وحرارة ذوبان الثلج النوعية ٧٩٬٢٥ وحدة كبيرة (Gde calorie) لكل كيلوغرام منهُ وانَّ قوَّة الجاذبية في المحل الواحد مناسبة السطح الى طوله

اسئلة واجوبة

سألنا ف. افندي ط. ١ً ما هي بالحصر اسماء اللغات المعروفة بالساميَّة

٢ً هل يوجد لغة من اللغات الطقسيَّة يُستعمل فيها اكثر من طقس واحد ما عدا اللغة السريانيَّة التي يُقام فيها الان اربعة طقوس وما عدا اللغة العربيَّة التي لا تُحسب من اللغات الطقسيَّة

اللغات الساميَّة

اللغات الساميَّة هي التي شاعت خصوصًا بين ابناء سام بن نوح وان تكلم ببعضها غير الساميين. واللغات السامية منها ما تكلم بهِ ساميُّو الشمال ومنها ما شاع بين ساميي الجنوب. والاولى تقسم الى ثلاثة اقسام: الاوَّل اللغات الآراميَّة ومنها الكلدانيَّة والسريانيَّة والتدمُريَّة والنباطيَّة ولغة التلموذ والترجوم ولغة السامريين والصابيين. والثاني اللغة الاشوريَّة وتدعى البابليَّة وهي لغة اهل بابل وتنتهي الى القرن الخامس قبل المسيح. ويلحق بها بعض تفرُّعات. والثالث اللغات الكنعانيَّة ومنها العبرانيَّة والفينيقية ولغة اهل قرطجنة (le punique) — امَّا لغات الساميين في الجنوب فهي كثيرة منها اللغات الاسماعيليَّة كالعربية ولغة بلاد الصفا ولغة بني ثمود. ومنها اللغات القحطانيَّة التي كان يتكلم بها اهل اليمن يلحق بها اللغة الامهرية والتغريَّة في الحبش ومنها اللغة الحميريَّة والمينيَّة ومنها اخيرًا الحبشيَّة القديمة المعروفة بالجيز (ghez) وهي لغة الحبش الطقسيَّة — ونجيب على الثاني اننا لا نعرف لغة فيها طقوس مختلفة غير السريانيَّة ل. ش



قائمة للآثار الجوّية من ٥ الى ١٩ كانون الاول ١٨٩٨

اليوم	التاريخ	التبخير	ميزان المطر
الاثنين	٥	٣٫٠	٠٫٠
الثلاثاء	٦	٢٫٦	٠٫٠
الاربعاء	٧	٣٫٠	٠٫٠
الخميس	٨	٣٫٤	٠٫٠
الجمعة	٩	٣٫٦	٠٫٠
السبت	١٠	٣٫٣	٠٫٠
الاحد	١١	٣٫٨	٠٫٠
الاثنين	١٢	١٫٤	١٫١
الثلاثاء	١٣	١٫٧	٣٫٩
الاربعاء	١٤	١٫٣	٠٫٧
الخميس	١٥	١٫٥	١٫١
الجمعة	١٦	١٫٣	٠٫٠
السبت	١٧	٢٫٣	٠٫٠
الاحد	١٨	٣٫٤	٠٫٠
الاثنين	١٩	١٫٨	٠٫٠

ميزان الرطوبة

ميزان ثقل الهواء

٧٩٠ ٧٨٥ ٧٨٠ ٧٧٥ ٧٧٠ ٧٦٥ ٧٦٠ ٧٥٥ ٧٥٠ ٧٤٥ ٧٤٠ ٧٣٥ ٧٣٠ ٧٢٥ ٧٢٠

ميزان الحرارة

٥٠ ٤٥ ٤٠ ٣٥ ٣٠ ٢٥ ٢٠ ١٥ ١٠ ٥ ٠

انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

(ΔΙΑΘΗΚΗ) ܕܝܐܬܝܩܝ

ܐܘܟܝܬ ܡܠܐ ܕܐܡܪ ܡܪܢ ܠܫܠܝܚܐ ܟܕ ܩܡ ܡܢ ܡܝܬܐ

كتاب عهد ربّنا

او الكلام الذي قالهُ لرسلهِ بعد قيامتهِ من بين الاموات

فذلكة من قلم

غبطة الحبر العلَّامة الخطير اغناطيوس افرام الاوَّل بطريرك السريان الكاثوليك

قد ألمنا في عدد سابق من المشرق (١ ص ٩٥٦) ان غبطة السيّد المفضال والعلَّامة الشهير اغناطيوس افرام الاوَّل بطريرك انطاكية على السريان توفق الى اكتشاف نسخةٍ سريانيَّة قديمة من كتاب جليل الفائدة يحتوي على طقوس البيعة في اوائل النصرانية. فتلطَّف اليوم غبطتهُ وشرَّفنا بارسالهِ نبذة حسنة من قلمهِ لتُدرَج في مجلَّتنا مدارها على هذا الكتاب الفريد في بابهِ فاسرعنا الى نشرها ولا نشكّ في ان قرّاءنا سيتلقَّونها بما تستحقُّهُ من سامي الاعتبار. ودونك المقالة:

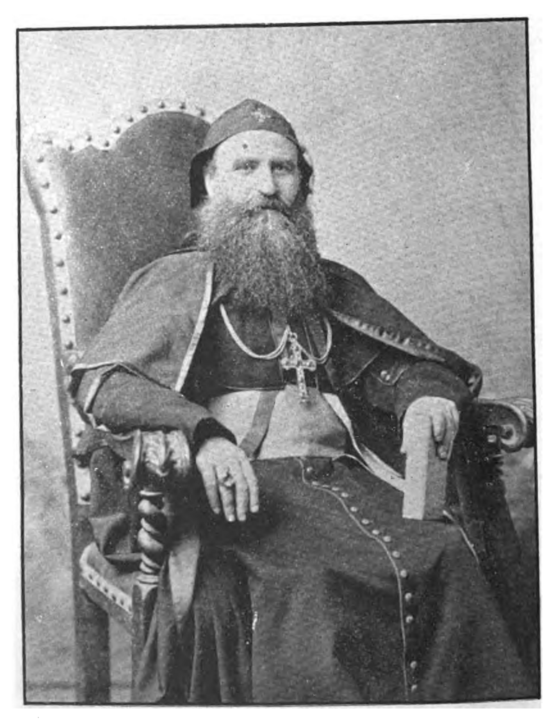
هو عنوان الكتاب الجزيل القدَم الذي كان مطمورًا بين خبايا الزوايا فأبرزناهُ منها وعُنينا بنشرهِ وسيأتي الكلام عن مضمونهِ. وقد صانتهُ لنا ترجمتهُ السريانيَّة سالمًا من العَبَث والعيث فيهِ مع ما مرَّ عليهِ من الزمن وصروفهِ. ولمَّا كان العلماء الذين ينقّبون عن العتائق المسيحية يهمُّهم جدًّا الوقوف على فحواهُ بحروفهِ نقلناهُ بكل ضبط الى اللغة اللاتينية رجاءَ ان تهون عليهم من ايّ امَّة كانوا مطالعتهُ ودراستهُ. وهو يُطبع اليوم في السريانية واللاَّتينية في احدى مطابع لَيبسيك في بلاد المانية. وقد صدَّرناهُ بمقدِّمة وذيَّلناهُ بمقالات وضعناها في اللغة اللاَّتينية



ولكي يُلِمّ القارئ اللبيب بمضمون الكتاب على وجه العموم فَليعلم أنّهُ يشتمل على جزئين احدهما خاصّ بارباب الكهنوت والاخر بالعلمانيين. ومنهج واضعه أنّهُ يُمثِّل السيِّد المسيح بعد قيامتهِ من بين الاموات وقبل صعودهِ الى السماء يلقِّن رُسلهُ وهم محدقون بهِ الشرائط والرسوم التي يلزمهم مراعاتها في اختيار ارباب الكهنوت وتوليتهم البيع. ويعهد اليهم السُّنن التي ينبغي اتباعها في تقريب القربان واقامة الصلوات بمحضر الجماعة وفي قَبُول الداخلين في دينهِ وتعميدهم الى غير ذلك من فرائض النصرانية. ويسرد عليهم النصوص الواجبة تلاوتُها في أداء كلّ ما ذُكر. وانّ ثلاثة من الرسل الحاضرين وهم بطرس ويوحنّا ومتّى دوّنوا ذلك جميعهُ في كتاب أُطلق عليهِ اسم «كتاب عهد ربّنا» لأنّهُ جُعل على لسان الربّ نفسهِ. وبالاجمال انّ كتاب العهد الذي يصلنا بالقرن الثاني للمسيح كما سنبيّن هو الدستور الطقسيّ والنظاميّ للبيعة المسيحية في ذلك الزمان البعيد الامد

وانّ مصنِّف هذا الكتاب بعزوهِ ايّاهُ الى السيِّد المسيح كأنّهُ املاهُ على رسلهِ والى الرسل كأنّهم سطّروهُ لم يقصد الّا انّ يزيدهُ منزلةً وقدرًا لكي يزداد الناس بهِ تمسّكًا لا أنْ يدّعي بانّ ما فيهِ هو بمقام الكلام المنزل — على ان لهذا المنهج الذي نهجهُ صاحب الكتاب تأويلًا وهو انّ الشعائر الدينية والرسوم العبادية والصلوات الطقسيّة والسُّنن النظاميّة في البيعة المسيحيّة مُقتبسة في اصولها عن الرسل الذين تلقّنوا بعضها من معلّمهم الالهي ووضعوا بعضها بالسلطان الذي أُوتوهُ منهُ. ثمّ وسّعت البيعة ذلك كلّهُ واضافت اليهِ اضافات على توالي الايّام

فما طار خبر اكتشافنا هذا الكتاب النفيس الجليل الى العلماء والمؤرّخين في اوربّة ولاسيا الباحثين عن كلّ ما يختصّ باحوال البيعة والمؤمنين في القرون الثلاثة الاولى من القرون المسيحيّة الّا واستبشروا بهِ وكتبوا الينا يسألوننا ان نعجّل في نشرهِ ليتيسّر لهم ان يُنبطوا منهُ ما طالما بحثوا عنهُ فلم يقفوا عليهِ ممّا اتّصل بهم من آثار تلك الحِقْبة لانّ ما ورد عن حالة المسيحيين فيها وعن طقوسهم وشعائرهم وعوائدهم الدينية إن هو الّا اشارات قليلة مُبهَمة. امّا كتابنا هذا فقد جُمعت فيهِ رسوم البيعة الاولى وسُننها وطقوسها بجُملتها وبشرائطها ونصوصها في جميع الاحوال المختصّة بالاكليرس على اختلاف مراتبهم وبالعلمانيّين المُقبلين على الدين المسيحي والذين قد اعتمدوا على ما



غبطة الحبر العلاّمة

اغناطيوس افرام الاوّل بطريرك السريان الكاثوليك

كان جاريًا فيها في الفترة التي بين ايّام الرسل وايّام الملك قسطنطين الكبير

امّا المقدّمة التي صدّرنا بها هذا الكتاب في اللغة اللاتينيّة فتتضمّن الفصول الآتي بيانها:

الفصل الاول

في ذكر نُسَخ كتاب العهد المخطوطة باليد التي اعتمدناها في نشره

وهي ثلث اقدمها النسخة المحفوظة في خزانة الكتب بباريس وقد خُطَّت في القرن الثامن للمسيح وهي تحوي نبذًا من الكتاب لا الكتاب برمتهِ. والثانية هي النسخة الموجودة اليوم في رومية وكانت قبلًا مِلك مدرستنا الاقليريسيَّة في شرفة درعون بلبنان وهي ناقصة بعض الفِقر كُتبت سنة ١٥٧٦ للمسيح. والثالثة هي نسخة كاملة في خزانة كتب المطرنة السريانيَّة بالموصل وتاريخ كتابتها سنة ١٦٥٤ للمسيح وفي الحواشي التي علّقناها على النصّ الذي اثبتناه ذكرنا ما بين النسخ من الاختلاف ولو يسيرًا طفيفًا

الفصل الثاني

في ايضاح عنوان الكتاب ومضمونهِ والمؤلّف الذي يُعزَى اليهِ واللغة الاصليَّة التي كُتب فيها وفي ترجمتهِ الى اللغات المختلفة

قد تقدَّم الكلام عن عنوان الكتاب ومضمونهِ ومؤلّفهِ. امّا اللغة التي كُتِب فيها اصلًا فهي اليونانيَّة وعنها قد نقلهُ الى السريانيَّة سنة ٦٨٧ للميلاد يعقوب الرهاوي الشهير وهو يدرّس يومئذٍ علم الكتاب المقدَّس في دير أُوسبونا الذي كان بجوار تلّ عدا في ناحية انطاكية

وقد تُرجم في قديم الزمان هذا الكتاب نفسهُ عن اليونانية الى اللغة القبطيَّة. ووُجد نسخة من هذه الترجمة تخصّ احد بطاركة الاسكندريَّة مذكور فيها انها خُطَّت سنة ٦٤٣ للشهداء الموافقة لسنة ٣١٣ للهجرة وعن هذه الترجمة نَقَل كتابَ العهد الى العربيَّة ابو اسحق بن فضل الله القبطيّ. غير انّ الترجمة القبطيَّة قد حرَّفت نصّ الكتاب الاصليّ اذ نَسخت فيهِ رتبًا ورسومًا كان العمل بها قد بطل وأَدخلت غيرها بدلًا منها تَبَعًا للعادة الجارية على ايّام المترجم. وقد نبّهنا الى شيءٍ كثير من هذا التحريف في الحواشي التي علّقناها على ترجمتنا اللاتينيَّة للكتاب

وفي خزانة كتب لندن نسخٌ من الترجمة الحبشيَّة لهذا الكتاب عينهِ — وكان لهُ ايضاً ترجمة لاتينيَّة قديمة لم يتَّصل الينا منها الَّا نبذة وجيزة وُجدت في مصحف مخطوط في القرن الثامن للمسيح وهو في خزانة مكتب تريوير (Trèves)

الفصل الثالث

يحوي الدلائل او الشهادات التي تصادف في آثار الاقدمين ومولّفاتهم بدءًا من القرن الثالث للمسيح الى القرن الثامن ما يثبت انَّهم عرفوا كتاب العهد وتداولتهُ ايديهم وعملوا بهِ

ومن جملة تلك الادلَّة او الشهادات شهادة كتاب قوانين الرسل البيعيَّة الذي عاش موءلّفهُ في المائة الثالثة للمسيح . وشهادة ساويرًا البطريرك المنوفوسيتي الانطاكي الذي اشتهر في المائة الخامسة والسادسة . الخ

الفصل الرابع

يشتمل على المقابلة بين هذا الكتاب وكُتب اخرى شبيهة بهِ

هو من اهم فصول المقدّمة نذكر فيهِ الجدال القائم بين المدقّقين عن ثلاثة كتب قديمة متشابهة المضمون والوضع اُيها يكون الاصل واُيها الفرع . اوّلها الكتاب المعروف بقوانين الرسل البيعيَّة (Canones Apostolorum ecclesiastici) او بالقوانين القبطية (Canones Aegyptiaci) . وقد طبعهُ اوّلًا بالانكليزيَّة والقبطيَّة العالم تتَّام (Tattam) ثمّ طبعهُ بعدهُ بالقبطيَّة لَاَغرْد (Lagarde) احد مشاهير الباحثين عن الشرقيَّات — والثاني هو الكتاب الثامن من كتاب مراسيم الرسل المنسوبة الى اقليميس والمعروفة باسم ديَّاطكسيس الرسل (Διάταξις τῶν ἀποστολῶν) — والثالث كتاب قوانين هبُوليطس الذي طبعهُ بالعربية واللّاتينيَّة المطران هاَنبرغ (Haneberg) الجرمانيّ — ثمَّ اَننا نحسم ذلك الجدال اذ نبيّن بحجج شتى انَّ الكتاب الاوّل هو اقدمها واَنهُ أُلف في المائة الثالثة للمسيح واَنهُ صادر عن كتاب العهد بل هو ملخَّص عنهُ وقد استُبدل منهُ ما كان اضحى مهملًا ملغىً بما هو جارٍ ومعمول بهِ يومئذٍ . ولتوضيح ذلك نعارض معارضة مسهَبة الفرع بالاصل بابًا بابًا مع التنبيه الى النُبذ المصحَّفة من كتاب العهد والمحدثة في ملخَّصهِ اي في كتاب القوانين

ثمَّ قابلنا ادقّ مقابلةٍ الكتاب الثامن من كتب ديَّاطَكسيس الرسل بكتاب القوانين البيعيَّة المذكور واثبتنا انَ الاوَّل مأخوذ ومقتبَس عن الثاني الَّا القليل ممَّا أُحدِث

وفقًا لعادة مسيحيّي الزمان الذي فيهِ أُلّف الكتاب الثامن المبحوث عنهُ

امَّا كتاب قوانين هبُولطس فنبيّن بالمقابلة المفصّلة انَّهُ ملتقط ومؤَلَّف من كتاب القوانين البيعيَّة مع اضافات أُخرى أُضيفت اليهِ. وانَّهُ منسوقٌ نسقًا غير مُحكم في زمن متأخر. لانّ آثار حداثة عهدهِ تلوح جليًّا في مواضع شتى منهُ

الفصل الخامس

يتضمّن الادلّة او الحجج التي تثبت انّ كتاب العهد كان وضعهُ في اثناء القرن الثاني من القرون المسيحيَّة

ونبيّن ذلك اوَّلًا من شهادات المؤَلفين التي اشرنا اليهـا في الفصل الثالث من فصول المقدّمة. اذ انَّهُ ولئن صحَّ انّ المؤَلفين ذكروا كتاب العهد او تداولوهُ بايديهم بدءًا من الثالث فنازلًا فهو لا ريب يسبق زمانهم هذا اي القرن الثالث. ثم نبين ذلك بادلّة المستخرجة من باطن الكتاب. فما عدا ان لهجة المؤَلف وبعض عباراتهِ لا تُرى الَّا في رسائل الرسل او تآليف كتَّاب القرن الاوَّل او الثاني فانَّا نجد ان العوائد والرسوم والسُّنن والصلوات المنصوصة فيهِ يتَّفق كتبة القرن الثاني للمسيح على الشهادة بوجودها في ايَّامهم وقد تَبدَّل ذلك بغيرهِ منذ القرن الثالث ولها بعدهُ. ومن جملة ما ذكرناهُ من هذه الادلَّة الباطنة فريضة الطيّ اي الصوم عن كلّ طعام وشراب يومَيْ الجمعة والسبت من اسبوع الفصح الى نصف ليل احد القيامة يُحتَم بهـا على المسيحيين قاطبةً. ومنها ذكرهُ انَّ العماد يكون في المياه الجارية. ومنها ان القدّاس يُقدَّس يومَي السبت والاحد. ومنها ان الشماس يناول الشعب من الجسد والدم طبقًا لما يصرّح بهِ يُسطينس الشهيد في القرن الثاني وخلافًا لما قال ترتليانس (وهو عاش في القرن الثالث) مِن ان المؤمنين يتناولون الجسد من يد الاسقف اذ كانت العادة المذكورة قد بطلت في عصرهِ اي القرن الثالث كما قلنا. ومنها ان صلاة القدَّاس تقوم بصلاة واحدة مسهبـة تسمَّى صلاة الاوخارستيًا او الشكر كما يشهـد يسطينس ايضًا. ولا تتخلّلها تسبحة الملائكة الثلاثيَّة التقديس. ومنها انَّهُ في عدد مراتب الملائكة يذكر مرتبةَ الامجاد والحُلَل والانوار والمسرَّات واللذَّات الخ

وممَّا يدرأ عن ذلك كلّ شبهة ذكرُ كتاب العهد هذا لوجود المواهب والكرامات الخارقة العادة كامرٍ مألوفٍ فيما بين مسيحيّي زمانهِ. ويخصّ بالذكر موهبة النبوَّة وموهبة

الشفاء وموهبة اللغات المختلفة ويُبيّن لاصحابها محلًّا ممتازًا في المذبح . ومن المعلوم ان وجود هذه المواهب في البيعة بنوعٍ مألوف قد انقطع منذ القرن الثالث

الفصل السادس

في بعض شطوط هذا الكتاب

مدار هذا الفصل على ما جاء في كتاب العهد مع انَّهُ مستقيم المعتقد من العبارات المبهمة او غير المألوفة ومن الآراء الغريبة او الاقوال المخالفة احيانًا لنص الكتاب المقدَّس

الفصل السابع

في وطن المؤلِّف

يُبحَث فيهِ عن البلاد التي عاش فيها مؤلف الكتاب . ويُظَنّ انها بلاد الشام

(ستأتي البقيَّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٤ دير القلعة

انَّ آثار الاقدمين في مشارف لبنان ليست باقلّ شأنًا منها في سِيف البحر فهيًا بنا ايُّها القارئ اللبيب قبل تقصّي البحث عن عاديَّات الساحل نرقى الاعالي لاستقراء بعض هذه المآثر

وليس في جوار بيروت من هذا القبيـــل مكان اخطر شأنًا وأحسن مقامًا من الأبنية المعروفة اليوم بدير القلعة . وهذه الرسوم القديمة موقعها بقرب قرية مشهورة اسمها بيت مري تعلو فوق سطح البحر نحو ٧٣٠ مترًا في شرقي بيروت على مسافة ١٨ كيلومترًا منها يتقاطر اليها اهل المدينة في وقت اشتداد القيظ عند الساحل

ولبيت مري اليوم طريق يوصلها ببيروت تجري عليهِ العَرَبات غير انَّ من يركبها

يكابد عناء عظيماً ويلتحف بثوبٍ من الغبرة تثيرها قوائم الخيل ودواليب العَرَبات. وما ذلك الَّا لقلّة الاعتناء بتوثير الطريق ورصّها بالحجارة. ففرارًا من آفتها آثرنا مرارًا الصعود الى بيت مري مُشاةً مع علمنا انَّ في المشي نفعًا للصحَّة ونزهةً للابصار فانَّ العين تقرُّ لهذه المناظر الجميلة والاذن ترتاح لصدح الطيور ويتنسَّم المُنْشِقُ الريحَ الطيّبة في وسط غابات الصنوبر والشربين

وكان آخر مرَّة توقّلنا الجبل للبحث عن آثار دير القلعة في ٢٤ تشرين الاوَّل الماضي صباحَ يوم هبَّ نسيمهُ وصفا اديمهُ فما بلغ بنا المسير الى غايتنا حتى اخذنا نُسرّح الطرف في بقايا هذه العاديَّات الخطيرة

والحقُّ يقال انَّ من يسير بين هــذه الرسوم الدائرة والطلول الدارسة لا يلبث ان يدرك ما كانت عليهِ هذه الابنية من العظمة والبهاء قبل خرابها

ولكن تُرى ماذا كانت هذه العمارة القديمة التي تُنبئ بهــا هذه الآثار الطامسة المنبثَّة على مسافة كبيرة. ذلك سؤَال لا تُحيرهُ كتبُ القدماء وتآليفُ المحدثين وانَّمــا تجيبنا عليهِ الحجارة نفسها فانَّ لها لسانًا ناطقًا فصيح المقال. وإنْ نطقها الَّا بالكتابات العديدة التي حُفرت فيها. فاذا أعملنا فيها نظر الفكر وقابلنا بين الافادات المستخلصة من مضمونها وهندسة هذه الآثار القديمة ثمَّ عرضنا ذلك على ما نعرفهُ من تعبُّدات الفينيقيين فلا جرم اننا نحصل على معرفة اصل هذه الابنية وغايتها ومُجمل احوالها

ليس من اثر يفيدنا اسم دير القلعة القديم ولعلّنا لا نتَّصل الى معرفتهِ في المستقبل امَّا اسمهُ الحالي فقد اطلقهُ العرب على آثار أُخرى في انحاء سوريَّة فانَّهم يدعون بالقلعة كلّ بناء متَّسع الارجاء واثق الاركان محكم البنيان. وقد اخبرنا احدُ فضلاء الرهبان الذين يسكنون الدير المجاور لهذه الاخربة ان اسم هذا المقام «بيروتُ العتيقة» وجدهُ في صكّ مبيع ملكهِ كُتب في القرن الماضي. فان ثبت على دير القلعــة هذا اسم صحَّ عن بيروت ما اخبرهُ بطلميوس الجغرافيّ عن جبيل اذ قال انَّهُ كان لها مقامٌ يدعى جُبيل العتيقة (Palæbyblos) وانَّ موقعهُ بعيدٌ عن الساحل (μεσόγειος). وهذا قولٌ اوردناهُ هنا على علَّاتهِ ولا نجهل انَّ آراء العلماء متضاربة في تعيين مكان بيروت العتيقة بل وفي وجوده لكنَّ تقليد العامَّة ربَّما كان دليلًا يهتــدي بهِ العلماء لمعرفة الآثار القديمة



وعلى كلّ حال لا يسوغ ان ننسب هذه الابنية لعهدٍ سابق زمن ظهور النصرانيّة فانّ اقدم كتابة وُجدت في هذه الاخربة نشرها الرَّحالة سِتزين (١ ذُكر فيها « اغريبا » ترتقي الى نحو القرن الاوَّل بعد المسيح

وقد وفّقنا الله الى اكتشاف كتابة نُقشت في حجارة هذه المباني ورد فيها اسم القيصر ادريان في بدء القرن الثاني للمسيح. وليس مرادنا بذلك ان هذا المقام كان قبل ذلك خاليًا من الآثار. كلَّا. فانّنا على يقين انّ الفينيقيين شيَّدوا فوق هذه المشارف معبدًا كانوا يحجُّون اليهِ او على الاقلّ مذبحًا او نصبًا في غابة كانوا يقضون عندهُ مناسكهم على مثال المشارف والانصاب التي ذكرها الكتاب الكريم (٢ . فمن ثمَّ نظنّ انّ دير القلعة كان يقوم لبيروت مقام هيكل افقا لجبيل ومقام هيكل بيتوكيكي (Bætocecé) (٣ (حصن سليمان) لجزيرة ارواد. وكما انّ هذين المعبدين سبقا النصرانية فكذلك تقدَّمها معبد دير القلعة. وما يؤيّد رأينا اسم الاله الذي عبدهُ الرومان في هذا الهيكل فكانوا يدعونهُ بعل مرقد (Baal Marcod) وهو بلا شكّ اسم فينيقيّ

امَّا بقايا الهيكل الماثلة الى يومنا هذا فليس فيها ما يدلّ على مثل هذا القدم كما انّ الكتابات لا تنبئ بذلك. واذا قابلنا هيئة هذه البنايات والموادّ المتَّخذة لها وطريقة بنائها وجدنا انها تدخل في حيّز الابنية المعروفة بالجبَّاريَّة (cyclopéens) لضخمها وكبرها. ولا يخلو هذا الهيكل من آثار عجيبة كاعمدة وحجارة عظيمة تضاهي بعض حجارة بعلبكّ وسواريها. لكنّ اصحاب العاديَّات يتَّفقون اليوم على أنّ قدم الابنية لا يناسب دائمًا عظمَها وكبرَها بل ربَّ بناءٍ قديم صبر على مرّ الزمان بخلاف عمارة اخرى احدث منها ضخمة الحجارة اخنى عليها الدهر فطمس محاسنها

واذا اعتبرت هندسة ابنية دير القلعة لا ترى فيها شيئًا اختصَّ بهِ الفينيقيّون دون

١) Seetzen : *Reisen* I, 257

٢) راجع مثلًا سفر الملوك الرابع (١٧ : ١٠) حيث ورد عن بني اسرائيل قولهُ : « واقاموا لهم انصابًا وغابات على كل اكمةٍ عاليةٍ وتحت كل شجرة خضراء »

٣) قد تفقدنا حديثًا آثار هذا الهيكل الذي وصفهُ العلّامتان راي Rey : *Archives des Miss. scient.* III, 336 ودوشو Dussaud : *Voyage en Syrie*, p. 15, Extrait de : la Revue Arch. 1897

غيرهم. والاحرى نسبتها الى الرومان لانَّ منهـا تلوح طريقتهم في البناء ويمكن تعدادها بين الآثار الجليلة التي خلّفوها لنا في القرن الثاني والثالث للمسيح ونرجّح كونها سبقت عهد هيكل بعلبكّ الكبير

واذا تفقَّدنا المباني المشيَّدة في قمَّة هذه الربوة وقفنا على غايتها الدينيَّة فانَّ هناك خطوطاً صريحة في هذا المعنى يُستفاد منها انَّهُ بُني ثمَّت هيكل على اسم بعـل مرقد (١ اله تلك الناحية. وربَّما دُعي هـذا الاله باسمٍ يونانيّ (Μηγριν) لم يستدلّ احد بعد الى معناه. والعلاَّمة الخطير كلرمون غانُّو يظنّ انَّ هذه الكلمة تدلّ على اسم الاله الشخصيّ وان « بعل مرقد » لقبٌ عُرف بهِ في هذا المكان. وألقابُهُ كلُّها تنبئ بعظم شأنهِ عند الفينيقيين وسموّهِ بين مصافّ الآلهة الفينيقيَّــة. ويؤخذ من احدى الكتابات المكتشفة هنـالك انَّ الهًا مجهولًا يدعى أَرِمثينوس (Αρέμθηνος) يحثّ المتعبِّدين لهُ ان ينصبوا المذابح لبعل مرقد

ومعنى اسم هذا الاله وسبب تسميتهِ بمرقد يُستخلص من اصل اسمهِ باللغة العبرانية وهي فرع من الفينيقيَّة فان « مرقد » مصدر يشتقُّ من فعـل רקד اي رقص وعليهِ يكون بعل مَرقد اله الرقص والبَسْط. ولا يبعـد انَّ هذا الاله هو نفس اله الرقص المعروف عند المصريين باسم « بيس » (Bès) وأنَّ المصريين اتَّخذوهُ من الفينيقيين. ومن القابهِ التي دُعي بها في الكتابات انَّهُ ملك المآدب والولائم (٢ (Κοίρανε Κώμων). ولعلَّ هذا الوصف دليل على ان قدماء الفينيقيين كانوا يجتمعون بقرب هذا الهيكل للقَصْف وتوفير اسباب الهناء كما يصنع اليوم في تلك النواحي بعض اصحاب الملاهي يحذون بذلك دون ان يشعروا حذو اجدادهم (ستأتي البقية)

---

١) والكتابات منها يونانيَّــة على صورة تقدمة (Κυρίῳ γενναίῳ Βαλμαρκῶδι) او (Θεῷ Βαλμαρκῶδι) ومنها لاتينيَّة يدعى فيهـا هذا الاله « المشتري بعل مرقد » (Jovi Balmarcodi) او بالاختصار (J(ovi) O(ptimo) M(aximo) Balmarcodi) راجع : Waddington : *Inscrip. grecques et lat. de la Syrie*, n^os 1856-1857 و C. I. L., 155 وكتاب كلرمون غانُّو في العاديَّات الشرقيَّة الجزء الاول ص ٩٥

٢) راجع Waddington, n° 1855



الصحف السيَّارة والمجتمع الانساني

للمعلِّم الفاضل واللغوي الاديب سعيد افندي الشرتوني

هذا مَبحَث خطيرُ الشأن فسيح الميدان بعيــد الأمد يُعيي فحولَ اهل البراعة استيعابهُ في المقالة والمقالتين اللهمَّ الَّا أن يُفرد لهُ سفر برمَّتهِ ينتظم اصلَهُ وفروعَهُ وورقَهُ وثمرهُ ولكنهُ والهفاهُ مِمَّا يضيق نطاقُ الحال عنهُ لهذا الزمن. ومن ثمَّ أقتصر منهُ على ما يكفي لبيان ما بين الصُحُف السيَّارة والمجتمَع الانساني من علائق الوفاء والغَدْر والنفع والضرّ فاقول:

أوَّلًا الصحف السيَّارة ضياء يَكشف لاهل كل بلدٍ حالة الكون برمَّتهِ دانيــهِ وقاصيهِ من خِصْب او مَحْل. وسِلْم او حرب. وصحَّة او مرض. وعدل او جور. ورقَّة او جفاء. وعلم او جهل. وتقدُّم او تأخُّر. حتى كأنَّ العالَم بجملتهِ يتمثَّل لعين المطالع بصورة ما هو عليهِ وهو لم يبرح منزلَهُ. فيــالها من فوائد جزيلةٍ عميمة تترتَّب على مثل هذه المعرفة للسياسة والتجارة والصناعة

وثانيًا ان تلك الصحف السيَّارة بمثابة النُذُر والمرشدين والمعلِّمين الذين يضربون في الارض لإِنذار المتهوِّر وارشاد الضالّ وتعليم الجاهل وتنبيه الغــافل. فيتعيَّن عليها أن تحاكيهم علمًا ونزاهةً وغيرةً وحكمةً كما ينبغي ان تضاهيهم طلاقةَ لسانٍ وحسنَ بيانٍ لتنصب لهم من المحاسن اللفظية حبــائل الهيام باللطائف المعنويَّة او لتقودهم بزخرفة الاعراض الى اقتناء الجواهر فيلجّ بهم الغرامُ بها على الافتخار بطاعتها والائتمار باوامرها والانتصاح بنصائحها. وعندها تبدو لهم حلاوة منافعها وتفيض عليهم ينابيع فوائدهــا فتطلع في اقاليمهم شموس معارفها وتمتدّ فوقهم سُرادق الامن من فضل مَراشدها

وثالثًا ان لم تكن تلك الصحف معمورة بغُرر المبــاحث ولا مأهولة بالطرائف كانت كالشجرة الوريقة لا ثمر فيها فيولّيها القوم صفحة الإِعراض ولا تلبث ان تجفّ. فان الصحف المشار اليها اشبه بحيّ حياتُهُ إقبالُ الناس عليهِ ونضارتُهُ شدَّة الرَّغبــة فيهِ وروعةُ جمالهِ وقوفُ القوم عند كلامهِ. ووفاتُهُ إعراض الناس عنهُ وشحوبُ وجههِ قلّة الاحتفال بامرهِ

ورابعاً ان هاتيك الصحف تتنزل من المطالعين منزلة العيون والانهار التي تشرب منها القرى والمدن فان اذاعت لا سمح الله من التعليم ما يضعضع اركان الاطمئنان البشري او نشرت (والعياذ بالله) ما يفك قيودَ الحُرْمة للروءساء ويدفع الناس للجرأة على من تعلو مفارقهم التيجان وتقبض بنانهم الصولجان أمرضتِ الألفة البشريّة وكانت المبادئ المدسوسة فيها كموادّ سامّة يُلقيها عدوٌّ في عين قرية فما هو الّا قليل حتى يُنادي الغُراب على قطّانها بفراق الحياة. فان لم يُعرَض عن تلك العين للحال صارت القرية بلدةً لا أنيس بها

فهذه اوربّة التي انتهت من النجاح في العلم والصناعة الى أمد قصيّ قد أصبحت كلها حال كونها غاصّة بالعساكر والجنود ترتجف قلقاً من جماعة الفوضويّين وذلك انّ ملوكها كانوا يهشّون يوماً لمن يسمّون ينابيع المدائن والقرى اي لمن ينشرون ما يُضعف العقائد الاساسيّة مِن مِثل قولهم « أن لا دار للانسان بعد هذه الدار. وأن ليست السلطة حلقةً من سلسلة النظام الالهيّ الموضوع لهذا الكون ». وانّما ستروها عن عيون رجال الملك بما سدلوا فوقها من سجوف الانتقاد على روءساء الدين وعبارات الاستخفاف بواضعهِ. على ان الاغتيالات الفوضويّة قامت تنبّههم اليوم الى عَقد مُوءتمَر على اعداء الألفة يرومون من ورائهِ كَبح جماحهم بل استئصال شأفتهم وليست الفوضويّة الّا من ثمرات ما استفاض في الصحف الاوربيّة من إغراء الناس بهدم سور الألفة وبعبارة أخرى بكسر قيود الديانة ام الطمأنينة

فيا ليت شعري من الذي يَجرُوءُ في بيروت مثلاً ان يشرب قدحاً من ماء نهر الكلب وقد خُبِّر. ان رجلاً ألقى كميّةً كبيرة من الموادّ السامّة في مغارة جعيتا مَنبع ذلك الماء. قلت: لا احد لكن من الذي يزجر نفسهُ عن مطالعة كتب او صحف سيّارة تهدم مباني السلام وتدمّر مصانع الاطمئنان وتقتلع أُصول الراحة وتصبّ على المجتمع الانساني سيولاً من النِقَم وتنادي عليهِ بالويل والثبور. وتواري لذّة عيشهِ اوحش القبور. قلتُ هنالك جماعة لكنهم غيض من فيض بالقياس الى العدد العظيم الذين يرِدُون تلك المياه المسمومة بعلّة علميّة او فكاهية كما يزعمون

وخامساً اذا أمعنتَ النظر فيما قلتهُ اعظمتَ قدر الكُتُب السليمة من ذُعاف الألفة البشريّة وأجللتَ شأن الصحف التي تنشر الفوائد العلمية غير مشوبة بما يستغوي القلب

ويُهيّج ساكنَ الشهوات فيه حتى يذهب في طريقٍ تسرُّ أوائلهُ وتسوء أواخرهُ او يموه على العقل بكلام يُخرِج مُخرَج الهزل حتى يَضحك لهُ من يُجرَح بمدْيته كقول واحد من منشئي هذا القرن في إبطال خلود النفس قال: «كنت اذهب في امر النفس الى ما تذهب اليه الفلاسفة من انَّ كلَّ ما لهُ ابتداء لهُ انتهاء حتى قرأتُ تعليلات النحاة فجزمت بخلود النفس». او بكلام يأتي به مزيَّنًا بوَشْي من المُغالطة كقول عمرو بن لُحيّ وقد اراد ان يحمل الناس على اكل الميّتة: «كيف لا تأكلون ما قتل الله وتأكلون ما قتلتم». فبنظائر هذين المثالين يدبّ الداء الى ما في صدور العوامّ من التعاليم الكافلة بسلامة الأُلفة البشريَّة فيأخذ سلطةَ الرؤساء الضعفُ ويعبث باوامرهم الاستخفاف وتلك هي الطامَّة العظمى والبليَّة الكبرى التي تُزَلزل اركان النظام البشري وتبث (والعياذ بالله) المبادئ الفوضويَّة على سطح الكرة الارضيَّة

فاعلم يا ارشدك الله انهُ ان لم يقف بازاء تلك المنشورات التي هي كالغارة المشنونة منشورات أُخر تبثّ في البلاد اشعَّةً من ضياء ألباب العلماء وتتعقَّب بالتفنيد ما يذاع من الاغلاط ممَّا يتلقَّاهُ سواد المطالعين تَلَقّي الحقائق المقرَّرة على مثل ما تفعل الصحف الصحيحة القواعد «كمجلَّة المشرق» المنبثقة من بحر الفضل المنبعثة من لظى الحميَّة الادبيَّة الطالعة من مطلع العلم العالية المقاصد الصافية الموارد فان لم يكن ذلك اصبح الرؤساء الذين تنحني امامهم الرؤوس بايجاب الشريعة ضعافَ الكلمة لا يؤثر لهم ارشاد ولا تنجع لهم نصيحة

فلا جرم انَّ نشرَ هذه المجلَّة الحافلة بما يشوق ويروق من الابحاث العلميَّة والادبيَّة يدٌ بيضاء للرهبانية اليسوعيَّة حريَّة ان يهشّ لها المشرق كما يهشّ للحبيب ساعة اللقاء بل جديرة ان تكون منتجع ادبائهِ وشرعة شبَّانهِ. ومُستراد الصُبابة من سكَّانهِ. فهي المورد العلميّ العام المُجمَع على استعذابهِ عند جميع من تقلّهم الآفاق العربيَّة وتُظلّهم سماء الممالك المحروسة العثمانيَّة

الكِفْل

تعريفهُ ووصفهُ

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي

قد وردت لفظة الكِفل مرارًا في المشرق (١ : ٩٢٠ الخ) بصورة «الكفيل» والصواب ان يقال فيها الكفل بكَسْرٍ فسكونٍ. والسبب في ذلك: ١ً لان هذا الاسم معروف بهذه الصورة في محلّهِ وفي بغداد ونواحيها. و٢ً لان العَرَب منذ ايّامٍ قديمةٍ حتى قبل الإسلام عرفتهُ بهذا اللفظ وكذا عرفهُ يهود بلاد بابل. ويلفظ هذه الكلمة اهلُ البادية: «الچِفْل والچِفِل» بالجيم الفارسيّة كما هي العادة عندهم في لفظ الكاف وبكسر الاوّل واسكان الثاني او بكسر الاوّل والثاني. لكنّنا لم نسمع قطّ احدًا يقول: «الكَفيل او الچفيل» بل الكِفل بكسرتين لتسهيل اللفظ عند الوقف. وعن هذا اللفظ نقلها الافرنج بهذه الصُوَر المتقلّبة التي تلاعبوا بها كلَّ التلاعب وهي هذه: Kéfel, kefel, kefil, kifil, chefel, chefil, chfil ونظنّ ان الاب رتزڤال في مقالتهِ الفريدة عن الزبّاء نقل الكفيل عن اللفظة kefil لان اغلب الافرنج يكتبونها بهذه الصورة والبقية نادرة. فاحفظ كل ذلك

آراء القدماء في الكِفل

واذ قد فتحنا الكلام عن الكفل فلا بأس من ان نُورد لمعةً عنهُ اتمامًا للفائدة اللغويّة والتاريخيّة. فاقول: الكفل ناحية من نواحي قضاء لِوَاء كَرْبَلَا من ولاية بغداد وكان الاصل في لفظة الكفل ان يقال: «مَزَار او مدفن ذي الكِفل» فحذف المزار او المدفن او ما جاء بمعناها لاشتهار ذلك بين الناس فقيل فيهِ: «ذو أَو ذي الكفل» حسب التقدير الذي تريدهُ. ثم حذفت لفظة «ذِي» من باب حذف المضاف وابقاء المضاف اليهِ. كما قالوا في: «كَحَلتُ عَيْنَ الرَّجل» «كَحَلتُ الرَجُل» بحذف لفظة المضاف اي «عَيْنَ». قال صاحب المصباح: «والاصل: كحلتُ عَيْنَ الرجلِ فحذف واقيم المضاف اليهِ مقامهُ لفهم المعنى اه. او من باب تسمية الشيء باسم ما يجاوره كما

قالوا في: « ذات الطُّغيَة » الطغيةَ. قال الجوهري: « وربما قيل لهذه الحيَّة (ذات الطُّغيَة) الطُّغيَة على معنى ذات طُغيَةٍ والجمع الطُّغَى. وقال:

وهم يذلُّونها من بعد عِزَّتها كما تُذَلُّ الطُّغَى من رُقيَة الراقي

اي ذوات الطُّغَى. وقد يُسمَّى الشيء باسم ما يجاورهُ (اه عن التاج بحرفهِ الواحد)

امَّا من هو « ذو الكفل » فقد اختلف العرب فيهِ. وقد رأيتُ ان صاحب تاج العروس قد جمع في كتابهِ اشهر من وقع الوهم فيهم قال: « ذو الكِفْل نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل. وقيل هو من ذرّيَّة ابرٰهيم صلوات الله عليهما. وقيل هو إلياس. وقيل هو زكريَّاء: اقوالٌ ذكرها الفأسيُّ في شرح الدلائل. قيل: بُعِثَ الى ملكٍ اسمهُ كنعانُ. فدعاهُ الى الايمان. وكفل لهُ بالجنَّة وكتب لهُ بالكفالة. وقال الثعالبي في المضاف والمنسوب: « اختلف المفسّرون في اسمهِ. فقيل: هو بشير بن أُيوب بعثهُ الله رسولًا بعد أُيوب وكان مُقامُهُ بالشأم وقبرهُ في قرية كِفْل حارِسَ من اعمال نابُلُس. ذكرهُ المؤيد صاحب حماة. وقيل كان عبدًا صالحًا ذُكر مع الانبياء لانَّ علمهُ كعلمهم. والأكثر على نبوَّتهِ. وقيل اسمهُ: الياس. وقيل: يوشع. وقيل: زكريَّاء. وقيل: حِزقِيلُ. لأَنهُ تكفَّل سبعين نبيًّا. حكاهُ عن معالم التنزيل عن الحسن ومقاتل». انتهى. وقيل سُمِّي بهِ لانهُ كفل بمائة ركعة كلَّ يومٍ فوفى بما كفل. وقيل: لانهُ كان يلبس كساء كالكِفل. وقال الزَّجاج: « لأَنهُ تكفَّل بامر نبيٍّ في امَّتهِ فقام بما يجب فيهم. وقيل: تكفَّل بعمل رجلٍ صالح فقام بهِ ». وقال الفأسيُّ في شرح الدلائل: « ومعناهُ ذو الحَظِّ من الله تعالى. وقيل: لتكفُّلِهِ لليسع بصيام النهار وقيام الليل وان لا يغضب » اه عنهُ بحرفهِ

رأينا في الكِفْل

وقد اوردنا كلَّ ذلك ليعلم القرَّاء أنَّ هذهِ خلاصةُ لُبابِ كثيرٍ من آراء الاقدمين في هذا الصَدَد. فمن هذه الاقوال المتعدّدة يجب على الباحث ان يتشمَّم روائح التواريخ الصحيحة. ويتنسَّم فواغي الاقوال الفصيحة. ويقابلها بالتقاليد المتداولة بين الناس. المحفوظة بينهم حفظًا ينفي عنهم كل تلبيسٍ او التباس. ويَرِدَ مناهل المحقّقين الصافية. ويُعارض محصَّلهُ بما جاء عند ثقاتهم من النقول الشافية. لان التواتُرَ

في الامور التاريخيَّـة سندٌ ثَبتٌ يعوَّل عليهِ ويُركن اليهِ . ومن ثمَّ فقد رأينا ان ذا الكفل جاء بمعنى النبي حزقيل او حزقيال . اذ تنطبق عليـهِ جميع القواعد التي ذكرناها

١ً لان التواتر او التقليد عندنا يقول بان ذا الكفل هو حزقيال ويشهد على ذلك المزار الموجود باسم ذي الكفل وهو مزار النبي حزقيال كما هو مشهور في هذه البلاد . وهذا امر لا يحتمل ريباً ولا شكاً

٢ً ان لفظة الكِفْل مأخوذة من معنى الكفالة ويتحصَّل من الكتاب الكريم في مواضع شتى منهُ ان حزقيل كفل امتهُ بالنجاة من إسر بابل او السبي او الجلاء بل وكفلها بمجيء المسيح فادي البشر طالباً من أبناء جلدتهِ ان ينهجوا منهج الحق والانقياد لكلامهِ العزيز . وقد تنبَّأ ببقاء الامور على حالتها المشؤومة ان لم ترجع الامة عن غيّها . فمن هذه النبوءات ما جاء في الاصحاح الاوَّل من سِفر نبوءتهِ . وما جاء في الاصحاح الرابع والثاني عشر والتاسع والعشرين والثلاثين والواحد والثلاثين من نبوءتهِ وهلمَّ جرًّا في سائر الفُصول

٣ً شواهد العلماء والسُيَّاح تؤيِّد تواتر المتوطّنين في هـذه البلاد بان مَزار ذي الكفل هو مزار النبي حزقيال . فمن جملة هذه الشواهد شهادات الافرنج الذين جاؤوا هذه الرُبوع في هذه السنين الأخيرة لكن لمَّا كانت حديثة الكتابة والحصول عليهـا سهل عدَلنا عن ذكرها . غير انَّنا نجتزئ بذكر واحدةٍ منها وهي شهادة الرحَّالة اوشار إلوى (Eucher-Eloi) فانهُ كان في ٢٤ ايار سنة ١٨٣٥ على الطريق المؤدية من بغداد الى الحلَّة عند خان ازاد . قال : « ووجدنا على طريقنا زرافاتٍ من اليهود والعجم والهنود والعرب يذهبون للزيارة . فكان الاوَّلون منهم يتوجَّهون الى الكفل الذي فيهِ قبر حزقيال الذي مات في جلاء بابل . والآخرون يتوجَّهون الى كَرْبَلا » وفي ٢٥ من ذالك الشهر بعد ان القى عصاهُ في الحلَّة وهي بابل القديمة . قال : وشددنا الأثقال غُبْشَةً لتفقُّد برج نمرود الذي يُظنُّ انَّهُ هيكل البعـل . . . ومن ذُروة أطلال هذا الهيكل رأيتُ الكفل الذي فيهِ قبر حِزْقيال (١) اه بحرفهِ

(١ Eucher-Eloi : *Relations de voyage en Orient*, Paris 1813. - p. 222. 224

وقال غيرهُ قبلهُ وهو الربَّاني بنيامين التُودليّ (Benjamin de Tudéle) المتوفَّى سنة ١١٧٣ ما تعريبهُ: « رأيتُ على بُعد بضعة فراسخ من بغداد مزارًا فاخرًا وفوقهُ مكتبة شهيرة. وفي هذا المزار ضريح حزقيال النبي وهو مزار يختلف اليهِ كل سنة رؤساء السَبي ومعهم حاشية لا يُدرك الطَّرْف طَرَفها وهو معهد عبادةٍ ليس لليهود فقط بل ايضًا للعجم واهل ماديٍ. ومن المسلمين من يأتون بالنذور والهدايا وفاء بعهدهم. وشعوب هؤلاء الأقوام يكرمون كل الأكرام هذا المزار حتى ان الجيوش العسكرية لا تقربهُ اجلالًا لهُ. وهناك مصباح يشتعل ليلَ نهارَ على قبرهِ ورئيس يهود بغداد يتعهَّد زيتهُ. وهذا المقام يُزار الى يومنا هذا »

« واما المكتبة التي كانت فيهِ فيقول عنها انها كانت كثيرة الكُتُب. وكل من يموت عن غير عقب يُغني المكتبة بما يورثها من كتب حتى انَّهُ على ما قيل لي انهُ كان يُرى في هذه الخزانة العلمية النسخة الأمّ من نبوءات هذا النبي وكان قد كتبها بيدهِ». اه. فهذه تفاصيل مفيدة غاية الافادة وغريبة في بابها ومؤيّدة لاقاويل اليهود الى يومنا هذا ومظهرها مظهر حقٍّ لا خداع فيهِ

وقد قال غيرهُ من الكتبة الاقدمين: « انَّ جثَّة النبيّ حزقيال وُضعت في المغارة التي وُضع فيها جُثمان سام وارفخشاد على ضفَّة الفرات. وقد قال بنيامين التُودَلي المذكور قُبيل هذا: « انَّ هذا القبر هو وراء الكنيس بين الفرات والخابور تحت قُبَّة بناها الملك يكونيا وفيهِ السفر الكريم الذي كتبهُ بيدهِ على ما يزعمهُ اليهود وهم يقرأونهُ كل سنة في عيد الكِپور (١. وقد قال هذا القول تقريبًا القديس ابيفانيوس وهذا نصّ كلامهِ: « ان قتل حزقيال كان على يد رئيس أُمَّة اليهود إذ اغتاظ من النبيّ بما كان يُندِّد بهِ ثم دُفن في المغارة التي دُفن فيها سام وارفخشاد من أَجداد ابرهيم (٢»

غير أن احد الكتبة الذي كان يَغنى في عهد قسطنطين الملك يقول ان حزقيال دُفن في بيت لحم في المحلّ الذي دُفن فيهِ يَسَّى وداود وسليمان. غير ان شهادة هذا المؤلف ليست واقفةً على سندٍ مكينٍ. اما شهادة القديس ابيفانيوس فهي اقبل في الكنيسة من الشهادة المتقدّم ذكرها لأنَّها قائمة على رُكن ثابتٍ كالركين. والقديس

(١ Benjamin de Tudèle, apud Migne : *Dict. de la Bible*, p. 414 et 546

(٢ Epiphanius : *de morte Prophetarum*, T. II, p. 241.

ابيفانيوس المذكور هو أقدم عهداً بقليل من الكاتب المومأ اليهِ

وكنّا نودّ ان نورد الشواهد الكثيرة التي جاءت في هذا الصدد بكرور الدهور والعصور وهي كلها تؤيد هذا التواتر عند اليهود والنصارى والعرب والعجم القائل بانّ في الكفل مزار النبي حزقيال لكن ليس في ايراد هذه الشواهد امرٌ ذو بال ولهذا اجتزأنا بذكر شاهدٍ واحدٍ من الأقدمين وشاهدٍ آخر من اهل القرون الوسطى وشاهدٍ ثالث من أهل غرّة هذا القرن

امّا حالة مزار ذي الكفل في هذه الايام فخذ اخبارها عني: الكفل على ما هو عليهِ اليوم قرية واقعة على الضفّة اليسرى من نهر الهنديّة على بعد ٢٥ فرسخاً من الجنوب الغربيّ من بغداد ويبلغ سكّانها الحاليّون بموجب الإحصاء الأخير ٢٩٨٠ من المتمكّنين فيها على الوجه الآتي: ٥٥٠ من اهل السنّة و ١٧٠٠ من الشيعة و ٧٣٠ من اليهود

وفي سنة ١٨٤٨ م استولت على هذا المزار عشيرة من عشائر البدو واتّخذتهُ لها سكنى. فاخذت حالة المزار تمشي القهقرى. وكان كلّما سقط شيءٌ من حيطانهِ بقي على حالهِ من الاهمال فتداعت الجدران. واصبح العمران في خبر كان. وتجديد البنيان. في زوايا النسيان. ثم ان زوّار اليهود اخذوا يتناقصون سنةً عن سنةٍ لان اولئك القوم كانوا قد ضربوا على كل زائرٍ منهم مبلغاً فاحشاً من الدراهم يزداد وينقص بموجب حالة الزائر. فاستاء اليهود من ذلك يدّعون ان يكونيا ملكهم في سابق الزمان هو الذي بنى هذا المزار وعليهِ فهو راجع اليهم. فبعد اللّتيا والّتي توفّق اليهود الى استرجاع المزار بارادةٍ شاهانيّة لكننا لم نعثر على تاريخ هذه الإرادة. وبعد سنةٍ من حصولهم على المزار عقد الموسرون من الموسويين في بغداد لجنةً ليعيدوا الى المقام النبوي ماضيَ عزهِ وشهرتهِ فاوقفوا لهُ الاوقاف ونقضوا الحائط الذي كان الأعراب قد سدّوا بهِ القبر وجدّدوا كنيس المزار واقاموا لخدمتهِ ربّانيين يحافظون عليهِ وعلى اقامة السنن الدينيّة وفتحوا فيهِ كتّاباً يختلف اليهِ ثلاثة عقودٍ من الطلبة اليهود واخذ الزوّار يزدادون كل سنةٍ ليس من اليهود فقط بل من الاسلام والاجانب ورفعوا الضرائب بتّةً فازداد اليهود في اتخاذ السكنى في جوار المزار بعد ان كانوا قد اضمحلّوا زمن سؤدد العشيرة البدويّة فيهِ. وكثرت هناك المنازل والخانات ومنتديات الأنس وأُعيد نهر الهنديّة





الى عقيقهِ الاوَّل فكثرت الحدائق والبساتين وتدفَّقت المياه حتى كادت تُنعش الدفين والخلاصةُ اصبحت قرية الكفل جنَّة نعيمٍ. شُربُ أهلها تسنيم. وطعامهم كل لذيذٍ نفيسٍ كريمٍ. بل:

وأطلقَ الطيرُ فيها سجعَ منطقهِ ما بين مختلفٍ فيها ومتَّفقِ
والظلُّ يَسرِقُ بين الدَّوح خُطوتَهُ وللمياهِ دبيبٌ غيرُ مُسترَقِ
والسُحبُ تبكي وثغرُ البرقِ مُبتسِمٌ والطيرُ تسجع من تيهٍ ومن أنَقِ
فالطيرُ في طربٍ والسُحب في حَرَبٍ والماءُ في هرَبٍ والغُصنُ في قلقِ

وفي مزار ذي الكفل منارةٌ يحكي عنها من رآها: ان من يصعد الى حوضها ويقبض بيديهِ على خشبتين بمنزلة مقبضين من الجهة اليُمنى واليُسرى ويهزّ المنارة فهي تهتزّ اذا قال الواقف عليها: «يا سرّ سليمان بن داود» وقد هزَّها بهذه الصورة طبأخنا الحالي يعقوب ابن الشمّاس يوسف وقد أكَّد لي بأنَّها اهتزَّت عند الكلم المذكورة. وقد رأى هذه المنارة بعض المهندسين من المسلمين والاجانب وقالوا انَّها مبنيَّة على طريقةٍ تدفع المنارة الى النَّوسان بدون ان يكون ذلك باعجوبةٍ. فهذا هو اذًا السرّ لا ما زعم هؤلاء. والدليل على ذلك انك اذا فعلتَ فعلهم من القبض والهزّ ناست بك كما تنوس بالغير وان لم تتلفَّظ بشيءٍ

امَّا صناعة اهل ذي الكفل فهي كصناعة اهل تلك الأنحاء التجارة والمقايضة فيُوردون من كَرْبَلا السلَع اللازمة للأعراب ويبادلونها بالدوابّ والقطانيّ والحُبُوب

فنُّ البناء في آخر القرن التاسع عشر

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيَّات في المكتب الطبي

لم يزل البناء يشغل افكار البشر منذ الامد المديد ولا عجب فانَّهُ ليس لابن آدم بعد سدّ رمقهِ بالقوت اليومي وارواء غليلهِ همٌّ اعظم من طلب المأوى. وعليهِ انَّنا نرى الشعوب جمعاء يتبارون في التأنُّق بالعمائر والابنية التي يتَّخذونها لهم سُكنى

والحقّ يقال ان لبناء الدار شروطًا جمَّة لا يقوم بها كثيرٌ من ارباب الهندسة.

فيُقتضى ان يكون المنزل دافئاً في فصل الشتاء بارداً في ابّان القيظ ثابت الاركان كثير النور الى غير ذلك من المحاسن التي يرغب فيها اصحاب المنازل. ولذا كثيراً ما نسمع الشكاوى في حقّ المهندسين فتارةً تتداعى جدرانهم وحيناً تتشقّق سقوفهم فتقطر بالوكف وطوراً يترطّب المِلاط فيتساقط ويتفتّت فيُضحي اصحاب الاملاك في همّ دائم وشغل شاغل يتساوى فيهِ الآجِر والمستأجر

وقد طاب اهل اوربّة واميركة دواء لهذا الداء فبحثوا على وسائل جديدة لبناء دورٍ تكون وافيةً بشروط السُكنى جامعةً لاسباب الهناء

١ البناء بالحجر

هو البناء القديم الذي ساد منذ القرون الغابرة على ما سواهُ من طرائق البناء ولا جرم فانّ للحجارة خواصّ وصفات تقدّمها على غيرها من الموادّ. لها الصلابة المشهورة مع كونها تقبل النَحت والنقوش اللطيفة فَبها بُنيت اغلب الآثار القديمة التي صبرت على الزمان ونظنّ ان ملك الحجر سوف يدوم بعدُ زمناً طويلًا

٢ البناء بالحديد

ولكن للحجر ايضاً عيوب لا تُنكر ربّما صرفت عنها بانظار البُناة. منها اسعارها الغالية في بعض البلاد وصعوبة الحصول عليها. ومنها تشرُّبها للرطوبة وتشقُّقها في بعض الآونة لاسيا وقت الجليد. وغير ذلك من الآفات التى اضطرّت اصحاب الاملاك الى استبدالها بالحديد. وقد كثرت في هذه السنين الابنية الحديديّة. وكانوا في اوّل الامر يتّخذون بدلًا عن الاخشاب عُمُداً من الحديد ثُمّ جعلوا يبنون المحطّات والمعاهد العموميّة والمتاحف الى ان باشروا بذلك البُرج الطائر الشهرة الذي بناهُ أيفِل في باريس وبجوارهِ بناء آخر كلُّهُ من جُزَز الحديد مثلهُ وهو مُخدَع الآلات. نَعَم انّ منظر ابنية الحديد لا يُضاهي في حُسنهِ وجمالهِ ابنية الحجر او قُلْ بالاحرى انّ رؤيتها قبيحة شنيعة ولكن قد حُلّ بها مُشكل عظيم طالما شغل عقول المهندسين وهو تشييد بناء شامخ يعارض الاطواد بسموّهِ ويُنسي ذكر الاهرام المصريّة ففاز الحديد بذلك فوزاً باهراً

٣ البناء بالالومينيوم

بيد انَّ استعمال الحديد ضيِّق النطاق. ولعمري انَّهُ يسوغ اتخاذهُ للأنابر والدواوين (الجمارك) ومحطَّات السكك الحديدية ولكن لم يفكِّر احد قطّ في تجهيزهِ لبناء القصور والهياكل الشريفة والمخادع المنيفة فانَّ هيئة بنائهِ الشَّخْتَة وعواميدهِ المستدقّة لا تحلو في عين ناظر. ولا نجهل انَّ بعض المهندسين قد كسوا الحديد باكسيةٍ مختلفة ليحجبوا معايبهُ فاتَّخذوا لذلك صفائح من حديد وطلوها بالملاط وجعلوا لها تقاطيع ونقوشاً. غير انَّ ذلك كلَّهُ لم يُصِب المرمى تماماً لثقل الحديد وصعوبة سَبْكِهِ وتطريقهِ ولما يركبهُ من الصدإ. فعدل كثيرٌ من المهندسين الى معدن آخر حديث الاكتشاف خفيف الجرم سَهل التطريق لا يصدأ في الهواء وهو مع ذلك بَخس الثَّمن يستخلصهُ ارباب الصناعة بواسطة الكهرباء وهو معدن الالومينيوم. وقد بنى الاميركيُّون منهُ دورًا رحبةً متعدّدة الطبقات صُفِّحت جدرانُها وسقوفها بصفائح المعدن نفسهِ (مش ١ : ١٠٥٣)

٤ البناء بالآجرّ والزجاج والورق

ولقائل ان يقول وما ظنُّك بالآجرّ فانَّهُ يجمع كثيرًا من صفات الحجارة وهو رخيص الثمن أفلا ترى انَّ الانكليز شيَّدوا بهِ القسم الاكبر من مدنهم وهذه البنايات لا تخلو من اللطافة وحُسن المنظر. (نقول) انَّنا نسلِّم بانَّ للآجرّ صفاتٍ من شأنها ان ترَغب فيهِ اصحاب المنازل فآثرهُ لذلك كثيرون من الشعوب بنوا بهِ الابنية الضخمة والمداخن العالية بل القصور الشامخة كايوان كسرى غير انَّ اهل عصرنا لم يعودوا يرضون بهِ لقدم استعمالهِ كيف لا وبهِ بنى الروم والاشوريُّون والفُرْس أفترى انَّ عصرًا يدَّعي الترقي والتمدُّن فوق القرون الغابرة يقتفي بمن سبقهُ:

فيبني كما اسلافهُ سابقًا بنوا ... ويفعل يوماً مثل اجدادهِ فعلا

ومن ثمَّ ارتاد المعاصرون لهم منذ عهد قريب طريقتين مستحدثتين للبناء. الاولى هي البناء بالورق. والثانية بالزجاج

والطريقة الاولى شاعت في هذه السنين الاخيرة في بعض مدن اميركة وفي اليابان. واليابانيُّون مُولعون بتجهيز الورق لكل حاجاتهم فيشتغلونهُ اشكالًا وانواعًا يتَّخذونها لأثاثهم ولبسهم وبنائهم. واذا زاد سَمك الورق وضُغط ضغطاً محكماً صار كالحجر وقوي على طوارئ الزمان وجاز استعمالهُ لتشييد المباني الرحبة العالية

اما البناء بالزجاج فيتّسع نطاقهُ مع الايّام وقد توصّل العلاّمة غرشاي (Garchey) الى اصطناع كميّة وافرة من الزجاج المجهز للبناء فيذوّبهُ ويصبّهُ في قوالب عظيمة على هيئات شتى منها للدرَج ومنها للافاريز والكُوى والسقوف والشُّرفات وكل اصناف الزينة على مقتضى طلب الطالبين. ومن خواص الزجاج انَّهُ يسهل غَسْلهُ ولا تنفذهُ الرطوبة ويمكن ان يُزاد نورهُ او يُلطَّف حسبما يشاء صاحب المنزل. امَّا اسعارهُ فمتهاودة. فبخٍ بخٍ لمثل هذه الاكتشافات التي لم تَدُرْ قبل عصرنا على خَلَد اجدادنا وتوفّر اسباب هنائنا وراحتنا في عالم البوار

تجهيز البيوت

وما تعدَّدت في عصرنا الموادّ للبناء حتى تعدَّدت ايضا انواع الاجهزة لتأثيث البيوت وزينتها. فترى الطبيعة تخدم ملكها بكل ما لديها من القوى لتوفّر لهُ الوسائط لتحسين منزلهِ. مثال ذلك التنوير فانَّ اساليبهُ لا تكاد تُحصى فمنها الغــاز السيَّال والغاز المتبخّر والاسيتيلين والمصابيح المتشعشعة والكهرباء (راجع مقالتنا في التنوير في السنة الاولى من المشرق) وكلّهــا تتسابق في بثّ الانوار الساطعة حتى تخال انَّها حوَّلت الليل نهارًا

امَّا التدفئة فلها ايضًا الطرق العديدة استحــدثها آل عصرنا فيدفّئون البيوت بقساطل تتفرَّع في كل المخادع يسيل فيها الماء المسخَّن او يتمدَّد البخار او الهواء الحارّ فيجديها حرارةً معتدلة. وربَّما اتَّخذوا لذلك ايضًا آلاتٍ كهربائية دعوها مُشِعَّاتٍ (radiateurs) يورونها ضِمن الجدران فتشبعها حرارةً

وفي الصَّيف قد اتَّخذوا لتبريد هبوات القيظ باذَهنجاتٍ (ventilateurs) من الالومينيوم تديرها الكهرباء فتنسي باذَهنجات الفُرْس التي قال فيها الشاعر:

ونَفحةٍ باذَهنجٍ أَسكرَتنا ... وَجدتُ برَوْحها بردَ النعيمِ
صفــا وجرى الهوا فيهِ رقيقًا ... فسمَّينــاهُ راووقَ النسيمِ

ويجهّزون في كل بيت احواضًا يجري فيهِ الماء المبرَّد لكَسْر شوكة الحرّ واتّبــاع طريقة «كنيپ» الضامنة بحفظ الصحّة

وزد على ذلك انَّهُ لم يكد يخلو بيتٌ من آلات دقّاقة لنقل اوامر صاحب الدار بلمحة العين. وكما انَّهُ يمكن ربّ البيت وهو في حجرتهِ ان يتباحث مع ذويهِ بواسطة التليفون

ومن الآلات البيتيَّة الجديدة آلة لمسح الاحذية (cire-bottes) لا يحتاج الخدم الَّا لتدويرها فتنظِّف الأنعال من تلقاء نفسها . ومن ذلك آلة كهربائيَّة لغَسل الدار وتلميع خشبهِ

وما قولنا الآن عن المرقّيات (ascenseurs) الاصطناعية التي تصعد بصاحبها من الحضيض الى طبقات البيت العُليا دون ان تتحرَّك الأرجل ويَلهث تعبًا لعلو الدرج

امَّا المطابخ فكادت تبلغ كمالها فانَّ الآلات العديدة المصطنعة في هذه السنين الاخيرة كالمواقد الكهربائية وغيرها تطبخ الاطعمة بسرعةٍ عجيبة فيكفي الطبَّاخين والطبَّاخات ان يلاحظوا فقط اللحوم والمطبوخات ليزيحوها عن النار عند استوائها . وبذلك فني ملك الدخان الذي كان يعمي النظر في المطابخ كما انَّهُ لم يعد يتأخر الطعام عن ميقاتهِ المعهود فتتشكَّى السيدات من بُطء جواريهنَّ

وفوق هذا كلهِ يتمكَّن الانسان وهو لا يتزحزح عن دارهِ ان يتكلَّم مع اهل البلد باجمعهم فحسْبُهُ لذلك ان يدقّ دقَّاقًا كهربائيًّا وللحال يُوصل عمَّال المركز التليفوني بينهُ وبين من يقصد محادثتهم ولو كانوا في غاية البُعد . وفي مدن كثيرة الآت كهربائية متَّصلة بمقام عموميّ تَرد اليهِ كل الاخبار فاذا جُهِزت في بيت الخاصَّة رقمت هذه الانباء كما يرقمها التلغراف وبذلك يطَّلع الانسان في منزلهِ على ما يُحبّ من الاخبار ساعةً بساعةٍ

هذه لمعةٌ وجيزة تفيدكِ ايُّها القارئ بعض اكتشافات آخر عصرنا في فنّ البناء وتجهيز البيوت ولو اردتُ سَردَها جميعًا فردًا فردًا لَخلتَني أَقصُّ عليك اقاصيص الف ليلة وليلة التي لا حقيقة لها خارجًا عن مخيلة كاتبها

ولعلَّك تقول انَّ هذه التحسُّنات في عمارة البيوت لا تَليق الَّا بمن كانوا اغنى من قارون . فاجيب انَّ الامر بخلاف ظنّك فانَّ كثيرًا من هذه المواد الموصوفة آنفًا متهاودة السعر وغايتها الاقتصاد المنزليّ . وكذا قل عن الكهرباء والتليفون . والدليل على ذلك انتشار هذه الآلات في كثير من المدن . واذا الشرق لم ينل بعد من فوائدها الَّا النّزر القليل فلا ينتج ذلك عن غلوّ اسعارها وانَّما السبب خمول الهمم فانَّ الشعوب اذا ما نهجوا طريقةً يجرون عليها ولا يحبُّون ان يستبدلوها بغيرها ولو كانت اوفر فائدة لاسيما اذا قنعوا بالقليل ورأوا السعادة في نهج سُبل قدمائهم

والحقّ يقال انّ السعادة لا تقوم بترقي هذه الماديَّات وتوفر اسباب الهناء وربَّ

رجل فقير الحال من اهل الباديَة يرى السعادة في خيمتهِ ولا يرضى ان يغيّر ما هو عليهِ من الفقر المدقع برغد عيش المُثرين لأنهُ يملك في باديتهِ الحرّيَة والاستبداد ويؤثرهما على اسباب الرفاهيـة. وانَّما السعادة الحقيقية التي لا يشوبها خلل متوقفـة على عمل الصلاح وعلى القناعة بما رزق الله والانتفاع بخيراته تعالى عند الحاجة لهُ الشكر عودًا وبدءا وهو حسبنا

فن التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حبيقة مدرّس البيان في كلّية القديس يوسف

(تابع لما قبلهُ)

الباب الأوَّل

في تأليف الرواية التمثيليَّة

ماهيتها

انَّ الرواية التمثيليَّة عبارة عن تمثيل واقعةٍ تاريخيَّة ام اختراعية بواسطة اشخاص تنطبق افعالهم واقوالهم على الحقيقة او الاحتمال

قلنا « تمثيل . . . بواسطة اشخاص » تمييزًا لها عمَّا سواها من الفنون التي تقوم بطريقـة الاخبار او الوصف. اما هذه الرواية فتقوم بالعمل والحركة في محاكاة الطبيعة. فتعرض لنا افرادًا من البشر تسمّيهم « الاشخاص » يتناظرون في مسعاهم ويتناقضون في غايتهم. فنميل اليهم بكلّيتنا وتنصرف عنايتنا الى مراقبة حالاتهم. فنذهل كل الذهول عن المؤلّف حتَّى لا نرى ولا نسمع الَّا الاشخاص الفاعلين القائلين بحضرتنا

وقلنا « واقعة » وقد اختلف الكتبة في بيان معنى الواقعة فنهم مَن ذهب الى انَّها مجرَّد الحادث الذي عليهِ مدارُ الرواية. ونسب هؤلاء رأيهم الى ارسطو. وارتأى بوالو (Boileau) وكثيرون بعدهُ ان الواقعة تشمل « اخلاق » الاشخاص فضلًا عن الحادث بل للاخلاق المرتبة الاولى فيها. ويؤيد قول بوَالو ما نراهُ جاريًا في الطبيعة نفسها واليها المرجع في الرواية

فالاخلاق صوَر تتكيَّف بها النفس فتُبرزها عوامـل الاهواء والحادث امرٌ يطرأ على احوال البشر فيجعل في نفسهم تأثيرًا يبدو في اقوالهم واعمالهم وينعكس ضلّهُ على نفس الراءين والسامعين وعلى هذا التأثير مدارُ اهميَّة الحوادث. لان الامرَ الواحد يُثير في النفوس عواطف مختلفة واحيانًا متناقضة. فشتَّان ما بين بخيلٍ رُوي عنهُ انهُ مات كمدًا لمَّا درى بانَّ اولادهُ من غير علمهِ ورضاهُ احضروا لهُ الطبيب باجرة خمسة دنانير (وبين) البرمكي الذي يُعطي بسخـاء ويوصي ذويهِ بالكرَم واذا رأى احد بنيهِ يمنح صلةً قال: وعلى ولدي فلان مثلُها وعليَّ اضعافها. وشتَّان ما بين

رجل ساقط المروءة تصفعهُ فيضحك ببلاهة ورجلٍ عزيز النفس يلحق بهِ ادنى مسيس فيأنف العيش ويهون عليهِ شرب الحِمام طلبًا للثأر. وكم بينَ جبانٍ يموتُ جزَعًا من صليل الحسام وآخر كعنترة الفوارس القائل:

اطيبُ النغماتِ عندي حسنُ صوتِ الهندواني

ولا ريب ان الحاضرين الشاهدين لذلك توافق عواطفُهم مقتضى الحال فيسخرون بالبخيل ويزدرون بالذليل الراضي بالذلّ ويستهجنون امرَ الجبان. لكنهم تأخذهم هزّة الاريحيَّة مع الكريم ويغضبون لغضب العزيز الابيّ النفس وتلعب برؤوسهم النخوة مع البطل الشجاع. ولعمري ليس يفعل فينا مرأى صروف الزمان وثوَران العناصر ما يفعلهُ مشهد الانسان في الاخطار يصادم قوّات الطبيعة او

يُطاعنُ خيلًا من فوارسها الدهرُ

فينتج ممَّا تقدَّم: انَّ الاخلاق والحوادث كفرَسي رهان يتجاريان في ميدان واحد لا يفترقان وانّ المقام الاعلى من الفريقين للاخلاق

وقولنا « تاريخيَّة ام اختراعيَّة » فذلك لانهُ لا يشترط في الواقعة ان تنطبق كل الانطباق على التاريخ. بل يحقّ للمؤلف ان يزيد عليها بعض التفاصيل ويحلّيها بما يرى من النوادر. او يضيف اليها اشخاصًا ثانويين. وقد يجوز لهُ امَّا اختراع الواقعة بتمامها فيسندها الى اشخاص لهم ذكر في التاريخ. او اختراع الرواية برمّتها من واقعة واشخاص. على ان النفوس اشدُّ ارتياحًا الى الامور التاريخيَّة منها الى ما كان محض اختلاق

وقلنا « الحقيقة او الاحتمال » ويراد بالحقيقة الامر الواقع. و بالاحتمال (vraisemblance) ما اشبه الحقيقة ممَّا يصدَّق وقوعهُ. وقلنا لا بُدَّ من احد الأمرين لانَّ اهمّ شروط هذه الرواية كما يستدلّ من اسمها ان تُحاكي لنا الطبيعة وتصوّر لنا الواقع. وهذه المحاكاة تولّد فينا تخييل الحقيقة ومنهُ تنتج اللذة بحضور التمثيل. فيتحتَّم من ثمَّ على المؤلف اذا جاء بواقعة اختراعيَّة ان يبقى ضمن دائرة الممكن المعقول تشبُّهًا بالحقيقة. وعليهِ ايضًا اذا اورد واقعة تاريخيَّة ان يضحّي منها ما كان مستغربًا يُنكرهُ العقل ولو حقيقيًّا. ما لم يتمكَّن بذكائهِ ومهارتهِ من ترشيح ذلك للقَبول في ذهن السامع. فانَّا نرى الحقيقة نفسها احيانًا بعيدة من التصديق غريبة عن الاحتمال. فالعقل لا يرضى بما ليس يصدّقهُ. والنفس لا تطيب بالمحال

٢ منشأها

انَّ الانسان من طبعهِ محمول على احتذاء امثالهِ فتراهُ ربَّما حاكى بالايماء والالقاء حركاتهم واصواتهم والكلام هنا عن التمثيل من حيث هو فنٌّ قائمٌ بذاتهِ فنقول انَّ الرواية التمثيلية نشأت بين اليونان في اعياد باخوس (Bacchus) اله الخمر. وكان من عاداتهم في هذه الايام أن يتغنَّى شعراؤُهم بالابيات الحماسية يروون فيها عظائم الاعمال عن آلهتهم وابطالهم. فخطر لاحدهم واسمهُ إيپيجان (Epigènes de Sicyone)

من سِيسيُون ان يقطع الاغاني ويجعل في خلالها ذكر حادثٍ يرويهِ مع الايماء عن لسان الهٍ او بطل (١ ·وعلى منوالهِ جرى تِسْپيس (Thespis)· امّا اسخيل (Eschyle) في اوائل القرن الخامس قبل المسيح فزاد على الشخص الممثِّل شخصاً ثانياً فأكثر· ووضع بينهم المحاورة· وهو الذي فطن الى اتخاذ الملابس واعلاء ارض المرسح· وقد اختصر الغناء فجعلهُ ثانويًّا· وعمد الى الفخامة في الالقاء· وقد لُقِّب بابي التراجِديّة اعني للمأساة· امّا الكومدِيّة اي المزلِيّة فظهرت في الاعياد نفسها على طريقة المساخر بايّامنا في المرافع وعيد القديسة بربارة· وسنذكر ذلك بالتفصيل الوافي عند البحث في تاريخ كل فنٍّ من فنون هذه الرواية

٣ غايتها

لقد ذهب ارسطو الى ان الرواية التمثيليَّة ليس لها من غاية الّا توفير اللذَّة· وهوراس يعلّمنا انّها لا ترضي الجميع ما لم يتخلّلها المُفيد وانّ ذوي الرزانة والشيوخ وانصار الفضيلة يسأمون من الرواية ان لم يجدوا فيها فائدةً تُجتنى· وكورنيل يقول انّهُ لا يمكن للرواية ان تُرضي الناس حسب الاصول ما لم يكن منها فائدة كبرى· فخلاصة القول ان غاية الرواية توفير اللذّة والفائدة

امّا اللذة فتحصل من محاكاة اعمال البشر وتمثيل حالاتهم باتقان يساعد على ادراكه بعض الفنون الجميلة كالهندسة والتصوير والموسيقى وحسن الالقاء· ولقد سبق لنا الكلام عن ذلك باسهاب في المقدّمة ممّا نقلناهُ عن شلِغل وغِوت

امّا الفوائد فاهمّها اربع: ١ً اننا نقتبس الحِكَم والتعاليم الادبية التي يصح ايرادها في اكثر المواضع مع مراعاة جانب الاقتصاد ومحاشاة التكلّف فيها· فما اسهلها في المشاورة ومداولة الرأي وما اغربها عند ثوران الاهواء وتهيُّج العواطف· ٢ً ان وصف الخير بما هو اهلهُ يحبّبهُ الينا ولو كان عرضةً للاخطار والدواهي· وإبراز الشرّ بهيئة السماجة واللؤم والفظاعة يجعل فينا نبوةً عنهُ ولو دلَّ ظاهرهُ على نجاح امرهِ· ٣ً ان ثواب الفضيلة بتجلّيها عند الختام في معرض العظمة والمجد منتصرة بعون الله

١) وتلك طريقة جرى عليها في بعض القهاوي القصّاص المعروف عند العامّة بالحكواتي· ولا يخفى ما يقتضي عملهُ هذا من المهارة لانهُ يقوم بتمثيل جميع الادوار على اختلافها وتباين انواعها

على اهل المكائد والفساد يحرّك في النفوس اشدّ الرغبة في الصلاح واشرف العواطف واسمى الاميال. وعقاب الرذيلة بظهورها خائبةً في مسعاها عائدًا كيدها في نحرها يُثير في الافئدة نفرةً منها وسخطًا عليها واحتقارًا لها. ٤ً انّنا نعتبر بمصائب الغير فنسعى لاتّقاء مثلها فينا ونجتهد لنستأصل من قلوبنا الاميال المنحرفة التي نحسبها علّة لشقاء الآخرين. وكم من رجل رأى العِبرة فاعتبر

وبعد ان وقفنا على ماهية الرواية التمثيليّة ومنشإها وغايتها نبحث في اصولها وفنونها ان شاء الله (ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر عمائر ناصر الدين في بيروت واعيه

لمّا جُعل دَرَك امراء الغرب على بيروت كما ذكرنا (١ وانقسموا ثلاثة أبدال اتّخذوا الكنيسة التي شرقيّ البلدة داخل السور (٢ فكانت لهم منزلًا وكانت هذه الكنيسة تُعرَف بكنيسة إفرَنسيسك (٣. ويزعم الفرنج انّ افرنسيسك هذا قدّيس ظهر متأخرًا من مدّة مئتي سنة مضت الى هذا التاريخ وكانت هذه الكنيسة كبيرةً فجعلها السَلَف اسطبلًا وجعلوا في اعلاها اطباقًا وهي في وقتنا هذا خرابٌ بِيعت لبني الحمراء (٤ فنقلوا حجارتها الى مدرستهم وذلك بعد العشرة وثمانمائة. وكانت معروفة بالسلف وهم لم يبرحوا فيها بدلًا بعد بدلٍ حتى جرى من الجَنويّة ما جرى واخذوا قرقور الكتيلان كما ذكرنا (٥. فكره ناصر الدين الكنيسة لبعدها عن البحر واختار ان

١) راجع المشرق (١: ٢٧٣) ٢) وذلك بقرب الجميزة الكبرى التي تجاور الباب الشرقيّ القديم ٣) هو القديس فرنسيس الاسيزي الشهير منشىء الرهبانية الفرنسيسيّة (سنة ١٢٢٦م) وكانت هذه الكنيسة في بيروت مشيّدة على اسم المخلّص لذكره المجد ولعلّها دُعيت باسم القديس فرنسيس لانهُ كان يتولى شؤونها الرهبان الفرنسيسيون ٤) قد مرّ انّهم حي من عرب البقاع فقدموا بيروت ونزلوا عند راسها ٥) راجع المشرق (١: ٣٢٣)

يكون مجاورًا للبحر فاتّخذ الحارة التي هي على جانب البحر وعمّر اطباقًا على (52ظ) الاقبية ودارًا عليها سورٌ فجاءت احسن ما يكون وجعل الاطباق مسجدًا. ولمّا سكنها ناصر الدين بمن يُضاف اليهِ من بدلهِ استمرَّ بدل العَرامونيين في الكنيسة المذكورة. وامّا بدل العَيانبة (امراء عيناب) ومن أُضيفوا اليهم فانهم اتّخذوا لهم الدار المعروفة بدار صاحب بيروت المجـاورة للحمَّام العتيق. وفي سُكنى ناصر الدين لدارهِ الجديدة بجوار البحر قال جمال الدين حجّي ابن شهاب الدين احمد بن حجّي من قصيدةٍ طويلة اوّلها:

جاد الرَّبابُ بماء نوءٍ خُلُقَا   واصاب نيْزَكها سحابًا مُغدِقَا

ومنها: آنستمُ الدارَ الجديدة مغربًا   ووحشتمُ الدار العتيقةَ مَشرقَا

ما ابصرت عيناي بحرًا جامعًا   في جامعٍ من فوق بحرٍ ازرقَا

ثمَّ بعد استملاك الحارة الجديدة المذكورة استملك الزقاق المعروف بزقاق الخيّالة وهو من باب الحارة بجهة القبلة الى قرب الحمّام العتيق جانبي الزقاق يمنةً ويسرةً

وامّا العمائر باعبيه فقد تقدَّم الكلام على انَّ اوَّل من طلع من طردلا الى اعبيه هو جمال الدين حجّي ابن نجم الدين محمَّد بن حجّي بن امـير الغرب فاستبدل بيتَهُ في طردلا ببيت في اعبيه كان لرجل اسمهُ ابراهيم من الطوارقة (١ واحترق سنة قُتـل القُطب وهي سنة سبع وسبعين وستمائة (١٢٧٨ م). ثمَّ استجدَّهُ بعـد ذلك ولدهُ شجاع الدين عبد الرحمان وسكنهُ بعدَهُ وهو في وقتنا هذا يُعرف ببيت شجاع الدين. ثمَّ تشبَّهُ (53ر) بسكنى جمال الدين في اعبيه اخوهُ سعد الدين خضر بن محمَّد فعمَّر العلّيّتين المتلاصقتين وما تحتهما وبنى بيتًا الى جانبهما وهما شرقيَّ عمارة جمال الدين حجّي المذكور. ثمَّ سكنهما بعد سعد الدين خضر ولدُهُ صلاح الدين يوسف وبهِ عُرفتا. ثمَّ شرع ناصر الدين الحسين بن خضر في عمارة العلّيّتين المتلاصقتين وما تحتهما وهما بين عمارة عمهِ جمال الدين حجّي وعمارة ابيهِ سعد الدين خضر. وكانت عمارتهما سنة ست وتسعين وسبعمائة (١٣٩٤ م) في ايّام ابيهِ وكان عمرهُ اذ ذاك قريبًا من ثماني وعشرين سنةً. ثمَّ بعد ابيهِ عمَّر القاعة السُّفلى والايوان والبحرة. وذكروا انَّهُ شرع في الاساس في ايّام ابيهِ وكمّلها بعدهُ ثمَّ عمَّر العلّيّة الكبرى وما تحتها ثمَّ البيت الملاصق لها ثمَّ الحمّام

---

١) جاء في حاشية الكتاب ما لفظهُ: «الطوارقة محمَّد من آل عبدالله» (كذا)

ووجدتُ ورقةً بخط ناصر الدين يذكرُ فيها المصروف على الحمَّام وهو نيف من عشرة آلاف درهم تساوي بدراهم ذلك الوقت سبعمائة دينار (١ وذلك بعد مساعدة الناس لهُ بفعلة كثيرين جدًّا لانهُ وجد في قطع الشقيف موضع الحمَّام مشقَّةً. ومن مضمون الورقة المذكورة انَّهُ بدأ في عمارتهِ مستهلَّ رجب الفرد سنة خمس وعشرين وسبعمائة (١٣٢٥ م) وكمل في نصف ذي القعدة من السنة المذكورة وانَّهُ قد اوقف على مصالح القناة والحمَّام ما يحتاج اليهِ من الاصلاح وانَّهُ فوَّض نظر ذلك الى ولدهِ صالح والى ذرّيتهِ هداهم الله الى المصالح (٢

ثمَّ عمَّر الطبقتين المعروفتين بالدهشة والبيت الكبير والاسطبل والمجلس الكبير القبليّ. وآخر عمائره القاعة (٥٣٧) التي عند بوَّابيَّة (كذا) الحارة وكان قد جعلها لتقيّ الدين وابرهيم ولدهِ. اخبرني الامير ناهض الدين حمزة ابن اخيهِ الآتي ذكرهُ ان شاء الله تعالى قال: لحقتُ عمي ناصر الدين وهو يعمِّر هذه القاعة. (قال) وبعدها لم يعمِّر الّا القليل. ولمَّا فرغ من عمارتها سكن المرقد المضاف اليها بنحتٍ مغلق. وهو الذي عمَّر المسجد والقبَّة وهو الذي ساعد لولد فخر الدين عبد الحميد بن احمد بن حجّي في عمارة العليَّة التي تلاصق عمارتهُ من جهة الغرب بميلةٍ الى الشمال. وذلك عند ما تعيَّن زواجهُ لبنتهِ

وعمَّر اخوهُ فتح الدين محمَّد ابن سعد الدين خضر العلّية التي تلاصق عمارة ابيهِ

١) حاشية للمؤلف: «كانت الدراهم في ايَّام ناصر الدين الحسين وزن الدرهم درهم. وكان يدخل المئة عشرين درهمًا نحاسًا. واذا روعيت الدراهم سبَكة الظاهر بيبرس بصنعاء فكل مئة خمسة وسبعين. وكان سعر الذهب سنة اربعين وسبعمائة (١٣٤٠م) كلّ مثقال عشرون درهمًا بالدراهم المذكورة ولم يزل الذهب بها بعشرين او اقلّ او اكثر قليلًا

٢) جاء في حاشية الكتاب: « نقلتُ عن خط ناصر الدين الحسين » كان بدء العمل في القناة المباركة السعيد ان شاء الله نهار الاثنين ثاني عشر جمادى الاولى سنة اربع عشرة وسبعمائة (١٣١٤م). ثم ذكر المصاريف وقدَّرها بعشرة آلاف درهم (قلتُ): قرأتُ في التواريخ انَّ مثقال الذهب كان في ذلك الوقت بعشرين درهمًا الى احد وعشرين. وسمعتُ الناس يقولون انَّ ناصر الدين ذكر انهُ عازم على العمائر بلا حوضٍ في المطبخ ووضع الحوض بمال المال ووسع الميادين بعشرة آلاف درهم بنقود ذلك الزمان. وقفت على دفاتر حسابهِ ببعض السنين فوجدت انهُ صرف تلك السنة على العمائر مالاً كبيرًا . . . » وكذا في الاصل وفي ختامهِ الفاظٌ لم نتمكن من قراءتها

سعد الدين وكذلك ما هو مضاف الى العلّية المذكورة وسكنها بعدهُ ولدهُ ناهض الدين حمزة واشتهرت بهِ . وعمّر عزّ الدين حسن ابن سعد الدين خضر القاعة التي الى جانبها وهما بين علّيتي ابيهِ وعلّيتي اخيهِ ناصر الدين . وعمّر حسام الدين عبد القاهر ابن احمد ابن جمال الدين حجّي بن محمد في وجه العلّية الكبيرة المذكورة علّيةً واسطوانًا سدَّ بهما وجه العليَّة الكبيرة . وذكروا انَّ ناصر الدين صعب عليهِ ذلك وقصد مساعدة احد اولاد معن في عمارة علّية فوق بيتهِ ليسدّ علّية حسام الدين كما سدّ حسام الدين علّيتهُ . وذكروا انَّهُ في ايَّام تنكز نائب الشام تشارطوا على عواميد القاعة السفلى اهي من الرخام السُّمَّاقي او الفستقي . وقصد احدهم تنكز ليسأَلوهُ في ذلك فقال لهم : « ليس بسُمَّاقي ولا فُستقيّ وانَّما العواميد مصبوغة » (54) . فكشفوا الطلاء عنها فوجدوها مصبوغةً فبطل طلبهم (ستأتي البقية)

سفر حديث الى رومانية

للاب اميدي لوريول اليسوعي

ليست رومانية من البلاد التي يُكثر الشرقيُّون من ذكرها ولعلَّها مجهولة لدى السواد الاعظم منهم . فارتأينا ان نصف لهم شيئًا من احوالها وقد اتاح الله لنا السفر حديثًا الى تلك الجهات لقضاء بعض المهمَّات الروحية واقامة الرياضات التقويَّة . فانتهزنا هذه الفرصة للبحث عن خواصّ تلك الاصقاع والتعرُّف بسكَّانها وعوائدهم ولغتهم وترقّيهم في معارج التمدُّن لنُطلع قرَّاء المشرق على كلّ ذلك عند عودتنا

١ التعريف ببلاد رومانية وتحديد تخومها

انَّ لرومانية شأنًا خطيرًا بين البلاد الاوربيَّة لانَّ اهلها رغمًا عن كرور الدهور ومدار الاجيال لم يختلطوا بمن جاورهم من الامم بل باتوا متلاصقين متكاتفين يعيشون عيشةً راضيةً لم يعكر كأس هنائها شيء من صروف الايَّام . فصبروا على المحن وعلى التقلُّبات السياسيَّة التي ألحقت بكثير من الدوَل العَجز والدَّمار

وما اهل رومانية سوى شُعبة من تلك الامم العديدة التى استولت على قسم



الاكبر من اوربَّة الغربيَّة وتوطَّنت نصف قارة اميركة بعد اكتشافها وهي الامم المعروفة باللاَّتينيَّة . فضربت فئةٌ الرومان منهم خيامها في شرقيّ اوربة بجذاء آسية وبقيت قروناً طويلةً مزاحمــة بالمناكب لعدَّة أُمم من الاجانب كالسِّرب والبلغار والمجر واليونان والروس حتى صارت كأَنها منهم . بيد انَّها تختلف عنهم كلّ الاختلاف بلغتها وطباعها وهيئتها . وكانت الدُّوَل الاوربية لا تكاد تبالي بامر هذا الشعب حتى استلفت اليــهِ ابصارها بعد الحوادث الخطــيرة التى جرت في حوض نهر الطونة (Danube) في عصرنا هذا فوجد ممثلو الدول في موتمراتهم انَّ لاهل رومانية منزلة اثيرة بين الامم التي

تسكن ضفتي الطونة وانّ عددهم بعد الصقالبة يربو على عدد مَن سواهم فلا يسوغ إهمال شؤونهم

حدود رومانية

اذا فحصت احدى خارطات اورّبة المتوسطة بميلةٍ الى الشرق وجدتَ ممالك متعدّدة مختلفة الاسماء والألسن ففي وسطها موقع رومانية يحدها شرقًا بحر الاسود ونهر البروث وشمالًا غربيًا جبالُ الكَرْپاث وجنوبًا نهر الطونة ويحيط بها عند ثغورها روسيّة وهنغارية والسرب والبلغار ويبلغ طول دائرتها ٢٥٣ كيلومترًا ومساحتها ١٣١,٠١٠ كيلومترًا مربعًا يقطنها ستّة ملايين من السكّان

هذا اذا قصرنا النظر على تخوم رومانية الحالية والتقاويم الرسميّة. امّا اذا اعتبرنا هيئة شعب رومانية وطباعَهُ ولغتَهُ فلا بدّ من توسيع نطاق نفوذهِ وإدراج بلاد كثيرة في حيّزهِ كفلاخية والبغدان (Moldavie) وبسّاربية المسكوبية وقسم من البوكوڤين وترنسيلڤانية وبنات (Banat) وقطعة من هنغارية الشرقية. ويذكر التاريخ القديم عن هؤلاء الرومان انّهم عبروا الطونة واستولوا على ولايات من السرب والبلغار. فاذا جُمعت هذه الولايات تضاعفت مساحة رومانية وزادت خطارتها زيادةً عظيمة وبلغ عدد المنتمين اليها نحو خمسة عشر مليونًا تراهم محدقين حول جبال الكَرْپاث الشامخة على هيئة دائرة مستديرة الحلقة الّا انّ نصفها فقط فائز بالاستقلال والملك المستبدّ

ومن غريب امر هذا الشعب انّهُ قوي على حفظ جنسيّتهِ ولغتهِ وعوائده وسلطانهِ وهو في وسط أُمم متعدّدة طامحة ببصرها اليهِ وفاغرة فاها لتبتلعهُ لاسيما مع ما هو عليهِ من دماثة الاخلاق والانقطاع الى فلاحة الاراضي. فلعمري انّ ذلك دليل على انّ اهل رومانية قد جُبلوا على الثبات وطُبعوا على الجلد فهم اشبه بقصبة تلويها الريح الزعزع لكنّها لا تكسرها فلا تلبث القصبة بعد قليل ان تنتصب رأسها منتعشةً. فكذلك بلاد رومانية مع كثرة ما مرّ عليها من الشعوب الظافرة والملوك القاهرة قد بقيت حيّةً ثابتةً فيصحّ فيها قولٌ جرى عند اهلها كمثل: « انّ رومانية لا تفنى » (Romoun no pere)

نبذة في تاريخ رومانية

ينتسب اهل رومانية الى قدماء الرومانيين وكانت بلادهم سابقًا ملكًا لشعب



عرمرم جاء مرارًا ذكرهُ في تاريخ قياصرة رومية دعاهُ اليونان بالجيت (Gêtes) والرومان بالداس (Daces) وكانوا فرعًا من البرابرة الجرمانيين الذين زحفوا من جهات الشمال وتوطّنوا اواسط اوربّة . فحلَّ هؤلاء في بلاد دُعيت باسمهم داسية وهي البلاد التي لم يزالوا يسكنونها حتى اليوم . وقويت شوكتهم في ايّام عزّة رومية فاضطرّ القيصر ترايان ان يسيّر اليهم الجيوش مرارًا حتى فلَّ شباتهم وكسر قوّتهم ثمَّ ارسل قومًا من الرومانيين اصلهم من ايطالية والاقاليم المجاورة لرومية ليستوطنوا تلك البلاد فامتزج هؤلاء المستعمرون بسكّان داسية امتزاج الماء بالخمر فعاد السلام لتلك الانحاء واخذت في النموّ والترقي المتواتر حتى صارت من اخصب اقاليم القياصرة ودُعيت لذلك داسية السعيدة (Dacia felix) . وبقيت حالتهم هذه هنيئةً رغدةً الى زمن اوريليان الملك فانصبَّ على داسية أُمم القوط انصباب السيل المنهمر وسكنوا قسمًا كبيرًا منها فجمع اوريليان سكّان داسية في بلاد ماسية (وهي سربية الحالية وبلغارية) فدعا مقامهم هذا باسمهِ داسية الاوريليانية . غير انَّ هذا الجلاء لم يكُ بتامٍّ وبقي كثير من سكّان داسية السعيدة في وطنهم عائشين مع القوط لا يختلطون بهم عند الضفّة الشمالية من نهر الطونة . ثمَّ قُهر القُوط ولم يبق لاهل داسية الممزوجين بالرومانيين الّا ان يلتجئوا الى جبال الكرپاث مدّة قرون عديدة . فلمّا كان القرن الثالث عشر ترأَّس عليهم قائدان محنّكان في الحروب اسمهما رودلف الاسود ودراغوش فنزلا بقومهم من قمم الجبال وانضمُّوا الى قبائل تنتسب مثلهم الى اصل واحد كانت عبرت الى ضفّة الطونة الشمالية فاستولوا جميعًا على بلاد البغدان وفلاخية وصارت دولتهم امارتين امارة البغدان وامارة الفلاخ يُضمّ اليهما الولايات المجاورة

امّا تاريخ هذه الشعوب منذ ذلك الحين الى عهدنا فيمكن تقسيمهُ الى قسمين القسم الاوّل: يشتمل على زمن الاستبداد ودام هذا التاريخ منذ ملك رودلف الاسود الى ان فتح سلاطين الدولة العلية لتلك البلاد فانَّ بلاد الفلاخ فُتحت سنة ١٣٩٣ وبلاد البغدان سنة ١٥١٢ . والقسم الثاني من تاريخهم هو زمن الخضوع للدولة الشاهانية وكان الباب العالي في اوّل الامر رسم على اهل فلاخية البغدان ورومانية ان يؤدّوا الجزية وسمح لهم بان يسوس امرهم امراء من جنسيّتهم . ولمّا تعكّرت مياه الراحة في تلك البلاد اقتضى تنصيب ولاةٍ كان السلاطين العظماء يرسلونهم لتدبير شؤونهم من



سنة ١٧١٦ الى سنة ١٨٢٢ وقد تلطّف الباب العالي بعد ذلك واتّفق مع الدول بتحكيم امراء من نفس البلاد كمن ذي قبل

وقد نما هذا الشعب الصغير في غضون ذلك بحسن سياسة رعاته العثمانيين وامرائه فصار لهُ اليوم في جهات مصبّ الطونة وجبال الالپ الترنيسيلڤانية القدم الاعلى

فيظهر ممَّا تقدَّم انَّهُ لأمرٌ مستوعر جدًّا ان نفرز اهل رومانية الاقدمين من الشعوب العديدة التي اختلطوا بها. بيد انَّهُ لامرٌ مقرَّر انَّ اهل رومانية في زماننا هذا يدَّعون بانَّ اصلهم من قدماء الرومانيين ولعلَّك ترى الفلَّاح منهم يشمخ بانفهِ ويقول انَّ نسبهُ يرتقي الى بطارقة رومية العظمى. وممَّا يؤيد زعمهم تسميتهم بالرومان كسالف الرومانيين. ومنها العوائد الجارية بينهم عند الولادة والزواج والدفن تُشبه كلَّ الشَّبه عوائد الرومان الاقدمين كما وصفها لنا المؤرّخون ولهم نوعٌ من الرَّقص كانَّهُ رقص الرومانيين بعينهِ . ومنها ايضًا ان اهل تلك البلاد ينسبون للقيصر ترايان كل ما يستعظمونهُ من الآثار القديمة الطامسة كما ينسب اهل الشام الى زينب الاخوبة القديمة. بل تراهم يخترعون امورًا غريبة ليعزوها لهذا الملك الشهير فانَّهم مثلًا يخبرون اولادهم بان ترايان قطع جبلًا بسيفهِ فجعل بين قطعتيهِ واديًا وهم يدعون المجرَّة الفلكيَّة « طريق ترايان » الى غير ذلك من الاقاصيص الملفَّقة التي تدلُّ على اكرامهم لهذا القيصر العظيم (ستأتي البقية)

تاريخ فنّ الصيدلة في المشرق

للشابّ الاديب انطون افندي عرب صيدلي مدرسة باريس العليا سابقًا

الصيدلة من الفنون اللاحقة بالطب فلا يستغني عنها من تصدَّى لعلاج الابدان لانَّ بها يعرف الطبيب الادوية بين مفرداتها ومركَّباتها ولولاها لما ميَّز ما كان منها ضارًّا او نافعًا باطلًا او ناجعًا

امَّا بدء تاريخها فانهُ يرتقي الى يوم قال الله فيهِ للابوين الاوَّلين: « موتًا تموتان وبالاوجاع تعيشان ان تعدَّيتما وصيَّتي ». ومن المعلوم انَّ الانسان لو دام على برّه الاصلي لما اصابهُ شيء من الامراض وما صار عرضةً للآفات والعاهات وما شعر بانحلال جسمهُ وانحطاط قواهُ



وممّا يؤيد ذلك انَّ الله الذي اودع في النبات وغيره خواصّ عجيبة لشفاء الاجسام لم يعط الانسان وهمًا يتبيَّن بهِ هذه الخواصّ مَقُودًا الى ذلك من ذات طبعهِ. بعكس الحيوان غير الناطق فانَّ الله جبلهُ على هذا الوَهم طبعهُ فيهِ منذ ولادتهِ فترى البهيمة اذا اصابها آفةٌ او لحق بها مكروهٌ تقصد نبات البرّ تُشمشمهُ حتى تجد منهُ ما وافق مزاجها فتتطبَّب بهِ فتبرأ من ألمها. امَّا الانسان فانهُ لم يتَّصل الى معرفة الادوية الشافية لاسقامهِ الّا بعد التجربة والاختبار. وعليهِ ترى النطاسيين من الاطبَّاء لا يزالون يبحثون كلَّ يوم عن ادوية جديدة من النبات والمعادن فاذا اكتشفوها أحرزوا لهم ذكرًا مخلّدًا بوجدانها. وكم من ادوية لم تتَّصل اليها بعد معرفتهم سيكشفها لهم الاختبار في مستقبل الزمان

فممَّا تقدَّم يظهر انَّ الصيدلة فنٌّ جليل لانها تبحث عن هذه الطرائق الشفائية وتسير على حسب مبادئَ مقرَّرة حصل عليها العلماء بالاستقراء والتجربة

والصيدلة من حيث هي فنّ نشأت في المشرق وهو مهد الجنس البشري الذي لا مندوحة لهُ عن التطبُّب باصناف الادوية. ولكن ليس بسهل تعيين انتشار هذا الفنّ وعمل الحكماء وفقًا لأُصولهِ فنكتفي بتعداد بعض الشعوب القديمة الذين علوا قدرًا وسموا شأنًا في المشرق مع ذكر نبذة من طريقتهم العلاجية

البابليُّون والكلدان

اهل بابل كما لا يخفى من اقدم شعوب الارض وقد اشتهروا في القرون الغابرة باتخاذهم للنبات كادوية فعَّالة. وقد جاء في الكتابات الاشوريَّة بالقلم المسماري اشارات جمَّة تنبئنا باقتدارهم في هذا الفنّ ومعرفتهم بخواصّ الادوية. واكثر ما كان يتعاطى الصيدلة الكَهَنة البابليُّون يضيفون اليها اعمالًا سحريَّة ليزيدوا بذلك جاههم وسلطتهم باعين الجمهور. وقد اخبر هيرودوت المؤرّخ انَّ البابليين كانوا يعرضون في بعض المدن مرضاهم في الشوارع فيمرُّ بهم السابلة فيسألونهم عن دائهم واذا عرفوا لهذا الداء دواء اختبروهُ في اسقامهم او وجدوهُ ناجعًا في بعض معارفهم يفيدون عنهُ المريض ليأتسي بهِ

المصريُّون

وكان للمصريين اهتمام كبير في اختيار الادوية وتركيبها. وكانوا يزعمون انَّ الالهة



علّموا البشر صفات النبات وخواصها لشفاء الادواء وعليهِ فكان الكهنة هم المتولّون صناعة الطبّ يرتأون انّ الآلهة توحي اليهم بطرائق العلاج وقوّة النباتات. ولذلك كانوا خصّصوا كلّ صنفٍ من النبات ببعض آلهتهم فكان اللبلاب نبات الاله اوزيريس ورعي الحمام نبات الإلهة ايزيس وهلمّ جرًّا. وكانوا يكثرون من استعمال العسل في ادويتهم ويعرفون السكنجبين (l'oxymel) ويستطبّون بالاستحمام والاحتقان ويشربون المسهلات وضروب النقّوع وكانوا يحرقون نبات السُّعد (le souchet) ويتّخذون من رمادهم دواء للبرص. ومن مفرداتهم شعر الجبّار (le capillaire) والعُنصل (le scille). ومن قوانينهم الصحّية النظافة كان يوصي بها كهنتهم

ومن نبات المصريين الذي شاع عند كهنتهم استعمالهُ فعدُّوهُ من النبات المقدّس اللوطوس او البشنين (Lotus Ægyptiaca) وقد اكثر القدماء من وصفهِ. وهو اصناف عديدة تختلف عن بعضها وصار اختلافها سببًا لاضطراب اقوال الكتبة والشعراء الاقدمين فيها فترى مثلًا ڤرجيل وهوميروس يدعوان مرارًا باسم اللوطاوس ما لا يدخل تحت حكم هذا النبات

والصواب انّ اللوطوس صنفان منهُ صنف كبير كشجر الكمثرى (الخوخ) وهو شائك وثمرهُ اذا نضج احمرّ احمرارًا ناصعًا يضرب الى السواد ولهُ عصير قانٍ حلو الطعم. وقد خلط البعض بينهُ وبين الزيزفون (Zizyphus rhamnus) وهما مختلفان. وهذا النوع من اللوطوس كثيرًا ما يُدعى بالعربية سِدرًا ومنهُ ضروبٌ مختلفة ايضًا

امّا الصّنف الثاني الذي اكثر المصريون من اتخاذهِ فهو نبات وهو المدعوّ بالبشنين قال ابن بيطار في وصفهِ: «انّهُ ينبت في الماء اذا اطبق النيل على ارض مصر وهو نبات لهُ ساق شبيه بساق الباقلاء وزهر ابيض شبيه بالشعر ويقال انّهُ ينبسط اذا طلعت الشمس وينقبض اذا غربت وانّ رأسهُ اذا غربت الشمس غاص في الماء واذا طلعت ظهر على وجه الماء. ورأسهُ يشبه العظيم من رؤوس الخشخاش وفي الرأس بزر شبيه بالجاورس (millet) وتجفّفهُ اهل مصر ويطبخونهُ ويعملون منهُ خبزًا ولهُ اصل شبيه بالسّفرجلة ويؤكل نيئًا ومطبوخًا وطعمهُ مطبوخًا يشبه طعم صفرة البيض... وهو عندهم صنفان صنف يُسمّى بالجزيريّ (Nymphæa alba) والآخر يُسمّى العربيّ (Lotus arabica) وهو افضل عندهم واجود ويصنع من زهرهِ دهن كما يُتّخذ من

السوسن والنيلوفر ». والمُحدثون من اهل مصر يدعون البشنين النبـاتي نوفرًا ولينوفرًا ونانوفرًا وكلّهُ تصحيف « نيلوفر ». ويوجد منهُ شيءٌ عند بحيرة الحولة في الشام. وكان قدماء المصريين يدخلونهُ في ادويتهم لاسيما في البرسام



زهرة النيلوفر الرمادي
(Nuphar luteum)



زهرة النيلوفر الرمادي
(Nymphæa alba)



البشنين العربي (Lotus arabica)

ومن النبات الذي عرفهُ قدماء المصريين واتخذوهُ لحاجاتهم وادويتهم الحنّاء. وقد ذكرنا في مقالة سبقت لنـا خواصّ هذا النبات فلا حاجة للتكرار (راجع المشرق ١ : ٩١٣)

وربّما كان يتّخذ المصريُّون في علاج امراضهم وسائل غريبة وقد ذُكرت في المشرق

وصفة من هذا الجنس (راجع المشرق ١ : ٩٦١). ومما يدلُّ على تقدُّم المصريين في معرفة خواصّ النبات تركيبُهم للحَنُوط الذي كانوا يحنِّطون بهِ موتاهم وفيهِ يدخل عقاقير كثيرة تنبئ بحسن نظرهم وسعة اطّلاعهم وكانوا اذا حنَّطوا جثث الموتى طلوها بالحنَّاء

العبرانيُّون

لمَّا كان اوَّل نموّ شعب الله في ارض الفراعنة فلا غرو انَّهم تعلَّموا منهم ايضاً شيئاً من طرائقهم العلاجية. ويؤخذ من الاسفار الكريمة انَّ بني اسرائيل كانوا يعرفون الارز والصندل والصَّبر والبطم والقُرْفة فضلًا عن أفاويه كثير وعطريَّات كانوا يستعملونها في رُتبهم الدينية كاللاذن والبخور والآس والنَّرد والعَنبة. ولا حاجة لذكر منهم وقد مرَّ في المشرق تعريفهُ وخواصهُ (١ : ١٠٧٨). والمنّ الطبيعي المجتنى من بعض الاشجار كان يُستَعمل كمُسْهل لطيف

الهند والصينيُّون

قد اشتهر ايضاً هذان الشعبان القديمان بمعارفهم الطبّية وجاء في كتبهم القديمة ما يُشعر بحذقهم من هذا القبيل في القرون السابقة للمسيح. الا انَّ اكثر هذه العقاقير مجهولة عندنا تختصُّ بنبات ارضهم. ويذكر بين ادوية اهل الصين والهند الافيون والدارصيني وعرق الزنجبيل والمسك والشمع وكانوا ايضاً يكثرون من اتخاذ الادوية المقوّية للمعدة كالشاي والراوند. وكانوا يتَّخذون مرارة الفيل كمرهم. ويستعملون الزاجات والاملاح كالبورق ليكحلوا بها عيون الرَّمِدين

هذه نبذة في صيدلة الاقدمين من اهل الشرق اقتصرنا عليها لمعرفة احوال بلادنا اجمالًا لا تفصيلًا. والسلام

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

فلمَّا سمع المستر نسيب من فاضل ذكر والدتهِ يستحلفهُ اسمها ألَّا يهملهُ تحركت في قلبهِ شعائر الحبّ البنوي نحو امهِ التي كان قد تركها من زمان طويل فاحبَّ ان يعرف ما جرى لها. فسأل فاضلًا عن ضيعتهِ في لبنان فاذا هو من قرية «عين ب..» المجاورة

لقريتهِ ومسقط رأسهِ فقال متشوّقًا: اتعرف يا فاضل سعيدة غنطوس ؟

— كيف لا اعرفها وكانت تأتي الى بيتنا وتتشكّى من نسيان ابنها نسيب لها منذ ذهابهِ الى اميركة ؟

قال نسيب وعيناهُ متغرغرتان بالدموع: انا نسيب غنطوس فارجوك ان تعلمني بما حدث لوالدتي

فقال فاضل وقد نكس رأسهُ: ان والدتك قد ماتت فالعوض بسلامتك

فما طرقت هذه الكلمات على مسامع نسيب حتَّى شهق باكيًا وجلس على الحضيض مليًّا حتَّى سكن جأشهُ ثمَّ استأنف الكلام قائلًا:

بالله عليك: اخبرني عن الحقيقة فانها وان كانت تحزنني هي اخفّ عليَّ من ارتياب

فكرَّر عليهِ فاضل الخبر المحزن وقال: قد نُعيتْ الينا والدتك سعيدة (او بالاحرى تعيسة) قبل خروجي من الضيعة باسبوعين وأُخبرنا انَّها ماتت كمدًا وفقرًا . . .

فاطرق نسيب صامتًا والدموع تتساقط من عينيهِ حتَّى امتنع على فاضل تتمَّة الكلام. فقال لهُ نسيب:

تعالَ معي لتخبرني عن والدتي. ثم انهُ اعان فاضلًا على النهوض واتى بهِ الى الشارع الابيض حيث اجلسهُ على مقعد هناك وذهب ليأتي بعربةٍ. وما كاد يغيب برهة حتى رجع بالعربة فاصعد فاضلًا اليها ثم جرت بهما مسرعةً بينما كان الاثنان ساكتَين لا ينطقان ببنت شفة

وكان قد ارتفع النهار ودارت الحركة في المدينة وأخذ اصحاب الاشغال يذهبون ويجيئون في الشوارع والاسواق. امَّا فاضل فبما انَّهُ كان منهوكًا من الاتعاب والمخاوف لم يكن يعي لشيء من تلك الحال بل كان في العربة كأنَّهُ قطعة من خشب لا حسَّ لها ولا حركة. وكان المستر نسيب جالسًا الى جانبهِ وهو غارق في بحار الهموم والاحزان

وما زالت العربة تجري حتى وقفت امام الفندق الذي كان المستر نسيب نازلًا فيهِ وحينئذٍ ترجَّل الاثنان وهمَّ فاضل بان يمشي فاصابتهُ رجفة شديدة فاعانهُ المستر نسيب. ثم ان نسيبًا صرخ بالبوَّاب طالبًا منهُ مفتاح الحجرة المعدودة بالعدد ٥٧ فانفتحت للحال علبة كهربائية فاذا بالمفتاح المطلوب معلّق على لوحة فتناولهُ وصعد مع رفيقهِ الى الطابق الثاني وفتح حجرةً صغيرة فيها سرير من حولهِ ستائر ومقعد صغير مع بعض

كراسي من الخشب فما كاد فاضل يصل اليها حتى انطرح على المقعد عياء . اما نسيب فبادر الى الزرّ الكهربائي وضغطهُ فحضر الخادم حالًا فأمرهُ ان يأتي بشاي سخن وشيء من شراب الروم (rhum) والسكّر ثم انَّهُ اخرج من صندوقة الصغيرة بعض الثياب وقدَّمها لفاضل الذي ارتدى بها ولسانهُ منطلق بالشكر لمن احسن اليهِ

امَّا نسيب فما كان ليذهل مصابهُ بوالدتهِ التي لم يشاهدها من خمس عشرة سنة واخذ يتحسَّر على الفُرَص التي سنحت لهُ عدّة مرَّات بالعودة الى بلادهِ فما عاد اليها ليغمض بيديهِ عيني تلك الوالدة الحنون التي كانت تشتهي ان تشاهدهُ قبل انصرام حبل حياتها

ثمَّ زادت حسرتهُ لمَّا تأمل انَّ والدتهُ ماتت فقيرةً دون أن تذوق طعم اليسار ورخاء البال بينما هو يتنعَّم ويتلذَّذ بثروتهِ ففاضت عيناهُ بالدمع الغزير وعلق يشهق كالولد الصغير وكأنَّهُ بلسان حالهِ كان يقول لفاضل : « افتكر انت بوالدتك التي كانت تحبُّك محبَّةً عظيمة لكنك تركتها وحدها طامعاً في احراز الغنى . ألا خف وارتجف من انَّك لا تعود تراها . واذا ماتت في غيابك فما عسى ان يفيدك ما تربحهُ من الغنى »

وعلى إثر هذا السكوت المتسبّب عن فرط الحزن انتبه نسيب فكشف ساعتهُ وقال لفاضل : « بعد قليل نذهب الى المحطَّة سآخذك معي واستخدمك عندي في المناجم التي لي ببلاد كاليفورنية والآن انتظرني هنا فان لي اغراضاً حالَ التقائي بك دون انجازها » . ثم ضغط الزرَّ الكهربائي ليطلب عربة وخرج

فلما صار فاضل وحدهُ اتَّجهت افكارهُ الى المصائب والنكبات التي توالى وقوعها عليهِ واحدةً بعد اخرى منذ خروجهُ من سوريَّة حتى وصولهِ الى اميركة فذاق فيها من الويلات ما أراهُ الموتَ مرارًا قائماً نصب عينيهِ . ثمَّ مال بهِ التصوُّر الى منزلهِ في لبنان وتخيَّل كيف انَّهُ بينما كان جالساً بجذاء يوسف ومريم ورزق الله وابرهيم دخل موسى عليهم بورقة « الشك » البالغة قيمتها خمسمائة فرنك وكيف انهُ ركب عربة ونزل مع موسى الى بيروت وصحبهُ الى دائرة البنك العثماني حيث قبض المبلغ المذكور . وتذكر ايضاً وداعهُ لاقاربهِ واصدقائهِ وسفرهِ في البحر ونزولهِ في الاسكندريَّة والعواصف التي ثارت على السفينة وقت السفر ووصولهِ الى مرسيلية واستلاب دراهمه وما كان من امره -

لمَّا حطَّت السفينة في ميناء نيويورك واضطرارهُ الى الهرب سباحةً ووقوعه اخيرًا في سياج بقرب الشارع الابيض

وكان فاضل يرتجف لدى افتكارهِ بهذا الامر لانهُ لو لم يعثر بهِ المستر نسيب لتمَّ عليهِ القضاء. وبينما هو كذلك اذ فُتح الباب فجأةً ودخل المستر نسيب فقال: « ها قد فات الوقت فهلمَّ بسرعة ». فقام فاضل من فورهِ ولحق بنسيب ولمَّا انتهيا الى اسفل الدرج قال نسيب لفاضل: لا شكَّ انَّك جائع. ودخل بهِ الى قاعةٍ كبيرة في الطابق السفليّ من الفندق

وكانت هناك مائدة كبيرة عليها صحف حاوية ألوانًا مختلفةً من الطعام فجلس نسيب واخذ يأكل من الصفحة التي أمامهُ وفعل مثلهُ فاضل ولما شبعا تناولا شيئًا من المرطبات وذهبا مسرعين فركبا عربةً جرت بهما جريًا حثيثًا في وسط الشوارع الكبرى

امَّا فاضل فكان يتلفَّت ذات اليمين وذات الشمال وهو متعجّب ممَّا يشاهد من الفنادق العظيمة والبنايات العالية والاسواق الحافلة التي لم يرَ لها مثيلًا لا في مرسيلية ولا في بوردو. اخيرًا وقفت بهما العربة امام المحطَّة فشاهد هناك جمًّا غفيرًا من التجَّار واصحاب الاشغال الذين كانت تأتي بهم العربات تباعًا ثم ترجع لنقل غيرهم. ورأيا عددًا من المركبات تفرَّغ وتشحن البضائع عند الرصيف والقطارات تتحرَّك على الاسلاك والقواطر تتَّخذ مؤُونتها من الماء والفحم. امَّا نسيب فنزل من العربة وتبعهُ فاضل وهو مندهش من هذه الحركة العظيمة التي لم يألفها قط ودخل الاثنان في عجلة من القطار حيث اتخذا لهما مقامًا

وكانت العجلات التي يتألف منها القطار كبيرةً ومتَّسعةً بخلاف عجلات القطار الذي كان فاضل قد سافر عليهِ من مرسيلية الى بوردو. وسبب ذلك ان المسافة التي يقطعها ليست عبارة عن يومين او ثلاثة بل هي ثمانية ايَّام متوالية يجتاز فيها اميركة كلَّها. ثم ان السكك الحديديَّة في اميركة اعظم سرعة من امثالها في اوربَّة لأنها تقطع في الساعة ٧٠ او ٨٠ كيلومترًا وفي بعض الاحيان ١٠٠ كيلومتر

وبعد قليل دقَّت ساعة السفر فتحرَّك القطار وجرى بالمسافرين يسابق الرياح. وكان فاضل بازاء قوم لا يعرفهم ولا يفهم من حديثهم الانكليزي الا ألفاظًا متقطِّعة لسرعتهم في الكلام فمال برأسهِ عنهم الى نافذة العجلة. وكان لما خرج من المحطة انَّهُ لمح قطارًا

يحدق بهِ جمع غفير فلمَّا دنا منهُ تأخر الى خلف مختبئًا وراء الساتر لانهُ شاهد فيهِ رفقاءهُ الذين اتى معهم الى اميركا على السفينة «مدينة بوردو» فعرفهم. والله اعلم هل عرفهُ احدٌ منهم او على الاقل هل اتجه لهم فكر الى ذاك الشخص المسمَّى فاضل الذي كان قد أُبقي على ظهر السفينة ككثيرين سواهُ والان يسافر كاحد الوجهاء بينما انهم يسافرون كالاغنام ضمن عجلات البضائع

ومن هو يا ترى هذا الوجيه سوى شريد كاد يموت جوعًا وبردًا فسوَّلت لهُ العناية الالهية من شفق عليهِ وسفَّرهُ الى سان فرنسيسكو رحمةً بهِ. وقد عرفت ممَّا مرَّ انَّ فاضلًا لم يكن يملك شيئًا على الاطلاق حتى الثياب التي عليهِ كانت موهوبة لهُ. فيا لحماقة الذين يداخلهم الطمع المفرط في المال ومن أجلهِ يعرضون أنفسهم للبلايا والنكبات

وبعد هنيهة مرَّ القطار على جسر بروكلين وهو ممتدٌ فوق نهر الهدسون على مسافة ١٨٠٠ متر طولًا امَّا ارتفاعهُ فوق المياه فعظيم بحيث تمرُّ تحتهُ اكبر المراكب بصواريها. وما كان كلمح البصر حتى غابت مدينة نيويرك عن العيون. وكان القطار ينهب السهول نهبًا وينقضي الليل والنهار وهو سائر بالمسافرين سيرًا حثيثًا. وكان فيهِ ممشى طويل من مبتداهُ الى منتهاهُ ومائدة للطعام وقاعة للمطالعة وغيرها للتدخين. ولم يكن للقطار ليقف اصلًا الَّا قليلًا جدًّا في المحطَّات الكبيرة مثل شيكاغو وما شابهها. وبعد ان جاز بحيرة إِرْية وسهول اميركا المتوسطة حيث كانت الجواميس والخيل الآبدة تقفز مرتعدةً من مرآهُ وقطع الجبال الصخرية والوهاد العميقة وصل من جديد الى الاراضي السَّهلة بجانب البحر واخيرًا الى سان فرنسيسكو حيث توجد مناجم الذهب التي طالما قد طمع فاضل بالوصول اليها (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

LA RUSSIE ET LE St-SIÉGE
Etudes diplomatiques par le P. Pierling S. J.
2 vols in-8, Paris, 1897

مملكة روسية والكرسي الرسولي

الاب بيرلينك اليسوعي احد مشاهير الرُّوس واشرافهم لم يفتأ منذ دخولهِ في

الرهبانية يبحث في تواريخ وطنهِ الدينيّة لا يثني عزمَهُ فشل ولا يثبط همَّتهُ عائق. وقد تجشَّم للفوز بمرامهِ الاسفار العديدة لبلادٍ شتَّى ليطَّلع على مكاتبها ومجموع اوراقها الرسميَّة لاسيما البندقيَّة وباريس وروميه وڤيينَّـة فبلغ من مطلوبهِ حيث لم تبلغ آمالهُ. فنشر من مكتشفاتهِ هذه فوق عشرة مجلَّدات تتضمَّن كلُّها فوائد جليلة لا غنى عنها لمعرفة احوال الدين في روسيّة منذ نشأة هذه الدولة الى ايَّامنا وعلائقها مع كنيسة رومية امّ الكنائس نخصّ منها بالذكر كتابهُ « القياصرة والبابوات ». وهذا الكتاب الحديث الذي نحن بصددهِ ليس باقلّ شأناً من تآليف الاب بيرلينك السابقة تلقَّاهُ علماء روسيّة بمزيد الثناء لما يحتويهِ من الكتابات العديدة والقرارات الرسميّة والرسالات السرّيّة التي دارت بين روسيّة والكرسي الرسوليّ منذ مجمع فلورنسة (سنة ١٤٣٩) الى غرَّة القرن السابع عشر (١٦٠١). فيا ليت مثل هذه التآليف تنشر في شرقنا العزيز ليطَّلع اخوتنا المنفصلون على محبّة الكرسيّ الرسولي لخلاص نفوسهم ويعرفوا ما كانت عليهِ القياصرة في روسيّة من الاستعداد لقبول الاتّحاد مع كنيسة لولا تحول دون مرامهم حوائل سياسية يطول هنا شرحها

مطبوخ المكتبة العمومية

المعروف بمطبوخ الارمن لسنة ١٨٩٩

ترجمهُ عن الارمنيَّة حضرة الفاضل الخوري سوكياس جريان الارمني الكاثوليكي

يطبع هذا التقويم سنويًّا في مدينة البندقية باللغة الارمنية يتولّى نشرهُ علماء الاباء المكيتاريين. ولهُ شهرة لما يتضمَّنهُ من الفوائد الجمَّة مع صغر حجمهِ فمن ذلك ذكرهُ التقلُّبات الجوّيّة والاحوال الفلكية وحساب الايَّام والاعياد لكلّ الطوائف الشرقية. فجاء نقلهُ للعربية خدمةً للوطن يُشكر عنها حضرة الاب الفاضل متولي ترجمتهِ. وكنَّا نودّ لو لم يقتصر اصحاب المكتبة العموميـة بان يكلوا الى حضرة الاب الموما اليهِ بتعريبـهِ بل يزيدوهُ فائدةً بتطبيق حساباتهِ على موقع بيروت وسوريّة. ولا يخفى ان الحسابات التي تصدق عن البندقية لا تصحُّ في بلادنا ما لم يُراعَ وقعُها من طول وعرض. وعليهِ فترى اختلافًا بين هذا التقويم وتقويم البشير من حيث وجوه القمر والكسوفات وغير ذلك. ولنا الامل انَّ هذا الخلل سيُسدّ في السنة القادمة

روزنامة الاراضي المقدَّسة
لسنة ١٨٩٩

اهدانا حضرة مدير المطبعة الفرنسيسية في القدس الشريف روزنامة للسَّنة الجديدة طُبعت بالعربية والايطالية طبعًا متقنًا في مطبعة المرسلين الفرنسيسيين. وهي عبارة عن صفيحةٍ كبرى تُعلَّق على الحائط تحتوي كلندار كل السَّنة باللغة الايطالية وفي وسطها اوراق لكل يوم من ايَّام الشهور تُنزع في وقتها وهذه الاوراق تقسم الى قسمين عربي وايطاليّ يحتوي كلاهما بحرف كبير تاريخ الشهر الغربيّ والشرقيّ والهجري واسم العيد مع بيان مواقيت طلوع الشمس والقمر وغروبهما. ولهذه الروزنامة مُلحق وهو كتيّب صغير محكم التجليد يتضمن عدَّة افادات بالايطالية والعربية كاسماء مأموري الولاية واوقات مسير البريد وقطار السكَّة الحديديَّة وهلم جرًّا. فنشكر لحضرات الاباء الفرنسيسيين على هذا الاثر الجديد المنبئ بهمتهم وغيرتهم في سبيل الخير والمعارف

خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت
منذ نشأتها سنة ١٨٦٠ الى غاية ١٨٩٨

انَّ اعمال شركة القديس منصور دي بول اضوأ عندنا من النهار وكلُّ وصف في ثنائها لا يقوم بحقها فنثني على همة رئيسها الجديد الڤيكنت فيليب دي طرَّازي الذي لم يشأ ان تبقى اثارها الحميدة مطمورة في زوايا النسيان فنشرها في هذا الكتاب الصغير الحجم الكثير الفوائد لخَّص فيهِ تاريخًا مختصرًا لاعمال هذه الجمعية الخيريَّة في بيروت صدَّرهُ بنبذة حسنة في اصل هذه الشركة في اوربَّة. ثمَّ الحقهُ ببعض تفاصيل اخبارها وخدمها العديدة في بلدنا. وختمهُ بثلاثة جداول نشر فيها اسماء متوظفي الشركة واعضائها الحاليين ثم اسماء الذين توفَّاهم الله برحمتهِ ثمَّ ميزانيَّة ايراداتها ومصاريفها عن السنة الحاضرة. والكتاب مزيَّن بصور رؤساء الشركة العموميين رُسمت رسمًا شمسيًّا بديعًا تتقدَّمها صورة المخلَّد الذكر بيوس التاسع المُحسن العظيم الى شركة القديس منصور ومُثبتها في بيروت. فعسى هذا الكتاب الجليل ان يضرم نفوس اعضاء الشركة بغيرة جديدة ويدعو كثيرين من اهل الصلاح الى الانضواء تحت راية هذه الجمعية التى شعارها « مجد الله وخير القريب »

شذرات

الكهربائية المنظّفة

ذكرنا في العدد السابق اكتشاف العلامة نيقولا تسلا لمبدإ كهربائي جديد وهو ان هزّات الكهرباء اذا بالغت في السرعة لم تؤذِ الحيوان . والآن قرأنا في بعض الصحائف العلمية انّ العالم المذكور جدّد اختباراتهِ في اجسام كثيرين فتحقّق صحّتها بل وجد انّ الكهرباء اذا نفذت في جسم الحيوان نظّفتهُ من كلّ ادرانه ومحت آثار الميكروب اللاصق بجسمهِ وفعلها هذا اقوى من فعل اجود الصابون . والمسيو تسلا لبيان مفعول الكهرباء المذكور سوّد جسمهُ بضروبٍ من الاوساخ كالحِبر والرصاص فما نفذت في جسمهِ الكهرباء حتّى تلاشت هذه الآثار بلمحة العين . فصار لهذا الاكتشاف دوي عظيم في عالم الطبّ وجعل الآن الاطباء يبحثون عن حمّامات الكهرباء ليعالجوا بها مرضاهم من اجناس العاهات

بئس الذهب قتّال البشر

كم يموت في كلّ سنة من الوف بل مئات الوف من البشر طمعًا في طلب شذرات الذهب في مناجم الدنيا جمعاء . وهاك اليوم قد قرأنا في بعض اعداد مجلة العالمين (Revue de Deux-Mondes, 15 Nov.) ما نصّهُ : « اذا جُمع في ساحةٍ كلّ ما استُخلص من الذهب من كلّ معادن العالم منذ بدء التاريخ الى يومنا فلا يتجاوز مجموعهُ بناء مُصمتًا مكعّبًا جوانبهُ عشرة امتار طولًا في مثلها عرضًا في مثلها سمكًا اعني انّهُ يبلغ الف متر مكعّبٍ فقط » . فان صحّ هذا القول وهو لاحد العلماء المشاهير المدقّقين في البحث يدعى دي فوڤيل (De Foville) أفلا يسوغ لنا القول : لا حيّا الله الذهب ولا بيّاهُ وهو مع كميّتهِ النزرة قد قتل ألوف الوفٍ من البشر ويقتلهم كلّ يوم بصفرتهِ الخدّاعة

اكتشاف مدينة قديمة في اميركة

اكتشف حديثًا المهندس الشهير سافيل (Saville) مدينة قديمة في بلاد المكسيك تدعى زاخيلة (Zachila) من المدن العاديّة التي كان بقي اسمها في ذاكرة قدماء

الاميركيين ليس الا . وقد وجد مكتشفها آثار هياكل واصنام وبنايات عظيمة تدلُّ على تقدّم اهلها وترقيهم في الفنون

المنّ الطرفاء ووجود السحر

اتانا من حضرة الاب قرياقوس الكلداني الموصليّ المحترم رسالة زادتنا فيها ايضاحاً عن منّ الطرفاء في جهات الموصل فاحببنا ادراجها لمزيد الفائدة: « استطلعتُ مقالتكم في المنّ طِلع المشتاق مليًّا فاعجبتني وابهجتني وتبسَّمتُ لمَّا وقفتُ على رأي كفرة عصرنا في منّ بني اسرائيل وخاصةً رأي الصنف الثـاني وهم الطرفاويون (وليكونوا ايضاً الشوكيين والقرطبيين ان شاؤا ذلك) لانَّ الأكراد الذين يسكنون جبال الموصل هم ادرى بالمنّ من اولئك العلماء الزنادقة فما سمعناهم يومًا يسمُّون ما يسيل من الاشجار قاطبة بالمنّ بل يدعون السائل منها صمغًا والندى القـاطر عليها منًّا او منَّ السماء. ويعلِّلونهُ بالندى الذي يقطر في الليالي الصاحية في ايَّام معلومة وللمنّ عندهم لمعٌ اي برقٌ فانهم اذا لمعت الدنيا اي برقت ايَّام الصيف يسمون ذلك البرق لمع المنّ. فكيف اذن قد تأتَّى لاولئك الفحول والاحرى الإناث هذا الغلط الفظيع بحيث انَّهم لم يفرقوا بين المنّ التدوي والصمغ السائل من الاشجار. ثم يوجد عندهم نوعان من المنّ. ابيض واخضرُ. فلو استعللنا الاكراد على ذلك. لاجابونا مُقنعين أن الابيض هو الذي يقطر على الصفـاة والاخضر هو الذي ينزل على الدوالي واوراق الاشجار فيكون الاخضرُ اقلَّ حلاوةً من الابيض لانهُ يقع على اوراق الاشجار التفهة فيخضر لخُضرتهـا اما الابيض فيكون اكثر حلاوةً لوقوعهِ على الصفاة النقية فيبقى صافيًا »

وشفع حضرتهُ هذه الاسطر بعدَّة شهادات وذكر امورًا سحريَّة رآها بالعيان لتأييد ما كتبناهُ في المشرق عن وجود السحر فنشكر لحضرة الكاتب ونستميحهُ عذرًا لعدم تدوين كلامهِ بحرفهِ مع كثرة فوائدهِ

ديك الحبش مصطنع المسكوكات القديمة

جاء في المجلَّة العلميَّة (Revue scientifique) انَّ في ايطاليـة معملًا لتزوير نقود قديمة وذلك انَّ بعض المزورين يسكبون مسكوكات على هيئـة المسكوكات العتيقة فيدخلونها في بلاعيم ديكة الحبش فتجتاز في بطونهم وتخرج منها عند البراز فاذا

خرجت كانت اشبه شيء بالنقود العتيقة فيبيعونها ويخدعون بها الجُهَّل . فافٍّ لاصحاب المكر ما اقبح طرائقهم للخداع

التبغ ترياق الهواء الاصفر والطاعون

لا يخفى انَّ في التبغ مادَّةً سامَّة تدعى النيكوتين ينتج عنهـا مضرَّات عديدة لمن يشرب الدخان . بيد انَّ فيهِ ايضًا لنفعًا ذكرتهُ بعض المجلات العلميَّة الحديثة وهو انَّ التبغ يَقتل ميكروب الهواء الاصفر والطاعون ورد ذلك عن بعض الاطباء الذين اختبروا الامر موءخرًا في العدوى التي حدثت بالهند . ومما يخبر انَّهُ لمَّا قوي الهواء الاصفر في ايطالية منذ بضعة سنين لم يُصَب منهُ بأذًى عَملة مصانع التَّبغ وكان في بعضها نحو خمسمائة عامل

حلّ المشكل الرياضي الوارد في العدد السابق (ص ٤٦) لحضرة الاب جبرائيل رزق مرهج

لنفرض انَّ ثمن الكرة المذكورة ك وقوَّة الجاذبية ج وسرعتها النهائية س وشعاعها على درجة الصفر ش وثقلها النوعي ث وتمدُّدها الطولي م وحرارتها النوعية ن وحرارتها الأولى ر وحرارتها حين خروجها ز وعدد دوراتها على محورها ع ونسبة الدائرة الى الشعاع ط وثقل الذهب في الليرة ق وحرارة ذوبان الجليد ذ ونسبةُ ما ذاب من الجليد الى عدد الدورات ص وزاوية التحدُّر ح فيكون لنا استنتاجًا من اصل المسألة واستنادًا على مبادئ علم الطبيعيَّات والهندسة ما يأتي من المعادلات:

(١) $$\frac{\text{ع ط ش}^{2}\ \text{ث ن (ر − ز)}}{2} = \text{ذ ص ع}$$ لان ص ع يساوي ثقـل ما ذاب حسب الشروط

(٢) $$\text{٢ ط ش (١ + ز م) ع} = \text{طول السطح} = \frac{\text{س}^{2}}{\text{٢ج}} \times \text{جيب ح}$$ يستنتج من الطبيعيَّات والتريكونومتريا واذا استنتجنا ع من كل من المعادلتين المذكورتين وقابلنـا القيمتين الناتجتين على رسم معادلة ينتج:

(٣) $$\frac{\text{ع ط ش}^{2}\ \text{ث ن (ر − ز)}}{\text{٢ ذ ص}} = \frac{\text{س}^{2}}{\text{ع ط ش (١ + ز م) ج × جيب ح}}$$

ومنها نستخلص ش٢ : $$\left(\frac{\text{٢ ذ ص س}^{2}}{\text{١٦ ط}^{2}\ \text{ث ن (ر − ز) (١ + ز م) ج × جيب ح}}\right)^{\frac{2}{4}}$$

١) كان وقع سَهو في بعض اعداد المشكل فورد ٠٠٠٠١٥١٤ بدل ٠،٠٠٠٠١٥١٤

وعليهِ فتكون قيمة الكرة:

$$\text{ع} = \frac{\text{ط}\left(\frac{\text{٣ ذ ص س}^{٢}}{\text{١٦ ط}^{٢}\text{ث ن (ر − ز)(١ + زم) ج} \times \text{جيب ح}}\right)^{\frac{٣}{٤}} \times \text{ث}}{\text{٣ ق}}$$

واذا اتممنا العمليَّات وعوَّضنا عن الحروف بالاعداد كان الجواب المطلوب: ٤٨٠١٫٣٤

أَسئِلَة وَأَجوِبَة

س سألنا جناب الاديب الفاضل ميخائيل افندي ليَّان ما السبب لتقديس اللاتين ثلاث قدَّاسات في عيد الميلاد وما اصل هذه العادة

ثلاث قدَّاسات عيد الميلاد

ج هذه الرتبة ترتقي الى عهد قديم جدًّا وقد ذكرها القديس غريغوريوس (٦٠٤م) في احدى خطبهِ عن ميلاد الرب كعادة جارية في زمانهِ. امَّا سبب ذلك فلإِكرام ثلاثة مواليد المسيح الاولى مولدهُ الاوَّل الجوهري من ابيهِ منذ الابد من حيث هو كلمتهُ المنبثق منهُ. ومولدهُ الثاني بالجسم من العذراء الطاهرة. ومولدهُ الثالث الروحيّ في نفوس الابرار

وسألنا حضرة القس جرمانوس الديراني ما السبب لعدم ذكر جهنَّم في العهد القديم وسكوت الله عنها في وعيدهِ لشعب اسرائيل

ذكر جهنَّم في العهد القديم

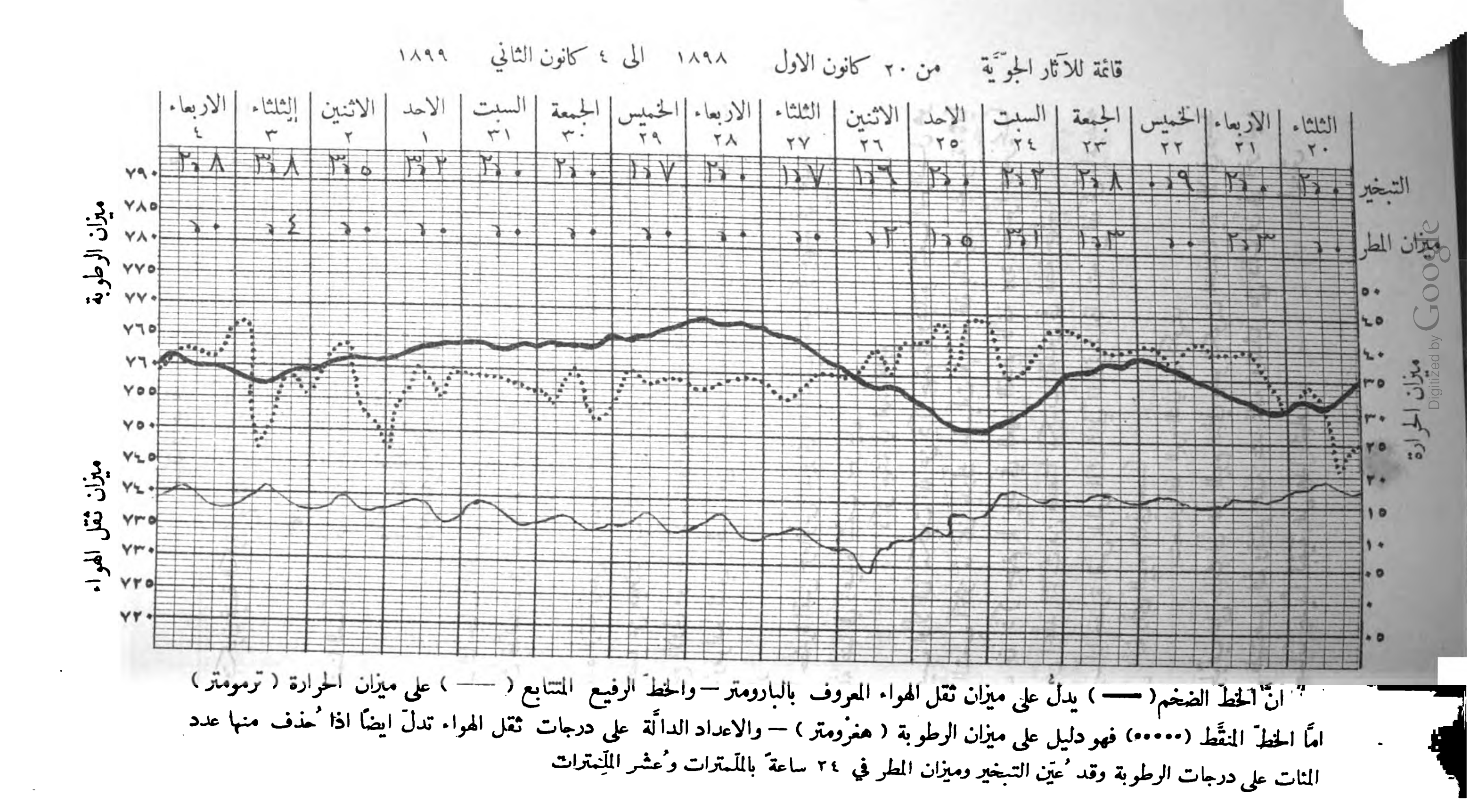
ج نجيب اوَّلًا انَّ سكوت الله عن ذكر جهنم في وعيدهِ لشعب اسرائيل هو أنَّ هذا الشعب أكثر ما كان يدرك الحسيَّات فهدَّدهُ الله بالشرور المحسوسة. ثانيًا ليس بصواب انَّ ذكر جهنم لم يرد في العهد القديم فانَّهُ ورد مضمرًا وصريحًا (راجع فهرس المجلَّد الثالث من طبعتنا للكتاب المقدَّس في لفظة جهنَّم)

س وسألنا حضرة القس الياس المشمشانيّ اللبناني: لماذا استحسن الله كلَّ ايَّام بدعهِ العالم ولم يقل انَّهُ رأى اليوم الثاني حسنًا

استحسان الله لليوم الثاني من التكوين

ج الجواب على ذلك انَّ عمل اليوم الثاني وهو تكوين الجلَد لم يتمَّ الا في وسط اليوم الثالث فاستحسن الله وقتئذٍ عملَهُ عند تمامهِ. والدليل على ذلك انَّ في اخر اليوم الثالث استحسانًا جديدًا لبقيَّة عمل هذا النهار

ل. ش



انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (•••••) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

حال الخلف بازاء من سلف

وهي نبذة في اصل الكلدان النصارى واتساع ملّتهم ولغتهم

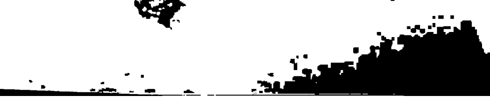
لحضرة القس قرياقوس مخنوق المحترم

١

لو تصوَّرتَ بعقلك الصائب الاجيال المتقدمة الخاليــة لرأيت المشرق مستويًا على سدَّة الحضارة والعمران مجلببًا بشعار الفنون وانواع العـلوم ناشرًا راية الافتخار في سائر الاقاليم التي قد عنت لمعارفهِ ساجدةً واقرت بسعد طالعهِ وما لهُ عليها من الافضال طوعًا. ولولا التواريخ التي قد صانت لنا من الحوادث اقلّهــا كما ولولا الآثار التي قد طمس الدهر اذ ذاك علَمها لضاع مجدُ المشرق في هذا العصر الاغرّ ولتلبَّد ظلام الهمجية بازاء تبلُّج صباح هاتيك الاعصار الذهبيــة والقرون الترفية فتبًّا للدهر ما اكثر صروفــهُ وامرَّ حِدثانَهُ ولقد صدق من قال:

الدهر لا يُبقي على حالةٍ   لا بدَّ ما يُقبلُ او يدبرُ

لعمر ابيك ماذا كنت ترى لو صرفتَ بصرَكَ الى ما خلا من الاجيال المتوسطة أليس انك ترى احوال تلك القرون الماضية قد تغير محيّاها البسّام ومشرقنا قد انحطَّ عن ذروة عزّهِ وخلع عنهُ شعارَهُ وتنكّس علَمُهُ فعفّى الجهل آثاره ايضًا ودرس الحمق سجلّات اخباره. والّا فاين هي اخبار هاتيك المنتديات والجامع الحافـلة والمكاتب الكاملة والمكتبات الجامعة والتواريخ الشائعة ثم اين هي آثار هاتيك الممالك العظيمة العالية الشان الواسعة الارجاء من مشيداتها الرفيعة وقلاعها المنيعة ومدنهــا الحصينة



وابنيتها المكينة فقد كانت هـذه الآثار جوهرة مكنونة في بطن الارض حتى بعثر مكتشفو الفرنج الافاضل ما في قدميّاتنا من المطمورات والدفائن والكتابات الحجرية والتماثيل الرخامية البديعة الصنع والنقود والصكوك التجارية والآنية الخزفية وغير ذلك مما يشفّ عن تاريخ اولئك الجبابرة المشهورين وما كانوا عليهِ من اوج العزّ وسكرة الاقتدار . فشهدت ولا حرج هـذه المتنبشات على مسمع هذا العصر لِلطيف نُهَى صانعيها وشدّة ذكائهم كما شهد العصر نفسهُ لثاقب عقل مكتشفيها الذين قد حسروا القناع عن معمّاها بعد ان تعبوا فافلحوا فتاجروا بها فربحوا واذاعوها شرقًا وغربًا فمُدحوا

وليت سلالة اولئك الملوك الجبابرة الذين دانت لهم الاقاصي والاداني اعني بهم الكلدان ابناء جلدتي ونحلتي يأخذون بالبحث ولستُ اقول بالاكتشاف عن مآثر اسلافهم وتواريخهم . اليسوا هم ابناء اولئك الذين ارتقوا الى الفلك ولكن لا بمرقاة (منطاد) . وداخوا البلاد ولكن لا بالمدافع . وشيدوا المدن والقلاع ولكن لا بالاحتذاء . وابدعوا في التشخيص والتصوير والتطريز وسموا بصناعة الطب وفاقوا اقرانهم بتدوين اخبارهم واليك ما كتبهُ عنهم ابو الفرج غريغوريوس بن العبري في كتابهِ تاريخ مختصر الدول:

الكلدانيّون امّةٌ قديمة الرئاسة نبيهة الملوك كان منهم النماردة الجبابرة الذين كان اولهم نمرود بن كوش من بني حام باني المجـدل (البرج) . وكان من ولد نمرود بختنصّر الذي غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقًا عظيمًا وسبى بقيّتهم وغزا مصر وافتتحها ودوّخ كثيرًا من البلاد ولم يزل ملك الكلدانيين ببابل الى ان ظهر عليهم الفرس وغلبوهم على مملكتهم واباذوا كثيرًا منهم فدُرست اخبـارهم وطمست آثارهم . وكانت من الكلدانيين حكماء متوسعون في فنون المعارف من المهن التعليمية والعلوم الرياضيـة والالهية . وكانت لهم عناية بأرصاد الكواكب وتحقيق بعلم اسرار الفلك ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم واحكامها . . . ولم يصل الينا من مذاهب الكلدانيـين في حركات الكواكب ولا من ارصادهم غير الارصاد التي نقلها عنها بطليموس القلوذي في كتاب المجسطي فانهُ اضطرّ اليها في تصحيح حركات الكواكب المتحيّرة اذ لم يجـد لاصحاب اليونانيين ارصادًا يثق بها (اه)

فويحًا للدهر الخؤون ما اكثر صروفه . كيف جار علينا ودرس تلك الآثار والمآثر والعـلوم والفنون التي يتحرّق لها كل ذي ذوقٍ بالمعارف . وما ذلك الّا لان هذه الامة

قد اخذت بالهبوط والانقراض شيئاً فشيئاً الى عهد المسيح. فتغيرت شؤونها بتسلط الفرس عليها وتبدَّلت احوال بلادها واهلها بفتوحات الاسكندر واستيلائه عليها والباعث في ذلك جليٌّ في الكتاب الكريم المقدَّس من امر بختنصر وخيلائهِ وتجبّرهِ. ذلك نبوةٌ من الله القيّوم الذي يقرض الممالك والدول المتشامخة الطاغية وملكه الازلي ثابتٌ الى ابد الدهور

٢

غير ان هذه الامة العظيمة وان اندثرت مملكتها واكمدَّ بهاؤها فلم تزل محافظة على جنسيَّتها ولغتها الاصلية الآرامية في عهد المسيح وبعدهُ الى يومنا الحاضر ومن الأمر الذي لا يعتريه ريب ان النصارى القاطنين في بلاد بابل وآثور والجزيرة وكردستان هم من سلالة تلك الامة العظيمة ولا حقَّ لاحد ان يفرقهم عنها البتة وهم النصارى البكورة الذين ثبتوا على الايمان المسيحي القويم منذ عهد الرسل الى هذا الحين مع مقاومة الاضطهادات المتعدّدة التي دامت عشرات من السنين بل مئاتٍ ولم تقدر ان تزعزعهم عنهُ البتَّة

قال الشيخ العلَّامة السمعانيّ: يُراد بالكلدان الآثوريون ايضاً وهم الذين دُعوا شرقيين مطلقاً ونساطرةً (اه). وغير خافٍ عنك ان اسم النسطرة ليس اصلياً فيهم بل استعاريٌّ لان اصلهم في النصرانية مسيحيُّون كاثوليكيون ولم يتشيَّعوا لبدعة نسطور الَّا في القرن الخامس للمسيح. والآن كثير منهم قد رفضوا تلك البدعة وانضمُّوا من عهدٍ ليس ببعيد الى سلك ابناء الكنيسة المقدَّسة الجامعة وصاروا جزءا معتبرًا فيها

اما سبب تكنيتهم بالنساطرة فكان لعموم هذه الهرطقة عليهم زماناً مديداً واختصاصهم بني هذه الملة وهذه الانحاء بها دون غيرها ولا يرضون لانفسهم ان يُدعوا نساطرة ولا هم يكنّون انفسهم بهذا اللقب بل يعرّفون انفسهم بالمسيحيّين (ܡܫܝܚܝܐ) ولقب فطريركهم فطريرك المشرق (ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܡܕܢܚܐ)

واما سبب تسميتهم بالكلدان وكان ذلك بحتم اوجانيوس الرابع فكان من اجل اصلهم وارضهم وهي العراق المعروف بديار الكلدان لدى القدماء. وهناك كانت كنيستهم العظمى الاولى لقدميَّتها واهمّيتها عند آثار بابل المعروفة اليوم بسلمان پاك وطاق كسرى اللذين يبعدان عن بغداد مسافة ست ساعات والواقعَين في جنوب شرقيها وكانا يُعرفان

قديمًا بالمدائن (ܣܠܝܩ ܘܩܛܝܣܦܘܢ) سليق وقطيسفون. وقد كانت المدائن يومًا عاصمة بلاد الفرس والاكاسرة مذ ذاك الحين فالى زمانٍ مديد. وكان متلمذو هذه الديار مار توما الرسول الذي ادخل اصبعهُ في جنب المسيح ومار ادّي احد الاثنين والسبعين تلميذًا ومار ماري وآجي تلميذي ادّي . وهولاء الرسل الاربعة وخاصّة ادي ومـاري هم الذين نصبوا الكنائس الكلدانية في الشرق وهم الذين وضعوا ليتورجيّتها التي تُعرف الى يومنا هذا باسم الرسولين مار ادي ومار ماري وفي الآرامية اي الكلدانية تُعرف باسم ܩܘܕܫܐ ܕܫܠܝܚܐ (قُدّاس الرسل)

وكان المقدّم والزعيم في هذه الناحية الشرقية الاب الجالس على تلك السدّة وكان في بادئ الامر مقرّ الفطريرك رئيس المطارين في فطركية انطاكية وكان لجاثليق المدائن مع التعلق بفطركيّة انطاكية الامر والنهي وكامل الاستيلاء والسلطان العام على جميع المطارين والكنائس الموجودة في ديار الكلدان المراد بها العراق وآثور (وهي بلاد الموصل) والجبل (وهو فرتية ومادي حسب القديم) والاهواز وفارس كلها وبعض الجزيرة (اي ما بين النهرين) حتى بلاد التتر والصين والهند. وصار امتداد استيلاء الفطاركة في مرور الزمان عظيمًا جدًّا حيث انهُ اشتمل على جميع الديار التى انتشرت فيها بدعة نسطور في المشرق كلهِ شرقية كانت جهتهُ ام غربية وتحت اي سلطة وُجدوا في تداول القرون. لان بلادهم هـذه قد كانت مستقرّ اقدم الدول واعظمها. ففيها تشيدت اركان الدولة الاولى في العالم المعروفة بمملكة نمرود او بابل لان نمرود كان اوّل من شيد الملك وسنّ لهُ سنن التجنُّد والغزو والاعتراف بالرئاسة العليا. وقاعدتها كانت بابل في العراق العربي ثم استولى عليها الآثوريون ثم بعدئذٍ اجتمعت المملكتان في واحدةٍ ونشأت من ذلك مملكة نينوى ثم مملكة بابل الثانية في عهد بختنصر الملك وخلفائهِ فملوك مادي وفارس فملوك الروم في عهد الاسكندر ذي القرنين خلفائهِ فملوك الطوائف (اي فرتية وهم الارشاقيون ويسمون ايضًا ملوك الجبل) فمملكة فارس الثانية (وهي الساسانية) فالخلفاء العبّاسيون المسلمون فالمغول فالتتر فالاتراك بنو عثمان الى يومنا هذا أيّد الله سلطانهم

ففي استيلاء هذه الدول المختلفة على الكلدان النصارى كان قد قامت عليهم اضطهادات كثيرة احبّوا معها الموت ولم تكن الامور تستتبّ لهم فلم يزالوا بين صعود

وهبوط دائمًا اللهمَّ الّا في عهد الخلفاء الذين نشأوا في بغداد وفيها كان مقرُّ جثالقتهم ففازوا في ايامهم بالراحة وكان لهم التقدُّم على سائر الملل النصرانية عندهم وارتقوا في مراقي النظرّية والعملية وظهر فيهم علماء بارعون لهم اليد الطولى في معرفة اللغات الشرقية كما هم عليه الآن من الامن والسلام لسابغ ظلّ خلفاء بني عثمان رفع الله رايةَ دولتهم

٣

واماً لسانهم الاصلي فهو الارامي اي الكلداني وهو السرياني الشرقي نفسهُ وقد عُرف بالشرقي لتمييزهِ عن الغربي وهو لغة السوريين فان الغربيين قد اخترعوا فيهِ لفظاً غريباً غريباً ولهذا صارت سريانيتهم تُعرف بالغربية. ومن اخصّ الفرق في هذا اللفظ هو انهم يضمُّون الفتح المعروف بالزقاف (ܙܩܦܐ) مطلقاً واما السريانية الشرقية المحفوظة الى يومنا هذا عند الشرقيين من السريان (وهم الكلدان) او البابليون والآثوريون وما نُسب اليهم فمن علامتها فتح الزقاف وتشديد ما بعد الفتاح غالباً وهي اللغة القديمة الصحيحة. ولذلك دلائل :

الدليل الاول: اقرار بعض مشتهري علماء الغربيين مثل غريغوريوس ابي الفرج ابن العبري فانهُ يشهد بان لفظ الشرقيين هو الاصح وانهم بنو الكلدان البكورة (ܒܢܝ̈ܐ ܒܘܟܪ̈ܐ ܕܟܠܕܝ̈ܐ) وعلى هذا الراي ذهب العلامة الشهير الطائر الصيت المطران اقليميس يوسف داود في مقدمة كتابهِ المعنون بهذا العنوان « اللمعة الشهية في نحو اللغة الارامية »

الدليل الثاني: الموافقة التامّة الملحوظة بين لغتهم والكلداني القديم كما هو في التلموذ ودانيال الخ. والمغايرة باللفظ بين هذه والسريانية الغربية

الدليل الثالث: المطابقة بين لفظهم والسريانية الاصلية الأوّلية التي شاعت بين اليهود بعد الرجوع من السبي وهي هي التي كانت دارجةً وشائعةً بين العامة ومستعملةً لا غيرها. وهذه المطابقة تظهر جلياً في الالفاظ السريانية المتدرجة في الانجيل المقدس وغيره من اسفار العهد الجديد كلفظة ܚܩܠ ܕܡܐ (حقل الدم) و ܛܠܝܬܐ (فتاة) و ܛܒܝܬܐ (ظبية) و ܐܬܦܬܚ و ܓܒܝܬܐ و ܓܒܬܐ و ܓܓܘܠܬܐ و ܟܐܦܐ الخ. وبهذه اللغة عينها كُتب عنوان المسيح فوق الصليب ولا يحتاج بيان ذلك الى دليلٍ فوق هذا الدليل الواضح

الدليل الرابع: من الالفاظ القديمة المستفادة من هذه اللغة في وقتها الدالّة على اماكن واشخاص لدى الروم والسريان الغربيين قاطبةً حتى انهُ يستلزم من ذلك ان هذه اللغة لم تكن العامية والدارجة لدى الشرقيين فقط بل ولدى الغربيين ايضاً. وانما تغيرت فيما بعد (وقيل ان مغيّرها يعقوب الرهاوي) ومن ذلك: (ܣܒܐ) سابا اي الشيخ وماروثا (ܡܪܘܬܐ) سيادة. وبانورا. وباتنورا. وابا. وعقبمشما. وايتالاها. ورشعينا. ورشكيفا الخ

الدليل الخامس: عموم هذه اللغة اليوم القرى اليهودية والمسيحية سواء كان اهلها يعاقبةً (اي سرياناً غربيين) او نساطرة اوكلداناً كاثوليكيين في انحاء آثور والجزيرة وجبال كردستان واورمية وسنا. فان في هذه البلاد جميعاً قد تغلب واندرج في كلام العامة لفظ الشرقيين لا الغربيين. ولاريب في ان تكون هذه اللغة لغتهم الاصلية عموماً ولا يتصور في هولاء سبب التغيير (وانما التغيير في غيرهم ظاهر الداعي) وما غيَّر غيرُهم لفظة الا من اختلاط وتسلط لغة الدولة عليهِ كما قد اخذت الان ان تنتشر بين ابناء العرب والطوائف النصرانية اللغة التركية. ما عدا القرى المنفردة التي لم يتداخل اهلها مع غيرهم ولم يقطن فيها غير ذويها فلم تزل ثمّت اللغة العامة الدارجة في التكلم وقد حُفظ اصلها مع فساد كثيرٍ من صحيحها اذ قد دخلت فيها كلمات عربية وكردية لمجاورتهم العرب والكرد. وبهذه لغة العامة يتكلم ايضاً سريان قره قوش ويعاقبة بارطلّة وكذا ايضاً يهود زاخو. اما الكلدان القاطنون في المدن فلتغلّب العربية قد اندثرت شيئاً فشيئاً لغتهم السريانية وقد حفظوا منها بعض الكلمات بل وجميع الكلمات الطقسية الاصطلاحية ولم يزل عامّة الشرقيين والغربيين يتداولونها في كلامهم. فمن ذلك: البرّاخ (ܒܪܟ) والقداس (ܩܘܕܫܐ) والباعوثة (ܒܥܘܬܐ) والناقوس (ܢܩܘܫܐ) والساعور (ܣܥܘܪܐ) والزيّاح (ܙܘܝܚܐ) والتِشمشت (ܬܫܡܫܬܐ) والعدّان (ܥܕܢܐ) والباصلوثات (ܒܥܐ ܨܠܘܬܐ) والرازي (ܐܪܙܐ الخ)

الدليل السادس: حداثة الخط والحركات اليونانية عند الغربيين وقدميته والحروف السطرنجيلية القريبة للعبرانية لدى الشرقيين

الدليل السابع: موافقة لغة الشرقيين مع كتب الصابئة الذين هم بنو الكلدان

الاولين وهم الآن يسكنون حوالي خليج فارس والبصرة ونهر كارون الخ فان لفظهم ولغتهم مشابهان للفظ ولغة الشرقيين. واعلم ان المسيو سيوفي بسردهِ وروايتهِ عن مذهب الصُبّا قد نقل عنهم الاسماء بلفظ الغربيين وذلك لانَّ الاوربيين يقرأون قراءة الغربيين لشيوعها عندهم

الدليل الثامن: من الالفاظ العربية المشابهة للكلدانية لفظاً ومعنىً وصيغةً ولا يبعد ان يكون اصلها من الكلدانية فانها تلفظ لفظ الشرقيين بالتشديد وفتح الزقاف المُمَال من ذلك قولهم: صدّيق (ܙܕܝܩܐ) وقدّيس (ܩܕܝܫܐ) وجبّار (ܓܢܒܪܐ) وقصّاب (ܩܨܒܐ) وفدّان (ܦܕܢܐ) ويمّ (ܝܡܐ) وتنّين (ܬܢܝܢܐ) الخ. ومن الافعال كثيرٌ مما يشابه لفظ الشرقيين منها صيغة ماضي الاجوف الثلاثي وصيغة فعّل الثلاثي من ذلك قولهم: دان (ܕܢ) وقام (ܩܡ) وصار (ܨܪ) (بمعنى صوّر) ونام (ܢܡ) وصاد (ܨܕ) وتاب (ܬܒ) الخ. ومنهُ ايضاً قولهم: سيّج (ܣܝܓ) وسبّح (ܫܒܚ) وطيّر (ܛܝܪ) وسلّم (ܫܠܡ) وفي هذا كفاية لبيان الغرض. ومع هذا فليس الآن عالم محقِّقٌ يخفى عنهُ صدق هذه القضية لاعتبارات شتَّى ضربنا عنها صفحاً خشية الاسهاب

٤

واماً شان اتساع هذه الملة فيظهر من قول عمرو المؤرخ في منسلخ القرن الثالث عشر في عهد طيماثاوس الثاني الجاثليق في جدول الكراسي المطرانية وهاكهُ:

١ ان الكرسي الاول الذي هو رأس الكراسي وفيهِ يجلس البطريرك كان يحتوي قديماً على المدينتين سلوقية وقطيسفون ثم أُضيف اليهِ في مرور الزمان بغداد والموصل. وما عدا هذه فان مُقاطعة (هوفركيّة) البطركية كانت تشتمل على ثلثين كنيسة اسقفية. وكانت تدعى المقاطعة الكبرى ومن هذه الاسقفيات كشكر والزوابية والحيرة والكوفة وواسط والانبار (وهي فيروز شابور) وطيرهان وسنا والبوازيج وداسن ونهروان والنعمانية وسنجار ورقّة ومعلثاي وحديثة وبلد وثمانون. اما المطرنيات فاولها كرسي عيلام وهي جنديسابور وتدعى عند المؤرخين مطرنة لافاط او بيلافاط ܒܝܬ ܠܦܛ والاهوا ايضاً ومن اسقفياتها التابعة سوس وشستر وليدن ومهلدجرد

٢ والكرسي الثاني رتبةً نصيبين ومن اسقفياتها ارزون والجزيرة (جزيرة عمر)



وتارةً بلد (وهي من مقاطعة البطريرك) وسنجار وآمد وماردين وباعربايا وميافارقين وحران وحصن كيفا. ومعرّة (وتلكيف) وكانت تارةً تزداد واخرى تنقص (١

٣ :مطرنة فرات ميشان وهي البصرة. ٤ الموصل وآثور. ٥ اربيل وحزة (ܚܕܝܐܒ). ٦ باجرمي وهي بيت سلوخ وكركوك. ٧ حلوان اي حلح وهي اليوم سليمانية. وهولاء المطارين السبعة هم اصحاب سياميذ الفطرك. ٨ اورشليم القدس الشريف. ٩ الرها وهي اورفا اليوم. ١٠ فارس او اورمية وسلمست ووان وهي اليوم خسراوا. ١١ مرو وهي خوراسان. ١٢ هراة. ١٣ الرازيقيين اي العرب وسُقُطرة (وهي جزيرة في بحر عمان). ١٤ الصين. ١٥ الهند. ١٦ ارمينية. ١٧ سورية اي دمشق الشام. ١٨ بردع اي اذربيجان (وقد كانت هذه يوماً قاعدة بلاد ايران). ١٩ الري وطبرستان (الري مدينة في عراق العجم وطبرستان هي هرقالية القديمة). ٢٠ الديلم. ٢١ سمرقند وما وراء النهر. ٢٢ قشغر وتركستان (وهي بلاد ما وراء نهر جيحون). ٢٣ بلخ وطوخرستان. ٢٤ سجستان. ٢٥ همدان. ٢٦ خان بالق وآل بالق وهي الخطا في شمالي الصين حيث هي اليوم. ٢٧ تنكث في بلاد التتر. ٢٨ النواكث وقشغر في التركستان

قال عمرو بن متى وكل واحد من هولاء الآباء لهُ اساقفة منهم مَن لهُ اثنا عشر اسقفاً ومنهم من لهُ ستة اساقفة (ستأتي البقية)

المطبوعات في اخر سنة ١٨٩٨

للاب هنري لامنس اليسوعي

منذ انتشر فنّ الطباعة لم تزل المطبوعات في نموّ متواصل ولو حاولت دولةٌ من

---

١) ما تراه مكرَّرًا ذكرهُ من الاسقفيات والمطرنيات فاعلم ان هذه قد تُضم احياناً الى التي بجانبها لخلو كرسيها كما ان الآن مطرنة العمادية ومطرنة العقر يدبرها مطران واحد لخلو احداها من مدبرها الخاص

الدول ان تجمع نسخةً من كل ما يُنشر بالطبع في السنة الواحدة في العالم المعمور لَما كادت تجد خزانة تحتوي كلَّ هذه التآليف. وقد سمعنا احد نظّار المكتبة البريطانيَّة الكبرى يقول: اذا بقيت هذه المكتبة على حالتها من النموّ لاقتضى الامرُ بناء سكَّة حديديَّة تنقل الكتب من اطرافها القصوى الى مُخدع القرّاء لأنهُ يدخلها في السنة نيف ومئة الف مجلد ما خلا المئين من الكتب الخطيَّة والالوف من الجرائد والمجلات ينفق الانكليز على جمعها القناطير المقنطرة من المال ضنًّا بفوائدها العظيمة

وسنقتصر في هذه اللمعة على مطبوعات السنة المنصرمة كي يحيط قرَّاؤنا علماً بحركة العقول في البلاد المتمدّنة

١ الجرائد

واوّل ما ينبغي ذكرهُ « الجرائد » فانَّها تفوق عددًا على بقيَّة اصناف المطبوعات وان كانت دونها قدرًا من حيث مضمونها

أجل انَّهُ لا يسعنا احصاء الصُّحف التي تُنشر في جميع اقطار العالم. غير انَّنا نعلم انَّها اكثر من ان تُعدَّ فمنها للسياسة ومنها للاقتصاد ومنها للعلوم بفروعها بل لا ترى صنفًا من طبقات المجتمع الانساني الّا ولهُ عدَّة جرائد تُفيدهُ علماً بالامور التي تهمّهُ معرفتها فقد انشئت جرائد ومجلاَّت للرجال وللنساء وللاطفال ولارباب التجارة ولاصحاب الحِرَف كالخيَّاطين والطبَّاخين والخدَّام ومن يتعاطون التدريس ويشتغلون بالفنون كالموسيقى والتصوير ولمن يجمعون طوابع البريد ويسيرون على الدرَّاجات ويطلبون الازياء الجديدة وهلمَّ جرًّا

وفي باريس وحدها طُبع في السنة الماضية من الجرائد والمجلات نحو ٢٤٠٠ يربو اعداد نُسخها على مليونين. ومن الصُّحُف التي استُحدثت فيها الجرائد الباحثة في العربات السيَّارة بالكهرباء الدارجة بذاتها (automobiles)

ومن عجيب الامور انَّ لدولة بلجيكة مع صغرها المقام الاوَّل في اوربَّة بعدد جرائدها نسبةً الى سكَّانها. وقد بلغت هذه الجرائد فيها عددًا ٤٧٠٠ اعني جريدةً لكل ١٢٠٠ نفس (١. بخلاف النمسة فانَّ لها جريدة لكل ٧٢٠٠٠. وما ذاك الا لانَّ

(١) قد نقلنا اكثر هذه الاعداد من مجلَّة المجلاَّت (Revue des Revues, 1er Oct. 1898, p. 47)



البلجيكيين يحبّون الانضمام وينظّمون الشركات فينشئون لها جرائد لترويج امورها هذا فضلًا عن الحرّية المطلقة التي تُمنَح لكل الاهلين بانشاء جرائد وليس للحكومة شرائع تحصر عملها كما في النمسة التي وضعت للجرائد حدًّا لا يسوغ لكتبَتها ان يتعدَّوهُ. بيد انَّ كثيرًا من الصُّحف البلجكيَّة ليس تحتها كبير امر ولطلَبة المدارس جرائد ينشئونها في غضون دروسهم لا يقرأها غيرهم. وقد رأينا من ذلك اربعًا او خمسًا أُحدثت في اثناء تسعة اشهر قضيناها في لوڤان. وللبلجيكيين ثماني جرائد في جمع الطوابع البريديَّة وخمس وعشرون صحيفة مدار ابحاثها على الحمام الساعي وتدريبهِ

وممّن عُرفوا بكثرة صُحُفهم السيَّارة اليونان واغلبها سياسيَّة ولا غروَ فانَّ تاريخ هذه الدولة القديم ينبئ بكَلَف اليونان بالسياسة والاسهاب في مباحثها

٢ الكتب

فاز اليابانيون بالسهم المعلى بعدد كتبهم المنشورة طبعًا فبلغوا في ذلك ما لم تبلغهُ دولة اخرى. ويؤخذ من احصائهم الاخير انَّهُ طُبع عندهم في سنة ١٨٩٦ فوق ٢٥٠٠٠ كتاب مختلف فيكون ذلك ضِعف مطبوعات فرنسة وانكلترَّة. ومن جملة هذه التآليف ٥٠٠٠ كتاب في الشريعة و ١٣٠٠ كتاب دينيّ ونحوها عددًا في علم الهيئة وبلغت التقاويم السنوية ١٤٠٠ وهذا بلا شك امرٌ غريبٌ في بابهِ. لكنَّ عدد الجرائد عندهم لا يتجاوز ٨٠٠. ولا غرو انَّها ستنمو عمَّا قليل مع ما طُبع عليهِ اليابانيون من علو الهمة واتقاد الفهم وكانت اوربَّة لا تكاد تحسبهم منذ خمسين سنة في حيز الشعوب المعدودة

والمرتبة الثانية في عدد المطبوعات بعد اليابان لالمانية ثمَّ لفرنسة وانكلترَّة تتساويان من هذا الوجه. والمنزلة الرابعة لهولندة والدانيمرك والنروج ثمَّ لپولونيـة واسوج ثمَّ لايطالية واخيرًا للروسية

وتجارة الكتب اضحت لالمانية موردًا يجديها ربحًا طائلًا. تصـاعد في مدَّة خمس عشرة سنة من ٢٥ مليون فرنك الى ٦٥ يبتاع النمسيُّون منهـا نحو نصفها ولكلا الشعبين كما هو مشهور لغة واحدة. ويدخل فرنسة من مطبوعات المانية نحو مليوني مجلَّد الّا انَّ فرنسة من طرفها تبيع للالمان مليونين وسبعمائة الف كتاب فتكون هي الرابحة

وان استثنينا فرنسة لا نجد بلدًا الا استمدَّ من مطبوعات المانية اكثر ممَّا يعدُّها من مطبوعاتهِ الخاصَّة

وللانكليز ايضًا شهرة في كثرة الكتابة يتبارى فيها النساء والرجال معًا والكاتبات في انكلترَّة اكثر منهنَّ في سواها من الاقطار. امَّا الموادّ التي تدور على محورها تآليفهم فهي اوَّلًا الكتب الدينيَّة كالمواعظ واللاهوت ثمَّ الروايات الخياليَّة يصنّفون منها في السنة نحو ٨٠٠ رواية

امَّا الفرنسيُّون فانهم عُرفوا منذ قرون عديدة بكثرة تآليفهم. وقد قرأنا في بعض الاحصاءات المتأخرة انَّ الكتبة الفرنسيين الَّفوا في سنة واحدة ١٣٠٠٠ كتاب وانشأوا ٧٠٦ جريدة جديدة. وفي سنة ١٨٥٠ كان يُقتضى للمطبوعات الفرنسيَّة ٤٠,٠٠٠ طنّ من الورق واليوم لا يكفيها منهُ ٣٥٠,٠٠٠ طنّ وكان في ذلك الوقت يُصرف في طباعة كلّ المسكونة ٢٢١,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام من الورق وقد زادت الآن هذه الكميَّة زيادة عظيمة حتى بلغت ٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام. وعليهِ ان قلَّت التصانيف السامية الجليلة في ايَّامنا فتحقَّقْ ان ذلك لا ينتج عن ندرة القرطاس

٣ مقابلة كتبة عصرنا مع المؤلّفين الاقدمين

فممَّا تقدَّم يصحّ القول انَّ اهل زماننا اصابوا بقصبة السبق بكثرة التأليف. غير أنّنا نجد في تواريخ الشرق قومًا من مشاهير الكتبة القدماء الذين يعارضون بعض اهل عصرنا بعدد مصنَّفاتهم. فانَّ للسيوطي فوق الثلاثمائة كتاب بين قصير ومطوَّل. ومن مصنَّفات الفيروزابادي قاموس بثمانين مجلَّدًا اختصرهُ بقاموسهِ المشهور. ولابي عبيدة اكثر من مائتي تأليف. ومن تآليف ابن عساكر تاريخ الشام في عشرين مجلَّد ضخم وللمسعودي اكثر من عشرين تأليفًا ذُكرت في مقدَّمة كتاب التنبيه المطبوع حديثًا (١). ومن جملتها كتابهُ تاريخ الزمان المفقود الذي كان حجمهُ كحجم كتاب الاغاني وتاريخ الطبري وممن اشتهروا بكثرة تآليفهم غريغوريوس ابو الفرج بن العبري (راجع اسماء كتبهِ في المشرق ١ : ٤٥٠ الخ) . وبين المحدثين من كتبة الاوربيين اشتهر اسكندر

---

١) راجع ترجمة هذا الكتاب في الفرنسيَّة (C. de Vaux, p. 569)

هردي الذي الَّف ٦٠٠ رواية هزلية . وصنَّف الكاتب المبرّز بين الاسبان لوپ دي ڤيغا ١٨٠٠ رواية بالشعر . ويحكى عن المركيز دي فُندراس انَّهُ في سنة واحدة نشر ثلاثين مجلَّدًا اودعها روايات خيالية من تأليفهِ . الا ان اكثر هؤلاء المؤلفين لم يبقَ لهم من ذكر فماتت اعمالهم معهم

وهنا يَحسُن بنا ان نبدي ملاحظة مهمَّة وهي انَّ كثرة التآليف في بلدٍ ما لا تشهد لاهلهِ بالتقدُّم على غيرِ بلاد . فانَّ خطارة الكتب تؤخذ من خطارة مواضيعها لا من كثرة عددها وكم من كتُب اذا اعملتَ فيها عين الانتقاد لا تجد فيها من الفوائد الا النزر القليل . وهذا يصحُّ خصوصاً في اغلب جرائد العصر . وزد على ذلك كتباً كثيرة لا تنفع العلوم شيئاً كالروايات والتآليف المنقولة من لغات شتَّى فاذا ضربت عن كلّ ذلك صفحاً لا يبقى من الكتب النافعة سوى العدد القليل وانَّما المعوَّل لمعرفة تمدُّن الشعوب على مثل هذه المؤلَّفات المفيدة لا على غيرها . كما انَّك لو احصيتَ جيشاً لما اكتفيتَ بالوقوف على عدد افرادهِ ان لم يكن بينهم قوم شديدو البأس كثيرو المراس يفتكون بالعدوّ ويفوزون بالنصر كما قيل :

تعيّرنا انَّا قليلٌ عديدنا فقلتُ لها انَّ الكرامَ قليلُ

وتزيد على ذلك انَّ وَفرة الكتب ربَّما تضرُّ ولا تنفع لانَّ القرَّاء من اصحاب الذوق السليم لا يدرون ما يختارون من هذه المؤلَّفات العديدة . على انَّ الوقت لا يسمح لهم بمطالعتها جميعاً فينخدعون باسمائها الرنَّانة فاذا ابتاعوا شيئاً منها لا يلبثون ان يتحسَّروا على خسارة دراهمهم وعلى وقتٍ ثمين صرفوهُ في قراءتها . امَّا الاغرار الذين لا خبرة لهم من الشبَّان وغيرهم فانَّهم بكثرة مطالعة مثل هذه الكتب القليلة الفائدة يعتادون التواني فلا يعودون يجهدون قريحتهم على الدرس الطويل والنظر الدقيق فيعرفون النزر القليل من كلّ المعارف ولا يحسنون شيئاً منها وليت شعري اذا لم يستقوا من مناهل هذه التصانيف العكرة سمًّا ذعافًا يزعزع عقائدهم ويفسد آدابهم وكثيرٌ ما هم صان الله شرقنا العزيز من آفتهم

نظرٌ عَقليٌّ في الوَحي

للاب لويس معلوف اليسوعي

ورد لنا في المشرق (١ : ٩٦١) بعض القول في الدين خلاصتهُ انَّ من نظر متبصِّرًا في حقيقة الدين وكنهِهِ تيقَّن انَّهُ لا شكَّ واجب وانَّ الانسان سواء اعتبرتَهُ منفردًا في ذاتهِ او منخرطًا في سِلك الهيئة الاجتماعيــة لا مندوحةَ لهُ عن التديُّن. اللّهمَّ إن اراد الاستنارةَ بالانوار العقلية التي جعلها ربُّك هُدًى لمن استهدى

ويَقتضي مني سياقُ الكلام ذكرَ شيء ممَّا يَرتئيهِ العقل في امر الوحي الذي لا يغرب عن القارئ اللبيبِ ما لهُ مع الدين من العلاقات المُحكمة الجمَّة

الوحي لغةً: «كلُّ ما القيتَهُ الى غيرك ليعلمـهُ كيف كان. ثم غلب الوحي في ما يُلقى الى الانبياء من عند الله تعالى» (اللسان والتاج). فهو اذًا عبارة عن أن ينبئ الله الانسان (مباشرةً او لا) بحقيقةٍ يجهلها البشر او لم يحسنوا معرفتهـا من بعض أوجهها. وموضوعهُ حقيقةٌ او مجموع حقائق يهتدي اليها المرء لا بنور عقلهِ الطبيعيّ بل بنور عَلَويّ فائق الطبيعة. وبذلك كان الوحي مختلفًا عن مُكتشفات العـلوم الطبيعية والاستدلالات العقلية او النقلية فانَّ هذه ينالها الانسان بمجرَّد قواهُ الادراكـية. امَّا الحقائق الوَحيية فهي في حصر المقال لا يتسنَّى لهُ عِلمها إن لم يُنعم عليــهِ ربُّهُ بشيء من واسع علمهِ الازلي

وقد رفض البعض قبول الوحي. قالوا: لسنا بمُنكرين انَّ الله بدع الكونَ فملكَ ولهُ حقُّ السجود وانَّ على الانسان أن يُقرَّ بحقيقــة علاقتهِ مع الله فيخضع لخالقهِ ومالكهِ متعبِّدًا ومتديِّنًا. وعليهِ يسلِّمون لنا بصدق ما سبق اثباته من وجوب الدين. على انهُ لمَّا كان الدين منهُ وحييٌّ قائم على بنــاء عَلَويّ ومنهُ طبيعي لا يتعدَّى ما يكتشف عليه العقل البشري من الحقائق فهم يذهبون الى لزوم هــذا وينكرون ذاك زاعمين ان الأديان يجب ان تكون مناسبة لماهيــة الانسان وبمَعزَل عن كل معرفةٍ او غاية او طريقة من الطُرق والغايات والحقائق التي تفوق قوى الانسان الإدراكـية

الطبيعية. والقائلون هذا القول هم الطبيعيُّون وتتشعب آراؤهم تشعُّبَ الاوهام والاضاليل ولا عجَب

فمنهم من يقول باستحالة الوحي مطلقاً وعدم امكان وقوعهِ أيّاً كان. ومنهم من يُقرّ بان لا مانع يمنع من أن يكلِّم الله الانسان لكنهم يزعمون ان الله لا يُمكنهُ ان يُنبئنا بحقائق تفوق مُدركات العقل البشري كالحقائق التي تضاهي عقيدة الثالوث الاقدس من الاسرار. ومنهم أخيرًا من يدعي بان ذلك الوحي ولو سُلّم بإمكانيّتهِ من كل وجه فهو لا طائل تحتهُ ولا فائدة منهُ تُرجى في امر الدين

وقصدي ان آتي على هذه الاوهام متتبعاً مقتصرًا الآن على اعتبار هذه المسئلة اعتبارها الفلسفي تاركاً الى فُرصةٍ اخرى ما يتسع بهِ نطاقُها من المباحث اللاهوتية. وساتخذ الان ذات الخُطّة التي سرت عليها في كلامي على وجوب الدين. اذكر اوّلًا ما تؤيّد بهِ الحقائق من الادلّة ثم اردفها ببعض القول ردًّا على ما اتى بهِ حَمَلة رايات الضلال من الاعتراضات. وهو الاسلوب الذي استحسنهُ وعوّل عليهِ ائمتنا في مثل هذه المباحث الدقيقة

١

أن يُنزل الله على عباده وحيًا ما اي أن يتّخذ اللهُ طريقةً من الطرق لتبليغ الانسان حقيقة من الحقائق ذلك امرٌ ان نظرت اليهِ من حيثيّتهِ هذهِ المُطلَقة لا يتيسّر لك ان تُرهق العقلَ انكارَهُ ذلك لانك حيثما اعملت عامل الفكرة وبحثت عن مانع يمنع امكانية حصول الوحي فلن تجده إلا من احدى جهات ثلاث. جهة الله وجهة الانسان وجهة الحقائق نفسها الموحى بها

فاقول اوّلًا انهُ لا مانع يمنع الوحي من جهة الله. وماذا تراهُ يكون. ألِأنهُ غير لائق بجلال الله او لِأن الله عاجز عنهُ. ولا يغرب عن فهمك انهُ ان كان السبب العائق من جهة الله فالى امر من هذين الامرين يكون مُعادُهُ. والحال ان العقلَ السليم يأبى تصديق شيء من هذين المانعين. لانهُ يرى جليًا ان الله لا شك قادر على ما يقدر عليهِ الانسان. والانسان يكشف لغيره من القوم عن حقائق عرفها ويجهلونها اذًا ليس الله بعاجز عن ان يُطلعنا بواسطة الوحي العلَوي عن بعض الحقائق اختصت بالدين ام لا

امّا كونُ الوحي لا يليق بجلال الرب المتعالي فهو قول ساقط واهن لا يقبلهُ عقل

مُصيب. أَمَا ترى الباريْ تسامى سمُوه وعلا علاؤُهُ يعتني بكلٍ من مخلوقاتهِ حتى احقرها يحفظها بعنايتهِ الصمدانية ويرزقها من فيضهِ كلَّ ما تحتاج اليهِ للقيام باعمالها والسعي وراء الغاية التي رسمها لها ولا يرى هنالك امرًا يحط بجلالهِ ويُخلّ بعلو شأنهِ. افيكون محطاً بقدرهِ عز وجل وغير لائق بهِ ان يعتني باشرف جزء من اشرف مخلوقات المسكونة اي نفس الانسان وقواهُ الفَهمية فيُشرق على عقلهِ انوار حكمتهِ الازلية فتتجلّى الحقائق العليا للالباب وتستميل محجّةُ الهدى مطامح الإرادة فيسعى الانسان مُجدًّا فيها لبلوغ الغاية القصوى من معاينتهِ ربّهِ والاندراج في بحبوحة سعادتهِ لا تفتأُ القلوب اليها في شغل شاغل

فان كان اذًا لا عائق من جهة الله يحملنا على القول بتعسُّر حدوث الوحي فلم يبقَ مانع يمنع لا من جهة الانسان ولا من جهة الحقائق ذاتها. وذلك بيّن اليقين لان الانسان من طبعهِ اقرب الى اخذ الحقائق عن غيرهِ ممَّا هو الى اكتشافها بنفسهِ وادراكها بجدهِ وبحثهِ. فان كان يقتبس العلم عن غيرهِ من البشر فايُّ مانع يصرفهُ عن اقتباسهِ من رب البشر ومصدر كل علم

ثم اعتبر جهل الانسان وقصر معارفه وقابل ما عهدتَهُ من ذاك مع حكمة الله وعلمهِ الواسع كل البرايا والحقائق. مَهما امتدت العلوم واتّسع نطاقها مهما استمدَّ الانسان من المعارف وكدَّ وجدَّ وطالع واكتشف واستدلَّ فلن تلقاهُ قد عادل علمُهُ علم مُبدعهِ بل لا تبرح هناك حقائق جمّة تفوتُهُ فكثير منها ما يشكُّ بهِ واكثر منها ما يجهلهُ جهلًا صريحًا. فما كان من هذه الحقائق وواديها أَلَا يسهل على العليم الرحيم بل أَما يناسب صلاحه وجوده ان يطمع الانسان عليها ويشفي جهلهُ كاشفًا لهُ عن وجه الحقائق السامية بعض اطراف القناع

هذا وبما انَّ الدليل الذي اوردناهُ لا مردَّ عليهِ عند ارباب النهى فلا يحق لمعترض ان يقول لنا: يعسر بل يستحيل عليَّ فهم او تصوُّر الكيفية التي يخاطب الله الانسان عليها متى شاء وانعم عليهِ بالوحي الذي ذكرت. اذًا هذا الوحي نفسهُ مستحيل الحصول

ذلك لعمرك خلاصة أقاويل الجمّ الغفير من الطبيعيين القائلين بعدم امكانية الوحي مطلقًا. وخلاصة اجوبتنا عليهم اننا نسلم ان تلك الكيفية يعجز الانسان عن تصورها ولكن متى عهدت عدم فهم الشيء يمنع كونَهُ موجودًا. قل لي واصدقني الست



تنسب الى اقبح الجهل ذاك الذي يقول لك هذا الامر يفوق إدراكي فهو اذًا باطلٌ او غير حاصل في الوجود. الست ترشقهُ حالًا باشدّ سهام اللوم وتستشهد لهُ عليهِ بكلام الغزّالي:

انت لا تعرف ايّاك ولم تدرِ مَن انت ولا كيف الوصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ رُكّبت فيك حارت في خَفاياها العقولْ
اين منك الرُّوح في جوهرها هل تراها او ترى كيف تجولْ
انت اكل الخبز لا تعرفهُ كيف يجري فيك ام كيف يحولْ

وكم وكم هناك من الكيفيَّات في الكون جهلناها وسنجهلها حتَّى المات. كم وكم من الامور والأحكام والسنن في الفلكيات والطبيعيَّات لا نفهم كيفية حصولها على اننا تَضطرُّنا واقعة الحال ودامغة الادلَّة ان تسلم بانها لا ريب حاصلةٌ موجودةٌ. اذن جهل كيفية الكيان لا يدلُّ على استحالة الكيان وجهل كيفية الوحي ليس ببرهان على عدم امكانيَّتهِ

٢

سعت العلماء في كلّ اوان ومكان ولم يزالوا يسعون سعيهم المحمود وراء العوائق يذلّلونها ويقهرونها والمصاعب يتجشَّمونها برضى حبًّا منهم وهُيامًا بمعرفةِ كنهُ الاشياء ومصادرها وعِلَلها وقواها. كم أزالوا من شكٍّ وريب وكم ارسلوا نِبراس البحث والاستكشاف في مجاهل الافكار ومعاميها فتقلَّصت ظُلمات العمي وتجلَّت لهم حقائق كان حجَبها عن الالباب حُجُبٌ كثيفةٌ

وكاني بهم لم يبذلوا الوسع الوسيع والجهد الجاهد إلا لتقرير وتعزيز حقيقةَ أن عقل الانسان متناهي الإِدراك محدود القوى. تلك الامور الحسِّية مثلًا اسهل معلومات الانسان واجلاها يراها بعينهِ ويسمعها باذنهِ ويلمسها بيدهِ فيستعين على ادراكها بعقلهِ وحواسهِ اي بكل قواه الادراكية. فهل عهدت عالمًا مهما اتَّسع علمهُ وامتدت مباحثهُ بلغ الدرجة القصوى لست اقول من الإِحاطة بموضوع علمهِ بل من معرفة شيء وجد من الاشياء ايًّا كان. هل ألفيتهُ يخبرك عن الجواهر على حقها او ينبئك عن خواصها ومزاياها ومفاعيلها كلها ويعلمك بكيفية تكوُّنها وتولُّدها ونموّها وانتشارها. ذلك العالم لم ترهُ ولن تراه.. بل العلماء اقسهم هم اوَّل من يعلن على رؤوس الملاء انهم حيثما

اتجهوا واينما انقلبوا يجدون في دائرة مباحثهم اسرارًا عديدة لا يقدرون على كشف مغمضها

فان كانت الامور الطبيعية الحسّية تُعجز الانسان عن تقصّي اسرارها أَتخالهُ صانك الله من كل وهم اقوى واقدر على تقصي اسرار رب الطبيعة ؟ أَتظنهُ يسع علمه طبيعة رب العلم و يدرك صفات وكنه ملك الكمال وذات الكمال ؟ بل اي انسان يطمع باستقصاء حكمة ربهِ في خلق الانسان والحالة الحاضرة التي اقامتهُ فيها والغاية الازلية التي جعلتها لهُ وامرتهُ بالسعي وراءها . من منّا يفقه مساعي العناية الصمدانية في الاخيار والاشرار . . . من ؟ من ؟ من ؟ زد عليها ولا حرج

وعليهِ ترى نوَّر الله فَهمك انَّ هناك امورًا لا تحصى تفوق الإدراك البشري . انَّ هناك اسرارًا عديدة لا تستقصى . فاقول انَّ لا مانع يمنع الله ان يطلع الانسان على شيء منها بل ان العقل يدلنا ان ذلك اي وحي الاسرار امرٌ يليق بالله ويناسب صفاتهِ الحسنى مناسبة تامّة

البرهان هو ان الله لمطلق قدرتهِ ولاتساع حكمتهِ يستطيع ان يتخذ الوسائط اللائقة الكافية لتبليغ الانسان ما يشاء ان يعلمهُ بهِ والحقائق الفائقة الطبيعة البشرية . وفيما سبق غِنىً عن التوسع في الاستدلال على هذه الحقيقة . وعلاوةً على ذلك نذهب الى ان صفات الباريء تستدعي بل تستدعي بنوعٍ ما ذلك التبليغ وذلك الوحي بالأسرار . خلق الله الانسان فكلُّ ما للانسان هو من الله وعليهِ . فان الله سيّد الانسان وربُّهُ من كل وجه فيترتب على ذلك ان الانسان يجب عليهِ ان يكون خاضعاً لله من كل وجه اي في كل قواه الجسدية والروحانية ولاسيما في قواه العقلية اسمى وافضل هبات العليّ . اذًا لا يمكن ان يكون الانسان مستبدًّا مستقلاً عن ربّهِ في شيء فمن المُحال ان يكون فهمُهُ غير خاضع لربّهِ من وجه من الأوجه

والحال انَّ خضوع فهم الانسان لله لا يظهر جليًّا ان لم يؤمن الانسان ويعتقد ببعض حقائق تفوق طوره ببعض أسرار لا يُدرك كنهها ولا يفهمها فيؤمن بها ويركن الى صِدقها لا لأنهُ اكتشفها بذاتهِ بل لمجرَّد كون الله تعالى اوحى اليهِ بها . لو لم يعتقد الانسان الّا ما ادركهُ بعقلهِ واستدلَّ على يقينهِ بمجرَّد فهمهِ لكان يؤمن

بنفسه فقط لا بالله وهكذا يستقلّ عن مُبدِعهِ من حيث الفهم وهذا لا يليق التسليم بهِ

ولا بِدْع إن كان الله يتطلّب من الانسان أن يعتقد اعتقاد اليقين اسرارًا لا يفهمها· ولا من امر هناك يعاكس طبيعة الانسان الفهمية · انما يعاكس طبيعة الانسان الفهمية ان يعتقد الشيء دون سبب كافٍ يحملهُ على اليقين والحال ان للحقائق والاسرار الموحى بها سببًا كافيًا تضطرنا على الاقرار بها والاذعان بانها مقارنة الصدق والصَّواب· وذلك السبب الداعي الى اليقين والاذعان هو من جهة العلم البيّن بان عقل الانسان قاصر محدود الادراك· ومن جهة اخرى العلم بانَّ الله صادق لا يُطغي ولا يضلُّ بشرًا· فمتى ثبت لنا بالبراهين المُقنعة وبالشهادات الصادقة انَّ الله تنازل وكلّمنا واوحى لنا وحيًا ما فذلك يكون لا شك اقوى وافعل دليل على صدق العقيدة وتقرير اليقين عند كل من قدَّر الامور حقَّ قدرها

هذه كلُّها ادلّة جلية وحقائق صريحة يقبلها كل عقل لم يَستهوِهِ الضلال ولم تجنح بِهِ الاميال الى وهاد الحماقة· بيد ان الطبيعيين اعداء كل دينٍ يفوق طور الطبيعة يسعون كلَّ مسعى ويفرغون كنانة المناضلة والمعاندة في دحض إمكانية الاسرار التي تنازل ربُّك واوحى بها· وفيما سبق من البرهان كفاية لرد كل حججهم الواهية التي يحاولون ان يقنعونا بها انهُ لا يستطيع العقل قبول الاسرار· ولكن احببنا ان نعرض على تبصُّرك بعض اعتراضاتهم لترى وهنها وسهولة إبطالها

عهدناهم مثلًا يسودون الصُّحف الطويلة لتبيان انَّ الاسرار إنْ هي إلّا الفاظ وعبارات مُبهمة معمّاة لا يفهمها عقل ولا يُرى من ورائها حقيقة

لقد صدقوا كل الصدق في قولهم ان الاسرار لا سبيل للعقل البشري الى فهمها· لكننا ذكرنا لك وانت لا شكَّ تُقرُّ لنا بانَّ عدم فهم الشيء لا يقوم عند من عقل دليلًا على عدم وجود ذلك الشيء· اولئك الذين يستغربون عدم اقتدارهم على فهم الاسرار أمَا يعتقدون الاعتقاد الصادق المتين بوجود المادّة والنور والحرارة والكهربائية والمغناطيس وتجاذب الاجرام السماوية بعضها بعضًا الى غير ذلك من الامور الحسية ويُقرون انها حاصلةٌ في نظام الكون لا وجه لنكرانها· ولكن سَلهم هل فهموا يومًا كنهَ طبائعها هل وقع حسُّهم ام استدلَّ عقلهم ام اعربت لهم المخيّلة عن شيء من امر

جوهرها وعللها الباطنة وكيفيَّات بَدْئها وقوامها الخ. اذًا لا بدَّ من التسليم بانّنا نعتقد مصيبين كل الاصابة بوجود اشياء جمة لا يفهمها عقلنا ولا يدركها ادراكنا والاسرار من هذا القبيل. انما تفوق فهم العقل لا مَعْرِفتَهُ فان لم يتمكن العقل لضعفهِ وقصر قواه من فهمها فيبقى لهُ ان يعرفها ويعلم انهـا موجودة. والحكيم من عرف نفسه واقرَّ بعجز العقل وركن الى ما ارتآهُ العقلاء في هذا الشان ولو تعهَّدنا فعالهم وجمعنا اقوالهم لأتينـا بحُجَج تملأُ الكتب المنضَّدة على اننا كثيرًا ما نستدل الاستدلال الدامغ على الوجودات وبعدئذٍ لا نرى ادنى مرشد يرشدنا الى فقه الكيفيَّات. وفي ذلك لربّك حكمة سامية كما مرَّ بك. اليك ما قالهُ في هذا المقام « جان جاك روُسو » نفسهُ:

«كلما طال تأمـلي في طبيعة الله كلَّ فهمي ايَّاه. على انَّ الله لا محالة موجود وذلك يكفيني. وكلَّما قلَّ فهمي وبان عجزي يزداد تعبُّدي لله وسجودي لهُ فأهتف من صميم القلب قائلًا: ياكون الكائنات أَجـل ما كنت وُجِدتُ انا لو لم تكن انت موجودًا. وما من امر يبان في عيني اشدّ صوابًا من ان أتضع واتلاشى أمام عظمتك»

تلك هي النتيجة اللازمة الصادقة التي يجب ان تصدر عن تحقق عجز الفهم البشري: صرفُ الانسان عن سبل الغي والصَّلف وحملهُ على أنهُ يتعبَّد لمعبودهِ ويعنو لوجهِ ربهِ. ولله البُرعي اذ قال وقولهُ يزري بالدرر:

هو اولٌ هو آخرٌ هو ظاهر ... هو باطن ليس العيون تراهُ
حجبتهُ أسرار الجلال فدونهُ ... تَقِفُ الظنونُ وتخرس الافواهُ

هذا هو الاقرار بعجز العقل عن فهم البارئ تعالى. واليك ما قالهُ في يقين معرفتنا انهُ عزَّ وجل موجود:

شهدتْ غرائبُ صُنعهِ بوجودهِ ... لولاهُ ما شهـدتْ بهِ لولاهُ
سَلْ عنهُ داراتِ الوجود فانها ... تدعـوهُ معبودًا لهُ ربَّاهُ

ثم يشير الشاعر الى ما ينجم عن هذا عدم الفهم ويقين المعرفة من حسن النتيجة:

واليهِ أذعنتِ العقولُ فآمنت ... بالغَيبِ تؤثرُ حُبَّهـا ايَّاهُ
سُبحان من عَنَت الوجوه لوجههِ ... ولهُ سجدْنَ واوجهٌ وجبـاهُ
طوعًا وكرهًا خاضعـين لعزهِ ... ولهُ عليهـا الطوعُ والإكراهُ

(ستأتي البقية)

نظر في محاسن حلب واثارها وتجارتها

للاب بولس جوون اليسوعي (تابع لما سبق)

٣

لمَّا كان موقع الشهباء في مفرق الطرق التي لم يرَ قدماء الفاتحين بدًّا من اجتيازها استلفتت اليها ابصار اصحاب الغزوات سواء زحفوا بجيوشهم من مصر والشام الى بلاد ما بين النهرين او قدموا من بابل ليشنُّوا الغارات على الشعوب المتاخمة للبحر المتوسط وعليهِ فانَّ تاريخ حلب منذ امد مديد يشهد بتقلُّب احوالها وانتقالها من دولة الى دولة حتَّى صارت الى سلاطين آل عثمان المظفَّرين

وعُرفت حلب في ايَّام السلوقيين باسمٍ اشتُقَّ من لغة المقدونيّين وهو « بيرية » (Βεροια) لقَّبها بهِ سلوقوس نيقاطور اوَّل ملوك الشام من اليونان لما فتحها (سنة ٣١٢ ق م) وجدَّد بناءها وجعلها مدينة منيعة تقوى على قمع طغيان اعدائهِ وقد جاء شاهد في الاسفار الكريمة على حصانتها . وهو ذكر بُرج مُرتفع كان علوُّهُ خمسين ذراعًا بهِ قُتِل مَنلاوس خَصم يهوذا المكابيّ (سفر المكابيين الثاني ف ١٣ ع ٤—٥)

ثم صارت حلب بعدئذٍ بحوزة الرومان في عهد بمبيُّوس وكانت السيادة في ذلك الوقت لقنسرين تمرُّ عليها القوافل ذهابًا وايابًا واماَّ حلب فكانت لاحقة بمنبج متخلِّقة باخلاقها متديّنة بدينها عابدةً لاصنامها . ودخلها اليهود قبل المسيح بزمن قليل وكثروا فيها حتَّى صارت من حواضرهم . ولمَّا انبجست عيون التعاليم المسيحية وجرت في جميع اقطار العالم نالت حلب حظَّها من زلال مياه الدين النصرانيّ . وجاء في تقليد الكنيسة اليونانية انَّ القديس تيمون احد الشمامسة السبعة المذكورين في سفر الاعمال بشَّر الانجيل في حلب ثم انتقل منها الى بُصرى في حوران . وكانت اسقفيَّة حلب متعلقة بكرسيّ انطاكية وفيها التأم مجمع من الاساقفة في اواسط القرن الخامس

وكانت القديسة هيلانة امّ قسطنطين الكبير لمَّا قدمت الى الشرق اجتازت بحلب وتركت فيها آثارًا من جودها وكرمها فانَّها عمَّرت كنيسة واسعة الفناء محكمة

الاتقان وفي مكانها بُني الجامع الكبير الذي يعرف بجامع زكريّاء. ومن اعمالها المشكورة انّها جدَّدت القناة التي بها تجري المياه من حيلان كما مرَّ

ثمَّ اخذت حلب تنمو وتزداد شأنًا حتّى فتحها اوَّلًا كسرى الاوَّل ملك العجم لمَّا زحف على انطاكية في عهد يُسطنيان ملك الروم. ثم عاد الفرس وفتحوها ثانيةً في زمان كسرى انوشروان واحرقوها سنة ٦١١ فلم يسلم منها الا القليل بهمَّة بطريرك انطاكية ميغاس (Mégas) الذي دفع عنها جيش الفرس بحسن سياستهِ ورفقهِ. ثم امر انوشروان بترميم اخربة حلب وتحصينها فرجعت الى ما كانت عليهِ سابقًا من النضارة

قال البلاذريّ: ولمَّا ظهرت دولة العرب سيَّر ابو عبيدة الى حلب جيشًا يقودهُ عياض بن غنم فصالحهُ اهلها وطلبوا الامان على انفسهم واولادهم وسور مدينتهم وكنائسهم ومنازلهم وقلعتهم فاجاب عياض الى طلبتهم

امَّا تاريخ حلب بعد الاسلام فلا يمكن حصرهُ في مقالة وجيزة كهذه لانَّهُ تعدَّدت على ملكها الدول الاسلامية متناوبةً في تدبيرها حتَّى صارت الشهباء من عواصم الشام وغلبت قِنِسرينَ ومنبج بارفاقها وسعة تجارتها وكثرة عدَّتها وعُددها. وممَّن أجدوا حلب عظمةً ورونقًا ملوك بني حمدان لاسيما سيف الدولة الذي خلَّد ابو الطيب المتنبيْ بشعرهِ ذكرَ غزواتهِ وحروبهِ مع الروم. ثمَّ توالى عليها ملوك بني سلجوق (من ١٠٩٠ الى ١١١٧ م) ثمَّ ملوك بني أرتق اصحاب ماردين (١١١٧ — ١١٢٦) فملوك الموصل. واستولى عليها مدَّةً الاسماعيليُّون ثمَّ السلاطين من بني أيوب (١١٨٣) فأعلوا منارها ورفعوا شانها وبقيت تحت سلطتهم الى سنة ١٢٥٨ فأخربها اذ ذاك المغول (مش ١: ٣٦٧) وقتلوا سكّانها بحدّ السيف ثم صارت في يد ملوك مصر الشراكسة حتَّى دخلها تيمورلنك بجيشهِ سنة ١٤٠٠ فعاث بها وجعل أبنيتها ردمًا. وفي آخر الامر احتلَّت ربوعها جيوش الدولة العليّة وخفقت فوقها اعلام السلاطين المعظَّمين من آل عثمان في عهد سليم خان الاوَّل سنة ١٥١٧

٤

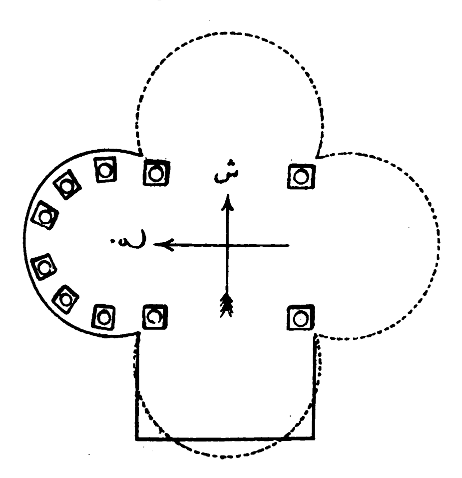
وان سألنا احدٌ تُرى ماذا ابقت لنا من الآثار كل هذه الدُّوَل التي تعاقبت بالملك على حلب نجيب ان من يستقري عاديَّات هذه المدينة يجد فيها ذكرًا لجميع هذه

الممالك الغابرة. وقد سبق لنا ذكر كتاباتها الحثّية (ص ١٧) المنبئة باستيلاء الحثيين عليها فلا حاجة الى التكرار

امّا اليونان والرومان فقد خلّفوا لنا من ولايتهم في حلب بعض الآثار منها بقايا أطلال ماثلة عند باب انطاكية يزينها نقوش ناتية مُحكَمة ولعلّها كانت سابقًا قوسًا اجتاز تحتهُ بعض الملوك المظفَّرين ولا مراء في انّهُ كان غايةً في الحسن ودقّة الصنع.

وعند باب النصر حائط فيهِ حجر كبيرة نُقرت فيها كتابة يونانيَّة وقد ادخلت في ضمن الحائط معكوسةً والحلبيُّون يزعمون انَّ من مسَّها زالت عنهُ ثآليل اصابعهِ

ومن الآثار الرومانيَّة بناية رُممت منذ زمن قليل موقعها في المدرسة المعروفة بالحلاوية وهذه المدرسة عبارة عن بناء مستطيل في صدرهِ قاعة مُقفَلة وفي وسط القاعة عَمَد قديم على هيئة قوس بازائهِ عمودان آخران وهذا بلا شكّ من عهد الرومان كان سابقًا على صورة صليب مستدير الاطراف كما ترى في الشكل وكان لاحقًا بالجامع الكبير المذكور آنفًا وهو قريبٌ منهُ



اثر روماني في المدرسة الحلاويَّة بحلب

ونظن انَّ القديسة هيلانة قد بنتهُ مع الكنيسة الكبرى المومأ اليها وجعلتهُ محلًّا للعماد (١. والدليل على ذلك ان المدرسة الحلاويَّة تُسمَّى ايضًا بالهيلانيــة ذكرًا لامّ قسطنطين الملك. والعمد المذكور من الرخام وفي رؤوسها نقوش تمثل ضروبًا من النبات تشبه نقوش قلعة سمعان. وهذه العواميد قليلة الارتفاع قد طُليت حديثًا بالالوان وبُني فوقها قبَّة

١) وفي كنائس رومة ابنية قديمة على هذا المثال كان يُعمَّد فيها المسيحيُّون

ولم نطّلع على غير هذا النزر القليل من آثار اليونان والرومان. اما مآثر الدُّول الاسلاميَّة في حلب فهي عديدة ولو لم تذهب بكثير منها طوارئ الزمان والحروب والزلازل لما تأخَّرت حلب عن غيرها من حواضر الاسلام كالقاهرة وبغداد ودمشق من حيث فنونها وصنائعها. ولاهل حلب في بنائهم خصوصاً طرائق بديعة احرزت لمدينتهم شهرة عُظمى ولا يخلو منهم الى يومنا هذا عَمَلة ماهرون لهم اليد الطولى في حُسن البناء. وفي ابنية الامير بشير في بيت الدين اشغال دقيقة تشهد للحلبيين بطول الباع في الزخرفة والنقش

ومن آثارهم عدَّة جوامع ومساجد يرتقي عهدها الى خمسمائة سنة ونيّف أجاد اصحابها في بنائها وهندامها منها جامع الاطروش في جنوبيّ القلعة فانَّك ترى فيهِ شغلًا بديعاً صبر بعضهُ على آفات الدهر وتولّى الخراب على باقيهِ. ومنها جامع البيَّادة في شمالي غربي القلعة وهو مشهور بنقوشهِ وكتاباتهِ. ومنها المارستان الذي على الطريق المؤدّية الى باب قنسرين لهُ مَدخل يزينهُ افاريز ونقوش في غاية الجمال. وباب قنسرين المذكور بدعة من بدائع الهندسة عليهِ خطوط وكتابات رائعة الحُسن. واذا اجتزت من هذا الباب وسرت شمالًا بميلةٍ الى الشرق بلغت مدافن البلد تجد بينها قبورًا محكمة العمل وهناك ايضاً مساجد حسنة. وكان للمدينة سور حصين بقي اكثرهُ وتهدَّم بعضهُ ولهذا الصور عشرة ابواب ويحيط بهِ خندقٌ عظيم. ولم تزل الى يومنا صورة الاسد وهو شعار الملك الظاهر بيبرس منقوشةً في جوانبهِ كما نُقشت في القلعة

٥

بقي علينا ان نذكر شيئاً عن تجارة حلب وذلك نقلًا عن قوم لهم فيها اليد الطولى منهم المسيو پوخر (G. Pocher) الذي تكرَّم علينا بالافادات المفصَّلة في ذلك

قد سبق لنا القول انَّ موقع الشهباء على ممرّ القوافل الناقلة لأرفاق آسية من الشرق الى الغرب ومن سواحل الشام الى البلاد النائية عن البحر. فصارت في القرون الغابرة جامعة لخيرات اقطار شتَّى وامصار قصوى تأتيها السلع الثمينة من العجم والهند كاصناف الانسجة والحرير والحجارة الكريمة ولؤلؤ البحرين وهلمَّ جرًّا. ولم تزل على هذه الحال من الثروة والغنى حتَّى تمكَّن الاوربيون في اواخر القرن الخامس عشر من الوصول الى الشرق الاقصى مبحرين على طريق رأس الرجاء الصالح جنوبيّ افريقية

فخمدت الحركة التجاريَّة في حلب بعض الخمود وعدلت الشركات الاوربيَّة من الانكليز والنمسويين والبنادقة والفرنسويين والهولنديين عن السُّكنى فيها لترويج متجرهم

الا انَّ الضربة اللازبة التي دُهمت بها تجارة حلب كانت في السنة ١٨٦٨ عند فتح ترعة سويس. وذلك انَّ حلب بعد ان شرعت السفن الاوربيَّة تمخر عباب البحر دائرةً حول افريقية لم تكُ تفقد سوى قسم من تجارتها مع البلاد القاصية كالصين والهند والعجم لكنَّها كانت تنتفع بمرافق ارمينية وسوريَّة المتوسطة وبلاد ما بين النهرين والعراق وبعض اقطار فارس. وكانت القوافل لم تنفكّ عن سيرها الحثيث فتأتيها بجانب كبير من الانسجة والصوف والعفص والصمغ والبذور. وبها كانت تُباع الطنافس الفارسيَّة الغالية الثمن والشالات والثياب المطرَّزة والطيالسة المدبَّجة بالاقصاب والاقمشة المُعلَمة والاخوام المصبوغة. وكثيرًا ما كان يبلغ عدد الابل الناقلة لكل هذه المتاجر ٥٠٠٠ ونيفًا

ولكن ما كاد ينتهي دي لسبس من فتح ترعة سويس فجمع البحرين المتوسط والقلزم (الاحمر) حتَّى صارت تجارة الموصل وبغداد وسائر العراق تجري على دجلة فشط العرب فبحر العجم وتبلغ بعد بضعة اسابيع الى اقصى بلاد العرب فكسدت بذلك تجارة حلب وهبطت هبوطًا عظيمًا

غير انَّ الله اتاح لحلب والاقطار المجاورة لها طرقًا جديدة للمعاش وذلك انَّ كثيرًا من القبائل التي كانت من ذي قبل ترتزق بالسلب والنهب ركنت الى السكينة بهمة الدولة العليَّة فعاد الامان لقسم كبير من تلك البراري المخصبة الواقعة في شمالي شرقيّ حلب فراجت فيها الفلاحة وزكا الزرع فاستحسن الاوربيُّون خصوصًا اهل ايطالية هذه الحنطة لعمل المعجونات كالمعكروني وغيرهِ وابتاعوها فضلًا عمَّا سواها. ثم جعل كثير من الاهلين يُعنَون بتوفير المواشي ورعي القطعان فتوفَّرت الاصواف وكثر مبيع السَّمن ونال البعض بذلك ثروةً طائلة. ولا شك انَّ مفازات ضفَّتي الفرات طيِّبة التربة فلو اصلحها اصحابُها وعالجوها على طريقة الاوربيين المحدثة في الفلاحة لزاد خصبُها زيادةً عجيبة وأغنت سكَّان تلك البلاد. كيف لا وهي التي كانت في ايَّام ملوك بابل تغلُّ المئتين بدل الواحد كما يشهد بذلك هيرودوت المؤرخ

وممَّا يتاجر بهِ اهل حلب في زماننا عرق السُّوس يربح منهُ التجار في كل سنة مليونَي فرنك ونصفًا يبيعونهُ خصوصًا للاميركيين. وكان الاهلون منذ اعوام قليلة يقتلعون هذه العروق ويعدُّونها آفةً لارضهم فاضحت اليوم من اكبر وسائل معاشهم

ومن ضروب الغلَّات التي يتاجر بها الحلبيُّون البذور باصنافها كالقمح والشعير والسمسم والذُّرَة والعدس والحمص. ومنها التوابل والافاويه كالجوز واللوز ولاسيما الفستق المشهور والاثمار المجفَّفة كالزبيب والتين والاجَّاص والمشمش. واكثر هذه الغلاَّت من بساتينها التي تبلغ نحو ٤٠٠ عدًّا يسقيها نهر القُوَيق الذي دعاهُ المؤرخ كزينوفون «خالُس». ومن وجوه متاجراتها ايضًا الشَّمع والجلود والصموغ كالكثيراء (Adragante) والمحمودة (Scammonée) والتبغ والقنَّب والخروع. ومنها السَّمن والزيت والصابون يصطنعونهُ بزيتهم فيبيعونهُ الا انَّ اهل كلِّس وعينتاب وانطاكية وادلب تزاحم الآن حلب في الصابون ولكلها مصابن حسنة

ومن البضائع الصادرة من حلب للجهات نحو ٢٠,٠٠٠ بالة من الصوف ومن ١٠,٠٠٠ الى ١٢,٠٠٠ بالة من القطن ونحو ٣٠٠٠ بالة من العفص

امَّا الانسجة فقد اقتصر اهل حلب على صُنع المنسوجات الحريريَّة والغزليَّة لا يحيكون غيرها ولكن هذه التجارة لم تعد تربح الَّا النزر القليل منذ شرع اهل عينتاب ينسجون على طرازها ويبيعون انسجتهم بثمن أبخس من الانسجة الحلبيَّة. وكذلك كسدت سوق الصباغة منذ وردت حلب صبوغ الأَلِيزارين (Alizarine) فلم يَعُد رواج للنيل والأَنيلين

امَّا الواردات التي ترسل الى حلب من البلاد الاجنبية فكثيرة نخصُّ بالذكر منها السُّكَّر واصناف الحبوب والبذور كالبهار والبنّ ومنها ضروب الانسجة الاوربيَّة والاقمشة المستعملة لصنع الازياء الجديدة

وكثير من المعادن كالرصاص والحديد والنحاس والتنك المصفَّح والزجاج والاجواخ وانسجة ليون وسويسرة وايطالية الحريريَّة. والقرمز والنيل وهلمَّ جرًّا

ويبقى لحلب واهلها املٌ حسن في المستقبل فاذا مُدَّت الاسلاك الحديديَّة بينها وبين العراق والهند ثم اتَّصلت بساحل بحر الشام سيعود اليها مقامُها القديم وشأنها العظيم. والله قادر على احياء الرمم يرفع منزلة البلاد ان شاء ويهبط بها الى قعر



الذلّ اذا لم يُرد لها خيرًا

ويؤيد املهم نموّ عدد السكّان في حلب في هذه السنوات المنصرمة. وقد وجدنا في تقويمها (السالنامة) الاخير انّ عدد اهلها يبلغ ١٠٨,٠٨٦ منهم ٧٦,١٢٨ مسلماً و ٨٠٤٢ روماً كاثوليكيًا و ٣٩٧٦ ارمنيًا كاثوليكيًا و ٢٦١٧ سريانيـاً و ١٩٩٥ مارونيًا و ٣٥٣ لاتينيًا و ١٦٢ كلدانيًا والباقي يهود وبروتستان واجانب

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

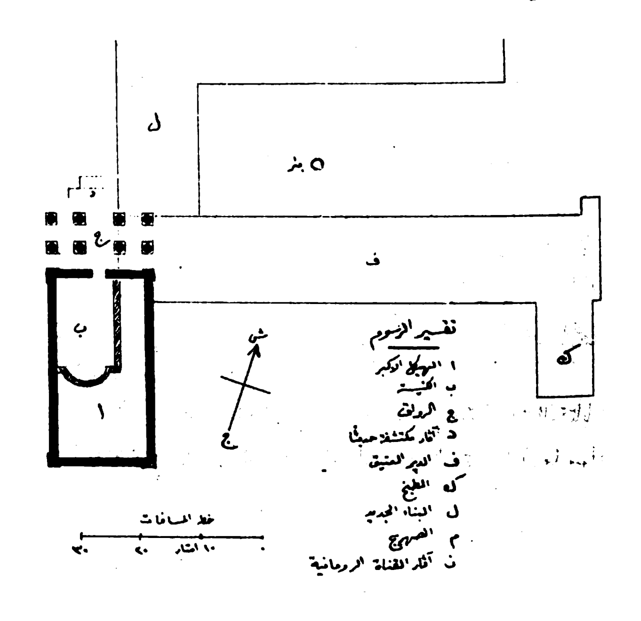
٤ تابع دير القلعة

بيّنا في ما سبق انّ الاله المعبود في دير القلعة كان اسمهُ بعل مرقد. فلمّا استولى الرومان على الشام أدرجوا هذا الاله الفينيقيّ في مصفّ آلهتهم بل اعتبروهُ كأنهُ هو معبودهم الكبير «المشتري» لا يفرقهُ عنهُ الّا اسمُهُ فشيّدوا لهُ ذلك الهيكل العظيم الذي حجّهُ السوريون والرومان معًا. والكتابات اللاتينيَّة التي فيها ذكر «المشتري بعل مرقد» كثيرة. وكان اهل بيروت المدعوَّة في ذلك العصر «المستعمرة جوليـا اوغستا السعيدة» يقيمون فيهِ انصابًا لملوك رومة من جملة ذلك نصبٌ للقيصر ادريانُس استُخرج محطّمًا من تحت الردم منـذ سنة بنيّف قليل اسعدنا الحظّ على قراءة مضمونها كما يأتي (١):

[Imp.]CAESARI DIVI	[للامبراطور] القيصر الالهيّ
[Tr]AIANI PARTHICI FIL(io)	وابن [طر]ايانس القرثي الالهيّ
DIVI NERV(æ nepoti)	ونسيب نرڤا
TRAIANO HADRIANO AV(gusto)	الطرايانس ادريانس اوغستس
PONTIFI(ci) MAX(imo) TRIB(unitia)	الحبر الاعظم بسلطة ممثّلي الشعب
POT(estate) - COS III P(ater) P(atriæ)	قنصل للمرّة الثالثة اب الوطن
COL(onia) IVL(ia) AVG(usta) FEL(ix)	المستعمرة يوليا اوغستا السعيدة
B(erytus)	بيروت

١) وقد وضعنا بين معكّفين ما يُقتضى زيادتهُ

ولمَّا عدنا الى بيروت فرحين لاكتشافنا هذا وجدنا في مجموع كتابات وادِ نهر الكلب نقتون (عدد ١٨٤١) في جملة آثار بيروت كتابةً تشبه كتابتنا المذكورة كلَّ الشَّبه كأنها هي الّا في تتمّة الالفاظ المقتصرة. فاخذنا من ذلك العجبُ كيف اتَّصل وادنغتون وبعده دوناتي واورلّي الى هذه الكتابة مع انَّها حديثة الاكتشاف كما قلنا. ولعلَّ اهل بيروت رسموا منها نسختين في وقت واحد



رسم هيكل البعل في دير القلعة

وكانت المرتبة الاولى في هيكل دير القلعة بعد المشتري بعل مرقد للإلٰهة «جونون الملكة» (١ وكانت تُعدّ زوجةً للاله وشريكتهُ في جلال عزَّتهِ. ونرجّح كون جونون

١) هذه ترجمة اللفظة اللاتينيَّة (regina) ويجوز ترجمتها بالبَعْلَة وقد ورد ذكر هذه الإلٰهة في اسفار الانبياء باسم «ملكة السماء» (ارمياء ٧: ١٨ الخ). وكان للرومان في جبل ترپيوس هيكل باسم هذه «إلٰهة السماء العذراء» شاعت عبادتها بعد حرب رومية مع قرطجنّة



هذه هي الالهة الساميَّة بعلة عشتروت وحَّدها الرومان بالهتهم جونون. وكان عَبَدُتها يأتون هيكل دير القلعة يستشفعون بحمايتها ويستفتون كهنتها كما يُستدلّ على ذلك من بعض الكتابات التي نشرها كلرمون غانو (في كتابهِ العاديَّات الشرقيَّة ص ١٠٧) وفي دير القلعة كتابات عديدة لاتينيَّة تتضمَّن تقادم ونذورًا من قبل الأهلين لهذه الالهة. من ذلك ثلاث كتابات نقشها جنديّ رومانيّ يُدعى «غايوس يوليوس مكسيموس» نشر منها العلاَّمة كلرمون غانو اثنتَين (ص ١٠٧ و ١١٠) ووجدنا الثالثة في جنينة الخواجا الفنس نقَّاش في بيت مري. وهي مكتوبة على حجر كُسرت قطعتين فحواها: «انَّ الجندي المذكور يُبرز نَذرهُ للالهة جونون بطيب قلب»

ومن عادة القدماء انَّهم كانوا يكرّمون في الهيكل الواحد عدَّة آلهة. مثال ذلك انَّ دير القلعة كان إلهها وسيِّدها الاعظم(١ بعل مرقد ثمَّ الالهة جونون كما مرَّ. وترى معهما ذكر آلهةٍ اخرى وممَّا وجدنا في جنينة المسيو الفنس نقَّاش قطعتين من كتابة طبع كلرمون غانو قسمها الاخير (٢ اما القسم الاوَّل فاستخرج حديثًا من الاطلال لم يُنشر بعدُ بالطبع وهذه الكتابة عبارة عن تقدمة قدَّمها شخص يدعى مرقس سَنتيس للمشتري اله بعلبك

وممَّا نحبُّ استلفات النظر اليهِ انَّ أخربة دير القلعة كثيرة الكتابات اللاتينيَّة. وهي كما لا يخفى على من لهُ ادنى إلمام بالعتائق نادرة جدًّا في ما سواها من الامكنة الشاميَّة. والسبب لذلك على ما نظنُّ انَّ من استعمر بيروت من الجنود الرومانيين (وكان منهم في بيروت فئتان الخامسة والثامنة) اتخذوا هذا المكان كمصيف يقضون فيهِ فصل القيظ كالمُثرين من اهل زماننا فتركوا ثمَّت آثارًا جمة تنبئ بسكناهم وتعبُّدهم لبعل مرقد. ولو حاولنا سَرْد هذه الآثار لطالت بنا المقالة طولًا مفرطًا واكثرها عبارة عن أعلام ليس في ذكرها كبير امرٍ لقرائنا. وترى بين هذه الاسماء ما خلا

وكان اهل قرطجنَّة يعتبرونها كإلهتهم العظمى. والرومان جعلوا عشتورت هذه وجونون الهةً واحدة عبدوا الاولى بصورة الثانية (راجع مجلَّة Acad. des Inscrip., Comptes-rendus 1898, p 475)

١) ونظنّ ان اسم القرية اشتُقّ من عبادة هذا الاله فدعيت لذلك «بت مري» من السريانيَّة ܒܝܬ ܡܪܝ اي بيت السيّد (البعل)

٢) في كتاب عاديَّاتهِ الشرقيَّة السابق ذكرهُ

الجند قوماً من اهل الحرف والصناعات ولا يخلو منها اسماء بعض الاشراف من اعيان الرومان في ذلك العصر

وغاية ما يمكننا قولهُ انهُ كان في جوار هيكل البعل عدَّة منازل لسدنة هذا المعبد وكهنتهِ ثمَّ للجُند الرومان واهل الثروة ولبعض العَمَلة. ولا نرانا نتجاوز الحقيقة لو قلنا انهُ كان حول دير القلعة قرية. يستدلُّ على ذلك بوجود معاصر قديمة ونواويس ضخمة منحوتة في الصخر. وكلُّ ذلك يشهد بان الناس جعلوا سكناهم في تلك الهضاب. اماَّ بيت مري فلم نسمع انَّ احدًا وجد فيها شيئًا من الآثار القديمة مع ان البناء فيها متواصل والحفر في الارض كثير

فمماَّ تقدَّم يسوغ لنا ان نستعيد بالفكر ونحيي بنظر الفهم حالة دير القلعة في القرن الثاني والثالث للمسيح فنقول انَّ تلك الرُّبى كانت تكلّل هامَها غاباتٌ وارفة الظلّ وكانت على منعطف ذلك الجبل اشجار باسقة الاغصان تحجب اشعَّة الشمس المتَّقدة وترطب بفيئها ذلك المقام النَّزه وكان الصنوبر يغلب عليها وقد بقي منهُ بعض البقايا

وكان لا بُدَّ لهذه الغابات مياه غزيرة تروي تُربتها وتنمي جذورها كما انَّ المياه كانت ضروريَّة لخدَمة الهيكل واهل القرية وللمئين من الحجَّاج والزوَّار ولغسل الذبائح. فسدًّا لهذه الحاجة الماسَّة استجلب القدماء المياه من العيون المجاورة. لاسيما من عين عَرْعر وراء بعبدات اصطنعوا لذلك قناةً محكمةً لا تزال بقاياها ظاهرةً الى يومنا هذا. وكان في ساحة الهيكل احواض واسعة تجري فيها المياه وتفور الفوَّارات على هيئات بديعة تروق النظر. ويشهد على ذلك كتابة يونانيَّة ورد فيها وصف انبوب قُدِّم للهيكل مصطنع في جزيرة رودس ليُجعل فوَّارة للماء (١

ففي وسط هذه البقعة الجميلة المنظر كان هيكلان عظيمان احدهما للبعل والآخر لجونون او عشتروت. وكان للاول رواق رحب الفناء يسندهُ ثمانية اعمدة ضخمة من الرخام البلدي (٢ وكان يصعد الى هذا الرواق بدرج يوازيهِ حُسناً وسعةً كما اعتاد ذلك

١) راجع مجلَّة العاديَّات سنة ١٨٤٦ ص ٨٠ . وكان اهل رودس يرسلون الى بيروت طُرفًا من صناعتهم لتباع فيها (راجع Comptes - rendus de l'Acad. Inscrip 1898, 522)

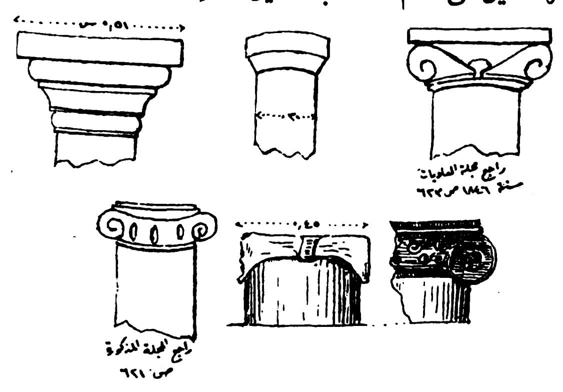
٢) وقد زعم رينان (Mission de Phénicie, p. 353) ان هذا الرخام هو الرخام المصريّ المجبَّب والصواب ما قلنا. وللمسيو رينان في وصف دير القلعة اغلاط لا يسعنا شرحها



الرومانُ في ابنيتهم. امَّا هيكل جونون فقد عبثت بهِ يد الحدثان حتَّى يصعب على علماء العاديَّات بيان رسمهِ وصورتهِ بل وموقعهِ ايضاً

وكان هيكل البعل في داخلهِ مزيَّناً بتمثال الإِله نُصب في كوَّةٍ على جانبيها العَمد من الرُّخام بشبه المظلَّة. وقد ورد في كتابات دير القلعة ذكر تماثيل أُخرَ ودُمىً لا نعلم أكانت في داخل البناء او في الرواق (١

امَّا طريقة هندسة الهيكل فان تعيينها ليس بسهل فانك ترى بين البقايا والاخربة ما يُشعر بالهندسة الكورنثيَّة والايونيَّة معاً كما ترى في الاشكال المختلفة الممثلة لبعض أَعمدة قد رسم نقوش أَكلَتها حضرة الاب رترقال وكان رافقني في هذه الرحلة ودقّق البحث عن آثار دير القلعة الَّا انَّهُ بقي مرتاباً في بيان صورة هندام الهيكل القديم. وانَّما قدَّر بعد فحص الاخربة الباقية الى يومنا هذا انَّ علوَّ البنساء كان يبلغ ٢٥ متراً. وذلك بلا مراء دليل على عظم هذا المعبد وجليل قدرهِ

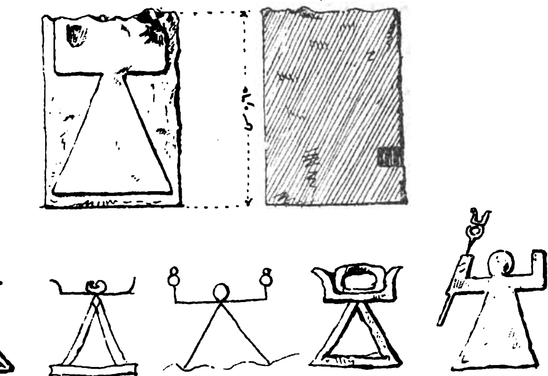


بقايا اعمدة دير القلعة واشكالها المختلفة

وكانت الاشجار تميس بافنانها حول هذه البنـايات بينما كانت الوف من الطيور تصدح فوق رؤوسها وتغرّد طربةً ومن جملتها الحمام البيض رمز الإِلهة عشتاروت كانت تحلّق في الهواء ثم تحطّ في اوكارها ساجعةً. وفي وسط الاشجار كانت تماثيـل عديدة منتصبةً على دكك مرتفعة وهي تمثّل اصناماً وأبطالاً وبينها مذابح للضحايا والمحرقات

١) راجع وادنغتون عدد ١٨٦٠ و ١٨٩٣

ثمَّ اهرام صغار ومنها حجارة مخروطة الشكل يعلوها شبه رأس ويتّصل بها شبهُ ذراعين قد اختلف العلماء في شرح معناها



صور المخروطات رمز عشتروت

والمرَّجح انَّها صورة « تانيت » معبودة اهل قرطجنة وهي عَشتروت نفسها وقد يراد بها ايضاً صورة بعل أُمون او اله الشمس من آلهة القرطجنيين ايضاً . وقد بقي من هذه المخروطات آثار في دير القلعة الى يومنا هذا واحداها تُرى امام كنيسة مار ساسين بين دير القلعة وبيت مري وهي التي تراها على وجهَيها في أعلى الشكل السابق

تلك كانت هيئة هذا المقام الخطير في القرن الثاني والثالث بعد المسيح فاذا زدت على ذلك حركة الزوَّار المتقاطرين الى هذه المعابد ترى ما كان لدير القلعة من الخطارة وعظم الشان

ولا بُدَّ لنا قبل الختام ان نذكر شيئاً عن المدافن التي كانت بقرب دير القلعة فانَّهُ قد وُجدت قبور كثيرة ففي شرقيّ الدير الحالي على بعد ٥٠٠ متر منهُ ترى خمسة نواويس غليظة العمل واذا انحدرتَ قليلاً وجدت عشرين ناووساً بقي منها اغطيتها على شكل جَمَلون فوقهُ قواعد تُدعى (acrotères) . واذا نزلت الى الجهة الجنوبيَّة بميلةٍ الى الشرق بلغت الى مغارة يدعوها الفلّاحون « مغارة الحبس » وهو غور طبيعيّ في الصخر عند حضيضهِ ليس بمتَّسع الَّا انَّهُ كافٍ لمدفن ثمانية اشخاص

امَّا العبادة الجارية في هذا الهيكل فلا نعلم من امرها شيئًا ولا نخالها كانت تختلف عن عبادة الفينيقيين المكروهة يغلب عليها الخلاعة والدعارة. وليس بمستبعد انَّهُ قدّمت هناك الضحايا البشريَّة من الاطفال للبَّعل كما جرى ذلك في غيرهِ من المعابد الشرقيَّة وشهدت عن صحتهِ التواريخ الراهنة. ولعلَّ هذه العوائد المنبئة بسوء دين اهل ذلك العصر هي التي حملت ملوك الروم المتنصِّرين على هدم هذا الهيكل كما فعل قسطنطين بهيكل أفقة لِما تقرَّر عن كهنتهِ الوثنيين من الاعمال الفاحشة فلم يجد سبيلًا الى قطع دابر هذه المنكرات الَّا بهدم المعبد المذكور

أخبار علمية

للاب لويس شيخو اليسوعي

قبر رومُلس أنبأنا البريد الاخير باكتشاف مُهمّ صار في رومية العُظمى. وذلك انَّ العَمَلة كان يحفرون في موقع ساحة البلد المعروفة عند قدماء الرومان بساحة الفُورم (forum) التي فيها كانت تُعقَد حفلاتُهم العموميَّة فعثروا على ضريح قديم ذهب علماء العاديَّات الى انَّهُ هو ضريح رُوملس مُنشئ رومية في القرن الثامن قبل المسيح. وكان هذا القبر مزارًا للرومان يكرّمونهُ في الساحة الكبرى من عاصمتهم وبقي على ذلك الى ان خربت المدينة في آخر الدولة الرومانيَّة لمَّا سطا عليها شعوب البرابرة. فاذا زالت الشُّبهة عن هذا الاكتشاف عُدَّ هذا الأثر كاقدم العاديَّات الرومانيَّة واعظمها شأنًا

تمثال من عمل ميكال أنج وُجدت في مجريط دُمية بديعة الصنعة تمثِّل النصف الاعلى من جسد السيِّد المسيح عيناهُ من اللازورد الكريم الثمن يُرجَّح انَّهُ لميكال أنج وقيل لدوناتلُو الفلورنسي وكلاهما من مشاهير النقَّاشين باعهُ من مكتشفهِ سفيرُ روسيَّة في اسبانية بمبلغ فاحش

كتاب خطّ لغاليلاي ذكرت مجلَّة «بسَّاريون» انَّ

الاب كوزَّا لوزي احد مناظري المكتبة الفاتيكانيَّة وجد كتاباً لغاليلاي الشهير مخطوطاً بيدهِ انتهى من كتابتهِ في سنة ١٦١٦ موضوعهُ المدّ والجزر وتأثير القمر فيهما . وما كاد يعلم قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر انَّ هذا الاثر الجليل وُجد بين مخطوطات الخزانة الفاتيكانية حتَّى امر بان يُنشر بالطبع بغاية ما يُمكن من الاتقان . وهذا الكتاب قد الَّفهُ غليلاي في أثناء حبسهِ بامر لجنة الكرادلة الموكَّلين بفحص دعواه وقدَّمهُ للكردينال أورسيني . فجاء هذا الاكتشاف كدليل جديد على انَّ الكنيسة لم تسيء الصنع الى غليلاي في زمن حبسهِ كما زعم البعض بل اطلقت لهُ الحرّيّة ليواصل تآليفهُ العلميَّة وانَّ غاية ما كان يتمنَّاهُ الكرسيّ الرسوليّ من الحجر عليهِ أن لا يتجاوز طورهُ فيبحث في امور الدين إذ ليس هو من اربابهِ

اشعَّة رنتجن — تعدَّدت في السنة المنصرمة الاختبارات لتعريف خواصّ هذه الاشعَّة المكتشفة حديثاً . وجعل الآن الاطبَّاء والجرَّاحون يلتجئون الى هذا النور للوقوف على الاجسام الغريبة الداخلة في بدن الانسان وتعيين محلّها قبل عمليَّاتهم فقد استخرجوا بهذه الواسطة الرصاص النافذ في الجرحى وإبرًا غارت في البدن وقطعاً من الحديد والمسكوكات ابتلعها الاطفال الى غير ذلك من الاعمال العجيبة في بابها التي لم تجرِ على خلَد احد من الاطباء قبل عشر سنين

وقد اختبر الكيمويّ الحاذق المسيو بونّيه (Bonnier) فعل اشعَّة رُنتجن في البزور النابتة فوجد انَّ النبات يزكو نامياً بسرعة غريبة اذا وقعت عليهِ هذه الاشعة

الفونندُسكوب — انَّ اشعَّة رُنتجن السابق ذكرها تخرق الاجسام الَّا انَّها لا تقوى على بيان الاعضاء الباطنة غير الصلبة كالقلب والرئة والمعدة والامعاء فانَّ هذه الاشعَّة تنفذ فيها دون ان تعرّف مكانها وصورتها وحجمها وذلك ممَّا لا غِنى عنهُ لتمريض بعض المرضى . فاخترع الدكتور بيانكي من معلّمي مدرسة پارمة آلة لسدّ هذا الخلَل دعاها « فونندُسكوب » اي معرفة الاعضاء الباطنة بالصوت . وهي عبارة عن صفيحة من المعدن المصمَت مستديرة الشكل في وسطها قَعرة فوقها جُلَيدَة رقيقة من الايبونيت (ébonite) ينفذ فيها الى القعرة المذكورة انبوبان من الكاوتشوك يوضع طرفاهما في اذنَيْ المختبر . وعلى الجليدة قضيب معدني ينتهي بزرّ من الايبونيت . فاذا اراد الطبيب ان يعرف محلّ عضو ما كالقلب مثلاً يضغط بالزرّ

المذكور جسم المريض بينما هو يفرك بابهامهِ ما حول الزرّ من اللحم فيسمع دويًّا عظيماً طالما تمسّ اصبَعُهُ القلبَ فاذا تجاوزت دائرة القلب بطل الصوت على بغتةٍ فيعلم بذلك محلّهُ وصورتهُ وحجمهُ تماماً. وقد بالغت الجرائد العلميَّة في وصف هذه الآلة البسيطة ومدح مخترعها

الاشجار الصافرة — بينما كان الجوَّالة شوينفرت (Schwein-furth) يطوف مجاهل افريقية واذا بصوت اشبه بصوت الزمَّارات فظنَّ انَّ قبيلةً من قبائل تلك البلاد مجتازةٌ بقرب طريقهِ. فلمَّا دام هذا الصوت مدَّةً ولم يرَ غريباً توجَّه الى الناحية التي منها بلغتهُ اصوات المزامير فوصل الى غابة كانت تهبُّ فيها الريح فيُسمع لهبوبها بين الاشجار صفيرٌ عظيم فاخذ يفحص عن سبب ذلك فرأى الاغصان منخورة نخرتها دوَيبات صغيرة لتمتصَّ لُبَّها. فسأَل عن الشجرة اصحاب تلك البلاد فقيل لهُ انَّها تدعى بالشجرة الصافرة وانَّ منها يسيل صمغٌ حسن يتاجر بهِ النخَّاسون من العرب يدعونهُ « غدارف » وهذا الصمغ هو الذي تستطعمهُ بعض الدويبات فتقتات بهِ وتنخر لذلك لبَّ الاغصان فتصبح كالمزمار اذا هبَّ الريح فيها سُمع لها صفير عن بُعد

الأَنفسَنتين — هو سائل جديد استخلصهُ الكيمويُّ الشهير غونتيار (Gonthier) من تقطير الافسنتين لهُ خواصٌ مختلفة عنهُ

آلة جديدة لتجهيز الاسيتيلين — قد مرَّ في المشرق (١: ٥٠١) انَّ الاسيتيلين من انسب الغازات للتنوير وأَرخصها ثمنًا الَّا انَّ في تهيئتـهِ اخطارًا لا بُدَّ من استدراكها ثم ذُكرت بعض الادوات المتَّخذة لتلافي الخطر. وقد افادتنا اليوم المجلَّات العلميَّات ان المسيو ف. اسكندر الفرنسي اصطنع آلةً جديدة يسهل نقلها ويسوغ استعمالها في المخادع الصغيرة دون خطر تفجُّر الغاز. وجهّزت هذه الآلة على طريقة يمتنع بها ضغط الاسيتيلين. ومن ضغطهِ كما مرَّ كان ينتج الخطر. وفي هذه الآلة الجديدة لا يحلَّل الغاز الَّا ساعة ايقادهِ فيُتلافى ايضاً الخطر المسبَّب من اكتنازهِ

الطبع على الالومينيوم — انَّ الطبع بالحجر والتوتيا (الزنك) كان بلغ في عصرنا كمالًا عجيباً فانَّ اكثر الكُتب المعدودة كتحفة نادرة بين المطبوعات قد طبعت رسومها على الحجر او الزنك. ولمَّا كثر الالومينيوم جعل ارباب الطبـاعة يختبرون هذا المعدن لخفَّتهِ عساهُ يقوم مقام الحجر والزنك فنجعت في العـام الماضي

اختبـاراتهم نجاحاً جاوز آمالهم. ولذلك يطلون صفائح الالومينيوم بمزيج من الماء الفسفوري فينتج من ذلك غشاء من فوسفات الالومينيوم الذي من شأنهِ ان يسهـل رسم الصور وضبطها والتدقيق في إحكامها

مناجم البـترول في غاليبولي قد وُجدت حديثاً بجوار غاليبولي مناجم يسيل منها غاز البترول والآمال وطيدة ان سيُنال منها ربحٌ كبير اذا جُمعت وصُفيت من موادّ غريبة مختلطة بها

شيخٌ شبع من الحيـاة توفّي في غرة الشهر المنصرم في دمشق الشام يونس اغا احد سراة الاكراد وشرفائهم ولهُ من العمر ١٣٥ سنة وقيل انَّ ذرّيتهُ لا تقلّ عن ٥١٦ نفساً بين اولاد وبنات وحفداء

احسن خارطة لمدغسكر قد رسمها الاب كولين اليسوعيّ متولّي المرصد الفلكي في تناناريف. وكان لعمل هذه الخارطة قد كابد اتعاباً لا تُحصى فجاء شغلهُ وافياً اثنت عليهِ الجمعيَّات الجغرافية وجازتهُ بجوائز سنيَّة. وقد اهدتهُ الحكومة الفرنسيَّة امتيازاً سامياً فادرجتهُ في عداد فرسان جوقة الشرف هو والاب رُبله رصيفهُ

ثقاب الكبريت في اليابان بلغت متاجرة اليابان بثقـاب الكبريت حدّاً لم تتجاوزهُ دولة اخرى ففي السنة المنصرمة قد اصطنع اهل اليـابان الفـا الف الف (ميلياران) علبة من الكبريت في كلّ منهـا ٦٠ ثقاباً فيبلغ عدد الثقاب ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ يرتزق من صنعها نحو ٨٠٠٠٠ عامل. وهي تبـاع بالبخس الاثمان

احصاء سكَّان روسيَّة افادت التقاويم الاخـيرة في روسيَّة انَّ سكَّان هذه الدولة الواسعـة يبلغون ١٢٩,٠٠٠,٠٠٠ منهم ٩٤,٠٠٠,٠٠٠ في اوربَّة والباقي في آسيَّة. والصين وحدها اكثر نفوساً من روسيَّة الا انَّ روسيَّة اوسع منها ارضاً لانَّ سعتها ٢١,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع وللصين نصف هذه المساحة فقط

قوس قزح قمريّ قد ذكر الرحَّالة البلجكي شَلتين (Chaltin) انَّهُ رأى بينما كان يسير ليـلاً على ضفَّة نهر الكنغو قوس قزح قمريّاً وكانت الليلة كثيرة البخار اماً الوان قوس قزح فكانت تظهر بنوعٍ جليّ الَّا انها كمدة غبراء. (نقول) انَّ هذا الخـبر قد تحقَّقناهُ بالعيان بينما كنَّا نقطع ليـلاً لبنان

قاصدين زحلة سنة ١٨٧٩ في اواخر تمّوز فرأينا ايضًا قوس قزح كما وصفهُ الرحّالة شلتين بالوانهِ السبعة مغبرَّةً فاخذ منا العجب عند معاينة هذا المنظر الغريب

مآثر مصر الزهراء — لمصر الزهراء خواصّ ومآثر جليلة سعى بتعدادها اعضاء المحفل العربيّ في مدرسة العائلة المقدسة للآباء اليسوعيين في القاهرة باثناء جلسة عقدوها في ٢٢ ك٢ وقد استندوا لبيان محاسن تلك الاقطار الى ثلاث شواهد تشهد لمصر بالمقام الرفيع بين البلاد. فالشاهدة الاولى صوتُ الطبيعة من نيلها وخيراتها الجمّة وجودة هوائها وآداب سكّانها. والشاهدة الثانية صوت العلوم كمدرسة الاسكندريّة الذائعة الصيت ومشاهير العلماء المصريين والجامع الازهر ومدارس مصر في القرن التاسع عشر. والشاهدة الثالثة صوت الدين كمُعتقدات قدماء المصريين والآثار الدينيَّة في القطر المصري بتوالي الايّام وكرور الادهار الى عهدنا. فكان لهذه الحفلة الادبيَّة احسن وقع في قلوب الحضور رفعت برؤُوسهم افتخارًا بمآثر بلادهم واضرمت في صدورهم الحبّ الحميم نحو وطنهم العزيز

معدَّل الوفَيات في السنة الماضية بالنسبة الى المدن — يؤْخذ من القائمة الاخيرة التي دُوّن فيها عدد الوفيات في مشاهير المدن انّ مدينة بمباي هي التي بلغت فيها الوفَيات اعظم مبلغ بالنسبة الى سكّانها فقد مات فيها ١٢٩ شخصًا في الالف (وذلك لاجل الوباء الذي فشا فيها) وكانت الوفيات بأَمستردام عاصمة هولندة بخلاف ذلك اقلّ عددًا من سواها فلم يمت من اهلها سوى ١٤ في الالف. وقد مات في القاهرة ٣٩ شخصًا في الالف وفي الاسكندريّة ٣٦ وفي بطرسبرج ٣٥ وفي رومية ٢٥ وفي ڤينّة ٢١ وفي باريس ٢٠ وفي نيويرك ١٩ وفي برلين وبركسل ١٦. فممّا تقدَّم يظهر انّ اقلّ البلاد بعدد الوفيات هي التي اشتهر سكّانها بالنظافة والعيشة المنتظمة

ساعات الولادة والوفاة — كتب المسيو راڤري (Raveri) في الجريدة الطبيَّة البريطانيَّة (British Medical Journal) انّ الوفيات اكثر ما تحدث من الساعة ٢ الى ٧ بعد الظهر واقلّ الساعات بعدد الوفيات من الساعة ٩ الى نصف الليل. امّا الولادات فاكبر معدَّلها في الساعات الاولى من الصباح واصغر معدَّلها في الساعات الاولى بعد الظهر. وقد اختبر ذلك في ٢٥,٤٧٤ وفاة و ٣٦,٥١٥ ولادة

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر طرف من شعر ناصر الدين الحسين

ولناصر الدين شعر مليح (١ منهُ قولهُ في اعبيه:

فَليسقكِ اللهُ يا أعبيهِ بهطّالِ — من الغمائم يروي ربعكِ البالي
وجادَهُ كلُّ يومٍ صوبُ غاديةٍ — حتّى يعودَ ثراهُ أخضرًا حالي
كم مرَّ لي فيهِ اوطارٌ وكم سُحبتْ — بالعزّ في ربعهِ المأنوس أذيالي
حتّى رمتني صروفُ الدهر عن غرَضٍ — وبُدّلتْ بشتاتٍ منهُ احوالي
وعدتُ ساكن بيروتٍ بلا سَنَدٍ — مجاورًا بحرها في اسوإِ الحالِ

وقال وقد نزل اقاربُهُ ليزوروهُ في بيروت:

هذا الحمى بقدومكم قد أشرقا — وتعطّر النادي بطيب المُلتقى
وديارنا قد انشدت فرحًا بكم — يا مرحبًا بقدوم جيران النُّقا

وقال عند توجّههِ الى الكرك يوصي ابنهُ صالح:

ايا ولدي يا صالحٌ عشتَ صالحًا — كمثل أسمك زينَ العشيرة والاهلِ
فان متُّ لم ارجع بعَلياء فاصطبرْ — ولا تُشمتِ الاعدا وكن ثابت العقلِ
وأوفِ ديوني يا بنيَّ جميعَها — وسُنَّ طريقي تحظَ بالشُّكر والفضلِ
وحاشاك ان تطفي لنوري فانني — اقمتُ منار البيت بالقول والفعلِ
وانت بعون اللهِ نِعم خليفةٌ — وتبقى لك الاولادُ حتّى يُرَوا مثلي
مشايخُ ادناهُم كبيرٌ موقّرٌ — صدور المعالي والمجالس والحَفلِ (34[٧])
فهذه وصاتي أيها الولد الذي — بها تستفيد الرُّشدَ في واضح السُّبلِ
فنحن جميعًا ذاهبون ونلتقي — باعمالنا في موقفِ العدل والفصلِ

---

١) في الابيات التالية تصحيف كثير ومعاني ركيكة فلم نثبت منها سوى ما امكن اصلاحهُ

وقال بعد ركوبهِ من اعبيه الى جهة الكرك في النوبة المذكورة (١ :

ودَّعتكم وفؤادي في وديعتكم رهنٌ وقلبي ولبّي انتمُ فيهِ
لا تمنعوا طيفكُمْ في النوم يطرقهُ (٢ لعلّهُ من سقام البعد يشفيهِ (55[r])
من الهموم التي باتت تؤرّقهُ لبعد خُلاَّنهِ او من يصافيهِ (٣
فلا صديق صدوقَ السرّ ذا كرمٍ يُعينهُ بالذي امسى يُعانيهِ
يحنُّ شوقًا اذا جنَّ الظلام وان ناحت مطوَّقةٌ في الصبح تُبكيهِ
وان يهبْ نسيمٌ من دياركمُ معطّرًا بشذاكم فهو يحكيهِ
مع التعلّل باللقيا ورؤيتكم مُناهُ بلّغهُ ربّي امانيهِ (55[v])

وقال وهو مقيم بالكرك يهنئ مقدَّم العساكر براس السنة ويطلب منهُ دستور الرحيل:

تهنَّأْ بعيدٍ قد اتانا مبشِّرًا بسعدٍ وإسعادٍ وعزٍّ واقبالِ
ودُمْ وابقَ اعوامًا كثيرة منعمًا وانتَ قرير العين بالاهل والمالِ
وأعطِ زكاةَ العامِ دستورَ مَن غدَوْا عرايا بلاءٍ قوتٍ بأسوإِ احوالِ
فهاك لهم شهران قد فارقوا الحمى ولا بُدَّ من عشرٍ لشدٍّ وترحالِ (56[r])
وموعدهم خمسون يومًا ليُصرَفوا ومثلك من يوفي بوعدٍ واقوالِ

وقال عند عودهِ من الكرك:

الحمدُ لله عاد الماء في العُودِ فيا لياليَ افراحي بهم عودي
عادت ولله حمدٌ دائمٌ ابدًا افراحُ عيشيَ اذ قد نات مُقصودي

ومن مديحهِ لملك الامراء تنكز نائب الشام :

يا ايها الناسُ من عُربٍ ومن عجمٍ أُدعوا بكلّ لسان صادقٍ وفمِ
أُدعوا لمن عمَّكم عدلًا بدولتهِ فاصبح الذئبُ مرعاهُ مع الغنمِ
العالِم العادلُ البرُّ التقيُّ ومَنْ في طاعة الله طولَ الليل لم ينمِ
حامي الثغور وفخر المسلمين ومن حوى المفاخر من حزمٍ ومن كرمِ
أضحى بتنكز ملك الشام مفتخرًا بهِ يتيهُ على الآفاق كالعلَمِ (56[v])

---

١) وردت هذه الابيات في تاريخ ابن سباط
٢) روى ابن سباط : يطرقني
٣) روى ابن سباط : التي جاءت مرادفةً . . . قوم يصافيهِ

من نورهِ اشرقت اقطارنا فغدت بريشةٍ من دياجي الظُلَمِ والظُلَمِ

وقال لمّا عمَّر سيف الدين تنكز البرج الصغير في بيروت وكُتبت الابيات على حائطهِ:

يا له معقلًا منيعًا رفيعًا ركنُهُ بالسُعود والاقبالِ

للمقرّ الشريف قد شيَّدوهُ سيفِ آل الكرام اشرف آلِ

بزمان السلطان ملك البرايا اعنيَ الناصرَ العديم المثالِ

زادهُ الله في الورى حُسن شأنٍ بنموٍّ ورفعةٍ وجلالِ

ولهُ ايضًا كتبها على باب الخان الذي انشأهُ تنكز ببيروت (١:

إنشاء ذي الخان بأمرِ الاشرف ألسيفِ تنكز سيّد النوّابِ

ملكٌ حوى العلياء بالسَعي الذي اعياهُ عن متقادم الأنسابِ

بيـاضُ عرضٍ واحمرارُ صوارمٍ وسوادُ نقعٍ واخضرارُ جنابِ (٢

لا زال منصورَ اللواء لبـأسهِ تعنو الملوكُ وتخضعُ الارقابُ (٣

والدولَة الغرَّا بفائضِ عدلهِ مشمولةٌ ابدًا على الاحقابِ

وبهِ يفوز المسلمون بنصرةٍ عزّت على الاعداءِ والطُلّابِ

والدين والدنيا بطولِ بقائهِ يتمتَّعان بزهو حُسن شبابِ

(البقية تأتي)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثامن

قلب الامّ

في ذات مساء بينما كانت الشمس قد اوشكت أن تغيب مرسلةً اشعَّتها الذهبية على قمم صنّين المتعمِّمة بالثلوج وكان البحر ازرق والجوّ صافيًا وحواشي السحب متلونة بالوان وردّية وبنفسجية والهضاب والوهاد تسطع لامعةً بما ينعكس عليها من الاشعَّة.

١) روى هذه الابيات ابن سباط في تاريخهِ ٢) في تاريخ ابن سباط: اخضر رحابِ

٣) كذا ورد بالاقواء. وجمع الرقبة المأنوس «رقاب» كما لا يخفى

وبينما كان الهواء نقيًّا والطيور تتراجع الى وكناتها والفعلة يعودون من اشغالهم والبنات والنساء يخرجن بجرارهنَّ الى العين لاجل الاستقاء . خرجت مريم كغيرها من بيتها الذي كانت تعدهُ فارغًا بعد مفارقة فاضل ايَّاها . نعم ان ابنتها وردة كانت باقيةً عندها تسلّيها ولكن قلب الوالدة يأبى ان يتقسَّم بل انهُ يحبّ كل ولد كما لو كان فريدًا ويفرح ويحزن من اجله ولا شيء يقوى على ان يصرفهُ عن ذلك . وعلى هذا فان مريم وجَّهت افكارها الى فاضل لا تزال تفكّر في ساعة انفصالهِ عنها يومَ فارقها قبل طلوع النهار راكبًا مع بعض الرفاق عربة قصدت بهم مدينة بيروت . وكانت هي اذ ذاك مقيمةً على عتبة البيت تشيّعهُ بدموعها وزفراتها الى ان أتت ابنتها وردة وسكّنت جأشها

ثمَّ ابصرت في اليوم التالي من بعيد سفينة خارجةً من ميناء بيروت فجزمت انَّها تقل ولدها . ولمَّا رأتها تتقلّب ذات اليمين وذات الشمال من جرَّاء العاصفة أخذ قلبها يرتجف خوفًا على ولدها . لكنَّ السفينة ما لبثت ان غابت عن أبصارها كما غابت العربة في الامس مخلِّفةً لها جزيل الهم والقلق

فمذ ذاك اليوم المشؤوم كانت مريم تصعد كلَّ صباح على هضبة تُشرف على البحر ومرسى بيروت لعلّها تستروح شيئًا من اخبار ابنها فاضل وكان يخال لها انَّ كلَّ مركب يأتيها بمكاتيبٍ من ابنها العزيز يعلمها بتمام صحّتهِ وبمكاسبهِ الطائلة في اميركة ولا شكَّ انَّهُ يضمّن في طيّ رسالتهِ الى امّهِ اوراق حوالة تشهد على ثروتهِ

واذا صار المساء وسمعت مريم بصوت العربة القادمة من بيروت كانت تسرع الى الحوذيّ وتطلب منهُ بإلحاح مكاتيب ابنها . وكان الحوذيّ يجيبها انَّهُ لم يجد مكتوبًا باسمها بين مكاتيب البريد فترجع تلك المسكينة الى بيتها صامتة قلقةً فتقوى عليها الاكدار وتلعن تلك الساعة التي بها سمحت لولدها بان ينفصل عنها ويركب الاخطار للحصول على اموالٍ باطلة يحول دون اكتسابها خرطُ القتاد

الَّا انَّ عامل الرجاء كان يعود فيسود على قلب مريم فتتصوَّر ابنها رجلًا غنيًّا مكرَّمًا لاجل ثروتهِ يقصدهُ الكبير والصغير اذا ما عاد من اميركة وهو يسكن في قصر شاهق بناهُ بذات جيبهِ

تلك كانت افكار مريم منذ نحو شهر يتنازعها تارةً الحزن فيستفزّها وتارةً
ـل فتعلّل نفسها بالاماني

ولكن لمّا رأت انّ الايام تمرّ عليها وانّ الاخبار لم تزل منقطعةً عنها زاد همها
ا ولم تعد تجد راحةً مع ما كانت ابنتها وردة تبذلهُ من السعي لتطمّن بالها
د بلبالها

وفي المساء الذي بلغنا اليهِ كانت نساء القرية قد خرجن وجرارهنّ على رؤوسهنّ
نين ماء من العين. فاخذ الحديث مأخذهُ بينهنّ حتّى علَت الجلَبة. واذا بمرتا وصلت
ا فقالت:

— أتعرفنَ ما اخبرتني بهِ ثريّا ؟

فتمدَّدت للحال الاعناق الى مرتا وصرخت الاصوات: وما الخبر ؟ وما الخبر ؟

— انّهُ خبر مهمّ أعلمتني بهِ ثريّا سرًّا وتوسّلت اليّ بألّا أذيعهُ

فما سمعتْ رفيقاتها باسم السرّ حتّى انتشرت الآذان وتفتّحت الاعين وكثر اللّغط
ألنَ مرتا بلجاج أنْ: بالله عليكِ اخبرينا ما جرى

وكانت مرتا في تلك الاثناء ساكتةً باسمةً كأنّها تبخل بسرها. الّا انّ السرّ
النساء عبء باهظ لا يجدنَ راحةً الا بافشائهِ. فقالت مرتا بعد قليل:

أتعرفنَ سفينة الكنغو ؟

— نعم هي السفينة التي ركبها ابن مريم فاضل منصور منذ شهر

— هي هي

— فماذا حدث لها ؟

— سمعتْ ثريّا زوجها يقول عند عودتهِ من بيروت انّ الكنغو تأخر ميعاد
ولهِ الى مرسيلية بيوم.

— والسبب ؟

— السبب النوء الهائل الذي حدث منذ اسبوعين

قالت منّة: هي العاصفة التي حدثت عندنا لمّا كسرت الريحُ ثلاث شجرات توت
ملكنا واقتلعت سنديان غبريل ونزلت الصاعقة على كنيسة مار شليطا فنفذت فيها
ات في ربعها كالسان حيّة الى ان ساخت في الارض وتوارت عن العين — ولكن



نرجوكِ يا مرتا ان تتممي حديثك وتفيدينا ما جرى للكنغو

— أصابها نوء عظيم كاد يغرقها وكانت الامواج تصدمها حتّى اتلفت قسماً من ادواتها واضطرَّ الربّان الى ان يرمي قسماً من شحن السفينة في البحر ليخفف عنها

— يا ستّار . وكيف شاع هذا الخبر ؟

— قد ورد لفرج الله عيراني من اهل بيروت كتاب من ابنهِ يخبرهُ بتفاصيل سفرهِ على سفينة الكنغو وهذه الرسالة قد قرأها زوج ثريّا في بيت الخواجا عيراني

فدارت للحال الالسنة واخذت كلّ امرأة تتحدّث في الامر وتبالغ فيهِ وتزيد ظروفاً جديدة . حتّى قطعت مرتا كلامهنَّ فقالت :

وفي الرسالة المذكورة غير ما رويتُ لكنَّ

— قولي قولي لا تخفي علينا شيئاً

— يُذكر فيها انَّ امرأة اسمها ساسون عبد النور من جُديدة . . .

— انا اعرفها رأيتها من سنتين في بيت ابيها في الجديدة فماذا كان من امرها ؟

— يُذكر انها ماتت

— ماتت ؟

— نعم ماتت من شدَّة اتعاب السَّفر وأُلقيت جثتها في البحر

— يا الله — يا مسكينة — يا منكوبة الحظّ — الله يرحمها ويساعد اولادها

— ولكن ارجوكنَّ الزمنَ السكوت فها امّ فاضل قادمة

وبينما كنَّ في هذا الحديث أتت مريم كمألوف عادتها لتملأ جرَّتها وابنتها وردة في اثرها . فلمَّا وصلت وانزلت جرَّتها عن رأسها حيَّتها النساء بالسلام فاجابت مريم على سلامهنَّ شاكرةً للطفهنَّ . فسألتها فريدة : هل ورد عليك خبر من فاضل ؟

— واحسرتاهُ لم اعلم بعد من اخبارهِ لا خيرًا ولا شرًّا وانا في قلق عظيم بسببهِ . .

قالت ذلك وتنهَّدت الصعداء ثم اطرقت صامتة بينما كانت عينا وردة متغرغرتين بالدموع

فسكت الجميع هنيهة ثم اخذن يتوشوشنَ بينهنَّ فسمعت مريم من كلامهنَّ ألفاظًا متقطِّعة ميَّزت بينها « كنغو . . . عاصفة . . . غرق » فاقشعرَّ بدنها ووقفَ شعرها فقالت : « ما لي اراكنَّ تتهامسنَ بينكنَّ . . أفتعلمنَ شيئًا عن ابني فاضل . . فناشدتكنَّ

الله ألا تبخلنَ عليَّ بالخبر الصحيح . أفيكون اصابهُ سوء في العاصفة الاخيرة التي هبَّت في البحر وفي كلّ لبنان . . ويلاهُ ما لك يا ولدي تركتني وعرَّضتَ بنفسكَ الى هذه الاهوال » . فجعلت رفيقات مريم يُفرخنَ رَوعها ويطمِّنَّ بالها . فأبت ان تقبل تعزية ولمَّا امتلأت جرَّتها رجعت وابنتها الى بيتها

فلمَّا غابت مريم عن العيان عادت النساء الى حديثهنَّ وجعلنَ يتلهَّفنَ على فاضل وامهِ واذا بصوت فرقعة السياط طرق الآذان . فصرخنَ جميعًا : وصلت العربة من بيروت ولم تزل العجلة تقترب بسيرها حتى بلغت العين ونزل الركَّاب . فحلَّقت المستقيات حولهم وتزاحمن يطلبن منهم الاخبار . فاخذ احدهم جريدة البشير وقال : « اسمعنَ الاخبار الاخيرة » . وجعل يقرأُ منها حتَّى وصل الى الاخبار الخارجيَّة وكان من جملتها نبذة منقولة عن جريدة من مرسيلية مضمونها « انَّ لبنانيًّا اسمهُ فاضل عند نزولهِ الى البلد تعقَّبهُ بعض الشطَّار وسلب منهُ دراهمهُ » . فصرخت مرتا : هذا فاضل بن مريم . وقالت أُخرى : فاضل رجل خبير لا يمكن ان يخدعهُ أحد . لعلَّهُ آخر . فقال الخوذي : لا تتخاصمنَ فانَّ معي كتابًا لمريم عليهِ طابع « بوردو » واظنُّهُ من فاضل فمنهُ يمكننا ان نقف على صحَّة الخبر

قال هذا واسرع الى بيت مريم ليعطيها الرسالة . وكانت هذه الامّ المسكينة عند رجوعها من العين القت بنفسها على حصيرة تذرف الدموع السخينة

فسمعت اذ ذاك طارقًا يطرق الباب ويدعوها باسمها فقامت من ساعتها وفتحت الباب . فما اعظم ما كانَ فرحها اذ عرفت كتابة ابنها وامكنها ان تقرأ مضمونهُ بهِ يعلمُها ابنها فاضل انَّهُ وصل الى بُوردو بالسلامة وانهُ على وشك السفر الى نيويورك واضعًا على الله ثقتهُ بالنجاح

فما طالعت مريم هذه الاسطر الوجيزة حتَّى تبدَّدت منها الاحزان وتهلَّل وجهها فرحًا ثم خرجت لتبشِّر بذلك جاراتها

وكانت المستقيات لمَّا عرفنَ انَّ مريم اتاها مكتوب من ابنها اسرعن الى دارها ليطَّلعنَ على اخبار فاضل ويهنئن امَّهُ بسلامته . فالتقين بها عند الباب وهي خارجة الى جاراتها فأعلمت الجميع بوصول ابنها سالمًا الى بوردو . وزادت على ذلك انَّهُ لا بدَّ الآن ان يكون وصل الى سان فرنسيسكو وباشر بالتجارة ولربَّما يأتيني منهُ صرَّة دراهم في البريد القادم



وبينما مريم تخبر بهذا الخبر المفرح نساء القرية اذ قدم على بغتةٍ جندي من جند لبنان راكبًا فرسهُ فلمّا صار بازاء باب البيت سأل الحضور: أليس هذا بيت مريم منصور؟

قالت مريم: نعم وماذا تريد منها ؟

— هذه بطاقة مرسلة باسمها

ثمَّ سلّمها غلافًا كبيرًا. فاستلمتهُ متحيّرة وطالعت عنوانهُ فاذا باسمها مكتوب عليهِ باحرف كبرى لم يمكنها الارتياب في انَّ الرسالة تعنيها

وكانت الجارات يحدقنَ بالنظر الى الكتابة والى الجندي الآتي بها. وهنَّ لا يشككن انها تتضمَّن سرًّا ما. فانتظرنَ بفروغ الصبر ليعلمنَ مضمونها

ففضَّت مريم الكتاب بسرعة وكان عليهِ ختم حكومة الجبل واذا بهِ مكتوب:

من بعبدات ١٨ ك١ — ١٨٩

« افادنا قنصل الولايات المتَّحدة في بيروت انَّهُ ورد عليهِ رسالة تلغرافيَّة من نيويورك هذا حرفها: انَّ المسمى فاضل منصور من قرية الوادي في لبنان الراكب سفينة « مدينة بوردو » وصل في ١٤ الجاري الى ميناء مدينتنا. ولمَّا لم يؤذن لهُ بالنزول الى البرّ بصفة كونهِ مهاجرًا فقيرًا استولى عليهِ اليأس فرمى بنفسهِ في البحر وغرق. والى الآن لم يوجد لقبرهِ من اثر فأعلموا اهلهُ بالخبر. . . »

فما انتهت مريم الى هذه الاسطر حتَّى سقطت مغشيًّا عليها فوق الحضيض كأنَّها أُصيبت بضربة صاعقة (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Abrégé de Géographie de la Palestine et de la Syrie
par l'Abbé Th. Vazeux

كتاب مختصر جغرافيَّة فلسطين وسوريَّة بالفرنسية

هذا كتاب كانت اليهِ مدارس بلادنا في حاجة ماسَّة ليقف الاحداث من السوريين على احوال وطنهم واكثرهم يجهلونها جهلًا مُطبقًا مع كونهم يعدُّون لك اوصاف الاقطار الاجنبيَّة لا يكاد يفوتهم منها شيء. فجاء هذا التأليف في وقتهِ لسدّ هذا الخلل

يرشد الطلبة الى معرفة اهمّ الامور المتعلّقة ببلدهم

ومن صفات هذا المختصر الحقيقة بالثناء وضوحهُ وحُسن نظامهِ وتنسيق اقسامهِ وسهولة عبارتهِ كما يُقتضى لتأليف الكتب المدرسية الّا ان طبعهُ سقيم

ولمّا كانت السبيل التي نهجها المؤلف وعرةً لم يسلكها قبلهُ احد فلا عجب ان شابت هذا الكتاب بعض شوائب يسهل تلافيها في طبعة ثانية او في المطوَّل الذي يُعدّ حضرة المؤلف نشرهُ

فمن ذلك اشياء لم يتحقَّق الكاتب صحّتها كقولهِ (ص ٣٣) انَّ الروم الملكيين يختلفون عن الروم الارثذكس بطاعتهم للمجمع الخلقيدونيّ . وقولهِ انَّ كرسي بطريرك السريان في حلب . وقولهِ (ص ١٠١) ان السلطان سليم خان الاوَّل بنى قلعةً في سنة ١٥٢٢ (وهو قد توفّي سنة ١٥٢٠) . وكفَرقهِ (ص ٩٨ و ١٢٠) بين بُصْرى وبصرى اسكي الشام وهما مدينة واحدة . وبين قبّ الياس (٨٨) وقرّ الياس (٨٩) . وما قرّ الياس الّا تصحيف . وكزعمهِ (ص ١٥) انَّ معنى لبنان جبل البخور

وممّا نأخذ على المؤلف ايضًا طريقتهُ لرسم الاعلام العربية باحرف اجنبيَّة فانهُ لم يتبع في ذلك قاعدةً يمكن بها الوقوف على اصلها . نعم انَّ صاحب الكتاب قد ألحق شغلهُ بفهرس هذه الاسماء وتدوين اصلها العربيّ لكنَّ هذا الفهرس قد شُوّه باغلاط جمة كجعل (بارا) بَرَح . والقرِيَّة (الكريي) . ومتخ (متك) . واربد (عربيد) . ونصيريَّة (نصيريس) . وهوشع (اصحا) . وهونين (حونين) . وبرعم (يريم) . ومعلولا (مالولا) . ونهر الاولى (نهر حوله) . وغينه (رحنه) . وروم قلعة (رمحالة) . وراس شكَّة (راس شكها) . ومنبج (مميبدج) . وبني صخر (بني صقر) الخ . وزد على ذلك اغلاط طبع كثيرة منها انَّ طول كرك نوح ٢١ مترًا والصواب ٣١ . وانَّ عدد اهل زحلة ١٦٠٠ والصواب ١٦٠٠٠ . وانَّ اللاتين في سوريَّة وفلسطين ١٥٠٠ والصواب ١٥٠٠٠ الف (بل ازيد من هذا) الخ

وهذه اغلاط يسهل اصلاحها كما قلنا ولا تمنع كثير محاسن هذا التأليف

رواية حسناء بيروت

[بقلم مؤلف « الكلام الحي »

دونك كتابًا يستوجب كلَّ ثناء نحضُّ محبّي الروايات الخياليَّة على مطالعتهِ لاسيما الفتيات اللواتي يتهافتنَ على قراءة الاقاصيص المختلَقة ولا تهافُت البعوض على السراج

على انّهنّ ربّما احترقنَ ايضاً كالبعوض بنار اهوائهـا العشقيّة . امّا هذه الرواية فقد بناها مؤلفها الجليل « على حادثة جرت في بلادنا السوريّة منذ بضع عشرة سنوات » فزادها بذلك حُسناً وظرافةً ثم كساها بطراز موشّى من انشائهِ السيّال فجاءت تامّة لفظاً ومعنىً . وقد استحسنّا بالخصوص ما حلّى بهِ المؤلف من المناقب السنيّة « حسناء بيروت » فانّها ولعمر الحقّ مثالٌ يجدر بكلّ الشابّات ان يقتدينَ بهِ

وممّا استحسنّاهُ في هذا الكتاب انّ مؤلفهُ جازاهُ الله خيرًا قد اودع فيهِ كثيرًا من المباحث التي تدور على ألسنة اهل بلادنا فيحكم فيها حكم البصير النقّاد . وفي الختام نشكر المؤلف الشكر الحميم لما اورد على لسان بعض اشخاص روايتهِ من الثناء على اليسوعيين واعمالهم ونتمنّى ان يقبل على مطالعة كتابهِ عدد غفير من القرّاء فيروّحوا بهِ الالباب ويجتنوا من تعاليمهِ اطيب الثمار لترويض الاخلاق وتحسين الآداب ه . ل

شذرات

فوائد زراعيّة واقتصاديّة

مزروع البطاطا في اوربّة بلغ مُجتنى البطاطا في السنين الماضية مبلغاً عظيماً يُستدلُّ بهِ على انّ اكلها شاع في كل انحاء اوربّة بل صار قواماً لمعاش اكثر سكانها . وكان لالمانية السبق في محصول البطاطا فقد جنى اهلها ٢٨٠ مليون قنطار منهـا . وجنت فرنسة ١٣٥ مليون قنطار وروسية ١١٣ مليونًا والنمسة ٨٣ وبريطانيَة ٥٧ وبلجكة ٤٦ وهنغارية ٣٠ وهولندة ٢٣ . . .

سولفات الحديد لهُ مفاعيل زراعيّة عديدة منها انّهُ اذا سُقيت بمزيجهِ بعض الزهور الحمراء كالهُرتَنسيا ازرقَّ لونُها . ومن فوائدهِ ان يُذرَّ على بعض النبات فيغذوهُ ويزيد في حجمهِ كالعنب والكمثرى (الخوخ) . ومنها انّهُ يميت الاعشاب الرديئة ويجففها دون ان يضرّ بالبقول الحرّة . بخلاف سولفات النحاس فانّهُ سامٌّ وخيم العُقبى اذا عولج بهِ النبات أفسدهُ

معادن الذهب والفضّة جاء في مجلّة المناجم انّ تعدين الذهب في السنة الماضية بلغ ٢٠٦٠٠٠ كيلوغرام وتعدين الفضّة ٤٤٧٧٥٩١ كيلوغراماً



ربحت منهما الولايات المتحدة ١٧٢ مليون فرنك واسترالية ١٢٧ مليونًا والروسية ١١٧ . .

تنظيف قناديل البترول اولى طريقة لذلك وأسهلها ان يؤخذ رماد الحطَب ناشفًا وتُدلك بهِ هذه القناديل مع أجهزتها فيتشرب الرمادُ زَنَخ المائع وتُصبح الآنية نظيفةً

تنظيف السّفنج اذا اتَّسخت السفنجة وفقدت لونها وحجمها الاول فخذ شيئًا من البورق وذرَّهُ على السفنجة بحيث يدخل الذرور في نوافذها ثم ضعها في وعاء وصبَّ عليها ماء حارًّا تنغطُ فيهِ فاذا فتر الماء اعصر السفنجة عصرًا قويًا ثم اغسلها بماء حارّ فيعود اليها حجمها ولونها الاول

تنظيف آنية الزجاج خذ لذلك مسامير ناعمة وخضخض بها الاناء المتّسخ فينظف سريعًا

اسئلة واجوبة

س سألنا جناب الاديب ابراهيم افندي يزبك مصحح المطبوعات في القدس هل للعرب تاريخ يذكرون فيهِ اخبار الارمن باسهاب

اخبار الارمن

ج كُتبتْ اقدم تواريخ الارمن باليونانيَّة ثمَّ بالارمنيَّة . امَّا اللغة العربية فليس فيها تاريخ خاصّ بالارمن وانَّما ورد في تآليف قدماء العرب شذرات متفرّقة تعرّف شيئًا من احوالهم لكنَّها لا تفي بالمقصود

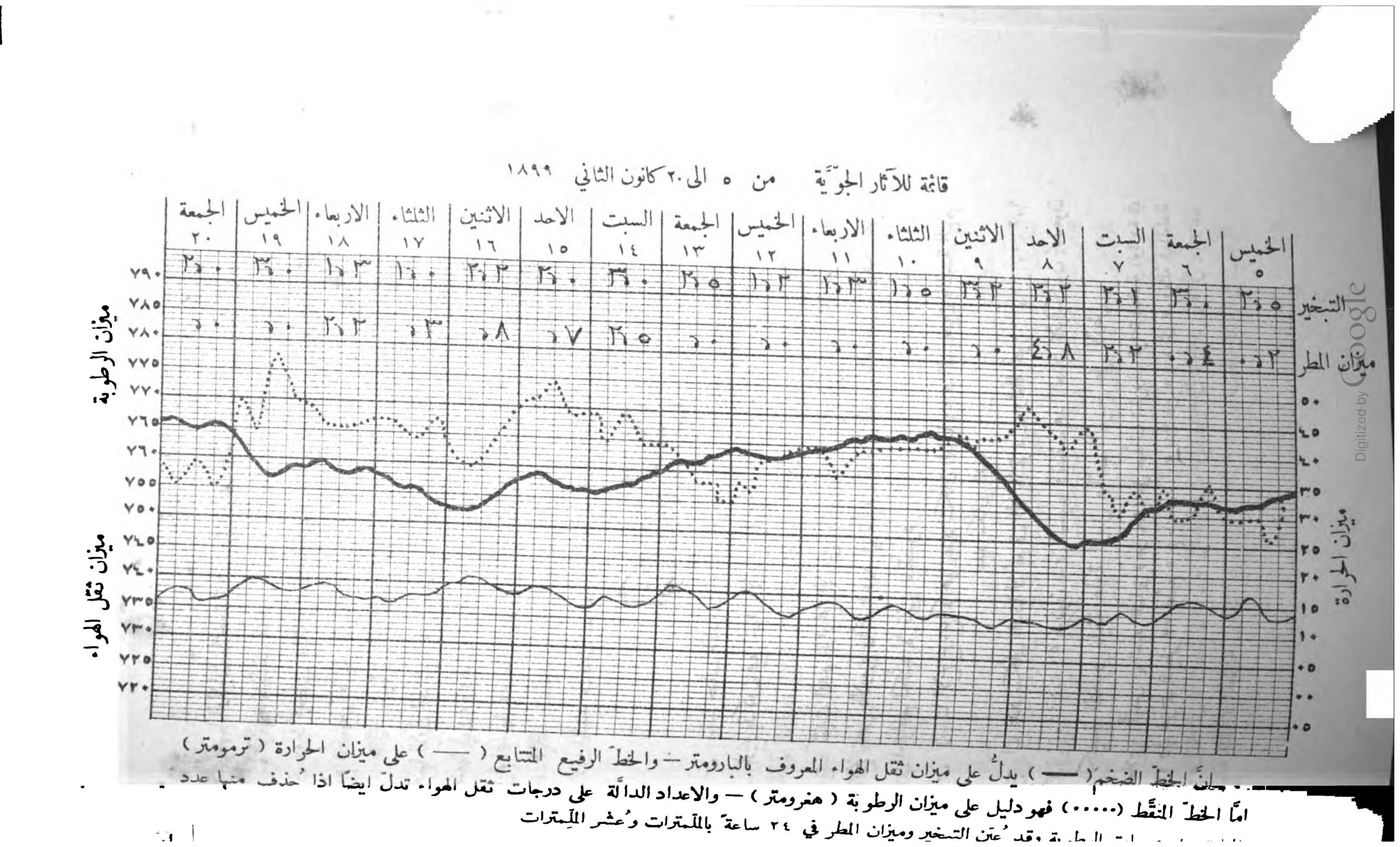
س وسألنا الاخ ج . ع كم هو عدد سكّان الدنيا وعدد المسيحيين بالنسبة اليهم

عدد سكّان الدنيا

ج انَّ عدد سكّان الدنيا لا يُعرف الا بالتقريب . ولعلَّهُ نحو ١,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ منها نحو ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ يدينون بدين المسيح ونصف هذا العدد كاثوليكيُّون يخضعون لرأس الكنيسة المنظور خليفة هامة الرسل ونائب المسيح على الارض

(اصلاح) ألتبس في العدد السابق (ص ٩٤) على صفّاف الحروف قراءة المعادلة الواردة في السطر ١٧ وفي جزءي السطر ٢٢ فطُبع « ع ط ش . . . » بدلًا عن « ٤ ط ش » . ومثلهُ في المعادلة النهائيَّة (ص ٩٤ س ١) : « ع ط » بدلًا عن « ٤ ط » . وليُبدل ايضًا (في ص ٩٤ س ١٤) لفظ « الشعاع » بلفظة « القطر »

قائمة للآثار الجوّيّة من ٥ الى ٢٠ كانون الثاني ١٨٩٩



انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر)
امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد
٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملِمترات

المشرق

استنهاض الهمّة من احد السادة الأئمّة

تلطّف سيادة المطران اثناسيوس اغناطيوس نوري رئيس اساقفة بغداد على السريان الجزيل الاحترام فارسل الينا رسالةً يمدح بها مسعانا وينشط قوانا فتلقّيناها بمزيد الشكر وحلّينا بها اول صفحات هذا العدد

حضرة محرّر مجلّة المشرق

نهدي اليكم البركة الرّسليّة والسلام بنعمة الرب يسوع

امّا بعد انّنا بعيد ان طالعنا اجزاء مجلّتكم الغرّاء المعروفة بالمشرق السنةَ الغابرة كلّها وألفيناها حتى اليوم قائمة على ساق من النجاح سالكة محجّة الثبات التي كانت انتهجتها في مبدإ صدورها لتعزيز الآداب ونشر العلوم والمعارف وتوطيد اركان الدين والمناضلة عن الحقّ لم نتمالك إرجاء الثناء على مشروعكم هذا الجليل اكثر من هذا الامد. فلذلك جئنا لكم بهذه العُجالة عساها تكون لكم من اقوى ذرائع التنشيط لتبذلوا ما اذّخرتم من الوسع المجهود سعياً منكم وراء خدمة العلم وتقويم شؤون البلدان وتنشير علَم العمران ولا سيّما انهاضاً لهمم الرجال المرتطمين في مهاوي الجهل التائهين في مهامهِ الغواية الذين يوطنون النفس بانقيادهم الى الاوهام المبرقعة واستنادهم الى المبادئ الفاسدة جهلًا منهم بان ثمّ كاساً مملوءة سمّاً ناقعاً يعلوهُ عسل يجرعونهُ فيعود عليهم بشرّ العاقبة. ولذا ترونا لم نعتِم عن انتهاز هذه الفرصة الشهيّة الجليلة فرصة افتتاح العام الجديد لنثني اولًا على حبّكم تعهّد معاهد المعارف وتفانيكم برفع منار الآداب ثم لنبدي ثانية لكم اشعارات فرحنا وعلائم سرورنا بنجاح مجلّتكم التي ذرّت شمس سناها في كلّ قطر ومصر. حتى غدت منهلًا صافي الموارد. يستقي من نمير معارفهِ الدينية والدنيويّة كل طارف وتالد. داعين لكم باستمرار نجاح المسعى وحسن الرجعى عاقدين حبال الأمل




على ان هذه المجلّة ستكون ذريعة لهداية الزائغين عن خطة الحقّ القويم وترساً منيعاً تجاه ارباب الاشياع الذين يوارون شرَر شرّهم وأُوام كفرهم تحت ستائر الخداع الموشّاة ليبلغوا مقصدهم الذميم فتبرد بذلك حناجرهم الملتغبة . هذا وفيما نسأل الحق بان يؤازر مساعيكم الخيريَّة ويكللها بغار النجاح ويُخفِف عنكم وطأة النَصَب وما تتجشَّمُون من التكاليف الباهظة في خدمة العلم واعلاء منار الحقّ والآداب . نستمطر عليكم آلاء الرب الفائضة ونقرؤكم السلام في حسن ختام . وطال بقاؤكم

✠ اثناسيوس اغناطيوس نوري

رئيس اساقفة بغداد على السريان

عن بغداد في ١٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٩

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رتزڤال اليسوعي

توطئة مصحّح الرسالة

قد رغب الينا كثيرون من قرّائنا الافاضل من مواطنينا والاجانب ان ننشر هذه المقالة المفيدة التي لم يُطبع منها الى هذه الغاية سوى نبذة وجيزة صدَّر بها المقتطف سنتهُ السادسة (١٨٨١) . فلبَّينا الى دعوتهم بطيبة خاطر ونحن لا نشكّ ان في طبع التآليف الموسيقية العربية قديمة كانت او حديثة خدمةً معتبرةً للعلم وانواع الفنون لاسيما في بلادنا الشرقية التي طالما انحطّ فيها فنّ الالحان الصحيح عن درجتهِ الاولى

ولا نقول هذا قصدَ المعاتبة بل على سبيل النصيحة ولئلاَّ يقال ان الغريب ادرى بما في البيت من اهلهِ . فبالحقيقة ليس تأليف ميخائيل مشاقة بمجهول عند ادباء اوربَّة وربما نبَّهوا لاهميَّتهِ قبل الشرقيين . فانهُ لم يمرّ على وضعهِ الَّا السنون القليلة حتى باشر سير إلي سميث بترجمتهِ الى الانكليزيَّة (١ . وعلى هذه الترجمة التي لم يتسنَّ لنا ان نطالعها

(١ راجع R. E. Smith : *Journal of the American Oriental Society*, Vol. I. Boston 1849)

اعتمد جميع الاوربيين الذين تجرَّدوا للبحث عن احوال الموسيقى العربية القديمة ومقابلتها بحالتها الحاضرة. نخصّ منهم بالذكر المسيو لَند الذي الَّف في الديوان العربي مقالة نفيسة (١ اصبحت موردًا يتردَّد اليهِ كل من يروم الوقوف على اصول الالحان العربية وفروعها. ونحن ايضاً اخذنا عنها عدة فوائد واشارات مهمَّة كما اننا اقتبسنا من انوار تأليف صنَّفهُ كوزغارتن في كتاب الموسيقى للفارابي (٢ ومن رسالة صفي الدين عبد المؤمن البغدادي التي اختصرها بالفرنسية الموسيو كارا دي ڤو (٣. ومن الخطاب الذي القاهُ في الموسيقى الشرقية حضرة الاب دون باريزو نزيل كليتنا سابقاً (٤ . فمن صميم الفؤاد نهنئهم جميعاً على ما ابدوهُ من دِقَّة البحث واتّساع العلم في هذا الميدان المتوعر

هذا واماَّ ما يختصّ بترجمة المؤلِف عموماً فلا يسمح لنا ضيق المكان ان نورد شيئاً منها (٥ . ففي ما كتبهُ مشاقة نفسه عن سبب وضعهِ الرسالة والمنهج الذي نهجهُ في تعلُّمِ الموسيقى كفايةٌ للغرض المقصود من نشر تأليفهِ

واما الطريقة التي سلكناها فهي اننا قابلنا بفرط الدقَّة والعناية بين نسختين الاولى نسخة محفوظة في مكتبتنا الشرقية مسخها ناسخها في بعض المواضع. والثانية نسخة حسنة تكرَّم حضرة الاب الفاضل الغيور الشيخ لويس الخوري فاطلعنا عليها فنخلص لحضرتهِ فروض الشكران الجميل

ثم أنَّنا تتميماً للفائدة ذيَّلنا نصّ صاحب الرسالة ببعض الحواشي والملاحظات وربَّما آخذناهُ على بعض الآراء والزاعم الغير الصحيحة واصلحنا بعض الاغلاط الحسابيَّة الى غير ذلك. فاذا اضطرتنا الحاجة الى وضع حواشٍ اطول الحقناها باواخر الفصول

وقبل المباشرة بنشر هذا التأليف الذي نتمنَّى ان يقع لدن قرائنا موقعاً حسناً

---

١) (عنوانها Land : *Recherches sur l' histoire de la Gamme arabe*, Leide 1884)

٢) Kosegarten : *Liber Cantilenarum*, 1840

٣) (راجع المجلَّة الاسيوية J. As. 1891² p. 279)

٤) (Dom Parisot : *Musique Orientale*, Paris 1898)

٥) ولد الدكتور ميخائيل مشاقة في رشميا في ٢٠ آذار سنة ١٨٠٠ وتوفي في ١٦ تموز ١٨٨٨ بدمشق

لا بدَّ من ايراد مسألتين لازالة بعض الشكوك ان امكن فنقول:

اولاً انهُ من المقرَّر الذي لا نزاع فيهِ ان تقسيم الديوان العربي الى اربعة وعشرين ربعًا لا أثر لهُ في كتب قدماء العرب كالفارابي وصفي الدين وغيرهما . فلما كان مشاقة اوَّل مَن دوَّن هذا التقسيم وشرحهُ واتى عليهِ بالبراهين الحسابية والهندسية زعم علماء اوربَّة انهُ هو الذي اخترعهُ لحسم اختلافات طرأت على فنّ الموسيقى الشامية في غرَّة عصرنا هذا . لكنَّ كلام المؤلف لا يؤيد قطّ مثل هذا الزعم بل يناقضهُ ويدحضهُ دحضًا . فانَّ مشاقة يقول في مواضع شتَّى من تصنيفهِ انهُ لم يبتدع شيئًا في طريقة معاصريهِ الَّا في ترتيب الالحان لتسهيل تناولها وانهُ اجرى مقالته على اصول اهل الصناعة ومألوف مذهبهم . فان وقف قرَّاؤُنا الكرام على برهانٍ ما من كتاب او تقليد يدعم صحَّة قول المؤلف أمحضنا لهم الشكر الحميم

ثانيًا ان الاب باريزو المارّ الذكر قد اثبت انَّ الرسالة الشهابية هي اليوم في البلاد الشامية مرجعٌ يُرجَع اليهِ في الصناعة الموسيقية اذ ان جميع اهلها يضبطون الحانهم بموجب مبادئها . فنسأل ادباء المشرق هل يجوز مثل هذا القول . وان صحَّ فما هي البراهين عليهِ . فاننا رأينا خلاف ذلك في بعض الاحيان . ولا نظن ان طريقة مشاقة تعمُّ كل المزاولين لفنّ الموسيقى في ديارنا . وكثيرًا ما سمعنا دواوين لا فرق بينها وبين الدواوين الاوربية من حيث اجزاء الابراج والارباع . وعلى كل حالٍ فالجواب على هذه المسألة لا يمكن لاحد الَّا بعد المجالسة الطويلة لاهل الصناعة والبحث الدقيق عن اعمالهم اللحنية . افلا يوجد بين قرَّائنا الكرام اديب عارف باحوال الموسيقى الوطنية يُطلعنا على حقيقة الامر

فمن تكرَّم فارسل الينا نبذة فنيَّة في هاتين المسألتين ادرجنا مقالتهُ في مجلتنا بشرط ان تكون ادلتها واضحة وبراهينها مقنعة . والله يُرشد الى الصواب

فاتحة الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل قانون الطرب ضلعًا من دائرة العلوم الادبيَّة . واخرج من عيدان الاصول ثمارًا ترتاض بها النفوس فتطاير اليها بجناح النخوة العربية . حمدًا يشنِّف السماع بهِ وزان الانغام المقابلة المتزَّهة عن المخالفة الزريَّة . يُفيض راحة الارواح على نادي العشَّاق في تلك الحاضرة الأُنسيَّة . فيُزلِفهم الى أَوج القرار التي لا يُسمع فيها جواب النَّوى ولا يحجزها ركبُ الحصار (١

امَّا بعد فانَّ فنَّ الطرب قد ضربتــه ايدي سبا في هذا العصر . وداست ابراجَهُ قدمُ العـدَم . حتى صارت العربان كالاستمرار تهيم بين نجد والعراق واصفهان والعجم . وما زال كذلك لا ينشدُ لهُ حزام . ولا يُعمر لهُ ديوان ولا مقــام . حتَّى أَوقفهُ الزمان بالحضرة الشهابيَّة . في بعض الديار الشاميَّة . فأَخذ بيدهِ صَدرُ تلك المجـالس . الاميرُ محمَّد فارس . وامر هذا العبد ان يُعيد ما درس من تلك الطلول . فامتثل امرَهُ بالاجابة والقَبول . لأَنَّها صناعة يُتوصَّــل بها الى رضى الله في تسبيحهِ كما أَمر نبيَّهُ داود عليهِ السلام . وقد اتَّخذتْ منها الاطباء تأْثيراتٍ طبيعيَّة لاسترداد صحَّة الاجسام . ومن ثمَّ خضتُ في محبــة هذا البحر الزاخر . طامعًا في ادراك قرارهِ فلم اقع لهُ على آخر . هذا مع علمي بنفسي انني لست من فرسان هذا الميدان . الذين سبقوا ونالوا قَصب الرهان . غير انني بتكرار البحث والمراجعة . قد تجلَّى عليَّ ما شاء الله من ذلك فوضعتُ هذه الرسالة الجامعة . وسمَّيتها بالرسالة الشهابية . في الصناعة الموسيقية . وقد رتبتها الى مقدَّمةٍ وبابين يشتملان على ثمانية عشر فصلًا . ثم اردفتهــا بخاتمةِ الكتاب . والله الهادي الى طريق الصواب

١) قد ورد في هذه المقدَّمة أَلفاز وكنايات عديدة اتخــذها المؤلف من اسماء الابراج والارباع وسيأْتي شرحهــا بالتفصيل

المقدمة

في حقيقة الموسيقى (١

الموسيقى احد العلوم الرياضية وفرعٌ من العلم الطبيعي . وهي صناعة يُبحث فيها عن احوال النغمة من جهة تأليفها اللذيذ والنافر (٢ . وعن احوال الازمنة المشتملة بين النغمات من جهة الطول والقصر . فعُلم انها تتمّ بجزءين . الاول علم التأليف وهو اللحن . والثاني علم الايقاع وهو المسمَّى بالاصول . والنغمة (٣ صوت يلبث زماناً على حدٍّ من الحدَّة والثقَل . واللحن ما تألف من نَغمات بعضها يعلو او يسفل عن بعض على نِسَبٍ معلومة . والنغمة للّحن كالاحرف للكلام . والايقاع هو الضابط للمنشدين معاً حتى لا يسبق احدهم الآخر . ولا يتأخر عنهُ . ويعبّرون عنهُ بقولهم «دُمْ وتَكْ»(١ وهو بمنزلة أجزاء العروض للشعر . مركَّباً من سببٍ خفيف وهو عبارة عن متحرّك فساكن . وسببٍ ثقيل

١) ويروى ايضاً الموسيقي وهي كلمة يونانية μουσική

٢) وربّ سائلٍ يسألنا هنا أليس في هذا التحديد شيء من المناقضة لانهُ اذا كانت الموسيقى علماً من العلوم الرياضية كيف صحّ حينئذٍ انتسابها الى احدى الصنائع . فجوابنا على ذلك انالموسيقى في حقيقة الامر هي صناعة بل احد نواضر الفنون السبعة كالتصوير مثلًا والهندسة ويشهد على ذلك واضع الرسالة نفسهُ اذ يسمّي الموسيقى الصناعة الموسيقية بيد انَّهُ قد كثر القول انما علم رياضي نظرًا للابحاث والمسائل الحسابيَّة التي تُضبَط وتُستَقصى بها هذه الصناعة . وربما كانت هذه التسمية قد غلبت عند الاقدمين كما يظهر ذلك من تصانيف اريسطو وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة حيث يُدرجون الموسيقى في جملة العلوم الرياضية

٣) النَغمة (والجمع نَغَمات ونَغَم) ما يُعَبَّر عنهُ في اللغة الفرنسية بكلمة son musical او note وهي الصوت المتدرج تحت ضوابط الموسيقى بحسب ثقلهِ او حدَّتهِ او عدد اهتزازاتهِ فبهذا يختلف من الحس او الدويّ الذي لا يُعلم لهُ حدة ولا ثقل الَّا بعد الفحص المدقّق او بواسطة آلات خصوصية اكتشفها العلامة هِلْمهولتز (Helmholtz) وسماها المُرنَّات (résonna-teurs) . امَّا تعريف المؤلف للنغمة فهو نفس تعريف القدماء نخصّ منهم بالذكر ابا نصر محمد الفارابي قال في كتاب الموسيقي : « وأعني بالنَغَم الاصوات المختلفة في الحدَّة والثقل التي تُتخيَّل كلها ممتدة » وقال عبد القادر بن الغيبي (ويروى عبنيّ وغنيّ وغَيْنيّ) في كتاب مقاصد الالحان : « النغمة صوت واحد لابث زماناً ذا قدرٍ محسوس في الجسم الذي فيهِ يوجد »

٤) والاغلب في يومنا تُمْ تَك . (راجع كتاب سفينة الملك للامام محمد شهاب الدين ورسالة روض المسرّات للشيخ عثمان الجندي شاعر العائلة الخديوية سابقًا) . ومما يتبين من سفينة الملك ان التعبير عن الايقاع بمثل هتين اللفظتين حديث العهد وانَّهما استُخرجتا عن كلمتي « دِيْنْ وطاع » . والله اعلم

وهو عبارة عن متحرّكين معًا

والصوت هو ما يحدث عن كلّ حركةٍ اهتزازيّة بجسمٍ رنّان يُحدِث في الهواء ارتجاجًا يسري فيهِ الى بُعدٍ ما. والصوت يقطع في سيرهِ في كل دقيقة من الزمان مسافة ثلاثين الف ذراع تقريبًا فيكون سيره في كل ثانية من الدقيقة او نبضة شريان مُعتدلة نحو خمسمائة ذراعٍ (١. فلو أُطلق مدفع على بعدٍ لرأينا اشتعالهُ قبل ان نسمع صوتهُ بزمن يساوي بعدهُ عنّا على النسبة المتقدمة. وهكذا يكون في البرق والرعد. ثمّ اذا كان عدد اهتزازات الجسم في كل ثانيةٍ دقيقةٍ اثنين وثلاثين هزّة (٢ او اقلّ من ذلك فلا يُسمع الصوت ابدًا كما حقّق ذلك المتأخرون من علماء الافرنج. فاذا شُدَّ وتر على قانون او طنبور ونُقر عليهِ فان اهتزّ اكثر من اثنين وثلاثين هزة في كل ثانية الدقيقة امكن سماع صوتهِ والا فلا وكلما شُدَّ اكثر زادت اهتزازته عند النقر عليهِ وكان الصوت المسموع عنهُ اعظم. واما السمع فهو ناشئ من مصادمة تموّجات الهواء الحاصلة من اهتزازات الجسم الرنّان الى آلات السمع المخصوصة بكل حيوان

(ستأتي البقيَّة)

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

طريقة اليزيدية وعوائدهم

ان اليزيديّة يعتقدون بإلهٍ واحدٍ ضابط الكل بيدهِ كلُّ ما في السماء وكل ما على الارض ويُسمُّونهُ بالكرديّة خُدا (اي الله) وبالعربية ربّ العالمين. ودونهُ الملك الطاووس (او الطاووس الملَك ويسميهِ عامّة اليزيديّة طاووس ملك بحذف اداة التعريف) والشيخ عادي ويزيد وهولاء ثلثتهم ليسوا إلّا إلهًا واحدًا من الرتبة الثانية في ثلثة فُرُوع لا غير:

---

١) يعني ثلاثمائة واربعين مترًا

٢) بل عشرين هزة على ما قال العلّامة هلمهولتز ولهُ الباع الطولى في كل ما يختص بالسمع. كما انهُ اثبت ايضًا ان الصوت ليس بمسموع اذا زاد عدد اهتزازات الجسم على عشرين الف هزّة في الثانية



١ً فالفرع الاول هو اذًا الطاووس الملك ويُسمّى ايضًا عندهم كاروبيم وهو بعد ربّ العالمين سيّد الكل وضابط الكل ورازق الكلّ بيدهِ . اليمنى الخير وبيدهِ اليُسرى الشرّ يعطي الخير لمن يشاء ويأخذهُ ممَّن يشاء ويُلقي الشرّ على من يشاء ويُزيلهُ ممَّن يشاء . وهو ليس بالحقيقة إلّا الشيطان اللعين الرجيم اذ يقولون في أصلهِ « ان ربَّ العالمين غضب يومًا على الطاووس الملَك ونفاهُ من الجنَّة وهو اليوم خارجًا عنها لكن في آخر يوم الدين يتصالح معهُ ربُّ العالمين . فيرجع الى عِلّيين . على ما كان عليهِ في بدء خلق الارضين . ماشيًا في سراط الحق المبين . ومن حولهِ جماعة الملائكة والاولياء القديسين . يُعظمون قدرهُ . ويمتثلون امرهُ » . فلهذا ترى اليزيديَّة يترَضونهُ كلَّ الترضي . ويتقصّون في اكرامهِ كل التقصي . وقد اقاموا لهُ اياما مشهودة . واعيادًا معدودة . وطوافاتٍ معلومة . وحفلات عندهم مرسومة . ويقولون انمَّا نكرّم الطاووس الملك دون رب العالمين لانَّ هذا الطاووس . مصدر كل الشرور والنحوس . فان لم نستلفت انظارهُ علينا لم نخلص من انتِقامهِ . واذا ترضيناهُ فزنا بسعادة الدنيا والآخرة . امَّا رب العالمين فهو عين الخير والصلاح لا يُرى فيهِ ادنى عيب او وصمة . بل هو العصمة . والجودة والرحمة . لا يحقد على أحد . الى الابد . حتَّى انهُ يتصالح مع الطاووس الملك . وكل من لعنهُ في حياتهِ فقد هلك . وعليهِ فانهم يقولون بجلاءِ الكلام . الخالي من كل ابهام او ايهام : اننا لا نعبدهُ . بل نترَضاهُ ونسترشدهُ . والعياذ بالله من هذا الكفر

وكما انهم يكرمون الشيطان يريدون ايضًا ان يكرّمهُ غيرهم . وعندهم لفظة شيطان . هي كلمة احتقار وإذلالٍ وكفران . فلذا لا يلفظونها البتَّة ولا يريدون ان يلفظها الغير امامهم . واذا قال احدٌ كلمة شيطان حلَّ قتلهُ عندهم بل وعلى يدهم . وليس فقط لا يلفظون هذه الكلمة بل ولا كل ما يشابهها اشتقاقًا او لفظًا او رويًا او أحرفًا فلا تقل ابدًا امامهم مثلًا : الشطّ والبط والحيطان والبُستان والسرطان والسطانة (وهو اسم الحلزون في تلك الاصقاع) واللَّعنة والنَعل . ولا الخسّ واللهانة (وهو الملفوف او الكرنب) ولا كل ما يقرب من هذه الالفاظ في لغتهم الكرديَّة مثل اللوبياء والفاصوليا . والباميا . ونحو ذلك . بل ولهذا السبب عينهِ يُحرَّم عليهم أكل هذه الخضراوات كلها . واذا اراد احد ان يهين يزيديًّا او يشتمهُ يقول لهُ او امامهُ : « خس الموصل في فمك » لان هذا الكلام هو اعظم كفرٍ يمكن للكافر ان يتلَفظ بهِ . امَّا اذا

أراد الانسان ان يتكلّم عن هـذه الاشياء المحرَّم ذكرها فيستعمل الاستتمام اي يذكر المعنى بطرائق متشعبة او بعبارات مستطيلة للعدول عن الكلم المحرَّم عليهم لفظهـا وللتخلُّص منها. فاذا ارادوا ان يعنوا الشيطان مثلًا يقولون: هو او ذلك الرجـل (اي المعهود بيننا). واذا ارادوا الشطّ قالوا : الماء الكبير . وغير ذلك من المصطلحات والكنايات والرموز والاستعارات

٢ً اماً الفرع الثـاني فهو الشيخ عادي وهو على زعمهم الروح المقدَّسة والمتزهة للانفس وهو يحلّ على الانبياء ويُوحي اليهم الحقائق الدينيَّة ويخبرهم بالغيب. والانبياء عندهم لا انقطاع لهم ويسمونهم بالـكواچك جمع كوْچك كما سنشرحهُ في محلّهِ

فهذا هو المعتقد الاصليّ الاساسيّ لدينهم . والآن نذكر اشياء اخرى من معتقداتهم فمنها التقمُّص بأنواعهِ من « رَسخٍ » وهو انتقال النفس الناطقـة المؤمنة من بدن الانسان الى الاجسام النباتية. و « مَسْخٍ » وهو انتقال النفس المؤمنـة من بدن الانسان الى اجسام الحيوانات بموجب الأوصاف التي اتَّصفت بها في حياتهـا فتذهب نفسُ الشجاع مثلًا في جسم الاسد ونفس الجبان في جسم الأرنب. و « فَسخٍ » وهو انتقال النفس الناطقة الى الجمادات. و « نَسخٍ » وهو انتقال النفس الناطقة من بدنٍ انسانيٍ الى بدنٍ انسانيٍ آخر . ويروي البعض عن سبب اعتقادهم التقمُّص ان واحدًا من ائمتهم لا يُعرف اسمهُ مات وبعد وفاتهِ ودفنهِ أخذت روحهُ تطلب مقرًّا فجاءت على وجه الماء. وفي تلك الاثناء جاءت ابنتهُ لتستقي ماء وبعد ان ملأَت جرَّتها وسارت في الطريق مسافةً عطشت فشربت من جرَّتها وبعد ان مضى على شربها تسعة اشهر ولدت ابنًا واذا هو بالامام عينهِ فاستدلُّوا بذلك على التناسُخ (عن القس قرياقوس مخنوق)

ومن معتقـدهم انَّ الملك الطاووس لم يفرض عليهم الّا صوم « سَي روز » اي ثلاثة ايام لا « سِي روز » اي ثلاثين يومًا. ولهذا السبب لا يصومون في السنة الواحدة الّا هذا العدد من الايام

ومن معتقدهم ان الله لمَّا أباد خلقهُ بالطوفان العرمرم أراد ان يحفظ من الغرق نوحًا وحامَّتهُ فركبوا الفلك باذنهِ تعالى وطافوا على الماء. فلماَّ نقصت المياه وغار جانب عظيم منها اصطدمت السفينةُ بسنٍ من جبل جودي فثقبت. فقال نوح : مَن لنا بسدّ هذا الفتق. قالت الحيـة : انا اقوم بذلك بشرط ان تُسلّم بين يدي ابنَ آدم لامتصّ دمهُ .

فقال لها نوح: قد رضيتُ بذلك. فلمَّا تحوَّت ورتقت الفتق ونجا من كان في السفينة تقدَّمت الحية وقالت لنوحٍ: أنجز ما وعدت بهِ. فخاف نوح على من كان من جنسهِ وأخذ طريقةً أخرى لحلّ المعضلة. فاخذ الحيَّة وأحرقها بالنار وذرّ رمادها في الهواء فجاءَت عنها البراغيث التي تمتصّ دم ابن آدم برفقٍ فهذه الدوّيبات لا تفعل فعلها إلا لأن نوحاً أمرها بذلك. (قلنا) فكم من اديب لا يعلم الى اليوم كيفية وجود هذه البراغيث فها ان الديانة اليزيديَّة قد حلَّت لنا هذا المشكل العويص فلله درّهم من علماء لا يُشقّ غبارهم؟؟؟

وقد تقدم القول بان اليزيدية يذهبون الى ان في العالم مبدأين فلا حاجة الى الاعادة. وهم يكرمون ايضاً الظواهر الجوّيَّة على اختلاف انواعها والنار والخبز والسراج والأدواح القديمة وهي ما عَظُم من الاشجار من اي نوع كانت

ومن معتقدهم ايضاً ان الله كان قد خلق جهنَّم منذ الازل لابناء آدم الخطأة العصاة. واذ كان آدم اوَّل من اخطأ من الناس وعرف ما يكون من حالهِ عمل لهُ بُقبوقاً (ويريدون بهِ الكوز المبقبق) لتحفظ فيهِ دموعهُ. فامتلأَ الكوز في السنة السابعة فاخذهُ من فورهِ وأفاضهُ على نار جهنم فانطفأَت نيرانها للحال ونجا بهذه الصورة هو وذريتهُ من لهب النار الحامية (عن حضرة القس قرياقوس مخنوق)

ويزعمون انَّ الله لم يطرد آدم وحواء لعصيانهما عليهِ عزَّ وجلَّ بل لأنهما دنَّسا جنَّة النعيم ببرازهما بعد ان اكلا من سنابلها فاَتخما وتألَّما من التُّخمة ففرج عنهما غراب بفتحهِ منفذاً في جسديهما واراحا بذلك طبيعتهما. فبئس قوم عدلوا عن صحيح الروايات الى اوخم الترَّهات

وفي معتقداتهم شيءٌ كثير من اخبار التوراة والانجيل قد حرَّفها اصحابها وانتحلوا معانيها وعبثوا بها كل العبث وذيَّلوها بكل بذيءٍ يُستحيا منهُ حتَّى يصعب علينا ايرادها لما ادخلوا فيها من المُنديات او من التآويل التي تتجافى عنها النفوس الأبيَّة وتنكرها الاسماع النقيَّة. وقُصارى الكلام اننا روينا من هذه الخُرافات والرَّطازات أطهرها ذيلاً واتزها قَولاً فلينظر العاقل الى ما هنالك من الاقاصيص التي تشوّه محاسن الآداب والاخلاق. ومن ذلك يتضح لك بانَّ ديانتهم

لَعبتْ بها هُوجُ الرياح فأصبحَت قَفرًا تَعذَّر غيرَ أَورَقَ هامِدِ

امَّا من طرف الكتاب الديني الذي يتمسكون بهِ تمسُّك الانسان بالكتاب المُنزَل فهو: « مُصحف رشّ » ورَشّ هي كلمة كردية معناها: « المصحف الاسود » وهو عبارة عن بعض صُحف من القرآن حرَّفوها بان حذفوا منها اسم الشيطان ولفظة اللعنة ونحو ذلك ولم يطلع عليهِ احدٌ الى يومنا هذا حتى من اليزيدية غير الفقيه الاكبر بمنزلة المُلاَّ الاكبر عند الامير الاعظم. وفي مطاوي سنة ١٨٩٢ وغرة سنة ١٨٩٣ أراد الفريق عمر باشا ان يعرف ما في هذا الكتاب حتى اذا تحقَّق ان ليس فيهِ شيء ابقاهُ عندهُ والَّا أحرقهُ. فسأَل عنهُ فقيل لهُ: عند فلان. فذهب عند من سمَّاهُ الاول فقال لهُ: « عند ذاك ». فلما جاءهُ قال لهُ: « عند ابن فلان » فلما رأَى انهم يضحكون منهُ اخذ المقدَّمين بينهم وتهدَّدهم بالضرب ان أصرُّوا على اخفاء المُصحف فلم يجيبوا ببنت شفة. فأَعمل فيهم السياط والسيف فصبروا عليهما ولم ينل بمرغوبهِ

فلا حرج علينا اذًا ان قلنا: « ونحن نجهل ايضًا بما في هذا المصحف الاسود سوَّد الله وجوه اصحابهِ الاشرار. لكن قد ذكر لي حضرة القس قرياقوس مخنوق بانهُ: « كان قد عثر قبل سبع سنين على كُتَيِّبٍ يتكلَّم عن اليزيدية بكلامٍ وجيزٍ شاملٍ لامورهم كلها. ومؤلفهُ واحد من كهنة اليعاقبة في بعشيقا وكان قد ورثهُ شماس يعقوبي وهو مكتوب في عمودين باللغتين السريانية والعربية. فبعد ان بحث عن الشماس بحثًا نعمًا طلبهُ منهُ فاعارهُ ايَّاه فنسخهُ في ليلةٍ واحدةٍ لشغفهِ بهِ. وقد رأَى فيهِ ما عدا سُنَنهم وتواريخهم مصحفهم ذاك الأسود. ثم ارجع النسخة الاصليَّة لصاحبها. امَّا نسخة حضرة الاب قرياقوس مخنوق فسطت عليها يدُ جاهلٍ فمزَّقها كل ممزَّق. فلما سمع بذلك حضرة صاحبها كاد يتمزق قلبهُ حزنًا عليها. والآن قد حاول طلبها ثانية لنسخها حتَّى اذا وفَّقهُ الله الى ذلك بعث بالنسخة الى مجلَّة المشرق لينتفع بمطالعتها القرَّاء لما فيها من الفوائد الجمَّة الكاشفة عن حقائق وأَسرار هذه الشيعة الممقوتة الملعونة من الله والناس. وكما ان حضرة القس قرياقوس في بغداد كتب الى واحدٍ عن اصدقائهِ في الموصل لاستنساخ الكتاب فجاوبهُ: « ان ذاك الشماس قد قسَّ الآن وأَهدى ذاك الكتاب النفيس الى بطريركهِ يوم قدومهِ الى الموصل » . ولا زال القس مخنوق يبذل النفس والنفيس ليفوز بمطلوبهِ. حقَّق الله امانيهُ

ومن معتقاداتهم ان مأوى جميع الناس جهنَّم واما السماء فانها خلقت لليزيدية وحدهم

(ستأتي البقية)

فن التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حبيقة مدرّس البيان في كلّية القديس يوسف (تابع لما سبق)

الفصل الاوَّل

الاصول

هي الطبيعة تحكم على المرء في كلّ تأليفٍ ارادهُ ان يهتمَّ باديء بدءٍ بايجاد المواد التي يتطلَّبها موضوعهُ. ثم يشتغل بتنسيق تلك الموادّ على ترتيبٍ يلائم مقتضى الحال. وبعد ان يتيسَّر لهُ كلا الامرين يسعى في التعبير اي إبراز موضوعهِ بصورةٍ تروق الخاطر. فقُل حينئذٍ: قد تمَّ لهُ المراد

وما كانت الرواية التمثيلية لتخرج عن هذا الحكم. وهي اولى من جميع الفنون باتخاذ الطبيعة لها دستورًا. فلنبحث اذن بتدبُّرٍ في كلّ من الايجاد والتنسيق والتعبير

البحث الأوَّل

الايجاد

لقد صدق من قال « لا تُعَدُّ الرواية صالحةً الَّا اذا أَنسَ بها الذوقُ السليم». فعلى المؤلّفين ان يصرفوا اهتمامهم الى مراعاة الشروط التي ترتاح اليها نفوس العقلاء. فلا يبالوا باستنباط الخزعبلات التي تهشّ لها الجهلاء. او فليعدلوا عن الركوب في غير صهوتهم. لئلَّا يحطُّوا من قدر هذا الفن الشريف. فاذا اقدمتَ ايها الاديب على تأليف رواية فانظر في ما تختارهُ الى امورٍ اربعة: الموضوع والاشخاص والوَحدات وادب الرواية

١ الموضوع

يشترط فيهِ ان يكون: ١ً معتدلًا اي بعيدًا من الايجاز المخلّ والاسهاب المملّ. فالايجاز يمنع الرواية من استيفاء لوازمها واستكمال محاسنها ويعرضها على الحاضرين كأنها لغزٌ يُطلَب منهم حلّ رموزهِ. والاسهاب وهو الفاشي بين المؤلّفين

يذهب برونق الرواية اذ يحمِّلها من الشروح الضافية والخطَب الطويلة مع الحوادث المتعدّدة ما لا تقوى عليهِ ذاكرةُ السامعين فضلًا عن صبرهم — ٢ً مليحًا اي مُحكَم الارتباط آخذةً اجزاؤُهُ بعضها برقاب بعض صادرةً فيهِ اللواحق عن السوابق لا يعتريهِ خلل ولا تشويش. وهذا الشرط على جانب من الاهمِيَّة تقتضيهِ وحدة الواقعة كما سترى — ٣ً جاريًا نحو النتيجة وذلك ان تأتلف كلّ شُعَبِهِ في السعي نحو العاقبة وتتّجه الى الخاتمة كلُّ ظروفهِ متدرّجة لا تتوقّف ولا تُعيقها استطرادات معارضة — ٤ً تامًا اي مستوفيًا للغرض المقصود بالغًا الحدّ المرغوب. فيعرف الحاضرون النتيجة تام المعرفة كما وقفوا حقّ الوقوف على المقدَّمة. فلا يخرجون الّا وقد نالوا اربهم باطّلاعهم على الواقعة بكمالها من البداءة الى النهاية حتى لم تبقَ في نفسهم منها حاجة. وهذا الشرط ينفي كلّ فضولٍ بعد استتمام الواقعة — ٥ً طبيعيًا اي خاليًا من كل انواع التكلُّف. فتتبع فيهِ الامور مجراها الحقيقي متسلسلةً بعضها من بعض وفقًا لشروط الحقيقة والاحتمال. وتتناسب فيهِ المعلولات مع عِلَّاتها طبقًا للنواميس الجارية. وما اجهل الراغبين في الامور الخارقة الشاحنين روايتهم من غرائب الحركات والاعمال وعجائب الصُّدف والحوادث. ظنًّا منهم انّ رونق الرواية بالضرب والطعن والسمّ وظهور الاشباح وثوَران العناصر وما اشبه ذلك. جهلوا وما دروا ان مثل هذه الوسائل يُشتمّ منها رائحة التكلُّف والعجز عن اداء المحاسن الحقيقية. فهي تبهج الناظر وتفعل في المخيلة ولكنَّها لا تترك في النفوس أثرًا . امّا رونق الرواية الذي تصبو اليهِ القلوب فانّما ينتج من مشهد اشتباك الاحوال وتناظُر المصالح والمساعي وتبايُن الاخلاق والعواطف بين فريقين او مشهد نفس تتنازعها العوامل المختلفة وتتجاذبها الدواعي المتناقضة

ذكرنا هذا الشرط في الآخر على انّ لهُ المقام الاول بين الجمع. ولا بدعَ فانّ مرجع الرواية في سكناتها وحركاتها انّما هو الى مُحاكاة الطبيعة. بيدَ انّ بعض الروايات لا تخلو واقعتها من الخارق

ويراد بالخارق (le Merveilleux) تمثيل شخصٍ من غير عالَمنا (كالباريء تعالى عزَّ وجلّ او الملائكة او الابالس او ارواح الموتى او الاشباح) بحيث يظهر احد هؤلاء على المرسح. ويجب عادةً محاشاة ذلك لان الرواية كما سبق القول تمثل اعمال البشر واخلاقهم في الطبيعة



امّا اعمال العناية الالهيّة في البشر فالأَولى ان تمثّل تمثيلاً خفيًّا بالوسائط العاديّة طبقًا لنواميس الطبيعة الجارية ولا شكّ باحكامهِ وقدرتهِ تعالى. ولا بأْس من الالتجاء الى الخارق الظاهر اذا دعت اليهِ الضرورة ولاسيما اذا ساعدت على ذلك الآلات فيتراءى على المرسح ملاكٌ من العلاء او غيرهُ من الارواح والاشباح. بيدَ انَّهُ ليس من الواجب ظهور الشخص العجيب للعيان ولو رغب في مثل هذه المشاهد اولئك الذين خفّت حلومهم. بل يُستعاض من مرآهُ بسماع صوتهِ فقط. وافضل من كلا الامرين ان يُفترَض وجودهُ في الخارج. وحينئذٍ يروي عنهُ احد الاشخاص ما يلائم من قولٍ او فعلٍ. ومن هذا القبيل النبوّات وقصص الاحلام

٢ الاشخاص

يُشترط في الاشخاص: ١ً ان يكون عددهم معتدلًا. فما اقبح ما نراهُ من روايةٍ مدارها على ثلاثةِ اشخاص فقط. او أُخرى تقتضي واقعتها خمسين شخصًا. فانّ قلّتهم لا تفي بالمطلوب ولا تملأُ العيون. وكثرتهم على ضيق نطاق الرواية لا تمكّن من مشاهدتهم مليًّا ومعرفة اخلاقهم. فتخالهم الاشباح يمرُّون امامنا سراعًا. يظهرون لحظةً ثم يختفون. وهذا الخلل سائد في الروايات الحديثة. ولكم من غرّ يحسب كثرة الاشخاص من دلائل الكمال — ٢ً ان يكون بينهم تفاوت في المقام والاهميّة. وكذا الناس طبقات ومراتب. ولمّا كان مرجع الادارة في الامور الخطيرة الى فردٍ هو العامل الأكبر والأعلى فلا بُدَّ في الرواية من بطل (héros) اي شخص ممتاز اليهِ مرجع الاشخاص البواقي كانّما هو روح العمل في الواقعة — ٣ً أن ينقسموا الى فريقَين انصار البطل وخصومهُ. فانّ التضادّ بينهم في الطباع والاقوال والاعمال لمن اعظم دواعي التشوُّق واللذّة. ويُقتضى ان يقوم بين الخصوم شخص يكاد يضاهي البطل في اهمّيّتهِ. فيقف دائمًا بوجههِ ويعترضهُ في سبيلهِ. ولَكَم من النوادر والحوادث تنتج من هذا التناقض في مساعيهما

وليس يُطلَب من البطل ان يكون من الاخيار مستجلبًا الى ذاتهِ الانعطاف والحب بل يصحّ أَنْ يكون من الاشرار تميل عنهُ القلوب الى خصمهِ. امّا هو فكفاهُ ان يستلفت اليهِ الابصار بخطارة حالهِ وعملهِ ويستوقف الخواطر. لكنّما الشأْن الاوّل احرى بهِ واحب

الى النفوس. واذا كان من الاخيار الافاضل فلا يوصفنَّ بكمال فائق اي بالغ حدّ النهاية في الخير مجرّدًا عن كل حسّ بشري معصومًا من الهفوات والسقطات. واذا كان من الاشرار فلا يُبالَغ بشرّهِ حتى يكون عاريًا من كلّ شاعرة كريمة. لأنَّهُ اذا تمَّ لهُ الكمال والعصمة أيقنَّا بغلبتهِ على الاهواء والاميال وامنًا عليهِ من خطر الانقلاب. فلا نعود نجد تشوُّقًا الى مراقبة حركاتهِ ومراعاة حالاتهِ او تأخذنا هزَّة من مشاهدتهِ في تيَّار العواطف عرضةً لعواصف الاهواء. وذلك لسابق علمنا بانهُ لا خوف عليهِ. كما انَّهُ لو بُولغ في صفاتهِ السيِّئة لم يعد يستعطف اليهِ القلوب

ومن الاشخاص مَن نسمّيهِ بالمؤتَمَن (confident). ويراد بهِ شخص لا نفع منهُ سوى انهُ امينٌ لسرّ غيرهِ يسمع نَجْوَاهُ اذا باح بافكارهِ واميالهِ. فيشاطرهُ العواطف كأنَّما هو شخصهُ الثاني. وقد كانت العادة في روايات القرن السابع عشر ان يُتَّخذ لكلّ من الاشخاص الخطيرين مؤتَمَن اتبعُ لهُ من ظلّهِ يناجيهِ كلّ آنٍ في خلوتهِ فيساعدهُ على ابراز مكنونات صدرهِ ليقف عليها الحاضرون. وقد استعاض المعاصرون عن المؤتمن بالمناجاة وهي مخاطبة المرء نفسهُ على مسمع من الجمهور. بيدَ انَّهم اكثروا منها واسرفوا في طولها حتى اصبحتَ لا ترى الَّا حديثًا ضافي الذيل او خطابًا مسهبًا مملًّا. وخيرُ طريقة لايقاف السامعين على دخيلة الشخص هي اتخاذ مؤتَمَن لا يكون كما في الاعصر الماضية مجرَّد ظلٍّ يرسم لنا صورة غيرهِ او صدًى يردّد عواطف سواهُ بل شخصًا عاملًا لهُ بعض الغرَض في الواقعة

وممَّا يلحق بالاشخاص الاخلاق (Caractères) ويشترَط فيها ان تكون:

١ً خطيرة فيها بعض العظمة. فالشرور والجرائم نفسها لا تنفي الخطارة والعظمة اذا كان فيها ما يميّزها عمَّا سواها من نوعها . فانك تجد في مجرى بعض الفظائع من دلائل الإقدام وعلوّ الهمّة ما يجعلك مع كرهك للفظيعة وسخطك على فاعلها تُعجَب بما ابداهُ هذا من المهارة والبسالة. وهكذا قل عن الكذوب صاحب الفنّ. فانك مع نفرتك من الكذب وازدرائك بذويهِ لا يسعك الّا الاعجاب بدهاء ذلك الرجل وحسن اساليبهِ. قال فُونتِنِيل (Fontenelle) في شرح ارسطو «يجب ابراز الاخلاق في درجة رفيعة. الرذائل منها مثل الفضائل... فللرذائل ايضًا كمال خاصّ بها... ومن الفن ما يُموِّه

الرذائل ويظهرها في مظهرٍ ما من العظمة » — ٢ً ملائمة اي توافق سنّهم وجنسهم ونسبهم ومرباهم ومركزهم وبلدهم وعصرهم ودَوْرهم الذي يلعبونهُ في الواقعة. ولكم ضحكتُ في حضور رواياتٍ كثيرة اذ كنتُ ارى الخدَم يشبهون اسيادهم في سكناتهم وحركاتهم والأحداث يحاكون الشيوخ في وقارهم والجاهل الأُمي يبدي من المعرفة ما يُزري بالعالِم الفاضل — ٣ً حقيقيَّة اي تنطبق على رواية التاريخ في ظروف الزمان والمكان التي وُجدوا فيها وجميع امورهم واحوالهم. واذا كان الشخص مخترَعًا يحِق للمؤلِّف ان ينسب اليهِ ما يستحسن من الاخلاق والعوائد بشرط ان تلائم دَوْرهُ كما سبق اعلاه. وما اغرب كتَّابَ بلادنا اذ يعرضون علينا الشخص لا كما كان في الحقيقة بل كما شاؤُوا. فهل أُبيح لهم يا تُرى ان يتصرَّفوا على هواهم بمَن سلفوا. ام فاتهم انَّ نفوس الحاضرين يسوءها ان ترى المسخ والتشويه في صوَر اقوامٍ لم يزالوا مع تقادم عهدهم اشهر من الاحياء اعينهم. فقل لي ناشدتك الله ايُّها الاديب ما تكون حالك اذا بدا لعينك حاتم ومعن وكُلَيب وسحبان والمتنبي وعنترة والمهلهل والحارث بن ظالم والسموءَل وقصير وهبنَّقة وشِظاظ وابو العلاء واشعَب على غير ما تعهدهم من الكرم والحِلم والعزّ والخطابة والشعر والشجاعة وطلب الثأر والفتك والوفاء والدهاء والحمق واللصوصيَّة وتوقُّد الذهن والطمع ؟ — ٤ً ثابتة اي لا تتغيَّر بتغيُّر الامور بل تبقى كما هي من البداءة الى النهاية كما قال المتنبي :

وحالاتُ الزمانِ عليكَ شتَّى وحالُكَ واحدٌ في كُلِّ حالِ

ولا يُراد بالثبات ان يكون الشخص من حجر لا تؤثّر فيهِ الظروف ولا تفعل في نفسهِ الانقلابات. ولكنَّا نقصد بذلك انَّ جوهر الاخلاق يبقى دائمًا هو هو امَّا المَظاهر فتبدو في صوَر متنوّعة والعواطف تختلف باختلاف الاحوال. وربَّ معترضٍ يقول انَّ مِن الناس مَن تراهُ يتلوَّن في خُلقهِ كالحرباء فانَّى لهُ الثبات. أُجيب انَّ جوهر هذا الرجل هو ان لا يستقرّ على حال. فثباتهُ اذن قائمٌ ببقائهِ على كنهِهِ متلوِّنًا. وان شئتَ قُلْ انَّ ثباتهُ بعدم ثباتهِ. ويسوءُني اني لا اجد بدًّا من التكرار بان اكثر الكتبة في بلادنا قلَّما يعبأُون بمراعاة شروط الاخلاق ولاسيا هذا الاخير (ستأتي البقية)





التجارة

نبذة في اصلها وتاريخهـا

للشاب الاديب عبدالله افندي رزق‌الله شارّ في معنة ولاية بيروت الجليلة

ما نبذ الانسان شريعة خالقهِ حتى اصبح على الارض هدفاً لنفحات القُرّ ولفحات الحرّ وعرضةً لأنياب الحيوانات ومؤثرات الطبيعة. فقام باديَ بدء يسعى بذاتهِ وراء حوائجهِ الضروريَّة كالمأكل والملبس والمأوى. فاقتات بثمار الاشجار ولحوم الصيد واكتسى باوراقها وجلودها. وأوى الى المغاور والكهوف فرارًا من آفات الهواء وبراثن الوحوش الكاسرة. فلمَّا ترقَّى في المدنيَّة كثرت ايضاً احتياجاتهُ المادّيَّة والادبية. والانسان فطرةً ميَّال الى رغد العيش ورخائهِ وتنويع ملذَّاتهِ فلا يكتفي اليوم بمآكل امس الدابر وملابسهِ ومساكنهِ ساعياً في الغد بتسهيل استحصالها واصلاحهـا حتى اصبحت هذه اللوازم بحرًا لا يُنزف وغورًا لا يُسبر

بيد انَّ الانسان لو شاء ان يجمع بنفسهِ برضاً من عدّ هذه الحوائج المختلفة لتكلَّف عرَق القربة وقضى عمرهُ ولم يأتِ باليسير منها فمن ثمَّ اقتضت عليهِ الحاجة ان يتعـاون مع ابناء جلدتهِ لينالها بينما يسعى هو في سدّ بعض لوازمهم. وبهذا التبادل تقوم الهيئة الاجتماعيَّة

وقد لخَّص فردريك بستيا الاقتصاديّ الشهير حالة البشر هذه فقال: « لنعطف نظرنا الى احوال الناس على اختلاف طبقاتهم ولنبحث عن حالة النجَّار مثلاً فنرى هذا الانسان يقضي النهار كلَّهُ بصقل الخشب وتجهيز ادواتهِ ومع ذلك لا يفـتر عن بثّ الشكوى من حالهِ. على انهُ لو فـكَّر لرأى ان خدمتهُ هذه للهيئة الاجتماعيَّـة ليست بشيء ازاء الفوائد الجسيمة التي ينالها من جميع أفراد الجمعيَّة. فاذا تتبَّعنـا حركاتهِ وسكناتهِ في يومهِ رأيناهُ يتردَّى بلباسهِ عند نهوضهِ من فراشهِ وهذا اللباس مهما كان بسيطاً لم يُحصَل عليهِ الّا بأعمالٍ كثيرة وتقلُّبـات عديدة واختراعات عظيمة. فانهُ يحتاج مثلاً الى قطن اميركة ونيل الهند وصوف فرنسة وكتَّانهـا وجلود البرازيل وسختيانها وفتل الخيوط ونسجها وتلوينها ونقـل كل هذه الاشياء الى بلاد متعددة



شاسعة والى. . . والى. . . ثمَّ اعتبرهُ عند تناولهِ لطعامهِ فتجد انَّ الخبز الذي يأكلهُ قد استلزم قبل وصولهِ الى هذه الحالة تمهيد الاراضي وحرثها واحاطتها بالسياج وتسميدها وزرعها وتنسيق مزدرعاتها وصيانة محصولاتها من السرقة والغارة وحصول الامنية واستحضار الادوات اللازمة لهذه الاشغال من الخشب والحجر والحديد والفولاذ وسواها من المعادن الى غير ذلك من الاعمال التي لا تعدّ ولا تُحصى. فان وضع ابنهُ في المدرسة يرى العلوم فيها وان كانت ابتدائيَّةً ومختصرة للغاية نتيجة تحقيقات عميقة ومطالعات كثيرة ومعلومات واسعة. واذا خرج من بيتهِ سار مستريحًا في ازقةٍ متقنة الصنع والهندسة. واذا غصب احدٌ مالَهُ او ملكهُ استرجع المحامون والحاكم والضابطة حقوقهُ ودفعوا عنهُ كل تعدٍّ. واذا اراد السفر والتجوُّل في البلاد رأى الطرق موثَّرة والسُبل آمنةً سهَّل قومٌ وعرها ومهَّدوا جبالها وملأُوا اغوارها وسوَّوا ترابها ووسعوا انهارها وانزلوا فيها المراكب ومدّوا الخطوط الحديدية ووضعوا عليها العجلات واستعملوا لذلك قوى الحيوان والبخار فيقطع المسافات البعيدة بكل راحةٍ وامان. ولا شك بان كلاً من هذه الاشياء يستلزم ترقيات عظيمة ومعلومات واسعة فاذا قابل التجَّار هذه الفوائد العظيمة بما يُجدي غيرَهُ من النفع بصناعتهِ رأى انَّ سعيهُ وراء صالح الجمهور لا يكاد يُحصى. وانهُ لو اراد استحصال مستهلكات يومٍ واحدٍ لعجز عن ذلك في ظرف الف سنة . . . »

فيتبيَّن لك من كلام المقتصد الفرنسوي المشار اليهِ ان الانسان سدًّا لحاجاتهِ الكثيرة اعتاض لقاء بعض محصولاته بمصنوعات غيره فكانت المبادلة بين الافراد. وكما يحصل الافراد بهذه المبادلة نفعًا كبيرًا هكذا تستفيد امةٌ من خصائص غيرها فترسل هذه الى تلك قسمًا من المصنوعات التي ساعدتها على اتقانها وتنويعها وسائطها المادّية والادبيَّة وحازت باعمالها قصب السبق وبلغت في تحسينها الغاية العليا. وتأخذ بدلها محصولات اراض خصَّها الله ببركة المزروعات ونفاستها. فكانت المبادلة القوميَّة. وهكذا تواصلت العلاقات بين الامم. وتجدَّدت اذ ذاك حياة المجتمع الانساني. وانفسح لهُ مجال الفائدة. وتوفَّرت اسباب الرفاهة والرخاء

غير ان هذه الفائدة بقيت ناقصةً محدودة اذ كان الزراع واصحاب الحِرَف يأتون بمحصولاتهم ومصنوعاتهم الاسواق العمومية ليتبادلوها. فلا يخفى ما في هذا الامر من

المشقّة والصعوبة وضياع الوقت الثمين فضـلًا عن اختلاف مطالب المتبادلين في ذلك الحين. وكثيرًا ما وقف لذلك دولاب المبادلة ونقصت فائدته. فاصلاحًا لهذا الخلل العظيم ورتقًا لفتقهِ شمّر فريق من الناس عن ساعد الهمة وقاموا وصلةً بين افراد الانسان وبين الامم المختلفة. فنقـلوا مصنوعات زيد الى مقرّ عمرو ومحصولات هذا الى ذاك. وارسلوا سِلعًا كثرت في قطرٍ الى غيرهِ ندرت فيهِ او لم تحصـل. فاراحوا بذلك الزارع والصانع واعطوا القوس باريها. فكانت التجارةُ وارباها التجّار

لا شكّ انّ للعلوم والفنون نصيبًا وافرًا في ترقي الحضارة وتزييد الرفاهة العمومية ولاصحابها الايادي البيضاء على العالم. لكنّ للتجارة وارباها ايضًا في هذا الترقي سهمًا فائزًا وان لم يكن لها القدح المعلّى. فبالتجارة يقوم نظام المبادلة. وتكمل آلتها وتجتمع اداتها. وبواسطتها انتفع الغربي من جودة تراب الشرق ونفـاسة محصولهِ وتوقّد شمسهِ واستفاد الشرقي من مصنوعات الغرب واختراعاتهِ وانوارهِ

فالتجارة اذن من اكرم الصناعات واسمقها باصحابهـا الى اعلى درجات اليسار بل هي اليمّ الذي استقرّت في جوفهِ جواهر الثروة ولآلئ النعمى. فأثرى من غاص عليهـا والتقط دُررها

٢

وقد نشدت هذه الضالّةَ جميعُ الشعوب الماضية والحالية وتفقدت منارتها. فاستنفد كلٌّ منهم في ترويجها وُسعَهُ وأفرغ مجهودهُ. والتواريخ في ذلك حجج نيّرة وادلّة ساطعة باهرة. فضلًا عن ان اللجان العلميّة ما فتئت تزفّ لنا كلّ يومٍ من مواطن الاكتشافات والحفائر الحديثة آثارًا تكشف الغطاء عن التجارة القديمة ومواردها ومصادرها. وتنبئنا عمّا كان لها عند اهل القرون الغابرة من المقام الرفيع والمنزلة العُليا. فدجلة والفرات وتُرَعهما المسدودة الآن تخبرنا بلسان الحـال عن خطارة مُتَّجر الاشوريين والكلدانيين مع المصريين وسائر الملل المجـاورة. وعاديّات نينوى وبابل ترينا أسواق هاتين المدينتين العظيمتين مزدحمةً بالخلق ومخازنهما مملوءةً بالمنسوجات القطنيّة والصوفيّة والحلى والاثاث الفـاخرة

والتوراة تعلمنا اشتغال اليهود بالتجارة رغمًا عمّا كان عليهِ هذا القوم في اوّل امرهِ من الاشتغال بالزراعة والاستظلال تحت الكروم. فقد اخذتهم على عهد سليمان اريحيّة التجارة



فاندفعوا وراء المال والنشب وجمعوا ثروةً عظيمة. فلمَّا أتمَّ الملك المشار اليهِ بناء الهيكل الشهير وأنشأ القصور في حاضرتهِ جهَّز السفن العديدة وارسلها مع عبيد حيرام العارفين بالبحر الى منابع الثروة واستجلب منها كثيرًا من الذهب والفضة. وفي الفصل التاسع من سفر اخبار الأيَّام الثاني ما يشهد لنا بذلك قال: «لم تُحسب الفضَّة شيئًا في ايَّام سليمان. لان سفن الملك كانت تسير الى ترشيش (١ واوفير مع عبيد حيرام. وكانت سفن ترشيش تأتي مرَّةً في كل ثلاث سنين حاملةً ذهبًا وفضةً وعاجًا وقرودًا وطواويس» ومن آثار سليمان بناءهُ لتدمر لتكون مربطًا لتجارتهِ (٢

واماَّ محطّ رحال التجارة ومحورها فهي بلا شكّ فينيقيَة وكان سكَّانها البواسل بلغوا في هذه المهنة حيث لا تبلغ الآمال والاماني. فحدّث ولا حرج عن تجارتهم التي انبسطت الى كل افقٍ وضربت في كل صَوبٍ. وحينما كان لسان حال الانسان يقول:

لا اركبُ البحرَ اخشى عليَّ منهُ المعاطبْ
طينٌ انا وهو ماءٌ والطينُ في الماء ذائبْ

كانت سفائن الفينيقيين تمخر البحار الشاسعة مذللةً تيَّارها ساعيةً فوق امواجها الزاخرة بمصنوعات العالم وسلعهم بينما كانت قوافلهم تطوي البيد وتفري الفيافي متطلّبةً في شاسع الارض ودانيها المحصولات المتنوعة. فشقت سفُنُهم عبابَ البحار والنجوم دليلُها غيرَ مبالية بالعواصف والانواء التي يخشاها تجَّارة كل الاعصار (راجع المشرق ١: ٢١٧—٢٢٢). وانشأوا المستعمرات في البحر الاسود والارخبيل والاتلنتيك. واسفارهم الشهيرة حول قارة افريقية (٣ تشهد بانهم فحول هذه المعامع واسودها. فقبضوا في زمانهم على أزَّمة التجارة بيدٍ من حديد. وامتطوا صهوة السيادة بعقلٍ ثاقبٍ وقلبٍ وطيد. فبلغوا من الغنى والسعة غايةً ليس وراءها مطَّلَع لناظرٍ ولا زيادة لمستزيد. وكانوا يستجلبون من اسبانية وانكلترة الذهب والفضة والحديد والزفت وغيرها من المعادن والمحصولات. وينقلون الى انحاء العالم مصنوعات اليمن وبضائع الهند كالمرّ والبخور

---

١) هكذا سمَّى الفينيقيون بلاد اسبانية ٢) راجع المشرق (١: ٤٩٦)

٣) حدثت هذه الاسفار العظيمة في زمان نيكا الثاني ملك مصر ودامت ثلاث سنين (راجع الجزء الرابع من تاريخ هيرودوت الفصل ٤٢)

والحجارة الثمينة والعاج والاخشاب العطريَّة. فضلًا عن ترويج سلعهم الزجاجيَّة الطائرة الشهرة ومحصولات سوريَّة المتنوّعة. فافادوا العالم اجمع واستفادوا. وهاك ما روى ارسطو الفيلسوف اليوناني عن ثروتهم التجاريَّة. قال: « اتى الفينيقيون ترشيش فاستبدلوا زيتهم وغيره من بضائعهم بمقدارٍ كبيرٍ من الفضَّة حتى لم تسع سفنهم فصنعوا أدَواتِهم وآنيتَهم كلَّها حتى أناجر سفنهم من الفضَّة ». وقال حزقيال النبيّ في صور حاضرة تجارة الفينيقيين (٢٧: ٩) « جميع سُفُن البحر وملاَّحوها كانوا فيكِ لترويج موسمك. ترشيش متَّجرة معك في كثرة كلّ غنىً وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك »

ولم يقف الفينيقيُّون في مدن اوربَّة الساحليَّة بل توغَّلت قوافلهم في قلب البلاد كما دلَّت على ذلك آثارهم المستخرجة حديثًا. فقد اكتشف علماء العاديَّات في وسط فرنسة على ابنيةٍ خاصَّة بالفينيقيين (المشرق ١: ١٠٥١). وروى فريق من الحكماء ان اولئك البحارين الجسورين وطئوا ارض اميركة قبل كاشفها الجنَوي كما تقدموا البرتغاليين الفي سنة في مياه جنوبي افريقية. فيجوز لي والحالة هذه القول بان الفينيقيين أشبه بانكليز زماننا من الليلة بالليلة والماء بالماء. وكان للصيدونيين والصوريين والبيروتيين السهم الاوفر والنصيب الاكبر من هذه المفاخر والمناقب. فهم دُعاة التجارة ورُسلها في شرق الارض ومغربها وهم محور تلك الحركة العظيمة ومحور رحاها. بل هم حياة الهيئة الاجتماعية القديمة ودمها وبلادهم قلبها وسفائنهم وقوافلهم عروق جسمها

والعرب ايضًا وفوا التجارة حقَّها فسهَلوا عسيرها وقرَّبوا بعيدها. وقد مرَّ في المشرق (١: ٨٦٥) مقالة حسنة في الاسواق التي كانوا يقيمونها في انحاء بلادهم ايَّام الجاهليَّة وفي الاسلام. وجاب رحَّالتهم شرقَ الارض وغربها. وأسفار ابن بطوطة والمسعودي وابن جبير وسليمان التاجر وغيرهم اشهر من نارٍ على علم. ففي الهند والصين واليابان راجت تجارتهم. ومن الاندلس نفذت الى اوربَّة سلعهم ومصنوعاتهم. وفي انحاء المعمورة انتشرت علومهم ومعارفهم. على انَّ قصصهم وحكاياتهم الخياليَّة كاسفار السندباد البحري وعجائب الف ليلة وليلة تُظهر ايضًا كلَف هذا القوم النجيب بالاسفار العجيبة ورغبتهم الى التجارة والاطلاع على احوال العالم واخلاقهم

والغرب ايضًا لم يبقَ بمعزلٍ عن التجارة وتقدير فوائدها. فقد اعتنى الرومان بفتح طرقها وتأمين سابلتها وترويج سوقها في ممالكهم الوسيعة. وكان المستحصلون يقيمون



الاسواق التجاريّة في محالّ واوقاتٍ معيَّنة فيتقاطر الاهلون اليها من كل صوب ويبتاع كل منهم ما لزِمَهُ. ومن الاسواق المشهورة سوق الرها كانت تجتمع فيها امتعة الخافقين

وخمدت في القرون المتوسطة الحركة التجاريّة بين الاوربيين وربّما اعدّ بعضهم التجارة صنعةً جديرة بالاسافل وانهـا تبخس بقدر من يزاولها. غير ان السواد الاعظم منهم لم يلبثوا ان يقدّروا قدرها ويتعاطوا انواع الحِرَف والصنائع حتى سدُّوا نفقات حكوماتهم فهبّت التجارة من رقدتها وبلغت منزلتها الحاضرة. والله الموفّق الى الصواب

طرفةٌ تقرأ في بدء الصيام

للاب هنري لامنس اليسوعي

ليس مرادنا في هذه النبذة انْ نُلقي على قرّائنا عظةً. وانّما نسرد لهم قائمةً جديرة بالاعتبار تفيدهم ما ينفقونهُ مدَّة العُمر في سبيل الهضم وفي خدمة البطون

١

مدار كلامنا على رجل صحيح البنية يعيش عيشة مرتبة مدَّة سبعين سنة. فترى ايّ كمِّيَّة من الاطعمة يُنفِذ في بلعومهِ طول هذا الزمان وكم تهضم معدتهُ من المآكل؟

فلنبدأ بالخبز وهو القوت العاديّ وطعام الناس على اختلاف طبقاتهم واسنانهم. فانَّ معدَّل ما يأكل منهُ الرجل الفَرْد في نهارهِ كيلوغرام (نحو اربع اواقٍ ونصف) ما خلا المعجونات من الدقيق كالكعك والقطائف وما شاكلها. فاذا جُمع مأكولهُ من الخبز في سبعين سنة وجدنا انهُ يوازي نحو ١٢٧٥٠ كيلوغرام ولو اصطنعنا من ذلك خبزة كبيرة لأشبهت عمودًا ضخمًا سمكُهُ كسمك رجل متوسّط القامة وطولهُ كثلاثة أضعـافهِ وعرضهُ كضعفَيهِ. ويُقتضى حجرةٌ مساحتهـا ٤٠ مترًا مكعَّبًا كي تودع فيهِ مثل هذه الخبزة

امَّا البطاطا فانَّ ما يبتلعهُ منها الانسان في حيـاتهِ يتجاوز قامة رجل في سمكهِ وقامتين ونصف في علوّهِ. وقس على ذلك البقول والخضرة التي يأكلها الانسان مدَّة عمرهِ فانَّ مأكولهُ من الحمّص والفول مثلًا يوازي سَنفًا طولهُ اكثر من ميل. وهلمَّ جرًّا

ولو قابلنا ما كول الانسان من اللحم في حياتهِ مع عظم جسمهِ لوجدنا بينهما نسبة الجُلّة الصغيرة التي يلعب بها الاحداث الى حجم بقرة ضخمة من صَنف بقرات انكلترة او سويسرة

وبالاجمال ان طعام الانسان المعمَّر سبعين سنة يبلغ نحو ٥٤٠٠٠ كيلوغرامًا. واذا اضفنا الى ذلك ما يشربهُ بمعدَّل ليترين بالنهـار وجدنا مجموع مشروبهِ ٥١١٠٠ ليتر في سبعين سنة

واذا جُمع ما كول الانسان ومشروبهُ معًا أدَّى بنا الحساب الى ما يوازي ١٢٨٠ مرَّة ثقل الانسان

٢

فلعمري انَّ هذه الاعداد السابقة لشاهد صادق على انَّ الانسان كثير الاكل من طبعهِ وربَّما تجاوز الحدود بحرصهِ على الطعام وشراهتهِ والدليل على ذلك عاهات وامراضٌ لا يضمُّها حصر تنتج للانسان من كثرة اكلهِ لا تراها في الحيوان غير الناطق

وهذه الاسقام تتزايد يومًا بعد يوم مع التمدُّن الموهوم الذي يتَّسع كل يوم نطاقهُ في بلادنا. أفلا ترى انَّ الاطبَّاء مع كثرتهم لا يكادون يكفون للتطبيب لاسيما شفاء امراض المسبَّبة من البطنة والنَّهَم. وهكذا قل عن الصيادلة الذين يرتزقون من بيـع الادوية لشفاء الامراض المعدَّية وذلك بعكس البلاد التي عاش اهلها بالقناعة وشظف العيش ملازمين لسُنَّة الصوم فترى سكَّان تلك الاصقـاع يطعنون بالسنّ وهم ثابتون على قواهم لا يكادون يعرفون كثيرًا من الامراض الَّا باسمها كسوء الهضم والتخمة والزحير وقبض البطن والحُمّيات الخبيثة. وانَّما سوق الطب والصيدلة عندهم كاسدة (١

٣

أفلا يُشكَر الدين بعد ذلك على ما اشترع من سنَّة الصوم ليس فقط لما يُنال بذلك من الثواب في الآخرة ولكن ايضًا لصلاح المزاج ولمنفعة الصحَّة. وقد ذهب نُطس اطباء

---

١) كان في غرَّة هذا العصر طَلَبة الطبّ في فرنسة الفًا فقط وهم الآن فيها تسعة آلاف. اما البلاد الشاميَّة فعدد اطبَّائها أربى في مدَّة الثلاثين سنة الاخيرة على خمسة عشر ضعفًا. ولا شكّ ان التفنّق في المعاش وكثرة اكل اللحوم من الاسباب القاضية بمثل هذا النموّ



العصر كهوفلند (Hufeland) وبُرغريف (Burggræve) وريشه (Richet) الى ان أعظم اسباب انحطاط القوى وتوعك المزاج في زماننا انَّما هي المآدب الفاخرة والولائم المتعدّدة. المآكل التي تكثر فيها معاقرة الخمرة. وهؤلاء أئمَّة الطب اغلبهم من البروتستنت او من احرار الفكر لا يعترفون بسلطة الكنيسة على اشتراع السُّنن الَّا انَّهم في مسألة الصوم يطنبون على حكمة ارباب الدين ويؤدي بهم ثناؤهم الى ان يقولوا: « لو لم يُفرَض الصوم بين الفرائض الدينيَّة لاقتضى سنُّهُ كشريعة بشريَّة لما يترتَّب عليهِ من الفوائد الصحيَّة »

وكانت الشرائع الرومانية فرضت على اهل رعيَّتها الَّا يتجاوزوا في مآدبهم حدًّا معلوماً. ومن حكم العرب: انَّ افضل الدواء ان ترفع يدك عن الطعام وانت تشتهيهِ. وقد كتب احد فلاسفة زماننا: « انَّهُ لمن الامور الحريَّة بالأسف انَّ قوانين الدُّول لم تتخذ الوسائل الفعَّالة لصدّ الشرور العديدة الحاصلة من اختزام سنَّة القناعة في الاكل والمشروبات. ولو تصدَّق كثيرون من اهل الثروة بعُشر ما يصرفونهُ في المآكل الزائدة لسدُّوا عوز أُلوف من الفقراء الذين لا يملكون قيتةَ ليلة ولا شروى نقير »

ولكن دعنا نقف عند هذا الحدّ لئلاَّ يرمينا القرَّاء بعدم الوفاء فيقولون اننا رقينا منبر الوعظ. وكلُّ شيء في حينهِ ومكانهِ حسن. والسلام

الزراعة السوريَّة

في الزمن القديم وفي ايَّامنا

للشابّ الفاضل الاديب سليم افندي اصفر

لمن المقرَّر انَّ بلاد الشام اشتهرت منذ القدم بريعها وخِصب تُربتها. وذلك امرٌ تشهد بهِ اساطير الاوَّلين ويثبتهُ النظر في طبقات ارضنا

ثمَّ بقيت سوريَّة على حالتها من العمران الى عهد الرومانيين في القرون الاولى بعد المسيح يعدونها لمحصولاتها العديدة من اهراء رومة

امَّا اليوم فانَّنا نجد زراعة سوريَّة قد تقهقرت وبلغت الى حدّ من الانحطاط يُرثى لهُ. فيا ترى ما سبب هذا الاختلاف أفيكون ناتجًا من تغيُّر طرأ على هواء بلادنا واحوال جوّنا ? لا لعمري فانَّ الآثار الجزئية في سوريَّة وفلسطين لم تكد تتحوَّل متقلِّبة مع

الايّام كما اثبت ذلك حضرة الاب لامنس في مقالة حديثة وضعها في هذا الصدد(١) . امّا رطوبة الارض فقد قلّت شيئًا ما منـذ قُطعت الغابات القديمـة وخفّت بسبب ذلك الغيوث المدرارة التي كانت تروي الارض بغزارة وتتوالى في جميع فصول السَّنة

وعلى ظنّنا انّ العلّة الكبرى لهذا التقهقر انّما هي التواني الذي مدّ رواقهُ على اهل وطننا. وبينما نرى الزراعة تنمو راقية معارج الفلاح في جميع البلاد لا يكاد مواطنونا يبدون حراكًا لتحسين التربة واتّخاذ الوسائل العديدة التي بلّغت الحراثة في انحاء المعمور اوج كمالها فاستغلّ مَن سوانا الغلاّت الوافرة من اراضيهم ونحن لم نحصل من تربة ارضنا الّا النزر الزهيد

وفي بادئ الامر لا أُحبّ ان ينسبني القرّاء الى المغالاة في اتّخاذ الاساليب المستحدثة للفلاحة فاضرب صفحًا عن آلات كثيرة يمكن استخدامها لهذه الغاية وعن التسميـد الكيموي وما شاكل ذلك من الوسائط التي يأنف ارباب الزراعـة من اتّخاذها لما تستلزم من النفقات الطائلة والاختبار

وانني اكتفي بتَعْداد بعض الاعمال الزراعية والتحسينات القريبة المنال وما لا يقتضي كُلفةً كبرى كما انني اذكر الادوات التي باستعمالها يحصل للزارع اقتصاد ظاهر

اذا اعتبرنا حالة الارض في بلاد الشام وجدنا انّ تربتهـا كنزٌ ثمين ومعدن ثروة الاهلين بيد انّ هـذا الكنز دفين ينبغي لاستخراجهِ من بطن الارض بعض الكدّ والشغل وذلك بان تُقلب التربة قلبًا وتُحفر حفرًا بليغًا يُفني اصول الاعشاب الباطـلة ويُحيي مَوات الارض لا كما يفعل الفلاّحون في بلادنا اذ يخمشون وجه الارض بمحراثهم لا يبلغون من عُمقها الّا شبرًا او شبرَين

وقبل ان نبيّن ما تحتاج اليهِ الارض من الشغل لتأتي بغلّتها وافرةً زكيّة لا بُدّ من تقديم بعض افادات عن طبيعة النبات وكيفية اغتذائهِ

من المعلوم ان للنبات حياةً لا مُندحة لها من غذاء يحفظها ويقوّيها. وهذا القوت يحلّلهُ النبات من عناصر الهواء او يمتصّهُ من تربة الارض فيُحيلهُ الى جوهرهِ

واوّل ما يدخل في نسيج النبات الماء او بالاحرى ركناه الاكسيجين والهيدروجين

(١) Le Climat Syro-Palestinien, Autrefois et Aujourd'hui, *Études*, 20 Sept. 1898.

ثم الكربون ثم الازوت مع موادّ أُخرى معدنيَّة نجدها في رماد كلّ النباتات كالحامض الفُسفوري والاشنان والكلس وهلمَّ جرًّا

ومن عجيب حكمة الباري انَّهُ عزَّ وجلّ جهَّز للنبات قوَتهُ يأتيهِ بهِ هنيئًا مريئًا. فينال النبات ماءهُ من امطار السماء تخرق التربة وتنفذ منها الى اصول المزروعات وعروق الاشجار. وينال من الهواء الكرويّ حاجَتهُ من الكربون وذلك بان تحلِل اوراقهُ الخضراء بقوَّة اشعَّة الشمس ما ينبثُّ في الجوّ من الحامض الكربونيك. فاذا امتصَّ النبات عُنصر الكربون امتزج فيهِ بركنَي الماء وحصلت لهُ من هذا المزيج مادَّتهُ النباتية على طُرُقٍ شتى تختلف مع اختلاف اصناف المزروعات وهكذا يتولَّد سكَّر الاثمار والشَّمندر ونشأ البرّ ولُباب البطاطا ومادَّة الخشب النسجيَّة ومادَّة السنديان والعفص الدبغيَّة وراتينج الصنوبر

وممَّا يدخل في النبات الاغذية المعدنيَّة فانَّها تتأتى من فَتيت الحجارة الداخل في جسم الارض لا يُستثنى من ذلك غير مزيج الازوت بالمعادن. امَّا الازوت نفسهُ فان النبات لا يقوى على استخراجهِ رأسًا من الهواء مع كثرتهِ في الجوّ وانَّما يستخلصهُ في الغالب من الموادّ الازوتيَّة الموجودة في التربة ولاسيما من مزيج النطرون والقلى الحاصل من هذه الموادّ المذكورة

ولقد ساء كثيرون ظنًّا اذ يتوهَّمون انَّ الارض ساكنة جامدة ميتة والاولى ان يقال انَّ لها حياةً عظيمة تبدو بآثار جليلة وتُنبئ بقوَّتها المنعشة. وأحسن الاقدمون اذ سمّوها بالوالدة الكبرى (alma mater) يريدون انَّها كامّ لا تزال في المخاض لتقوم بحاجة ابنائها وقوتهم اليوميّ

فاذا ولجنا بنظر العقل في حجر هذه الامّ وجدنا الحياةَ فيها اشكالًا ترى فيها عددًا من الحُيَيوينات لا يحصيهِ الَّا الخالق وهي تجول في وسط الارض بلا انقطاع لا يخلو منها مكان مهما كان حرجًا صغيرًا فتلك هي الميكروبات التي اكثر من وصفها علماء عصرنا. وهذه الكائنات لها اعمال عجيبة في نموّ النبات كما انَّها تحتاج الى النبات لقوام معاشها وهكذا يتبادلان في المنافع ويتشاركان في الخيرات (١ فانَّ الميكروب لا غنى

(١ E. Gain : *Précis de Chimie*, 1895

لهُ عن المادّة الآليّة التي هي كثيرة في النبات فتراهُ يلتصق بهِ متشبثًا لنوال حاجتهِ. بيدَ انَّ النبات ايضًا في حاجة ماسّة الى الازوت فيحملهُ الميكروب ويجيزهُ اليهِ بعد ان استقرض منهُ مادّتهُ الآليّة. وعلى هذه الصورة ترى الميكروب يرتزق من عمل النبات والنبات يغتذي بحصول شغل الميكروب (١. فسبحان الخالق الذي صرف همة مخلوقاتهِ الى الائتلاف تُساعد بعضها بعضًا فتستفيد من خواصّ بعضها

ولكن اذا كان في بعض الميكروب منافع جمّة للفلاحة نجد في غيرهِ ايضًا آفاتٍ عديدة تستدعي من ارباب الفلاحة حربًا عوانًا لا تُخمَد سعيرها ولا تخفُّ اوزارها وليست هذه الحرب الّا اختيار الوسائل التي تصلح لحياة النبات ونموّهِ كما سيأتي

فممّا سبق امكن للقرّاء ان يفهموا ما اودع الله في النباتات من الاجهزة العجيبة لتجتذب لها من الهواء والتربة ما يصلح لتحويل الموادّ الغير الآليّة الى آليّة. وذاك لعمري فعل يُعدّ من غرائب الكون وعجائب الطبيعة فيرتقي الجماد الميت من طبقتهِ السُّفلى الى طبقة اشرف ذات حركة ونموّ وحياة

ولعلّ معترضًا يتصدّى لنا فيقول: فان كانت الارض على ما وصفت وهي اشبه بمَصنَع عظيم فيهِ ربوات الوفٍ من عمَلَة الحشرات تقوم بأود النبات وتقضي لوازمهُ فما الحاجة اذن الى الحراثة. أجبنا انَّ الحراثة المنظَّمة تَقلب التربة قلبًا تامًّا بحيث ينفذ في احشائها اوكسيجين الهواء وهذا العنصر كما لا يخفى هو ركن الحياة ولولاهُ لَما قامت كلُّ هذه العوامل بشغلها قيامًا حسنًا. ولا بُدّ لذلك من سكّة قويّة تخدُّ الارض وتبالغ في شقّها. وعليهِ فانَّ المحراث المعهود في بلادنا لا يفي بهذا الحاجة فينبغي استبدالهُ بما هو اشدّ فعلًا. وعلى كل حال لا يكفي لفلاحة الارض ان يجرّ بالمحراث بقراتٌ فتيّة او ايضًا حمير مهزولة كما اعتاد ذلك بعض اهالي البقاع وشاهدناهُ مرارًا بالعيان

وما قدّمتهُ من القول عن المحراث يصحُّ ايضًا في بقيّة ادوات الفلاحة كآلة درس الاكداس مثلًا فانَّ النَّورج المتخذ لذلك قد بطل استعمالهُ في كلّ البلاد المتمدّنة لما فيهِ من الخلَل فكيف يداوم السوريُّون على استخدامهِ

١) واعلم انَّ البقول اذا كثرت في ارض اغنتها بكمّيّة عظيمة من الازوت وانَّما الفضل في ذلك لبعض الميكروبات. وكذلك البور لا يُحسّن الارض و يريحها الّا لنموّ الميكروب فيها سنة خلوّها من النبات

ومن فوائد علم الفلاحة ان يتلافى اربابها خللًا آخر وذلك انّ النبات لا يقتات بكل صنف من الاغذية دون افراز بل لهُ في طبعهِ قوّةٌ اختياريّةٌ يجتذب بها بعض الموادّ دون ان يُبالي بانساب ما يوجد منها في التربة فعلى الزارع الحاذق ألا يدع الارض تخلو من هذه الاركان

واحسن طريقة لذلك علم تنسيق المزدرعات الذي كتبنا عنهُ مقالة مطوّلة في المشرق فعليك بالمراجعة (١ : ١٧٤ , ١٩٣) . وحسبنا هنا بالقول ان تبديل المزروعات في الارض الواحدة كلّ سنتين على مألوف عادة اهل بلادنا تبعًا لطريقة قدماء الرومان لم يفِ بالمقصود . وقد آثر الآن ارباب الزراعة الاوربيّة بعد اجرائهم الاختبارات المتعدّدة طريقة ابدال المزدرعات على مدار ثلاث سنين . ويسرُّنا انّ بعض السوريين اخذوا في اتّباع هذه الطريقة المستحدثة لكنهم يخطئون بتنسيقهم اذ يعقبون البور بالقمح ثم بالشعير . والصواب ان يعقبوهُ سنةً بالبذور ثم بالبقول فذلك اصلح للتربة

ولكن ليس هذا بكافٍ فانّ بلادنا كانت تقلّ غلاّتٍ طيّبة من القطن والكتّان والقنّب والخروع ولا تكاد ترى الآن اثرًا لهذه المزروعات او تراها على شفا الفناء . على انّ كثيرًا ما كانت مجلبةً للثروة يعتبرها الاجانب لجودتها نخصُّ منها بالذكر القطن الذي كان يزرع في فلسطين في جوار حيفا وعكّة وصور وصيداء . ولاسيا في شمالي سوريّة وكان الغرباء يقبلون على القطن السوريّ لشدّة بياضهِ ومرونتهِ . واليوم قد تغلّبت عليهِ الاقطان الاجنبيّة لم يبقَ من قطننا الّا الشيء القليل ينبت في جهات حلب ويُستعمل في حمص وحماة ودمشق (١

هذا وكم من بقول وخضراوات يزكو زرعها في جنوبيّ اوربّة ولو زُرعت في اقطارنا السوريّة لأتت بدخول طيّب لاصحابها . ولنا ضمين عن المستقبل ما رأيناهُ في الماضي فانّ كثيرًا من احرار البقول والاثمار التي كانت مجهولة تمامًا في برّ الشام صارت اليوم تُباع بالاسواق باثمان بَخسة . فلنا اذن الامل الوطيد انّ الزرّاعين ينهضون بهمّتهم ويتّخذون الوسائل لاصلاح حالة الفلاحة فتزيد بها بلادنا حسنًا وفلاحًا

---

١) هذه افادة اقتبسناها من جغرافيّة سوريّة وهو كتاب لحضرة الاب ه . لامنس لم ينشر بعدُ بالطبع

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ومن شعر ناصر الدين بن الحسين قولهُ وامر بان تعلّق على باب الحمّام الذي انشأهُ تنكز في بيروت:

وحمّام يروقُ العين حسنًا ... تحيط بهِ المسرَّةُ والنعيمُ
يُريك للماء يسرحُ فوق درٍّ ... تزول بهِ لمنظرهِ الهمومُ
كأنَّ حُبابَهُ والجامُ فيهِ ... سماء طالعاتٌ بها نجومُ
وقد رُفعت لمن شاد المعالي ... واضحى على الملوك لها زعيمُ
بهِ أَمِنَ الشآمُ وساكنوهُ ... وطَيْبَةُ والمشاعرُ والحطيمُ
بهِ الاسلام اصبح في انتصار ... وجمع الشركِ مغلولٌ هزيمُ
فانَّ الناصرَ المنصورَ سيفٌ ... وفي قلب العدوّ بهِ كلومُ
وانَّ الناصر المنصور رمحٌ ... بهِ يتوطَّد الدينُ القويمُ
وانَّ الناصر المنصور درعٌ ... بهِ يتنقَّضُ الامرُ الجسيمُ
فاهل الشام والاسلام جمعًا ... دُعاهمُ انَّ دولتهُ تدومُ(57)
وان يُعطى خلودًا في سعودٍ ... مدى الايام ما هبَّ النسيمُ

وقال يخاطب بعض اهل زمانهِ:

ما لي اراكَ عزيزي اليومَ تظلمني ... والعدلُ منكَ الرجا والفضلُ والأملُ
لو آمرٌ رام اذلالي سواك نبَتْ ... عمّا يحاول مني البيضُ والأَسلُ
وانّما انت ما لي عنك من عوضٍ ... تجني فأرضى وتبلوني فاحتملُ
فاحفظ مودَّةَ عبدٍ حافظٍ ابدًا ... عهد الأخلاَّء ان جاروا وان عدلوا
واغرس جميلًا اذا ما كنتَ مقتدرًا ... فالوقتُ يذهبُ والظلاّمُ والدُّوَلُ

وقال ايضًا وصدَّر بهِ كتابًا عن جوابٍ:

وافى المثال وحيّانا فأحيانا ... لمّا ارانا من الاخوان إحسانا

كأنّهُ بارقٌ باتت لوامعـهُ تهدي الى اعين الانسان انسانا (58r)
انوارهُ اشرقت في الكون فانبعثت اشعَّة حملت رَوحًا ورَيحانا
فالله يحرسُ من ضاءت محاسنهُ حتَّى استفدنا بها علمًا وعرفانا
لولاهُ ما خبَّرت اقلامُنا حكَمًا يومًا ولا نظمت في السلك عقيانا

وقال ايضًا :

ما احسن العدل والانصاف بالامرا اذا تولَّوا امور النـاس بالرُّتبِ
وما يدوم سوى الفعل الحميد وما توليهِ من حَسَنٍ تبقيهِ في الـكُتبِ
اني صدقتكَ في قولٍ فأَحلهُ على النصيحة لا هزلٍ ولا لَعبِ (59r)

وقال يعاتب صديقًا :

واذا السعادة غيَّرت اخواننـا ولَوَوْا وجوهمُ بها وتبـدلَّوا
فلاصبرنَّ عـلى التغيُّر منهمُ أُسني العتابَ لهم الى ان يعدلوا

وللناس مدائح كثيرة في ناصر الدين المذكور ولو ذكرتُ بها لضاق بهاوانما نذكر منها اليسير ونختصر الكثير (١ حتَّى لا يطول الشرح بها ولا يخلو هذا الكتاب منها. وقد تقدَّم ذكرنا لمحمَّد بن عليّ بن محمـد الغزّي شاعر السلَف ووصفنا حسن كتابتهِ وبلاغتهِ. ولهُ المدائح الجليلة في السلَف. ومن ذلك المقامة المقدَّم ذكرها سنروي منها ان شاء الله ما جاء فيها من وصف كلّ واحد منهم عنـد ذكرنا لهُ. ثمَّ ختم الغزّي المذكور هذه المقامة بمديح ناصر الدين وولدهِ بقصيدة اختصرت منها هذه الابيات صدَّرها بما يأتي من النثر (٢ :

« وهل تُشامُ في الشام غيرُ بروق سحائبهِ. او يروقُ غير جمال كُتبهِ وجميـل كتائبهِ. فالجدُّ والجدوى وقفٌ على سيفهِ وقلمهِ. والعفافُ والتقوى من طباعهِ وشيَمهِ. غالبًا بآرائهِ الغنيَّة عن الروايات. بالغًا بآلائهِ غايات النهـاية ونهاية الغايات. مع كتابةٍ كالروض باكرهُ من كفهِ وَسميُّ الغمام. وبلاغة تفعـل بالعقول ما لا تفعلهُ المُدام.

---

١) وكذا فعلنا نحن ايضًا لانَّ في اكثر هذه القصـائد ركاكة ظاهرة وجوازات شعريّة عديدة تشوّه ما فيها من المحاسن

٢) جاء في حاشية الكتاب :« كل ما نكتبهُ عن الغزي نقلناه عن خطّهِ »



أوّلها:

حيًّا الحيا غربَ بيروتٍ ومَن فيهِ ... وجود كفّ ابن سعد الدين تكفيهِ
غربٌ غدا مشرقًا للجود ما برحت ... شمسُ المكارم تُضحي في ضواحيهِ (59[2])

ومنها قولهُ:

فللجحافل ما تحوي حشاشتهُ ... وللمحافل ما تحوي اياديهِ
وللتقى منهُ ما ضمّت بواطنهُ ... وللحيا منهُ ما ضمّت مآقيهِ
وللفضائل والأفضال منطقهُ ... وللمحاسن والإحسان ناديهِ
هل للحسين بن خضر في الورى احدٌ ... جودًا يباهيهِ او بأسًا يضاهيهِ
ان قلتُ ليثٌ فما لليثِ همّتهُ ... اذا سطا يوم حربٍ في اعاديهِ
او قلتُ غيثٌ فما للغيث موقعهُ ... في النقع ما بين قاصيهِ ودانيهِ
او قلتُ بحرٌ فاين البحرُ من رجل ... لو أُعطيَ البحرَ اعطاهُ بما فيهِ
مَن زيّن الدينَ والدنيا بطلعتهِ ... فالله يُبقي اباهُ ثمّ يبقيهِ
قد خصَّهُ الله من اعمامهِ كرمًا ... بعشرٍ من صروف الدهر تفديهِ

ولمحمّد الغزّي مخمّس من مشطور الرجز يمدحهُ بهِ ومنهُ قولهُ (60[1]):

يا من يجوبُ قاصيَ البلادِ ... ان جئتَ إعبيهِ فقف ونادِ
سقى رُباك وابلُ العهادِ ... ففيك اهل الجودِ والجيادِ
سُحبُ العطايا وأُسودُ الحربِ

واقرِ السلامَ من غريب الدارِ ... على ابن سعد الدين ذي الفَخارِ
ناصرِ دين الله بالبتّارِ ... ومُطعم الضيف وحامي الجارِ
والوابلِ الهامي زمانَ الجدبِ

خيرُ اميرٍ آمرٍ بالكرمِ ... عوّد كفّيهِ ببسطِ النِعَمِ
ما قبضا غيرَ عنان الشيظمِ ... او اسمرٍ او ابيضٍ او قلمِ
ينهلّ في الطِرس شبيهَ السُحبِ

ثناؤهُ مثل العبير فائحُ ... تزهو بهِ وبابنهِ المدائحُ
نعم الحسينُ والاميرُ الصالحُ ... للدين زينٌ حارسٌ مكافحُ
يحمي حمى الدين بحدّ العَضبِ

للهِ شبلٌ قد نشا من أسدِ كمثلهِ في بأسهِ والجلَدِ
بطلعةٍ مثل ضياء الفرقدِ جنابهم للمعتفي والمعتدي
جودًا وبأسًا في ندًى وكَرْبِ

ما زال للدين حسينٌ ينصرُ كخضر سعد الدين بل ذا اكثرُ
وجدُّهُ محمّدٌ لا يُنكَرُ كرامةٌ حجىً ابوهم بُحترُ
خيرِ تنوخٍ من اجلّ العُرْبِ

اخوتُهُ اربعةٌ كرامُ همُ لِسلكِ مجدهِ نظامُ
مكارمٌ يشكرها الانامُ من دونها البحارُ والغمامُ
ان قيل مَن قُلْ امراءُ الغربِ

عزٌّ صلاحٌ ثمَّ فتحٌ وشرفْ لهم على الغَربِ جمالٌ وطُرَفْ
بحار جودٍ من نداها نغترفْ مَن أمّهم عنهُ الاسى قد انصرفْ
ولم يُحَقْ من مُعضلاتِ الخطْبِ

قومٌ لهم اشرقتِ الجبالِ اقوالهم تتبعها الفعالُ
اربعةٌ ما لهمُ مثالُ شمسٌ صباحٌ قمرٌ هلالُ
قرّةُ عينٍ وسرورُ القلبِ

يا آلَ عبدالله من جُميهرِ سلالةُ النعمان ابن المنذرِ
لا عجبٌ ان كان ماء المطرِ جدُّكمُ وانتمُ كالأبحرِ
عذبٌ شهيٌّ من زُلالٍ عَذْبِ

اوليتموني من نداكم أنعُما وعشتُ في ظلكمُ مكرَّما
انَّ لكم مني ثناءً ضعف ما سمعتمُ مني وما تقدّما
ما غرّدت سواجعٌ في القُضْبِ

(ستأتي البقيَّة)



السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل التاسع

زوجة نسيب

ولنعد الان الى الكلام على سان فرنسيسكو فنقول ان هذه المدينة العظيمة المشيدة على ساحل البحر الباسيفيكي كانت من نحو قرن قرية حقيرة بناها جماعة من المرسلين الذين ذهبوا الى تلك البلاد لنشر بشارة الانجيل ما بين سكانها المتوحشين فما كان يؤمها سوى قليل من السفن في فترات متباعدة ولم يكن هناك لا سكك حديدية ولا طرق مخطَّطة. الا أن هذه القرية الخاملة ما لبثت ان تحولت بسرعة غريبة الى مدينة كبيرة لانهُ ما كاد يعرف خبر اكتشاف المناجم الذهبية في ارضها حتى تقاطر اليها مئات وألوف من المهاجرين فنزلوا على رمالها المقفرة

وفي وقت قليل شيَّدوا الدور والمنازل والفنادق الكبيرة فاتسعت سان فرنسيسكو اتساعاً عظيماً وكانت تسمى قبلاً « يربابوينة » وتبلغ مساحتها اليوم مئة كيلومتر مربع وفيها عدد عديد من المهاجرين من كل صقع وجهة وكلهم مدفوعون بعامل واحد ورغبة واحدة وهي ان يحرزوا الغنى والثروة في اقرب ما يمكن من الوقت

وهذه الرغبة هي نفس التي ساقت فاضلًا الى تلك النواحي القصيَّة والاماكن البعيدة التي لم يكن يُعرَف من امرها الَّا اسمها. ومن ثمَّ ما صدَّق ان وقف القطار حتى قفز الى المحطة فرحًا محبورًا وتبعهُ نسيب متمهلًا لانهُ كان في تلك الساعة يفتكر بوالدته. ثم ان نسيباً استأجر عربة وركب مع فاضل رفيقه فاخذت تقطع بهما الشوارع والاسواق وفاضل يتلفَّت ذات اليمين وذات الشمال وهو متعجب ومنذهل مما يشاهد من فخامة المدينة. وقد نسي في تلك الساعة كل ما ذاقهُ من المرارات والمشقات ولم يعد يفتكر الَّا في الحاضر

وقد مرَّ الخبر ان الحالة التي كان عليها في نيويرك لم تسمح لهُ بالانتباه الى شيء



مما تحتويه تلك المدينة الزاهرة. امَّا هنا وقد اطمأنَّ بالهُ وزال كربهُ فكان ينظر الى عجلات الترامويِ متعجباً من مسيرها دون ان يشاهد شيئاً يجرُّها وكان يسأل نسيباً عن الاسلاك الكثيرة الممتدَّة في الهواء ويستفهمهُ عن فائدتها امَّا نسيب فكان يجاوبهُ ببطء وبقليل من الكلام لانهُ كان دائم البلبال حزيناً على والدته التي فارقت الدنيا في غيابه دون ان يتمكن من وداعها الاخير. وظلَّت العربة سائرة بهما حتى وقفت عند زاوية شارع مونتغوميري (Montgomerry) اكبر محلّ تجاري في الدنيا. فهناك كان منزل نسيب وفيهِ كانت امرأته ميس جِنِي (Miss Jenny) تنتظره وهي تطالع كتاباً الى جانب النافذة وكانت امريكية بجتة ذات شعر اشقر وعينين زرقاوين ووجه كالح وقد تلقَّت دروسها في المدارس الكلية. وذلك انَّ تعليم البنات في العالم الجديد هو غير تعليمهنَّ في اوربة فهناك تتعلم البنات فنّ الجمنستيك اي الالعاب الرياضية وفن المسايفة وكل العلوم التي يدرسها الرجال في اوربة وتجازى الناجحات منهنَّ باحراز درجة البكالورية والدكتورية. ولا شك ان نسيباً مع كل ما اتصفت بهِ امرأته من غزارة المعارف كان الأَولى لهُ ان يقترن بابنة سورية من بلاده من ان يتخذ لهُ امرأة عالمةً يشعر معها بانحطاطهِ ويهمل لاجلها ديانة آبائهِ. قلنا هذا لان ميس جني كانت بروتستانية فلمَّا رغب نسيب في ان يتزوجها ويتزوج معها ثروتها ضحَّى كل شيء في جنب مرامهِ حتى عقيدتهُ

سبق القول ان ميس جني كانت امريكيَّة بجتةً. وفي هذا المقام لا نرى بدًّا من اسهاب المقال في شانها لسببين الاول كونها زوجة لشخص مهمّ في روايتنا هذه والثاني لان الحديث عنها لا يخلو من فوائد جزيلة تطلع القارئ على كيفية المعيشة الامريكية

كان ابوها في اول امره معدناً بسيطاً في مناجم كاليفورنية فبينما كان يشتغل مع رفيق لهُ قُتل رفيقهُ تجاه عينيه بفعل انفجار البارود. ونظرًا لما اتَّصف بهِ من المروَّة حفر حفرة الى جانب شجرة ليدفن فيها جثة ذلك الصديق. الَّا انهُ بينما كان مجتهدًا في الحفر كشف قطعة كبيرة من الذهب يبلغ وزنها ١٥١ ليبرة وكانت في غاية الصفاء والنقاء لانها لم تكن تحوي خلا الذهب سوى شيء قليل من الكوارتز الابيض. ولما كانت القطعة ثقيلة اضطرَّهُ الحال ان يستعين بغيره من المعدّنين لاجل استخراجها.

وكان لكشفها دويٌّ عظيم وقتئذٍ لانها اكبر قطعة ذهبية كُشفت حتى ذاك الوقت في مناجم كاليفورنية وثانية قطعةٍ وجدت في الدنيا لانهُ كان قد كُشف قبلها في اوسترالية قطعة أُخرى وزنها ٢٢٣ ليبرة. وقد باع المذكور القطعة المحكي عنها بمبلغ ١٨٢ الف فرنك فكان ذلك مبدأ ثروتهُ واصل غناهُ. امَّا ابنتهُ ميس جِني فكانت ذكيَّة الفؤاد حديدة الفهم سريعة الغضب وقد اعتادت مذ صغرها سَوقَ الكلّ الى العمل بموجب ارادتها. الاَّ انَّها لمَّا ادركت العشرين من سنِّها طرأَ عليها ما ذهب برونق شبابها الغضّ فتبدلت حمرة خدَّيها بالاصفرار وفقدت شهوة الاكل وبُليت بالأَرق المعذّب فانزعج ابواها من جراء هذه الحال وقلقا على صحَّتها واستدعيا احد مشاهير الاطبَّاء لمعالجتها فصرَّح بان ما اصابها هو حادث فيسيولوجي ناجم عن الماليخوليــة او السوداء وحكم انهُ لا بُدَّ لازالة هــذا المرض الانكليزي الاصل من تغيير تامّ في هيئــة معيشتها ومن ثمَّ أشار بتزويجها. ولكن ميس جِني اوضحت في الحال ان الدواء الذي وصفهُ هو شرّ من الداء

ثم قالت لهُ: كيف استطيع ان اقترن بشاب من هؤلاء « اليانكيز » الذين تنحصر كلّ حياتهم في الاهتمام بالاعمال التي تشغلهم دائماً دون انقطاع ألا افتكر لي في علاج آخر

وعلى إثر ذلك جزم ابوها ان يرسلها الى المكسيك على امل ان تشفى بتبديل الهواء وترويح النفس بالاسفار. وكان لها اقارب في تلك البلاد كما كان لوالدها نظير امثالهِ من اصحاب الملايين اصدقاء ومعارف عديدون. الاَّ انَّهُ لاهميَّة اشغاله في سان فرنسيسكو لم يكن يستطيع ان يرافقها وكذلك امرأتهُ لم تكن لترضى بمغادرة زوجها وحده ولذلك أصحبها بابنة عمّ لهُ اسمها ميسترس مورتيمر (Mistress Mortimer)

وبعد مضيّ خمسة عشر يوماً همت ميس جِني بالسفر فسارت مع رفيقتهــا الى رصيف المرفإِ وتبعها والدها لوداعها. وتبعها ايضاً نخبة من شبَّان المدينة الى الميناء وانزلها احدهم في زورق جميل واوصلها الى الباخرة بعد ان قدَّم لها بالنيابة عن الجميع طاقة من الزهور الطيّبة العرف وسألها قبولها فتناولتها ببشاشة وصافحتــهُ مودعةً ولكن دون ان تبدو منها اقلّ علامة ارتياح وسرور

وكان على ظهر الباخرة وقتئذٍ شاب متكئٌ على الدرابزين يشاهد كل ما جرى من



حفلة الوداع لميس جني فهزأ بما رأى من خفة الشبان الاميركيين كيف يبذلون شرفهم ارضاء لفتاة متغطرسة

وترى من هو هذا الشاب المجهول. ولا شك ان القارئ اذا امعن النظر يتذكر ذاك الوجه الذي تتغلب عليه الهيأة الشرقية ويحيط به الشعر الاسود الفاحم. هو هو المستر نسيب وكان قد مضى على اقامته في الديار الاميركية عشر سنوات احرز في خلالها نجاحاً يذكر. فانه كان قد صار من كبار المستخدمين لدى احدى شركات المناجم في كاليفورنية وأرسل من قبلها الى المكسيك لبعض شؤون مالية واتفق سفره اليها في نفس الباخرة التي ابحرت عليها ميس جني ابنة جون اولري (John Olrey)

على انه بالرغم عن تأثره السيء لاول وهلة من الفتاة المومى اليها ما زال يحدق بصره ويهتم لمعرفة شأنها و ينظر الى طاقة الزهور الجميلة التي كانت بيدها

وبينما هو يتطلع فيها وكانت الباخرة قد بعدت عن الشاطئ اذ أبصرها قد رمت طاقة الزهور في البحر فعامت قليلاً على وجه الماء ثم اتت موجة فاغرقتها. وحينئذ تنهدت تنهد من زال عنه كرب عظيم وجلست على احد المقاعد في ظل الخيمة الكبيرة وهتفت بالفرنسية قائلة :

— قد زال الماضي بل مات واندفن أيتها العمة كيلي (Kelly) فسلام على رفاته

ولعت اسرة وجهها واشرقت عيناها وافتر ثغرها واخذت تتنشق بلذة نسائم البحر وتنشرح صدراً من مشاهد المياه

فعرف المستر نسيب ان رفيقته في السفر تتكلم الافرنسية وقال في نفسه انها كما حكمت عليها لاول وهلة دون قلب ولا عاطفة ولكن لا بد من بذل الجهد لاستمالتها ومكالمتها لعلي اتصل الى نتيجة. ومن ثم لم يأل جهداً طول ذاك النهار في التقرب اليها واسترضائها والقيام بكل خدمة يستطيعها لاستخلاص مسرتها. وهكذا حصل بوقت قريب على ثقة ميسترس مورتيمر التي ابتهجت بمرافقته كثيراً لانها تلقت منه كل الاستعلامات اللازمة عن البلاد التي كانت ذاهبة اليها هي وابنة اختها

اما ميس جني فكانت تقل من الكلام وتكثر من السمع وتكتفي باظهار استحسانها باشارات عينيها

غير انها ما لبثت ان عطفت الى نسيب كما عطف اليها وشغف كل منهما بالآخر

شغفاً عظيماً فصارا يقضيان طول نهارهما وقسماً من ليلهما وهما يتحدثان ولا يرتويان

أمَّا ميسترس مورتيمر فانَّها ابتهجت من جهةٍ لانقياد ذاك القلب المستعصي الى داعي المحبَّة وخافت من جهة أُخرى مساءة ابوي الابنة لحصول ذاك التحابّ دون رضاهما. ولكنها رأت ان الممانعة لا تجدي شيئاً فتجلَّدت وصبرت. وبينما كان نسيب وميس جني ذات مساء يتمشيان على ظهر السفينـة وقد صفا اديم الجوّ وطاب النسيم باح نسيب للفتاة ببغية الاقتران بها فما كان منها الّا ان صافحتهُ بيده قائلة بكل صراحة: اني رضيتك لي قريناً ولا اريد عنك بديلًا

وقد مرَّ الخبر ان ميس جني كانت قد آلت ان لا تقترن باحد من الشبَّان الاميركيين فجاء تصريح لنسيب بما صرَّحت بهِ بدايةً لاتمام حلفها

ولمَّا انتهى الجميع الى مكسيكو كان نسيب يذهب لقضاء اشغـاله وانجاز شؤونهِ ويعود الى معاشرة ميس جني ومحادثتها لأنها كانت قد صارت خطيبتهُ. ففي ذات يوم خرج الاثنان لجولة في ضواحي مكسيكو وهناك حدث من عناد ميس جنى ما لو كان مع غير نسيب لقطع كل علاقة معها وتركها وشأنها غير سائل عنهـا. ولكن نسيب كان قد عزم على اجتناب كل ما من شأنهِ ان يؤدي الى ازعاجها خوفاً من ان يفوتهُ الحظّ الذي سيلقاهُ من غناها وثروتها

وبيان ذلك انَّهما بينما كانا يقطعان الجسر الممتدّ فوق نهر هورتا وهما مبتهجان ممَّا يشاهدان من المناظر البديعة ابصرت الفتاة زهرة جميلة ذات اوراق عريضة فصرخت بنسيب قائلة:

— اما ترى هذه الزهرة الجميلة في عبر النهر هلمَّ وائتني بها

قال: « يوجد في هذه الجهة ازهار مثلها بل احسن ». ثم اسرع وقطف لها زهرة مثل التي شاهدتها

ولكن جني حملقت فيهِ وكادت تتميَّز منهُ غيظاً وقالت:

— لا أُريد هذه فانها لا تعجبني والزهرة التي أُريكها هي التي أُريدها

— ولكن كيف السبيل اليها والنهر عميق والمياه غزيرة. وفي يقيني انكِ لا تريدين ان اعرض بنفسي للهلكة احرازاً لزهرة قد اتيتُك بمثلها

اما ميس جني فنظرت اليهِ شزراً وقالت: أُريد هذه ولا أُريد سواها فاذا كنتَ

ترى النهر عميقًا والمياه غزيرة فانت حرّ ان تعمــل كما تشاء ولكني لا استطيع ان اقترن برجل يخاف ان يعرّض حياته للخطر اكرامًا لخطيبته .

فحينئذٍ اقتحم نسيب الخطر وتعلّق ببعض شجيرات نابتة في الحدود واخذ يقفز من صخر الى صخر والحجارة تتفلّت من تحت رجليــهِ وتسقط في النهر وكانت جني تنظر اليهِ وهي مرتعشة مصفرة وخائفة من ان يلمّ بهِ ضرر لان تلك العاطفة العنادية كانت قد فارقتها وثاب اليها صفاء الذهن فاعلمها بخطإها

واخيرًا وصل نسيب بعد اللتيا والتي الى مجرى النهر فغاص فيهِ سباحةً . وكان قلب جني يتقطع خوفًا عليهِ من الغرق . غير انهُ ادرك الضفة الاخرى دون ان يصيبهُ ضرر فقطف الزهرة المبتغاة وحملها باسنانهِ وعاد سباحة الى حيث الى فسرَّت جني من شجاعتهِ ومبادرتهِ الى قضــاء رغبتها مع علمها بأنّها ارتكبت غلطًا . عظيمًا الّا انّها مذ ذاك الوقت لم تعد ترتاب في خلوص وداد خطيبها فما وصلت الى سان فرنسيسكو حتّى كشفت لابويها رغبتها في الزواج بنسيب فلم يجدا بدًّا من مطاوعتها

(ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

LES MONNAIES AUTONOMES DE BERYTE (PHÉNICIE)

par le Dr Jules Rouvier, 40 *pages, Paris,* 1898

نقود بيروت في زمن استقلالها

ما كدنا ننتهي من اطراء تأليف الدكتور روفيه في مسكوكات ارواد حتّى اتحفنا العلاّمة المذكور بمقالة ضافية الذيل جزيلة الفوائد ضمّنها البحث عن نقود بيروت القديمة في عهد استقلالها . ومن جملة المسائل الغامضة التي اماط عنها القناع في اثناء هذه النبذة المستحسنة انهُ كان لبيروت مصنعٌ تضرب فيهِ النقود منذ القرن الثالث قبل المسيح يشهد على ذلك عدّة مسكوكات تمثّل الاسكندر ذا القرنين وبطلميوس الثالث (٢٤٧–

٢٢٢) وبطلميوس الخامس (٢٠٤ — ١٨١) ضُربت فيها بامر ملوك مصر . ثمّ تخطّى المؤلف الى تعريف المسكوكات التي شاعت باسم بيروت ايّام استقلالها فبيّن انّ هذه المدينة ضربت باسمها نقودًا مستقلّة منذ سنة ١٩٨ قبل المسيح الى سنة ١٤ حين دخلت في حوزة الرومانيين . ولمّا كانت هذه النقود متعدّدة كثيرة الاشكال ولا تاريخ لها حاول الدكتور روفيه ان يقسمها اقسامًا حسب قدمها مستندًا الى علامات خاصة تختلف في صور المسكوكات المتقدّم ذكرها . امّا النقود المؤرخة فقد ارتأى كاتب المقالة انّ بيروت اتّخذت لها تواريخ مختلفة رجعت اليها في حساباتها كتاريخ اليونان وتاريخ حرب اكسيوم وتاريخ بمبيوس وانّها استعملت ايضًا تاريخًا مستقلاً يُدعى لذلك تاريخ بيروت وهو يبتدئ سنة ٨١ قبل المسيح وينتهي نحو سنة ١٤ . هذه بعض الافادات التي تُستخلَص من هذه المقالة جازى الله صاحبها خيرًا ونفعنا بعلمه زمنًا طويلاً

INNISAʿU-Lʿ ALIMAT

Von Muhmmad bey ʿOsmdn Galdl

Transkribiert, übersetzt und mit einem Glossar versehen

Von Friedrich Kern Dr Phil., SS. 152 *Leipzig* 1898.

ترجمة رواية موليار الهزليّة في النساء العالمات

قد ذكرنا مرارًا ما يجد علماء اوربّة في تدوين اللغة العاميّة من الفوائد . والكتاب المذكور آنفًا شاهد جديد على اعتنائهم بذلك وهو يشتمل على ترجمة رواية طائرة الذكر صنّفها الشاعر الهزلي موليار في نساء ادّعين العلم وتأنّقنَ في دقائق اللغة فنقلها الى شعر عربيّ عامّي محمد بك عثمان وعاد الاستاذ فردريك كِرن فصوّر لفظها العربيّ بالالمانيّة وترجمها اليها وزاد عليها حواشي وافادات يعرّف بها خواصّ اللهجة المصريّة

مغني اللبيب عن الطبيب

تأليف الدكتورين داود ابي شعر وامين ابي خاطر

طُبع في بعبدا سنة ١٨٩٨ عدد صفحاته ٤٩٦

قد تكاثرت في هذه السنين الاخيرة التآليف الطبيّة مع نموّ عدد الاطباء المتخرّجين

بفروع آداب الطبّ على ان هذه المصنَّفات لا يستفيد منها الجمهور الّا اذا كانت قريبة المنال سهلة المزاولة جامعة لفوائد كثيرة صدقت باختبار علماء يوثق بهم

ونظن ان الدكتورين الفاضلين داود ابي شعر وامين ابي خاطر اصابا المرمى وحقّقا بتأليفهما الموْما اليهِ آمال الجمهور فانَّ كتابهما يقتصر في ابحاثهِ العديدة على الطبّ الاهلي ومداواة الامراض الشائعة بعبارة واضحة تخلو من كلّ اشكال وتعقيد. وقد قسَّماهُ تسهيلًا للبحث الى خمسة اقسام مدارها على بنية جسم الانسان واسباب العلل وواجبات المريض والطبيب ثمَّ يبحثان عن المادّة الطبيَّة والوسائط الشفائية ثمَّ عن الامراض الباطنة ثمَّ الآفات الجراحيَّة وطريقة تمريض المريض وألحقا الكتاب بذيل في الولادة وبفهرس مطوَّل على ترتيب حروف المعجم

رحلة جلالة الامبراطور غليوم الثاني

في فلسطين وسوريَّة

لصاحب امتياز جريدة لسان الحال ورئيس تحريرها خليل افندي سركيس

تحتوي هذه الرحلة تفصيل ما اقيم لجلالة امبراطور المانية وقرينتهِ من الحفلات الباهرة في غضون جولانهِ في الممالك العثمانية منذ بضعة اشهر. ولا يخفى انَّ جرائدنا الوطنيَّة لم تدَّخر اذ ذاك وسعًا في وصف الاعياد الشائقة التي جرت احتفاءً بالزائرين الكريمين في كل مراحلهما. وامتازت اذ ذاك جريدة لسان الحال فزيَّنت اعمدتها بمقالات متتابعة احبَّ صاحب امتيازها ان يجمعها في كتاب منفرد يُتحف بهِ مشتركي الصحيفة ويجعلهُ تذكارًا يطَّلع بهِ القرّاء على حادث تاريخيّ مهمّ اجدى الوطن شرفًا وافتخارًا

هدايا

أرسلت الى ادارة المشرق

١ رسالة رعائية لسيادة المطران بطرس غوتزاليس كلوس دوقال من رهبانية الاخوة الواعظين رئيس اساقفة بترا والقاصد الرسوليّ على سورية في عبادة الورديَّة

٢ وأُهديت الى ادارة المجلَّة عدَّة قصائد في مدح صاحب الغبطة السيّد الجليل

البطريرك الياس الحويّك بنسبة ارتقائه حديثًا الى السدَّة البطريركيَّة على الطائفة المارونيَّة نخصّ منها بالذكر قصائد عامرة الابيات لجناب الدكتور الفاضل شاكر افندي الخوري والادباء يوسف افندي الفاخوري والمعلم يوسف ابي سليمان وحبيب افندي مخلوف فوجدناها ابلغ مدحٍ في خير ممدوحٍ

شذرات

مضحكات الجرائد

اسرار الكفّ — أتحبّ ايها القارئ اللبيب ان تقف على علم لم يَدرُ بعد في خلَد علماء عصرنا المبرّزين فعليك بمطالعة مقالة غريبة في بابها ادرجتها مجلة الضياء في عددها الثامن (ص ٢٣٤ — ٢٣٨) ألا وهو علم اسرار الكفّ علمٌ يفوق العلوم جمعاء ويرشد المرء الى معرفة الغيب ويغنيه اذا فقهَ اصولهُ عن سائر العلوم. فاسمع ما سُطِر في الضياء: « الانسان في هذه الدنيا لا يعرف من اين اتى ولا اين يذهب وكل انسان يتطالّ الى الوقوف على معرفة ما فوق الطبيعة ويجهد نفسهُ في خرق حجاب الغيب ويرتاح الى كل وسيلة ترفع لهُ ولو قيراطًا واحدًا من ذلك الحجاب. ولقد اشتهر عند الاقدمين الاستدلال بخطوط الكف على امور غيبية الا ان اكثر الناس بل تسعة اعشارهم لا يعيرون هذا الامر شيئًا من الثقة وينفون صحتهُ بمجرد قولهم ان هذه الامور من الخزعبلات بدون ان يبرهنوا على فسادها. على ان انكارهم لصحة ما ذكرناهُ كانكارهم لاشعَّة رنتجن والتلغراف بدون اسلاك عند اول ظهورهما لان ذلك ليس من الامور التي يستحيل صدقها ولاسيما في هذا العصر عصر الاختراع والاكتشاف والعجائب » ثمَّ قال: « وقد عُني الباحثون بهذا الفنّ الذي طالما كان معدودًا من الامور الخرافية فاستخرجوا حقائقهُ واصبح بمنزلة علم دقيق يستحق الدرس ومزيد الانتباه »

(قلنا) هذا هو العلم الشريف الفريد في بابهِ الذي اطلعنا الضياء على اسرارهِ ورسم لبيان خواصهِ اشكالًا منها بيضاء ترى فيها خطوطًا شتى كخطّ التعقُّل وخطّ

المحبّة. ومنها سوداء حالكة لا ترى فيها شيئًا. فاخذنا العجب من تدوين الضياء لمثل هذه الخرافات التي يرتزق بها بعض الصعاليك او المفاتلات بالايدي (المبصِرات). أفنسي الضياء المقالتين اللتين كتبهما في التنجيم (راجع عدديهِ الرابع والخامس) حيث سخر بالمنجمين وعزا اعمالهم واقوالهم الى سفلة المشعوذين او يظنّ انّ اسرار الكفّ ادلّ على الغيب من رصد النجوم وحركات الافلاك؟

الفرينولوجيا انّ مقالة الضياء في اسرار الكفّ تذكّرنا بمقالة اخرى من جنسها ظهرت في الهلال في تموز الماضي عنوانها الفرينولوجيا يدّعي صاحبُها انَّهُ بمجرّد النظر الى جماجم البشر واسرّة الوجوه وتلافيف الدماغ يمكن الوقوف على اخلاق الناس ودرجات عقولهم وبنى لذلك اقيسةً غريبة اتّخذها كبراهين علميَّة دامغة وقد صوّر الدماغ وجعلَهُ كخارطة عيَّن لكل قسم منها خواصّ عجيبة وقوًى فريدة تختلف مع اختلاف بروزها او غوورها او اتّساعها او حرجها. وليست كلّ هذه المزاعم الّا احداسًا وظنونًا لا صحَّة لها. واكثرها يعود الى قول الماديين الذين يجعلون العقل وقواهُ قسمًا من اقسام الدماغ. فيعيّنون لمؤخر الدماغ السعي والحرّية ولاعلاهُ المحبّة والرجاء والامانة ولوسطهِ محبَّة الوطن والاحترام والتمليق ولمقدمهِ التأمل والذاكية الى غير ذلك من الخزعبلات التي يشرّفها البعض باسم العلوم والعلم منها بريٌ لا علاقة لهُ معها اذ لا يخفى على من لهُ ذرَّةٌ من العقل انَّ الاخلاق صفات ادبيَّة مركزها في النفس لا في مادَّة الدماغ (راجع ردّنا على المقتطف في العقل البشري مش ١ : ١٠٠٩)

الخوف من الافاعي ولعلّك أيها القارئ لم تعلم بعد ما سبب دخول الرعب في قلب الانسان اذا التقى بافعى فاسمع جواب المقتطف على ذلك قال في الجزء الاوّل من السنة الجارية (ص ٧٢): « الشعور الذي يشعر بهِ الانسان حينما يرى الافعى امَّا انهُ وراثي باقٍ من ايَّام الهمجية اذ كانت الافاعي كثيرة تذيق الناس مرَّ العذاب وهو كذلك في انواع القرود فانّها تخاف من الافاعي خوفًا عظيمًا او انَّهُ ناتج عن تأثير القصص التي يسمعها المرء في صغرهِ عن فتك الحيَّات بالناس وعن عداوة الحيَّة لنوع الانسان »

يا لهُ شرحًا عجيبًا ينبئ بسعة علم اصحاب المقتطف ويشهد لهم بطول الباع في

المعارف النظريَّة. او بالاحرى يُظهر جليًّا ما تشرَّبتهُ عقولهم من مبادئ لامَرك وسپنسر ودرڤين الوخيمة. والصواب انَّ الخوف من الافعى كاعمال كثيرة نراها في الانسان لاسيما في بدء حياتهِ مرجعها الى قوَّة جسمانيَّة ركَّبها الخالق في الانسان وفي الحيوان غير الناطق معًا تحملهما من نفس طبعهما على الهرب ممَّا فيهِ ضررهما وطلب ما فيهِ صلاحهما. والوهم في الانسان يخفُّ وينقص بنموّ عقلهِ اما الحيوان فيبقى فيهِ الوهمُ صرفًا خالصًا كما كان في بدء ولادتهِ لا يحيد عنهُ ذرَّةً

اكتشافات وفوائد

جنائن بابل المعلَّقة — من مرويَّات البشير انَّ المسيو برونو ميسنر كشف مؤخرًا في قطعة اشورية محفوظة في احد اقبية المتحف البريطاني صورة تمثل الجنائن المعلقة التي انشأتها الملكة سميراميس الشهيرة في تاريخ اشور. والصورة المذكورة مرسومة على رخامة بيضاء مجتلبة من قصر الملك اسوربانيبال وهي عبارة عن هيكل رفيع مزين بكثير من الاعمدة ومشيد على قمة رابية وعلى شمال الهيكل صنم يصعد اليهِ بطريق في الجبل. هذا في الناحية اليسرى من الرخامة واما الناحية اليمنى فقد رسمت فيها جنائن معلقة

اما الاشجار المغروسة فيها فكانت من الحور والسرو والدوالي على حسب ما يتبين الان من مرآها. واما الجنائن فذات هيئة مثلثة الزوايا وهي مرتكزة على قواعد من الحجارة الضخمة

وكان المؤرخون حتى اليوم يظنون ان مستنبط الجنائن المعلقة هو الملك نبوكدنصر الذي امر بصنعها كرامةً لامرأتهِ المادِيَّة. الَّا ان المسيو ميسنر يزعم ان نبوكدنصر جدد الجنائن المذكورة فقط على اثر خراب بابل سنة ٦٤٨ وقد كانت قبل ايامهِ عديدة

بعثة جديدة الى اخربة بابل — نالت جمعيَّة علميَّة المانيَّة من مكارم الذات الشاهانية الرُّخصة بالسير الى اخربة بابل لمباشرة حفر تلّ رجَّح علماء العاديَّات انَّ ضمنهُ بقايا قصر نبوكدنصَّر. ويترأس هذه البعثة الدكتور ساخو المستشرق الشهير

اشعة تنفذ في الاجسام الصُّلبــة يعلم القرَّاء ما صار لاكتشاف اشعَّة رنتجن من الشهرة الذائعة . وهاك اليوم قد افادتنا المجلاَّت العلميَّة ان الاستاذ الفرنسيّ لوبون (Lebon) قد بلغ الغاية نفسها بواسطة نور غاز البترول . فاتخــذ مصباحًا عاديًّا من هذا المائع واضاء بنوره طبقًا من الايبونيت ووضع وراءهُ صندوقًا مغطًّى بلفائف سود جعل فيهِ آنيةً معدنية فوجد انَّ اشعَّة المصبــاح تخرق الطبق المذكور وتنفذ الصندوق وترسم صورة الآنية التي فيهِ على حاجز ركّبــهُ بازاء الصندوق

شفــاء داء الفَتْق عالج الدكتور لوار (Loir) رئيس مكتب باستور في تونس الغرب رجلًا مصابًا بفتقٍ مزمن فلم ينجع فيهِ دواء ثمَّ اشار عليــهِ بترويح النفس بركوب الدرّاجة (بيسيكل) فتحسنت حال المريض بعد مدَّة وشفي تمامًا بعد اربعة اشهر . فعالج الطبيب غيرَهُ من المرضى المبلوّين بمرضهِ فنال نتائج حسنة بيَّنها في مقالة مُسهَبة قُرئت في المكتب الطبيّ في باريس

تنقية الهواء الفاسد لا يخفى انَّ الهواء اذا زاد فيهِ الحامض الكربونيك يفسد بحيث لا يصلح للاستنشاق وربَّما قتل من تنسَّمهُ . فاتّصل العالمان الفرنسيَّان جوبار ولابورد الى اكتشاف جوهر كيمويّ يتشرَّب الحامض الكربونيك وينقّي بذلك الهواء اذا وُضع في مكان مقفل فسد هواؤُهُ ويعيــد اليهِ جانبًا من الاكسيجين المعروف بغاز الحياة

حفظ الحليب في الصيف يكفي لذلك ان يُذرّ فيهِ قليل من الفجل البرّي المنعَّم فيبقى ايَّامًا كثيرة لا يصيبهُ فساد ولو كان مكشوفًا في الهواء

حفظ البيض يُحفظ البيض ايَّامًا بل اشهرًا بلا فساد اذا غُمس في ماء الكلس ستّ ساعات بعــد ان تبيض بهِ الدجاجة

رواية البرامكة كان احد الكتبة المصريين صنَّف منذ بضع عشرة سنة رواية نكبة البرامكة فطمس محاسنها وشوَّه حقائقها التاريخيَّة وزاد فيها فصولًا غراميَّة ذهبت ببهجتها فاستفزَّت الاريحيَّة الاب انطون ربَّاط اليسوعيّ وحملتهُ على وضع رواية تستند الى التواريخ القديمة فراجع لذلك ما ينيف على خمسين مجلدًا من الكتب المطبوعة والمخطوطة في خزائن كتب اوربَّة ومصر اختــار منها ما رآهُ



اقرب للتصديق واولى بالتشخيص فجاءت هذه الرواية تآمّة المحاسن بليغة المعاني رشيقة الالفاظ لا يشوبها شيء من عيوب الروايات الشائعة في بلادنا. وقد قام بتمثيلها في كلّيّتنا اعضاء المحفل الادبي العربيّ فاجادوا وأحيوا باشاراتها وحركاتهم ولبسهم وحسن لفظهم عصرًا يعدّهُ العرب كعصرهم الذهبيّ

اسئلة واجوبة

س طلب حضرة الاب ا.د. احد افاضل كهنة الروم الكاثوليك ما هو اصل العيد المعروف بالثلاثة الاقمار

عيد الثلاثة الاقمار

ج هو العيد الذي تحتفل بهِ الكنيسة اليونانية في اليوم ٣٠ من كانون الثاني ذكر الاباء القديسين يوحنّا فم الذهب وباسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي. وقد رسمت هذا العيد لتكرم هؤلاء القديسين سويّةً بعد اكرامها لهم فردًا فردًا في ايّام معلومة من هذا الشهر. امّا اصل العيد فيرتقي الى القرن الحادي عشر في عهد الكسيس كُمنين وكان اهل القسطنطينيّة في ذلك العهد تقسّموا ثلاث فرق الباسيليين والغريغوريين والحنّاويين يتعصّب كل فريق الى احد القديسين الثلاثة المار ذكرهم فيفضّل الواحدَ على الآخرَين ويطرئ بمديحهِ دونهما. فلمّا كثر اللغط تضرّع مطران مدينة اوخيتة وكان رجلًا فاضلًا عالمًا اسمهُ يوحنّا موروپوس الى الله ليعلمَهُ عن حقيقة الامر فتراءى لهُ القديسون الثلاثة في الحلم وقالوا لهُ: «ما بال اهل الارض يتنازعون في امرنا و يتحزّبون احزابًا انّنا جميعًا اصفياء الاله الواحد قد نطقنا بايحاء الروح القدس وعلّمنا كما اوعز الينا الله اسرار الدين ودافعنا عن حقائق الايمان وليس بيننا اختلاف ولا فرق فاذهب الى آل القسطنطينيّة و بلّغهم هذا الكلام وتقدّم اليهم بان يتّخذوا لنا عيدًا واحدًا تُذكَر فيهِ اسماؤنا معًا ويُمجَّد الله فينا على سواء». فلمّا انتبه يوحنّا من نومهِ اخبر بما أمرهُ القديسون الابرار فانقاد الشعب الى كلامهِ واخذوا مذ ذاك الحين بمعايدة هؤلاء الملافنة في ٣٠ كانون. وقد دعوا بثلاثة الاقمار إشعارًا بتساوي فضلهم وعلمهم (راجع مجموع اعمال الآباء Migne, PP. GG. XXIX, p. CCCXC)

س وسألنا حضرة الخوري بهنام بدريّة السرياني الموصلي :

١ٌ كم يوماً كانت تُعتبر في التوراة السنة منذ آدم الى الطوفان ٢ٌ هل كان يعتبر الشهر شمسياً ام قمرياً قبل الطوفان وبعدهُ الى عصر ابراهيم ٣ٌ ايوجد فرق بين السنين التي كانت على عهد اولاد نوح وبين السنين التي كانت على عهد ابراهيم والى موسى ٤ٌ هل حصل تغيير في تعيين عدد ايام السنة منذ عهد موسى وما يأتي الى عصر العهد الجديد ٥ٌ باي عصر شرع الناس باستعمال حساب اشهُرنا

١ السنة منذ آدم الى الطوفان

ج انّ ما نعرفهُ عن حالة الدنيا منذ آدم الى الطوفان محصور في الفصول التسعة الاولى من سفر التكوين . وقد جاء في هذه الفصول ذكر الشهر الثاني (٧ : ١١) والسابع (٨ : ٤) والعاشر (٨ : ٥) ويؤخذ من هذا الفصل الاخير (الاعداد ٦ و ١٠ و١٢) انهُ مرّ بين الشهر العاشر والسنة التالية على الاقلّ ٥٤ يوماً . فتؤدي بنا هذه الآيات الى ان نقول انّ السنة قبل الطوفان كانت ذات ١٢ شهراً

٢ السنة الشمسيّة والقمريّة قبل الطوفان وبعدهُ

قد تكاثرت الاراء في تعيين السنة قبل الطوفان وبعدهُ الى ايام ابراهيم هل كانت شمسيّة او قمريّة والارجح انّ السنة كانت توافق بين سَير الشمس والقمر فتتبع القمر في ظواهرهِ منذ نشأتهِ الى إبدارهِ ومحاقهِ ولكن لئلّا تتغيّر فصول السنة باتباع القمر وحدهُ (وسنتهُ اقصر من السنة الشمسيّة باحد عشر يوماً) أُقحم عند الحاجة في السنة القمريّة شهرٌ ثالث عشر يوافق بين السنة القمريّة والسنة الشمسيّة . والاكتشافات الاشوريّة بيّنت انّ هذا الحساب كان جارياً في مملكة بابل منذ نحو ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح

٣ و ٤ السنين على عهد اولاد نوح الى عهد ابرهيم وموسى وعصر العهد الجديد

انّ الحساب الذي جرى عليهِ الآباء قبل الطوفان هو الذي شاع بعد الطوفان الى عهد ابرهيم واتّخذهُ موسى لبني اسرائيل فحافظوا عليهِ الى ايام المسيح يتبيّن ذلك من عدّة اشارات وردت في اثناء الكتاب الكريم ومن كتب الربّانيين وتاريخ يوسيفوس وهو حساب اليهود في زماننا (راجع تقويم البشير)

٥ حساب السنة الشمسيَّة

امَّا حساب السنة الشمسيَّة فكان اوَّلًا شائعًا عند المصريين وسار بموجبهِ اليونان ثمَّ الرومان ثم اتَّخذتهُ الشعوب النصرانيَّة وجرت فيـهِ اصلاحات عديدة اشهرها اصلاح يوليوس قيصر واصلاح غريغوريوس الثالث

س وكتب حضرة الاب العالم الفاضل القس عبد الاحد جرجس السرياني: نرجوكم ان تفسروا لنـا الاختلاف الموجود بين مار متَّى ومار يوحنَّا بخصوص الطيب الذي افاضتهُ مريم على جسد يسوع فانَّ مار متى يقول انَّهـا افاضتهُ على رأسهِ ومار يوحنَّا يقول انَّها افاضتهُ على رجليهِ فما رأيكم

الموافقة بين انجيلَيْ متَّى ويوحنا بخصوص طيب الجدليَّة

ج الجواب على هذا المشكل انَّ مريم الجدليَّة مسحت اوَّلاً بالطيب ارجـل المسيح كما ذكر يوحنَّا ولم يقل انَّها افاضت طيبها على قدميهِ بل انَّها دهنت بهِ قدميهِ (يو ١٢: ٢). ثم صبَّت ما بقي منهُ على راسهِ بعد كسر قارورتها كما ذكر متى ومرقس. وليس في القولين تناقض بل دلالة على فعلين متتابعين

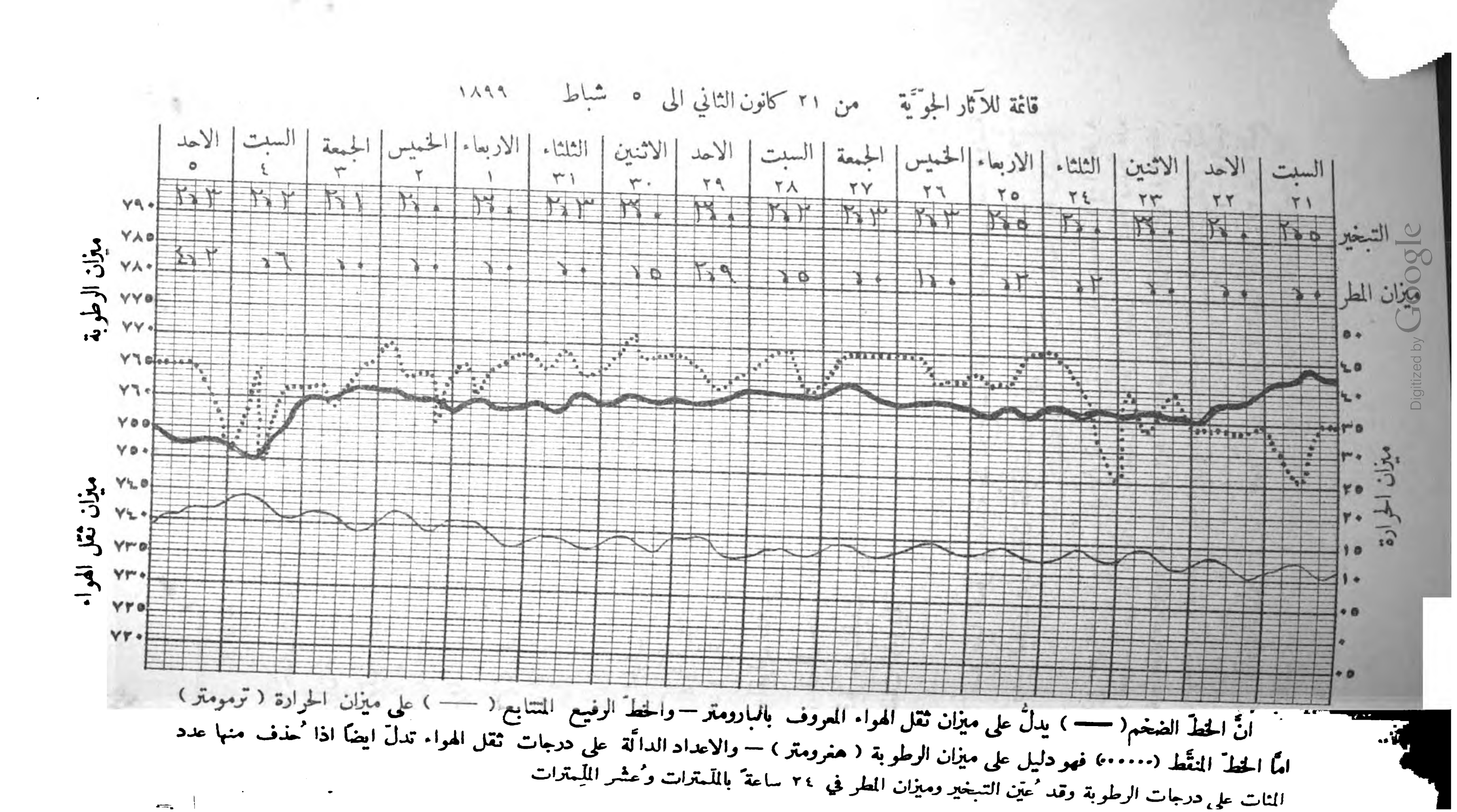
س وسأل جناب الاديب حبيب افندي الزيَّات هل يُعرف لتأريخ سعيـد بن بطريق ذيل من تأليف يحيي بن سعيد الانطاكي وهل طُبع هذا الذيل ام ترجمهُ احد الى احدى اللغات الاوربيَّة

ذيل تاريخ ابن بطريق

ج طُبع هذا الذيل في مدينة بطرسبرج سنة ١٨٨٣ وتُرجم الى اللغة الروسيَّة وقد علَّق وعليهِ البارون فون روزن تعليقات وحواشي مفيدة

(اصلاح بعض اغلاط طبع وقعت في الاعداد السابقـة) السنة الاولى: صفحة ١٠٢٥ سطر ٨ هيَ على (والصواب) حيَّ على = ١٠٦٧: ٥ حضـارم (ص) خضارم = 〃 :٢٥ وسنيحٌ هذه (ص) وسفيحٌ هذي = ١٠٦٩: ٨ بدء (ص) بدأيْ = 〃 :٢١ لم يأكل قطّ (ص) لم يأكل لحماً قطّ = ١٠٧٠: ١٧ المقول عليهِ (ص) المعوَّل عليـهِ = ١٠٧٣: ١٠ بَلَحُ (ص) بَلَحَ = ١٠٧٤: ٧ و ٨ العَبير. العَنْقَر (ص) العَبْهَر. العَنْقَز = السنة الثانية ٦٢: ١ - ٣ الطفية والطفى (ص) الطُّفْية والطُّفى بالفـاء = ١٥٧: ٢ مليحاً (ص) ماتحماً = 〃 :٢١ بين الجمع (ص) بين الجميع

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢١ كانون الثاني الى ٥ شباط ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر)

امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

المشرق

اتّساع التأليف في الاسلام

لجناب الاديب عزتلو الامير شكيب ارسلان احد اعضاء جمعية المستشرقين الفرنسوية

لا اتعرَّض الآن لمقام ما امتاز بهِ سلَف هذه الأمة وما حملوهُ من العلم وما وَسعوهُ من المعرفة وما بثُّوهُ من الانوار وما بثقوهُ من اشعَّة الحكمة في آفاق الكُرَة بحيث كانوا في الحقيقة «امَّةً وَسَطاً» في العلم بين اليونان الاوَّلين والافرنج المحدثين فوصلوا فيهِ بين السابق واللاحق وحفظوا ما خلَّفهُ الأَوَّل وألقوهُ الى الآخر. فاتّصلت باجتهادهم نسبة العلم ولم تنقطع بسعيهم اسانيد الحكمة. فإنَّ ذلك امرٌ قد عرفهُ الخاصّ والعامّ ونَبَأٌ قد اشتهر في تواريخ الايّام. وليس من غرضي الآن قرعُ بابهِ ولا خَوْض عبابهِ. وانما قصدتُ بهذه العجالة التنبيه الى ما وصلت اليهِ صناعة التأليف في الاسلام من الاتّساع والتشعُّب وادركتهُ من التبسُّط والتقصّي وكيف ترامت اقلام الكتّاب الى ابعد مرامي النظر وانأى مطارح الفكر ممَّا يدلّ على ما بلغتهُ المعارف عندهم من العنجهيَّة والنموّ وما كانت عليهِ الحالة الفكريَّة من الارتقاء والسموّ. اذ ما من مرية ان كثرة التآليف عند قوم وتشعُّب الكتابة بينهم يتناسبان مع درجة ترقّيهم العقليّ وانَّ القلمَ ترجمانُ الفكر وسميرهُ ينطلق بقدر انطلاقهِ ويحتبس بمقدار احتباسهِ

ومن نقَّب عن آثار السلف واستقرى خطط اقلامهم وغاص على لآلئ اماليّهم واظفرهُ الله بالاطلاع على بعضٍ ما في نفيس الخزائن من تلك الدفائن علم انَّهم قومٌ عرفوا قيمة الليل والنهار وقدَّروا قدر الاعمار فلم يضيّعوا اوقاتهم سدًى ولا قعدوا عن املاء الفوائد وانَّما اشتغلوا وعانوا وسهَّدوا الجفون واجهدوا القرائح اكثر مرارًا ممّا يقدّرهُ اعظم

الناس توفيرًا لحقّهم واشدُّهم اعجابًا بفضلهم . ولقد قرعوا باب كلّ شيء فلم يدعوا علمًا الّا اجالوا قداحَهُ ولا فرعًا من فروع المعلومات الّا اوروا اقتداحَهُ . فهم والحقّ يقال قد خدموا المعارف وصدقوها . وتسوّقوا العلوم وتذاوقوها . وشعشعوا الآداب وروّقوها . وان اقلامهم قد سوّدت من الصحف ما ابيضّ لهُ وجه المدنية ونضّدت من المجلدات ما لو جُمع لضاقت عليهِ المكاتب برحبها . فان كان لم يصل الينا جميعه بما أُغرق اكثرهُ في الانهار وأُحرق بالنار . وتعاورتهُ ايدٍ مختلفة من البوار . فليس عدم الوصول . بدليل على عدم الحصول . بلى لقد كتب القدماء مكاتب حدثتنا التواريخ الصادقة وانبأتنا الروايات المتطابقة ان بعضها أُلقي في دجلة عند دخول المغول الى بغداد فسدّ مجراها وجاز الناس على الكتب من جانب الى جانب كأنّها جسر معقود . وان بعضها استنفد عزم النار الآكلة مدّة غير قصيرة من الزمن حتى قضت قضاءها فيهِ . وانّهُ كان في عواصم العالم الاسلاميّ مثل بغداد وسمرقند ودمشق والقاهرة وقرطبة وفاس وغيرها من خزائن الكتب التي جمعتها همم الملوك والسلاطين ما لا يُحصيهِ الّا الله تعالى . وقد قيل ان المستنصر العبّاسي وحدهُ نقل الى خزانة الكتب التي انشأها في المدرسة المستنصريّة على شاطئ دجلة من الكتب النفيسة والاصول المضبوطة مائتين وتسعين حملًا سوى ما نُقل اليها بعد ذلك حسبما رواهُ المؤرّخ ابن الساعي

وحسبك انّهُ لما كتب الامير نوح بن منصور السامانيّ الى الصاحب بن عباد يستدعيهِ اليهِ ليسلّمهُ مقاليد وزارتهِ كان من جملة أعذار الصاحب في عدم الاجابة انّهُ يحتاج لنقل كتبه خاصّة الى اربعمائة جمل . وهو فرد واحد من وزراء الاسلام اجتمع عندهُ هذا القدر من الكتب فما ظنّك بما اجتمع في مكاتب الخلفاء والسلاطين والامراء والوزراء والعلماء وخزائن المساجد والمكاتب الموقوفة لعامّة الناس . وجميع هذه الكتب الّا النادر الذي لا يُعتدّ بهِ هو ممّا خطّتهُ اقلام علماء هذه الأمّة في جميع العلوم التي عرفوها حتى انّ من دخل مكاتب الاستانة العليّة في هذه الايّام وتصفّح فهارسها مع كون المحفوظ إنْ هو الّا نزرٌ ممّا خلص من ايدي الحدثان وبقيّة عفا عنها الزمان ايقن ان المنشور من آثار القوم المتداول في ايدي الناس هو قلٌّ من كُثر وجّة من بحر وان عرائس العربيّة بقيت في خدورها وان كثيرًا من ابكار بنات الافكار لبثت عوانس وراء ستورها وان الواصل الى الايدي من آثار القوم بالمقابلة مع هاتيك الكنوز المدفونة

والجواهر المكنونة لا يصلح ان يؤدي عنها حسابًا ولا يهيئ لها صورةً في الذهن ولا يصح ان يكون مدارًا للحكم. فانَّ في تلك الزوايا خبايا لا تخطر في بال ومدهشات لا تدخل في حسبان ومن وقف عرف. والله يعلم انني كنت اترك كتب العلوم المعروفة والتي تسمى بالآلات واتجاوز ما اعلم ان التصنيف فيهِ شيء كثير الى ما اعلم انهُ فيهِ عزيز يسير فربَّما وجدت في المكتبة الواحدة تآليف عديدة في فنون من العلم وضروب من الحكمة وشجون من القول قلَّما يُظنّ ان كتبة الشرق اجالوا فيها قلمًا او وطئوا لها عتبة فاذا هم قد اوسعوها بحثًا وسبرًا. وقتلوها علمًا وخُبرًا. وربَّما وجدتُ صفحات باسرها تحصي كتبَ علومٍ ما كنت اظن المسلمين مصنفين بها الّا اشارات في حواشي الكتب ورموزًا في تضاعيف المباحث او بالكثير فصولًا في المتون الشهيرة والاصول التي تعمَّد اصحابها الاحاطة وذلك لما نظنّ من قلَّة قيامهم على هذه العلوم واشتغالهم بها والامر فوق ما نظنّ وبعضُ الظن إثم وعدم الاطلاع آفة الحكم. ولا يُظنَّنَّ ان ما نراهُ من مشهورات التأليف هو ملاك امر العربيَّة

ولا ينبغي ان يكون شأن الاديب اذا بحث شأنَ الطفل الذي يرى الافق ممَّا يمتدُّ اليهِ نظرهُ فيظنّ هناك مُنتهى الدنيا وقد خبأ الله وراء هذا الافق جبال الارض ووهادها واغوارها وانجادها وبحارها وانهارها وبسائطها وسهولها. واذا شبَّ الطفل وضربَ في الارض علم انَّهُ ما كان يرى من الدنيا الّا زاويةً تصغر عن ان تتحيَّز في اطلس الجغرافية وانَّهُ ما كان الّا في غرور. وما اطبقَ مثَلَ الطفل هذا على المتحذلقين الذين يخبطون فيما لا يعلمون ويحكمون على ما يجهلون ويَنحون خصوصًا على هذه العربيَّة والكاتبين بها بالجرح والتعديل وهم لم يقرأوا منها غير بعض المنشور وقد اكتفوا عن اللباب بالقشور. وزعموا انَّهُ كافيهم في الحكم وانَّهم على شيء من العلم. فأُحيلُ هؤلاء المساكين اذ كانوا لا يستأنسون الّا بكلام الافرنج على مشاهير المؤرّخين من الاورّبيين خصوصًا الذين بحثوا في المشرقيَّات ليعلموا فضل الشرقيين وعلوّ كعبهم وبعد همَّتهم في التصنيف. وحسبك ما قالهُ العلاَّمة سديليو مؤرّخ العرب الشهير عند ما افاض في ذكر احتفال المسلمين بالتأليف وتوسعهم فيهِ وبيَّن درجة مزاولتهم للكتابة وخوضهم في جميع المواضيع وهو قولهُ: ان الامام جلال الدين السيوطي صنَّف من الكتب اكثر ممَّا يقدر كثير من الناس ان يقرأ طول حياتهِ. وروى بعضهم انهم قسَّموا تآليف السيوطي

على ايَّام حياتهِ فاصاب كلّ يوم ثمانية كراريس وهو امرٌ يصعب تصديقهُ ولكن مهما يكن من المبالغة فيهِ فان تآليف الجلال السيوطيّ رحمهُ الله انافت على الاربعمائة بين كبيرٍ وصغيرٍ في كلّ علم وفنّ . ومع تعدُّد التاليف العربية وتنوُّعها فقد اطال الكتَبَة فيها الأعنَّة وتوخوا الاستقصاء وقلّ ان يوجد كتاب معروف او ديوان مشهور الّا وتعدَّدت شرَّاحهُ فانَّ لديوان المتنبي اربعين شرحاً واحصيتُ لتسهيل ابن مالك ولكتاب سيبويهِ نحو ثلاثين شرحاً . ومن تآليفهم ما لا يوجد في التآليف العصريَّة الاوربيَّة اوسع منهُ بسطة واضخم حجماً . وكم تأليف عندهم تجاوز الاربعين مجلدًا . وكتاب الايضاح لابي علي الفارسيّ شرحَهُ الشيخ عبد القاهر الجرجاني في ثلاثين مجلدًا وابن الدهان النحويّ في ثلاثة واربعين مجلدًا وتاريخ حلب لابن العديم الحلبيّ روى اليونينيّ انَّ بياضهُ يكون في اربعين مجلدًا وتاريخ دمشق لابن عساكر ثمانون مجلدًا . قال ابن خلكان: قال لي شيخنا الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم وقد جرى ذكر هذا التاريخ وطال الحديث في امرهِ: ما اظنُّ هذا الرجل الّا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسهِ وشرع في الجمع من ذلك الوقت والّا فالعمر يقصر عن ان يجمع الانسان مثل هذا الكتاب (١

وروى ابن السبكيّ في طبقاتهِ عن تاريخ الطبريّ انَّ ابن جرير الطبريّ قال لاصحابهِ: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا . قالوا: كم قدرهُ . فذكر انهُ ثلاثون الف ورقة فقالوا: هذا يفنى الاعمار قبل اتمامهِ . فقال: انَّا لله وانَّا اليهِ راجعون ماتت الهمم . فاختصرهُ . وللطبريّ تفسير كبير كان بهذا القدر ايضاً فقصرت عنهُ همم الطلبة فلخَّصهُ ايضاً . ومن بعض امثلة هذا المقام كتاب الايك والغصون لابي العلاء المعرّي الف ومائتا كرَّاسة . قال بعضهم: انَّهُ وقف على المجلَّد الاوَّل بعد المائة . ثمّ ان ابن عقيل الحنبليّ ألَّف كتاباً ثمانمائة مجلَّد يُظنّ انَّهُ اوسع ما أُلِف في العربيَّة

وقد انافت تآليف ابي بكر الرازيّ على المائة . وروى ابن خلكان في ترجمة الشيخ ابي العبَّاس احمد بن عمر بن سريج الذي كان يلقَّب بالباز الاشهب من أئمة الشافعيَّة ان فهرست كتبهِ كانت تشتمل على اربعمائة مصنَّف . ورُوي ان تصانيف الامام ابي بكر البيهقيّ بلغت في علم الحديث الف جزء . ومن المؤلّفين العظام بالعربية الحافظ ابو بكر المعروف بالخطيب صاحب تاريخ بغداد ذكر محبُّ الدين بن النجَّار في تاريخ

(١ راجع المشرق ٢ : ١٠٧



بغداد انهُ صنَّف اكثر من ستين كتاباً . وابو الحسين احمد بن يحيي الراوندي لهُ من الكتب المصنفة نحو مائة واربعة عشر كتاباً . والرئيس ابو عليّ بن سيناء لهُ من التصانيف ما يقارب مائة وذكر ابن خلكان في ترجمة الامير عزّ الملك محمد بن ابي القاسم المعروف بالمسبّحي الكاتب الحرّاني الاصل المصري المولد صاحب التاريخ المشهور انّ تاريخهُ ثلاثة عشر الف ورقة . وذكر لهُ كتباً عديدة منها الف ورقة ومنها الفا ورقة ومنها ثلاثة آلاف ورقة وعدَّ من هذا النمط في فنون مختلفة بضعة عشر تأليفاً ثمَّ قال: انّ مصنَّفاتهِ بلغت الثلاثين ولو شئنا ان نحصي تآليف كبار الكتَّاب من اهل هذا اللسان مثل ابي نصر الفارابي وفخر الدين الرازيّ . وحجَّة الاسلام الغزاليّ . وجار الله الزمخشري وغيرهم من الائمَّة لطال بنا القول وتناءت بنا شقَّة الوصف ومن شاء استقصاء هذه الغايات البعيدة في التصنيف والوقوف على ذلك الشأو القاصي في حفظ العلوم بين دفَّات المصاحف فعليهِ بكتب التاريخ واسفار الطبقات ومعاجم التراجم يجد كامنةً لهُ فيها العجائب والغرائب

وانَّما الذي ادار في خلَدي هذا المعنى حتى فاض على سنّ القلم هو ما اطَّلعت عليهِ هذه المرَّة في مدينة دمشق وهو آية باهرة كتاب يسمّى بالكواكب الدراريّ تأليف ابي الحسن عليّ بن الحسين بن عروة الحنبلي من اتباع الامام ابن تيمية يبحث في جميع العلوم لم اجد اشبهَ منهُ بالانسيكلوبيدية تبسُّطاً واستقصاء . الّا انَّهُ مختلف عنها في الترتيب على حروف الهجاء والمحفوظ منهُ في مكتبة الملك الظاهر اثنان واربعون مجلداً والظاهر ان الباقي المفقود اكثر من الموجود وانَّهُ يبلغ المائة والعشرين مجلداً لانهُ قد وُجد منهُ المجلد العشرون بعد المائة تاريخ تصنيفهِ سنة ثلاثين وثمانمائة للهجرة اشترك في كتابتهِ جماعة . امَّا المجلد من هذا الكتاب فهو نحو ٣٥ كرّاساً تشتمل على ٧٠٠ صفحة من القطع الكامل . ومن الغريب انني لم اجد لهذا الكتاب ذكرًا في كشف الظنون مع كونهِ امرًا عظيماً ممَّا يدلُّك على عدم الإحاطة وغيب كثير من فرائد اللسان عن الانتظام في عقود الفهارس وان ايدي الضياع قد عبثت بمعظم ما خلَّفوهُ من النفائس . ومن اقتصَّ الآثار واستقصى الاخبار سقط على غرائب مدهشة وخوارق تكاد تكون معجزة فقدَّر كم أراق كتبة الشرق من المداد في خدمة النطق بالضاد وكم لهم بذلك من الشرف والاجر . يعنو لفضلهم كل ذي عزّ وفخر

نظرٌ عَقليٌّ في الوَحي

للاب لويس معلوف اليسوعي

(تتمَّة لما سبق)

٣

لكن الطبيعيين يردُّون علينا مقالنا و يزعمون انَّنا اتينا بكلامٍ ينقض بعضُهُ بعضاً. يقولون: عجب ثمَّ عجبٌ. أيُعطي اللهُ الانسانَ عقلًا اي قوَّةً فاهمة ولا يمكّنهُ من الفهم؟ ذلك محال لانَّ فهم الانسان بسيط لا تنوُّع فيهِ فكيف يجوز القول بان الانسان حاصلٌ عليهِ ثم القول بأنَّهُ غير حاصل عليهِ وهذا هو عين التناقض

الجواب على هذا أيسر من ان يُقتضى لهُ طول البرهان. نعم لا تنوُّع في الفهم فامَّا ان يكون الكائن ذا فهم كالانسان وامَّا ان يكون لا فهم لهُ كالحيوان او الجماد. ولا توسُّط بينهما. ولكن ان لم يكن في الفهم تنوُّع ففيهِ تفاوُت ودرَجات. نعم اعطى الله الانسان قوَّةً فاهمةً وقد مكَّنهُ من الفهم ولكن من فهمٍ محدود محصور لا ينال كلَّ حقيقةٍ من الحقائق. وهذا امر بسيط جليٌّ لا عجب فيهِ بل العجب العجاب ممَّن بنوا المقالات المُسهَبة بل كتبوا الكتب الضخمة وشحنوها بالاستدلالات السفسطيَّة محاولةَ نقض القضيَّة التي ذكرناها

بيدَ انَّنا لسنا ننفي عن الانسان كلَّ عمل فهمي في شأن الوحي. انَّما نقول انَّهُ لا يفهم كُنه الحقائق الموحى بها وجوهرها وكيفيَّتها فقط. ولكن يمكنهُ بنفسهِ وبقواهُ العقليَّة الادراكيَّة ان يبحث عن الادلَّة التاريخيَّة و ينظر نظرهُ في البراهين النقلية الى ان يتبيَّن لهُ جليًّا ان الوحي حصل لا محالة في زمن معلوم ومكان محدود وهذا يُجديهِ كلَّ الفائدة من حيث اليقين. أمَا ترى انَّهُ اذا ادرك ادراكًا ثابتًا راهنًا انَّ الله تكلَّم وعرف معرفةً صادقة علميَّة انَّ تلك وتلك الحقائق قد فاه بها اللّهُ حكيم صادق عليم لا يبقى هناك مكان للريب والشكّ و يكون اليقين كاملًا من كلّ وجه بل واثبت في حدّ ذاتهِ من اليقين الطبيعي الذي يتَّصل اليهِ الانسان بمجرَّد فهمه. فانَّ هذا ربَّما يعتريهِ بعض الفساد والضلال امَّا ما فاهَ بهِ ربُّ الحقّ ذاتهُ فلا سبيل للضلال اليهِ

وربَّما يدور في خلدك ان تسألني وتقول: ان كان الله اوحى بالحقائق فلمَ يا ترى لم يوحِ ايضاً بالادلَّة العقليَّة على تلك الحقائق فيدركها العقل البشري ادراكاً اكمل واجلى

جوابي انَّ الله لم يوح بالادلَّة المذكورة لانهُ كذا شاء ولم يحسن في عينهِ ان يوحيها. أليس ربُّ الكون حرًّا في إسباغ نعمهِ? أليس لهُ لا لغيرهِ الحكم في انارة البصائر ام عدم أنارتها? ولا تظنّ حرسك الله انّ كلّ ما نستصوبهُ نحن يكون عند ربّ العرش مُستصوبًا مُستحسَنًا. وعلى كلّ فالعقل يُطلعنا على ان الانسان لا يحقّ لهُ الّا القناعة بما اعطاهُ ربُّهُ وانَّهُ من الجهل والغباوة ان تطمح عينهُ الى الحصول على كلّ خير او علم فاتهُ. وذلك جواب لا شكّ كافٍ. وصوابهُ يزداد عندك اتّضاحاً ان اعتبرت ان تلك الادلَّة لو اراد ربُّكَ ان يوحي بها لمّا كانت لعمرك يتجلّى بيانها الّا لاصحاب العقول الجمَّامة والالباب الذكيَّة ولما كان يفقهها من الناس إلّا الرهط اليسير لما تقتضيهِ بعض الحقائق من المباحث الفلسفية والاستنتاجات العقلية. و بناء عليهِ يكون الله بوَحيهِ تلك الادلَّة قد انعم بانوارهِ على بعض الناس وحرم منها القسم الاعظم منهم بلا ذنب

زد على ذلك ما اثبتناهُ من ان الانسان باعتقادهِ هذه الحقائق الفائقة الادراك يُخضع عقلهُ لله على الطريقة التي بيَّنَّاها

ومرجع كلّ ذلك الى انَّ الله لا حدّ يحدّهُ ولا غاية يقف عندها كمالهُ خلافاً للانسان الذي هو من جوهرهِ ووجوبًا عاجز القوى محصور الكمالات من كلّ جهة وفي كل اعتبار اعتبرتهُ. فمهما أعلَمهُ بهِ ربُّهُ ومهما أُوحى اليهِ من الحقائق والادلَّة فما يتَّصل ولن يتَّصل علمهُ الى الاحاطة بكل مفهوم ومن الواجب الوجوبَ المطلق ان يكون دائماً هناك وراء ما يفقههُ و يعلمهُ حقّ العلم اموراً جمّة يجهلها او يُغمى عليهِ سرُّها

٤

بقي ان ندحض قول الفيئة الثالثة من الطبيعيين الذين يزعمون بان الوَحي لا فائدة منهُ للانسان. فاقول ان للوحي منافع جمة لا بل انَّهُ لازم لزوماً حقًّا ليقوم الانسان بواجباتهِ قياماً تامًّا

سرْ معي حفظك الله الى احدى مدارسنا واسمع ما يقال. أمَا ترى صغار الصبيان كيف يخوضون في اجلّ المباحث واسماها مقاماً أما تسمعهم يكرّرون على مسامعك في اهمّ الحقائق كحقيقة الله والنفس والواجبات والاخلاق والمبدأ والمعاد اقوالًا تفوق

حكمةً وصواباً كلَّ ما ارتأَتهُ حكماء السَّلَف والخلَف الذين لم تشرق على بصائرهم انوار الوحي . هؤلاء الحكماء قد ذهبوا كلَّ مذاهب الشكّ والضلال ولم يوصلهم طول البحث ومثابرة السهر الّا الى النزر اليسير من تلك الحقائق المهمّة . وما بلغوا اليهِ من الحقّ . كم وكم يتخلّلهُ من الاوهام الفاسدة والترّهات التي يكاد العقل لا يتصوَّر امكان صدورها عن رجال مثلهم

خذ مثلًا حقيقة المعبود فانَّك تجد انَّهُ لم يقل بوحدانيَّتهِ الَّا العدد القليل منهم واذا تكلّموا عن ماهيَّة الله وخواصّهِ اتوا بكلّ رأيٍ واهن . اذكر من ذلك القبيل اعظم فلاسفة القدم : سقراط . افلاطون . شيشرون . انَّهم لم يستقبحوا عبادة الآلهة المتعدّدين كالمشتري والزُهرة وزحل و باخوس والمرّيخ الخ . بل استحسنوها واعتدُّوا اكرامها من واجبات سكّان بلادهم . بل لم يروا ان يقضوا على ما كان يأتيه الناس في تعبُّدهم تلك الالهة من الملاعب الخلاعية والعوائد الوحشيَّة الفظيعة التي تقشعرُّ لذكرها الابدان وينفر اليراع من التعبير عنها — اما ديمومة النفس فقلّما اعتدُّوها حقيقةً وصواباً . حتى من اتوا على اثباتها ببعض البراهين لم يعتِموا ان ارتابوا في امرها ارتياباً لا شفاء لهُ ولم تكن ادلّتهم على هذه الحقيقة لتقنع الخواطر وتكتسب اذعان العقول . وكان شيشرون يقول انَّهُ كان يوافق افلاطون على رأيهِ في ان النفس لا تموت طالما كان كتاب ذلك الفيلسوف في يده ولكن متى كان يترك الكتاب جانباً كان حالًا يتزعزع ركن اعتقادهِ ويندكّ اندكاكاً . امَّا من جهة الاخلاق فقُلْ ولا حرج فان اولئك الفلاسفة قد علّموا كل عار واحلُّوا كل رذيلة . صيروا الظلم فضيلةً والخلاعة فرضاً مفروضاً . جعلوا الاموال مباحة والاعراض أُلعوبة الفحش والعهارة . اجازوا تزوُّج الأُمَّهات بالبنين . اجازوا الاشتراك بالنساء الخ الخ . راجع تواريخ تلك الازمنة ترَ عجباً

فاين حفظك الله تلك التعاليم بل تلك الاضاليل من الحقائق النيّرة السامية الطاهرة الجليلة التي اطلعنا عليها الوحي فامتلكت قلوبنا ودرَّبت في الهدى اعمالنا ودارت على أَلسنة كبارنا وصغارنا ورتعنا في نورها البهيّ آمنين الضلال وعواقب الغيّ

ولا غرو . فانَّ الوحي ان دقّقتَ في امرهِ نظركَ لهو اسهل واسطة لتثقيف عقول البشر واحسن طريقة لتبليغهم الحقائق يناسب عقول الناس كلهم عالمهم وجاهلهم ولا يفوق مدركهم مهما كانوا عليهِ من السذاجة وهو اقرب واوجز خطّةٍ في ازالة الاوهام

ونشر التعاليم الحقة الخلاصيَّة اذ انَّهُ يكفي العقول مَؤُونة التنقيب والمطالعات ويجعلها على أمن من فوات الفرص او اضاعة سواء السبيل نعم انَّهُ آمنُ وسيلةٍ في ذلك كلهِ لان المخبر بتلك الحقائق هو الله ربُّ الحقّ نفسهُ ومن علَّمهُ الله لم يضلّ

اتقول بعد ذلك ان الوحي لا طائل تحتهُ ولا نفع منهُ

زدت ان الوحيَ ضروري ليس للانسان عنهُ غنى ان اراد ان يقوم بدينــهِ قياماً حسنًا تامًّا. وقبل ان نورد عليك البرهانَ في حقيقة هــذه القضيَّة نذكرك ان الضرورة نوعان فمنها مطلقة ومنها غير مطلقة. تكون الواسطة ضروريَّة ضرورةً مطلقة ان لم يمكن الحصول على الغاية دونها مهما تكبَّد الانسان من الجَدّ والعناء. وتكون ضروريَّة ضرورة غير مطلقة ان امكن الحصول على الغاية دونها ولكن بمشقَّة عظيمــة وبتعسُّر شديد وصعوبة هذا حدّها حتى ان معظم الناس نظرًا لطبائعهم وخصائصهم لا يتجشَّمون تلك المشقَّات فعلًا ولا يقاومون تلك الصعوبات المقاومة الكافية بل تنحطّ دون تذليلهــا قواهم. وعليهِ يفوتهم بلوغ الغاية ويصبحون منها محرومين

فاقول ان الوحي لازم للانسان في اعتبارين: ان اعتبرنا ان الدين دين فائق الطبيعة كما انَّهُ قد حصل حقيقةً اي اذا جعلنا الكلام على حالة تفوق الطبيعة الانسانيَّــة ونظرنا الى ذلك الدين الذي يجعل بين الانسان وربّهِ عــلاقات غير وفَوْق العلاقات الناجمة عن الطبيعة نفسها فعنــدئذٍ لا شكّ في ان الوحي لا مندوحة عنهُ وانَّهُ لازم لزومًا مطلقًا كليًّا (١ اذ انَّهُ يصبح الواسطة الوحيدة لادراك ماهيَّة ذلك الدين الذي لا يمكنّا الاطلاع عليهِ من مجرَّد النظر في طبيعة الاشياء بمــا انَّهُ يفوقها. وعلى تلك الماهيَّة التي تفوق طور الاستدلالات العقليَّة تترتَّب فروض واعمال وخطط تحتــاج في امر معرفتها الى ايعاز ربَّاني

هذا في اعتبار الدين الفائق الطبيعة. امَّا ان حصرنا قولنــا في الدين القائم على العلاقات الطبيعيَّة بين الخالق والمخلوق والتي يمكنَّا ادراكها بمجرَّد قوانا العقليَّة فالوحي حتى في هذا الاعتبار لازم لزومًا حقيقيًّا وان كان غير مطلق كالسابق. وهو لا منــدوحة عنهُ من اوجهٍ لحسن القيام بالدين الطبيعيّ هذا نفسهِ وتمام الانقياد لنواميسهِ

---

١) اننا نعتبر لزوم الوحي من جهة الانسان لا من جهة الله لانَّ الله عزَّ وجلَّ حرٌّ في وحيهِ

واليك البرهان الذي يؤيّد لنا هذه الحقيقة ويكشف لنا الحجاب عن يقينها
اقول انّك ان اعتبرت ان الدين قائم على ان يعرف الانسان ما بينهُ وبين ربّه من العلاقات وان يسير بموجب ما يترتّب على تلك العلاقات من الفروض والواجبات. رأيت انّهُ هناك حقائق وواجبات وعلاقات يكاد يعجز الانسان عن ادراكها وفقهها كما يجب ان لم يرسل الباريْ عليهِ انوار الوحي. يجب على الانسان ان يعرف حقائق الدين الجوهريّة كلها وان يعرفها دون عظيم مشقّة وعناء ودون شكّ وارتياب وضلال. يجب ان يُدرَّب تدريبًا حسنًا ظاهرًا بيّنًا نحو غايتهِ القصوى الخ. . والحال ان كل من بحث عن هذه الحقائق وما شاكلها بحثًا تامًّا علميًّا يقرّ لك ان تبيانها وتقريرها وردّ كلّ ريب عنها لهو امرٌ دقيق طويل صعب المراس. ولست اخشى ان اقول ان ادراك كل انسان لها الادراك الكافي الحسن يكاد ان يكون مستحيلًا. اينما اتّجه العقل لينظر في الحقائق المتعلّقة بالدين — وكلامي عن الدين الطبيعيّ نفسهِ — يصادف اسرارًا غامضة. طبيعة الله سرٌّ غامض وكذا ماهية الانسان سر غامض. نعم يتيسّر للعقل ان يبحث في هذه الشؤون بعض البحث لكنّهُ يكلُّ دون استقصاء المرام من اليقين ولا يزال قلقًا تتلاعب بهِ رياح الشكّ والارتياب. وكذا قُل في امرِ ابديّة العقاب والمثاب وفي شأن السعادة القصوى وفي كيفيّة التوفيق بين سابق علم الله وحرّيّة العبد واختيارهِ وفي وسائط ارضاء العليّ واستعطافهِ الخ. تلك لعمرك حقائق عديدة العُقَد خفيّة الطوايا ولا يُتّصل الى تقريرها كما قلنا الّا بالادلّة الطويلة والبراهين الدقيقة فيسهل في كلّ ذلك الحَيْدُ عن جادّة الصواب والتهوُّر في وهاد الضلال. وهذا امرٌ بيّن لا يرتاب فيهِ احد ممّن طالعوا كتب الذين خاضوا في هذه المواضيع بين السلَف والخلَف ولم يرضوا الاهتداء بهدى وحي ربّهم. خذ كتبهم وأَجِلْ فيها لحظك واخبرني بما تجد عندهم: آراء تتشعّب ومذاهب تتباين واقاويل تتناقض وتتعاند. فانْ سألتُ زيدًا عرض عليَّ مذهبهُ وما يرتئيهِ الصواب فأُصدّقهُ. وان خطر لي بعدئذٍ ان اسأل عمرًا في الموضوع ذاتهِ أعلَن بانّ مذهبهُ يعاكس مذهب زيدٍ من اوجه وان الصواب ما يقولهُ هو لا ما يتوهّمهُ القوم. فذاك تناقض تامٌّ في حقائق تهمّني جدًّا ولا بُدّ لي من ادراكها ادراك اليقين وهي ذات الشأن الاعظم عندي فمن يقوم لي حَكمًا بين عمرو وزيد ومن يدلّني على الهدى ويرشدني الى جادّة الحقّ والّا اصبحتُ:

كريشةٍ في مهبِّ الريح قائمةٍ لا تستقرَّ على حالٍ من القلقِ

وهكذا يغدو كلّ انسان يسعى وراء دينهِ وتضحى الاديان متعاكسةً متناقضةً لا وحدة فيها ولا انتظام فتكون هي المُبعدة عن البارئ لا المُقرّبة الى وجههِ جلَّ جلالهُ

ألست ترى ان هذا اعتبار حقائق الدين وَصعْب امرها يقضي لا محالة بوجوب نبإٍ سماويّ ينشر على الورى اشعّة شمس الهدى فيبدّد ظلمات الجهل والريب التي لولا رحمة الرحيم لكان العالمون فيها طول المدى يتسكّعون

وان اعتبرت ماهيّة العقل البشري نفسهِ يتجلى لك صدق مقالي اجتلاء أكمل. حقائق الدين ليست لعمرك باقرب مورداً وابهى مجتنًى من حقائق الفنون والعلوم الطبيعيّة فانظر الى عقل الانسان كيف انّهُ توصّل الى هذه ومنهُ احكمْ على كيفيّة توصلهِ الى تلك. قد لبث العالمون سنين واجيالاً لا يفكّرون في تلك العلوم والفنون ولا يحرّكون اليها عامل البال. ولمّا اخذوا يعتنون بها لم تنكشف لهم بعض اطراف الحجاب عن حقائقها الّا بعد الاتعاب الشاقّة والمباحث الطويلة. وكم ضلّوا في مساعيهم وكم اكتشفنا لهم من الأوهام. بيدَ انّا نحن ايضاً في عصرنا هذا الذي ذلّل في سبل نشر العلوم والمعارف اشدّ المصاعب والموانع مَن منّا يمكنهُ ادراك حقائق العلوم ان لم يكرّس لها عملاً وسهراً طويلًا ان لم يقضِ العمر في البحث والتّنقيب وربّما فاتهُ بلوغ الوطر. وعلى كلّ فلا يفوز بالمنى من ذلك الّا الرهط القليل. على انّ هذه الصعوبات وهذا العجز عند معظم القوم عن الاحاطة بالعلوم والمعارف ليس من شديدِ طائلٍ تحتهُ ان وجّهنا النظر الى المبادئ العُليا والغايات القُصوى التي خُلق الانسان لنوالها. ولكن لا يحقّ هذا القول بالنسبة للدين والحقائق المختصّة بهِ. فان حكمة ربّك وعنايتهُ تقتضيان ان كلّ انسان يكون قادراً على معرفة العلاقات القائمة بينهُ و بين مبدعهِ وهو يصعب عليهِ ذلك جدًّا إذن لم يبقَ طريقة إلّا الوحي الالهي يكاد الانسان ان يكون لهُ غنًى عنهُ حتى ولو افترضنا الدين ديناً طبيعيّاً

ولعلّك تعترض عليّ وتقول: انّ في عصرنا بعضاً من رجال العلم يستدلّون بمجرّد الادلّة العقليّة على الدين الطبيعيّ وما يقتضيهِ من الواجبات. اذ هؤلاء العلماء لا حاجة

لهم الى الوحي الرَّبانيّ . بل وبوسعهم ان يبلّغوا القوم ما اوصلتهم اليهِ مباحثهم العقليَّة فيصبح الجميع على غنًى عن كلّ وحيٍ لا يعود منهُ نفع للبشر

اجيب اوَّلًا : انَّ علماء عصرنا قلَّما يفوقون علماء الاعصر الغابرة في اطالة النظر وإعمال الفكر والتنقيب عن الحقائق التي نحن بصددها . وقد مرَّ بك كيف ان الغابرين ضلُّوا سواء السبيل وتلاعبت بهم كل اهواء الضلال . وان وُجد بين علماء عصرنا وحكمائهِ من نال حظًّا اوفر من ادراك الحقّ وبلغ منهُ بعض البلوغ فلا تظنّ انَّهُ اتَّصل اليهِ بمجرَّد قواهُ الشخصيَّة بل كن على يقين انَّهُ استنار بانوار الوحي التي تحيط بهِ من كلّ جانب وتجلّل قممَ الابصار في كلّ امَّةٍ ومكان . ايُّ عالم يبحث مباحث عقليَّة تظنُّهُ اعزَّك الله لم تبلغهُ تعاليم ربّ المجد ومصدر كلّ حقّ ربّنا ومخلِصنا ابن الله الحي ؟ ايّ عالمٍ لم يعِش رغمًا عنهُ في انوار شمس العدل والصَّلاح والهدى التي اشرقت على الكون مذ تكلَّم ربُّك وسار بين الناس واطلعهم على ما انطوت عليهِ اركانُ العُلى من الحقائق السامية الخلاصيَّة ؟

على انَّك لو دقّقتَ النظر وبحثت عمَّا اتَّصل اليهِ اولئك الذين حاولوا في عصرنا اقامة دين لهم من دون ان يُذعنوا لوحيٍ فعندها يتَّضح لك مرَّةً أُخرى عمى الانسان وعجزهُ عن ادراك الحقائق الدينيَّة . فمنهم من ذهب الى انَّهُ ليس من الواجب على الانسان ان يعبد ربَّهُ عبادة باطنةً باخضاع العقل والقلب . ومنهم من يزعم ان العبادة الخارجة ومظاهرها امر فارغ لا طائل تحتهُ ولا داعي لهُ . يقولون بان لا فرق جوهري بين الصلاح والطلاح بين الفضيلة والرذيلة وبين البرّ والعار . يقولون بانَّ كلَّ امرٍ يُباح للانسان عملُهُ وليس عليهِ ان يهرب الّا ممَّا يسبّب لغيرهِ ضررًا او يجحف بالحقوق المادّيَّة . يقولون ايضًا ان الاله ليس الهًا عادلًا رحيمًا مثيبًا عن الخير معاقبًا على الشر زاعمين انَّهُ اعلى وارفع من ان يهتمَّ بشؤون البشر . ومنهم ايضًا من يذهب الى انَّ النفس تموت بموت الجسد فلا حاجة لإتعاب القلب بما بعد الممات الخ

فترى من مجرَّد ذكر بعض اضاليلهم في هذا الشأن انَّهم قصَّروا عن بلوغ الغاية ولم يقووا إلّا على اظهار ضعف الانسان وشدَّة عوزهِ الى وحي ربّهِ

ولكن دَعنا نفترض افتراضًا جدليًا ان العلماء تمكّنهم مساعيهم ومباحثهم العقليَّة بمعزل عن الوحي من الاكتشاف على دين طبيعيّ صادق لائق بالبشريَّة ومَن فطرها .

أتظنُّهم يقدرون على نشر دينهم بين الناس واطلاعهم عليهِ. أتخالهم يتجشَّمون الاتعاب والاسفار والهموم في سبيل افشاء ذاك الدين في الاقطار والامصار الشاسعة. بل اي نفع يكون لهم من ذلك وأيُّ حاثّ يحثهم على هذا المشروع

وان هم رضوا القيام باعباء هذا الامر فاي طريقة يتَّخذونها في سبيل اقناع الناس بصدق مقالهم سوى البرهان والادلَّة العقليَّة. وهذا لعمرك سبيل لا يُجدي نفعًا ولا يضمن لهم نجاح المسعى. انَّما الناس معظمهم لا استعداد لهم ولا مقدرة على فقه البراهين والادلَّة التي يجب ايرادها لتأييد هذه الحقائق. وعندها يلتزم كل من يعجز عن فقه البراهين ان يؤمن بما يقولهُ لهُ اولئك العلماء ناكرو الوحي وان يذعن لهم مسلّمًا بصدق كلامهم. ولكن هذا يكون عين الظلم والاعتساف. لانَّهُ ان لم يكن الانسان يُدرك بعقله صواب مقالهم فبايّ حقّ يلزمونَهُ باعتقاد ما يرتاونهُ ولِمَ يا ترى يؤمن بكلامهم ولا بكلام غيرهم. بل لِمَ لا يقتصر على ما يلوح لخاطره من الصواب دون ان يركن الى غيرهِ في معتقداتهِ وتعبُّدهِ. اذًا يصبح الناس وكل منهم يتديَّن بما يحلو لهُ فيكون لك دينك ولي ديني ولكلٍّ دينهُ وهناك كما لا يغرب عن فهمك النيّر امرٌ بيّن الضلال لا يقف عندهُ من آمن بوجود اله واعترف بوحدانيَّتهِ

بقي أنَّ الوحي ممكنٌ نافعٌ لازمٌ. وبما ان الدين لِمَا مرَّ بك واجب وجوبًا كليًّا في نظر العقل فينتج ان الوحي ايضًا يجب الاذعان لهُ والعمل بهِ. هدانا الله بهداهُ الى كلّ ما ارادهُ من الخير والسعادة

البواسير واكتشاف دواءٍ جديدٍ لها

للدكتور نابوليون ماريني

عرَّبها حضرة الاب انستاس الكرملي البغداديّ

في تعريف البواسير واقسامها وتولدها

١ً (لُغَوِيَّةُ اللَفظة)* البواسير جمع باسورٍ قال جمهور اللغويين: « وقد تُبدل السين صادًا فيقال باصور ». لكنهم لم يتفقوا على اصل الكلمة. قال احمد المقّري الفيُّومي:

* القطعة الاولى مع الحواشي للمعرّب

« قيل غير عربي » . وقال صاحب شفاء الغليل: « الباسور مرض معروف تكلّمت بهِ العرب. قال ابو منصور: احسبهُ معربًا وصاحبهُ مَبسور كما وقع في حديث البخاري وصحّحهُ الشرّاح. وقول الاطبّاء وبعض العوام: « مُبَوْسَر » خطأ (اه بحرفهِ). اقول: « امّا من انّ بعض اللغويّين قالوا انهُ معرَّب فلم نقف على اثر ذلك في اللغات التي اخذ عنها العرب. فهي ليست تركية ولا فارسية اذ هاتان اللغتان تستعملان اللفظة العربية عينها وتعترفان بانها ليست من اوضاعهما بل وتقولان بعربيَّة اصلها. وليست ايضًا رومية وهي فيها hæmorrhois ولا يونانية وهي فيها αἱμορρoίς ولا شيئًا من اللغات الافرنجية الحديثة فلا يمكن اذًا ان تكون الّا عربية محضة مأخوذة من بَسَرَ القرحة اذا نكأها قبل النضج (القاموس) لان صاحبها يكون دائم البسر لها طوعًا او كرهًا عمدًا او قسرًا. ثم حُمل صوغها حملَ بعضِ اسماء الادواء او ما اشبه الادواء بأحداثها ووُزنت وزنها فجاءت كالاسماءِ المشتقة من الافعال المتعدية على وزن فاعول فقالوا باسورًا كما قالوا ناسورًا وداحوسًا وكابوسًا وجاثومًا وضاغوطًا ونحوها. والعامّة من البغاددة تسميها بهذا الاسم ومنهم من يسميها بالمياصيل وهي تصحيف « مايَه سيل » او « مايا سيل » التركية العامية ومعناها قرحة تُسيل المادّة. فاحفظ ذلك »

٢ً (توطئة) ان الغاية من هذه الخلاصة هي ان أُبيّن للعامة من الناس سبب هذا المرض وتولُّدَهُ وبالاخصّ كيفية معالجتهِ لفشوّةِ بينهم وان اعرض على القرّاء من اطباء وغيرهم ما جاء بهِ الطبّ حديثًا بهذا الموضوع

٣ً (تعريفها العلميّ) البواسير التهاب مزمن لبطانة العروق الموجودة في ناحية المقعدة من شأنها ان تسبب تزيفًا من تلقاء ذاتها وهو تزيف خاصّ بها

٤ً (اقسامها واسبابها) قد قسم الآسي النطاسي دانيال موليار (Daniel Mollière) البواسير الى قسمين وهما بواسير اصلية (Hémorroïdes idiopathi-ques) وبواسير فرعية (H. symptomatiques)

(أ) (البواسير الاصلية) لهذه البواسير ضربان من الاسباب وهما الاسباب المهيئة والاسباب العاملة. فالاسباب المهيئة هي: ١ً العمر وعليك ان تحلّهُ المحلّ الاوّل في مصفّ الاسباب المهيئة للبواسير لان الكهولة والشيخوخة تؤثران كل التأثير في بنية

الانسان وان لم يسلم منها الاطفال رأساً . ٢ً المسكرات والاطعمة الكثيرة الغذاء والافراط في تخير اللحوم السوداء (٢ . ٣ً الوراثة التي كان لها عند الاقدمين القِدح المعلَّى بين اسباب هذا الداء . وقد ثبت اليوم ان الوراثة لا تفعل رأساً على توليد البواسير بل انما تختطُّ لها في البنية خطة لا غير

امَّا الاسباب العاملة فهي اعتقال البطن ووجود اجسام غريبة في المستقيم والصَّدمات الخارجيَّة وتهييج ناحية الدبر وشرب بعض المسهلات وبالاخصّ دهن الخروع والأدوية المدرَّة للطمث وغير ذلك

وهذه الاسباب التي اتيتُ بذكرها والتي نوَّهَ بها اغلب الاطباء اصحاب التآليف التي يُعتَمَد عليها في التدريس ليست بالاسباب الحقيقيَّة المولدة للبواسير رأساً وعليهِ فاني أستأذن الادباء لأذكر لهم في هذا الصدد راي العلامة اوزين (Dr Ozenne) وهو رأي أستحسنهُ كلَّ الاستحسان وأُوافقهُ كل الوفاق قال: « اذا بحث الانسان بحثاً نعماً بالخُبرِ لا بالخَبرِ ما في هذه العوامل من الفعل المحقَّق المدقَّق في توليد البواسير انكشفت لهُ الشكوك عن ظواهرها الكاذبة او اقرَّت للباحث ضعف فعلها بخلاف ما يثبتهُ لها جمهور الأطباء . فبجانب الإثبات الذي لم يُمحِص حقيقتهُ الاختبارُ بالمعالجة قد أبدى البعض تخمُّناتٍ وتخرُّصاتٍ ان لم تُنبَذ كل النبذ ظِهريًّا فتصبح نسياً منسياً لا يُمكن ان تثبت الَّا بان تؤوَّل تأويلًا يختلف عمَّا أوَّلهُ السابقون . ونقول هذا القول عينهُ فيما يتعلق بتهييج ناحية الدبر او بالسُّحُوج التي تعرض فيها . غير ان ما يجب ان يدوَّن بين الامور المحرَّرة هو وجود عاقة حقيقيَّة تحول دون حركة نظام دم عرق الكبد في بعض هذه الاحوال مثلًا في عارض اعتقال الطبيعة المستطيل المدَّة مهما كان اصلهُ . اه

(ب) (البواسير الفرعية) ان هذا الضرب من البواسير يكون غالباً مع علَّة أُخرى . وعليهِ فيجب على الباحث ان ينظر اليها نظرهُ الى ادلَّة مرضٍ لا غير . ولنسرد الآن على القرَّاء سرداً مجملًا الامراض التي تنشأُ عنها هذه البواسير الفرعيَّة التي هي

٢) اللحوم السوداء عند الاطباء هي لحوم بعض الحيوانات التي يضرب لونها الى السواد كلحم الارنب ودجاج الغاب المسمى عندنا بالفرّار والخنزير البري

بمنزلة الادلّة لها متأثرين بذلك النطاسيّ دانيال موليار المشار اليهِ وقد رتّبها احسن ترتيب بالصورة الآتية : ١ً امراض اعضاء كالثُنَّة (١ التهاب المستقيم المزمن والزحير والفولوفوس (٢ وتضيق المستقيم والتهاب المثانة المزمن وتضخم زيق المثانة (٣ وتضيُّق الإحليل وجميع علل الرحم. ومن بين اعضاء الثُنَّة الصغرى فالرَّحم المعتلّة هي لا شك من الاسباب المولدة للبواسير في اغلب الاحيان. ٢ً امراض اعضاء ما وراء المُرَيطاء كالسرطان وجُسأ الكبد (٤ وخراجة الكلى. ٣ً امراض اعضاء الصدر كالامراض القلبيَّة والرَّبو

٥ً (تولُّدها) قد ذهب العلماء في تولد هذه العلّة ثلثة مذاهب. فالمذهبان الاولان قديمان ونَبذُهما خيرٌ من التعرُّض لذكرهما لانهما لم يقرَّا على قرار مكين ولا يؤيدان ملاحظات المعالجة. ولا يمكنني هنا ان اغضَّ الطرفَ عمَّا نطق بهِ العلامة في الطب اوزين المذكور فان كلامهُ البليغ يُفنِد كل التفنيد راي كل من خالفهُ فقد قال ولله درُّهُ من قائل: « اذا تسارع المرء في ان يقول بصحة بعض البراهين التي طنطن بها بعض المتشدقين إدعامًا للراي الاول او للراي الثـاني ودقق في تأويل بعض أحداث

---

١) الثُنَّة هي المسمَّاة عند المحدثين بالحوض ناقلين في ذلك الكلمة الافرنجية (Bassin) الى العربية. وهذا النوع من التعريب لا تأنف منهُ اللغة العربية لكن لمَّا كان لها مقابلًا في هذه اللغة كانت تلك اللفظة الدخيلة في معناها لا في لفظها من الزوائد لا بل من بضاعة اللغة المُزجاة فيجب اذًا نبذها من الكتب العربية واستعمال الكلمة الفصيحة المذكورة فلا تغفل عنها. وان قال لنا قائل بانَّها لم ترد بهذا المعنى عند العرب استشهدنا بالتاج اذ قال صاحبهُ في مادة قطن في شرح حديث آمنة: ما وجدتهُ في القَطَن والثُنَّة ولكنهُ كنت اجدهُ في كبـدي. قيل: « القَطَن اسفل الظهر والثُنَّة اسفل البطن. وقيل: القَطَن ما عرض من الثَبَج: وفي الليث: هو الموضع العريض بين الثبج والعجز ». (قلتُ): وهذا يثبت كلامنا لان الثُنَّة هي مستودَع الجنين

٢) كذا عرَّب ابن البيطار كلمة Polype في مفرداتهِ في مادَّة « كَوف » وسماهـا ايضًا بالزائدة الكثيرة الأرجل وهذه معنى الكلمة اليونانية πολύπους

٣) التضخُّم هو ما يسميهِ اطباء الفرنج بكلمة Hypertrophie. وزيق المثانة هو المعروف عند البعض بكلمة بروستاتة الافرنجية Prostate وهي من الكلم التي لا يُحتاج اليها بالعربيَّة

٤) الجُسأ جمع جُسأة وهي صلابة تحدث في الكبد وهي Cirrhose hépatique بالفرنسيَّة ومن العجب ان بعض الكتبة نقلوها بلفظها الافرنجي مع وجود لفظة تقابلها عند العرب

التطبيب التي استنصروا بها تمكيناً لما أَسسوهُ فانهُ يأتي بامرٍ فريٍّ في الحقائق العلمية وكذلك يفعل اذا شاطر كل المشاطرة اصحاب كل من هذين الزعمين القائلين بانهم كشفوا القناع عن مُحيَّا الحقيقة في تولُّد البواسير. فان اردت ان يكون الامر كما تشاء فمن اللازم ان تكون هذه الاراء الغريبة صائبة في سهامها والّا فان طاشت عن مَرماها اصبحت في خبر كان. والحال ان من المحقَّق الذي لا يشوبهُ رَيب ومن المثبت المُحصَّل المُنزَّه عن الرَجم والغيب انهُ لا يمكن ان يُدعم احدُ هذين الرأيين بدعامة التعميم فهذا هو اذًا مَغمَزُهما. وعليهِ فلا يُقبلنَّ رأي من الاراء في موضوع تولُّد البواسير الّا وتكون سهامهُ كلها صائبةً والّا عُدَّت من النابيات عن الهدَف او من الصائبات عرَضًا وهذا لا يُعتدّ بهِ ». اه كلامهُ

وقبل ان اشرع في ابداء الرأي الثالث المعروف بالرأي العصَبي استلفت الانظار الى ما ذهب اليهِ احد الثقات في الطبّ وهو العلامة كِينو (١ فانهُ يرتئي بان البواسير هي غالبًا من أصلٍ عَفِنٍ واليك نصّ كلامهِ: « قد كتبتُ في كتابي في اصول التشريح في المجلَّد الثاني: ان الشرط الجوهري في نشوء الدوالي هو تغيُّر جدار العرق او التهاب بطانة العرق. وسبب هذا التغير يختلف بصُوَر شتَّى. غير ان التهاب بطانة العرق يكون صادرًا عن اصلٍ جراحي كما في الشجاج الغَبِرة وانهُ يعقب البُطاحيّ (٢ وتعفُّن الدم في

---

١) (Quénu : *Bulletin Soc. Anat.*, Fév. 1892, p. 107)

٢) البُطاحيّ هو ما يسمَّى اليوم عند الافرنج بالحمَّى التيفوئيدية (Fièvre typhoïde) وقد عثرتُ على هذه الكلمة في اثناء رحلتي الى البصرة فاني كنت قد عُنيت بتدوين الالفاظ التي تطرق سمعي للمرة الاولى . فكان من جملة ما دوَّنتهُ هذه اللفظة وذلك ايام كان التيفوس (typhus) وهو البُطاح والحمَّى التيفوئيدية وهو البطاحيّ كثيرَي الحدوث بين الاعراب الموجودين على طريق البصرة. فلماً وقفتْ الباخرة للشحن أتى طبيباً فرنسياً كان في الباخرة جماعةٌ من مرضى الاعراب فطلب مني الآسي ان اكون لهُ ترجماناً في تلك الساعة فكان بين المرضى أربعة مصابين بالبُطاح وعشرة مصابين بالبطاحيّ الى غير ذلك من الامراض. غير اني لجهلي معنى الكلمتين المذكورتين قلت للطبيب: ما ادري ما يريد هولاء المرضى بالفاظهم الغريبة. فما تسمي هاتين العلتين : قال هولاء الاربعة مصابون بالتيفوس واولئك العشرة مصابون بالحمى التيفوئيدية فللحال علَّقت هاتين الكلمتين على كنَّاشتي. ولما قفلتُ الى بغداد راجعاً ودوَّنت الالفاظ التي سمعتها تعجبت مما تحققته في كتب اللغة عن هاتين اللفظتين وانطباق معناهما على ما نطق بهِ لغويُّو

الولادة. او انهُ يتأثر فسادًا مهما كان. اما النتيجة فهي واحدة اي ظهور نسيج ملتحم لا حياة فيهِ بدلًا من جدار كان سابقًا فعَّالًا لتدفُّق ماء الحيـاة فيهِ ولِما كان فيهِ من المرونة الطبيعيَّة ولتجمُّع قواه. وعليهِ فاذا اعتبر المرء حق اعتبارها تغيرات البِنْية التي يُحدِثها الحرَض تجلَّت لهُ الحقيقة بمحاسنهـا الفتانة وقالت لهُ: لا تطلبنَّ لعروق الاست سببًا بعيدًا عنك وهو منك اقرب من عصا الأعرج منهُ. فالسبب الذي ذكرناهُ بُعيد هذا هو هو الذي لهُ اليد الطولى في التغيُّرات والالتهابات

« افليس الشُّرْم او الطرف الاسفل من المستقيم هو من بين سائر انحـاء الجسد اكثرها تعرُّضًا لعوامل العفونة اوَ ليس الجراثيم المفسدة لا تنقطع والإسفاف لا يرتدع اذ يحصل من ادنى سَخج او من ادنى تنفُّطٍ. وما قولك في الجروح الخفيفة التي لا بُدَّ منها في التغوُّط العسر. فعلى رأينا ان هذا هو التأويل الصحيح للعوامل المولدة لاحتباس الطبيعة

« ويسهل علينا ان ننظم في سلك هذه الاسباب جميع الاسباب التي اشار اليها الثقات من العلماء كألِنغام (Allingham) وان وُجد بين هذه الاسبـاب ما تظهر لاول وهلةٍ متضادة في ما بينها. واذكر بجانب اعتقـال الطبيعة الذَرَب والسيلانات المختلفة وقلَّة النظافة والتقصير في الاغتسال والاستنجاء بكاغد المطبعة الخشن والتهيُّج الحاصل من دودٍ في البطن والإفراط في المُسهلات الخ. ولا يعترضنَّ عليَّ مُعترضٌ

العرب قال صاحب التاج : « البُطاح كغراب مرض ياخذ من الحمَّى. كذا في التهذيب نقلًا عن النوادر. ومنهُ البطاحيُّ بياء النسبة ورُوي عن ابن الاعرابي انهُ قال: البطاحيُّ ماخوذٌ من البطاح وهو المرض الشديد ». اه. وقال صاحب محيط المحيط : « البطاح مرض ياخذ من الحمى ومنهُ البطاحيُّ وهو علة تشبه البرسام » . اه . اقول وبالحقيقة ان البطاحيَّ يشبهُ البرسام وهذه الاعراض تظهر على ما قالهُ اطباء الافرنج في بدء الطور الثاني من المرض. هذا وقبـل ان آتي بغداد سألت احد اللغويين في البصرة عن معنى البطاح والبطاحيّ فشرح لي اعراض المرض على طِبْق ما رأيتهما في المرضى ثم سألتهُ عن سبب تسمية هذين الداءين قال : « لانهما يكثران في بطائح البصرة (وبطائح البصرة معروفة الى يومنا هذا بهذا الاسم وبالمعنى الذي يفسرهُ اللغويون) ثم قال: ولعلَّهما سُمِّيا كذلك لان اصحابهما يبقون منبطحين على الارض عند اشتداد المرضين فيهما ». اه. اقول ولعل هذا الاديب قد أصاب في تعليل معنى اللفظة. فان صوَّبهُ اللغويون المحدثون أشكرهُ على ما احسن بهِ اليَّ

بقولهِ ان للوراثة أثرًا فعَّالًا قلتُ: ان هذا التأثير يُستدلُّ عليهِ كما في اغلب الامراض بقابلية اعظم لاحتمال مفعول الاسباب الخارجية وبسهولةٍ اعظم لتوليدها

« والخلاصة اني لا اريد ان اكون متعصبًا لرأيي بل اقول انهُ من المناسب ان ننظر من الآن وصاعدًا الى مسئلة تولُّد البواسير بغير العين التي نظرنا بها اياها الى اليوم فالتهاب بطانة العروق هو عماد المسئلة وينتج عن انسلال جراثيم غريبة في جهات المقعدة ». اه

واذ قد بيَّنَّا ذلك فلننتقل الآن الى شرح الرأي العصبيّ بتباطوء الاغتذاء وهو اصحُّ من سائر الآراء واكثرها إقناعًا وهو رأي حديث قد تشبَّث بأذيالهِ أثباتُ الاطبَّاء ونُطسهم. وهو رأي من الواجب ان يتعلَّق بعُروتهِ الوثقى كلُّ من حاول تجنُّب هذه العلة المُمِلَّة علَّة البواسير لا بل هو رأي مفيد لكلٍّ من المريض والممرّض من جهة المداواة والشفاء. وقد جاهر بهذا الرأي جماعة من عِلي الأُساة منهم ڤلبيان (١ ودوره (Duret) ولانسرو (٢ وفُلِّن (Follin) ودُپلاي (٣ وسُكُون (٤ وليوناردي (٥ وپَيرُو (٦

علينا ان نبسط الآن هذا كما اوضحهُ النطاسيّ اوزين وهو من الجهابذة في هذا الموضوع واليك ما قالهُ بحرفهِ الواحد: « من المُثبَت على مبدإٍ مبين ان تولُّد الدَّوالي على ما بيَّناهُ لا ينبه في الافكار اعتراضًا ذا بالٍ بل يتَّفق كل الاتفاق بدون استثناء تقريبًا مع كيفية نشوء البواسير بالوجهِ الآتي:

«لا يغرب على كل ذي عقلٍ سليم بانهُ اذا حدث سبب فعَّال مهما كان وأنزل في البنية حيَدانًا في الاغتذاء او قُل اضطرابًا بسبب تباطوء الاغذاء فلا يُعتّم ان يرى بعد ذلك

---

١) (Vulpian : *Appareils Vaso - Moteurs*, T. II, p.524)

٢) (Lancéreux : *Thése de Goudet*, *Montpellier*)

٣) (Duplay : *Traité de Pathologie ext.*, T. III, p. 451)

٤) (Segond : *Dict. de Médecine*, XXXVIII p. 253)

٥) (Léonardi : *Thése* de *Paris*)

٦) (Peyrot : *Manuel de Pathol. exter.*, T. III)

في هذا النسيج او ذلك النسيج من الجسد مظاهر شتَّى تخلّ بنظامهِ والتئام أجزائهِ وتختلف هذه المظاهر عددًا وشدّةً . والحال ان البواسير على ما يظهر لنا هي احد هذه المظاهر وذلك لان جهاز الاعصاب المتحركة الوعائية (Appareils vaso-moteurs) أُصيب بشيء فأخلّ بسلامتهِ ومن ثمَّ بوظائفهِ فنشأ عن ذلك تمدُّد في الاوعيــة رويدًا رويدًا (وهو الدرجة الاولى من التهاب بطانة العروق) فتارةً يزداد ويتعرقل بما ينزل بهِ من الاعراض والاحداث المتقطّعة او المتواصلة متشبّثة بمقرّ الخلل وطورًا يتقهقر ويتناقص وحينًا يتخفَّف ليتخفَّى بعد ان باغتَ صاحبَـهُ وهو مع ذلك باقيًا لاطئًا

« وبعد ان يتمكن هذا التمدُّد في الاوعية ينشأُ في جُدرانها تغيُّرات اعظم ممَّا سبقها وتُصبح تغيُّراتٍ خاصةً بالتهاب بطانة العروق. وربَّمـا قويت في أطوارها فتتعدَّى حدودها من الالتهاب او لا تتعدى بمقتضى الاحوال ثم يُباغتُها بعد ذلك كل نوعٍ من الخلل آتيًا من الجوار لكنهُ يبقى دائمًا في حكم المنزلة الثانية من الاهمية

« ثم انَّ البواسير مهما بلغت من نُشوئها ربَّما تكيَّفت بعض الاحيان بتكيُّفاتٍ مرجعُها الى احتقان الدم او الى الالتهابات ومصدرها فعل عامّ سواء كان من اصل عصبيّ او من اصل آخر او من فعلٍ محليّ ٍ آليًّا كان او وَرَميًّا .

« فلهذا المذهب في تولُّد البواسير منافع وفوائد جمَّة فانهُ لا يقوم فقط بشرح جميع الإصابات من هذا القبيل بل من شأنهِ ايضًا ان لا يكون هدفًا لسهام الاعتراضات كما تُستهدَف سائر الاراء . ويحمي ذمارَهُ لا بل ويُعلي منارهُ ايضًا ما في غير الآراء ممَّا لا مشاَحة فيها وهو ايضًا منها بمنزلة الفريدة في عقد الجمان او ان شئتَ فقل انهُ بمنزلة العَقْد القائم على اساس متين من البنيان وتلك الآراء بمنزلة الموادّ التي يبنى منها ذلك العَقْد القوي الاركان وهي من الشتات في كل مكانٍ

« فلعمري اذا نظرنا الى هذا الرأي بعينٍ وقَّادةٍ نقَّادةٍ من مناظرهِ الاربعة اي من جهة تولُّد المرض وطبيعة خللهِ وعلاماتهِ وعلاجهِ يظهر لنا انهُ لا يُبقي وراءهُ الَّا شيئًا زهيدًا من اثر الإبهام بما يتعلق بامر تاريخهِ

« فمن جهة تولُّدها واسبابها ان الدوالي الباسورية هي نتيجة حالة ارتخاء فعل النظام

العصبيّ الذي تختلف عِلَلُهُ فيفعل راساً على الدوالي الباسوريَّة واسبابُهُ مُتعاونة مُتضافرة تقلّ او تكثر عدداً راجعة كلها الى علم التشريح وعلم مظاهر الحياة (الفسيولوجية) وعلم الامراض (الپاتولوجية)

« فالدوالي ليست اذاً من نتائج البنية القلانية فقط . امَّا سبب كثرة وجودها بين الناس فلتغيُّر ترل في عصبهم فقْري احسن قِرًى فتمكَّن فيهِ لكنهُ لمَّا نزل في عصب غيرهم طُرد شرَّ طردٍ فولّى الادبار

« ثم اذا فحصنا الظواهر التي تُعرف بها الدوالي الباسورية وتتبعناها أحادى يظهر لنا من الموافق للعقل الناقد ان لا نرى هذه العلامات الَّا بمنزلة عنوانٍ يختلف باختلاف ما يقع من الاضطراب في الاغتذاء خاضع للحالة المرضية الطارئة على المراكز المقلّصة الوعائية (Centres vaso-constricteurs) والمراكز الممدّدة الوعائيَّة (Centres vaso-dilatateurs)

« ففحص هذه المسئلة بهذا الوجه لا يُنافي ركود الدم الآلي (Stase mécanique (وهو الراي الاول) وحقيقتهُ لا مراء فيها . ولا ينافي حركة احتقان الدم (وهو الراي الثاني) التي في بعض الاحيان تكون مع العلة الاولى ولعلها لا تنتج الَّا عن التشنُّجات العضلية . وعلى كلٍّ فمهما كان السبب الفعَّال لهذا التعرقُل المرضي فمن المحتمل انهُ يتعلق بسبب اعم ممَّا يتصوَّرهُ الانسان وهو ليس الَّا نتيجة الاضطراب الابتدائي الذي هجم على النظام العصبي

« وهذا الاضطراب الرفيع المنزلة في اهميَّتهِ عند تطبيق اصول المعالجة عليهِ يبان انهُ الاصل الحقيقيُّ لداءِ البواسير أو ان شئت فقل انهُ السبب البَدني الحقيقيّ الذي يُحدث خللًا في نوعيَّة نسيج العروق وليس ابداً كما يزعم البعض بتخيُّرهِ خِطّة مجبولة من سابقٍ على ان يظهر فيها الاستعداد للدَّوالي فأخطأوا في تسميتهِ » . اه كلامهُ

وفي عددٍ قادم نبسط الكلام في معالجة البواسير (ستأتي البقية)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٥ آثار الرومانيين في لبنان

اثنى صاحب سفر المكابيين الاول (٨ : ١—١٦)) الثناء الحسن على الرومانيين واعمالهم فقال فيهم: « انهم ذوو اقتدار عظيم ويعزّون كلّ من ضوى اليهم وكلّ من جاءهم آثروه بمودّتهم ولهم شوكة شديدة.. وكلّ من سمع باسمهم خافهم.. ومع ذلك كلّهِ لم يلبس احدٌ منهم التاج ولا تردّى الأرجوان مباهاةً بهِ.. وهم يفوّضون سلطانهم وسياسة ارضهم بجُملتها كلّ سنة الى رجل واحد وجميعهم يطيعونهُ وليس فيهم حسد ولا منافسة »

لعمري انّ هذا مديحٌ نعمًا فاهَ بهِ الله على لسان الكاتب الشريف وصدق في وصف امّة تنطق آثارها الباقية الى يومنا عن جاهها وعلوّ كعبها. ولم يُخرَم لبنان من شواهد عزّ الرومان وشوكتهم. ولو لم يُخلفوا لنا سوى آثار دير القلعة الذي مرّ وصفهُ في الفصل السابق لكفى بهِ شاهدًا على صدق مقالنا اذ بيّنّا انّهُ معبد رومانيّ شيّدتهُ مستعمرة بيروت الرومانيّة. بيد انّ للرومان مآثر جمّة في جميع انحاء لبنان غير هذا المعبد فرأينا في ذكرها افادةً للجمهور ليطّلعوا على اعمال هذا الشعب الذي اضحى اسمهُ مرادفًا للفخر والعظمة

ولا بُدّ هنا من مقدّمةٍ موجزة يقف بها القارئ على احوال سوريّة في وقت تغلّب الرومان عليها في سنة ٦٥ قبل المسيح. لمّا قُتل انطيوخوس الثاني عشر ملك سوريّة (سنة ٨٥ ق م) صارت البلاد في حالٍ من الضعف اطمع فيها دغرانَ ملك الارمن فزحف اليها بخيلهِ ورَجلهِ واستولى عليها غنيمةً باردة لم يقوَ احد على ان ينتشلها من مخالبهِ. فبقيت تحت حوزتهِ الى ان دارت عليهِ الدوائر في سنة ٦٩ لمّا غلبهُ القائد الروماني لوكلّوس في واقعة دِغرانوكِرْت. فانتهز انطيوخوس الثالث عشر هذه الفرصة

ليستوي على عرش آبائهِ الَّا انَّ ملكهُ لم يدُم سوى اربع سنوات. وكانت سوريَّة في تلك الاثناء قد تضعضعت قواها وتقهقرت امورها وانتقض حبلُها. وكان يُحدق بها شعوب قاموا لها بالمرصاد يتطالُون اليها طامعين في ملكها. تحدُّها جنوبًا مملكة اليهود من بني حشمناي وهم لا يزالون في قلق متداوم. وكان النبطيُّون يملكون على حدودها الشرقيَّة ويحكمون على دمشق وضواحيها وعلى جبل الشيخ. امَّا قبائل البادية فكانت على ثغورها جمعاء تزاحمها وتشنُّ عليها الغارات. ولمَّا صار الامر الى دغران صرف همتهُ الى عقد العهود مع زعماء هذه القبائل فجعلهم كروَّاد تجارتهِ مع البلاد المتاخمة واشتهر من جملة هؤلاء سراة القبائل شيخان ملك احدهما على حمص اسمهُ سمپغرام او سمپسيكرامس (١ . اما الثاني فيُدعَى عزيزًا وكانت دولتهُ على بادية شمالي سوريَّة

ومن الدول العربيَّة التي اشتهرت في ذلك الوقت دولة الايتوريين ملكت على لبنان وعلى ساحل فينيقيَّة. وكان هذا الشعب مُحنَّكًا في آداب الحرب يُحسن الرَّمي بالنبال. وكان اصلهُ من الجبال الصخريَّة التي موقعها في شرقيّ دمشق المعروفة اليوم بجبل حوران او جبل الدروز واللجأ. فلم يزل امرهُ يعلو ويقوى حتى تعدَّى حدود وطنهِ فاستولى على جبال الشيخ وبقاع العزيز فضرب ثمت خيامهُ واقام لهُ دولةً صغرى جعل عين جرّ (Chalcis) كعاصمتها. وما عتَّم ان تسوَّر قمم لبنان وحصَّنها بالقلاع ثم هبط الى سواحل الشام فاتَّخذ لهُ دولةً ايتوريَّة ثانيةً اضحت طرابلس مركزها. وكان هؤلاء الغزاة يهبطون كسيل جحاف من مشارف لبنان فيغزون وينهبون لا يقوم في وجههم حاجز. واكثر من كانوا يأذَون بمكروههم اهلُ جُبيل وبيروت لا يقوون على الذَّود عن حمى ديارهم ومزروعاتهم وسفنهم. ولا غرو انَّ الاسماء العربيَّة المحضة الواردة في كتابات يونانيَّة وُجدت في نواحي جُبيل وبترون ترتقي الى عهد دولة الايتوريين هؤلاء (٢

فتلك كانت حالة سوريَّة لمَّا ارسل بمبيُوس قوَّادَهُ ليحتلُّوها وما لبث ان سار اليها هو بنفسهِ سنة ٦٤ فنظمها في سلك املاك الدولة الرومانيَّة وجعلها اقليمًا قائمًا بذاتهِ ثم

١) راجع المشرق ٦ : ٧٧١ وكتابات وادنغتون العدد ٢٥٦٧

٢) راجع Mission de Phénicie 199, 200

قلّم اظفار الفِتَن وفتح معاقل العُصاة وردّ قبائل البادية الى مساكنها الأُولى واعاد السلم والنظام الى مجاريهما . ولمّا سعى اليـهِ اهل طرابلس متظلّمين من ملكهم الايتوري ديونيس امر بهِ فقُتِل بعد ان تثبَّت ظلمهُ

ثم واصل بمبيّوس سيرهُ في سواحل سوريَّة ظافرًا وتوغَّل لبنان واخذ عنوة قلعة جيجرتا (Γίγαρτα) الآتي ذكرها فأخربها كما انَّهُ هدم قلعة وجه الحجر (θεουπρόσωπον) وقوّض ابنية بترون لحلول اصحاب الجنايات في ضواحيها . ولمّا قدم جُبيل مثّل بملكها كينيراس كما فعل بصاحب طرابلس ونفَّس كُرْبة اهلها وجعل مدينتهم مستقلّةً تحت حمى الرومان

ثمَّ تخوَّف بمبيُّوس وَشْكَ الشتاء فيمّم سهول البقاع ورياض دمشق ليُحِلَّ جندهُ في بسائطها الرائعة فينالوا هناك نصيبًا من الراحة بعد الاتعاب التي تجشّموها . فقطع جبل لبنان (١ وافتتح في طريقهِ قلعتَي برُومـة (Borroma) وسنَّان (Sinnan) الوارد ذكرها . فما دخلت السنة ٦٣ ق . م . حتى اتمَّ الرومـان فتح البلاد السوريَّة واستقرَّ لهم الامر في انحاء لبنان

ومن شروط المعاهدة التي عقدها الرومانيُّون مع اهل الشام ان يَلزم سكّانُ البلاد شرائعهم وسُننهم ويجروا على نظامهم القديم ولا يُغصَبون في لسانهم ودينهم وعاداتهم . امَّا المدن الساحليَّة فجعل الرومان امرَها شورى يدبّر شؤُونَها نُخبةٌ من اشراف البلد وابطلوا بذلك ما كان لملوكها من السلطة المطلقة . ثم ضربوا الجزية على الاهلين يؤدّيها لهم الذكور منذ سنتهم الرابعة عشرة والاناث منذ الثانية عشرة الى السنة ٦٥ من عمرهم جميعًا (٢ وفرضوا عليهم خراجًا جبوهُ من الاملاك يبلغ في المئة واحدًا . ورسموا ايضًا ضرائب ومكوسًا على الواردات والصـادرات من السلع الّا ان هذه الرسوم مع ثقلها كانت اخفَّ على عاتق السوريين من المغارم والسُّخَر التي حمّلهم بهـا ملوكُهم سابقًا وكانوا يتقاضونها دون نظام معلوم وفي ايّ آن شاؤُوا

فما مرَّ على سوريَّة الّا الزمن اليسير حتى التأم صدعُها وانجبر كَسْرها وانتظم شمل

١) لعلَّ بمبيُّوس تسلّق بجنوده لبنان من جهة جُبَيل مارًّا بالعاقورة فاليمّونة الى بعلبك
٢) راجع Ulpiani Digesta, *Lib.* L, *leg.* 2, n. 3

السَّكَن فرتعوا في بحبوحة الأمن. وكان الرومان قد احيوا معالم العدل واماتوا سُنن الجور يأخذون للضعيف من المقتدر وينشّطون الجميع على الاعمال الشريفة والمشروعات المفيدة التي تعود عليهم بالمنافع العظيمة لاسيَّما التجارة والبحارة والصنائع والفنون

امَّا لبنان فأصاب من هذه الاصلاحات نصيبهُ الحسن. وكان هذا الجبل الشهير لمَّا فتحهُ الرومان قليل السكَّان فزاد اهلهُ بعد مدّة وخصبت تُربتهُ (١ وعاش اللبنانيُّون في الرَغد والهناء في حرمة رومة يشكرون لسياسة ولاتهم وينمون في ظلّهم الوارف وهم مع ذلك يجرون على سُننهم ويتصرّفون في تدبير امورهم كيف شاؤوا

ومذ ذاك الحين اخذت العوائد الرومانيَّة تتغلَّب على البلاد الشاميَّة وانتشرت اللغة اليونانيَّة في المراكز الكبرى حتى نَسِي كثيرون اللغة الفينيقيَّة واللغة الآراميَّة لاسيما بين الاشراف واصحاب الثروة. امَّا اللغة اللاَّتينيَّة فبقيت محصورة في الدوائر الحكميَّة لم يشع منها بين الجمهور غير مفردات تتعلّق بالموزونات والمقاييس والنقود والادارات السياسيَّة والحرب كهذه: البريد والسجلّ والرطل والدينار والاوقيَّة والبرج والاطربون والبوق والقومس والفسطاط والشُّرطي وما شاكلها ولعلَّ كثيرًا منها وصل الى العرب مجتازًا على ألسنة المتكلّمين باليونانيَّة. وفي بعضها مسحة من اللغة الآراميَّة (٢. وممَّا بلغنا من آثار اللغة اللاَّتينيَّة كتابات قلائل سُطِرت على بعض القبور. بيدَ انَّ المستعمرات الرومانيَّة في سوريَّة داومت على التكلُّم باللاتينيَّة ومن جملتها مستعمرة بيروت. امَّا العامَّة فلم يزالوا محافظين على لغتهم الفينيقيَّة والسريانيَّة يؤخذ ذلك من الاسماء الآراميَّة الواردة في الكتابات القديمة

ولمَّا كانت السنة ٤٧ ق م قدم الشام يوليوس قيصر فنزل في ساحل عكَّة مع جنودهِ ثمَّ سار الى فينيقية ولبنان فتقاطر اليهِ الشعب واستقبلهُ استقبالًا شائقًا عمل في قلبهِ وحملهُ على افاضة نعمهِ على الاهلين فخفَّف من عبء الضرائب ومنح المُدن التي طاف

---

١) وكذلك جرى في حوران. راجع المجلَّة ZDPV, XXI, 21

٢) راجع ما قلنا عن اصل هذه الالفاظ في كتابنا الفروق. اطلب ايضًا المقالة التي حرَّرناها في المشرق (١: ٤٤٠–٤٤٨). ونزيد هنا عن اصل كلمة « الشرطيّ » انَّنا وجدناها في كتابة يونانيَّة مكتوبة بصورة (Χώρτη) منقولة اليها من اللاَّتينيَّة (cohors). وهي قريبة من لفظة « الشرطي »

فيها مواهب وافضالًا عديدة والَّف القلوب النافرة واعطى مدينة بترون الاستقلال وسار نسيبُهُ وَخلفُهُ اوغسطس قيصر على منهاجهِ واختصَّ لبنان بنعم سابغة ووهب جُبيل أفضالًا عميمة. فقام اهل بترون وجُبيل بفروض الشكر لولي نعمتهما وأرَّختا نقودهما بتأريخ اكسيوم(١ ذكرًا لانتصار اوغسطس على خصمهِ انطوان (٣١ ق.م)

(ستأتي البقية)

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رنزقال اليسوعي

(تابع لما قبلهُ)

الباب الاول

في المبادئ اللازمة معرفتها للموسيقى وفيهِ سبعة فصول

الفصل الاول

في تفسير الانغام المسمَّاة ابراجًا

الصوت بحسب مراتبهِ وطبيعتهِ يُقسم الى مراتب غير متناهية بالقوَّة وإن تناهت بالفعل وكلُّ مرتبةٍ هي جوابٌ لما دونها وقرار لما فوقها(٢ ثم ان كل مرتبة تُقسم الى سبع درجات الواحدة فيها تعلو الاخرى وهذه الدرجات يسمونها ابراجًا. وقد وضعوا لها

١) ورد هذا التاريخ في كتابة جُبَيليَّة تُعرف بكتابة البلاط (Mission de Phénicie, 224). وقد وجد الدكتور جول روفيه نقودًا أُخرى تثبت هذا الامر لجبيل ولبترون معًا

٢) الجواب ما يسميهِ الافرنج l'octave supérieure d'une note والقرار l'octave inférieure والمرتبة اي الديوان ما يدعونهُ gamme او une octave

اعلاماً تميّزها. فاولها يكّاه. وثانيها عُشَيْران. وثالثها عِراق. ورابعها رَسْت(١. وخامسها دوكاه. وسادسها سيكاه. وسابعها جهاركاه (٢. وهذه يقال لها المرتبة الاولى والديوان الاول. ثم يعلوها المرتبة الثانية: واوّلها برج النوى. وثانيها الحُسَيْني. وثالثها الأَوج. ورابعها الماهور. وخامسها المُحَيَّر. وسادسها البُزْرَك(٣. وسابعها الماهوران وهو جواب الجهاركاه ونهاية المرتبة الثانية. ثم فوقها المرتبة الثالثة: واولها جواب النوى المعروف بالرَمَل توتى. وثانيها جواب الحسيني. وثالثها جواب الأَوج. ورابعها جواب الماهور. وخامسها جواب المُحَيَّر. وسادسها جواب البُزْرَك. وسابعها جواب الماهوران وهو نهاية المرتبة الثالثة (٤. وهكذا تتعدّد المراتب صعودًا وتتسمى ابراجها بتكرار اضافة الجواب الى مثلهِ. فيقال جواب الجواب. وجواب جواب الجواب. وهلمّ جرًّا الى ما لا نهاية لهُ. وتتعدَّد نزولًا ايضاً بحيث يمكن ان يُقال تحت اليكاه قرار الجهاركاه. وتحتهُ قرار السيكاه. وتحتهُ قرار الدوكاه. وتحتهُ قرار الرست. وتحتهُ قرار العراق. وتحتهُ قرار العشيران. وتحتهُ قرار اليكاه. وهكذا الى ما لا نهاية لهُ

واماً قولنا ان اول الابراج اليكاه فهذا ليس بضروري بل هو استحسان اختياري قد وضعتهُ اكثر علماء العرب. ولعلّهم اختاروا الابتداء بهِ طلبًا للمناسبة في ترتيب الابراج بان يكون الاول برجًا كبيرًا يليهِ صغيران ثمّ كبيرٌ وكذلك ثمّ وثمّ الى النهاية كما يظهر لك في محلّهِ. فلو كان الابتداء من غيرهِ لم ينتظم هذا الترتيب. ولذلك اقتفيتُ آثارهم في وضعهِ. وقد جعل بعضهم الابتداء من برج الرست. واما اليونان فجعلوا اول الابراج الدوكاه ويمكن الابتداء باي برجٍ كان منها بحيث تصير المرتبة لسبعة ابراج الواحد فوق الآخر ويكون الثامن جوابًا للاول. وهذا الجواب هو ضعف القرار في

١) ويروى راست ومعناه بالفارسية مستقيم وقد سموه كذلك لانّ بهِ كانت العجم تبتدئ الديوان الطيبعي المعروف بالمقامة المستقيمة

٢) وكل من يكاه ودوكاه وسيكاه وجهاركاه كلمات فارسية مركبة من اسماء الاعداد ١، ٢، ٣، ٤ ومن كلمة كاه بمعنى الموضع. وقد زاد بعضهم عليها: پنجكاه وششكاه وهفتكاه. وهذا دأب من يبتدئون الديوان من الرست. فالرست حينئذٍ يساوي اليكاه والپنجكاه يساوي النوى والششكاه الحسينيّ والهفتكاه الاوجَ (راجع Villoteau : *Description de l'Egypte*, T. XIV, p. 15)

٣) ويلفظ ايضاً البُزُرك والبُزْرُك

٤) ولم نعثر لهذه الجوابات على أسام خاصّة بيد ان ما تأخّر منها نادر الاستعمال لحدتهِ وعسر الوصول اليهِ على العود كما سنراه في باب العود

الشدة ونصفهُ في الضخامة لان صوت الجواب اعلى من القرار الّا انهُ ارقّ منهُ . ثم ان الصوت الانساني بحسب الطبيعة لا يكون الصعود بهِ من القرار الى الجواب والهبوط من الجواب الى القرار على اكثر من سبعة ابراج . اي لو قُسمت المرتبة الى عشرة ابراج مثلًا عوضًا عن قسمتها الى سبعة لم يكن يتأتّى للصوت الانساني المرور عليها الّا بعنفٍ شديد ويكون الصوت المسموع منها ممّا تنفر الطبيعة الانسانية عن سماعهِ . ومن ذلك يُعلم ان قسمة المرتبة الى سبعة ابراج هي امرٌ طبيعيّ لا بدّ منهُ بالضرورة

الفصل الثاني
في تقسيم الارباع

ان السبعة(١ الابراج المتقدم بيانها في الفصل الاول هي كسلّمٍ الدرجة فوق الاخرى فلم يكن البُعد بينها متساويًا بل ان بعضها يبعد عن بعضٍ اكثر وبعضها اقلّ . وهذه القضية موضوع خلاف بين الموسيقيين من العرب واليونان فان العرب يقسمون البُعد الكائن بين الابراج الى رتبتين كبيرة وصغيرة فالكبيرة ما كان البعد فيها بين البرجين المتجاورَين اربعةَ ارباع . والصغيرة ما كان البعد فيها ثلاثة ارباع . فالاولى منهما هي من اليكاه الى العشيران ومن الرست الى الدوكاه ومن الجهاركاه الى النوى . والثانية من العشيران الى العراق ومن العراق الى الرست ومن الدوكاه الى السيكاه ومن السيكاه الى الجهاركاه . فتكون الرتبة الاولى ثلاثة ابراج تحتوي على اثني عشر ربعًا كل برج

١) اعلم ان الديوان الموسيقي لم يكن يحتوي بادئ البدء الّا على اربعة ابراج كما يُستنتج ذلك من الالحان الشائعة بين الاقدمين وهو الديوان المشهور المسمّى عند اليونان Tétrachorde اي الديوان ذا الاربعة الاوتار وقد دعاه الفارابي البُعد الذي بالاربعة . وهو بمنزلة أساس ومبدإ لكل ما اخترعه الاقدمون والمتأخرون من تقسيم الرتبة الموسيقية وتحديد الابعاد بين نغمةٍ ونغمة فلمّا اخذت دائرة الالحان في التقدم والاتساع لم يلبث السلف ان شعروا بما في الديوان الاصغر الآنف ذكره من الضيقة والنقصان فارادوا من ثم توسيع ناطقتهِ وزادوا عليهِ ديوانًا اخر صغيرًا يشاكلهُ وهكذا كان الوصول الى ما يقرب من جواب القرار الذي كان يوخذ ببعدٍ واحدٍ واخيرًا الى الجواب . على انهم لم يكتفوا بذلك الّا اردفوا الجواب بديوانين اخرين صغيرين وبرجٍ واحد فحصل من ذلك ما سموه الجمع التام (τὸ σύστημα τέλειον, δὶς διὰ πασῶν) المحتوي على ١٥ برجًا والممتدّ من اليكاه مثلًا الى الرَمل توتى الذي هو غاية الرتبة الثانية وهذا الجمع يكون اما منفصلٌ وامّا متصلٌ فالمنفصل ما تخلّل بين الديوانين الاولين والديوانين الاخرين البرج المسمى

منها اربعة ارباع. والرتبة الثانية اربعة ابراج تحتوي على اثني عشر ربعاً كل برج منها ثلاثة ارباع. فتكون ما تحتوي الابراج السبعة اربعة وعشرين ربعاً

واماً المتأخرون من اليونان(١ فيجعلون اولَ الديوان برج الدوكاه المسمّى عندهم «يا» ونهايتهُ الماهور المسمّى عندهم « ني ». ويقسمون الابراج الى ثلاثة مراتب والبعد الكائن بين الابراج يقسمونهُ الى دقائق. فالرتبة الاولى عندهم هي عين الرتبة الاولى عند العرب لكنهم يقسمون البعد بين البرج منها والآخر الى اثنتي عشرة دقيقة. والرتبة الثانية هي من الدوكاه الى السيكاه ومن الحسيني الى الأوج. والبعد بين كل برج منها تسع دقائق. والرتبة الثالثة هي من السيكاه الى الجهاركاه ومن الاوج الى الماهور. والبعد بين كل برج منها سبع دقائق. فتكون جملة ما تحتويه الابراج السبعة ثمان وستين دقيقة. منها الرتبة الاولى ثلاثة ابراج وتحتوي على ست وثلاثين دقيقة. والثانية برجان تحتوي على ثماني عشرة دقيقة. والثالثة برجان ايضاً تحتوي على اربع عشرة دقيقة

ذيل على الفصل الثاني

ولسائل ان يسألنا عن تركيب الديوان الصغير الذي منه تتكون المرتبة فنجيب على وجهِ العموم انهُ كان يحتوي على بُعدين ونصف اي على اربع نغمات كما قلنا من اليكاه مثلًا الى الرست او من الدوكاه الى النوى غير ان هذا موضوع اختلاف بين الاقدمين والمتاخرين لعدم اتفاقهم على سِعة البُعد الموسيقي. فكان الاقدمون مع فيثاغوراس لا يعتبرون الا جنساً واحداً من البعد الكامل يعبرون عنهُ بنسبة ٨/٩ فكان حينئذٍ نصف البعد عندهم معبّراً عنهُ بنسبة ٢٥٦/٢٤٣ فهذه صورة تقسيمهم الديوان :

لذلك بُعد الانفصال والّا فكان الجمع متصلًا فهاك صورة الجموع المختلفة المتولدة على اختلاف مقرّ بعد الانفصال

الجمع التامّ

	الديوان الاول التام .1re Octave			الديوان الثاني .2e Octave		
جمعان منفصلان	بعد بالاربعة	بعد بالاربعة	بعد الانفصال	بعد بالاربعة	بعد بالاربعة	بعد الانفصال
	بعد الانفصال	بعد بالاربعة	بعد بالاربعة	بعد الانفصال	بعد بالاربعة	بعد بالاربعة
جمع متّصل	بعد بالاربعة	بعد الانفصال	بعد بالاربعة	بعد بالاربعة	بعد الانفصال	بعد بالاربعة

١) نعماً قال لانَّ ما اطلعنا عليهِ من كتاب الموسيقي للفارابي لم يفدنا شيئاً عن هذا التقسيم الى ٦٨ دقيقة. وليس احد يجهل ان للفارابي إئتماماً مدققاً بعلماء اليونان في شرحه اصول فنّ الموسيقي

Fa		Mi		Ré		Ut
رست	٢٥٦/٢٤٣	كوشت	٩/٨	عشيران	٩/٨	يكاه
جهاركاه]		بوسليك		دوكاه		[او رست

واماَّ المتاخرون حتَّى معاصرونا فاتبعوا اثار بطليموس الفلكي فقسموا البعد الكامل الى جنسين الاكبر والاصغر (Ton Majeur et Ton Mineur) فالاكبر ما نسبتهُ برجيهِ ٩/٨ والاصغر ما نسبتها ١٠/٩ فيحصل من ذلك تغيير في نسبة نصف البعد فيساوي عندهم ١٦/١٥ فصورة ديوانهم هذه :

Fa		Mi		Ré		Ut
رست	١٦/١٥	–كوشت	١٠/٩	عشيران	٩/٨	يكاه
		[او + عراق]				

اما بعد الانفصال الذي مقره بين الرست والدوكاه فهو على حدٍ سواء في الديوانين لان نسبته في كليهما ٩/٨ فكثيرًا ما ترى الفارابي يسمّي هذا البعد بالبعد الطنيني او بالمدَّة او ببعد العَودة وقد اصبح قياساً ثابتاً ايام هذا العالم الشهير

وفضلًا عن البعد الطنيني ونصف البعد يوجد بُعدٌ آخر وهو المدعو تارةً بقيَّةً او فضلة(λεῖμμα) اذا كان باقلَّ من نصف الطنيني وطورًا انفصالاً (ἀποτομή) اذا كان يتجاوزهُ وقد اتخذ اليونان ايضاً الارخاء (διαίρεσις) وهو ثلث المدَّة او ربعها فسمُّوا الاول «الملوَّن» (δίεσις χρωματική) والثاني الناظم (διαίρεσις ἐναρμόνιος) . واماَّ الفارابي فيطلق تسميهِ الارخاء غالبًا على الربع وحده ونسبتهُ ٣٦/٣٥ . هذا ولا يخفى انهُ اذا ادخلنا في الديوان المار شرحهُ احد هذين الجزءين الصغيرين لتغيرَّت صورته واختلفت الاصوات عن النغمات الاصلية على اختلاف الابعاد المتخللة بين برجٍ وبرجٍ . وهذا هو مصدر الاجناس الثلاثة في تقسيم الديوان وسنعود اليهِ في باب تعريف الالحان فحسبنا الآن القول انَّ تقسيم الديوان المذكور آنفاً هو بمقتضى الجنس الاول المسمى بالجنس القويّ

قد مرَّ بنا ذكر الابراج ونسبة بعضها الى بعض فعلينا الآن ان نبيّن كيف يتوسل الى استخراج تلك النسب . نقول ان ذلك يتمُّ بطريقتين فالاولى مقابلة طول الاوتار والثانية مقابلة عدد الاهتزازات . اما الطريقة الاولى فغاية من السهولة وهي ان تشدَّ وترًا على عودٍ او طنبورٍ او على صندوقٍ فارغ ثم تَنْقرهُ . فلنفرض ان الصوت الحاصل هو برج اليكاه فاذا اردت معرفة النسبة بين اليكاه والعشيران عليك ان تضغط الوتر عند احد طرفيهِ الى ان تسمع صوت العشيران ثم قِس طول القسم الذي اناك صوت العشيران ترَ انهُ اذا كان طول الوتر ١ او مترًا واحدًا لليكاه يكون طولهُ للعشيران ٠,٨٨٨٠٠٠ اي ٩/٨ المتر . واما الطريقة الثانية فهي اعسر اذ تقتضي استعمال آلةٍ خصوصيةٍ لعداد الاهتزازات الجسمية وعليهِ فاذا عددت الاهتزازات المتولّدة في الوتر عند نقرك مطلقه الذي هو مثلًا اليكاه ثم عددت كذلك الاهتزازات اللازمة لتوليد صوت العشيران وجدت ان نسبتها كنسبة ٩ الى ٨ اي ٩/٨ ومن ذلك يستنتج ان نسبة الاطوال عكس نسبة عدد الاهتزازات ولهذا ترى بعضهم يرسمون رسم الديوان الآنف ذكرهُ على نِسَبٍ منقلبة لانهم يعتبرون الاهتزازات لا طول الاوتار

الفصل الثالث

في الفرق الكائن بين الابراج والارباع العربية والابراج والدقائق اليونانية

قد تقدم ان الديوان يُقسم عند العرب الى اربعة وعشرين ربعًا وعنـــد اليونان الى ثمـــاني وستين دقيقة ولهذا لم تحصـــل موافقة حقيقيّة بينهما الّا في اربعة مواضع . اولها برج اليكاه فان الربع الاخير منهُ مساوٍ للدقيقة الاخيرة من برج ذي (٢ التي هي مطلق الوتر . وثانيهـــا الربع السادس المسمّى قرار العجم فانهُ مساوٍ للدقيقـــة السابعة عشرة التي هي الدقيقة الخامسة من برج زو . وثالثها الربع الثاني عشر المسمى زركلاه فانهُ مساوٍ للدقيقة الرابعة والثـــلاثين التي هي السادسة من برج پا . ورابعها الربع الثامن عشر المسمى بوسليك فانهُ مساوٍ للدقيقة الحادية والخمسين التى هي الثانية من برج غاو . فيما عدا هذه الاربعة لا يحصل مطابقة حقيقية الّا في اجوبة الارباع والدقائق المذكورة وقراراتهـــا .

أَلشَّكْلُ ٱلثَّامِنُ (١)

نوى مساوٍ لذي

جهاركاه بعلو غا بثلثي الدقيقة

سيكاه بسفل فو بخمسة اسداس الدقيقة

دوكاه بسفل پا بثلث الدقيقة

رست بعلو قرار ني بثلث الدقيقة

عراق بسفل قرار زو بدقيقة وسدس

عشيران بسفل قرار كه بثلثي الدقيقة

يكاه مساوٍ لقرار ذي

---

١) احببنـــا ان نورد هذا الشكل الذي هو الثامن في النسختين بازاء المتن لما في لاطّلاع على الديوان العربي واليوناني من الوضوح والتسهيل وهكذا يكون د أبنا فيما بعد مع سائر الاشكال وان كان صاحب الرسالة جمعها في محلٍ واحدٍ من كتابهِ

٢) فما مسمَّاه برج ذي هو فعليًّا قرار برج ذي لان برج ذي مساوٍ للنوى الذي هو جواب اليكاه وكذلك ترى العشيران يقرب «من قرار كه» لا من كه والعراق من قرار زو والرست من قرار ني . وسبب ذلك على ما افادنا المؤلف في الفصل السابق ان المتأخرين من اليونان كانوا يجعلون اوّل ديوانهم الدوكاه اي پا ثم فو ثم غا ثم ذي

وانطباق الابراج العربية على اليونانية هو انطباق تقريبي لا يقيني فانك لو طبّقت برج اليكاه على قرار برج ذي الذي هو اليكاه عند اليونانيين وطبّقت برج النوى على برج ذي الذي هو برج النوى عند اليونانيين مرسومين في جدولَين متحاذيين احدهما مقسوم الى اربعة وعشرين ربعًا والثاني الى ثماني وستين دقيقة ساحبًا على عرض كل منهما خطوطًا تلتقي في محل مُماسّة الجدولين يظهر لك ان الابراج المتوسطة بين اليكاه والنوى لا تنطبق على الابراج المتوسطة بين قرار ذي وبين برج ذي انطباقًا تامًا بل ان بعضها يعلو او يسفل عن بعض تارةً اكثر من دقيقة وتارة اقل كما ترى ذلك مرسومًا في الجدول الموضوع في هذه الرسالة في الشكل الثامن. وسبب هذا الاختلاف اولًا كون ابراج العرب رُتبتَين وابراج اليونان ثلاث مراتب. ثانيًا كون ارباع العرب اربعة وعشرين ودقائق اليونان ثمان وستين وهذان العددان لا يتوافقان في اكثر من الاربعة المواضع المذكورة ولهذا السبب كل ستة ارباع عربية تساوي سبع عشرة دقيقة يونانية واول كلٍ من الارباع الستة يستوي مع اول كل من السبع عشرة دقيقة كما هو معلَم عليها في الجدول المذكور

سفر حديث الى رومانية

للاب اميدي لوريول اليسوعي (تابع لما قبلُ)

في اخلاق اهل رومانية ولغتهم

خصَّ الله اهل رومانية بصورة حسنة وهيئة جميلة سواء كانوا من ساكني جبال الكرپاث او من قاطني السهول فانَّ وجوههم وسيمة فيها شيء من السُّمرة وشعرهم اشقر وعيونهم حادَّة البصر يفترُّ ثغرهم عن اسنان بيضاء كالثلج. وترى شعرَهم يسترسل على اكتافهم لا يبيحون بقصّهِ وربَّما فرَّ بعضهم من الجنديَّة أنفةً من ذلك. وهم مع هذا مُجدولو الاعضاء أثبات على التَّعب ذوو حذق في العمل يلوح في حركاتهم سيماء الجلال والهيبة لا يخلو من ذلك حتى رعاتهم وصعاليكهم



ولاهل رومانية ازياء قديمة من اللبس تزيدهم حسناً وتكسوهم جمالًا فيلبس رجالهم سراويل واسعة مخطَّطة وأرديةً متلوّنة وقلانس من اللبد وفي وسطهم زنانير ضخمة. والرعاة منهم كرعاة الأكراد في ازيائهم. امَّا النساء فيلبسنَ قميصاً ضافية مطرَّزة مزركشة فوقها دَبْطة سابغة وصُدْرة مُعلَمة وعلى رأسهنَّ شريطة مذهَّبة خيطت بها قطائع من الذهب او الصُّفر فاذا مشينَ خطرنَ في مشيهنَّ كأنَّهنَّ بنات الملوك ولذا دعاهنَّ قومٌ من السيَّاح «باريسيَّات الشرق». الَّا ان هذه الازياء العتيقة جعل اليوم كثيرون يستبدلونها بالثياب الفرنجيَّة كما يفعل الشرقيّون في بلادنا وذلك امرٌ بلا شكٍّ يؤسَفُ لهُ ويذهب بشيء من محاسن تلك البلاد

ومن اخلاق اهل رومانية كَلَفُهم بلغتهم وتعصُّبهم لها. وكانت هذه اللغة مُعتَبَرة في القرن السابع عشر كلهجة عاميَّة ليس في درسها كبير امرٍ. وكان ارباب الامر يسعون بإبطالها وينشرون بدلها اللغة السلافيَّة. امَّا اليوم فان الرومان اخذوا في درس لغتهم وتعزيز شأنها وتنقيحها من الالفاظ الدخيلة التي تسرَّبت اليها. وليست اللغة الرومانيَّة سوى فرع من اللَّاتينيَّة كالايطاليَّة والاسبانيَّة والفرنسيَّة بل هي اقرب الى اللاتينيَّة من هذه اللغات المستحدثة. وكان اصحابُها يكتبونها سابقًا بحروف سلافية وقد هجروا هذا الخطَّ وبدلوهُ بالخطّ اللاتينيّ. ولا يزال في لغة اهل رومانية آثار من لهجة اجدادهم الداقيين وبقايا من لغات الشعوب التي خالطوها في ممرّ الاجيال. وقد خُصَّت لغتهم ببعض خواصّ تفرَّدت بها كتأخير اداة التعريف والضمير على الاسم وهم يلفظون بعض الحروف لفظاً مستغرباً

في تمدنهم وترقّي الفنون بينهم

واهل رومانية ممَّن يهيمون بالترقي في معارج التمدُّن الحديث فانَّ سُفُنهم مجهَّزة على الطراز الجديد لا ينقصها شيء من اسباب الترفُّه والراحة وقد بنوا لهم مرسىً واسعة بديعة تحطُّ فيها المراكب الواردة الى كُنستَنْزَة (Constanza) احدى عواصمهم على ساحل البحر الاسود. امَّا سككهم الحديديَّة فتباري بحسنها سكك الدول الكبرى فترى قطاراتها تامَّة الأُهبة يجد فيها السَّفر ما يرغبون من الطمأنينة والهناء وقد ركبناها من كنستنزة الى جاسّي مارّين بغَلَتس فكان مسيرنا فيها بأنعم بال وكنَّا نقطع بلاداً تروق العينَ مناظرها وتأخذ بمجامع القلب محاسنها

وكنّا في اثناء مسيرنا نرى السُّهول الرَّحبة الواسعة الارجاء في حالة من الخِصب لم نجدها في كثير من البلاد. والحقّ يقال انَّ الفلاحة في بلاد رومانيــة قائمة على ساق يرتزق بها قسم كبيرٌ من الاهلين. وقد ادخلوا فيها الاصلاحات الجديدة التي من شأنها ان تزيد التُّربة ثروةً وزكاء كما انَّهم يستخدمون الادوات المكتشفة حديثًا للزرع والحصاد والتذرية. وترى على منعطف جبالهم كرومًا تأتيهم بخمرٍ طيّبة. ولمّا كانت بلادهم قارسة البرد في الشتـــاء (فانَّ ميزان الحرارة يهبط الى — ٢٠ بنيّف) وشديدة الحرارة في الصيف (يتردَّد ميزان الحرارة بين ٣٠ و ٤٠) لا بُدَّ لهم من التــذرُّع بالوسائل الفعّالة لئلاَّ تجلد اشجارهم وكرومهم في وقت القرّ او يحرقها السموم في ابّان القيظ. وتجد مع ذلك في انحاء رومانية ارفاقَ شماليّ اوربّة وجنوبيها معًا. وفي سهولها تسرح القطعــان سائمةً ليلًا ونهارًا فاذا سمعتْ صفير البخار عند مروره بقربهــا نفرت فارَّةً منهُ تقطع البيد سيرًا

وممّا يزيد بلاد رومانية ريعًا انَّ اهلها يجتمعون على صلاح وطنهم فيُنشئون الشركات والجمعيّات ليقوموا بالاعمال العظيمة التي لا يقوى الافراد على إنجازها فيقتسمون بينهم مكاسبها كلٌّ على حَسَب شغلهِ ورأس مالهِ

ومن الاعمال النافعة التي تشهد ببراعتهم في الصنــاعة الجسر الكبير الذي مدُّوهُ فوق نهر الطونة وهو يُعدّ من العجائب ينيف علوُّهُ على ٣٠ مترًا وطولهُ على ٧٥٠ وهو خمس قناطر يبلغ اتّساع القنطرة الوسطى ١٩٠ مترًا. وكلُّهُ من الحديد اُلمصْمت اصاب ساليني (Saligny) بهندستهِ شهرة كبرى لجمعهِ بين متانة العمل وحسن الهندام وقد دعاهُ باسم كارلس الاوّل (Carol I)

وفي رومانية بجهات جبال الكرپاث مناجم عظيمة من غاز البترول لكنَّ اهلهــا في حاجة ماسّة للفحم المعــدنيّ. وفي غضون سفرنا الاخير أُخبرنا انَّ بعض المهندسين اكتشفوا منهُ طبقات واسعة من شأنها ان تغنيهم عن استجلابهِ من الخــارج. حقّق اللهُ امانيهم

ويجوز ان تقسم بلاد رومانية من حيث محصولاتها الى ثلاثة اقسام: الاوّل معالي الجبال وفيها غابات السنديان والشربين والمعادن المختلفة. والثاني اواسط الجبال والآكام وفيها المروج يرعاها القطعان ودوالي الكروم واصناف الاشجار النابتة في اواسط اوربّة.

والثالث السهول والبسائط وهي كثيرة المزدرعات نامية الغلّات تسقيها ميـاه الطّونة فتُخصبها اي تَخصب

امّا الصناعات العاديّة كالخياطة والسكافة والنجارة والحدادة وما شاكل ذلك من الفنون فانّها كثيرة في رومانية لا تخلو منها الضيعةُ الصغيرة. والرومان مشهورون بحياكة الانسجة الصوفيّة والقطنيّة حصلوا بها على القناطير المقنطرة من المال

على انّ تجارة رومانية رغماً عن مزاحمة البلاد المجـاورة لها لا تزال في نموّ وتحسُّن واكثر صادراتها القمح والدقيق والمواشي والجلود والادوات وضروب المربّيات والحلويات والاسماك المقدّدة لكثرة ما يصطاد منها الصيّادون والطنافس والانسجة والجوخ والخزف

ولرواج تجارتهم قد اقام اهل رومانية اسواقاً سنويّة في انحـاء المملكة ما عدا الاسواق الاسبوعيّة التي تصير في كلّ بلدٍ

حواضر رومانية

اوّل ما شاهدنا من مدن رومانية كُنستنزة السابق ذكرها. وهي مدينة حديثـة لا يزيد سكّانها على ١٢٠٠٠ نسمة الّا انّها واثقة بمستقبلها تعلّل نفسها بحسن الاماني. وفي الواقع تراها مدينة حسنة الموقع نزهة المنظر لها الاسواق والشوارع المبنيّة على اكمل نظام وبيوتها كلّها نظيفة بُنيت على طراز ابتدعهُ المهندسون. وفي وسط البلد تمثال اقيم لذكر الشاعر اوفيد (Ovide) الذي قضى نحبَهُ منفياً في هذه الاصقاع. وستضحي كُنستنزة مدينةً جليلةً لسعة مرفإها وتوقّد فهم سكّانها ولمّا حُفرت اسـاس المدينة الجديدة وقف البنّاؤون على آثار يرتقي عهدها الى ترايان. منهـا الخنادق التي حُصّنت بها المدينة وقبور قديمة وبقايا السكّة الرومانيّة كما انّهم وجدوا عاديّات كثيرة وآنيـة مختلفة واسلحةً ونقوداً وكتابات اصطنعها الرومانيّون في عهد تولّيهم على هذه البلاد. امّا الخنادق المذكورة فقد وُجد آثارها في عدّة امكنة والظاهر انّ ترايان احاط بها اقليماً كبيراً بل مقاطعاتٍ واسعة. والعامّة تدعو الى يومنا هذا تلك الخنادق باسم ترايان محرّفاً (Troïan) ولا شكّ انّ قسماً منها حُفر بعد هذا الملك بزمان مديد. وممّا يُنسب الى القيصر المذكور سدٌّ عظيم اقامهُ بين نهر البروث والدنيستر لردّ غارات الاعداء والذبّ عن وادي الطونة الخصيب. وكان عزّز هذا السدّ بحائط ضخم لم تزل منهُ الى اليوم بقايا عظيمة يُرى منها قسم في ثغور الروسيّة بين ليوفا (Léova) وبِندر (Bender) .

ومن المدن التي دخلناها في رومانية مدَّة سفرنا الحديث مدينتا برَيلة (Braïla) وغلَتس (Galatz) ولكلتَيهما شأنٌ خطير من حيث السعة وحسن الموقع على ضفة الطونة وكثرة الحركة التجارية. واحدثهما عهدًا برَيلة الّا انّها اجمل منظرًا واحسن نظامًا لا يتجاوز عدد سكانها اربعين الفًا. امَّا غلَتس فمدينة قديمة تبلغ نفوسها نحو ثمانين الفًا وكانت سابقًا محطًّا لتجارة اقليمَي بسّارابية وملداقية الّا انَّ امورها صارت الى الانحطاط منذ اوسعت روسيَّة املاكها فبلّغت حدودها الى نهر البروث وجعلت اوديسَّة كمنفذ لتجارتها. وما يزيد في تقهقر غلَتس انَّ نهر الطونة يجمد في فصل الشتاء فلا يمكن للسفن ان ترسوا في مرفإها في قسم من السَّنة

امَّا عاصمة رومانية فهي مدينة بُخارست. كانت سابقًا حاضرة الفلاخ الّا انَّ ابنيتها لم تكُ اهلًا بمقامها فاخذ اربابُ امرها بتحسينها وجعلوها مدينةً واسعة الارجاء رحبة الشوارع مرتفعة الابنية كثيرة القصور والمعاهد العموميَّة فصار جسمها موافقًا لاسمها ومعنى بُخارست «مدينة بهجة نزهة». وفيها الكنائس العُظمى يعلوها قُبب مُحكمة الاتقان جميلة البنيان تميس في السماء بشُرَفها وبروجها وحوابها المتشعشعة بالشمس كانّها بيضات الخدور يخطرنَ في برودهنَّ المُعلَمَة. وقد ناهز اليوم عدد سكان بُخارست الثلثمئة الف ترى فيها كما في الاستانة العليَّة قومًا قصدوها من كلّ انحاء الشرق والغرب ولكلٍّ منهم لبسهم ولسانهم وعاداتهم واديانهم الخاصّة

ومن كبار مدن رومانية جاسّي او ياسّي يبلغ عدد نفوسها مئة الف. وهي لحسن موقعها من اغنى مدن اوربّة الشرقيَّة الجنوبيَّة فهي قريبة من حدود الروسيَّة وبجوار نهر البروث على ممرّ السِلَع الواردة من بحر البلتيك الى بحر الاسود. وكانت سابقًا عاصمة ملداقية فلمَّا اجتمعت امارة الفلاخ بولاية الملداف صار المقام الاوّل لبخارست الّا انَّ خطارة جاسّي لم تقلّ في شيء. ولا يدخلها الداخل الّا حسب نفسهُ في احدى مدن الشرق لاعتدال هوائها وطريقة هندامها وتلوُّن سكانها. وممَّا استحسنَّاهُ في زيارة هذه المدينة كنيستها الكبرى المعروفة بكنيسة الثلاثة الاقمار فانَّها حقيقةً طرفةٌ من طُرَف الدهر بديعة النقوش مصفَّحة بالرخام الابيض فيها التصاوير الدقيقة الصُّنع

ولرومانية مدن اخرى كبيرة ايضًا لم يسعدنا الحظّ على زيارتها منها بلويِستي وكرَايوڤا وفي كلّ منهما نحو ٤٠٠٠٠ نفس

عدد سكّان رومانية ودين اهلها وآدابهم وعلومهم

يؤخذ من الاحصاء الاخير الذي جرى منذ خمس سنوات انّ عدد سكّان رومانية نحو ٦,١٠٠,٠٠٠ بزيادة نحو مليون على عددهم في سنة ١٨٧٨ . وهذا بلا شكّ شاهد على نجاح هذه البلاد وترقّيها في الحضارة

امّا ديانة اهل رومانية فهي كديانة الروم الارثذكس الّا انّ كنيستهم قائمة بذاتها لا تخضع لكنيسة اخرى وقد انفصلت عن بطركيّة الفنار في عصرنا هذا فاضحت مستقلّةً . ورئيس اساقفتها يُلقّب بمطران المجر والفلاخ مركزهُ في بخارست يُذعن لسلطانهِ ستّة اساقفة ومطران مقيم في جاسّي

ويقوم بشؤُون الرعايا في المدن والقرى عدد غفير من الكهنة العلمانيين لا يقلّون عن ١٠٠٠٠ امّا الرهبان والراهبات فانّ عددهم يُربي على ٩٠٠٠ واغلب الكهنة العلمانيين مرتبطون بقَيْد الزواج يصرفون وقتهم باصلاح شؤُونهم الزمنيّة والعناية بعيالهم . امّا رهبانهم فيعيشون بالاديرة يغلب عليهم الجهل والكَسَل وليست سيرتهم بمرضيّة حتى اضطُرّت الحكومة ان تتلافى الامر بذاتها وتُعاقب من انتهك منهم حرمة الآداب

وفي رومانية حرّيّة لكل الاديان . وقد وجدنا هنالك قومًا عديدًا من الكاثوليك قد امتازوا بتقاهم وغيرتهم . ولهم اسقفان احدهما في بخارست والآخر في جاسّي

امّا اليهود فكثيرون في رومانية لعلّهم يبلغون فيها نحو ٥٠٠٠٠٠ نفسٍ واغلبهم اصحاب نفوذ وغنًى يرتزقون بالمتاجرة والرِّبى ولهم املاكٌ واسعة يربحون منها ثروة تُنسي ثروة قارون

ومذ صارت رومانية تنافس الدول المجاورة لها شرعت في بناء المدارس الكبرى والمكاتب العلميّة لتدريس كلّ العلوم والمعارف الشائعة في زماننا وهذه المعاهد اشبه بالقصور منها بمقامات العلم . والحكومة المحلّيّة في برنامجها السنويّ تخصّص لمدارسها مبلغًا عظيمًا تُنفقهُ على اساتذتها . وترى الشبّان يقبلون على درس هذه العلوم ليفوزوا بشهادة تفتح لهم ابواب المراتب والفنون كالطبّ والشريعة وما شاكل ذلك . بل يؤذن للنساء ايضًا ان يقدمنَ فحصًا فينلنَ بذلك حقوق الرجال . وفي هذا تساوي الحقوق ما لا

يخفى من العيوب كيف لا وهو يُخرج النساء عن مرتبتهنَّ في الهيئة الاجتماعيَّـة وقد خلقهنَّ الله لتربيـة ابنائهنَّ والقيام بامورهنَّ البيتيَّـة

فيظهر ممَّا سبق انَّ رومانية لا ينقصها شيء من اسباب الترقّي المادّي والعلميّ الَّا انَّهُ يسوءُنا القول انَّها في تقهقر من حيث الدين والآداب. فانَّ الشعائر الدينيَّة قد خفَّت في القـلوب لاسيما في شبَّانها الذين يتشرَّبون منذ حداثتهم روح العصر الجديد لا يبالون بدين ولا يعتبرون لسلطان. واذا لم يستدرك اولياء الامر هذا الخلل لاتّسع الخرق صان الله تلك البلاد وصاننا ايضًا من روح الثورة والالحاد فانَّهُ من المقرَّر انَّ بالدين وحدهُ تقوم الدول وتزهو الممالك و يعزّ السلطان و يعلو منار الامَّة في كلّ الاوطان

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ومن شعر محمد الغزّي المذكور قولهُ في ناصر الدين الحسين:

يا مجلس الجود والاحسان والكرمِ	جادت عليكَ سحابُ العزّ والنِعَمِ
ودمتَ وَقفًا عـلى مستمطرين ندى	يدِ الحسينِ بن خُضر الطاهر الشيَمِ
تسعى الى بابك العـالي الوفودُ فلا	عَدَتْ جنابكَ من عُربٍ ومن عجمِ
ساد الاميرُ ثنـاءً حين شاد لهُ	بناء ذكرٍ كثير الشكرِ في الأممِ
ما غربُ بيروتَ الَّا مشرقٌ طلعتْ	منهُ شموسُ النَّدى والسيفِ والقلمِ (٢١٧)

وللغزّي في ناصر الدين مدائح كثيرة طويلة تضيقُ هذه التذكرة عنها ولا بأس بذكر النَّزر اليسير من بعضها. ولهُ من قصيدة افتتحها بقولهِ:

وصلت من بعد هجرٍ	ووفتْ من بعد غدرٍ
ورعتْ سالف عهـدٍ	مرَّ في سالفِ دهـرٍ

الى ان قال:

غادرتْ غدرانُ دمعي	سُحبًا في الخدّ تجري

كأيادي ناصرِ الدينِ بنِ سعدِ الدين خُضرِ
حسنُ الأخلاقِ والخَلقِ لدى عُسرٍ ويُسرِ
عِرضهُ بالجود والإحسانِ في صونٍ وسترِ
قد طوى حاتم طيٍ نشرهُ في كلّ عصرِ
غَربُهُ مَشرقُ فضل مُشرقٌ بكلّ بَدرِ

ولهُ من قصيدة:

لو أقسم الجودُ انَّ اكثرهُ في ناصر الدين بَرَّ في قَسَمِهْ
خيرُ اميرٍ عشيرةً وحمىً ينجو بهِ مَن المَّ من المِهْ

ولهُ ايضاً في مدحهِ:

ليثُ ردًى غيثُ ردًى مُتلفٌ لو حاز يوماً مالَ قارونِ
عوَّد كفَّيهِ ببسطٍ فلم يقبض سوى ابيضَ مسنونِ
بمالهِ حسنَ الثنا يشتري وليس في ذاك بمغبونِ

ومنها:

من معشرٍ قحطانُ جدٌّ لهم ذكرهم في الهندِ والصينِ (62[٦])
تُنمَى الى النعمانِ أنسابُهم من طيِّءٍ شُمِّ العرانينِ

ولهُ من قصيدةٍ:

وانزلْ باعبيهِ تجد قريةً تقرُّ عينَ الضيفِ والزائرِ
فألقِ عصا الرحلة مستبشراً في ظلّ نادٍ بالندى عامرِ
وناصرَ الدينِ اعتمدهُ تجد ملءَ القلوب فيهِ والناظرِ
فانَّهُ المولى الذي فضلهُ أصبحَ مثلَ المثل السائرِ
ومن غدا وابلُ معروفهِ وقفاً على الوارد والصادرِ
مولىً بهِ الغربُ غدا مشرقاً لكلّ فضلٍ باهضٍ باهرِ (63[٧])

ولهُ من غيرها:

جارهُ (١ جاراهُ يوماً فغدا حسداً مضطرباً في الجانبينِ
رام يحكي علمَهُ او جودَهُ اين للبحر بلوغُ الغايتينِ

١) جاء في ذيل الكتاب: «اراد بجارهِ البحرَ»

آلُ عبدِ اللهِ في عزٍّ بهِ وسموٍّ كسموِّ الشِعْرَيينِ
انجمٌ والغربُ شرقٌ لهمُ وابنُ خضر وابنهُ كالنيّرَينِ

وقال في بني الغرب:

فهمُ شهبٌ احاطت ببدرٍ بل بشمسٍ في سما الجودِ تجري
بين عزٍّ وصلاحٍ وفتحٍ لم يزل يسمو باشرفِ ذكرِ (١

وللغزّي تهنئة لناصر الدين عند عودتهِ من الكرك (63r):

بكم اشرقت بعد الظلامِ ديارُ واضحى عليها هيبةٌ ووقارُ
واصبح فيها الانسُ من بعد وحشةٍ وهل بِسوى الاحبارِ تشرقُ دارُ
سماءُ علا فيها اضاءت بدورُها فلا نالها بعد الظهور سرارُ (٢
وما هي الّا دوحةٌ واميرُها م الحسينُ بن خضرٍ للغصونِ ثمارُ
اميرٌ لهُ من أُسد خفّانَ عُصبةٌ (٣ تُزانُ بها غاباتُها وتُزارُ
همُ الروضةُ الغنّاء باكرها الحيا لأزهارها في المكرماتِ قرارُ
همُ في اللّقا نارٌ تُسعَّر بالظُبا وهم في النّدى للقاصدين بحارُ
وهل لامير الغرب في الشرق مُشبهٌ اذا ما رحى الحرب الزَّبونِ تُدارُ
بتدبيرهِ والرأي بُلغتِ المُنى رجالٌ لها حُسن الثناء شعارُ
وعادوا على رَغم العدى لديارهم بخيرٍ كما للجفْن عاد غِرارُ
ايا آلَ عبدِ الله إبنا جُميهرٍ ومن لهمُ ماءُ السماء نجارُ
تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندةٍ لهم بكمُ عزٌّ علا وفخارُ
بحيثُ حللتم كنتمُ الشمس اشرقتْ ولا ليل الّا بالضياء نهار
فلا زالت الايّامُ طوعاً لامركم تُسرُّ بكم دارٌ ويُكرَمُ جارُ(63v
ولا زلتمُ مثلَ الاهلّةِ في السما اليكم بأطرافِ البنانِ يُشارُ

(ستأتي البقيّة)

١) جاء في ذيل الكتاب: « يعرّض بذكر اخوتهِ الاربعة وهم عزّ الدين حسن وصلاح الدين يوسف وفتح الدين محمّد وشرف الدين سليمان
٢) السرار ان يكون القمر مختفياً (حاشية المؤلف)
٣) خفّان اسم موضع يضرب باسودهِ المثل

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

قد وقفتَ ايها القارئ اللبيب على اصل ميس جني وفصلها في ما سبق. وقد قلنا انَّ زوجة نسيب كانت منكبَّةً على المطالعة لمَّا قرع عليها الباب زوجها قافلًا من نيويرك فاطلَّت من الشبَّاك لترى من الطارق فاذا بمستر نسيب ومعهُ غريبٌ كامد اللون مُنكر الهيئة فقالت: « هوذا نسيب قد عاد من السفر ولكن تُرى من هذا الصعلوك الذي اتاني بهِ فبئس الهيئة هيئَتُهُ »

وكان المستر نسيب في اثناء ذلك رقي سُلَّم الدار وفاضل يلحقهُ فصرخ: « اسعد الله صباحكِ يا جنيّ »

— وصباحكَ ايضًا يا نسيب. ولكن ما وراءك يا صاح كأنّي بك كاسف البال كئيب القلب. قُل لي من هذا الغريب الذي يصحبك ؟

وبينا تقول هذا اذ اقترب اليها فاضل مسلّمًا فحنتْ جنيّ برأسها قليلًا تردّ عليهِ سلامهُ. فقدَّمهُ لها نسيب قائلًا:

— هو احد اصدقائي أتيتُ بهِ من نيويرك

فعبست جنيّ ولم تُبدِ حراكًا. ثمَّ اخذت بيد زوجها وادخلتهُ في مخدعهِ وتركت فاضلًا في رواق الدار فلمَّا صارت وحدها مع نسيب انتهرتهُ قائلةً:

ومن هذا الصديق المزعوم ؟ ما اسمهُ وأنّى وجدتهُ ؟ ولمَّا تردَّد نسيب في الجواب رفعت امرأتهُ بصوتها كأنها تزجرهُ:

— أفترى بيتنا خانًا يحلُّ بهِ كلّ ابناء السبيل ؟

فتلجلج نسيب قائلًا: انَّهُ رجلٌ مسكين... كان موشكًا على الموت...

إذن دارُنا مأوى نضيف فيها الصعاليك من الناس ونفرش لهم كأنَّ مدينتَي نيويرك وسان فرنسيسكو تخلوان من الملاوى ينزلها اهل الكُدْية. فنعمًا فعلت. وما اسم صديقك ؟

— يُدعى فاضلًا

— زِهْ زِهْ. لا اعهدهُ الّا احدًا من مواطنيك السوريّين ضربَ في الارض فاحتلَّ

بلادنا يطلب المعاش. ما احنَك على اوباش قومك. ولكن اني ساكفلُ بهِ واذا قضت الحاجة سأكلّمهُ بلسانهِ العربيّ

وكان فاضل في غضون ذلك واقفًا يتسمّع من خصاص الباب. ومع انّهُ لم يتقن بعدُ الحكيَ بالانكليزيّة كان مع ذلك يفهم منها ما يكفيهِ لامورهِ

فلمّا طرق مسامعهُ كلام ميس جنيّ علا جبينـهُ الاحمرار وفارت في قلبهِ مراجل الأنفة. كيف لا وهو كبير ضيعتهِ كان يكرّمهُ اهلهـا ويعتبرونهُ بينهم كأنّهُ سيّدهم وهاك الآن امرأة غريبة تعيّرهُ باصلهِ وتبخس شأنهُ وتسومهُ الذلّ الوانًا وتعتبرهُ كأنّهُ احد صعاليك الازقّة لا يستحقُّ ان يُقبل في دار اناس مهذّبين

فاطرق فاضلُ مفكّرًا في امرهِ. تُرى ما العمل أيبقى في هـذه الدار صابرًا على الذلّ والهوان. او ليس الاولى بهِ ان يخرج عزيزًا شريف النفس ولكن الى اين يذهب وليس في كيسهِ فلس يبتاع بهِ لقمةً من الخبز ليسدّ بها جوعهُ

وفيما كانت هذا الافكار تشغل عقل فاضل علا صَخَبُ الميس جني وزاد تبكيتها لزوجها حتى ارتعدت فرائص الوافد المسكين وخاف ان تخرج اليـهِ وتأمر الخدم بان يزجوهُ في الزقاق ليموت فيهِ جوعًا

وفي واقع الحال انفتح الباب بعد هُنَيهـة وخرج اليهِ نسيب بغتةً وعيناهُ تتّقدان في حجاجهما فقال لفاضل: « اتبعني » ولم يزد على ذلك شيئًا

فظنَّ المسكين سُوءًا ونزل الدرج خلف نسيب وهو متيقّن انّهُ سيُلقي بهِ خارج الدار بلا نصير ولا معين ليتخلّص من ملامة زوجتهِ الصخّابة. فتواردت على بال فاضل كلُّ الاخطار التي ركبهـا وكلّ الاهوال التي قاساها ولمّا كان يحسب انّهُ نال بمرغوبهِ رأى نفسهُ في بليّة اشدّ من البلايا السابقة عرضةً لنوائب الدهر وصروف الليالي في مدينةٍ كبرى لا يعرف فيها احدًا يمدُّ اليهِ يد المساعدة

فأثّرت هذه الهواجس في قلب فاضل ايّ تأثير ولمّا لم يزل بعدُ منهوكًا من اوجاعهِ الشديدة التي لقيها في نيويرك كانت هذه الضربة الجديدة لازبةً قاضية. فخطا بعض خطوات في اثر نسيب وسقط على الارض مغشيًّا عليهِ

امّا نسيب فكان يواصل سيرهُ الحثيث ويرى انّ فاضلًا يتبعهُ. فالتفت بعد قليل فلم يشاهدهُ فتعجّب ونكص على اعقابهِ ليطلبهُ فوجدهُ على الحضيض دون حراك

فاسرع نسيب الى اهل داره واتى بهم من ساعتهِ فاحدقوا بفاضل وحملوهُ كأنهُ ميتٌ الى الدار وأضجعوهُ على فراش وصبُّوا على جبهتـــهِ ماء باردًا ثم فركوا اعضاءهُ فركًا عنيفًا الى ان فتح عينيه بعد مدَّة

فاقترب اليهِ نسيب ليرى حالتهُ فسمعهُ يردّد بصوت ضعيف:

من انت ؟ من انت ؟

— أفلا تعرفني ؟ انا صديقك نسيب

— نسيب . . . نسيب الذي طردني من بيتهِ . . . انقلوني من هنا . . . لا اريد ان اسكن في هذا البيت . . . ومن كلِّ هؤلاء الذين حول فراشي . . . اواه اظنُّهم نقلوني الى المستشفى لأموت مع الفقراء وتُشرَّح جثتي . . .

قال هذا وأغمي عليهِ ثانيةً . فوضع نسيب يدَهُ على جبهته فاذا وجههُ يتلظَّى نارًا فارسل بعض الخدم يستقدم طبيبًا لعلَّهُ يرى لمرضهِ دواء

فوصل الطبيب بعد قليل وسأل عن حال العليـــل وقصَّتهِ . فلمَّا وقف على خبر غرقهِ جسَّ نبضهُ مرارًا فقال:

انَّ حالة المريض تُنذر بخطر عظيم فانَّهُ قضى ليلةً كاملة وعليهِ ثيابٌ مبلولة في شدَّة البَرْد فإنْ هذه الحمَّى الخبيثة الَّا نتيجة مصيبتهِ الاولى ولعلَّ صـــدرهُ ايضًا قد أُصيب بداء عقام

فلمَّا سمع اهل الدار قول الطبيب وجموا ساكـتين . وبقي مستر نسيب في حيرة وقلق لاسيما بعد كلام فاضل ينسب اليهِ انَّهُ اراد طردهُ . ولم يكن نسيب فكَّر في طردهِ بل لم يظنَّهُ سمع كلام امرأتهِ الجافي . وكان خرج لينزلهُ في حجرةٍ يأجرها لهُ فيسكنها بضعة ايَّام قبل ان يسافر كلاهما الى معادن الذهب في كاليفرنية فيشتغلا كشريكين فيها . امَّا فاضل فتأوَّل افكار نسيب بخلاف الصواب وعزا اليهِ ما كان براء منهُ فأُصيب ببليَّـــة جديدة لا مناص لهُ منها

فالتفت نسيب الى الطبيب وسألهُ بصوت متخـــافت: «وما رأيك في مريضنا ياجناب الدكـــتور» فحرَّك الطبيب رأسهُ قائلًا: مالك تسألني ألا ترى انَّهُ على شفا المنيَّة ؟

قال هذا وخرج مودّعًا

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

ARABIC-ENGLISH DICTIONARY
for the use of students
By the Rev. Fr J. G. Hava, S. J.
Beyrut Cath. Press 1899, pp. XIV-910
الفرائد الدرّية في اللغتين العربيّة والانكليزيّة

انَّ ما حظيَ بهِ من القبول قاموس حضرة الاب يوحنّا بلو لدى المستشرقين الفرنسيين حمل المطبعة الكاثوليكيَّة على وضع تأليف آخر شبيهٍ بهِ في اللغتين العربيَّة والانكليزيَّة فوكلت الى الاب يوسف جبرائيل حوَّاء هذا المشروع المهمّ . فتحفَّز لهُ وقام بهِ احسن قيام رغمًا عن العراقيل التي تصدَّت لهُ في اعطاف شغلهِ حتى انجزهُ بالعمل واتى بهِ وفق المرام . ومن قابلهُ بتأليف الاب يوحنّا بلو وجدهُ جامعاً لمحاسنهِ يجاريهِ في سعة موادّهِ وبيان شروحهِ ونضارة حروفهِ . ولعلّهُ تفرَّد بان شرح الالفاظ العلميَّة بما يوافقها من المفردات الاصطلاحيَّة عند علماء اوربّة . وفي آخر الكتاب جدول الالفاظ الدخيلة في العربيَّة المنقولة من اللغات الاجنبيَّة مع دلالة الفاظها الاصليَّة . ولا يخفى ما دون هذا الشغل من المشاكل اللغويَّة . ولا غرو ان كان المؤلّف وهم في بعضها كاشتقاقهِ مثلًا لفظة الخوري من (ἱερεύς) بدلًا عن (χωρεπίσκοπος) وفلس من (ὀβολός) بدلًا من (φόλλις) كما انّنا لا نظنّ ان لفظة مطران اشتُقَّت رأسًا من (μητροπολίτης) بل من (metropolitanus) وبلّان من (βαλανεῖον) لا من (balneum) توًّا . غير انَّ هذه الملاحظات لا تكاد تُخلّ بعظم فوائد هذا التأليف ولا شكَّ في انَّ طلبة اللغة العربيَّة من الانكليز يتلقّونهُ بالثناء الطيّب والشكر الحميم   ه . ل

CONTRIBUTION A L'ÉTUDE
du dialecte néo-syriaque du Tour-Abdîn
par M. D. J. Parisot, pp, 20

قد شُغف حضرة الاب باريزو البنديكتيّ بدرس السريانيَّة ولهجاتها المتفرّعة منها . فانَّهُ حفظهُ الله نشر اوَّلًا اعمال القديس افرهط كاتب القرن الرابع للمسيح ونقلها الى اللاتينيَّة فكسب بذلك ثناء المستشرقين . وفي العام الماضي صنَّف كتابًا واسعًا في لهجة معلولا والضياع المجاورة لها . وهو اليوم يتحفنا بتأليف آخر يشهد عن طول باعهِ في معرفة

خواص اللغات السريانيَّة المستحدثة ألَا وهي لغة طور عابدين الذي موقعهُ في شمالي شرقي ماردين يسكنهُ اليعاقبة . فجمع حضرة المؤلف كل ما امكنهُ من دقائق هذه اللغة وقد اسعدهُ الحظ بان يجتمع في حمص بسيادة المطران غريغوريوس عبدالله الصددي الجزيل الاحترام فاخذ عنهُ فوائد شتَّى نظَّمها في سلك هذا التأليف على طريقة الكتب النحويَّة يبحث فيهِ عن الاسماء والافعال والحروف وقد أَلحقَهُ بجموع ألفاظ وعبارات ومقاطيع من شأنها ان تبيّن دقائق هذه اللغة كما هي شائعة في ايامنا

هدايا أُرسلت الى إِدارة المشرق

لا تزال ترد علينا القصائد الرنَّانة التي رُفعت لمقام السُّدَّة البطريركيَّة المارونيَّة بنسبة ارتقاء غبطة الحبر الهمام والعلاَّمة الملفان السيد الياس بطرس الحويّك منها رقيم افرنسيّ لجناب الفاضل يوسف افندي ابي سمرا غانم مع قصيدتين عربيتين لهُ ولجناب اخيهِ ابراهيم افندي . ومنها ايضًا قصيدة عامرة الابيات للاديب يوسف افندي غنَّام ثابت

شذرات

تحليل الحامض الكربونيك قلنا في العدد السابق ان الدكتور جوبار ولابورد اتّصلا الى تركيب جسم كيموي يتشرَّب الحامض الكربونيك في المخادع المقفلة فيتنقَّى الهواء من هذه المادَّة السامَّة غير انَّ المكتشفَين لم يبيحا بعدُ بسرّهما . وقد جاراهما استاذان آخران افرنسيَّان ديغري (Desgrez) وبلتصار (Balthazard) فاكتشفا مادَّة جاهرا باسمها تفي بالمرام وتحلّل ايضًا الحامض الكربونيك وهي بيوكسيد السوديوم (bioxide de sodium) وهي مادَّة ذات لون ورديّ اذا ذُرَّ منها شيء في الماء تحلَّلت فتشرَّبت الحامض الكربونيك وحوَّلتهُ الى كربونات الصودا . ولهذا الاكتشاف شأن كبير لأنَّهُ يمكّن السُّفُن الحربيَّة الغوَّاصة من ان تبقى زمنًا طويلًا تحت المياه دون حاجة الى تغيير هوائها

الشعاع الاخضر ورد ذكر هذا الشعاع في كتب الطبيعيَّات وهو الشعاع الاخير الذي تشعُّ بهِ الشمس عند تواريها في البحر يُرى ذلك في بعض فصول السَّنة اذا ما كان الأُفق صافيًا . وكان الطبيعيُّون يعلّلون ظهور هذا الشعاع بقولهم انَّهُ ينتج من

امتزاج حمرة الشمس بزرقة ماء البحر . الّا ان الاستاذ تركان (Turquan) اثبت مؤخرًا في مجلّة باريس العلميَّة انَّ هذا الشعاع ناتج عن انعكاس نور الشمس عند غيوبها في البحر فيتحلّل النور الى الوان الطيف السبعة المعروفة فلا يظهر منها الّا الاخضر لسطوعهِ. وبيَّن ايضًا ان هذا الشعاع يسطع في اوَّل ظهور الشمس كما في غروبها وذلك ليس فقط في البحر بل ايضًا في ما سواهُ من الاماكن كالسهول والجبال عند كيان الشمس في الأفق

عدد العُور مما يثبت ان عدد العور في الدنيا كثير ما يُصطنع في معامل اوربَّة من العيون الزجاجيَّة تركَّب في الحجاج فتخفي هذا العيب عن النظر . ففي السَّنَة المنصرمة قد جهَّزت المانية وحدها مليونَيْن من هذه العيون المُصطنعة . فاذا استثنينا منها قسمًا يتَّخذ لتصبير بعض الحيوانات وجدنا انَّ فقد البصر داء فاشٍ بين كثير من البشر انار الله ابصارنا وبصائرنا

اكتشافات مصريَّة جديدة لم تبرز لنا مصر الى الآن غير قسم من ذخائرها العلميَّة المودعة في بطن ارضها ولا يمرُّ يوم على اصحاب العاديَّات دون ان يعلنوا لعالم العلم اكتشافًا جديدًا . ومما وُجد مؤخرًا ثلاثة الواح رسم عليها كتبة المصريين في قديم الزمان صورًا تُمثّل حروبًا وصيدًا و بين الاشخاص صورة ملكٍ من السلالة الثانية او الثالثة امَّا هيئة التصوير فتشبه الصُوَر المكتشفة في بابل والراقية الى القرن الثلاثين قبل المسيح . ومن جملة هذه التصاوير صورة اسدٍ عنقهُ كعنق الحيَّة قُوبلت بصورة أُخرى محفوظة منذ سنة ١٨٧٧ في متحف اللوڤر في باريس نُقلت اليهِ من بابل فاذا بالصورتين يتشابهان شبهًا تامًا . فاستنتج العلماء من هذه المقابلة انَّ التمدُّن الاوَّل في مصر اتاها من دولةٍ اسيويَّة استوات على وادي النيل وانَّ الدول المصريَّة الاولى هي دولٌ ساميَّة . ومكتشف هذه الالواح هو العلاَّمة الانكليزي كويبل (Quibell) . ومن اكتشافاتهِ الحديثة التي احرزت لهُ شهرةً عظيمة بين اماثل العلماء وقوفهُ على تمثال ثاني ملوك الدولة السادسة يدعى پاپي الاوَّل ويعرف ايضًا بمريرع (Pepi I Mériri) . وهذا التمثال من الشَّبَه (البرنز) وجد في اخربة الكوم الاحمر حيث كان معبد قديم للمصريين يرتقي عهدهُ الى الدولة الثانية . وپاپي المذكور من اعظم الفراعنة شأنًا واعزّهم سلطانًا واوسعهم مُلكًا فتح التخوم السوريَّة المجاورة لمصر وبلاد النوبة وليبية . وفي متحف الجيزة جثَّة ابنهِ « ميرينيرع سوكارِمساف » محنَّطة

اسئلة واجوبة

س كتب لنا الاديب يوسف افرام البستاني: «انَّهُ من نحو مائة سنة ونيّف ولم يزل حتى الآن يظهر ضوء اغلب الليالي يتنقَّل من محلّ الى آخر في سليخ موجود قبلة دير القمر وسمَّاهُ آباؤُنا واجدادنا الشقيف المُضِيء. فارجو الافادة اذا كنتم تعلمون منهُ شيئًا

ج لا يمكن الجواب القطعي على هذا السؤَال الّا اذا افادنا جناب الكاتب عن صفة الارض التي تظهر فيها هذه الظواهر هل يوجد فيها شيء من المعادن او هل كانت سابقًا مقبرة فانَّهُ ربَّما ينبعث من الاراضي التي فيها مزيج الفحم بالهيدروجين الجرة تلتهب في الهواء وكذلك يخرج من جماجم الموتى موادّ فسفوريَّة تتَّقد بمجرَّد مسيسها للهواء

سَ وسأَل حضرة الاب الخوري بطرس الدكاش بايّ لغة كان يتكلَّم اهل فلسطين منذ الجيل الثالث الى السابع وبايّ لغة كان يكرز بها كهنة الرعايا

لغة اهل فلسطين

ج كانت لغة فلسطين في القرن الثالث الى السابع اللغة الآراميَّة المعروفة بالسريانيَّة الفلسطينيَّة وهي كانت الشائعة بين العامَّة في قراها بل وفي مدنها ايضًا. الّا ان اللغة اليونانيَّة انتشرت بين الاشراف واواسط القوم في المدن الكبرى. وكان ارباب الدين يتبعون في كرازتهم لغة رعاياهم. وممَّا اخبرت بهِ القديسة سلفيا في اواسط القرن الرابع ان اسقف اورشليم كان يعظ باليونانيَّة فيترجم عظتهُ احد الكهنة بالاراميَّة ليفهمها الجمهور ل. ش

س وسُئلنا ما المراد بالكتاب الاصفر والكتاب الازرق الذي يرد ذكرها في الاخبار التلغرافيَّة والروايات السياسيَّة

الكتاب الاصفر والكتاب الازرق

ج يراد بالكتاب الاصفر مجموع الكتابات السياسيَّة التي تدور بين الوزراء والسفراء واصحاب الامر في فرنسة ينشرونها بالطبع ثم يعلنون بها لمجلس الشيوخ ودار الندوة. ولُقّب بالاصفر لانَّهُ يُغلَّف بغلاف اصفر اللون. يطبع منهُ الفا نسخة ولا يُباع في المكاتب. امَّا الكتاب الازرق فهو خاصّ بانكلترة واحوالها السياسيَّة وهم يسمحون ببيعهِ. وللالمانية كتاب ابيض يبحث عن احوال مستعمراتها ويوزَّع على اعضاء الرَّيخستاغ وللايطالية كتاب اخضر ولليونان كتاب احمر. ولا كتاب لاميركة والنمسة والروسيَّة ه. ل

قائمة للآثار الجوّيّة من ٦ الى ٢٠ شباط ١٨٩٩

	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
التبخير	٣٫٠	٣٫١	٢٫٣	٣٫٦	٣٫٠	٣٫٤	٣٫١	٣٫٣	٣٫٠	٣٫٠	٣٫٠	٣٫٠	٣٫٨	٣٫٤	٢٫٣
المطر	١٫٤	٣٫١	٠٫٧	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٤	١٫٣	١٫٧

ميزان الرطوبة

ميزان ثقل الهواء

٧٩٠ ٧٨٥ ٧٨٠ ٧٧٥ ٧٧٠ ٧٦٥ ٧٦٠ ٧٥٥ ٧٥٠ ٧٤٥ ٧٤٠ ٧٣٥ ٧٣٠ ٧٢٥ ٧٢٠

٥٠ ٤٥ ٤٠ ٣٥ ٣٠ ٢٥ ٢٠ ١٥ ١٠ ٠٥ ٠٠ ٠٥

انَّ الخطّ الضخم (━━) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (──) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

المشرق

آباء الكنيسة وشيع الهراطقة

للاب البار كندامين اليسوعيّ

قد اجمع كلُّ علماء الدين انَّ لكنيسة المسيح خواصَّ تميّزها عمَّا سواها من شيع الخوارج وتستلفت اليها ابصار كلّ الامم المتسكّعين في ظلال الموت. ولا شكَّ في انَّ الوحدة من اخصّ هذه العلامات المفرزة للكنيسة الحقيقيَّة التي طالما افتخرت بها بازاء الكنائس المنفصلة والبدع المستحدثة. كيف لا وبهذه الوحدة تلوح للعيان متانة ذلك البنيان المرصوص الذي شيَّدهُ ابن الله على الارض كما انهُ يظهر بها تناسب جميع أجزائهِ ويُستدَلّ على حسن هندامهِ

وهذه الصفة الفريدة التي تحلّى بها جيد بيعة المسيح تزيد في بهائها اذا ما اعتبرتَ حالة الهرطقات وتحقّقتَ ما هي عليهِ هذه النِحَل من تفرُّق الكلمة وتشتُّت الآراء واضطراب العقائد. فالحقّ يقال انَّ تعاليمها تتناقض وتتنافى ويتقلب اصحابها مع الرياح (افسس ٤ : ١٤) فينكر زيد ما اثبتهُ عمرو. وربَّما تنقَّل الشخص الواحد من تعليم الى آخر فيُفتي بالايجاب بعد ان قرَّ رأيهُ على السَّلب

وكفى بزعماء الاصلاح الموهوم شاهدًا على قولنا السابق. فانّهم ما كادوا يشقُّون عصا الطاعة للكنيسة منذ ثلثمائة سنة بنيِّف حتى تضاربت آراؤهم وتناقضت تعاليمهم فاصبح كلُّ واحدٍ منهم ولسان حالهِ يقول:

انا ابو قلمون   مع كلّ لونٍ اكون

هذه الاختلافات في التعليم قد أُشحنت بها تآليف البروتستانت الاوَّلين

فجاهروا بها ولم يخجلوا عنهــا . ومما يُروَى عن ملنكتون من أئمتهم انهُ غيَّر تعليمهُ في تبرير الخاطئ اربع عشرة مرَّة . وقس على ذلك بقيَّة كبار المصلحين

وليست هذه التقلُّبات مما يُعزى للضعف البشري فيُضرَب عنهُ صفحًا بل أنهُ لمبدأ جرت عليهِ هذه الشيع الجديدة فسندت اليهِ مزاعمها وبنت على الرمل بنايتها المتداعية أفلا تسمعها مثلًا وهي تردّد قولها انَّ الكتاب المقدَّس هو وحدهُ دستور الايمان لانَّ الكنيسة قد ضلَّت في عقائدها وافسدت تعاليم المخلّص مع ان هذه الشيَع تسلِم بصحَّة الكتاب المقدَّس وهي لا ترى انَّ في فعلها لتناقضًا لانَّها بنت ايمانها على كتاب استلمتهُ من كنيسةٍ نسبتها الى الضــلال والفساد . فيا ليت شعري كيف اعلم انَّ الكنيسة لم تزوّر هذا الكتاب وتحرّفهُ كما زيّفت بقيَّة تعاليمها ؟ ولذلك كان القديس اوغسينوس نفسهُ يقول: « لولا الكنيسة لما آمنتُ بالانجيل »

ومن تناقض هذه النّحل المستحدثة انَّها تريد اصلاح الكنيسة البابويَّة دون ان تبالي باحوال هذه الكنيسة لمَّا كانت تسير سابقًا على زعمهم في جادَّة الصواب . ولا بُدَّ لهذا الاصلاح من درس تآليف الآباء الاوَّلين الذين حفظوا وديعة التعاليم الرسوليَّة كما وردت اليهم متسلسلةً بتقليدٍ متواتر . بيدَ انَّ هؤلاء المصلحين لم يرضوا بمطالعة هذه الآثار القديمة بل نبذوها نبذ النواة وزعموا انَّ اصلاح الكنيسة يتمُّ باتّبــاع آرائهم الخاصة مع قطع النظر عن كلّ تقليد سابق . وذلك كما لا يخفى عين التناقض

وغاية ما اقصد في هذه العجالة ان ابيّن للقرَّاء الشرقيين كيف استهان زعماء الشيع الحديثة بأولائك الملافنة الافاضل الذين نعدُّهم كبدور لامعة بل كشموس ساطعــة تلألأت انوارها في سماء الكنيســة فبخسوا حقّهم واهتضموا شأنهم . ثمَّ أبحث عن السبب الذي حمل هؤلاء المتشدّقين على ان يزروا بالآباء الاقدمين و يضعوا من قدرهم

١

اذا تصفَّحنا ما نشرَهُ أئمة الاصلاح الموهوم من التآليف العديدة ليثبتوا فيهـا بدعهم وجدناهم لا يتّفقون سوى في امرٍ واحد وهو تحامُلهم على آباء الكنيسة الاقدمين . واوَّل من نزل ميدان القــذف والطعن عليهم لوثار كبيرهم . فاسمع ما حرَّر في بعضها ونستميح من القرَّاء عذرًا في تدوين هذه الشتائم على صفحات المجلَّة قال: « اني أعدّ القديس هيرونيمس كهرطوقيّ لم يكتب غير الخرافات في امر الصوم والبتوليَّة . وأعتبر

القديس ايريناوس كمجدّف لا كملفان . وليس القديس يوحنّا فم الذهب سوى رجل متغطرس متكبّر . ولا تُساوي اعمال القديس باسيليوس فلساً واحداً . امّا القديس اوغسطينُس فهو كثير الاغلاط لا يُركَن اليهِ في شيء . . . . ليس لهُ ايمانٌ صادق » . فبهذه المذامّ وأشباهها يعيّر لوتار من افتخر الزمان بفضلهم وطالما ترع الى مثلهم ولكن

هيهات لا يأتي الزمان بمثلهم   انّ الزمانُ بمثلهم لبخيلُ

ولو اردنا حصر هذه المسبّات البذيئة التي قرّع بها ذلك الراهب الخالع العذار أئمة ديننا لضاقت عن حصرها هذه الاطراس وطنّت آذاننا من دويّ تلك الارجاس التي نعت بها جميع كتبة الكنيسة الاجلاء كقبريانُس وغريغوريوس اللاهوتي واوريجانس وامبروسيوس بينما كان يصف نفسهُ بصفات مدح يأنف عنها كلّ صاحب ذوق سليم وكان اصحابُهُ يدعونهُ برضاهُ « انجيليّاً وأحد الرُسل العظام وبولس آخر وايليّا الثاني وبوق السماء وفم الله واداة الروح القدس » . وممّا كتب عنهُ احد انصارهِ « انّ الآباء الاقدمين كهيلاريوس واوغسطينوس وغيرهما لو عاشوا في عهدهِ لتشرّفوا بالتتلمذ لهُ ولأعدّوا انفسهم سعداء بان يخدموهُ كاذلّ العبيد و يحملوا السراج امامَهُ »

وكان زفنكل وهو ألدّ اعداء لوتار يُشبهُهُ ببغضهِ لآباء الكنيسة وشهاداتهم وهو الذي كتب : « لا يزال اخصامنا البابويّون يستشهدون لنا بكتابات الآباء ولكن ما لي وللآباء فانّهم ليسوا باهل ان تُقرأ كتاباتهم او يؤخذ منها دليل لمعرفة الحقّ »

امّا كلوين فانّهُ بعد ان حاول ان يحرّف كتب آباء البيعة ليتّخذ بذلك حجّة لتأييد ضلالهِ قلب لهم ظهر المجنّ واخذ يرشقهم ايضاً كخلفائهِ لوتار وزفنكل بنبال الملامة والتبكيت فيدعوهم حيناً « أحداث مدارس وجهلَةً بتفسير الكتاب » وأخرى يصفهم « بالمراء والمحاباة » زاعماً انّهم لم يكشفوا القناع عن الحقّ خوفاً من الفلاسفة المشركين

وممّا يخبر عن تاودور دي باز خلَف كلوين انّ القديس فرنسيس دي سال دخل عليهِ يوماً فرأى في زاوية من غرفتهِ اضابير كتب وصُحُف منتثرة يعلوها الغبار فسألهُ عنها فاجاب دي باز : « هذه اعمال الآباء العُتُق فقد نبذتُها منذ عهد مديد في تلك الزاوية لكثرة ما أُودعت من الخرافات » . فقال فرنسيس : « امّا انا فاني اعتبرها بمنزلة كنوز مدفونة تُغني من يطالعها بروحٍ لم يُعمِهِ الهوى »

وبلغ سكاليجر الكاتب البروتستانيّ الشهير الى ان دعا القديس هيرونيموس « حماراً

علجًا و يسوعيًّا محضًا (كذا) وراهبًا احمق » ونعت القديس اوغسطينوس بكونهِ « رجلًا اخرق جافي الطباع معاندًا للحقّ »

وقد أتى هؤلاء الكتبة بعبارات اقبح من السابقة في حقّ ملافنة الكنيسة يخجل قلمنا من ايرادها وفي ما اوردناه كفاية ليكون القرّاء على بصيرةٍ من بذاء اقوال بعض زعماء الهرطقة ومسبّاتهم لآبائنا الافاضل الذين جمعوا بين العلم والفضيلة ولا ينكر فضلهم الّا من انكر ضوء الشمس في رابعة السماء

٢

ولسائل ان يسأل ترى ماذا ساق هراطقة القرن السادس عشر واتباعهم على ان يقرّفوا الآباء بمثل هذه القذائع ويوسعونهم شتمًا وثلبًا

الجواب على ذلك انّ دُعاة الاصلاح الموهوم لم يطلبوا بخلع نير الكنيسة الوقوف على الحقّ بل ارادوا ان ينشروا مبادئهم الثوريَّة لثلّ عرش الدين وتقويض دعائم السلطة . ولو كانوا صادقين في قولهم انّهم يقصدون اصلاح الكنيسة لنقّبوا عن اعمال الآباء وعادوا بالنظر الى التقاليد الكَنَسيَّة الواردة الينا جيلًا بعد جيل بالاسانيد الواهنة . لكنّهم لمّا رأوا انّ في هذه التآليف القديمة ما يدحض تعاليمهم الجديدة وينقض مبادئهم اشهروا على اعمال الآباء حربًا عوانًا واصلوهم نارًا حاميةً لعلّهم بذلك ينقصون اعتبارهم ويحطّون من قدرهم . الّا انّ الحقّ سيفٌ على اهل الباطل لا بُدّ ان يفلّ شباتهم وينتصر عليهم وقد قيل ان جولة الباطل ساعة وجولة الحقّ الى قيامة الساعة

وعليهِ لم يمضِ الزمن الطويل على اشياع لوتار وكلوين ومَن اخذ إخذهما حتى فهموا ما في بَخس قَدْر الآباء من الظُلم والجور فارعووا الى الرشاد واسكتوا صوت الهوى واخذوا يدرسون كُتُب الآباء الاقدمين ويعرضونها على تعاليم الكنيسة فرأوا بينهما من الائتلاف ما افحمهم

قال بِرْسنس في سيرة الطوباوي كَمبيون: « وما كان يزيدنا كلَينا قَلَقًا وارتيابًا في اقاويل زعمائنا المبتدعين ما كنّا نجدهُ في كتب الآباء الاقدمين ممّا ينفي مزاعمهم ويُبطل احاديثهم وبعد ان كنّا نصرف الليالي ونقضي الأيام الطوال في درس مقالات المتشيِّعين الجدد كنّا نطالع اعمال الآباء فما تمرُّ علينا الّا دقائق قليلة فنتحقّق انّ تعاليم

اساتذتنا زورٌ وبُهتان كلُّها مبنيَّة على الرمل منافية لما رقمهُ الآباء الاقدمون وهم قد فصموا منذ قرون عديدة كل المشاكل والاعتراضات التي لاذ بها دعاةُ الدين الجديد »

فما لبث پرسنس وكميون ان جحدا هذه الاضاليل وعادا الى حجر الكنيسة. وقد انتسى بهما كلُّ من كان سليم النيَّة صادق الطويَّة. فتخوَّف لذلك زعماء البروتستانت من خذلان انصارهم فصاروا يحذّرون الناس من مطالعة كتب الآباء ويصوّبون اليهم سهام التقريع والشتم. قال احدهم وهو فلوريمون دي ريمون (في الجزء الثامن من تاريخهِ ص ٩٦٥) : « انهُ لمن المستحيل ان يطالع احدٌ بصفاء السريرة اعمال الآباء ويبقى متشبثًا باقوال معلّمنا كلوين »

نِعم القول قولهُ « بصفاء السريرة » لانَّ بعض انصار البدع المستحدثة طالعوا تصانيف الآباء ووقفوا على شواهدهم المقنعة ولم يرجعوا الى الايمان القويم. وما ذلك سوى لتغلُّب اهواء قلبهم على عقلهم او لثقتهم بنفسهم عُجبًا بآرائهم الخاصة. ومن جملة هؤلاء الذين داوموا على ضلالهم الكاتب الشهير كازوبون (Casaubon) لم تثنهِ عن خطَّتهِ الادلَّة التي وقف عليها في القدماء وهي تثبت بنوع صريح عقائد الكنيسة. الَّا انَّ ابنهُ كان اسعد منهُ حظًّا فعاد الى ايمان آبائهِ

٣

ولمَّا رأى انصار لوتار وكلوين وزفنكل انهُ لا مناص لهم من شهادات الآباء وانَّ اقاويل القدماء تؤيد تعاليم كنيسة رومة العظمى صرفوا نظرهم الى وجود طريقة لينتزعوا هذه الشوكة من عقولهم فيطمِّنوا بالهم ويُسكتوا صوت ضميرهم. فغاية ما وجدوا ليردُّوا شهادة الكَتَبة الكاثوليكيين كالكاردينالين دو پرُّون وبلرمين انَّ الآباء الاقدمين بشرٌ مثلنا وكما اننا لسنا بمعصومين من الغلط كذلك الآباء أمكنهم الوهم والغلط. فما ادرانا انَّ شهادتهم اصدق من شهادة غيرهم ؟

بيد ان هذا الجواب لم يُفِد تَبَعةَ الاصلاح الجديد ذرَّةً لأنهم جهلوا (او بالحري تجاهلوا) انّ كلاًّ من الآباء القدماء يقوم بمنزلة شخصين متميّزين يُقتضى افرازهما باشدّ الاعتناء والحرص نعني بهما الكاتب الخاصّ وشاهد الدين الصادق اليقين

والحقّ يقال انَّ ايريناوس ويوستينوس ويوحنَّا فم الذهب وباسيليوس واوغسطينوس كتبةٌ سطَّروا الاساطير الكثيرة منها علميَّة ومنها تاريخيَّة وبحثوا الابحاث الطويلة في امور

جمّة لا نعلّق عليها اهمّيَّة كبرى لانّهم في كتابة هذه التآليف لم يتكلّموا سوى بمنزلة علماء منفردين ليس لهم في صحّتها الّا شرف اسمهم الخاصّ وقدرهم الشخصي فيمكنهم ان يهموا ويغلطوا كجميع البشر

ولكن لهؤلاء الآباء مرتبةٌ أخرى غير هذه ترفع بشأنهم وتجعلهم اهلًا بكل اعتبار واكرام ألا وهي منزلة شهداء الحقّ ورتبة انصار الدين وهي تعصمهم عن الغلط لانّهم لا ينطقون اذ ذاك عن لسانهم الخاصّ بل عن لسان الكنيسة المعصومة من الغلط. وهذا ما نعهدهُ في اساقفة الكنيسة فانّهم متى علّموا كرعاة يغذون شعبهم بقوت العقائد الكنسيَّة يُضحي تعليمهم باتفاقهِ مع تعليم الكنيسة جمعاء تعليمًا خلوًّا من الوهم والغلط

وقائلٍ يقول ومتى تكون اقاويل احد الآباء متّصفةً بهذه الصفة التي تجعلهُ لسان الكنيسة معصومًا بعصمتها. قلنا انَّ ذلك يظهر من غاية التأليف وموضوعهِ ومن العبارات التي ينتقيها الكاتب حتى يبيّن غرضَهُ ومن الادلّة والشواهد القديمة التي يسند اليها رأيهُ حين يكرّر قولهُ انهُ اخذ هذا التعليم من السَّلَف او من التقليد الرسولي لاسيما اذا اتّفق مع غيرهِ من الآباء او اثبتت الكنيسة بعض اعمالهِ واقوالهِ سواء كان بكتابة عامّة من احد عظماء الاحبار او في بعض مجامعها المسكونيَّة. فحينئذٍ يحقّ القول انَّ تأليف ذلك الاب لا خطأ فيهِ ويجب تصديقهُ في الامور الاعتقاديّة لانّهُ عين الصواب وشاهد اليقين

فلا يحقُّ اذن لاصحاب الشيع الحديثة ان يُلقوا ظهريًّا تعاليم الآباء بمجرّد قولهم انّهم بشرٌ مثلنا قابلون الوهم والغلط

وقد التجأ قومٌ من المبتدعين الى وسيلة أخرى ليتملّصوا من هذا المشكل العظيم فانّهم قالوا انَّ الكنيسة داومت على الصلاح واستقامة الايمان في القرون الاولى ولكن تعدَّت طورها بعد ذلك وفسدت مع كرور الدهور وعليهِ فانَّ تعاليم الآباء صادقة طالما كانت الكنيسة سائرة في محجّة الحقّ ولكن لا سبيل الى قبول شهادات الآباء الذين اتوا بعد ذلك العهد

فيجيبهم الكاثوليك انَّ هذا التمييز لا يُجدي نفعًا انصار الشيع المستحدثة لانَّ تاريخ الكنيسة كسلسلة لا يمكن قطع حلقة من حَلَقاتها دون ان تضطرب وتفنى جميعها لانَّ الكنيسة جمعيَّة يعيش صغارها مدَّة مع كهولها وشيوخها ويأخذون عنهم تقاليدهم

ويخلفونهم في تعاليمهم وعوائدهم لاسيا وانَّ هذه الجماعة منبثّـة في اقاصي الارض لا يمكن قسماً منها ان يستبدل شيئاً من العقائد الدينيَّة دون ان يقيم عليهِ غيره ُ الحجَّة ويزيّفوا تعليمهُ الحديث ·

وما يبيّن ضعف هذا الجواب انَّ المبتدعين لم يتَّفقوا على تعيين الوقت الذي غيَّرت الكنيسة تعليمهـا الصحيح بتعليم فاسد فالبعض يقولون انَّ ذلك حدث في آخر القرن الاوَّل والبعض في الثاني او الثالث · وملَنكتون يزعم انَّ ذلك جرى في سنة ٤٢٠ · امَّا دي باز وغيره ُ فزادوا كرمًا وقالوا انّ الكنيسة لم تُغيّر تعاليمها الصادقة الى القرن الخامس بل سلَّم بعضهم بانَّ البيعة بقيت على حُسن خطَّتها الاولى الى القرن السادس والسابع وبلغ بعضهم في تصويب التعاليم الكَنَسيَّة الى سنة ١٣٠٠

فيا لله من هذه التقلُّبات والمزاعم المتناقضة التي جعلت احزاب الشيع المبتدعة اضلَّ من الضبّ لا يذهبون الى قول حتى تتصدَّى لهم عراقيل جديدة لا خلاص منها · فكانت نتيجة هذه الاقاويل المتنافية المتضادّة تفرُّق الكلمة بين هذه الشيع وهي لا تزال في كلّ سنة تزيد اختلافًا وتنازعًا حتى لم تكد تجد بينهـا اتفاقًا سوى في شيء واحد وهو مخالفتها لكنيسة رومة وعقائدها الصحيحة

ومن نتائج هذه المزاعم ايضًا فَقْد كثيرين من هؤلاء روح الايمان فصـاروا لا يعتقدون بالمسيح ولا بالكتب المنزلة وهم الذين كانوا سابقًا ينشرون على رؤُوس الملأ انَّ الايمان وحده ُ كافٍ للخلاص وانَّ الكتب الكريمة هي دستور عقائدنا الوحيد

امَّا الكنيسة الانكليكانيَّة فلم ترضَ في اوّل امرهـا باقاويل لوتار والشيع البروتستانيَّة ولذا كان اصحابها يكرّمون الآباء الاقدمين ويستقون من موارد تعليمهم الّا انَّ هذا الروح خمـد في قلوب كثيرين حتى أنعَشهُ فيهم اساتذة كليَّة اكسفرد في عصرنا هذا فاقبلوا على دراسة الآباء بغيرة لا مثيل لها وخصُّوا بدرسهم تآليف آباء القرون الاولى الثلاثة فنشروا طبعات جديدة من كتبهم ودعوا النـاس اليها وكان منهم رجال كرام ذوو عقلٍ ثاقب وبصيرة نقَّادة فما لبثوا ان وجدوا انّ الآباء يشهدون بصوت واحد للكنيسة الكاثوليكيَّة فعـادوا الى حجرها خانعين خاضعين ولم يثنهم عن عزمهم شيء من المصاعب التي لقوها دون تحقيق رغائبهم

فمنهم من تنازل عن رتبتهِ السامية ومنهم من احتمل اضطهادات شاقَّة · واضطر

بعضهم الى ان يهجروا الاوطان في سبيل الايمان فباعوا دنياهم بدينهم ونعم التجارة. ومنهم رجال العصر الذين تفتخر بهم انكلترَّة جمعاء كالكردينال نيومن والكردينال مانين والوف أُخَر رفعوا لواء الفضل والفضيلة في وطنهم ولا يزال عددهم يتزايد مع الايَّام. وما ذلك سوى نتيجة درس كتب آبائنا في الايمان امتعنا الله وجميعَ الضالّين بنور الحقّ والهدى آمين اللهمَّ آمين

تقوع : موقعها وآثارها

لحضرة الاب الخوري ميخائيل حُوَيْس الماروني

شوّقني احد الآباء الافاضل للذهاب الى بلدة تقوع الدارسة للوقوف على مخبَّآت آثارها الطامسة فملت بكلّيّتي الى ذلك رغبة في ما هنالك فسرتُ اليها مع بعض الادباء الكرام في ١٤ شباط. وقد احببتُ ان انقل وصف ما شاهدتهُ من آثارها وعرفتهُ من اخبارها الى حضرة الادباء من قرَّاء مجلّتكم الغرَّاء فازفُّها اليهم نبذةً ادبيَّةً وعبرة تاريخيَّة فاقول:

ان تقوع مدينة قديمة واقعة في سهم سبط يهوذا في الجنوب الغربي من القدس الشريف وهي عن القدس على مسافة خمسة عشر ميلًا. كانت في غابر الزمن مدينة زهراء وروضة غنَّاء تُعَدّ من مدن فلسطين العامرة وقد جاء بذكرها الكتاب الكريم مرارًا وتكلَّم عنها بعض المؤرّخين بكلام لا يشفي أُوام المؤرّخ المدقق

فموقع هذه المدينة على قَهب (الجبل العظيم مع طول) شامخ تعلو عن سطح البحر المتوسّط ٨٥٠ مترًا ولا تقلُّ مساحتهُ على ما هي عليهِ الآن عن ٧٠٠٠ متر مربَّع وهي من جهاتها تشرفُ على جَددٍ من الارض فسيح الفضاء وسيع الارجاء. يتراءى لناظريك البحر الميت (بحيرة لوط) من اكثر مشارفها المطلّة عليهِ شرقًا. فوفرة أنقاضها المتراكمة وكثرة رسومها واطلالها المتراكبة وجمال موقعها الطبيعي الذي تفوق بهِ غيرها من مدن اليهوديَّة يثبت انَّها كانت مطمحًا للاوَّلين ومنتجعًا للرائدين

فمنها كانت تلك المرأة الحكيمة التي ارسلها الى داود الملكِ يوآبُ رئيس جيشهِ في استرجاع ابيشالوم ابنهِ الذي كان ابوهُ داود ناقمًا عليهِ بسبب قتلهِ اخاهُ أَمنون



(ملوك٢ ف ١٤: ٢). وفيها اقام يوشافاط بن آسا ملك يهوذا بجيوشهِ لمَّا فاز بغنائم الموآبيين والعمُّونيين وحلفائهم الذين خرجوا عليهِ في آخر سنيّ ملكهِ (ايَّام٢ ف٢٠: ٢٠)

وفيها ولد عموص النبي الذي كان نحو سنة ٧٨٤ ق م ورعى فيها مواشيهُ (نبوَّته ف ١: ١). وكان مع معاطاتهِ فنّ الرعاية على جانب عظيم من المعارف والعلوم ودليلهُ ما جاء في نبوءَتهِ من الكلام المتعلّق بتخطيط البلاد وعلم الفلك وفنّ التاريخ فضلًا عن انَّها شعريَّة المذهب وفيها من ضروب الفصاحة والتفنن في اساليب الكلام ما يقضي لهُ بالنباهة وسموّ الخاطر

وقد تراخت هذه الايَّام على خراب هذه المدينة حِقبًا مستطيلة ومن الاخبار المتواترة انَّها أُهلت من نحو جيلٍ ونصف ببعض السكَّان غير انَّهم لم يلبثوا فيها طويلًا حتى أُلقيت بينهم عصا الشقاق فنزحوا عنها مغادرينها لبعض الاعراب الرُّحل المعروفين بالتعامرة وهم قومٌ من شُذَّاذ البادية يتناوبونها صيفًا ويتركونها شتاءً

امَّا الآن فان تقوع خرابٌ يباب قد تأكلت حجارتها العناصر ولعبت بمجموع بنائها ايدي بعض خُرَّاب الباديَة المدقعين وكاني بالمتنبي قد وصفهم بقولهِ:

خُرَّابُ باديةٍ غَرثى بطونُهمُ مَكنُ الضبابِ لهم زادٌ بلا ثمنِ

واصبحت بعد رونق بهجتها منسابًا للصُرَد ومَدبًّا لوحش الفلاة فما هي الآن في ذلك الفضاء الاعبارة عن رسوم شاخصة واطلال على اعقابها ناكصة. لا يُعاج اليها ولا مَن يعرّج عليها مثل كثيرٍ سواها من مدن اليهوديَّة التي نصَّت عليها النبوءَات العديدة بآيات الخراب والدمار وقضت على اهلها لتفاقم اثمهم بتشتيت شملهم تحت كل كوكب فنُشِروا ولم تنتظم لهم حال. وغدوا رهينة رحمة من هو لهم عدوٌ جائر ورقيب ثائر واضحت مُدنُهم بعد بلوغها اوج المدنيَّة والحضارة قاعًا صفصفًا لا يُعرَف عنها سوى الاسم ولا ما يفصح منها غير الطلل والرسم

غير انَّهُ لم يَزَل يشاهد من مُتقَن عاديَّاتها ونموذجات تحضُّرها عَمَدٌ محطَّمةٌ منبثَّة في اكثر جهاتها. وقد رأيت في اكوام اطلالها وبقايا انقاضها قِطَعًا من الرخام الابيض النقي ومربَّعاتٍ من الفسيفساء وغير ذلك ممَّا يَدُلّ على انَّها كانت مظنَّة الثروة والغنى وفيها ايضًا آثار كنيسةٍ فسيحةٍ اظنّها من بناء الصليبيين وهي متوسّطة تلك الانقاض الجاثمة وفي صحنها جرن طولهُ متر ونصف مستديرٌ فارغهُ مثمَّنة جدرانُهُ

الظاهرة وعليها نقوش مثلَّمة لا يُهتدى الى حلّ رموزها بيد انَّهُ على احد جدرانهِ صليب رباعيّ لم تقوَ عليهِ شياطين الدمار. ووجدتُ في بعض انحاء من إطارها حجارة ضخمة تخيّل للرائي انّها بقايا سورٍ قديم وعلى الجانب الشمالي منها مقبرة وهي ألحاد في صخر لها طبقاتٍ مطلّة على خَبْتٍ من الارض يناوحها جنوبًا ندحةٌ فسيحةٌ مشمولٌ جانباها بالرسوم والانقاض

والآبار منبثَّةٌ في اكثر جهاتها وقد رأيت منها ما ينيف على العشرين وعليها حوانيها (خرزتها) وكلها منقورة في صفاةٍ غير بعيدة القعر. على انَّ المستبصر المدقق بآثار هذه المدينة يقوم لديهِ من آثارها ما يثبت انّها قد جُدّدت مرَّاتٍ في ادوارٍ من الزَمن واخيرًا طُويت بعد النشر ليوم الحشر نفاذًا لقضاء مَن لا مردَّ لقضائهِ

فهذه عجالة سطَّرتها تذكرة تدلّ على قويم رونق هذه المدينة وتحويل حالها فسبحان الذي لهُ علم الغيب ويتصرَّف بالعباد كيف شاء واراد

فنّ التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حبيقة مدرّس البيان في كلّية القديس يوسف (تابع لما سبق)

٣ الوحدات

الوحدات هي ثلاث: وحدة الواقعة ووحدة الزمان ووحدة المكان

١ وحدة الواقعة. ان ارسطو يقضي بوجوبها ويسمّيها ايضًا وحدة الروح لانَّ الرواية التمثيليَّة هي في اعتبارهِ بمثابة كائنٍ حيّ (١٤٥٧ ع ٢٠). ولا يخفى ان الوحدة هي قوام كل حياةٍ في العاقل. فلم يعُد من ثمَّ باب للجدال في وجوب وحدة الواقعة. ولذا نرى أئمَّة الفنّ اجمعوا على الإفتاء بها والعمل بموجبها. وقد حدَّها كورنيل بقولهِ انها «تقوم بوحدة العُقدة (Intrigue) اي العَقَبة في سبيل كِبار الاشخاص وبوحدة الخطَر». فجميع الهمم والمساعي تنصرف في اشتباك الاحوال الى تمهيد العقبة وحلّ العقدة لنصرة البطل او خذلانهِ. فيبقى هو مدَّة التمثيل كلّها مستجمعًا على ذاتهِ التشوُّق معرَّضًا لخطرٍ واحدٍ منذ البداءة الى النهاية. فان زال الخطر انتهت الواقعة وان عرض غيرهُ كانت واقعة



جديدة. وقد صرَّح كورنيل بانَّ قولهُ هذا السابق لا ينفي تعدُّد العُقَد والاخطار الثانويَّة كما ان وحدة الواقعة لا تنفي تعدُّد الوقائع الصغرى واشتمال هذه ايضًا على اصغر منها. فالمقصود اذن واقعة واحدة تامَّة لا يجد الجمهور ارتياحًا الّا بانحلال عقدتها وظهور نتيجتها. وليست تتمُّ الّا بوقائع أُخَر ناقصة هي بمنزلة الاجزاء لها. وما على المؤلف ان يعرض لأعين الحاضرين جميع هذه الوقائع الصغرى. بل لهُ ان يختار منها ما يراهُ احسن موقعًا في النفوس امَّا لجمال مشهدها او بما تُثيرهُ من عواصف الاهواء او غير ذلك ويخفي البواقي فيعرّفها الى السامعين بطريقة الإخبار او بوسيلة أُخرى يهتدي اليها بفنّهِ ولكن يشترط عليهِ ان تكون هذه الاجزاء ملتحمةً (كما سبق القول في الكلام عن الموضوع) صادرة جميعها عن الفصل الاوَّل كما تتفرَّع الاغصان عن جذعها

امَّا وقد علمنا كيفيَّة تركيب الواقعة من عناصرها فلم يبقَ علينا سوى البيان عن هذه العناصر. فلَكَم من الكتبة أخطأُوا الغَرض المقصود من القول ان مدار الرواية على البطل. فحسبوا انَّ وحدة الواقعة تقتضي ان لا تكون وقائعها الصغرى الّا مجموع ما جرى لفَرْدٍ. وعلى هذا المبدإِ الفاسد الَّفوا الرواية الواحدة من حوادث شتى لا علاقة بينها. وما رغبوا فيها الّا لأنَّها جرَت لفردٍ. كأنَّما المراد من وحدة الواقعة سرْد اخبار البطل او ترجمة حياتهِ. امَّا ارباب الفنّ فيحكمون بانَّ هذه الوحدة « لا تقوم بما يحدث لفَردٍ بل بواقعة يشترك فيها كثيرون ووُجهَتُها الى امرٍ واحدٍ ». فكأنَّما هي برازٌ بين فريقَين ساعيَين في حلّ العقدة الواحدة لنصرة البطل او خذلانهِ. لتأييد العمل او إحباطهِ

٢ وحدة الزمان لقد رأى ارسطو ان الاحرى بالرواية انحصار واقعتها في دَوْرة شمس او ما قارَب ذلك. والمراد « بانحصار واقعتها » انَّ الحوادث التي تمثّلها في الرواية لا يقتضي حصولُها في الحقيقة اكثرَ من المدَّة المعيَّنة لها. وهذه المدَّة التي اشار اليها ارسطو بدَورة شمس كانت موضع جدال طويل بين ارباب الفَنّ. فقيل انَّهُ كنى بذلك عن النهار فقط وقيل بل اراد الليل والنهار. وقيل.. وقيل... فتضاربت الآراء في وحدة الزمان وذهب الكتَبة فيها مذاهب فمنهم مَن توسَّعوا بها فسمحوا بمدَّة ٢٤ ساعة بل ٣٠ و٣٦ ومنهم مَن حصروها في ٦ ساعات بل ٣ بل دون ذلك. يقصدون بهذا ان وقائع الرواية لا يتعدَّى حدوثها في الحقيقة الزمنَ اللازم لتمثيلها

وهذة الوحدة طريقة جرى عليها اليونان وليس غير الفرنسيس بعدهم اكبروا شأنها واطالوا البحث فيها وجروا بموجبها. فكورنيل نفسهُ بعد ان كان نافرًا منها رضخ لها. وكذلك الشاعر راسين. وربَّ رواية لها انحصرت واقعتها في الزمن الواجب للتمثيل فقط. وقد جرى على مثالها سائر الفرنسيس في القرنَين السابع عشر والثامن عشر. ولا تَسَل عمَّا كلَّفتهم مراعاة هذه الوحدة من الاتعـاب والكرب وما اوقعتهم فيهِ من الخلل والشواذّ. امَّا باقي الأُمم كالانكليز والاسبان والالمان فلم يعبأُوا بهذه السُنَّة بل كثيرًا ما سخروا بها وبذويها فتصرَّفوا كما شاءوا بالزمان. ولكَم لهم من روايةٍ تعدَّت واقعتها الاشهر والسنين

٣ وحدة المكان لم يقل ارسطو شيئًا في هذا المعنى. ولقد كثر الاختلاف في وحدة المكان كما حدث في وحدة الزمان. فمنهم مَن قضى بان تتمَّ الواقعة كلهـا في قاعةٍ لا تتعدَّاها. ومنهم مَن سمح ببيتٍ كامل. ومنهم مَن اباح مدينةً بما فيها. اعني ان بعض وقائع الرواية يصحّ ان تكون حدثت في احدى قاعات البيت او احد احياء المدينـة. وبعض الوقائع في قاعةٍ اخرى او حيٍ آخر من ذلك البيت او تلك المدينة. ولا حاجة الى القول ان الفرنسيس وحدهم على مثال اليونان راعوا في القرنَين السالفين هذه السنَّة ايضًا. امَّا المؤلِفون من سائر الامم فنبذوها نبذَ النواة. فكنت ترى حوادث الواقعةِ في رواياتهم تارةً في مدينةٍ وطورًا في اخرى. بل كثيرًا ما انتقلت من مملكةٍ الى مملكة ومن قارَّةٍ الى غيرها. وكانت وحدة المكان ملغاةً في فرنسة قبل عصر كورنيـل. لان الجمهور كان يرغب في تغيير مناظر المرسح

ونرى الفرنسيس انفسهم في عصرنا شقُّوا عصا الطاعة فلم يعودوا يبالون بالوحدة في الزمان والمكان

ولقد أَصلت قضيَّة الوحدات حربًا عوانًا بين الأَئمة ولا حرب البسوس. وان تكن الاراء متشعّبة فرجعها الى فريقين: انصار الوحدات وخصومها. فهؤلاء يقول لسان حالهم ما قال غوت «ويُضحكني ان بَيْرُن (١ ذاك الذي في حياتهِ كلّها لم يلوِ على عنان ولم يعبأْ قطّ بسُنَّةٍ قد رضخ لقاعدةٍ من أَبلدِ القواعد اعني بها الوحدات الثلاث». واولائك

(١ Lord Gordon Byron شاعر انكليزي في اوائل القرن الحاضر كان لهُ شأن خطير في انكلترة واوروبة توفي سنة ١٨٢٤



يذهبون مذهب فردريك (١ القائل في مجرى كلامهِ عن آداب اللغة الالمانيّة « انّك تدخل احد المراسح في المانية لتحضر تمثيل روايةٍ من روايات شكسبير (٢ فتجد هناك جمهورًا لا يتمالك حبورًا عند سماع هذه التهريجات (Farce) التي يمجّها الذوق السليم وليست تليق بغير اعلاج الصحاري وهمج البراري . وقد دعوتُ (روايات شكسبير) باسم تهريجات لانها تخالف كل اصول الفنّ . وهذه الاصول ليست مباحةً يتصرَّف بها مَن شاء كما شاء . . بل تراها مصرَّحًا بها في كتاب فنّ الشعر لارسطو (كذا) . حيث تعتبر وحدة المكان ووحدة الزمان ووحدة الواقعة كالوسيلة الوحيدة لتكون الرواية شائقة »

فليت شعري على ايّ القولَين نعتمد والى ايّ الفريقَين نستند ؟ فنجيب ان مَن نبذوا الوحدات وسخروا بها وبذويها لَهم في ضلالٍ مبين . لأنها ليست مجرَّد اختلاق كما توَّهموا بل قضت بوجوبها الطبيعة ودلَّ عليها العقل . امّا وحدة الواقعة فلا نعود الى البحث فيها اذ لم يختلف فيها اثنان بل جميع ارباب الفنّ قد رضخوا لحكمها كما سبق الكلام وعملوا بموجبها مع اتّخاذهم الجوازات الملائمة لروحهم وموضوعهم . فكأنَّ كلاًّ منهم يقول مع كورنيل « ان مجرَّد النظر العقلي وهو كان دستوري الوحيد هداني الى وحدة الواقعة »

امّا وحدة الزمان فناتجة من وحدة الواقعة ومبنيَّة مثلها على الطبيعة . فانَّ الرواية التمثيليَّة ليست الّا محاكاة وان شئت فقل صورة اعمال البشر . ولا خلاف في ان اتقان الصوَر يزيد بتقرّبها الى الحقيقة وحسن مطابقتها للاصل . فالرواية التي تمثّلها في قليلٍ من الساعات لا تزيد حسنًا وكمالًا الّا اذا انحصرت واقعتها في القليل من الزمن . وكذلك قل عن وحدة المكان فانّها لاحقة بهاتَين الوحدتَين . اذ يُستغرَب ان الواقعة التي تجري حوادثها في بضع ساعات تتمّ في اماكن بعيدة مختلفة . فالعقل لا يرضى بالمحال

لكن يا تُرى هل من الحكمة تحديد نطاق الزمان والمكان وحصر المؤلفين ضمن حلقة ضيّقة تضغط عليهم كما فعل الفرنسيس بانفسهم في القرنين السالفين فقاسوا من جرّاء ذلك مرّ العذاب فحرموا ذاتهم وحرمونا من رواياتٍ بديعة اعرضوا عنها اذ لم

١) فردريك الثاني المعروف بالكبير . ملك على بروسية من سنة ١٧٤٠ الى ١٧٨٦

٢) Shakespeare اعظم ارباب هذا الفنّ عند الانكليز (١٥٦٤—١٦١٦)

يمكن حصرها في النطاق الضيّق المفروض. ولو افسحوا لانفسهم في المجال لمّا اصابهم ما اصاب ولمّا ركبوا متن الشطط في بعض المواضيع فقدّروا المستغرَب وصوّروا المستحيل كلّ ذلك مراعاةً لوحدة الزمان والمكان. وايمُ الله لسنا نجحد فضلهم وجليل خدمتهم في جانب الاصول وعظم مقدرتهم التي ذلّلت لهم الصعاب. وليس يخفانا ما اتوا بهِ من فرائد الروايات البالغة من الكمال حدّ الاعجاز حتى بنَوا لهم من المجد منزلًا رفيع العماد لا تطمح اليهِ الابصار

وما كنّا لننكِر انّ الرواية تزيد اتقانًا كلّما زادت تشبُّهًا بالحقيقة. وان منتهى الكمال فيها يتمّ بانحصار واقعتها في مكانٍ واحد وساعاتٍ قلائل اي الزمن اللازم للتمثيل. لكن مَن يقوى على إدراك هذه الأُمنيَّة غير مَن زانهم الله مثل هؤلاء الشعراء الامجاد بالمواهب السامية والمقدرة العجيبة. وما امثالهم بكثيرين. على انَّهُ ما لا يُدرَك كلّهُ لا يُترَك جلّهُ. وليس علينا ان نظلم انفسنا باعتقادنا كما اعتقدوا انَّهُ ضربة لازب انحصار زمان الواقعة ضمن ٢٤ ساعة او ٣٠ وانحصار مكانها في نطاق منزلٍ او مدينة فقط

ولا عبرة بما نسبهُ فردريك وغيرهُ الى ارسطو ممّا هو برَاءٌ منهُ. فانَّ هذا الإمام كما لا يخفى جزم بوجوب وحدة الواقعة ولم يقل شيئًا صريحًا عن الزمان والمكان. فكأنهُ ادرك بحكمتهِ البالغة ان شأنهما يختلف باختلاف البلاد والاعصر. فلذا لم يضع لهما حدًّا محدودًا بل تركهما وشأنهما. ولا عبرةَ ايضًا في هذا الصدد بمثَل اليونان واضعي هذا الفنّ وأئمّتهِ. فانّ رواياتهم لم يكن يتخللها فترة قطّ بل كانت متواصلة من غير انقطاع حتى النهاية لا ينزل فيها ستار ولا يَفرق بين فصولها غيرُ ادوار الغناء. وما الغناء عندهم الّا جزء من الرواية يربط بين وقائعها المختلفة. فهل كان يمكنهم والحالة هذه الّا حصر الزمان والمكان في اضيق نطاق. ومع ذلك نرى بعضهم قد خالف هذه السُنَّة وهي اوجب عليهم. فكيف بنا وقد تغيَّرت معنا الحال. اذ توفّرت لدينا المعدَّات التي تمثّل باتقانٍ ما شئنا من الاماكن والبنايات المختلفة حتى يخيَّل للناظر اننا في مكان الواقعة الحقيقي لا في مرسح التمثيل. فضلًا عن ان الستار بنزولهِ في آخر كلّ من الفصول يحجب عنّا المشهد السابق ويترك لنا فترة للراحة وتنزيه الافكار حتى نكاد مع حفظنا التامّ لحالات الاشخاص نذهل عمّا رأينا من المناظر فلا ينكشف الستار عن مشهدٍ



جديد الّا توهّمنا اننا انتقلنا الى مكانٍ آخر يلوح لاعيننا في الفصل التالي. ولا ريب انّ الفترة بين الفصلين تساعد كثيرًا على التخييل فيسهل للحاضرين التقديرُ ان الاشخاص تمكّنوا في خلالها من الاسفار والمخابرات وجميع الاعمال والمساعي اللازمة لتأييد او إحباط المسعى. سيما وان ادوات النقل السريع كثيرة في عصرنا لا يحصرها عدّ وسهولة المعاملات المتنوّعة لا تقف عند حدّ. فبتنا بفضل البخار والكهرباء لا ينقصنا شيء ولا نستغرب امرًا. فكيف نستغرب انتقال شخصٍ او اشخاص من مكانٍ الى آخر في زمنٍ يسير

فلعمري يحقّ لنا ان نكسر تلك الحلقة الحديدية التي ضيّق علينا بها رجال القرن السابع عشر ونوسّع نطاق الزمان والمكان في رواياتنا. لكن ايّانا ان نتجاوز الحدود ونستبدّ بالوحدات على مقتضى الهوى كما فعل لوبز دي ڤيكا (١ فانّ في رواياتهِ يبدو الشخص فتىً في الفصل الاوّل وشيخًا في الاخير. ولكم من كبار المؤلفين جرَوا على هذه الطريقة المنكرة. وليس يُغتفر لهم مثلُ هذا الشطط الّا في جانب ما حوت رواياتهم من العظمة وانواع الكمالات الحَرِيّة بالاعتبار وخلاصة القول ان حبّ التناهي غلط وخير الامور الوسط. فكلّ ما راعى جانب الاحتمال وحسن المحاكاة مقبول ومشكور. وما عداه فهو مردودٌ ومرذول

٤ ادب الرواية

لقد سبق لنا الكلام عن المنافع العظمى الناجمة عن الرواية التمثيلية اذا روعيت شروطها وتحرّى فيها الكاتب غايتها الشريفة ألا وهي توفير اسباب اللذة مع الفائدة. كما بيّنا الاخطار والاضرار الجسيمة الناتجة منها اذا حاد المؤلف عن جادّتها القويمة. ولا بدع فان هذا الفنّ لهو اقوى الفنون فعلًا بالنفوس واشدّها تأثيرًا في القلب والدماغ واعظمها اقتدارًا على النفع او الضرّ. فهو اشبه بالنهر الكبير الطامي يروي الحيوان والنبات ويُكسب الاراضي خصبًا ويكون للانسان خير نصير في معاملهِ ومصانعهِ ما دام منحصرًا في مجراه لازمًا حدوده الطبيعيّة. لكن اذا طغى وخرج عن

١) Lopez de Vega من اعظم شعراء الاسبان عاش ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد وضع نحو ألفَي روايةٍ تمثيليّة .



خطّتهِ وتعدّى نطاقهُ فانّهُ يغرّق الناس والمواشي ويخرب الارزاق ويهدم الابنية ويسبب من الاضرار ما لا يعلمهُ غير الله

فوالحالة هذه لا إخالني اوفي البحثَ حقّهُ في ادب الرواية ومراعاة حرمته سيّما واني قلّما اجد روايةً عربية خاليةً من الشوائب خالصةً من الادران كأنّ اصحابها لا همّ لهم سوى توفير اللذّة للحاضرين ولو سقوهم بها السمّ في الدسم. وفي مثل هؤلاء الكتبة يصحُ قول نيكول (Nicole) احد مشاهير القرن السابع عشر. فانّهُ يعتبر اصحاب الروايات المفسدة أشأم من القتلة بالسمّ ويُلقي عليهم تبعة الشرور والبلايا المسبّبة عن مؤلفاتهم. وجميع ارباب هذا الفنّ من ذوي العقل الراجح والذوق السّليم يرتأون هذا الراي. ولعمر الحق يضيق بنا المقام عن ذكر ما قالوا في هذا الشان. فنجتزئ بما يُعلّمنا بوالو وما هو الّا ناطق بلسان حال الجميع ومُورد خلاصة افكارهم اذ يقول: « ايها الراغب في استمالة الناس الى كتابتك عليك ان تزيّنها بالتعاليم الصالحة وتجمع في كلٍ من اجزائها بين اللذة والفائدة. فان العاقل يعاف ما لا جدوى منهُ ويرغب في ان يجني من اللذة فائدة. ولتكن مؤلّفاتُك رَسمَ نفسكَ وأخلاقك فلا يبدو منك بهذا الرسم الّا صورٌ شريفة. وما كنتُ لأُجلّ الكتبة الخطرين الذين يتخلّفون عن صفوف الشرف ويخونون راية الفضيلة اذ يُبرزون الرذيلة في معرض يستميل اليها القلوب .... عليك بحبّ الفضيلة ولتتشرّبها نفسك. فعبثًا تجود القريحة المتوقّدة فانّ من خلال الاسطر تلوح دنايا الفؤاد ». وما احسن ما قال هذا الامام ايضًا في آخر ايّامهِ. « انّ للكاتب المدنف على الموت لتعزيةً كبرى بانّهُ لم ينتهك قطُّ حرمةَ الادب»

امّا وقد وعينا ما يعلمنا الائمة ويرشدنا اليهِ العقل وتقتضيهِ منّا غاية الرواية فعلينا ان نجعل رواياتنا كما يتمنّى الشاعر راسين «مدرسة فضائل » فنتحاشى ما يمجّهُ الذوق السليم او تنفر منهُ الآداب الصحيحة. ويتمّ ذلك اذا راعينا الشروط الآتية: ١ً لا يسوغ ان تظهر على المرسح الفظائع والفواحش والقاذر التي تعافها القلوب وتستنكف منها النفوس ٢ً لا يجوز ابراز الفضيلة بمظهر يعرضها للهزء او يحطُّ من قدرها. كما لا يجوز ان تدور عليها الدائرة في الختام فتبدو بموقف الخسارة والفشل ومقام الانخذال والذلّ. بل يجب ان يكون لها الفوز الواضح للعيان في الدنيا او في الآخرة ٣ً لا يليق وصف الاهواء والرذائل وصفًا يحبّبها الى الحاضرين او عرضها بمعرض يستهوي القلوب: بل



يقتضي ان لا يراها الجمهور الّا في هيأةٍ تهيّج الاستخفاف والسخرية او النفرة والكراهية. وان لا تكون العاقبة الّا وبالًا عليها سريعًا ٤ً لا يصحّ ان تخلو الرواية من مغزى حميد ونتيجة ادبية مفيدة (ستأتي البقية)

حال الخلَف بازاء من سلَف

وهي نبذة في اصل الكلدان النصارى واتساع ملّتهم ولغتهم

لحضرة القس قرياقوس مخنوق المحترم (تتمّة لما سبق)

٥

فهذا الانتشار العظيم الذي انتهت اليهِ النصرانيَّة في المشرق لدى الكلدان قد كان نتيجة بشارة اولئك الرسل الابطال الذين «في كلّ انحاء المعمور ذاعت كرازتهم وفي اقطار المسكونة كلامهم». ومنذ ذلك الحين فالى عهد النسطرة لم يزل بَند البشارة خافقًا ومعزَّزًا ومنصورًا والى يومنا هذا لم تفتأ الكنيسة الكلدانيَّة تفتخر بهؤلاء الرسل الافاضل وتتغنَّى بمديحهم بكرةً وعشيًا وغدوًّا وآصالًا بما تعريبهُ: «لتكن صلاة وطلبة وابتهال واستعطاف ابينا الطاهر القديس مار توما الرسول الطوباوي ومار ادي ومار ماري متلمذي المشرق سورًا شامخًا وملاذًا منيعًا لنا دائمًا الخ»

فمن هذا الابتهال ترى انَّ الكنيسة الكلدانيَّة تعتبر هؤلاء الرسل الثلاثة من اعظم رسلها لانهم بنوعٍ خاصّ وبحبٍّ متقدٍ نظروا الى هذه الاصقاع وزرعوا فيها بذر الايمان. وهم الذين اسَّسوا فيها الكنائس وشادوا الاديرة وسنُّوا الرسوم البيعيَّة والطقوس الشرقيَّة وعملوا وعلَّموا في هذه الديار اكثر من غيرهم وتجشَّموا المتاعب والمصاعب في تشييد الدين المسيحي وتقويم اركانهِ ونَصب الاسقفيَّات الكبرى او هي المطرنيَّات فان اغلب المطرنيَّات المذكورة في الجدول السابق كانت من وضع الرسل ادي وماري وتوما

وروى المؤرّخون الشرقيُّون ان المجوس الذين سجدوا للمسيح هم اوَّل الذين نادوا بالنصرانيَّة في اصقاع المشرق وممن يُذكر ايضًا مع متلمذي المشرق الرسل العظام شمعون الصفا وبرثُلمي ومتى ويهوذا بن يعقوب وهو لبّي ويدعى تدّي ايضًا. فان المجوس وإن

اختُلف في اصلهم بحيث زعم فريقٌ انَّهم من العرب وفريقٌ انَّهم من الفرس. وحسب نصّ الكتاب الكريم ان المجوس ادبروا الى كورهم من حيث اقبلوا والحال ان اعتبرناهم فرساً ام عرباً فهم في كلا الاعتبارين ينتمون الى الكنيسة الكلدانيَّة لشمولها العرب والفرس معاً منذ القديم اذن من المحتمل بل ومن الاكثر احتمالًا انَّ هؤلاء نقلوا في عودتهم الى بلادهم ما سمعوهُ وعاينوهُ في يسوع الطفل وامهِ البتول تلك عادةٌ ألفها المسافر ان يقصّ على اهلهِ ورهطهِ ما رأى وسمع اثناء غيابهِ عن وطنهِ في بلاد غربتهِ. فكان هذا إخبار المجوس عن المسيح كبذر للدين المسيحي في ديارهم حتى بُعث اليها بعن اسقاهُ واناهُ. وقد ذكر المؤرخون الموثق بهم: ان الصفا ورد الى بلاد الجزيرة بنوع الافتقاد وانتهى الى الجبل (فرثية) وفارس. ورووا عن برثلمي انَّهُ تلمذ في اليمن وفارس وارمينية وعن متى انَّهُ تلمذ في الحبش وفرثية ومادي وفارس وعن تدّي وهو يهوذا الرسول اخو يعقوب كما يستبين من رسالتهِ الجامعة وقيل أنَّهُ ابن يعقوب ولعلَّهُ كان كذلك لاحتمال تسمية اليهود ابناءهم باسم والديهم فيقولون طوبيا ابن طوبيًا وطيا برطيا (لوقا ص ١ عد ٥٩) قالوا: انَّه كان الداعي والمبشر في بلاد سوريَّة والجزيرة وغيرها حتى الهند ايضاً حيث اقام ثمَّ زماناً عند توما وقفل راجعاً الى ديارهِ

امَّا شأن سياحة ادّي في البلاد الشرقيَّة وتلميذيهِ أجّي وماري فقد جاء عنهم في كتاب مختصر القوانين البيعيَّة لعبد يشوع النصيبيني ما ترجمتهُ: «اقتبلت يد الكهنوت الرها وجميعُ البلاد التي حواليها والبلاد المتاخمة وما يجاورها وبلاد العرب والنواحي التي تحيط بها والتَّيمن وتخوم ما بين النهرين من ادّي الرسول احد الاثنين والسبعين تلميذًا وهو الذي تلمذ فيها وبنى البيعة وكهَّن وخدم فيها وساسها». ولعلّ هذه البيعة بيعةُ الرُّها التي قال عنها ابن العبري: «ان ادّي بناها بنفقات ابجر ملك الرها ذي الرسالة المشهورة التي بعثها للمسيح يدعوهُ فيها الى مدينتهِ لإشفائهِ من جذامهِ. ومن هذه البيعة انطلق ادّي وبصحبتهِ اجّي وماري الى سائر المشرق للمناداة بالنصرانيَّة». فهذا أجّي يُعرف لدى المؤرخين برسول ما بين النهرين (ܫܠܝܚܐ ܕܒܝܬ ܢܗܪ̈ܝܢ). وقد روى عنهُ عبد يشوع النصيبيني في كتابهِ المذكور ما ترجمتهُ: اقتبلت يد الكهنوت فارس كلها وبلاد آثور وارمينيَّة ومادي والهند حتى آل جوج وماجوج (ويراد بهما ما وراء

بحر الخزر) وسائر البلاد المجاورة من اجّي صانع الانسجة الحريريَّة تلميذ ادّي الرسول (اه)

امَّا ما ذخرتهُ لنا التواريخ من اعمال ماري فهو اعظم جدًّا مما قلناهُ عن غيرهِ ولهذا الرسول اعتبارٌ عظيم لدى الكلدان ويُدعى المؤسس الاوَّل لكرسي جثالقتهم سلوقية وقطيسفون وهو احد الرسولين اللذين انفذهما ابجر الى السيّد المسيح وكان مصوّرًا ماهرًا. قيل انَّهُ اراد ان يأخذ رسم المخلّص فلم يقدر فاخذ السيّد المسيح منديلًا ووضعهُ على وجههِ فانطبعت فيهِ صورتهُ وقد تتلمذ هذا الرسول للسيّد المسيح ثمَّ وأُحصي في سلك الاثنين والسبعين تلميذًا وعاد الى ابجر مؤمنًا رسولًا. الّا انَّهُ لم ينادِ ويجاهر بالمسيحيَّة حتى جاءهُ ادّي فرافقهُ في سياحتهِ الانجيليَّة الى ان مات ادّي فانفرد بالبشارة. وجاب بلاد بابل كلها فالاهواز فسائر انحاء دجلة ففارس فكشكر فاهل راذان. وذاع يومئذٍ في راذان صيت رجلٍ موسرٍ مكثرٍ جدًّا يدعى هلقانا دعاهُ ماري الى الايمان فاهتدى على يده واباح جميع اموالهُ لماري فعمر بها من الكنائس والاديرة (١ نحوًا من ثلاث مئة وخمسة وستين. ومن هناك ذهب الى المدائن وتجشّم تحت مصاعب شاقَّة بتبشير اهلها. قيل انهم كانوا مولعين بالسُكر كلّما كان يغشاهم الرسول كان يراهم قد ترنّحت اعطافهم من بنت الحان. وكان لهم حانات خصوصيَّة فصبيانهم على حدةٍ وشبّانهم على حدةٍ وشيوخهم على حدتهم. ولبث الرسول عندهم زهاء خمس عشرة سنةً حتى ثبّتهم بالايمان وشيَّد ثمَّ الكنيسة الكبرى المدائنيَّة. وسار من هناك الى دورقني ومنها الى كشكر فميشان فالاهواز ففارس. وكان لا يمرُّ بمدينةٍ الّا اسَّس او شيَّد فيها كنيسةً او ديرًا وصوَّر فيها صورة السيّد المسيح والاشخاص الابرار لتستنير بها عقول المؤمنين. وفي فعلهِ هذا دحضٌ لشيعة البروتستان فترى الآن ان الصور في كنيسة الله قديمة جدًّا ولاسيما في الكنيسة الشرقيَّة. وساس ماري كرسي المدائن ثلاثًا وثلاثين سنة ومات ودُفن في دورقني او دير قني (٢ الذي ابتناهُ هو ثمَّة

امَّا توما الرسول فقد قال عنهُ اوريجانيس واوسابيوس ويوحنَّا فم الذهب وغيرهم:

١) المراد بالاديرة هنا المنازل العموميَّة لمأوى الايتام والارامل والفقراء الخ

٢) سمي دورقني لان امرأةً اسمها قني اباحت للقديس ضياعها فعمَّر بها هذا الدير وسمي بدير قني او دير مار ماري

انَّهُ انذر بالايمان فرثيَّة ومادي وآثور وقال النازينزي وصفرونيوس انَّهُ نادى بالبشارة في فرثية وفارس والهند. غير انَّنا لو استقصينا روايات الشرقيين عن توما وبشارتهِ لرأينا المشارقة طرًّا كلدانًا وسريانًا ورومًا وموارنة قد اجمعوا باتّفاقٍ على انَّهُ متلمذ الهند وآثور ومادي وفارس (والاتراك والديلم ايضًا كما روى التقويم الماروني). وكفى دليلًا ما رواهُ ابن العبري وعبد يشوع النصيبيني وعمرو بن متى عن مار توما ما مآلهُ: ان مار توما بشَّر في هذه النواحي الشرقيَّة ولاسيما الهند والجبل ومادي وصار رئيس الكهنة في المشرق ومنهُ اقتبلت احبارنا السياميذ الكهنوتي فيهِ وبنى في الهند الكنيسة وصار فيها مدبّرًا ورئيسًا حتى قُتل مطعونًا في جنبهِ بالحربة ودُفن في جزيرة ميلان (؟) وهي مليابور في الهند. وفي القرن الرابع أُتي بجثمانهِ المقدَّس الى الرُّها فشيَّد لهُ المؤمنون كنيسةً باسمهِ وفي ايَّام مار قورا الاسقف وُضع جسدهُ في هيكل كبير. ثمَّ أُودع جثمانهُ في صندوق من فضَّة سنة ٤٤٢ م وحُفظ ذخيرةً نفيسةً للتيمُّن.

وقد وجد من زعم ان توما رسول الحبش وليس رسول الهند الحقيقيَّة وهذا الزعم مردود ومستندٌ على جُرفٍ هارٍ وبطلانهُ ظاهرٌ اوَّلًا من كونهُ مناقضًا لإجماع نقل المؤرّخين الثقات ورواياتهم شرقيين او غربيين. ثانيًا لمناقضتهِ الآثار التي تثبت كون نصارى الهند لم يدينوا بالنصرانيَّة على يد رسولٍ غير مار توما. ثالثًا من التقليد الجاري والمتواصل فيما بينهم الى الآن فانَّهم لم يزالوا يُكنُّون ذواتهم بنصارى مار توما. رابعًا لان الزاعم نفسهُ لم يقدر ان يثبّت متى تنصَّر الهند وفي ايّ قرنٍ وعلى يد مَن فانَّ النساطرة الذين بثُّوا ونشروا بدعتهم ثمّت في القرن السادس ويشهد العلماء لهم بذلك لم يدَّعوا انَّهم متلمذو الهند بل بالخلاف ان متلمذهم مار توما الذي من يدهِ اقتبل الكلدان وضع اليد الاسقفي وانَّهم والهند شيءٌ واحد وطقس واحد منذ عهد الرسل وان قبل انتشار بدعتهم ثمَّ كانت النصرانيَّة سائدة في الهند وكان لهم اساقفة وبينهم وبين جاثليق المدائن موالاةٌ وتعلُّق شديد حتى انَّ المطران يوحنَّا الذي انتظم في سلك الاساقفة الذين شهدوا مجمع نيقيَّة كان وكيلًا ونائبًا عن جميع الكنائس التي في فارس كلها والهند العظيمة وهو الذي وقَّع عوضهم. فلو لم يكن هذا الارتباط موجودًا لناب عنهُ اولئك الاساقفة ممَّن لهُ حقٌّ دونهُ وليس لنا ههنا مجال لسرد جميع البراهين الدامغة التي تقطع كل شكٍّ وريبةٍ وشبهة اذ ليس ذلك من موضوعنا فان من لهُ ادنى

إلمام بالتواريخ يحكم ببطلان هذا الزعم لاوّل وهلةٍ

٦

ومما يجدرُ بنا ذكرهُ هو ان الكنيسة الشرقيَّة الكلدانيَّة كانت في القرن الاوَّل فائزةً بالامن والسلام بخلاف الكنيسة الغربيَّة التي تجرّعت مضض الاضطهاد وهي فتاة غضَّة في شرخ شبابها ودامت على هذه الحال في القرون الثلاثة الاولى حتى استتبَّت لها الحرّيَّة في عهد قسطنطين الملك. وذلك لان ملوك المشرق كانوا هم اوَّل من خلع سنَّة شعار الوثنيَّة ونبذ ربقتها واعتنق المسيحيَّة فقد كان العاهلُ في عراق العجم وفرثيّة أرطبانَ وفي حزَّة واربيل وسائر بلاد آثور عزَّات. وكان عزَّات وامّه هيلانة يهودّيين على زعم يوسيفوس ولكن على زعم غيره فالبائن انَّهما كانا مسيحيَّين

واخبر اوروسيوس انَّهُ سنة ستٍ واربعين للمسيح حدثت مجاعةٌ شديدة في انحاء سوريَّة كلها وان هيلانة هذه ملكة آثور اتت بالميرة من مصر وقامت باحتياجات نصارى اورشليم وما يليها اذ كانت حينئذٍ قد تنصَّرت. امَّا العاهل في الرُّها وما يتبعها فكان ابجر المذكور ولم يكن بين هؤلاء الملوك من قاوم النصرانيَّة حتى ان ارطبان ملك فارس الذي ملك منذ سنة ١٦ للمسيح الى سنة ٤٧ قد كان من المناضلين عنها. وما عتمت السنة ١١٦ ان تنصرم حتى صار على المشرق اضطهاد طرايانوس. وجاء في تواريخ الشهداء اللاتين في التاسع عشر من كانون الثاني ان ماري ومرتا زوجتهُ وابنيهِ اوديفاق واباخ استشهدوا في رومية في عهد قلاوديوس (١ لاجل الايمان المسيحيّ وذلك انَّهم ذهبوا من بلادهم الى رومية ميمّمين التبرُّك بذخائر الرسل والشهداء فقُتلوا بالشهادة ثمَّة

وعَقِب ذلك اضطهاد ملوك الفرس ومذ ذاك الحين اخذت دماء المسيحيين تجري مثل السيل بسيف أُولئك الملوك الوثنيين الطغاة البُغاة الجُساة الذين ما كانوا ليعلمون ان كلَّ قطرةٍ قطرت من عنق المسيحيّ لاجل ايمانهِ ستدعو عشراتٍ من النفوس الى الايمان بل مئاتٍ. كما وما كانوا ليفقهون انَّ عهد المسيح مع اتباعه هو ان يعزّزوا ديانته بالدم والنطع والجلد والفقر والجوع ذلك صكُّهم المنيف الذي استلموهُ منهُ مفتوحاً معلوماً مُنذَرًا بهِ وهم فرحون لتكون النتيجة كلُّها لله

١) هو قلاوديوس الثاني الذي تولّى الامر من سنة ٢٦٨ الى ٢٧٠ م



وبالايجاز انَّ ايانهم القويم المكين لم يتزعزع البتَّة . وان عددهم لم ينقص وذلك لان غيم الوثنيَّة اخذ يتقطّع شيئًا فشيئًا حتى انقشع عن نور شمس المسيحيَّة في جميع هذه الديار فاخذت تُرسل اشعَّتها الى الكهوف والمغاور التي في الجبال والسهول والحزون . فنشأت ثمَّ الصوامع والمناسك والاديرة والمحابس وامتدَّت وانتشرت انوارها في المشرق كلّهِ لا يعطفها زخرف هذا العالم ولا تلوي على اباطيلهِ . بل توجَّهت وجهتها وامَّت غايتَها فاخذت تجتمع بالناس للتعليم والتبشير والناس يجتمعون بها للنُسك والتعبُّد . فمن الاديرة خرج الجثالقة المشهورون والاساقفة الغيورون والكهنة الموقّرون والملافنة البارعون كما قد كانت الاديرة حينئذٍ مركزًا ومنارًا للدين ومرفأً للعلوم ومحطًّا لرحال المتعلّمين . ولو سردنا ذكر من اشتهر في الاديرة بالعلم والفضيلة لضاق بنا ذرع هذه النبذة

ولكن يا لحرقة الكبد كم وكم من صحف مشاهير تلك الاعصار قد اندرست ومن آثار تلك المشيّدات العموميَّة قد اندثرت ممَّا لا تُعرف الآن مواقعها ولم تُنشر وقائعها واليك برهانًا يُعرّفك بحال الكلدان في المشرق وحضارة دينهم ودنياهم وعلومهم وآدابهم ومآثرهم وآثارهم الاديرة الوفيرة التي كانت لهم اجتزأنا بذكر اليسير منها تنبيهًا لفكر القارئ اللبيب

٧

قد ورد في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ذكر اديرة كثيرة للكلدان ولو سبرنا الاخبار واستقرينا الآثار لرأينا في كلّ بقعةٍ وفسحةٍ من الارض الكلدانيَّة ديرًا . والى الآن حوالي الموصل آثار اديرة قديمة العهد تبعد بعضُها عن بعض مسافة ساعةٍ . منها دير مار ايليَّا الحيري وهو غربي الموصل . ودير مار ميخائيل وهو على دجلة فوق الموصل . وفوقهُ بنصف ساعةٍ آثار ديرٍ قيل انهُ دير مار سمعان . ومقابل دير مار ميخائيل دير مار كوركيس الباعويري وموقع كليهما على ضفَّتي دجلة . وفوقهُ بساعتين ونصف دير مار ابراهام وهو بين قرية تلكيف وباطنايا . وفي نفس الموصل الدير العالي وآثارهُ الآن باقية وقيل ان من حجارتهِ بُني جانب عظيم من السُّور . وهكذا اذا سحتَ ومسحتَ الديارَ الكلدانيَّة في عهد عمرانها الديني لم تكن تقطع ميلًا او ميلين الّا ويوافيك ديرٌ او طلل ديرٍ ما عدا الكنائس والمعابد التي لا تُحصى لكثرتها ومن هذا الجدول الذي يحوي النزر منها تفهم ما عدلنا عنهُ خوف الإطالة :



١ً : ܕܝܪܐ ܥܠܝܐ اي الدير الاعلى كما نعتهُ ياقوت الحموي وهو واقع في الموصل مُطلّ على دجلة وهو من اعظم اديرة الكلدان واشهرها وفيهِ ترتّب الطقس الكلداني الفرضي المعروف بالدائرة (ܚܘܕܪܐ) وتقسّم الى اسابيع معلومة . وذلك في القرن السابع للمسيح

٢ً : دير آبون (ܐܒܘܢ) الواقع بين جزيرة ابن عمر وقرية ثمانين وقد وُصف هذا الدير بخمرهِ الجيّدة لخصب كرومهِ وكثرتها .

٣ً : دير احويشا (ܚܒܝܫܐ) اي الحبيس وهو في سعرت مدينةٍ بديار بكر قرب أرزن الروم وخيزان وهو مُطلٌ على ارزن فيهِ اربعمائة راهب في قلالٍ وحولهُ الكروم والبساتين وهو في نهاية العمارة وخمرهُ مشهورة

٤ً . دير باعربا وهو بين الموصل والحديثة بين تكريت والموصل وكان مشحونًا بالرهبان وفيهِ منزل للضيافة

٥ً : دير باعنتل وهو بقرب جوسيّة وهي من اعمال حمص على مرحلةٍ منها من طريق دمشق . وقد اشتهر بغرائبهِ كالتصاوير وقصص القدّيسين المحفورة والمنقوشة فيهِ ومن جملتها صورة العذراء البديعة منتصبةً كلّما ملتَ الى ناحية كانت عينها اليك .

٦ً : دير الروم وهو ببغداد في الجانب الشرقي وبنيانهُ عجيب وفيهِ الصور البديعة . وقد تسمَّى بهذا الاسم لان أسرى من الروم قُدم بهم الى المهدي وأسكنوا دارًا في هذا الموضع وبُني الديرُ مكانها

٧ً : دير عبد المسيح ابن عمرو بن نفيلة وهو بظاهر الحيرة بموضع يقال لهُ الجرعة

٨ً : دير العذارى الواقع بين ارض الموصل وبين ارض باجرمي من اعمال الرقة وهو ديرٌ عظيم للنساء اللاتي ترّهبن وزهدنَ في الدنيا . ورُوي ان راهبات هذا الدير بلغهنّ يومًا ان ملكًا لهُ نظر فيهنّ فصُمنَ ثلاثة ايّام وصلّينَ الى الله فدفع عنهنّ كيدهُ بموتهِ ومنذ ذلك الحين تواصل لدى الشرقيين الصيام المعروف بالباعوثة

٩ً : دير مار ميخائيل رئيس الملائكة باعلى الموصل على ميلٍ منها مشرفٍ على دجلة يقصدهُ الناس اليومَ في ايّام الربيع لتنسّم ريح الصبا وهو نزهٌ ومُخصبٌ جدًّا

١٠ً : دير مار متى او الشيخ متى بشرقي الموصل على جبل شامخ وهو منقور في الصخر ويُعرف بدير الالاف لانّ عدد رهبانهِ كان قد انتهى يومًا الى الف راهب وهو

مشرف على رستاق نينوى وصحاري الموصل ذو منظر يَفتن البصر وهو اليوم بملك اليعاقبة ١١ً: دير نجران باليمن لآل عبد المدان بن الريّان من بني الحرث بن كعب
١٢ً: دير هند الصُغرى وهو بالحيرة بَنَتْهُ بنت نعمان بن المنذر
١٣ً: دير هند الكبرى وهو ايضاً بالحيرة بَنَتْهُ هند امُ عمرو بن هند الكنديَّة
١٤ً: دير نيرب برزي المجاور قرية قوب أسَّسهُ مار يوحنَّا زعيم الاساقفة السبعة الذين اسرهم الروم في اضطهاد والنس ١٥ً: دير مار افرام وموقعهُ في الوادي العميق ١٦ً: دير مار عنانيشوع الشهير ذكرهُ وهو فوق قرية حطارا. ١٧ً: دير مار ايشالاها وهو فوق قرية لالش ولعلَّها لاشوم ١٨ً: دير الطوباوي يشوع رحمه المعروف بدير البطمة ١٩ً: دير ماري ادّي ٢٠ً: دير مار غريغور في جوار قرية بريبلي ٢١ً: دير مار اسحق الناسك في عقار قرية حربي ١٢ً: دير مار آبا فوق قرية ساطي ٢٣ً: دير مار ابراهام ٢٤ً: دير مار أحاً في نيروا حوالي الزاب ٢٥ً: دير غير النائمين وهو على الفرات ٢٦ً: دير دورقني المعروف ايضاً بدير مار ماري ٢٧ً: دير الصليب الواقع الى جانب نهر الصرصر في قرية تلّا ٢٨ً: دير مار عابدين وهو دير للراهبات ٢٩ً: دير الربَّان هرمزد الفارسي وهو في جبل القوش يسكنهُ اليوم رهباننا ٣٠ً: دير مار بهنام

وللكلدان اديرةٌ غير هذه كثيرة منها قد اخنى عليها الدهر ومحا وعفا اثرها ومنها متهدّمة ومدكوكة ومنها ابنيتها الى اليوم ظاهرة وقد عشَّش فيها البوم ومنها مُعتنى بها ومرمَّمة لا تُزار الّا يوماً واحداً في السنة في عيد صاحب الدير كما يصنع اليوم اهل الموصل فيزورون دير مار ميخائيل في الاحد الخامس من الصوم الكبير. ويقصدون دير مار ايلياً الحيري في الاربعاء الاولى من اسابيع موسى. ولهم الآن ايضاً اديرةٌ كثيرة في جبال كردستان بيد النساطرة لا نعرف اسماءها ولا مواقعها كدير مار زيعا وغيره

غير انَّ الاديرة التي هي الآن آهلة بالرهبان لدى الكلدان الكاثوليك ثلاثة دير مار كوركيس في باعويرا. ودير الربَّان هرمزد الفارسي. ودير السيّدة وهو حديثٌ بناهُ رهباننا منذ عهدٍ قريب وفيهم من الرهبان الكهنة والاخوة نحو مائة راهب. وخرج من هذه الاديرة فطاركة واساقفة مشهورون في بدء احتلالها وسكناها. وكان ذلك في مبادئ هذا القرن سنة ١٨٠٨ على يد الأب القديس الفاضل جبرائيل دنبو الماديني الذي مات

قتيلًا في القوش على يد راوندوز الكردي الذي نهب دير الربّان هرمزد سنة ١٨٣١

فاين حالنا الحاضرة من حال اولئك الاسلاف القدماء الذين زيَّنوا الكنيسة الشرقيَّة بتصانيفهم وتآليفهم وعباداتهم ومساعيهم مع كونهم قلَّما اسدلَ الدهر عليهم ستر السلم والرفاه فلننهض العزائم ولنرتق ما فتقهُ الدهر من بردة حضارة وتديُّن آبائنا ولا نتقهقر بل لنسعَ الى ما قدَّام ولنرقِّ حالة الخاصَّة والعامَّة باصلاح شأن المدارس الخصوصيَّة والعموميَّة وتنشيط الاكليروس ورفع منار الفضيلة والعلم والآداب لغاية تمجيد اسم الله القدوس وتعزيز الديانة المسيحيَّة وانتشار الكثلكة متكلين على ايده تعالى العاوي وهو السميع العليم

قيس الماروني

او اقدم تاريخ للكتبة الموارنة

للاب هنري لامنس اليسوعي

من جملة ما أثبتنا في مقالتنا التي استنهضنا بها الهمم على درس تاريخنا (المشرق ١ : ٢٦١) انَّنا نودُّ لو اهتدى اصحاب الجدّ والتنقيب الى وجود التصانيف والكتابات المخطوطة التي استشهد بها الدويهيّ في تاريخهِ وكان سبقهُ ابن القلاعيّ فأخذ عنها فِقرات ادرجها في تآليفهِ. بيد انَّ عامل الخوف لا يزال يتنازعنا فيخال لنا انَّ كثيرًا من هذه الكنوز تولَّت عليها ايدي الضَّياع

هذا وبينا كنَّا نتصفَّح احد مجلَّدات المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (١ اذ عثرنا على مقاطيع سريانيَّة من تاريخ لبعض كَتَبة الموارنة نُعِدُّهُ كأقدم أثر لهذه الطائفة الشهيرة. وهذه القطع عبارة عن اخبار خمس سنوات تبتدئ من سنة ٩٧٠ للاسكندر الى سنة ٩٧٥ (٦٥٨ - ٦٦٣ للمسيح) وهي تتضمَّن قسمًا من الحوادث التي جرت في ايَّام معاوية اوَّل خلفاء بني أميَّة

امَّا الكتاب التي نُقلت عنهُ فهو من المجاميع السريانيَّة المحفوظة في خزانة لندرة

---

١) المجلَّد ٢٩ الصفحة ٨٢ (ZDMG)

وقد وُسم فيها بالعـــدد الآتي (Cod. Add. 17121-Wrights'Cat. p. 14)٠
وهذه النبذة مع قصرها تنبئنا بما كان لبقيَّة هذا التــاريخ المفقود من الخطارة وعظم الشأن. ولا شكَّ في انَّ الاصل كان متَّسع الاخبار كتاريخ تاوُفانس يذكر الوقائع الدينيَّة والامور الدنيويَّة معًا. والدليل على ذلك انَّ القطع الباقية تشتمل على تفاصيل ولطائف مختلفة لا نجد لها شبهًا في غيرها من تصانيف ذلك العصر

ولكن مَن هو يا تُرى موَّلِف هذا التاريخ وفي ايّ عهد عاش وما كان وطنــهُ فتلك اسئلة كأني بالقرَّاء يعرضونها علينا و ينتظرون بفروغ الصبر جوابًا عنها

نقول انَّ موَّلِف هذا التاريخ ليس لاسمهِ من أثر في النُبَذ الباقية في المجموع المارّ ذكرهُ وذلك بلا مراء ممَّا يؤسف لهُ. ولكن هلمَّ نُعمِل رويّة الفكر ونعتبر حالة الكتاب ومضمون الفصول الواردة الينا فلعلَّنا نستدرك الخلَل و نقف على صاحب هذا التأليف

واوَّل ما يمكننا تقريرهُ انَّ واضع هذا التأليف من قدماء الكَتَبة. والبرهان على ذلك انَّ الكتاب الخطّي الذي جاءت فيهِ هذه اللُمَع التاريخيَّة قديم العهد تشهد عليهِ صورة كتابتهِ العتيقة حتى انَّ العلاَّمة رَيت (Wright) الذي وصف بثلاث مجلَّدات الكتب السريانيَّة المصانة في المتحف البريطاني ذهب الى ان الكتاب خُطَّ في القرن الثامن او التاسع. ولا يبعد هذا القول من بعض الغلوّ كما سيأتي

وزاد المستشرق الشهير نُلدك انَّ صاحب هذه المقاطيع التي نحن في صددها كان راهبًا ولم يُورد لقولهِ بيّنةً

امَّا وطن الكاتب فسوريَّة لانَّ مدار كل اخبارهِ على امور لا تتجاوز قطر الشام وفلسطين. ولا بدع انَّ الموَّلِف كان مارونيًّا. والدليل على ذلك انَّهُ يقابل بين اليعاقبة وانصار مار مارون « ܒܢܝ̈ ܒܝܬ ܡܪܘܢ » فيصف الاوَّلين بنعوتٍ تُشعر باستيــائهِ منهم ونفورهِ عن تعاليمهم و يظهر ميلَهُ الى الموارنة ويرتاح الى تعــاليمهم. وهو مع ذلك كاتبٌ ثقة صادقٌ يظهر صدق قولهِ اذا قوبلت عدَّة امور اوردها مع ما كتَبَهُ غيرهُ من المؤرّخين المعاصرين لهُ

وألطف ما جاء في هذه المقاطيع التي صبرت على فتك الدهور قصَّة جدالٍ عنيف جرى في سنة ٩٧٠ لليونان (٦٥٨ م) في مجلس الخليفة معاوية بين اليعاقبــة والموارنة وهذا نصُّهُ مع تعريبهِ:

ܬܬܩܥ ܘܩܘܣܛܢܛܝܣ (1 ܝܙ ܒܝܪܚ
ܚܙܝܪܢ ... ܐܬܘ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܝܥܩܘܒܝܐ
ܬܐܘܕܘܪܐ (2 ܘܣܒܘܟܬ (3 ܠܕܪܡܣܘܩ ܘܥܒܕܘ
ܕܪܫܐ ܩܕܡ ܡܥܘܝܐ ܥܡ ܒ̈ܢܝ ܕܒܝܬ ܡܪܝ
ܡܪܘܢ ܥܠ ܗܝܡܢܘܬܐ. ܘܟܕ ܐܬܙܟܝܘ ܦܩܕ
ܡܥܘܝܐ ܕܢܬܠܘܢ ܥܣܪܝܢ ܐܠܦܝܢ ܕܝܢܪܝܢ.
ܘܦܩܕ ܠܗܘܢ ܕܢܗܘܘܢ ܫܬܝܩܝܢ. ܘܗܘܬ ܥܝܕܐ ܗܕܐ ܠܗܠܝܢ
ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܝܥܩܘܒܝܐ ܕܟܠ ܫܢܐ ܕܗܘܝܐ
ܗܘ ܢܗܘܘܢ ܝܗܒܝܢ ܠܡܥܘܝܐ ܐܝܟ ܕܠܐ ܢܫܒܘܩ
ܒܗܘܢ ܐܝܕܐ ܘܢܪܕܦܘܢ ܐܢܘܢ ܒ̈ܢܝ ܥܕܬܐ (4

وفي سنة ٩٧٠ وهي ١٧ من ملك قسطنت (١ في شهر حزيران . . . اتى اسقفا اليعاقبة تاودروس (٢ وسبُوخت (٣ الى دمشق وصنعا جدالًا امام معاوية مع اصحاب مار مارون في امر الايمان . ولما غُلبا امر معاوية ان يدفعا لهُ عشرين الف دينار ووصاهما ان يبقيا في الهدوّ . وجرت العادة مذ ذاك لاساقفة اليعاقبة ان يدفعوا كل سنة مثل هذا المبلغ لمعاوية لئلَّا يكفَّ عنهم يدهُ فيتعقبهم ابناء الكنيسة (٤

ولا حاجة هنا لاثبات بقيَّة الاخبار التي تحتوي عليها هذه القطع التاريخيَّة . ومن احبَّ الاطلاع عليها فليطلبها في المجلَّة المذكورة . وما اوردناهُ آنفًا دليل على اهميَّة هذا التاريخ وداعٍ لاسفنا على فقد الكتاب وجهلنا لاسم موٴلّفهِ

وهاك ما نعرضهُ لحلّ المشكل الاخير اعني تعريف صاحب التاريخ المنوَّه عنهُ . قد جاءَ في كتابٍ للمسعوديّ اسمهُ (كتاب التنبيه والاشراف طُبع حديثًا في ليدن ونُقل الى الفرنسيَّة في السنة الماضية فقرةٌ عن قيس الماروني هذا حرفها (في الصفحة ١٥٣) :

« ولهُ (اي قيس) كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والانبياء والكتب والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم واخبارهم انتهى بتصنيفهِ الى خلافة المكتفي . ولم ارَ للمارونيَّة في هذا المعنى كتابًا موٴلَّفًا غيره »

---

١) هو قنسطنت الثاني الذي ملك من سنة ٦٤١ الى ٦٦٨

٢) نظنّ ان تاودورس هذا انَّما هو بطريرك اليعاقبة الذي ذكره ابن العبري في تاريخهِ الكنسيّ الجزء الاوَّل الصفحة ٢٧٩ (ed. Lamy) ولم يدعهُ الموٴلف بطريركًا لانَّهُ من البدعة اليعقوبيَّة

٣) وقد صُحِّف اسمهُ في الاصل بسبخوت والصواب ما ذكرنا . والمرجَّح ان سبوخت هذا هو اسقف قنسرين الذي ورد ذكرهُ في التاريخ نفسهِ (ص ٢٧٦)

٤) اي الكنيسة الحقيقيَّة التي ينتسب اليها الموٴلف . وفي هذه النبذة شاهد جليل على ان الموارنة لم يقبلوا قط اضاليل اليعاقبة

(قلنا) انَّ قول المسعودي اجال بفكرنا انَّهُ من المحتمل ان يكون قيس المذكور صاحب التاريخ السريانيّ الذي وصفناهُ. والحقُّ يقال انَّ القطع المنشورة منهُ توافق كل الموافقة ما كتبهُ المسعودي عن قيس الماروني

وكأَني بمعترض يحتجُّ عليَّ بحجَّتين فيقول. اوَّلًا: كيف يمكن ان يكون قيس الماروني صاحب هذا التاريخ وقيس عاش في عهد المكتفي (١ كما يؤخذ من قول المسعوديّ. امَّا الكتاب المخطوط الذي وردت فيهِ المقاطيع السريانيَّة فهو يرتقي على زعم رَيْت الى القرن الثامن او التاسع. ويقول المعترض ثانيًا انَّ المسعوديّ يذكر تاريخًا عربيًا وهذه الفقرات انَّما هي سريانيَّة

نجيب على الاعتراض الاوَّل: انَّ الكتاب الذي وصفهُ رَيْت ليس بمؤَرَّخٍ وقد بنى زعمهُ على صورة خطّهِ وورقهِ والحكم على ذلك ليس بقطعيّ وانَّما هو حدسٌ ليس إلَّا. وزد على ذلك انَّ المكتفي تولَّى الخلافة في غرَّة القرن العاشر فيكون حكم رَيْت قريبًا الى الصواب

امَّا الاعتراض الثاني فجوابنا عليهِ انَّ المسعوديّ لا يقول انَّ قيسًا هذا كتب بالعربيَّة ولعلَّهُ عرف تاريخهُ ممَّا وُصف لهُ او من ترجمةٍ عربيَّة كان يتداولها نصارى القرن العاشر

وما يزيد في ترجيح رأْينا بان قيسًا هذا هو صاحب التاريخ السرياني السابق ذكرهُ قول المسعوديّ انَّهُ لم يعرف للموارنة في التاريخ غير كتابٍ واحد والمسعوديّ رجلٌ كثير الاطّلاع فلو كان لبعض الموارنة تاريخ مشهور لما فاتهُ الامر لاسيما انَّهُ كان قريب العهد من قيس المارونيّ اذ عاش بعدهُ بقليل

فترى اذن انَّ القطع التاريخيَّة التي وصفناها هي لقيس المذكور ونبدي الامل بان يبحث على بقيَّتها الموارنة فلعلَّهم يحيون بذلك اثرًا جليلًا يشهد لطائفتهم بالفضل العميم بعد ان طمستهُ الايَّام

---

١) بويع للمكتفي في ربيع الآخر من سنة ٢٨٩ ﻫ (٩٠١ للمسيح) وتوفي في ذي القعدة سنة ٢٩٥ (٩٠٧)



الترْمومتر او مقياس الحرارة

للاب الكسيس مالُّون اليسوعيّ

من جملة ما اثبت المشرق من المقالات المفيدة في اعداد سنتهِ الاولى (ص ٨١٧ و ٨٩٢) فصلٌ مطوَّل في البارومتر اي ميزان ضغط الهواء الجوّي. الَّا ان هذا المقياس لا يَفصلهُ ارباب الطبيعيَّات عن اداةٍ أُخرى يُجرون بها اختباراتهم اليوميَّة. ولذلك ترى المشرق قد افرد لكليهما في آخر كلّ اعدادهِ قائمة خاصَّة. نعني بقولنا الترمومتر او ميزان الحرارة. فاحببنا ان نبحث في هذا كما سبق البحث في ذاك فيستوفي كلٌّ موضوع حقَّهُ

وقد قسمنا مطلبنا هذا ثلاثة اقسام ليتيسَّر للمطالع ادراك فوائدها ففي القسم الاوَّل نبسط القول في المبدإ الذي تستند اليهِ ميزانيَّة الحرارة. ثم نتخلَّص منهُ الى الفصل الثاني فنبيّن كيف يجهَّز الترمومتر. ونختم المقالة بتعداد انواع الموازين الترمومتريَّة واوصافها

١ مبدأ الترمومتر

الترمومتر كما يدلُّ عليهِ اسمهُ اليونانيّ هو مقياس الحرارة. وفي تعيين درجات هذا العامل العظيم منافع كبرى. ولذلك يُعدّ اكتشاف هذا الميزان من اهمّ الاكتشافات التي توصَّل اليها العقل البشريّ في توالي الدهور لما ترتَّب عليهِ من النتائج الخطيرة

ولا بُدّ لفهم ذلك من ذكر شيء من احوال الحرارة ومفاعيلها العجيبة في عالم الكون

انّ المفعول الاوَّل الذي لا يخفى عن ذي عيان انَّ الحرارة هي العامل الكبير في اطوار المخلوقات المعروفة بالممالك الثلاث. فلولا الحرارة لاصبحت سيَّارتنا كبعض الاجرام العلويَّة التي ضربها البرد فصُقعت وامتنع على كلّ حيٍّ سكناها. فهي الحرارة تصيب البذور الميّتة في مستودع الارض فتحييها وتجري في كلّ اجزائها مائيةً تنعشها فتنميها الى ان تبلغ بها كمالها من أفنانها واوراقها وزهورها وأثمارها. وهي الحرارة تبعث في الحيوان القوَّة والنشاط وتُسيل في عروقهِ دماً مُحيياً وروحاً جديدة تردُّ عنهُ سلطان الموت

هذا وانَّ لعنصر الحرارة مفعولًا آخر ليس هو دون السابق خطارةً واهميَّة وان كان خفيًّا تدركهُ الحواسّ ببعض الاختبار أَلَا وهو امتداد الاجسام بنموّ حرارتها. وهذه الخاصَّة العجيبة هي التي يستند اليها صنع الترمومتر فرأينا ان نوسع الكلام في وصفها

اعلم انَّ الاجساد سواءٌ كانت جامدةً ام سائلة ام غازيَّة تزيد حجمًا وتنبسط وتتخلخل اجزاؤها اذا ما زيد في حرارتها وهي بخلاف ذلك تنقبض وتتقلَّص بالبرودة

ذلك مبدأ يسهل تحقيقهُ بالامتحان فخذ مثلًا جزءًا (قضيبًا) من الحديد وقس طولهُ ثم اعرضهُ على النار برهةً واذرعهُ ثانيةً تجدهُ اطول منهُ قبل احمائهِ. وعلى هذا النمط اذا احميتَ كُرَةً مصمتة من النحاس زادت حجمًا بالحرارة

وهذه الخاصَّة لا يجهلها ارباب الصناعة فالحدَّاد مثلًا اذا حاول تصفيح دولاب بالحديد يعمد الى طَوْق اصغر من الدولاب قطرًا فيحميهِ الى ان تتَّسع دائرتهُ ثم يجعلهُ على الدولاب فاذا برد لَصق بالدولاب وزادهُ صلابةً

وكذلك ترى انَّ مجهّزي الاسلاك الحديديَّة لا يضمُّون طرف كلّ جزء بالآخر بل يتركون بينهما خللًا لئلاَّ تتحدَّب الصفائح الحديديَّة او تنحني في اَبان القيظ بسبب الحرارة عند امتداد هذه الاسلاك. ولولا تلافي هذا الامر لحدثت لقطارات السكَّة الحديديَّة آفات عديدة

وقولنا عن امتداد الأجسام الصُلبة اجلى بيانًا واظهر. فعلًا في المائعات. فاذا اخذتَ مثلًا وعاءً من الزجاج (اطلب الشكل الاوَّل) يتَّصل بهِ انبوب دقيق ذو منفذٍ في اعلاه وملأت هذا الاناء بجسم سيَّال كالخمر او الزيت الى نصف الانبوب عند (ا) ثمَّ احميتَ الاناء او غطستهُ في ماء حارّ فانك ترى المائع يصعد في الانبوب الى جهة (ب) لضيق الاناء عليهِ. فاذا برد الاناء هبط المائع الى حيث كان سابقًا

ب

ا

الشكل الاول

بيد انَّ لهذا المبدإ شذوذًا في نواميس الطبيعة وذلك في الماء فانَّهُ اذا أُحمي وهو في درجة الصفر فلا يمتدّ بل يتقبَّض حتى يبلغ الدرجة الرابعة فوق الصفر فاذا تجاوز هذا الحدّ تخلخل كبقيَّة المائعات. فيكون اذن معظم كثافة الماء عند بلوغهِ نحو الدرجة ٤ اعني ان ليترًا من الماء اثقل وزنًا في هذه الدرجة منهُ في ايّ حالة كانت ويزيد تمدُّدًا سواء زيد في حرارتهِ او برودتهِ.

وايمُ الله فانَّ هذا من اغرب الامور التي تشهد بالدليل على حكمة الباري · ولولا ذلك لعادت سكنى بلادٍ كثيرة مستحيلةً · أفلا ترى انهُ لوكان الماء يزيد ثقلًا بزيادة برودتهِ لهبط قسمهُ البارد في قعر البحر وعلا القسم الحارُّ منهُ الى ان يبرد ايضاً فيهبط فوق الطبقة الاولى وهكذا بالتتابع الى ان يجمد البحر كلُّهُ فتزيد بذلك برودة الارض الى حدّ مفرط · بيد ان الامر بخلاف ذلك فانَّ الماء اذا بردَ خفَّ ولذلك يبقى على سطح البحر كالزيت الذي يعلو فوق الخلّ فتجمد طبقتهُ العُليا دون السُّفلى · فسبحان الخالق فهو حقًّا اللطيف بعبادهِ

امَّا اذا اعتبرنا الغازات وتمدُّدها فنجد انَّها تتخلخل بالحرارة اكثر من الاجسام الصلبة ومن الموائع السائلة · والدليل على ذلك ان تأخذ اناء يتَّصل بهِ أُنبوب أُفقيّ

ز ز

الشكل الثاني

ينفذ في كليهما الهواء (راجع الشكل الثاني) فاذا ادخلت في الانبوب قليلًا من الزئبق (ز) وقبضت بيدك على الانبوب فبمجرَّد حرارة الكفّ ترى الزئبق يندفع الى (زَ) وربَّما خرج من الانبوب · وذلك لتخلخل هواء الوعاء بداعي حرارة اليد

وهذه الاختبارات كلّها تنعكس بتبريد الاجسام كما لا يخفى

ولعلَّ سائلًا يسألُ فيقول انَّ هذه الظواهر لا شكَّ فيها ولكن انَّى تأتي للحرارة تلك القوَّة التي تنفذ هكذا في الاجسام فتمدّد اقسامها

نجيب انَّ ذلك سرٌّ من اسرار الطبيعة طالما شغل افكار العلماء فذهبوا لحلّ رموزهِ مذاهب شتى · وقد شاع من ذلك مذهبان لتعريف اصل الحرارة واسبابها

فالمذهب الاوّل يعلّل الحرارة بوجود مائع ماديّ ذي دقّة فائقة تنبسط ذرَّاتهُ وتمتدُّ في كلّ انحاء المعمور · وهو قول قدماء الفلاسفة من اليونان كأَبيكور وذيُمقريت ودافع عنهُ من المحدثين نيوتُن الطبيعيّ الشهير

امَّا المذهب الثاني فانهُ يساوي الحرارة بالنور ويقابل بين كُنه طبعها وطبعهِ · وعليهِ فانَّ انصار هذا الرأي يرتأُون ان الحرارة تموُّجٌ في دقائق الاجسام · فيقولون انَّ العناصر اذا حُلَّت الى اركانها الاصليَّة وُجدت اصولها غايةً في اللطف والدقَّة الَّا انَّها متَّصفةٌ بحركة ذات سرعة غريبة منها تحصل الحرارة · وانَّ هذه الحركة تنتشر في الاجسام

بواسطة الاثير كما يَنتشر الصوت بواسطة تموُّجات الهواء . والاثير يشغل كلَّ حيِّز بين دقائق الاجسام فاذا تحرَّك حرَّكها بحركتهِ فتحصل الحرارة . وعليهِ فان إحماء الجسم انَّما هو زيادة في سرعة واتّساع التموّج الجاري على دقائقهِ الجوهريَّة . كما لو اردت تشديد صوت الوتر وارتفاع نغمتهِ زدتَ في عدد نقراتهِ وسعتها وذلك ممَّا يقتضي زيادة في المسافة . فهكذا الاجسام اذا أُحميت تخلخلت اجزاؤها واتّسعت الى ان يزيد الجسمُ كلُّهُ حجمًا باتّساعها

وهذا المذهب كان سبق اليهِ ارسطو الفيلسوف وقد رجَّحهُ اليوم علماء عصرنا . وهو بالحقيقة رأيٌ جدير بالاعتبار يشهد لمن ابتكرهُ بسموّ المدارك وتوقُّد الفهم لأنَّهُ يبيّن سبب الظواهر العجيبة التي وصفناها في الاجسام الصلبة والمائعات والغازات . فانَّ دقائق الاجسام الصلبة كالمعادن وغيرها كثيرة الالتصاق ببعضها ولذلك لا تقوى الحرارة على فصلها ودفع بعضها عن بعض الَّا بعُنف . بخلاف المائعات فانَّ دقائقها اقلّ التحامًا ببعضها فتفصلها الحرارة بسرعةٍ . امَّا الغازات فانَّ تخلخُلَها ازيد من الاجسام الصلبة والسوائل معًا ولذا تراها تمتدُّ بحرارة قليلة امتدادًا عظيمًا

وهذا الرأي مع رجحانهِ لا يتجاوز حدّ الظنّ والتخمين وعلى كلّ فانَّ امتداد الاجسام بعامل الحرارة من الامور التي لا تُنكر . وليس الترمومتر سوى تخصيص هذا المبدإ المقرَّر . وذلك لانَّ الترمومتر وهو كما سبق مقياس الحرارة يعرّف امتداد حجم الاجسام بعامل الحرارة وتقلُّصها بهبوط درجات هذا العامل فيها . ولو امكنَّا الوقوف على اختلاف حجم الاجسام لوقفنا ايضًا بكلّ ضبط على زيادة حرارتها او نقصانها

وكأَني بالقارئ يعترض عليّ قائلًا : أفليس يكفي لمعرفة حرارة الاجسام ان يمسَّها الانسان فيعرف باللمس أباردةٌ هي ام حارَّةٌ

الجواب على هذا انَّ حاسَّة اللمس لا تشعر بالاختلافات الدقيقة الطارئة على الاجسام اللهمَّ الَّا ان تزيد حرارتها او برودتها زيادةً معتبرة

ثمَّ انَّهُ من المعلوم انَّ تأَثُّر جسمنا بالحرارة او البرودة يختلف باختلاف حالة الحواسّ . فاغمس مثلًا احدى يديك في الماء الحارّ والاخرى في الماء البارد ثمَّ اقبض على جسمٍ معتدل الحرارة فيظهر لك هذا الجسم حارًّا وباردًا معًا

وليس الامر كذلك اذا اعتبرنا حجم الاجسام فانَّهُ مقرَّر انَّ ادنى زيادةٍ فيهِ



تدلُّ على ارتفاع الحرارة. ولكن ما الطريقة لتعيين هذا الاختلاف في حجم الاجسام
الوسيلة الى ذلك انْ يُتَّخذ جسمٌ ما فيكون امتدادهُ مقياساً يُعرض عليهِ امتداد بقيَّة الاجسام فتقاس عليهِ

مثال ذلك ان تأخذ انبوباً يشتمل على الكحول فتغمسهُ في مائع ما فان رأيت الكحول يمتدُّ او يتقلَّص عرفت انَّ المائع اشدُّ حرارة منهُ او بعكس ذلك ابرد من الكحول. وذلك وفقاً للناموس الشائع في الطبيعة وهو ان الاجسام اذا كانت مختلفة الحرارة فضُمَّت الى بعضها تتساوى بينها درجة حرارتها فيأخذ البارد قسماً من حرارة الحارّ الى ان تتعادل كلُّها وتتوازن في حرارتها. كما انَّك لو سكبتَ ماء في وعاء ما يتَّصل باوعيةٍ اخرى فالماء يصعد في كلّ الآنية على التساوي مهما كان شكل هذه الآنية او حجمها

ولعلَّك تقول ان كان الامر كذلك فانَّ المادة التي تؤخذ كوحدة قياس لا تدلّ على حرارة الاجسام مطلقاً بل تبين نسبة حرارتها الى هذه المادَّة القياسية

نجيب انهُ يمكننا ايضاً الوقوف على حرارة الاجسام المطلقة كما سيأتي ولكن في الاستعمال يكفينا ان نعرف نسبة حرارة هذه الاجسام الى مقياس معلوم لانَّ غاية ما نقصد عادةً ان نعلم نسبةُ الحرارة بين البلاد والازمنة المختلفة أفيكون مثلًا يومنا الحاضر احرَّ او ابرد من يومنا السالف وهل حرارة الهواء في الاسكندريَّة اشدُّ منها في بيروت. وهذه المطالب يسهل الجوابُ عنها باتّخاذ بعض الاجسام كمقياس اي باصطناع الترمومتر

ولكن تُرى ايًّا من الاجسام نختارهُ ليكون مرجعاً ومثالًا نعود اليهِ في المقابلة ؟

نقول انَّ لاختيار هذه المادَّة القياسيَّة شروطاً لا بُدَّ من استيفائها. الشرط الاوَّل ان يكون القياس عامًّا يصلح لكلّ البلاد او على الاقلّ لاكثرها كما فعل العلماء باتّخاذ المتر لقياس المساحات لانَّهُ يصلح لها جميعاً دون استثناء

والشرط الثاني ان تكون المادَّة المختارة لقياس الحرارة كثيرة الشعور للحرارة او البرودة بحيث تمدّ او تتقلَّص بادنى تغيير يطرأ على الاجساد المحدقة بها

والشرط الثالث ان يكون تمدُّد هذا الجسم المثاليّ قياسياً ثابتاً

وهذه الشروط لا تصحُّ في الاجسام الصلبة كالحديد والخشب لقلَّة تمدُّدها فضلًا عن انَّها اذا انبسطت لا تعود الى هيئتها الاولى لما يصيب تركيبها العنصري من التغيير

اما الغازات فانها تستوفي الشروط السابقة لاسيما انها كثيرة الشعور والتقلبات الجوية فلا يعبأ بامتداد آلتها المشتملة عليها ولذلك قد آثر ارباب الطبيعيات « ثرمومتر الهواء » لاختباراتهم الدقيقة . الّا انّ هذه الادوات تقتضي دقّة في العمل وزمناً طويلا ولذلك عدل عن استعمالها اكثر الناس وآثروا تجهيز الثرمومتر بالمائعات السيّالة

والحقّ يقال انّ السوائل احسن المواد لتهيئة مقياس الحرارة وذلك لانّ شعورها بطوارئ الجوّ ثابت مقرر . ثمّ انّ المائعات يمكن تصفيتها بحيث تصير اهلًا للمقابلة بين بعضها

وقد فُضّل الزئبق على بقيّة السوائل لسببين : الاوّل لانّ تمدده قياسي وذلك انّهُ لا تجمده البرودة الى ٣٩ — ولا يتحوّل الى بخار سوى في الدرجة ٣٥٠ . ويبقى على تمدد مستقيم من ٣٩ — الى ١٠٠ وذلك كافٍ لمعرفة حرارة او برودة اكثر الاجسام في اغلب البلاد . والسبب الثاني لانّ تصفية الزئبق قريبة المنال اكثر من غيرهِ فيصير بذلك اصلح للقياس لتساوي اجزائهِ العنصريّة

امّا درجات الحرارة المرتفعة والبرودة المفرطة فقد جُهّز لها ادوات خاصّة سيأتي الكلام عنها ان شاء الله

(ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ومِمّن مدح ناصرَ الدين محمدُ بن ابي الجود ولهُ فيهِ قصائد مطوّلة جيّدة . . . (١)

(64ᵃ) ومدحهُ ايضاً سليمان بن يمن بقصيدة منها :

وانْ حلَّ في إعبيهِ عزَّ جنابُها وان حلَّ في بيروت فاقت على مصرِ

وأصبح ذاك الثَّغر يفترّ ضاحكاً بعدلِ اميرِ الغربِ مبتسمَ الثّغرِ

١) وقد ذكر منها المؤلف قصيدتين الّا انّهما كثيرتا الاغلاط النحويّة تناقضان قواعد القريض فلم نرَ في ايرادها افادةً

ومدحهُ احمد التونسيّ المغربيّ فقال من قصيدةٍ (64v):

فنحسبهُ عند المكارم حاتمًا ونحسبهُ يوم الكريهة عنترا
يفوق بحسن الرأي قيسًا وفي العلى كُلَيبًا وفي العزّ المنَّع قيصرا

ولاحمد بن يعيش من بني يعيش قضاة حلب قصيدة طويلة اختصرتُ منها هذه الابيات (65r):

اسرفتَ يا دهرُ بإهراق دم المتيَّم
فقد كفى ما قد جرى من جور دهر مؤلمِ
بعد الشباب والصبا وعيشيَ المنعَّمِ
والجاهِ والمال الذي لاحدٍ لم يَدُمِ
رُميتُ في مهالك الشيْبِ وذلّ الهرَمِ
وخانني الخلُّ الذي مازجَ لحمي ودمي
ما زال هذا الدهر غدّارًا باهل الكرمِ
حتى لقد جرَّعني دهريَ كأس العلقمِ
صبرًا على صروفهِ وجورهِ والنِّقَمِ
قال لي مُعلِّمٌ والعلمُ بالتعلُّمِ
هاجِرْ الى الحسنِ بنُ خضرِ الفاضلِ المكرَّمِ
واسعَ الى ابوابهِ فهي محلُّ الحرمِ (65v)
واقصدْ جنابًا مُرصَدًا لقاصدٍ ومنتمي
يلقاكَ منهُ بِشرهُ بثغرهِ المبتسمِ
يا ناصر الايمان والدين القويم الاقومِ
يا ابن الكرام الاكرمين يا وفيّ الذِمَمِ

وهي قصيدة طويلة بالغ فيها في المدح اختصرتُ منها على هذا القدر. ومن مدائح الشريف ابرهيم العراقيّ قولهُ من قصيدةٍ:

مولى النُّهى لو رأى عمروٌ شجاعتهُ وعنترٌ اضحيا عبدَيهِ في البَشَرِ
وحاتم لو رأى او معنُ طائلهُ سارا بمدحته في البدو والحضرِ
وقيسٌ ذو الرأي مع قس بن ساعدةٍ لو فاوضاهُ أحالا النُّطق بالحَصَرِ

والفضلُ مستترٌ في طيّ راحتهِ — وحاتمُ الطائي فيهِ غير مستترِ
مولًى بهِ الفضلُ يحيا خالدًا ابدًا — وجعفرٌ يدهُ كالغيثِ منهمرِ
وكلّ ما قد سمعنا في الانام عن م — القوم الكرام رأينا فيهِ بالنظرِ
وليس سمعٌ كرأي العين منحسبًا — بين الانام وليس الخُبرُ كالخَبَرِ
انَّ الحسينَ بنَ سعد الدين مفتخرًا — بفضلهِ وسواهُ غيرُ مفتخرِ
حوى فضائل من جودٍ ومن كرمٍ — قليلها في السرايا غير مُنحصرِ
وسطَّر الناسُ منها بعض جملتها — اغنتهمُ عن احاديثٍ وعن سِيَرِ

وابرهيم هذا هو ابن اسمعيل بن الحسن الحسينيّ العراقيّ الذي وضع لناصر الدين الحسين كتاب « رياض الجِنان ورياضة الجَنان »(١. وهو الذي خمَّس الدريديَّة وجعلها مديحًا في ناصر الدين ووالدهِ سعد الدين. ولابرهيم المذكور قصائد كثيرة في امراء الغرب جمعها وعملها ديوانًا كبيرًا. وشعرهُ جيّد مليح (66[r])

وبالجملة ان مدائح ناصر الدين كثيرة لانَّهُ كان مقصدًا للوارد والصادر ذا مكارم ورئاسة وسياسة. شاد البيت وسادهُ ورغب في حُسن الكتابة والبلاغة وجمع الكتب فأنتم بهِ البيتُ فحسَّنوا كتابتهم وبلاغتهم وتزايدت محاسنُهم ونظرُهم في العلوم واتقان الصنائع

بقيَّة اخبار ناصر الدين الحسين

[(٢ وكان ناصر الدين كثير اسداء المعروف الى من يستحقُّهُ. فمن ذلك انَّهُ كان يُجري على المحتاجين من ذوي البيوت والاصول رواتبَ من خبزٍ وإدامٍ كلّ ليلة جمعةٍ ويُرسل الى كلّ منهم مرتَّبًا يكفيهِ الى الجمعة الآتية وكان يحنُّ على ذوي آصرتهِ. ولمَّا حدثت حركة الجنويَّة في بيروت واخذوا قرقور الكتيلان(٣ الزموهُ واقاربَهُ بالسُّكنى في بيروت مدَّةً بعد ما كانوا يحلُّونهـا ابدالًا بالنوبة. ثمَّ بعد ذلك استقرُّوا على عادتهم كما كانوا قد رتَّبوا بعد الزُّوك

[وكان ناصر الدين المذكور اذا ركب من بيروت لا يلتفت الى ورائهِ سوى في

١) جاء في حاشية الكتاب ما حرفهُ: « وهذا الكتاب يدلُّ على علم مصنِّفهِ وزيادة ذكائهِ وجودة فطنتهِ وهو كتاب مليحٌ جدًّا جمع فيهِ فنونًا كثيرة للغاية من حكم واحاديث وامثال ومواعظ وسير وعلوم واشياء كثيرة ممَّا ترشد النفوس وتهذّبها وقد اجاد في جمعهِ وتأليفهِ. وشعر ابرهيم يشهد لهُ بالفضل والمحاسن والفصاحة والبلاغة »

٢) ما ذكرناهُ هنا بين معكَّفين ورد على هامش الاصل وقد نبَّه المؤلف عليهِ بانَّهُ من المتن

٣) راجع المشرق ١ : ٢٢٣

موضعين احدهما عند الحمَيْزة قبلما تطلع الجبل والثاني عند الشاغور (١ لينظر من انقطع من جماعتهِ وغلمانهِ]. وعُمّر ناصر الدين زمانًا طويلًا في عيش راغد ودهر مساعد. وكانت ايّامهُ غُررًا واضحةَ الابتسام

وكان مولدهُ حسبَ ما وُجد بخطّهِ بين خطوط السَّلَف في ليلة السبت اليوم الثاني والعشرين من محرَّم سنة ثمان وستّين وستمائة (١٢٦٩ م). وكانت وفاتُهُ حسبَ ما اثبتهُ السلفُ في يوم الثلثاء ثالث عشر شوّال سنة احدى وخمسين وسبعمائة (١٣٥٠) الموافق لرابع عشر كانون الاوّل عند حلول الشمس ببرج الجدي. وتأخَّر دفنهُ الى بُكرة الاربعاء

واوّل منشور كُتب لناصر الدين تاريخهُ ثالث شهر ربيع الاوّل سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢ م) قُلّد بهِ الإمرة الصغيرة التي كانت لوالدهِ سعد الدين خُضر وكانت خرجتْ عنهُ في فتوح طرابلس في ايّام الملك المنصور قلاوون واعيدت باسم ناصر الدين بالمنشور المذكور في ايّام الملك الاشرف خليل بن قلاوون وقد تقدَّم ذكر ذلك (٢

ثم صارت لهُ الإمرة الكبيرة عن شمس الدين كرامة بن بُحتر ابن زين الدين العراموني في اوائل سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧ م) في ايّام الملك الناصر محمد بن قلاوون. وقفت على قائمةٍ بخطّ ناصر الدين بما غرمهُ من التقادم والكُلَف عند اخذهِ (66v) الامارة وهو جملةٌ مستكثرة. ثم بعد تقلُّدهِ الإمرة المذكورة نزل عن الامرة الصغيرة التي كانت بيدهِ لأخيهِ عزّ الدين حسن ابن سعد الدين ولعلَم الدين سليمان بن غلاب الرمطوني الآتي ذكرهُ ان شاء الله تعالى. وكان نزولهُ عن ذلك لهما في اوائل سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩ م). واستمرَّ ناصر الدين على الامرة الكبيرة المذكورة الى شهر رمضان سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م) نزل عنها لولدهِ الاكبر زين الدين صالح بن الحسين عند ما كبر في السنّ وضعفت حركتهُ وقصد الراحة (٣

١) لعلّهُ يريد بلاد الشاغور التي بجهات عكّة

٢) راجع الصفحة ٨٩٩ من السنة الاولى للشرق

٣) جاء في حاشية المؤلّف: « وقفتُ ايضًا على تسع مطالعات كتبها ناصر الدين الى المباشرين بدمشق تتضمَّن انَّهُ نزل لولده عن إقطاعهِ ويوصي بولدهِ. والظاهر انَّهُ أبطل بعضها او كتب غيرها والله اعلم. ووقفتُ على نزول بخطّ ناصر الدين لولده زين الدين بالاقطاع واشترط فيهِ على ولدهِ ان يفي ديونَهُ ويقوم بهِ وبعائلتهِ »

وتزوَّج ناصر الدين امرأتين الأولى بنت زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر امير الغرب (١ والثانية بنت اسمعيل بن هلال من الاشرفيَّة. واسمعيل المذكور كان من اعيان الناس وكان من ذوي الايسار. حُكي عنهُ انَّ السلطان (٢ نزل على المسطبة التي كانت معروفة بمنزلة السلاطين قبالة الاشرفيَّة فعمل لهُ اسمعيل ضيافةً فكان صبوح البكرةِ مائة خروف مشويّ. فظنَّهُ السلطان انَّهُ السماط. ثمَّ بعد ساعة او ساعتين حضر السماط الكبير فتعجب السلطان ورسم لهُ بخلعةٍ فوقف في طريقهِ مقطع الاشرفيَّة كيلا تكثر عليهِ منافس اسمعيل المذكور

واستخدم ناصر الدين من الاشرفيَّة ثلثة اجناد منهم محمد بن اسمعيل بن هلال المذكور وكان يُعرف بمحمد شُقير. وسليمان بن فيَّاض بن عمهم (كذا) ونفرًا آخر لم اعرف اسمهُ

اسماء اولاد ناصر الدين

هذه اسماء اولاد ناصر الدين (وربَّما انَّهُ كان قد رُزق (67^r) بناتٍ قبل اولاده الذكور من بنت زين الدين) فمنهم بُحتر سُمّي باسم خالهِ بحتر زين الدين وتوفي صبيًّا حدَث السنّ نهار الاثنين في رابع عشر ربيع الآخر سنة تسع وسبع مائة (١٣٠٩م). وذكروا انَّ عمره كان ستّ سنين لمَّا توفي وانَّهُ كان يركب الخيل ويركضها وانَّ الناس ما رأوا صبيًّا أنجب منهُ. ورثاه ابوهُ بعدَّة قصائد فمن ذلك قصيدةٍ:

يا بحترًا يا مهجتي يا من بهِ اصبحتُ ثاكلْ
سوَّدت ايَّامي فلم أدرِ الغدوَّ من الاصائلْ
وأطلتَ ليلاتي وكنَّم بك قصيراتٍ قلائلْ
ووسيلتي قد كنت انتَ فخُيِّبت فيك الوسائلْ

ولهُ ايضًا غير ولدهِ بحتر المذكور زين الدين صالح. واربع بنات وهنَّ: غالية تزوَّجت

١) ورد في حاشية: «توفيت امرأة ناصر الدين الحسين الاولى وهي ابنة زين الدين بن علي نهار السبت في الحادي والعشرين من ربيع الاوَّل من سنة ست وسبعمائة (١٣٠٧ م) بمرض الزنطاريَّة وأُمّها صادقة بنت نجم الدين محمد بن حجي بن كرامة عمَّة ناصر الدين الحسين المذكور»

٢) وفي ذيل الكتاب: «ولعلَّ السلطان المذكور كان محمد بن قلاوون»



عزّ الدين حسين ابن شرف الدين علي بن زين الدين صالح بن علي في السابع من شهر محرَّم سنة ثمان وسبعمائة (١٣٠٨ م). وياقوتة تزوَّجت سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين عليّ في السابع عشر ربيع الاوَّل سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩ م). ولؤلؤة تزوَّجت عماد الدين موسى (١ ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن علي في الرابع عشر جمادى الاخرى سنة سبع عشرة وسبعمائة (١٣١٧ م) وتوفيت في الخامس والعشرين ذي الحجَّة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (١٣٢٢ م). وزكيَّة تزوَّجت شرف الدين ابا القاسم بن سيف الدين برق بن ثوار في الثالث عشر شوال سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة. فهؤلاء جميعهم أُمهم بنت زين الدين بن علي ابن بحتر الكبير. واما غير المذكورين فهم تقيّ الدين ابرهيم بن الحسين واختهُ زوجة صفيّ الدين حسين ابن شجاع الدين (67[v]) عبد الرحمن ابن جمال الدين حجي. ثم اختهما زوجة فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين احمد ابن جمال الدين حجي. ثمَّ اختهم صادقة تزوَّجها عماد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين علي. وقد تقدَّم ذكر زواجه بلؤلؤة بنت ناصر الدين وانَّها توفيت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (١٣٢٢م) وعند وفاتها كان لها اخت صغيرة في المهد (٢ فجرى بين والدها ناصر الدين وعماد الدين موسى المذكورة، وادَّة اوجبت تأخير عماد الدين عن الزواج حتى كبرت الصغيرة المذكورة فتزوَّجها. فهؤلاء أُمهم بنت اسمعيل بن هلال المذكور. وكان ناصر الدين يسمح على بناتهِ بالمال و يتكلَّف عليهنَّ جملةً. وقد رأيتُ بخطهِ شيئًا يدلُّ على ذلك

[وكان٣) سعد الدين خضر قبل وفاتهِ اختصَّ ناصر الدين بنصف موجودهِ اجمع اختصاصًا لهُ دون اخوتهِ الخمسة الذين سيأتي ذكرهم ان شاء الله. وكذلك فعل هو قبل وفاتهِ فاختصَّ ولدهُ زين الدين بنصف مالهِ وربع جميع موجودهِ اختصاصًا لهُ دون اخيهِ واخوتهِ. وجعل لاخيهِ تقيّ الدين ابرهيم ولاخوتهِ الربع فقط] (ستأتي البقيَّة)

---

١) جاء في ذيل الكتاب: «عماد الدين موسى المذكور امُّهُ زين الدار بنت سعد الدين وهي اخت ناصر الدين الحسين»

٢) حاشية المؤلف: « هذه الصغيرة المذكورة كان اسمها صادقة تزوَّجها عماد الدين في الثامن من ربيع الاوَّل سنة ست وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٥م)»

٣) ما ذُكر بين معكَّفين ورد في ذيل الكتاب وقد نبَّه المؤلف على وضعهِ في الاصل

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل العاشر

في معادن الذهب

وكان الهواء وقتئذٍ ثقيلًا والجوّ معبِسًا وجرس كنيسة القديس بولس يدقّ دقّة النَّزع التي كان صوتها يتَّصل الى كلّ الاحياء المجاورة ناشرًا عليها راية الغمّ والاسف. وكان المرض قد اشتدَّ على فاضل في تلك الساعة وخيّل انهُ دخل في النزع. امّا نسيب فكان قائمًا حذاء سرير المريض ينتظر الدقيقة الاخيرة من حياتهِ حتى يُغمض عينيهِ. وكانت ميس جنيّ تترددَّ الى حجـرة المريض وهي تطأ الارض همسًا لان الحادث الذي اصاب فاضلًا أنساها ما كانت قد نطقت بهِ من الكلام الجافي لاوَّل مرَّة. امّا فاضل الذي كان غائبًا عن الحسّ وغير مُدرك شيئًا ممَّا هو جارٍ حولهُ فكان يغرغر غرغرة الموت وكلَّما تنفَّس مرَةً يعلو صدرهُ علوًّا مفرطًا ثم ينخفض مصحوبًا بحشرجة النَّزع فيتوجَّع لهُ القلب الصخري. وكان رقّاص الساعة يدقّ في خلال السكوت كأنهُ يقيس كلّ ثانيةٍ من تلك الحياة التي كانت على وشك الانطفاء. وكانت الساعات تنقضي واحدة بعد أُخرى مسمعةً دقّاتها المحزنة في حجرة المحتضر

ثم اقبل الليل بمخاوفهِ وظلماتهِ فانحنى رأس فاضل وانطبق فمهُ واخذهُ السبات. وظنَّ الحاضرون انَّهُ لا يفيق فيرى صباح اليوم التالي لان كلّ شيء كان يدلّ على قرب قضاء نحبهِ

ولمَّا لاح الصبـاح وفد الطبيب باكرًا بينما كانت الطيور تغرّد في الاشجار ووقف بعربتهِ امام دار نسيب. ثم نزل وصعد السُّلَّم دون ان يسأل احدًا وفي يقينهِ انّهُ يُشاهد فاضلًا جثَّةً باردةً فيوقّع العلم بوفاتهِ ثم يمضي الى معالجة من لديهِ من المرضى ولا يعود يفتكر في هذا السوري الذي القتهُ التقادير في ارض الغربة

بيد انّهُ ما فتح حجرة فاضل والقى ببصرهِ على السرير حتى شاهد من كان قد تركهُ في حالة النزع يبتسم لهُ. فتعجَّب من هذا التغيُّرالسريع الذي لم يكن ليتوقّعهُ. وكان



هذا التحسُّن في حالة فاضل عرض لهُ اثناء الليل فان قوَّة جسمهِ تغلَّبت على الداء ونحو الساعة الحادية عشرة مساء رقد رقادًا هادئًا ثم استيقظ في الصباح وقد تجدَّدت قوَّتهُ ونجا من الخطر المحدق بحياتهِ

وكانت مدَّة نقاهتهِ من المرض اقصر مما كان يُظنّ وقد ساعدتهُ على ذلك بنيتهُ القويَّة وما مضى زمن يسير حتى خرج فاضل في يوم صحا جوّهُ وصفا اديمهُ يتنشَّق الهواء النقي مع كلٍ من المستر نسيب وقرينتهِ في الجنينة المحاذية لدارهما. وكان النسيم وقتئذٍ يتلاعب بالازهار واغصان الشجر ويُسمَع صوت خرير الماء في الحوض بينما كانت ميس جنيّ تترنَّم ببعض الاناشيد المطربة كانَّها تريد ان تمحو بذلك سابق مساوئها

ولمَّا عادت العافيــة الى فاضل همَّ بالسفر الى حيث تستدعيهِ اشغال نسيب في معادن كاليفورنية. وكان على قدر تقدُّمهِ في الصحَّة يستثقل البقاء في ذاك البيت الذي عومل فيهِ بكلّ اعزاز واكرام وشفقة طول وقت مرضهِ فضلًا عن انهُ كان يودّ ان يصير غنيًا ويحصّل في اقرب وقت ثروة كثروة نسيب

فلمَّا كان يوم الثلثاء خامس عشر كانون الثاني نحو الساعة الثامنة صباحًا سار كل من نسيب وفاضل مسرعين الى المينا يتحدّثان بمهمَّات امورهما التجاريَّة. وكانت قد دارت سوق الاعمال على الرصيف واخذ العمَّال في رفع البضائع من البحر وانزال غيرها الى السفن. وكانت قرقعة الصناديق وصياح العَمَلة وصفير الموكلين بهم تمــلأ الفضاء وتُصم الآذان. أمَّا المذكوران فانسلَّا في وسط الزحام وركبا باخرة اسمها « براغدون » وما اقاما على ظهرها برهة يشاهدان مدينة سان فرنسيسكو حتى اقلعت بهما تشقّ العباب

وكان سفرهما قصيرًا لان الباخرة ما كادت تدور حول خليـج سان فرنسيسكو حتى انتهت الى خليـج سان پابلو الذي يُشرف عليهِ الجبل المعروف بجبــل الشيطان ولهذا الجبل قمة مستديرة معممة دائمًا بالثلوج. فنزل كلاهما في مدينة « ستوكتون » الواقعة بقرب مصبّ نهري سان يواكيم وريو سكرامنتو

وستوكتون هذه محطّ رحال المعدّنين لقرب وقوعها من مناجم الذهب ولذلك قد تكاثرت فيها المطاعم والخانات والفنادق يأوي اليها الغرباء والاجانب

وفي جوار المدينة مستشفى رحب الافناء يُمرَّض بهِ المصابون بشعورهم. والحقُّ يقال انّ داء الجنون آفةٌ ضربت اطنابها على اهل هذه الاصقاع فاذاقت المئين منهم امر

العذاب. وليس جنونهم مسًّا خفيفًا او كَلمًا في عقلهم بل مرضًا عقـامًا يفورون بسببهِ ويهيجون فلا يقوى احد على ضبطهم ولولا شعار يلبسونهُ كرهًا يمنع ايديهم عن الحركة لما استطاع احد ان يقوم بازائهم

امَّا سبب توارد هذا الداء على اهل المدينة فانَّمـا هو تغلُّب الاهواء عليهم فانَّ اكثر من يقصدون هذه المناجم يعيشون عيشة البهـائم لا يردعهم رادع عن شهواتهم القبيحة فيفقدون بعد قليل من الزمن كلَّ شعائر الدين والادب ويتجاوزون كلَّ طور في سبيل الشرّ. فانَّهم بعد ان عاشوا سابقًا في الفقر المدقع لا يحسنون التصرُّف بالذهب الذي يجمعونهُ بشغلهم في المعادن بل يعيشون بمالهم ويتلفونهُ في اللعب والملاهي والعيشة الخلاعيَّـة ولاسيما في شرب المسكرات فيصبحون في حالةٍ اسوإٍ من حالتهم الاولى. وتراهم لا يرتاحون الى مساكنة اهلهم وقد ضعفت فيهم رغبة الشغـل او خارت عنهُ قواهم. ولمَّا لم يجدوا بابًا للتملُّص من هذه الدواهي يستولي عليهم اليأس ويستسلمون للقنوط. وكثيرًا ما يلتجئون الى الانتحار فرارًا من هذه البلايا. وقسمٌ منهم تنهكهم الامراض العصبيَّة وتُطبق عليهم الادواء الشديدة كالنقرس والاستسقاء فيُحمَـلون الى المستشفيات ويموتون فيها بعيدًا عن الاهل والاحباب

الَّا انَّ هذه الاسقام لا تُعدُّ في جانب الداء الذي مرَّ ذكرهُ اعني فَقْد العقل. كيف لا وهو السَّقم يحطُّ برتبة الانسان وينزع عنهُ ما يفرزهُ عن البهائم او قُلْ بالاحرى انهُ يُضحي ادنى من الحيوان شأنًا وأحطَّ قدرًا لانَّ للحيوان وهمًا وذكاء طبيعيًّا ينكبانِ بهِ عمَّا يضرُّهُ ويصرفان همتَّهُ الى منافع ذاتهِ. والمصاب بالجنون لا يقوى على شيء من ذلك فهو اشبهُ بوحشٍ ضارٍ لا يردُّهُ عن كيدهِ الَّا القُوَّة الجبريَّة

وكان المستشفى المطلّ على مدينة ستوكتن من هـذا الصَّنف. فعاينهُ فاضل وهو لم يدرِ انهُ مأوى لاؤلئك البائسين. وانَّ فيهِ بعضًا من السوريين مواطنيـهِ لا سَنَدَ لهم ولا معين كانوا قدموا مثلهُ هـذه البلاد كلفًا بالذهب فخسروا مالهم ودينهم وشرفهم واضحى موتهم خيرًا من حياتهم

وكان لا يخالج فكر فاضـل في ذاك الحين الَّا الغنى القريب والحصول على ثروةٍ واسعة تجديهِ يومًا هناء العيش في وطنهِ

ففي صباح ذلك النهار ركب المستر نسيب وفاضل عَربةً من العَرَبات المختصَّة



بشركة المناجم. وكان مسيرهما في وَسط سهول وبطائح مخصبة وحدائق نضرة فيها ضروب من الشجر الذي خُصَّت بهِ قارة اميركة دون غيرها. وفي وسط هذه الجنائن مصانف وقصور لاعيان البلد كان فاضل يسرّح فيها ابصارهُ ويتمنَّى لنفسهِ نظيرها

وكانت عربتهما تواجه في سيرها عجلاتٍ كبرى كقطارات السكك الحديديَّة يجرّها ثمانية او عشرة ازواج من البغال. وهذه العجلات تنقل من ستوكتن الى مناجم الذهب كلَّ ما يحتاج اليهِ المعدنون من اللوازم كأدوات الشغل والبارود والمآكل. وهذه العجلات ربَّما حملت اثقالاً ضخمةً تبلغ نحو الف كيلوغرام

ولمَّا صار وقت الظهر نزل المسافران في محطَّة هنالك للغداء. فنفضا ثيابهما من غبرة الطريق المتكاثفة واغتسلا ثم دخلا المطعم. فلم يمضِ عليهما ربع الساعة حتى اشار اليهما الخوذيّ انَّهُ حان الوقت لاستئناف السير. فاجاب المستر نسيب الى سؤْلهِ وهو يعلم انَّ الاميركيين يعدُّون الوقت كالفضَّة لا يحبُّون فقد شيء منهُ

فواصلا اذن سيرهما الحثيث وأويا مساء ذلك النهار الى فندق يُدعى كريمِين هَوس (Cremean House). ولم يزالا يسيران على هذا النمط مدَّة ثلاثة ايَّام حتى بلغا وادي مَكس وِلس كريكس (Mac Wells Creeks) وهناك «بلاد الذهب»

وكان وصول نسيب وفاضل الى تلك الانحاء قبل غروب الشمس بقليل فنزلا في مأوًى هنالك واستأجرا لهما فيهِ مكانًا. وبعد هنيهة من الراحة خرج كلاهما لينظرا المعدّنين. فلمَّا قربا منهم كانت الشمس أزفت الأُفول فرمت باشعَّتها الاخيرة على تلك التربة الممزوجة بشذرات الذهب فما كاد فاضل يراها تتلألأ حتى اسرع الى بعض العملة وطلب منهُ حفنة فعمل فيها منظرهُ عملًا انساهُ كلَّ اتعابهِ السابقة ومحنهِ الماضية كأنَّهُ بلغ ارض الميعاد لم يبقَ لهُ سوى التنعُّم بارفاق الحياة وبذخ العيش (ستأتي البقيَّة)

شذرات

الغرباء في فرنسة — بلغ في العام المنصرم عدد الغرباء في فرنسة ١,١٣٠,٢٠٠ أُحصي منهم ٤٦٥,٨٧٠ بلجكيًّا و ٢٨٦,٠٤٢ المانيًّا. امَّا الفرنسيُّون الذين يعيشون خارج وطنهم فلا يتجاوز عددهم ٥١٧,٠٠٠ واهل فرنسة اقلّ الناس

تغرُّباً في البلاد الاجنبيَّة لا يرضون عن وطنهم بديلًا

الدرَّاجات فيها — تعدَّدت الدرَّاجات في اوربَّة حتى شاع استعمالها في كلّ بلادها . وفي العام الماضي كان عددها بالغاً في فرنسة وحدها ٤٠٨,٨٦٩ درَّاجة على هيئات مختلفة يدفع اصحابها من الضرائب للحكومة ٤,٠٦٠,٨٠٠ فرنك

البيض في باريس — بيع منهُ في باريس في السنة ١٨٩٧ نحو ٥٣٠,٠٠٠,٠٠٠ بمعدَّل ثمن ٨٥ فرنكاً في كلّ الفٍ

صورة الكرة الارضيَّة لتدريس الجغرافية — اخترع احد اساتذة الجغرافية في باريس صورة جديدة للكرة الارضيَّة لتدريس علم الجغرافية وذلك انهُ صنعها على هيئة المظلَّات تُفتَح وتضمّ كانّها شمسيَّة . فاذا نُشرت خلتها كرةً فيها خطوط الطول والعرض وهيئة البحار والقارات الخمس مع اسماء بلادها وحواضرها وكلُّ ذلك بالوان مختلفة واذا بطل استعمالها أُطبقت وغُلِقت بغلاف بحيث يسهل نقلها من مكان الى آخر دون كُلفة كبرى

البنّ في المعمور — يؤخذ من مجلَّة تجاريَّة انكليزيَّة انَّ مُجتنى البنّ سنويًّا في المعمور يبلغ ١٢,٠٠٠,٠٠٠ كيس اعني ٧٩٢,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام يُجمع ثُلثا هذا المستغَلّ من بلاد البرازيل . وتجارة البنّ تجارة رابحة يروج سوقها في العواصم الكبرى لاسيما في نيويرك وهنبرغ وامستردام ولندرة وانفرس . وما يُنفق من البنّ في شرب القهوة كلَّ سنة نحو ٧٧٩,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام . وللولايات المتَّحدة السبق على كل الدول في كثرة شربها القهوة فانَّها وحدها انفقت في السنة المنصرمة ٢٩٢,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام من البنّ . فممَّا تقدَّم ترى ما لهذه التجارة من الرواج . فيا حبَّذا لو سعى اهل بلادنا في زراعة البنّ لما تجديهم من الارباح الطائلة

اكل السَّمك — لا يخفى ان المادَّة المغذيَة في المآكل هي الازوت فاذا كثر في طعام ما زاد نفعهُ للصحَّة . وقد بيَّنت الاختبارات المعدَّدة انَّ السَّمك من هذا القبيل افضل من اللحم لانَّ الموادّ الازوتيَّة فيهِ اكثر من اللحوم . وفي اكل السمك فائدة اخرى وهي انَّهُ لا يخلى من مادَّة الفسفور الذي يدخل في تركيب الهيكل البشري كالعظام والدماغ . وفي هذا شاهد جديد على فضل الصوم والانقطاع عن مأكل اللحم في بعض فصول السنة فتأمَّل



تنظيف الورق من بُقَع الحبر اذا دخل العفص في تركيب الحبر يتوارى بقعهُ بنقطة من الخلّ. واذا رُكِب من الانيلين يبلّل الموضع بقليل من الكلور

منع الحديد من الصدأ اذا ركب الصدأ الحديدَ فلا يلبث ان يفسد و يتلف فلا يصلح لحاجة وذلك لانَّ التأكسُد يقسّم دقائق الحديد فيضحي متفتتاً لا صلابة لهُ. وقد اخترع الكيميُّون المحدثون مزيجاً يدخل فيهِ الصوَّان يحلّلونهُ ويغمسون فيهِ الحديد او يطلونهُ بهِ فيتشرّبهُ معدن الحديد بحيث يدخلُ في كلّ اجزائهِ فيصبح صلباً لا يعمل فيهِ اكسيجين الهواء فيبقى ما شاء الله دون ان يصاب باذى

وصفة لقتل النمل خذ اناء مملوءا من الماء واجعل فيهِ قليلاً من العسل بقدر قِمع الخيّاط (كشتبان) فيتوارد عليهِ النمل و يغرق في الماء

الطاعون والفار والبراغيث انَّ الهوامَ من الآفات التي ابتُلي بها البشر وهي فضلاً عن أذاها الخاصّ كثيرًا ما تنفث في جسم الانسان جراثيم الادواء العُضالة. وكان الدكتور كوخ منذ سنتين تحقّق انَّ البعوض ينقل في بعض نواحي ايطالية جراثيم حمّى المستنقعات المعروفة بالملاريا فيعدي بها الانسان. وفي الاشهر المتأخرة بيّن الدكتور سيمُنْد ان عدوى الطاعون اوّل ما تنشأ تصيب الفار. ثمَّ يتعدّى منها الى الانسان بواسطة البراغيث فان البراغيث تمتصُّ دم الفأر والجرذان بنَهَمٍ ثمَّ تنزل على الانسان ضيفاً مكروهاً فتجيز اليهِ جراثيم الموتان

دواء الفيلوكسيرة اتصل العلاَّمة هنري كوپن (H. Coupin) الى علاج الفيلوكسيرة بدواء افضى استعمالهُ الى نتائج حسنة وذلك انهُ يعمد الى مزيج «سيانور البوطاسا» يحلّهُ بالماء بنسبة واحد في المئة ثمَّ يسقي بهذا المحلول جذور الكرم فتُقتَل هوامّ الفيلوكسيرة بعد قليل. ويجوز ان يؤخذ منهُ قطع صلبة فتُلقى في الكرم. فاذا نزل المطر تحلّل وتشرّبتهُ الارض فيقتل دويبات الفيلوكسيرة. وهذا المحلول من السموم التي لا تضرُّ بالنبات لكنهُ قتّال للهوام

علاج الحرق اوصى الدكتور لرجر (Larger) باستعمال كلورات البوطاسا لعلاج الحرق. فاذا غُمس العضو المحروق في هذا المزيج بعد حلّهِ في الماء لا يلبث ان يخمد وجعهُ. واذا لم يوجد منهُ محلول فيذرّ منهُ حفنةٌ في اناء ثمَّ يُصفّى بعد انحلال الملح ويوضع فيهِ العضو الموجوع فيبرأ

اسئلة واجوبة

س عرض علينا جناب الاديب الياس افندي فتّال الاسئلة الآتيـة: ١ً هل يمكن الانسان ان يكون صاحب شرف من دون ان يكون متمسّكاً في الدين اعني هل يقوم الشرف بلا دين. ٢ً هل عمّ الطوفان كل الدنيا حتى قارة اميركة. ٣ً كيف انقطعت العلائق بين اميركة و بقيّة العالم. ٤ً هل انتشرت النصرانيّـة في تلك الاقاصي قبل كريستوف كولومب

١ الشرف والدين

ج اذا اريد بالشرف بعض الاستقامة في السيرة بين الناس وحسن التصرُّف في المعاملات فانَّ هذا ممكنٌ لان الذي لا دين لهُ ربَّما انقاد الى بعض الاعتبارات البشريَّة التي من شأنها ان تردعهُ حيناً ما عمَّا يشين بهِ شرفهُ كحسن السمعـة بين الناس وراحة الفكر والمضرَّات التي تنتج من سوء العمل الى غير ذلك. الا انَّ هذا من النوادر لانَّ الاعتبارات السابق ذكرها كثيرًا ما تناقض اهواء القلب والهوى اعمى كما لا يخفى فاذا ثار ثائر الهوى لا يكبح جماح الانسان عنانٌ سوى الدين ودواعيهِ. امَّا اذا اريد بالشرف التحلّي بالفضائل والصلاح وعمل المبرَّات والقيام بالواجبات فانَّ ذلك لا يُنال الَّا بالدين

٢ هل عمَّ الطوفان كلَّ الدنيا حتَّى قارة اميركة

ونجيب على السؤَال الثاني انَّ الطوفان العرمرمي عمَّ كلَّ البلاد التي كان يسكنها البشر لانَّهُ كان عقاباً اوجبهُ الله عزَّ وجل على الجبلة الآدميَّة لما اقترفتـهُ من المآثم. امَّا البلاد التي لم يكُ بعدُ احتلَّها البشر فانَّهُ الارجح انَّ الطوفان لم يعمَّها. والمظنون انَّ اميركة وقتئذٍ لم تكن مأهولة

٣ العلائق بين اميركة وبقيَّة العالم في القرون السالفة

ج دخل الناس قارة اميركة من جهتين: من ناحية الشمال بعد ان قطعوا بوغاس بيرنغ الفاصل آسيَّة عن أُوربَّة وليست المسافة بينهما كبيرة. ولعلَّ هذا البوغاس لم يكُ بعد موجودًا لمَّا اجتاز البشر الى قارة اميركة لانَّ الجيولوجيين يثبتون انَّ اميركة كانت متَّصلةً بقارة آسيَّة في القرون السالفة. ودخلوا من ناحية الجنوب حيث يُظنّ ان بعض السفَّارة قدموا اليها بحرًا. امَّا انقطاع العلائق بين اميركة وبقيَّة الارض من هذه الجهـة فلانَّ



فنّ البحارة لم يبلغ بعدُ كمالهُ كما جرى في الاعصار المتأخرة فكان السفر الى جهات اميركة معرَّضًا الى اخطار جمّة . وسبب انقطاع هذه العلائق من جهة الشمال فلانّ شرقي شمالي آسيّة لم يسكنهُ سوى قبائل سادت عليها الهمجيّة لم يكد العالم المتمدّن يعرف من امرها شيئًا فضلًا عن انّ تلك البلاد يقرس فيها البرد لا يسكنها من البشر الّا القليلون

٤ انتشار النصرانيّة في اميركة قبل كريستوف كولومب

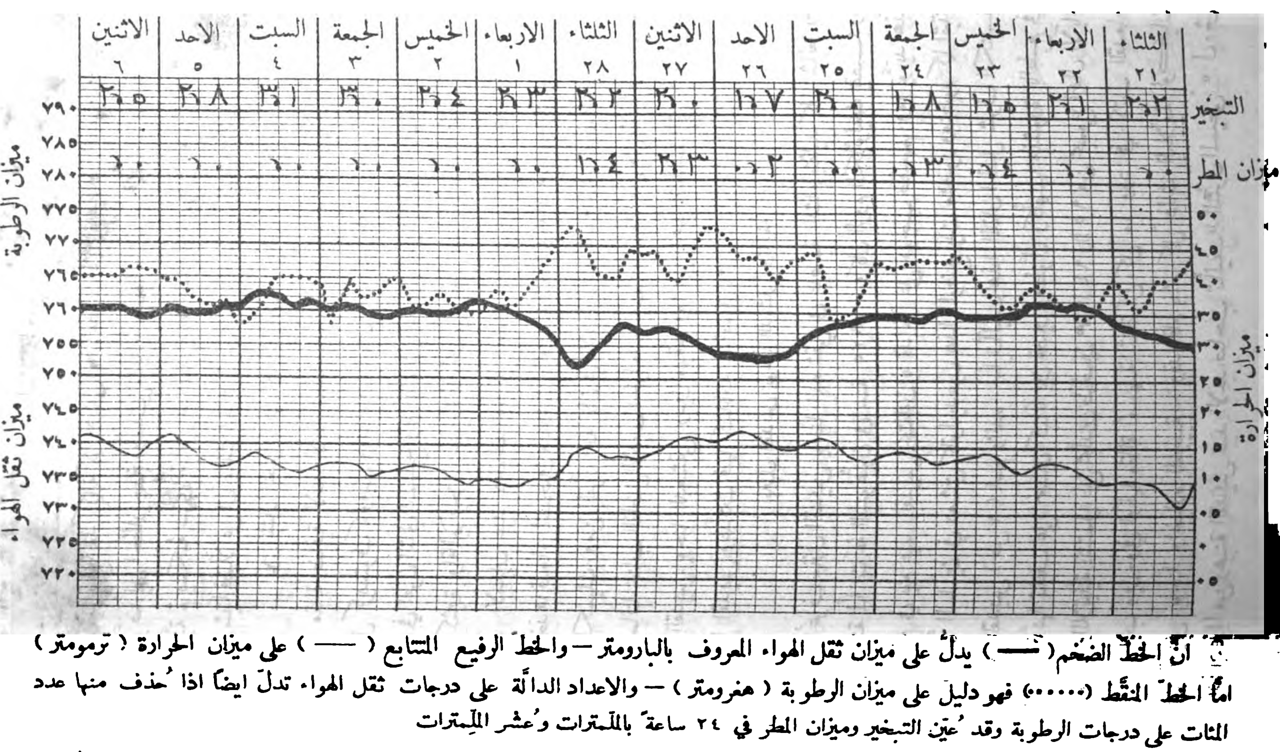
قرأنا مقالةً ضافيةً لاحد الآباء اليسوعيين يثبت فيها انّ النصرانيّة كانت دخلت اميركة قبل كريستوف كولومب وقد استند لبيان رأيهِ الى اقاويل بعض الآباء الاقدمين كترتليان في القرن الثاني للمسيح وقد قال في ردّهِ على اليهود « انّ الدين المسيحي انتشر بين امم كثيرة واقاليم وجزائر عديدة لا تُحصى وهي مجهولة عندنا » . ثم ذكر صاحب المقالة انّ الاسبان عند دخولهم اميركة وجدوا آثارًا تدلُّ على النصرانيّة كصلبان ورموز اتّخذها قدماء المسيحيين وعادات عُرف بها النصارى وقد قفوا على ذلك خصوصًا في بلاد المكسيك . ومن المقرَّر انّهُ كان في بلاد غروينلد اساقفة في القرن الثاني عشر

س وسالنا جناب الفاضل الاديب الخواجا حبيب زيّات : « مَن من السيّاح اوّل من ذكر منزل القديس يوحنّا الدمشقيّ وعيّن موقعهُ وما هي اهمّ التآليف التي ذُكرت فيها ترجمة هذا القديس وعدّدت فيها كتاباتهِ بالتفصيل »

منزل القديس يوحنّا الدمشقيّ وتآليفهُ

ج عُرِف منزل القديس يوحنّا الدمشقي في عاصمة الشام بتقليد كان شائعًا بين اهل المدينة لمّا ابتاعهُ اليسوعيّون في سنة ١٨٧٥ . وكان الروم الكاثوليك يقصدون هذا المقام في يوم عيد القديس يحتفلون بهِ قداسًا على موجب طقسهم . وما يؤيّد هذا التقليد انّ المسلمين في دمشق كانوا يدعون هذا الموضع بيت منصور ومنصور كما اثبتنا في ترجمة القديس (ص ٩) اسم والدهِ . امّا تآليف هذا الملفان الجليل شرف الكنيسة اليونانيّة فانّها تنيف على خمسين كتابًا بين قصير ومطوّل وكلّها منشورة بالطبع في اليونانيّة واللاتينيّة تشتمل على مجلّدين ضخمين هما الـ ٩٤ والـ ٩٥ من مجموع اعمال الآباء اليونان للاب مين . وفي اوّلها مقالة مُسهبة تتضمّن كلّ ما ورد في كتب القدماء عن القديس يوحنّا واخبارهِ العجيبة . وقد قام بنشر كلّ ذلك العلّامة لوكيان (Lequien) من رهبنة القديس عبد الاحد صاحب تأليف « الشرق المسيحيّ » ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢١ شباط الى ٦ اذار ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

المشرق

الكرسي الرسولي والطقس اليوناني

لجناب الاديب الفاضل حبيب الزيّات

احد ابناء طائفة الروم الكاثوليك الملكيين في دمشق

لم يكن يُظنّ بعد ما ورد في رسالة الاب الاقدس التي اصدرها سنة ١٨٩٤ (١ للتنويه بشرف الكنائس الشرقيَّة وتأييد طقوسها وتعزيز حقوقها ولاسيما اليونانيَّة منها ان يبقى فريق من طائفة الروم الملكيين خاصَّةً يتوهَّمون ان الكرسي الرسولي لا يزال طامعاً في تضييع امتيازاتهم يتحيَّن غفلةً منهم ليبادر الى خرق عوائدهم توصُّلاً بذلك الى ما يضمرهُ من مساواتهم بسائر الطوائف اللاتينيَّة. ولذلك لمَّا كان الانتخاب الاخير قامت بعض الصحف المتطاولة تدَّعي لهُ اغراضاً في النفس زعمت انهُ ساعٍ في تحقيقها عاملٌ سرًّا على انفاذها فصادف ادّعاؤُها هذا هوًى في نفوس البعض همَمتُ لاجلهِ ان اجمع اقوال الاحبار الاعظمين وأسرد احكامهم التي قضوا فيها بوجوب تأييد الطقوس الشرقيَّة كما وضعها آباؤُها القديسون ونهوا في حينها ان تُمَسّ الرسوم والتهذيبات اليونانيَّة بتبديل او تعديل. ثم علمتُ ان مثل هذه الاقوال والاحكام على عمومها وتناولها بقيَّة الكنائس المشرقيَّة قد لا تقنع الإقناع الكافي اذا لم تُعزَّز ببعض الشواهد الخاصَّة بدِخلة الطائفة المنصوص فيها على نظاماتها وسُننها. فجعلتُ اذ ذاك دأبي التنقيب عن اشباهها اكتفاء بها عن غيرها وحرصتُ دفعاً للتُهمة ومبالغةً في الاحتجاج ان انقلها عن راوٍ لها يكون روميًّا ملكيًّا متحمّساً في طائفيَّتهِ متشدّداً في عصبيَّتهِ حتى ظفرت

(١ اوّلها : Orientalium dignitas Ecclesiarum

منها بسدادٍ من عوز في كتاب مخطوط من تأليف السيد غريغوريس عطا المشهور دعاهُ « حوض الجداول التاريخيَّة في طائفة الروم الكاثوليكيَّة » . فانَّهُ بعد ان نقل غالب التمهيد فيهِ من الرسالة العامَّة التي اصدرها البابا بناديكتس الرابع عشر في ٢١ ك ١ سنة ١٧٤٣ (١ قال في اثنائهِ :

« في القرن الثامن عشر سنة ١٧١٦ ارسل السيّد افتيمس الصيفي الشهير الروم الكاثوليكي مطران صيداء واستفتى الكرسي الرسولي عن بعض رسوم كان يرغب تغييرها من الطقس الرومي فصدر الجواب ان لا يُبتدَع في الطقس الشيء كما يشير الى ذلك البابا بناديكتس في رسالتهِ السابق ذكرها في العدد السادس والعشرين »

ولا يخفى ان الطائفة لذلك العهد لم تكن قد تميَّزت بعد من شقيقتها المنفصلة تميُّزًا تامًّا ولا اجتمعت لها هذه الأُمة التي تتباهى اليوم باستقلالها ومنزلتها وتتبارى في المناضلة عن احسابها وتقاليدها . وانَّما كان ابناؤها حينئذٍ فئات متفرّقة في ديار متباينة لا تصل بينهم صلة ولا تجمع كلمتهم جامعة بين اقوام يلحظونهم شزرًا ويوسعونهم ضرًّا بحيث كانوا لا يجسرون على المجاهرة باعتقاد ولا يقوون على دفع ما ينالهم من اذيَّة الاضطهاد . كما يدلّ على ذلك الاعلام الديوانيّ الصادر في تبرئتهم والمدافعة عنهم في المحكمة الشرعيَّة في مدينة صيداء سنة ١١٣٥ للهجرة المدرجة نسختهُ في كتاب « القائد الامين »

فلو كانت رومة قد شاءت يومئذٍ ان تُحدث في الطقس اليوناني جديدًا او تغيّر منهُ قديمًا لاسيا وقد خاطبها في هذا الصدد اشهر احبار الطائفة واول موسس لرهبانيَّتها المخلصيَّة لوجدت المنال في ذلك دانيًا قريبًا وألفت الطريق اليهِ سهلًا رحيبًا دون ان تحذر غضب اقوامٍ يُنذرونها بالشقاق والافتراق او تخشى تطاول صحفٍ تناديها منها مثل الاهرام « ان تقصر عملها على ما يكون في جانب الاحترام » (٢ . ولكنها بدلًا من ان تُخطر ذلك في وهمها لم تلبث ان ارسلت تقول في الرسالة المشار اليها في العدد الثالث (٣ : « قد قرَّرنا في شأن طقوس وعوائد الروم قرارًا تجب مراعاتهُ قبل كلّ شيء انَّهُ لم يجز قطّ ولا يجوز ابدًا لايّ كان مهما كانت صفتهُ ومهما بلغت منزلتهُ وأيًّا كان سلطانهُ ولو كان بطريركًا او اسقفًا ان يبتدع فيها بدعةً او يختلق جديدًا من شأنهِ ان

١) بدء هذه الرسالة : Demandatam ٢) الاهرام في مقالتها من الاسكندريَّة في ٩ آب سنة ٩٨ ٣) Demandatam § 3

يبطل حفظها بالتمام والتدقيق ». وتقول بعد ذلك بقليل: « اننا ننكر التغييرات التي احدثها في بعض عوائد الكنيسة اليونانيَّة هذا الاسقف من تلقاء سلطتهِ الخاصة دون استشارة الكرسي الرسولي ونقضي ببطلانها باسرها آمرين ان تحفظ في المستقبل كل طقوس وعوائد الكنيسة اليونانيَّة كما وضعها آباؤها حفظًا كاملًا مطلقًا »

ولم يكتفِ الكرسي الرسولي بهذا القرار الذي كان يمكنهُ لو كان لهُ في نفسهِ أمنيَّة يروم قضاءها ان يقتصر على اصدارهِ قولًا ويدع للطائفة حقَّ حفظ طقوسها الخاصة ملقيًا على عاتق اساقفتها تبعة تغيير رسومها بل شاء عنايةً منهُ بشؤونها وحرصًا على صيانة تقاليدها من كل آفةِ تبديلٍ يعنّ لرعاتها ان يحتاط فعلًا لانفاذ حكمهِ الذي قضاهُ في إزالة ما طرأ من التغيير على يد رئيس اساقفة صيداء ويحمل البطريرك وقتئذٍ على اجراء ما حتم بهِ اضطرارًا اذا لم يشأ اجراءهُ اختيارًا. فأوعز الحبر الاعظم يومئذٍ البابا بناديكتس الثالث عشر الى مجمع الانتشار الايمان فأصدر في ثامن تموز سنة ١٧٢٩ قرارًا صادق عليهِ بنفسهِ وجدَّدهُ من بعده البابا بناديكتس الرابع عشر واشترط فيهِ على البطريرك المنتخب جديدًا انهُ قبل ان تُرسَل لهُ درع التثبيت يقسم « بان لا يغيّر لا بنفسهِ ولا بيد الذين هم في سلطانه تغييرًا ما في طقوس الكنيسة اليونانيَّة وعوائدها المحمودة المصادق عليها من لدن الاحبار الرومانيين والمتَّبعة عند الروم الكاثوليكيين. وان يصرف كل عنايتهِ ويبذل اقصى جهدهِ لإعادة الرسوم التي بدَّلها افتيمس رئيس اساقفة صيداء الى ما كانت عليهِ من قبل » (١

وهذا الشاهد الاخير وحدهُ كافٍ لإقناع كل متنزّهٍ عن الهوى ان الكرسي الرسولي ما برح منذ جرى الانفصال المشؤوم الى الساعة الحاضرة ساهرًا على رعاية الكنيسة اليونانيَّة دائبًا في حمايتها وصيانة طقوسها مهتمًّا بتأييد امتيازاتها والذبّ عن حقوقها اجلالًا منهُ لقدرها ان تعبث بهِ ايدي الاهواء وتنزيهًا لشرفها ان تبتذلهُ عوامل الاغراض. وقصاراهُ في ذلك استصلاح بنيها الذين انتزعتهم من حضنهِ الابوي مآرب السياسة. واسترجاع خرافها التي نفَّرتها عن حظيرتهِ الكاثوليكيَّة بعض اطماع الرئاسة
وحسبُ المرتاب في ذلك مراجعة رسالة البابا بناديكتس الرابع عشر التي ارسل يجيب

(١ Demandatam § 19



بها في ٢٦ تموز سنة ١٧٥٥ (١ على سؤال القاهُ على مجمع انتشار الايمان بعض المرسلين في البصرة. فانهُ قد ضمَّنها وحدها قرارات اثني عشر حبرًا من قبلهِ وعدَّد فيها جملةً من اعمال الكرسي الرسولي كلها ناطقة بالدفاع عن الطقوس الشرقيَّة عمومًا واليونانيَّة خصوصًا آمرة بالتشدُّد في حفظها والجري بحسب عوائدها ورسومها دون ادنى تصرف او تبديل. واخصُّ منها بالدفاع عن الطائفة وردّ المطاعن التي طعن بها على طقوسها بعض المنتقدين الغربيين براءتهُ التي خطَّها في غرَّة اذار سنة ١٧٦٥ (٢ وحتم بها على الروم الملكيين استعمال الطبعة الجديدة من كتاب الافخولوجيون الذي كان قد أمر بتنقيحهِ لهم خاصَّةً. ولولا حبُّ الاختصار لأوردت منها ما يشهد الشهادة الصادقة بمحبَّة الكرسي الرسولي للكنيسة اليونانيَّة وعنايتهِ الدائمة بالتنويه بقدرها وتبرئة ساحتها من كل ما يعيبها بهِ بعض ضَعفَة المؤلّفين

لا جرم ان المعتقِد في الكرسي الرسولي حبّ الاستيلاء على الكنيسة اليونانيَّة والتدخُّل في شؤونها الخاصَّة لهدم اركان طقوسها واستدراج بنيها الى اللاتينيَّة لا يبني معتقدهُ هذا على حجَّة راهنة تؤيد ما يدَّعيهِ ولا يستند في ما يزعمهُ الى شواهد حقَّقها النظر في الماضي ودلَّ عليها البحث في الحاضر. وانَّما يرتئي ما يرتئيهِ لمجرَّد اوهام سطت على العقول ولغطت بها الافواه ينفثها ذوو الاغراض في صدور المغفَّلين خدمةً لمآربهم وسعيًا وراء منفعتهم

وممَّا يعين عليها اعتقاد فريق منهم انَّ الروم الملكيين في هذه الديار خلا اخوتهم المنفصلين هم اوحد من يمثّل الكنيسة اليونانيَّة فلذلك يسعى الكرسي الرسوليّ جهده في ملاشاة امتيازاتهم ليتوصَّل بذلك الى ما يبتغيهِ من توحيد الطقوس كلها وتغليب اللاتينيَّة عليها بين الطوائف الخاضعة لسلطانهِ. ولو تعلَّم هؤلاء لعلموا ان في الديار الغربيَّة أممٌ يفوقونهم عددًا وعُددًا يتبعون نظيرهم الطقس اليوناني منهم الروتانيُّون والرومان والبلغار وغيرهم. فلو صحَّت المطامع التي تُنسب جهلًا الى الكرسي الرسولي لكان يجب ان تتحقَّق قبلًا في جماعتهم وإلَّا فكيف يعتقد عاقل ان رومة يتخطَّى مثل هؤلاء الشعوب الذين يناهزون ستة ملايين على قرب مُتناوَلهم منها وميل بعضهم الى اللاتينيَّة وتعمد الى طائفة لا تكاد تتجاوز مئة وعشرين الفًا لتبتلعها على

١) اوَّلها: Allatæ sunt

٢) تبتدئ بقولهِ: Ex quo primum

عزّة مأخذها وشدَّة تعلّقها بتقاليدها وكونها شقيقةً لطائفة تحبّ استصلاحها. بل ان في رومة نفسها وفي جوارها عدَّة اديار وكنائس يونانيَّة فكيف يتغاضى الكرسي الرسولي عنها وهي ادنى اليهِ من حبل الوريد ولا يُبصر الّا هذه الكنائس النائية في تلك الاقطار القاصية. ولذلك كتب البابا لاون التاسع في جوابه للبطريرك ميخائيل كورولاريس: «عندنا هنا في رومة وفي ظاهرها عدَّة اديار وكنائس يونانيَّة لم يتعرَّض احد لمسّ تقاليدها وعوائد آبائها بل نحن بالعكس ننصح لها ان تتمسَّك بها وننبّهها الى المحافظة عليها. لان الكنيسة الرومانيَّة لا تجهل ان اختلاف العوائد حسب اختلاف الازمنة والامكنة لا يكون عقبةً في سبيل خلاص المؤمنين اذا كان الايمان الواحد في المحبة الواحدة الساعية في الخير جهدها يشفع فيهم كلهم عند إلهٍ واحد (١)»

وممَّا يشهد ايضًا بسلامة الطقس اليوناني في الديار الغربيَّة ما ذكرهُ صاحب «حوض الجداول التاريخيَّة» حيث قال ما نصُّهُ: «في هذا القرن (الثامن عشر) اثبت البابا المذكور (بناديكتس) مجمع زاموشا (Zamosk) وهي مدينة في روسيَّة. والمجمع مختصّ بطائفة الروم الروتانيين. فحدَّدهُ قائلًا: انّنا بتثبيتنا المجمع المذكور لا نريد اصلًا ان نبطل شيئًا من رسومات سلفائنا الاحبار الرومانيين بخصوص طقوس الروم التي يجب ان تستمرّ دائمًا على حالها (٢)»

وعلى ذلك فلم يبقَ محلّ لاحد ان يظن الظنون في نيَّات رومة في الطائفة بعد ما اثبتناهُ من محبَّتها الشديدة للطقوس اليونانيَّة وغيرتها الدائمة على حراستها من تسلُّط كل بدعةٍ او اختلاف. ومن ثمَّ عاد من العبث المحض «ان نحتفظ كل الاحتفاظ بحقوقنا وامتيازاتنا المؤيَّدة منها» (٣ في حين انَّها احرص منَّا على حفظ هذه الحقوق سالمةً من الضياع. وارغب في بقاء هذه الامتيازات معزَّزةً باشدّ ما يُستطاع. وكل منصِف متجرِّد عن الهوى يعلم اليوم علم اليقين ان رومة ليست هي بالتي «تعمل بيدها على ما يجر نفارًا ويجلب شقاقًا» (٣ بل انَّها الوالدة التي لا تعمل الّا على الوفاق والائتلاف. ولا تسعى إلّا في إصلاح ذات البين وحسم دواعي الخلاف. وقد دلَّت سياستها في الشرق

١) Lettre à Michel Cérulaire

٢) راجع رسالة البابا بناديكتس الثالث عشر المفتتحة بقولهِ: Apostolatus officium

٣) الاهرام في مقالتها السابقة الذكر

والغرب معاً انها لا تغفل لحظة عن بذل كل ما في طوقها لاستصلاح بنيها المارقين من طاعتها. الشاردين من حظيرتها. فكيف يعتقد عاقل انها «تعمل بيدها على ما يجر نفارًا ويجلب شقاقًا» بين المعتصمين بحبلها المستظلين بظلها ولاسيما هذه الطائفة الرومية الملكية التي ما برحت موضوع عنايتها الابوية «لا تدخر وسعاً في سبيل ترقيتها ورفع شأنها وابلاغها المقام الذي يضمن لها التوسع والانتشار بما هيأت لها من اسباب النجاح وخصتها بهِ من المنح الحافظة لصبغتها الكافلة لدوام ميزتها» (١ فضلًا عن ذلك الاحسان الذي ما فتئت تفيضهُ عليها من معين فضلها العميم. وذلك الحنان الذي لبثت تحنو بهِ عليها حنوّ الوالدات على الفطيم

فكانت لها عمًّا لطيفًا ووالدًا   رؤوفا وأمًّا أفرشت فأنامتِ

فاذا عُرف والحالة هذه ما يكنّهُ فؤادها الابوي من المحبّة المخلصة للطائفة مع الحرص على رعاية تقاليدها واتباع رسومها حيثما لا تكون هذه التقاليد والرسوم في بعض احوالها ومقتضياتها عَقبةً في سبيل نموّها وصلاحها. وسُدًّا في وجه تقدّمها ونجاحها. لم تبقَ حجّة لمنصف عَدلٍ مهما كان شديد التعلّق بقديمه ان يُنكر عليها حقّها في رعاية الانتخاب الذي اندرأت عليها من اجله الصحف المتطاولة بكلام دفعهُ فيها الغضب الأخرق فألقتهُ على عواهنهِ دون تروٍ ولا إمعان. وقد اثبتنا في مقالتنا في البصير (١٢ت٢ سنة ٩٧) ان ليست هذه اول مرّة شهدت فيها رومة بواسطة قصّادها مجمع الانتخاب

وعثرنا اليوم على اثر عن بعض هذه المجامع الملتئمة في القرن الماضي بخطوط مؤلفيهِ انفسهم واختامهم يشهد الشهادة الصريحة بمطابقة ما اثبتناهُ للواقع او يكون حجّةً جديدة تقطع باثباتهِ وتُعين على تصحيح حقوق الكرسي الرسولي لدى كل مدافع متشبّث باهداب الطقس. ونحن نورد ههنا نسخة هذا الاثر عن اصل لهُ محفوظ عند جناب الوجيه ميخائيل افندي السيوفي نذكرهُ برمتهِ نظرًا لمكانتهِ التاريخيّة وكونهِ من جملة الادلّة الروميّة الملكيّة التي اشترطنا على نفسنا ايرادها في صدر مقالتنا هذه. وهذا نصّهُ بالحرف الواحد:

«المجد لله دائمًا

«النعمة الالهية والبركة السمويّة الحالّة على الزمرة الابوسطولية الاطهار في الغرفة

١) البشير العدد ١٢٩٧ في رسالتهِ من دمشق في ٢٤ آب سنة ٩٨



الصهيونيّة تحلّ وتستقرّ على ذات حضرة اولادنا الروحيين مصافّ الآباء الخوارنة الموقرين وطغمة الكهنة الورعين والاراخنة المبجلين وباقي لفيف المسيحيين اولاد بيعة الله الكاثوليكيين الموجودين ضمن ابرشية الكرسي الانطاكي والاسكندراني والاورشليمي المكرمين بارك الرب الاله عليهم وعلى اعيالهم وانجالهم وانفسهم واجسادهم وسائر تصرفاتهم باتم البركات السمويّة آمين

« نعلم محبتكم انهُ اذ كان الباري تعالى بهذه الايام المباركة المملوءة من الاكدار قد نقل السيد كيريو كير كيرللس البطريرك الانطاكي من هذا العالم الفاني لتلك الاخدار السمويّة ليهبهُ اكليل سعيهِ الصالح بالكرْم السيدي وفرغت كاتدرا الكرسي الانطاكي المقدس من البطريرك المتسلم عكاز رعايتها فلذلك نحن اساقفة هذا الكرسي المقدس من حيث انهُ يخصنا انتخاب البطريرك الشرعي اجتمعنا في دير القديس ماري جاورجيوس الغرب بذواتنا وبالنيابة عن اكليروس وارخندوس ابرشياتنا ورعايانا كلها ثم عن اكليروس الكرسي الانطاكي وارخندوسهِ وباقي رعيتهِ واكليروس وارخندوس رعايا الكرسي الاسكندري والاورشليمي المقدسين. وبعد التوسل الى الروح القدس والابتهال والفحص الشافي والبحث عن كل ما يجب دخلنا كنيسة الدير المذكور في اليوم الحادي والثلاثين من شهر آب سنة ١٧٩٦ لاجل الاقتراع القانوني لانتخاب البطريرك الجديد « بحضور الشهود الشرعيين القانونيين المزينين بالعلم والخبرة الكافية ». واكملنا الاقتراع المقدس بموجب ترتيب القوانين المقدسة فتمّ الاقتراع القانوني الى السيد كيريو كير اغابيوس مطر مطران مدينة صيداء الكلي الطوبى وانتخب بطريركًا للسدة الانطاكية المقدسة انتخابًا شرعيًا كنائسيًا كاملًا حسب القوانين المقدسة المسكونية المرتبة من الآباء القديسين وجميعنا سلمناهُ عكاز الرعاية وخضعنا لهُ خضوعًا قلبيًا. نسألهُ تعالى ان يهبهُ التأييد العلوي ويجعل انتخابهُ هذا المقدس واسطة البركات والنعم السمويّة والارضية لجميع الرعايا. هذا ما وجب تحريرهُ الان لمحبتكم بعد تجديد البركة عليكم ثانيًا وثالثًا

« حرر في ١ شهر ايلول سنة ١٧٩٦ ستة وتسعين وسبعمائة والف

« الحقير في روساء الكهنة: باسيليوس مطران الفرزل والبقاع †. الحقير الخ: يوسف مطران قارا †. اغابيوس مطران ديار بكر †. مكاريوس مطران عكا والاراضي

المقدسة † . اغناطيوس مطران بيروت † . برثانيوس رئيس اساقفة صور † . بناديكتوس مطران بعلبك †

ولا حاجة الى التنبيه على جلالة هذا الاثر الصادر عن رؤساء الكهنوت انفسهم الصادع بما لا يدع ريبةً في النفس . وموضع الشاهد فيهِ « حضور الشهود الشرعيين القانونيين » الجامع الملتئمة للانتخاب . وعليهِ فان كان لم يكن بين عداد هؤلاء الشهود بل في مقدمة جميعهم النائب الرسولي ولا غيرهُ اثبت منهُ حقًّا وأجدر صدقًا باداء الشهادة فكيف يسوغ اليوم لكاثوليكيّ صادق المحبة للسدة الرسولية ان يستجيز تأدية هذه الشهادة لنفسهِ على كونهِ رعيَّةً من اوجب فروضها تلقّي نتيجة الانتخاب بالقبول والإذعان ولا يستجيزها للاب الاقدس على كونهِ الراعي الاول الذي يحتاج ان يتحقق قانونية انتخاب من يشاركهُ في الرعاية قبل ان يجيب الى تثبيتهِ ويصدّق على تنصيبهِ . وإلّا فاين الصدق في هذه المحبة التي تتقاضى ما لها وتأبى ما عليها . أجل لقد حان لهذه الفئة المتستّرة باذيال الطقس الجاهلة في يومها ما كان في الامس . ان تطّرح الغرور والخيلاء . وتُخلص الطاعة والانتماء . فقد كفى ما جَنتهُ بفعلها من العار . وجرّتهُ بقولها من العِثار . وقد قيل كن يهوديًّا تامًّا والّا لا تلعب بالتوراة

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رتزڤال اليسوعي

(تابع لما قبلهُ)

الفصل الرابع

في قسمة الديوان الى ديوانَين متشاكلين

قد عُلم بما تقدم بيانهُ البعد الكائن بين كل برج وبرج على التوالي . فظهر ان الديوان ينقسم الى قسمين متشاكلين احدهما من اليكاه الى الدوكاه والثاني من الرست الى النوى فيكون كل قسم منهما خمسة ابراج لان برجَي الرست والدوكاه يتوافقان

مع القسمين (١ وهكذا برج النوى يتوافق مع القسم الثاني من الديوان الاول ومع القسم الاول من الديوان الثاني (٢. وهذه المشاكلة الكائنة بين القسمين هي لكون البُعد بين كل برج ومجاوره من الابراج في كل قسم منهما متساويًا. لانَّ البعد بين اليكاه والعشيران كالبعد بين الرست والدوكاه والبعد بين العشيران والعراق كالبعد بين الدوكاه والسيكاه والبعد بين العراق والرست كالبعد بين السيكاه والجهاركاه والبعد بين الرست والدوكاه كالبعد بين الجهاركاه والنوى. ولهذا كانت نسبة اليكاه الى العشيران كنسبة الرست الى الدوكاه ونسبة العشيران الى العراق كنسبة الدوكاه الى السيكاه ونسبة العراق الى الرست كنسبة السيكاه الى الجهاركاه ونسبة الرست الى الدوكاه كنسبة الجهاركاه الى النوى. ولذلك صار العمل من الدوكاه الى اليكاه كالعمل من النوى الى الرست وحصلت المشاكلة بين برجَيِ الرست والنوى وبرجَيِ الدوكاه والحُسَيني وبرجَي السيكاه والاوج وبرجي الجهاركاه والماهور. فاذا كان اوَّلها قرار اللحن يسمُّون ثانيهما غمَّازَه لأنَّهُ اقرب الابراج المشاكلة ما عدا برج الجواب فانَّ نسبتَهُ الى القرار اقرب النسَب. فاذا نُقر على ايٍ ونُقر بعدهُ على جوابهِ كان الذّ النقرات للسامع. وبعده في اللذة النقر على الغماز (٣ والبعد بين الغماز والقرار اربعة عشر ربعًا ابدًا قبل اي برج هو

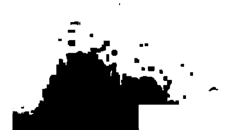
---

١) يريد انَّ البرجَين يختصَّان بكلا القسمين لانَّ الدوكاه آخر القسم الاول والرّست اول القسم الثاني

٢) قد مرَّ ان لفظة الديوان يطابقها كلمة gamme عند الفرنج وان الديوان الاول يمتدّ من اليكاه الى النوى والثاني من النوى الى الرمل توتى. فلما كان هذا الموضع وجميع الفصول التي تليه من الاهمية بمكان عظيم رأينا ان نُلحق هذا الفصل بجدول عام نودعهُ سرد الديوانين العربيين ابراجًا ابراجًا وارباعًا ارباعًا وبازائها الديوان الاوروبي الاكثر شيوعًا في عصرنا هذا. [راجع الجدول المذكور في الوجه الآتي]

٣) قد دعا الاقدمون من اليونان هذا الغمَّاز « البُعْدَ الذي بالخمسة » (τὸ διὰ πέντε) ونقل الفرنج هذه الكلمات الى لغتهم وعبّروا عن الغماز بلفظة (quinte). واماَّ الجواب فهو « البعد الذي بالكل » (τὸ διὰ πασῶν). واعلم ان الفارابي قد جمع بين الغماز والبعد بالكل والبعد بالاربعة فاطلق عليها تسمية « الكمالات او الاتفاقات ». ثمَّ انَّهُ يسمي الصوت الناتج من نَقر طرفَيَ البعد الذي بالكل (octave) « بالكمال الاعظم » وقرارَهُ « بالشحّاج الاعظم » وجوابهُ « بالصيّاح الاعظم ». واماَّ الفرنج فالذّ الابعاد عندهم اوّلا البعد الذي بالثلاثة (tierce). ثمَّ الغماز. فاذا نقروا

الارباع	الديوان الاول ١	الديوان الثاني جوابهُ ٢	طول الوَتَر ٣	عدد الاهتزازات ٤	ديوان الفرنج ٥
	يكّاه	نوى	٠,٠٠	٧٧٥	Sol
١	قب نيم حصار	نيم حصار	١,٠٢	٧٩٧, ٧٩	+ sol
٢	قب حصار	حصار	٢,٠١	٨٢١, ١	sol *dièse* / la *bémol*
٣	قب تيك حصار	تيك حصار	٢,٩٨	٨٤٥, ٣	+ sol *d* / − la
٤	عشيران	حسيني	٣,٩٢	٨٧٠	La
٥	قب نيم عَجَم	نيم عجم	٤,٨٣	٨٩٥, ٤	+ la
٦	قب عجم	عجم	٥,٧٢	٩٢١, ٧	la *d* / si *b*
٧	عراق	أوج	٦,٥٨	٩٤٨, ٧	+ la *d* / − si
٨	كَوَشت	نخفت	٧,٤٢	٩٨٦, ٥	Si
٩	تيك كوَشت	تيك نخفت	٨,٢٣	١٠٠٥, ١	+ si
١٠	رست	ماهور	٩,٠٣	١٠٣٤, ٦	Ut
١١	نيم زركلاه	نيم شهناظ	٩,٨٠	١٠٦٤, ٨	+ ut
١٢	زركلاه	شهناظ	١٠,٥٤	١٠٩٦	ut *d* / ré *b*
١٣	تك زركلاه	تيك شهناظ	١١,٢٧	١١٢٨, ٣	+ ut *d* / − ré
١٤	دوكاه	محيّر	١١,٩٧	١١٦١, ٣	Ré
١٥	نيم كردي	نيم زوال	١٢,٦٦	١١٩٥, ٣	+ ré
١٦	كردي	زوال (او سنبله)	١٣,٣٢	١٢٣٠, ٤	ré *d* / mi *b*
١٧	سيكاه	بزرك	١٣,٩٧	١٢٦٦, ٤	+ ré *d* / − mi
١٨	بوسليك	حسيني شد	١٤,٦٠	١٣٠٣, ٤	Mi
١٩	تيك بوسيك	تيك حسيني شد	١٥,٢١	١٣٤١, ٦	+ mi
٢٠	جهاركاه	ماهوران	١٥,٨٠	١٣٨١	Fa
٢١	عرباه (او نيم حجاز)	جواب نيم حجاز	١٦,٣٨	١٤٢١, ٤	+ fa
٢٢	حجاز	جواب حجاز	١٦,٩٣	١٤٦٣	fa *d* / sol *b*
٢٣	تيك حجاز	جوال تيك حجاز	١٧,٤٨	١٥٠٦	+ fa *d* / − sol
٢٤	نوى	رمل توتى	١٨,٠٠	١٥٥٠	Sol



غماز برج السيكاه مثلًا والسيكاه كائن في الربع السابع عشر. فأضف اليهِ اربعة عشر وهي مسافة بعد الغماز من قرارهِ فتكون الجملة واحدًا وثلاثين تطرح من ذلك اربعة وعشرين [وهي مقدار الديوان الاوَّل] فيبقى سبعة وهي محلّ برج الاوج من الديوان الثاني وهو غمّاز السيكاه. واذا سُئل عن غماز العشيران والعشيران كائن في الربع الرابع فاستخراجُهُ بان يُضاف اليهِ اربعة عشر ربعًا فتكون الجملة ثمانية عشر وهي محلّ ربع البوسليك الذي هو غمّازهُ. وهكذا يجري العمل في اختيار جميع الابراج والارباع ويُعلم محلّ غمّاز كل برج وكل ربع منها (١

شرح الجدول

اعلم ان في العمود الثالث طريقة ثانية لتعريف نسبة النغمات الى بعضها وهي طريقة حسنة مؤسّسة على قياس اجزاء الوتر الكائنة وراء الاصبع عند النَقْر. ولا يخفى ان اوَّل هذه الاطوال لا يساوي شيئًا في مطلق الوتر وان الاخرى تزيد شيئًا فشيئًا على حسب ارتفاع الصوت المحصول عليهِ بينما تكون اطوال الاجزاء المنقورة تنقص بمقتضى النسبة نفسها لانهُ كلَّما قصر الوتر ارتفع الصوت. فهذا كما ترى عكس الطريقة التي ذكرناها في ذيل الفصل الثاني

وان سألنا احدٌ عن سبب وَضْعِنا نغمة « sol » بازاء اليكاه اذ من المعلوم انّ اوَّل برجٍ في الديوان الاوربي انما هو « do » ويسمَّى ايضًا « ut ». قلنا ان النغمات كلها قياساتٌ ونسبٌ فلا مانع يمنعنا عن الابتداء باي برج كان اذا ما راعينا بتدقيق القياسات والنِسَب الكائنة بين الابراج والارباع. فلذا عليك ان تختار التعبير عن الديوان العربي بالديوان الاوربي المألوف اي « do, ré, mi, fa » وهلمَّ جرًّا الخ .... بشرط ان تراعي النسب كما قلنا. الَّا انَّ ذلك الاختيار لا نراهُ مستحسنًا لعدم مطابقتهِ لواقع الامر. فانَّ صوت اليكاه من حيث درجتهِ النغميَّة وعدد اهتزازاتهِ انما يقرب من « sol » الاوربي العادي لا من « do »

ولا تنكر انَّ العرب ليس عندهم نغمة اساسيَّة يُرجَع اليها عند دَوْزَنَة الآلات الموسيقيَّة (٢

نقرةً واحدةً ثلاثة اوتار تكون ابراجها اوَّلا القرار ثم البعد الذي بالثلاثة ثم الغماز فانَّهم يسمون ذلك الاتفاق التام (accord parfait)

١) فترى من هذه الامثلة انَّ طرح الاربعة وعشرين يُستغنى عنهُ اذا كان المجموع السابق جمعهُ لا يتجاوز الاربعة وعشرين ربعًا

٢) اعلم انَّ الاوربيين اتَّفقوا على اتخاذ مقياسٍ ما لارتفاع الاصوات وهبوطها فاخترعوا آلة خصوصيَّة يسمُّونها دياپازون (diapason) وهي غالبًا عبارة عن قطعةٍ من الفولاذ صُنعت على شكل نعل فرس محرَّج فاذا قُرع احد طَرَفَيْهِ اهتزَّ ٨٧٠ هزَّة في الثانية. فلمَّا كان البرج

فترى مثلًا ما كان صوتهُ يكاه في آلةٍ يكون قب حصـار او عشيران في آلة اخرى. ولذلك كلما اجتمع الشرقيّون للغناء كان صوت متقدمهم قياسًا يدوزنون عليهِ العيدان وسائر آلات الطرب. بيد ان ذلك لا ينفي قولنا. اوّلًا لان الفرق المذكور ليس بكبيرٍ في اغلب الاحيان وثانيًا لان في الصوت الانساني قياسًا طبيعيًّا عموميًّا يحترز بهِ العرب عن مزيد التباين في إجراء الحانهم وان لم يرشدهم الى اتفاق صوتيّ تامّ آلةٌ من الآلات الثابتة التي يتداولها الاوربيّون. وما لا نتمالك عن ابرادهُ بهذا الصدد رغبتنا الشديدة في ان يتّفق اولو هذا الفنّ الشريف بديارنا الشرقيّة فيخترعوا كالاجانب آلة معدنيّة تكون عندهم بمنزلة مقياس لا يحيدون عنهُ في المستقبل. وهذا امر سهل لا يقتضي الّا اجتماع بعض اساتذة من الموسيقيين واختيـار صوتٍ واحدٍ ثابت مثلًا صوت مطلق الوتر الرابع في العود

الفصل الخامس

في افتراق الالحان عن بعضها واقتسامها الى انواع

اختلاف الالحان يكون على اربعة انواع: اوّلها اختـلاف البرج الذي يقرّ عليهِ اللحن (١: والثاني اختلاف إجراء العَمَل مع كون القرار على البرج بعينهِ: والثالث فسادٌ يدخل على بعض الابراج: والرابع كون اللحن مزدوجًا

امّا النوع الاوّل فكما لو نُقِر مثلًا على برج الرست ثم على العراق ثم على العشيران ثم على السيكاه وقرّ عليهِ لاختلف مسموعُهُ عمّا لو نُقر على برج الدوكاه ثم على الرست ثم على العراق ثم على العشيران وقرّ عليهِ. وهذا الاختلاف ليس هو ناشئًا من ارتفـاع صوت برج الدوكاه الذي ابتُدئ بالنقر عليـهِ وصوت العشيران الذي قرّ عليهِ عن برج الرست الذي ابتدئ منهُ وبرج اليكاه الذي قرّ عليهِ بالعمل الاوّل لان هـذا الفرق متعلّق بعلم الطبقة (٢ الذي يُبحث فيهِ عن ارتفاعها وانخفاضها. وذلك لا يتعلّق باختلاف الالحان لانّ اختلاف الالحان ليس بالارتفاع والانخفاض بل من الاسباب المتعين الآن

المطابق لهذا العدد نفس النغمة التي يدعونها « la » (راجع الجدول) اصبح صوتها عندهم ميزانًا يرتّبون عليها اغلب آلاتهم كالپيانو والأُرْغُن وآلات النفخ وغيرها

١) اي ينتهي اليهِ وكانّ ذلك البرج اساس اللحن كلهُ ومن القواعد الابتدائيّة في فن الموسيقى الحاضر ان اللحن ينتهي الى البرج الذي لُقِّب باسمهِ والمدعو لذلك القرار (la tonique) فالالحان مثـلًا التي من برج الدوكاه وهي واحد واربعون لحنًا مهما كان اختلاف اجراء عملهم يجب ان يكون آخر صوتها المسموع الدوكاه ولو حدث في بعضها النزول الى ما تحت هذا البرج وقس عليهِ الالحـان التي على سائر الابراج وهذا ما يسمّيهِ الافرنج (finir dans le ton)

٢) راجع في ذيل الفصل المتقدّم كلامنا على مقياس الفرنج المدعو (diapason)



لبيانها فنقول: انَّهُ لو كان البعد بين الابراج متساويًا لم يكن بينها تمييزٌ لان كل منها حينئذٍ يقوم مقام غيره ويكون الاصوات في جميعها متساوية في الصعود والنزول. لكنها لمَّا كانت مختلفة الابعاد بمرور الصوت عليها وقراره على احدها يحصل الاختلاف فيهِ حين المرور وحين القرار. لان في المثال المتقدم بالنقر على برج الرست والهبوط برجًا برجًا الى اليكاه اختلافًا عن الابتداء من برج الدوكاه والوقوف على برج العشيران (١ لانَّهُ في الاول هُبِط من كل من البرجَين الاوَّل والثاني ثلاثة ارباع ومن الثالث اربعة ارباع [امَّا في الثاني فمن الاوَّل هُبِط اربعة ارباع(٢] وفي كلّ من البرجَين الثاني والثالث ثلاثة ارباع ولعدم المناسبة بين الهبوط الاول والهبوط الثاني حصل الاختلاف في مسموع الصوت. وهذا هو اصل النوع الاول من الالحان ومنهُ كان القرارُ على كل برج لحنًا على حِدَتهِ ويسمَّى ذلك اللحن باسم البرج الذي يُقرّ عليهِ كرست ودوكاه وغير ذلك

واماَّ النوع الثاني فهو فرع النوع الاوَّل اذ الابراج فيهِ ايضًا تكون على ترتيبها بعينه لكن يختلف عنهُ بامرين احدهما اختلاف إجراء العمل في الانتقال من برج الى آخر وثانيهما الدخول في اللحن. امَّا الاوَّل فلا يمكن التعبير عنهُ بالكلام وليس عند العرب اصطلاح على علاماتٍ لهُ كالنُقَط والحركات مثل اصطلاح الافرنج واليونان الذين يوضحون بهِ هذه الاختلافات(٣. واماَّ الثاني الذي هو الدخول في اللحن فنقول ان برج الدوكاه مثلًا يكون عند لحن الدوكاه ولحن الصبا(٤ فلحن الدوكاه يكون الدخول فيهِ من برج الرست ويصعد الى النوى ثم يكون قرارهُ على برج الدوكاه. واماَّ الصبا فيبتدئ من برج الجهاركاه و يقرّ على الدوكاه كما سنوضح ذلك بحسب الإمكان عند شرحنا حدّ كلّ لحنٍ بمفردهِ حيث نذكر النقرات المصوّرة لكل لحنٍ من اي الابراج والارباع تكون

١) هذا وان كان البُعد بين الرست واليكاه مساويًا للبعد الذي بين الدوكاه والعشيران وهو عشرة ارباع في كلا الحالين

٢) ما تراهُ بين معكّفين اضفناهُ الى الاصل لتمام المعنى

٣) فيضطرّ من ثمّ العرب كما اضطرّ مؤلفنا في باب الالحان ان يعبّروا عن الحانهم بالتفصيل موردين كل برج وربع بكامل اسمهِ ومظهرين الطول والقصر بكلماتٍ عديدة غريبة يعسر حفظها ويُملّ استعمالها الكاتب والقارئ معًا. وهذا نقص واضح في فنّ الالحان العربية بيد ان إصلاحهُ سهل هينٌ فنرجو من احد ابناء الشرق ان يقوم بهِ خدمةً للوطن

٤) الصبا احد الالحان التي تقرّ على الدوكاه وهو المسمَّى بالمراكب كما سيأتي

واماَّ النوع الثالث الذي هو فسادٌ يدخل على بعض الابراج فذلك كلحن الحجاز مثلًا فانَّهُ يُفسَد فيهِ برج الجهاركاه بمعنى انَّهُ لا يُستعمَل فيهِ ويقوم مقامَهُ ربع الحجاز المتوسّط بين برجي الجهاركاه والنوى. وهكذا عند ما يُنزَل ممَّا فوقهُ لا يُمرّ عليهِ وفي كليهما يكون مرورهُ على ربع الحجازيَّة لا على الجهاركاه كما ان لحن البياني ايضاً لا يستعمل فيهِ برج الاوج بل يقوم مقامهُ برج العجم

اماَّ النوع الرابع الذي هو كون اللحن مزدوجاً فانَّهُ يكون مركَّباً من احد النوعين الاوَّل والثاني ومن النوع الثالث. وهذا النوع يتناول فيهِ الصوت اكثر من سبعة ابراج الى انَّهُ يستعمل فيهِ ابراج من ديوانَين جوابات وقرارات مثلهُ لحن المحيّر فانهُ لحن الدوكاه مكرَّرًا. لانهُ يعمل اولًا لحن الدوكاه من ديوان جواب الدوكاه ثم ينتهي العمل الى ديوان القرار الذي هو ديوان الدوكاه نفسُهُ. وهكذا اللحن شدَّ عَرَبان (١ فانَّهُ من حجازَين من ديوانَين. والعشيران يقرب ان يكون البياني يعمل من فوق الحسيني ثم ينتهي بالبياني على العشيران (٢ (ستأتي البقية)

البواسير واكتشاف دواء جديد لها

للدكتور نابوليون ماريني

عرَّبها حضرة الاب انستاس الكرملي البغداديّ (تتمة لما سبق)

٦ً (معالجة هذا الداء) وتُعالج البواسير على ثلاث طرائق: الطريقة الاولى هي الطريقة الصّحيَّة. والثانية طريقة التطبيب. والثالثة الطريقة الجراحيَّة

(١) فالطريقة الصحيَّة هي اهمّ سائر الطرائق لانَّها وحدها تكفي لمنع ظهور البواسير فمن اللازم اذًا على كل صحيح او مَبسُورٍ ان ينقش على صفحات قلبهِ هذه الوصايا الصحيَّة. واليكها ايها الاديب على ما جاء بها احد الخبيرين في هذه المادَّة:

١) وهو احد الالحان الاربعة التي قرارها برج البكاه وهو في الحقيقة لحن الحجاز مكرَّرًا

٢) والبياني من الحان برج الدوكاه ولهُ فروع كثيرة كالبياني عجمي والبياني نوى والبياني حسيني الخ. اماَّ لحن العشيران فعملهُ عمل لحن البياني الَّا انهُ يبتدئ من الحسيني وهو جواب العشيران

اذا تحقّق العليل بان بواسيرَهُ لا تحدث عن التهابٍ حادٍّ او مزمنٍ في الاعضاء المجاورة لها ولا عن مرضٍ في البنية نُشير عليهِ ان يتعهّد النظافة في ناحية المقعدة وان يكون طعامُهُ نظيفًا خاليًا ممّا يكونُ لهُ مَجلَبَةً للانتكاس. او ليكن طعامُهُ على الاقلّ ممّا يقلّل فيهِ معاودة الداء

فاذا تعهّد النظافة يَعمَدُ الى ان يُزيل التهيُّج الذي يُحدثهُ الغائط عند البراز والذي يحدثهُ ايضًا الاستنجاء بالورق الخشن وذلك بان يغسل المحلّ المعهود صباحًا ومساء في اوقاتٍ معلومة باسفنجة مبلولة بماء بارد محلول فيهِ شيء من الحامض البورقي (Acide borique). وهذا الاغتسال نافع في كل وقتٍ ويكثر نفعهُ عند انطلاق البطن او عند التهاب المستقيم مع سيلانٍ مخاطيٍّ حكّاكٍ. وفي هذه الحالة الاخيرة تنفع ايضًا الحُقَن بالماء المذكور وتُكرَّر مرارًا في النهار. وبوجه العموم هذا الاغتسال وهذا الحقن كافيان لإطفاء نار الحكّة التي تضرب اطنابها في حِتار المقعدة. واذا اصرّت الحكّةُ على البقاء رغمًا عن هذه الوسائط يتّخذ صمّام من القطن النشّاف (Coton hydrophyle) مدّة بضعة ايّام مبلول في المحلول المذكور آنفًا فهذا الصمّام مَصَحّةٌ للداء مَقطَعَةٌ لهُ. ثمّ انَّهُ يمنع من الجهة الواحدة احتكاك الانسجة بعضها ببعضٍ ومن الجهة الثانية يفعل فعلًا حميد العاقبة على المواطن المتهيّجة

وقد مرّ بنا ان احتباس الطبيعة مما يجب منعُهُ اذا اراد الانسان أن لا يَجلِفَ الغائطُ المتصلّبُ المتحجرُ سَطحَ ما تعقّد من البواسير عند مروره في المنفذ الطبيعيّ. ويُمنَع الاحتباس ايضًا لسببٍ آخر وهو ان هذا الاعتقال يساعد ركود الدم العِرقيّ على الظهور او على الازدياد اي انَّهُ يُمهّد الطريق لنشوء التهاب الدوالي الباسوريّة في المستقيم

فعلى المبسور ان يجتهد في منع حدوث هذه العلّة وذلك ان يأتي المُستراح كل يوم في ساعة معيّنة اما قبل تناول الطعام واما بعدهُ ان كان في الصبح وان في المساء (وهذا نوجهه بالاخصّ الى نساء المُدُن) والمساء افضل من الصبح ان كان الشيء ممكنًا لان راحة الليل شرط مشروط لانقباع الخراج بذاتها في المحلّ الذي انفلتت عنهُ. وزد على ذلك بان الاعتناء بالنظافة سهل الممارسة في ذلك الوقت اكثر من سائر اوقات النّهار

وان لم يفِ هذا الاعتناء بالغَرَض فعليك بالحُقَن الملّينة المذاب فيها شيء من مبدإ

الأَذهان الحلو (الغَليسَرين) او عليـك بالمُسهلات او المُنظّفات الخفيفة التي تُسلح وتُيَسِر خروج الثُفل. واماً المستحضرات المختلفة التي قاعدتها المَغنيسيَة والرّاوَند وانواع السُلاقة المنظِفة والمياه المسهلة الخ فتُفضَّل على ما سواها

فاذا عمل المريض بما اشرنا عليهِ وتوصَّل الى ان يُلزِمَ الامعاء أن تفعل فعلها كل يوم لا يحتاج ابدًا الى ان يجهد نفسه ليتغوَّط طلباً لنتيجة مُرضيةٍ ويُعين على ما ذكرناهُ أيضاً تخيّر طعام يقوم بايفاء بعض الشروط

فبوجه الاجمال على العاقل ان يتحاشى كل افراط في الطعام بل عليهِ ان يزهد في طعامهِ فيجعلهُ متوقفًا على اللحوم الخفيفة بكميَّة معتدلة والاسماك والخضراوات الحديثة القطف والمطبوخة طبخاً حسناً والاثمار الناضجة. اماَّ الألوان المهيّجة المُتبَّلـة والاشربة المسكرة وسُلاقة البنّ والشاي المركزة فيُعدَل عنها ويمتنع ايضاً عن الإفراط في الوطء ومنبّهات الباهِ والاشغـال الجسدَيّة المُنهكة للقوى وركوب الدرَّاجات او الافراط في ركوبها فهذه كلها من شأنها ان تُعيق دَوْرَةَ الدمّ في العروق

وبالعكس الرياضة الجسدَيّة المعتدلة في الهواء المطلق وتغميز الجسد كلّ يوم على يبوستهِ والابتراد (١ كلها نافعة في اطلاق العنان للدم في حركتهِ القانونيَّة وتجعل النوم مُريحًا للجسد ومُعوّضاً للانسان عمّا خسرهُ في النهار. ويجب ان ينام العليل على وطاءٍ من شعرٍ ويعمل بهذه الوصايا الصحيَّة نفسهـا عند ما يكون داء البواسير عرَضاً من أعراض خَلَلٍ حَشويّ مهما كان. ويزاد على هذه الوصايا المذكورة ما يأتي: على الانسان ان يُفرغ كل وسعهِ في ان يُزيل العاهة المحلِيَّة والعموميَّة التي تُواصل حيَويَّتهُ. او عليهِ ان يزيل سيرها وتقدمها ان ظهرت بظواهر عاهةٍ مزمنةٍ

(ب) اماّ طريقة المداواة فمتوقفة على استعمال احد الدواءين اللذين يتسابقـان في ايّهما يُنزَل المنزلة الرفيعـة على الآخر فالدواء الاوّل هو الهَمامِلس القرجني (Hamamelis Virginica) والثاني هو الهِدرَاستِس الكَنَدِيّ (Hydrastis canadensis) ولنأتِ الآن على ذكر فوائد كل منهما

ان الذي سعى في نشر وتعميم استعمال الهاملس القرجني فأحرز مكتشفهُ من الجاه

١) وهو الاغتسال بالماء البارد المعروف عند البعض بالهدروثيراپية. وهي من الالفاظ التي لا حاجة اليها في العربيَّة



والاعتبار مقاماً رفيعاً هو الفاضل دوجاردن بومس (Dujardin-Baumetz) فانهُ من بعد ان بحث عن خواصهِ بحثاً نعماً جاهر بنفعــهِ للبواسير وللدَّوالي سنة ١٨٨٤ . وما ذكر المكتشف نفعهُ الّا واستقبلهُ جُمهور الاطبَّاء بالتهلُّل والاستبشار بهِ غير انَّ النتيجة كانت دون الترحيب بهِ فإني الى اليوم لم ادوّن من حسن عُقباها شاهداً واحداً لا من قبيل انَّها مزيلة للبواسير ولا من قبيل انها معادية للدوالي . ويُحسن بنا هنا ان نستشهد بكلام العلاَّمة غُوي (Guy) فإنهُ قد استأنف التنقير والتنقيب عن الهَمَامِلس تحت مراقبة دوجاردن بومس . واليك نتيجة ما وصــل اليهِ قال: « ان الهمامِلس من جهة المعالجة ليس لهُ فعلاً محقّقــاً مثبتاً في ردع البواسير . أمَّا من أنهُ رَقوء فقد بانت حقيقة فعلهِ في بعض الاحوال . وامَّا من جهة أنهُ يُزيل الدَّوَالي فمَّا لم نهتدِ الى حقيقتهِ » . اه . ومع كل هذا فان اوزين ومعهُ جماعة من الاطبَّاء يُوصُون بهِ كأنهُ من أحسن الادوية في التطبيب

وامَّا الهِدْرَاستِس الكَنَديّ فاستعمالهُ حديث وقد وفَّقني الله الى اكتشافهِ وها اني انادي بنفعهِ العميم على رؤُوس الملاءِ . فقد ثَبُتَ عندي ثبات الحقّ المُبين بل وقد ظهر لديَّ كالشمس في رائعة النهــار ان فعلهُ ناجع في ازالة البواسير حتى انهُ لم يُبقِ في شكّاً ابداً . وشواهدي على ذلك كثيرة واليك بعض منها وتمهيداً لذلك اقول:

قبل بضعة اشهر نشرتُ في العدد ١٧ من مَجلَّة فرنسيَّة طبّيَّة تدعى «Indépendance Médicale» بحثاً جديداً في منفعة الهدراستس الكندي في التطبيب . وقد أثبتُّ في تلك المقالة بان هذا الدواء هو احسن ممَّا وقف عليهِ ابن آدم الى يومنــا هذا في قطع النزيف والبواسير فان فعلهُ في ذلك لا يُنكَر كما يتَّضح ممَّا يأتي:

(الشاهد الاوَّل) جاءني كهل نصراني مَنبسورٌ اسمُهُ نصوري مُوسَكا وكان الدم ينزف منهُ من مدَّة خمس عشرة سنة وكان يبلغ كل نزيف كيلوغرامين من الدم فلهذا كُنتَ تَرَاهُ إثر ذلك النزيف مُغمىً عليهِ . وما كان يرجع الى شعورهِ الّا بوسائط قويَّة وقد شهدت هذا المشهد بعيني . فبعدَ ان نزف منهُ الدم وكان آخر نزيف عهدتهُ فيهِ تقدَّمتُ نحوه وفحصت الناحية المصابة بالعلَّة فوجدتُ ثمَّ نَبْرَةً تَبعُدُ عن الاست بضع شَعَراتٍ كان ينبط منها الدم عَبيطاً وغدا وجهُهُ منقوفاً وغارت عينــاهُ وأمسى النبض لا يكادُ يُشعر بهِ وَصَحِــلَ صوتهُ والخُؤُور في قواهُ قد بلغ مَداه . فمن فوري

أَسفَفت تحت الجلد سنتيمترًا مكعبًا من الظَّفَرين (١ على بُعد بضع شَعَرات من النافجة فلم يَرقأ الدم فوصفت للحال الوصفة الآتية :

٤ غرامات من خلاصة الهدراستس الكَنَدي السائلة

١٢٠ غرام من الماء المُحلّى

---

١) الظَّفَرين كلمة مأخوذة من الظَفَرة ثم زيدت عليها الياء والنون للدلالة على منتقل معناها. وادخال هذه الزائدة على ذيل الكلمة من مصطلحات الكيميين المحدثين وتفيد معنى القلويّة او شبه القلوية الموجودة في الشيء الذي تدخل عليه هذه الزائدة. وقد دخلت هنا شذوذًا للدلالة على خلاصة الجاوَدَار المظفر المدرّ وكُحلي جريًا على الشذوذ الجاري عند الافرنج في كلمة أركوتين (Ergotine) بهذا المعنى. امّا هذا النوع من التعريب المركّب من صدر عربي ومن عجز افرنجي فليس بالمستغرب عند العرب وان كان غريبًا في حدّ ذاته. وهذه الزائدة الافرنجيّة تدخل على جميع اواخر طائفة من الكلم عندهم لتفيد المعنى المذكور آنفًا للكلم الداخلة عليها كما ان ياء النسبة تدخل في اواخر الكلم العربية لتُفيد معنى الانتساب الى الاسم الذي تدخل عليه. ومن ثمّ فيجب ان تُعامل هذه الزائدة العجزية معاملة أدوات الاصطلاح اللازم في كل علم من العلوم. وقد سبقنا العربُ الاولون الى مثل هذا الاصطلاح فلا عتب علينا اذا حذونا حذوهم فانّهم قالوا مثلًا سُكَرْدانًا وقَلَمْدانًا وشَمَعْدانًا ونُجُورادنًا وقالوا ايضًا سلاحدارًا ودَوادارًا وبَيرَقدارًا وبازدارًا (اطلب مادة س ك ر في التاج ٣ : ٢٨٤). فهذا النوع من التعريب اللفظي خير من ادخال الكلمة كلها باعجميّتها اذ يصعب على العربيّ حفظها ومعرفة معناها لأوّل مرة تطرق سمعهُ. فإنّ كلمة ظَفَرين مثلًا مركبة من (ظَفَرة) و (ين) فاذا عرفت معنى الاداة (ين) المذيَّلة للكلمة ومعنى ظَفَرة من معاجم اللغة او من السمع انكشف لك المعنى من فوره بدون ان تبحث عنها في مظانّها. والامر يكون بالعكس اذا سمعت كلمة اركوتين فانك تعلم مثلًا معنى الزائدة (ين) لكن يعتاص عليك معنى رأس الكلمة فيكون مَثَلُكَ حينئذٍ مَثَلُ من تمسَّك بالذَّيل وافلت منهُ الرأس او تمسّك بالعَرَض وترك الاصل والجوهر وحينئذ تذهب الفائدة من سماع الكلمة. فاحفظ هذا ايها الاديب وأجرِ عليهِ في مثل هذه الالفاظ وفي ما شابهَ هذا الاصطلاح عند الافرنج ولا تخف لومة لائم لما قدَّمنا لك من الشواهد. امّا معنى الظَفَرة فهي عاهة تكون في الحُبُوب وبالاخص في الجاوَدار فيجيء على سنابلها شيء يُشبهُ ظُفُرَ الديك ويحدث هذا من وجود فطر طفَيْليّ فيها. وهذه العلّة تُسمى بالفرنسيّة (Ergot) ومنها (Ergotine). والكلمة العربيّة ظَفَرة معروفة عند اهل البادية وأظنّها عربيّة فصيحة لانّها أُخذت إمّا من باب المشابهة لمشابهتها للظُفُر وامّا من فعل ظَفَر. قال التاج : « ومن المجاز ظفّر العَرْفَج والأَرطى خرج منهُ شبه الاظفار وذلك حين يخوص. وظفّر البقل خرج كانهُ اظفار الطائر وظفّر النصيُّ والوشيج والبرديُّ والثُمام والصِلّيان والغرغر والهدب اذا خرج لهُ عُنقُر اصفر كالظفر وهي خوصةٌ تندر منهُ فيها نَورٌ أغبرُ » اه بحرفهِ. فاحفظهُ

يشرب هذا الدواء بملعقة الأكل في الاثنتي عشر ساعة . فبعد ان شرب العليل من الدواء مقدارًا كافيًا انقطع النزيف فكرّرتُ الوصفة ١٠ ايّام متوالية . وقد تعدّى هذه الأيّام بدون ان ينتج عن ذلك سوء مَغَبَّةٍ في القلب . ومذ ذلك الحين لم يُرَ فيه ادنى نزيف الّا اذا افرط في الاشربة الكحليّة (١ فكانت تدميه قليلًا . فاستنتجتُ

---

١) الكُحليَّةُ نسبة الى الكُحل وهو المعروف عند البعض بالكُحُول وعند البعض الآخر بالألكُحُول او الكوُول وكلها من اغرب غرائب الاخذ عن الافرنج بدون تروٍّ وتفحّصٍ وتدبّرٍ ناقلين في ذلك الكلمة الافرنجيَّة (alcool) المأخوذة عن العرب انفسهم لكن لما كان البعض من كَتَبة العرب المحدثين والمعرّبين غير متضلعين من لغة آبائهم لنظرهم اليها بعين القُصُور في اداء مستحدثات معاني ومباني هذه العُصُور تمسّكوا بلغة الاجانب حتّى في ما يوجد عندهم منها . ومن جملة ما اخذوهُ عنهم من هذا القبيل كلمة الكحل بمعنى روح الخمر . قالت مجلّة البيان في الصفحة ١٦ا من سنتها الاولى ما نصّهُ : « وهو (الكُحل) عربي بلا ريب اخذهُ الافرنج عن عرب الاندلس حين تعلّموا منهم كيفيَّة استقطاره في القرن الثاني عشر وليس في يدنا ما يتبيّن بهِ وجه هذه التسمية الّا انّ ليترّاي صاحب المعجم المشهور في اللغة الافرنسيَّة يزعم انّهم تصرّفوا في معنى هذه اللفظة واخرجوها عن اصل مدلولها كما تصرّفوا في لفظ الإكسير فسمّوا بهِ المركّبات التي تحصل عن مزج بعض الاشربة بالمستقطرات الروحيَّة وهو في الاصل اسم للمادة التي زعموا انّها تحوّل المعادن الى الفضّة او الذهب » . اه كلام البيان . قلتُ واخراج معنى الكلمة من مدلولهِ الاصلي ليس معروفًا عند الافرنج فقط في الالفاظ التي اخذوها عن العرب او غيرهم بل كان معروفًا ايضًا عند العرب في معرّباتهم كما صرّح بهِ الخفاجي في شفاء الغليل اذ قال : « وقد يُعرّب لفظ ثم يستعمل في معنى آخر غير ما كان موضوعًا لهُ ككُخرَم اسم نبتٍ يشبَّه بهِ الشيب وهو سراج القطرب واستعمالهُ بهذا المعنى مخصوص بالعربيَّة . . . الخ (صفحة ٣ و ٤) » . فلعلّ ليترّاى قد اصاب المرمى في ظنّهِ . ونحن نرى فيهِ رأيًا آخر وهو انّ هذا المعنى نقلهُ اوّلًا المولدون انفسهم عن العرب ثم اخذهُ عنهم الافرنج ووجه اخراجهِ من المعنى المؤتلف الى معنى روح النبيذ هو وجه المشابهة الموجودة بين الاثنين من حيثيَّة اللطافة المعتبرة فيهما بدون ان يُنظَر الى صلابة الاجسام او الى سيولتها . فالكُحلُ في المعنى الوَضعيّ هو ما لَطُفَ ودَقَّ ونَعُمَ من الإثمد وبالمعنى الاصطلاحي هو نوعًا ما : ما لطُف من الخمر اذ تُعتبر روح الخمر ألطف في حالتها من الخمر ذاتها . وهذا النوع الغريب من نقل معنى الشيء بالنظر الى تحوّل حالتهِ بدون اعتبار نوعيَّتهِ ليس وحيد المثال في اللغة العربية فإنّ أمثالهُ كثيرة ونذكر منها هنا ما يتحمّلُهُ ضيق المقام فمن ذلك : السويق فهو في المعنى الاصلي ما يُتَّخذ من الحنطة والشعير وفي المعنى الآخر : ما يتَّخذ من الكَرْم اي الخمر ولهذا يقال لهُ ايضًا سويق الكَرْم لتمييزه عن سويق الشعير . والماذيَّةُ : « سُمّيت (بها الخمر) لسهولة مدخلها ومنهُ قيل : عسل ماذيٌّ ويقال للدرع ماذيَّة اي سهلة ليّنة » (تهذيب الالفاظ ص ٢١٤) فإنّك ترى بانّهم انتقلوا من حالة السُيُولة الى حالة الجُمُودة ولا وجه يجمع بين الاثنين

من ذلك انَّ المسكرات الروحيَّة هي من العوامل الفعَّالة في النزيف من هذا القبيل. فمن الواجب اذًا على الطبيب ان يحظر على العليل شرب المسكرات. والَّا فلا مناص من الانتكاس وربَّما اودى بهِ الموت

(الشاهد الثاني) كان احد المتوظفين في مكتب المخابرات البرقيَّة واسمهُ شاكر افندي يتشكَّى من بواسير خارجيَّة من مدَّة اربع سنوات وكانت ضخامتها تجلب عليهِ الويل والثبور اذ تُدميهِ دائمًا. ومن ثم أحدث هذا النزيف فيهِ ضعفًا عظيمًا في الدم وفي الاعصاب وكان قد بلغ من الهزال كل مبلغٍ حتى ان اطرافهُ العليا كانت تتحرَّك حركة ارتجاجيَّة ظاهرة للعيان. وكانت هذه الحركة القسريَّة تمنعهُ عن مسك القلم مسكًا محكمًا فتضرّ بالقيام بوظيفتهِ. وكان يُدمي كلّ يوم ٢٠٠ غرامًا. فجاءني يومًا وهو في هذه الحالة فوصفت لهُ حالًا وصفة الهدراستس وحدها مدَّة عشرة ايَّام ومنذ ذاك الحين انقطع منهُ الدم وزالت منهُ البواسير

(الشاهد الثالث) جاءني يومًا حنَّا عيسى من المولعين بشرب المسكرات ودمهُ ينزف منذ اشهرٍ عديدة وما كان يستطيع ان يزاول مهنته لعظم النزيف وقد شَحَب لونهُ وتناقصت قواهُ فأشربتهُ الدواء المذكور ودام عليهِ مدَّة ٢٠ يومًا ثم شفي

هذا وأقف عند هذا الحدّ وان كان بعدُ بيدي ١٢ شاهدًا وذلك خوفًا من ايراث المَلَل في القرَّاء. فاختم هذه المقالة موصيًا رصفائي الاطبَّاء بهذا الدواء الناجع تخفيفًا لهذه العلل على المصابين بها طالبًا منهم ان يكتبوا اليَّ ما يتَّصلون اليهِ لإِدراجها في المجلات الطبيَّة او ان يدرجوها بانفسهم في المشرق مشرق ضياء العلم ومُنبعَث الحقائق الراهنة ادام الله بزوغ شمسه علينا والسلام

الَّا وجهُ السهولة فيها بدون ان يُلتفَت الى الشيء المتكيف بها. . . ومثل هذا كثير في العربيَّة ما لا يُعَدُّ ولا يُحدُّ

ومما لا يجب ان يُسهى عنهُ في هذا الباب انَّ العرب سمَّوا كُحلًا كلّ ما وضع في العين ليستشفى بهِ ذَرُورًا كان او سائلًا وذلك من باب التوسُّع. فانَّهم يُسمُّون مثلًا البشمة كحل السودان و يبقى اسم الكحل عليها وان استعملت ضمادًا (ابن البيطار في بشمة) وكحل خولان لعصارة الحضض يُتَداوَى بها (محصَّل من التاج)

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

اعتقاد اليزيدية في المسيح ومعتقدات المسيحيين

ولليزيديَّة في المسيح لذكرهِ المجد اعتقادات غريبة لعلَّهم ورثوها عن شيع قدماء الهراطقــة . ويروي بعضهم في قريةٍ او قريتين لا اكثر بان واحدًا من اليزيديَّة لمَّا رأى . . . ؟ ان المسيح يُعلَّق على خشبة الصليب ويُسمَّر عليها سرق واحدًا من هذه المسامير لكي لا يتمَّ وطر اليهود من صلبهِ . ويؤمن اليزيدية بان يسوع المسيح كان نبيًّا عظيمًا بل من اعظم الانبياء وانهُ كلم الناس من اول يوم ميــلادهِ ولم ينقطع من التكلُّم معهم وان كان في المهد . واظهارًا للناس بان العــذراء حُبلت بهِ بنوعٍ خارق العادة بعث مَيتًا كان قد تُوفّي منذ الف سنة . ولمَّا ترَعرع اخذ يلعب كسائر الاطفــال بالطين ويتَّخذ منهُ تماثيل بهيئة حيوانات وطيور ودوبيات فكان كلما اتمَّ صورة واحدٍ من هذه المجبولات لعبت بهِ الحياة وطار من يديهِ . ولمَّا اكتهل اظهر لاهل العالم بانهُ من اعظم الانبياء فكان يشفي الاكمه والأبرص والمُقعد ويبعث كثيرين من الاموات كانوا قد تُوفوا منذ الوفٍ من السنين

ويعتقد بعض جهــلاء اليزيدية: ان يزيد والمسيح اسمان لمسمى واحد . غير ان العقلاء فيهم ينكرون هذا الخبط والخلط

وعند يزيدية بُليدة خالتار بقرب ديار بكر سُنَّة تُشبهُ سُنة سر القربان عنــدنا . وذلك انَّهم بينما هم مجتمعون حول المائدة يأخذ المقدَّم بينهم كاسًا مملــوَّة خمرًا فيسألهُ الأكلاء: « آف چيا » ؟ اي ما هــذا ؟ فيقول لهم: « آف كاسا عيسى يا » اي هذه كاس عيسى . ثم يقول: « آف عيسى نافرُو نشتيا » اي عيسى قاعد وموجود فيها . وبعد ان يشرب منها الزعيم يُديرها على الجلاَّس فيمصّ كلٌّ منهم مصَّةً حتى اذا انتهت الى الاخير ارتشفها . وحينما يقول ذلك الكلام يَقِف الشَرْبُ وقوفًا يُنطق بالوقار والاحترام لهذه السنَّة . وهذه الشعيرة من شعائرهم لا تجري عند جميعهم بل عند جماعةٍ منهم كما ذكرناهُ سابقًا فُويَق هذا . بخــلاف ما اوردهُ صاحب كتاب موسوعات الاديان

(ص ١١٢٤) والفاضل ڤيتال كينه (ص ٧٧٥) وكل من اخذ عنهما

وعند اليزيدية العماد والختان معاً . ويقولون في هذا الصدد: اننا نُجري هاتين السنَّتين لانهُ ان كانت اولاهما قد أُلغيت ولم يكن فيها فائدة افادت الثانية وإلَّا فان لم يُبلغ الختان فالعماد لا يضرُّ الإنسان . اما العماد فيكون بالصورة الآتية:

بعد ان يكون قد مضى على الطفل اسبوع او اكثر وربَّما طالت المدة الى شهر او شهرين بل الى سنة او سنتين إذا حالت الموانع دون القيام بالواجبات الدينيَّة يُؤتى بالولد ليُعَمَّد ولا يُعمد الَّا في عين ماء موجودة في مزار الشيخ عادي وهو مدفنهُ مبنيّ بهيئة كنيسةٍ في وسط دير كبير . وعمق هذه العين متر تقريباً وقَطرها متران ويسمونها عندهم: « بئر زَمْزم » لان الشيخ عادي كان قد جاء يوماً الى هذا المحلّ ولم يرَ فيهِ ماء فطلب منهُ المتشيّعون لهُ ان يجترح لهم آيةً فاخذ الشيخ عكّازتهُ وضرب الصخرة وقال للماء بالعربيَّة: « زَمّ زَمّ » فزَمَّ . وفي رواية انَّهُ قال: « اريد ماء زَمزَماً » اي كثيرًا فكان كذلك . ثم قال لتلاميذهِ: وكل من يؤمن بي ويعتقد باقوالي ويعتمد بهذا الماء المبارك يكون من الخالصين في يوم الدين . وقال آخر: ان الشيخ عادي بعد ما أَنبع الماء أجرى اليها شيئًا من ماء القدس الشريف . وقال آخر: بل من ماء الاردن

وقد بُني على هذه العين قُبَّة مُظلمة وبابها صغير جدًّا واطئ ويلتزم داخلها ان ينحني كل الانحناء ليجوزهُ . فبعد ان يدخل الشيخ وحدهُ تلك القبة وبيدهِ الطفل مجردًا من ثيابهِ يغطِّسه في الماء ثلاث طَرَقاتٍ ثم يضع الشيخ يدهُ على راس المتعمد بعد المرَّة الثالثة ويُدمدم عليهِ بصلواتٍ قد يسمعها بعض الذين في الخارج . فقد سمع واحدٌ من اليزيدية شيخهُ يقول: هول هولا سُلطانهْ أزيد تو بويا بَرخه أزيد سَركا رِئا أزيد » (١ اي بالحرف الواحد: « لقد صرتَ خروفاً ليزيد فعساك تكون شهيدًا لطريقة يزيد » . وبعد ان يُعمد يعطي ابوهُ عنهُ ثلاثة غروش صاغ اذا كان ذكرًا وقرشين

---

١) وحرصاً على لفظها الصحيح نذكرها باحرف افرنجيَّة : Hol hola soultané Ezid tou bouïa berkhé Ezid, saraka réa Ezid



ونصف قرش صاغ اذا كانت انثى. امّا الاب والام فيبقيان دائمًا خارج الباب ولا يؤذن لهما ابدًا ان يدخلا قبة العين

وبعد العماد بعشرين يومًا اقلّ او اكثر يُختن الطفل (١ ولختانه يلزم شيخان الواحد يمسكهُ في حضنهِ والثاني يختنهُ وقبل ذلك يقول الخاتن للولد قُل ما يأتي: « آس بَرْخه أزيده سَورم » (٢ اي انا خروف يزيد المنير

واذا كان المتعمد لا يُحسن التكلُّم يكرر تلك الالفاظ الشيخ الماسك الطفل. اما الابوان فيحضران هنا ومعهما مَن يُريدان من الاصدقاء وغيرهم ليشهدوا تلك الحفلة ومن حولهم الطبَّالون والزمَّارون والرقَّاصون ليُلهي المختونُ (٣. وبعد ان يتمَّ الختان يرجع الجميع الى بيت أهلهِ ليتناولوا العذيرة (٤ سويّةً وهي عبارة عن الوانٍ مُختلفةٍ بعث بها بعض الاصدقاء والأنسباء وزاد عليها اهل المختون. وتدوم هذه العذيرة سبعة ايّام بدون ان ينقطع الايقاع على آلات الطرب. وعند انقضاء هذه الايام السبعة يُعطى الشيخُ الخاتن مجيديًّا واحدًا وثوبًا

امّا مَن زعم ان عندهم شبه سرّ التوبة فلا حقيقة لذلك. قال الفاضل ڤيتال كينه ما معناهُ: « ولهم سُنَّة تقرب من سرّ التوبة فاذا تقاتل اليزيدية في ما بينهم ثمَّ ارادوا الصلح ينهض الذي عرف خطأَهُ ويغطي وجههُ بيديهِ ويذهب منحنيًا باحترام امام القدم بين الحضور. ويُقرّ بذنبهِ جهارًا فينصحهُ الزعيم نصحًا شافيًا ثم يُصلي على رأسهِ ويُخلي سبيلهُ آمرًا ايَّاهُ ان يلثم يد خصمهِ وايدي جميع افراد الطائفة الكهنوتيَّة الحاضرين. وان لم تنتهِ العداوة عند هذا الحدّ فعلى من اذنب للمرة الثانية ان يذهب الى بيت الشيخ الأعظم لتجري عليهِ السنَّة المتقدّم ذكرها وبعد ذلك يتعهَّد الاثيم بذبح جَزورٍ واعطاء صُراحيَّة من الخمر » اه بمعناه. وتحرير الخبر ان ليس ذلك سُنَّة

١) وهذا يخالف ما قالهُ ڤيتال كينه وهذا نصُّ كلامهِ: « ويكره اليزيدية سُنَّة الختان وخوفًا من ان يُجبَروا بهِ قَسْرًا لا يتجنَّدون ابدًا بجنديَّة المسلمين ولهذا قد خاب سعي الحكومة في شأن تقييدهم بالعسكرية » (ص ٧٧٣)

٢) ولفظها : As berkhé Ezidé sorum

٣) ألهى الرجلُ بالرفع على الفاعليَّة: اذا اشتغل بسماع الغناء

٤) العذيرة طعام الختان

عندهم بل يوجد شيء مثل ذلك بعد المُخاصَمة اذا اراد اصحاب الطرفين الصلح والّا فلا يلزم احدُ الخصمين بشيء إلزاماً شرعيًّا . فليُحفظ

وكل يوم عند شروق الشمس ينهضُ اليزيديُّ ويتّجه نحوها وهو حافٍ ويخرّ راكعًا على وجهه ثلاث ركعاتٍ اكرامًا للشمس واذا كان من حوله أُناس يخجل من ان يجهر بفرائض دينه امامهم ينزوي في مكانٍ خالٍ من الناس للقيام بواجباته براحة وهدُوء واطمئنان البال

واليزيديّة يكرّمون جميع القديسين الذين أُسست على أساميهم الاديرة والكنائس المشيّدة في تلك البلاد ويذهبون في قداسة هؤلاء الاولياء الى انّهم بلغوا هذه الدرجة من نزاهة النفس بقدر ما حلّ في انفسهم الطاووس الملك . ويزعمون انّ هذا الطاووس سكن في نفس موسى الكليم مدة طويلة لكنّهُ سكن مدّةً اطول في نفس المسيح ابن مريم ولهذا السبب يُعدّ المسيح عندهم من اعظم الانبياء الذين وُجدوا على وجه الارض

واليزيديّة يعتبرون عظيم الاعتبار أديرة النصارى وكنائسهم وفيهم من يتحفّون ويلثمون عتبتها وحيطانها وحجارتها اجلالًا للقديس المؤسّسة على اسمه . ولا يفعلون ذلك اذا لم يكن القديس مشتهرًا عندهم بخلاف ما قالهُ صاحب معجم الأديان (في الصفحة ١١٢٥) . وربّما نذروا نذورًا واتوا بها الى الكنائس قيامًا بوعدهم او عهدهم او طلبًا لتحقيق مُرادهم . وهم لا يدخلون ابدًا جوامع المسلمين

وليس لليزيديّة ذبائح يتقرّبون بها من الله ولا صلوات عموميّة . بل لهم صلوات خصوصيّة . امّا من انّ بعض النصارى قد شيّعوا عنهم انهم اذا اجتمعوا اخذوا يصلّون سويّةً صلاةً جمهوريّةً وهي عبارة عن كلمتين وهما: « مورًا مورّينًا » اي ربّنا او سيّدنا ربّ او سيّدٌ قويّ . فلا حقيقة لها ولا سند . امّا الصلاة الخصوصيّة فهي موجودة عندهم في بعض اعمالهم وسننهم ولكنّهم لا يسمّونها ابدًا بالصلاة إذ الصلاة محرّمة عندهم . غير انّنا نُسمّيها بالصلاة لوجودها . فرفضهم لاسم المُسمّى لا يعدم المُسمّى . ومن هذه الصلوات الخصوصيّة صلاة الصّباح وكل يزيديّ متديّن يتلوها بعد استيقاظه من النوم اليك تعريبها (١ :

١) جِنْدِي المِنهاتِي . صُبَيَكَا رَوْشْ هَلَاتِي . هَاتِنَا مَسَرمَنْ دُو جَلَادِي . مَسْكِينُو رَابَا

« طلعت عليَّ الشمس وجاء عليَّ اثنان من الجلاَّدين. فيا مسكين قُمْ وٱشهَدْ شهادة الدين وهي انَّ الله واحد والملكُ الشيـخُ هو حبيب الله (١ وسلّمْ سلاماً على الشيخ عادي وعلى أُمّتهِ والقُبَّة الكبيرة الموجود تحتها وعلى قُبَّة الشيخ تَوْرِيس وعلى فخر الدين (وهو اسم الشمس عنـدهم) وعلى الشيخ والپير وعلى المزار دَيْرَاصور واشهد بأنَّهُ بقوَّة ذراع الشيـخ (اي ذراع الشَّيخ يزيد) التي رفعهـا صار الناس يزيدية » (٢. وبعد تلاوة هذه الصـلاة يُنصَب حجرٌ هو الهيكل عندهم ويلثمونهُ ويدورون حولهُ

وليس لهم الَّا صوم واحد كما مرَّ يدوم ثلثة ايّام ويقـع في شهر كانون الاوّل. ويؤمنون بالدينونة العامَّة وبالحياة الابدية وبالموت السرمديّ . ويقولون ان كل عمل صالح يكافأ في السماء وكل عمل قبيح يجلب على صاحبهِ الويل والثبور والموت والعذاب في جهنم. ويؤمنون بالمطهر ويُسمُّونهُ « آخرَهْ دُوزَهْ » (Akhré dogé) اي نار او نور الآخرة. — وقصارى الكلام ان لليزيدية اعتقادات اخرى يرجع اصلها كلّها الى مآخذها من الأديان وهي اعتقادات مأخوذة من الثَنَوِيَّة والنصرانيَّة والإسلام لكنهم

بَدَا شَادَه. شَادَا دِينَا مِنْ. أَيكْ أَلله. مَلكْ شَيْخسِنْ. حَبِيبْ أَلله. مَقْلُوب أَلْمَرْكَهْ صَلَاه. مَقْلُوب وَمَرْكَا. أَلْجِيمْعَه صَلَاه . أَلْبَنِي مَايَه. عَلْ جَمْعَايَه وَعَلْ جَوْت قُبَايَه. وَشَمْسِي تَوْرِيسْ. وَٱلْفَخْرَا دِين. وَٱلشَّيْخُو پِير. قَوَتَا دَيْرَ اصور. خَانْپُو تِكَه. دَيْرا چَنْكَلِي وقَبري زَمَان. وآخرو دُني. آمين

وحرصاً على لفظها نذكرها بالاحرف الافرنجيَّة ونذكر حرف الجيم المثلثة التحتيَّة: tch

Tchendil-minhâti, sobaïakâ rochalâti, hâtna-msarman dou djalâdi, meskino râbâ, bedâ châdé, châdâ dinâmine, éïk Allâh, malik cheikh-sin, Habib Allah, maqloub al-mergué ṣalâh, maqloub wmergué, al-djem'a salâh, al-bani ma-ieh, 'al-djem'a-ieh, w'al djôt qoubâieh, wâ-chamsi Tauris, wal-Fakhra-Din, wach-chéïkho Pir, qawatâ déïra-ṣôr, hhânpoûteké, dérâ tchanguali waqabri zaman, wa-akhro douni, Amin.

١) يقول اليزيدية: ان الجبل المقلوب نهض عن الارض بالطاووس المَلَك ليتمكَّن من ان يسلّم على الشيخ عادي وهو المزار المشهور على بعد مسيرة عشرة ايَّام من الجبل المقلوب فسلَّم عليهِ

٢) لان اليزيدية يزعمون انَّ يزيد لمَّا جاء بلادهم جذبهم الى الايمـان بهِ برفع ذراعهِ وقد قال في وقتهِ: كل من يبتغي يأتِ تحت ذراعي. فتسارع الى ذلك اليزيديَّة فكانوا ما هم عليهِ اليوم

عبثوا بها كل العبث حتى ابتعدت عن امهاتها فغدت غير معروفة . وعليهِ لا نتعرَّض لذكر اكثر من هذا القدر . واللبيب تكفيهِ الاشارة . غير انَّهُ ممَّا يجدر بنا ذكرهُ هنا هو ان هذه الاعتقادات تقلُّ او تكثر وتكون بهذه الصورة او بتلك الصورة حسب الاصقاع والقُرى والمدن التي يسكنونها او حسب الناس الذين يخالطونهم فلهذا لا يمكن ان يُحصَّل منها شيءٌ تتَّخذ منهُ معتقداتهم على قياسٍ واحدٍ عامٍ كما في سائر الاديان . وعليهِ فاقول لكل من يُحاول استقصاء البحث عن اليزيدية وعن ديانتهم قول الشاعر المشهور :

فقد وجدتَ مكان القول متَّسعًا فان وجدتَ لسانًا قائلًا فقُلِ

(ستأتي البقية)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

• آثار الرومانيين في لبنان (تتمَّة)

ومن اجلّ آثار الرومانيين في فينيقية اتخاذهم بيروت كمستعمرةٍ رومانيَّة . فلمَّا كانت السنة ١٦ ق م قدم الشام اغريپا صهر اوغسطس قيصر وهو مقلَّد بالسلطان المطلق على كلّ انحاء سوريَّة . فكان اوَّل ما صرف اليهِ نظرهُ ان يقيم مستعمرةً يُحلُّ فيها الجنودَ المتقاعدين ممَّن امتازوا في خدمة الوطن . فلم يجد موقعًا اصلح شأنًا وانسب مقامًا من بيروت فجعلها سكنى لفئتين (١ من الجند وهما الخامسة والثامنة المعروفتين بالفئة المقدونيَّة والفئة الاغسطيَّة . وكانت كلتاهما أبلت بلاء حسنًا في واقعة اكسيوم فأثابهما القيصر باقطاعهما مدينة بيروت

ولعلَّ الكتابة التي وجدها سيترين (المشرق ٢ : ٥٦) بين اطلال دير القلعة والوارد فيها اسم اغريپا تُشير الى هذا القائد منشئ مستعمرة بيروت . ويُحتمل ايضًا نسبتها الى

١) وارسلت فرقة منهما الى بعلبك لتستعمرها فاحتلَّت هذه المدينة الشهيرة.



الملك هيرودس اغريبا الاوَّل الذي زيَّن بيروت بعد ذلك بعدَّة بالابنية الفاخرة فتكون هذه الكتابة اثرًا يشهد لاهل المدينة بمعرفة الجميل والشكر

وما لا يُختلف في صحَّتهِ انَّ صهر اوغسطس اعاد لبيروت زهاءها القديم بعد ان عبثت بها ايدي الزمان واخربها الطاغية تريفون. فاوعز الى جنـدهِ بان يشيّدوا فيها المباني الحسنة ويوفّروا فيها اسباب الهناء. فباشروا بذلك في السنة ١٥ ق م وواصـلوا شغلهم بهمّةٍ ألفها الرومانيُّون في كلّ اعمالهم. وما عتَّمت بيروت ان صارت مركزًا خطيرًا لادارة شؤُون رومة في البحر المتوسّط الذي كان غلب عليهِ النفوذ اليونانيّ واصبحت مرقبًا يرصدون منهُ كلّ من يعادي فتوحاتهم الجديدة فيقطعون للحـال دابر اصحاب الفـتن (١

وكان الفضل في رفع قَدْر بيروت لاغريبا المذكور ولعلَّهُ هو الذي تولّى بنفسهِ هذا العمل الاثير وانجزهُ بوقت قريب (٢ ودُعيت بيروت مذ ذاك الوقت « المستعمرة يوليا اوغسطا السعيدة » خصّها الملك اوغسطوس بهذه الاسماء المشعرة باسم يوليوس قيصر وابنتهِ يولينا واسمهِ الشخصيّ واضاف الى ذلك لقب « السعيدة » مؤذنًا بحُسن موقع بيروت وصفاء جوّها وكثرة خيراتها. وضُربت في بيروت نقود المستعمرات تمثّل جنديًا يفلح الارض

فلم تمضِ على بيروت الّا زمنٌ قليل حتى امتزج سكّانهـا الاقدمون بالمستعمرين الرومان امتزاج الماء بالراح فكان من يحتلّ البلدة يحسبها مدينةً رومانيَّة لتغلُّب عوائد الرومان ولسانهم واسماؤهم عليها. والشاهد على ذلك الكتابات اللاتينيَّـة العديدة المكتشفة في بيروت. ولا ترى من المخطوطات اليونانيَّة الّا اليسير وهي احدث عهدًا من الكتابات اللاتينيَّة (٣. بل ظهر ايضًا في بيروت نفوذ آلهة رومة فاخذ الفينيقيُّون شيئًا من شعائرهم الدينيَّة كما اثبتنا ذلك في اثناء كلامنا عن دير القلعة

---

١) راجع تاريخ الرومانيين للعلّامة مُمسِّن Mommsen: *Röm. Geschichte*, V, 459

٢) راجع ما كتبهُ في ولاية اغريبا في الشام المؤرّخ جرلاح H. Gerlach: *Die röm. Statthalter in Syrien u. Judæa* p. 16

٣) ومنذ بضعة اسابيع قد عثرنا على كتابتين جديدتين على مقربة من البلد سننشرها بالطبع عمّا قليل ان شاء الله

ولم تكن الاقطاعات الموقوفة على المستعمرة البيروتيَّة منحصرة في ضواحي البلدة والبسائط المجاورة بل كانت تشمل الجبال المشرفة على المدينة وتمتدُّ من ثمَّ الى ان تبلغ قسمًا من البقاع الى جهات منبع نهر العاصي

وفازت بيروت بارتقائها الى رتبة مستعمرة رومانيَّة بامتيازات عديدة منها انَّ اهلها لم يدفعوا الجزية واستقلالها من حكم والي الولاية. فاضحت كأنَّها دولة صغيرة في ضمن الاملاك الرومانيَّة في الشرق تتصرَّف باحكامها كالعاصمة نفسها. وكان لها على مثال رومة حاكمان (duumviri) يُرجع اليهما في التدبير يحلَّان و يعقدان و يأمران و ينهيان كقناصلة رومية السنويين ولها دار ندوة يجلس فيهِ للبحث عن صوالح المدينة مئة من رؤساء الاعشار (décurions). وممَّا ازدانت بهِ المدينة من البنايات على شبه رومية ساحةٌ كبرى (forum) يجتمع فيها الجمهور وملعبٌ للملاهي العموميَّة ولعلَّها ايضًا خُصَّت بهيكل كهيكل المشتري في رومية (Capitole). وكان الاهلون يختارون بنفسهم ولاتهم وحكَّامهم دون ان تتداخل رومة في شؤونهم ما لم يضطرَّها الى ذلك الشغب وافتراق الكلمة بين السكَّان

فكلّ هذه الامتيازات التي ظفرت بها بيروت اثارت في اهل المدن المجاورة لها الرغبة في نوال رتبة الاستعمار

وقد زعم بعض الكتبة انَّ مدرسة الفقه الروماني التي اشتهرت بها بيروت بعدئذٍ(١ كان انشاؤُها في هذا الزمان. الَّا انَّنا نرجّح قول الذين ذهبوا الى انَّ هذه المدرسة ترتقي الى اواسط القرن الثالث للمسيح. وانَّما كانت بيروت منذ حلول المستعمرين فيها محطًّا للطلبة الدارسين وصار مذ ذاك الحين لمدارسها شهرة عظمى. ومن جملة الفنون التي كان يعكف الاحداث على اتقانها العلوم الادبيَّة بفروعها. وقد اصاب احد اساتذة بيروت اسمهُ مرقس ڤاليريوس پروبس قصبة السبق بين علماء زمانهِ في المعارف وفنون الادب(٢ حتى انَّ بيروت عُدَّت بسببهِ كحاضرة العلوم في المشرق(٣

وكان الرومان يتقاطرون الى بيروت لترويح النفس يؤثرونها على ما سواها من المدن

---

١) راجع Nonnus: *Dionysiaques* 391-398

٢) راجع تاريخ سويتون Suetonius : *De illustr. Grammaticis* XXIV

٣) راجع ممسين Mommsen, *l. c.* 459

الساحليَّة . وفيها كان ولاة الشأم يقيمون الحفلات والمحاكم القضائيَّة كما فعلوا في قضيَّة سيلَّاي (Scillaï) وهيرودس الكبير فقضوا على سيلَّاي وهو وزير ملك النبط عبوداس ان يدفع لهيرودس خمسين وزنة فضَّة(١ وان يكبح جماح قبائل البدو من العرب . وفي بيروت ايضاً قضى هيرودس المذكور ظلماً على اسكندر وارسطابولس ابنيهِ من مريمنة المكابيَّة

ومن المدن التي نالت من سجال فضل الرومانيين مدينة جُبَيْل وان كانت حصَّتها دون حصَّة بيروت بكثير وآثار الرومانيين في المدينة العاديَّة بيّنة من جملتها خطوط لاتينيَّة وجدت بين اطلالها الدارسة (٢

وكذلك ترى في قرية جونية مع ما يحيط بخَوْرها من الضياع دلائل تنبئ بمرور الرومانيين بها فمن ذلك الانصاب التي كانت تقام في جوانب الطرق للدلالة على المسافات ومنها جسر المعاملتين التي سيأتي ذكرهُ . وفي اسامي القرى دلائل اخرى على الآثار الرومانيَّة واليونانيَّة في لبنان مثل غسطا (Augusta) ودفنة (Δάφνη) وبلُّونة . ومن ذلك ايضاً نواويس وعليها كتابات لاتينيَّة ترى في لبنان وفي دير بيت خشبو واحد منها (٣

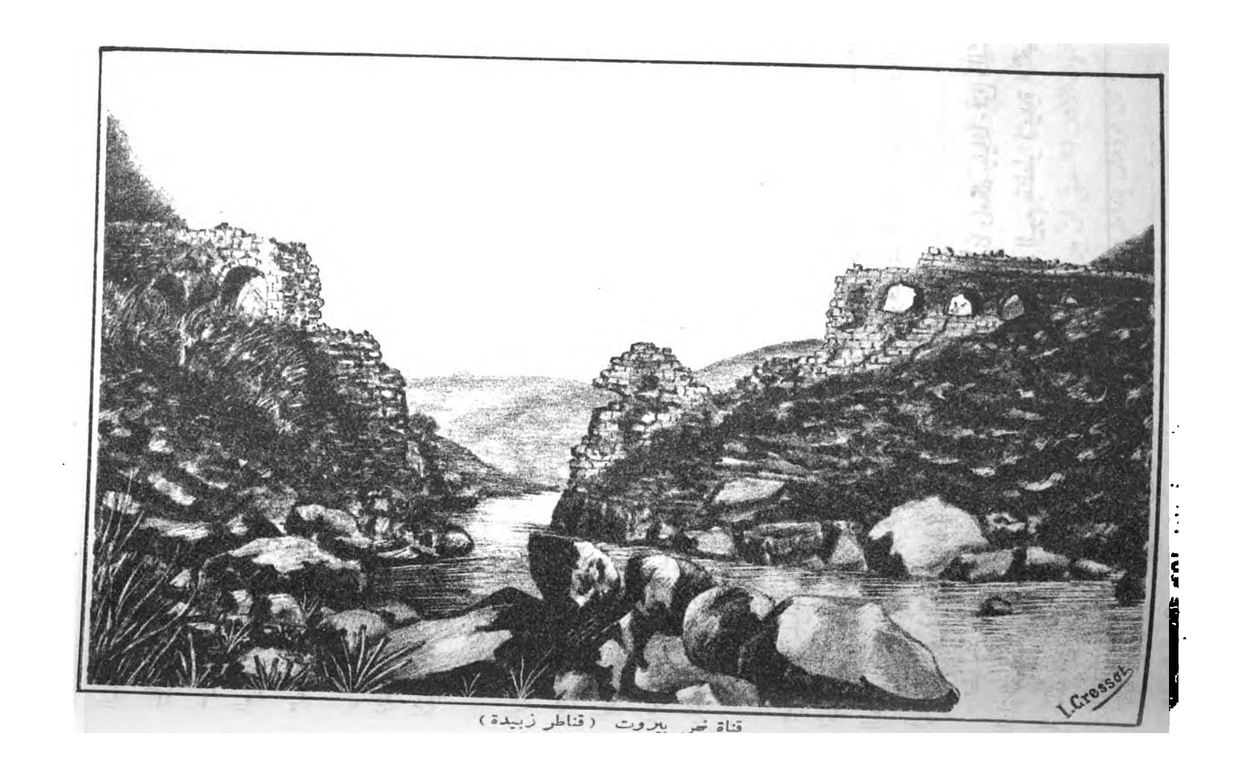
الَّا انَّ الرومانيين لم يكتفوا بتدوين الكتابات الدالَّة على ملكهم . فلمَّا كانَّ الله جبلهم على السياسة والعمل لم يحتلُّوا بلدًا دون ان يباشروا فيهِ اشغالًا خطيرة واعمالًا اثيرة تؤُول كلُّها لمنفعة رعاياهم كالقنيّ تُجلب بها المياه الى اهل المدن من منابعها البعيدة . وقد سبق لنا ذكر قناة دير القلعة (ص ١٢٥) وقناة نهر الكلب لسقي المزروعات في شمالي النهر (٢ : ١٠٨٩)

وفي لبنان قنيّ غير هذه المذكورة بل هي اعظم منها شأناً وامتن بنياناً . فمن ذلك القناة الضخمة التي كانت تجري بها مياه نهر بيروت وتُعرف اليوم بقناطر زبيدة وهي بلا شكّ من آثار الرومانيين

١) كانت وزنة الفضَّة تساوي في ذلك العهد ٦٧٢٠ فرنكاً

٢) راجع Mission de Phénicie, *p.* 164, 192, 280

٣) راجع Ibid. *p.* 328 راجع ايضاً في تاريخ ممسين (ص ٤٤٧) الفصل الذي بهِ بيَّن ما كان لاقليم سوريَّة عند الرومانيين من الاعتبار والخطارة



قناة نهر بيروت (قناطر زبيدة)

وقد بُنيت هذه القناة بنحيت الحجارة الكبرى وكانت تمرّ بوادي النهر فوق جسر عظيم ذي ثلاث قناطر راكبة بعضها فوق بعض لا يزال منهُ الى يومنا بقايا حسنة يبعد ميلين عن بيروت في شماليها بيد انَّ الصف الثالث من القناطر قد تهدَّم وهبط ايضًا وسط الجسر فلا سبيل الى ان تجري فيهِ المياه. وكان علوّ هذا الجسر يبلغ عند تمامهِ خمسين مترًا وطولهُ ٢٤٠ (انظر رسم هذه القناة)

امَّا زمان بنائهِ فليس من دليل عليهِ فانّهُ لم يُكتشَف حتى يومنا شيء من الكتابات المترجمة عن احوالهِ. الَّا انَّ متانة شغلهِ وهيئة بنائهِ المحكم تنطق بلسان حالها عن اصلهِ الرومانيّ ومما يبيّن انَّ هذه القناة بقيت قرونًا طويلة تجرُّ المياه الى بيروت ان في مستودعها وجدرانها الداخليَّة راسبًا سميكًا من المواد الكلسيَّة التى ابقتها المياه في ممرّها. ولعلّها خربت في الزلزلة التي حدثت في ايَّام يستنيان الملك لمَّا صارت بيروت ردمًا تنعق عليها الغربان

وكانت المياه بعد ان اجتازت الجسر المذكور تلج في نفق (سرب) ينفذ في الجبل مسافة طويلة وينتهي الى السهل حيث جرت منهُ بقايا على الزمان وكانت تجري المياه في منعطف الاشرافيَّة فوق مسير السكَّة الحديديَّة الحاليَّة. وكانت القناة تفضي الى المدينة مارَّةً تحت مدرسة الحكمة للموارنة. وقد حسب حضرة الاب جوليان اليسوعي انَّ هذه القناة كانت تغني البلدة في كلّ ثانية بمتر مكعَّب من الماء اعني خمس عشرة مرَّة ازيد من ادوات الشركة الانكليزيَّة حالًا(١

وكان الرومان قد ابتنوا في سوريَّة قناةً رابعة كانت غايتها اجتلاب المياه من نهر ابرهيم الى جبيل الَّا انَّ آثارها ليست كآثار قناة بيروت

وما يحسن بنا قولهُ انَّ الرومان لم يكونوا ليرضوا بالمياه المجلوبة في قنيّهم الَّا ان تكون صافيةً نقيَّة من كلّ الاقذار ولذلك كانوا يباشرون بعملها عند رؤوس الينابيع وينقرونها بالصخر الاصمّ او يبنونها بحيث لا يدنّسها شيء من الاوساخ فيغطّونها بصفيح الحجارة. وفي عملهم هذا عبرة للشركة الحاليَّة لتصون المدينة من جراثيم الامراض التي تسبّبها الاقذار الداخلة في القناة لاسيما بعد امطار الخريف حين تجرف السيول الى القناة اجسامًا غريبة تنبثُّ بانحلالها في المياه كلّ انواع الجراثيم الفاسدة (ستأتي البقيَّة)

١) راجع مجلَّة الرسالات الكاثوليكيَّة Missions Cath. 1894, p. 429-430 وفيها لهُ مقالة حسنة عن قناة بيروت الرومانيَّة

بزر دود القزّ

عمل الطوارئ الجويَّة لاسيما البرد في البزر وذكر مشتاهُ

للشابّ الفاضل الاديب سليم افندي اصفر

انَّ دود القزّ الشائع في ايَّامنا كان في ما سلف من الزمان ينتج مرارًا في السَّنة ولا يزال منهُ اصناف متواترة النتاج في بعض انحاء الشرق الاقصى. غير انَّ حذاقة المربّين بلَّغتهم باختيار انواع الدود الى ان يحصروا تبزيرها فلم تعد تنتج الَّا مرَّة في كلّ عام. وذلك كما لا يخفى مما يقوّي البزر

الَّا انَّ هذا البزر السّنوي لا تظهر فيهِ لوائح الحياة والنشوء دون البرد. وعليهِ فانَّ البزر لا ينقف قبل فصل الشتاء ولو عُرض زمنًا طويلًا لتأثير الحرارة. وهذه الخاصَّة يتَّصف بها البزر السنويّ ولا يفقدها ولو خُلط باصناف متعددة النتاج. كما انَّك لو نقلتَ الى سوريَّة من البلاد المتقاطرة كبلاد الشيلي مثلًا بزرًا بزّر ثمَّت في شهر تشرين الثاني اعني في الربيع الجنوبيّ فانَّهُ لا ينقف في سوريَّة الَّا في نيسان من العام المقبل

الَّا انَّ هذا الفصل الشتويّ يمكن تقصيرهُ اصطناعًا كما اثبت ذلك بالاختبار العلَّامة دوكلو (Duclaux) مدير مكتب پستور في باريس. فانَّهُ جعل بزرًا في مكان ذي حرارة ثابتة متساوية طول السنة فوجد انَّ البزر لم ينقف. وبخلاف ذلك وضع بزرًا في مخدع أهبط درجة حرارتهِ فكانت برودتهُ للبزر بمثابة شتاء اصطناعيّ فلم يلبث ان ينقُف قبل اوانهِ. ومن نتائج اختباراتهِ انَّ بزرًا كان بزّر في تموز وأودعهُ في حجرة مصقَّعة في شهر ايلول نقف في شهر تشرين الاوَّل كانَّ البزر قضى فصل الشتاء

وربَّما لاحظ مباشرو تربية دود القزّ بزرًا ينقف نقفًا جزئيًا او تامًّا بعد زمن قليل من تبذيرهِ. وهذا ممَّا اختبرتُهُ بنفسي لكن عدد هذه البزور الناقفة قليل جدًّا وليس نقفها مسبَّبًا عن الحرارة بل هو عرضٌ يحقّ نسبتهُ الى خواصّ ارثيَّة. ومن ثمَّ فلا بأس اذا بقي البزر في فصل الصيف حيث بزّرت بهِ الفراشة او في مخدع آخر ذي حرارة مرتفعة دون ان يضرَّ بها المقام في ذلك الموضع الحامي

واوَّل من اطَّلع على ضرورة البرد لنقف بزر دود القزّ احد علماء القرن السابع عشر



العلاّمة ليونهك (Lewwenhoek) مكتشف نظّارة المُجهر . فكان هذا الاستاذ حاول تنقيف (تفقيس) بزر دود القزّ في فصل الخريف من سنة ١٦٨٦ فوضعهُ على صدرهِ لينال البزر من حرارة جسمهِ البالغة من عشرين الى ثلاثين درجة . فبقي البزر على حالهِ ولم ينقف فالقى بهِ في بعض زوايا مخدعهِ لم يَعُد يبالي بامرهِ . فلمّا كان الربيع واذا بالبزر قد نقف من تلقاء نفسهِ . ففهم العلاّمة المذكور انّ للبرد فعلاً في نقف بزر دود القزّ . امّا علّة ذلك فلم يُحسن العلماء بيانها الى يومنا

وهذا طور البرد يدوم عادةً في بلادنا من شهر تشرين الثاني الى شباط . واذا التُجئ الى بعض الادوات المبرّدة يمكن البزر ان يبقى على حالتهِ سنةً تامّة ونيّفًا كما انّهُ يمكن تقصير المدّة الاعتياديّة وذلك على قدر عتق البزر . والمسيو دوكلو السابق ذكرهُ بيّن بالاختبار انّ البزر اذا بلغ عمرهُ ستّة اشهر ينقف بعد ايّام قليلة . بينما يُقتضى مدّة خمسين الى ستّين يومًا لنقف البزر الحديث المبزّر منذ اسبوعين او ثلاثة

واثبت ايضًا المسيو دوكلو انّ درجة البرودة الانسب لمشتى البزر انّما هي الدرجة القريبة من الصفر في ميزان الحرارة . الّا انّهُ لا بأس اذا أُهبطت درجة الحرارة الى ١٠— بل الى ٢٠— و ٣٠— من ميزان السنتيغراد . فان مثل هذا البرد القارس لا يُلحق اذىً بالبزر كما يُستدلّ من اختبارات العلماء كسپلانزاني (Spallanzani) ولوازلور (Loiseleur) وبونافوس (Bonafous) وغيرهم . امّا المسيو كيشار (١ فادّت بهِ ابحاثهُ الخاصّة الى ان يقول : « يمكن وضع البزور في حجرة بُرّدت الى درجة ٤٠— دون مضرّة بنتاجها وذلك اذا نُقلت الى تلك الحجرة حالاً بعد تبزيرها وقبل ان تبتدئ في نشئها » . وتقرّر بالتجربة انّ مثل هذه البزور المبرّدة متى تنقف وقت الربيع لا يصيبها شيء من الآفات الحالّة بالبزر العادي الذي يبقى اشهرًا طويلة معرّضًا لتقلبات الجوّ

ونقف البزر يصير عادةً في بلاد الشأم في اوائل نيسان حين يورق التوت . فلحفظ البزر الى هذا الزمن لا بدّ من وضعهِ في مكان لا تتجاوز حرارتهُ عشر درجات الى ٢٢ او على الاقلّ من ١٥ الى ١٦ درجة . واذا ارتفعت الحرارة فوق هذا الحدّ فلا

(١) P. Guichard : *L'Eau dans l'industrie*

بدّ من نقلهِ الى مكان ابرد او الى قبو ولولا ذلك لنشأ ونقف. ولتكن حنيرة البزر متّجهة نحو الشمال على قدر الامكان ولا تكن كثير الرطوبة فيؤذى البزرُ في تبخيرهِ وتنفُّسهِ. وكذلك لا يسوغ ان يكون المكان كثير اليبوسة. والأولى ان يوضع فيهِ هيغرومتر شعريّ لقياس رطوبة هواء المحلّ. فاذا بلغت الرطوبة الى درجة ٧٥ فلا بأس واذا ارتفعت الى ٨٠ فليوضع في المكان شيء من الكلس ليتشرّب رطوبة الحنيّة

الّا انّ البزر ما دام في مشتاهُ ليس عليهِ من خطر كبير وهو اذ ذاك في حالة من الجمود لا تؤثر فيهِ طوارئ الجوّ. وغاية ما ينبغي على المربّين ان يؤخروا نقفهُ الى شهر شباط فيحفظوهُ في مخدع بارد تكون حرارتهُ دون العشر درجات. والبزر لا ينقف الّا اذا عُرّض لحرارة ١٠ درجات مدّة نحو اسبوعين وان بدأ نشوءُهُ فلم يزل ينمو بنظامٍ متواصل لا يسوغ تشويشهُ دون خطر. وهذا الطور الواقع بعد المشتى هو الطور الخَطِر يقع عادةً بين شباط ونيسان وهو صعب المراس لا بُدّ من صرف العناية ليتمّ بوقت قصير وبنظام تامّ دون ان يلحق بالبزر تغيير فاجئ من الحرّ الى البرد. ولولا ذلك لتبلبل نشوءُهُ واختلّ نظام حياتهِ فتخرج الدود ضئيلة مختلفة الكبر ويفسد جانب كبير من الموسم

فمن ثمّ يظهر جليًّا ما في حفظ البزر من الاهميّة وما يترتّب على المربّين من بذل المساعي في هذا الامر الخطير والحقُّ يقال انّ اكثر مواطنينا لا يعيرون ذلك بالًا

ومن غريب العوائد التي كانت جارية في جهات جبل الشيخ منذ نحو اربعين سنة انّهم كانوا يودعون البزر ضمن صرر عليها اسماء اصحابها ثمّ يجعلونها في آنية من الفخّار المزوج بالرمل او جرار مطليّة بالدهون في باطنها وينقلونها الى قمم الجبال فيغطّيها الثلج طول مدّة الشتاء وكانوا ينصبون فوقها قصبةً للاستدلال على مكانها في الربيع. ولا ننكر انّ في هذا العمل تلافيًا لطوارئ الجوّ وصيانة للبزر من تقلّبات الحرارة والبرد على انّ في ذلك لخللًا وهو انّ طبقة الثلج التي تغطّي الجرّة تصدُّ الهواء عن البزر فلا يأخذ البزر نصيبهُ منهُ. والبزر لا يعيش دون الهواء وان كانت حاجتهُ اليهِ في طور المشتى قليلةً. والبزر اكثر ما يحتاج الى التنفُّس في اوّل التبذير وكذلك بعد فصل الشتاء فانّهُ يزيد حينئذ تنفُّسهُ شيئًا فشيئًا على قدر نشئهِ ونموّهِ أعني منذ شهر شباط الى اوان نقفهِ

وفي الطريقة الجارية في يومنا لمشتى البزر ما يسدّ هذا الخلل اذ يتجدّد الهواء على

البزر الّا انَّها دون طريقة اجدادنا من حيث حفظهِ في درجة متساوية من البرودة. وذلك أنّنا نرسل في الخريف بزرنا الى لبنان فيُجعل في كنائس الاديرة واكثرها مبنيَّة بناء متينًا وهي ضخمة الجدران واسعة الفناء لا تنفذ فيها في الغالب اشعَّة الشمس ولا تؤذيها الرطوبة. فمثل هذه الكنائس تصلح لمشتى البزر. الّا انَّ بعضها ايضًا ليست بمأمن من طوارئ الجوّ كالرطوبة والحرارة فيلحق بالبزر ضرر عظيم بسبب ذلك

والدواء لهذا الداء ان يشترك بعض اصحاب الثروة ومربّي دود القز فيبنوا في مشارف لبنان العليا بناء خاصًّا بمشتى البزر كما فعلت البلاد المتمدنة كفرنسة وايطالية واسبانية. ولا غرو انَّ اصحاب هذا العمل الجليل يستوفون بعد قليل ما تكلَّفوهُ من النفقات ويخدمون بذلك وطنهم خدمة تُذكر فتُشكر. فعلى هذا النمط قد اجتمع القزَّازون الفرنسيُّون من مقاطعة ڤوكلوز فشيَّدوا سنة ١٨٨٠ بناية كبيرة باردة قرب كنيسة سيّدة الثلج (N-D des Neiges) في جبال اردیش فجاءت وفق المرام

وان كان اهل بلادنا لا تسخى يدهم بمثل هذه الاعمال النافعة فعليهم الّا يغفلوا عن اختيار كنائس مبنيَّة في اعالي لبنان ليست برطبة ويحيط بها رواق في دائرها يردُّ عنها اشعَّة الشمس. وان يتوسَّلوا الى رئيس الدير بان يكل حراسة خوائط البزر الى احد رهبانهِ من اهل الخبرة والدراية ليناظر احوالها ويقوم بشؤُونها كما سنذكر

وقد فاز الايطاليُّون بالسبق على غيرهم بحُسن مبانيهم المشيَّدة لحفظ البزر في فصل الشتاء بحيث لا ينقصها شيء من الشروط السابقة وقد ابتنى المسيو سوزاني اكبر ارباب تربية القزّ في لُمبَرْدية محلًّا فسيحًا واسعًا في وسطهِ حجرة طولها ٢٠ مترًا وعرضها ٥٠ وعلوّها اربعة امتار يودع فيها سنويًّا لقضاء فصل الشتاء ٢٥٠٠ كيلوغرامًا من البزر. وللحجرة جداران احدهما خارجيٌّ سمكهُ ٧٠ سنتيمترًا والثاني داخلي سمكهُ ١٥ وبين الجدارين فضاء للهواء مسافتهُ ١٥ سنتيمترًا. وارض الحجرة مفروشة ببلاط متين والحيطان مطليَّة بالقار. امَّا السقف فمن الحديد والآجرّ تعلوهُ طبقة من الرمل

وقد عُلّق بسقف المخدع ثلاثة صناديق من الحديد المموَّه بالنحاس في ضمنها محلول من كلورور المغنيسية التي لا يجمد الّا اذا بلغ الدرجة ٢٠ — فيسيل هذا المزيج في آلة مبرّدة ثم يجري بقساطل الى مخدع البزر فيبرّدهُ. امَّا هواء المخدع فيبقى على يبوستهِ وذلك لأنَّهُ قد وُضعت في المكان كميَّة من الكلس الحيّ أُودع ضمن صناديق

من الخشب. ويتجدَّد الهواء بنفوذه في شبابيك الحجرة المقفلة وهذه المنافذ تُفتح ليلًا او صباحًا قبل طلوع الشمس

امَّا الجهاز المتَّخذ لتبريد المحلّ فهو مصطنع على طريقة پكته (Pictet) وهو عبارة عن آلة تتضمَّن الحامض الكبريتيّ مائعًا وهو يُحصل عليهِ بان يضغط ضغطًا يوازي عمودًا جويًّا او عمودين وذلك بالدرجة الخامسة من حرارتهِ. ثم يُودع هذا الحامض في ثلاثة آنيةٍ تغطس في محلول كلورور المغنيسية. فاذا فُتحت حنفيَّتهُ تحلَّل الحامض واستحال الى غاز فيحتاج لتبخُّرهِ الى كميَّة عظيمة من الحرارة يمتصُّها من كلورور المغنيسية. فتهبط درجة الكلورور الى ١٥ — . فاذا برد هذا المحلول تدفعهُ مِضَخَّة (طلمبة) الى الصناديق المعلَّقة بالسقف

وقد تنوَّعت البنايات لحفظ بزر القزّ بعد ذلك وانَّما اكتفيت بذكر طريقة المسيو سوزاني كمثلٍ ضربتهُ لاهل وطننا ليدركوا ما للاوربيين إجمالًا وللايطاليين خصوصًا من شدَّة الاعتناء في بزرهم. وان لم يستطع مواطنونا ان يبلغوا من اوَّل وهلة هذا الكمال في تربية القزّ فيحاولوا على الاقلّ ان يحسّنوا هذه الصناعة ما امكن بمناظرة البزر وحفظهِ في البرودة اللازمة وتهوية المكان الذي فيهِ يصرف فصل الشتاء

ومن العيوب الفاشية الآن في بلادنا انَّ القزَّازين يضمّنون بزرهم في عُلَب تودع في خرائط او اكياس من الخام وهم يجعلون العلب على حافتها منصوبةً عموديًّا وربَّما تركوا البزر في الصناديق التي بها اتاهم من اوربَّة. وفي كلّ ذلك خلَل ظاهر لان البزر يتجمَّع بعضهُ فوق بعض فلا ينال قسمٌ منهُ الَّا قليلًا من الهواء. والأَولى ان تجعل العُلَب على وضعها الاصلي

امَّا نحن فنشير على المهتمّين بتربية القزّ ان يتَّخذوا بدلًا عن الخرائط اصونةً (اقفاصًا) مفروشة بالشاش (الموسلين) ينفذ فيها شبه جرَّارات يُجعَل فوقها البزرُ طبقاتٍ رقيقة لطيفة. ولو كان طول الجرَّار تسعين سنتيمترًا وعرضهُ خمسين لأَمكن ان يوضع فوقهُ كيلوغرام من البزر. ويجوز ايضًا استعمال الاقفاص ذوات المشبَّكات الحديديَّة الشائعة في بلادنا لحفظ المآكل فانَّ تجهيزها يصلح لحفظ البزر وذلك بأَن يُستبدَل لوحها الوسطانيّ بحاجز من الشاش

وتوفيرًا للاحتياطات فليُحرَّك البزر مرَّة كلَّ خمسة عشر يومًا بتحريك اطباقهِ التي مُدَّ عليها

ومن الاختبارات التي اجريتُها بنفسي وامتحنتُ نتائجها الحسنة ان يُغمس البزر في الماء البارد في شهر كانون الثاني مدَّة ساعة او ساعتين كما يُفعَل بعد التبزير وذلك ان يُلقى البزر في وعاء مملوء ماء ويُحرَّك فيهِ. واذا التصقت بعض البزور ببعضها فلتفرد برفق. امَّا البزر الطافي فوق الماء فيُنبَذ ويطرح لعدم صلاحهِ. ثم يُصَبّ البزر على نسيج رقيق يُجعَل فوق منخل حتى يسيل الماء من خلالهِ. ثم يؤخذ النسيج من اطرافهِ الاربعة فيهزَهز كي لا يبقى فيهِ اثر ماء. ثمَّ يُبسَط النسيج ويُمَدّ عليهِ البزر بفُرْشة من الريش الناعم بحيث يصير طبقةً لطيفةً متساوية. فاذا يبس البزر في اليوم التالي يلفّ صاحبُهُ يدهُ بمنديل فيفتّ ما التصق منهُ ببعضهِ. وهذا الغسل البارد من احسن العوامل لتقوية البزر

هذا ونختم كلامنا بملاحظة جديرة بالاعتبار فنقول: ان مشتى البزر في اعالي الجبال وان كان يصلح جدًّا لحفظهِ سليمًا فانَّهُ لا يخلو من خطر كبير اللهمَّ اذا لم تُرَاعَ فيهِ الشروط اللازمة وفقًا للمبادئ التي شرحناها في سابق كلامنا. واوَّل هذه الشروط ألَّا يُنقَل البزر بغتة من البرد القارس الى مكان حضانتهِ الدافئ دون ان يتدرَّج شيئًا فشيئًا من البرد الى الحرارة حسب طبيعة البزر الذي اذا نشأ لا يزال ناميًا على قاعدة ثابتة. ولولا ذلك لكان افضل ان تختار لمشتى البزر مواضعُ متوسّطة في العلوّ لئلَّا يصيبها اذًى بانتقالها هذا الفاجئ من البرد الى الحرارة. والله المرشد الى الصواب

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الحادي عشر

الشغل في المناجم

امَّا فاضل فلم يَزُر الكرى جفنَهُ طول الليل فنهض من سريرهِ قبل طلوع الفجر ولبس ثيابه وجلس في الكوخ الذي كان يقيم فيهِ مع نسيب ينتظر إشراق الصباح.

وكان قد استولى عليهِ الجزع وفرغ منهُ الصبر حتى حسب كل دقيقة من ساعات الانتظار شهرًا وغاية ما كان يودهُ ان ينهزم الليل بسرعة حتى يذهب الى المناجم فيجدّ في الحفر ويملأ يديهِ من الصفائح الذهبيَّة وحينئذٍ تتمّ امنيَّتهُ فيصير غنيًّا وحرًّا

« وكيف لا يُثري وقد سمع قبل سفرهِ من لبنان ان كثيرين من عَملَة المعادن صاروا من اصحاب الملايين في اقلّ من لمح البصر ولم يكلفهم ذلك غير حَني ظهورهم لالتقاط الذهب المبذور في التربة ولماذا لا يُرزَق هو حظًّا كحظِّهم فقد اتوا مثلهُ من بلاد بعيدة وكانوا من أهل الفقر فتبدَّل عسرهم يُسرًا وتحوَّل احتياجهم الى غنىً وثروة عظيمة. نعم انّهُ قاسى الشدائد وتعرَّض للمخاطر الهائلة قبل الوصول الى طيّتهِ ولكن ما بالهُ يفكِر في ما مضى أوَ هل يهمّ الانسان من أمورهِ الَّا الشيء الحاضر ومتى سئل الانسان عن حالهِ بالامس ؟ ثم ان مريم والدتهُ ستبتهج كثيرًا عند ما ينتهي اليها الخبر السارّ بوصوله الى مناجم الذهب والتقاطهِ كميَّة كبيرة من هذا المعدن الثمين وتأكُّدها انّهُ من اهل الثراء ». تلك كانت الخواطر التي شغلت عقل فاضل في تلك الليلة ولدى افتكارهِ في غناهُ الوهمي كان يبتسم جذلًا كأنّهُ بازاء أُمّهِ وأُختهِ

وعلى اثر هذه الافكار المفرحة انكمش فؤادهُ حزنًا فعتب على والدته وشقيقته كيف لم تبعثا اليهِ بكتابة تستفسران بها عن احواله وخاف ان يكون قد عرض لهما أمرٌ مكدِّر. لكن ما لبث ان استرجع رشدَهُ قائلًا لعلَّهما لا تعرفان المحلّ الذي أُقيم فيهِ ومن الواجب ان ابعث اليهما بعنواني لكي اتلقَّى أخبارهما. وبينما كان القمر يرسل انوارهُ البيضاء الى الحجرة من خلال الزجاج اشعل فاضل شمعةً وجلس الى جانب مائدة من الخشب وتناول من جيب صدرتهِ قلمًا من قصب وشبَّك رجليهِ واخذ قرطاسًا بيديهِ وشرع يكتب

وبينا قلمهُ يصرُّ صريرًا على القرطاس كانت ابرة الساعة تداوم المسير ببطء في طريقها وما مضى الزمن الطويل حتى انبلج الصبح ثمَّ ارتفعت الشمس لامعةً بنورها وأخذت تحيل كتها الذهبيَّة في القبَّة الزرقاء. وكان الهواء صافيًا شفَّافًا كما هو عادةً في الديار الشرقيَّة وكان يُشاهَد من بعيد شبه سجف من الروابي مسدول فوق نهر كان جماعة من المعدنين يشتغلون عند ضفَّتهِ باستخراج الذهب من الرمل وكان يُرى في الأُفق ايضًا قمم اكثر ارتفاعًا تحول دون العين عن النظر الى ما وراءها وفيها كثير من اشجار الصنوبر

وعلى جوانب الجبال المذكورة حجارة كبيرة من الكوارتز الحاوي الذهب رافعة رؤوسها فوق التربة كأنها سور أبيض. وقد افتتحت على مسافة منها اشغال التعدين. وكان في الوادي الذي يسقيهِ نهر «مكس ويل كريك» بضعة حُجَر منفردة يقيم بها جماعة من المعدّنين الذين يعملون لحسابهم ثم اكواخ أُخرى صغيرة لاقامة الفَعَلة المستأجرين للعمل لحساب غيرهم

واذ كان فاضل مهتمًّا بكتابة رسالتهِ الى والدتهِ طرق نسيب الباب آتيًا اليهِ لاستصحابه الى المناجم. فترك من ساعتهِ الكتابة وتبعهُ وافكارهُ مشغولة في كيفيَّة تحصيل الثروة. فسار الاثنان وهما يسمعان من كلّ ناحية ضرب المعاول. وكان على ضفَّة النهر جماعة يجرفون الرمل ويملأُون منهُ القفف فيفرّغونها في محلّ العين حيث يأتي آخرون فيغسلونها لتخرج منها كل مادَّة غريبة فيلتقطوا ما يجدون فيها من شذور الذهب. وفي كثير من الاحيان لا يعثرون على شيء من المعدن. اذ مضى الزمن الذي كان يثري فيهِ المعدّن ببضع ساعات او دقائق واصبح اليوم يحسب نفسهُ سعيدًا اذا تمكن في آخر نهاره أن يجمع من الشذور الذهبيَّة ما تعادل قيمتهُ دولارًا او دولارًا ونصفًا

ومرَّت ايَّام كثيرة على فاضل الذي كان يعد نفسهُ بالثروة في وقت قريب فوجد ان الشغل متعب والثمرة زهيدة وندم على ترك وطنه وبلاده واحتمال الشدائد ومعاناة الاخطار التي كادت ان تذهب بحياتهِ. لكنَّهُ سلَّى نفسهُ قائلًا انَّهُ من مدَّة كان منطرحًا في اسواق نيويرك وليس بيدهِ بارة يشتري بها قطعة خبز سدًّا لجوعه وهو الآن يستطيع ان يعيش دون ان يبسط يده للسؤَال. واذا كان قد غرَّر بنفسهِ مقتحمًا سفرًا بعيدًا محفوفًا بالشدائد فيجب ان لا يلوم احدًا لانَّهُ هو الذي اختار لذاتهِ هذا النصيب

وبعد مدَّة من الزمان تراخت عرى الصداقة بين فاضل ونسيب وحلَّت البغضاء محلّ الحبّ. نعم ان نسيبًا اعرب عن رأفةٍ بمواطنه غير انَّهُ لم يكن ليخلو من المعايب والنقائص ومن اخلاقهِ انَّهُ كان قليل الصبر سريع الغضب حريصًا على الربح

وقلنا قبلًا ان وقر الجميل كان قد ثقل على فاضل غير انَّهُ اخذ يزيد عليهِ ثقلًا بعد ان نجا من الخطر وشعر بانهُ صار اقرب الى تحصيل الغنى فقد كان يحسب نسيبًا كحجر عثرة في سبيل صوالحهِ الخاصَّة لانَّهُ طالما كان يشتغل لحسابهِ لم يكن يأخذ شيئًا ممَّا يجدهُ من صفائح الذهب ويستقلّ الاجرة المعيَّنة لهُ. وكان كثيرًا ما يتحسَّر ويتأوَّه من

جراء الحوادث المشؤومة التي توالت عليهِ منذ خروجه من لبنان واجبرتهُ على ان يتقيّد بخدمة آخر

فجعل يفكّر في الوسائل ليتخلّص من رقّ هذه العبودية فيصير في الغد حرًّا بعد ان كان الى تلك الغاية اجيرًا كسائر المعدّنين المستأجرين للعمل على حساب من التقطهُ من الطريق شفقةً ورأفةً وأشغلهُ في المناجم التي اكتراها

ومن عجيب امر فاضل انَّ اخلاقهُ الحسَنة كانت تبدَّلت شيئًا فشيئًا وحلّت مكانها اخلاق اخرى فانَّهُ على قدر ابتعادهِ عن لبنان كان ينبذ واحدةً من صفاتهِ قد عهدناهُ وهو في سوريَّة ديّنًا شفوقًا على الفقير محبًّا للاستقامة راغبًا في الارباح ولكن ضمن الحدود التي تعيّنها وصايا الله. ولكن بعد وصوله الى اميركة اصابهُ ما يصيب غيره من المهاجرين ولم يعد يهتمّ بشيء آخر سوى حشد الذهب معتبرًا كلّ الوسائل جائزةً بشرط ان تؤديه الى غايتهِ حتى لو كانت اعظم الجرائم

وكان في مناجم الذهب يعيش بين قوم مختلفي الاوطان والامم والمذاهب لا يفتكر احد منهم بغير صوالحه وشهواته. فهؤلاء هم الذين كان يخالطهم طول نهاره ويسمع احاديثهم ومفاوضاتهم. وكان اذا جاء المساء ذهب معهم الى الخمَّارة فيتناول الويسكي او غيره من المشروبات المسكرة. اجلْ انَّهُ كان يشرب قليلًا من العرق وهو في قريته بلبنان ولكن لم يكن ذاك شيئًا مذكورًا بالنسبة الى ما يفعلهُ الآن. حتى انَّ تردّدهُ الى هذه الحوانيت بين هؤلاء الفعلة اجتذبهُ مع الزمان الى اجتراح المنكر وسَلب شيء من مال نسيب

وبينما هؤلاء العملة كانوا مجتمعين ذات مساء في قاعة الخمَّارة على جاري عادتهم دخل عليهم نسيب والتفت الى فاضل قائلًا بصوت شديد: اهكذا ايها الشقي تبذر دراهمي. فاذا كنت قد اعطيتك جميع ما تملك وانقذتك في نيويرك ونشلتك من مخالب الموت في سان فرنسيسكو فاعلم اني لم اكن اقصد ان تصير سكّيرًا وسارقًا

فوقف فاضل حينئذٍ وقد لاحت على وجههِ امائر الغضب

فقال نسيب: نعم نعم قلت واقول على مسمع من الكل انَّك سارق

— انت كذَّاب يا مستر نسيب

— لا بل انا صادق. ثم التفت الى الحاضرين قائلًا ارجوكم ان تخبروني باي اسم



يُسمَّى من يختلس قطع الذهب وهو يشتغل لحساب آخر ؟

فقام الجميع وقالوا معاً: انهُ سارق

– والحال انك يافاضل قد اختلست قطع الذهب

– كذبت في ما تقول

فالتفت نسيب الى الحضور فقال: فتّشوهُ

فهمّ فاضل ان يبدي ممانعةً فلم يستطع لان الكل اجتمعوا حولهُ فخلعوا سترته ووجدوا في جيبه علبة من المقوى (كرتون) تحتوي على قطع صفراء مختلطة بالتراب وهي قطع ذهبيَّة (ستأتي البقيَّة)

اسئلة واجوبة

ما يفيدنا التاريخ عن بنطيوس بيلاطوس البنطي

نبذة موجزة للاب لويس شيخو اليسوعي قد اقترحها عليهِ احد كهنة بيروت الافاضل

قد ضربت دساتير الايمان المسيحي صفحًا عن ألدّ اعداء المسيح من اليهود كروساء الشعب وعظماء الاحبار مثل قيافا وحانان وغيرهما. بيد انَّها جميعاً على اختلاف صورها تتَّفق في ذكر بنطيوس بيلاطوس الحاكم الروماني الذي على عهدهِ جرى موت المسيح وبامرهِ صُلِب. وليس ذكرهُ في هذه العقائد الدينيَّة بغضاً وحنقاً اذ كانت جناية اليهود على الرب اعظم من جنايتهِ (يوحنَّا ١٩: ١١). بل لتنفي كل شبهة عن هذا الامر الجلل الذي يُعدّ كقطب الديانة المسيحيَّة فلا يبقى مجال للاراجيف المفترين وتسقط كل حجَّة المعاندين. وقد وافق على ذلك اكبر موءرّخي الرومان تاقيتس الشهير وقد سطَّر ما تعريبهُ بالحرف (ك ١٥ ف ٤٤): «في عهد طيباريوس الملك حكم نائبهُ بنطيوس على المسيح بالموت». وكان سبقهُ يوسيفوس الكاتب اليهودي الذائع السُمعة وهو معاصر المسيح فكتب عنهُ عزَّ وجلَّ: «... فالمسيح هذا سعى بهِ اعيان الشعب الى بيلاطس فحكم عليهِ بان يُصلَب... وبعد ثلاثة ايَّام ظهر لتلاميذهِ حيًّا...» (راجع المشرق ١: ٦٧٠)

فان كان حكم بيلاطس على المسيح امرًا مقرَّرًا بقي ان نورد باختصار ما جاء عنهُ في تواريخ الكتبة الاقدمين فنقول: انَّ اسم بنطيوس (او بنطي) هو عَلَم صاحب

الترجمة ويدلُّ على شرف نسبهِ او علائقهِ مع سلالة « بُنطيا » الشهيرة. امَّا بيلاطوس فهو لقبٌ عُرف بهِ يشتقّ من pilum (سَهم). وكان المذكور من اصحاب سيجان احد خواصّ القيصر طيباريوس وكبير دولتهِ فنصَّبهُ في المناصب الجليلة حتى ولَّاهُ اليهوديَّة

وبيلاطوس سادس ولاة رومة على اليهوديَّة منذ دخلت بلاد اليهود في حكم الرومانيين خلف في رتبتهِ هذه ڤاليريوس غراتوس. ويؤخذ من كتاب العاديَّات اليهوديَّة ليوسيفوس (ك ١٨ ف ٢ ع ٢) انَّهُ تقلَّد امر اليهوديَّة عشر سنوات وانَّهُ عُزل في سنة وفاة طيباريوس فيُستدلّ بذلك انَّ ولايتهُ امتدَّت من سنة ٢٦ الى ٣٦ للميلاد. وكان بيلاطوس يقيم عادةً كاسلافهِ في مدينة قيصريَّة على ساحل بحر الشام بين يافا وعكَّة. وذلك ليؤلّف الرومانُ قلوب اليهود فلا يستنكفوا من ملكهم. الَّا ان الوالي كان يقدم اورشليم في اوان الفصح للمحافظة على النظام والهدوء في حين ورود اليهود اليها من كلّ صَقع وواد فيجعل سكناهُ في دار الولاية (متَّى ٢٢ : ٢٧ ويوحنَّا ١٨ : ٢٨) المجاور لبرج انطونيا بقرب قصر هيرودس (راجع كتاب حرب اليهوديَّة ليوسيفوس ك ١٤ ف ٨)

امَّا طباع هذا الوالي فغاية ما يُستخلص من اخبار الانجيليين الاربعة انَّهُ كان فشلًا ضعيف النفس وانَّهُ مع محاولتهِ العدل يرغب اشدَّ الرغبة في حفظ رتبتهِ وحسن سمعتهِ عند القيصر. وهي الاخلاق السيِّئة التي حملتهُ على ان يُفتي بقتل المسيح بعد ان تحقَّق ظلم اعدائهِ وجورهم وكان برَّأ ساحتَهُ اربع مرَّاتٍ امامهم واعلن انَّهُ لم يجد فيهِ سببًا للموت وغسَّل يديهِ قائلًا « انّي بريءٌ من دم هذا البارّ »

وما جاء في كتب المؤرّخين عن بيلاطوس يوافق اتمَّ الموافقة شهادة الانجيليين فيهِ. بل نسبهُ يوسيفوس الى الاعتساف فذكر عنهُ امورًا تنبئ بفظاظة طباعهِ. فانَّهُ لمَّا وصل الى قيصريَّة ارسل فئةً من الجند الى اورشليم وامرهم ان يدخلوا المدينة المقدَّسة بأعلامهم وعليها صورة الملك فأثار ذلك ضغينة اليهود واعتدُّوهُ انتهاكًا لحرمة دينهم المنافي لرسم الصور والتماثيل وكان بيلاطوس اوَّل من فعل ذلك . فهاج سكَّان المدينة وأرسلوا وَفدًا من رؤساء الشعب الى قيصريَّة يطلبون نَزع الأعلام. فأبى بيلاطوس واوعز الى جندهِ بان يقتلوهم ان اصرُّوا على طلبهم فلم يثنِ الوعيد عزمهم الى أن اجابهم الحاكم الى سؤلهم. وعاد الى معارضتهم في امور اخرى فثار الشعب عليهِ ولم يقوَ على



كبح الاهواء الّا بالالتجاء الى القوّة الجبريّة

ومن خُرق بيلاطوس اغتصابهُ لقسم من قرابين الشعب اليهودي للهيكل اتّخذها لبناء قناة لمجرى الماء ولمّا هاجت الخواطر عليهِ وتكاثفت الجموع عند بابهِ ارسل جنودًا فقتلوا منهم عددًا وافرًا من اعيانهم وسفلتهم وعادت السكينة للمدينة (يوسيفوس الحرب اليهوديّة ك ٢ ف ٩ ع ٤)

وقد ذكر القديس لوقا (١٣ : ١) قتلَ بيلاطوس لبعض اهل الجليل « وكيف انّهُ خلط دماءهم بذبائحهم » . ومن اعمالهِ التي تعدّى فيها طورهُ خروجهُ على اهل السامرة وكانوا لجأُوا الى الثورة فردَّ كيدهم في نحرهم وافظع في عقابهم فشكوا امرهم الى والي سوريّة ڤيتلّيوس وكان اسمى منهُ رتبةً فامر بيلاطوسَ ان يذهب الى رومة ويدافع عن نفسهِ امام القيصر . فلمّا وصل الى رومة وجد ان طيباريوس قد مات . وكفّ كليغولا خلَفُهُ يد والي اليهوديّة عن الامور فنكبهُ . وذكر اوسابيوس في تاريخهِ (٢ف٧) انَّ بيلاطوس فضّل الانتحار على عيشة الذلّ والهوان . وهكذا قضى تعيسًا منكودًا ذاك الذي فضّل الحظوى عند قيصر على نهج سنّة العدل في دعوى المسيح وباع دينهُ بدنياهُ فما ربحت تجارتُهُ

وقد روى في القرن الثاني للميلاد القديس يوستينوس الشهيد معروضًا لبيلاطس ارسلهُ الى طيباريوس يخبرهُ بدعوى المسيح وجور اليهود في حملهم إيّاهُ على قتلهِ بارًّا (محاماة يستينوس الاولى ع ٢٥ و ٤٨) . وقد وافقهُ على ذلك ترتليان (محاماتهُ عن النصارى ك ١ ع ٢ و ٤١) وكثيرون بعدهما بحيث لم يبقَ شكٌّ بصحّة الامر . الّا انّ الاعمال التي بلغتنا « باسم اعمال بيلاطوس » باللاتينيّة واليونانيّة والسريانيّة والعربيّة ليست هي الاصليّة وانّما قد تلاعبت فيها ايدي المزوّرين في القرون التالية . والله اعلم

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب تاريخ سوريّة

المجلّد الثالث وهو يتضمّن اخبار سوريّة من ايّام الاسكندر الى القرن الثاني للميلاد

للسيد العلّامة الجليل يوسف الياس الدبس مطران بيروت الماروني

انّنا نجد في تأليف هذا التاريخ النفيس الذي انجز مجلدهُ الثالث السيّد العلّامة

المفضال المطران يوسف الدبس الجزيل الاحترام مصداقاً جديداً على صحّة آية الكتاب اذ يقول (ملاخي ٢: ٧): « انَّ شفتي الكاهن تحفظان العلم ». كيف لا ولم يكتفِ مؤلّفهُ الحبر الفاضل النبيل بان يغذي شعبهُ بلباب التعاليم الخلاصيَّة ويرشدهم الى الصلاح بنهجهِ لهم كلَّ سُبل الفضائل المسيحيَّة بل أحبَّ ايضاً ان يتجشَّم المطالعات المملّة وينعم النظر في اجلّ تآليف العلماء الاوربيين لينتقي منها خلاصة فوائدها التاريخيَّة الدينيَّة والدنيويَّة لينعش بايرادها في قلوب اهل وطننا العزيز روح الحميَّة والنخوة اذ يقفون على اخبار اسلافهم الخطيرة ويأتسون بحسن امثالهم الاثيرة. هذا وانَّ ضيق المكان يصدُّنا عن مجرَّد ذكر اسماء المباحث التي خاض عبابها المؤلف في هذا الجزء من تاريخهِ فكيف بنا لو اردنا ان نعدّد محاسن الكتاب ونستوفي اوصافهُ في كل باب. وحسبنا القول انَّ مصنِّفهُ اجزل الله ثوابهُ تصدَّى لابحاث عديدة غامضة ازال شبهتها وبيَّن صحَّتها معتضداً بالاكتشافات الحديثة والرسوم القديمة ومستنداً الى رواية أئمَّة الكتبة وثقات المؤلّفين لاسيا في مسائل عويصة من اخبار المسيح لذكرهِ الجد وتاريخ اوائل النصرانيَّة. فنقدّم لسيادة المؤلّف بلسان الوطن شكراً حميماً على هذه التحفة الفريدة طالبين الى الله ان ينسئ في اجلهِ كي ينجز تأليفهُ هذا النفيس فيبقيهُ للاعصار القادمة اثرًا ناطقاً بسموّ معارفهِ وسعة فضلهِ

ترجمة الاب يوحنَّا فيوروفيش اليسوعيّ

لاحد الآباء اليسوعيين

نوصي بمطالعة هذه السيرة التقويَّة كلَّ من يشعرون في قلوبهم رغبةً في خدمة النفوس. فانَّ هذه الصفحات الوجيزة تطلعهم على ما فعلهُ لصالح ابناء هذه المدينة راهبٌ فقيرٌ غريب لم يُحسن التكلُّم بلغة الوطن الّا انَّ قلبهُ كان متّقداً بالغيرة مضطرماً بحبّ القريب فحملَهُ ذلك على كلّ الاعمال الخيريَّة والمشروعات الشريفة خدم بها الارواح والاجساد معاً مدَّة ثلاثين سنة. فانَّهُ ربَّى الايتام ومدَّ يد المساعدة للالوف من الفقراء واسعف المنكوبين والمحبوسين ومرَّض المصابين بالهيضة (الهواء الاصفر) وأنشأ تلك الاخويَّة التي يناهز عدد اعضائها الالفين من جميع الطوائف الكاثوليكيَّة وارشدهم بكلامهِ وامثالهِ الى كل الاعمال المبرورة. فلله درُّهُ عبداً اميناً تاجر بالوزنات فاثابهُ بثواب



الابرار ربُّهُ القائل: « مهما فعلتم باحد اخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموهُ »

MARIS, AMRI ET SLIBÆ
DE PATRIARCHIS NESTORIANORUM COMMENTARIA
Ex Cod. Vatic. edidit et latine reddidit H. Gismondi S. J.
Romæ, 1899.

كتاب اخبار فطاركة كرسي المشرق

من كتاب المجدل لماري بن سليمان

سعى بنشرهِ الاب هنري جسمندي اليسوعي وشفعهُ بترجمتهِ الى اللاتينيَّة

كنَّا أطلعنا سابقًا قرَّاء المشرق (١ : ٩٤) على مختصر لهذا الكتاب الجليل وضعهُ عمرو بن متَّى في القرن الخامس عشر ونشرهُ بالطبع حضرة الاب جسمندي مدرّس اللغات الشرقيَّة في رومة العظمى وترجمهُ الى اللُّغة اللاتينيَّة ليعمّم منافعهُ بين علماء اوربَّة. بيد انَّ هذا التلخيص مع فوائدهِ لم يكن ليجمع كلّ ما ورد من التفاصيل التاريخيَّة التي اثبتها المؤلف الاصلي وهو مارى بن سليمان احد كَتَبة القرن الثالث. وليس كتاب اخبار فطاركة كرسي المشرق سوى قسم من تأليف اوسع وضعهُ صاحبهُ فضمَّنهُ فصولًا من معتقدات النصارى وآدابهم. واكثر النسخ الواصلة الينا منهُ سقيمة كثيرة الاغلاط وقد قابل الاب جسمندي لضبط ما نشرهُ بين ثلاث نسخ حصل عليها اهمُّها واقدمها نسخة المكتبة الڤاتيكانيَّة. وقد بقي في هذه الطبعة عدَّة ألحانٍ كتابيَّة لم يحبَّ القائم على نشرها اصلاحها صيانةً للاصل من كل تغيير وتحريف. وهذا التاريخ كثير الفوائد ينبئنا باحوال نصارى النساطرة في القرون المتوسطة واخبار كنائسهم العديدة وانتشار نحلتهم في الشرق الاقصى الى غير ذلك من الامور الخطيرة التي لم يذكرها احد من المؤرخين. وفي آخر الكتاب فهرس تاريخي وجغرافي يسهّل على المطالع الوقوف على حاجتهِ. امَّا الترجمة اللاتينيَّة فانَّها مودعة في كتاب قائم بذاتهِ وهي غاية في الامانة وفصاحة اللهجة ل. ش

هدايا أُرسلت الى إدارة المشرق

١ً لائحة من « كتاب النجوى » للاب العلاَّمة الفاضل الخورفسقفوس جرجس

شلحت السرياني الحلبيّ . تحتوي على تقدمة الكتاب بشعر من بحر الرجز وعلى رسالة افرنسيَّة وجَّهها الى السيد غيرين (Guérin) يوضح فيها المؤلِف غرضهُ من نشر هذا الكتاب وهو سيودعهُ فصولًا مستوفية في جميع مباحث الدين والعلم والصناعة

٢ً خطبة القاها حضرة الخوري جبرائيل كيرلُّس احد اساتذة مدرسة عينطورة « تهنئةً لغبطة الملفان ماري الياس بطرس الحويّك لدى تبوّئهِ كرسي بطريركيَّة انطاكية وسائر المشرق »

٣ً ومما أُهدي للادارة مقالة افرنسيَّة للمستشرق الفاضل (I. D. Luciani) ينتقد فيها على ما كتب في فلسفة الشيخ السنوسي وترجمة السنوسيَّة وعنوان المقالة:

« A propos de la traduction de la Senoussia »

شَذَرَاتٌ

اثر اوغسطس قيصر — هذا عنوان نبذة أُرسلت من صيداء الى المقتطف فاثبتها في عدد يناير ١٨٩٩ ص٧٩ يُستفاد منها « انَّ المرسلين الاميركيين وجدوا في احد بساتينهم قطعة من عمود كُتب عليها باللاتينيَّة هذا تذكار لاوغسطس قيصر الذي امر باكتتاب كل المسكونة قبيل ميلاد السيّد المسيح كما ورد في الانجيل الشريف وذكر فيها السبب في صعود يوسف ومريم الى بيت لحم . وقد اشتراها المرسلون واتوا بها الى مدرستهم لينصبوها في دارها تذكارًا لبداءة التاريخ المسيحي ». (قلنا) فتهلّلنا فرحًا لدى مطالعتنا هذا النبإ الخطير الذي لو صحَّ لعُدَّ من اجلّ الاكتشافات التاريخيَّة في عصرنا . فوا للاسف ما اشدَّ ما كانت خيبة آمالنا لمَّا تواردت علينا الاجوبة انَّ اهل صيداء يجهلون جميعًا امر هذه الكتابة وان المرسلين الاميركيين لم يجدوا غير نُصب من أَنصاب السكك الرومانيَّة ورد فيهِ اسم سبتيموس ساويرس يرتقي عهدهُ الى احدى السنتين ١٩٨ او ١٩٩ للمسيح الَّا انَّ مثل هذا الاكتشاف كثير ليس تحتهُ كبير امر (راجع الاعداد ١٨٤٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٦ من الكتابات السوديَّة لودِنغتون) . ولعلَّ هذه الكتابة الموهومة احدى العاديَّات المزوَّرة التي تتداولها ايدي بعض المشعوذين . وعلى كلّ حالٍ انَّا نطلب الى المقتطف ان يتثبَّت الخبر فيفيدنا عن صحَّتهِ

او يستدركهُ بتصحيح لئلاَّ يشيع مثل هذا الخبر الكاذب ه. ل

مقرّ النفس — ومن اوهام المقتطف في عدده الاخير (مارس ص ٢٣٢) ما كتب: «يقول بعض الشعوب انَّ مقرَّ نفس الانسان في كبده وبعضهم انَّ مقرَّها في قلبهِ وبعضهم انَّ مقرَّها في معدتهِ. ويقول علماء الفسيولوجيا الآن ان مقرَّ اسمى القوى العاقلة في الفصوص المؤخرة من الدماغ فانَّ الدماغ هناك نامٍ في كبار العقول وغير نامٍ في البلهِ». (قلنا) انّ اهل الفسيولجيا لا يتعرّضون في كتبهم للبحث عن مقرّ النفس وهي مسئلة تتعدى طورهم اللهمَّ الَّا اذا كانوا من المادّيين كاصحاب المقتطف وقد نبَّهنا مراراً كثيرة قرّاءنا على روح هذه المجلّة التي لا تزال تبذرُ مع زرع العلوم النافعة زوان التعاليم الفاسدة. وكلُّ من لهم ادنى إلمام بالدروس الفلسفيَّة الراهنة لا يجهلون انَّ النفس صورة الجسد وانَّها كلّها في الجسد وكلّها في جميع اقسام الجسد وان كانت النفس كثيرة القوى تبرز بعض افعالها الخاصَّة في قسم من اقسام الجسد الذي يُعدّ كمقرّ لهذه الافعال (راجع مقالتنا في رأي المقتطف في العقل البشري المشرق ١: ١٠٩ ومقالة ابن العبري في النفس البشريَّة)

شكر الاميركيين ليسوعيَّيْن شهيرين — ان الاميركان على اختلاف نحلهم الدينيَّة وآرائهم السياسيَّة قد اظهروا نحو مرسلَيْن يسوعيَّين من عواطف الشكر ما اذهل الجرائد الاوربيَّة واستعظَمَهُ اماثيل العلماء. واحد هذين الراهبين هو الاب لويس مَرْكِت مكتشف اصل نهر المسيسبي في القرن السابع عشر تجشَّم لذلك اتعاباً لا يصفها اللسان فاقام لهُ الاميركان تمثالاً في دار ندوتهم ودعوا باسمهِ مواقع كثيرة من بلادهم وزيَّنوا بصورهِ بيوتهم وشيَّدوا ذكراً لهُ ثلاث مدارس كبرى من مدارسهم وبلغ منهم الامر الى ان اتَّخذوا طابعاً من طوابع البريد فجعلوا عليهِ صورتهُ. امَّا الثاني فهو الاب دي سميت من مشاهير اهل زماننا وكان بشَّر بالايمان المسيحي بين قبائل الهنود فسعى في تهذيب اخلاقهم ونال بذلك ما لم ينلهُ غيرهُ قبلَهُ فقام في آخر السنة الماضية احد المثرين من البروتستانت الاميركيين اسمهُ فرنندو جونس فاقام لهُ في شيكاغو على نفقتهِ تمثالاً يُعدّ من طُرَف اعمال المصوّرين

(اصلاح غلط) وقع في هذا العدد غلطتا طبع في الرسالة الشهابيَّة وهما (ص ٢٩٧ س ١٤): «ابداً قبل» والصواب: «فاذا قيل» = (ص ٣٠٠ س ١٦): «على السيكاه» والصواب: «على اليكاه»

قائمة للآثار الجوّيّة من ٧ الى ٢٠ اذار ١٨٩٩

	الثلثاء ٧	الاربعاء ٨	الخميس ٩	الجمعة ١٠	السبت ١١	الاحد ١٢	الاثنين ١٣	الثلثاء ١٤	الاربعاء ١٥	الخميس ١٦	الجمعة ١٧	السبت ١٨	الاحد ١٩	الاثنين ٢٠
التبخير	٢٫٥	٢٫٥	١٫٥	١٫٩	٢٫١	٢٫٣	٢٫٠	٢٫٨	٣٫٤	٣٫٦	٢٫٣	٣٫٠	٢٫٦	٣٫٠
ميزان المطر	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٣	٠٫٠	١٫٨	٠٫٨

ميزان الرطوبة

ميزان ثقل الهواء

٧٩٠ ٧٨٥ ٧٨٠ ٧٧٥ ٧٧٠ ٧٦٥ ٧٦٠ ٧٥٥ ٧٥٠ ٧٤٥ ٧٤٠ ٧٣٥ ٧٣٠ ٧٢٥ ٧٢٠

ميزان الحرارة

٥٠ ٤٥ ٤٠ ٣٥ ٣٠ ٢٥ ٢٠ ١٥ ١٠ ٥ ٠ ٥

انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملِمترات

المشرق

القوانين الصحّية

في النَدَوات المدرسيَّة

لجناب الدكتور الفاضل هنري نكر احد اساتذة مكتبنا الطبيّ

انَّ الموضوع الذي نتوخّى البحث فيهِ لَفسيحُ المجال لا تستوفي حقَّهُ الكتاباتُ المسهبة والمجلَّدات الضخمة فضلًا عن الصَّفَحات الموجزة. كيف لا ومدارهُ على محور جليل الشأن ألا وهو تربية الانسان وتهذيبُ عقلهِ وتثقيف جنانهِ في ربع شبابهِ. وما الولد اذ يدرج من حجر والديهِ الّا طفل صغير يسلمهُ ابواهُ لارباب المدارس ليتولوا تدبيرهُ فيجعلوهُ بعد سنوات قلائل رجلًا كاملًا تامّ الأُهبة مستوفي القوى اهلًا للقيام بشؤون وطنهِ

بيد أَنّنا لا نخوض هنا في آداب تربية الصغار وتثقيف عقولهم وانّما نقتصر على ذكر نشأة ابدانهم وما تقتضيهِ صحّة اجسامهم من الاعتناء الى ان يبلغوا اشدّهم. واذا كان الجسم صحيحًا لا بُدَّ ان تنال النفس نصيبها من القوَّة والشدّة فيتمُّ كمال المرء الذي عرَّفهُ بعض الاقدمين: عقل سديد في جسم صحيح

وقوانين الصحّة في المدارس لا تفي بالمرام الّا اذا شملت كلّ احوال الدارسين فيتقفّى الباحثُ اطوارَ حياة الاحداث في صُلب نهارهم وجميع معاهد تربيتهم. والمقامات التي يصرف فيها التلامذة معظم يومهم المدرسيّ اربع: المنامُ ثم معهد الدروس او التدريس ثم مقام التنزّه واللعب ثم المطعم. وسنفرد بابًا نبسط فيهِ الكلام عن كل مقام من هذه المقامات

١ المنام

انَّ رَدهة النوم في المدارس بمثابة حجرة الاضجاع في منازل الخاصّة. وان حسبنا

انَّ الطَّلَبة يبيتون فيها ثماني ساعات فقط كلَّ يوم يكونون قضوا ثمَّت ثُلث حياتهم في زمن تربيتهم . فيتعيَّن اذًا على ارباب المدارس ان يصرفوا في بناء المنامات جلَّ عنايتهم لحفظ صحَّة الاحداث

حقُّ المضجع ان يكون في الطوابق العليا من المدارس . واسباب ذلك عديدة اوَّلها ان الهندسة تقضي ببناء النوادي المتَّسعة فوق المخادع الصغيرة ولولا ذلك لأصبحت الحواجز وجدران هذه المعاهد الصغرى بلا سندٍ يحملها . والسبب الثاني محمول على اللياقة والنظام لانَّ المدارس وساحة اللعب والمطعم مواضع يكثر تردُّد التلامذة اليها في النهار فيترتَّب ان تكون محاورةً بعضها لبعض بخلاف بيوت النوم التي لا يأوي اليها التلامذة الَّا مرَّة واحدة فالاحرى بها ان تكون في الطوابق العُليا . والسبب الثالث سبب صحيٌّ . فان الكلَّ يعلمون ان المقامات العالية يسهل تهويتُها اذ هي معرَّضة لهبوب الهواء اكثر من سواها . والمنامات في حاجة ماسَّة الى تغيير هوائها الفاسد الذي يتراكم فيها طول الليل . فلا بُدَّ اذًا من وضع المنامات في اعالي المدارس كما انَّهُ ينبغي ان يكثَّر عدد نوافذها من الجانبين ليتلاعب فيها مجرى الهواء و ينظِّفها بالتمام من الجراثيم الضارَّة بصحَّة الاحداث

فبعد هذه الملاحظة العموميَّة علينا أن نبيّن ما يحتاج اليهِ في الساعة كلُّ طالب من الهواء لتنفُّسهِ ليعلم ارباب المدارس كم ولدٍ يمكن إضجاعهم في منام واحد ذي سعة معلومة

والجواب على هذا المبحث يقتضي بعض مقدّمات نذكرها كما يأتي : انَّهُ من المعلوم ان الهواء النافذ في رئتنا يتضمَّن ٢١ قسماً من الاكسيجين في المئة و ٧٩ قسماً من الازوت . ويدخل في تركيب الهواء شيء من الماء المتبخّر مع كميَّة صغيرة من الحامض الكربونيك بنسبة $\frac{٤}{١٠٠٠٠}$. فاذا خرج هذا الهواء بعد التنفُّس بقي الازوت على حالهِ بيد انَّهُ مُشرَبٌ بالبخار . امَّا الحامض الكربونيك فنمت كميَّتُهُ الى $\frac{٤}{١٠٠}$. فترى من ثمَّ ان الانسان يفني الاكسيجين بالتنفُّس ويحيلهُ الى الحامض الكربونيك وهو غاز سام قتَّال

ولو تنسَّم الانسان الهواء في الخارج لما اضرَّ بهِ الحامض المذكور لانَّ الريح الخارجة تذهب بهِ في أدراجها وتفنيهِ بمجراها مهما كان المجرى ضعيفاً فيتجدَّد الهواء في كل طرفة

عين. بخلاف من سكن حُجرةً مُقفلة وان كانت متَّسعة الاطراف رحبة الجوانب فانَّ الحامض الكربونيك لا يزال في ازدياد والاكسيجين في انتقاص الى ان تأتي ساعة لا يمكن تنفُّس هواء الحجرة دون ان يلحق بالصحَّة ضررٌ ما. على انَّ الذي يبيت في مثل هذه المخادع يعتاد جسمهُ على هوائها الفاسد بالتدريج وهو لا يشعر بما يصيبهُ من جراء ذلك. والدليل انَّك لو دخلت ردهةً سكنها حيناً ما جملةٌ من الحضور تتأذَّى من رائحتها الكريهة دون ان يشعر قومها بقُبح هوائها. ولكن لا ينفي عدم شعورهم كون الهواء مضرًّا بصحَّتهم. واذا طالت مدَّة الجلوس في هذه الحُجَر الكثيرة السَّكَن زاد ايضاً فساد الهواء الى ان يلحق بأجهزة الجسم أذًى عظيم ويصيبهُ آفةٌ كبرى

وليس الحامض الكربونيك بالخطر الاوحد الذي ينشأ من هذه الاجتماعات في المخادع المقفلة. فانَّ لضررًا اعظم بما تُفرزهُ ابدان الحضور كالغازات المعويَّة والحوامض الدهنيَّة المتطايرة والمُفرَزات الجلديَّة فانَّ كل ذلك مَفسدةٌ للصحَّة. على ان الطامَّة العظمى انَّما هي بذات الهواء الذي يخرج من رئة الجلوس عند تنفُّسهم فانَّهُ حقيقةً داءٌ وبيءٌ

والبيّنة على صدق قولنا انَّك لو جعلتَ رجلًا صحيح البنية امام لوح من الزجاج كثير البرودة بحيث البخار الخارج من فيهِ بالتنفُّس يتجمَّد وينعقد على اللوح ثم اخذت نقطةً منهُ فانفذتها تحت جلد ارنب رأيتَ اعضاء الحيوان تتشنَّج وتضطرب الى ان يموت صرعاً بعد ساعات قلائل. فهذا بلا مشاحَّة دليل واضح على انَّ الهواء المتنفَّس مُفعم بالجراثيم الميكروبيَّة الضارَّة. ولمَّا كانت زيادة فساد الهواء تناسب زيادة الحامض الكربونيك كفانا ان نعرف درجة هذا الحامض للوقوف على درجة وخم الهواء في حجرة مقفلة

ولكن وان اجمع الاطبَّاء وارباب علم الصحة على الإفتاء بمضرَّة الهواء الموبوء بالحامض الكربونيك فانَّك لا تراهم يتفقون في تعيين الكمّيَّة التي يمكن الجسم ان يتحمَّلها ويصبر على سوء عقباها. وربَّما فُحص هواء بعض المراسح والمدارس التي يكثر فيها الازدحام فوُجد بالمقياس ان الحامض الكربونيك نما فيها الى $\frac{٥}{١٠٠٠}$ ونيفاً. وهي لعمري كمّيَّة بالغة

ومهما كان من امر هذه القياسات فانَّ ذوي العقول الراجحة من نُطس الحكماء يرتأون انَّهُ لا بدَّ ان ينال كل تلميذ في رَدْهة النوم كمّيَّة من الهواء النقيّ النظيف تبلغ

٣٢ مترًا مكعّبًا . هذا فضلًا عن الهواء الذي يدخل من خصاص الابواب وفُرَج النوافذ الغير محكمة السدّ او من خلال الجدران نفسها

بيد انّ هذه الكميّة اللازمة لتنفُّس كل نائم لا بُدَّ ان تكون في سَعَةٍ تبلغ نحو ثمانية امتار مربَّعة . وهذا امر ذو بالٍ يتحتَّم على ارباب المدارس اعتبارهُ . وما يقرب اليهم ادراكهُ انّهم لو اتّخذوا حجرتين يكون طول الاولى مترين وعرضها مترًا وعلوّها ١٦ مترًا . ويبلغ طول الثانية اربعة امتار وعرضها مترين وعلوّها اربعة امتار لوجدوا في كلتيهما ٣٢ مترًا مكعّبًا من الهواء ولكن لو سكن احد في الاولى لا يلبث ان يضيق نَفَسُهُ فيختنق امّا الثانية فيأوي اليها كلُّ شخص دون اذًى . والسبب في سوء المسكن الاوَّل ان الحامض الكربونيك الخارج بالتنفُّس هو اثقل من الهواء فيبقى في طبقة المسكن السُّفلى حيث يبيت الساكن فيخنقهُ بخلاف الحجرة الثانية فانّ الحامض الكربونيك يمتدّ في كل جوانبها فتقلّ بذلك مضرّتهُ ويبقى الهواء زمنًا اطول نقيًّا صافيًا

ولسائل ان يسأل ما الافضل بين الامرين ان يُتَّخذ لطَلَبة المدارس منامٌ متَّسع الأفناء رَحْب المساحة او عُدَّة حُجَر صغيرة تحتوي عددًا قليلًا منهم

نجيب انّهُ لا بأس من اختيار احد هذين الصنفين من المنامات وانّما الامر المهمّ انّ كل فردٍ من الاحداث يصيب نصيبهُ من المساحة المذكورة اعني ثمانية امتار مربَّعة بعلوّ اربعة امتار وان يكون للمحلّ نوافذ متحاذية من جهتيهِ ليجري الهواء فيهِ وينقّيهِ من جراثيمهِ الفاسدة . على انّنا لا ننكر انّ المنام اذا كان ردهةً كبيرة الاتّساع لا يتغيّر هواؤهُ الّا ببطء ما لم تكن نوافذهُ عديدةً واسعةً

والأولى عندنا ان تكون حُجَر النوم متوسّطةً في الكِبَر لا يتجاوز عدد مراقدها ٥٠ او ٦٠ فراشًا . واذا زاد المنام سعةً اوفر فلتكن تهويتهُ مستوفية الشروط المذكورة سابقًا . وقد عاينّا في فرنسة منامًا في مدرسة منظَّمة بلغ عدد فُرشهِ ١٤٠ فراش لكنْ موقعهُ كان غايةً في الاحكام وكان مقام المدرسة نزهًا بعيدًا عن المدينة

هذا ولا يجوز حصر المسافة التي عيّنّاها لكل طالبٍ اعني ثمانية امتار مربَّعة ولو كان الطلبة صغارًا احداثًا في العمر . فان قيل انّ تنفُّسهم اخفّ من الكبار وانّ الحامض الكربونيك الناتج عن التنفُّس هو اقلّ في محلّ مبيتهم . أجبنا ان الصغار عادةً يصرفون في منامهم زمنًا اطول من الكبار ثم انّهم في سنّ النشوء حيث تزداد حركة

اجهزتهم وتبخُّر جسدهم وافرازات جلدهم فيزيد من هذا القبيل فساد الهواء
وقد شاع في بعض المدارس اتّخاذ منامات يُجعل فيها احجزة او قُبب (alcôve) تفصل فراش كل تلميذٍ عن رفيقهِ. بيد انّ هذه الطريقة ليست بمستحسنة وذلك لانّ تجوُّلَ الهواء في مثل هذه القبب صعبٌ ولو كان ارتفاع الحواجز لا يتجاوز المترين. والدليل عليهِ ان المنامات التي عاينّاها من هذا الضرب كان يغلب عليها الريح الوخم. وزد عليهِ ان هذه القبب كثيرة الزوايا لا يسهل تنظيفها كالمنام ذي المراقد المكشوفة. ولعلَّ الآداب تكون اسلم في هذه الرَّدَهات المكشوفة حيث التلامذة يأنفون من انتهاك حماها في اعين رفقائهم ومناظريهم (ستأتي البقية)

فنّ التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حبيقة مدرّس البيان في كلّية القديس يوسف (تابع لما سبق)

البحث الثاني

التنسيق

انّ التنسيق على نوعين احدهما خارجيّ والثاني داخليّ

١ التنسيق الخارجيّ

يُنظر في هذا المطلب الى الفصول والمشاهد والغناء

اوّلًا: الفصول وهي اقسام الرواية يفرق بينها فترات. ويراد بالفترة (entr'acte) وقت بين فصل وآخر فيهِ ينقطع التمثيل. ولم يكن اليونان يعرفون الفصول كما هي الآن. نعم ان التمثيل كان ينقطع في خلال رواياتهم وينوب عن الممثلين جوقة المغنّين لكنَّ الغناء كان لهُ علاقة شديدة بالواقعة كانّهُ اجزاء منها (راجع قولنا في الغناء آنفًا). حتى انّك تخال روايتهم قطعة واحدة من اوّلها الى آخرها. امّا ما نراهُ من التجزئة الى فصولٍ فلم يكن قطّ في الاصل بل احدثهُ النسّاخ ومن اعتنوا بطبع تلك الروايات. وغاية ما اعتمدهُ الاقدمون انهم يقسمون الرواية الى بيان مقصد وعُقدة وخاتمة كما سترى في التنسيق الداخلي. ويجوز ان نسمّي على هذا النمط فصلًا ما وقع بين الغناءين

امّا طريقة المحدثين فهي افضل وابلغ اتقاناً. فانّهُ بنزول الستار واحتجاب الملعب يجد الجمهور راحةً لاعينهم وافكارهم من عناء التحديق ومراقبة الحركات. ويخفّ عن نفوسهم بعض ما نالها من الاجتهاد وشدَّة التأثير. ويقوى عندهم وجه الاحتمال فيسهل عليهم ان يفترضوا مرور الزمان الكافي وتمكُّن الاشخاص في خلال الفترات من الانتقال والسعي والعمل. ولقد ذكرنا شيئاً في هذا المعنى عند البحث في الوحدات. ولا شكَّ ان مدير المرسح يجد وقتئذٍ فرصة وافية لتغيير الزينة (décor) والمناظر اللازمة. امّا الممثلون فيجدون راحةً وفرصةً لإعداد ما يلزمهم في الفصل التالي وما عدا ذلك فبالفَترات يستر المؤلف عن العيون كل الامور البذيئة والحوادث الطفيفة والتفاصيل المملّة التي لا غنى للحاضرين عن معرفتها. لكن يضيق عنها صدرهم ولا يقوى على استيعابها نطاق الرواية. فيقدّر المؤلِف انها جرت في خلال الفَترة ويذكر في الفصل التالي خلاصتها باسلوب لطيف

فينتج ممّا تقدَّم انَّ تقسيم الرواية الى فصول امرٌ لا بُدَّ منهُ. ولا يخطرنَّ ببالٍ ان التشوُّق يضعف بانقطاع التمثيل. بل هو يزداد كما يزداد بالراحة شوق المرء الى الشغل ويقوى بالتوقف ميلهُ الى استئناف الامر. امّا عدد الفصول فلم يتعرَّض لتحديدهِ ارسطو لكنَّ هوراس حصرهُ في خمسة ليس الّا. ولم يعمل برأيه غير الفرنسيس في القرنين السابقَين حتى كان من النادر الغريب وجود روايةٍ لهم تقلّ او تزيد عن خمسة فصول. فقد دلَّتهم خبرتهم انَّ الرواية يجب أن تكون معتدلة في طولها فتبلغ نحو الالف والخمسمائة شعر او الالف والستمائة. وقدَّروا لكل فصلٍ نحو الثلاثمائة شعر فكانت اقسام الرواية اي فصولها خمسة لا غير. ففرضوا في الفصل الاوَّل تعريف اخلاق الاشخاص مع وصف حالهم وظروف المكان والزمان. وفي الثاني بدء اشتباك الاحوال واصطدام الصوالح. وفي الثالث اشتداد الاشتباك وتعقُّد الامور. وفي الرابع بدء انحلال العقدة. وفي الخامس انحلالها تماماً وانفراج الكربة وظهور النتيجة الكاملة. وقد بلغ من تطرّف اهل هذا المذهب انّهم قضوا بوجوب المساواة بين الفصول في طولها. فترى كورنيل يفتخر بانّهُ في بعض رواياتهِ لا يزيد الفصل عن الآخر بيتاً واحداً

امّا الاسبان والايطَليان في تلك الايّام فقد كانوا راغبين في الرواية ذات الثلاثة الفصول مُعرضين عمّا سواها. ولكن في عصرنا هذا لم يَعُد لعدد الفصول او طولها حد

محدود في ايّ شعبٍ كان . فترى ذات الثلاثة والاربعة والخمسة الفصول كما ترى ذات الفصلين والفصل الواحد بل منها ما تجاوز الى الستّة

فايّ عددٍ نعتمد ؟ لعمري ان خير جواب على هـذا السوءال ما ورد في كتابٍ خامـل الذكر ظهر في زمن بُوالو « انّ عدد المشاهد لا يبيّنهُ الحدّ . وعدد الفصول لا يُعتمَد فيهِ الّا على الاصطلاح . فيجب ان يكون طول الرواية معتدلًا . ولكن لا نجـد اسبابًا جوهريّة تقضي بلزوم خمسة فصول دون ثلاثة او اربعة » . انّ هذا الرأي لهو عين الصواب وان يكن مستغربًا ظهوره بين قوم تعصّبوا للخمسة الفصول

ولسنا ننكر فضل هذا العدَد على كلّ ما سواهُ لانّهُ نقطة الاعتدال لا تقـلّ فيهِ الفتَرات المفيدة عمّا يفي بالمقصود ولا تخرج بكثرتها عن الحدود المعقولة . ولكن يتّفق في بعض الاحيان وجود موضوع لا تملأ واقعتهُ خمسة فصول . وغيره اغزر مادّة لا يمكن حصره في هذا النطاق . فهل يصحّ تمديد تلك الواقعة واعتماد الحشو المملّ او الضغط على الثانية واختيار الايجاز المخلّ . لا لعمري ولا مانع البتّة من ان تكون الرواية ذات اربعة فصول او ذات ثلاثة وهذا العدد الاخير هو الافضل بعد الخمسة وربّما زادت عن الستّة ايضًا ولو عُدّ ذلك غريبًا . امّا ما تألّف من فصلين او فصلٍ واحد فلا يعدّ رواية تامّة بل جزءًا مستقلًا وهو اشبه بفصلٍ اخير من رواية مقدّرة

وكثيرًا ما يكون قبل الفصول مقدّمة (Prologue) . والمقدّمة كانت عنـد الاقدمين على صورة خطاب يلقيـهِ احد الاشخاص فيذكر فيهِ فحوى الرواية ليوقفهم على دِخلة واقعتها . او يعبّر فيهِ عن عواطف الموءلّف من عذرٍ وشكر . او يفنّد سلفًا اقوال المنتقدين . وما شاكل ذلك . ومن هذا القبيل الخطاب الذي جرت في بلادنا العادة بالقائهِ قبل التمثيل . وما زالت المقدمة يختلف شأنها حتى اصبحت عند المحدثين في ايّامنا فصلًا كاملًا تمثّل فيهِ واقعة هي اشبه بالتوطئة لواقعة الرواية . واكثر ورودها مع ذات الثلاثة فصولًا

لقد رأينا ان الفصول لم يوضع لعددها حدٌّ مفروض فلا يصحّ والحالة هذه ان يجعل لطول كلٍّ منهـا قياس . والعاقل لا يعبأ قطّ بما خطر للبعض من التزام المساواة بينها . فالقاعدة الوحيدة في هذا المعنى هي ان يستوفي كلّ فصلٍ حقّهُ كما تقضي حالة الواقعة وكما يرشدنا الذوق السليم

ولا بدّ الآن من استلفات النظر الى قضيَّة ذات شأن قلَّ من راعاها في بلادنا.
وهي ان الفصل يجب أن يُختَتم بعبارةٍ او حركة فيها بعض الاشارة الى ما يُتوقَّع حدوثهُ من امرٍ خطيرٍ في الفصل التالي فتنبّه افكارنا وتزيد تشوُّقنا. فمثل هذه الوسيلة يخالها المرء طفيفة بيدَ انّها مع دقّتها لها نتائج وفوائد لا تخفى على اللبيب

ثانيًا: المشاهد وهي اجزاء الفصل وتتغيَّر بتغيُّر الاشخاص من زيادة فيهم او نقص او تبدُّل. وقد ذهب بعضهم كالانكليز مثلًا الى انّ المشهد لا يتغير بدخول شخص او خروجه بل بانقلاب زينة المرسح وانتقال الواقعة من مكان الى آخر. فترى ستائرهم في حركة دائمة فبينما تلوح لعينك مدينة اذ تبدو لك باسرع من البرق مدينة اخرى. وطالما انتقلت من قارة الى قارة. وهذا ممّا يخالف الحقيقة والاحتمال ويضعف قوَّة التخييل. فان كان لا بدَّ من تبديل زينة المرسح فرارًا من وحدة المكان المملّة وارضاء للحاضرين الراغبين في تجديد المناظر فليكن ذلك في الفترات لا في أثناء الفصل

امَّا عدد المشاهد في الفصل الواحد فلا يقع تحت حصر. وكان اليونان يبالغون في حصر عددها امَّا في عصرنا فكثيرًا ما يزيد عن العشرة في الفصل الواحد. وعلى كلٍّ فلا يصحّ ان يدخل شخص الى الملعب او يخرج منهُ الَّا بسبب واضح يُفهم من واقعة الحال او من الممثّلين كما لا يسوغ ان يبقى الملعب خاليًا من الاشخاص. فاذا اقتضى خروج فريق قبل دخول آخر يجب على الفريق الاوَّل قبل انصرافهِ ان يخاطب القادم او ينبّه باحدى الوسائل الى مجيئه

ولا بُدَّ ايضًا من الارتباط بين المشاهد. وهذا الشرط لم يعمل بهِ الاقدمون واوَّل من وفّاه حقّه كورنيل فأحكم عرى الاتحاد بين الاجزاء فزاد الرواية رونقًا وكمالًا وهو يرى للارتباط اربعة انواع: ارتباط بالصوت. وذلك بان يفترض انّ احد الاشخاص سمع صوتًا على المرسح فجاء يستقصي الخبر او يبلغ مرامًا من صاحب الصوت فلا يجده — وارتباط بالنظر وذلك ان يرى احدهم شخصًا في الملعب فيبادر اليهِ فلا يصل الَّا وقد فاتهُ المطلوب. — وارتباط بالحضور وذلك بان يبقى من المشهد السابق شخص لقضاء حاجة من احد اشخاص المشهد اللاحق — وارتباط بالخطاب وذلك كما لا يخفى بان يدور قبل انصراف الفريق الذاهب كلامٌ لهُ مع الفريق الآتي

وكورنيل يستقبح النوع الاوَّل ويجد الثاني سائغًا ولكنَّهُ يفضّل عليهما الاخيرَين.

امّا دوبينياك (d'Aubignac) فيرتئي عوض الاوَّل والثالث ارتباطاً بالبحث وذلك بان يكون الشخص الداخل يبحث عن الخارج ويسعى في الوصول اليهِ. وارتباطاً بالزمان وذلك بان يدخل المرسح شخص لا علاقة لهُ بالخارجين بل يتّفق حضوره في حين ذهابهم بمعنى انهُ لم يمكن عقليًّا ان يسبق ذلك الحين او يتأخر عنهُ. وفي كلّ حال فالمرجع الى الحقيقة والاحتمال

ثالثاً: الغناء. لقد سبق لنا القول في منشإِ الرواية انّها كانت مجرَّد اغاني في اعياد باخوس. ثم تخلّلها ذكر الحوادث القاء وايماء. وما زال الغناء يقلّ والتمثيل يزيد حتى انقلبت الحال فصار الاوَّل ثانويًّا واضحى التمثيل محور الرواية. ولكن بقيت العلاقة شديدة بين الفريقَين عند اليونان. فكان لجوقة المغنّين ويسمُّونها خورُس (Χορός Chœur) مدخلٌ في الواقعة يقلُّ اهمّيَّة عن شأن الممثلين. فهؤلاء هم اصحاب الحركة والقول والعمل والجدّ والسعي في الحوادث. امّا الجوقة فكانت بمثابة الشهود تسمع وترى حتى اذا انقطع التمثيل اخذ افرادها في الغناء متبادلين الافكار في شأن ما شهدوا ومُظهرين ما خالجهم من العواطف المتباينة كأنّهم هم الجمهور مصغَّرًا ينوبون عن الحاضرين في ابراز مكنونات الصدور

امّا المحدَثون فاستعاضوا عن مثل هذه الجوقة بالتوقيع على آلات الطرب والغناء المستقلّ عن الرواية. وليس منهم مَن جرى على طريقة اليونان الّا راسين في روايتَي استير وعثليا وڤولتير في رواية إديپ وقد كثُر انصار هذه الطريقة كما كثر التشيُّع لطريقة المحدَثين. ولا فائدة من الخوض في ما كتب كلٌّ من الفريقين في تأييد رأيه. ولا حاجة الى القول ان موقع الغناء او التوقيع على آلات الطرب انّما هو الفترات بين الفصول (ستأتي البقيَّة)

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (١

من تصفّح كتاب لغةٍ من كتب اللغة العربيَّة ونظر الى الفاظ كل مادةٍ من

١) ألحقنا في ذيل هذه المقالة بعض ملاحظات لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعي .

موادّهِ نظر ناقدٍ بصيرٍ يرى بعض الاحيان كَلِماً لا تتعلّق بلاحقٍ ولا بسابقٍ. وقد وُجدت هناك وجود اجنبيٍّ زنيم ذميم لثيم غريب اللغة في مجلس اخوانٍ قد جمعتهم جامعة الالفة واللغة والوطنيَّة ويأخذهُ العجب العجاب حينما يرى انَّ هذه الالفاظ مع غرابة جنسها ووجودها في غير مواطنها من معاني كَلم هذه اللغة الشريفة لم يُصرِّح علماء اللغة بعجمتها مع انَّها تكاد تُعَدُّ بالمئات لا بالعشرات. ولعلَّ سبب ذلك ما وقع فيها من التصحيف او التحريف اُلمنكر حتى اصبح ذلك في طريق الاهتداء اليها عقبة كَؤُودًا حالت دون وصولهم الى هذا النوع من بيض الأنوق. ولما كنتُ قد حفظتُ في نفسي ما قالهُ حضرة الاب لامنس اللغوي البارع المتفنن في مجلّة المشرق في الصفحة ٤٤٨ من سنتها الأُولى وهذا كلامهُ بحرفهِ: «ولا بُدَّ من انتظار سنين عديدة قبل ان يتحفنا العلماء بقاموس يشتمل على جميع الألفاظ المعرَّبة مع بيان اصلها. ومما يُسهِّل هذا الشغل مساعي بعض الافاضل من ذوي التنقيب والبحث كحضرة الاب انستاس الذي نشكر لهمتهِ بذلك ونودّ لو واصل أبحاثهُ المفيدة في هذا الصدد» اه. وعثرت على بعضٍ من هذه الالفاظ احببت ان اهديها الى علماء اللغة في هذه المجلّة الغرَّاء لعُموم انتشارها مع حداثة نشأتها لما في معرفة هـذه الحروف من الاهتداء الى معنى اللفظ الحقيقي وكيفية خروجه عن وضع معناهُ الاصليّ. وقد رأيت في هذه الالـفاظ ما هي مأخوذة عن اللاتينيَّة والروميَّة والفارسيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة ممَّا لم يُصرِّح بها احدٌ قبلي. وان اتفق ان بعضها قد ذكرها غيري فهذا يكون من باب «توارُد الخواطر. كما يقَع الحافر على الحافر» واذكر هذه الكلم بدون تنسيق خصوصيّ بل حسبما تحضرني ليس الّا. مبتدئًا بما اخذهُ العَرَب عن اليونان. فمن ذلك:

١ (الدغنـاش) قال الدميريّ: «هو طائر صغير من انواع العصافير اصغر من الصُرَد مخطَّط الظهر بحمرة مطوّق بالسواد والبياض وهو شرير الطبع شديد المنقـار يوجد كثيرًا بسواحل البحر الملح وغيرهِ». وهو ايضًا (الدُقَيش) بضم الدال وفتح القاف كما قال بعد ذلك: «طائر صغير اصغر من الصُرَد وتُسمّيهِ العامَّة (الدَقناس) اه. وذكرهُ صاحب محيط المحيط باسم (الدَغناس). وسمَّاهُ الفيروزابادي: (الدَقشَة) اذ قال عنهُ: «الدَقشَة بالفتح دوَيبة رقطاء اصغر من القطاة او طائر أرقش» وزاد التـاج: «أغبر أرَيقط وتصغيرهُ الدُقَيش». فممَّا تقـدَّم يجتمع عندك الالفاظ الآتية وهي:

«الدغناش والدغناس والدقناس والدقشة والدُقَيش» وكلها تعريب δακνάς وهي تقابل الكلمات الثلاث الأُولى معنًى ومبنًى ويقال في δακνάς ما يأتي δακνίς. ونظن ان الدُقَيش تعريب هذه الثانية فسقطت النون كما يُسقطونهـا في كثيرٍ من المعرَّبات ثم توهَّموا فيها ان مكبَّرَها دَقشة وقالوا إن مصغَّرها على غير قياس. وما هذا الخروج عن القياس إلَّا لأنها مُعرَّبة. فتأمل. ويقابل هذه اللفظة اليونانيَّة (Dacnis) اللاتينيَّة. وكان يُريد اليونان بكلمتهم طائرَين على حدّ ما ذكرها العرَب الواحد منهما يُعرف اليوم عند الافرنج باسم (Cassicus) Cassique والثاني وهو الأصغر يُعرَف باسم (Dacnis) Pitpit فاحفظ كل ذلك

٢ (الدَسَّاس) حيَّة خبيثة وهي النكَّار والكلمة معرَّبة عن διψάς اي دِبساس. فتوهَّموا فيها الدَسّ وقالوا «دَسَّاس». واعلم استطرادًا أن الباء في وسط الكَلِم كثيرًا ما تُقحَم بين الأحرف اعتباطًا وكثيرًا ما تحذف كذلك ويوجد مثل ذلك في كثير من الالفاظ العربيَّة نفسها وهم يُسمُّون هـذه الاحرف الداخلة والخارجة اعتباطًا: «الأحرف الذُلق او احرف الذلاقة» لان من شأنها ان تجعل اللسان أذلَق

٣ (الحَمَطِيط او الحَمَطُوط) قال ابو سعيد الضرير: «الحَمَطيط دودة تكون في البقل ايَّام الربيع مُفصَّلة بحُمرةٍ ويُشبَّه بهِ تفصيل البَنَان بالحنَّاء» (عن التاج). وهو معرَّب αἱματίτης اي الدمويّ ويُراد بذلك الدويبـة المذكورة Hématite, sorte de chenille de couleur rouge ويُراد باللفظة اليونانيَّة ايضًا حجر الدم Hématite وسبب التسمية ظاهر في المعنيين

٤ (العِرَبَدّ) هو: «الشديد من كل شيء والدَأب والعادة والذَكَر من الافاعي وحيَّة تنفخ ولا تؤذي او حيَّة خبيثة. ضدٌّ» (عن القاموس). وعدم وقوفهم على المعنى الحقيقيّ الأصلي ناتج عن اعجميَّتها ἑρπετός ومعناهُ الزاحف والمتسلِّق. ويُوصف بشدَّة الزحف والتسلُّق نوعٌ من الحيَّات وهو المسمَّى اليوم عنـد عُلماء الحيوان من الاجانب echidna aspis وبهذا المعنى تقريبًا قال اليونان ايضًا ἑρπετόν ومعنـاهُ دويبة او دودة زاحفة او كل دابةٍ او كل حيوان بوجهِ الإطلاق (١

[illegible] «العِرَبَدّ» عن ἑρπετός القاعدة التي اثبتناها في المشرق (١: ٨٣١): [illegible] حروفها اللَّينة بمـا يناسبها من الحروف الشديدة. او المفخَّمة. ولذلك

٥ً (الدِّمص) تعريب δόμος وهو كل عَرَق من الحائط خلا العَرَق الاسفل

٦ً ومثلهُ (العَرَق) بالمعنى المذكور وليس في اصول هذا الحرف شيءٌ في اللغة العربيَّة يدلُّ على: «كل صفٍّ من اللَّبِن والآجُرِّ او الحجر في الحائط» فلا شكَّ انها دخيلة بهذا المعنى وانَّها معرَّبة عن δρκος بحذف علامة الاعراب (١

٧ً (الجربياء) ومعناها شَمْأَلٌ باردة وهي تعريب (carbas) κάρπβας وهي الريح الباردة الشماليَّة الشرقيَّة

٨ً (القَرَبشُوش) قماش البيت وهي تعريب (carbasum) κάρπασος. ويُراد به ضرب من الثياب الكتَّانيَّة ناعمة جدًّا كان يُؤتى بها من بلاد اسبانية. ومن الثياب أُطلق اللفظ على قماش البيت ويُرَاد بِهِ هنا مَتَاعهُ ولعلَّ اصلهُ: متاعهُ من الثياب ثم عمِّم (٢

٩ً (الفائلة والفائل) قالوا: الفائلتان مضغتان من لحمٍ اسفلهما على الصَّلَوَين من لَدُنْ أدنى الحجبتين الى العَجْب مكتنفتا العصعص منحدرتان في جانِبَي الفخذين» تعريب φιάλη, (phiala, muscle qui ferme l'anus, les sphincters de l'anus)

١٠ً (الهِرَكْلَة) الحسنة الجسم والخَلق والمشية تعريب ἡρακλεία (heraclea. *cfr.*, Quicherat)

١١ً (الخُنْدع) كالجندب زنةً ومعنًى او صغار الجنادب وهو تعريب: κανθαρίς (cantharis, escarbot)

١٢ً (الحِلَزّ والحَلَزُون) يونانيتهما ἕλιξ (helix)

١٣ً (السيماء) تعريب σῆμα مبنًى ومعنًى (٣

١٤ً (الباذق) ما طُبخ من عصير العنب أدنى طَبْخَةٍ فصار شديدًا. وقيل الباذِق هو ماء عِنَب طُبخ فذهب منهُ اقلُّ من النصف. قلنا وكان لليونان المتأنقين في الاشربة وآنيتها نوع من الكؤوس تستعمل لشرب الخمرة المطبوخة واسمها عندهم:

نرى ان العرب ابدلوا الحرف اليوناني ε اللَّين بالعين وهي من الحروف المفخَّمة التي تناسبهُ

١) الَّا انَّنا نعترض على حضرة الكاتب بأنَّ لفظة δρκος يراد بها فقط سَطرًا من الاشجار

٢) وتشتقّ اللفظة اليونانية Κάρπασος من العبرانية כרפס

٣) هذا رأي سبق اليهِ بعض المستشرقين

βατιάκη (batiaca) فلعلّ العرب سموا الشيء باسم آلةٍ كما قالوا: « اذكرني بلسان صدق » اي بكلام صدقٍ لان اللسان آلة للكلام

١٥ً (الوَجْنَة) « لعلّها » من لفظة (gena) γένυς بمعناها او هي من موافقات اللغات لا من المعرَّبات

١٦ً (البلارِج) قال في محيط المحيط: « البلارج بلغة افريقية طائر كبير طويل المنقار مستقيمهُ ». وقال ابن البيطار: « الغا لَرْعسُ (بعين مهملة) هو اللقلق وهو البلارج وهو طائر معروف ». قلت: وهاتان الكلمتان تعريبان مختلفان لكلمةٍ واحدةٍ وهي πελαργός اليونانيَّة ومعناها اللقلق كما قالهُ ابن البيطار

١٧ً (الكَرِينة) قال المجد: الكرينة المغنية. وزاد الزبيديّ: الضاربة بالعود او الصنج... وقالوا في الكرينة هي المغنّية الضاربة بالكِران. اه. (قلنا) وانّنا نرى انّها معرَّبة عن καρίνη ومعناها النادبة والنائحة فلعلّ المعنى انتقل من الغناء للاموات الى مطلق الغناء. ثم لمّا رأوا ان الكران عندهم يعني العود او الصنج قرَّبوا معنى الكرينة من الكرَان وقالوا انّها الضاربة بالكران. لكن المألوف في أصحاب المِهَن وزن فاعل وفعَّال كزَامِر وزمَّار وعازف وعَزَّاف وطبَّال او غير ذلك. ثم ان الكران نفسها غير عربيَّة بل يونانيَّة لانَّها مقلوبة عن الكنَّارة المعربة عن κινύρα ومعناها العود ذو العشرة الاوتار وهم كثيرًا ما يقلبون الاحرف في الكلم التي يجتمع فيها الراء مع حرف آخر من احرف الذلاقة (راجع المزهر ١: ٢٣٠)

نسخة العهد

المكتوب لعبد يشوع الجاثليق المعروف بابن العارض

من انشاء ابي سعيد المعروف بابن موصلايا

عرَّفنا في العدد السابق (ص٣٣٣) كتاب « اخبار فطاركة كرسي المشرق ». ومن جملة ما ورد فيه نسخة عهد امر بكتابتها الخليفة ابو جعفر القائم بامر الله لعبد يشوع الجاثليق المعروف بابن [illegible] تولى كرسي البطركيَّة من سنة ١٠٧٢ الى سنة ١٠٩١ . ولما كان هذا الاثر عزيزًا [illegible] تصحيحهِ من الاغلاط العديدة التي مسخهُ بها النسَّاخ (١ . اما ابو

سعيد ابن موصلايا الذي أنشأ هذا العهـد فانّ اسمهُ ابو سعيد العلاء بن الحسن بن موصلايا من نصارى بغداد استكتبهُ القائم مدَّة طويلة ثم حملهُ على الاسلام (١ ل. ش

« هذا كتاب امر بكتابتهِ عبد الله ابو جعفر الامام القائم بامر الله تعالى. اعتضادي بالله (٢ . لعبد يشوع الجاثليق الفطرك. امَّا بعد فالحمد لله الواحد بغير ثان. القـديم لا عن وجود زمان. الذي قصرت ضعة (٣ الاوهام عن ادراكه. و نضِلت صفةُ الافهام عن بلوغ مدى صفاتهِ (٤ . . . . . ولمَّا أُنهي الى حضرة امير المؤمنين تميزك من نظرائك. وتحلّيك من السداد بما يستوجبُ معهُ من امثالك البالغة في وصفـك و إطرائك (٥. وتخصّصك بالانحاء (٦ التي فُتَّ فيها شأْوَ (٧ أقرانك. وأفدتً بها ما قصَّر معهُ مُساجلُك من ابنـاء جنسك ان يعدلك في ميزانك. وما [عوّلتَ] (٨ اليك (٩ نحِلتُكَ في حاجتهم (١٠ الى جاثليق كافلٍ بامورهم. كافٍ بسياسة جمهورهم. مستقلّ بما يلزمهُ القيامُ [بهِ]. غير مُقِلّ بما يتعيَّن [على] مثلهِ في ادوات منصبه. وأنّ كبارهم (١١ ممَّن رجع اليهِ منهم لمَّا تصفَّح احوال متقدّمي دينهم واستشفً. وأعمل الفكرَ في اختيارهِ الأرجحَ فيهم والأشفِّ (١٢ . اتَّفقوا [عليك] من بعد إجالة (١٣ الرأي الذي افاضوا بينهم قِدَاحَهُ. واستيراء زَنْد (١٤ الاجتهاد الى أن أورى حين راموا امتداحَهُ. [اذ] لم يصادفوا من هو بالرئاسة احقُّ وأحرى. وللشروط الموجبة (١٥ للمقدَّم فيهم اجمع وأحوى. وعن اموالِ وقوفهم اعفّ واورع. ومن نفسهِ لداعي التحرّي فيها اتبع منك واطوع (١٦.

١) راجع اخبار فطاركة كرسي المشرق (ص ١٣٣ – ١٣٧). قال حضرة الاب جسمندي ناشر الكتاب في ترجمتهِ اللاتينيَّة (ص ١١٧) ان هـذا العهد لا يمكن استخلاص معناهُ لفساد نسختهِ

« Textus adeo corruptus est, ac lectio incerta ut versio tentari nequeat »

٢) قولهُ « اعتضادي بالله » كان شعارًا للخليفة القائم مكتوبًا على خاتمهِ

٣) وفي الاصل: صنعة ٤) في الاصل: يدى صفاته. وقد ضربنا صفحًا عن بقيَّة هذه الفاتحة لطولها و كثرة اغلاطها فاكتفينا بما ذكرنا ٥) وفي الاصل: واطرابك

٦) يريد بالانحاء الطرقَ والخصال ٧) وفي الاصل: ساو

٨) ما جاء بين معكّفين زدناهُ لبيان المعنى ونظنّهُ ساقطًا من الاصل ٩) عايك

١٠) ص: من حاجتهم ١١) ص: كلاهم

١٢) ص: الاسف ١٣) ص: واتّفقوا من بعد على احالهِ ١٤) وارضائهِ زيد

١٥) ص: والشروط الموخبة ١٦) اتبع واطوع منك

فاصاروك لهم راعياً. ولِما شتَّ [من] نظامهم ملاحظاً مراعياً (١. وسألوا إمضاء نصبك عليهم (٢ والاذن فيهِ. واجراء الامر بما يخذلُ اشدَّ محاربيهِ (٣

[هذا ولمّا كانت] رُتبتك بما أُهلتَ لهُ . وحُمِّلتَ ثِقلَهُ. واختصاصك على من تقدَّمك من الأضراب. يزيد من الاذعان (٤ والايجاب. مع حملك لاهل (٥ نحلتك على الشروط المعتادة. والرسوم التي إمضاءُ الشريعة لها اوفى الشهادة. رأى امير المؤمنين الاجابة الى ما وجَّهت[ك] اليهِ فيهِ الرعيَّة. واستخار (٦ الله تعالى في كل عزم يطلق سناهُ ويمضي فريَّهُ (٧ . مقتدياً فيما اسداهُ اليك. وأسناهُ من إنعامهِ لديك. بأفعال الائمّة الماضين (٨ . والخلفاء الراشدين (٩ . صلوات الله عليهم اجمعين . مع امثالك من الجثالقة الذين سبقوا. وفي مقامك اتّسقوا. واوعز ترتيبك لنسطور نصارى (١٠ مدينة السلام. والاصقاع وزعيماً لهم والروم واليعاقبة طرّاً. ولكل من تحويهِ ديار الإسلام. من هاتين الطائفتين ممَّن بها يستقرّ واليها يَطرَى. وجعل امرك مُمتثَلا. وأقرّك بالرئاسة (١١ عليهم متأثّلا. لتتفرَّد (١٢ بالتقدُّم على هذه الطوائف أجمع. ليكون ما (١٣ يجيزهُ الشرعُ فيهم يُقبَل واليك في احوالهم يُرجَع. وتنمو (١٤ ماهية الرعاية. في مجامع النصارى ومصلّياتهم عامَّةً من غير ان يَشركك او يشاكلك في الولاية. الدالّة عليها مطران او اسقف للروم واليعاقبة لتغدو (١٥ شواهد ولايتك في ذلك بالاوامر الامامية تأديةً للسامع والناظر. وآثار نفورهم (١٦ عن هذه الرتبة التي لم يبلغها كافَّة المجادل منهم (كذا) والمناظر. فيُمنَعوا (١٧ باسرهم من شروط الرعاية ورسومها. ويُكفُّوا عمَّا (١٨ هو من علاماتها ووسومها (١٩. اذ (٢٠ لا سبيل لاحدٍ منهم [ان] يمدّ في مباراتك باعهُ. ولا ان يخرج عن الموجب عليهِ من الطاعة لك والمتابعة.

---

١) ص: لما شيد نظامهم ملاحظاً راعياً ٢) ص: نصبهم عليك ٣) ص: وجراء الامر فيما يحصل اشدّ محاربة ٤) ص: الازعا ٥) ص: وحملك واهل ٦) ص: واستجازة ٧) ص: غريه ٨) ص: الماضيين ٩) يشير الى العهود القديمة التي أُعطيت لبطاركة النساطرة منذ زمن الخلفاء الراشدين وفي يدنا منها نسخٌ لا نعرف ما هي عليهِ من الصحَّة ١٠) ص: النصارى ١١) ص: وامرك من الرئاسة ١٢) ص: يتفرَّد ١٣) ص: فيما ١٤) ص: وان تنمو ١٥) ص: لتغدوا ١٦) ص: نضورهم ١٧) ص: فنعوا ١٨) [illegible] كري بما (؟) ١٩) ص: ورسوما ٢٠) ص: اذا

وَحَمَلَكَ في ذلك على ما يدلُّ عليهِ المنشور المنشأ لمن تقدَّمك المضى لك ولكل من يأتي بعدك الجدد بما حواهُ ذكرنا ونطقت (١ بهِ المناشير العزيزة في ايَّام الخلفاء (٢ الرَّاشدين . صلوات الله عليهم اجمعين . لمن تقدَّمك في مقامك . واجرى سيف مغزاك (٣ ومرامك . من كون المنصوب في الجثلقة اليهِ الرعاية على من تضمُّهُ ديار الاسلام من هذه الفِرَق جمعاء . والمنصوص عليهِ بالتقدُّم الذي ليس لغيرهِ في رياضهِ (٤ مرعى

وتقدَّم امير المؤمنين بحياطتك . وأهل نحلتك في نفوسكم واموالكم وبيعكم . ودياراتكم ومقام صلواتكم وحراسة امواتكم واعتمادكم باقسام الكلام على اجمل الرسم معكم . وان تحموا من نقص سُنَّة رضيَّة فُرزت لكم (٥ . ودحض وتيرة (٦ حميدة استُعملت في فِرَقكم . وان تقبض (٧ الجزية من رجالكم ذوي (٨ القدرة على أدائها . بحسب ما جرت بهِ عاداتكم دون النساء ومن لم يبلغ الحكم دفعةً ثابتة (٩ في السنة . وتحرُّزًا في ذلك على السجيَّة التي تناقلتها الرواة وتداولتها الالسنة . من غير تنبيهٍ . ولا بَلو ولا رَشو للمُعَدّ (١٠ لهُ عندكم ولا تكريه . وان تُجبى (١١ بالشدّ منك دائمًا . وتقويةٍ (١٢ تدلُّ على من نُصب (١٣ في امورهم ناظرًا ولسِلكهم ناظمًا (١٤ . ونفسح لك في فَضل ما تستخير (١٥ بينهم على سبيـــل الوساطة (١٦ . لتقصد في ذلك ما يحسم دواعي الخلف ويطوي بساطه (١٧ . وان تمضى تثقيفك (١٨ لهم وامرك فيهم . اسوةً بما (١٩ اجرى الامر عليهِ مَنْ كان قبلك لديهم (٢٠ . لتُحسن معهم السيرة العائدة عليهم بحفظ السلام (٢١ . المطابقة للشروط السابقة (٢٢ في دين الاسلام . وامر [نا] بانشاء هذا الكتاب (٢٣ مشتملًا على ما حصل بهِ . وقضينا (٢٤ ان يُعامل بموجبهِ

١) ص : ذكرنا نطقت ٢) ص : الخلفاء ٣) ص : معرال
٤) ص : رياضة ٥) ص : ومن نقط سنه رصنيه فزرت لكم (؟)
٦) ص : وثيرة ٧) ص : وان يقبض ٨) ص : زي
٩) ص : ثانية ١٠) ولا يلو ولا رسق لمهل المعد (؟) ١١) ص : يجيءُ
١٢) ص : وتقويهِ ١٣) ص : نصبت ١٤) ص : لسلمهم ناظمًا
١٥) ص : يفسح لك في فضل ما تستجر ١٦) ص : الواسطة ١٧) تشاطهُ
١٨) ص : تشقيفك ١٩) ص : ما ٢٠) ص : بينهم ٢١) ص : العتاديَة
عليهم بحفظ السوام ٢٢) ص : المشروط السابعة ٢٣) ص : في هذا تصحيف لم
نتمكَّن من اصلاحهِ ٢٤) ص : وامضى

فقابل نعمة امير المؤمنين عندك بما يستوجب من شكر تبلغ (١ فيهِ المدى الاقصى. ونَشر لا يوجد الصفح عندك (٢ قصورًا ولا نقصا. وواظب على الاعتراف بما أُوليتَهُ من كل ما حمّلك. وصدّق ظنّك وأَملك. واسترِدِ (٣ الانعام بطاعةٍ تُطوى عليها الجوانح. وادعيةٍ لأيام يتبع (٤ الغادي منها بالرائح. وتجنّب التقصير فيما بك عُذِق. وكل [ما] عليك عُلِق. واحتفظ بهذا الكتاب حميةً تمنع عنك ريب الدهر وغِيَرَهُ. وحجّة يحمل فيها على ما يحمي ما مُنِحتَهُ من كل ما شعّثهُ وغيّرهُ. وليعمل بهذا المثال كافّة الطارنة والاساقفة والقسيسين. والنصارى اجمعين. وليعتمدوا من المتابعة لك ما يستحقُّهُ تقدُّمك على الجماعة. وليستقوا بما تغمرهم من العاطفة الحامية سِربَهم من التفريق والاضاعة(٥ — نسخة التوقيع الوزرانيّ (٦ في ايفاء المنشور المسطور آخرًا. عرضتُ هذا المنشور بحضرة سيّدنا ومولانا الامام القائم بامر الله امير المؤمنين أعزّ الله انصارهُ. وضاعف اقتدارهُ. فانفذهُ وأمضاهُ. وشرّفهُ بالعلامة الطاهرة على اعلاه. فليعتمد [عليهِ] من رآهُ. وليعمل بحسبهِ ومقتضاهُ. ان شاء الله

(قلنا) وبينما كنّا نُسرّح النظر في حدائق الكتب الخطيّة المصونة في متحفَي العاديّات البريطانيّة والبرلينيّة اذ وقفنا على كتاب التذكرة الحمدونيّة فوجدنا فيهِ من المواضيع الادبية. ما يزري بالقلائد الدريّة. ومن جملة ما اطّلعنا عليهِ نسخة عهد لجاثليق يُشبه العهد الذي ذكرناهُ عن كتاب فطاركة كرسي المشرق لابن ماري فاحببنا ان ننقلهُ هنا لقرّائنا لتتمّة الافادة (Suppl. of the Ar. Mss. in the Br. Mus. , 1137, *ff*. 31 v - Mss. Berlin. *We*. 34)

نسخة عهد جاثليق

من انشاء اخي رَحِمهُ الله *

هذا كتاب امرنا بانشائهِ سيّدنا ومولانا امير المؤمنين لعبد يشوع الجاثليق الفطرك. امّا بعد فالحمد لله العميم احسانهُ. العظيم سلطانهُ. الواجب حمدُهُ. الغالب جندهُ. الكامل فضلُهُ. الشامل عدلهُ. المعروف بغير تذكرة ولا نظَر. الخالق من غير رويّة يجيلها ولا فِكَر. العالم بالاشياء ما ظهر منها وما بطن. المتعالي عن التكييف ببُعد الاوهام

* ابن حمدون هو كافي الكُفاة ابو المعالي محمَّد بن ابي سعد بن حمدون الكاتب وُلد سنة [illegible] (١١٠٢ م) وتوفي سنة ٥٦٢ (١١٦٧ م). أمّا اخوهُ فلم نعرف من امرهِ شيئًا

[illegible] ٢) في هذا تصحيف لم نرَ وجهاً لإصلاحهِ ٣) ص:

[illegible]) ص: والاصاغة يستخلص بها معنى ٦) ص: الوزداني

وعَوَص الفِطن . الذي ابتدع المخلوقات على غير تمثيل . وصنع المصنوعات من غير قياسٍ اتّبعهُ ولا دليل . واقام شواهد البيّنات على وحدانيّته . ومُعجزات البراهين على عجائب حكمتهِ . ما ايقنت معهُ العقول والبصائر . وشهدت لهُ القلوب والضمائر ...

والحمد لله على ان حاز امير المؤمنين من شرف الخلافة ميراث آبائه فرقيَ منها مبوَّءا تخرُّ الجباهُ سجّدًا لجلالهِ . وتنتسب مفاخر الدين والدنيا الى جمالهِ . وأطلع باياالتهِ نجوم العدل فما تغور . واقام بهِ اسواق الخيرات فما تكسد بضائع طالبيهـا ولا تبور . وحمى بحسن رعايتهِ حمى الدين فما يُذعر سِربُهُ . ولا يكدَّر شربُهُ . ولا يُفلّ غربُهُ . وخص الرعيَّة من رأفتهِ بمنحةٍ أرهفت شَباتَها . وثقَّفت بعد الالتواء قناتَها . وجمعت اشتات صلاحها . ويسَّرت دواعي فلاحها . فهي محفوظة في كَنَف عدلهِ . مغتبطة بخروجها من حَزْن العيش الى سهلهِ ... وان امير المؤمنين بما وكلهُ الله اليهِ من امور عبادهِ . وحمّلهُ اعباءَهُ في ارضهِ وبلادهِ . يرعى الامَّة من اهتمامهِ عينًا يقظى . ويوليها في عامة متصرّفاته حراسةً شاملة وحفظًا . ويتفقّد احوالها تفقُّدًا يصلح بالها . ويصل جمالها ...

ولمّا أُنهيت حالك (١ الى امير المؤمنين وانّك أمثلُ اهل ملّتك طريقة . واقربُهم الى الصلاح مذهبًا وخليقة . واحواهم للخلال التي اجتمعوا بها على تمييزك عنهم . حاليًا بشروط الجثلقة المتعارفة عندهم بادواتها . مشهودًا لهُ بنعوتها الكاملة وصفاتها . وحضر جماعة من النصارى الذين يُرجَع اليهم في استعلام سيرة امثالك . واستطلاع إنهـاء مضاديك واشكالك . وذكروا انّهم تصفّحوا احوال ذوي الديانات واستبثُّوا باديهم منها وخافيهم بحكم مَساس حاجتهم الى جاثليق ينظر في امورهم . ويراعي مصالح جمهورهم . فاتّفقوا باجتماع من آرائهم . والتئام من قلوبهم واهوائهم . على اختيارك لرئاسة دينهم ومراعاة شؤونهم وتدبير وقوفهم . والتسوية في عدل الوساطـة بين قويّهم وضعيفهم . وسألوا ايضًا نصبك عليهم (٢ بالاذن الذي تُثبِت قواعدهُ . وتُصدِّق مواعدهُ . وتُستحكَم مبانيهِ . وتُقوّى اواخيهِ . فأوعز باسعافهم فيما سألوهُ بالايجاب . وإلحافهم فيما طلبوا جناح الاطلاب . فبرز الاذن الاماميُّ الاشرف (لا زالت اوامرهُ بالتوفيق معضودة) بترتيبك جاثليقًا لنسطور النصارى بمدينة السلام . ومَن تضمُّهُ ديار الاسلام . وزعيمًا لهم ولمن

١) هذا القسم الاخير قد نشرهُ قبلنـا العلّامة فون كريمر (ZDMG, VII, 219) . وقد اصلحنا منهُ بعض اغلاط ٢) في الاصل: نصبهم عليك

عداهم (١ من الروم واليعاقبة والملكيَّة في جميع البلاد . وكلّ حاضر في هذه الطوائف وباد . وانفرادك عن كافّة اهل ملّتك بتقمُّص اهبة الجثلقة المتعارفة في اماكن صلواتكم ومجامع عباداتكم . غير مشارك في ذلك لانسان من الناس . ولا مفسوح في التحلّي بهِ (٢ لمطران او اسقف او شمّاس حطًّا لهم عن رتبتك . ووقوفًا لهم دون محلّك الذي خُصصتَ بهِ ومنزلتك

وان ولج [احد] من المذكورين باب المجادلة لك والخلاف . وراع سِربَ المتابعة لك واخاف . وابى النزول على حكمك . وعدل الى حربك عن سِلْمك . كانت المقابلة لهُ لاحقة . والعقوبة بهِ على شقائهُ حائقة . حتى تعتدل قناتهُ . وتلين بالفزع [عصاتهُ] . ويزدجر امثالهُ عن مثل مقامهِ . وينحرس قانونك (كذا) عن ان يقدح في نظامهِ . وأمر بحملك على مُقتضى الامثلة الامامية في حقّ من تقدَّمك من الجثالقة وسبقك . وإجراء امرها (٣ عليك ومن تلاك منهم ولحقك . والحياطة لك ولاهل ملّتك في الانفس والاموال . والحراسة الكافّة (كذا) بصلاح الاحوال . واتّباع العادة المستمرَّة في موارة امواتكم . وحماية بيَعكم ودياراتكم . والعمل في ذلك على الشاكلة التي عمل عليها الخلفاء الراشدون مع مَنْ قبلكم . ورعى بها الائمّة السابقون رضوان الله عليهم عهدكم وإلّكم (٤ . وان تقبض في استيفاء الجزية (كذا) على تناولها من العقلاء والواجدين من رجالكم . دون النساء . ومن لم يبلغ الحلم من اطفالكم . ويكون استيفاؤها نوبة واحدة في كل سنة . من غير عدول في قبضها عن قَبضة الشرع المُستحسنة . وفُسح [لك] في ان تتوسَّط طوائف النصارى في محاكماتهم فتأخذ النَّصف من القويّ المستضعف . وتقود الى الحقّ ما أخلد الى القسط والجَنَف (٥ . وتنظر في وقوفهم نظرًا يقوم بحقوق الامانة واشراطها . ويمضي على واضح حدودها وسواء صراطها (٦ . فقابل هذا الانعام الذي شملك . وحقّق مُناك فيما ناجتك نفسك بهِ وأملك . بدعاءٍ ينبئ (٧ على الاعتراف ويُعرب . ويبدع في الاخلاص ويُغرب . وسبيل المطارنة والاساقفة من الطوائف المذكورة ان يخيروا المأمور بهِ في هذا المثال . ويتلقّوهُ بالانقياد والامتثال . ان شاء الله

---

١) في الاصل : لهُ ولمن دعام ٢) وفي الاصل : غير مشارك هذا اللسان ولا منسوخ ٣) ص : واجرى امرك ٤) ص : ولكم ٥) ص : والحيف ٦) ... اشراطها ٧) ص : يثني

ثاوفيل بن توما الماروني

للشاب الاديب بشاره شمالي احد طلبة اللاهوت في مدرستنا الكليَّة

على إثر قراءة مقالة حضرة الاب لامنس عن قيس الماروني.

عثرتُ في تاريخ مختصر الدول لابن العبري على ذكر احد الكتَّاب الموارنة. كان رئيس منجمي المهدي في النصف الثاني من الجيل الثامن ويعرف « بتوفيل بن توما النصراني المنجِم الرهاوي » (صفحة ٢١٩) او « ثاوفيل الرهاوي (صفحة ٤١). وهاك ما يقولهُ عنهُ ابن العبري:

« وكان ثاوفيل هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى. ولهُ كتاب تاريخ حسن. ونقل كتابَيْ اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانيَّة الى السريانيَّة بغاية ما يكون من الفصاحة » (صفحة ٢١٩ و ٢٢٠) راجع المشرق (١ : ١٠٠٧)

وأتى ابن العبري على ذكر ثاوفيل هذا في موضعين آخرين الاوَّل في درج كلامه عن خراب مدينة ايليون اذ يقول: وفي زمان تولع بن فوا احد اولياء بني اسرائيل خربت مدينة ايليون. وقد رثاها اوميروس الشاعر في كتابين نقلهما من اليوناني الى السرياني ثاوفيل المنجم الرهاوي (صفحة ٤١)

والموضع الثاني حيث يتكلَّم عن الاسكندر وخلفائه (صفحة ٩٨) فيقول ان من اوَّل ولاية بطلميوس (٣٣٣ ق.م) يبتدئ التاريخ المعروف بتاريخ الاسكندر. وهو الذي يؤَرِّخ بهِ السوريُّون والعبريُّون ويزيد ما حرفهُ: « ومن آدم الى اوَّل هذا التاريخ على رأي ثاوفيل الرهاوي خمسة آلاف ومائة وسبع وتسعون سنة ». ومن مقالهِ يظهر انهُ كان ثمَّت لديهِ تاريخ ثاوفيل وانهُ استعان بهِ في تاريخهِ مختصر الدول

وعلى هذا سنح لي انَّ الفقرات المحكيّ عنها ربَّما كانت من تاريخ ثاوفيل هذا لا من تاريخ قيس الماروني المذكور في كتاب المسعودي

ويترجَّح ذلك اوَّلًا من كون المقاطيع المنوه عنها هي في السريانيَّة فلا يصحّ ان تكون من التاريخ المحكيّ عنهُ في المسعوديّ. ثمَّ ولا داعي الى القول بان قيسًا كتب

ايضًا بالسريانيَّة وانَّ المسعودي عرف تاريخه ممَّا وُصف لهُ منهُ او من ترجمة عربيَّة كان يتداولها نصارى القرن العاشر

والبرهان الثاني هو ما ذهب اليـهِ العلاَّمة رَيت من انَّ الكتاب الذي وُجدت فيهِ هذه اللَمَع التاريخيَّة ُخطَّ في الجيل الثامن او التاسع معتمـدًا بذلك على صورة كتابتهِ القديمة وورقه. نعم ان زعم العلاَّمة المذكور هو حدسٌ ليس الَّا ولكن حتى وفي الاحداس لا يبعد ان يكون الصواب خاصَّة اذا ما كان الكاتب خبيرًا بما يقتضى منهُ كالعلاَّمة رَيت الذي وصف كلَّ الكتب السريانيَّة المصانة في المتحف البريطاني. فمن هذه الكتب ولا شكَّ ما هو مؤرَّخ من الجيل الثامن ومنها من الجيل العاشر. ومنها من غيره. فمن المقابلة يسهل الاستنتاج ان هذا الكتاب من الجيـل الثامن لانهُ اشبه بهِ بكتب هذا الجيل منهُ بكتب جيل غيره

امَّا قول المسعودي انهُ لم يرَ للمارونيَّة في هذا المعنى كتابًا مؤلَّفًا غيره ُ فلا يمكن البتُّ منهُ انهُ لا يوجد غيرهُ لكن انَّهُ لم يعثر على غيره ولا عجب من ذلك

وعلى هذا يكون الارجح ان اللمع المذكورة هي لثاوفيـل بن توما وهي من ُمستطرفات تاريخه. و يزيد في ترجيـح هذا المقال ما جاء في هذه الفقرات من التدقيق في ذكر الاضرار التي حدثت عن زلزلتين جرتا في ايام معاوية وهو يعيّن حتى ساعة حدوثهما وغير ذلك من التفاصيل دأب الرواة المعاصرين للحوادث التي يوردونها او المقاربين لها ولو كان كاتب هذه الفقرات في الجيل العاشر لما توفّق لهُ هـذا التدقيق. فالاقرب اذًا الى الصواب ان ُتنسب هذه الفقرات الى ثاوفيل بن توما

ومن هذه اللمعة اليسيرة ينتج اوَّلًا ان الموارنة لم يقبلوا قطّ اضاليـل اليعاقبة كما المح اليهِ المشرق. وثانيًا انَّهم كانوا ُيعرَفون باصحاب مارون(ܥܡܐ ܕܒܝܬ ܡܪܘܢ) قبل البطريرك يوحنًا مارون اذ انَّ المجادلة المذكورة بينهم والاساقفة اليعاقبة كانت سنة ٦٥٨ اي زهاء ٢٨ سنة قبل سيامة يوحنًا بطريركًا اذا ما جعلنا هذه مع الدويهي سنة ٦٨٥ وبما ان يوحنًا مارون توفي زهاء سنة ٧٠٧ فيتحتَّم انهُ كان وقت الجدال حديث السن وبالتالي لا يصحُّ القول بانَّهم اخذوا اسمهم عنهُ

[illegible] لي ايضًا من هذه الواقعة انَّ الموارنة لم يكونوا اذ اذك متروين في جهات [illegible] البعض كما ان اليعاقبـة لم يكونوا منحصرين في ما بين النهرين بل

مختلطين بعضاً ببعض وممتدّين في نواحي لبنان اجمع تجري بينهم المخاصمات والجدالات في امور الايمان « ... ». ولا شكّ ان في بقايا هذا التاريخ ذكر لغير هذا الجدال وتاريخ ابتداء الشيَع والتشعبات في الشرق وبيان معتقد كل منها. وفّق الله اصحاب البحث الى الوقوف عليهِ

ويُتوهَّم من كلام المشرق ان الجدال المحكيّ عنهُ كان في خلافة معاوية والصواب ان معاوية لم يكن اذ ذاك الّا اميرًا على الشأم اربع سنوات قبل البيعة لهُ (١

(تنبيه) للمشرق كلام في هذه النبذة سنأتي عليهِ في العدد القادم

الثرّمومتر او مقياس الحرارة

للاب الكسيس مالُّون اليسوعيّ (تتمَّة لما سبق)

٢ اصطناع الثرمومتر

قد علمتَ أيُّها القارئ اللبيب من كلامنا السابق ما هي الاجسام التي تصلح لقياس الحرارة. فلنوضحنّ الآن طريقة تجهيز هذه المقاييس لتصبح سهلة المزاولة

الثرمومتر كما هو شائع في يومنا هذا عبارة عن اداة تتركّب من انبوب يغمس طرفُهُ الاسفل في وعاء مملوء من الزئبق ذي شكل كرَوي او اسطوانيّ. وللانبوبة قناةٌ دقيقة كأنَّها الشعرة ولذلك دُعيت بالشعريَّة. ويوضع على طول الانبوبة سُلَّمٌ مجزَّأ دلالةً على الدرجات. فمن هذه الهنات الثلاث اي الانبوبة الشعريَّة والقارورة الزئبقيَّة والسلَّم القياسيّ يتركّب الثرمومتر. ولا يصعب على القارئ إدراك استعمالهِ بعد ما شرحنا من امر امتداد الغاز بقوَّة الحرارة وانكماشهِ عند البرودة

على انَّ هذه الاداة البسيطة التي عمَّ استعمالها بلادنا حتى لم يكدْ يخلو منها بيت من بيوت الوجهاء بل من منازل اوساط القوم لم يبلغ الانسان الى وضعها الّا بعد القرون الطويلة والتحسينات المتوالية

وكان اوَّل ظهور ميزان الحرارة في اواخر القرن السادس عشر. وقد نُسب فضل

١) يعلم القرَّاء انَّ اهل الشام كانوا بايعوا لمعاوية بالخلافة يوم بايع اهل العراق لعليّ بن ابي طالب سنة ٣٥ ﻫ (٦٥٦ م) فضلًا عن ان تلقيب معاوية بخليفة ورد بقطع النظر عن زمن مبايعتهِ (المشرق)

اكتشافهِ لكثيرين من علماء ذلك العصر والأرجح انَّ واضعهُ غليلاي الطبيعي الشهير وقيل العلاَّمة دربل الهولندي وقيل البندقيّ سنتوريوس. وما لا شبهة فيهِ ان هذا الميزان كان في اوَّل امرهِ كثير الخلل لا يهتدي الى استعمالهِ الَّا بعض افراد ولم يكُ لهُ سُلم مقرَّر لضبط درجاتهِ ولا نقطة بدائيَّة يُرجع اليها

فبقي ميزان الحرارة على علاَّتهِ المذكورة نحو خمسين سنة الى ان حسَّنهُ الاستاذ رينلدي مدرّس الطبيعيَّات في پاڤي فعيّن بعد الاختبارات العديدة حدَّين مقرَّرين لقياس المائع في ارتفاعهِ وهبوطهِ. فكان هذا التحديد ترقيةً كبرى لتعريف درجات الحرارة بنوع مضبوط ولحُسن تجهيز المقاييس الترمومتريَّة

ولا يخالجنَّ فكرك انَّ اصطناع الترمومتر من الامور السهلة بل انَّهُ بالاحرى يقتضي احتياطاتٍ عظيمة ليكون وافيًا بالمرام. واخصُّ شروطهِ ثلاثة: الاوَّل ان تختار انابيب حسنة مناسبة لذلك. الثاني ان تصبَّ الزئبق في هذه الانابيب. والثالث ان يُلحق بها سُلَّم مدرَّج لصُنع الترمومتر

١ (والشرط الاوَّل) لا يتمُّ الَّا اذا اخترت انابيب ذوات قطر غاية في الدقَّة ولا بدَّ ان يكون هذا القطر متساويًا في كل طول الانبوب ولولا ذلك لاختلفت درجات القياس وبطلت فائدة ميزان الحرارة. والوسيلةُ لاختبار قناة الانبوب أمتساويةٌ هي في طولها ام لا أنْ تدخل فيها قليلًا من الزئبق (اب) وتجيزهُ في كل اجزائها فان بقي الزئبق على نسقٍ وتمددٍ واحد علمتَ ان القناة متساوية القطر وتصلح للترمومتر والَّا فلا (راجع الشكل الاول)

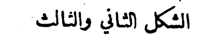
ب ا

الشكل الاول

٢ وبعد اختيار الانبوبة يتعيّن على مصطنع الترمومتر ان يُدخل الزئبق بحيث لا يبقى للهواء اثرٌ في الانبوبة. وذلك لأنَّهُ اذا اشتدَّت الحرارة على القياس وتخلخل الزئبق والهواء الباقي معًا تكسَّر الانبوب شعاعًا لامتداد الجسمين كليهما او امتزج اكسيجين الهواء بالزئبق فيركب الزئبقَ بامتزاجهِ شبهُ الصدأ

واحسن طريقة لذلك ان تأخذ انبوبًا دقيقًا (كالذي تراهُ في الشكل الثاني) يصطنعهُ في طرفهِ الاسفل بقارورة (ق) وقد أُلحم في طرفهِ الاعلى كُرَة

من زجاج (ك) لها مجرًى ضيّق مخروط مسدود. فاذا اردت ان تُدخل فيها الزئبق اكسر طرف هذا المجرى المذكور ثمَّ أحمِ الطرفين على النار بحيث يتخلخل الهواء الداخلي . وبعد ذلك يُنكّس الانبوب في وعاء من الزئبق . فلا يلبث ان يتقلّص الهواء الباقي في الانبوبة وينفذ في الكرة (ك) شيء من الزئبق يكفي لملء القارورة (راجع الشكلين الثاني والثالث) ثم يقوَّم الانبوب فينزل في القارورة (ق) قسم من زئبق الكرة. الّا ان الهواء المتقلّص الباقي في الانبوب يدفع الزئبق فلذلك ينبغي ان يُحمى الزئبق المتحدّر الى القارورة فاذا أُغلي خرج منهُ الهواء بالتخلخل من خلال الزئبق ونزل زئبق من الكرة الى القارورة دون مانع. واذا لزم الامر أُحمي الزئبق مرارًا حتى يتطاير منهُ بقايا الهواء ويمتلئ الانبوب . فتُفصَل حينئذٍ الكُرَة الملتحمة بالانبوب في اعلاهُ ويُصهَر هذا الطرفُ بواسطة البور فيُسَدّ. واذا برُد الزئبق تقلّص واستقرّ في درجة مناسبة لدرجة حرارة الجوّ



الشكل الثاني والثالث

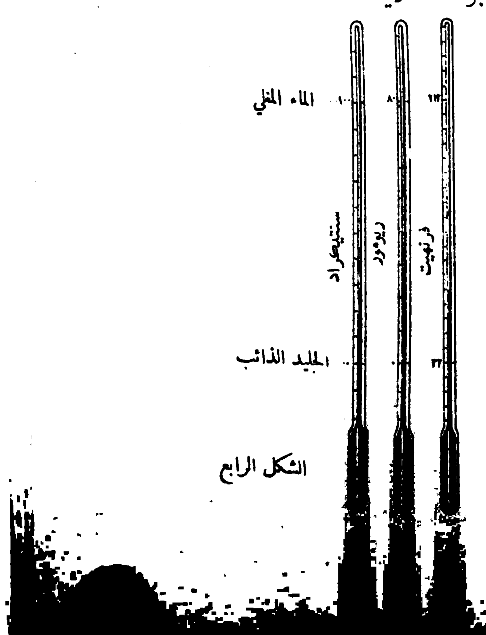
٣ ثم يبقى بعد ذلك ان يُتّخَذ للانبوب مقياسٌ مجزّأ للاستدلال على درجات الحرارة. والامر سهلٌ ان وجدت لديك ترمومترًا آخر مجزّأ فيكفيك ان تأخذ الميزانين وتغمسهما معًا في مانع واحد كالماء مثلًا فترى الزئبق في الترمومتر المجزّأ يصعد الى حدّ اي عددٍ معلوم فارقم هذا العدد على الترمومتر الآخر

وكانّ بالقارئ يسأل وكيف يُجزّأ الترمومتر مباشرةً. فنجيب انّهُ يُقتضى لذلك ان يُرقَم على الانبوب نقطتان ثابتتان تدلّان على درجتين معلومتين للحرارة فيكون المبدأ من السُّفلى والمنتهى عند العليا ثم يجزّأ ما بين النقطتين اقسامًا متساوية

وقد اتّفق العلماء على ان يتّخذوا لنقطة المبدأ السُّفلى الثابتة مزيجَ الثلج او الجليدَ الذائب فيوضع فيهِ ميزان الحرارة فيهبط الزئبق ويستقرّ عند حدّ معلوم تُرقَم ثمّت

علامة الصفر. وقد اختاروا الجليد الذائب لأنَّهُ قريب المنال ويجوز ان يُتَّخذ غيرهُ من الاجسام المصقِعة عند ذوَبانها . امَّا الدرجة العليا الثابتة فيُستدلّ عليها بوجه المقياس المذكور في بخار الماء الغالي فان الزئبق يصعد الى حدّ ثانٍ يُرقَم عندهُ العدد ١٠٠ . وتعيين هاتين النقطتين بالجليد الذائب وبخار الماء المغلي مبنيّ على احد نواميس الطبيعيَّات وهو انَّ الاجسام المصقِعة والموائع المغليَّة تبقى على درجة واحدة من الحرارة طول زمان ذوَبانها او غلَيانها بشرط ان تُضغط هذه الاجسام ضغطاً واحداً . ويُقطَّر الماء المستعمل في هذه الاختبارات لثبات درجة حرارتهِ . واذا عرفتَ النقطتين الثابتتين يكفي ان تقسم المسافة الواقعة بينهما الى مئة قسم متساوٍ . وهذا المقياس هو المعروف بمقياس المئة الدرجة او السنتيكراد (thermomètre centigrade) . واذا اردت ان تستدلّ على درجات احطّ من الصفر او اعلى من المئة فزدْ تقاسيم أُخَر الى غير النهاية

وقد شاع عند العلماء ميزانان آخران للحرارة يُنسب احدهما الى رِيومور (Réaumur) والآخر الى فَرنهيْت (Fahrenheit) . فميزان ريومور الذي يُستعمل في بعض انحاء فرنسة يُشبه مقياس السنتيكراد من حيث تعيين نقطتيهِ السفلى والعليا . الَّا انَّ صاحبهُ لم يقسم المسافة المتوسّطة بينهما الى مئة قسم بل الى ٨٠ جزءًا متساويًا



الشكل الرابع

امَّا ميزان فرنهيت الشائع في انكلترَّة والمانية واميركة فانَّهُ يوافق الميزانين الاوَّلين من حيث نقطتهِ العليا الثابتة ببخار الماء المغليّ لكنَّهُ اتَّخذ لتعيين النقطة السفلى مزيجًا من ملح النوشادر المدقوق والثلج على اقسام متساوية . ثم قسَّم المسافة المتوسطة الى ٢١٢ درجة . بيد انَّ هذا المزيج لا يُجهز بسهولةٍ فيُخيِّر العلماء اتّخاذَ الجليد الذائب . وفي ميزان فرنهيت يُرقم عند درجة الصفر العدد ٣٢ وهو الموازي للصفر في ميزان السنتيكراد . امَّا درجة المئة من السنتيكراد فهي توازي [illegible] من فرنهيت . وفي (الشكل الرابع) [illegible] واختلاف تجزئتها

وهذه الموازين الثلاثة كثيرة الاستعمال فلذلك يُقتضى معرفة تحويل بعضها الى بعض حتى اذا سمع السامع درجات احدها انتقل بسرعة الى مقابلتهِ مع الآخرين

١ً (تحويل ميزان ريومور الى ميزان السنتيكراد ويُعكس) لمَّا كان عدد درجات ميزان ريومور اربعة اخماس السنتيكراد يكفيك لتحويل ذاك الى هذا ان تضع النسبتين التاليتين وفيهما (ر) كناية عن ميزان ريومور و(س) عن ميزان السنتيكراد:

ر = س $\frac{٥}{٤}$ واذا اردت عكس ذلك قلت : س = ر $\frac{٤}{٥}$

مثال ذلك ان تحوّل ٢٠ درجة ريومور الى درجات السنتيكراد فتقول:

$$\frac{٢٠ ر \times ٥}{٤} = ٢٥ ^\circ س$$

ويكون تحويلك ٢٠ درجة سنتيكراد الى ريومور بان تقول :

$$\frac{٢٠ س \times ٤}{٥} = ١٦ ^\circ ر$$

٢ً (تحويل ميزان فرنهيت الى ميزان السنتيكراد ويُعكس) لمَّا كانت ١٠٠ درجة سنتيكراد تناسب ٢١٢ — ٣٢ اي ١٨٠ من فرنهيت نتج ان ١ س تناسب $\frac{١٨٠}{١٠٠}$ او $\frac{٩}{٥}$ من ف وبالعكس ١ ف تناسب $\frac{١٠٠}{١٨٠}$ او $\frac{٥}{٩}$ من س . فتقول مثلًا في

٥٠ درجة سنتيكراد : $٥٠ ^\circ س = \frac{٩ \times ٥٠}{٥} = ٩٠ ^\circ ف$

ثمَّ زد على ٩٠ عدد ٣٢ تنل درجة فرنهيت اي ١٢٢ . وان اردت بخلاف ذلك تحويل ٥٠ْ فرنهيت الى ميزان السنتيكراد فتطرح ٣٢ من ٩٠ ثمَّ تقلب النسبة فتقول:

$$٥٠ ^\circ ف = ٥٠ - ٣٢ \quad \frac{٥}{٩} = ١٠ ^\circ س$$

وهنا يجدر بنا ان نستلفت الانظار الى بعض الملاحظات . (الاولى) انَّ زجاج خزانة الزئبق يصيبهُ مع الزمان شيء من التغيير في سعة حجمهِ . وذلك انَّهُ لمَّا أُحمي لدفع الهواء منهُ كانت جوانبهُ تمدَّدت قليلًا فبعد زمنٍ يعود الى حالتهِ الاولى ولذلك ترى الزئبق اذا وُضع الميزان في الجليد الذائب لا ينزل بالتمام الى درجة الصفر بل يبقى مرتفعًا قليلًا عنها . فان اردت معرفة حرارة الجوّ بضبطٍ تامّ لا بُدَّ ان تتحقَّق قبل اختباراتك موقع الصفر فتطرح من الحاصل النهائي ما يلزم طرحهُ

والملاحظة (الثانية) بخصوص الترمومتر انَّ العلماء قد اختاروا الانابيب الدقيقة الثقب الشعريَّة المجرى بخلاف غيرها ليكون المائع من الزئبق او غيرهِ حسَّاسًا كثير الشعور

لحركات الجوّ وحالة الهواء من حرارة او برودة. فاذا وَسعَ الانبوب او كَثر زنبق الخزانة تكون حركتهُ ابطأ وتأَثرهُ اقلّ فلذلك آثروا اتخاذ الانابيب الضيّقة واكتفوا بخزانة صغيرة من الزئبق

وممّا يجدر اعتبارهُ (ثالثًا) انَّ درجة الصفر لا تدلُّ على عدم الحرارة في الجوّ مطلقًا بل على نسبة حرارتهِ الى حرارة الجليد الذائب. امّا معرفة خلوّ الاجسام من كل حرارة مطلقًا فانَّهُ لا يُحصَل عليها الّا بالدرجة ٢٧٣° — سنتيكراد

وبخلاف ذلك اذا اردت الوقوف على حرارة الجسم المطلقة فبعد ان تستدل على حرارتهِ في ميزان الترمومتر ينبغي ان تزيد ٢٧٣ فتجد حرارتهُ المطلقة

٣ انواع الموازين الترمومتريَّة

بقي علينا ان نبحث في بعض الموازين الترمومتريَّة التي جهَّزها قوم من العلماء لغايات خاصَّة. الّا انَّنا نكتفي بذكر ما شاع منها بوجه الاجمال لئلاً يخرج بنا الكلام عن الحدود المقتضاة. واخصّ هذه الموازين ثلاثة

١ً مقياس لِسْلي (Leslie) وهو طبيعي شهير من بلاد سكوتية صرف العناية بوضع هذا الترمومتر لمعرفة تفاوت الحرارة بين نقطتين متجاورتين ولذاك يدعى بمقياس التفاوت (thermomètre différentiel) وهو عبارة عن انبوب (ا اَ) رُكِّب في طرفيهِ (ط طَ) كُرتان (ك كَ) من الزجاج فارغتان ويكون الطرفان ملتويَيْن على شكل قائمتين متساويتي الزوايا (انظر الشكل الخامس). وتجهيزهُ بان يملأ هواء وسائلًا ملوّنًا كالحامض الكبريتيك. ويشترط في السائل ان يكون كافيًا لان يملأ كل الانبوب افقيًا وقسمًا من شعبتَيهِ. ويوضع الميزان عادةً على لوحٍ مجزَّأ. وطريقة تجزئتهِ بان يُحنَى الى ان يتساوى السائل في الشعبتين فيُرْقَم الصفر عند ذلك الحدّ. ولتعيين النقطة الثانية الثابتة يُسدّ الطرفان ثم تُحمى احدى الكرتين الى درجة ١٠ بينما تكون الاخرى على درجة الصفر فيتخلخل الهواء في الطرف المحمى ويُضغط السائل بحيث [illegible] عشر درجات فهناك يُرقم عدد ١٠ وتُتمّم التقاسيم على سواء

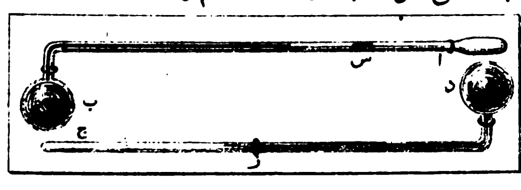
الشكل الخامس. مقياس التفاوت

وقد حسَّن العلاَّمة ماثيوسن هذه الآلة وجعلها مقياساً لكل المائعات بان عكس شعبتيها الى تحت

٢ المقياس الثاني غايتهُ معرفة اعظم حرارة يبلغها الهواء في النهار وبعكس ذلك معرفة اقلّ درجاتها فيهِ. ويدعى هذا المقياس ترمومتر الاعظم والاقلّ (thermomètre à maxima et à minima)

وقد اصطُنع لذلك عدَّة موازين وانَّما نقتصر بذكر ميزان روثرفرد (Rutherford) وهو عبارة عن مقياسين لكليهما انبوبة افقيَّة يوضعان في صندوقة من زجاج. فالمقياس الاوَّل (ا ب) تُعرَف بهِ اعظم حرارة النهار وهو مملوء بالزئبق. وقد جُعل ضمن الانبوب اسطوانة صغيرة (س) من حديد او فولاذ فاذا ارتفعت حرارة الجوّ تمدّد الزئبق ودفع امامَهُ الاسطوانة المذكورة الى ان يبلغ المائع الى اقصى درجة حرارة النهار فتبقى الاسطوانة عندها ومن موضعها يُستدلّ على اعظم درجة الحرارة في ذلك النهار

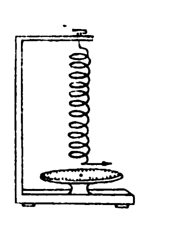
امَّا المقياس الثاني (د ج) فهو المعروف بمقياس الاقلّ ويُملأ بالكحول ويوضع في المائع اسطوانة صغيرة من الزجاج (ز) بحيث اذا تقلَّص الكحول بنقصان الحرارة جذب معهُ اياَّبا تلك الاسطوانة لانَّ بين الكحول والزجاج جاذبيَّةً والتصاقًا خفيفًا. امَّا اذا تمدَّد الكحول بالحرارة فانَّهُ يسيل من خلال الاسطوانة دون ان يدفعها الى الامام فيُستدلّ بمحلّها على اقلّ درجة حرارة ذلك النهار



مقياس روثرفرد

امَّا المقياس الثالث فهو مقياس بريغاي (Bréguet) وهو متوقّف على تمدُّد المعادن بالحرارة. نعم انَّنا قلنا سابقًا انَّ الاجسام الصلبة لا تصلح للدلالة على الحرارة. الَّا انَّ هذا القول يصحُّ في الاجسام اذا كانت منفردةً امَّا اذا جمعتَ بعض المعادن التي يختلف تمدُّدها فيمكن الحصول بها على موازين دقيقة للحرارة

ومقياس بريغاي يتركَّب من ثلاث صفائح رقيقة لُحمت بعضها طولًا. فالصفيحة الاولى



من البلاتين والثانية من الذهب والثالثة من الفضّة . ثمّ تُرقّق هذه الصفائح بحيث تصير كشريطة خفيفة . ثم تُلوى الشريطة على شكل حَلَزوني ويُعلّق طرفها الاعلى بقائمةٍ امّا الطرف الاسفل فيُجعل فيهِ ابرة من النحاس تتردّد ذات اليمين او الشمال فوق مينا افقيّ مجزّأ بتقاسيم السنتيكراد (راجع الشكل السادس)

الشكل السادس مقياس بريغاي

وكيفيّة دلالة هذه المعادن على الحرارة انّ الفضّة أقبل للتمدُّد من الذهب والبلاتين قد وُضعت في الوجه الاسفل . والبلاتين في الوجه الاعلى وهو اقلّ تمدُّدًا من الفضّة والذهب . ويتوسّط الذهب بين الفضّة والبلاتين . فاذا زادت الحرارة تمدّدت الفضّة اكثر من الذهب والبلاتين فتتمدّد الشريطة ايضًا . واذا هبطت درجة الحرارة جرى الامر على خلاف ذلك . وتجزئة هذا الثرمومتر تكون في الغالب بالمقابلة مع ثرمومتر آخر

هذا وان للدرجات البالغة من الحرارة والبرودة مقاييسَ خاصّة فانّ للحرارة المرتفعة مقياسًا يدعى پيرومترًا اي مقياس النار وهو في الغالب يُتّخذ من الآجرّ المحمَى . امّا الزئبق فهو كاف الى الدرجة ٣٦٠ لانهُ لا يغلي الّا عند بلوغهِ هذه الدرجة . ويتّخذ لقياس درجات البرودة المفرطة ثرمومتر من الكحول لانّ البرد الشديد لا يقوى على تجميدهِ كالزئبق وغيرهِ من السوائل

الّا انّ هذه المقاييس للحرارة الشديدة او البرد القارس لا تخلو من خَلَل . وفيما قلنا كفاية لتعريفها

فسبحان الخالق الذي زيّن الانسان بالعقل وبلّغهُ بهِ الى وضع هذه الآلات العجيبة التي ترشدهُ الى الوقوف على اسرار الطبيعة وكنوزها المكنونة

الجراد في سوريّة

نبذة موجزة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

في غرّة هذا الشهر حلّ في بعض اصقاعنا ضيفًا ثقيلًا على انّ الله

ترأَّف بالعباد فارسل عليهِ عند بلوغهِ السواحل ريحًا صرصرًا دفعت الى البحر كراديسهُ المشمّرة للسَّلب والنهب فغرق كثيرٌ منهُ في غمر المياه وذهب غير مأسوف عليهِ

بيد انَّهُ لا يزال منهُ فئات تعلو رؤُوسنا فطلب الينا كثيرون من القرَّاء ان نفرد لهم مقالةً علميَّة نبحث فيها بالايجاز عن الجراد واصلهِ وانواعهِ وكيفيَّة انتشارهِ والدواء لتلافي امرهِ . فاجبنا الى دعائهم بطيبة الخاطر

١ً (اسماؤُهُ في اللغـة) الجراد اسم جمع واحدهُ جَرادة وهو مشتقٌّ من الجَرْد اي القَشْر والكسح . ومثلهُ في السريانيَّـة ܓܪܕܐ من ܓܪܕ بمعنى جَرَدَ في العربيَّة . وهو اسمٌ عامٌّ أُطلق على انواع كثيرة وكلّها اتّخذت جَرْد النبـات ديدنًا فطابق الاسمُ مسمَّاهُ وناسب الوضعُ معناهُ . وللجراد اسماء عديدةٌ في اللغة جمعها الشيخ الفاضل الاديب يوسف الاسير الازهري في رسالتهِ الموسومة برسالة الجراد سيأتي ذكرها

٢ً (وصفهُ) للجراد خواصُّ تفرزهُ عمَّا سواهُ من همج الطير . فانَّهُ معدود من رتبة الطير المستقيم الاجنحة (Orthoptères) وهو مستطيل الجسم كبير الرأس منتصبهُ عموديًا لهُ عينان بارزتان عديدتا الزوايا ومقدم صدرهِ مستدقٌّ لطيف امَّا مؤخَّرهُ فيتركَّب من عدَّة خرزات . وفي رأس الجرادة قرنان كشعرتين ويغطّي عنقها جلبـابٌ يُدعى البُخنُق . ولها حول فمها شبه اصابع اربع تجني بها طعامها . وتأشيرُها ما تعضُّ بهِ كالاسنان جمعهُ تآشير . قال الدميري في حياة الحيوان (١ : ٢١٢) : « وللجرادة ستّ ارجل (او قوائم) يدان (صغيرتان) في صدرها وقائمتان في وسطها ورجلان في مؤخرها وطرفا رجليها منشاران » . ويقال لشوك ساقيهـا الآشِر . قال الشيـخ يوسف الاسير (ص ٣) : « ولها جناحان يسمَّيان بالقشرَين يشتملان على خوافٍ وقوادم . فالخوافي ارقُّ من القوادم وتكون بيضًا وحمرًا . والقوادم تكون رُقشًا ورقطًا . ولعـابُهُ اسود كريه الريح سمٌّ ناقع للنبات لا يقع على شيء منهُ الَّا اهلكهُ » . والعرب تقول في وصف الجراد انَّ فيهِ خلقة عشرة من جبابرة الحيوان مع ضعفهِ فلهُ وجهُ فرس وعينـا فيل وعُنق ثور وقرنا أَيل وصدر اسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حيَّة . اخذ القاضي محيي الدين الشهرزوري (٥٨٦هـ — ١١٩٠م) بعض ذلك فقال في وصف الجرادة:

لها فَخذا بَـكرٍ وساقا نعامـةٍ وقادمتـا نَسرٍ وجُؤْجؤُ ضَيغمِ

حبَتْها افاعي الارضِ بطنًا وانعمت عليها جيادُ الخيلِ بالرأس والفمِ

ويمتاز ذكور الجراد عن اناثهِ بانَّ لون الذكور ضاربٌ الى الصفرة امَّا الاناث فلونهنَّ اغبر. ولهنَّ في رأس ذنبهنَّ أُشرةٌ اي عقدة كصفيحتين منضمَّتين الى بعضهما او كمخلبين تصدع بهما الارض لترزَّ بها

٣ (نشأتهُ) يبقى بيض الجراد في الارض جامدًا نحو ٤٠ يومًا واسمُ بيضهِ المَكْن والسَّرْء والقَصَم. فاذا حان وقتهُ نقف القَمَصُ (وهو الصغير منهُ) بيضتهُ وخرج منها على شبه حشرة تُرى فيها كلُّ صفات الجراد الا انَّها لم ينبت بعدُ لها جناحان. فذلك الدَّبى والقُمَّل والهَمْش. ثمَّ ينشأُ شيئًا فشيئًا وهو في تلك الحالة اضرُّ للزرع منهُ في كبرهِ لأنهُ يزحف زحفًا فلا يمرُّ على شيء من النبات الَّا اتلفهُ

ثمَّ يظهر جناحاهُ ولم يستويا فيقال لهُ القعيد. ثمَّ يطلعان فيقال لهُ الكُتْفان لأنهُ يتكتف في مشيهِ اي ينزو نزوًا وهو اوَّل طيرانهِ واذا نمت اجنحتهُ قيل لهُ الغوغاء دُعي بذلك لأنهُ يموج بعضهُ في بعض ويخفُّ للطيران. فاذا تمَّت عدَّتهُ واصفرت الذكور واغبرَّت الاناث حلَّق في الهواء فسُمِع لطيرانهِ صوتٌ يقال لهُ الصرير والكصيص وهو يتسبَّب من احتكاك جناحيهِ مع ساقيهِ. والعرب يزعمون انَّهُ من الحيوان الذي ينقاد لرئيسهِ فيجتمع كالعسكر اذا ظعن اوَّلهُ تتابع سائرهُ واذا نزل نزلوا معهُ (١). ويقال لجماعة الجراد رِجْل. فان كان قليلًا فهو الشَّيْتان فاذا تنامى عددهُ وانتظم قيل لهُ النَّظْم والخِزْقة والحِرْجل. فاذا كثر قيل لهُ الخَيْط والدَّجَان والطَّبَق والسُّدُّ والعِرْض. ويُدعى الضَّخم منهُ الجُخْدُب والعُنْظُوب. وتُدعى ذكورهُ العظاريَّ والعصاقيل واناثهُ الدِباساء والعَيْساء. امَّا ما ضمر منهُ فيدعى الخَيْفان وبهِ تشبَّهُ الخيل المضمَّرة. والعرب ينعتون الجراد بصفاتٍ تدلُّ على كراهيتهم لهُ فيقولون لهُ الجابي لأنهِ يجبي ثمار الارض ويتلفها. والحُسْبان لأنهُ يُرسل بلاء على القوم. والخَنْطَل لكثرة اضرارهِ. ويدعونهُ بالعَيْران والعوائر والمُشعِل اذا كانت جماعاتهُ متفرقةً

والجراد كثير النَّهَم قد خصَّهُ الله بجهازٍ قويّ على الهَضْم وهو عبارة عن بُلعومٍ يتَّصل بهِ انبوب معائي اطول من جسمهِ وحوصلة مستديرة ذات نسيج متين فيها ست

(١) امَّا قول سفر الامثال (٣٠ : ٢٨) : « انَّ الجراد لا ملك لهُ » فيراد بهِ انَّهُ ليس كالنحل [illegible] يتنابل منهُ

صفوفٍ من الادوات التي تقطّع الطعام وتجعلهُ مريئًا سهـل الهضم ثمَّ تُجيزهُ الى بطن متّسع الجوانب يهضم بهِ اكلهُ . وقد اكثر العرب من الالفاظ التي تدلُّ على نهمهِ فيقولون جرَدَ الجرادُ النباتَ وبَشرَهُ ونَغصهُ واحتنكهُ . ومن امثالهم : اجرد من الجراد واغوى من غوغاء الجراد ويقولون انَّ فلانًا كالجراد لا يُبقي ولا يَذَر . ومن فكاهاتهم انَّ اعرابيًا زرع بُرًّا فلمَّا قام على سوقهِ وزكا زرعهُ أتت عليهِ رِجل من الجراد فجعل الاعرابي ينظر اليهِ وهو لا يدري ما يصنع فانشأ يقول:

مرَّ الجرادُ على زرعي فقلتُ لهُ لا تأكلنَّ ولا تُشغَل بإفسادِ

فقام منهم خطيبٌ فوق سُنبلةٍ انَّا على سفَرٍ لا بُدَّ من زادِ

امَّا تناسُل الجراد فانَّهُ امرٌ يُقضى منهُ العجبُ . واناثهُ كثيرة البيض يزعم العرب انَّها تبيضُ تسعًا وتسعين بيضة في جِرابٍ واحد . واذا حان وقت بيضها في الخريف او الربيع رزَّت وسخَّت اي غرزت أُشرتها اي ذنبها في الارض لتبيض . فاذا باضت جعلت التراب على بيضها لئلاَّ يراهُ ناظرٌ . ومن مزاعم العرب (الدميري ١ : ٢١٢) انَّها تلتمس لبيضها المواضع الصلدة والصخور الصلبة فتضربها بذنبها فتنصدع وتلقي بيضها في ذلك الصدع كانَّهُ افحوص يبيت البيض فيهِ بمأمن

٤ً (مواطنهُ) يسكن الجراد في اكثر اقطار الدنيا لاسيما البلاد القليلة البرد . امَّا اصنافهُ الضارَّة التي تُعدّ كآفةٍ يبلو بها تعالى عبادَهُ فهي المعروفة بالجراد الظاعن وهي منتشرة في اواسط آسية وصحاريها المتّسعة من الهند والعجم والعراق وجزيرة العرب وما بين النهرين . وتكثر ايضًا في شمالي افريقيــة وربَّما امتدت في اوربَّة الجنوبية فالحقت بهـا اضرارًا عظيمة . وفي بعض السنين يزداد عددها الى حدّ بليغ حتَّى تغطّي وجه السماء وتحجب نور الشمس فكأنَّها سحابة تظلّل الارض بظلّها الممقوت . وقد شاهدنا ذلك بالعيان في صحاري بلاد ما بين النهرين واكثر ما تنتشر في الربيع فانها وقتئذٍ يسطو عليها سلطان الجوع فيحدوها الى بلاد مخصبة فتجلب عليها الويل والثبور

وفي الكتاب الكريم (خروج ١٠ : ١٣ — ١٥) انَّ الله لمَّا اراد ضَربَ المصريين بآفة الجراد « ساق ريحًا شرقيَّة على الارض . . . فصعـد الجراد على جميع ارض مصر واستقرَّ على جميع تُخمها . . . فغطَّى جميع وجه الارض حتَّى أظلمت الارض وأكل جميع عُشبها . . حتى لم يبقَ شيء من الخضرة في الشجر ولا في عُشب الصحراء في

جميع ارض مصر . . » . ولمّا اراد الله ان يكفّ هذه الضربة ارسل « ريحاً غربيّة شديدة جدّاً فحملت الجراد وطرحتهُ في بحر القلزم » فيظهر من ثمّ انّ الجراد اتى مصر من جهات بلاد العرب . وقيل بل اتاها من ارض الحبشة واستدلّوا على ذلك بلفظة קדם العبرانيّة التي يُراد بها الشرق والجنوب معاً وهذه جائحةُ الجراد طالما كان الله يتهدَّد بها شعبهُ لماكان ينبذ عبادتهُ ويوجّه بخدمتهِ الى اصنام الامم (تث ٢٧ : ٣٨) . وفي قولهِ تعالى ما يشير الى ان الجراد لم يكن بعيداً عن تخوم بني اسرائيل وانّ مواطنها في ذلك الزمان كما في ايامنا كانت في البلاد الحارَّة من الشرق

٥ (انواعهُ) يُقسم الجراد اقساماً عديدة فان العلماء قد احصوا منـهُ فوق الاربعين صنفاً الّا انّ كثيراً منهـا لا يعرفهُ اهل بلادنا وليس في ذكرها فائدة كبرى وهي شائعة في اميركة واسترالية وبعض انحاء اوربّة . امّا الضروب التي ذكرها العرب في كتبهم فمنها البُرْقان وهو الجراد المتلوّن . ومنها الطويلة الارجل يدعونها ابا جُخادب . واذا كانت مع خُضرتها سود الرؤوس يدعونها الجَرْدم والـكَرْدم . ومنها اصناف مخطَّطة يدعونها المُسَيَّح . والخَيفان صنفٌ من الجراد لهُ خطوطٌ بيض وصفر وقيل ما ضرب منهُ الى الحمرة . والعرب يطلقون اسم الجُندب على انواع من الجراد ليس بهـا بأس ويسمُّون صغارها خُندعاً . وقد ميَّز منها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات (ed. Wüstenfeld, p. 430) صنفين « احدهما يُقال لهُ الفارس وهو الذي يطير في الهواء عالياً . والصّنف الآخر يقال لهُ الراجل وهو الذي ينزو تزواناً . . »

٥ (الوسائل لاتلاف الجراد) لمّا كانت هذه الهوامّ مَفسدةً للمزارع ومتلفةً لعامّة النبات تحتَّم على الاهلين السعي في اهلاكها وتدارك مضارّها فجمعنا هنا ما وجدناهُ في تآليف الاقدمين والمُحدَثين من الوسائل ممّا صحّ بالاختبار وثبت بالتجربة

الوسيلة الاولى ان يُحفر عن بيض الجراد قبل ان ينقف فيُعرَض للهواء والشمس فيفسد . امّا مواضع البيض فيُستدل عليها بمقامات الجراد الطائر ومنازلهِ في الاباطح فاذا وقف اهل الحراثة عليها فلحوها بالمحراث . امّا الاماكن التي لا يمكن حرثها فيُجمع فيها البيض كما يفعل اهل القرى ويُتلَف

الوسيلة الثانية هي الجارية في لبنان وبعض انحاء الشام فانّ الاهلين اذا خرج الدَّبى [illegible] لهُ خنادق واسعة . ومن خصائص صغار الجراد انّهُ يزحف

دائبًا اما مَهُ على خطّ مستقيم فاذا بلغ الى هذه الحفائر سقط فيها راكبًا بعضـهُ بعضًا فيُحثى عليهِ التُراب فيتلف. والبعض يجعلون امامهُ سياجًا من الاعشاب الشائكة كالعُلّيق وغيرهِ فاذا تراكم عليهِ الدَّبى أُوقدت بالنار فيذهب صغير الجراد فريسة الحريق

الوسيلة الثالثة نقلها القزوينيّ في كتاب عجائب المخلوقات عن صاحب الفـلاحة (ولعلّهُ يريد ابن العوَّام) قال: « واذا احرقتَ شيئًا من الجراد في موضع ما عدلت عنهُ اذا شمَّت قتارها او ماتت من ريحها وسقطت ». وهي وسيلة سهلة كنّا نودّ ان يجريها الناس بالعمل لنعلم ما في ذلك من الصحَّة

الوسيلة الرابعة وهي شائعـة ايضًا في بلادنا ان يُرَوَّع الجراد باصوات مُنكَرة كضرب آنية النحاس وغير ذلك لئلاَّ يحطّ في مكان رائع النبات لاسيما المساء ايَّام تزاوجهِ لانَّهُ اذا قضى ليلهُ في مكانٍ ما خلَّف فيهِ بيضهُ

الوسيلة الخامسة يستعملها اهل بلاد افريقية ليصونوا زروعهم من مصائب الجراد وهي مجرَّبة نافعة. فانَّهم يملأُون اناء واسعًا من الماء فيصبُّون فيهِ نحو اوقيَّة ونصف من الصودا الحاذقة وستّ اواق ونصف من السُّكَّر الغير المصفَّى (او تسع اواق من الدبس) وعشرين درهمًا من الزرنيخ ويرشُّون بهذا المزيج نباتهم واشجارهم فانَّ رائحتهُ تجتذب الجراد فاذا اكل من النبات شيئًا هلك لا محالة والجراد الميت يعدي اصحابهُ فتموت مثلهُ. وهذا الدواء ناجعٌ اخذ الالمان المهاجرون الى بلاد اميركة يستعملونهُ في اتلاف الجراد وتحقَّقوا منافعهُ في العام الماضي لمَّا اغار على الجمهورية الفضيَّة

الوسيلة السادسة هي المحافظة على بعض الطيور التي تصـلي الجراد حربًا عوانًا وتأكلها اكلًا ذريعًا لاسيما الطـائر المعروف في بلاد الشأم بالسمرمر ويدعوهُ العرب بالسودانيَّة وهو يأكل او يقتل الوفًا منهُ في اليوم. ويقال ان بعض الحيوانات كالضباب والضفادع والخنـازير تقتات بالجراد وتفني منهُ جانبًا عظيمًا

٦ (اكل الجراد) بقي علينا قبل ختام هذه المقالة ان نبحث عن مسئلة لا تخلو من بعض الافادة نعني بها اكل الجراد. أجل إنَّ تأنُّقنا في التمدُّن يكرّه لنا هذا المأكل الغريب ولكن ان فحصنا الامر بتجريد فكرنا عن الاوهام المتسلّطة علينـا من جرَّاء التربية والعادات المتغلّبة علينا يمكننا ان نجيب انَّ الجراد ممَّا يصحُّ اكلهُ. ولنا في ذلك دلائل في تاريخي الدين والدنيا

امَّا تاريخ الدين فممَّا جاء في اسفار موسى اذ قال في الفصل التاسع من سفر الاحبار: « وجميع دبيب الطير السالك على اربع فهو رجس لكم. وامَّا هذه. فتأكلونها ما لهُ رجلان اطول من يديهِ يثِبُ بهما على الارض. هذا ما تأكلونهُ منها. الجراد باصنافهِ والحَرْجوان باصنافهِ والجُندب باصنافهِ » فترى من ثمَّ ان الاسرائيليين كانوا يأكلون الجراد وانَّهُ لم يُعَدّ من المآكل النجسة التي حظرها الله على شعبهِ في العهد القديم. ولو كان الرب وَجد في اكلها مضرَّة لما سمح بها لبني اسرائيل

وممَّا ورد في العهد الجديد عن يوحنَّا المعمدان « ان طعامهُ كان الجراد وعسل البرّ» (متَّى ٣: ٤ مرقس ١: ٦)

على انَّ التاريخ المدني يؤيّد كلام الاسفار المقدسة فيروي كثيرون من المؤرّخين القدماء كهيرودوت وبلينيوس الطبيعي و بطلميوس القلوذيّ انَّ شعوبًا من اواسط آسية واقطار افريقية يقتاتون بالجراد بل هو معظم طعامهم ولذلك يدعونهم بآكلي الجراد (Ἀκριδοφάγοι). وممَّا ذُكر في تاريخ لاون الافريقي (الكتاب التاسع) « انَّ قبائل من العرب والنوبة يتفاءلون بورود الجراد لانهم يحسبون نفوسهم في مأمن من الجوع بأكلهِ »

وممَّا قرأنا منذ سبع سنوات في جريدة « صنعاء » تحت عنوان « نعمة سماويَّة »: انَّ الجراد اقبل كتائب متكاثفة الى اليمن ففرح الاهالي واستبشروا خيرًا واخذوا يجمعونهُ ويدَّخرونهُ لمؤونة الشتاء »

على انَّ اكل الجراد لم تعتدهُ فقط قبائل البدو او الامم العائشة في الهمجيَّة بل شاع ايضًا عند قوم من قدماء الفرس واليونان والحبش. وجاء غير مرَّة في روايات اريسطوفان الهزليَّة انَّ الجراد كان يُباع في اسواق عاصمة اليونان فيغتذي بهِ صعاليك الاثينيين. وفي كتاب الطبيعيَّات لبيلينيوس (١١ ف ٢٦): « انَّ أهل العجم مع ثروتهم يقتاتون بالجراد » وفي التلموذ كلامٌ مطوَّل للربَّانيين في تعريف الجراد الجائز اكلهُ من الجراد النَّجس. ولا يخلو في زماننا قومٌ في فلسطين وارياف العراق والبادية يتعيّشون بالجراد. بل سمعنا انَّ قومًا في سوريَّة لا يأنفون من اكلهِ

[illegible] عن كتاب حياة الحيوان للدميري (الجزء الاوَّل ص ٢١٤) انَّ اكلهُ مباح [illegible] الائمة الاربعة احلُّوا اكلهُ سواء مات حتفَ انفهِ او بذكاة او باصطياد

امَّا طريقة اكله فمختلفة فان العرب يصطادونهُ ويقطعون رأسهُ واجنحتهُ فيأكلو
نيًّا ومنهم من يغمسهُ في الزيت او السمن فيأكلهُ مأدومًا بهِ . وغيرهم يجمعون منهُ كـ
وافرة فينتفونهُ وينقّونهُ ويقال لهذا الجراد المهيَّأ الخَنتَف ثم يطبخونهُ ويأكلونهُ
وكثيرون من اهل البدو يجففونهُ في الشمس ويدقّونهُ فيتّخذون من دقيقهِ خـ
يأكلونهُ عند الحاجة . ومن اطعمة العرب الوَهيسة وهي ان يُطبَخ الجراد ثم يجفَّ
ويُدقّ ويُلَتّ بدَسَم او يُخلط بعسلٍ فيؤكل

وفي كتب الأطبَّاء الاقدمين من العرب ما يشعر بمنافع الجراد لبعض الادو
كالبواسير وغير ذلك . ولا نعلم ما في قولهم من الصحّة فسبحان الخالق الذي لم يـ
شيئًا من مخلوقاتهِ دون فائدة للبشر حتى انهُ جعل في الهوامّ الضارَّة نفسها منافع لبعـ
الناس فيصحّ قول الشاعر :

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قومٍ فوائدُ

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

فصل في ذكر اختلافات الدُّوَل وتغيُّراتها في ايَّام ناصر الدين

كان مولد ناصر الدين في اواخر دولة السلطان الملك الناصر يوسف بن
صاحب دمشق (١ وهو آخر ملوك بني ايُّوب . وقبض عليهِ التتار سنة ثمان وخمسين و
(١٢٦٠ م) . وفيها استولى الملك المظفَّر قطز (٢ على الشأم بعد كسرة التتر واخـ
عن الشأم . ولمَّا توجَّه قطز من الشام استناب عليها علم الدين سنجر الحلبيّ . فلم يـ
المظفَّر قطز الى مصر حتى قتلهُ بيبرس وتسلطن موضعهُ وتلقَّب بالملك الظاهر وذا
سابع شهر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م)

فبلغ سنجر نائبَ الشأم ذلك فتسلطن بالشأم وتلقَّب بالملك المجاهد . فارسـ
الملك الظاهر بيبرس عسكرًا من مصر (68r) فواقعوا الملك المذكور وكسر
قبضوا عليهِ . وذلك في شهر صفر سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١) . واستقر

١) راجع المشرق (١ : ٥١٦) ٢) المشرق (١ : ٦١٣، ٦١٥)

للظاهر بيبرس وجعل النائب فيهِ جمال الدين آقوش النجيبيّ الصالحي (١ . ثمَّ عزلهُ بعلاء الدين ايدكين الفخريّ الاستاذدار (٢

وفي ايَّام الظاهر بيبرس كان سجن زين الدين بن عليّ وجمال الدين حجي واخيهِ سعد الدين خضر ولدَيْ نجم الدين محمد وكان حبسهم مدَّةً طويلةً كما سبق وذلك بكذب بني أبي الجيش عليهم وتزويرهم لكتبهم كما ذكرنا (٣

وتوفي الظاهر بيبرس بدمشق في السابع والعشرين محرَّم من سنة ست وسبعين وستمائة (١٢٧٧ م) . واخفوا موتهُ حتى وصل بيلبك الخزندار (٤ بالعساكر الى مصر . وكان يُوهم الناس انَّ الظاهر بيبرس في محفَّةٍ ضعيفٌ . وعند وصول بيلبك الخزندار جلس الملك السعيد بركة بن الظاهر (٥ في السلطنة في اوائل ربيع الاوَّل من السنة المذكورة . وكان نائبهُ بالشأم عزّ الدين ايدمر (٦

وفي اوَّل سلطنتهِ افرج عن زين الدين وجمال الدين وسعد الدين المذكورين وذلك بواسطة بيلبك الخزندار وكان اميرَ اتابك . ولم تطل مدَّة بيلبك بل توفي بعد سلطنة بركة بايَّام قلائل . وامَّا مدَّة سجن المذكورين فمن مقلّلٍ يقول كان سجنهم سبع سنين ومن مكثرٍ يقول تسع سنين . ولم يُخرجوا عنهم اقطاعًا ولا ملكًا في مدَّة سجنهم

وفي سلطنة بركة كانت حركة القطب كما ذكرنا . وفي ربيع الاوَّل سنة ثمان وسبعين وستمائة (١٢٧٩ م) خلعوا السلطان بركة وسلطنوا اخاهُ سلامش ولم تطل لهُ مدَّة حتى خلعوهُ وسلطنوا (68٧) الملك المنصور قلاوون في الثاني والعشرين رجب سنة ثماني وسبعين وستمائة (١٢٧٩ م) . واستناب بالشام حسام الدين لاجين

وفي ايَّام المنصور عند فتوح طرابلس اخرج اقطاعات السَّلَف بحلقتها . وفي السابع من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة (١٢٩٠ م) توفي الملك المنصور قلاوون وتسلطن ولدهُ الخليل بن قلاوون وتلقَّب بالملك الاشرف . وفي ايَّامه تمَّت فتوحات السواحل واسترجع السلف اقطاعاتهم . والذي تأخر منها استرجعوهُ في اوَّل سلطنة اخيهِ الناصر محمد . وقد تقدَّم ذكر ذلك (٧

---

(١) المشرق (١ : ٢٧٥) (٢) المشرق (١ : ٦١٥) (٣) المشرق (١ : ٦٥٨)
(٤) تاريخ المشرق (١ : ٧٠٥) (٥) المشرق (١ : ٧٠٦) (٦) المشرق (١ : ٧٠٦)
(٧) [illegible]

امَّا طريقة اكلهِ فمختلفة فان العرب يصطادونهُ ويقطعون رأسهُ واجنحتهُ فيأكلونهُ نيًّا ومنهم من يغمسهُ في الزيت او السمن فيأكلهُ مأدومًا بهِ. وغيرهم يجمعون منهُ كميَّة وافرة فينتفونهُ وينقُّونهُ ويقال لهذا الجراد المهيَّأ الخَنتَف ثم يطبخونهُ ويأكلونهُ. وكثيرون من اهل البدو يجفّفونهُ في الشمس ويدقُّونهُ فيتَّخذون من دقيقهِ خبزًا يأكلونهُ عند الحاجة. ومن اطعمة العرب الوَهيسة وهي ان يُطبَخ الجراد ثم يجفَّف ويُدقّ ويُلَتّ بدَسَم او يُخلط بعسلٍ فيؤكل.

وفي كتب الأطبَّاء الاقدمين من العرب ما يشعر بمنافع الجراد لبعض الادواء كالبواسير وغير ذلك. ولا نعلم ما في قولهم من الصحَّة فسبحان الخالق الذي لم يدع شيئًا من مخلوقاتهِ دون فائدة للبشر حتى انَّهُ جعل في الهوامّ الضارَّة نفسها منافع لبعض الناس فيصحُّ قول الشاعر:

بذا قضت الايام ما بين اهلها ... مصائب قوم عند قومٍ فوائدُ

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

فصل في ذكر اختلافات الدُّوَل وتغيُّراتها في ايَّام ناصر الدين

كان مولد ناصر الدين في اواخر دولة السلطان الملك الناصر يوسف بن محمد صاحب دمشق (١ وهو آخر ملوك بني أيوب. وقبض عليهِ التتار سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م). وفيها استولى الملك المظفَّر قطز (٢ على الشأم بعد كسرة التتر واحلافهم عن الشأم. ولمَّا توجَّه قطز من الشام استناب عليها علم الدين سنجر الحلبيّ. فلم يصل المظفَّر قطز الى مصر حتى قتلهُ بيبرس وتسلطن موضعهُ وتلقَّب بالملك الظاهر وذلك في سابع شهر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة (١٢٦٠ م)

فبلغ سنجر نائبَ الشأم ذلك فتسلطن بالشأم وتلقَّب بالملك المجاهد. فارسل اليهِ الملك الظاهر بيبرس عسكرًا من مصر (68^r) فواقعوا الملك المذكور وكسروهُ ثم قبضوا عليهِ. وذلك في شهر صفر سنة تسع وخمسين وستمائة (١٢٦١). واستقرَّ الشام

١) راجع المشرق (١: ٥١٦) ٢) المشرق (١: ٦١٣، ٦١٥)

للظاهر بيبرس وجعل النائب فيهِ جمال الدين آقوش النجيبيّ الصالحي (١ . ثمَّ عزلهُ بعلاء الدين ايدكين الفخريّ الاستاذدار (٢

وفي ايَّام الظاهر بيبرس كان سجن زين الدين بن عليّ وجمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ولدَيْ نجم الدين محمد وكان حبسهم مدَّةً طويلةً كما سبق وذلك بكذب بني أبي الجيش عليهم وتزويرهم لكتبهم كما ذكرنا (٣

وتوفى الظاهر بيبرس بدمشق في السابع والعشرين محرَّم من سنة ست وسبعين وستمائة (١٢٧٧ م) . واخفوا موتهُ حتى وصل بيلبك الخزندار (٤ بالعساكر الى مصر . وكان يُوهم الناس انَّ الظاهر بيبرس في محفَّةٍ ضعيفٌ . وعند وصول بيلبك الخزندار جلس الملك السعيد بركة بن الظاهر (٥ في السلطنة فى اوائل ربيع الاوَّل من السنة المذكورة . وكان نائبهُ بالشأم عزّ الدين ايدمر (٦

وفي اوَّل سلطنتهِ افرج عن زين الدين وجمال الدين وسعد الدين المذكورين وذلك بواسطة بيلبك الخزندار وكان اميرَ اتابك . ولم تطل مدَّة بيلبك بل توفي بعد سلطنة بركة بايَّام قلائل . وامَّا مدَّة سجن المذكورين فمن مقلّلٍ يقول كان سجنهم سبع سنين ومن مكثرٍ يقول تسع سنين . ولم يُخرجوا عنهم اقطاعًا ولا ملكًا في مدَّة سجنهم

وفي سلطنة بركة كانت حركة القطب كما ذكرنا . وفي ربيع الاوَّل سنة ثمان وسبعين وستمائة (١٢٧٩ م) خلعوا السلطان بركة وسلطنوا اخاهُ سلامش ولم تطل لهُ مدَّة حتى خلعوهُ وسلطنوا (68[٧]) الملك المنصور قلاوون في الثاني والعشرين رجب سنة ثماني وسبعين وستمائة (١٢٧٩ م) . واستناب بالشام حسام الدين لاجين

وفي ايَّام المنصور عند فتوح طرابلس اخرج اقطاعات السَّلف بجلقتها . وفي السابع من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة (١٢٩٠ م) توفي الملك المنصور قلاوون وتسلطن ولدهُ الخليل بن قلاوون وتلقَّب بالملك الاشرف . وفي ايَّامه تمَّت فتوحات السواحل واسترجع السلف اقطاعاتهم . والذي تأخر منها استرجعوهُ في اوَّل سلطنة اخيهِ الناصر محمد . وقد تقدَّم ذكر ذلك (٧

١) المشرق (١ : ٢٧٥) ٢) المشرق (١ : ٦١٥) ٣) المشرق (١ : ٦٥٨)
٤) المشرق (١ : ٧٠٥) ٥) المشرق (١ : ٧٠٦) ٦) المشرق (١ : ٧٠٦)

وفي العشر الاوسط من شهر محرَّم سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٣ م) قُتل الملك الاشرف خليل وتسلطن محمد بن قلاوون وتلقَّب بالملك الناصر. ولم يزل مستمرًا في الملك الى الحادي عشر من شهر محرَّم سنة اربع وتسعين وستمائة فخلعوهُ وتسلطن زين الدين كتبغا وتلقَّب بالملك العادل. ولم يزل مالكًا الى سلخ محرم سنة ست وتسعين وستمائة (١٢٩٦ م). ثم تغلَّب على الملك حسام الدين لاجين وتلقَّب بالملك منصور وجهَّز الملك الناصر محمد المخلوع الى الكرك وقال لهُ: لو علمتُ انَّهم يخلُّون لك الملك تركتهُ والله. ولكنَّهم لا يخلُّونهُ وانا مملوكك ومملوك والدك أحفظهُ لك حتى تكبر. فقال لهُ الملك الناصر: احلف لي انك تبقي على نفسي وانا اروح الى الكرك. فحلف لهُ وتوجَّه الى الكرك وبقي فيها الى ان قُتل لاجين في ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة (١٢٩٨ م) وحلف الامراء (70r) للملك الناصر واحضروهُ من الكرك وقلَّدوهُ الملك. وهذه السلطنة الثانية للناصر. وركب من القاهرة وعمرهُ خمس عشرة سنة وخرج للتقى قازان ملك التتر فالتقيا عند حمص في السابع عشر ربيع الاوَّل سنة تسع وتسعين وستمائة (١٢٩٩ م) الموافق لثالث وعشرين كانون الاول. فانهزم عسكر السلطان وعاد السلطان الى مصر: وكان سلار وبيبرس الجاشنكير يتكلَّمان عن السلطان في المملكة

وفي شهر رمضان سنة ثمان وسبعمائة (١٣٠٩م) استنفر خاطرهُ منهما واظهر انَّهُ يريد الحجاز الشريف وتوجَّه الى الكرك واقام بها فوثب بيبرس الجاشنكير على الملك وتسلطن وتلقَّب بالملك المظفَّر. وفي شهر شعبان سنة تسع وسبعمائة خرج السلطان من الكرك قاصدًا دمشق عند ما وثق من عسكرها انَّهُ معهُ. وتفخَّل امرهُ بدمشق وتكاملت احوالهُ. وفي شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩ م) توجَّه السلطان الى جهة الديار المصريَّة وقد انتظم حالهُ. فبلغ ذلك بيبرس الجاشنكير فنزل عن الملك وهرب من مصر مغربًا. وهرب سلار مشرقًا ودخل السلطان مصر وقبض على اثنين وثلاثين اميرًا واستقام لهُ الملك. وهذه سلطنتهُ الثالثة. ولم يزل مالكًا الى التاسع عشر من ذي الحجَّة سنة احدى واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م). واسماء نوَّابهِ بالشام: عز الدين ايبك الحموي ثمَّ جمال الدين آقوش الافرم ثم شمس الدين قرا سنقر ثم سيف الدين كراي ثم جمال الدين آقوش نائب الكرك ثمَّ سيف الدين تنكز وطالت مدَّتهُ

(69v) (ستأتي البقيَّة)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني عشر
في السجين

وكانت تلك الليلة حالكة الاهاب مسودَّة الجِلباب تلمع فيها البروق متتابعة وتقصف الرعود متتالية وتعصف الرياح بشدّة عظيمة. أمّا الاكواخ فكانت كلها مقفلة لا يُسمع عنها صوت ولا يُرى فيها ضارم نار

وبالرغم عن كثافة الظلام كنت ترى شبحًا ينساب في بطن العقيق مسرعًا وَجِلًا ويتخوّف من كل حركة يسمعها حتى انهُ كثيرًا ما كان يقف متلفتًا ومنصتًا لصوت حصاة تتدحرج تحت قدميهِ ثم يستأنف سيرهُ السريع وهو يلهث من التعب. فلمّا وصل على مسافة ميل وقف وتنهّد والتفت الى الجهة التي خرج منها وجمع كفَّهُ وهزَّها مهدِّدًا

ومع ذلك كانت العاصفة تزيد شدَّةً وسيوف البرق تشقّ الغمام وهزيم الرعد يتبعها على الاثر فيدوي في الوهاد دويًّا مخيفًا. وكانت الريح تزمجر والامطار على وشك النزول بغزارة. فحينئذٍ جدَّ الرجل المذكور في مشيه ولكنَّهُ لجهله طرق البلاد ولسرعته في تلك الظلمة المدلهمَّة ضلَّ الطريق فأخذ يَرْقى حَزْنًا ويهبط بطنًا تارةً يقوم وتارةً يقع الى ان خارت قواهُ واعياهُ المسير. وقد بذل الجهد حتى يهتدي الى مقصده ولكن الظلام كان حالكًا جدًّا وكانت البروق اذا انارت تلك الوهاد الصخريَّة لمحةً تليها الظلمة الكثيفة على الاثر. ثمَّ اخذ المطر ينهمر كانّهُ السيل الدافق فتبلّلت ملابس هذا التائه المسكين حتى العظام وجعل يرتجف خوفًا وبردًا

وبينما هو هائم على وجهه لا يدري اين يضع قدمه اذا بالبرق قد شقّ الغيوم فرأى هوةً عميقة لو سقط فيها لقُضي عليهِ لا محالة فتراجع حينئذٍ خائفًا مرتعشًا واخذ يتعلّق باغصان الاشجار دون ان يجسر على التقدُّم ولو خطوة واحدة. ولما كان سقوط المطر [illegible] على الرجوع القهقرى فأخذ يجسّ الارض بيديهِ قبل ان يضع رجله حتى كان يزحف زحفًا وكان كلما تدحرج حجرٌ تحت قدميهِ يتعلّق بيديهِ في

الصخر . وما زال مشهد تلك الهوة ماثلًا لذهنهِ فكان يتصوَّر كل دقيقة انهُ سيقع في مثلها . و بعد ان مشى على هذه الصورة نحو نصف ساعة آنسَ من بعيدٍ نورًا فعادت الطمأنينة الى قلبه واخذ يجِدّ في المشي حتى انتهى بعد تعب جزيل الى البيت الذي شاهد ضوءَهُ فما قرع الباب حتى سمع صوتًا من داخل يقول من الطارق . ثم فُتح الباب على الأَثر وخرج رجل حامل بيدهِ قنديلًا فتفرَّس في ذاك الشريد الذي قصدهُ ليلًا فعرف انَّهُ فاضل بعينهِ فصاح : اهلًا بفاضل لا تخشَ بأسًا فانا اخوك نسيب

وكان فاضل كما سبق الخبر قد بلغ منهُ الغضب مبلغًا عظيمًا من توبيخات نسيب فهام على وجهه هاربًا مبتغيًا التخلُّص غير ان مطافَهُ في تلك الليلة الحالكة ادَّاهُ الى نفس الموضع الذي خرج منهُ وما انقذهُ سوى نور القنديل الذي اشعلهُ نسيب في كوخه. وكان نسيب قد علم بفراره فاضطرب بالهُ ورقد في فراشه فلم يزر الكرى جفنَهُ لقلقهِ وندم على ما فرط منهُ في الامس من الكلام القارص وان كان جلّ ما يبتغيهِ إصلاح مُواطنهِ لا خسارتهُ

فرجع فاضل القهقرى حالما شاهد نسيبًا . امَّا نسيب فانَّهُ شعر بانفراج كربتهِ وزوال اضطرابهِ وتنهَّد تنهُّد من انكشف الهمّ عن قلبهِ ورحَّب بالآبق

وكان فاضل يودّ ان يهرب الّا ان نسيبًا امسكهُ بيدهِ وادخلهُ الى كوخهِ فجلس على كرسي وهو مغموم كئيب وشرر الغضب يتطاير من عينيهِ . ثم ان نسيبًا اشعل نارًا قويَّة في المدخنة وبينما كان لهيبها متصاعدًا أبصر فاضل على المائدة علبة من الورق المقوَّى (الكرتون) مكشوفة وشاهد فيها شذورًا من الذهب . وهي التي كان نسيب قد وجدها معهُ بينما كان يُعاقر الخمرة في الحانة مع سائر عملة المناجم فتنبَّه اذ ذاك غيظهُ واستيقظ غضبهُ فالتفت الى نسيب وقال :

هل أنقذتَ حياتي في نيويرك وسان فرنسيسكو حتى تأتي بي الى مناجم كاليفورنية لاجل تحقيري واهانتي

— اخفض صوتك وسرّ عن قلبك فما انت الآن الّا ضيفي . واعلم اني ان اشفقت عليك نهار أمس ولم اسلِّمك الى الحكومة ففي وسعي اليوم أن أُسلمك اليها لتجازيك على غدرك

— سلِّمني ان شئتَ الى الحكومة

— أتهينني بينما ألاطفك واقبلك في ضيافتي ؟
— نعم أهينك فما انت سوى كذّاب ذميم
— أ أنا كذاب ؟ وهذه الشذور أما أنتَ سارقها ؟
— برهن على أني سارقها
— ما اعجلك في الكلام مجازفةً . ألا تعلم ان الادلّة عندي كثيرة
— بيّنها لي ان كنت تستطيع فاني لم آخذ منك شيئًا
— نعم انّك لم تسلبني شيئًا كما يسلب السارقون الحنّكون . فانك لم تتجرّأ قط على اختلاس مبلغ عظيم يختصّ بالغير
— ومع ذلك تتهمني بالسرقة
— نعم اني اتهمك فقد كنت في كل يوم تتناول قطعةً من الشذور الذهبيّة التي كان من الحق ان تعود اليَّ . فبأي اسم ندعو هذا العمل أليس هو السرقة بعينها
فقطب فاضل حاجبيهِ ولم يُجب . فأردف نسيب
— واعلم الآن انّك ان نطقت بكلمة واحدة اسلّمك للحكومة . ولكن أتدري ما هي الحكومة هنا . انّها حكومة شديدة لا تُغضي على زلّة فمن مدّة شنقتْ عاملًا نظيرك في الارزة الكائنة قرب النهر لانهُ ارتكب جناية اخفَّ من جناياتك
فسكت فاضل عند هذا الكلام ولم ينطق ببنت شفة . غير ان نسيبًا لما رآهُ يرتعد خوفًا قال لهُ :
ومع ذلك فاني لست ناويًا تسليمك الى الحكومة
— حتامَ اذًا تحبسني عندك . إلامَ تبقيني للحقارة والهوان وهل تريد ان يتيسّر لك الوقت لاجل تعذيبي ببطء وتمهل
— ما احتملتُ اصلًا ان يهزأ بي الناس ويزدروني
— وانا كذلك
— كن على حذر فما أسرع نسيانك للماضي
— إصنع ما تشاء . اشنقني ان شئتَ
[illegible] أنك تهزي

— سترى ماذا يحلُّ بك

— لا احفل بتهديدك ولا اعبأ بوعيدك فقد وضحت غايتك انك تريد ان تتظلّمني بابقائي في خدمتك العقيمة التي تجرُّ عليك المكاسب ولا تورثني غير التعب وفناء القوة

— اني لفي غنىً عنك. فابقَ الآن هنا وحدك وغدًا صباحًا تركب عربة الى ستوكتون لاني لا أُريد ان أُبقيك عندي

— أَوّاه متى يكون الفرح. ألا لعن الله الساعة التي عرفتك فيها

— ألا تدري انك انت الآن سجيني

قال نسيب ذلك وخرج مغضبًا وأغلق الباب وأقفلهُ بالمفتاح (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

1 ܡܟܬܒܢܘܬܐ ܕܙܒܢܐ ܕܡܬܬܣܝܡܐ ܠܕܝܘܢܘܣܝܘܣ ܬܠܡܚܪܝܐ — 2 ܟܬܒܐ ܕܒܟܬܒܘܬܐ ܕܙܒܢܐ ܕܙܒܢܐ ܡܟܬܒܢܝܬ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܐܘܪܗܝ — 3 ܦܢܩܝܬܐ ܕܡܪܝ ܐܝܣܚܩ ܡܢ ܢܝܢܘܐ ܕܐܬܪܓܡܘ ܒܝܕ ܡܬܪܓܡܢܐ ܘܡܦܫܩܢܐ ܠܣܘܪܝܝܐ — 4 ܠܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܕܡܢ ܣܪܘܓ ܡܐܡܪܐ — 5 ܡܐܡܪܐ ܕܡܪܝ ܦܝܠܘܟܣܝܢܘܣ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܡܒܘܓ — 6 ܡܐܡܪܐ ܕܐܬܡܠܠ ܥܠ ܡܪܝ ܫܡܥܘܢ ܩܘܩܝܐ

قد اهدانا حضرة العلاَّمة المستشرق الكاهن حنَّا شابو (J. B. Chabot) نسخةً من مطبوعاتهِ الحديثة في السريانيَّة. وهي عبارة عن ستَّة تآليف تنطق جميعها بفضل كتَبة السريان الاقدمين وهمَّة ناشرها المحيي لمآثر نصارى الشرق. (واوَّلها) القسم الرابع من التاريخ المنسوب لديونيسيوس التَّلمحري احد علماء اليعاقبة المبرّزين وبطاركتهم (٨١٨ — ٨٤٨). وقد اثبت العلماء انَّ صاحبهُ احد رهبان دير زقنين يدعى يشوع جمعهُ من تواريخ مختلفة نحو سنة ٧٧٥ م. وضمَّنهُ اخبار العالم من اوَّل الخليقة الى زمانهِ. وهو كثير الفوائد يقسم الى اربعة اقسام نُشر منها بالطبع العلاَّمة تلبرغ (Tullberg) القسم الاوَّل. وهو يشتمل على اخبار الدنيا من اوَّل العالم الى عهد قسطنطين الكبير. امَّا القسم الثاني والثالث فقد اتَّبع فيهما المؤَلِّف مؤرّخين يونانيين وسريان طُبعت تواريخهم جميعًا. فبقي القسم الرابع هذا الذي نحن بصددهِ اثبت فيهِ مؤلفهُ امورًا عديدة لم يروها غيرهُ وقد اسهب في شرح بعضها لأنها كانت قريبةً من زمانهِ وهذا القسم الاخير يُفتتح باخبار السنة ٥٦٥ وينتهي في سنة ٧٧٥ م فلم يكتفِ

الاب شابو بان ينشرهُ بالطبع وفقًا للنسخة الفاتيكانيَّة بل صدَّرهُ بمقدّمة طويلة تعريفًا للمؤلف واحوال زمانهِ ثمَّ نقل الكتاب الى الفرنسيَّة وحشَّاهُ بحواشٍ كلّها فوائد وذيَّلهُ بعدَّة فهارس وجداول أهلت صاحبها بان يُدرج في سلك اعضاء الدروس العليا في باريس — ٢ً (والكتاب الثاني) المدعو بكتاب العفَّة من تآليف يشوع دنحا اسقف البصرة على النساطرة في اواخر القرن الثامن. وكتابهُ هذا انَّما هو عبارة عن تراجم النسَّاك والابرار ومنشئي الاديرة وملخَّص التواريخ الكنسيَّة ولم يُعرف منهُ سابقًا الَّا بعض نصوص وردت في تواريخ ابن العبري. والنسخة التي اخذ عنها الاب شابو كانت في مكتبة سِعرت التي حرقها الاكراد موخرًا وكان القس صمويل الراهب الكلداني استنسخها لنفسهِ فاعارها للاب شابو ليطبعها. وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة اخرى منقولة عن النسخة الاصليَّة ولعلَّ الاصل نفسهُ مختصر من كتاب المؤلف. والله اعلم. على انَّ النسخة تعرّف كثيرًا من احوال نصارى الشرق ونسَّاكهم واديرتهم العديدة في القرون الخالية — ٣ً (والكتاب الثالث) اقدم شرحٍ معروف لانجيل القديس يوحنَّا وهو لاحد المبتدعين تاودورس المصيصيّ في القرن الرابع كان وضعهُ في اليونانيَّة ففُقد الاصل وبقيت منهُ هذه الترجمة السريانيَّة في نسخة عتيقة من خزانة الكتب الشرقيَّة في باريس. وهذا التفسير رغمًا عن كونهِ لمبتدعٍ شهير بآرائه الفاسدة يتضمَّن عدَّة فوائد لاثبات صحَّة الدين المسيحي وتعريف الاناجيل القديمة وحفظ نسخها سالمةً من كلّ تحريف. والاب شابو سينقل هكذا الكتاب الى اللاتينيَّة عمَّا قليل ويلحقهُ بملاحظات وحواشٍ مفيدة — ٤ً ويحتوي (الكتاب الرابع) على ترجمة يشوعسبرَن كتبها يشوعياب الثالث البطريرك النسطوري (٦٤٧—٦٥٨) احد مشاهير علماء النساطرة الذي وصف العلَّامة السمعاني تآليفهُ في مكتبتهِ الشرقيَّة (الجزء الثالث ص ١٢٧ — ١٣٦). اما يشوعسبرَن فهو احد شهداء النصرانيَّة قتلَهُ المجوس في ايَّام كسرى الثاني سنة ٥٩٠ فوصف يشوعياب فضائلهُ وموتهُ نقلًا عن رُواة ثقة عاينوا ثباتهُ في الاستشهاد. ولغتهُ فصيحة — ٥ً امَّا (الكتاب الخامس) فانَّهُ يتضمَّن ثلاث عظات او ميامر للقديس بروقلوس البطريرك القسطنطيني احد تلامذة القديس يوحنَّا فم الذهب وخلَفهِ في كرسيهِ (... ٤٤٦) موضوعها ميلاد الرب بالجسد ومديح القديس كليميس اسقف انقرة واصلها اليوناني كان مفقودًا — ٦ً وفحوى الكتاب (السادس) وهو

الاخير قوانين الرهبان الذين كانوا يسكنون دير عزلة بقرب ماردين في طور عابدين وهي من تصنيف مار ابرهيم ومار يشوع وكلاهما ترأس هذا الدير ودبَّرهُ في القرن السادس للمسيح — فممَّا تقدَّم يفهم القرَّاء خطارة هذه المطبوعات الجديدة ولا جرم انَّهم يشاركوننا في الثناء على القائم بنشر هذه النفائس

فاكهة الالباب في تاريخ الاحقاب

مقتطفة عن مشاهير المؤلفين بقلم حضرة الاب بطرس الشاعر الخوري المارونيّ

هذا الكتاب عبارة عن ١٦٦ صفحة تتضمَّن نظرًا عموميًّا في احوال الامم الغابرة واخبار الاحقاب السالفة من اوَّل العالم الى ايَّامنا. وهو مع كونهِ غاية في الاختصار مُجملٌ مفيد يحقُّ لاحداث المدارس ان يرجعوا اليهِ فيتذكَّروا ما درسوهُ في الكتب المطوَّلة. ومن محاسن الكتاب عدَّة جداول لملوك الدول الكبرى والسلاطين والاحبار الرومانيين يليها خلاصة تاريخ سوريَّة مع ذكر احوال لبنان واعيانهِ وسلسلة بطاركة الموارنة الاجلاء. ولا نشكُّ في انَّ فوائد هذا التأليف تشفع بما يرى فيهِ المنتقدون من المغامز والاغلاط ل. ش

شذرات

اعلى بيت في الدنيا كان الاميركيُّون شيَّدوا منذ ست سنين في عاصمتهم نيويرك بيتًا عُدَّ من غرائب المعمور لارتفاعهِ دعوهُ « المأمن » (Surety) بلغ علوُّهُ تسعين مترًا. فجاراهم غيرهم من مواطنيهم وانجزوا في العام الماضي بناء بيتٍ آخر ينطح برأسهِ الثريَّا وأنسى سلفَهُ « المأمن » فدعوهُ « پرك رو » (Park Row) وهذا البيت الجديد ذو ٢٩ طابقًا وعلوُّهُ يتجاوز ١١٦ مترًا. وهو كلُّهُ من الحديد كبرج ايفل يُصعد اليهِ بآلات مرقية عديدة (ascenseurs). على ان هذه البيوت الاميركيَّة لا تحلى في أعين الناظرين لضخامة الحديد وقتمة لونهِ. لكنَّ الاميركان لا يبالون بالحسن وغاية ما يرومون ترويج اعمالهم وقد بنوا هذه المعاهد فجعلوها كما يقولون « بيوتًا للشغل » (business-building)

تمثال لبوصويت — يسعى اساقفة فرنسة في اقامة تمثال لذلك الخطيب المِصْقع الذي خلب ببلاغتهِ عقول معاصريهِ بوصويت اسقف مدينـــة مُو. وهذا التمثال سيكون غاية في الاتقان والحُسْن. وقد كتب الحبر الاعظم براءةً في هذا الشأن للكردينال پارو لينشّط هذا المشروع الجليل الذي اهتزَّ لهُ العالم الكاثوليكي طرباً

مدافع هوائيّة — من جملة الاسلحة التي حارب بهـا الاميركان الاسبانيين في الحرب الاخيرة المدافع الهوائية. وهي من الادوات التي لا يُستعمل فيها البارود بل تُقذف منها القذائف بواسطة ضغط الهواء. وهذه المدافع عبارة عن انبوب ذي قُطر كبير في موَّخرهِ خزانة يدخلها الهواء من حنفيَّة تُسَدّ من تلقاء ذاتهـا حين تمتلئ الخزانة. فاذا ضُغط الهواء بلغت قوَّتهُ ما لا يبلغهُ البارود عند انفجارهِ. فان هــذه المدافع تقذف قذائف من الديناميت ثقلها ٢٥٠ كيلوغراماً الى بُعد ثلاثة او اربعة كيلومترات. هذا مع اقتصاد البارود واحتجاب دخانهِ عن العــدوّ ليتقي شرَّهُ. ومكتشف هذا المدفــع الجديد ضابطان اميركيَّان اسم احدهما نيفُرْد (Nefford) والآخر زالنسكي (Zalinski)

الاجنحة والمناطيد — لا يزال المرء يحسد الطير على جناحهِ. فان كثيرين من العلماء منذ خمسين عاماً طلبوا الوسائل العديدة ليركّبوا لجسم الانسان اجنحةً يطير بها. الّا انَّ اكثر الامتحانات انتهت بموت اصحابها وآخر من ذهب ضحيَّة صناعة الطيران الجرماني ليلينثال سقط من علو ١٥ متراً فقُصم ظهره في سنة ١٨٩٦ امام جمهور عظيم توارد لمشاهدتهِ بجوار مدينة برلين. امَّا المناطيد فان العلماء لا ييأسون من توجيهها رغماً عن شدَّة الارياح. والاختبارات التي اجراها بعض الضبَّاط الفرنسيين منذ سنتين افضت بهم الى نتائج قوَّت آمالهم ونشَّطتهم على مواصلة اختباراتهم. وسعى الالمان من جهتهم بان حسَّنوا في العام المنصرم المناطيد المعلَّقة التي ترتفع الى علوّ بليغ وهي منوطة بحبال في الحضيض. ولمَّا كان الالومينيوم اخفّ المعادن استبدلوا بهِ الانسجة من الخام المستعملة سابقاً. وقد جهَّز الاستاذ شوارتس (Schwartz) منطاداً عظيماً من الالومينيوم استحسنهُ اهل الخبرة لكنَّهُ تحطَّم. وقد اتَّخذ غيرهُ لهذه المناطيد شكلاً جديداً يقرب من طيارات بلادنا المخروطة الطَّرَف فوجدها اصلح لحركات الجوّ

سفينة جديدة لكسر الجليد — قد اصطنعت الحكومة الروسيَّة

سفينة عظمى لتَمخر في بحيرة بَيكال في حدود منغولية التي يمتنع فيها السير مدَّة نحو ثمانية اشهر لجمود مياهها. ولهذه السفينة شبه مكاليب تقوى على كسر الجليد ولو بلغت كثافتهُ مترًا ونصف

﴿ مُشكل رياضيّ ﴾ اشترى ثلاثة من الفعلة ليمونًا فقسمها الاوَّل ثلاثة اقسام متساوية تزيد واحدةً فاخذ قسماً واعطى الليمونة الزائدة لابنهِ. ثم قدم الفاعل الثاني وقسم الليمون الباقي ثلاثة اقسام متساوية كالاوَّل فوجدها تزيد ليمونةً اعطاها لابنهِ واخذ الثُلُثَ لنفسهِ. فلمَّا اتى الثالث فعل بما بقي من الليمون فعلَ الاوَّلين فقسمها ثلاثة اقسام متساوية فزادت واحدةً اطعمها ابنهُ بعد ان اخذ الثُلُث لذاتهِ. واخيرًا اجتمع الفعلة فاقتسموا الباقي من الليمون بينهم اقساماً متساوية. اخذ كلٌّ منهم ثلثًا واذا بها تزيد ايضًا ليمونة واحدة اعطوها لفقير. فالمطلوب كم كان عدد الليمون المبتاع وكم ليمونةً اخذ كلٌّ فاعل بدءًا وعودًا

اسئلة واجوبة

س سأل حضرة الاب موسى ميلان الخوري: « باي لغة فاه السيّد يسوع المسيح لهُ المجد لمَّا بارك الخبز والخمر

لغة المسيح في تبريك الخبز والخمر

ج انَّ المسيح لهُ المجد بارك الخبز والخمر في العشاء السرّي باللغة التي تكلَّم بها على الارض مع اهل فلسطين واليهوديَّة ومع تلاميذهِ. وهذه اللغة هي اللغة الآرامية الشائعة اذ ذاك بين اليهود وهي المعروفة بالسوريَّة الفلسطينيَّة. كما اثبت ذلك بمقالة مطوَّلة السيّدان العلاَّمتان يوسف اقليميس داود في كتاب القصارى ويوسف الدبس آخرًا في الجزء الثالث من تاريخ سوريَّة

٢ً وسألنا حضرة القس جرمانوس نجم: ١ً ما هي علل الرياح. ٢ً هل نفوس الموتى تعلم بما يجري لها بعد الحياة من الحفلات الدينيَّة والتأبين والتأسف الى غير ذلك. ٣ً هل للعالم في السماء مزيَّة تفرزهُ عن الجاهل ولو تساويا في درجة السعادة بافعالها الصالحة

١ علل الرياح

نجيب على الاوَّل ان اخصَّ علل الرياح اختلاف ضغط الهواء وثقلهُ النوعي فانَّ الهواء يسخن في بعض النواحي ويتخلخل فيخفّ ضغطهُ ويتصاعد الى طبقات العليا من الجو فيحدث من ذلك تموُّج في الهواء تنتج عنهُ مجاري الرياح (راجع مقالة الاب زُموفن في الهواء الجوّي والبارومتر في المشرق ١:٨١٧)

٢ علم نفوس الموتى بما يجري لذكرها من الحفلات

نجيب على الثاني انَّ معرفة النفس طبيعةً ان تتَّخذ موادَّ علمها من الحواسّ فتجرّدها عن أعراضها وتدرك ماهيَّتها. امَّا بعد الموت حيث يبطل فعل الحواسّ فانَّ معرفة النفس بصُورٍ يفيضها الله تعالى فيها كما يفعل عزَّ وجل بالملائكة. وعليهِ فانَّ معرفة امور هذا العالم المتعلّقة بشأن النفس كالاحتفالات الكنسيَّة والتأبين وغير ذلك انَّما تدركهُ النفس باذن الله وعلى مقتضى مشيئتهِ تعالى بصورٍ يرسمها فيها. فالامر اذن منوط بارادتهِ عزَّ وجلّ ليس الَّا (راجع الخلاصة اللاَّهوتية لمار توما الاكوينيّ الجزء الثاني الصفحة ٤٧٣)

٣ مزيّة العلماء في السماء

نجيب ثالثًا انَّهُ لمن المقرَّر انَّ النفس لا تفقد العلم المستفاد على الارض لان العلم من اعراض النفس المجرَّدة عن البدن وعليهِ فانَّ العلم يبقى في السماء للعلماء كعرضٍ طبيعيّ فيهم يزيد في سعادتهم العرضيَّة لا في السعادة الجوهريَّة. ولذلك يرتإِي اللاهوتيون انَّ للافنة الكنيسة سمةً تفرزهم عمَّا سواهم يدعونها «شعاع الملافنة»

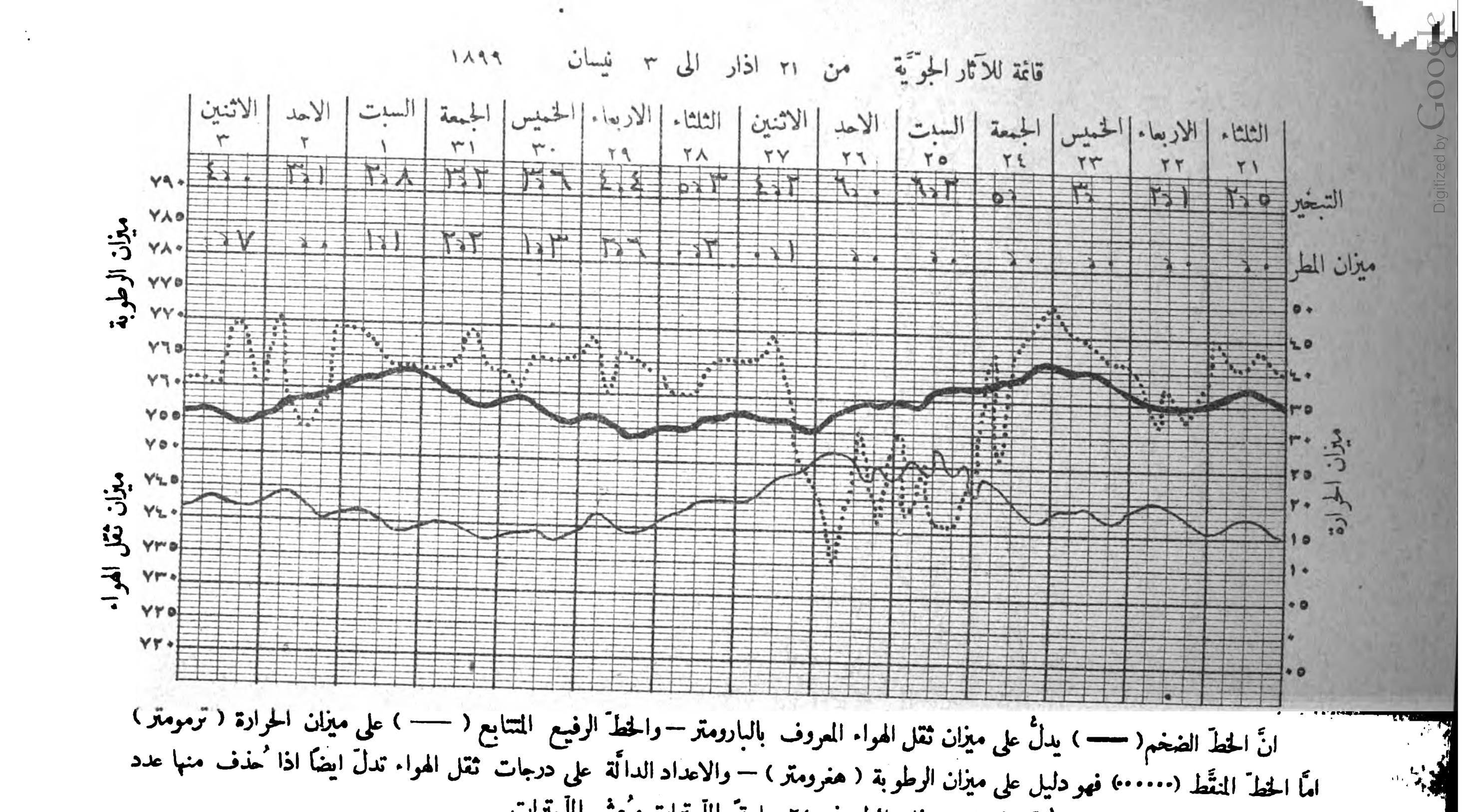
س وسأل حضرة الاب الفاضل القس غريغوريوس زلزل هل انَّ الرأي القائل بميلاد المسيح في ٢٥ ك ١ من التقاليد الراهنة او هو حَدْسٌ فقط

يوم ميلاد المسيح

ج قد اجبنا على هذا السؤَال في الجزء الاوَّل من المشرق في معرض ردّنا على الهلال (ص ٣٣٤) فاثبتنا ان التعييد بميلاد الرب في ٢١ دسمبر تقليد يرتقي الى بدء

ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢١ اذار الى ٣ نيسان ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد الثلث على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر المِلمترات

المشرق

اتّحاد طائفة الروم الكاثوليك الملكيين

بوحدة الايمان مع كنيسة رومة

نقلًا عن غبطة السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم

(لخَّصهُ الاب لويس شيخو اليسوعيّ)

توطئة

وردت علينا في هذه الاسابيع الاخيرة اعداد ثلاث مجلّات او جرائد وطنيَّة قُدَّت من اديم واحد وفي اعمدتها جميعًا تاريخُ البطريركيَّة الانطاكيَّة تزعم انَّها برواية اخبارها تورثُ العقول منارًا وتؤلّف القلوب بالمحبة . ونظنُّ انَّ مثل هذه الروايات غير المضبوطة لا تورث الالباب سوى الضغائن والاحقاد. ومن جملة ما اتت بهِ في صفحاتها انَّها صوَّبت سهامها الطائشة « الى الرهبان غير الارثذكسيين من الفرنج » كانَّها تتحاشى بهذه التورية ذكر المرسلين اللاتين لاسيما الرهبان اليسوعيين وتصون عرضهم بالسكوت عن اسمهم . ولكن سواء عندنا ان يُجاهر هؤلاء باسمنا او يلمِّحوا فقط تلميحًا . لانَّ اعمال اليسوعيين ليست ممَّا يُخجَل عنهُ فهي تقلِّدهم مجدًا وفخارًا . لا خزيًا وعارًا

ويُطلبُ الانسان من فعلهِ ففعلُهُ عن اصلهِ يُخبِرُ

وعليهِ لو لم تَمسّ هذه الاراجيف الفريَّة شرف طائفة الروم الكاثوليك الملكيين اكثر منها قَدر الرهبانيَّة اليسوعيَّة لضربنا عنها صفحًا . وليس جوابنا سوى نبذةٍ اقتطفناها من اقوال السعيد الذكر البطريرك العلّامة الجليل والصنديد البطل المقدام مكسيموس مظلوم فلخَّصناها من كتاب لهُ كثير الفوائد نادر الوجود الّفهُ سنة ١٨٣٧ ونُشر بالطبع سنة ١٨٦٣ ضمَّنهُ في مجموع يُدعى «القائد الامين» . وفي قولهِ طاب ثراهُ احسن جواب لهذه الاكاذيب المنمَّقة والاحاديث الملفَّقة التي نوهنا بذكرها

والغاية التي يتوخّاها غبطتهُ في هذه المقالة الرائعة « ان يبيّن دوام طائفة الروم الكاثوليك بوحدة الايمان والاشتراك مع الكنيسة الرومانيـة الجامعة امّ الكنائس كافة

وتأليف غبطتهِ يتضمَّن خمسة وعشر ين بابًا لا نذكر منها الَّا ما يوافق الغرض الحاضر ومن اراد زيادةً فعليهِ بمطالعة الكتاب

قال غبطتهُ :

« ان كنيسة المسيح الواحدة قد اعتُبرت دائمًا ... كشجرةٍ ذات اصلٍ واحد منقسم علوًّا الى فرعين ممتدَّين شرقًا وغربًا » (ص ٥) « فكما انَّ الكنيسة الغربيَّة قد دُعيت لاتينية نسبة لركنها مقرًّا ولغةً ولئن كانت حاويةً ضمنها طوائف عديدة في ممالك الغرب . هكذا الكنيسة الشرقية سُمِيت يونانيَّة نسبةً لركنها مقرًّا بالتبعيض(١ ولغةً وطقسًا اصليًّا » (ص ٦)

«فهذه الكنيسة اليونانيَّة بقدّيسيها ومعلّميها وبطاركتها واساقفتها وكهنتها ورهبانها وشعوبها مع ملوكها الارثوذكسيين قد استمرَّت منذ انشائهــا الى غاية الجيل التاسع حافظة رباط الاتحاد والاشتراك في وحدة الايمان الارثوذكسيّ المقدَّس مع الكنيسة اللاتينيَّة ومع رأس البيعــة الجامعة المنظور الاسقف الروماني الذي قد عرفتهُ البطاركة الشرقيُّون وسائر الروساء الكنائسيين الآخرين وارثًا سلطان القديس بطرس تامًّا وفائزًا باختصاصاتهِ الممنوحة لهُ بحقٍ الهيّ وكنائسيّ ليس نظرًا لاوَّليَّتهِ وتقــدّمهِ فقط على جميع البطاركة والروساء بل نظرًا لسلطان ولايتــهِ ايضًا في الكنيسة الجامعة وعليها كديوانها الاعلى مع المجمع المسكونيّ وخارجًا عنهُ . كما هي عمليَّتهم الدائمة في التسعة الاجيال المذكورة بالالتجاء اليهِ في حلّ مشاكل الايمان وبرفع الدعاوي الى ديوانهِ من احكام الدواوين الأُخر الكنائسيَّة على جهة الاستغاثة وبقبول احكامهِ واوامرهِ بطاعةٍ تامَّة وباعطائهم لنوَّابهِ في المجامع المسكونيَّة الجلسة الاولى والترُّأس عليهــا عوضًا عنهُ وباستمدادهم منهُ تثبيت تحديداتها واحكامها وتكفي لإثبات ذلك تلاوة اعمال المجامع المسكونيَّة والرسائل السينودسيَّة والبابويَّة والملوكيَّة والبطريركيَّة وامثالها مع التواريخ الكنائسية الصادقة وهو الامر الشهير في العالم اجمع . وبالتالي انَّ هــذه الكنيسة اليونانيَّة لبثت زمنًا ينيف عن تسعمائة سنة حافظةً صفة كونها كاثوليكيَّة بالتمام والكمال

« الَّا ان هذه الوحدة والصفة قد اخذت بداية انثلامها فيها بعد جيــل الكنيسة الجامعة التاسع بتهوُّر الاكثرين منها رويدًا رويدًا في وحدة الانشقاق التي لُجَّتها نادت

---

١) قول غبطتهِ « بالتبعيض » ينفي كون الكنيسة الشرقيَّة كانت كلها في بلاد اليونان . امَّا اللغة والطقس فقد اختلفا ايضًا في بدء النصرانيَّة بحسب الامكنة ولغة الشعوب (المشرق)

لجّة الضلال في المعتقدات ايضاً . وها بحزن قلب وكآبة فؤاد نورد خبر الانشقاق والضلال المذكورين . . .» (ص ٧—٨)

يليهِ تاريخ ارتقاء القديس اغناتيوس الى الكرسي القسطنطينيّ البطريركيّ ونفيهِ ظلماً بامر الملك ميخائيل الثالث المعروف بالسكّير مع ذكر اخبار فوتيوس البطريرك الدخيل ودسائسهِ واحتيالهِ على البابا نيقولاوس الاوّل ورشوتهِ لقصّادهِ وشجبهِ من الكنيسة اوّلا وثانياً وثالثاً وموتهِ منفياً سنة ٨٩١ (ص ٨ — ٢٦)

« غير انّ الانشقاق لم ينتهِ بموت فوتيوس بل لبث كالجمر تحت الرماد وظهر سنة ٩٨١ في زمن نيقولاوس كريزوبارغوس البطريرك القسطنطيني . واشتدّ في رئاسة خليفتهِ سيسينيوس سنة ٩٩٥ وزاد امتداداً في مدّة بطريركيّة سرجيوس الذي ارسل الى اساقفة المشرق منشور فوتيوس الذي كان اشهرهُ ضدّ البابا واخيراً اتّسع بزيادة وافرة في الجيل الحادي عشر من زمن بطريركية ميخائيل كارولاريوس الذي اضاف الى شرف مولدهِ ونسبهِ روح كبرياء وعناد من حينما كان هو علمانيًّا . فنفاهُ الملك ميخائيل بفلاغونيوس قصاصاً عن جناية تعصّبهِ ضدّ العزّة الملوكيّة وسجنهُ في دير رهبانيّ لم يمكنهُ الخروج منهُ الّا في ولاية الملك قسطنطين مونوماخس . وبنوع مضادّ القوانين المقدّسة قد ارتسم هو بطريركًا على الكرسي القسطنطيني سنة ١٠٤٣ ولخوفهِ بالصواب من ان الحبر الرومانيّ يستخدم ضدّهُ سلطانهُ الاعلى ويشهر نفاقهُ واختلاسهُ هذه الوظيفة السامية ليس فقط بدون استحقاق بل ايضاً بمخالفة الرسوم البيعيّة شرع هو يوطّد الانشقاق ويهتمّ بانتشارهِ بابعاد المؤمنين عن طاعة رأس الكنيسة الجامعة المنظور وبإلقاء النفور والبغضة في قلوبهم ضدّ الكنيسة اللاتينيّة » (ص ٢٦ — ٢٧)

ثمّ يذكر غبطتهُ ما اخترعهُ كورولاريوس من الشكايات على الكنيسة الرومانية وحرمهُ بامر البابا القديس لاون التاسع

« ولكن الانشقاق لم يزل وقتئذٍ يتزايد ولو انّ ابرشيّات عديدة من رعايا الكنيسة اليونانية لبثت حافظةً رباط الوحدة والاشتراك مع الكنيسة الرومانيّة واستمرّت الحال على هذا المنوال الى ان استولى الامراء اللاتينيّون على القسطنطينيّة سنة ١٢٠٤ وبقيت في حوزتهم نحو ٥٧ سنة فيها خمد الانشقاق جدًّا . الّا انهُ رجع منتاشاً بعدها حينما الملك [illegible] استخلص منهم المدينة المذكورة ولذلك احاقت البلايا العمومية [illegible] حرّك الملك ميخائيل المذكور الى الاتحاد مع السدّة

الرسولية مستخدمًا في ذلك وساطة القديس لويس سلطان فرنسة » (ص٢٨—٢٩)

وشفع غبطتهُ هذه النبذة بذكر المجامع التي تمّ فيها الاتحاد مرارًا وخضوع بطاركة القسطنطينيَّة لرئاسة الاحبار الرومانيين الى زمن المجمع الفلورنتيني العامّ الذي اتَّفقت فيهِ الكنيستان في جميع عقائد الايمان لاسيَّما سلطان الحبر الروماني وانبثاق الروح القدس (١ لم ينازعهم في ذلك غير مرقس الافسسي وحدَهُ الذي عاقبَهُ الله عقابًا مرهبًا على عنادهِ (ص ٣٠ — ٤٥)

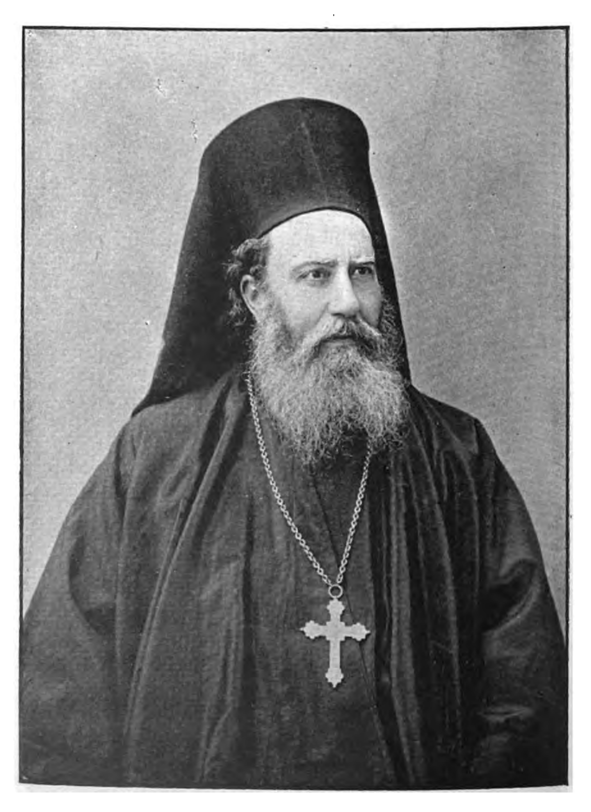
اما بعد المجمع الفلورنتيني فان غبطتهُ يثبت انَّ امر انفصال الكنائس ولو كان مستفحلًا متفاقمًا في الفترة الكائنة بين السنتين ١٤٥٣ و ١٦٥٣ فانَّهُ لم يكن عموميًّا . . .

« لأنَّهُ نظرًا الى بلاد اوربَّة لَامرٌ ثابت انَّ عددًا وافرًا من ذوي الطقس اليوناني وبالتالي من الطائفة الرومية ابناء الكنيسة الشرقيَّة اليونانيـة استمرُّوا حافظين وحدة المعتقد الكاثوليكي ورباط الشركة والطاعة للاحبار الرومانيين في بلاد واقاليم مختلفـة منهم تحت رئاسة اساقفة خصوصيين من طقسهم اليونانيّ . . . ومنهم بدون اساقفة بل بجوارنة فقط حافظين طقسهم اليوناني وخاضعين للاساقفة المكانيين . . . اكثرهم ضمن سلطنة پولونية وقد وُجد فيهم دائمًا عدد معتبر من الاساقفة الكاثوليكيين . . . وكلُّهم حافظون الطقس اليوناني نظيرنا بالتمام . ثمَّ عددٌ وافرٌ ايضًا من ذوي الطقس والطائفة المذكورة وُجد ويوجد متفرّقًا في بلاد ايطاليـة . . . واماَّ نظرًا الى بلاد آسية خاصَّةً سوريَّة الكبرى والصغرى فاي نعم قليلون جدًّا هم الذين في بحر المئتي سنة المـذكورة من رؤساء طائفة الروم اظهروا ذواتهم علانيةً متَّحدين مع الكنيسة الرومانيـة ولكنَّهم مع مرؤُوسيهم بوجه العموم كانوا عمليًا سالكين حسب روح تحـديد المجمع الفلورنتيني.... » (ص ٤٧—٤٧)

« وهذا العدد من المشتركين مع الكنيسة الرومانية المقدَّسة منذ سنة ١٦٥٣ الى الآن ليس فقط لم ينقص او يضعف بل ايضًا قد ازداد بكثرة وافرة خاَصـة في بلاد المشرق ... مرتشدين بنوع اخصّ من الرهبان اليسوعيين (٢ بانَّ الخوف من الاضطهادات لا يغدرهم عن اشهار ايمانهم الكاثوليكي المقدَّس فمن ثمَّ شرعوا يتكلَّمون علانيـةً بخصوص القضايا الخمس المحدَّدة في المجمع الفلورنتيني ثمّ في شأن العوائد الأُخر الذميمة

١) والروم الارثذكس يقرُّون مثلنا ان الكنيسة في مجامعها العموميَّة معصومة عن الضـلال (المشرق)

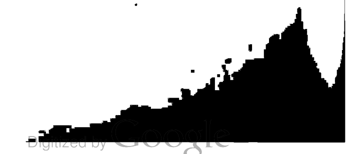
٢) ومن ثمَّ لم يدسّ اليسوعيُّون الدسائس ولم يخدعوا العقول السُّذَّج كما يزعم الخصوم ولم يدخلوا اعتقادا جديدًا بل اجتهدوا بخلاف ذلك بتعزيز الطقس اليوناني القديم والسير بموجب تعاليم الآباء الاقدمين (المشرق)



غبطة السيد الجليل

بطرس الرابع الجريجيري

بطريرك انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق



التي تداخلت فيا بينهم نظير اعتقاد الكثيرين منهم بانَّ طقس النار الجديدة المستعمل يوم السبت العظيم هو نور الهيّ ونظير عدم الجثوّ مطلقًا في الصلوات وامثال ذلك. فمن قِبل هذه الاحاديث والمباحث والمجادلات اتضح من هم الذين كانوا المصرّين على العناد والغلط مشاقين صوريين فقد تجنَّبهم الكاثوليكيُّون اخوتهم تجنُّبًا صريحًا غير مشتركين معهم في الالهيَّات وذلك في مدن وبلاد كثيرة نظير حلب ودمشق وصور وصيداء وغيرها مواضع عديدة » (ص ٤٩—٥٠)

ثمَّ اردف غبطتهُ قولهُ بذكر الاضطهادات التي كابدها الروم الكاثوليكيُّون لاجل ايمانهم مستشهدًا باعلام ارسلهُ القاضي واعيان المسلمين في صيداء الى الاستانة العليَّة يبرّئون فيهِ ساحة الكاثوليكيين من شكايات الروم الارثدكس سنة ١١٣٥ ﻫ (١٧٢٣ م)

« فلمَّا تظاهر الروم الغير الكاثوليكيين بروح هذه العداوة والبغضة ضد الروم الكاثوليكيين لم يعد هؤلاء يحتملون ان يلبثوا تحت ولاية رؤساء الكهنة لاسيما بطاركة مزوّرين مضطهدين متَّصفين بصفة ذئاب(١. ومن ثمَّ الاساقفة في الشام قد انتخبوا لذواتهم بطريركًا القس سيرافيم طاناس... وارتسم في مدينة دمشق في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ بطريركًا انطاكيًّا من ثلثة مطارنة ... وهكذا تواصلت بهِ سلسلة البطاركة الانطاكيين المبتدئة من القديس بطرس هامة الرسل » (ص ٥٢—٥٣)

وهنا سلسلة بطاركة انطاكية من القديس بطرس الصفا الى طاناس ودُعي كيرلّس السادس. واماَّ البطاركة الذين خلفوهُ فدونك جدولهم الى عهد الطيب الذكر الجالس سعيدًا على الكرسي الانطاكيّ غبطة السيد البطريرك بطرس الرابع جريجيري الذي زيَّنَّا مجلَّتنا بصورتهِ الكريمة

جدول

بطاركة الروم الملكيين الاجلاَّء منذ عهد كيرلُّس طاناس

	اسماء البطاركة	تاريخ انتخابهم	تاريخ وفاتهم
١	كيرلُّس السادس طاناس (٢	٢٠ ايلول ١٧٢٤	١ ك ١ ١٧٦٠
٢	مكسيموس الثالث جوهر	١ آب ١٧٦٠	٢٧ ت ٢ (٣ ١٧٦١
٣	ثاوضوسيوس السادس دهَّان	٢٦ ك ١ ١٧٦١	اواخر اذار ١٧٨٨

١) راجع ما كتبهُ المنار نفسهُ (ص ٣٠٣ و ٣٠٤) في طباع سلبسترس الذميمة

٢) قال السيد الجليل صاحب المقالة (ص٦١): « وهو اوَّل من طلب من السدَّة البطرسيَّة [illegible]»

٣) وفي مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين: «في ٢٨ ت٢»

٤	اثناسيوس الخامس جوهر	٢٧ نيسان ١٧٨٨	١١ ت ٢ (١ ١٧٩٤
٥	كيرلس السابع سيّاج	٣٠ ك ١ ١٧٩٤	٢٥ حزيران ١٧٩٦
٦	اغابيوس الثاني مطر	تموز ١٧٩٦	٢١ ك ٢ ١٨١٢
٧	اغناطيوس الرابع صرّوف	٩ شباط ١٨١٢	٥ ت ٢ (٢ ١٨١٢
٨	اثناسيوس السادس مطر	٣ آب ١٨١٣	٨ ت ٢ (٣ ١٨١٣
٩	مقاريوس الرابع طويل	٢٩ ت ٢ ١٨١٣	٣ ك ١ ١٨١٥
١٠	اغناطيوس الخامس قطّان	١ تموز ١٨١٦	٩ شباط ١٨٣٣
١١	مكسيموس الرابع مظلوم	٢٤ اذار ١٨٣٣	١٠ آب ١٨٥٥
١٢	اكليمنضوس الاول بحّوث	١٩ اذار ١٨٥٦	تنازل ١٨٦٤
١٣	غريغوريوس يوسف الاول	٢٩ ايلول ١٨٦٥	١٣ تموز ١٨٩٧
١٤	بطرس الرابع جريجيري	٢٣ شباط ١٨٩٨	

ثمَّ بيّن غبطتهُ بعد ذلك ما افرغهُ من كنانة الجهد لينال لرعيتهِ من قبل الدولة العلية الامتيازات والخطوط الهمايونيَّة الشريفة التي جعلتها طائفةً مستقلّةً

« وهكذا حصلت طائفتنا اليونانية الكاثوليكية على الراحة من الاضطهادات في بحر هذه السنوات الاخيرة » (ص ٦٥)

« واخيرًا فالناتج ممَّا اوردناهُ في هذه النميقة هو(اوّلًا) ان كنيستنا اليونانية باسرها رؤساء ومرؤوسين بقديسيها المعظّمين وبطاركتها المغبوطين وسائر اساقفتها الموقّرين وآباء مجامعها الافضلين وعلمائها الشهيرين قد استمرَّت مدَّة تسعة اجيالها الاولى متَّحدةً بتمامها اجمالًا وافرادًا مع الكنيسة اللاتينيَّة والرومانيـة المقدَّسة اتحادًا كاملًا بوحدة الايمان والشركة والطاعة للاحبار الرومانيين الاعظمين من دون انثلام. (ثانيًا) ان الانشقاق الذي اتَّخذ بداءَتهُ من فوتيوس وامتدادهُ من ميخائيل كارولاريوس ومرقس الأفسسيّ لم يعمّ هذه الكنيسة كلّها اجمالًا وافرادًا بل استمرّ دائمًا عدد وافر جدًّا من ابنائها وطقسها في بلدان كثيرة من العالم حافظين ايمانها الكاثوليكي المقدَّس متَّحدين مع الكنيسة الرومانية ركن الايمان والوحدة الكاثوليكية ... (ثالثًا) انَّ اتّصال هذا العدد العظيم من الكاثوليك ... قد اشتهر متزايدًا بعد فترة مائتي سنة في اقاليم المشرق كما كان في اقاليم المغرب ... الى انَّ الله غبَّ امتحانهم كالذهب في الكور قد منَّ عليهم بالنجاة والراحة وحرّيّة ديانتهم ... (رابعًا) وينتج ايضًا ... انَّ الروم الكاثوليكيين

١) كذا في التاريخ المذكور . وفي القائد الامين (ص ٦٣) « انَّهُ تنيَّح في نيسان »

٢) وفي التاريخ المذكور « ٦ ت ٢ » ٣) وفي التاريخ نفسهِ : « ٢٨ ت ١ »

هم الاصل والروم الغير الكاثوليكيين هم الفرع لا بالعكس وهؤلاء هم الخارجون عن اولئك لا بالعكس ... » (ص ٦٩—٧٠)

هذا الى نتائج أخرى لا حاجة الى ذكرها. ثمَّ ختم غبطتهُ بهذه الكلمات العسجدية يخاطب بها طائفة الروم غير الكاثوليكيين :

« فارجع ارجع اذًا أيُّها الابن الشارد الى حضن امّك النادبة خروجك عنها والفاتحة لك ذراعيها لتعتنقك بها ويُسرّ بك قلبها الوالدي... فليستجب الربُّ تضرّعات هذه الامُّ الحنونة وليعزِ فؤادها المحزون على فقد كثيرين من بنيها وليفرّحها بعودة بنيها لطاعة عريسها الختن السماويّ وطاعتها اذ تشاهدهم جميعًا نظير اغصان الزيتون حول مائدتها وكالخراف الوديعين ضمن حظيرتها يسوسهم راعي الرعاة رأسها المنظور مع شركائهِ في الخدمة كواحدٍ فقط ليتمّ القول الالهي بان تكون الرعية واحدة لراعٍ واحد» (ص ٧٢)

ونحن نضيف الى ذلك مؤمّنين :

آمين آمين لا نرضى بواحدةٍ حتَّى نضيفَ اليها الف آمينا

القوانين الصحّية

في النَّدَوات المدرسيَّة (لاحق بما سبق)

لجناب الدكتور الفاضل هنري نكر احد اساتذة مكتبنا الطبيّ

٢ اثاث المنام

بعد بحثنا عن المنام وصورة بنائهِ وسعتهِ وتهويتهِ يتحتَّم علينا ان نذكر شيئًا عن أثاث المنام وقوانين النوم الصّحيَّة. فان ذلك امرٌ جَلَل لا يمكنّنا ضرب الصفح عنهُ

اعلم انَّ لجسم الانسان جهازًا دقيقًا تتعاقب عليهِ نوبات التعب والراحة. وليس في البدن قسمٌ أيًّا كان يمكنهُ ان يداوم الشغل زمنًا طويلًا دون انقطاع ولا مَلَل اللهمَّ الَّا اجهزة الحياة النامية في الانسان كدوران الدم والتنفُّس والهضم فانَّ اعمالها تتلاحق بلا اختلافٍ يُذكَر. امَّا قوى الحياة الحيويَّة فانَّها لا يتجاوز عليها نحو ١٥ ساعة حتى تكلّ وتخور واذا زاد عملُها سقطت وتفانت

هذا وانَّ العناية الصمدانيَّة لتدارك هذا الخلل وتلافي هذه المضارّ بجسم الانسان قد اتاحت لهُ النوم ليريح اعصابَهُ وعَضَلَاتهِ معًا فانَّ العضلات لا تنال راحتها الَّا اذا مدَّ المرء جسمَهُ باسطًا لاعضائهِ لتنال بذلك فترةً وسكونًا . امَّا الاعصاب فانَّ راحتها بان تُقطع عنها كلُّ مواصلةٍ مع العالم الخارجيّ وتُقفل ابواب الحواسّ خصوصًا العيون والآذان . ولمَّا كان الليل خلوًا من النور وبهِ تسكن الحركات فيتَّضح من ثمَّ انَّهُ هو الوقت الانسب للنوم

ولكن تُرى ايُّ فراش اصلح للجسم ليكون ضجيع الدعة وحليف الراحة في النوم . وما لا شبهة فيهِ انَّ الانسان اذا اتَّخذ الحضيض لهُ مهادًا او اضَّجع على لوحٍ لا تنال اعضاؤه كلها راحتها الخاصَّة فان اقسامًا كثيرة من الجسم لا تلصق بهذا المضجع الخشن ويكون ثقل البدن على بعض الاعضاء فقط كالرأس والمناكب والعجز والعقبين فتترضَّض من جرَّاء ذلك هذه الاطراف امَّا بقيَّة أشلاء الجسم فلا تتوسَّد راحتها

وبخلاف ذلك اذا كان الفراش وثيرًا ناعمًا بحيث يكون الجسم ذا رفاهةٍ بالغة ودَعةٍ مُفرطة ينجم عنهُ للنائم مضارّ اخرى لانَّ مثل هذه الفُرش المحشوَّة بالريش تسخّن البدن وتندّيهِ بالعرق فيبقى قلقًا مضطربًا

ومن ثمَّ يُقتضى للفراش ان يكون وطيئًا متوسّطًا بين النعومة والخشونة واذا كان لا بُدَّ من اختيار احد الفراشين الناعم او الخشن فالخشن افضل للجسم من الناعم . والمَرْقد الأنسب للنوم هو فراشٌ من الصوف او القطن او الوَبَر سَمكهُ عشرة سنتيمترات يُجعل فوق الواح او مشبَّك من الحديد ذي قوائم تعلو بهِ عن الحضيض . ولا يصلح للمضجع المذكور ان يُفرش على بساط او حصير فوق البلاط بل يوضع فوق مساند كما قلنا لانَّ الحامض الكربونيك المسمّ من دأبهِ ان ينحطّ الى اسفل كما سبق فيؤذي النائمَ . ثمَّ ان النظافة تقتضي اختيار هذه الفُرش المرتفعة بدلًا عن غيرها

ولا بُدَّ ان يكون الفراش منبسطًا على سواء ليمتدّ عليهِ الجسم امتدادًا افقيًّا ولا يعلو منهُ غير الرأس فيتوسّد مصدغةً يسند اليها . ولا داعي لأن يُحنى الفراش كما يظنّ البعض فيُجعل طرف الرجلين ادنى من مسقط الرأس لانَّ ثقل الجسم يجذب بالنائم الى اسفل فيؤذى بذلك

امَّا الكِلَل التي تُعدُّ فوق الفُرش صيانةً للاعضاء المكشوفة من اذى البعوض

فأنها لاتخلو من الضرر لأنَّها تصدُّ مجرى الهواء . فليعتبر اذًا ارباب المدارس ما يرونهُ اليق بالمقام واوفق لصحَّة الاحداث

وليجعل مستراحٌ قريبًا من المنام كي لا يحتاج التلامذة لقضاء حاجتهم ان يبتعدوا عن رَدهة النوم

وكذلك ليكن في المنام مُغتَسَل ذو حنفيَّات عديدة والاولى ان يكون من الرخام ليسهل تنظيفهُ عند اتساخهِ . وليُصطنع لكلّ طالب محفظةٌ لوضع ادواتهِ كمشطهِ وفرشتهِ الى غير ذلك من لوازمهِ . ومقعدٌ صغير يجلس عليهِ و ينضّد فوقهُ ثيابهُ

ومَّا يلحق بمسائل المنام البحثُ عن ساعات النوم اللازمة لطلبة المدارس . ومُجمل قولنا في ذلك انَّ طول النوم يختلف مع اطوار العمر فترى الطفل الصغير المولود حديثًا يصرف صُلب يومهِ نائمًا بخلاف الشيخ الذي لا يحتاج لرقادهِ الى زمن طويل . امَّا الكهل الذي بلغ تمام قوَّتهِ فان معدَّل نومهِ بين سبع وثماني ساعات . فمن كان عمرهُ متوسّطًا بين الكهولة والطفوليَّة يختلف معدَّل نومهِ حسب سنّهِ . فلا يمكن اذن ان نثبت لاحداث المدارس قاعدةً عموميَّة . بيد انَّا نقول بالاجمال انَّ التلامذة الذين ادركوا رُشدهم من سنتهم السابعة الى الثانية عشرة يحتاجون الى تسع ساعات من الهجوع . واذا تجاوزوا الثانية عشرة من عمرهم الى السادسة عشرة فمعدَّل نومهم ثماني ساعات ونصف . امَّا الذين بلغوا اشدَّهم فيكفيهم ثماني ساعات من النوم

هذا وليعلم ارباب المدارس انَّهُ يمكن ترويض الجسد بحيث يقتنع بنومٍ اقصر لاسيما في بعض الاحوال والظروف الخصوصيَّة . وقد عرفنا شبَّانًا كثيرين كانوا في زمن الامتحانات السنويَّة يكتفون باربع او خمس ساعات من النوم . لكنَّ الطبيعة بعد ذلك كانت تطلب منهم حقوقها فينامون الى احدى عشرة ساعة . وعلى كلّ حال انَّهُ خير للجسد ان لا يُفرط في النوم فان الاقتصاد منهُ ينشط التلميذ . وخير الامور اوساطها

امَّا بداية ساعات النوم فلتكن نحو الساعة الثامنة او الثامنة والنصف . لانَّ نوم المساء افضل من سواهُ . ومن الامثال الشائعة بين اهل المانية انَّ ساعة نومٍ قبل نصف الليل تساوي ساعتين بعد منتصفهِ . وعليهِ فان الذين في العيشة العاديَّة لا يُراعون هذه [illegible] على نواميس الطبيعة يرتكبون شططًا فيُحيون لياليهم بالسَّهرات الطويلة [illegible] ليلًا ويشتغلون ما يفعلون

انَّ القوانين الصحيَّة في مبيت التلامذة تستدعي بحثًا آخر وهو الكلام عن دثار الاولاد ليلًا وما يلتحفون بهِ

والمبدأ الذي لا بدَّ الاستناد اليهِ في هذا الامر انَّ جلدنا في حاجةٍ الى الهواء النقي لانَّ مسامَّهُ لا تزال تُفرز أبخرةً وفواضل فاسدة تبقى لاصقة بالجسم طالما يكون مرتديًا. وربَّما تزايدت هذه الافرازات الجلديَّة القذرة حتى انَّها تعيقهُ في فعلهِ. ولنا في ذلك شاهدٌ صدقٍ في الحُفاة فانَّ ارجلهم لا يشمُّ احدٌ منها رائحةً مستكرهةً كما يغلب على من يتأنَّقون في الانتعال ويتخفَّفون بالخفاف ويلبسون الجوارب (الكلسات) الصوفيَّة والغزليَّة. فينتج من ثمَّ انَّ الهواء يحيي الجسم ويقوّيهِ وانَّ افضل الثياب ما نفذ فيها الهواء بحيث تتلاشى تلك الابخرة الفاسدة دون ان يفقد الجسم الحرارة التي يحتاج اليها في بعض فصول السَّنَة. على انَّ اغلب الناس قلَّما يفكّرون في حاجة الجلد التي ذكرناها وهم يقصرون همَّتهم في اختيار الملابس الدافئة ليس الَّا

ولهذا الامر الخطير في المدارس دواءٌ وهو ان يبدل التلامذة ثياب النهار بشعار الليل. ويعتاضوا عن كل لبسهم المألوف قميصًا طويلًا. فانَّ الجلد على هذه الطريقة يمس هواءً جديدًا فتزول عنهُ ابخرتهُ الضَّارة. وكذلك اذا قام الولد صباحًا واكتسى بثياب النهار تجدَّد على جلدهِ الهواء. هذا فضلًا عن ان الثياب المتندّية بالنهار تنشف ليلًا وتأخذ من الهواء النظيف نصيبها فتنتفع الجسم اكثر بذلك

امَّا الاغطية التي يلتحف بها النائم فانَّنا قد لاحظنا مرارًا انَّ اهل هذه البلاد يبالغون في اتخاذ اللُحُف وتنضيدها فوق اجسامهم فرارًا من البرد لكنَّهم يشطُّون في ظنّهم ويَهِمون لانَّ البدن بذلك يزيد تبخُّرهُ في الليل فيضعف من جرَّاء ذلك واذا اصابَهُ مجرى هواء صُقِع وابتُلي صاحبهُ بالزكام وغير ذلك من الادواء

وانَّما نودُّ لو اتخذ قرَّاؤنا لهم قاعدة راهنة ما قالهُ بعض نُطس الاطبَّاء انَّ اتقاء البرد والخوف من مضرَّتهِ يتزايد بزيادة الاكتساء وذلك لانَّ دوران الدم في الجسم يخفُّ ويتباطأُ بكثرة اللبس. وعليهِ فانَّا نشير على طلبة المدارس ان يقلّلوا اللُحُف ويكتفوا بما يقيهم سورة البرد ويدفئ جسمهم دفئًا كافيًا فقط

وليكن المُغتَسل الذي ذكرناهُ سابقًا عريضًا واسعًا ليتمكَّن التلامذة من الاغتسال المُحكم. وليهتم الناظرون بشؤُون بعض الاولاد الكسالى الذين يرهبون من الماء البارد

صباحاً فلا يكادون يمسّون الماء الّا باطراف الاصابع . وما لا شبهة فيهِ انَّ الاغتسال بالماء البارد يُدفئُ الجسم عوضاً عن ان يبرّدهُ بل ينعش الجسم كلهُ ويحييهِ (ستأتي البقيَّة)

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

طوافات اليزيديَّة

وعند اليزيدية طوافات عديدة وهي بمنزلة الاعياد عند سائر اهل الاديان. ومن هذه الطوافات طَوَافٌ يكون في شهر أيلول وهو اكبر الطوافات عندهم ويُعرَف «بطَواف الشيخ عادي بن مُسَافر» وهو واجب على جميع اليزيديَّة يهرعون الى هذا المشهد الحافل من جميع البلاد. بل ومن كل صُقع وناد. ومن كل حَزْن وواد. فيهم الشيوخ والكهول والأولاد. والپيرات والكواچك والزُهَّاد. والعُجز والنُصُف والأرْآد. بل يشهد هذا اليوم من اليزيدية من هم في بلاد الروس من اهل السعة واهل العماد. وربَّما انضمَّ الى هؤلاء العباد. زرافاتٌ من الشَبَك (١ فيشاركونهم بالاحتفالات والاعياد. وجميع هؤلاء الناس يلبسون أفخر ثيابهم. وتتزيَّن النساء بافخر حُليهنَّ وبعد ان يجتمعوا في معهدٍ يُعيّنـهُ لهم الشيخ الاعظم. يتوجَّهون نحو المزار بالطبول والمزامير وهم يموجون كالبحر الغَطَمْطم. وبايديهم الاطعمة والاشربة. من مُسْكِرَةٍ ومخدِّرة ومُرَطِّبة. وعند ما يبلغون المزار. يأكلون قليلًا ويشربون دون الخُمار. ثم يأخذون بالرقص على شكل دائرة او هلال. حول الزمَّار والطبَّال. وقد مسكت النساء بايادي الرجال. ثم يطوفون حول المعبد مرَّاتٍ معدودة. في ساعاتٍ محدودة. ويبقون في القصف واللهو والغناء الى المساء. وعند رجوعهم الى دورهم. يُهدون السَدَنة شيئًا من النقود. وقلوبهم فرحى بما آتوا في هذا اليوم المشهود

امَّا من كان الشيخ عادي المعتبر عندهم كل الاعتبار فقد رأيت في صدر هذه المقالة من هو اي انهُ مُصلح هذه الشيعة. واما كيفيَّة وجودهِ في هذا المزار المبني بهيئة

---

(١) الشبك قبيل من الناس لهم ديانة خصوصيَّة غريبة ويوجدون في اطراف الموصل

كنيسة في وسط دير كبير. فاليك ما بلغَنا من اخبارهِ استنادًا على رواية واحدٍ من اهل تلك الديار. وآخر من سكّان جبل سنجار. — ولم نقف على اكثر ممّا اوردناهُ وقد اتّفق هذان اليزيديّان على ما سأذكر وان لم يوجدا معًا في ايّ محل كان. قالا ما نصّهُ بمعناهُ:

كان المزار المدفون فيهِ اليوم الشيخ عادي ديرًا للرهبان النساطرة مشهورًا بقداسة ساكنيهِ فيهِ كنيسةٌ مبنيّة على اسم القديس أدّي او آدي فنفث الطاؤوس الملك (وهو المسمّى بالشيطان عند اهل سائر الاديان) في صدور الرهبان. ان يتركوا الصلوات والاصوام والعيشة القشفة لانّ الله تعالى قد غفر لهم سيّئاتهم كلها واعدّ لهم مقامًا ساميًا في جنّة الخلود. فسوّل اليهم في ان يتزوّجوا وان يأكلوا خبزهم بعرق جبهتهم. فبينما كانوا قد خرجوا يومًا من البيعة وفي مقدمهم الصليب ليطوفوا ثلاثة ايّام حول الكنيسة استدرارًا لنعمهِ تعالى بالشكر وتبرّكًا بعيد عظيم يقع بعد ثلاثة ايّام رأوا طِرسًا معلّقًا باعلى الشجرة التي كانت موجودة في فناء الدار. فوقف الطواف عند ذلك وأمرَ رأسُ الدير ان تُنزَل تلك الصحيفة وتُقرأ. فلمّا أُنزِلَت رأوا مكتوبًا فيها ما يأتي: «أيها الرهبان الأتقياء: انّ الله قد غفر لكم كبائركم وصغائركم فلا تعودوا تُقشّفون انفسكم بل اهجروا الدير فتفرّقوا وتأهّلوا وأتونا بوِلْدان نجباء. والسلام.» فلمّا وقف الرهبان على ما انطوت عليهِ هذه الرقعة عجبوا كل العجب. فقالت طائفة منهم: إنْ هذا إلّا من الشيطان الرجيم. وقال آخرون: إنْ هذا إلّا من الرحمن الرحيم. ومن ثَمّ ثارت الشحناء بين الفريقين ولمّا كان الغدّ وفعلوا ما فعلوهُ امس راوا طِرسًا آخر وفيهِ مكتوب ما قرأوهُ البارحة. ثم رأوا نفس هذه الاشياء في اليوم الثالث فاتّفق جميع الرهبان على ان يهجروا الدير ويفعلوا بما قرأوهُ. فتفرّقوا شذر مَذَر وتزوّجوا ودانوا باليزيدية. وفي مطاوي تلك الحوادث كان الشيخ عادي قد أنبأ يزيدية تلك النواحي ان رهبان الدير المذكور يهجرون صوامعهم ويتمسّكون بالطريقة اليزيدية ويعودون الى الدنيا فيتزوّجون فيها ويُرزَقون وُلدًا نُجباء. ثم قال وفي تلك الأثناء اموت فادفنوني في البيعة في محل المذبح الاعظم بعد ان تهدموهُ. فلمّا تحقّقت نبوءتهُ عن الرهبان. تُوُفي بعد قليلٍ من الزمان. فأُدرجت جثّتهُ في الاكفان. ودُفنت في ذلك المكان. بأُبهةٍ لم تسمع بمثلها الآذان. ومنذ ذاك الحين اخذ اليزيدية يتقاطرون الى ضريحهِ في كل سنةٍ من السنين.

وحوَّلوا اسم القديس آدي بالشيخ عادي . فتأمل

وقد أكَّد لي احد اليزيدية ثقة في هذا الموضوع انهُ كان يوجد في داخل هــذا المزار تاريخ يُذكر فيهِ بالكلدانيَّة اسم موسس الكنيسة وفي عهــد ايٍ من البطاركة بُنيت وعلى اسم من شُيِّدت ونحو ذلك مَّا هو معهود في مثل هذا الرقيم . غير ان اليزيدية تزعوهُ من محلّهِ خوفًا من ان يزورهُ احدُ أيمَّة النساطرة فيدَّعي بملك الدير والكنيسة وأخفوهُ ودفنوهُ عند مدخل باب المزار في محلّ لا يعرفهُ إلّا الوَهفَة . وفي مزار الشيخ عادي ٣٦٠ سراجًا توقد كلُّها كل ليلةٍ وتسع الواحدة منها وقيَّةً من الشيرج . وفي هذا المزار خنابج او أدنان لحفظ الشيرج الذين يؤتى بهِ من جميع قرى تلك الاصقاع . فليُحتفظ بهذه الافادات عند الحاجة

ولهم ما عدا مزار الشيخ عادي مزارات أُخرى عديدة ولكلّ صُقع مزار يُزار فيهِ واحدٌ من اوليائهم المصطلح عليهِ عندهم بالشَخص . ولكل واحدٍ من هؤلاء الاشخاص يوم خصوصي للطواف حول مزارهِ يجتمع اليهِ اهل تلك القرية وربَّما اهل القرى المجاورة لها . ففي قرية بَعشيقا أشخاص منها شخص الشيخ محمد وشخص الشيخ ابي بكر وشخصا مُسَيعِد ومسعود وشخص السيّدة (الستّ) نفيســة وشخص رأس العيون وشخص الدراويش ولكلٍ منهم يوم معلوم في نيسان يكون فيهِ طَواف لإكرامهِ . وفي قرية خَتّار او خطار شخص ناهش وفي قرية بابِيرا شخص باطي وفي قرية كُوَيجِن شخص الشيخ عزروت . والشيخ شمس الدين تَوْرِس في جبــل سنجار . والشيخ سِيناته في قرب الشَيخان . وفي محلاتٍ اخرى الشيخ سَجادين . والشيخ مَلكي بيرا . والست خديجة الكُبرى . وبير افات والشيخ حسن فَرْدُوش والشيخ خفــيرا رِيا . والشيخ آمادين والشيخ المُشَلّح وكل من يحاف بهِ بالكذب يُشَلّحهُ اي ينزع منهُ جميع ما عندهُ من الاموال والارزاق ولا يُبقي شيئــًا ولا يذر . والشيخ مَتّى والشيخ خضر وغيرهم لأنهم يعدُّون بالمئات . ولجميعهم معابد خصوصيَّة يعلوها قُبَّة كبيرة او صغيرة بموجب مقام الولي أو الشيخ

سناجق اليزيدية

[illegible] بستَّة سناجق ولم يبقَ منها اليوم الّا سنجق واحدٌ وقد أَخذ الخمسة [illegible] قبل خمس سنين . وفي أعلى هذه السناجق تمثال بهيئــة ديكٍ

[illegible]

او طاووس من النحاس او الشَبه ولكل سنجق هيئة تختلف عن هيئة السنجق الآخر . وكلها مركّبة ومُوصلة بلوالب شتّى وبصنعة عجيبة في غاية من الظرافة . ولكل سنجق محلّ خاصّ في قصر الأمير وسرير صغير من النحاس وإناء بهيئة الهاون موضوع امام السنجق والشُمُوع تُوقد امامهُ صَباحَ مساء وليلَ نهارَ وتُحرَق لهُ البخور العطرة على الدوام . ولكل سنجقٍ بلادٌ وُضعت في كَنَفهِ . ففي جناح السنجق الأول موضوعة بلاد الشَيخان وهي قُرَى اليزيدية الموجودة في اطراف الموصل ونواحيها . وفي كَنَف السنجق الثاني جبل سنجار . وفي ظلّ السنجق الثالث قُرى الخَالَتَه او الخالطه او الخالِيتَه وهي قضاء من أقضية ديار بكر . وفي ذَرَا السنجق الرابع الهَورِيَّة ويُسمّونها ايضاً بالكواچر وهم الرُحَّل من الاكراد اليزيدية كالبدو عند العرب . وفي سِتر السنجق الخامس المِلِّيَّة وهم يزيدية أطراف حلب ونواحيها . وفي دفء السنجق السادس السَرحدَار وهي يزيدية بلاد الرُوس وغيرها من البلاد الخارجة عن أملاك آل عثمان

فاذا جاء الربيع اخرج خدمة الدين سنجق الشَيخان وطافوا بهِ بين يزيدية تلك الاصقاع فيجتمع القوّالون الخصوصيُّون بالشيخان ويُراد بالقوّالين عندهم المُغنّون والمُزَمّرون فينشدون حينئذٍ الأناشيد الخاصّة بذلك السنجق ثم يأتي البِير الاعظم وهو كالنقيب عند المسلمين او كالكاهن عند النصارى (والبِير كلمة فارسيَّة تقابل كلمة πρεσβύτερος عند اليونان ومعناها الشيخ او الشائب . وتُطلق لفظة البِير ايضاً على رئيس الدراويش فيقابلها حينئذٍ عند النصارى كلمة الأسقُف) وللحال يأمر المير (وهو الامير الاعظم) فيُؤتى بسنجق الشيخان باحترام ووقارٍ ويوضع في هَكْبَةٍ (وهي نوع من الخرج او الجوالق عندهم . والهَكْبة كلمة تركيَّة) ثم تُحمل على جوادٍ مُطهَّم هو جواد البِير الاعظم . وعند ما يقترب الموكب من احدى القُرَى يُرسلون امامهم فارساً مُغيراً يبشّرهم بقدوم السنجق وهو ينادي بالكرديَّة: «سَنجَق هاتْ» ومعناهُ: «جاء السنجق» فحالًا يقول اهل القرية ويلبسون انظف ثيابهم واحسنها ويخرجون لاستقبال السنجق في ارض البيادر فيصطفُّون صفَّين متقابلين . فيتقدم السنجق والقوّالون في بُهرة الجموع المزدحمة وهم يزمّرون بالمزامير وينقرون الدفوف وينشدون الأناشيد والأغاني باللغة الكردية فتجيبهم النساء بالهلاهل حاملاتٍ مجامر موقودة وفيها البخور والعود والند ثم يُنادي البِير: «سنجق ميغانْ كِيْ سَوَا» : ومعناها بالعربيَّة: «من منكم يضيف

السنجق » ؟ فيقول واحدٌ من الحاضرين « السنجق ضيفي بمائتي غرش » . ويقول الآخر : « السنجق ضيفي بمائتين وخمسين غرشًا صاغًا والآخر ينادي بثلثمائة وهلمَّ جرًّا الى ان تنقطع رغبة المزايدة فيهِ . فاذا تمَّ ذلك يتقدَّم البير ويأخذ من على ظهر الجواد الهكَّبة وما فيها ويعلِّقها برقبة الذي انتهت اليهِ المزايدة فيهِ (ستأتي البقيَّة)

قلعة سمعان

للاب بولس جوون اليسوعي

١

اذا ما طويتَ البيد سائرًا من حلب ميمِّمًا شمالها الغربي لا يلبث السَّير ان يقف بك بعد ساعاتٍ قليلة امام جبلٍ اصمّ او بالحري بازاء سلسلة من التلال المتواصلة يعرفها اهل تلك الانحاء بجبل سمعان نسبةً الى السائح الشهير القديس سمعان العمودي الذي احرز لتلك المواطن بمقامهِ فيها سمعةً طيّبة . ولذلك الجبل اسم آخر اختصَّهُ بهِ الأكراد فيدعونهُ جبل لالون . امَّا جغرافيّو العرب فيسمُّونهُ جبل اللُّكَّام

هذا وانَّ شاعرة الاندهال اوَّل ما تخامر الناظر وتشغل افكارهُ عند محاذاة تلك الرُّبى التي تعلو جوانبها صخورٌ غبراء كمدة اللون وهي قفارٌ بلاقع ليس فيها ديَّار ولا نافخ نار

على انَّ العجب أخذ منَّا مأخذهُ اذ ابصرنا في تلك الروابي وفي قعر الوديان اطلالًا ماثلة ورسومًا شاخصةً لم تقوَ الايَّام على طمس آثارها وهي تدلُّ على مواقع مدنٍ زاهرة وقرًى عامرة ينعب اليوم فوقها الغراب . ولكن تُرى كيف استطاع الناس في سالف الزمان ان يحلُّوا في تلك الديار وهي لا ماء فيها ولا شجر يظلِّلها مع ان ارضها حَزْنٌ لا تصلح للفلاحة . فلا مِرْية ان هذه المنازل لم تكُ على حالتها التي نعهدها اليوم فان مياه الامطار كانت تسيل من آكامها في صهاريج متَّسعة لا يزال منها آثار عديدة(١

---

(١) [illegible] هذه الصهاريج غاية في الحسن والإتقان كصهريج دَانة على طريق القفول من [illegible] يسقف مصفَّح بنحيت الحجارة يسندها نحو ثلثين سندًا مربع الشكل كلُّها

امّا الاشجار فلا نظنّ انّ جبل سمعان كان خلوًا منها والبيّنة على ذلك انّ سقائف الكنائس وبيوت الخاصّة كانت مشيّدة بالخشب. ولولا قلّة الاشجار والخشب في تلك الانحاء على عهدنا لما تردّد الاكراد واهل البدو في اصلاح هذه المساكن القديمة والحلول فيها عوضًا عن سكنى خيام الصوف الاسود في ابّان حمارّة القيظ وقُرّ الشتاء. وعلاوةً عليهِ انّ وجوه اهل انطاكية كانوا في سالف الاوان يقضون فصل الصيف في هذا الجبل ولولا انّهُ كان مظلّلًا بالاشجار لما استخاروهُ لمصيفهم

٢

انّ المآثر الجليلة التي نحاول وصفها من عداد آثار عديدة موقعها بين حلب وانطاكية وحماة وهي ترتقي الى القرون الاولى للنصرانيّة. وكانت هذه العاديّات مجهولة من اكثر السيّاح الى حين احتلّها عالمان افرنسيّان في سنة ١٨٦٧ يدعى الاوّل المركيز دي فوكويه والثاني وَدِنغتون فكَلِفا باكتشاف هذه المباني الفاخمة ووصفاها وصفًا مُحكمًا بكتابين رائعين اسم احدهما «الهندسة الدينيّة والمدنيّة في سوريّة الوسطى من القرن الاوّل للمسيح الى القرن السابع» واسم الثاني «الكتابات اليونانيّة واللاتينيّة في سوريّة (١)» ومنهما استمدَّ الكَتَبة المحدثون موادَّ تاريخهم واوصافهم. وقد زار الاب ميشال جوليان اليسوعي هذه العاديّات في سنة ١٨٨٨ فوضع في وصفها مقالةً لم يطّلع عليها احدٌ الّا واثنى على سعة علوم كاتبها ودقّة نظرهِ في غوامض الهندسة. وهذه المقالة نُشِرت اوّلًا في مجلّة الرسالات الكاثوليكيّة ثم أُعيد طبعها في كتاب آخر للمؤلّف يدعى «سينا وسوريّة» (٢. فشاع مذ ذاك الحين ذكر هذه الآثار القديمة في اوربّة وذلك ما حدانا على مشاهدتها لمّا سنحت لنا الفرصة في العام الماضي فوجدنا انّ المؤلِف الذي اتخذناهُ لنا دليلًا كان صادقًا في كلّ ما روى مُحسنًا لاوصاف هذه البنايات العجيبة

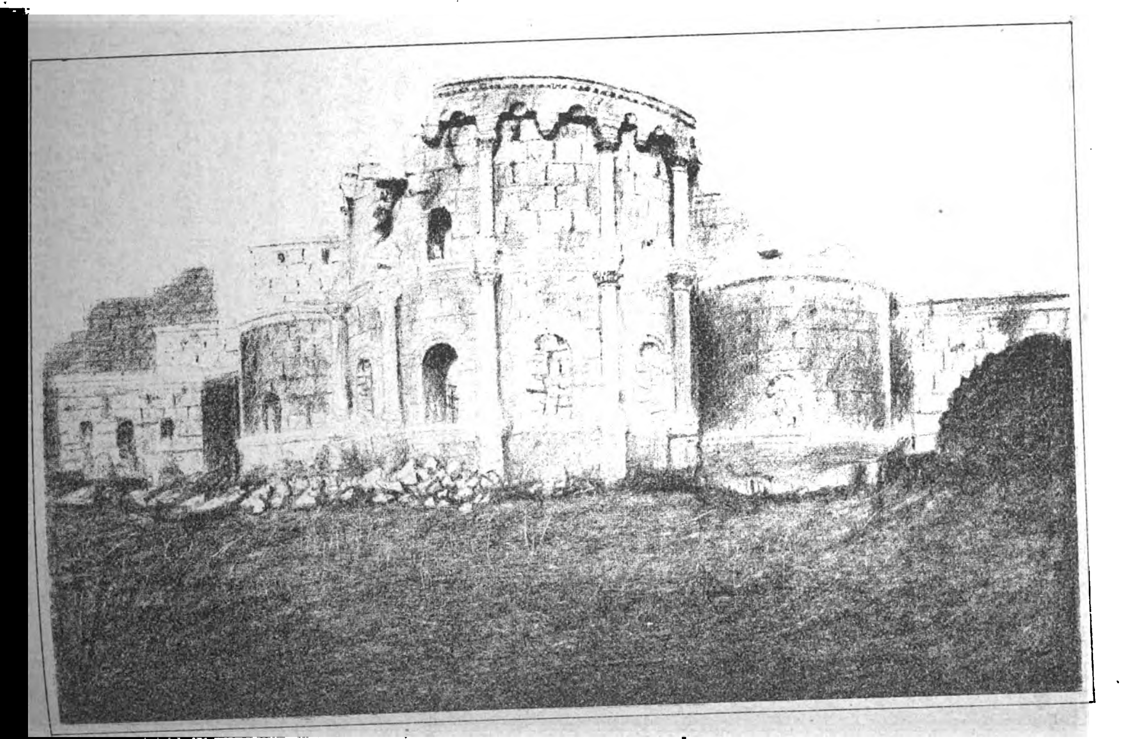
وحضرة الاب جوليان يقسم مقالتهُ في آثار سوريّة الشماليّة الى قسمين وصف في

حجر واحد. على انّك لو قابلت هذه الصهاريج بصهاريج أُخرى قديمة في مدينة الاسكندرية وجدتها دونها إحكامًا وهندسةً فان الصهاريج المصرية عبارة عن ثلث طبقات من العمُد بينها قناطر قد احسن رسمها ووصفها اصحاب كتاب وصف مصر

١) De Vogüé : *Syrie Centrale : Architecture civile et religieuse du Iᵉʳ au VIIᵉ siècle.* — Waddington : *Inscriptions grecques et latines de Syrie.*

٢) Sinaï et Syrie, *par le P. M. Jullien*, S. J.





رأس كنيسة مار سمعان الملكيّة وقبّتها

احدهما الآثار الشماليّة الواقعة في غربي حلب وضمَّن الآخر وصف الاطلال الجنوبيّة في شمالي غربي حماة وتفصل بين هذين القسمين سهولُ إدلب الخصبة. بيد ان زيارة هذه الاماكن الجليلة تستوفي فوق الاسبوعين فقد اقتصرنا في هذه النبذة الموجزة على ذكر ما شاهدناهُ من الآثار المعروفة بقلعة سمعان وما وقع في جوارها فانَّ وصفها يكفي لينال منهُ الطالع بعض الإلمام بتلك الرسوم (١. ونحن نتمنّى ان هذه العجالة تفعم قلوب بعض قرّائنا رغبةً في معاينتها. فانَّهم فضلًا عمّا يجدونهُ في هذا الجبل من لطف الهواء والبرودة في لفحات القيظ يطّلعون ايضًا على احوال النصرانيّة في ايّام عزّها وشرفها. كيف لا وهذه الآثار تنطق بلسان حالها عن سموّ مدارك اهلها واعتصامهم بحبل الدين المسيحيّ وبذلهم المال عن يد سخيّة لتشييد المعابد والبيع الرّحبة الافناء. وما من شأنهِ ان يزيد السائح شوقًا اليها نظرهُ لاماكن قدّسها احد اولياء الله الجليلين الذي اجتذب الى عمودهِ امم الشرق كلّها فكانوا يتقاطرون اليها زرافات فيشفي القديس عاهاتهم ويرشدهم الى سبل الخلاص

والأولى ان يستحضر السائح معهُ كلّ ما يحتاج اليهِ في سفرهِ لانَّهُ لا يجد عند اهل تلك الانحاء سوى قليلٍ من الماء والبقول ليس الّا وان امكن المسافر ان يتّخذ لمبيتهِ خيمةً يأتي بها معهُ فنعمًا . لانَّ ليالي تلك النواحي باردة ما لم يفضّل ان يحلّ في وسط الأخربة في جوار عائلتين من المسلمين يأويان في ذلك المكان. ويمكنهُ ايضًا ان ينزل في قرية باصوفان وهي على مسافة ميلٍ من الآثار شرقًا منها نحو خمسة عشر بيتًا واهلها من الاكراد قد احسنوا معنا المعاملة وتلطّفوا في ضيافتنا

٣

في وصف كنيسة مار سمعان

ليس شيء بين الآثار التي نوّهنا بذكرها احكم بناء وابهى منظرًا من كنيسة

١) ونشير على من اراد مشاهدة كلّ الآثار الواقعة في تلك الاصقاع ان يتّخذ تأليف الاب جوليان كدليل لهُ. اما الذي لا يمكنهُ ان يقضي في ذلك اكثر من اربعة ايّام فعليهِ ان يقسم مراحلهُ كما يأتي: اليوم الاوّل: حلب. عندان. باشمرا . خراب الشمس. (كالوته) باصوفان. اليوم الثاني: قلعة سمعان . دير سمعان. رفادي. قاتوره – اليوم الثالث: براد. كفرنابو. برج حيدر (كالوته و برج القس) – اليوم الرابع: الرجوع الى حلب

القديس سمعان . فانَّ السائح اذا بلغ بهِ المسير الى الرَّبوة المشرفة على هذا البناء الفاخر يُخلَب حيرةً واندهالًا اذ يقع نظرهُ لاوَّل وهلةٍ على جملة هذه المباني المرتفعة الجدران البديعة النقوش المتقنة الصنعة كأنَّها احدى تلك الكنائس التي تفتخر بها مُدن فرنسة ممَّا يرتقي عهدها الى القرن الثاني عشر للمسيح والمبنيَّة على الطرز المعروف بالطرز الروماني (style roman) من بناء اهل القرون المتوسّطة

وقد اقيم حول هذه الكنيسة حائط يحدق بها ويصونها من غارات الاعداء وهو حديث فجعلوها بذلك كقلعة يأوون اليها ويتحرَّزون بها . وذلك هو السبب في تسمية هذه الآثار بقلعة سمعان

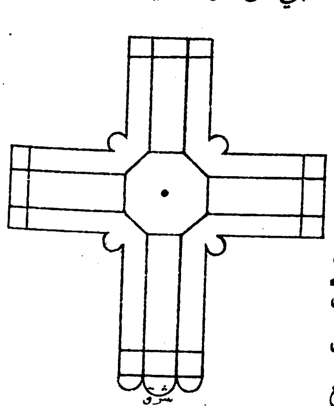
وليس داخل هذا المعبد الجليل اقلَّ شأْنًا من خارجهِ فهلمَّ بنا نسرّح بهِ الابصار للوقوف على كثرة محاسنهِ . ولعمري انَّ من يطَّلع على البقايا التي لم تطمسها بعدُ يدُ الاعصار لا يتماسك عن الحيرة والاندهال لضخامة هذا البناء وحسن هندامهِ وبراعة عملتهِ مع سعتهِ العجيبة . فكأنَّ الحجارة تنطق بثناء ذلك السائح الذي قنت لربّهِ فقضى ثلاثين سنة منتصبًا فوق عمود وهو بالملاك اشبه منهُ بالانسان

وهذا العمود كان طولهُ يبلغ في اوَّل الامر ثلاثة امتار بناهُ القديس سمعان فوق صخرة صمَّاء ثم رقي اليه لينجو من زحام الجموع التي كانت تتوارد عليهِ سابقًا للتبرُّك بلثم يديهِ او مسّ طرف ثيابهِ . واخبر تلميذهُ انطونيوس والمؤرّخ تادوريتس اسقف قورش الذي عرف القديس وعاين معجزاتهِ وكتب اعمالهُ العجيبة انَّ الوفود كانوا يأتونهُ زرافاتٍ من كل انحاء المعمور منهم قبائل العرب واهل العجم والمصريُّون والحَبَش بل ذاع صيتُهُ الى اقاصي اوربَّة فتواردت عليهِ امم الفرنج واهل بريطانية فلم يجد وليُّ الله وسيلةً ليتخلَّص من هذا الازدحام سوى ان يبتني لهُ هذا العمود فيتفرَّغ فوقهُ لمناسكهِ وعباداتهِ ولم يزل يزيدهُ علوًّا حتى بلغ طولهُ نحو ثلاثين ذراعًا . وكان ثمَّت يُحيي ليلهُ في الصلاة ويصرف ايَّامهُ في ارشاد المؤمنين وشفاء اسقامهم

فلمَّا مات القديس سمعان سنة ٤٥٩ اضحى عمودهُ كذخيرة ثمينة كانت الزوار تحجُّ اليها فاذا رأوها سبَّحوا الله في قدّيسهِ وتصدَّقوا على الرهبان المقيمين على حراستها [illegible] ينفق معظمها في بناء كنيسةٍ عظيمة تُحدِق بالعمود فتصير لهُ بمنزلة الخاتم

فما تمّ بناء هذه الكنيسة حتى عُدَّت من طرائف الدُّنيا وجُلّ اعمال العقل البشري في توالي الأحقاب. وما يختصّ بهذا الهيكل العظيم انّهُ لم يك كنيسةً واحدة بل مجموع اربع كنائس كبرى ملكيَّة (basilique) على شكل صليب وهي متَّجهة الى اربع خوافق السماء. ألّا ان الكنيسة الشرقيَّة منها مزيّنة بحنايا كمألوف عادة البُناة في الكنائس القديمة (انظر الشكل)

وهذه الكنائس الاربع متَّصلة ببعضها يجمع بينها اربعة معابد صغار كلٌّ منها على شكلٍ مثلَّث كما ترى في الصورة فتُضحي بذلك بناية واحدة متَّسعة الفناء يمكن التجوُّل فيها والانتقال من احدى قواعدها الى الأخرى دون ان يخرج الزائر خارج الكنيسة. امَّا مركز هذه الكنائس العظمى والمعابد الصغرى فانَّهُ كان مختصًّا بمقام عمود القديس سمعان تراهُ ينتصب في الوسط كأنَّهُ المنارة الباسقة تنطح برأسها السحاب وهي مكشوفة للسماء. ولئلاَّ يُحجَب منظر هذا العمود المبارك عن احداق المؤمنين وهم يقيمون فرائض الدين في احدى الكنائس الاربع المذكورة كان مهندس هذا البناء جعل لها أربعة أروقةٍ تسندها عُمُد بلا ابوابٍ . وهذه الاروقة تتَّصل ببعضها وتكتنف بعمود القديس على شكل مثمَّن. وقد سقط اغلب العُمُد والجدران ألّا المثمَّن المذكور فانَّ سواريَهُ شاخصةٌ وقد بقي من عمود القديس ركنهُ



رسم كنيسة القديس سمعان العمودي

فما شخصت ابصارنا الى هذا الاثر الجليل حتى فكَّرنا في تلك الكنائس العظمى التي اقيمت في عواصم اوربَّة في غضون الاعصار المتوسّطة فتعجَّبنا من حذق بانيهِ وهو في الحقيقة تحفةٌ لنصارى القرن الخامس في سوريَّة تشهد ببراعتهم في فنّ الهندسة الدينيَّة. وما زادنا انذهالًا انَّ نقوش هذه البناء وأفاريزَهُ تجمع بين السذاجة والجمال ليس فيها من بهرجة التصنُّع ما في غيرها من الابنية الشرقيَّة البوزنطيَّة التي تبهر العين دون ان يعمل منظرها في القلب

٣

ولكن هلمَّ بنا نطوف في جوار هذا المعبد ونفحص ما هنالك من الآثار الباقية او الاطلال الخربة وهي عبارة عن بِيَعٍ قديمة وبيوت وفنادق كلها من نحيت الحجارة الكبيرة قد اسندت الى بعضها بدون ملاط يصل بينها ولا أجراز من الحديد تضمُّها

والبِيَع المنوَّه بها على ثلاثة أصناف: منها صَنفٌ ذو حنيَّة (nef) واحدة مستطيلة الشكل. وهذا الصَّنف يخلو غالبًا من النقوش وهو في غاية البساطة. مثالهُ بيعتان رأيناهما في تلك الانحاء الواحدة في دير سمعان الذي يبعد نحو ميلٍ عن قلعة سمعان والأُخرى في قرية برج حَيدر. وكلتاهما صبرت على نوائب الزمان

وللصَّنف الثاني من هذه البيع القديمة مزيَّةٌ خُصَّت بها دون غيرها وهي عُمُدها المربَّعة التي تتوسَّطها ومن هذا الصنف كنيسة بَراد وعمدها اربعة غاصت في الاطلال فلا يُرى منها سوى روُّوسها. وممَّا يدخل في عداد هذه الكنائس بيعة قَلب لَوزة على مسير ستة اميال من دانة في جنوبها الغربي وهي عجيبة في جنسها لم تشوَّه محاسنها الأيَّام ولعلَّها ابهى كنيسة بعد كنيسة قلعة سمعان السابق وصفها

واما بِيَع الصَّنف الثالث فهي البيع ذات الحنايا الثلاث والعُمُد المتوازية وهذا الصنف كثيرٌ في تلك الاصقاع منها كنيسة خراب الشمس وفيها اربعة ازواجٍ من العواميد لها اكاليل حسنة النقش من الطراز الإيوني او القورنثي او الشكل المخروط. ومنها كنيسة أُخرى في برج حيدر الَّا ان عُمُدها بلا نقش

وممَّا تمتاز بهِ كلُّ هذه الكنائس إفريز ناتئ منقوش في خارجها يُحدق بها في كل جوانبها وهو مستدير فوق نوافذها

ومن خواصّها ايضًا حُجرتان مربَّعتان في جانبي الهيكل كان يُصعَد اليهما يمينًا وشمالًا وهما متَّصلتان بالهيكل كما ترى في كثيرٍ من كنائس الروم

وكانت احدى هاتين الحجرتين تُدعى مقام الشمامسة (διακονικόν) مختصَّة بالاكليروس يتَّشح فيها بالملابس الطقسيَّة. وكانت الحجرة الثانية المدعوَّة مَرقى (πρόθεσις) او خزانة (γαζοφυλάκιον) يرقى اليها الشعب ليقرّب فيها التقادم قبل الذبيحة. وكان الشمّاس يكتب اسماء المقرّبين مع بيان تقادمهم لتُذكر اسماؤُهم في صلوات [illegible] القيام عادةً في الكنائس المبنيَّة في الجهات الشماليَّة على يمين

الهيكل . امَّا كنائس الجنوب فكانَ تقادم المؤمنين فيها بعكس ذلك في شمال الهيكل

وليس لهذه الكنائس القديمة ايكونستاس كما ترى الآن في الكنائس اليونانيَّة اي وجهُ هيكل بتصاوير ونقوش مختلفة وانَّما كان لها أستار وسُجف تحجب القدس عن ساحة الكنيسة في بعض اوقات الذبيحة وهذه الأستار لا تزال مألوفةً في كثير من كنائس الشرق . وقد اورد القديس يوحنَّا فم الذهب ذكرها (في ميمره ٣٦ على شرح رسالة بولس الاولى الى اهل قورنتس) . امَّا كنائس الغرب فكان لها درابزون عالٍ بديع العمل يفرز المقدس عن باحة الكنيسة ولهُ باب يُقفل وكان يُمدّ وراءهُ سترٌ عند الحاجة . وفي بعض كنائس فرنسة بقايا تدلُّ على هذه العادة القديمة

وما يؤيّد قولنا في كنائس جبل سمعان انَّنا رأينا في بعضها حجارتين بارزتين في رأس حنيَّة الهيكل كانت تُعلَّق فيها الاستار . وقد استثنى حضرة الاب جوليان احدى هذه الكنائس التي نحن في صددها وهي كنيسة قلب لوزة فاستنتج من هيئة هيكلها وبعض نقوشهِ انَّها كانت ذات ايكونستاس . والله اعلم

٤

امَّا البيوت التي بقي منها آثار عديدة في جبل سمعان فهي قديمة البناء لها هيئات شتَّى . وهي متوسّطة الاتّساع . ولم يكن لاكثرها غير طابقٍ واحد . وفي ضيعة قاطورة بيتٌ ذو طابقين . ولم يكن لدورهم سوى غرفتين او ثلاث

ومن البيوت التي سكنها اهل الثروة بيتٌ حسن المنظر واسع الفناء وجدناهُ في كفرنابو طولهُ ٤٠ مترًا وعرضهُ ثمانية امتار قد فُتح لجدارهِ الشمالي نوافذ غير متوازية وكان في مقدَّم جهتهِ الجنوبيَّة رواقٌ لهُ ١٧ سارية من حجر واحدة يعلوها في الطابق الاعلى ١٧ عمودًا صغيرًا ذا قطعةٍ واحدة . وقد سقطت اكثر هذه السواري والعُمُد . وكان لهذه الدار في جانبيها الشرقي والغربي مخدعان يتصلان بها

وفي دير سمعان بنايتان كُبريان يرجَّح انَّهما كانتا فندقين لمأوى الغرباء لهما حتى يومنا منظر رائع وكان يحدق بهما من كلّ الجهات رواق يقي المحلّ من اشعَّة الشمس وحرارة القيظ

وفي كلّ هذه الديار لم نجد اثرًا للخشب الَّا في سقوفها . امَّا صحن هذه الدور

وطوابقها فكأنها مفروش بالبلاط . وكانوا يتّخذون الطوابق العليا صفَّين من الحجارة الطويلة المنحوتة . يُدخلون احد طرفيها في جدار البيت ويسندون الطرف الثاني الى سَوارٍ مشيّدة في وسط البناء على شكل القناطر

ومن فحص هذه الاخربة يتبيَّن للباحث كثير من احوال اهلها . منها انَّ الديانة الوثنيَّة لم تكُ بعد قد بطلت كما يؤخذ ذلك من عدَّة ادلَّة هندسيَّة وكتابات نُقشت على الحجارة . الَّا انَّ النصرانيَّة كانت هي الديانة المتغلبة على انحاء تلك البلاد تنبئ بشيوعها شاراتُ النصارى كالصليب واوَّل اسم المسيح باليونانيَّة الى غير ذلك

امَّا حالة السكَّان فانَّها ولا مرية كانت راضيةً فانَّ مجرَّد النظر الى هذه الآثار الباقية تبيّن انَّهم اصابوا كفافَ عيشهم بل تنعَّم كثيرون منهم بالرغد والهناء . وممَّا يدلُّ على حُسن حالهم وغناهم هذه المساكنُ الرحبة والبيوت المحكمة البنيان والهياكل المسيحيَّة التي يُربي عددها على ٣٠٠ كنيسة فانَّهم لو لم يصيبوا ثروة واسعة لما قاموا بنفقات هذه الابنية لاسيما انَّهم لم يسكنوا هذه الديار الَّا في فصلي الربيع والصيف كما قلنا سابقًا . وانَّما كانت هذه المشارف مصايف يحتلُّها اعيان القوم فرارًا من لظى الحرّ كما يفعل في يومنا وجوه بيروت فيتسلَّقون عُلَى لبنان

ولذلك لا ترى في جبل سمعان مدنًا ممدَّنة او ابنية عموميَّة ممَّا اعتادهُ القدماء كالحمَّامات والملاعب والساحات الكبرى ذوات الاروقة المتَّسعة بل غاية ما تجدهُ بيوتٌ مؤثَّثةٌ مع المزارع اللاحقة بها والكروم والاشجار المثمرة . ويدلُّ عدد كنائسها انَّ القوم كانوا من اهل الدين يقضون ثمَّت ايَّامهم في السكينة والتقى واعمال البرّ . ولذلك ايضًا لا ترى بين هذه الاطلال كتاباتٍ تنبئ بحياة سياسيَّة كاوامر الحكومة واسماء الملوك والامراء فان النقوش الباقية والخطوط المنقورة في الحجارة تتضمَّن بعض الحكم والادعية التقويَّة وتواريخ كُتبت على المدافن (١ وقد جمع منها قسمًا العلاَّمة ودّنغتون وحضرة الاب جوليان . بيد انَّهُ لا يزال قسمٌ منها مجهولًا واكثر هذه الكتابات باليونانيَّة وهي لغتهم في العواصم التي كانوا يسكنونها فينتقلون منها الى هذا الجبل في اوان الصيف . والمرجَّح ان اليونانيَّة كانت ايضًا لغة القديس سمعان العمودي لانَّهُ كان

(١) [illegible] كتابات سوريَّة الشماليَّة لودّنغتون

من بلاد قيليقية ويشهد تاودوريطس (١ انّهُ تكلّم بها . امّا الكتابات السريانيّة التي وُجدت في جبل سمعان فقليلة ولعلّها أحدث عهدًا من اليونانيّة

لكنَّ اليومَ لم يبقَ من كلّ هذه المآثر الّا ذكرها وقد سدل عليها الدهر اكفانَهُ فصارت خرابًا يبابًا . فيا ليت شعري كيف يُخني الزمان على اهلهِ

فتبًّا لدنيا لا يدومُ نعيمها تَقلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصرَّفُ

ولكن رغمًا عن نوائب الدهر انّنا نؤمّل ان هذه الديار ستُضحي يومًا زاهيةً زاهرةً اذا ما احتلّها قومٌ من اهل الخبرة والعمل لان تربتها حسنةٌ وهي تصلح للاشجار المثمرة وقد اختبر ذلك اهل باصوفان فزرعوا كرومًا وزيتونًا وتينًا فأتت بريع حسن

وعلى كلّ حال انّنا نحضُّ السوريين عمومًا واهل حلب خصوصًا على زيارة هذه الدفائن وهي على مقربةٍ منهم فلعلّهم يستقون من هذا المنهل الصافي حبًّا عظيمًا لوطنهم واعتبارًا كبيرًا لاجدادهم وتحمّسًا لدينهم . والسلام

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رنزفال اليسوعي

(تابع لما قبلهُ)

الفصل السادس

في ترتيب آلات الموسيقي المعروف بالدوزان

انّهُ بحسب كثرة انواع الآلاتْ المستعملة في فنّ الموسيقي واختلاف اشكالها يعسر ترتيب شرح جميعها ولذلك نقتصر على الكلام في ترتيب بعضها الاكثر شهرةً في هذه الاقاليم فنقول : انَّ هذه الآلات قسمان احدهما يختصّ بفنّ الايقاع اي الاصول كالطبل والدفّ والنقارات والصنوج وما اشبه ذلك . وهذا لا يتعلّق بمعرفة الالحان بل

١) راجع مجموع اعمال آباء اليونان Migne, *PP. GG.* t. 82, c. 148



هو متعلّق بقياس الزمان (١ . والثاني يختصّ بالالحان وهو المقصود بهـذه الرسالة وهو نوعان ذوات اوتارٍ وذوات نفخٍ . امّا ذوات الاوتار فمنها ما يشدُّون عليهِ وترًا ومنها ما يشدُّون عليهِ سِلكًا مِن حديد او من نحاس ومنها ما يشدُّون عليهِ شيئًا من شعر الخيل ونحوها . ولنذكر شيئًا من هذه الآلات مبتـدئين بذوات الاوتار فنقول ان من ذوات الاوتار :

العُود

يشدُّون عليهِ سبعة ازواج من الاوتار المختلفة الغلظ والدقّة . والزوج منها مشدود الوترين على نغمةٍ واحدة لاجل ضخامـة صوت النقر عليهِ . واغلب استعمال الموسيقى يكون على اربعة ازواج منها ويندر استعمال الثلاثة الازواج الاخرى (٢ فالزوج الاوَّل من شمال (٣ العود يشدُّونهُ قليلًا ويجعلونهُ قرار الجهاركاه ثم يشدُّون الزوج الثاني للرست والثالث للنوى والرابع للدوكاه والخامس للعشيران والسادس للبوسليك والسابع للنهفت وبهذا الترتيب يكون صوت كلّ زوج منها يعلو عن صوت الزوج الذي عن يمينه او عن قرارهِ عشرة ارباع لان الاوَّل يعلو عن قرار الثاني عشرة ارباع والثاني يعلو عن قرار الثالث عشرة ارباع والثالث يعلو عن نفس الرابع عشرة ارباع وهكذا الى آخر الازواج . فهذا البعد الكائن بين الزوجين في بعضها يكون ثلاثة ابراج وفي بعضها لا يكون على حسب وقوع الابراج الكبيرة والصغيرة بين الزوجين (٤

(تنبيه) اعلم ان بعض الموسيقيين يشدُّون الزوج الاوَّل لليكاه قصدًا لسهولة

---

١) اجلْ . الّا ان الايقـاع يزيد النَغَمَ رونقًا وتأثيرًا في مسامع المنصتين فلذا قلّما تحضر نوبةٌ موسيقيّةٌ لا يُستَعمَلُ فيها الطبل والصنوج لقياس الزمان . وزد على ذلك انَّ اهل الموسيقى من الاوربيين يرتّبون الطبل كسائر الآلات المختصَّة بالالحان اعني بهِ انهم يشدُّون او يرخون جلديهِ حتَّى يتّفق دويُّهُ بعض الاتّفاق مع صوت سائر الآلات

٢) والاقتصار على اربعة اوتار شائع منذ زمن قديم عند اليونان . فاذا اضافوا شيئًا الى تلك الاوتار لم تجاوز الزيادة حدّ الوتر الواحد وهم يسمّونهُ الحادّ . وامّا معاصرونا من اهل الشام ولبنان فهم عادةً على استعمال خمسة اوتار يضيفون اليها وترًا سادسًا عند الحاجة . وسنرجع الى ذلك في الذيل الآتي

٣) ولعلَّهُ اراد بشمال العود طرَف الآلة الذي يكون عن شمالك اذا نصبتها امامك وجهًا وليس ذلك راي الخواجا شكري سودا ولهُ اسباب منها مطابقة دوزان الدكتور مشاقة [illegible]

٤) راجع الذيل الآتي

مناولة هذا البرج عند احتياجهِ وكذلك بما انّهُ وقت العمل يكون موضعهُ اسفل الابراج الاربعة التي يشتغلون عليها غالبًا فاذا أطلقت عليهِ الريشة التي يُنقَر بها عليها اعني على الاوتار يُسمع لهُ دويّ رخيم ولاسيما حيث اكثر الاعمال تكون امّا من برج الدوكاه وامّا من برج النوى حيث يكون صوتهُ حينئذٍ مركز غمّازٍ للاوّل وقرار للثاني (١. انتهى

ثمّ انهم يجعلون علامةً على اسفل صدر عنق العود مستعرضة تحت الاوتار من خشبٍ لونهُ مخالف للون صدر العود يحكمون وضعهُ بمكان ملاقاة الثُلث الاوّل من رأس العود بالثلثَين الاسفلَين اي انهم يقسمون المسافة الكائنة بين مطلق الوتر من رأس العود وبين الفرس المستعرضة على صدر اسفلهِ المربوط بها طرف الاوتار (٢ الى ثلاثة اقسام متساوية بالبيكار وغيره من الآلات القياسيّة ويجعلون هذه العلامة عند نهاية الثلث الاوّل. وهذه العلامة تفيد امرَين مهمّين: الاوّل اذا جسّ بالسبّابة على زوج من الازواج ونُقِر عليهِ مع بقاءِ السبّابة جاسيةً على ذلك الزوج فوق العلامة يكون

١) يريد بذلك انك اذا نلت اليكاه وقت عملك على العود يستمرّ صوتهُ في اثناء باقي عملك لاسيما ان ادّى بك تأليف اللحن الى الاكثار من نقر النوى والدوكاه. وهذا امر طبيعيّ يتحقّق وقوعه ليس فقط فيما بين اليكاه والدوكاه والنوى بل ايضًا في سائر الابراج (او الارباع) كلّما وُجد بين ثلاثة منها برجٌ (او ربعٌ) وقرارهُ (او جوابهُ) وغمّازهُ (او جواب جوابهِ او جواب غمّارهُ الى ما لا نهاية لهُ) وهذا امر مبني على مبدأ طبيعي اعلى وهو ان الصوت في الجسم الرنان يسبب تموّجًا وترنين جسمٍ رنانٍ آخر اذا كانت درجتهُ الصوتية نفس درجة الصوت الاول او قراره. وعليهِ فاذا ضربت على البيانو واخرجت صوت «do» تسمع بالسوية صوت جميع الابراج التي اسمها ودرجتها «do» وكذلك تسمع في الوقت نفسهِ جميع الغمازات. الّا ان تحقيق هذه القضيّة يقتضي حسًّا جيدًا واختبارًا طويلًا لان هذه الاصوات تكون غالبًا دقيقة رقيقة رخيّة فلا نقوى اذنُ كلّ احد على نيلها قاطبةً. ولو شكّ احد قرّائنا في صحّة قولنا هذا عليهِ ان يأخذ عودين يتفقان في الدوزان ادقّ الاتفاق فيدلّي الواحد منهما من رأسهِ بحيث لا يمسهُ شيء في الهواء ثم ينقر العود الثاني على اي وتر احبّ. فاذا دنا احد الحاضرين من العود الاول واعاره سمعًا واعيًا سمع تكرار البرج الذي استُخرِج من العود الثاني

٢) عنق العود ما بين جوفهِ ورأسهِ (او انفهِ). والعنق غير مجوّف وهو محل جس الاصابع على الاوتار. امّا الرأس فهو محل ملاقاة الازواج او الاوتار من فوق العود. والفرس هي في اسفل الآلة او في قاعدتها عليها تمرّ اطراف الاوتار متباينة الاماكن. واذا كانت الفرس قصيرة لا تكاد ترتفع عن صدر العود فلها اسم آخر وهو المشط. وهو اكثر استعمالًا للعود من الفرس. امّا العلامة في اسفل العنق فتسمّى الدستان (sillet). والدستان كلمة فارسيّة معرّبة يزاد بها كل

صوتهُ مثل مطلق الزوج الذي فوقهُ او مثل جوابهِ فلو انّهُ جُسّ على الزوج الاوّل من محلّ العلامة ونُقر عليهِ لكان صوتهُ مماثلًا للزوج الثاني الذي هو الرست. وهكذا لو جُسّ على النوى (١ لكان صوتهُ جوابًا للدوكاه ثم ان الدوكاه (٢ يصير بهذا العمل جوابًا للعشيران (٣ وبهذا العمل على الازواج المذكورة يحصل امتحان صحّة الدوزان وفسادهِ. الامر الثاني: انّهُ اذا اراد الموسيقيّ ان يصعد بيدهِ الى الجواب لا يشدّ بوضع اصابعهِ على محلّ الجواب لانّهُ ينقلها حالًا الى محلّ الجواب الذي لا يرتاب في صحّته. واما الازواج الاربعة التي يكون عنها اكثر العمل بالعود فهي الرست والنوى والدوكاه والعشيران. فهذه الاربعة الازواج اذا نُقر على مطلقها يكون عنها الاربعة الابراج المسمّاة باسمائها. واما بقيّة الابراج التي تلزم فيتناولها من الازواج انفسها بالجس عليها برؤوس الاصابع من يده اليُسرى

ولاجل زيادة الايضاح فلنورد طريقة الصعود من القرار الى الجواب والهبوط من الجواب الى القرار برجًا برجًا فنقول: انّ الاوّل برج اليكاه وهذا يخرج من الزوج الاوّل امّا بالنقر عليهِ مطلقًا اذا كان مشدودًا يكاه او مجسوسًا عليهِ بالسبّابة اذا كان مشدودًا قرار الجهاركاه. ثم العشيران يؤخذ مطلقًا من الزوج الخامس ومنهُ يوخذ العراق مزمومًا عليهِ بالسبّابة والرست مزمومًا عليهِ بالبنصر وقد يؤخذ الرست من الزوج الثاني مطلقًا. ثم يؤخذ الدوكاه مطلقًا من الزوج الرابع والسيكاه والجهاركاه يؤخذان منهُ مجسوسًا على اوّلهما بالسبّابة وعن ثانيهما بالبنصر ثم يؤخذ النوى مطلقًا من الزوج الثالث ويؤخذ الحسيني والاوج والماهور منهُ ايضًا بالجسّ عليهِ للاوّل بالسبّابة وللثاني بالبنصر وللثالث بالخنصر ثم يرفع الموسيقي يدهُ على عنق العود الى مكان العلامة الكائنة في ثلثهِ الاوّل المتقدّم شرحها وهناك يجسّ على الزوج الثالث بالسبّابة فيكون المحيّر ثم بالوسطى عليهِ ايضًا فيكون البزرك ثم بالبنصر فيكون الماهوران ثم بالخنصر ايضًا فيكون جواب النوى المسمّى رَمَل توتي. وهكذا يرجع برجًا برجًا الى المحيّر ويُبقي يدهُ عند العلامة ويتناول

علامة على عنق آلةٍ من ذوات الاوتار. بها يُشار اشارةً صريحةً الى موضع جسّ الاصابع. [illegible] كثيرة على الطنبور. وهكذا كانت على العود. الّا ان ارباب الموسيقى استغنوا عنها [illegible]

١) يريد بذلك «وتر» النوى او الزوج الثالث

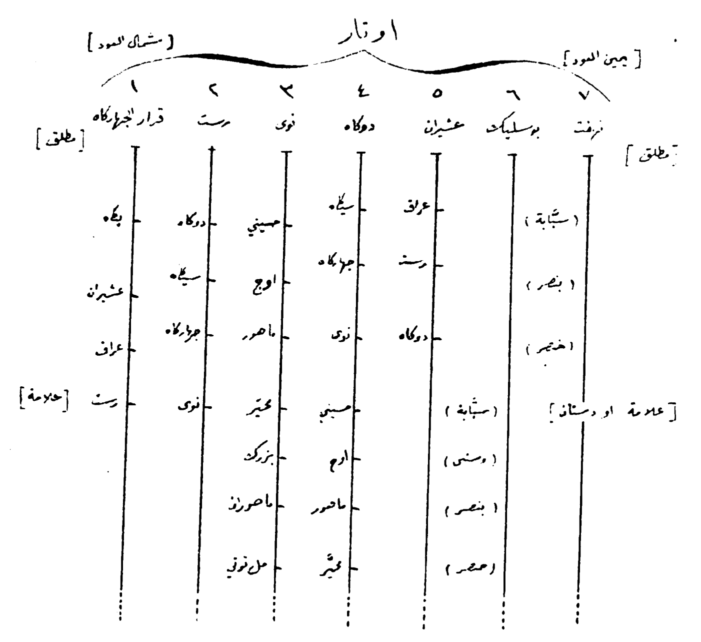
[illegible] الرابع

٣) يعني الزوج الخامس

الماهور من اجوبة الزوج الرابع بالجسّ عليهِ بالبنصر ثم الاوج عنهُ ايضاً بالجسّ عليهِ بالوسطى وكذلك الحسيني بالجسّ عليهِ بالسبابة . ثمَّ يتناول النوى بالنقر على مطلق الزوج الثالث ويرجع بيده الى مكانها الاوَّل وينزل في بقيَّة الابراج برجاً برجاً حسب صعوده .
وامَّا الارباع التي يحتاج اليها في بعض الالحان الكائنة من النوع الثالث فيتناولها بتقديم اصابعهِ او تأخيرها عن الجس على الزوج الذي يراد اخذ ذلك الربع منهُ (ستأتي البقيَّة)

ذيل على الكلام في العود

ترتيب العود ودوزنتهُ حسب طريقة المؤلف



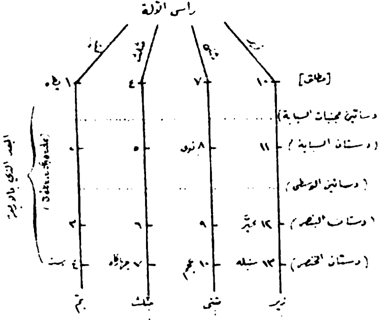
فاذا طالعت الجدول الذي وضعناهُ ص ٢٩٧ ترى ان صوت الوتر الاول يعلو عن قرار الثاني الذي عن يمينهِ عشرة ارباع . الخ . . . ومن عجيب الامر في هذا الدوزان ان صوت بعض الاوتار الاكثر استعمالاً اعلى من صوت الوتر الذي عن يمينهِ . وهذا مما لم نعثر على مثيلهِ في كل ما وقع بيدنا من آلات ذوات الاوتار شرقاً وغرباً

فعلينا الآن ان نوجز الكلام عمَّا اهتدينا اليهِ من ترتيب العود عند المعاصرين والاقدمين من

العرب فنقول اوّلًا انّ ما رأينا وامتحنّا من طريقة معاصرينا يقضي منّا العجب لسهولة مأخذه وعدم اشتباكه خلافًا لطريقة صاحب الرسالة . فمادتهم ان يشدُّوا على اعوادهم خمسة اوتار الاربعة منها مزدوجة وقلّما يزيدون زوجًا سادسًا . وهو قرار الدوكاه . فالوتر الاوّل من شمال العود يشدُّونهُ يكاه وعند الحاجة قرار السيكاه او قرار البوسليك . امّا الزوج عن يمينه فيجعلونهُ عشيران والثالث دوكاه والرابع نوى والخامس ماهور حتى يكون البعد بين مطلق ومطلق ما عدا بين الاوّل والثاني ثلاثة ابراج.

واحسن قاعدة للدوزان هي المصطلح عليها في الوقت الحاضر . وهي ان يُشدّ النوى فيكون جوابًا للبكاه واذا جسّ على النوى بالسبّابة فيخرج منهُ صوت يكون جوابًا للعشيران . ثمّ يُجس على العشيران بالبنصر فيُسمَع منهُ صوت قرار الماهور ثم يجسّ على الماهور بالسبابة فيُسمع منهُ صوت المحيّر اي جواب الدوكاه فيشد الدوكاه قرارًا للمحيّر . هذا ما افادنا ايّاه الخواجا شكري سودا الموسيقي البارع

امّا ترتيب الاقدمين فلا نرى لهُ شرحًا اوضح من ملخص نستلخصهُ من كتاب الموسيقى لابي نصر محمد بن محمد الفارابي (المتوفى سنة ٩٥٠ للمسيح) ولهُ كما تقدم اليد الطولى في الموسيقى العربية واليونانيّة معًا . فدونك وصفهُ العود واعلم انّهم لم يكونوا يشدُّون على العود الّا اربعة اوتار اغلظها البمّ ثم المثلّث ثم المثنى ثم الزير



قال ابو نصر الفارابي : « ودساتينها المشهورة اربعة دساتين مشدودة على الاماكن التي تنالها الاصابع في اسهل موضع يمكن القبض عليها . . فاوّل هذه دستان السبّابة وثانيها دستان الوسطى والثالث دستان البنصر والرابع دستان الخنصر فيكون اقسام الاوتار المشهورة على عدد الدساتين . فاوّل نغمة في كل وتر نغمةُ كل الوتر وتلك تسمّى نغمة مطلق الوتر . والثانية تسمى نغمة السبابة والدستان المحدث لها مشدود على تسع ما بين مجتمع الاوتار وبين المشط ثم نغمة الوسطى ولنؤخّر القول في موضع دستانها » (لاختلاف ارباب هذا الفنّ في ... بين السبابة والبنصر) « ثم نغمة ... على تسع ما بين

السبابة الى المشط ثم نغمة الخنصر ودستانها مشدود على ربع ما بين مجتمع الاوتار الى نهايتها في المشط . فاذًا مجموع نغمتَي مطلق كلّ وتر وخنصرهِ هو البعد الذي بالاربعة (tétrachorde) ومجموع نغمتَي مطلقهِ وسبابتهِ هو بعد طنيني (اي برج كبير ton majeur) فيبقى مجموع نغمتي سبابتهِ وبنصره بعد طنيني فيبقى مجموع نغمتي الخنصر والبنصر البعد الذي يسمَّى البقيَّة والفضلة . . » ($\frac{243}{256}$ Demi-ton pythagorique او Limma) . ولما كانت اوتار العود توضع وضعها المشهور بان يُحزَق المثلثُ حتى يصير نغمة مطلق المثلّث مساويةً لنغمة خنصر البمّ . ويُحزَق المثنَّى حتَّى يصير نغمة مطلقهِ مساوية لنغمة خنصر المثلث وكذلك يجعل نغمة مطلق الزير مساوية لنغمة خنصر المثنى ظهر ان نسبة نغمة مطلق كلّ وتر الى نغمة مطلق الوتر الذي تحتهُ نسبة الذي بالاربعة فبيّنٌ انَّ الجمع المستعملِ في العود هو مثل ضِعف الذي بالاربعة فاذن الجمع المستعمل في العود مُقصر عن الجمع التام بُعدين طنينيَّين »

ثم أتى الفارابي بشكل اثبتناهُ في اسفل الوجه السابق الّا انّنا قلبنا حروف المعجم التي استعملها ارقامًا هنديَّة ابتغاء الوضوح فاضفنا الى بعضٍ منها اسماء ابراجٍ وارباعٍ تساويها وذلك قصد الارشاد . فكلّ رقم يدل على نغمة الّا ان البعد بين نغمةٍ ونغمة يختلف على اختلاف مسافة الخطوط المستعرضة فترى من ثمَّ ان البعد بين ١ و ٢ مساوٍ للبعد بين ٢ و ٣ وهو بعد طنيني واما البعد الذي بين ٣ و ٤ فهو مساوٍ للفضلة اي لاقلّ من نصف الطنيني . ولعلّك تستعلم كيفيَّة اتمام الجمع التام اذ كان الترتيب المارّ شرحهُ مقصرًا عنهُ ببعدَين طنينيين فيجيبك الفارابي : « وقد يمكن تمام هذا الجمع في هذه الآلة بوجوهٍ احدها ان يشدّ دستانان اسفل من دستان الخنصر ببعدَين طنينيين ويستعمل نغمتا هذين الدستانين في الزير وحدهُ . . . والثاني ان يُرتَّب اوتارُها غير الترتيب المعتاد وتعرّض بهذا الوجه ان ينتقل النَغَم التي كانت تُسمع في الترتيب المشهور من اماكن الى أُخر . وربّما لحق مع ذلك ان يُفقَد كثير من النَغَم التي كانت تسمع من الدساتين فيها قبل ذلك . . . والوجه الثالث ان يُزاد وتر خامس فيُشدّ تحت الزير (يعني عن يمينهِ) وترٌ والدساتين على حالها ويُجعل نغمةُ مطلقِ الخامس مساويةً لنغمة خنصر الزير ولِنُسَمّ هذا الوتر الحادّ فيصير خنصر الحاد تمام ضعف الذي بالكلّ » (اي ديوانين كاملين) . فهاك الآن بالاختصار ما يقولهُ عن الوسطى : « واما دستان الوسطى فان بعض الناس يرَى ان يشده بحيالِ نقطةٍ من الوتر بينها وبين دستان الخنصر ثُمن ما بين الخنصر الى المشط فيصير نسبة الوسطى هذه الى نغمة الخنصر نسبة كلٍّ وثُمن كلٍ — (يعني بهِ انّهم يجعلون صوت الوسطى يسفل صوت الخنصر ببُعدٍ طنيني) . . . . وبعض الناس يشدّ دستان الوسطى على منتصف ما بين السبابة والبنصر ويسمّى ذلك وسطى الفُرسِ وبعضهم يشدهُ على منتصف ما بين وسطى الفرس والبنصر ويسمَّى دستان زَلزَل . » (وهو منصور جعيفر المغني المشهور كانت وفاتهُ نحو ١٥٠ سنة قبل وفاة الفارابي) « وقد يستعملون دساتين أُخر بين السبابة وبين المطلق الى مجمع الاوتار ويسمّونها مُجنَّبات السبابة واحدها هو الذي على طرف ضعفِ البعد الطنيني متى رُتّبت من الجانب الاخر » (يعني اذا قسمت البعد الذي بالاربعة تقسيمًا

مقلوبًا حتى يكون اوّلا الفضلة (limma) وبعدها بعدان طنينيّان). ولا يخفى ان محلّ وضع هذه الجنّبات متعلّق بمحل الوسطى ولذا يكون عدد مجنبات السبابة موازيًا لعدد دساتين الوسطى. وعليهِ فيوجد منها مجنّبات منها مجنب السبابة الآنف الذكر ومجنّب الفرس ومجنب زلزل الى غير ذلك

نبذة في اهميَّة التجارة ومسهّلاتها

للشاب الاديب عبد الله رزق الله شارّ احد مأموري معيَّة ولاية بيروت الجليلة

١ أهميَّة التجارة وتأثيرها في السياسة

لمن المعلوم ان الثروة في كل اين وآن اساسُ السعة الشخصيَّة والعموميَّة وقوام الدول ودعامتها. تزداد يومًا فيومًا اهمّيتها بتزايد الاحتياجات البشريَّة مع ترقي المدنيَّة. بها تمرح الافراد في رياض السعادة وبحابيح الرخاء والرفاهية. وبواسطتها تحسن الحكومات ادارتها الداخليَّة. وتظهر سطوتها الخارجيَّة. وتصلح احوال رعاياها المادّيَّة والادبيَّة. وتدفع عند الحاجة عنها التجاوُزات الاجنبيَّة

نعم انّ الزراعة والصنائع المختلفة لقاح الثروة المطلوبة وداعيةٌ الى الفلاح والعمران لكنّ للتجارة ايضًا مقامًا عاليًا فانّها مجلبة لليسار والغنى تجدي الربح على مزاوليها وتمكّن الدول من النهوض بأعباء مقتضيات الزمان كما يشهد لنا بذلك تاريخا فينيقية وبريطانية العظمى

فيتّضح من ثمّ ان التجارة بمكانٍ عظيم من الخطارة والاهميَّة عند الافراد والدول لا بل انّها من اهمّ المسائل الحيويَّة التي اشغلت وتُشغل افكار السياسيين وأُولي الامر. وعليهِ ترى الدول تبذل الغالي والرخيص لتنشيط التجارة وتشويق الاهالي على مزاولتها فما وجدت بابًا الّا ولجتهُ ولا طريقًا الّا سلكتهُ حتى ازالت العقبات والعراقيل في سبيلها وصرفت الصوارف وعفّت آثارَها. وفي تسابق الحكومات هذا الى اسواق التجارة الدانية والقاصية ومحارباتها الاقتصاديَّة (guerre économique, guerre des tarifs) دليل ناطق وشاهد صادق على اهميَّة هذه المهنة وعظم شأنها. اليك منها مثالًا يُبدي الرغوة عن الصريح:

كلٌّ يعلم أن ألمانية وسّعت في هذه السنين الاخيرة نطاق تجارتها توسيعًا عظيمًا زاحمت انكلترة بمصنوعاتها وبضائعها الرخيصة مزاحمة المناكب بالمناكب. فلم تكُ ملكة البحار وسيدة التجارة لِترضى بالمانية رقيبةً جديدة مُخيفة. فقامت وقعدت. رجالُها الالانَ في المنابر. وانبرت جراندها تصبّ على رقيباتها

سواد المحابر. فأظلم أفق السياسة مُدَّة من الزمن. حتى خيف من تمزُّق غياهب الأحقاد المتلبّدة وهطول امطار المصائب والمحن. ولا تزال هذه المزاحمة بين الأُمَّتين على قدمٍ وساقٍ. ولا نعلم ما ينجم عن هذه المصادمات من بروق المخاوف ورعود الاخطار.

هذا وانَّ للتجارة تأثيرًا في السياسة ولذلك ترى الدول قد خطَّت عليها مؤخرًا سياستها الاستعماريَّة. فسنَّت لها نظامات خصوصيَّة. وبذلت في سبيلها خزائن المال ومُهج الرجال. وذلك انَّهُ لما ضاق بها المجال في العالم المتمدن اخذت تتجارى ولا تجاري المُذكيات وراء مخارج جديدة لسلعها في مضمار المسابقة الى الاقطار الشاسعة والمحالّ المهجورة. فأرسلت البعثات المختلفة الى صحاري افريقية وفيافي آسية ومفاوز اوسترالية حيث تراكض رحَّالتها في حَلْبة هذه المطامع فعقدوا مع رؤساء القبائل القاطنة هنالك معاهدات تقضي لهم بتملُّك تلك الاراضي لقاء بعض السلع المزخرفة. والحقُّ في هذا الاستملاك لمن سبقَ فأخذ امضاء شيخ القبيلة او علامةً منهُ. فترى هؤلاءِ الرجال مُجدّين مُسرعين مواصلين السير بالسُّري. لا يحول دون عزمهم الماضي حائل. ولا يَثني همّتهم القعساء مانع. يخوضون غمرات الموت ومعارك الهلاك بقلب اشدَّ من الصخر ويتحمَّلون مشاقَّ التعب والجوع والعطش بصبرٍ دونهُ الصبر. وكثيرًا ما التقت بعثةٌ باخرى فتصادمتا. فأومض من هذا التصادم برقٌ ارتعدت لشرره فرائص العالم. فصدى حادثتَي النيجر وفَشودة لم يزل يدوي في آذاننا كالرعد القاصف. على ان خيل رهان مطامع الغرب تتبارى الآن في ميادين افريقية والشرق الاقصى. والليالي حبالى تلد ما لم يدُر في خلَدٍ ولم يجرِ في ظنّ

وكأني بالدول بعد احياء الموات من الارض وإعمارها تسعى ايضًا وراء مخارج جديدة لتجارتها فتؤمّ القطبين بنانسِنْ واندرهْ. والله اعلم اين تحطّ بها عصا الترحال من بعد. فليس للطمع والاحتياج من حدّ

٢ مسهّلات التجارة

ذكرنا في مقالتنا عن تاريخ التجارة (المشرق ٢: ١٦١) احوال هذه المهنة وترقيها في الاعصار المتقدمة وخمود حركتها في القرون المتوسطة لتفشي الحروب واضطراب السياسة في الممالك. لكنَّ الحكومات والحمد لله ما لبثت ان نزعت الافكار السقيمة من عقول رعاياها وتركت تقاليد سياستها القديمة ووجهت انظارها الى توفير الوسائط التي من

شأنها ان تسهّل حركة دولاب التجارة الداخليَّة والخارجيَّة. فراجت والحقّ يُقال في هذه الازمنة اسواقها رواجاً لم ترهُ الاعصر السالفة بل لم يخطر في بال الاوَّلين وخيال الاقدمين. وهاك غيضاً من فيض هذه المسهّلات

١ (الطرق البرّيّة) قلنا ان التجارة عبارةٌ عن نقل السلع والمحصولات من محلّ الى آخر. وعليهِ كانت الطرق البرّيّة في مقتبل الامر من اهم مسهّلات التجارة واشدّ اركانها. فصرفت الحكومات قاطبةً عنايتها الى تمهيد وعر المسالك وتأمين سابلتها. ففتحت الطرق العديدة في انحاء البلاد وقطعت دابر المتلصّصين واجتثّت اصل الاشقياء. فأقبل التجار عليها زرافات بعد ان كان الواحد منهم قبل الخروج الى السفر وان دانياً يكتب وصيته ويودّع ولدهُ واهلهُ

وما طرق الآذان صفيرُ القطار وعجيجُ الدواليب الحديدية حتى زادت الحركة التجاريّة وتشعَّبت عروقُها في جسم الامصار فكانت لها حياة جديدة. والدول جمعاء تتطاول في انشاء هذه الخطوط ترويجاً لتجارتها ومصالحها الاداريّة والسياسيَّة. يخالها الناظر في اوربّة والولايات المتَّحدة شبكةً شاملةً القاها على وجه الارض صيّادو السلع والمحصولات

٢ (الطرق البحريّة) ما وطئ الاسبان البرّ الجديد والبرتغاليّون ارض الهند الّا وتهافت الغربيُّون تهافت الجياع على القصاع الى بلاد الذهب ووطن العاج فتكاثرت السفائن والجواري واشتدَّت نهضة التجارة وارتفع شأنها

فلمّا ذلّل البخارُ تيّار البحار انقاد للتجارة حينئذٍ ما تصعَّب وأمكن ما امتنع. فانتعشت وارتاشت وتوسّعت فأحاطت العالَم اجمع. فانشأت الشركاتُ البواخر الجسيمة والحكومات بحريّتها التجاريّة. وأفرغ الجميع في تحسينها وتسريع سيرها كنانة المجهود فجاءت في ترويج التجارة ما يوافق الظنّ والامل. فانقلب الاوقيانوس الاتلنتيكي الى بُحيرةٍ تقطعها البواخرُ بسرعة البرق. فكأن السفائن التجاريّة مع السكك الحديدية بوصلها قطعات الارض ببعضها وتقريبها البعيد زادت في نفس عمر الانسان فضلاً عمّا اتتهُ من الفوائد العميمة

٣ (الجداول والترع) ليست هذه باقلّ اهميَّةً ونفعاً للتجارة من الوسائل [illegible] في تعميق مجاري الانهار وحفر الجداول والترع القناطير

القنطرة كما أنبأتنا الجرائد بتصميم الروسيَّة مثلًا على وصل بحر البلتيك بالبحر الاسود. وكفانا دليلًا ما وصلت اليهِ ترعة السويس من الاهميَّة والخطارة وما اجدت التجارة من الخدمات والفوائد العظيمة. فقد مخرتها في السنة الاولى (سنة ١٨٧٠) لافتتاحها ٤٨٦ سفينة وهذا العدد يُربي اليوم على ٣٠٠٠ سفينة محمولها ٨ ملايين طنٍّ فضلًا عن ازدياد عدد السفائن المارَّة بها يومًا فيومًا

٤ً (البريد والبرق) ضاهت هذه المسهّلات الطرق البرّيَّة والبحريَّة نفعًا وفائدةً فتبايعَ تجَّار الخافقين ما يلزمهم في مدَّةٍ وجيزة بل لحظة واحدة. وعليهِ لا يكاد يمضي يومٌ الَّا وتزيد الدول في بلادها عدد الاسلاك البرقيَّة ومراكز البُرُد وتسعى بتخفيف أُجرها وتسهيل معاملاتها. فعقدت في ١ حزيران سنة ١٨٧٨ مؤتمرًا في مدينة باريس اسفر عن اتحاد اكثرها في شأن البُرُد وعن توحيد رسوم هذه المخابرات في ممالكها كانَّها تجري ضمن حدود دولةٍ واحدة. وكانت في ١٧ ايار سنة ١٨٦٥ عقدت مؤتمرًا في المدينة نفسها تعاهدت فيهِ بعض الحكومات على تخفيف اجرة التلغرافات المارَّة في امصارها. وفي ٨ نيسان سنة ١٨٦٧ و ٢٢ تموز سنة ١٨٧٥ حُوّرت بعض احكام هذه العهدة المنعقدة بين الحكومات المتَّحدة

٥ً (رقباء التجارة والقناصل) لمَّا كانت التجارة من اهمّ المسائل الحيويَّة كما بيَّنَّا سابقًا اعتادت الدول ان تنصب في معيَّة سفرائها مأمورين مخصوصين (attaché commercial) لمراقبة تجارة المملكة التي يُرسلون اليها والتنقيب عن احوالها وتقدير كميَّة وارداتها وصادراتها وانواع سلعها ومقدارها واستقصاء اسباب ترقّيها وتقهقرها واتخاذ الوسائل اللازمة لترويج مصنوعات مملكتها ومحصولاتها في تلك البلاد. فيتردد هؤلاء الى الأندية التجاريَّة والمصانع المختلفة ويسبرون بمقياس البحث وعين الفطنة غور هذه التجارة ويبعثون في هذا الشأن بالتقارير الى حكوماتهم

وللقناصل ايضًا وظيفة مثل هذه ينسجون فيها على منوال اولئك المأمورين في البلاد التي يُنصبون فيها. وعليهِ ليس لهم كما يظنّ البعض صفة سياسية البتَّة ولا حق لهم ان يستفيدوا من الامتيازات المعطاة للسفراء ولسائر المأمورين السياسيين. غير ان حضرات سلاطين آل عثمان العظام تكرَّموا فمنحوا للاجانب بعض امتيازات لهم لم تزل جاريةً حتى يومنا هذا تحت اسم العهود القديمة (Capitulations)

٦ً (دواوين التجارة) شكّلت الدول الدواوين التجاريّة (chambres de commerce) في اكثر بلدانها من تجّار نفس تلك المدن للبحث في شؤون التجارة المحليّة واجراء الوسائط المؤثرة لترقيها وتوسيعها. فوضعت لها نظامات خصوصيّة تؤمّن نجاح مسعاها. ولهذه الدواوين جرائد مهمّة تنشر في اوقاتٍ معيّنة كلّ ما يحتاج اليه التجّار من اخبار واعلانات ومعلومات تجاريّة وصناعيّة وتبين للاهالي التدابير اللازم اتخاذها ترويجًا لتجارتهم. وكثيرًا ما تُرسل اللجان التجاريّة الى الاقطار الشاسعة للوقوف على تجارة تلك البلاد وللتحرّي على مخارج جديدة لتجارتهم

٧ً (محافل التجّار) قلّما تخلو مدينة في اوربّة واميركة من جمعيّة تجاريّة وصناعيّة وزراعيّة.. الخ تتألف من ارباب هذه الحِرَف المختلفة. فيتداول هؤلاء فيها شؤون صناعاتهم واسباب ترقيها. ويحضرها احيانًا بعض رجال السياسة فيبينون لسامعيهم ما يتهدّد التجارة الوطنيّة وصنائع البلاد من الاخطار بسبب المزاحمة الاجنبيّة ويحرّضونهم على الثبات والمقاومة. وخُطب المستر تشامبرلن في محافل تجار انكلترة اشهر من ان تذكر

٨ً (مدارس التجارة) كما ان لمعاهد الفنون شأنًا خطيرًا في نشر العلوم والمعارف هكذا لمدارس التجارة يدٌ بيضاء في توسيع دائرة هذه المهنة وتسهيل حركتها. فيرى الطالب فيها دروب التجارة واساليبها ومخارجها ومسهلاتها. وعليهِ كثرت هذه المدارس في اوربّة وتقاطرت اليها الطلاّب من كلّ جانب. وقد فتحت الحكومة السنيّة في دار السعادة منذ عهدٍ قريب مكتبًا للتجارة فحبّذا لو أتحفت بمثلهِ وطننا العزيز مهدَ هذه الحرفة وسوقها القديم

٧ً (المعارض) لا ريب ان انشاء المعارض في العواصم والمدن الكبيرة لمن اقوى الوسائل التي اتخذتها الحكومات لترويج التجارة وتوسيعها. وهي اشبه باسواق العالم القديم. لكنها اوسع ميدانًا واوفر موردًا واعظم شأنًا من تلك. واخبار معرضي باريس وشيكاغو لم تزل راسخةً في الاذهان. والعالم اجمع الآن يرمي بطرفهِ الى باريس تلك المدينة العامرة الزاهرة ويطمح ببصره نحو معرض العصر الجديد الذي سيفوق [illegible] الدنيا بهجةً وعظمةً وفائدةً. ويقال انهُ قد اشترك في هذا المعرض[9] الى [illegible] تتبارى في إقامة هذه الاسواق العظيمة حيث تجتمع

الملايين من الناس وتُشهر انواع المحصولات والمصنوعات وتتبادل الاموال وتتصادم القرائح والافكار

ومن فوائدها انَّ صنَّاع فرنسة مثلًا يطَّلعون حينئذٍ على بضائعنا وملابسنا. فيعرفون مشربنا واحتياجاتنا ويصنعون السلع المألوفة عندنا ويرسلونها لنا لقاء بعض محصولات بلادنا

كفانا دليلًا على اهميَّة المعارض عند الدول ما روتهُ اخيرًا الصحف السيَّارة على اختلاف نزعاتها من الحوادث الخطيرة بشأن السياسة الفرنسويَّة. فقد ذهب فريق من الساسة الى ان الحكومة المشار اليها ضحَّت بعض منافعها الاستعماريَّة على هيكل هذا المعرض رجاء ما سوف يأتيها من الفوائد التجاريَّة والعوائد الماليَّة ومِمَّا رُوي ان مدينة باريس ربحت من معرضها الاخير فوق الاربعة ملايين فرنك

وقد احتفل موخَّرًا القطر المصري بافتتاح معرضهِ الزراعي الوطني فالقى هذا الامر في أفئدتنا اطيب الآمال وازهرها فيا حبَّذا لو يقتصّ السوريون اثر جيرانهم فينشئون المعارض الوطنيَّة في البلاد الشاميَّة ويحيون بذلك آثار تجارتهم الطامسة ويبعثون رميم مفاخرهم البالية

١٠ً (قوانين التجارة ومحاكمها) لمَّا كانت التجارة من المعاملات التي تقتضي الأمنيَّة والاعتبار المالي والسرعة التامَّة في المبادلات وضعت الحكومات لها احكامًا خصوصيَّة حوَّرتها واصلحتها زمنًا بعد زمن وفقًا لترقيات العصر الماديَّة والادبيَّة وقد اودعتها كلَّ ما يعود على التجارة ومزاوليها بالرواج والفائدة وشكَّلت ايضًا محاكم خصوصيَّة لرؤية الدعاوي التجاريَّة وتنفيذ احكامها

١١ً (المؤتمرات التجاريَّة) يسعى بعض حكماء الغرب في توحيد قوانين الحكومات ونظاماتها ومسكوكاتها وما شاكل ذلك تسهيلًا لمعاملاتهم وتأليفًا لشتات نيَّاتهم فيعقدون المؤتمرات العلميَّة والسياسيَّة في امرٍ خطيرٍ يريدون تثقيف اوده ولمّ شعثهِ. فما المؤتمرات التجاريَّة تتألَّف من اشهر الاقتصاديين للبحث في شؤون التجارة وتسهيل حركتها وتهوين المعاهدات التجاريَّة المنعقدة بين الدول وتوحيد قوانين التجارة في الممالك المختلفة. وفَّق الله مساعيهم

(ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ودخل تنكز دمشق نائباً فيها نهار الخميس العشرين من ربيع الآخر سنة اثنتي عشر وسبعمائة (١٣١٢ م) واستمرَّ في نيابة الشام الى ان قُبض عليهِ في نهار الثلثاء الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة اربعين وسبعمائة (١٣٤٠ م) بمرسوم السلطان على يد نائب صفد المعروف بحمّص اخضر

ثمَّ تولّى بعد تنكز في نيابة الشأم علاء الدين الطنبغا واستمرَّ الى بعد السلطان المذكور. وفي تاسع عشر ذي الحجّـة سنة احدى واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م) توفّي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وتسلطن ولدهُ سيف الدين ابو بكر بن محمد وتلقّب بالملك المنصور. وفي العشر الآخر من صفر سنـة اثنتين واربعين وسبعمائة (١٣٤١ م) خلعوا ابا بكر وسلطنوا اخاهُ شرف الدين كجك بن محمد وتلقّب بالملك الاشرف. وفي شهر جمادى الآخرة خلعوا كجك في الممالك المصريَّة والشاميَّـة واخذوا البيعة لاخيهِ شهاب الدين احمد بن محمّد وهو بالكرك وتلقّب بالملك الناصر. واستناب بمصر آق سنقر السلاري. وحدثت هذه التغيرات وعلاء الدين الطنبغا المذكور مستمر في نيابة الشأم ولم يتغيّر

وفي شهر محرَّم سنـة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢ م) خلعوا بيعة احمد وسلطنوا اخاهُ اسماعيل بن محمّد وتلقّب بالملك الصالح [1]. وحاصروا احمد بالكرك وقتلوهُ. وذكروا انَّ اسماعيل كان اجود اخوتهِ واستناب بدمشق علاء الدين ايدغمش. ثمَّ توفي واستناب بعدهُ في الشام سيف الدين طقزدمر (70ᴵ) الحموي [2]. وفي رابع

---

١) حاشية للمؤلّف: « وفي سلطنة الملك الصالح اسماعيل جرت الواقعة بين البقاعيَّـة واهل وادي التيم وذلك في مستهلّ صفر سنة خمس واربعين وسبعمائة (١٣٤٤ م) وقُتـل من [illegible] جماعة كثيرة وأحرق من وادي التيم ثلاث عشرة قرية وهو جمع الحربالى (كذا) [illegible] وسلبت الكنيسة وكفرفوق وعيحا (وهذه كلّها في وادي التيم) من النهب [illegible] وادي التيم وكذلك بوادي الزبداني

٢) راجع المشرق ١ : ١٠٩٢

ربيع الآخر سنة ست واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م) توفي السلطان اسماعيل وسلطنوا اخاهُ سيف الدين شعبان بن محمد وتلقَّب بالملك الكامل. ونائبهُ بالشام سيف الدين يلبغا اليحياويّ وهو الذي بنى جامع يلبغا بدمشق. وكان السلطان قد مسك اخاهُ حاجي ويُسمَّى بامير حاج واودعهُ السجن

وفي شهر جمادى الاولى سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م) خلعوا شعبان واخرجوا اخاهُ امير حاج بن محمَّد من السجن وسلطنوهُ وتلقَّب بالملك المظفَّر. وجلس على الكرسي موضع شعبان وسجنوا شعبان في الموضع الذي كان امير حاج مسجونًا بهِ. فسبحان القادر على كلّ شيء

وفي سلطنة امير حاج عصى يلبغا اليحياوي نائب الشام ثمَّ هرب فمسكوهُ وقتلوهُ واجلسوا مكانهُ في نيابة الشام ارغون شاه. وقصد امير حاج قهر الامراء بمصر وصار يتعبَّث بهم فاتَّفقوا عليهِ وفي شهر رمضان سنة ثمان واربعين وسبعمائة (١٣٤٧ م) حاربوهُ فانتصروا عليهِ وقتلوهُ وسحبوهُ مهتوكًا من الناس ثمَّ قطعوهُ قطعًا. وسلطنوا اخاهُ حسن بن محمَّد وتلقَّب بالملك الناصر وهي سلطنتهُ الاولى. وفي سنة تسع واربعين (١٣٤٨ م) وقع فناء عظيم بالطاعون وكان عامًّا ابتدأ من مدينة غزَّة

وفي الثالث والعشرين من ربيع الاوَّل سنة خمسين وسبعمائة (١٣٤٩ م) ركب الجبغا المظفَّري نائب طرابلس على ارغون شاه نائب الشام فقتلهُ واحاط (٥٧) على حواصلهِ. واظهر الجبغا مرسومًا وزوَّرهُ عن السلطان وذلك حيلة ليرفع امر الشام عنهُ. وجرى في الشام خباط افضى الى توسيط الجبغا المذكور وايقاف الحروب

ثم جعلوا في نيابة الشام ارغون الكاملي فطالت مدَّتهُ واستمرَّ السلطان حسن في الملك الى شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م) ثم خُلع وسلطنوا اخاهُ الصالح بن محمد وتلقَّب بالملك الصالح. فهذا ما كان من التغيُّرات واختلاف الدول في ايَّام ناصر الدين. وسنكمّل ان شاء الله ما بعد هذه الامور عند ذكرنا لولدهِ زين الدين

ذكر اخوة ناصر الدين

ومن الواجب ذكر اخوة ناصر الدين بعد ذكرهِ لتمام الفائدة. قال محمد الغزّي عنهُ في مقامتهِ المذكورة عند وصفهِ لاخوة ناصر الدين: « واما اخوتهُ الكرام. المعروفون

بالشجاعة والاقدام. وامراء العشيرة المكرَّمة. وفرسان القبيلة المعظَّمة. وضراغم الكفاح والهياج. وغمام المجتاح والمحتاج. بدورٌ تشرق اذا دجت ظلماء المعامع. وسماء نجومها الاسنَّةُ اللوامع. اربعة كالرياح والعناصر(١. تُعقد على محبتهم القلوب قبل الخناصر. فلِحَسَنهم العزُّ المكين. ولِمُحَمَّدهم الفتح المبين. وليُوسفهم الصلاحُ حليةٌ. ولِسُلَيْمانهم الشرف امنيَّةٌ وبغيةٌ. (71r) ثم انشد:

اربعةٌ تحكي الربيعَ نضرةً	تنظرُ فيهم كلَّ معنىً رائعِ
مثل نجوم الأفقِ من مُشرقٍ	وزاهرٍ ونيّرٍ ولامعِ
يُهدى بها طورًا ويُستَسقى بها	نوءُ المُنى لطافحٍ وطامعِ
فالغربُ جسمٌ والحسينُ روحهُ	وهم لذاك الجسمِ كالطبائعِ

(ستأتي البقية)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثالث عشر

في القاتل

بعد ان اقفل نسيب باب كوخه على فاضل اخذ يتمشَّى على مَهَل والسكينةُ لائحة على وجهه ويداهُ وراء ظهره كرجل فارغ البال راضٍ عمَّا صنع. ولكن هل كان في الحقيقة كما تظاهر وهل كان يحقّ لهُ ان يبكِّت فاضلًا على اختلاس بعض شذور من الذهب؟ وسنرى في ما يلي من تمام القصَّة الجواب على هذين السؤالين

ومن غرائب الوقائع أنَّ رجلًا غريبًا كان نزل قبل ذاك بزمان مديد في مدينة نيويرك وكان لابسًا برنيطة كبيرة وبنطلونًا قصيرًا ورداء قصير الكمَّين ايضًا وكان الارتباك باديًا في مشيتهِ وسائر حركاتهِ ممَّا يدلّ على انَّهُ كان حديث عهد بتلك الملابس وانَّهُ لم يألفها في وطنهِ. وما كاد يطأ ارض نيويرك حتى توجه الى سان فرنسيسكو حيث لم يعُد يسمع لهُ ذكر في تلك المدينة الحافلة باصحاب الاشغال

(١) [illegible] في حاشية الكتاب ما لفظهُ: « وربَّما كان قول الغزّي هذا بعد وفاة علاء الدين الابن [illegible] المذكورين خمسة »

لكنَّما صدرت في ذات يوم جرائد سان فرنسيسكو معلنةً في حوادثها المحلية خبر اقـتران ميس جنّي اولري بالمستر جون نسيب شريك السير جون اولري احد اصحاب المناجم الغنيَّة في كاليفورنية وأخبرت ان المسمّى «واين» احد رعاة البروتستان هو الذي رأس عقد القران والقى خطاباً مناسباً للمقام وان الحضور كانوا من نخبة القوم. الى غير ذلك من الاقوال

ولم يخطر وقتئذٍ على بال أحدٍ ان هـذا الرجل المتنطِّس في ملابسهِ المتظاهر بالثروة واليسار هو عين ذلك الغريب المسكين الذي نزل في مدينة نيويرك من نحو خمس عشرة سنة مضت. والحقيقة هي انَّهُ نسيب بنفسه الذي اتى من لبنان يلتمس الرزق فاصاب حظًّا في اقلّ من عشر سنوات. امَّا كيف وصل الى ما وصل اليهِ فهو من الاسرار التي لم يتعمَّد احد كشف الحجاب عنها. فان عادة الناس انَّهم اذا شاهدوا لمعان الذهب خرُّوا سجودًا لجامعه وقلَّما يسألون عن سبب غناهُ

وغاية ما كان معروفًا من أمر نسيب هذا انهُ اشترك مع السير جون اولري على اثر توفيقهِ واكتشاف بعض المناجم الجديدة وان السير جون اولري توفي بعد ذلك بمدة وجيزة فورث نسيب غناهُ بما انهُ كان صهرهُ مقترنًا بابنتهِ

وبينما كان نسيب في مساء يوم اقترانه يقلب بعض اوراقهِ ودفاترهِ اذ امتُقع لونهُ بغتةً وتقطَّب جبينهُ ولكنَّهُ تجلَّد حتى لا يظهر عليهِ شيء من التأثر لان قرينتهُ كانت هناك تحادثهُ فطوى الورقة التي وقع عليها بصرهُ وحمل الدفتر الذي كانت فيهِ واستأذن من امرأتهِ في الذهاب الى غرفتهِ. وكان يصعد السلم بسرعة غريبةٍ فلمَّا انتهى الى الغرفة أقفل بابها وتنهَّد تنهُّد من زالت عنهُ ضيقة عظيمة وقال «إنّي اتعجَّب من بقاء هذه الورقة الملعونة هنا وكنت أظن اني قد أتلفتها مع سائر الاوراق التي تشبهها ولو وجدها احد غيري ترى ماذا كان يحلّ بي. كلَّا اني قد اتخذت كل الاحتياطات الممكنة فلم يكن من شاهدٍ غيري». ثم انَّهُ مزَّق الورقة إربًا إربًا واحرقها قطعةً قطعةً على ضوء الشمعة

ولمَّا أشعل آخر جزء منها قال: «ها قد قُضي الامر... لا بل انهُ قد طلع نجم سعدي الآن. فيجب على حميَّ (ابي امرأتي) ان يترك لي المناجم والَّا دبَّرت لي طريقة تعود عليهِ بالوبال. امَّا ابنهُ «روبر» فلا أخشى منهُ بأسًا فانهُ بهيمة بصورة انسان». ثم انَّهُ

نظر الى وجههِ في المرآة ليتأكَّد زوال كل تاثيرٍ بادٍ على محيّاهُ وفرك يديه ِ ونزل الى قاعة البيت

ولم يعلم احد على سبيل الاطلاق ماذا كانت تتضمَّن تلك الورقة بل كان نسيب وحدهُ يعرف ذلك وبعد ان اتلفها لم تخرج من فيهِ كلمة او اشارة متعلّقة بهذا الامر

ثم ان نسيباً اخذ كعادته يهتمّ باشغالهِ المألوفة تارة يذهب الى المناجم لاجل حراسة الفعلة وتارة يعود الى سان فرنسيسكو لاقامة مدَّةً عند امرأتهِ. وكان في بعض الاحيان يذهب الى نيويرك متى اقتضت ذلك الاشغال. وفي احد اسفارهِ اليها عثر على فاضل ابن وطنـهِ وانقذهُ على ما سلف الخبر بعد ان كان على شفا الموت. لكن فاضلاً الذكور لم يحفظ لهُ الجميل فخانهُ في ما استخدمهُ بهِ ولم يكتفِ بسرقة شذور الذهب من منجمه بل تجاسر ايضاً على شتمـهِ واهانتهِ. وكان في وسع نسيب ان يشكوَهُ فيُنفذ فيهِ قانون المناجم في الحال ويُشنق بلا رحمةٍ. ولكنَّـهُ لم يفعل لانهُ كان محتاجاً اليهِ وعامدًا على استخدامهِ كآلةٍ في سبيل مصالحهِ

ولم يكن فاضل ليقدر على البقاء في مناجم « مكس ويل كريك » بعد الحادثة التي جرت بينهُ وبين نسيب بحضور كل الفعلة الذين يشتغلون في المعادن وكان نسيب قد أسف على هربه ولذلك شدَّ ما كان فرحهُ لمَّا رأى أنَّ الصدفة ساقتـهُ الى باب ذاك الذي هرب من وجههِ. نعم انهُ كان قد استشاط غيظاً عليهِ واكثر من تهديدهِ بيد انَّ غضبهُ باخ بعد قليل ولم يعد يشتهي في تلك الساعة المتقدّمة من الليل انفاذ حكم في فاضل لأنَّهُ كان صاحب عواطف انسانيَّة

ولما كانت قد سكنت الزوبعة وقتئذٍ خرج نسيب لزيارة المناجم وكان نهر « مكس ويل » قد تعاظمت مياههُ بما وقع من الامطـار الغزيرة وسُمع لجريه صوت عظيم. وكانت اشعَّة القمر البيضاء قد اخذت تخرق الغيوم مفضّضةً رؤوس الاشجار وملألئةً نقط المطر التي ما زالت متعلّقة على الاغصان السوداء

امَّا الارض فكانت مترطبة كمرآةٍ صقيلةٍ تعكس نور كوكب الليل. وكان النهر جاريًا بسرعة ومياههُ حاملةٌ لجذوع الاشجار او قطع الالواح وما شاكلها

ان استنشق نسيب نسيم الليل اللطيف رجع ساكن الجأش متوجهاً الى مقرهِ [illegible] ان تشيب واول خاطر خطر لهُ ان يُعيد فاضـلاً



للاشتغال في المناجم كما كان قبلًا موطنًا نفسه ان سجنهُ تلك المدّة ولو قصيرةً كافٍ لكسر حدّتهِ وحملهِ على الطاعة. ولكنهُ بينما كان عائدًا في الطريق وحدهُ اذ سمع صوت غراب ينعق على شماله فتقهقر قليلًا متشآمًا بصوتهِ المنكر فلم يلبث النعيق ان انقطع. فهزَّ حينئذٍ كتفَيهِ ومشى في سبيلهِ قائلًا: انهُ لَعارٌ على مثلي ان يتطيّر بصوت غرابٍ كما تفعل العجائز. الَّا انَّهُ ما خطا خطوتين حتى سمع النعيق ثانية فوقف منصتًا فلم يسمع غير دويّ مياه النهر وحفيف الريح بالاغصان. ثم انَّهُ استأنف المسير فسمع الغراب ينعب ثالثًا. وكان نور القمر اذ ذاك مشرقًا على برك المياه ويعكس فيها الوانًا حمراء حتى يظنّ انَّها بُركٌ من الدم. فعند هذا المشهد علا الاصفرار وجه نسيب وارتعشت يداهُ فاخذ يفرك جبهتهُ كانهُ يريد ان يطرد منظرًا مرعبًا يخيفهُ ثمَّ اسرع الخطى نحو منزلهِ. فما صدق ان وصل الى الباب وفتحهُ واذا بفاضل المسجون في داخلهِ هجم عليهِ كالذئب المفترس وامسكهُ بعنقهِ وصرخ فيهِ قائلًا: « تتهمني اني سارق كلاَّ انت السارق لا بل انت قاتل ولقد كنت تريد ان تسلّمني الى الحكومة أمَّا الآن فانا اسلّمك اليها ». فامتقع لون نسيب ووقف مبهوتًا حائرًا كأنَّهُ رُمي بصاعقةٍ

(ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب تاريخ الفيوم وبلادهِ

لابي عثمان النابلسيّ الصفدي الشافعي

طُبع بالقاهرة في المطبعة الاهليَّة بمساعي الدكتور ب. مورتيس سنة ١٨٩٩ وعدد صفحاتهِ ٢١٠

هذا الكتاب شاهد جديد على همّة مناظري الكتبخانة الخديويَّة عمومًا والدكتور ب. موريتس خصوصًا بتوسيع نطاق العلوم العربية (راجع المشرق ١: ١٣٨ و ١٨٩ — ٢: ٤٢). عاش مؤلفهُ في اواسط القرن السابع للهجرة استكتبهُ السلطان صالح نجم الدين أيوب ثم امرهُ بالنظر في بلاد الفيوم واعمالها سنة ٦٤١هـ (١٢٤٣—١٢٤٤) فصنَّف بعد استقراء جهاتها كتابهُ هذا ليُطلع السلطان على احوالها وهو يقسم الى عشرة ابواب استوفى فيها صاحبهُ كلّ اوصاف بلاد الفيوم من هيئة وصورة ومحلّ واهل وغلات الى غير ذلك من الفوائد العديدة واتّسع في تعريف الامكنة بلدًا بلدًا على ترتيب حروف المعجم. ومن خواصّ هذا الكتاب وصف بلاد وقرى واديرة كثيرة عفا اليوم

أثرُها. ومما يؤسف لهُ انَّ جناب ناشر الكتاب لم يطَّلع على غير هذه النسخة لضبط الطبع مع انَّهُ تحقَّق انَّ في خزانة كتب ايا صوفية في الاستانة العليَّة نسخة اخرى منهُ لكنَّهُ لم يمكنهُ الحصول عليها. وقد الحق الشيخ العلامة السيد محمد البلاوي الشهير هذا التاريخ بست فهارس للاعلام الواردة فيهِ فاكتسب بذلك شكر العلماء الذين يقدّرون مثل هذه الاعمال قدرها لكثرة فوائدها

BULLETIN ANNUEL
DE L'ASSOCIATION DES ANCIENS ÉLÈVES
de la Faculté Catholique et Française de Médecine, 1898.

اهدتنا ادارة المكتب الطبيّ في مدرستنا الكليَّة لائحة اعمالها لغاية سنة ١٨٩٨ واوائل سنة ١٨٩٩ فتلوناها بمزيد المسرَّة. وهي تتضمَّن افادات عموميـة عن نظام المكتب وشروط الدخول فيهِ ثمَّ يليهِ تفصيل الفنون الطبيَّة او الصيدليَّة التي يدرسها اساتذة المكتب مع بيان ترتيبها وساعات درسها واسماء معلِّميها. وقد أُلحق ذلك باخبار عديدة في شؤون المكتب كجمعيَّة التلامذة الاقدمين والحفلات التي اقامهـا المعلمون والطلبة ثمَّ الابحاث التي خاض فيها بعضهم فنالوا عنها الجوائز وشارات التقدُّم. وذُكر عقيب ذلك ما اصابتهُ آخرًا المدرسة من الامتياز في غرَّة السنة الجديدة اذ تشكَّلت لجنة من الفاحصين يمثّل بعضهم دولتنا العلية والبعض الآخرون الدولة الفرنسيَّة الجليلة فنال اربعة عشر من الطلبة المرشَّحين الشهادات المؤذنة لهم بتعاطي مهنتهم في جميع بلاد المملكة الشاهانيَّة. وقد ختمت هذه اللائحة باسماء الدكاترة الذين خرجوا من المكتب الطبيّ منذ افتتاحهِ سنة ١٨٨٧ الى يومنا وعددهم يتجاوز المئة في جميع انحاء الشام ومصر وما بين النهرين والعراق والاناضول واليونان ومنهم من يزاول الطب في فرنسة واميركة. اماَّ التلامذة الحاضرون فعددهم يُربي على المئـة ايضًا. فنثني على مديري شؤون المكتب الطبيّ اطيب الثناء ونتمنى لهُ مزيد الارتقاء ل. ش

هدايا أُرسلت الى إدارة المشرق

١ سياحة حديثة الى شمال ارض الميعاد وهي نبذة كثيرة الفوائد كتبها بالفرنسية الاب هنري لامنس اليسوعي ونشرها بالطبع في مجلّة الأبحاث. صفحاتها ٤٣

Sur la Frontière Nord de la Terre Promise, *par le P. H. Lammens*

(Extrait des Études)

٢ خدمة السبت العظيم وتقاريظ جنَّاز ربنا والهنا يسوع المسيح بموجب الطقس اليوناني. عدد صفحاتها ١٣١ سعى بطبعها صاحب المكتبة السوريَّة الفاضل عبدو يني

٣ كتاب النغم الرخيم لماثـلي الشاروبيم في خدمة القداس الالهي وبعض مقتطفات من الكتب الفرضيَّة حسب الطقس اليوناني جمعهُ وعني بطبعهِ حضرة الخوري الفاضل ميخائيل الوف ويباع في مكتبة ميخائيل افندي رحمة في بيروت. عدد صفحاتهِ ٢٤٠ طُبع في مطبعتنا بحرف مشرق وورق نضير وهو يقوم بمقام كتب عديدة من جنسهِ

شَذَرَاتٌ

الدُّخان لمَّا كثرت المعامل في مدن اوربَّة وقراها زاد ايضاً فيها الدخان المتصاعد من فوَّهات مستوقداتها فانتشر في الهواء وافسدهُ. وطالما فكَّر أُولو الامر ان يتداركوا هذه الاضرار فذهبت مساعيهم ادراج الرياح وفي العام الماضي وعدت الحكومة الفرنسيَّة جائزة لمن يكتشف آلة لتـلافي شرّ الدخان في العواصم الكبرى. فتبارى العلماء وتسابقوا ووضعوا لذلك مئة وعشر آلات مختلفـة قدَّموا رسومها للجنة تشكَّلت للبحث في هذا الامر الهامّ فبعد الفحص اختارت منها ثلاثين آلة لتمتحنها بالاختبار. ومرجع هذه الادوات الجديدة الى مبدأين الاوَّل تصفيـة الدخان بحيث لا يبقى فيهِ شيء من الموادّ الضارَّة قبل انتشارهِ في الجوّ والثاني صد الدخان عن ممازجة الهواء بان يُعكس في انابيب خاصَّة ويصفَّى في الاحواض. ومن العلماء من افرغ سعيهُ في اختيار الفحم وطريقة تنضيدهِ في المستوقد بحيث تتَّقد كل اجزائهِ. امَّا الانكليز فانَّهم وجدوا في الغازات المتخلّصـة من المواقد وقوَّتها الدافعة منافع جمَّة وهم اليوم يفكّرون في استخدامهـا لانارة معاملهم بالنور الكهربائي ولاستخلاص كربور الكلسيوم. فاذا نجح مسعاهم اصابوا بذلك غرضـين جليلين تلافي اضرار الدخان والانتفاع من محصولاتهِ

الحيوانات الاهليَّة ذكرت مجلَّة المانيَّة ما يوجد في المعمور من الحيوانات الاهليَّة بالتقريب مستندةً الى برنامج الدول الكبرى في ذلك فقالت: انَّ عدد الخيل يبلغ ٦٧ مليوناً والبغال والحمير ٩ ملايين والغنم ٥١١ مليوناً والعنز ٣٢ والبقر ٣١٢ والخنازير ١٠٤ ملايين فيكون مجموعها ١٠٣٥ مليوناً

ما في الجسم البشري من الموادّ اجرى بعض علماء المانية عدَّة اختبارات في الجسم البشري فكانت نتيجة ابحاثهِ انَّ جسم رجل يبلغ معدَّل ثقلهِ ٦٨ كيلوغراماً يحتوي من الحديد ما يكفي لصنع سبعة مسامير كبرى ومن الشحم ما يُصطنع بهِ شمعٌ ثقلهُ ستة كيلوغرامات ونصف ومن الكربون ما يكفي لتجهيز ٦٥ طاقة (دزينـة) من اقلام الرصاص ويحتوي من الفسفور ما يكفي لثمانمائة وعشرين الف ثقاب من الكبريت. وفي الجسم عشرون ملعقة من الملح وخمسون قطعة من السُّكَّر و ٤٢ ليترًا من الماء. ولو تحوَّل الجسم الى حالة غازيَّة لَوُجد فيهِ ٩٨ مترًا مكعَّباً من الغاز وما يكفي لنفخ منطاد تبلغ قوَّتهُ في الصعود الجوّي ٧٠ كيلوغراماً. فيا لهُ من حانوت جمع فيهِ الخالق اصناف البضاعة وجعلَهُ مسكناً لأفضل ساكن. ألَا وهي النفس التي برأها على صورتهِ . ولله درُّ القائل:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فانتَ بالنفس لا بالجسم انسـانُ

حلّ المشكل الوارد في العدد السابق تسـابق الى حلّ المشكل الوارد في عددنا الاخير كثيرون من القرَّاء نخصُّ منهم بالذكر حضرة الخوري جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورة والادباء الاخ اودوريكس اوهان الحلبي واطون افندي المسابكي وبطرس انطون حلّاق ويعقوب افندي شامي . والجواب على هذا المشكل متعدّد فيصح فيهِ كلّ عدد صحيح يُقسم على ثلاثة فيبقى واحد ثم يقسم ضعف الصحيح من الخارج على ثلاثة فيبقى ايضاً واحد ويُجرى ذلك على ضعف الصحيح من الخارج الثاني فيبقى واحد وكذلك على ضعف الصحيح من الخارج الثالث فيبقى ايضاً واحد. فيكون الجواب ٧٩ ليمونـة او ١٦٠ او ٢٤١ او ٣٢٢ او ٧٢٧ الخ. وسنورد حلَّهُ على صورة جبريَّة في العدد القادم لحضرة الخوري ج. ر. مرهج

أسئلة وأجوبة

س سألنا بعض اهل البقاع هل لمستنقعات عمّيق ذكر في تواريخ العرب

مستنقعات عمّيق في البقاع

[illegible] وقد دعاها العرب بحيرة البقاع. قال ابو الفداء (١٣٣١ م) في تقويم [illegible] بحيرة البقاع مستنقعات واهياش واقصاب في جهة الغرب عن

بعلبك مسيرة يوم عنها ». ومما جاء في هامش الكتاب المذكور في النسخة المصونة في خزانة مخطوطات باريس ما نصُّهُ: « بحيرة البقاع كانت غابة اقصاب وقش يُعمل منهُ الحُصر في وسط البقاع البعلبكي بين كرك نوح وعين الجرّ. وفي ايام الامير سيف الدين دُنكز اشتراها لنفسهِ من بيت المال وحفر بها انهراً كثيرة ترمي على ليطه (الليطاني) حتَّى تصفَّى الماء عن اراضيها وعمرت قرايا ما ينيف عن عشرين قرية واقبلت مغلاّتها شيء لا يُحدّ ولا يوصف وفيها بطيخ وقثّاء وحصل للناس نفع عظيم ومعاش. ونصبَ في اوَّلها غياضَ حَور خشب وعمَّر طواحين والذى كان دلَّهُ على ذلك علاء الدين ابن صُبح وكان من اهل تلك الناحية. ولمَّا مسك الملكُ الناصرُ دُنكزَ اخذ منهُ اكثر القرايا واقطعها لامراء الشام وبقي منها شيء يسير لورثتهِ ». ودُنكز المذكور تولّى الشام من سنة ١٣٢٠ م الى ١٣٢٩ (راجع تاريخ سنة ٧٤٠ ﻫ في تاريخ ابي الفداء). الَّا انَّ الخرابَ استولى على اعمال دُنكز بعد وفاتهِ وعادت المياه فغمرت اراضي البقاع. يُستدلّ على ذلك من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي المتوفّى سنة ١٤١٨ م (٢: ١١٣٠) وهو يعدُّها كبحيرة. وقد اخبرنا ثقات القوم انَّ في زمن الامير بشير الشهابي حُفر لتلك المستنقعات بعض القنيّ وجد آثارها الخواجا انطون ابراهيم اده. فيا حبَّذا لو جدَّد اهل البقاع مشروع الامير دُنكز فاجتمعوا على هذا العمل المفيد ﻫ. ل

س وسأل حضرة الخوري بولس باسيل: ١ً الى اي شهادة يستند المؤرخون بقولهم انَّ هيرودس انتيباس قطع رأس يوحنَّا المعمدان في مكاور شرقي بحر لوط. ٢ً مَن من المؤرخين يتكلّم باسهاب عن تنصُّر عرب البادية في الجيل الاوَّل والثاني للمسيح. ٣ً من اين اقتُبست هذه العادة في توجيه رأس المريض قبل مزايلتهِ الحياة نحو المشرق

مكاور حيث قُتل القديس يوحنَّا المعمدان

١ ذكر يوسيفوس المؤرخ في العاديّات اليهوديّة (ك ١٨ ف ٥ ع ٢) ان هيرودس تخوَّف يوحنَّا المعمدان فارسلهُ الى حصن مكاور (Μαχαιρων) ثم امر بهِ فقُتل هناك ﻫ. ل

تنصُّر عرب البادية في القرن الاوَّل والثاني للمسيح

٢ لم يتكلَّم احد من المؤرخين باسهاب عن تنصُّر العرب في الجيل الاوَّل والثاني. وانَّما الامر لا شكَّ فيهِ يُستدلّ عليهِ من عدَّة شهادات قديمة متفرّقة اذا عُرضت على بعضها تزيل الشبهة عن هذه القضيَّة. وسنبيّن ذلك ان شاء الله في مقالة نوردها في المشرق

توجيه المريض نحو الشرق قبل موتهِ

٣ هذه عادة قديمة جرى عليها النصارى في بلاد كثيرة منذ القرون الاولى. وذلك ان المشرق كناية عن المسيح في الكتب الالهيَّة (راجع نبوَّة زكريا ٣:٨ و١٣:٦ ولوقا ١ :٧٨) فكانوا يوجّهون المريض الى ناحية الشرق دلالةً على انهُ يموت في ايمان المسيح ويرجو منهُ الخلاص

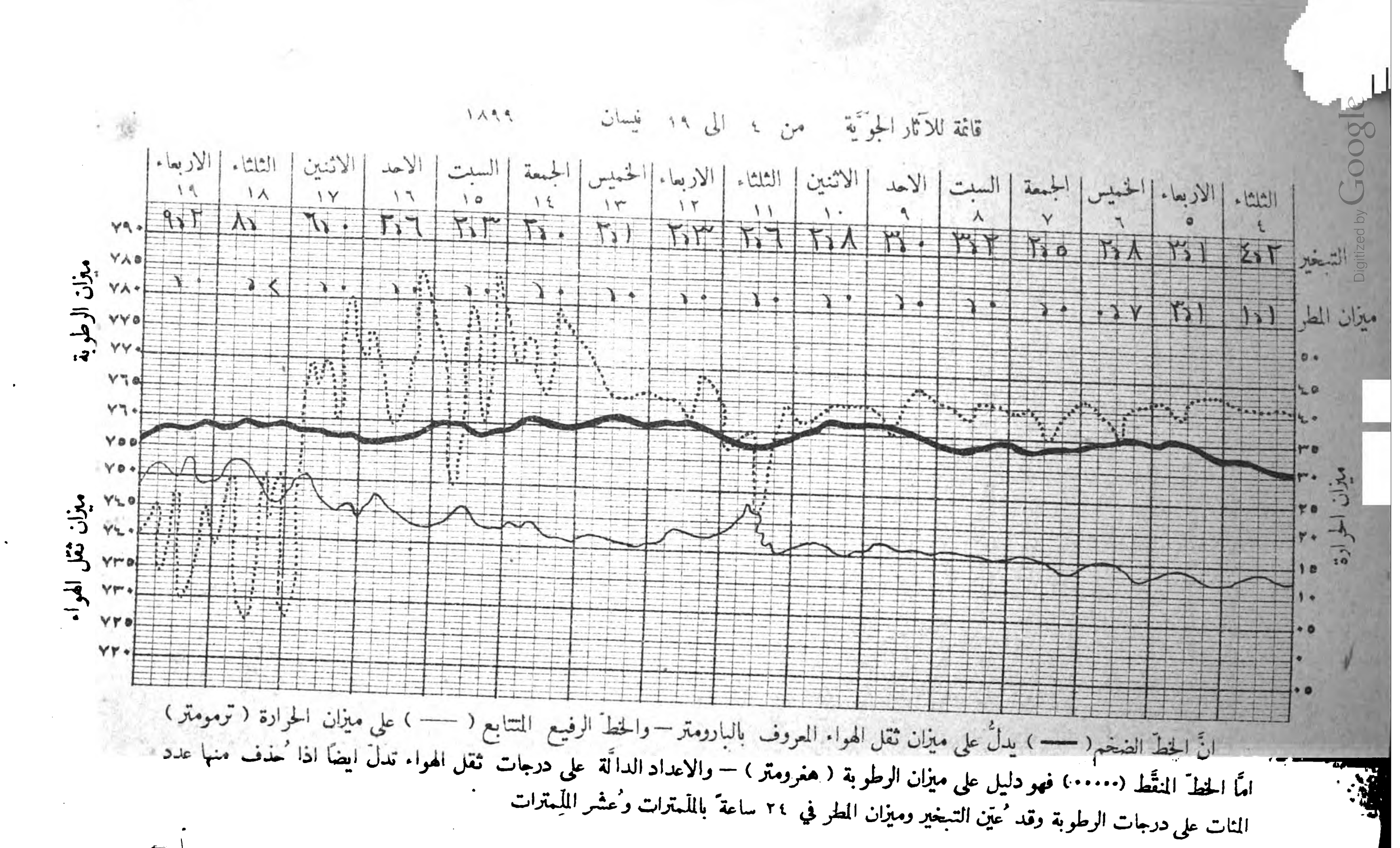
س كتب لنا حضرة الخوري جبرائيل زين من ابل السقي: انَّ اهل تلك القرية اضطربوا اذ سمعوا في قراءة سَحَر أحد حاملات الطيب (ص:٥٧):« انَّ صالومي كانت ابنة ليوسف الخطيب وانَّ يوسف ولد اربعة اولاد ذكور يعقوب الصغير ويوسى وسمعان ويهوذا وثلاث بنات اشير وثامر وصالومي ». فاستنتج الشعب انَّ يوسف لم يكن بتولًا وانَّ مريم العذراء لم تبقَ عذراء بعد الولادة. فما قولكم عن هذا المشكل

بتوليَّة العذراء مريم والقديس يوسف خطيبها

ج اعلم اولًا ان كتاب البنديكستاريون لم يأتِ بادنى اشارة الى انَّ العذراء مريم ولدت هولاء الاربعة وانَّما يقول « انَّ والدة الاله حُسبت كامّ لاولاد يوسف » فبقولهِ « حُسبت » اراد انَّها كانت أُمهم بالذخيرة والعناية فقط والكنيستان الشرقيَّة والغربيَّة تعتقدان معًا بدوام بتوليَّة العذراء والشهادات في ذلك لا تُحصى. ثانيًا امَّا قول البنديكستاريون انَّ يوسف خطيب مريم ولد بنين وبنات فليس هو من صلوات البنديكستاريون بل أُلحق بهِ كشرح لبعض المفسّرين فليست اذن شهادتُهُ كافية وانَّما اخذ الشارح قولهُ هذا من بعض الكَتَبة الذين لم يُحسنوا فَهم آية انجيل مرقس (٦:٣):« اليس هذا هو النجَّار ابن مريم واخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان او ليس اخواتُهُ ههنا عندنا ». فظنُّوا ان القديس يوسف قبل اقترانهِ بالعذراء الطاهرة كان متزوّجًا فولد هؤلاء الاربعة وبنات أُخرى الَّا ان هذا الرأي ليس براجحٍ والقول الصحيح انَّ القديس يوسف كان بتولًا كما روى ذلك الملافنة القديسون ايرونيموس واوغسطينوس وتاودوريطس وانسلموس وتوما اللاهوتي. امَّا الاربعة المذكورون في آية مرقس فهم ابناء كلاوفاس اخي القديس يوسف البتول. وفي السنكسار اليوناني المستعمل [illegible] الروم في ايطالية ورد ذكر عيد القديس يوسف بهذه الصورة: « عيد الجليل [illegible] خطيب مريم العذراء »

ل. ش

قائمة للآثار الجوية من ٤ الى ١٩ نيسان ١٨٩٩



انَّ الخطَّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر)

امَّا الخطّ المنقَّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملِمترات

المشرق

السفن الغوّاصة

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيّات في مكتبنا الطبي

شغلت مسئلة السُّفن الغوّاصة عقول الدول مذ تحقّق ارباب البحر انهـا العدوّ الازرق لاساطيلها تبغت البوارج فتُلحق بها الدمار في ساعة تكون راخية البال طامنة الفكر وهي لا تدري انّ المنون اقربُ اليها من حبل الوريد

وقد زاد هـذا المبحث خطارةً في هذه الاشهر الاخيرة لمّا شاع في الجرائد انّ بعض الضبّاط الفرنسيين تمكّنوا من اصطناع غوّاصـة تتجوّل في قلب البحر زمناً طويلًا يقود زمامها الربان فيديرها كيف شاء . فكان لاكتشاف هذا السرّ دويٌّ عظيم في كل الدوائر السياسيّة واخذت المجلاّت والجرائد العلمية تتباحث في امرهِ وتبيّن ما تحتهُ من عظم الشأن

فلم ترضَ مجلّة المشرق ان تحرم قرّاءها فوائدَ هذا البحث الجليل وقد كانت في العام الماضي (مشرق ١ : ٥٢٩) ذكرت شيئاً من ذلك في اثناء مقالة نسج طِرازها حضرة الاب هنري لامنس فاحببنا ان نتوسّع في هذا الموضوع لتتمّة الفائدة

١ تاريخ السفن الغوّاصة

انّ تاريخ مغاص السُّفن في غمر الميـاه يرتقي الى القرن السابع عشر اذ كان البعض من العلماء يحاولون الصعود الى الجوّ بالمناطيد . وقيل انّ اوّل من اصطنع سفينةً غواصة يدعى وليم بورن (W. Bourne) سنة ١٦٠٤ وتبعهُ الهولندي كرنيليوس فان دربل (C. Van Drebbel) فاجرى امتحان سفينتهِ امام ملك انكلترة يعقوب الاول فسار تحت المياه سيرًا طويلًا بصحبة اثني عشر نوتيًا . وحسّن تجهيز

هذه السفن راهبان من علماء عصرهما الاب مرسان (Mersenne) الفرنسيسي والاب جرجس فرنيار (G.Fournier) اليسوعي وكان الاخير داهيةً في العلوم الرياضيّة والفنون الهندسيّة صنّف فيها كُتباً أُعيد طبعُها مرارًا لفوائدها. وقد بحث في مغاص السُّفن في كتاب لهُ دعاهُ « رسم المياه » طُبع سنة ١٦٣٤. واستأنف بعدَهُ البحث عن السفن الغوّاصة الانكليزي داي (Day) الّا انّهُ غرق وسفينتهُ الغواصة سنة ١٦٥٠

وممَّن نجحوا بعدهُ في غوص البحار الاميركيّ بوشنل (D. Bushnell) قيل انّهُ ابتنى لهُ سفينةً على شكل سُلحفاةٍ جعل لها عند بطنها حوضاً كان يملأهُ ماء او يفرغهُ اذا ما حاول المغاص في الماء او الطفوّ فوقهُ. الّا انّ هذه السفينة كانت ثقيلة الحركة ولا يدخلها سوى شخصٍ واحد

ونال اميركيٌّ آخر شهرة كبرى في فنّ المغاص وهو يدعى فُلتن (Fulton) اتّخذ لهُ سفينة على هيئة لُفافة التَّبغ كان طولها ستة امتار ونصفاً وقطرها مترين سمّاها « العائمة » (Nautilus) ثمّ اختبر حركاتها امام جمّ غفير من اهل باريس في نهر السين سنة ١٨٠١ وتمكّن من تحطيم سفينةٍ اخرى جرى اليها متسترًا بالمياه. قيل انهُ كان يضغط الهواء في آنيةٍ ثمّ يستنشقهُ فيبقى نحو خمس ساعات في صدر المياه

الّا انّ هذه الاختبارات بقيت دون نتيجة كبرى رغمًا عن حذاقة اصحابها وبساطة ادواتهم. ثم نامت الهمم الى اواسط هذا القرن التاسع عشر فهبّت من رقدتها واخذ كثيرون يجرّبون سفناً جديدة غواصة يحركونها بالغازات كالحامض الكربونيك والامونياك والبترول والبخار امّا المغاص فكانوا يتّصلون اليهِ بملء الاحواض ماء وبدقّة افقيّة وبرقّاص عمودي وتصغير حجم السفن

ثمّ تعدّدت صور المراكب الغواصة منذ ثلاثين سنة وقد احرز لهم الفرنسيُّون في تحسينها ذكرًا مخلّدًا فاستلفتوا اليهم ابصار كل الدول. وقد بلغت ثلاث من سفنهم الحاليّة كمالًا لم يبلغهُ غيرهم وهم « غستاف زاده » (Gustave Zédé) ومُرس (Morse) ونرڤال (Narval) وانّما نكتفي بوصفها اجمالًا ليُلمّ القرّاء معرفةً بمثل هذه السفن

٢ تجهيز الغوّاصات

انّ الغاية التي يتحرّاها ارباب البحر من صُنع الغواصات انما هي تدمير سُفن العدو

وهي تسير في ظهراني البحر متحجبةً بالمياه. ولذلك لا بدَّ لها من جهاز يمكّنها من الغوص في المياه او الطفوّ فوقها كما تشاء ثم يقتضي لها « محرّكٌ » اي آلة تدفعها في وسط البحر. مع الوسائل اللازمة للاهتداء في الماء والعدَّة الحربية لمقاتلة العدوّ وتحطيم دوارعه

وكلُّ هذه الشروط تراها مستوفاةً في الغوّاصة « غستاف زاده ». فانَّ هذه السفينة من الفولاذ الصلب. صورتها على شبه اسطوانة مخروطة الطرفين (انظر صورة الغوّاص هولند في المشرق ١ : ٥٣٤) اعني كلفافة التبغ الفرنجيّ وعلى هذا الشكل تُصنع اليوم قذائف النسّافات (Torpille) (مشرق ١ : ٥٣٣). وطول الغوّاص المذكور ٤٠ مترًا اما عرضهُ فيختلف بين ثلاثة امتار ونصف في وسطهِ ومتر وثمانين سنتيمترًا في جانبيهِ. وكلُّ تجهيزهِ يناسب للغاية المقصودة بهِ وعليهِ فانك لا ترى في سكناه كثيرًا من اسباب الراحة والنعمة التي تجدها في غيرهِ من المراكب. الّا انَّهُ كافٍ لسُكنى عشرةٍ من الملاّحين يديرون شؤونهُ ويتولّون تدبيرهُ

وللركّاب في الغوّاص حاجتهم من الهواء. فانَّ في السفينة احواضًا يملأونها هواءً مضغوطًا يمكنهم استنشاقهُ لساعات بل لأيّام معلومة. اما الاكتشافات الجديدة التي توفّق اليها الكيميُّون في السنة المنصرمة (راجع المشرق ٢ : ٢٣٧) فهي تكفل بتنظيف الهواء الفاسد بحيث يمكن السُّفن الغوّاصة ان تبقى في قعر المياه اياماً طويلة دون ان تستبدل الهواء

هذا وانَّ كل اطراف الغوّاص « غستاف زاده » ملتحمةٌ بعضها التحامًا محكمًا لا يستطيع الماء النفوذ بين خصاصها البتَّة

٣ دفع الغوّاصات وتدبيرها

انَّ حركة السفينة « غستاف زاده » والغواصات التي تُصطنَع اليوم على مثالها انّما تُنال بآلة كهربائيَّة ذات ادوات خازنة للكهرباء (Accumulateurs) بان تجيز قوّتها الى رقّاص فتحرّكهُ. امّا الآلة المولِّدة للكهرباء فانَّها تبقى في بعض المدن الساحليَّة تلتجئ اليها السفينة الغوّاصة عند الحاجة كما تفعل لاستقاء مائها. وربَّما ادَّخرت من الكهرباء ما يكفيها لقطع مسافة كبيرة . فانَّ الغواص « زاده » المذكور سار بين طولون ومرسيلية ذهابًا وايابًا دون ان يذخر لهُ كهرباء جديدة

وفي هذه السنين الاخيرة قد جعل اربابُ السُّفن يجهزون الغوَّاصات بآلاتٍ تولّد الكهرباء يدعونها الغوَّاصات المستقلّة (Sous-marins autonomes) تقطع بها نيفًا و٦٠٠ ميلٍ بسرعة ثماني عُقَد في الساعة. ومن هذا الجنس الغوَّاص «نَرْفال» الذي سبق ذكرهُ

ومن الغواصات ما يُجهَّز لهُ آلتان احداهما بخاريَّة او مدفوعة بغاز البترول تستخدمها عند سيرها فوق سطح المياه. والاخرى كهربائيَّة تتَّخذها ابَّانَ سيرها في غور المياه

امَّا تدبير الغوَّاصات والهبوط بها الى قلب البحر فانَّما يُحصل عليهِ بسكَّانَين او دفَّتين احداهما عموديَّة الشكل والاخرى أُفقيَّة للمَغاص. وفي السفينة صناديق فارغة تُملأ ماء اذا ما اراد الملاحون الغطس في الماء. وفوق الغوَّاص مصاريع تُقفل بسرعة غريبة عند هبوط السفينة التي يمكنها ان تنزل الى عمق ٢٠ مترًا فتجري بين المياه بيد ان قوَّتها تضعف ولا تقطع اكثر من سبع او ثماني عُقَد في الساعة

هذا ويبقى المشكل الكبير وهو الاهتداء في غور المياه والسَّير في سواء السبيل وذاك امرٌ دونهُ خرط القتاد لانَّ الماء ليس بشفَّاف كالهواء ولا يمكن النظر فيهِ ما وراء عشرة امتار. فكان الغوَّاصون يستعينون بابرة المغناطيس ويضطرُّون الى الصعود فوق الماء من وقتٍ الى آخر ليرصدوا الآفاق ولذلك مرقبٌ قليل الارتفاع يمكن الربَّان ان يرصد منهُ جهات البحر دون ان يستلفت اليهِ نظر العدوّ. وللسُّفن اداة اخرى من المرايا العاكسة للنور يُصعدها الربَّان الى سطح البحر في حين يعلو السفينة متران من الماء فترتسم في المرايا كل حركات السُّفن المعادية وتنعكس الى مقام الربان فيراها عيانًا

وقد اتتنا الاخبار الاخيرة تنبئ باكتشاف الفرنسيّين طريقة للاهتداء في البحر رغمًا عن كثافة المياه. وفي الامر سرٌّ لم يُعلن بهِ حتى الآن

٤ أُهبة الغوَّاصات للقتال

الغوَّاصات من حيث اهبتها الحربيَّة تُشبه النسَّافات فانَّ في طرفها عُدَّة تقذف بها القذائف. ولمَّا كان سيرها غير ظاهر للعيان يمكنها ان تقترب من الدوارع فترميها من كثبٍ ولا تُفلت الرمية عن الرامي. ولقذائفها قوة غريبة لأنَّها تُحشى نحو مئة كيلوغرامًا من القُطن المغموس بموادّ متفجّرة (fulmi-coton)

وبالنتيجة ان الغواصات من ارهب السُّفن واضرِّها للعدوّ يمكنها ان تدافع عن

اصحابها وتهاجم الخصوم بل انَّ الدوارع مع كل قوَّتها وصفائحها الفولاذيَّة لا تقوى على كرَّة هذا العدو المتستّر. ومن خواصها انها تصلح كلَّ الصلاح لحفظ سواحل البلاد ولا يصعب نقلها مع الدوارع في الاسفار البعيدة فتُلقى في البحر عند اللزوم

فيا ليت شعري ماذا تكون الحروب البحريَّة في مستقبل الزمان. والغواصات تفجأ اسطول العدوّ من حيث لا يشعر. والمظنون ان ارباب البحر سيسرعون الى وضع سفينة مضادَّة للغواصات كما فعلوا بالنسَّافات فوجدوا لتلافي أضرارها طرائق شتى. الَّا انَّ فرنسة واثقة اليوم في سَبْق سفنها الغواصة وقد خصَّصت لبرنامج سنتها الحاليَّة مبلغًا وافرًا لتجهيز ثماني غواصات جديدة على طراز السفن التي سبق وصفها ذات المحرّكَين اعني الكهرباء وغاز البترول. فدخلت بذلك الغوَّاصات في طور جديد وصارت تُحصى في عداد الاساطيل الحربيَّة تجاري في غمر المياه تنانين البحار. الَّا انّ جسمها حديد وقلبها نار. تقذف من فوّهاتها الموت والدمار

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

آثار الرومانيين في لبنان (تتمَّة)

يظهر ممَّا تقدم ظهور الشمس في رابعة النهار انَّ الرومان بجلبهم المياه من الينابيع النازحة اخصبوا البلاد التي مدُّوا فوق رواقها حمايتهم. ولعلَّهم لم يكتفوا بذلك بل اقتسموا المياه في المدن فجعلوا لكل دار قسطاً كما تفعل في زماننا شركات المياه. ولنا شاهد على صحَّة ذلك بكتابة وُجدت في مستعمرة رومانيَّة من اعمال افريقية كانت اصغر شأنًا من بيروت وقد ذُكر فيها صريحًا هذا تقسيم المياه على بيوت الاهلين (١. فلا نظن انَّ بيروت حُرمت ما لم تحرَمْهُ غيرها من المستعمرات وهي اعظم منهنَّ قدرًا

(١) راجع مجموع الكتابات اللاتينيَّة (C. I. L., VIII, 51)

ومن افضال الرومانيين التي لا تُنكر السكك والطرقات. فانهم ما نَشبوا ان احتلُّوا ربوع الشام حتى سعوا باصطناع السكك فيها. وكانت غايتهم الاولى بذلك ان يمهدوا الطرق لجيوشهم ثمَّ ينشّطوا بين رعاياهم التجارة والمعاملات. ولم يثنِ عزمهم ما لقوهُ في لبنان من المسالك الوعرة والصخور المرتفعة فانَّ همّتهم لم تعرف الكَلَل فوعّروا الطرق ومهّدوا السُّبُل في جميع انحاء البلاد التي فتحوها. وكانت السكَّة المارَّة على سواحل فينيقية من عهد قدماء المصريين في القرن الخامس عشر قبل المسيح كما تشهد بذلك المُكاتبات المكتشفة حديثًا في تلّ العمارنة (١ وقد جاء فيها ذكر العَجَلات الحربية التي لا يمكن ان تسير دون سكك منظَّمة. بيد ان هذه السكَّة القديمة لم يبقَ لها أثر بخلاف سكَّة الرومان فانَّ بقاياها لا تزال الى يومنا ظاهرةً على الساحل. وكذا قُل عن جميع السكك التي تولّوا صُنعها في لبنان

امَّا الذين كانوا يقومون بهذه المشروعات الجليلة فهم جُند الرومانيين. ومصداق ذلك في كتابة لاتينيَّة نُقشت عند معبر نهر الكلب. على انّ التاريخ ينبئنا بان الجنود الرومانيين في كلّ البلاد التي فتحتها رومة اعمالًا تُعَدّ من اعمال الجبابرة. فكم من قصور وقلاع شيّدوا وجسور عظيمة عمّروا وخنادق حفروها واسوار ضخمة ابتنوها. وكان يسير في عداد الجنود قومٌ من المهندسين والصُنَّاع يقومون بهذه الاعمال

وممَّا امتازت بهِ السكك الرومانيَّة الوثاقة والمتانة مع توفير اسباب الراحة لبني السابلة. فكانوا يجعلون وسط السكَّة مرتفعًا عن الحضيض يفرشونهُ بصفائح كبرى من الحجارة البركانيَّة او ما شاكلها صلابةً. ولئلَّا تنخسف بها الارض كانوا يضعون لسندها ثلاث طبقاتٍ متوالية اسفلُها من الحصباء والرمل ووُسطاها من دقيق الحجارة المعجونة بالكلس امَّا الطبقة العليا فكان سَمكها ١٥ سنتيمترًا تتركّب من كِسَرات الخزَف والآجرّ بينها الملاط الشديد. وكان على جانبي الطريق مسلك للسابلة (Trottoirs) برفعة قليلة عنها وفي طرَفيهِ حجارة ضخمة

وكان الرومان يضمنون الامان لسككهم بان يقيموا من مسافة الى اخرى مراكز لجندهم وخاناتٍ للسفر ومرابط للخيل ومحطَّات للبريد

---

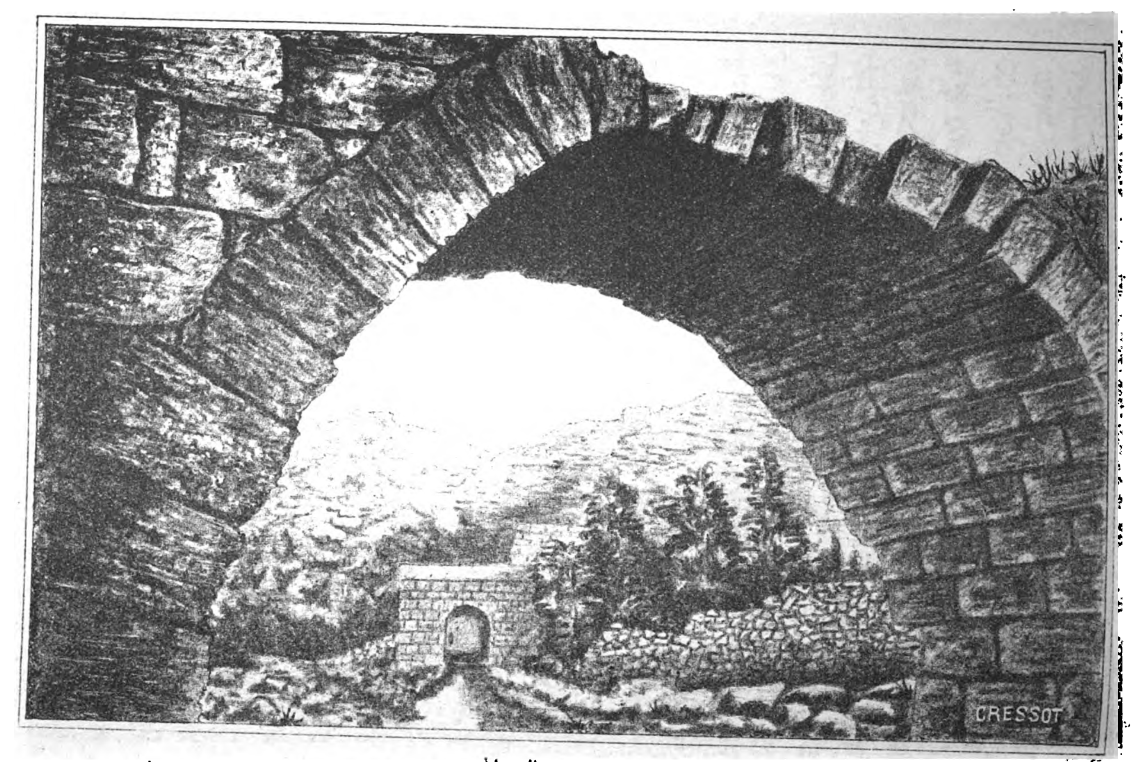
١) راجع كتاب الاب ديلاتر (Delattre) اليسوعي المُعَنْون : Le Pays de Chanaan, province de l'empire égyptien, p. 39

وكانوا ينصبون من ميل الى آخر انصابًا من الحجارة فيها ارقام تدلُّ على مسافات الطريق وبُعد المكان عن حواضر المُدن . وربَّما كانوا ينقشون في هذه الانصاب اسم القيصر الذي امر بنَهج الطريق او اصلاحها . وهذه الانصاب مكَّنت اهل البحث والتنقيب من تتبُّع آثار سكك الرومانيين . وتراها ملقاةً على ساحل البحر غائصةً في الرَمل او مطمورة بين الردم وهي تدلُّ على السكَّة الساحلية التي مرَّ ذكرها . والحقُّ يُقال انَّ هذه السكَّة كانت طُرفة من عجائب البنايات وتراها الى اليوم منقورة في الصخر بقرب نهر الكلب وجونية . وعند ممرّ السيول والانهار ترى آثار الجسور العظمى التي كانوا اصطنعوها . نخصُّ منها بالذكر جسر المعاملتين الذي لم يزل صابرًا على آفات الدهر (انظر الصورة ص ٤٤٠)

ومن سككهم الناطقة بفضلهم الطريق التي اصطنعوها من جبيل الى بعلبك وهي تمرُّ في اعالي لبنان فوق العاقورة وهناك شِعْب بين جبلين تخرُقهُ الطريق فتفضي الى بركة اليمُّونة ثمَّ تتَّسع وتمتدُّ فتُصبح من احسن السكك الجبليَّة واتقنها لكنَّ آثارها في منعطف لبنان الشرقي دارسةٌ . ولعلَّ هذه الطريق سبقت عهد الرومان وما لا مُشاحَة فيهِ انَّ الرومان تولَّوا اصلاحَها وتوسيعها كما يؤخذ ذلك من كتابة لدوميطيانس قيصر في آخر القرن الاول للمسيح وُجدت عند المكان المسمَّى بدرَّاجة مار سمعان

هذا ومهما توغَّلت في لبنان وجدت للرومانيين مآثر وكتابات ونقوشًا . مثال ذلك الكتابات التي تراها في الوهاد الواقعة بين الصنَّين وغابة الأرز لاسيا في مقاطعات العاقورة وتنُّورين وقرطبة حيث تجد كتابات عديدة خُطَّ فيها مرارًا اسم ادريانُس الملك وحروف هذه الكتابات تبلغ نصف ذراع طولًا وقد اعتبرها بعض اهل تلك النواحي كأرصاد تحتها كنوز دفينة بحثوا عنها بعد نقر الحجارة وتحطيم الكتابات . امَّا سبب تكرار اسم هذا القيصر الرومانيّ فلكونهِ قضى في بلاد الشام سنين طويلة وكان يصحبُهُ في اسفارهِ عددٌ غفير من النقَّاشين وارباب الصناعة والحرف . ومن المرجَّح انَّهُ مرَّ بمدينة جبيل وزار معابد الزُهرة في لبنان

وممَّا يعود فضلهُ الى الرومان فيستوجبون لهُ الشكر العميم عنايتهم بنصب الاشجار في لبنان . وقد مرَّ لنا في المشرق (١ : ٧٢٨) كلام في ذلك وبيَّنَّا هناك انَّ لبنان كان



جسر العاملتين الروماني

في القرون الخالية محمّلًا بالغابات تعلو قمَمَهُ ضروبٌ من الاشجار. واثبتنا ايضًا انَّ الحكومة الرومانيَّة كانت احتكرت لها اربعة اصناف منها وهي العرعر والأرز والسَّرْو والصنوبر (١ وكلُّها من اشجار الجبال المتينة الخشب الوارفة الظلّ اختصَّها الرومان بانفسهم لئلاَّ يتصرَّف بها الاهلون فيقطعوها بلا حكمةٍ. وكان الرومان يتَّخذون منها الخشب لتجهيز سفنهم وابتناء مساكنهم في سوريَّة

وممَّا يُخبر عن بمبيُوس القائد الروماني فاتح الشام انَّهُ اصطنع لهُ اسطولًا من خشب لبنان فقطع دابر القرصان الذين كانوا يتجوَّلون في بحر الروم متلصِّصين. ولمَّا انتشبت الحرب بين بمبيُوس المذكور ويوليوس قيصر تولَّى كاسيوس من اصحاب بمبيُوس قيادة اسطول الشام وأبحر بها الى صقلية لمحاربة سفن قيصر واحرقها (٢. وكلُّ ذلك دليل على اهتمام الرومانيين بزراعة لبنان وتوفير غاباتها

ومن كلّ ما سبق يفهم القارئ ما للرومان من المشروعات الطيّبة والاعمال الجليلة التي لم نذكر منها سوى برضٍ من عدّ. وفي تتمة مقالاتنا عن آثار لبنان سيأتي ذكرهم غير مرَّة. وفي ما سبق كفاية لتقدير اعمالهم

وخلاصة قولنا عن الرومان انَّهم في ولايتهم كانوا يهتمُّون بصوالح رعاياهم ويوفرون لهم اسباب النجاح ويوسعونهم أمانًا وراحةً ونال اهل سوريَّة بهمّتهم قسمًا وافيًا من ذلك السلام الذي نُسب لرومة (pax romana) متَّعنا الله بمثلهِ في ظلّ دولتنا العلية آمين

(ستأتي البقيَّة)

---

١) وقد ارتأى العلَّامة الاب مرتينوس اليسوعيّ في تاريخ لبنان انَّ الكتابة التي تدلُّ على احتكار الرومان لهذه الاشجار والتي شرحناها في المشرق (١: ٧٢٧) انَّما كان لها معنًى آخر. فيظنُّ الاب المذكور انَّ الرومان كانوا خصَّصوا هذه الاشجار للإلهة عشتروت او الزُّهرة. قال: « وممَّا يؤيّد رأيي ان احتكار هذه الاشجار لم نجد لهُ اثرًا سوى في بلاد جبيل حيث كانت عبادة الزُّهرة متغلّبةً شائعة. ثم كثيرًا ما ترى على الحجارة التي وردت فيها الكتابة المذكورة حروفًا ثلاثة غيرها باللاتينيَّة وهي D F S معناها على ظننا D(eæ) F(ecit) S(acrum) « خصّصها بالإلهة ». اي انَّ ادريان الملك خصَّص بعبادة الزُّهَرة الاربعة الاصناف من الشجر المذكور ». (قلنا) وهذا شرح يدلُّ على دقَّة نظر صاحبهِ ولعلَّهُ لا يخلو من الصواب

٢) راجع تاريخ يوليوس قيصر (Cesar, *Bell. Civil.* III,)

شاعرٌ حلبيٌّ مجهول

نبذة موجزة للاب لويس شيخو اليسوعي

بسقت في ايَّامنا دوحة الآداب العربية . فمدَّت افنانها على الديار الوطنيَّة . بل قُل انَّها شملت بظلّها الوارف كلَّ الاصقاع الشرقيَّـة . وهي كانت في غرَّة هذا العصر الشريف . اشبه بنجم ضئيل نحيل . لا يكاد يقوم على ساقٍ . او يُرجى ان يبقى لهُ اثر باقٍ . على انَّ بَذرها وقع في تربة صالحة فما نشب ان زكا زرعًا . ونمـا فرعًا . فتعطَّرت الالباب بشذا أنوارهِ الزاهية . وتفكَّهت العقول باثمارهِ الجنيَّة الدانية . فلم تَعُد قطوفهُ تفوتُ شهوةَ آكل . ولا يردُّ جناهُ يد متناول

الَّا انَّ في هذه النهضة الادبيَّة كان لسوريَّة عمومًا ولحلب خصوصًا يد بيضـاء . تستوجب الشكر والثناء . فانَّ قومًا من نصارى الشهباء اذ رأوا مُنقلَب الآداب العربية في هذه الديار . وما صارت اليهِ الدروس من الانحطاط والبوار . اخذتهم الحميَّة الوطنية فاجتمعوا من طوائف شتَّى وجعلوا يدرسون على ائمَّة المسلمين فنون اللغة وآدابهـا . ويسبرون غورها ويخوضون عُبابها . علَّهم يحيون معالمها ويجدّدون شبابها

ومن جملة من اشتهروا في تحقيق هذه الرغائب . وهزّوا لنوالها المنـاكب . الطيّب الذكر السيّد جرمانوس فرحات مطران حلب وابو المواهب يعقوب بن نعمـة الدبسي المارونيّ والشاعر المطبوع الخوري نيقولا الصائغ والعلّامة الشهير عبد الله زاخر الروميَّين الكاثوليكيَين واللغوي الشهـير مكرديج الكسيح الارمنيّ الكاثوليكي وغيرهم كثيرون . وكان اليسوعيُّون في حلب ينشّطون هممهم ويؤلّفون قلوبهم ويستورون زناد قرائحهم نخصُّ منهم بالذكر الاب بطرس فرماج الذي تنطق تآليفهُ الباقية بسعة فضلهِ ومداركهِ السامية . فلم تمرَّ على هذه الجمعيَّة سنون قلائل حتى ولجوا من فنون اللغة كلَّ باب . وذلَّلوا من مصاعبها الرقاب . وبنوا لها بعد الخراب خُضر القباب

على انَّ تآليف كثير من هؤلاء المذكورين مع قرب عهدهم اخذتها يد الضيـاع فاصبحت اعزَّ من الكبريت الاحمر . ومن جملة من تيسَّر لنا وجود بعض آثارهم شاعر نبغ بعد اواسط القرن الثامن عشر . اسمهُ ديده كوز (Didacus) بن انطون افرنجيَّة . وكان حلبيَّ الوطن من الطائفة المارونية . ولعلَّ اصلهُ من أُسرة بيت افرنجيـة الشهير



بلبنان وقيل انَّ اصلهم يرتقي الى زمن الصليبيين كما يدلُّ على ذلك اسمهم وهم لا يزالون الى يومنا من وجهاء نواحي اهدن. اماَّ انتقال قسمٍ من بيت افرنجية الى حلب فقد افادنا عنهُ المعلِّم الاديب الفاضـل رشيد افندي الشرتوني فقال انَّ بعضاً من اهالي بشرَّاي وضواحيها انتقلوا الى حلب في ايَّام السلطان الغازي سليم خان الثاني في اواسط القرن السـادس عشر فكان من جملتهم بعض بني افرنجية. ومنهم الشاعر الذي نحن بصددهِ

وقد وجدنا لهُ عند بعض اصدقائنا الانكليز في لندرة كتاباً خطيًّا وسمهُ المؤلّف «بالمجموع المنتظم من فرائد الكلم» واودعهُ كثيرًا من النُكت والاخبار والفقرات النثريَّة والمقاطيع الشعريَّة ومن جملتهـا قصائد وابيات متفرّقة من نظمهِ ونظم والدهِ انطون وبعض شعراء عصرهِ من نصارى ومسلمين وقد انتهى من تأليف هذا المجموع سنة ١٧٨٠. فقد احببنا ان نورد من نظمهِ فصلًا لتعريف فضلهِ. وهو مع ضعف بعضهِ لا يخلو من اللطف والدقّة. ويشهد لكتبة ذلك الوقت بتوقّد الفهم وذكاء القريحة رغماً عن قلّة الوسائط لتحصيل العلوم. فمن ذلك قولهُ يصف مجموعهُ:

مجموعنـا هذا لهُ رونقٌ ... كرونقِ اللؤلؤ في عقدهِ
كادت مجاميع الورى عندهُ ... تُنسى لديهِ من سنا مجدهِ

وقولهُ معتذرًا عن الاغلاط الواقعة في كتابهِ:

كتبتهُ مجتهدًا ... وليس يخلو من غلطْ
فقُـل لمن يلومني ... من ذا الذي ما ساء قطْ

وقال في معناهُ:

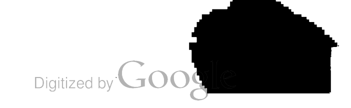
يا ناظرًا فيما عهدتُ لجمعـهِ ... عذرًا فانَّ اخا الفضيلةِ يعذرُ
علماً بانَّ المرء لو بلغ المدى ... في الفضل والعرفانِ فهو مقصِّرُ
فاذا ظفرتَ بزلَّةٍ فافتـح لها ... باب التجاوز فالتجاوز اجدرُ
ومن المحال بان ترى احدًا حوى ... كُنه الكمال وذا هو المتعذِّرُ
والنقصُ في نفس الطبيعة كامنٌ ... فبنو الطبيعة نُقصهم لا يُنكَرُ

ومن تصنيف ابن افرنجيّـة دائرتان رسمنا هنا شكليهما وهما تُقرأان من مركزيهما كما ترى:

هذه الدائرة عبارة عن قصيدة مدح تتضمَّن سبعة عشر بيتًا تبتدئ قراءتها من قوله :

قرعتُ لبابٍ قد حوى ابحرَ الندى واقسمُ لي في كلّ بحرٍ تعمُّقُ .

وكلُّ بيت دوَيرة صغرى اوّلهُ من مركز الدائرة الكبرى (اي حرف القاف) وينتهي شطرهُ الاوّل في قوس دوَيرتهِ ثم يعود فيستدير صاعدًا الى المركز ويُختم البيت عند المركز (اي بحرف القاف) كما ابتدأ . امّا الالفاظ المطبوعة بالاحمر فهي تُقرأ مرّتين لدخولها في دوَيرتين مختلفتين




هذه القصيدة الثانيــة عينيَّة تُقرأ كالدائرة الاولى من مركزها وتُختم بهِ. الّا انَّ ابياتها ثلاثة عشر. ويتركَّب من الفاظها الحمراء بيتان مستقلّان. واوَّل الابيات من قولهِ :

عبرتُ لمدح التاج في النظم ارتعُ   وقلتُ لقلبي انت لا شكَّ موجعُ



ومن شعر صاحب الترجمة قولهُ في وصف النفس :

يا درَّةً بيضاء لاهوتيَّةً قد رُكّبت صدفًا من الناسوتِ
جهل البسيطةُ قدرها لشقائهم وتنافسوا في الدرّ والياقوتِ

وكتب الى صديقٍ :

لمَّا اتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كلّ فضلٍ وجودٍ غير محدودِ
حكت معانيهِ في اثناء اسطرهِ آثارَكَ البيض في احواليَ السودِ

وقال في التغرُّب :

لا تكترث بفراق اوطان الصّبا فعسى تنالُ بغيرهنَّ سُعودا
فالدرُّ يُنظَمُ عند فقد بحارهِ بجميلِ اجياد الحسان عُقودا

وقال في جار انتقل عنهُ :

تناءت دارهُ عني ولكن خيالُ جمالهِ في القلب ساكنْ
اذا امتلأَ الفؤادُ بهِ فماذا يضرُّ اذا خلت منهُ المساكنْ

وقال في مَنْ عظم امرهُ بعد المحن :

لا تعجبنَّ بطالبٍ نال العُلى كهلًا وأُخفِض في الزمان الاوَّلِ
فالخمرُ تحكم في العقول مُسنَّةً وتُداسُ اوَّلَ عصرها بالأرجلِ

وروى عن ابن المنازي في وصف وادٍ وقيل انَّها لحميدة الاندلسية :

وقانا لفحةَ الرمضاء وادٍ سقاهُ مضاعفَ الغيث العميمِ
حللنا دوحهُ فحنا علينا حنوَّ المرضعات على الفطيمِ
يصدُّ الشمس انَّى واجهتْنا فيَحجبها ويأمرُ بالنسيمِ
وأرشفَنا على ظماءٍ زلالًا أرقَّ من المدامةِ للنديمِ
يروعُ حصاهُ حالية العذارى فتلمَسُ جانبَ العقدِ النظيمِ

ومن قولهِ في قهوة الخمرة تهجو قهوة البنّ :

سمعتُ لسانَ الحالِ من قهوة الطِّلا تقولُ هلمُّوا واسمعوا نصَّ اخباري
فباسمي تسمَّت قهوةُ البنّ في الملا ولكنَّها لم تحكِ بالفضلِ أخماري
فمن كذبها قد سوَّد الله وجهها وعذّبها بعد الاهانة بالنارِ

ولهُ في هجو مغنٍّ :

قد دهاني ما دهاني من ثقيلٍ في الاغاني
قلتُ اذ غنَّى عراقًا ليتني في اصفهانِ

ولابن افرنجيّة تفنُّن في الشعر فانّهُ زاول كلّ انواعهِ كالموشحات والزجل وطرق الجناس والبديع. فمن ذلك قولهُ وهو يقرأُ طردًا وعكسًا فينتقل من معنى المديح الى الهجو:

عدلوا فما ظَلمتْ بهم دولٌ سعدوا فما زلَّتْ بهم قدمُ
بذلوا فما شحَّت لهم شيمٌ رشدوا فلا زالت لهم نِعَمُ

فان عُكست قراءتها صارت:

قدمٌ بهم زلَّت فما سعدوا دُوَلٌ بهم ظُلمت فما عدلوا
نِعَمٌ لهم زالت فلا رشدوا شيمٌ لهم شحَّت فما بذلوا

ولهُ زَجلٌ ضمَّنَهُ مناظرةً بين التبغ (التتن) والقهوة. وهو بالشعر العاميّ اولهُ:

قصَّة جرت بين التتنْ والقهوهْ وتفاخر الاثنان وزادا برهانْ

وختمها بان حكَّم بينهما العرق:

قال العرق نحنُ رفاقٌ جمله في جمعنا نخدم مزاجْ اهل الكيفْ
انت بلاها ما يبان لكْ لذَّهْ وانتِ بلاهُ ما تفعليه كلُّهْ زيفْ
طاعن بجنسه في المثل قد قالوا في الحال هو طاعن بنفسه يا حيفْ
والصلح في الحاله رئيس الاحكامْ وانتما اثنان بحالةْ اخوانْ
فتصالح الاثنان وزالت الاحقادْ وتوافقا كأن المقدَّر ما كانْ

الطاعون

رسالة لجناب الدكتور فيليب افندي بركات طبيب المستشفى الافرنسي في بيت لحم

كتب لي رصيف صديق موظَّف في احدى ادارات البواخر التي تخالط جدًّا عن بعض حوادث الطاعون التي شاهدها فقال ما معرَّبه:

ايها الصديق: اليك اخبار لا تسرّك عني لان وظيفتي خطرة اعرّض بها نفسي شأن كلّ الاطباء للموت العاجل وها الطاعون قد وفد علينا في هذه الجهات فأرعدت فرائصي غير اني تجلَّدت للبلاء ودونك خبر ما شاهدت عيانًا هذه المدَّة:

بينما كنت في قهوةٍ اتزّه الخاطر من عناء الاشغال المتواصلة اذ سمعت أعرابيًّا بجانبي يقول (مسكين يا حكيم اصاب فلان الطاعون تعالَ اليهِ) واشار بيده الى الرجل فالتفتُ يمنةً واذا بشاب بالغ من العمر نحو العشرين سنةً فقربتُ منهُ سائلًا: ما تشكو أيها الشاب قال: الصداع والأوار واحسّ بنارٍ تحرق احشائي. وكان وجه الفتى مصفرًّا وحدقتا عينيهِ متَّسعتين. ولمَّا لم يكن لديَّ غير الماء بللتُ منديلي ووضعتهُ على رأسهِ وصرتُ

انقلهُ على سائر جسمهِ لاطفئ حرارتهُ . ثمَّ حملهُ الناس الى بيتهِ . ولم ارهُ الّا بعد ثلاثة ايّام . وفي اليوم الرابع دخلتُ عليهِ فوجدتهُ ينتفض من البرد وقد ذكرتني حالتهُ ما كنّا نشاهدهُ في بيروت بالمصابين بالحمّى المالاريّه فوصفت لهُ بعض المنبّهات المعرّقات واشرتُ بوجوب دعوتي اليـهِ بعد يومين . فلمّا آن الزمن قصدتهُ وذُهلت من التغيير الفجائي الذي طرأ على جسمهِ وكان قد اصاب المريض بعد القشعريرة حمّى قويّة وكانت سخنتهُ تُشبهُ سخنة رجل مصاب بالتيفوئية وجلدهُ سخن ناشف ولسانهُ اسود وهو يصرخ: (الماء الماء احترقتُ) وعيناهُ منتفختان دامعتان . ثم وضعت يدي على معدتهِ واسفل بطنهِ فشكى وجعًا اليمًا وتقيّأ امامي . فلمّا انتهى جسستُ نبضهُ فاذا اختلاجهُ يبلغ مئة في الدقيقة وكانت حركة تنفسهِ سريعة كأنّهُ يلهثُ لهثًا وقال لي اهلهُ: «انّهُ مسهول يصيبهُ هذَيان وإغماء وتريفٌ دموي . وألصقتُ اذني بصدرهِ فسمعتُ منهُ خرخرة . امّا وَجَباتُ قلبهِ فكانت ضعيفةً فوصفت لهُ دواء يعاكس الاعراض المهمّة الخطرة ووصيتُ أهلهُ ان ادعوني بعد ثلاثة ايّام اذا بقي مريضكم في قيد الحياة . فلمّا كان اليوم المعيّن عدتُهُ فلم اجد فيهِ اثرًا للحمّى انّما رأيت غُددًا في ابطيهِ وفي اربيّتـهِ وفي عنقهِ وجمرات غنغرينة في جملة اجزاء من بدنهِ . امّا الغُدد فكانت منتفخة مؤلمة عند اللمس ففتحتها بالمشرط فخرج منها صديد كريه الرائحة وعالجتهـا بالمعطّرات وقلت اني راجع غدًا للمريض واملي بالله انهُ يَشفى وهكذا كان . وصرت اعودهُ كل يومين واصف لهُ المقوّيات والمنبّهات الى ان تعافى

وانهُ يحق لك ان تتعجّب ايها الصديق من شفاء مريض مصاب بالطاعون انّمـا الحادثة نادرة وموت المطعونين هو القاعدة لاني شاهدت اكثر من عشرة حوادث مختلفة الاشكال ادّت المصابين بهذا الوباء للموت العاجل . منها امرأة عجوز ماتت ببرهة خمس او ستّ ساعات ومنها ابنة شابّة اصابها الطاعون ورافقهُ تريف دموي غزير اودى بحياتها باسرع آن

انتهى ملخص رسالة الرصيف الصديق . وقد احببت تعريبها لفائدة الاطباء لانها تذكر اعراض الطاعون واشكاله بوجه قريب من الكمال . وفي مقالة ثانية اكتب للمشرق ما اتوصل لمعرفته من تاريخ هذا الوباء واسبابهِ وما توصّل اليهِ العلماء عن طرق علاجهِ الواقية والشافية وبالله المستعان

البابا ليباريوس والقديس اثناسيوس

ردّ على مُفترٍ للاب لويس شيخو اليسوعي

انّهُ لمن الامور التي تقضي بالعجب انّ إصحاب الاهواء اذا ما استفزّتهم الاغراض فهاموا من جرّائها في كلّ واد . ورسخت قدمهم في جادّة الضلال لا يثنيهم عن غيّهم مرشد ولا هادٍ . وان دُحضتْ اوهامهم بكل برهان قاطع واسناد

وهاك مثالًا تاريخيًا يشهد على صدق قولنا . فان اعداء الكنيسة الكاثوليكيّة كانوا حاولوا نقضًا لعصمة الاحبار الرومانيين ان يبيّنوا انّ ليباريوس الحبر الجليل بعد ان دافع عن القديس اثناسيوس البطريرك الاسكندريّ مدافعة الابطال وخذل الاريوسيين بثباتهِ حتى انّهُ آثر عذاب المنفى على الطاعة للملك قسطنس الاريوسيّ فشل في آخر امرهِ وفضّل دنياهُ على دينهِ فاهمل اثناسيوس ووقّع دستورًا اريوسيًا منافيًا لتعاليم مجمع نيقية

تلك هي التهمة التي قرّف بها اعداء الكنيسة لاسيّما انصار الشيع المبتدعة حبرًا جليلًا زيّن بيعة الله بفضائلهِ وصار امامًا يأتسي بامثالهِ كلُّ ذي بصر . وقد اجاب العلماء الكاثوليكيّون على هذه الافتراءات مرارًا وفنّدوها بحجج اضوأ من الشمس الّا ان الخصوم يتصامّون فلا يزالون يكرّرون الاعتراضات بعينها كأنها حقائق راهنة لا تُنكر

وما يزيدنا عجبًا ان جرائد « اورثدكسيّة » تردّد هذه الترّهات وتنقلها عن تآليف المبتدعين دون تروٍّ وهي لا تدري انّ في دسمها سمًّا وانّ هذه الشكاية الكاذبة تستند الى بعض شهادات واهنة نُسبت زورًا وبهتانًا الى القديسين هيلاريوس واثناسيوس وهيرونيموس . وقد بيّن ذلك كثيرون من العلماء بحيث لم يدعوا في الامر ريبًا فمن اراد ان يتحقّق ذلك بنفسهِ فعليهِ بمراجعة البولندستيين في المجلد السادس والاربعين من اعمال القديسين (ص ٥٧٢ — ٦٣٢) . وقد بيّن ايضًا هؤلاء العلماء انّ بعض الرسالات المنسوبة لليباريوس كاذبة من مخترعات الاريوسيّين . فلا حاجة اذن لتكرار ما يقرُّ الآن بصحّتهِ كلّ اصحاب النّقد التاريخي . وانّما نكتفي ان نُلقي على المفتري اسئلة نطلب منهُ الجواب عليها ان امكنهُ

(اوّلًا) ان كان ليباريوس الحبر الاعظم « وقّع كما زعم الخصم الدستورَ

الاريوسي حبًّا بالرئاسة والراحة » فكيف يا ترى اكرمتهُ الكنيسة اليونانيّة كقديس واثبتت اسمَهُ في الميناون الكبير وجعلت عيدهُ في ٢٧ من شهر آب وهي تذكرهُ على هذه الصورة (راجع طبعة البندقيّة القديمة وكتاب كلندار الكنيستين ص ٦٢٠)
« Τοῦ ὁσίου πατρὸς ἡμῶν καὶ ὁμολογητοῦ Λιβερίου Πάπα Ῥώμης »
عيد « ابينا القديس ومعترف الايمان ليباريوس اسقف رومة »

امَّا الميناون الباسيلي فقد زاد على الميناون الكبير مدحًا لا يحقُّ لغير عظماء القديسين ودعاهُ « محاميًا عن الايمان المقدس ومدافعًا بكل ثبات عن اثناسيوس الكبير »

فهل يا ترى تكرّم الكنيسة اليونانيّة رجلًا اراتيكيًّا وتنعتهُ بقديس ومعترف الايمان ؟ ومن الاحرى بان تُقبل شهادتهُ الكاتب الارثذكسيّ في المنار او كتب كنيستهِ الطقسيّة ؟

(ثانيًا) بل كيف اتّفقت كلُّ الكنائس الشرقيّة على إقامة عيد خصوصي للبابا ليباريوس لاسيَّما الكنيسة القبطيّة . فان كان هذا الحبر الجليل فشل في قضيّة اثناسيوس هل امكن الاقباط ان يكرّموا ذاك الذي حكم على ابيهم وفخر كنيستهم او ما كان الاولى بهم ان يلعنوهُ ويرموهُ بالحرم لتوقيعهِ دستورًا مناقضًا لايمان الكنيسة الارثذكسيّة ؟ فما قول المنار ؟

(ثالثًا) ان كان مرق القديس ليباريوس عن الايمان وامضى عقيدةً اريوسيّة فكيف استطاع البابا القديس انستاس الاوّل الذي تولّى كرسيّ رومة بعد ليباريوس باثنتين وعشرين سنة ان يكتب للقدّيس فنيريوس اسقف ميلان ويشهد بقداسة سلفهِ القديس ليباريوس واستقامة ايمانهِ ؟ . وهذه الرسالة قد اكتشف منها حديثًا الاب فان دن غين نسخة قديمةً اثبتها في العدد الاوّل من السنة الجارية في « مجلّة التاريخ والآداب الدينيّة (١ . فليحكم الحكم العدل

(رابعًا) كيف ساغ لكثيرين من آباء الكنيستين الشرقيّة والغربيّة وقدّيسيها المعظَّمين كامبروسيوس وباسيليوس وابيفانيوس وتاودوريطس ان يطرئوا في كتُبهم الحبر الجليل ليباريوس ويصفوهُ باوصاف « الطوبى والقداسة وسعادة الذكر والثبات العجيب

(١ (Muséon, 1899, p. 110) . وكان البابا القديس سيريسيوس الخلف الثاني للبابا ليباريوس دعاهُ قبل ذلك « ليباريوس سلَفي المكرَّم الذكر Venerandæ memoriæ prædecessore meo Liberio » (Migne, *PP. Lat.* XIII, 1133)



في الايمان » الى صفاتٍ اخرى عديدة يطول هنا شرحها مع انَّهم جميعًا كانوا من معاصريهِ يعرفون سيرتهُ حقَّ المعرفة. وزد اليهم شهادات المؤرّخين سقراط وسوزومين وغيرهما كنيقيفورس كالستس. أفننسب الى كلّ هؤلاء الكذب ونصدق بعض اقاويل مزوَّرة تلاعب فيها الاريوسيُّون ايَّ تلاعب. معاذ الله

فما قول الخصوم عن كل ذلك. وما لهم ينقلون شهادات ليس فيها من الصحة شيء البتَّة رغبةً في التشفي من كنيسةٍ شقُّوا عصاها وجحدوا ايمانها. أفليس اولى بهؤلاء الكتبة ان يستضيئوا بمنار الحقّ وينهجوا سبيل العدل ؟

لا قيس ولا ثاوفيل

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

انَّ الانتقاد التاريخي لمن افضل الطُّرق التي تبلّغ بالمرء الى معرفة الحقيقة وتصرفهُ عن محجَّة الضلال: وعليهِ فانَّنا في مسألة القطعة السريانيَّة المثبتة في العدد السادس (ص ٢٦٧) والوارد فيها ذكر الموارنة فتحنا مجالًا تجري فيهِ اقلام المنتقدين. فنشرنا في ذلك مقالتين حسنتين لحضرة الاب لامنس وللاديب بشارة الشمالي. وهاك اليوم نبذة ثالثة نثبتها هنا فلعلَّ فيها صوابًا (المشرق)

من الحقائق التي « يقرُّ بها كل ذي إلمام بالتاريخ ان صروف الزمان ونوازلهُ غصبت امورًا كثيرة من تواريخ المشرق » (١ فكلُّ من سعى وراء حلّ المشاكل التاريخيَّة الشرقيَّة صارفًا جهدهُ في هتك ما ارخى عليها ليل الغيب من سدول الظلام مشمّرًا عن ساعد الهمَّة ليكشف شيئًا فشيئًا ولو بعض اطراف الحجاب عن يقين الحوادث احرز لنفسهِ ولا ريب الثناء الحسن والشكران الجميل. وعليهِ فمن صميم الفؤاد نقدم فروض التهنئة اولًا لحضرة الاب لامنس ثمَّ للشاب الاديب بشارة الشمالي طالب اللاهوت في كليَّتنا على ما ابديا من الاهتمام والعلم ودقَّة التنقيب في مسألة قيس الماروني وثاوفيل الرهاوي. فكأني بهذه البواكير التاريخية تفتتح الطريق التي اشار اليها حضرة الاب المذكور في نبذةٍ خطيرة نوصي قرَّاءنا الافاضل بمراجعتها في هذه المجلة (١ : ٢٦١) (٢

١) طالع « روح الردود » للحبر العلامة المطران يوسف الدبس ص ١٨١

٢) أُخبرنا ان السيد العلَّامة والحبر الفهامة مار الياس بطرس الحويك الذي ما فتئ منذ ارتقائهِ الى السدَّة البطريركية المارونية يتفانى في اعلاء شان طائفتهِ العزيزة طلب نسخة كاملة من القطع التاريخيَّة المهمَّة التي نشرت منها مجلتنا بعض الاسطر. وقد نُسخت بتمامها وأُرسلت الى المقام

وربَّ مستغربٍ يستغرب عنوان هذه المقالة فيعزونا الى بعض الفضول اذ يظهر لاوَّل طرفة انَّ غرضنا دحض الرأيين بالسواء. فنجيب قائلين بكل سذاجة القلب وخلوص النيَّة ان الادلَّة التي اوردها كلا الفريقين لا نراها وافية بالمقصود. ولمَّا كان لهذا الموضوع اهمية معتبرة لمعرفة تواريخ المشرق احببنا ان نبسط هنا ما خطر ببالنا بعد امعان النظر والبحث الدقيق

١

فلنبتدئ بقيس الماروني المذكور في كتاب التنبيه للمسعودي. نقول: اننا نستصوب رأي الشاب الاديب ب. الشمالي ونوافقهُ على قولهِ عن الفِقَر التاريخية المنسوبة الى قيس الماروني. ولمزيد الايضاح رأينا ان نعود الى المسألة فنعرض البراهين على هيئةٍ جديدةٍ

نقول اولًا: انَّهُ يصعب اثبات فهم المسعودي للغة السريانيَّة فلو عرف هذا الكاتب تلك اللسان لما ضرب صفحًا عن تاريخ ثاوفيل بن توما الماروني الرهاوي الذي استشهد بهِ ابن العبري واعتبرهُ بمنزلة كتابٍ حسنٍ بل مشهورٍ في الانحاء الشرقيَّة كما سترى لاسيما انَّ ثاوفيل المذكور كان «رئيس منجمي المهدي» يدخل على الخلفاء ويخدمهم بعلومهِ. فكيف نسلِّم انَّ المسعودي جهل بهِ وهو يعرف تاريخ قيس الماروني الذي لم نرَ ذكرهُ في كتابٍ من تآليف القدماء وكان دون ثاوفيل شهرة

فبكل صوابٍ اذن نستنتج من قول المسعودي «انَّهُ لم يرَ للمارونيَّة في هذا المعنى كتابًا مؤلفًا غيره» النتائجَ الآتية: «اولًا ان المسعودي قرأ تاريخ قيس في العربيَّة. ثانيًا ان تاريخ ثاوفيل الرهاوي لم يُترجَم الى العربية. وثالثًا ان التاريخ المجهول المؤلف الذي بقيت لنا منهُ بعض الصحف لم يُنقل ايضًا الى العربية وبالتالي انَّهُ لم يقع قط في ايدي المسعودي او اذا وقع في ايديهِ لم يطَّلع على فحواهُ

نقول ثانيًا: لا تصحُّ نسبة المقاطيع السريانيَّة التي نحن بصددها الى قيس الماروني

البطريركي لتوضع في المكتبة الكبيرة فتكون شاهدًا جديدًا على عناية رؤساء الموارنة الاعظمين وبرهانًا قاطعًا على تنزُّه ملَّتهم الجليلة عن اضاليل اليعاقبة. فيا ليتنا نرى مواطنينا من الطوائف الشرقية على اختلافها يقتفون هذه المعالم الحسنة فيجمعون مثل هذه الآثار (وهي دون ريب كثيرة في مكاتب البلاد) ويرسلوها او يرسلوا نسخها الى مكتبة بطريركيَّاتهم العمومية حيث يراجعها بسهولة كل من تفرَّغ للدروس التاريخية الشرقية لاسيما للابحاث المتعلقة بملتهِ الخصوصية. وفي ذلك كما لا يخفى خدمة حقيقية للديانة والعلم والوطن



الّا بشرط ان يكون فيها ما يُستدلُّ بهِ على خلافة المكتفي الذي بويع لهُ سنة ٢٨٩هـ (٩٠٢م) او انّنا نجد في هذه القطع التي لم تمسَّها يد الضياع ما نتحقّق بهِ صحّة قول المسعودي في ان قيس انتهى الى زمن هذا الخليفة

لكن اين البرهان او الدلالة على ذلك اذ لا يتجاوز مضمون تلك الصُحُف ايّام معاوية الذي توفي سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) وليس فيها ادنى دليل على ان التأليف الاصلي التامّ كان يشمل كلّ اخبار بني أُميّة او قسماً من تواريخ العبّاسيين

وزد عليهِ انّ الصحُف الباقية ليست من المجلد الاصلي بل هي نسخة غير مُتقَنة نقلها النسّاخ فشوّهوها ببعض الاغلاط. فان كان على رأي رَيت (ولهُ في معرفة الخطوط السريانيّة اليد الطولى) لا يجوز نسبة خط القطَع المذكورة الى ما وراء القرن التاسع فليس لنا ان نعيّن تاريخ السنة التي بها وُضع التأليف الاصلي. كما انّهُ لا يسوغ القول بان التاريخ الموما اليهِ كان يمتدُّ وجوبًا حتى مطلع القرن العاشر

فمن ثمَّ نقول بالاجمال ان نسبة الصحائف السريانيّة المجهول صاحبها لا يمكن ان تُعزى الى قيس الماروني الّا بعد حلّ مشاكل قويّة

على أنّنا لا نجهل أنّ الاب لامنس لم يقصد من تدوين رأيهِ الّا ايراد حَدْسٍ فجلُّ ما توخّاهُ من مقالتهِ المفيدة استلفات الافكار الى تلك البقايا التاريخية الجديرة باعتبار كل مواطنينا من الشرقيين

٢

ولنبحث الآن عن ثاوفيل الرهاوي. قد ورد في تاريخ مختصر الدول لغريغوريوس ابن العبري (طبعة الاب صالحاني ٢١٩ — ٢٢٠) وفي تاريخهِ السرياني الذي عنوانهُ: ܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ (طبعة باريس ص ١٢٧) انّ ذلك المؤلف الشهير توفّي قبل المهدي بعشرين يومًا اي في بعض اشهر سنة ١٦٩ هـ (٧٨٥ م). فان كان شيء من الصحة في ما ارتآهُ العلاّمة رَيت بقولهِ: «ان القطع التي نبحث عنها يمكن ان تنسب الى كاتب من كتَبة القرن الثامن» فمن المحتمل ان التاريخ المفقود قد وضعتهُ يد ثاوفيل بن توما الماروني

وممّا يزيد هذا الرأي رجحانًا ما ورد في نفس الموضع المذكور من تاريخ ابن العبري السرياني اذ يقول فيهِ ما حرفهُ (ص ١٢٦ — ١٢٧):

ܒܗܢܐ ܙܒܢܐ ܡܫܬܡܗ ܗܘܐ ܬܐܘܦܝܠܐ ܒܪ ܬܐܘܡܐ ܐܘܪܗܝܐ : ܟܠܕܝܐ ܐܣܛܪܘܢܘܡܝܐ ܡܗܝܪܐ : ܕܢܩܝܦ ܠܡܘܪܣܝܣ (١ ܕܡܪܘܢܝܐ . ܘܐܝܬ ܠܗ ܟܬܒܐ ܕܡܟܬܒ ܙܒܢܐ ܫܦܝܪܐ ܒܣܘܪܝܝܐܝܬ : ܘܐܦܢ ܡܨܥܪ ܠܗ ܘܡܨܚܐ ܠܬܪܝܨܘܬ ܫܘܒܚܐ (ص١٢٦–١٢٧)

« وفي هذا الزمان (اي زمن المهدي) اشتهر ثاوفيل بن توما الرهاوي المنجّم الماهر الذي كان يتبع مذهب الموارنة. ولهُ في التواريخ كتابٌ بالسريانيَّة وهو تأليف جليل وان طعن فيهِ على مستقيمي الايمان وقرَّفهم (يعني اليعاقبة) »

فكأنَّ بين القطع التاريخية التي نشرها العلامة نُلدك والدلائل الواردة في تاريخ ابن العبري اتفاقاً ذا شان بل مطابقة تامة توجب على كل ذي عقـل ان ينسب تلك القطع الى ثاوفيل دون تردُّد ولا شكّ

على ان ذلك الاحتمال الظاهر الذي بدا لنا لاوّل وهلة وقبل قراءتنا للمعة الشاب الاديب بشاره الشمالي زال عن خاطرنا بعد ان بحثنا عن المسألة باطالة التنقيب. لا بل تحقّقنا انَّ في القليل النَّزر الذي ورد في كتب ابن العبري عن سيرة ثاوفيـل الرهاوي وآدابهِ دلائل وضعيَّة واضحة تفنِّد الراي الثاني وتنفي عنـهُ الترجيح اشدَّ من الراي الاوَّل

فنقول اولًا : لسنا نعرف بالتفصيل مضمون كتاب ثاوفيل في التاريخ(٢. واماَّ كونهُ خطَّأَ اليعاقبة وزيَّف طريقتهم الدينيَّة ليس ذلك دليلًا قاطعاً على ان تاريخهُ كان يمتد الى ايام معاوية لأَنهُ امكن ثاوفيل ان يذكر اليعاقبة ويردَّ على آرائهم الفاسدة في بعض فصول تاريخهِ عند ذكرهِ مثلًا اخبار المجمع الخلقيدوني او سيرة يعقوب البرادعي الذي يُنسب اليهِ اليعاقبة. بل يُحتمل ايضاً انهُ ناقض النحلة اليعقوبيَّة في مقدَّمة كتابهِ. ولعلَّهُ ألَّف قسماً من كتابهِ لبيان صحَّة مذهب امَّتهِ وفساد اقوال اليعاقبة مستنداً الى آيات الاسفار المقدَّسة ونصوص الآباء. فكيف اذن يستنتج العاقل بعد كل ذلك انَّ القطع التي نحن بصددها من وَضع ثاوفيل لأَنهُ جاء فيها ذكر معاوية وجدال الموارنة واليعاقبة. فانَّ النتيجة لا تلزم

واذا سلّمنا بان تاريخ ثاوفيل ذكر اليعاقبة والموارنة في ايَّام معاوية أَفينتج عن ذلك انهُ هو صاحب القطع السريانيَّة المجهول. لا لعمري بل امكن كاتبين ان يرويا الاخبار

١) لا ينسَ القراء انَّ ابن العبري كان يعقوبياً فينمت لذلك مذهب الموارنة بالهرطقة

٢) ولعلَّهُ اعتنى خصوصاً بتعيين السنين ومقابلة تقاويم التواريخ ولا عجب من ذلك اذ كان رئيس منجمي المهدي

عينها بتفاصيل مختلفة. وما ادرانا ايضاً ان مؤلف القطع الباقية لم يلخّص تاريخ ثاوفيل او يتصرَّف فيهِ او ينقلهُ بحرفهِ لاسيا في ما يختصّ بطائفتهِ الى غير ذلك من الاحداس التي لا سند لها فيمكن اثباتها او نفيها طالما نُخرَم برهاناً قطعياً يزيل عنّا كلّ شبهة في الامر

وعلى كلٍّ فالراي السديد لا بُدَّ لهُ من اساس متين. والحال ان القليل الذي حصلنا على معرفتهِ من مضمون تاريخ ثاوفيل ليس من شأنهِ ان يقطع بصحّة قول الكاتب الاديب بشارة الشمالي. فاذاً . . .

نقول ثانياً: لا يُعلم بالتدقيق مسقط رأس ثاوفيل المارونيّ. على ان في تلقيبهِ بالرهاوي دلالةً صريحة لا يجوز الضرب عنها. فان لم يولد في الرهاء فالظاهر انهُ سكن هذه المدينة مدةً معتبرةً من حياتهِ. وان زدت على ذلك انهُ قد صار وهو مارونيٌّ رئيسَ منجمي المهدي ببغداد لا بُدَّ لك من الاستنتاج انهُ قضى معظم حياتهِ خارجاً عن اقطار فلسطين ولبنان اي في انحاء الجزيرة والعراق. فان ثبت ذلك ولا اظنّ احداً يرفض التسليم بهِ فكيف يجوز لك ارشدك الله ان تنسب تلك القطع الى ثاوفيل الرهاوي اذ هي مملوءة من التفاصيل التي تدلُّ دلالةً واضحة على ان مؤلفها كان من جملة اهالي بلاد فلسطين لا من انحاء ما بين النهرين. ولا حاجة الى الاطالة في هذا الموضوع لان كل من يطالع الصحف التي نحن بصددها يرى المصنف يتوسّع في ايراد اخبار فلسطين لاسيا في ذكر الزلازل التي أخربت كنائس اريحة وعدّة اديرة مشهورة من الاديرة المجاورة لاورشليم. فاذا كان (على قول المحرر الاديب نفسهِ): « التدقيق في ذكر الاضرار التي تحدث في بلدٍ دأب الرواة المعاصرين للحوادث التي يوردونها او القاربين لها » فكم بالحري يجب القول بان المؤلف كان من قطّان ذلك البلد اي من ناحية من نواحي فلسطين (١

ومما يؤيّد صحّة قولنا كثرة ما وقع في كتابتهِ للالفاظ السريانيّة من النقط الزائدة لاسيا في الدلالة على الجمع. وهذه الزيادة على ما اثبتهُ العلاَّمة نُلدك منذ امدٍ بعيد

١) راجع ايضاً ما اخبرهُ عن معاوية بعد ان بايعهُ العرب في القدس الشريف (ZDMG 1875, p. 90) فترى من هذه الامثلة ان الكاتب مولع بذكر احوال وطنهِ والتفاصيل الدقيقة المتعلّقة ببلادِ فلسطين والاماكن المقدسة




(ZDMG, XXII, 453) دأب الكتبة من نصارى فلسطين. مثال ذلك [illegible] و [illegible] الى غيرهما من الاسماء والافعال التي لا تقبل نقط الجمع في السريانيَّة الفصيحة. ولا ننكر ان هذه الزيادة او هذه الاغلاط قد اتى بعضها من غفلة الناسخ. على ان ذلك لا ينفي قولنا ان الكتاب الاصلي هو من قلم احد سكان فلسطين لا من مؤلفات اهل الرهاء او بغداد. لاسيما وان ثاوفيل الرهاوي الماروني قد اشتهر بمعرفة اللغة السريانيَّة الفصيحة فضلًا عن معرفتهِ لليونانيَّة. ثمَّ اننا لا نجد في هذه القطع القلائل شاهدًا بيّنًا على فصاحة كاتبها وبلاغتهِ. فكيف يسوغ لنا ان ننسبها الى بعض ائمَّة السريانيَّة كثاوفيل الذي وحدهُ بين الكتَّاب السريان تجاسر و« نقل كتابَي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانيَّة الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة » (مختصر الدول ص ٢٢٠) (١

وممَّا يجدر بالملاحظة انَّ العلامة نُلدِك الذي لهُ طول الباع في آداب السريان يرتأي ان المؤلف المفقود اسمهُ مع معظم تاريخهِ كان راهبًا او ناسكًا. ولا يخلو هذا القول من بعض الصحَّة لكثرة ما ورد في القطع من اسماء الاديرة والمناسك. فشتَّان بين مثل هذا الرجل وثاوفيل الرهاوي منجّم الخلفاء.

ونقول ثالثًا واخيرًا: ان المحرر الفاضل قد اعتمد على البرهان الآتي في توطيد رأيهِ. قال: « ويزيد في ترجيح هذا المقال ما جاء في هذه الفقرات من التدقيق في ذكر الاضرار التي حدثت عن زلزلتين جرتا في ايام معاوية وهو (اي المؤلف) يعيّن حتى ساعة حدوثهما وغير ذلك من التفاصيل دأب الرواة المعاصرين للحوادث التي يوردونها

١) قد نسب بعض العلماء الى ثاوفيل اختراع الحركات الشائعة لدى السريان الغربيين وهذا زعم غير مبنيّ على سند ولا شهادة واضحة كما بيَّن ذلك الطيّب الذكر المطران يوسف داود في مقدَّمة كتابهِ اللمعة الشهيَّة اماَّ العلاَّمة الكردينال وَيزمان فقد اشار في تأليف لهُ (Horæ Syriacæ, 181 - 8) ان الارجح في هذه المسألة ان يعقوب الرهاوي الكاتب المشهور والنحوي الطائر الصيت المتوفَّى سنة ٧٠٨ هو الذي استخرج تلك الحركات من حروف اليونان (راجع ايضًا كتاب رَيت في آداب السريان (Syriac Literature p. 152, 164) وتآليف العلاَّمة دوقال (La Littérature Syriaque, Paris 1899, p. 384, 325, 262, 214) وعلى كل حال فممَّا لا مرية فيهِ ان ثاوفيل يُحسب من ابلغ كتبة السريان الغربيين. غير انهُ لم يتصل الينا من تصانيفهِ الاَّ النزر القليل (راجع المشرق ١ : ١٠٠٧)

او المقاربين لها » اه بحرفهِ الواحد. على ان هذا البرهان وَهِن لا يفي بالمرام. فانهُ ليس فقط المؤرخون المعاصرون للحوادث او المقاربون لها الذين يأتون بتفاصيل اخبار بلادهم وذكر الدقائق التاريخية بل ايضاً الذين يسطّرون ما جرى بعدهم بزمن مديد. واليك برهاناً واحداً يكفي لتفنيد زعم صاحب النبذة وقد اخذناهُ عن تاريخ كاتبٍ يعقوبي مجهول اسمهُ من سكان حرَّان او الرهاء. وتاريخهُ يمتدُّ الى سنة ٨٤٦ للمسيح(١ وانّما فضَّلنا ادراج هذه الفِقَر على سواها لعظيم اهمّيّتها في تواريخ المشرق ولأنهـا على مثال الاسطر التي نشرها حضرة الاب لامنس شاهدٌ جديدٌ جليّ على سوء وَهم الذين يخلطون طائفة الموارنة باشياع يعقوب الهرطوقي قال المؤلف :

ܘܒܬܪ ܕܐܡܠܟ [ܐܦܣܝܡܪܘܣ] ܫ̈ܢܝܐ ܓ ܗܦܟ
ܝܘܣܛܝܢܝܐܢܘܣ ܡܢ ܓܠܘܬܐ ܥܡ ܚܝܠܐ ܣܓܝܐܐ ܘܩܛܠ
ܠܟܠܗܘܢ ܪ̈ܘܪܒܢܐ ܕܪ̈ܘܡܝܐ. ܘܩܡܘ ܥܠܘܗܝ
ܘܩܛܠܘܗܝ ܘܠܛܝܒܪܝܘܣ ܒܪܗ. ܘܐܡܠܟܘ
ܠܦܝܠܝܦܝܩܘܣ ܚܕܐ [ܫܢܬܐ] ܘܦܠܓܗ. ܘܡܛܠ
ܕܒܥܐ ܕܢܟܢܫ ܣܘܢܗܕܘܣ ܘܢܩܝܡ
ܠܗܪܣܝܣ ܕܡܪ̈ܘܢܝܐ ܩܡܘ ܥܠܘܗܝ ܪ̈ܘܡܝܐ
ܘܥܘܪܘ ܥܝ̈ܢܘܗܝ ܘܐܡܠܟܘ ܠܐܢܣܛܣ. ܘܟܕ
ܐܡܠܟ ܫ̈ܢܝܐ ܓ ܚܒܠܘܗܝ ܘܐܡܠܟܘ
ܠܬܐܘܕܘܣܝܘܣ. ܘܒܬܪ ܫ̈ܢܝܐ ܒ ܥܒܪܘܗ
ܘܐܡܠܟܘ ܥܠܝܗܘܢ ܠܠܐܘܢ.
ܩܕܡ ܕܝܢ ܗܠܝܢ ܒܝ̈ܘܡܝ ܝܘܣܛܝܢܝܐܢܘܣ
ܘܩܘܣܛܢܛܝܢܘܣ ܗܘ ܕܒܝܘܡܘܗܝ ܗܘܬ ܗܪܣܝܣ

« وبعد ان ملك افيمـاروس (٢ ثلاث سنين رجع يستنيانس من الجلاء في عسكر عظيم وقتل جميع امراء الروم. فقاموا عليهِ وقتـلوهُ وابنَهُ طيباريوس. وملّـكوا عليهم فيليپيقوس سنة واحدة ونصفاً (٣ ولانَّ هذا اراد ان يؤلف مجمعاً ليُقيم هرطقة الموارنة (٤ قام عليهِ الروم وفقأوا عينيهِ وملّـكوا عليهم انسطاس. فلمَّا ملك ثلاث سنـين (٥ خلعوهُ وملّـكوا لثاودوسيوس(٦. وبعد سنتين عزلوهُ وملّـكوا عليهم لاون(٧

واما قبـل ذلك ففي ايَّام يستنيـانس وقسطنطينوس (٨ التي فيها قامت هرطقة الموارنة

١) راجع نصهُ الكامل في المجلة الاسيوية الالمانية (ZMDG, 1897, p. 269) ففيها نُشِر لاول مرَّة بعناية مستر بروكس (E. W. Brooks).

٢) يريد بهِ طيباريوس الثالث ملك الروم الملقَّب اپسماروس. والصواب انهُ ملك سبع سنين من ٦٩٨ الى ٧٠٥. وفي هذه السنة الاخيرة رجع يستنيانس الثاني الملقَّب بالاخرم وقد نفي بعد ان جُدع انفهُ سنة ٦٩٥

٣) ملك من سنة ٧١١ التي بها قُتِل يستنيانس الاخرم وابنهُ الى اوائل سنة ٧١٣

٤) لا تنسَ ان الكاتب يعقوبي. ولعلهُ اراد بكلمـة ܕܢܩܝܡ « يؤيد او يُحيي » كما هو ظاهر من الاسطر التالية

٥) يعني من سنة ٧١٣ الى سنة ٧١٦. وهو انستاس الثاني ٦) اي الثالث

٧) وهو لاون الثالث الملقَّب الايزوري (٧١٧ — ٧٤١)

٨) وهو قسطنطينوس الثالث المعروف باللحياني (٦٦٨ — ٦٨٥) وخلفه يستنيانس الاخرم

ܕܡܬܪܘܝܐ ܒܫܢܬ ܨܨ ܒܢܝܣܢ ܒܠ ܒܗ :
ܝܘܡ ܕܚܕ ܒܫܒܐ ܕܚܫ̈ܐ ܒܬܠܬ ܫ̈ܥܝܢ : ܗܘܐ
ܙܘܥܐ ܪܒܐ . ܘܒܗ ܢܦܠܬ ܒܛܢܢ ܕܣܪܘܓ .
ܘܥܕܬܐ ܥܬܝܩܬܐ ܕܐܘܪܗܝ . ܘܡܝܬܘ ܥܡܐ
ܣܓܝܐܐ

(على زعمهِ) في سنة ٩٩٠ (١ في الثلاثين من شهر نيسان (٢ في يوم الاحد للآلام في الساعة الثالثة حدث زلزال عظيم خربت في اثنائهِ بطنة سروج وكنيسة الرهاء القديمة ومات جم غفير من الناس »

فمن هذا النصّ يظهر ظهور الشمس انَّ كاتبًا عاش في القرن التاسع (او اوائل العاشر لان تاريخ الفراغ من التأليف ليس بمرسوم في ذيل الكتاب) عيَّن حتى ساعة حدوث زلزلة وقعت بوطنهِ في مطاوي القرن السابع اي قبل ايَّام الكاتب بمدَّة قرنين او اكثر

فاذًا جلُّ ما يُستنتَج من مثل هذه المظاهر الكتابيَّة انَّما هو انَّ المؤرخين عادةً يطلقون العنان لاقلامهم كلَّما اقبلوا على إخبار حوادث بلادهم الخصوصية. ولا غروَ فانَّ ذلك امرٌ طبيعيٌ مؤَسس على حبِّ الوطن لاسيا في قلوب كتَبة السريان لاسباب غير خافية. وهم في بعض الاحيان يقتطفون تفاصيل رواياتهم عن كتب سلفائهم من الرواة غير مبالين بذكر المصادر التي رووا عنها ولا مكترثين لقواعد التنقيب عند ادراج اوهام الاقدمين في مجموعاتهم او ملخَّصاتهم. مثال ذلك ما اشرنا اليهِ من الاغلاط في الاسطر التي اوردناها قُبيل ذلك وكذا قل عن الصحف التي أُريد نسبتها الى قيس او ثاوفيل وقد اتى فيها اغلاط تاريخيَّة طفيفة ذكرها العلاَّمة نُلدك في مقدمتهِ للنص السرياني. وهذا لعمر الحق برهان جديد على انَّ مؤلف تلك الصحُف لا يمكن ان يكون ثاوفيل المنجم الذي اتقن تعيين تواريخ السنين كما هو بيّن من كلام ابن العبري واستشهادهِ بتاريخهِ اكثر من مرَّةٍ

وفي الختام نكرِّر لِمن سبقنا الى هذا البحث التاريخي عبارات التهنئة الخالصة والشكران الحسن

وان سأَلنا احدٌ قائلًا: فمن يا ترى مؤلف تلك القطع المهمة قلنا لهُ « لا قيس ولا ثاوفيل» وهذا حسبنا وليس في الاقرار بعدم المعرفة عيب وملامة. والحقُّ يقال ان الآثار

١) اي من تاريخ الاسكندر وهي سنة ٦٧٨ – ٦٧٩ للمسيح

٢) والصواب « الثالث من النيسان » كما ورد في تاريخ ديونيسيوس التلمحري (راجع كتابهُ في طبعة الاب شابو حيث تُقرأ نفس هذه الكلمات في وصف الزلزلة. وراجع ايضًا المشرق ٣ : ٣٧٨)

التي بحثنا عن مؤلفها قليلة جدًّا فلا تكفي لاثبات رأي من الآراء. ولعلّنا سنجد شيئًا من المساعدة لحلّ هذا المشكل في تأليف الخوري المستشرق نو (Nau) الذي عنوانهُ: *Les Œuvres de Jean Maron*, etc., *Leroux*, Paris وهو تحت الطبع كما اثبتهُ المؤلف نفسهُ في العدد الاخير من المجلّة الاسيويّة الباريسية (J. A. 1899, *p*.50) وقال ايضًا: «انهُ باشر بنشر جميع القطع التاريخيّة السريانيّة التي لم يطبع منها العلامة نلدك الّا الثلاثة الاخيرة وجملتها ١٥ صحيفة». ومن المنتظر ايضًا ان يكون لهذا الكتاب اهميّة كبيرة في مسألة اصل الأمة المارونيّة واوّل احوالها

ذيل

ولسنا نختم هذه المقالة دون ان نقترح على الكاتب الفاضل سؤالًا نطلب منهُ الجواب عنهُ وهو لا يخلو من بعض الاهميّة كما سترى. فنقول: كيف يجوز القول (دون زيادة ولا تفسير) «انّ الموارنة كانوا يُعرَفون باصحاب مارون قبل البطريرك يوحنا مارون» وقد ورد في سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للعلامة البطريرك اسطفان الدويهي (راجع المشرق ١ : ٣٥١) انّ الموارنة «من يوحنا مارون تسمّوا موارنة» وكذلك باجلى عبارة واوضح دليل في تاريخ الطائفة المارونية (ص ٩٥ وحاشية ٢) وفي المكتبة الشرقيّة للسمعاني (الجزء الاوّل ص ٥٠٧) أفيليق بنا ان ننسب الى الوهم او الجهل ما ارتآهُ مَن احرز في تواريخ الامة المارونيّة قصب السبق والسهم المعلّى

وممّا لا يُبقي ادنى ريب في صحّة قول العلّامة الدويهي ما ورد في كتاب التنبيه للمسعودي (في عين الموضع الذي تكلّم فيه عن قيس الماروني) اذ يقول فيهِ مثل قول الدويهي فيضيف ما نصّهُ: «واليهِ تنسب المارونية من النصارى الى هذا الوقت المؤرخ بهِ كتابنا وامرهم مشهور بالشام وغيرها الخ»... ولا يخفى ان المسعودي دوّن هذه الاسطر في النصف الاوّل من القرن العاشر. ولسنا نقول انهُ استوعب البحث عن اخبار الأمّة المارونية ولكن يا ترى هل تحسب هذا الاتفاق التامّ من الامور العرضية ؟

ولا نظنّ ان البرهان الذي اتبعهُ الكاتب الاديب لتأييد زعمهِ كافٍ لدحض رأي الدويهي. فانهُ على افتراض ان مؤلف القطع التي نحن بصددها هو ثاوفيل لا بد ان تكون تسمية الموارنة الواردة فيها قد كُتبت بعد رسامة البطريرك مار يوحنا مارون بنحو نصف قرن لانّهُ من المقرّر انّ ارتقاءهُ الى كرسي البطريركية وقع سنة ٦٨٥ وان ثاوفيل توفّي في بعض اشهر سنة ٧٨٥. ففي هذه المدة الطويلة كفاية ظاهرة لاتخاذ امّة الموارنة اسم بطريركهم كما اثبتهُ الدويهي في المواضع المذكورة آنفًا. ويجوز القول ايضًا انّ صاحب القطع المنوَّه بها سبق فدعا الموارنة بهذا الاسم سلفًا وهكذا فعل ايضًا المؤرخ اليعقوبي الذي نقلنا عنهُ في الصفحات السابقة (١

١) وكذلك لم يُلقَّب معاوية خليفةً في مقالة حضرة الاب لامنس (ص ٢٦٦) الّا بقطع النظر عن تاريخ مبايعته

فمن زعم مثل هذا الزعم تجاوز حدَّ القياس الشرعي لسبب استخراجهِ نتيجة اعظم من مضمون المقدَّمات . فكان الاحرى بالكاتب الاديب ان يبرهن رأيهُ ببراهين اخرى اقوى او ان يأتي على توطيدهِ ببعض التفسير فيفرز مثلًا بين الرهبان الاقدمين المنتمين الى دير مار مارون الناسك وبين القوم الذين اتخذوا لانفسهم تسمية الموارنة في كرور الايام . الَّا ان المسألة ليست بجليَّة والبحث عنها يقتضي لا تسويد بعض الاسطر بل التعمُّق في درس التواريخ وتدوين المقالات الطوال كما فعل العلَّامة الدويهي

وعلى كل حال فلا نرى حاجة الى الاعراض عن راي هذا المؤرخ الشهير . وهذا اقرب الى الصواب وانفى للشبهات

السوسن

للاب بولس ماترن اليسوعي

المراد بالسُّوسن ما يدعوهُ اهل الشام بالزَّنبق وهو نبات شاع في هذه البلاد فسقطت محاسنهُ في عيون اهلها جريًا على قول المثل انَّ الشيء اذا كثر ذلَّ

وما احقَّ هذا الزهر بان يُعلى مقامهُ ويُرفع شأنهُ وهو سيّد المُلك النباتي كما وصفهُ العلَّامة الشهير لينَّاي (Linné) . ولعمري انَّ للسوسن خواصَّ توَّهلهُ بهذا الوصف ألا تراهُ كيف يميس فوق ساقهِ وينتصب متبخطرًا تُحدق بهِ اوراق شديدة الخضرة ناعمة حسنة الشكل وتكلّلهُ زهرةٌ ساطعة البياض على هيئة كأس تخرجُ من وسطهِ سهامٌ ذهبيَّة صفراء . امَّا رائحتهُ فانَّها تعطِّر الارجاء بطيب شذاها . فهذه الصفات التي حملت كثيرًا من ارباب الفلاحة واهل البساتين على ان يهتمُّوا بزراعة السوسن ويجعلوا لهُ الرتبة الاولى في مصافّ الزهور . فصار الآن ينمو زاهيًا في اكثر البلاد بعد ان كان منحصرًا في بعضها

ومن عجيب امر السوسن انهُ كان معدودًا منذ بضعة سنين بين زهور البساتين فقط ولم يعرف النباتيُّون انَّهُ من الاعشاب البرّيَّة التي تنبت طوعًا في الجبال . ومن نتائج وَهمهم هذا انَّهم اعتدُّوا السوسن المذكور في الكتب المقدَّسة وفي كتب الاقدمين غير السوسن الابيض

على انَّ المحدثين من اهل البحث تثبَّتوا الامر في هذه السنين الاخيرة فتحقَّقوا

غلطهم بعد ان وجدوا في جبال لبنان شيئًا كثيرًا من زنابق الحقل نامية من تلقاء ذاتها (١

ولمَّا كان شهر ايار هو شهر السوسن أحببنـــا ان نخوض في هذا الموضوع فنذكر بالايجاز شيئًا عن امر السوسن وخواصّهِ وتاريخهِ ومنافعهِ فيزيد اعتبار اهل بلادنا لهذه الزهرة الجميلة ويقفوا على خواصّها

١ اسم السُّوسن وانواعهُ

السُّوسن ويقال سَوسَن وسُوسان لفظة معرَّبة عن السريانيَّـــة ܫܘܫܢܐ وهي ايضًا مشتقَّة من العبرانيَّة שׁוֹשַׁן واعلَّ هذه نُقلت من لغات اخرى سابقة. فانك تجد في اللغات الهنديَّة والمصريَّة والفينيقيَّة ألفاظًا تشبهُ الكلمة العبرانيَّة لفظًا ومعنًى. والمراد بالسوسن اجمالًا نباتٌ ذو رائحة طيّبة. ثمَّ أُطلق على انواع معروفة من النبات

وقد جاء في مفردات ابن البيطار وصفٌ للسوسن يُشعر بانَّ هـــذا الاسم عمَّ فصائل كثيرة من النبات من جملتها السوسن الابيض الذي نحن بصـــددهِ. قال ابن البيطار: « ونسمّيهِ السوسن الازاد ». والبعض يدعون بالسوسن ما يسمّيهِ الفرنج إيريس (iris) وهو نبات ذو زهر اسمانجونيّ اللون امَّا السوسن الابيض فيسمُّونهُ الزنبق تعريب « زَنبه » الفارسيَّة. غير انَّ الزَّنبق دلالتهُ في اللغة على دهن الياسمين (راجع اللسان)

والسوسن الابيض نفسهُ متنوّع. يختلف بطول ساقهِ وعرض ورقهِ وصورة زهرهِ. امَّا نحن فنحصر كلامنا هنا على سوسن الجبال المعروف في هذه البلاد

٢ وصف السوسن الابيض

اصل السوسن بصلةٌ حرشفيَّة يخرج منها في اسفلها عدَّة اوراق عريضة غمديَّة الشكل وينبت من وسطها ساقٌ او اكثر يبلغ طولها من متر الى مترين وفي اعلاها زهرة او زهرات مسدَّسة التقاطيع متساوية الاوراق تبتـــدئ بانبوبٍ ثمَّ تنفتح على شكل الاجراس وهي تنحسر عن عدَّة اقلام رفيعة منضمَّة الى بعضها ذات غلافين أصفرَين

---

١) راجع النسخة الاخيرة من كتاب النبات الشرقيّ لبواسيار Boissier : *Flora Orientalis* وكتاب نبات سوريَّة وفلسطين وطور سينا للدكتور پوست Post : *Flora of Syria, Palestine and Sinai* ومقالتين حسنتين للابوين اليسوعيَّين جوليان وفونك P. M. Jullien : *Egypte, Souvenirs bibliques* ; Fonck : *Die biblische Lilie*

عليهما زِئبر ناعمٌ هو مادَّتهُ الملقِّحة وبين الاقلام قضيب مثلَّث الرأس يتكوَّن فيهِ البزر وتنتشر من الزهرة ريح عطرة تملاء الخياشيم بارَجها

٣ موطن السوسن

قد مرَّ انَّ النباتيين وَهموا في تعريف موطن السوسن فظنُّوا انَّهُ لا يأتي في ما سوى الجنائن مزروعاً بيد الزرَّاعين. وما لا شبهة فيهِ انَّ السوسن البرّيّ كثير في انحاء سوريَّة لاسيَّما في لبنان. فانَّنا قد رأينا مرارًا اهل كسروان يجنون منهُ طاقاتٍ ليزيِّنوا بهِ مذابح كنائسهم. وهو ينبت عادة في الجبال الوعرة او في صدوع الصخور العالية الصعبة المُرتقى محدقاً بضروب النبات الشائك الذي يحدق بهِ كسياج يصونهُ من ايدي المجتنين. وهو كثير في التلال المشرفة على قرى غزير ودلبتا وشننعير لا سيَّما في مشارف سيّدة الحقلة. فعندما تنقشع سُحب الشتاء في اوائل الربيع وتحمى التربة ترى الورق ينبت من بصال الزنبق ثمَّ تخرج من وسطها ساقٌ لا تزال تعلو وتسمق بوقت سريع حتى تبلغ في نيسان ذراعين او ثلاث اذرع. ويتفتَّح زهرها في اواخر هذا الشهر وفي اثناء ايَّار الَّا انَّ كلَّ زهرة لا تدوم سوى ثمانية ايَّام فتراها تذبل وتذوي بعد ذلك وتنشف. وقد احصينا في رأس ساق واحدة فوق العشر زهرات كلها تروع النظر وتسبي القلب

ولا يختلف سوسن لبنان البرّي عن سوسن الحدائق الاوربيَّة الَّا بصغر ورقهِ وبطول مدَّة زهورهِ لانَّ زهورهُ تتوالى في طبقات الجبل مدَّة نحو ثلاثة اشهر. وعبيرهُ ازكى من عبير السوسن الاهليّ

وينبت ايضاً السوسن في الوهاد والوديان في مواضع كثيرة من مقاطعة كسروان ويسمَّى الوادي الذي فيهِ مدرسة عين ورقة وادي الزنبق لكثرة نموّهِ هنالك. ومن المواضع التي يكثر فيها السوسن جبل موسى شمالي شرقيّ غزير بين وادي الذهب ووادي ابراهيم فترى في منعطفهِ حقولًا كأنها زُرعت بالزنابق تعمُّدًا وطولها اربعون مترًا في مثلها عرضاً. وقد زرنا هذه الحقول فاخذنا العجب من بهائها الغريب. ويزهو ايضاً السوسن نامياً في جهات يحشوش وجهات فيطرون وبلاد جبيل خصوصاً بين صخور قرية فغال

واذا توقَّلت الجبل صاعداً الى الصنّين وجدت السوسن عند ضيعتي مزرعة كفردبيان

ودارَيا. وكذلك في جبل ريحان المشرف على صيداء. ولعلَّ اسمهُ مشتقٌّ من رائحة زنبقهِ الفائحة. واذا تقدَّمت الى جهات صرفد عند نهر الزهرانيّ لقيتَ منهُ كميَّة وافرة. وقد اخبرنا الثقة من المُرسلين انَّهم وجدوا السوسن الابيض في وادي العزّيَّة في جنوبي شرقي صور وفي بلاد البشارة يُحمل منهُ حمول لطواف القربان الاقدس ولزينة الهياكل. ولا يخلو منهُ جبل الكرمل وجبال الجليل والسامرة (١ كما روى كثيرون من السيَّاح. على انَّ السوسن في فلسطين اقلّ منهُ في لبنان ولعلَّ آثارهُ ستفنى قريبًا من فلسطين لانَّ الاهلين يقتلعون زهورهُ مع اصولها فلا تعود تنمو ثانيةً

٤ تاريخ السوسن

للسوسن تاريخ جليل يفرزهُ عمَّا سواهُ من الزهور. فانَّ صورتَهُ الجميلة وانتصاب ساقهِ فوق الحضيض وبياضهُ اليَقَق جعلتهُ معشوقًا لدى الناس وكان الوثنيُّون يقرّبونهُ الى آلهتهم تديُّنًا ويزعمون انَّهُ تكوَّن من حليب إلهة. امَّا النصارى فقد اتَّخذوهُ رمزًا عن العفَّة وطهارة القلب. وبهِ تسمَّت سوسنَّة العفيفة المذكورة في سفر دانيال. وكان اهل الحِرَف في سالف الزمان يرسمون شكلهُ في اصطناع الحليّ. وقد ذُكر السوسن بين مصاغات يهوديت لمَّا خرجت الى هولوفرن (يه ١٠: ٣)

وكان اصحاب الهندسة يستعملون نقوشًا على هيئة السوسن كما ورد ذكر ذلك مرارًا في الكتاب المقدس لاسيما في وصف هيكل اورشليم (٢. ومن اعمال سليمان انَّهُ زيَّن اروُس عواميد الهيكل باشكال سوسنيَّة (٣ ملوك ٧: ١٩) وصنع بحر النحاس على مثال زهر السوسن (٧: ٢٦). وقد اتَّخذ بنو حشمناي السوسن كشعار لهم فرسموهُ في مسكوكاتهم (٣. امَّا الملوك فعمدوا الى السوسن وزيَّنوا بصورتهِ ثيابهم وصوالجهم وتيجانهم (٤. وفي القرون المتوسّطة قد اختصَّهُ ملوك فرنسة فجعلوا زهرة السوسن المثلَّثة كعلاماتهم الخاصَّة رسموها في كلّ آنيتهم وبنودهم واملاكهم بل انشأُوا جمعيَّات فخريَّة

١) راجع اسفار السيّد مسلين Mislin : *Les Saints-Lieux, ch. XIX* وستراند Strand: *Flora Palæstinæ* ولنش Lynch : *Exped. to Jordan*, p. 286 وتُمسُن Thomson : *The Land aud the* Book I, 334 الخ

٢) راجع سفر الخروج ٢٥: ٣١–٣٤ و ٣٨: ١٧–٢٠

٣) راجع مسكوكات العبرانيين لدي سولسي De Saulcy

٤) راجع ديوسكوريدس وشعر مرسيال Dioscorides III, 16 ; Martial VIII, 28

ورهبانيّات وسموها باسم السوسن (L'Ordre du Lys : l'Ordre de N-D. du Lys) . وما يزيد السوسن فخرًا انَّ الله عزَّ وجلَّ في الاسفار المقدسة ذكرهُ مرارًا ووصفهُ باوصافٍ فريدة لم تُنعت بها غيرهُ من الزهور فمن ذلك ما ورد في نشيد الانشاد عن العروس السريَّة وختنها الالهي حيث يقول (٢ : ١ — ٣) : « انا سُوسَنة الاودية . كالسوسَنة بين الشوك كذلك خليلتي بين البنات » وفيه (١ : ١٦) تهنئ العروس ختنها « الذي يرعى بين السوسن » وتصفهُ بقولها (٥ : ١٣) : « انَّ شفتيهِ سوسن تقطران مرًّا زكيًّا » وبقولها (٦ : ١) انَّهُ « نزل الى جنَّتهِ الى روضة الاطياب ليرعى في الجنَّات ويجمع السوسن » . ومن التشابيه الحسنة التي جاءت في نبوَّة هوشع (١٤ : ٦) انَّ الله مثَّل قيامة شعبهِ على يد المسيح بسوسن يترطَّب بالندى فيزهر . وكذلك شبَّه ابن سيراخ (٣٩ : ١٩) الرجل البار بالسوسن المنوّر ذي العرف الطيّب اذ يقول للصديقين : «أزهروا كالزنبق واشهروا عرفكم » كما انَّهُ شبَّه سمعان بن اونيا (٥٠ : ٨) « بزنبق على مجاري المياه او نبات لبنان في ايَّام الصيف »

وقد احبَّ الربُّ في العهد الجديد ان يضرب بالسوسن مثلًا اذ قال في انجيلهِ الكريم (متّى ٦ : ٢٨) لمن جعلوا همَّهم حطام الدنيا من المأكل والملبس : « لماذا تهتمُّون باللباس . أعتبروا زنابق الحقل كيف تنمو انَّها لا تتعب ولا تغزل وانا اقول لكم انَّ سليمان في كلّ مجدهِ لم يلبس كواحدةٍ منها » . وقد اقتفت الكنيسة بآثار معلّمها فانها تشبّه بالزنبق ما تريد بيان بهائهِ وجمالهِ . وفي رتبها كثيرًا ما تمثِّل قديسيها بالسوسن . وفي رتبة العذارى تدعوهنَّ زنبقًا يتباهى المسيح برونقهِ . وتصف العذراء مريم امَّ الله بانها بين النساء بمنزلة الزنبق بين الشوك

فممَّا تقدَّم يسهل حلّ مُشكل تضاربت فيهِ الآراء ألا وهو قول بعض المحدثين انَّ السوسن الذي ورد ذكرهُ في التوراة ليس هو الزنبق الابيض الذي نحن بصددهِ بل زهرة اخرى زعم البعض انَّها صنف من السوسن الاحمر (Lis Martagon) (١) . وذهب آخرون الى انَّ الكتاب يعني شقائق النعمان (Anemone Coronaria L) وقيل انَّهُ الحَوذان (Ranunculus asiaticus L) الى غير ذلك من الآراء التي لا

(١) منهم لندلي Gard : *Chronicon*, II, 854 وسبرِنغل Ant. Bot. spce. I, 9 وسميث في معجمهِ Dict. of the Bible *art* Lily.

حاجة لايرادها هنا . وفي ما ذكرنا سابقاً ما يفنّد هذه الآراء وينفي هذه المزاعم لانّ الاوصاف التي وردت في الاسفار المنزلة تطابق كلّ المطابقة السوسن الابيض ولا تصحّ في الزهور الاخرى . وزد على ذلك انّ قدماء المفسّرين والآباء وتقليد الكنيسة يؤيد هذه الرأي . وقد وَهم المحدثون بحيث اسندوا قولهم الى حجّة واهنة فقالوا : انّ الكتاب المقدّس انّما يريد زهرةً ناميةً في الحقول ليست بأهليّة والسوسن الابيض لا ينمو سوى في البساتين والحدائق المنتظمة فاذن لا يصحّ نسبة قول الكتاب الى السوسن الابيض . والجواب على هذا الاعتراض سهل بعد ما ذكرنا عن نموّ الزنبق طوعاً في جهات عديدة من لبنان وسوريَّة وفلسطين . امّا اعتراض البعض بان السوسن في اللغة العبرانيَّة لا يراد بهِ الزنبق الابيض فهو باطل لان اللفظة العبرانيَّة هي نفس اللفظة العربيَّة وقد سبق ان الكلمة العربيَّة تعني الزنبق الابيض وقد اشتقّ اليونان من اللفظة اليونانيَّة لفظة σούσινος يستعملونهُ نعتاً لدهن الزنبق . وقد اشتقّ اليونان هذه الكلمة من الفينيقيَّة « سُوسا » المدلول بها على السوسن الابيض فلم يبقَ اذن ادنى ريب بان السوسن الابيض هو المقصود من اصحاب الاسفار الالهيَّة

٥ منافع السوسن الابيض

قد قرَّف بعض كتَبة عصرنا زرّاعي السوسن وبنوا شكايتهم على انَّ هذا الزهر ليس منهُ فائدة تُذكر . (قلنا) انَّ هذه الملامة تنبئ بسوء ذوق اصحابها . افليس للحُسن موضع او هل تعتبر الامور من حيث فائدتها فقط او ليست منفعةً كبرى ان يقرّ النظر برؤية هذه الزهرة الجميلة ويستنشق المرء رائحتها الفاغمة ويزيّن بها دارهُ

ولكن ما ادرانا بان السوسن قليل المنافع فانَّ في النبات قوّاتٍ وخواصّ غريبة لم يعرفها الانسان حتى الان بالاختبار ولعلَّ الاجيال القادمة تكشفها لخلفنا

وزد على ذلك انَّ الاقدمين عدّدوا للسوسن منافع كثيرة بطل اليوم استعمالُها فمن ذلك ان ديوسقوريدس (ك ١ ف ٦٢) وبلينيوس الطبيعي (ك ٢٣ ف ٤٩) وثاوفرست (ك ٢ ف ٩٢) ذكروا انَّ العطّارين في ايّامهم كانوا يستخرجون اجود الاطياب من الزنبق فيبيعونها بمالٍ وافر . وفي بعض جهات اقاصي آسيَّة يُطبَخ بَصلُهُ فيؤكل وفي طعمهِ حلاوة . امّا الاطبّاء القدماء فكانوا يطمّون جذرهُ تحت الرماد الحارّ او يغلونهُ ثم يستعملونهُ لِمَرهم . وكانوا يعصرون ايضاً زهرهُ ويستخرجون منهُ زيتاً مليّناً . وقال ابن

البيطار عن السوسن الابيض: انَّ أصلهُ يؤْخذ فيُشوى ويُسحق مع دهن الورد فيوضع على الموضع الذي يحرقهُ الماء الحارّ حتى يندمل ويبرأ. وهو من وجه آخر ايضًا دواء جيّد محمود ينجح في ادمال جميع القروح.. اما ورق السوسن الابيض فانّهم يطبخونهُ ويضعونهُ... على سائر القروح الى ان تندمل وتنختم آخر ختمها. وفي الناس قوم يكبسون هذا الورق في الخلّ ويستعملونهُ في ادمال الجراحات... وقد يُشرب بزره لضرر الهوامّ ويُنتفع بهِ وقد يُدقّ البزر والورق دقًّا ناعمًا ويُخلطان بشراب ويعمل منهُ ضماد نافع من الحمرة»

هذه بعض الفوائد التي تجتنى من السوسن الابيض. بيد انَّهُ يكفي لاهل سوريّة فخرًا انَّ الله عزَّ وجلّ زيّن جبالهم بهذا النبات الجليل وجعل في عداد زهر حقولهم البرّي ما يحسبهُ غيرهم من اجمل زهور البساتين كأنَّهُ تعالى اتّخذ ارضهم روضةً غنّاء فزيّنها كجنّات عدن بلا عناء الانسان ومشقّته

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر الامير عزّ الدين حسن ابن سعد الدين خضر

هو ثاني اولاد سعد الدين خضر وكان شجاعًا قويّ النفس ذا سطوةٍ وحرمةٍ وكان في بعض الاحيان يناقض اخاهُ ناصر الدين لعظم نفسهِ وكان ناصر الدين يُغضي عنهُ ولا يؤاخذهُ. وكان يقلّل من قنية الخيل فسُئل عن ذلك فقال: «خيلي في صندوقي توفّر العليق ومتى اردتُ اشتريتُها». وعمّر القاعة التي ذكرناها والقبو الملاصق لها واراد ان يجلب الماء اليها فعمل قناةً فوق القناة التي صنعها اخوهُ ناصر الدين ولم يتمّمها. وقال لهُ اخوهُ: «لا تتعب في قناةٍ وانا أعطيك من الماء الذي جرى في قناتي ما يكفيك». فأبى ذلك لقوّة نفسهِ وشرع في عمل القناة المذكورة ولم يكمّلها. وامّهُ بنت الشيخ العلَم تزوّجها والدهُ بعد وفاة امّ اخيهِ ناصر الدين وقد تقدّم ذكر ذلك (١. وكان مولدهُ ليلة الاحد السادس عشر من ذي الحجّة سنة ثلاث وتسعين وستمائة

١) المشرق ١ :٥٣٦

(١٢٩٤ م) . ووفاتُهُ رحمهُ الله تعالى نهار الثلثاء التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة (7I٧) ثلث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢) قتيلًا بالكرك ومُوجبهُ انَّهُ توَجَّه في مقدَّم الجمع الذي توَجَّهَ من بلد بيروت لحصار السلطان احمد ابن الناصر محمَّد بن قلاوون وقد تقدَّم ذكر ذلك (١ . فلمَّا وصل الى الكرك لم يستقرّ بهـا حتى رسم لهُ بيبرس الاحمدي مقدَّم العساكر المجرَّدة بالكرك لحصار السلطان احمـد بالزَّحف على القلعة بمن معهُ فنزل اليهم منها جماعةٌ واقتتل الفريقان فهرب رِفقة عزّ الدين وتركوهُ يُقاتل وكان المكان صعب المسلك فنزل عن فرسهِ وصار يقاتل وهو راجل حتَّى قُتل وهو في ساعة وصولهِ الى الكرك. وقد تقدَّم ذكر ذلك (٢

امَّا جهات اقطاعهِ فامرِيَّة خمسةٍ : نصف عاليه ونصف الخُرَيبة ونصف عيناتا ونصف الدوير ونصف الصباحيَّة ونصف درب المغيثة وربع قدرون ونصف قطع ارض بقرطبة وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور

وتزوَّج عزّ الدين بنتَ شجاع الدين عبد الرحمان ابن جمال الدين حجّي بن محمد ابن حجّي وأُمها امرأة شجاع الدين . ورثاهُ اخوهُ ناصر الدين بهذه القصيدة :

ان كنت لي من الانام مصاحبا قف بالربوع واندبِ الجنائبـا
وابكي لعزّ الدين مَن مصابهُ (٣ دمٌ اذا اعوزتَ دمعًا ساكبا
ويلاهُ من جور زمانٍ غادرٍ قد خانني فيهِ بسهمٍ صائبا(٤
نيرانُ قلبي لم تزل مُسرةً لم تَطفها من ادمعي سحائبا(٥
(72ʳ) قد هدَّ رُكني فقدُهُ واحسرتي عليهِ صار الحزنُ لي مواظبـا

١) المشرق ١ : ١٠٩٣ و ١٠٩٤ . راجع ايضًا رواية ابن سبـاط في تاريخ سنة ٧٣٤ . وهناك شيء من اخبار عزّ الدين وقصيدة ناصر الدين في رثائهِ

٢) جاء في ذيل الكتاب بقلم المؤلف : « وجدتُ في بعض اوراق قديمة انَّهُ لمَّا توجَّه عزّ الدين حسن المذكور الى الكرك توجَّه صحبتَهُ جمال الدين ابن سيف الدين وعزّ الدين ابن عماد الدين وتوجَّه عزّ الدين المذكور الى عند الفخري وعمل الفخري المصافَّ بينهُ وبين الطنبغا على عقبة الثنيَّة عند خان لاجين في السابع وعشرين من رجب سنة احدى واربعين وسبعمائة الموافق لعشرين كانون الاوَّل (١٣٤١م) وكان عزّ الدين حاضرًا للمصاف المذكور

٣) روى ابن سباط : ما اصابهُ ٤) كذا في الاصل

٥) رواية ابن سباط : « لم تطفِ من قلبي السحائبا » . وكلتا الروايتين غلط

يا اسفي فقدتُ سيفًا قاطعًا قد كان عني في الحروب ضاربا
لمّا اتت خيولهُ مُلهبةً واصبحت منقادةً جنائبا
ناديتُها ويلاهُ ماذا فعلتْ صروف دهري في العزيز غائبا
قالت فقدتُ العزَّ والليث الذي ترى الليوثَ عندهُ ثعالبا
يا كركَ الشوْم سألتُ الله ان يُعدمَكَ الاهلين والاجانبا (١
حتى يعودَ البوم فيك قاطنًا مع الغراب صائحًا وناعبا
ولا سقاكَ الله غيثًا انّما صواعقًا يسقيك مع مصائبا (72[v])
لو كان في ظهر الجواد نظرتم من طعنهِ وضربهِ غرائبا
لكن تلقّاكم وكان راجلًا للوَعر لم يسلك اليكم راكبا
فيا رماح الخطّ بكّي فقدهُ ويا سيوفَ الهند بكّي الضاربا...

ذكر الامير صلاح الدين يوسف ابن سعد الدين خضر

وهو الثالث من ولد سعد الدين خضر . كان رجلًا ديّنًا خيّرًا ذا عقلٍ وافرٍ نافذ الكلمة مبجّلًا موقّرًا عند اقاربهِ وعند النـاس ريّض النفس حسن الخلقة والاخلاق وكان اقاربُهُ بعد اخيهِ ناصر الدين مقتدين بهِ سامعين لأمرهِ . سكن عمارةَ والدهِ سعد الدين اي العلّيّتين المتلاصقتين المقدَّم ذكرهما . وتزوَّج بنت شهاب الدين احمد بن حجّي (73[r]) بن محمّد . ثمّ توفّيت وتزوّج امرأة اخيهِ شرف الدين سليمان الآتي ذكرهُ . كان مولدهُ يوم الاثنين الثامن من شهر شوّال سنة ستّ وتسعين وستّمائة (١٢٩٧م). ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى (٢

اسماء اولادهِ : بدر الدين محمّد . اسد الدين محمود . علاء الدين علي

ذكر علاء الدين علي ابن سعد الدين خضر

وهو الرابع من ولد سعد الدين خضر (٣ . كان شابًّا حسن الشكل ذا عقـل وادب وحشمة وافرة وذا قوّة وعفافٍ شديد فاق بهِ على اهل زمانهِ . وتوفّي شابًّا لم تطل

١) رواية ابن سباط : « يا كرك المهـدَّم . . . ثمّ الحبائبا
٢) كذا في الاصل بدون تعيين السنة
٣) ورد للمؤلف حاشية هذه لفظهـا : « منشور عليّ المذكور من الملك الناصر محمّد بن قلاوون باستجدادٍ في الخدمة . جهاتهُ : نصف قدرون . نصف طردلا . نصف رمطون . نصف عين كسور . اخذ ذلك عن شمس الدين عبد الله بحكم وفاتهِ »

لهُ مدَّة ولم يشتهر لهُ ذكر. مولدهُ الثُلث الآخِر من ليلة الاحد مستهلّ ربيع الاوَّل سنة ثلث وسبعمائة (١٣٠٤ م)

ذكر الامير فتح الدين محمَّد ابن سعد الدين خضر

وهو الخامس من ولد سعد الدين. كان ذا عقل وحشمة وكرم مقتبسًا من طرائق اخيهِ ناصر الدين الحسين. عمَّر العليَّة الملاصقة لعمارة ابيهِ وعمر ما تحت العليَّة المذكورة وما حولها وهي المعروفة وقد تبنَّاهُ ناصر الدين وتزوَّج بنت شجاع الدين عبد الرحمان ابن جمال الدين حجّي بن محمد بن حجّي بن كرامة (١. مولدهُ الثُلث الآخر من ليلة الاحد مستهلّ ذي القعدة سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥ م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى في حياة اخيهِ ناصر الدين الصبح من نهار الاربعاء سلخ (73ᵛ) جمادى الآخرة سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م)

اسماء اولادهِ: ناهض الدين حمزة. عماد الدين اسماعيل. وبنتهُ زوجة شهاب الدين احمد انتقل اليهِ الاقطاع عن اخيهِ عليّ عن شمس الدين عبد الله ابن جمال الدين حجّي بن محمد. وهو امرة خمسةٍ جهاتهُ نصف قدرون ونصف مرتغون ونصف طردلا

ذكر الامير شرف الدين سليمان بن سعد الدين خضر

وهو سادس اولاد سعد الدين. كان عاقلًا وطيء الجانب لطيف الذات كيّس الصفات دأبهُ الكتابة كتب على الشيخ بهاء الدين محمود بن محمَّد خطيب مدينة بعلبك وشيخ البلاد الشاميَّة في كتابة المنسوب الفائق. ووقفتُ على كتاب من الشيخ بهاء الدين الى ناصر الدين الحسين اخي شرف الدين المذكور من مضمونهِ قولهُ: « قد وصل الامير شرف الدين ورأيت شكلَهُ الحسن وكتابتهُ المليحة ». وكانت كتابة شرف الدين جميلة واحسنها الرقاع ثمَّ الثُلث وكان كثير الادمان في الكتابة وبان على كتابتهِ الادمانُ لجريانها وجمالها

وتزوَّج بنت عزّ الدين من عين دارا (٢. وكان رئيسًا من اعيان زمانهِ ومقدَّمًا على

١) وفي حاشية للمؤلف: « توفيت زوجة فتح الدين هذه واسمها زمرُّد بنت شجاع الدين في نهار الخميس سابع شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م) وهي امّ اولادهِ »

٢) وفي ذيل الكتاب للمؤلف: « تزوَّج شرف الدين المذكور امرأتين الاولى في ثاني جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة (١٣٣١م) وتوفيت. والثانية هي بنت عزّ الدين فضائل المدعوَّة ام نجم الدين تزوَّجها في عشرين شعبان سنة اربعين وسبعمائة (١٣٤٠م) وبعدهُ

بلاد الجُرد وكان فصيحاً ولهُ الشعر المليح والبلاغة وحُسن الكتابة وكان ولدهُ سيف الدين فرج ابن عزّ الدين قد اشتهر بالرئاسة وساد بلادهُ وعرف عند الدولة وسار في زمانهِ احسن سيرة. وكانت وفاة سيف الدين فرج المذكور بدمشق في خان منجك (74) يوم الثلثاء الثاني والعشرين من شعبان سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة (١٣٨١م) وحُمل الى قرية شمليح ودُفن في تربتهِ

واماً سليمان المذكور فهو اصغر اخوتهِ. مولدهُ العصر من نهار الاحد الحادي والعشرين من ربيع الاوّل سنة ثمان وسبعمائة (١٣٠٩ م). وفاتهُ رحمهُ الله تعالى[١]

اسماء اولادهِ: نجم الدين محمد. بناتهُ: نسب العدل زوجة ابن اخيهِ بدر الدين محمد. وحَسَنات زوجة شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين. وواسطة زوجة بدر الدين حسن ابن علاء الدين. وسارة زوجة سيف الدين ابي بكر ابن شهاب الدين[٢]

(ستأتي البقيَّة)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الرابع عشر

في اقرار الجاني

ولنعد الآن الى الكلام عمّا جرى في حجرة نسيب بعد خروجهِ منها ليلاً وإقفالهِ الباب على فاضل ولنوضح كيف ان المشكوَّ انقلب شاكياً وانَّ تهديدات فاضل لنسيب لم تكن منهُ حيلةً لتخويفهِ بل انَّهُ كان قد وجد في غرفتهِ أوراقاً مهمَّة أطلعتهُ على جريمة فظيعة ولمَّا كان متسلّحاً ضدَّ خصمهِ بسلاحٍ قوي لم يُعطهِ مهلةً لاستفهامهِ بل بادأهُ حالاً بقولهِ :

تزوَّجها اخوهُ صلاح الدين يوسف ابن سعد الدين خضر. اما عزّ الدين فضائل المذكور فهو ابن عليّ ابن عزّ الدين فضائل المتوفّى نهار الجمعة تاسع عشر جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وسبعمائة (١٣٥٦ م) »

١) كذا في الاصل بدون ذكر السنة ٢) وفي حاشية للمؤلف: « وتوفّيت ام اخوة ناصر الدين وهم الخمسة المذكورون عزّ الدين حسن وصلاح الدين يوسف وعلاء الدين علي وفتح الدين محمَّد وشرف الدين سليمان » كذا بدون تعيين سنة وفاتها

« أتعرف يا شقي هذه الاوراق ». وما كاد يتلفَّظ بهذه الكلمات حتى أخرج أوراقًا ملطَّخة بالدم وأراهُ اياها. فاظلمت الدنيا في عين نسيب وقام محاولًا النجاة لكنَّ فاضلًا أمسكهُ بيدٍ كانت كأنها مِلزمة من الحديد ومنعهُ من الفرار. فلمَّا رأى نسيب ان المقاومة لا تجدي نفعًا التفت الى فاضل قائلًا: « اين وجدت هذه الاوراق »

فأجابهُ فاضل متهكمًا: « لقد كنت تتخيَّل انك لاشيتَ ومحيتَ كل دليل على جريمتك الشنعاء فساء ما ظننت. تسألني « اين وجدتُ الاوراق » فاعلم اني وجدتها في السجن الذي حبستني فيهِ وأنَّ للجدران اسرارًا

انت تعرف انَّ الطير في قفصهِ يبحث عن وجوه النجاة وانا كذلك كنت احبَّ الحرّيَّة يا نسيب فلمَّا اقفلتَ الباب عليَّ وفرحت باسري وتحصيلي تحت حوزتك اخذتُ اعمل على اقتلاع هذه النافذة فوجدت تحت الواحها هذه الصندوقة العتيقة. ولا شكَّ انها كانت من جملة ما نسيتهُ

قال نسيب: لا علم لي بها

— انهُ سهل عليك أن تدَّعي عدم العلم بالصندوقة ولكنك لا تنكر معرفة هذه الورقة

واراهُ على إثر ذلك الورقة الملطَّخة بالدم

فتقدم نسيب ليختطف الورقة واماَّ فاضل فانَّهُ ردَّها حالًا الى جيبهِ دون ان يمكّنهُ منها ثم قال: « تدَّعي عدم معرفة هذه الورقة وانت تهمّ باتلافها. فان كنتَ لا تعرفها فسيعرفها القُضاة رغمًا عنك. وسأراك ان شاء الله مشنوقًا في المشنقة التي اعددتَّها لي فلكلّ احد نوبة ولقد علَّلتَ نفسكَ بأني التمس منك العَفو والصفح متذلِّلًا على أقدامك وعوضًا عن ان اتذلَّل لك فسوف تتذلَّل لي »

— هذا لا يكون ابدًا

— سوف أتعزَّى في الأقل برؤيتك مشنوقًا وسيعلم القضاة قبل زوال اليوم بامرك وينفذون فيك أحكام العدل

فجُنّ نسيب عند استماعهِ هذا الكلام ووقع على رجلي فاضل يقبلهما ثم قال:

ابتهل اليك يا فاضل بحقّ صداقتنا أن لا تخون ابن وطنك أسألك ان تسامحني اذا كنت قد إخطأتُ في حقّك

أتبتهل اليَّ ؟ أأرى مولاي جاثيًا عند قدميَّ ؟ يا لله ما اشهى هذا المشهد الذي فيهِ بدأتُ اذوق طعم انتقامي

— تذكَّر اني انقذت حياتك دفعتين تذكَّر اني اتيت بك من نيويرك وانت على آخر رمق من الحياة

— لا انسى شيئًا من هذا ولكني لا انسى ايضًا انك كنت تُلقي اليَّ خُبزك إلقاءك إياهُ الى حيوان حقير . فاذا كنت قد انقذتني فحتَّى تنتفع مني وتُذلّني وتحقرني ليس الّا . . .

— بحياة والدتي التي تعرف فضلَها . . . يا فاضل

— ولكنك قد قتلتَ والدتك ايها الشقيّ

— ثَروتي كلُّها هي لك . مناجمي الذهبيَّة أتنازل لك عنها بشرط ان تُقسم لي فقط انك تنسى الماضي

— هذا كلام لا طائل تحتهُ فوقّع لي تخليًا قانونيًا عن ثروتك واملاكك وحينئذٍ احسبك صادقًا

ثم توقَّف فاضل هُنَيهة ليرى اي تأثير يظهر على وجهِ نسيب فاغتنم نسيب فرصة هذا التوقُّف وأفلت منهُ واطلق رجلَيهِ للريح بعد ان اغلق باب الغرفة بكلّ خفَّة فصعد فاضل الى النافذة وقفز منها ليلحق بهِ ولكنهُ كان قد بعُد كثيرًا فاسرع ليوقظ سائر اصحاب المناجم الّا انَّهُ وقف فجأَةً لدى وصولهِ امام الخانة ورجع على عقبهِ مفتكرًا انَّ اهتمامهُ بطمأنينتهِ الشخصيَّة اولى بعد ان شاع عنهُ بين الفعَلة انَّهُ سارقٌ

الفصل الخامس عشر

في كشف الحجاب

وبعد مرور بضعة ايام على الحادث السابق ذكرهُ بينما كانت مسترس جني جالسة تجاه نافذة البيت وامامها عددٌ من المجلّات تطالع فيها ما اخترعهُ الكتبةُ من الروايات الخياليَّة (الرومان) على حسب عادتها اذا بالجرس قُرع قرعًا شديدًا . ثمَّ دخل الى البيت ضابطٌ من ضبّاط البوليس فسألها قائلًا : « هل حضرتك مسترس جني نسيب » فاجابت : « بلى انا هي »

— اتبعيني اذاً

— كيف اتبعكَ والى اين ؟

— انَّ العرَبة بانتظاركِ على الباب

— ولكن ماذا تريد مني ؟

— ستعلمين ذلك قريباً

فلم يسع ميسترس جنّي الّا ان تطيع فركبت مع الضابط الذي اوصلها الى مركز دائرة البوليس. ثم ادخلها بكلّ لطف الى غرفةٍ كان ينتظرها فيها رجل حسن الملبس فسالها ان تجلس فجلست وافتتحت معهُ الكلام قائلة : « انني متعجبة من دعوتي الى هذا الموضع »

— أما انتِ ميس جنّي اولري قرينة المستر جون نسيب ؟

— انتَ قلتَ

— وقد تمَّ اقترانكما في شهر حزيران من سنتين ؟

— نعم

— وهل مات ابوكِ ؟

— نعم مات في آب بعد أقلّ من شهر لاقترانـنا

— هل تركَ مناجم ذهبيَّة ؟

— أجل وقد خلّفها لشريكهِ قريني المستر جون نسيب

— هل تعرفين شيئًا عن كيفيَّة موتهِ ؟

— بينما كنّا في مناجم « مكس ويل » تأخَّر نسيب ذات مساء عن موعد رجوعهِ الى المنزل وكان الجوّ وقتئذٍ مظلماً والسماء متلبّدة بالغيوم فقلقنا بسببه وخفنا ان يكون قدْ جرى لهُ حادث مكدّر فخرج ابي في وسط الظلمة للقاه. وما طال الوقت حتى عاد نسيب ولم يعد معهُ ابي فسألتهُ عنهُ فاجاب متعجبًا « أليس هو هنا ؟ » فقلتُ لهُ: انَّهُ ذهب لملاقاتك. فقال: اذًا ارجع للتفتيش عليهِ. وظلَّ يبحث عنهُ في الوديان طول الليل حتى عثر اخيرًا على جثّتهِ عند طلوع الصباح في احدى المهاوي العميقة

قال البوليس : اتعرفين هذه الكتابة ؟

واراها رسالة ملطّخةً بالدم

— هي رسالة من ابي. قالت هذا ثمَّ صرخت صوتًا عظيمًا وخانتها قوَّتها فمالت على كرسيها وأُغمي عليها

وفي اليوم التالي لم يعدْ من حديث لجرائد سان فرنسيسكو الَّا عن توقيف ميس جنّي اولري وعن اغتيال جون اولري مقتولًا بيد شريكهِ وصهره المستر نسيب. حتى ان هذه الحادثة اشغلت افكارهم ايَّامًا وألهتهم عن الاهتمام بالفتن الثائرة في هاواي وضمّ هذه الجزائر الى الولايات المتحدة كما أنستهم الثورة المنتشبة في كوبا

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

REISEBERICHT
Von Prof. D[r] R. Brünnow, *Leipzig*, 1899
رحلة الدكتور المستشرق ر . برنُّوف

مضمون هذه الرحلة الحديثة وصف الانحاء الواقعة على ضفَّة الاردن الشرقيَّة في بلاد موآب وادوم القديمة. وكانت غاية الرحَّالة الاديب ان يفحص المحاصن التي ابتناها الرومان ليصونوا املاكهم الموسومة باقليم العربيَّة من غزوات اهل البادية. وكانت هذه المحصَّنات قائمة في وجه العدوّ عند التخوم الشرقيَّة الجنوبيّة. ومن آراء جناب المؤلف انَّ جميع الاخربة الواقعة في شرقي البحر الميت ممتدَّة الى سلع (Pétra) ومعان هي من اعمال الرومانيين. وفي الكتاب صور فوتغرافيَّة تمثِل هذه البقايا ورسوم الابنية الاصليَّة. وقد حَظيَ الدكتور المذكور باكتشاف آثار سككٍ رومانيَّة وخطوط يونانيَّة الى غير ذلك ممَّا يستوجب الثناء الطيّب على همَّتهِ

جغرافيَّة سوريَّة وفلسطين

بقلم فضل الله فارس ابي حلقة . عدد صفحاتها ٣٠٤ بقطع ١٢

يفيدنا صاحب هذا الكتاب بمقدَّمتهِ انَّهُ باشر البحث في جغرافيَّة بلادنا منذ سنة ١٨٨٦. وليس تأليفهُ سوى خلاصة كتاب آخر مطوَّل « ربَّما لا ينتهي منهُ قبل سنة ١٩٠٦ »

ومن خواصّ الكتاب المستحسنة تقاسيمهُ الواضحة وسهولة عبارتهِ وايجازهُ وتذييل فصولهِ بالاسئلة ويا حبَّذا لو زاد فيها صاحبها تفنُّنًا

وفي هذه الجغرافية مغامز نستلفت اليها نظر المؤلف الاديب . اوّلها التصرُّف في كتابة الاعلام فيدعو (ص٥٥) اليرموك « اليرموق » وشريعة المنظور « شريعة المنظورة » وكان الاولى ان يقال [شريعة المناظرة] بالنسبة الى قبيلة المناظرة الساكنة في جوار الاردنّ. وكذلك (ص١٤١) قد بدل اسم قرية المُكَيس « بامّ قيس » واسم يعقوب البرادعي (٨٥) باسم « براديوس » ونسب اليه طائفة الارمن اليعقوبيّة كأَنَّ السريان والاقباط ليسوا بيعاقبة . ومن اغلاط اعلامهِ ذكرهُ (ص١٦٧) اسم « ساترونيس بن زحل » يريد ساتُرنس المعروف عند العرب بزحل . وتسميتهُ (ص١٤٣) لواء الكرك « بلواء معان » وهلمَّ جرًّا

ومن مغامز الكتاب عدَّة اوهام تاريخيَّة ولغويَّة كقول المؤلف (ص ١٧٠) ان صيداء « اقدم مدينة وامّ المدن الفينيقية » مع ان بيروت وجبيل اقدم من صيداء — وكقولهِ عن طرطوس (ص٢١٨) ان « الامبراطور قسطنطين جدَّد بناءها في سنة ٢٤٦ » (اعني قبل ولادة هذا الملك بزمن) — وعن عرقا انَّ « بانيها اسكندر المكدوني » (ص٢٢٠) وهي مذكورة قبلهُ بقرون عديدة في مراسلات تلّ العمارنة في الجيل الخامس عشر قبل المسيح ولا يُنسب الذنب للتاريخ ان كان المؤلف « لم يعرف شيئًا عن عرقا الى زمان تيطس وفاسباسيان » — وترى كيف (ص٨٥) امكن النساطرة ان ينشئوا في القرن الرابع المسيحي مدرسة الطب وهم لم يظهروا الَّا في اواسط القرن الخامس — ولم نسمع قط بان (ص٢٤١) جبيل دعيت قديمًا « افاما » وان غزير معناها « قطيع (الغنم) » ولعلّ المؤلف وَهم بفهم لفظة قطيع اي مقطوع فظنّ انَّ المراد قطيع (الغنم) ؟؟ — وبانَّ الفرنج (ص٤٠) اعادوا بناء جسر نهر الكلب سنة ١٢٩٢ — وبانَّ (ص٢٥٩) « جامع الامام عمر بني سنة ٦٤٨ » والمعروف ان بانيهُ الخليفة عبد الملك الذي بويع لهُ بالخلافة سنة ٦٨٥ ... الى غير ذلك من الاغلاط العديدة التي تذهب بمحاسن هذا الكتاب

ولا يخلو الكتاب من الاغلاط الجغرافيَّة كقول صاحبهِ (ص ٢٨) انَّ بحيرة الحولة « مرتفعة عن سطح البحر ١٥٠ قدمًا » والصواب « متران » كما اثبت ذلك العلماء . وقد جدَّد آخرًا قياسهُ الاب كولنجت فوجد ارتفاعهُ يبلغ ١٠ امتار — وكقولهِ عن البحر الميت (ص٣١) وهو من المضحكات التي اختبرنا بنفسنا بطلانها مع غيرنا كثيرين انَّ

لا احد « يقدر ان يغتسل فيهِ اكثر من عشر دقائق لأَنهُ اذا تأخَّر اصابهُ ألمٌ شديد في جلدهِ » — وكقولهِ (ص١٢٩) ان « مركز قضاء الحميديَّة قريةُ دير شميل » والصواب مَصياد — وقولهِ (ص ١٢٥) انّ علوّ حمص عن سطح البحر ١٧٣٠ قدماً !!

امَّا المنسيَّات في هذا التأليف فانَّها لا تُحصى. فمن ذلك ان كاتبهُ لم يذكر الاسماعيليَّة بين اهل سلمية (ص١٣٠) مع كثرتهم هنالك وكذلك ضرب صفحاً عن الموارنة في قب الياس (ص١١٢). وعن ذكر الزبداني التي يبلغ عدد اهلها فوق ٦٠٠٠ نفس مع كونهِ ذكر ضيعاً لا يتجاوز عدد سكانها المئتي شخص. وكذلك كان الاولى ان يذكر مركز قضاء الحصن تلّ كَلَخ (وليس كما زعم قلعة الحصن) من الاسهاب في وصف دير القديس جاورجيوس

ومن افادات هذا الكتاب التي لم نجدها في غيرهِ زعم كاتبهِ انَّ في لبنان معادن ذهب وفضَّة. حقَّق الله مزاعم المؤلف

هذه بعض ملاحظات نقدّمها لصاحب جغرافيَّة سوريَّة ونتمنَّى لهُ ان يكون مطوَّلهُ وفقاً للآمال خاليًا من كلّ شطط فيسدّ خللًا عظيماً في تعليم بلادنا المدرسيّ

ه. ل

هدايا أُرسلت الى إدارة المشرق

١ بيان تاريخ مسكوكات مدينة ماراثوس المجاورة لارواد للدكتور جول روڤيه. وهي مقالةٌ حسنة نُشرت في المجلة الاسيويَّة الفرنسية وعدد صفحاتها ٤٨

L'Ère de Marathos de Phénicie, *par le Dr Jules Rouvier*

(Extrait du Journal Asiatique)

٢ ولهُ ايضاً مقالة في تاريخي البترون وبيروت « Les Ères de Botrys et de Béryte"

(Extrait du Journal Interational d'Archéologie Numismatique)

٣ رواية تنازع الشرف والغرام بقلم شاكر عازار ونجيب زلزل طبعت بالمطبعة العثمانية في بعبدا سنة ١٨٩٨. وهي رواية عامرة الابيات سعى مؤلفاها الاديبان بتعريب رواية السيد (Cid) التي نظمها كرنيل الشاعر بالفرنسية

٤ برنامج جمعية اخوة الفقراء المارونية لسنتها الثانية. عدد صفحاتها ٣١ وقد زُيّن اوّلها بصورة غبطة السيد الجليل مار الياس بطرس الحوَيك بطريرك الطائفة المارونية



ثمَّ صورة سيادة المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت ورسمي الفاضلين المرحومين بشاره الهاني وسلُّوم أبسول من المحسنين الى الجمعية

٤ القانون الاساسي لجمعية الشبَّان المارونيين في نيويرك أُنشئت في غرَّة السنة الجارية

٥ الاربعة الاعداد الاولى من مجلَّة الجامعة العثمانيَّة لمنشئها الاديب فرح انطون

شَذَرَاتٌ

منجم جديد للحديد — اكتشف المعدّنون في مقاطعة مينازوتا في اميركا منجماً كبيرًا من الحديد تحت مدينة حديثة العهد تُدعى مسّابا (Messaba) فأخذوا ينقلون بيوت تلك البلدة الى محلّ آخر ليسهل تعدين المنجم. ونقلُ البيوت على حسب طريقة الاميركان المستحدثة فهم يحفرون تحت اساس كل دار فيرفعون بها فوق الحضيض وينقلونها على عجلات خصوصيَّة الى مواقعها الجديدة حيث تُعدّ لها أُسس جديدة

الكلاب الحربيَّة — كان الانكليز في حملاتهم الاخيرة على جنوبيّ غربيّ افريقية قد استصحبوا معهم عددًا غفيرًا من الكلاب المدرَّبة على الحركات الحربيَّة فلقوا من ذكائهم عجائب لاسيا في الاستطلاع على قدوم العدوّ وفي مهاجمة الفرسان وعضّ خيلهم وفي اعانة الجرحى بعد الحرب وكانوا يعلّقون في اعناقهم قوتًا يحملونهُ الى المنكوبين. الى غير ذلك ممَّا استوجب لهذه الحيوانات الثناء الحسن

التاريخ الشرقيّ — سرَّنا ان نطالع ما نقلتهُ الجرائد الوطنيَّة عن الجرائد الاجنبيَّة في سعي دولة روسيَّة بان تستبدل حسابها القديم بالتأريخ الغريغوري. فانَّهُ يترتَّب على هذا الاصلاح الفلكيّ عدَّة فوائد منها ازالة حجرة عثار قامت منذ امد مديد بين الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة ومنها موافقة قانون المجمع النيقاوي الذي امر بان «يُحتفل بعيد الفصح في الاحد الاقرب للبدر الاوَّل الواقع بعد الاعتدال الخريفي». وفي هذه السنة قد خالف اصحاب الحساب القديم هذا القانون كما ذكر ذلك جناب اسكندر افندي الخوري مجاعص (راجع المنار ص ٣٣٣ و ٣٣٤)

المذنَّبات في سنة ١٨٩٩ — انبأ الفلكيُّون بتعدُّد النجوم المذنَّبة في هذه السنة وذلك انَّ خمسًا منها تجري بسير معلوم وسوف تظهر في فلك ارضنا قبيل آخر السنة تُدعى باسماء مكتشفيها «تمپل الاوَّل وتمپل الثاني وهُلمس وتوتل

وفينلي » . ومن المعلوم انَّ هذه الاجرام تتركَّب من موادّ سديميَّة غاية في اللطافة فاذا اصابت في سيرها جرمًا آخر تفرَّقت اقسامها والتهبت كالنيازك . ومن تفرّقها يحصل ما تسمّيهِ العامَّة « مطر النجوم » . وقد زعم بعض المنجّمين الكذبة انَّ احدى المذنَّبات المذكورة ستصادف ارضنا في سيرها وتصطدم بها فينتج عن ذلك انتهاء عالمنا وهذه كلُّها اراجيف يأتي بها المشعوذون لغايات شخصيَّة فبئس ما يصنعون

دراَّجات المدافع كان ارباب الحرب قد اتَّخذوا الدرَّاجات فأركبوها الجُند لبعض الشؤون الحربيَّة كنقل الاخبار ومراقبة العدوّ الى غير ذلك . وقد اصطنع الالمان آخِرًا درَّاجات ذات ثلاثة دواليب يجعلون فيها مدفعًا صغير الحجم من طراز مكسيم يصوّبونهُ الى العدوّ عند الحاجة . وهذه الدرّاجة مع جهاز مدفعها وقنابلها لا يتجاوز ثقلها ١٥٠ كيلوغرامًا

مصابيح النور المُنعكس قد ورد في المشرق في مقالة التنوير (١ : ١٧٩ الخ) انَّ من اضرار مصابيح التنوير انَّ نورها يؤذي العين ويكلّ البصر فيُقتضَى حجزهُ عن الناظر . وقد اتَّصل المسيو ا. بوڤيار (A. Bouvier) الى اكتشاف مصابيح جديدة يحجب فيها النور تمامًا عن العين فيعكسهُ بمرايا الى سقف المنزل فيتنوَّر المنزل كلُّهُ كما في النهار ويمكن اهل الدار ان يقرأُوا ويكتبوا دون مشقَّة ولا كلال في ابصارهم

حلّ المشكل الرياضي (الوارد ص ٣٨٢)

مرَّت اسماء الادباء الذين حلُّوا هذا المشكل ويُضاف اليها نجم وعبود الخوري زياده . وهذه صورة الحلّ الجبريَّة لحضرة الخوري جبرائيل رزق مرهج التي اشرنا اليها قال :

اذا سمينا ك العدد الصحيح المطلوب و د, دَ, دً الخوارج الصحيحة نستنتج من اصل المسألة هذه المعادلات :

(١) ك = ٣ د + ١   (٢) ٢ د = ٣ دَ + ١   (٣) ٢ دَ = ٣ دً + ١   (٤) ٢ دً = ٣ دٌ + ١

ومن ذلك يظهر ان المسألة سيالة واذا اجرينا التعويض في هذه المعادلات تُردّ الى معادلة واحدة متعلقة بالكتميَّين ك دٌ على هذا النحو : (٥) ك = (٨١ دٌ + ٦٥) / ٨

وبما ان كَ مفروض صحيحًا فيجب اذًا ان يكون القسم الثاني من المعادلة صحيحًا ولكن لنا : (٨١ دٌ + ٦٥) / ٨ = ١٠ دٌ + ٨ + (دٌ + ١) / ٨ = ١٠ دٌ + ٨ + ل

بالتعويض عن $\frac{\bar{\bar{د}}+١}{٨}$ بحرف لَ مفروضاً صحيحاً حسبما قدمنا وعليهِ فيكون لنا ايضاً

(١) $\frac{\bar{\bar{د}}+١}{٨}$ = ل (٢) دَ + ١ = ٨ ل (٣) دَ = ٨ ل – ١ وبالتعويض عن

دَ بهذه القيمة يكون: ك = ١٠ (٨ ل – ١) + ٨ + ل = ٨١ ل – ٢ وبالنتيجة يكون لنا

(١) ك = ٨١ ل – ٢ (٢) دَ = ٨ ل – ١

اذًا يكفي ان نفرض للكميَّة لَ اي عددٍ صحيح ايجابي شئنا اكبر من صفر حتى يكون لنا ايضاً للكميَّة ك و دَ اعداد صحيحة ايجابية وعليهِ فلنفرض ان لَ يساوي : ١ , ٢ , ٣ , ٤ الخ الى ما لا نهاية لهُ

يكون ك = ٧٩ , ١٦٠ , ٢٤١ , ٣٢٢ الخ الى ما لا نهاية لهُ (لولا حالة العملة من العسر) وكذلك دَ = ٧ , ١٥ , ٢٣ , ٣١ الخ الى ما لا نهاية لهُ

وعلى فرض ٧٩ ليمونة يكون الاول اخذ ٢٦ + ٧ = ٣٣ والثاني اخذ ١٧ + ٧ = ٢٤ والثالث ١١ + ٧ = ١٨ المجموع = ٧٥ اذا اضفنا اليهِ ما وُزّع على الاولاد والفقير اي ٤ يكون المجموع ٧٩ وهو العدد الاصلي

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الخوري الفاضل باسيليوس حجّار ١ً هل تُرجم الى العربيَّة كتاب سلّم الفضائل للقديس يوحنا كليمكس الشهير — ٢ هل طبع في اللغة العربيَّة — ٣ً وكيف يمكن الحصول عليه باللغة الافرنسيَّة

كتاب سلّم الفضائل للقديس يوحنّا كليمكس

ج نجيب اوَّلًا ان كتاب سلّم الفضائل قد نُقل الى اللغة العربيَّة لكنَّها تعريبةٌ سقيم وفي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسختان — نجيب ثانيًا انَّهُ لم يُطبع بالعربيَّة الى يومنا هذا — ثالثًا قد طُبع باليونانيَّة واللاتينيَّة والفرنسيَّة طبعات كثيرة يمكن الحصول عليها بواسطة احد الكتبيّين المشهورين في ايّ مدينة كانت من عواصم اوربَّة مثل بوسيالغ (Ch. Poussielgue, rue Cassette, 15 Paris) واحسن ترجمة لاتينيَّة هي للاب رَادِر (Rader) اليسوعي (تجدها في مجموع الاباء لمين) ومنها نُقلت الى الفرنسيَّة بقلم ارنلد دانديلي (Arnauld d'Andilly) فطُبعت في باريس سنة ١٦٧٠ ل. ش

قائمة للآثار الجويّة من ٢٠ نيسان الى ٥ أيار ١٨٩٩

انّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر)

امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

القوانين الصحيّة

في النَّدَوات المدرسيَّة (لاحق بما سبق)

لجناب الدكتور الفاضل هنري نكر احد اساتذة مكتبنا الطبيّ

٢ بيوت الدرس والتدريس

(تجهيز بيوت الدرس) بعد ان ذكرنا ما يختصّ بمقامات النوم في المدارس فلنصف نَدَوات الدرس ونلحق بها رَدهات التدريس. وفي تعريف القوانين الصحيَّة المتعلِّقة بهذه الاماكن شأن عظيم لانَّ التلامذة يقضون فيها معظم نهارهم بين درسهم الخاصّ وتلقّنهم العلوم على اساتذتهم. وطول اقامة الطلبة في هذه الحال يقتضي أيضًا ان تكون بجوارهم في اسفل الدار او في طابقهِ الاوَّل فينتقلون اليها بسُرعة ودون عناء

امّا سعة بيوت الدرس فلا بُدَّ ان تناسب عدد التلامذة ومعظم الزمن الذي يصرفونهُ فيها اي نحو ثلاث ساعات فتجهَّز هذه مواقع الدروس بحيث ينال كلّ طالب نصيبهُ من الهواء النقيّ. وذلك يبلغ ثمانية امتار مكعَّبة. فاذا فرضنا انَّ عدد التلامذة سبعون وانَّ علوّ نَدوة الدرس خمسة امتار فينتج انَّ كلّ ولدٍ يحتاج الى متر مربَّع ونصف لجلوسهِ وشغلهِ وانَّ مجمل مساحة بيت الدرس لسبعين ولدًا تبلغ مائة وخمسة امتار مربَّعة. هذا وانَّنا نعلم ان الندوات المدرسيَّة ليست كالمنامات فانَّ هواءها يتجدَّد شيئًا ما بخروج التلامذة ودخولهم وفتح النوافذ الّا انَّ قولنا السابق على وجه الاجمال. بل نضيف الى ما مرَّ انَّ المدارس الابتدائيَّة تحتاج الى رحبٍ اعظم من سواها لانَّ طلَبتها من العامَّة وليست نظافتهم كنظافة اولاد المدارس الداخليَّة ولانَّ احداث المدارس البدائية يصرفون فوق الثلاث ساعات في مقامات الدرس فلذلك يحتاجون الى كمّيَّة اوفر من الهواء الصافي

(تجهيز المدارس) امَّا المدارس فهي في اغلب الاوقات اصغر من مقامات الدرس الخاصّ لانَّ عدد الطلَبة فيها اقلّ. ولكن يُقتضى في تجهيزها ان يراعي اربابُها امرين الاوَّل ان يتمكَّن المعلّم من نظر كلّ تلامذتهِ مهما كانوا بعيدين والثاني ان يتلقَّى الناؤون منهم كلامَ المعلّم ويروا جليًّا اللوح الاسود وما يسطِّرهُ عليهِ الاستاذ. اما المساند (bancs) التي يستند اليها التلامذة في مدارسهم فيجب ان يكون طولها لكلّ تلميذ نحو ٧٠ سنتيمترًا ليُتكيْ اليها مرفقيهِ وعرضُها نحو ٤٥ سنتيمترًا. وليكن عرض المقاعد التي يجلس عليها ٢٨ سنتيمترًا ويُجعل لهذه المقاعد ألواح منحنية نحو ٨ س يسند اليها التلميذ ظهرهُ. فاذا حسبنا مُجمل هذه المسافات وجدنا انَّ كلَّ تلميذ يشغل ٠,٥٦٧ سنتيمترًا اعني نيِّفًا ونصف مترٍ. واذا زدنا الى ذلك فُرْجة المساند عن بعضها والفضاء الذي في مدخل المدرسة وبين منبر المعلِّم ومقاعد التلامذة وجدنا معدَّل ما يشغلهُ كلُّ تلميذ في المدرسة من المكان نحو مترٍ ونصف وهي المساحة التي طلبناها لندوات الدرس

هذا وانَّ في اكثر المدارس قد جرت العادة بان يجلس على المقعد الواحد اربعة او خمسة اشخاص وان تكون المقاعد منفصلةً عن مسند المرفقين غير انَّ في هذا شططًا وذلك لأَنهُ لا يمكن للجالسين في وسط رفقتهم ان يخرجوا دون ان يزعجوا جلساءهم او يُقتضى عليهم ان يصعدوا باحذيتهم فوق المقاعد فيلوّثوها بالطين كما انهُ لا يستطيع احد هؤلاء ان يقدِّم المقعد او يبعدهُ دون ان يقلق مجاوريهِ. ونحن نفضّل المقاعد المتَّصلة بالمساند التي لا يجلس عليها سوى اثنين فقط فيسهل على كلّ تلميذ ان يتصرَّف بحركاتهِ دون ان يؤْذي رفيقهُ. وهاك صورة مدرسة تامَّة الاهبة حسنة التجهيز مع هيئة مقاعدها ومساندها

فعلى مقتضى هذه الصورة يكون طول المدرسة سبعة امتار وعشرين سنتيمترًا وعرضها ٧,٧٥ ومساحة المدرسة ٥٥ مترًا مربعًا ونحو ٨٠ سنتيمترًا لثلثين تلميذًا. وان احببتَ ألّا تدع فضاء من وراء المساند امكن وضع ٣٦ تلميذًا في المدرسة معدَّل عمرهم بين ١٤ و ١٨ سنة. واذا كان الاولاد اصغر سنًّا يجوز حصر هذه المسافات بحيث لا يزيد تكسير المدرسة على ٣٨ مترًا مربعًا. وكذا بيوت درس الصغار يسوغ ان تحصر مسافتها فلا تتجاوز ٩٥ مترًا مربعًا لاثنين وسبعين ولدًا. وقد تقتضي الاحوال في بعض المدارس ان يكون طولها اعظم من عرضها فلا بأس في ذلك اذا رُوعيت القوانين الصحيَّة التي استندنا اليها في صفة المدارس

وأقيستنا السابقة غاية في الضبط يصلح الركون اليها في كلّ فصول السنة حتى في فصل الشتاء عند ما يقتضي الزمان اقفال كلّ النوافذ مدَّة ثلاث ساعات متوالية. ولكن اذا سمح الوقت بفتح النوافذ فلتُفتَح. فانَّ الهواء الجيّد اتره لروح التلامذة وانفع لصدورهم وانشط لهممهم. وعلى كلّ حال لا بُدَّ ان تُفتح كلّ النوافذ عند نهاية التدريس كما سبق القول في المنامات. والاولى ان تكون هذه المنافذ متوازية تتجوَّل فيها الريح الطيّبة فتنفي عنها الروائح الكريهة. واذا اعتاص ذلك فليُجعل في اعالي الجدران منافذ يتصاعد اليها الهواء الحارّ ويتخلّص منها الى الجوّ فيدخل هواء بارد نظيف بدلًا عنهُ من خصاص الباب والشبابيك

ونضيف الى الملاحظات السابقة انَّنا كنَّا نودّ لو جُهزت مقاعد التلامذة ومساندهم على اسلوب تحوت مدرَّجة متصاعدة (en amphithéatre) فتكون المقاعد المتباعدة عن مقام المعلِم اعلى من القريبة اليهِ لانَّ الطلَبة ينظرون جيّدًا كلَّ اشارات المعلّم وشروحهُ على اللوح ويسهل على المعلِّم النظر الى تلامذتهِ ورعاية اعمالهم وحركاتهم

(التنوير) التنوير في الندوات المدرسيَّة امَّا طبيعيّ وامَّا اصطناعيّ. والتنوير الطبيعيّ الذي مصدرهُ الشمس لا بُدَّ لهُ من منفذ. والأولى ان يكون منفذ النور من علُ كما ترى في الطبيعة التي تُرسل اشعَّتها من طبقات الجوّ العليا فتُنير المنظورات انارةً تامَّة تبيّن خواصّها وتزيل أظلالها. فلو كان للمدارس منفذ في السَّقف يدخل منهُ النور فنعمًا لكن دون تحقيق ذلك الامر عوائق لاسيما اذا كان فوق مقام الدارسين طوابق اخرى فلا يبقى سوى الالتجاء الى المنافذ الجداريَّة والشبابيك

امّا جهة فتح هذه النوافذ فهي اليمين او الشمال ليتمكّن الكاتب من نظر ما يكتبهُ ولو اتاهُ النور من امامهِ لَكَلَّ منهُ بصرهُ ولو اصابهُ من خلفهِ لوقع ظلُّ جسمهِ على القرطاس فلا يبقى سوى اليمين او الشمال . وسعة النوافذ تختلف مع سعة المدرسة وانّما المعدَّل ان يكون رُحبها مناسباً ثلث حضيض المدرسة او ربعها

امّا التنوير الاصطناعي الذي يُحتاج اليهِ في قاعات الدرس ليلًا فالأَولى ان يتّخذ من الموائع او الغازات ما كان اسطع نورًا . والقياس في ذلك ان يتّخذ مصباح من البترول لثمانية من الطلبة ومصباح من الغاز لعشرة منهم ومصباح من الاسيتلين لاربعة عشر ومصباح من الكهرباء لثمانية عشر وقد مرَّ في المشرق مقالة مطوَّلة في كلّ هذه الاصناف من التنوير وخواصّها وتركيبها (المشرق ١ : ١٠٩ , ٢٤١ , ٤٥٣ , ٥٠٠ , ٦٩٤)

(اثاث المدارس و بيوت الدرس) مدار بحثنا في هذا الباب على الاثاث الذي يحتاج اليهِ التلامذة في دروسهم . ومرجع ذلك الى القاعد والمكاتب وادوات الكتابة

(المقعد) قد مرَّ الكلام عن القاعد من حيث سعتها وطولها وبحثنا هنا عن علوّها . وانّما تحديد ذلك صعبٌ جدًّا لانّ اجسام الطلبة في نموّ متداوم من السنة العاشرة الى السادسة عشرة من عمرهِ فيقتضي ذلك وَضع مقاعد مناسبة لطولهم تختلف مع اختلاف قامتهم . ولكن يستحيل على ارباب المدارس ان يعطوا كلَّ تلميذ مقعدًا خصوصيًّا منفردًا يناسب طولهُ فضلًا عن انّ ذلك يشوّه منظر قاعات الدرس ويذهب بنظامها . فيبقى ان تقسَّم التلامذةُ افواجًا على حسب اعمارهم وتقدُّمهم في الدروس . والافواج اذا اعتبرنا سنّ التلامذة ثلاثة : فوج الصغار وفوج المتوسّطين وفوج الكبار . فيُجعل لكلّ فوج اثاث من القاعد يناسب معدَّل طولهم

امّا بيوت التدريس حيث ترى مرارًا اولادًا من الكبار مختلطين بالصغار لتأخُّر اولئك في الدروس او نجاح هؤلاء فحلّ المشكل اشدّ صعوبةً . وانّما يُعتبر على وجه الاجمال تلامذةُ الفصاحة والبيان والفلسفة من صفوف الكبار وتلامذةُ مدارس النحو والانشاء من الصفوف المتوسّطة وتلامذةُ الصرف والمبادئ من الصغار . ثمّ انّ معاهد التدريس اكثر عددًا من بيوت الدرس فيجوز ان تكون مقاعدها مختلفةً فيُتَّخذ لكلّ مدرسة مقاعد متفاوتة العلوّ وينبغي ان يُجهَّز لهذه القاعد متّكاآت للظهر على شكل

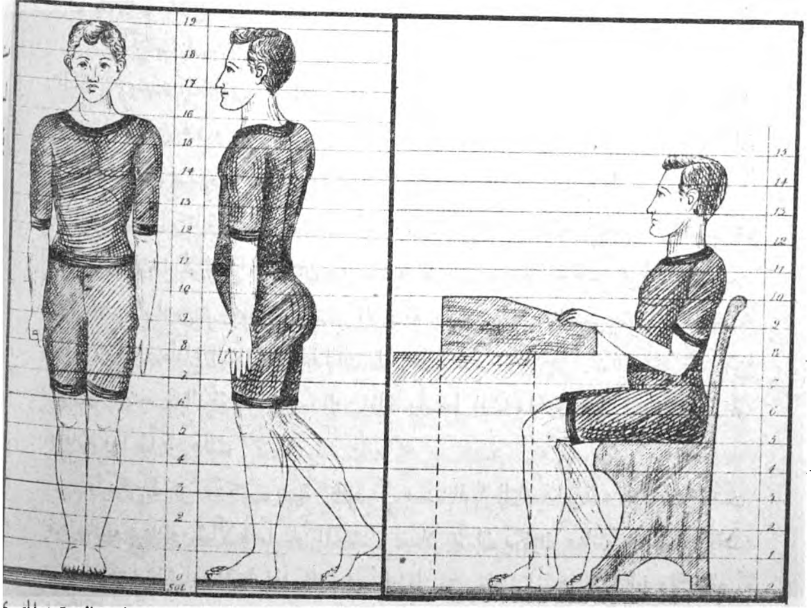
عمودي مع بعض الانحناء الى ما وراء . وليكن عرض المقعد كافياً لسند الفخذين . امَّا علوهُ فلا يتجاوزنَّ طول الساقين بحيث اذا مدَّهما الطالب تمسَّان الارض وهو قاعد مستند الى المتكأ . ولولا هذا المتكأ لتداعت اوراك الولد وتراخى بدنهُ في جلستهِ . كما انهُ لو ضاق عرض مقعدهِ بات قلقًا ولو زاد علوّ المقعد ظلّت رجلاهُ في الهواء واعتاص دوران الدم في جسمهِ وبعكس ذلك لو كان مقعدهُ واطئًا لتحامل ثقل جسمهِ على عَجْبهِ

(المكتب) ولا بُدَّ للتلميذ من مكتب ينضّد فيهِ كتبهُ ويستند اليهِ في الكتابة . وهذه المكاتب تُصطنع عادةً على شكلٍ منعطف نحو صدر التلميذ انعطافًا تبلغ زاويتهُ بين ١٥ و ٢٠ سنتيمترًا . ومن منافع تحرُّف المكتب على هذا المنوال انَّ الولد لا يؤذي صدرهُ بانحنائهِ المفرط على مكتبهِ لو كان متساويًا بل ينتصب صدرهُ ويتقوَّم عند الكتابة . ومن خواصّ المكتب المنحني انَّهُ اصلح لتنضيد الكُتُب في داخلهِ . وذلك انَّهُ يُجعل لهُ دفَّتان من جانبيهِ تُطبقان على خزانة تودع فيها الكتب . وفي بعض المدارس لم يُجعل للمكتب الَّا دفَّة واحدة بازاء التلميذ يفتحها ويطبقها امامهُ . وفي اصطناع الدفَّة على هذا النمط شططٌ لانَّ الولد اذا اراد ان يأخذ شيئًا من خزانتهِ احتجب بالدفّة فلا يراهُ الناظر وأسقط ايضًا ما كان فوق الدفّة من ورق واقلام وما شاكل ذلك

وليكن لكلّ مكتب سعةٌ كافية كي يسند اليها التلميذ مرفقيهِ دون ان يتأذَّى من جليسهِ يمينًا او شمالًا . امَّا علوّ المكتب فلا بدَّ ان يكون مناسبًا لجسم الكاتب معتدلًا في ارتفاعهِ لأنهُ اذا زاد علوهُ اضطربت خاصرتاهُ عند الكتابة واذا نقصَ انكبَّ على قرطاسهِ ونال صدرهُ الاذى وضاق عليهِ التنفُّس

وهنا لا نجد مندوحةً من ذكر نسبة اعتدال الجسم البشريّ ليلمّ بذلك علمًا اربابُ المدارس فيضعوا الامر نصب اعينهم في تجهيز ادوات المدارس التي يحتاج اليها التلامذة او لها علاقة مع اجسامهم . وعليهِ فينبغي ألَّا يستخدموا اداةً قبل ان ينعموا النظر في نسبة جسم الذي يستعملها . واذا ابتنوا سلَّمًا جعلوا درجاتهِ على نسبة ارجل الراقين عليهِ واذا اتَّخذوا مُغتَسَلًا وضعوهُ على طول المغتسِل فيهِ . وكذا الفراش والمقاعد والمكاتب لا بدَّ لرؤساء المدارس ان يصطنعوها على نسبة جسم التلامذة . وهلمَّ جرًّا

وقد اهتمَّ العلماء بوَضع قواعد مختلفة تُعرف بها انساب طول قامة الانسان في كلّ اطوار عمرهِ واقدم هذه القواعد الدستور المعروف «بالدستور المصري» الذي اكتشفهُ الدكتور ليبسيوس. ومرجع هذه القاعدة الى « ان طول جسم كلّ الانسان يناسب ١٩ مرَّة اصبعهُ الوُسطى » وعليهِ فتكون الوُسطى القسم التاسع عشر من قامتهِ فان بلغت مثلًا قامة رجلٍ مترًا و ٦٥ س كان طول اصبعهِ الوسطى نحو ٨٧ مليمترًا



نسبة الجسم البشري الى الاصبع الوسطى (الدستور المصري) — نسبة جسم الانسان الحسن الجلوس

واذا قسنا طول الساقين من الرجل الى الركبة وجدنا طول الساق يوازي خمس مرَّات طول الاصبع الوسطى. وعليهِ فيكون جلوس الانسان حسنًا اذا كان علوّ كرسيّهِ خمس مرَّات طول وسطاهُ. واذا فرضنا ان قامة التلميذ ١,٦٥ ووسطاهُ ٨٧ مليمترًا يجب ان يكون علوّ مقعدهِ ٥ × ٨٧ اي ٤٣ سنتيمترًا ونصفًا

امَّا المكتب الذي يستند اليهِ التلميذ المذكور في قراءتهِ وكتابتهِ فينبغي ان يكون بُعدهُ عن العين ٣٠ سنتيمترًا ولئلَّا ينكبّ بصدرهِ على المكتب يُقتضى ان يكون

طرف المكتب الاسفل قريباً من الجسم فيقع ظلُّهُ على الكرسي بنحو نصف اصبع ولذلك فالاولى ان يكون المكتب منفصلًا عن سندهِ السافل فيقرّبهُ التلميذ او يبعدهُ عند الحاجة . امَّا ارتفاع المكتب عن الحضيض فيجب ان يكون في طرفهِ الاسفل من جهة صدر الكاتب ٩ مرَّات طول الاصبع الوسطى وفي طرفهِ الاعلى ١٠ مرَّات ونصفًا لاجل انحناء المكتب كما ذكرنا . اعني ٧٨,٣ سنتيمترًا من امام و٩١,٣ من وراء

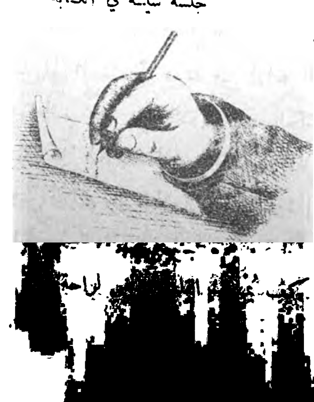
هذا ما يختصّ بمكاتب بيوت الدرس . امَّا المدارس حيث لا يجد التلميذ سوى مسندٍ ثابت منحرف لمرفقيهِ يتَّصل بلوح متساوٍ لوضع اقلامهِ وكتبهِ فليكن ارتفاع المسند على مقتضى القواعد السابقة وليُجعل فوق هذا المسند الثابت مسندٌ آخر متحرّك يقلبهُ التلميذ كما يشاء ويجعله امامهُ عند الكتابة بعد ان أثبت طرفَهُ المتأخر بشكل او سنَد آخر من خشب يدور حول محور عموديّ



تأثير الجلسة السيِّئة في جسم الكاتب



جلسة سيِّئة في الكتابة



فبعد الملاحظات السابقة ان اردت مثلًا ان تصطنع مقاعد لتلامذة عمرهم ١٣ سنة تجد في جدولنا ان معدَّل قامة هؤلاء متر و٤٥ سنتيمترًا فاقسم هذا العدد على ١٩ تجد ٧٦ [illegible] بعدد ٥ وهي طول

الساق الى الركبة فيحصل ٣٨ سنتيمترًا وهو علوّ مقعد التلامذة المذكورين. وقس عليهِ بقيَّة اعمار التلامذة

٣ (الكتب والدفاتر) ومن ادوات الدرس والمدارس الكتب والدفاتر. فينبغي على ارباب المدارس ان يختاروا للتدريس الكتب النظيفة الورق المشرقة الحروف وليكن الورق صفيقًا لا يُرى من خلال الصفحة الواحدة آثار كتابة الصفحة الأخرى فتنبو العيون عن قراءتهِ وان كان الورق مشوبًا بصفرة خفيفة فهو افضل للعين من الورق الشديد البياض. ولتكن حروف الكتب المدرسيَّة متوسّطة في الكبر لا يجد التلميذ في مطالعتها عناء. والحرف الاصطنبولي الكبير خيرٌ من غيرهِ لنضارتهِ في درس الكتب العربيَّة. وما قيل عن الكتب يصحُّ قولهُ ايضًا عن الدفاتر وورق الكتابة

٤ (الحبر) الحبر الاسود هو احسن حبر للكتابة. وعليهِ فقد ساء صنع من يتَّخذون اصناف الحبر الملوَّن لاسيما الحبر البنفسجيّ فانَّهُ يتعب النظر. وليس رخص الحبر الملوَّن سببًا كافيًا لاتخاذهِ بدلًا من الحبر الاسود لما يتأتَّى عن ذلك من الاضرار لعين الكاتب وللاستاذ عند اصلاحهِ كتابة التلميذ. والحبر الاسود الجيّد يجهَّز الآن في بعض المخازن باسعار متهاودة فيباع الليتر بين ١٥ و ٢٠ سنتيمًا

ولنختم هذا الفصل بذكر شيء من اصول الكتابة في المدارس لعلاقتها مع صحَّة الكاتب. وهنا يحسن بنا القول ان هيئة الكاتب العربيّ عند جلوسهِ للكتابة افضل من سواه لانَّ الجسم فيها يبقى منتصبًا متساويًا سواء كتب على يديهِ او على سندٍ ويبقى على كلّ حال طرف الدفتر الاسفل مستقيمًا بلا اعوجاج. بعكس كتابة خطّنا الافرنجي المنحرفة على الطريقة المعروفة بالانكليزيَّة فان الكاتب لا يستطيع تصوير الحروف الَّا بان يعطف جسمهُ ويميل بهِ ميلًا سيئًا. فترى الكاتب يسند في كتابتهِ كلّ ساعدهِ الايسر الى المسند ولا يسند من ذراعهِ اليمين غير زَندها. وفي هذا خلَل لا محالة يؤذي الجسم. وزد على ذلك انَّ هذه الكتابة التي يعتادها البنات في كثير من المدارس لا يُطَّلع على فحواها الَّا بعد المشقَّة وكَلَل البصر. وفي مسك القلم ايضًا خللٌ آخر في المدارس فانك ترى التلامذة اذا اخذوا القلم تقلَّصت اصابعهم والتوت حتى انَّها بعد كتابة صفحة واحدة يصيبها نوعٌ من الشَّلَل

ونحن نشير على آل المدارس ان يفضِّلوا الكتابة القديمة المستقيمة الاحرف مع

تدوير اطرافها كما كان يستعملها اجدادنا وكانوا يضعون القلم الافرنجيّ بين السبَّابة والوسطى كما ترى في الصورة السابقة يمسكهُ الباهم والسبَّابة مستندًا الى طرف الوسطى وهي طريقة طبيعيَّة تسمح للكاتب ان يستند وقت الكتابة بذراعيهِ الى مسندهِ. ولا شيء يصدُّهُ ان يجعل احرفهُ مائلةً اذا ادار دفترهُ قليلًا. ومن فوائد هذه الطريقة ان الاصابع تقوى على الكتابة زمنًا طويلًا دون تعب. والله اعلم (ستأتي البقيَّة)

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

١٨ً (الفَيْجَن) قال الزبيديّ: الفَيْجَن (كحيدر) السَّذَاب كالفَيْجَل. قال ابن دُرَيد: ولا احسبها عربيَّة صحيحة وقد أَفجَن الرجل اذا داوم على أَكلهِ. اه. (قلتُ) وهو تعريب πήγανον مبنًى ومعنًى بعد حذف سمة الإعراب

١٩ً (الأَسقَان) الخواصر الضامرة (عن الفيروزاباديّ) تعريب σκῆνος ويراد بهِ السَكَن اي كل ما يُسكَن اليهِ أو فيهِ من خيمةٍ وبيتٍ ثم اطلقوهُ على الجسَد لانهُ مسكن النفس. ويقول العرَب انَّها الخواصر الضامرة كأَنَّهم قالوا: ليس في الانسان الَّا ما تفتقر النفس الى السُكنى فيهِ وهو هيكل العظام. ومن غريب الاتّفاق ان «سَكَنَ» العربيَّة تشابه σκηνόω اليونانيَّة بلفظها تقريبًا ومعناها تحقيقًا

٢٠ً (القِرْش) بمعنى الكَوْسَج او اللُّخم اي سمكة في البحر وهو: «في الماء شرٌّ من الأَسد في البَرِّ يقطع الحيوان في الماء بأَسنانهِ كما يقطع السيف الماضي...» ويُسمَّى القُرَيش على التصغير. قال ابن سيده: «قُرَيش دابة في البحر لا تدع دابة إلَّا أَكلتها فجميع الدوابّ تخافها» اه. وعليهِ فالقرش والقُرَيش والكَوْسج واللُّخمُ شيء واحد. والاولى تعريب καρχαρίας (carcharus, requin)

٢١ً (القارِب) بمعنى السفينة الصغيرة تعريب κάραβος لم يصرّح باعجميَّتها احدٌ (١

(١) [illegible] المستشرقون على ذلك. ولعلّ «الغُراب» بمعنى السفينة الخفيفة مشتقَّة منها ايضاً ه. ل

٢٢ً (الفَلَج) بمعنى النهر الصغير معرَّبة بدون شكٍّ. لأنـهُ ليس في معنى اصول الكلمة ما يؤيد اشتقاقهـا من لفظٍ عربيٍّ وهي مأخوذة من πέλαγος (pelagus) ومعناها البحر والعُباب والمياه الزائدة او الطاغية في النهر

٢٣ً (الأَقرِيدُس) قال ابن البيطار في ترجمة الجراد: «أَقرِيدُس اذا بُخّر بهِ نفع من عسر البول» وذكرها صاحب مُحيط المحيط بصورة قُرَيدس بحذف الهمزة وقال فيها: «سمكة صغيرة بقدر الجرادة او اكبر قليلًا تشبهها» وهي تعريب ἀκρίς, ίδος ويُراد بها الجرادة مطلقًا ويُريد بها اليوم بعض العرب ما يُسمَّى عنـد الافرنج Squille aquatique ou Crevette des ruisseaux اي جرادة الماء

٢٤ً (الأَمّ) بمعنى الجلدة الرقيقـة على الدماغ معرَّب ἔλαμις فعرَّبوها اوّلًا ألأم بعد تجريد علامة الاعراب عنها ثم تصوَّروا ان الألف واللام هنا للتعريف ليس إلّا. كما فعلوا في «ادماس» فعرَّبوها «الماس» ثم قالوا: «ماس» وفي لِمِينًا λιμήν قالوا «مِينا» وقالوا «إِسكَندَر» في أَلِكسَندر فاسقطوا اللام وقالوا «إِكسَندر» ثم قدَّموا الحرف الرقيق على الحرف الفخيم كما هو شائع فاشٍ عندهم فقالوا «اسكندر». والشاهد على ان الأم يونانيَّة انَّها مشتقَّة من اصل يونانيّ يؤَيد معناها اي ἐλέω وهو غطّى. امَّا في العربيَّة فليس لها اشتقاق يُثبت ما تدلُّ عليهِ

٢٥ً (القُلَّة) بمعنى الجرَّة تعريب πέλλα كأنَّهم قالوا «الفَلّة» اولًا ثم زادوا فيها نقطة اخرى فصارت القُلّة. وهم كثيرًا ما يفعلون ذلك في الالفاظ المعرَّبة ومن طالع كتاب المفردات لابن البيطار يَرَى الشواهد فيهِ كثيرة فإِنَّهُ قال «طريقلا» في طريفلا. وقـال العرب «قرزوم» في فرزوم. لا بل وقد وقع مثل هذا التصحيف في الفاظٍ عربيَّة وقد ذكر السيوطيّ في المزهر (١: ٢٦٤) شيئًا كثيرًا. فمن ذلك الزحاليف والزحاليق. القشّ والفشّ. المقرشة والمفرشة. نفز ونقز الظبي. وهلمَّ جرًّا (١

٢٦ً (القَدَس) بمعنى القدح تعريب κάδος (٢

٢٧ً (القَلِيف) بمعنى الدَنّ الذي فُض عنهُ طينُهُ تعريب κάλπη ومعناها الجرَّة والوعاء والآنية والسطل وإجانة الموتى ووعاء القُرعة او الاقتراع

---

١) قد رجَّحنا في كتابنا «الفروق» (ص ٣٢٥) اشتقاقها من culus او culullus ه.ل

٢) راجع الفروق ع ٩٥٨ و ٩٥٩

٢٨ً (الإجَّانة) بمعنى المِرْكَن اي شبه لَقَنٍ تُغسَل او تُقصر فيهِ الثيــاب معرّبة عن كلمة ἀγγεῖον وهي بمعناها ولهذا يقال فيها ايضًا « انجانة » تبعًا للاصل الاعجميّ

٢٩ً (القَمح) ليست بعربيَّةٍ قطعًا بل هي معرَّبة عن χαμακίας .وكذلك « البُرّ» فانّها معربة بهذا المعنى ايضًا وقد صرّح بذلك حضرة الاب لامنس اللغوي الشهير

٣٠ً (العُنقُز) قد تلاعب العرب بهذه الكلمة كما يتلاعب الفرسان بالكُرة في الميدان فمن ذلك انّهم قالوا: « العنقز (كجَعْفر وهُدْهُد) المرزنجوش... في لغة اهل نجد وامّا اهل اليمن فيسُمّونهُ سَفسَفًا (كجعفرٍ). (اه بحرفهِ عن التاج). فالعُنقُز (وهي اصحّ لغةً لقربها من الاصل) ليس بالمرزنجوش بل هو نبات يُشبِهُهُ كل الشبه بازهارهِ فاشتبه عليهم الفرق بين النَبتَين واسمهُ باليونانيَّة ὄγκος (en français : oncidie. — *Cfr.* Bouillet, *dern. éd.*) .وكثيرًا ما يغلط بعض اللُّغويّين مثل هذا الغلط كما غلطوا في تعيين معنى الغرنوق والسمسق والسلّور ونحوهما مع ان هذه الالفاظ كلها لم تجيء في الأصل الّا في معنًى واحدٍ. وكأنّهم لم يكتفوا بهذا الخلط صحَّفوا العُنقُز عَنقَرًا بالراء المهملة كما صحّفوا السمسق سَفسفًا بمعنى المرزنجوش ايضًا وهي يونانيَّة كأُختها من σάμψυχον. قال ابن دُرَيد: « السفسف لغةٌ يمانيَّة وهو الذي يُسمّيهِ اهل نجد العنقر والعنقز والمرزنجوش » (عن التاج). ثم انّهم صحَّفوا العنقر بالعبقر(١ (ستأتي البقيَّة)

المجموع المنتظم لابن الافرنجية

نبذةٌ اقتطفها الاب لويس شيخو اليسوعي

عرَّفنا في العدد السابق (ص٤٤٢) شاعرًا حلبيًا مجهولًا يدعى ابن الافرنجية وروينا شيئًا من شعرهِ. فبقي علينـــا ان نعرّف مجموعَهُ الادبيّ الذي وسمهُ « بالمجموع المنتظم من فرائد الكلم »

اعلم انَّ هذا الكتاب عبارة عن ١٦٠ صفحة من قطع هذه المجلة. وقد قسمهُ صاحبهُ الى فصول عديدة منها شعر ومنها نثر على طريقة كتب العرب الادبيَّة ككتاب العقل والادب وباب الجود والكرم وباب الصاحب وباب الزيارة وفصول مختلفة في النديم

(١ راجع المشرق ٤ : ١٠٧٤





والنُّكت والامثال والحِكَم والطبّ والمخمّسات والازجال والموشّحات والالغاز والمكاتبات الى غير ذلك من المواضيع الادبيَّة نقلها عن كتب عديدة ونظّمها كقلادة فاخرة حلّي بها جيد مجموعهِ الفريد. فمن ذلك امثال شعريَّة نختار منها بعضها لحسن معانيها :

ومن لم يَذُق ذلَّ التعلُّم ساعةً ... يذوقُ مرار الجهل طول حياتهِ
سيذكرني قومي اذا جدَّ جدُّهم ... وفي الليلة الظلماء يُفتقَدُ البدرُ
رأيتُ دنوَّ الدار ليس بنافعٍ ... اذا كان ما بين القلوبِ بعيدُ
ولو ألفُ بانٍ تحتهم هادمٌ كفى ... فكيف وبانٍ تحتَهُ الفُ هادمِ
دخولك من باب الهوى ان اردتَّهُ ... يسيرٌ ولكنَّ الخروجَ عسيرُ
ومن لم يَمت بالسيفِ مات بغيرهِ ... تنوَّعتِ الاسبابُ والموتُ واحدُ
اذا مرضنا نوينا كلَّ صالحةٍ ... وان شفينا فعلنا اسوأ الفعلِ
انَّ الاكابر يحكمون على الورى ... وعلى الاكابر يحكمُ العلماءُ
يا نحلةً لم أذُق من طعم عسلَتِكِ ... كفِي عن اللَّسعِ لا لَسعٌ ولا عسلُ
اذا صافى صديقُكَ مَن تُعادي ... فقد عاداك وانفصلَ الكلامُ
ان كان جودُ الفتى قولًا بلا عملٍ ... فالجودُ عند جميع الناسِ موجودُ
انَّ التواضعَ في الرئيس جلالةٌ ... والكبرُ يزري بالكبير فيسقطُ
وعين البُغض تُبرزُ كلَّ عيبٍ ... وعينُ الحبِّ لا تجدُ العيوبا
اذا اشتدَّ عُسْرٌ فارجُ يُسرًا فانَّهُ ... قضى الله انَّ العُسْرَ يتبعهُ اليسرُ
الحرُّ حرٌّ عزيزُ النفس حيثُ يُرى ... كالشمسِ في كلِّ بُرجٍ ذاتُ انوارِ
كانَّما هو مغناطيسُ انفسنا ... فحيث ما دار دارتْ نحوَهُ الصُوَرُ

ومن مرويَّات ابن الافرنجيَّة لمروان ابن الحكم لمَّا ظفر بهِ السفَّاح:

الدهرُ يومانِ ذا امنٌ وذا حذرٌ ... العيشُ شطران ذا صفوٌ وذا كدَرُ
وكم على الارض من خضرا ويابسةٍ ... وليس يُرجمُ الَّا ما لهُ ثمَرُ
قلْ للذي بصروف الدهر عيَّرني ... هل غيَّر الدهرُ الَّا من لهُ قَدَرُ
أما ترى البحرَ يعلو فوقهُ جيفٌ ... ويستقرُّ باقصى قعرهِ الدُرَرُ
وان تكن عبثت ايدي الزمان بنا ... ونالنا من تجنّي بؤسهِ ضَرَرُ

ففي السماء نجومٌ لا عدادَ لها وليس يُكسفُ الّا الشمسُ والقمرُ

ومما روى لبعض الحكماء قولهُ عن اخلاط الانسان الاربعة: الصفراء كالطفل يغضب عن كلّ شيء ويرضى من لا شيء . والدمُ كالعبد وربّما قتَل العبد مولاهُ . والبلغم كالملك الجائر اذا غضب لا يرضى الّا بقتل عضوٍ شريف . والسوداء كاللص الحاذق اذا دخل البيت لا يرضى الّا بسرقة اجلّ شيء وهو العقل

ومن الاخبار التي نقلها ابن الافرنجيّة انّ بعض الظرفاء كان مدمناً على الخمر فاتّفق لهُ انّهُ باتَ ليلةً وليس عندهُ شراب فحار في امرهِ وحصل لهُ من ذلك كدَرٌ عظيم فكتب الى صاحبٍ لهُ يقول:

اشكو اليك براغيثاً بُليتُ بهم سوداً اذا انتبهوا في الليل لم أَنَمِ
اصيد هذا فيبقى ذا فيلدغني فينقضي ليلي في صيدٍ وفي أَلَمِ
وقد تيقّنتُ اني ليس ينقذني سوى ابنةِ الكرمِ يا ابن الجود والكرَمِ
فابعث اليَّ دمَ العُنقود أَشربُها لكي انامَ ولا اشعر بسفكِ دمي

فضحك من حسن سوءالهِ وامر لهُ بخمر . وروى ابن الافرنجيّة لشاعر حجبهُ امير :

على الباب عبدٌ من عبيدك واقفٌ بجودكَ مغمورٌ بنعماك معترفْ
أيدخل كالإقبال لا زلت مقبلًا مدى الدهر او مثل الحوادث ينصرفْ

فكتب اليهِ الامير: بل ادخل علينا كالاقبال . واجازهُ . وروى لآخر :

عندي حدائقُ جودٍ غرسُ أنعُمِكم قد مسَّها عطشٌ فَليسقِ من غَرسا
فأدركوها وفي اغصانها رَمقٌ فما يعود اخضراراً بعد ما يبسا

ومن ظريف منقولات ابن الافرنجيّة ما قيل في الغُربة:

تغرُّبُ المرء في الاسفار يُكسبهُ محاسناً لم تكن فيهِ ببلدتهِ
ألا ترى بيدقَ الشطرنج اكسبهُ عند التنقُّل فيها غيرَ رتبتهِ

وروى في عكس ذلك:

إلزم مكاناً ولدتَ فيهِ ما بين اهليك فهو اصوبْ
فالبدرُ بين النجوم أبهى والوردُ فوقَ الغصون اطيبْ

وروى لبعضهم:

ايّاك تُبدي للصحابِ تلوُّناً فيهون قدركَ عندهم وتُضامُ

او ما ترى الاوراق حين تلوَّنت ... يُرمى بها وتدوسها الأقدامُ

ولآخر:

قبيحٌ على الانسان ينسى عيوبهُ ... ويذكرُ عيبًا في اخيهِ قد اختفى
فلو كان ذا حزمٍ لما عاب غيرَهُ ... وفيهِ عيوبٌ لو رآها بها اكتفى

وروى في المدح:

يراعك ان ابكيتَهُ ضحك الندى ... وسيفك ان اضحكتَهُ بكت العدى
فشيمةُ ذا إن إعتــدى قطُّ راسهِ ... وشيمةُ هذا قطُّ رأس من اعتدى

وفيهِ: اري كلَّ فضلٍ اليكَ مصيرُهُ ... كأنَّكَ بحرٌ والموالي جداولُ
اذا امطرت منهم ومنك سحابةٌ ... فوابلهم طلٌّ وطلُّك وابلُ

وفيهِ ايضًا:

مَن امَّ بابك لم تبرح جوارحهُ ... تروي احاديثَ ما اوليتَ من مِنَنِ
فالقلبُ عن جابرٍ والكفُّ عن صلةٍ ... والعينُ عن قُرَّة والوجهُ عن حَسَنِ

وروى في باب اللطائف والفكاهات والهجو:

ثلاث عيناتٍ اذا اجتمعت ... في واحدٍ لا بدَّ ان يعــلو
وقــلَّ ما توجد في واحدٍ ... العلمُ والعفَّة والعَقلُ

ومنها ثلاث بآتٍ بُلينا بها ... البقُّ والبرغوثُ والبرغشُ
ثلاثةٌ اوحشُ ما في الورى ... ولستُ ادري أُيها اوحشُ

ومثلهُ: وليلٍ بتُّهُ رهنَ اكتئابٍ ... ألاقي فيهِ انواع العذابِ
اذا شرب البعوضُ دمي وغنَّى ... فللبرغوث رقصٌ في ثيابي

ومنها: توقَّ اربع واواتٍ وخامســةً ... لا نفعَ فيها ولكن تجلبُ الضررَا
وكالةٌ ثمَّ وَقفٌ والوصيَّة مع ... وديعةٍ وولاياتٍ فكنْ حَذِرا

ومنها: ولقد اتيتُ لصاحبٍ وسألتهُ ... في قرضِ دينارٍ لأمرٍ كانا
فاجابني والله بيتي مــا حوى ... عينًا فقلتُ لهُ ولا انسانا

ومنها: اري عهدكم كالوردِ ليس بدائمٍ ... ولا خير في من لا يدوم لهُ عهدي
وعهدي لكم كالآس حسنًا ومنظرًا ... مقيمٌ على الحالين في الحرّ والبردِ

ومنها: ما كنتُ اعلمُ والضمائر تنطقُ ... انَّ المسامعَ كالنواظرِ تعشقُ

حتى سمعتُ بذكركم فهويتكم وكذاك اسبابُ المحبَّة تعلقُ

ومنها: خذ كلاماً مجرَّباً وامتحنهُ وبميزان قِسطِ عقلك زِنْهُ
كلّ شيءٍ تراهُ عينُكَ نقصاً ينبغي ان تصدَّ نفسكَ عنهُ

ومنها: يُمسكُ الفارسُ رمحاً بيدٍ وانا امسكُ فيها قصبهْ
فكلانا فارسٌ في شأنهِ انَّما الاقلامُ رمحُ الكتبهْ

ومنها: قالت الارنبُ السَّبُوقُ كلاماً فيهِ ذكرى لتفهمَ الالبابُ
انا أجرى من الكلابِ ولكنْ خيرُ يومٍ ان لا يراني الكلابُ

ومنها: بدتْ شعرةٌ بيضاءُ في وسط لِمَّتي فبادرتُها بالنتفِ خوفاً من الحتفِ
فقالت على ضعفي استطلتَ ووحدتي رُوَيدَكَ بالجيش الذي يأتي من خلفي

وقال في شيخٍ صبغ لحيتهُ:

قل للذي يطمعُ في صبغتهْ يردُّ ما قد فات من صبوتهْ
هبْ انَّهُ قد انكر ما لم يكنْ يكفيهِ ان يكذب في لحيتهْ

وروى في الخمرة:

بنتُ كرمٍ يتَّموها أُمَّها واهانوها وديستْ بالقدمْ
ثمَّ عادوا حكَّموها فيهمُ وَيحَهمْ من شرّ مظلومٍ ظَلَمْ

وروى: شيخُ سوءٍ لا يستحي من قبيحٍ قد تمادى في غيّهِ واستمرَّا
فهو كالصِلّ في سموم الافاعي كلَّما زاد عمرهُ زاد شرَّا

وقال في مقتصد:

لعمركَ ليس امساكي لبُخلٍ ولكنْ لا يفي خَرْجي بدَخلي
فليس البخل من شيَمي ولكن على قدر البساط مددتُ رجلي

ولهُ في الزهد قولٌ فصلٌ نختمُ بهِ هذه العجالة:

واذا الجنازة والعروس تلاقيا ورأيتَ دمع نوائحٍ يترقرقُ
سكت الذي تبع العروس مفوَّهاً وترى الذي تبعِ الجنازةَ ينطقُ

فممَّا سبق يفهم القرَّاء ما طُبع عليهِ ابن الافرنجيَّة من حُسن الذوق في تآليفهِ ومنتخباتهِ والسلام

اليهودي التائه

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

لا نظنُّ انَّ احدًا من قرّائنا الكرام يجهل اسم هذا الكتاب الذي لا يزال يطنطن بهِ اعداء اليسوعيين فتراهم يهدّدونا بهِ كلّ مرَّة نفحمهم ويضيق عليهم الجواب عن براهيننا الدامغة فيطبّلون ويزمّرون ويدعون الجمهور الى مطالعة كتابٍ « حوى الإعراب العجيب (!) وايضاح مغابن الامور عمَّن يلبسون ثياب الحملان وهم ذئاب يمتصّون دماء الامم (كذا) ويسلبون نعم الكبراء ولا ينجو من مكائدهم شهم خطير ولا عامل حقير (سوى من انارهم الله واضرم قلبهم بنار المحبّة) وهو كتاب يحتاج اليهِ ابناء الوطن الشرقيّون (لاسيما من طائفة الروم خصوصًا الذين سدلت على اعينهم الطاعة العمياء لرهابين الجزويت (كذا !!!) حجابًا غادرتهم في ليل دامس يعمهون في كلّ واد من جهل الحقائق ». انتهى بحرفهِ عن جريدة المحبّة ص ٢٦٧ و ٢٦٨

فلعلّك ايُّها القارئ اللبيب تودُّ لو عرفت ما هي هذه قصَّة اليهوديّ التائه وما علاقتها مع « الرهابين الجزويت »

(قلنا) ان مخيّلة الشعوب لا تكتفي بما تنبئنا بهِ اساطير التاريخ الراهن بل ربّما زادت على الوقائع الصادقة حوادث فريَّة لا صحّة لها. فمن ذلك انَّ بعض نصارى القرون السابقة الّفوا اقاصيص شتّى اودعوها اخبارًا عجيبة عن السيّد المسيح ورسلهِ الكرام. وقد بقي لنا من هذه الروايات الخياليَّة كتبٌ عديدة وُسمت بالاناجيل الابوكريفا وشاعت في بعض انحاء البلاد منها انجيل طفوليَّة المسيح وانجيل بطرس وانجيل برنابا وغير ذلك ممَّا لا طائل تحتهُ

ومن جملة ما ورد في هذه الروايات الملفَّقة قصَّة « اليهودي التائه » وهاك خلاصتها. بينما كان الربُّ يسوع صاعدًا الى جبل الجلجلة وهو يحمل صليبهُ اضنكهُ التعب وناء تحت عبء صليبهِ فوصل في طريقهِ الى باب احد يهود اورشليم واستأذنهُ بان يأخذ عند دارهِ نصيبًا من الراحة قبل مواصلة سيرهِ الى قمة الجلجلة. فأبى اليهوديّ وطردهُ من بابهِ. فحكم عليهِ المسيح جزاءً عن سوء صنعهِ بان يطوف البلاد سائرًا ليلًا مع نهار فيتيه في الارض دون راحة الى يوم الدين عند رجوع المسيح الى العالم ليدين الامم

هذه ملخّص حكاية اليهوديّ التائه الذي يدعوهُ البعض اسحق لاكدم

(Isaac Laquedem) والبعض الآخرين احشور (Ahasver) . ويزعم رُواة هذه القصَّة انَّ اليهوديَّ المذكور لا يزال الى يومنا دائرًا يضرب في الارض وينتقل الى اقاصي المعمور ويزيدون على ذلك انَّهُ يلقاهُ النـــاس من وقت الى آخر فيكرّر على مسامعهم قصتهُ العجيبة وانَّ عمرهُ يناهز الخمسين وهو صحيح البنية قويّ على السير وقيـــل انَّ آخر مرَّة رآهُ الناس في ٢٢ نيسان من سنة ١٧٧٤ في برُكسل عاصمة بلجيكة: وقد صنَّفوا في ذلك انشودة افرنسيَّة ضمَّنوها قصَّتهُ وهي طويلة تجد في ذيل هذه الصفحة بعض ادوار منها (١

فلمَّا كانت سنة ١٨٤٤ حاول كلّ اهل الثورة من الفوضويين والماسون ان ينفوا اليسوعيين من فرنســة ليصدوهم عن تربية الاحداث فيخلو لهم الجوّ لنوال مآربهم السيِّئة فلم يدَّخروا واسطة ليبغِضوا هؤلاء الرهبان الذين دأبهم المدافعــة عن الدين والسلطان فوكلوا الى احد مصنّفي الروايات الخياليَّة يدعى اوجان سو (Eugène Sue) ان يضع كتابًا يضمّنهُ كلّ اصناف المآثم وضروب الفظائع ينسبها الى اليسوعيين علَّهُ بذلك ينـــتزع عنهم قلوب الشعب المسيحيّ فوضع روايةً دعاها « اليهودي التائه » اودعها ما امكنهُ من القبـــائح والجرائم عزاها الى اعضاء رهبانيَّة يسوع وابتنى قصَّتهُ على ان اليهودي التائه كان من اهـــل الثروة لهُ تركة تبلغ ١٥٠ مليونًا من الفرنكات اورثها لسبعة من اهلهِ . فاليسوعيُّون اذ وقفوا على حقيقة ذلك وطمعوا في المال جعلوا

---

1) *La Chanson du Juif - Errant.*

2) Un jour, près de la ville
De Bruxelles en Brabant
Des bourgeois fort civils
L'accostèrent en passant
Jamais ils n'avaient vu
Un homme aussi barbu

11) Isaac Laquedeme
Pour nom me fut donné,
Né a Jérusaleme
Ville bien renommée!
Oui c'est moi, mes enfants
Qui suis le Juif - Errant!

20) Sur le mont du Calvaire
Jésus portait sa croix;
Il me dit, débonnaire,
Passant devant chez moi:
Veux-tu bien, mon ami
Que je repose ici?

21) Moi, brutal et rebelle
Je lui dis sans raison,
Ote-toi, criminelle
De devant ma maison!
Avance et marche donc,
Car tu me fais affront!

22) Jésus la bonté même
Me dit en soupirant:
Tu marcheras toi-même
Pendant plus de mille ans
Le dernier jugement
Finira ton tourment.

23) De chez moi à l'heure même
Je sortis bien chagrin
Avec douleur extrême
Je me mis en chemin.
Dès ce jour-là, je suis
En marche jour et nuit.

يدسّون لهؤلاء الدسائس ليمتلكوا هذه الوراثة . وتنتهي الرواية بفوز اليسوعيين على السبعة الورَثة واغتصابهم لمالهم بعد اللتيّا والّتي الّا انّهم في وقت ظفرهم في المرغوب لا يجدون بدل المال سوى قليل من الرماد

فلمّا اتمَّ الكاتب هذه الرواية البـذيّة ونشرها بين القوم اجتمع الماسون وقدَّموا لصاحبها قلماً من ذهب شكرًا لهُ على هذه الخدمة . امّا اهل العدل والاستقامة والدين فعدُّوها كتأليفِ لم يُقدم على كتابتهِ الّا من جعل الكذب دينهُ والظلم ديدنهُ وحظَّرت السلطة الدينية قراءة هذا الكتاب . وعليهِ لمَّا توخّى بعض سفهاء هذه البلاد تعريب هذا الكتاب وعلمت بهِ حكومتنا السنية امرت امرًا مشدَّدًا بان يُحجز عليهِ بالكاتب لما تحقَّقت من فُحشهِ وقدحهِ في اناسٍ خدموا الوطن والدولة منذ سبعين سنة بامانة واخلاص

واليوم عادت المحبَّة (كذا) واعلمت قرَّاءها ان ادارتها تبيع هذا الكتاب الثمين . فبخٍ بخٍ على مثل هذا الكنز الدفين . الذي يفعم اليسوعيين بأصدق البراهين . وليحكم ذوو الحكم ان كانوا عادلين

الطقس اليوناني في رومية

لجناب بطرس خوري تلميذ مدرسة القديس اثناسيوس في رومة

وردت علينا رسالة ضافية الذيل يذكر فيها صاحبها الفاضل ما يؤيد بهِ مقالة الخواجا حبيب افندي زيَّات (المشرق ٢ : ٢٨٩) فاقتصرنا منها على ما ترى :

. . . لا احد ينكر علينا ان لطائفة الروم الكاثوليك أئمَّةً نبلاء واحبارًا اجلاء يتولَّون قيادتها ويتبارون فيما يؤول الى عزها وسعادتها لهم وحدهم النظر فيما يجب اجراؤهُ وما لا يجب يعرفون حقّ المعرفة ما يؤول لصلاح رعاياهم . والحال ان السادة الاحبار المذكورين كلهم راضون عن تصرُّف رومية فلا مَن يرميها منهم بلائمة لكنهم ينادون بحسن نواياها على رؤوس الاشهاد ويذيعون اكرامها وانعطافها في كل وادٍ وناد . فما بال بعض المصلحين الجدد ينادون بالويل والثبور ويتطيرون من وهمٍ حاكهُ في مخيَّلتهم الموسوس الشرير . فهم لذلك يهرفون بما لا يعرفون ويدعون الغير الى الرشد بينما تراهم في حمأة الغي يخبطون . . .

وبعيدٌ على الروم الملكيين ان ينخدعوا بالمحال او ينقادوا الى وشايات الجهال لما يعهد فيهم من شدة التمسُّك بالديانة الكاثوليكية وصادق الانتماء الى السدَّة الرسولية مما تناقلهُ الخلَف عن السلَف وحفظ لهم في صفحات التاريخ اسماً محفوظاً بالتجلة والاعجاب موصوفاً بالشهامة والشجاعة

ولعمري ان الاراجيف التي يتقوَّل بها بعض المرجفين على رومة المقدسة من انها لا تألو جهداً ولا تدخر واسطة في بخس حقوق الكنائس الشرقيَّة وطقوسهم وامتيازاتهم لم يقم على صحَّتها دليل وليست الَّا محض زور واختلاق ويكفي لنقضها نظرة حاذق منزَّه النفس عن الاغراض في احوال الكنائس المذكورة لاسيَّما اليونانيَّة منها وكيفية نهضتها المتأخرة واسبابها الخ . . .

وقد كان في وسعي تأييد قولي ببراهين ساطعة وشواهد قاطعة . بيد انني رأيت ذلك لشهرة وضوحهِ لا يتعدَّى باب العبث والفضول ولا طائل تحتهُ الَّا العناء . سيَّما بعد ما ابداهُ قداسة سيدنا لاون المالك سعيداً من عواطف المحبة والولاء لكنائس الشرق جمعاء وفرط حرصهِ على حفظ ترتيباتها دون ان تمسها يد الانثلام . ومن طالع منشورهُ الاخير لا يملك نفسهُ (اذا كان حرًّا) عن الاقرار والاندهال معاً لما يجد فيهِ من آثار الغيرة الرسولية ودلائل المحبَّة الابويَّة والتعطُّف العجيب والاهتمام الكلي مما يكفل نموها واسعادها شأن نائب السيد المسيح لهُ المجد الذي لا يهمهُ غير خلاص الانفس

ولا بأس هنا من التلميح الى بعض شواهد واقعية تضع حداً للمناقشة والجدال وتقطع قول كلّ خطيب وتؤيد هذا المبدأ « ان رومة لا تنوي نقض الطقوس الشرقيَّة بل تناضل عنها جهدها »

فاولًا: على بُعد بضعة اميال عن رومية في قرية تدعى (غروتافرَّاته) يوجد ديرٌ كبير شهير في القدم يُعدُّ من الآثار التاريخيَّة . اسَّسهُ في القرن العاشر القديس نيلوس احد آباء كنيستنا اليونانيَّة فانضمَّ اليهِ آنئذٍ عدد كبير من الرهبان وانضوا جميعاً تحت قانون القديس باسيليوس الكبير . ثم اخذوا بالنموّ والانتشار حتى اسَّسوا فيما بعد جملة اديار في كلابرية وصِقلّية وبعض انحاء ايطالية . بيد انها لم تلبث ان تنحطّ رويداً لما عراها من دواعي الاحن والتدمير كما اصاب غيرها حتى لم يبقَ لهم غير الدير المذكور . وكانوا قد بدلوا مراعاةً للاصول طقسهم اليوناني بالروماني مع تثبتهم بقانون القديس

باسيليوس الكبير. وما زالوا عليهِ الى ايامنا. فتقدَّم اليهم منــذ سنواتٍ قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر بالعود الى طقسهم القديم ولمَّا تردَّد بعضهم امرَهم أمرًا صريحًا ولم يكتفِ بذلك بل انهُ ايَّدهُ الله قد جدَّد الكنيسة على نفقتهِ الخاصَّة بحسب النظام الشرقيّ وزيَّنها بفُسَيْفِساء بديع الصنعة جدًّا فصارت تقام بها الذبيحة الالهيــة وبقيَّة الفروض باليونانيَّة في حين انها هي الكنيسة الكاتدرائية الوحيدة للبلدة التي اهلها جميعًا لاتينيُّون. واقام لهم فوق ذلك مدرسةً اكليريكيَّة اغلب تلامذتها من رومة وجوارها. وقد اسعدنا الحظ بزيارة الدير المذكور والاقامة فيهِ مدَّة شهر. أفليس ذلك دليل ساطع على انَّ رومة لا تنوي العمل بالخلاف وانَّها تُجلّ طقوسنا الشرقية

ثانيًا: ان رومة تأذن لكهنة اللاتين والرهبان ان يبدلوا طقسهم الاصلي بغيرهِ اذا دعت الحاجة واقتضت الضرورة والاحوال بل انها تُكرههم احيانًا على ذلك. في حين انها لا تأذن للشرقيين بهِ قطعًا. ففي القسطنطينيَّة مثلًا وبعض بلاد اليونان يوجد كهنة ورهبان ولدوا وتغذَّوا وسيموا بالطقس اللاتيني وهم الآن يونانيون زيًّا وطقسًا. فكيف تأويل ذلك؟ ...

ولا حاجة لأن نبعدَ في التفتيش. فهوذا رؤساء مدرستنا الافاضل (١ قد اضطُرُّوا الى اتّخاذ طقسنا اليوناني معما فيهِ من المشقة والعناء نظرًا للاجانب الاوربيين الذين لا يدرون من امرهِ شيئًا لبعدهِ منهم وغرابتهِ وصعوبته في حدّ ذاتهِ. وهذه مدرستنا اليونانيَّــة الحبريَّة مع كونها في وسط رومية بل قريبة من الكرسي الرسولي نفسهِ بل تحت حماية قداسة الحبر الاعظم وعنايتهِ توًّا. لا نرى فيها ما يُشعر بشبهِ خيــالٍ لما يُتوهَّم. حيث ان تلاوة القــداس اللاتيني في كابيلّا المدرسة وكنيستها « القديس اثناسيوس » ممنوع منعًا كليًّا. وكذا كل ما يستعملــهُ اللاتين في فروضهم وصلواتهم العمومية. فلا يجوز الجثو على الركب اصلًا (٢ ولا الصليب (بالخمسة) ولا زيّاح ولا نياح ولا اواني. ولا ولا... ادنى شيء يخالف طقوس وعوائد كنيستنا اليونانيَّة. بين نرى هذه وامثالها جائزةً في كنائسنا ان لم نقل شائعة... فلعمري انَّ هذا لمن الغرائب

١) يريد حضرة الكاتب الرهبان البندكتيين الذين وكل اليهم قداسة الحبر الاعظم تدبير مدرسة القديس اثناسيوس اليونانية في رومية ٢) قد بيَّن صاحب كتاب تحقيق الاماني لذوي الطقس اليونانيّ انَّ الجثوَّ على الركب لا يخالف الطقس اليونانيّ (ص ٢١) (المشرق)



واغرب من هذا اننا نتلو قانون الايمان المقدس كما حدَّدهُ آباء المجمع الفلورينتيني المسكوني بدون إصراح قضيَّة انبثاق الروح القدس من الابن فنقول « المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن الخ » الامر الذي لا يسوغ لنا في الشرق لانهُ من القضايا الجوهريَّة. ولا يخفى ان المجمع المذكور قرَّر بالاتحاد والصوت الحي وجوب الاعتقاد بقضيَّة الانبثاق من الاب والابن كاحدى عقائد الايمان الشريفة مع جواز عدم التصريح باسم الابن في الكنيسة الشرقيَّة . الامر الذي لا يكاد يُصدَّق ومع ذلك فهو واقعيٌ لا ريب فيهِ ولا مغالاة

فهذه لا جرم حجَّة باهرة تبكم كل متشدّقٍ ممخرق. كافلة بيان الحقيقة وحسن نوايا الكرسي الرسوليّ المقدس وما يضمرهُ من المحافظة التامَّة على حقوق الكنائس والامم الشرقيَّة وترتيباتها وطقوسها وان لا شاغل لامام الاحبار وخليفة هامة الرسل الابرار الَّا الاهتمام والتبصُّر فيما يعود على الشرق العزيز بالسعادة وينهضهُ من وهدة الذلّ والخمول ويستأنف السير في سبيل الترقي والنجاح ويعيد ايَّام العزّ والمجد والفلاح

والخلاصة ان رومة قد عزَّزت دوامًا ولن تزال تعزّز ابدًا حقوق الشرقيين بالقول والفعل. فاذا ما عرانا بعض الاختلال او تقصير فلا نلومنَّ غير انفسنا ولا نلقينَّ التبعة الَّا على بعض افراد منَّا

بقي علينا ان نسأل الله تعالى ان يمدّ في اجل حبر احبارنا اب المؤمنين جميعًا ورسول السلام. وان يؤازر غبطة مولانا البطريرك الهمام وان يقينا جميعًا شرّ الغواية ويكشف عن عيون المغترّين براقع الغشم والاوهام بمنّهِ وكرمهِ سبحانهُ

فنّ التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حبيقة مدرّس البيان في كلِّية القديس يوسف (تتمَّة لما سبق)

٢ التنسيق الداخلي

يُنظر في هذا المطلب الى بيان المقصد والعقدة والخاتمة

اولًا بيان المقصد (Exposition) هو مطلع الرواية والاصل الذي تنشأ منهُ فروعها. وهو يقتضي فنًّا وعنايةً عظيمين ليستوفي شروطهُ المتباينة من وضوحٍ في شرح وغموض في ايجاز





امّا الوضوح فلكي نقف منذ البداءة و بغير عناء على ما تجب معرفتهُ من سوابق الواقعة واسماء الاشخاص وحالاتهم واخلاقهم واغراضهم وظروف الزمان والمكان. وقد يتّفق احياناً ان شهرة الاشخاص والواقعة تُغني عن بعض الشروح والتفاصيل. ولكن كثيرًا ما يقع الامر بخلاف ذلك اذ تكون حالة الاشخاص والواقعة مجهولةً من الجمهور. فاذا لم يجعل المؤلف في مطلع روايتهِ الايضاحات اللازمة فانهُ يشغل افكارهم بألغازهِ ويتعب سرَهم بما يكدّس من الغرائب الغامضة حتى يوفّر لهم عوض الراحة عناء وبدل اللذَّة كربًا. فضلًا عن انَّ عباراتهِ ومعانيَهُ التي يكون قد اجهد النفس في انتقائها ليكتسب رضاهم واعتبارهم تذهب سدًى ولو كانت من البدائع. وذلك لانهم يجهلون اشخاص الواقعة ولا يعرفون شيئًا من امرهم فلا يمكنهم والحالة هذه ان يقدّروا تلك البدائع قدرها

امّا الغموض فلكي تبقى نتيجة الواقعة محجوبةً عنّا فلا تزال النفوس مشتاقةً الى فضّ المشكل ومُولعةً بمعرفة العاقبة حتى تبلغ المرام في الختام. فتتمتع بلذَّة المفاجأة. اذ لو سبقت معرفتنا بالعاقبة لخمد شوقنا وبطلت الفائدة

والعادة المألوفة لبيان المقصد هي ان بعض الاشخاص يدفع غيره الى الكلام فيسترسل هذا في سرد كل ما تهمّ معرفتهُ إمّا ليوقف المخاطب على ما يجهلهُ وإمّا ليذكّرهُ بما نسيَهُ واحيانًا ليبيّن لهُ انَّهُ هو لم ينسَ ما اتفق لهما كليهما معرفتهُ. وهذه الطريقة لا تستحسن لانها مبتذلة وداعية الى السأمة. لاسيما وان هذه الايضاحات ترِد في بعض الروايات لمجرَّد افادة الحاضرين. فتُسرَد بصورة الإخبار الباردة خالية من الطبعيَّة عقيمة من كل جدوى في مجرى الواقعة

وافضل وسيلة لبيان المقصد ان يورد ليس بهيئة إخباريَّة بل في مظهر الحركة والعمل كأنما الاحوال تشتبك منذ البداءة فنقف من خلالها على ما تجب معرفتهُ بطريقة شائقة لا يعتريها برودة ولا ملَل. ويتمّ بيان المقصد عادةً في الفصل الاوَّل كلّهِ او بعضهِ ويتعدَّى احيانًا الى الفصل الثاني. وهذا التفاوُت في طولهِ مرجعهُ الى اهمّيتهِ. وعلى كلٍّ فلا بدَّ لهُ ان يتحلّى بالايجاز والرشاقة لان السامعين مولعين بسرعة الوقوف على الايضاحات التمهيدية كي يصلوا الى مشهد اشتباك الاحوال في العقدة

ثانيًا العقدة (Nœud) هي مجموع الحوادث والمساعي الموافقة او المعاكسة لفوز

البطل. ففيها تشتبك الاحوال وتتناظر الصوالح ويصطدم الفريقان فيبلغ التشوُّق مبلغهُ في نفوس الحاضرين فتتنازعهم عوامل الخوف والرجاء وتتجاذبهم دواعي الغمّ والسرور حتى تنفرج الازمة وتُفكّ الأُربة في الخاتمة

فهذا القسم عليهِ اذن مدار الرواية. فكل ما بهِ تنحلُّ العقدة وتزيد صعوبة حلّها يزيد بهِ ايضاً حسن وقع الرواية في القلوب. واذا ما اضطرمت النفوس بلاعج الشوق فلا تصبر عن ادراك النتيجة. فمن الفنّ اذن ان تجد في كلّ حادثةٍ ما يعلّلها ببلوغ الوطر فلا تزال تُمنّى بامرٍ بعد آخر حتى الختام. وذلك ان الحاضرين لا يبرحون يتقدَّمون نحو النتيجة وهي محجوبة عنهم. فلا يعرفون الى اين يؤديهم السير وهم مع ذلك موقنون بانهم يسيرون متقدّمين. ولا بدَّ من السرعة في مجرى الواقعة. فكلّ قولٍ او فعل لا يقرّب من الخاتمة يعتبر لغوًا

ثالثًا الخاتمة (Dénouement) هي القسم الاخير الذي فيهِ فضّ المشكل وحلّ العقدة فتنال النفوس بذلك مرامها وتجد بعد الجهد ارتياحًا

ويشترط في الخاتمة ان تكون طبيعية فجائية ذات خلاصة ادبية. فتكون طبيعيَّةً اذا صدرت عن مجرى الحوادث دون تكلّف واذا انقلبت نفس الموانع المعاكسة فأتت بنتيجة موافقة غير منتظرة. وتكون فجائيَّة اذا بقيت محجوبةً نسعى وراءها ولا ندركها حتى الختام. فالمؤلف يتمكَّن بفنّهِ ان يحجب النتيجة حتى في المواضيع المشهورة. وذلك بان يقود السامعين في معاريج الواقعة بطريقة تستجلب خواطرهم فيذهلون عمّا يعرفون ولا يهتمون الّا بما يرون ويسمعون فيصلون الى خاتمة فجائية من حيث لا يدرون

وقلنا يجب ان تكون ذات خلاصة ادبيَّة وقد سبق لنا الكلام مرارًا عن ادب الرواية

وتتمّ الخاتمة إمّا بتعارف الاشخاص بعد ان كان يجهل بعضهم بعضًا وإمّا بالانقلاب اي التغيّر الفجائي في حال البطل

ولقد امتاز المحدثون عن الاقدمين في طريقة الخاتمة فبلغوا فيها من الاتقان شأوًا بعيدًا واظهروا فنًّا كبيرًا. فان الخاتمة في روايات الاقدمين قلّما جاءت طبيعية بل كانت تتمّ بالخارق (Le merveilleux وقد مرَّ الكلام عنهُ) اي بنزول الهٍ او الهةٍ لفضّ المشكل. وتلك طريقة لا تستحسن ولا يجوز العمل بموجبها الّا نادرًا اذا لم يكن من وسيلةٍ غيرها. والنادر لا يقاس عليهِ



البحث الثالث

التعبير

بعد ان اطلنا الكلام في طريقة ايجاد الموضوع وتنسيق اجزائهِ بقي علينا ان نبحث في كيفيَّة التعبير اي ابراز الرواية في قالب يأنس بهِ اهل الذوق السليم وترتاح اليهِ النفوس. ولا اخال هذا البحث يقلّ اهمّيَّة عمَّا تقدَّمهُ. ولزيادة الايضاح قد قسمتهُ الى مطلبين: صورة الخطاب وصفات الانشاء

١ صورة الخطاب

ان صورة الخطاب في الرواية على ثلاثة انواع نسمّيها: المحاورة والمناجاة والخلوة

اولًا المحاورة (Dialogue) هي مداولة الكلام بين شخصين او ثلاثة. ولا سبيل الى تدخُّل اشخاص اخرين ما لم يكن من شأنهم الاصغاء الى قول غيرهم او الاشتراك معهم بوجيز القول حينًا بعد حين. وقد يتّفق التئام اشخاص كثيرين كما لو مثَّلنا انعقاد جلسة او اقامة حفلة او حركات جيش او مظاهر شعب. ففي هذه الاحوال نفسها تبقى الاهميَّة مقصورة على بعض افراد ليكون اليهم مرجع الكلام. اما اذا اختلّ نظام تلك الجماعة وكثر بينهم اللغط فلا يعود ثمَّ محاورة بل مجرَّد مشهد يحسن وقعهُ في الرواية ويعظم نفعه في سبيل نتيجة الواقعة

ولا مانع من ان احد الاشخاص يكون لهُ الشان الاعلى والنصيب الاوفر في المحاورة بدون ان يفوه بكلمة. فكفاه ان يشترك فيها باشارة او نظرة او حركة تدلّ على ما يخالجه من عواطف الرضى او النفور او غير ذلك ممَّا يبعث مُكالِمَهُ الى الاستطراد في القول

وعلى كلٍ يجب في المحاورات ان تكون متلاحمة طبيعية مقتطفة رشيقة حسنة التقطيع بعيدة من الاسهاب المملّ. وافضلها وقعًا ما كانت مجالًا للتضادّ في الاقوال والاميال

ثانيًا المناجاة (Monologue) هي مخاطبة الشخص نفسهُ في حالة الانفراد. ولا يخفى ان المرء في بعض الاحيان يكتم عن سواهُ ما يخالج صدرهُ من الافكار والعواطف وما يتنازعهُ من العوامل

وكثيرًا ما تكون هذه الانفعالات النفسانية الباعث القوي او السبب الوحيد في

حركاتهِ وسكناتهِ فيقدم على الامور الخطيرة او يحجم عنها. ولمّا كانت مثل هذه الشؤون الباطنة محجوبةً عن الحاضرين لا يقوون على ادراكها ولكن لا يتمكنون بدونها من معرفة مجرى الواقعة كان لا بدّ من طريقة لابرازها وايقاف الحاضرين عليها. فمن المؤلفين مَن استعانوا بالمؤتمن (Confident) لبلوغ هذه الغاية. وقد سبق لنا الكلام في هذا المعنى عند البحث في الايجاد. ومنهم من فضّلوا المناجاة. وهذه اولى بشرط ان تكون وجيزة قليلة الاستعمال. ويغتفر فيها الاسهاب احيانًا متى قضت بذلك شدَّة التهيّج او الحيرة والتردّد

ثالثًا الخلوة (A parté) هي عبارة يقولها الشخص «على حِدَة» لابداء رأي او عاطفة من غير ان يسمعها الاشخاص المشتركون في المحاورة. وشرط الخلوة ان تكون نادرة وفي منتهى الايجاز

وفي هذا المقام لا يسعني الّا التنبيه الى عيبٍ فشا في بلادنا وهو اهمال بعض المؤلفين شروط المحاورة والمناجاة والخلوة. اذ نراهم لا يكتبون ما يناسب مقتضى الحال بل ما يعنّ لهم ويروق في عينهم. كأنما الرواية مضمار لقرائحهم ومجال لآرائهم وعواطفهم الشخصيَّة او معرض تُبسط فيهِ بضائعهم. فمن كان غافلًا فليتنبه وليعلم ان في الرواية التمثيليَّة لا يصحّ ظهور المؤلف من خلال اسطرهِ بل يجب ان يحتجب كل الاحتجاب حتى يسهى عنهُ الحاضرون فلا يرون ولا يسمعون الّا الاشخاص القائلين الفاعلين كما تقتضيه طبائعهم وحالاتهم ومواقفهم لا كما يقتضيه هوى الكاتب

٢ صفات الانشاء

يجب في انشاء الرواية التمثيليَّة ان يكون طبيعيًّا متنوّعًا ممتازًا برشاقتهِ وضبطهِ. فما اقبح ما نجد في بعض رواياتنا من التكلُّف والمحسّنات البيانيَّة الضافيــة والغرائب الفنيَّة والنكات الادبية في غير موضعها والتخيّلات المسهبة وبالاجمال كل التحسينات الدالَّة على التصنُّع والتكلُّف الداعية الى السأمة والحائلة دون تقدُّم الواقعة. غير انَّهُ لا مانع من المحسّنات الطبيعيَّة التي يقتضيها المقــام. وما احرى الكاتب باستعمال اشكال البديع متى دعت اليها الحماسة او ثوران الاهواء او غير ذلك. فخلاصة المعنى ان كل كلامٍ يطابق سنّ المتكلِّم وجنسهُ ونسبهُ ومرباهُ وعصرهُ وبلدهُ ومركزهُ ودَورهُ يُعدّ طبيعيًّا محمودًا وما عداهُ فمستهجَن ومردود

ولم يبقَ علينا قبل ختام هذا البحث سوى الالمام بمسألة ذات شان: هل تكون الرواية شعرًا او نثرًا ؟

ان الاقدمين لم يكتبوا الّا الروايات الشعرية لان الشعر اولى بالرواية فيكسبها رونقًا وطلاوةً ويلبسها من الكمال حلّةً يعجز النثر عن مثلها. فضلًا عن ان اتساع ملاعب اليونان قضى عليهم باتّخاذ الشعر لان اوزانهُ باشباع الحركات تعين الآذان على استيعاب الصوت. وقد آثروا البحر المدعو عندهم إيامبيق (ïambique) لأنّهُ اوفى بالمرام من سائر البحور. ولقد جرى المحدثون من جميع الامم على مثال اليونان فجاؤوا بالروايات الشعريّة الطائرة الشهرة

بيد انَّ ڤولتير (Voltaire) في مقدّمة رواية مِروبِه (Mérope) يقول: « ان خمود القريحة وركاكة النظم هما العيب الاكبر والسبب الاهمّ في سقوط الروايات الشعريّة. فان البلاغة في الشعر لمن اصعب الصناعات واندرها. وانّنا لنجد الف كاتبٍ من فحول الكتّاب يقوون على انشاء تأليف من الاشعار العادية. امّا المقدرة على نظمهِ نظمَ شاعرٍ حقيقي فتلك موهبة أُعطيها ثلاثة او اربعة من البشر »

وان يكن قول ڤولتير لا يخلو من المبالغة الداعية الى القنوط فنحن لا ننكر ان الشعر وعر المسلك بعيد المنال في الفنون السهلة المأخذ فكيف بهِ في فنّ التمثيل مع خطارة موقفهِ واشتباك اصولهِ وتوفُّر مصاعبه. فلا ريب ان الكاتب يحجم عن ولوج باب الشعر ما لم يكن خصَّهُ الله بمواهب تمكّنهُ من تذليل الصعاب فيرينا من سحرهِ آيات. او يكن عوّدتهُ نفسهُ الاقدام على المصاعب من غير نظر الى العواقب فيأتينا بنثرٍ موزون او شعر خارج عن حكم الرواية مخالف لمقتضى الحال فيها

وهذه المشاكل اوفر في العربية منها في سواها كما لا يخفى اللبيب. وان يكن نظم القصيدة كلها على رويّ واحد من اقوى الدلائل على مقدرة شعراء العرب فهو من اعظم دواعي الملل في الروايات. لان الاذن تنبو والنفس تسأم من سماع رنّة واحدة وحرفٍ واحد في ختام القصيدة ولاسيما اذا تعدّدت ابياتها والمرء مولع بالتبدُّل. فحبذا لو اتفق الشعراء على تبديل الروي في المشهد الواحد بين المخاطبين واصطلحوا على التصرف بالقوافي في الرواية كما تصرّفوا بها في بعض الفنون كالموشّحات وغيرها. فتخفّ المؤونة وتكسب الرواية حسن جلاء وبهجةً وانسجامًا. ولقد جرت عادة كثيرين من ارباب الرواية



في بلادنا ان يجمعوا فيها بين الشعر والنظم حسب المواقف والظروف. فارى انهم اهتدوا الى طريقة فضلى. ولقد انشأ بعض أئمّة الفنّ من المحدَثين الروايات ولاسيما الهزليّة منها نثرًا فجاءت غُررًا حُسبت لهم فخرًا. وعلى كلٍّ فان طبقة الانشاء نثرًا كان ام شعرًا ومواقفته لشؤون الواقعة ووضع الشيء في موضعهِ لمن اهمّ الامور واوقعها في النفوس. فمرجع كلّ الامور الى الطبيعة والاعتماد فيها على الذوق السليم

هذا ما مكَّنتني الفرصة بين اشغال شواغل وعنـاء متواصل من وضعهِ في اصول الرواية بوجه العموم. وعسى الله ان يوفقني الى ما بهِ سداد القول عند البحث في كل فنٍ من فنون الرواية وتأريخهِ وفي حالة التمثيل في بلادنا. انَّهُ الهادي الكريم

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٦ الصنّين

قد سبق انَّ القائد الروماني بمبيُوس اخرب في اثناء محـاربة لبنان قلعةً تُدعى بورومة. ولكن لم نتعرّض للبحث عن موقع هذا الموضع. فانَّ من اصحاب العاديَّات من ظنَّ انَّها سمار جبيل وقيل قلعة الحصن في نواحي بترون وقيل غير ذلك. وقد فات هؤلاء الكتبة انَّ الجغرافيَّ اسطرابون في كلامهِ عن بورومة جمع بينها و بين قلعة اخرى دعاها « سنَّان » وسنَّان على الرأي الارجح قلعة قريبة من جبل صنّين فينتج عن ذلك انَّ قلعة بورومة ليست بعيدة منهُ ايضاً. واذا طلبنا في جوار الصنـين موضعاً في اسمهِ شبهٌ بقلعة بورومة لا نجد غير برمَّانا. ومن المحتمل ان الاقدمين لحسن موقع هذا المكان يكونون شيَّدوا هناك حصناً حريزًا يشرف على الوديان المجاورة وعلى سواحل بيروت. غير أننا لم نجد في برمَّانا اثرًا لهذه القلعة ولعـلَّ بمبيُوس قوَّض اساسها او أتت على بقاياها مصائب الدهر فابادتها

امَّا قلعة « سنَّان » فمع كونها على مقربة من جبل صنين لم تكن في مشارفهِ العليا لانَّ البرد هناك قارسٌ والسُّكنى في الشتاء شاقَّة وانَّما كانت على منعطف رُباهُ. والأَرجح

انَّ هذه القلعة كانت مبنيَّةً فوق احدى السكك في الوديان الفاصلة الصنّين عن جبل الكنيسة او الحاجزة بين جبل الباروك وجبل الكنيسة اعني بقرب سكَّة الشام الحالية. وهذه المواقع خطيرة لأنَّها كمضيق يُفضي الى بطاح سوريَّة المجوَّفة

واماً اسم قلعة سنَّان (Σιννᾶν) المذكورة في كتاب اسطرابون فانَّهُ اسم الصنّين بعينهِ لكنَّهُ على صورة لفظهِ القديمة

وقد ارتأى بعض الكتبة المحدثين نقلًا عن تقليد شائع في لبنان انَّ جبل صنين هو الجبل المدعوّ « سنير » المذكور في الكتاب الكريم. وقد وهموا بمشابهة الاسماء مع انَّ سفر تثنية الاشتراع (٣ : ٩) ينفي صريحًا هذا الرأي ويدعو حرمون سنير عند قولهِ: « وحرمون يسمّيهِ الصيدونيّون سِريون والاموريون سنير ». وانَّما شُبِه الامر على البعض لوجودهم في سفر نشيد الانشاد اسم سنير مقرونًا باسم لبنان حيث يقول العروس لعروستهِ السريَّة (نش ٤ : ٨): «هلمي معي من لبنان من رأس امانة من رأس سنير »(١. وزعم هؤلاء انَّ امانة اسم الجبل المشرف على حمَّانا. وكلُّ هذه الاقاويل مزاعم لا سند لها وان لم تكن محالًا واسم لبنان في التوراة لا يُطلق فقط على الجبل المعروف اليوم بهذا الاسم بل يدلُّ ايضًا على جبل الشيخ الذي بازائهِ. ما لم يزد الكتاب صفةً ما تبيّن نيَّة الكاتب الكريم كقولهِ مثلًا (يوشع ١٣ : ٥): « لبنان جهة مشرق الشمس »

واماً اسم « سنير » فتجدهُ في كثير من كتبة العرب كالمسعوديّ فانَّهُ يقول (في كتاب التنبيه ص١٥٣) في اثناء كلامهِ عن الموارنة: « انَّ امرهم مشهور بالشام وغيرها اكثرهم في جبل لبنان وسنير وحمص واعمالها ». وفي كتاب المسالك والممالك لابن حوقل (ص١١٤) مدلول سنير على جبل الشيخ او على الجبال الواقعة في شمالي غربي دمشق. وجاء في الصبح الاعشى للقلقشندي (ص١١٣١ من نسخة مكتبتنا الشرقية): ثمَّ يمتدُّ (لبنان) الى الشمال ويجاور دمشق واذا صار في شماليّها سمّي جبل سنير. وكذا في مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني وغيرهم. لكنَّهُ يؤخذ من قول ياقوت في معجم البلدان (٣: ١٧٥) انَّ سنير تدلُّ ايضًا على قسمٍ من لبنان او على

١) راجع ايضًا نبوَّة حزقيال (٢٧ : ٥)

الجبال الواقعة « بين حمص و بعلبك » . امّا لفظة « صنّين » فيظهر انّها حديثة العهد لم نجد لها ذكرًا في تآليف العرب القديمة

ومن يتسلّق قمم صنّين العليا يجد ثمّت آثارًا من بناء مربّع مشيَّد بنحيت الحجارة وعلى مشارف جبل الكنيسة بناء آخر مثلهُ . ولا يمكننا ان نحكم على اصل هذه الابنية حكمًا قطعيًا ولعلّها من مآثر الفينيقيين بنوها لمباشرة مناسكهم الدينيّة . والله اعلم

٧ ساحل علما

فلنواصل الآن سيرنا الى جهات الشمال بعد ان استطردنا الى ذكر اعالي لبنان واعمال الرومانيين في انحائهِ . وفي كسروان آثار قديمة وصفنا منها قسمًا في الفصول السابقة وهاك ما بقي علينا وصفهُ

وممّا يستلفت الانظار في اسفل كسروان متحجّرات على شبه السَّمَك تجد منها شيئًا كثيرًا في ساحل علما . وهذه الآثار قد ورد ذكرها في اسفار قدماء الرحّالين وقد ذكرها المسافر الشهير منكونيس (Monconys) في رحلتهِ المكتوبة في القرن السابع عشر (ج ٢ ص ٧١) وكرَّر بعدهُ اصحاب الاسفار وصفها . وجاء في ترجمة القديس لويس التاسع ملك فرنسة للسير دي جونڤيل عن اسماك متحجّرة جمعها قوم من لبنان ما تعريبهُ (١) : ولمّا كان الملك في صيداء اتى اليهِ قومٌ بحجر غريب ذي قِشَر وفُلوس . وكان اذا نزع عنها قشرة وجد بين كلّ حجرتين شبه سمكةٍ بحريّة متحجّرة لا ينقصها شيء من هيئة الاسماك وتركيبها وزغانفها وحسكاتها والوانها كأنهُ اسماك حيّة . وقد اعطاني الملك منها حجرًا فوجدت فيها سمكةً من نوع الشبوط تامّة البنية ذات لون اسمر » . وفي متحف عاديّات مدرستنا الكليّة عددٌ كبير من هذه المتحجّرات التي يرتقي عهدها الى الازمنة السابقة التاريخ

هذا وفي ما مرَّ (مشرق ٢ : ٣١٧) قد اتينا بذكر قرى كسروان المجاورة لخور جونية . فلنذكر الآن القرى العليا من هذه المقاطعة . واوّلها غزير يوجد في اسفلها مدافن ومعاصر قديمة . امّا قصبة كسروان فلم نرَ لها اثرًا ينبئ بوجودها قبل القرون المتوسّطة . الّا انَّ اسمها سرياني (ܟܣܪܘܢ) كاسماء اغلب قرى لبنان معناهُ « القطيع » او « المطقوع » (٢)

(١) راجع Joinville, *ch.* 118, *ed.* Wailly, *p.* 330

(٢) لا « قطيع الغنم » كما زعم ف. ابي حلقة في جغرافيتهِ (راجع المشرق ٣ : ٤٧٥)

وقد وجد بعض الرحّالة في « فتقا » على بعد ساعة من غزير شمالًا كتابات عديدة يونانيَّة احداها من سنة ١١١ للمسيح (١ يُستفاد منها انَّهُ كان هناك هيكل. وهذا دليل على ان فتقا كانت موضعًا معتبرًا (ستأتي البقيَّة)

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب يوسف تانّي احد اساتذة مدرستنا الكليَّة (تابع لما سبق)

٢ الطفولية

ذكرنا في مقالتنا الاولى عوائد اهل لبنان عند ولادة الاطفال فحان لنا ان نَصِف ما هو جارٍ لديهم من العادات في زمن الطفوليَّة

(تقميط الطفل) يلفُّ الطفل اللبناني باللفائف ويُشدُّ بالزنّار وتكبَّل يداهُ ورجلاهُ تكبيلًا بالقمط فيبقى على هذه الحال اشهرًا وهو اشبه باسير مجرم منهُ بولدٍ عزيز. ويوضع على رأسهِ قبعة لئلَّا « يبرد نافوخهُ » اي يأفوخهُ وهو قمَّة رأس الطفل واذا نُزعت رباطاتهُ بعد اشهر لا يزالون يمنطقونهُ بالزنّار حتى يناهز السنتين زعمًا منهم ان ظهرهُ يقوى بذلك

(الترفيع) ومن حين الى آخر تُحلُّ سلاسل الطفل الرضيع لترتاح اعضاؤهُ وينشرح صدرهُ فتأتي اذ ذاك القابلة « فترفّع » للولد. والترفيع ان تُدخل سبّابتها في فيهِ وتوسع لهُ زلاعيمهُ ليستنشق الهواء بسهولة. والبعض يدعون ذلك « تحنيكًا »

(التطبيع) عند العامّة ترويض جسم الطفل. وذلك انَّ القابلة تمسك بيديهِ وتثنيهما الى ظهرهِ ثمَّ ترفعهما فوق رأسهِ. وكذلك تعطف برجليهِ الى ان تتَّصلا بوجههِ وتأخذ بابطيهِ وتلوّحهُ من جانب الى آخر ولا تبرح تلوي اعضاءهُ عضوًا عضوًا لتروّض جوارحهُ وتليّنها وتدبّرها فتُصبح طوع الارادة سهلة الحركة

وربّما زاغ في الاطفال المفصل الذي يجمع اعلى العَضُد والكتف فتعالج القابلة « رفشهُ ». والرَفش كلمة سريانيَّة (ܪܘܦܫܐ) معناها الابط. وطريقة هذا العلاج ان تُرَدّ يد الطفل الى ظهرهِ فيبدو المفصل المذكور ناتئًا فاذا رأتهُ حائدًا عن موضعهِ احكمتهُ

---

١) راجع Mission de Phénicie, p. 326

فيقولون « شالت الداية رفش فلان » اي اصلحت مفصل ابطهِ

وكثير من هذه العوائد قد بطلت في المدن لِما وجد الاهلون من سوء تأثيرها في الجسم. فمن ذلك مثلًا انَّ القمط التي يُعصب بها رأس الطفل في لبنان يؤثّر في هيئة رأسِ فترى جبينهُ ناتئًا واصداغهُ غائرة ومؤخَّر رأسهِ مستويًا

(الصلاة على الباب) بعد ولادة الاطفال يدعى الكاهن الى بيت المولود فيتلو صلاةً تدعى « الصلاة على الباب » ويرش الدار بالماء المقدَّسة تبرُّكًا ودفعًا لقوَّات الجحيم

(العماد) تودّ الكنيسة لو عُمّد الاطفال باقرب وقت لينالوا نعمة السرّ فيصبحوا ابناء الله وورثةً لملكوتهِ ولئلَّا تفوتهم هذه المنَّة السابغة اذا طرأ على حياتهم الضعيفة فاجئةٌ تذهب بروحهم. الَّا انَّ بعض اللبنانيين يتهاملون في اتمام هذه الوصيَّة فتمرّ على اطفالهم بعضهم اسابيع قبل صَبغهم بالماء المقدَّسة وساء ما يفعلون

ومن العوائد الجارية في العماد ان الوالدين يختـاران كفيلين للمعتمد يدعونهما عرَّابًا وعرَّابة (من السريانيَّة ܥܪܳܒܳܐ). وهما عادةً صاحبا الزوجين وكفيلاهما عند الزواج فيدعيان حينئذٍ باسم الاشبين والاشبينة تعريب السريانيَّة ܫܰܘܫܒܺܝܢܳܐ والعبرانيَّة שושבת فيُعرض عليهما ان يتوليا ضمانة الطفل فان اجابا الى ذلك والَّا يختار بدلهما آخران

والعرَّابان يتكلَّفان كَلَف رتبة العماد كثمن الشموع وغيرها. و « ينقّط » العرَّاب الصبيّ بان يعطي بعد العماد شيئًا من الدراهم لامّهِ او يجعل هذه الفضَّة تحت وسادة المعتمد. امَّا العرَّابة فانَّها تهدي الصبيّ حلَّةً جديدة ومنديلًا ولوحًا من الصابون. واذا كانت من اغنياء قومها كانت هديَّتها اعظم قيمةً من ذلك

امَّا الابوان فيُولمان بعد العماد وليمةً يحضرها العرَّاب والعرَّابة والاهل والاصدقاء. على انَّ اكثر هذه العوائد لا تجري في عماد البنت. فيُقتصر على الرتبة الكنسيَّة دون احتفال ولا يُدقّ الجرس. ومن اقوالهم المنبئة بنفورهم من البنات « ان عتَبة الدار تحزن تسعة ايَّام » من ولادتها. وكلُّ ذلك ابتخاس من قدرهنَّ وجورٌ يجحف بحقوقهنَّ

ومن العوائد المختصة بالعماد انَّ العرَّابين الذين قاما بكفالة البكر يتوليـان ايضًا عرَّابة بقيـة الاولاد ولذلك يقال ان « الذي يشيل الواحد يشيل البقيَّة ». والعرَّابان يحبَّان عادةً وصيَّهما حبًّا شديدًا ويعتبرانهِ كابن لهما ويدعوانهِ « فَليون » من الفرنسيَّة (filleul) او الإيطاليَّة (figliuolo) ويقومان بعد الابوين بتربيتهِ

ومنها ايضاً ان الاب والام لا يحضران معاً في بعض الانحاء رتبة العماد بل احدهما فقط ويزعمون انَّ حضور كليهما يُلحق بالطفل ضرراً

(رشم النذير) الرشم من السريانيَّة ܪܫܡ هو ان يعمَّد الولد دون احتفال ويكون ذلك ليس فقط اذا دهم الطفـل خطر واشفى على الموت بل ايضاً عند ما ينذر احد الابوين ان يعمّد ابنهُ في كنيسة بعيدة فيرشم الكاهنُ الولد ويدع حفلة العماد لوقت آخر حيث يمكن الناذر ان يقوم بنذرهِ . وحينئذٍ لا يُسمَح لاحد ان يقصّ شعر الطفل بل يبقى على حالهِ ويُجـدل عقائص الى ان يتيسَّر للاب ان يفي بوعدهِ ولو بعد سنين طويلة فيؤتى بالولد الى المقام المعهود ويُقصّ شعرهُ قبل الاحتفال بالعماد . ولعلَّ النصارى اخذوا هذه العادة عن العبرانيين وقد ذكر في سفر العدد (الفصل السادسَ) ما يختص بالنذير (נזיר)
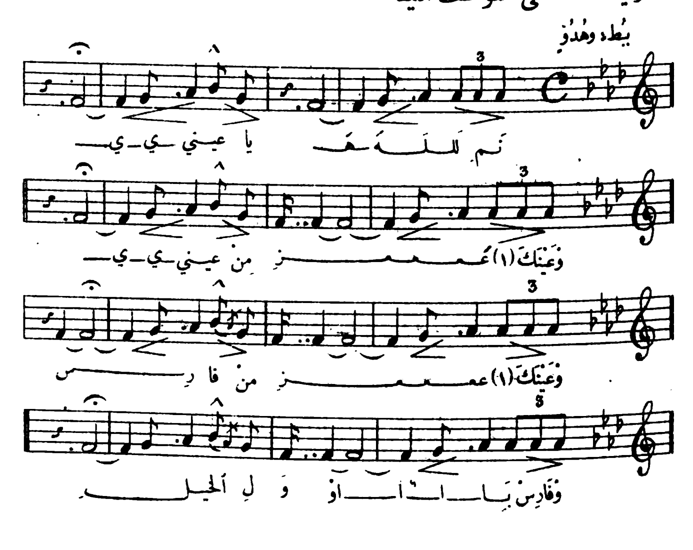
(دخول الامّ الكنيسة) اذا ابلَّت النُّفَساء وعادت اليهـا قواها بعد اوجاعها تقصد الكنيسة لتشكر الله على نجاتها . فيستقبلها الكاهن على باب البيعة وبيدها شمعة فيتلو على رأسها صلواتٍ معلومة ثم يدخلها الكنيسة . واكثر ما تصير هذه الرتبـة في اليوم الاربعين بعد الولادة ذكرًا بعيد دخول العذراء الطاهرة الى الهيكل . واشارة الى عادة بنات اسرائيل كما ورد في التوراة (سفر الاحبار ١٢ : ٦ — ٧)
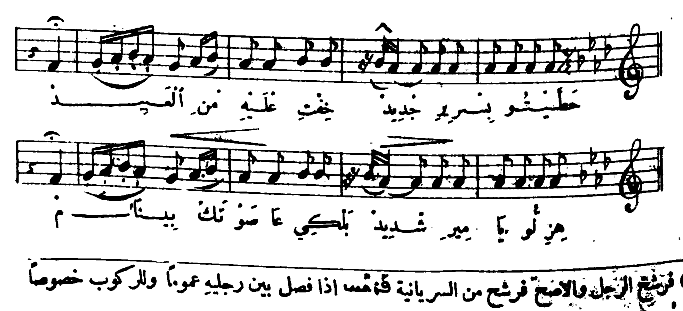
(الرضاعة) انَّ حبَّ الامّ اللبنانيَّة لابنهـا يحملها على ان ترضع هي وحدها ولدها فلا ترضى ان تفوّض الى غيرها هذا الامر الهامّ ولو تكلَّفت بذلك عناء ومشقَّة . ولعمري انَّ في هذا لعبرةً لغيرهنَّ ممَّن يأنفنَ من الرضاعة فيَقتْن اولادهنَّ بحليبٍ اجنبيّ . الَّا انَّ الاميرات في الجبل لترَفهنَّ والمتمدّنات الحديثـات في المدن لنحافة اجسامهنَّ يَكلْنَ احياناً امر رضاعة اطفالهنَّ الى الاظآر

والولد في بلادنا يرضع زمنًا طويلًا فانَّنا رأينا في انحاء لبنان اولادًا أربى عمرهم على السنتين ولم ينقطعوا عن الرضاعة . وفي هذا غلوّ ظاهر وافراطٌ وبعض الأمهـات يزعمن انَّ الرضاعة الطويلة تقوّي البـدن وتشدّد القوى ولذلك يقال في مثل « فلان شبعان من حليب امّهِ » . الَّا انَّ في اطالة الرضاعة مضـارّ اخرى . واللبنانيون نفسهم يقولون : « انَّ الذي يرضع طويلًا يكون قليـل الذكاء » . هذا في رضاعة الصبيان اما البنات فان زمن ترضيعهنَّ لا يتجاوز سنةً واحدة لئلَّا « يعصى رأسهنَّ »

ومن عوائد نساء لبنان ان يحملن الاطفال على اكتافهنَّ . ويتفاءلنَ بان يركبنهُ اوَّل مرَّة على فرسٍ « كحيلة » اي جواد او « يفرشخ » (١ على كتف ابنةٍ عذراء

(تنويم الاطفال) انَّ حنوَّ الامّ ورقَّة قلبها ومحبَّتها لولدها لمن الامور الطبيعيَّة التي عمَّت اقاصي البلاد . ولعلَّ الامّ اللبنانيَّة تتأنَّق في ابراز شعائرها الوالديَّة اكثر من غيرها فهي تنعتهُ بألطف الاسماء فتدعوهُ تارةً « عيونها او روحها » وتارةً « فلذة كبدها » و « حشاشة قلبها » وتتمنَّى لو تُجعل فداهُ وتقبرها يوماً الى غير ذلك من الالفاظ الرقيقة الدالَّة على العواطف الليّنة





(١) فرشخ الرجل والاصح فرشح من السريانية [illegible] اذا فصل بين رجليه عموماً وللركوب خصوصاً



واذا ارادت ان تنوّم ابنها غنّت لهُ غناء يكون مجلبةً لهُ على الرقاد. وقد اتّخذ الشرقيُّون ذلك دأبًا وفي لغتنا العربيَّة لفظة قديمة تدلُّ على ذلك: «همَّمت المرأة في رأس الطفل» اذا نوَّمتهُ بصوتٍ ترقّقهُ لهُ. واهل حلب يدعون ذلك «هَدْيا» فيقولون هدت الام لولدها اي غنّت. ولعلّهُ تصحيف «حَدَتْ» من حدو الابل اي سوقها بالغناء

وقد شاع في لبنان غناءٌ هو غاية في اللطف والرقّة سمعناهُ مرارًا فاحببنا نقلهُ هنا لتعريف عوائد بلادنا. ولمَّا كان الاوربيُّون كَلِفين بهذه الامور رسمنا لهم صورة الغناء المذكور على طريقتهم الّا انَّهُ يقرأ على الطريقة العربيَّة من اليمين الى الشمال:

نم الله يا عيني وعينك عزّ من عيني
وعينك عزّ من فارس وفارس باول الخيلِ (١

يا ألله ينام ابني يا ألله ينامْ لادبح له الوزّه وطير الحمامْ
يا حمامات لا تصدّقوا عمَّال باضحك عا ابني لينام (٢

يا جمَّال ويا عمّي ما بريدك بريد امي
بريد امي ترضّعني وتحطّ البزّ في تمّي (٣

يا جمَّال سوقْ أمسيتْ يا مسكين وما لك بيتْ
انا بيتي عا ضهري وانت عا الخان تمسّيتْ (٤

يا بيَّاع العنب والعانبيًا قل لامي وقل لبيًا
اخذوني العرب لقلعة مجدليًا كنت حطّب كنت قشقش كنت ملّي لامي مويًا
كنت هزهز لابن خيّ بسرير الداهبيًا صرت هزهز لابن البدوي بسرير الحاشبيًا (٥

انا باسهر الليل وانت تحطّ بنومكْ يا اكحل العين وانت زغير من يومك

---

١) قولهُ: «نم الله» اي نَم باسم الله. و«عزّ» بمعنى التفضيل اي اعزّ من فارس يجري في مقدَّم الخيل. ويروى البيت الثاني: «عزّ من حبقه حبقه جوَّاة جنبني»

٢) يا الله بمعنى عسى. هذه عسى حرَّفها العامة فقالوا عَسي العَسي لكن الاكثرين يستعملون ان شاء الله للتمني. عمَّال للمؤنث والمذكر يُراد بها السعي بالامر. عمَّال باضحك اي انني اضحك

٣) كل رجلٍ غريبٍ يدعوهُ من كان اصغر منهُ سنًّا «يا عمّ» و«يا عمّي» مثلًا يا عمّي الجمَّال. في تمّي اي في فمي ٤) «عا ضهري» اي على ظهري. تمسَّيت اي تأخرت وجئت في جوف الليل

٥) قولهُ العنب والعانبيًا من طريق الاتباع والعرب يحبُّون ذلك فيقولون مثلًا في جواب هل

خبَّروني مشوَّش والخطف لونك يا اكحل العين وانت زغير من يومك (١

يا الله ينام ابني يا الله يجيه النومْ يا الله يحبّ الصلاة يا الله يحبّ النومْ
يا الله تجيهِ العوافي كلّ يوم بيومْ (٢

يا الله يا دايمْ تحفظ عبدك النايمْ
تحفظ عبدك وتجيرُه وتخلّيه نايم بسريرُه (٣

أَللهْ أَللهْ ابني يحفض اللهْ
ابني يحفض يسوع والعدرا تحفضه يا الله (٤

وهذه الابيات مع ركاكة عبارتها العاميَّة لا تخلو من طلاوة واذا نُقِّحت وعُرضت بعرض حسن وجدت فيها من المعاني الرقيقة والالفاظ المنسجمة ما يدخلها في باب البلاغة البديهيَّة فمرجع الدور الاوَّل مثلًا الى قولهِ: «نم يا وحيد القلب وقرَّة العين يكلأك الله ويرعاك انَّك لآثر عندي من نفسي واحبُّ اليَّ من فارس يخوض ميدان الحرب في مقدَّم الكماة» وهلمَّ جرًّا

ويوجد غناء آخر غير السابق يستعمل في شمالي لبنان نروي منهُ هنا دورًا واحدًا:

نيَّمتُه بسرير جديدْ خفت عليهِ من العبيدْ
هزّلهْ يا مير شديد بلكي (٥ عاصوتك بينام

راجع لحنهُ في الصفحة ٥١٣ (ستأتي البقيَّة)

عند فلان من خيل: «لا خيل ولا خير» ويقال «فلانٌ حسَن بَسَن» كذلك في لغة العامة فلان ما عندهُ «لا ولد ولا تلد» فلان «حِلس نِجس» اي انهُ يظهر لك المودة ويضمر المداوة. ومن الاتباع ألفاظ لا معنى لهُ مثلًا: لا خبز ولا مبز لا بطرس ولا مطرس وقولهُ «قشقش» اي جمع القش شعلة للنار. «داهيًا» ذهب

١) انت تخطّ اي تنفط. وقولهُ «انت زغير من يومك» ان العامَّة كثيرًا ما تدخل الضمائر على الاسماء كما يصنع السريان. يقولون فلان من يومهِ بينهم ومن اولهِ معهم فلان يشتري طعامهُ كل أكلة باكلتها او كل وقعة بوقعتها. اعطنا خبزنا كل يومٍ بيومهِ. وسنبيّن ان شاء الله كيف ان آثار اللغة السريانية باقية في اللغة الدارجة اعلاها وان غير دارسةٍ ولا عافيةٍ

٢) العوافي جمع العافية ٣) تحفظ ويقال ايضًا تحفض

٤) يحفض الله اي يحفظ الله والمعنى انني وكلتهُ لله فهو في ظلّهِ وتحت كنفهِ

٥) والبعض يقول «بركي» وهي تركيَّة بمعنى لعلَّ



كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

الطبقة الثانية

ويجب بعد ذكرنا ناصر الدين حسين واخوتهُ الخمسة ان نذكر اولاد عمّهِ جمال الدين حجّي اذ كانوا بني عمّهِ ومعاصريهِ فالأَولى ان يكون ذكرهم تابعًا لذكرهِ وذكر اخوتهِ

ذكر الامير نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين حجي بن محمد

وهو اوَّل ولد جمال الدين وسَمِيُّ جدّهِ. كان قوي المنافسة حادّ الخُلق فنافر اباهُ وعقَّهُ وشقَّ عصاهُ ورحل الى عيناب وكان ابوهُ قد اشركهُ في الاقطاع فلمَّا رأى منهُ ذلك أبطل شركتهُ وجعل اخاهُ شهاب الدين احمد موضعهُ شريكًا في الاقطاع. وكتب بذلك منشورًا من مضمونهِ انَّهُ اقام عوضًا عن ولدهِ نجم الدين محمدٍ اخاهُ شهاب الدين احمدَ لسوء سيرة نجم الدين (74 ^v^) وعدم شكر الناس لهُ

وكان نجم الدين قبل ان يرحل الى عيناب قد قام على اولاد علَم الدين معن وهم: سيف الدين غلّاب واخواهُ عبد المحسن وكرامة وكان سكنُهم باعبَيْه تحت عمائر السلَف الى جهة الغرب بشمال. فما برح نجم الدين محمد عليهم حتى رحل غلّاب واخوهُ عبد المُحسن الى رمطون واما اخوهما كرامة فانَّهُ قاومَهُ وحلف انَّهُ ما يرحل عن وطنهِ

ولمَّا استقرَّ غلّاب وعبد المُحسن في رمطون ورحل نجم الدين الى عيناب قصد في وقت من الاوقات ان يحرق رمطون فخرج ومعهُ عصبةٌ من الاوباش وتوجَّه الى رمطون وكانت عمَّتهُ في رمطون فسالتهُ الَّا يحرق في رمطون شيئًا فحلف أن لا بدَّ من الحرق. فقالت لهُ: احرق هذا التنُّور لتبرئة قسَمك. فاجابها الى سؤالها واحرق التنُّور وعاد الى عيناب. (قلتُ) وربَّما كان عمل نجم الدين محمَّد المذكور هذه الاعمال في غيبة ابيهِ وعمهِ وزين الدين ابن علي لمَّا سُجنوا تلك المدَّة الطويلة في ايَّام الملك الظاهر بيبرس. وفي هذه المدَّة كان ناصر الدين حدَث السنّ ما نشأَ فخلا الوقتُ لنجم الدين وتمكَّن من قصدهِ. والله اعلم

ونجم الدين المذكور هو الذي قتل القُطب (١ على ما قيل عنهُ من عامَّة الناس ولم اجد ذلك بخطِّ احدٍ من الخلف. وسمعتُ الناس يقولون انَّ اباهُ واقاربَهُ اتّفقوا على سجنه ببيروت وسُجن بهـا. وربَّما كان ذلك عقيب الفتوح لأنَّهُ لم يمكن ان يسجنوا مسلماً في بيروت وهي للفرنج. وبلغني انَّ بعض اقاربهِ ارادوا الفتـك بهِ عند الإفراج عنهُ وأوقفوا الامر على مشورة ابيهِ فقال: انا لا أُطالب بدمهِ احدًا من (75 r) خَلق الله ولكن لا يسعنى عند الله ان آمر بقتلهِ. وكان الناس مع ذلك ينسبون نجم الدين الى الكرم والشجاعة والمروّة. وكان يعتذر عن سوء صنيعهِ ببغضتهِ للمرأة التي تزوَّجها ابوهُ عوض امّهِ (٢

وعمَّر نجم الدين في عيناب عمائر وتزوَّج امرأة من ميسنون ووُلد لهُ سيف الدين ابرهيم وشُكر عند الناس بحسن السيرة. وكانت وفاة نجم الدين نهار الخميس الخامس من شهر محرَّم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٤ م) قتيلًا مع اخيـهِ احمد في فتوح كسروان بقرية نيبَيْه كما تقدَّم ذكرهُ (٣

واسماء اولادهِ سيف الدين ابراهيم وهو اكبرهم وجمال الدين يوسف وعماد الدين اسماعيل ونور الدين محمَّد وهو الصغير. وعاشت أُمهم بعد ابيهم

ذكر اخيهِ الامير شهاب الدين احمد ابن جمال الدين حجي

وهو ثاني ولد جمـال الدين كان رجلًا عاقلًا حسن الرأي والسياسة مشكورًا بين الناس تزوَّج حسَنات بنت الشيخ العلم المقدَّم ذكرهُ. قُتل مع اخيهِ كما مرَّ في واقعة كسروان وقد ذكرنا قتلتهما في ترجمة ناصر الدين الحسين ابن عمّهما. واسماء اولادهِ حسام الدين عبد القاهر وجمال الدين حجي وفخر الدين عبد الحميد وأُمهم بنت العَلَم

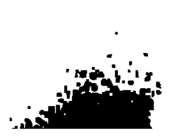
ذكر اخيهما الامير شجاع الدين عبد الرحمان ابن جمال الدين (٤

كان شجاع الدين راغباً في ما عند الله زاهدًا في ما عند الناس وقام بالخلافة لابيهِ وسلك طريقهُ في المسالك الحميدة والزهد والقناعة والعبادة وكان عندهُ رصانة النفس ووطاءة الخُلق فكان بين الصغار كاحدهم وبين الكبار كاكبرهم فاق اهل زمانهِ بالعلم

١) راجع المشرق (١: ٥٦٤ و ٧٠٨) ٢) المشرق (١: ٥٦٥)

٣) راجع ذكر هذه الواقعة في المشرق (١: ٢٢٨ و ١٠٤٤)

٤) جاء في حاشية للمؤلف: «كان يجب ذكر عبد الله بعد اخيهِ شهاب الدين احمد لانَّهُ ثالث ولد جمال الدين. وشجاع الدين هو الرابع وعبد الحميد الصغير وهو الخامس



والفضل (75^v) والحلم والادب قد ذكرهُ محمد الغزّي في المقامات التي تقدَّم ذكرها فقال فيهِ: « وواسطة عِقدهم. ومحكُّ نَقدهم. وبركة عشيرتهم. ورأس مشورتهم. وقطب فلك المعارف. وقدوة كلّ محقِّق وعارف

شجاع الدين خير بني ابيهِ امامٌ رام في دنياهُ زهدا
تعبَّد خشية الرحمان طوبى لحرٍّ قد اتى الرحمان عبدا

حدَّثتني الجدَّة زوجتهُ المدعوَّة امّ نجم الدين وهي عاشت بعدهُ زمنًا طويلًا قالت: ما رأيتهُ غضبان قطّ. وحدثت عنهُ انَّهُ كان يغمض عينيهِ وقلَّ ما يفتحهما حتى يتلو الكتاب العزيز سَردًا على ظهر خاطرهِ وانَّهُ كان يتلوهُ في نهار واحد. وكان قد اتَّخذ عودًا متشعِّبًا يضع الشعب على جبهتهِ وطَرَفهُ الى الارض يتوكَّأ عليهِ طلبًا للراحة ويجعل المصحف على الكرسي قدامهُ. وكان دأبهُ تلاوة الكتاب العزيز والعبادة

وحُكي عنهُ انهُ اجتمع يومًا بعلم الدين سليمان الرمطوني الاتي ذكرهُ ان شاء الله تعالى فجرى بينهما عتاب على امرٍ كان بينهما فقال علم الدين: ما أحوجك الى حرارةٍ في العقل. فقال شجاع الدين: انت احوج مني الى برودةٍ في الحكم. وكان علم الدين مشهورًا بقوَّة النفس والحدَّة والغلَظة في الحقّ مع سيادةٍ ورئاسة. وشجاع الدين مشهورًا برصانة النفس ووطاءة الخُلُق وكثرة الحلم والكرَم محبًّا للاجواد حنونًا على الفقراء رؤوفًا على المساكين وكان ينظم الشعر الرقيق (76^r) . . . (١ فمن ذلك قولهُ (76^v) وقد الزمهُ اقاربهُ بسكنى بيروت وترك اعبيه:

اللهُ يعلمُ انَّ قلبيَ عندكم ولذيذ عيشي ما بهِ السامُ
أكلي وشربي قد تنغَّص بعدكم ما لم تسطِّر بعضهُ الاقلامُ
ياليت شعري هل تعودُ سعادةٌ كانت لنا وكأنها احلامُ
والشمل مجتمع بافضل سادةٍ سادوا الورى وكأنهم اعلامُ

ولهُ اشعار غير هذه واكثرها في الزهد والورع والاعتقادات الجيّدة ومحبَّة الاخوان والاصدقاء. ومدحهُ الناس بقصائد كثيرة منهم محمد الغزّي في قصيدة ليست هي من المقامة (77^r) اولها :

---

١) في الاصل هنا مقاطيع شعريَّة مختلفة ضربنا عن بعضها صفحًا لضعف نظمها واغلاطها النحويَّة



حدّث عن السفح وكثبانهِ (١ | وعن معانيهِ وعن سكّانهِ

ومنها: خيرُ اميرٍ امرهُ طاعةٌ (٢ | لعلمهِ الاشيا واتقانهِ

وخيرُ عبدٍ سيّدٍ في العُلى | أخلص في طاعة رحمانهِ

الزاهد العابد والمُرتجى | ليُمنهِ فينا واعانهِ

صَدر صُدور الوقت في علمهِ | وفضلهِ بل عينُ أعيانهِ

روحٌ لجمع الغرب يحيا بهِ | يستوطن المجدُ باوطانهِ

وان دجا خطبٌ مُلمٌ أضا | بساطعٍ من صُبح تبيانهِ (٣

اصلٌ زكيٌّ فرعهُ مثلهُ | كالغُصن غصن النَّبت او بانهِ (٤

عقلٌ غزيرٌ وحيًا وافرٌ | تراهُ كهلًا عند ريعانهِ (٥ (77[v])

يا زائرًا باب ابيهِ لقد | فُزت من العلم بافنانهِ

لا زال هذا الغربُ شرقًا بهِ | يشرقُ من شمس عُلى شأنهِ

اجري على مدحي لهُ دائبًا | وهو على عادة احسانهِ

سكن شجاع الدين عمارة والدهِ جمال الدين حجّي وهي اوّل ما عُمّر باعبيه من بيوت الامراء وعُرفت ببيت شجاع الدين. تزوّج حسنات بنت الشيخ العلم زوجة اخيهِ شهاب الدين بعد وفاتهِ. ورُزق منها ولدًا تقي الدين الحسين وثلاث بنات صالحة ومونة وزمرد. ثمَّ توفيت زوجتهُ فتزوَّج بعدها شمسةَ المعروفة بامّ نجم الدين تزوَّج بها في سادس جمادى سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م) ورُزق منها مؤمنة وهي الامُّ (٦ رحمهم الله تعالى. وكانت وفاة شجاع الدين نهار الاحد رابع عشر جمادى الاولى سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م) ولم اقف لهُ على مَولد. وكانت وفاة المذكور في ايّام ناصر الدين الحسين ورثاهُ (78[r]) بهذه الابيات (٧:

قد زرتُ قبركَ يا ابن عمّ مسلّمًا | ولهُ الزيارة من اقل الواجبِ

ولو استطعتُ حملتُ عنكَ ترابهُ | ولطالما عني حملتَ نوائبي

ودمي فلو اني علمت بانهُ | يروي ثراكَ سقاهُ صوبُ الصائبِ

١) هذه القصيدة وردت في تاريخ ابن سباط مصحّفة. فروى: «عن الصفح وكثائبهِ»
٢) روى ابن سباط: طائعًا
٣) لم يروهِ ابن سباط
٤) رواية ابن سباط: ربّانهِ
٥) في ابن سباط: عقل زغير (؟)... عند رعبانهِ
٦) لعلّ المؤلف اراد اختًا امّهُ
٧) اقتصرنا بالقليل منها لكثرة اغلاطها وتصحيفها



لسفكتهُ اسفًا عليك وحسرةً وجعلتهُ بمكان دمعي الساكبِ

ورثاهُ بقصيدةٍ أُخرى وامر ان تعلَّق على باب بيتهِ اوَّلها :

لقد اوحشتْ هذه المنازل بعدكم وكان عليها هيبةٌ ووقارُ

(ستأتي البقيَّة)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل السادس عشر

اختفاء المجرمين

لقد تبيَّن مما سبق ذكرهُ ان المستر نسيب بعد ان رأيناهُ في نيويرك ممتلئًا من عواطف الشفقة والانسانيَّة ومنقذًا من مخالب الموت احد ابناء وطنهِ الذي طوَّحت بهِ الاسفار الى ارض غريبة لم يكن غير قاتل وسفَّاك دماء. غير ان الحقيقة لم تنكشف تمامًا لان كلَّ الظروف المصاحبة لهذا الحادث الفاجع ما برحت مغشَّاة بسدول الاسرار والخفاء. اما زوجتهُ ميس اولري فذهب منها الغمُّ كلَّ مذهب لدى علمها ان والدها مات قتيلًا وشعرت كأنَّ صاعقة انقضَّت على رأسها فاصابها هيجان عظيم في دماغها اختطف حياتها في اقلَّ من يومين

واماَّ المستر نسيب فانَّهُ توارى عن الابصار ولم يكن بين يدي الشرطة دليل على ارتكاب جريمة القتل سوى تلك الرسالة المحكيّ عنها والملطخة بالدم وكان قد اتى بها ضمن ظرف الى دائرة الشرطة رجل مجهول وألحقها ببعض بيانات وجيزة لم يفهم منها رجال البوليس شيئًا لكونها مكتوبة بعبارة انكليزيَّة رديئة وخطّ اردأ. ولم يكونوا يعرفوا ذاك الرجل المجهول وغاية ما يتذكرونهُ من امرهِ انَّ شخصًا اصفر اللون عريض الكتفين قوي اليدين وافاهم ذات صباح فشاهدهُ احدهم قد وضع رسالة في صندوقة التحارير ثم اختفى وكان هذا آخر العهد بهِ. ولذلك لم يكن احد منهم يعرف اسمهُ او غرضهُ من كشف الجريمة ومن ثمَّ خاضوا في التقادير المختلفة وظنوا الظنون العديدة فتارةً يقولون انهُ شريك في القتل مدفوع الى الاقرار بوخز ضميرهِ وحينًا انهُ يريد الانتقام من نسيبٍ لانهُ لم يوفِهِ المبلغ الذي وعدهُ بهِ لقاء القتل الى غير ذلك من التآويل

وفي هـذه الفرصة حضر المستر بروسبر اولري ابن اخي المستر جون اولرى وكان المذكور على اثر وفـاة عمّهِ قد طالب مقاسمة نسيب في الشركة وفي مناجم الذهب ولكنهُ خسر الدعوى. امّا الان فقامت في نفسهِ الشكوك الكثـيرة ولكن لم يكن بيدهِ ادنى دليل يصلح لكشف الستار عن المعمّى

وكان قد شخص الى مناجم « مكس و يل كريك » بعض عمال سرّيين من رجال الشرطة فتفقدوا المنزل الذي كان يقيم فيهِ نسيب وتأكـدوا كل ما كان ملحقًا بالرسالة من الافادات واستنطقوا الفعلة غير انهم ما انتفعوا من استنطاقهم شيئًا

هذا ما جرى في المناجم امّا في مدينـة سان فرنسيسكو فانّهم قلّبوا كل الدفاتر وتصفّحوا جميع ما هو موجود من الاوراق ووضعوا ايديهم على كلّ مـا في المنزل من أثاث بعد ان ختموا الغرف جميعهـا الّا انهم مع ما بذلوا من المساعي والتحقيقات لم يتّصلوا الى الوقوف على الحقيقة

ثمّ علموا انّ رجلًا اسمهُ فاضل كان يشتغل في مناجم الذهب وقتما كُشفت تلك الرسالة الملوّثة بالدم وانّهُ بينما كان في الحانة ذات مساء يعاقر الخمرة مع جماعة الفعلة دخل المستر نسيب واتّهمـهُ على مسمع من الجميع بكونهِ سارقًا ثمّ فتّشهُ فوجد معهُ بعض شذور من الذهب. لكنّ فاضلًا كان قد اتى الى المناجم بعد حصول الجريمـة فكيف يكون مطّلعًا على سرّها والسرّ في مثل هذه المسألة لا يعرفهُ سوى الشريك في الذنب. ومع كل هذا ارتأى رجال الشرطة وجوب التحرّي والبحث عنهُ لانهُ في مثل هذه الاحوال لا يصح التغافل عن اضعف الدلائل فربّما كان وسيلةً للاطلاع على الحقيقة

وعرف الشرطة وقتما سمعوا باسم فاضل انهُ رجل غريب وانهُ حديث إقامةٍ في الديار الامركيّة لجهلهِ اصطلاحات البلاد وعاداتها ولغتهـا. أمّا اوصافهُ فتشبه على قول الفعـلة الذين شاهدوهُ اوصاف ذاك الرجل المجهول الذي جاء فطرح الظرف في العلبة المخصوصة بالرسائل

وبناء عليهِ بعثوا برسائل البرق الى جميع المواني البحرية لاجل التفتيش عنهُ والاستعلام عن امرهِ ففحص رجال الشرطة في نيويرك وشيكاغو كلّ ما لديهم من السجـلّات المتضمّنة أسامي الغرباء فوجدوا كثيرين ممّن يُدعَون باسم فاضل ولكن لم يكن فيهم احد ممّن تنطبق اوصافهُ على الاوصاف المشروحة لهم الّا واحدًا فقط كان قد انتحر




غرقًا في ميناء نيويرك وقد حفظ مكتب البوليس اسمهُ في سجلّ المتوفَّين اماً فاضل الذي اشتغل في مناجم « مكس ويل كريك » فلم يتَّصلوا الى معرفة شيء من امرهِ وغاية ما علموهُ هو انَّهُ توارى عن الابصار وقتما اختفى نسيب

وحينئذٍ جزموا بانهُ شريك القاتل وانَّهُ فرَّ خوفًا من طائلة العقاب. ولكن لم يكن بين ايديهم أدنى دليلٍ يثبت صحَّة ما انصرفت اليهِ افكارهم ولا عرفوا احدًا يشهد على ما قام في اذهانهم واستمرَّت الجرائد عدَّة اسابيع تملأ اعمدتها باخبار الجريمة وتأتي بالتفصيلات المستغربة المبنيَّة على الحدس والتخمين وكثيرًا ما كانت تكذّب في اليوم ما كتبتهُ أمس

غير ان تهيُّج الافكار ما لبث ان سكن تدريجًا لان حرب كوبا أنست كل حادث آخر . امَّا دائرة البوليس فانها بعد ان قامت بما يجب عليها من السعي والتفتيش نضَّدت كلَّ الاوراق المتعلِّقة بالجريمة بعضها فوق بعض وجعلتها في محلّ خاص ريثما تتوفَّق الى هتك ستور الارتياب عن المسألة

القسم الثاني

الفصل الاول

شيكاغو

ولمَّا كان اوَّل اذار مساء بينما كان النـاس قد عادوا الى الكلام على مقتل اولري اقبل قطار السكَّة الحديديَّة على شيكاغو وكان في جملة المسافرين رجل غريب حسن البزَّة ذو نظَّارتين سوداوين وهو حامل باحدى يديهِ عددًا من الجرائد . وكانت هيأتهُ تدلُّ على اضطراب في افكارهِ فلمَّا نزل في المحطَّة همَّ بالانصراف قبـل ان يسلِّم تذكرة السفر فاستوقفهُ المأمور باشارة فعـاد بغاية التأنّي وأخرج الورقة من جيبهِ ودفعها الى المأمور وسار في طريقهِ

وكان اصحاب العرَبات بانتظار المسافرين خارج المحطَّة فتقدَّم اليهِ احدهم قائلًا: اين يريد جنـاب المستر ان ينزل أفي نَزْل « نيويرك اوتـل » ام في نَزل « كولومبيان اوتـل » ؟

ولكن الغريب لم يعبأ بما قيل لهُ بل حمل صندوقة امتعتهِ وركب العربة الاولى التي

شاهدها. وما كاد يستقرّ فيها حتى نشر عددًا من جريدة « نيويرك هرلد » واقبل على مطالعتهِ بامعان. ثم جلس الى جانبهِ في العربة نفسها مسافر آخر وتناول ايضًا جريدة معهُ وعَلِق يقرأ وما كان غير قليل حتى التفت الى رفيقهِ قائلًا لهُ: ما رأيك في حادثة اولري. فاجابهُ المسافر الاول: لا أرى فيها غير ما تراهُ هذه الجريدة. قال هذا وعاد الى المطالعة كالسابق كأنهُ يأنف من فتح باب الحديث في هذا الشأن

وما كان غير قليل حتى وقفت العربة امام فندق « كولومبيان اوتل » فنزل منها المسافران وصعدا الى الفندق. ولمَّا كان المساء وقد بُسطت المائدة اخذ الكل يتحدَّثون عن مقتل اولري وكان بينهم رجل ينتبه لكلّ كلمة تقال فلحظوا منهُ ذلك وخافوا ان يكون من البوليس السرّي فغيروا الحديث. امَّا الغريب فانَّهُ ما صدَّق ان تناول قليلًا من الطعام حتى نهض عن المائدة وذهب حالًا الى غرفتهِ وفي اليوم التالي هبَّ باكرًا وتوارى فلم يرجع

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

بلوغ الارب في احوال العرب

للسيّد العلاَّمة محمود شكري آلوسي زاده

طبع في بغداد في مطبعة « دار السلام »

كان موتمر المستشرقين المنعقد في « استوقهولم » منذ عشر سنوات اقترح على الادباء الافاضل وضع كتاب يشتمل على مناقب العرب العرباء وبيان اقوامهم وشُعَبهم المختلفة وخصائصهم وسجاياهم وعيَّن جائزةً تهدى الى فارس هذا الميدان فاجاب السيّد الشهير شكري افندي الآلوسي من اماثل مسلمي الزوراء الى طلبة المستشرقين دفعتهُ الى ذلك الغيرة الوطنيَّة واستفزَّتهُ الاريحيَّة العربيَّة. فانجز منهُ القسم الاول وهو عبارة عن ٤٤٣ صفحة كلُّها فوائد. وقد وقف قرَّاء المشرق على مزايا هذا الكتاب بمطالعتهم ثلاث مقالات غرَّاء اقتطفها المؤلف جازاهُ الله خيرًا فارسلها لتدرج في مجلّتنا في خلال السنة المنصرمة (١: ٨٦٥ , ١٠٢٤ , ١٠٦٦) وهي تنطق بفضل كاتبها وسعة علمهِ بآداب العرب واحوالهم. وان يسمح لنا جناب المؤلف البارع لعرضنا عليهِ ملاحظتين من شأنهما ان

تجديان القرّاء نفعاً الاولى ان توضع في ذيل كلّ صفحة اسماء الكتب التي اخذ عنها الكاتب لتزيد ثقتنا بالحوادث المرويّة. والثانية ان تقسّم الفصول تقسيماً متلاحقاً بحيث يتناول الفصل التالي الفصلَ السابق لما بينهما من العلاقة فيُنظم الكتاب في سلكٍ غير منفصم لا يُنزع منهُ باب الّا بزوال بعض محاسنهِ. ولنا الامل انّ الجزء الثاني يُختم بفهرس عامّ على حروف المعجم ليتيسّر للمطالع الوقوف على فوائد الكتاب

المختار من رسائل ابي اسحق ابراهيم الصابئ

الجزء الاول نقّحهُ وعلّق حواشيهُ جناب الامير شكيب ارسلان اللبناني
احد اعضاء الجمعيّة الاسيويّة الفرنسيّة

الصابئ احد مشاهير نصارى حرّان. ممّن اشير اليهِ في البلاغة بالبنان. خدم الخلفاء والوزراء بديوان الرسائل. فقلّدوهُ لصدق خدمتهِ الاعمال الجلائل. غير انّ رسائلهُ مع شهرتها كانت اخذتها يدُ الضياع لم يعرف منها سوى فصول متفرّقة ذكرها ارباب الادب في مجموعاتهم الى ان اظفرَ الجدُّ الاميرَ الاديب والشاعر المفلق شكيب افندي ارسلان بنسخة من مختار هذه المراسلات وقف عليها في احدى مكاتب دار الخلافة فلم يرضَ حفظهُ الله ان يُبقي هذا الكنز دفيناً فتولّى نشرهُ بالطبع وزاد على هذا العمل المشكور من شغلهِ الخاصّ وتعليقاتهِ ما ضاعف نفعهُ وجلّل قدرهُ وقد صدّرهُ بترجمة حال الصابئ وتعريف ادباء زمانهِ الذين عاش بين ظهرانيهم. ويا حبّذا لو كانت المطبعة اخرجت هذا الاثر الخطير في معرض ابهى وأليق بشأنهِ وتجنّبت بعض اغلاط تشوّه بمحاسنهِ ل. ش

هدايا أُرسلت الى إدارة المشرق

١ مقالة افرنسيّة مطوّلة عن الاخ (فرا) غريفون واحوال لبنان في القرن الخامس عشر نشرنا اجلّ فوائدها بالعربيّة

FRÈRE GRYPHON OU LE LIBAN AU XV SIÈCLE, 42, *pp.*
(Extrait de l'Orient Chrétien)

٢ كشف الدجى عن حقيقة نسب بني الانجا ردّاً على جريدة الرائد المصري

شذرات

لم يجب المنار ظنّ المنار انّهُ يُفحمنا بايراد بعض شهادات



تشير الى ان طائفة الروم الكاثوليكيين انفصلوا عن « الارثدكس » في عهد البابا بنديكتس الرابع عشر. ولكن ساء ظنّهُ ولو تروَّى معنى مقالة السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم لرأى انها مبنيَّة كلُّها على هذا البرهان الجدلي البسيط: كلُّ كنيسة تخضع لكرسي رومية وتتَّحد مع خليفة بطرس الصفا ونائب المسيح على الارض لها التقدُّم والسبق. والحال انَّ الكنيسة اليونانيَّة في التسعة القرون الاولى كانت متَّحدة مع مركز الايمان الحقيقي لا بل لم يزل بعد عصيان فوطيوس الى القرن السابع عشر عدَّة كنائس يونانيَّة في انحاء مختلفة خاضعة لرومية. فاذن الكنيسة اليونانيَّة الكاثوليكيَّة ومنها كنيسة الروم الملكيين لها السَّبق وحقَّ التقدُّم ولا يجوز ان تدعى منفصلة بل المنفصل هو الذي نبذ هذه الطاعة لسلطان الكنيسة الرومانيَّة. امَّا كون البابا بناديكتس الرابع عشر اقام للملكيين سلسلةً مستقلَّة من البطاركة فذلك لا يمنعهم ان يتَّصلوا بسلسلة بطاركة انطاكية الكاثوليكيَّة السابقة ولو كان بين هؤلاء البطاركة عدد وافر ممَّن خلعوا ربقة الطاعة لرومة ولا تزول حقوق الكاثوليك بعصيان هؤلاء. وعليهِ فيسقط احتجاج المنار

اسئلتنا للمنار — كنَّا سألنا المنار ان يجيبنا على ما كتبهُ في حقّ البابا ليباريوس الذي زعم انهُ كان اراتيكيًا فبيَّنَّا لهُ من كتب كنيستهِ انهُ قديس عظيم. فسكت الى اليوم فترى ما سبب هذا السكوت فان كان كلامهُ السابق صادقًا فليأتِ بحججهِ. وان كان افتراء فان الاستقامة والعدل فضلًا عن الدين يقتضيان ان يقرَّ المنار بغلطهِ فيزيل التهمة عن احد اولياء الله فرَّعه بما هو براء عنهُ

اكتشافات مهمَّة لمجلَّة المقتطف — لكتبَة المقتطف عقل نيّر ميَّزهم بهِ الله فتراهم لا يبحثون في امرٍ دون ان (ص ٢٧٣) « يجدوا فيهِ معاني كبيرة وفوائد جمَّة ومسائل هامَّة ». فمن ذلك انهم اعملوا نظرهم الصائب في جداول التعداد الاخير لسكَّان القطر المصري التي « لا يرى فيها اكثر الناس غير ارقام خالية من المعنى ... فاستنبطوا هم منها حقائق كثيرة » نشير على محبي الفكاهيات بمطالعتها منها « ان متوسط عمر الذكور ٢٣ سنة و٤ اشهر ومتوسط عمر الاناث ٢٣ و٣ اشهر فيكون متوسط عمر الذكور اطول من الاناث شهرًا واحدًا ». ومنها « انَّ ثلث سكَّان القطر اطفال سنّهم عشر سنوات فاقل » الى غير ذلك من الفوائد الجليلة التي تؤدي بهؤلاء الحكماء الى وضع هذا المبدأ الاساسيّ (ص ٢٧٧): « وواضح من ذلك انَّ القوة



الحيويَّة تكون على اشدّها بين السنة العاشرة والعشرين . . . » ! !

ومن عجيب اقوال مكاتبي المقتطف نقلًا عن احد الحكماء الغابرين (ص٢٨٤): « انَّ القراءة تجعل الانسان كاملًا » فيا حبَّذا لو ذكرت مجلة المقتطف اسم هذا الحكيم ليخلَّد اسمهُ في صفحات التاريخ تنشيطاً للجهال الذين لا يقدّرون هذا العلم الشريف حقَّ قدرهِ . — وللمقتطف اكتشافات بديعة اخرى كقول احد مكاتبيهِ في فنّ الخطابة انهُ (ص٢٨٦): « يشترط على الخطيب ان يعلم ما يقول » ! ! ولا شكَّ في انَّ كاتب هذه الطرفة تروَّى زمناً طويلًا لوجود هذا المبدأ الغامض

اساتذة فنّ الرَّقص قد احصى احد اساتذة الرقص عدد خطواتهِ في تدريس فنّهِ خمس ساعات في النهار على مدَّة عشرين سنة فوجد انَّهُ لو قطع البلاد سائرًا بدلًا من الرقص لامكنهُ ان يدور ماشيًا حول الارض ثلاث مرَّات متواليــة ونصفًا

اكبر سفينة في العالم تمَّت في منتصف كانون الثاني من هذه السنة اكبر سفينة تعرف الى يومنا وهي سفينـــة تجاريَّة من شركة الترستلنتيك اسمُها اوشيانيك (Oceanic) طولهـــا ٢١٢ مترًا طولًا في ٢١ عرضًا فجُرَّت الى البحر بقرب بلدة بلفَست وهي بالمدينة اشبهُ منها بالسفينة

مسألتان رياضيَّاتان الاولى للاخ اودوريكس اوهان الحلبي الفرنسيسيّ: انَّ رجلًا كان في يدهِ سبحةٌ فعدَّ حبَّاتها ثُناء (اثنتين اثنتين) فوجد انَّهُ يبقى في الاخير حبَّة واحدة. ثمَّ عدَّها ثانيةً ثُلاث فبقي حبتان. ثمَّ عدَّها ثالثةً رُباع فوجد الباقي ثلاثَ حبَّات. ثمَّ عدَّها سُداس فنقصة حبَّة. ثمَّ عدَّها اخيرًا خماس وسباع فلم يبقَ شيء. فكم كان عدد حبَّات السُّبحة. والمطلوب حلُّها جبريًّا

الثانية للاديب بطرس انطون حلاق — أستؤجر أربعة فعَلَة لبناء حائط. فاشتغل كلّ واحد منهم اربعة ايام وكانت نسبة اجرة يوميَّة الاول الى اجرة يوميَّة الثاني كنسبة ١ : ٣/١ ونسبة اجرة يوميَّة الثاني الى اجرة يوميَّة الثالث كنسبة ١ : ٣/٢ ونسبة أجرة يوميَّة الثالث الى اجرة يوميَّة الرابع كنسبة ١ : ٣/١ وبعد نهاية مدَّة العمل اتَّفقوا على ان يدفع كلُّ واحد منهم لاحد اصحابهِ الثلثة أُجرة يوم واحد ممَّا استحقَّهُ وكان كذلك. فحصل مع كلّ واحد منهم ١٢٠ غرشًا — فالمطلوب معرفة أُجرة كل واحد منهم اليوميَّة

اسئلة واجوبة

سألنا الاديب ي. ضاهر: ١ً في مدح اي خليفة قيلت قصيدة ابن عمَّار التي يقول فيها:

اثمرتَ رمحك من رؤوس كُماتهم   لمَّا رأيتَ الغصنَ يُعشقُ احمرا

٢ً ما هي البلاد التي ارادها كامونس البرتغالي في قصيدة اللويزياد (Lusiades) عن لسان زنوج يعرفون شيئًا من العربيَّة اخبروا ڤاسكو دي غاما ان سفنًا عظيمة تمخر كل سنة عباب البحر فتأتي من الشرق قاصدة جنوبي افريقية وان اهل تلك البلاد لونهم ابيض

رائيَّة ابن عمَّار

ج نجيب على الاوَّل انَّ هذه الرائيَّة قيلت في المعتضد بالله العبَّادي صاحب اشبيلية كما رواهُ ابن خاقان في قلائد العقيان ص ١٠٨

قصيدة كامونس

نجيب على الثاني انَّ كامونس اراد بالزنوج الذين التقى بهم ڤاسكو دي غاما قومًا من جزيرة مدغسكر وفي لغتهم آثار من اللغة العربيَّة او كانوا من زنوج جزائر اخرى كسومترة وسيلان وغيرهما يدينون بالاسلام فيعرفون شيئًا من العربية لذلك. امَّا البلاد التي اشاروا الى سفنها العظمى ولون اهلها الابيض فالارجح انهم ارادوا عرب اليمن وكان العرب منذ القرن التاسع للميلاد يتردَّدون الى جنوبي افريقية والى جزائر بحر الهند

س وسألنا حضرة الخوري موسى ميلان الخوري أنعرف شيئًا من امر مطران من عائلتهِ اصلهُ من بجنّس كان على ابرشيَّة بيروت لم يتحقَّق اسمهُ ولا زمانهُ ولا محلَّ دفنهِ وانَّما يظنّ انَّهُ المراد بقول ابن القلاعيّ في كتاب تاريخ الموارنة (ص ٩٨) عند قولهِ: «واقاموا اسقفًا لقرية رأس المتن واسقفًا لقرية بجرصاف واسقفًا لقرية بجنّس»

مطران ماروني قديم على بيروت

ج جوابنا على ما سبق ان كرسي بيروت حديث العهد في الطائفة المارونيَّة والاساقفة الذين ترأسوهُ معروفون لا نظنُّ ان احدهم ينطبق على مطلوب حضرة الخوري المقترح علينا السؤال. امَّا قول ابن القلاعي عن اساقفة رأس المتن وبجرصاف وبجنّس فلا نعلم من اين اخذهُ. وفي نبذة ابن القلاعي مزاعم لا يكاد يُشتمّ منها رائحة التاريخ كذكرهِ مثلًا للدروز في اوَّل اخبار الموارنة. والدروز ظهروا بعد ذلك بقرون عديدة ل. ش

(اصلاح اغلاط) ورد صفحة ٢٨٢ س ٢٤: «٢١ دسمبر» والصواب «٢٥» = وفي ص ٤٧٧ س ٢٠: «بعد الاعتدال الغريفي» والصواب: «الربيعيّ» = وفي ص ٤٤٥ قرئ بيت الدائرة: «لاشكَّ موجمُ» والصواب: «لا شكَّ ترغمُ»

قائمة للآثار الجوّيّة من ٦ الى ٢١ أيّار ١٨٩٩

انَّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات

السنة الثانية العدد ١٢ ١٥ حزيران سنة ١٨٩٩

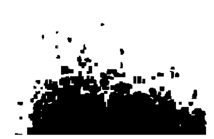
المشرق

العلم الحقيقي

لسيادة الحبر الجليل والعلّامة المفضال المطران جرمانوس معقّد مطران اللّاذقية

كلّ ما يرشد المرء الى الامور العَمليَّة بقوانين ورسوم موضوعة هو صناعةٌ. وما يقودهُ الى الحقائق بالمبادئ العقليَّة والنتائج المتخلّصة منها هو علمٌ. فالصرف والنحو والبيان واللغات هي صناعةٌ لا علمٌ. والمنطق(١ وسائر اقسام الفلسفة هي علوم حقيقيَّة يستضيء بها الذهن ويكشف مبادئ الاشياء واسبابها وعللها والمستحيل والممكن والمستقيم والمعوجّ من الاعمال والافكار ويعرف خواصّ المادَّة والبسيط وكثيرًا من اسرار الطبيعة التي أُودعت فيها بقدرة الخالق العظيم ويقف على قواعد الآداب الطبيعيَّة وواجبات المرء نحو نفسهِ ونحو الله والقريب ويطّلع على غاية وجودهِ في الدنيا ويعرف موضوع سعادتهِ الوحيد. وعلى قدر تعمُّقهِ في هذه الدروس الشريفة يزداد حبًّا لخالقهِ ذي الجلال ومعرفةً للواجبات وميلًا الى الفضيلة والانقياد لنواهي مولاه الصمد واوامرهِ ولذلك كان من اجلّ اقوال الحكمة ما قالهُ باكون العالم الانكليزي. « قليل من العلم يبعدني عن الله وكثيرٌ منهُ يقرّبني اليهِ». واذا التفتنا الى الذين افتُتِنوا في دينهم من اهل بلادنا ظهر لنا مصداق هذا القول الرائع احسن ظهور لاننا نرى انهم ممن عُرفوا عند العامَّة بالعلم ووُصفوا بهِ وهم في الحقيقة ممَّن لم يصيبوا منهُ الّا النزر القليل ولذلك ابعدَتهم قلّة العلم عن الله فنبذوا حقائق الدين ظهريًّا وجعلوا يتلمّظون بعبارات الاستخفاف بالاداب الصحيحة ويتفكّهون باهل الورع والديانة. ومن الغريب انهم يجعلون استخفافهم بالدين عنوانًا لايغالهم في العلم مع انهُ دليلٌ دامغ على انهم لم يحصلوا

(١) المنطق قسمان قسمٌ صناعي يتعلق بكيفية العمَل وقسمٌ علميٌّ وهو مبنيٌّ على المبادئ العقلية




منهُ الّا على شَذرٍ يكاد لا يحسب شيئاً. وقد صار في يقين فئة من عوامّ بلادنا ان العلم يخرج بالمرء من خطّة الدين ويحملهُ على جحود كثيرٍ من حقائقهِ. وذلك ما حدا بعضهم على ان ينبذوا الدين ويزدروا اوامرهُ ونواهيــهُ تمثُّلًا باولئك الموصوفين بالعلمِ (وهم بالحقيقة من ادعيائهِ) ليقال عنهم انهم من اصحاب العقول الثاقبة والمعارف الواسعة

وهذا الذي قلناهُ ليس رجماً بالغيب او من قبيـــل الظنون بل من الحقائق التي اثبتتها لي شواهد الامتحان اذ اتاحت لي الايام والظروف المختلفــة الاجتماع باشخاص عديدين من هولاء ادعياء العلم الغاوين وباحثتُهم في مواضيع شتّى فدلّت اجوبتهم على جهلٍ فاضح. وظهـــر من كلامهم انهم ليسوا على شيءٍ من العلم. فهذا لا يتجاوز علمهُ قواعد النحو والصرف واللغة والعروض وما ذلك بعلمٍ كما مرّ ولا يدعى صاحبهُ عالمًا. وذاك يتكلم بلغةٍ اجنبية وقد درس الجغرافية ويعدُّ نفسهُ لذلك عالمًا مع ان الببغاء يتكلم بلغاتٍ مختلفة. والآخر يدعي بالعلم لانهُ درس مبادئ المنطق الصناعية المدعوّة باب العلوم وهي لا تحسب قسماً منها الّا للاحظةٍ معلومة ومن عرف من الدار بابها لا يقال انهُ يعرفها. ومع ذلك فهو يدّعي انهُ عالمٌ فهّامة فيصوغ اقيســةً سفسطية يحيد بها عن مدارج الحق ويزيغ عن وَضَح المحجّة فيغدو مصداقًا لقولهم «من تمنطق شهرًا تزندق دهرًا»

وان قيل ان فلانًا المفتون في دينهِ لم يتعلم النحو والصرف والمنطق فقط بل درس ايضًا الفلسفة باقسامها فهو اذًا عالم بالحقيقـــة لا بالاسم. فالجواب ان امثال هذا العالم الجاحد فئتان. فئة درست مبادئ الفلسفة في احد المختصرات. وفئةٌ درست المطوّلات الممزوجة بالترهات والمبادئ الفاسدة على استاذٍ ضالّ. فمَثل الفئة الاولى مثل من درس من النحو الاجروميـــة فعدّ نفسهُ نحويًا بارعًا يباري سيبويه والكسائيّ وابن مالك وعمد الى انشاء المقالات وتصحيح الكتب. فـــلا جرم ان ما يصدر عن قلمه يكون مشحونًا بالاغلاط والتراكيب السقيمة والمعاني التافهة واضحوكة للناظرين. ومثل الفئة الثانية مثل السقيم يداويهِ دجّال والكفيف يقودهُ اعمى فالفئة الاولى اي الذين درسوا من الفلسفة مبادئها هي اكثر عددًا في بلادنا وعدد منهم غير يسير قد درسوهـــا على اساتذة مستقيمي الراي. ولكنهم غووا وضلُّوا سبيل الهدى لانهم عدوا انفسهم فلاسفة وليسوا كذلك. ولانهم بعد خروجهم من المدرسة يعمدون الى كتب الكفرة والجاحدين

فيطالعونها بشهوة وتمترج مبادئها الفاسدة بعقولهم لموافقتها اهواءهم النفسانية وتسهيلها لهم سبيل الخروج عن طاعة اوامر الديانة الصعبة المراس ولا يفتحون كتاباً من تآليفات الفلاسفة الحقيقيين واللاهوتيين المدققين

وهنالك سبب آخر عام يُعدُّ مصدراً للغوايات والاضاليل وهو ان هؤلاء واولئك يدَعون الوحيَ جانباً ويستندون في ابحاثهم الى العقل وحدهُ. فتزلّ اقدامهم وتتشرد تصوراتهم ويتيه دليلهم ويقعون في مهواة الغيّ. ألا ترى الفلاسفة العظام الذين لم تستنر عقولهم بضياء الوحي كاريسطو وافلاطون وسقراط وغيرهم كيف ضلّوا وُجهةَ الصواب في اكثر الحقائق الالهيَّة. وانظر الى الذين اعتمدوا في ابحاثهم العقليَّة على العقل وحدهُ تاركين ما اوحاهُ الله جانباً كيف تهوَّروا في أضاليل مضحكة ولم يستقرّ لهم رأيٌ على شيء. فلم يسلم من شائبة الغواية الّا الفلاسفة الذين استعانوا بالكتب المنزلة واتخذوها مصدراً للحقّ فاثبتوا بالفلسفة قضايا الايمان وقوَّموا الفلسفة بالحقائق الموحاة موفّقين بين الامرين فصدر عن منهجهم هذا القويم علم الكلام وهو « الحِجاج عن العقائد الايمانيَّة بالادلَّة العقليَّة » فكانت لذلك آراؤهم سديدةً تُضاحك المشكلات وتزيل الشبهات

و يتخلّص من كلّ ما ذُكر انَّ جحود الحقائق الدينيَّة ليس دليلاً على علم المرء وحدَّة ذهنهِ كما يتوهَّم بعض العامَّة بل هو دليل على جهلهِ وانحطاط مداركهِ وكبريائهِ. فاذا رأيت رجلاً من هؤلاء يتباهى بذاك الجحـود فاعلم انهُ ممَّن خلَوا من العلم الصحيح ومعرفة قدر عقولهم الضعيفة. أليس من الجهل والكبرياء ان لا يعتقد المرء الّا بما يدركهُ عقلهُ. فما العقل البشريّ حتى يُدرك امورَ الله وأعمالَهُ الغيـر المدركة. فهو صغير محدود والامور الالهيَّة سامية غير محدودة. وكيف يسع القَدَحُ الصغير جرَّةَ ماء. كبيرة فعلى الذين لم يُعطَوا موهبة العلم الصحيح او رُزقوا منهُ يسيراً ان يعـترفوا بقصورهم و يطلبوا الشهرة من غير هذا الوجه الموبق. وليرفعوا من قلوبهم تلك الدَّعاوة المُردية والتفاخر المعيب. بل فلتردهم قلّةُ علمهم اتضاعاً وتمسُّكاً بالحقائق الكاثوليكيَّة المقدَّسة الموحاة منهُ عزَّ وجلّ وليطووا عن مطالعة كتب الجاحدين ومجـلّاتهم كشحاً لانها تنفث في صدورهم سمّ الشكوك والارتيابات بخرقتها ومغالطاتها التي لا يضطلعون بدحضها لعدم تمكّنهم من العلوم العالية ولا سيَّما علم اللاهوت الاعتقادي

تلك خطرات افكار في هذا الموضوع المهمّ. ولعلّ المشرق الاغرّ الذي تصدرهُ

جماعة العلم الصحيح وحماة الدين القويم يزيدها من واسع علمهِ نصحًا لمن غوَى والى دركات الضلال هوَى والله الموفق الى قصد السبيل

الطاعون الدمّلي

مقالة للاب لويس بولوموا مدرّس العلوم البكتريولوجيّة في مكتبنا الطبي

١ تاريخ الطاعون

ما من آفة نال أذاها البشر في كرور الاجيال ونشرت في العالم الموتان والاهوال كداء الطاعون العضال الذي ابقى في مخيّلة الشعوب اثرًا مشؤومًا ترتجف الفرائص لذكر شَراهُ الجحاف وسهمهِ القتّال

ولكن قد وهم البعض اذ نسبوا الى الطاعون الاسود او الدُّمّلي أوبئةً أخرى اسهب قدماء المؤرخين في تعريف خواصها المرضيّة. وذلك انهُ شُبه عليهم اسم الطاعون الذي وجدوهُ في اوصاف اولئك المؤلفين فظنّوا انّ المراد هو الطاعون الاسود. والصواب انّ لفظة الطاعون في العربيّة كلفظة (Peste) عند الاوربيين ربّما أُطلقت على كل عدوى تنتشر في بعض البلاد وتجحف بقسم من سكّانها وذلك امرٌ اشار اليهِ جالينوس الطبيب الشهير. ولكن اذا حصرنا الكلام على الطاعون الاسود وجدنا انّ ما يُفرَز بهِ هذا الداء عمّا سواهُ الغُدد او النفّاطات التي تظهر في جسم المصابين على جلدهم. فاذا لم تبدُ هذه الخُراجات فليس الداء بطاعون وانّما هو وباء شبيه بهِ من حيث مفاعيلهِ الوخيمة. وعليهِ فانّنا لا نعدُّ كطاعون ثلاث آفات احتلّ بلاؤها في القرون الغابرة على بعض الاصقاع ودعاها المؤرخون طاعونًا غير انهم سكتوا في تشخيصها عن ذكر البثور الخاصّة بالطاعون الاسود. وكان ظهور الوباء الاوّل في بلاد اليونان سنة ٤٣٠ قبل المسيح في خلال الحرب البيلوبونيسيّة ولم يلبث ان عمّ شرُّها البلاد المجاورة من آسية الصغرى والجزائر البحريّة. وقد تضاربت آراء المحدثين في بيان امر هذا الداء الذي وصفهُ توقيديد المؤرخ أهو الحمّى الصفراء او التيفوس او الجدري او غير ذلك ممّا لا يهمّنا الآن الخوض في البحث عنهُ. امّا العدوى الثانية فانّها اصابت الجيوش الرومانيّة سنة ١٦٦ م على عهد مرقس اوريليوس وقت سيرها لمحاربة البرتيين تحت قيادة

لوقيوس قارُس. ونقلتها الجنود الى رومة فانتشرت من ثمَّ في جميع انحاء ايطالية. وقد شاهد جالينوس هذا الداء وشخَّصهُ في تآليفهِ وهو اشبه بالداء السابق المذكور في تأريخ توقيديد. وظهر الوباء الثالث في مصر سنة ٢٥٥ م ففتك بسكَّانها فتكًا ذريعًا ثمَّ تعدَّى الى سواحل افريقية والى اليونان وايطالية ولم ينتهِ الَّا بعد عشر سنوات فاتلف من الارواح ما لا يحصيه الَّا الله. واوصافهُ مسطَّرة في تآليف القديس قبريانس الشهيد اسقف قرطاجنَّة وهي توافق ما ذُكر عن الجائحتين السابقتين

على انَّنا لا ننكر معرفة القدماء بالطاعون الاسود ذي الشَّرى والغُدَد السود. فانَّ الكردينال ماي اكتشف كتابًا خطيًا مسطَّرًا على رقّ غزالٍ كان رُقِم عليهِ كتابة سابقة محشها النسَّاخ لخطّ تأليفٍ جديد. فاستعاد الكردينال بموادّ كيماويَّة الخطّ الاوَّل فوجد فيهِ تأليفًا لاوريباز (المتوفَّى في اوائل القرن الخامس بعد المسيح) ورد فيهِ ذكر الطاعون الدُّمَّلي كما وصفهُ الاطبَّاء في ايَّامنا ببلاد الهند. وهذا تعريب قول اوريباز:

« انَّ النفَّاطات الطاعونيَّـة كلُّها قتَّالة وتفشو بنوع غريب لاسيما في بلاد ليبية ومصر وسوريَّة »

فهذه الالفاظ الوجيزة لا يُمكن اطلاقها الَّا على الطاعون الاسود اذ وصفهُ المؤلف بخواصّهِ المفرزة لهُ عمَّا سواهُ. والدليل على ذلك انَّهُ بعد قولهِ السابق يحول القرَّاء الى مطالعة مقالات ديونيسيوس الاحدب وديوسقوريدس وپوسيدونيوس وفيها اوصاف الطاعون الاسود الفاشي في السنة ٣٠٠ ق.م بنواحي ليبية. ومن تشخيصهم للمرض انَّهُ « يصيب المطعون حمى شديدة مع اوجاع وانزعاج في كلّ البدن وهذيان ودوار وبروز نفَّاطات متَّسعة الدائرة فيها جسوٌّ دون ان يخرج منها صديد وهي تبرز في البدن كلّهِ »

ومع هذه الاوصاف المدقَّقة كانت الدلائل التاريخيَّة لبيان فشوّ الطاعون الاسود قليلة جدًّا قبل السنة ٥٤٢ ميلاديَّة . ولمَّا دخلت السنة المذكورة على عهد الملك يُستنيان ظهر هذا الداء في مدينة بلوزة من اعمال مصر السُّفلى وسرت العدوى الى سواحل بحر الروم ثمَّ انتهت الى تخوم فارس. وممَّن وصف الوباء المؤرخ إڤاغريوس الشهير قال: « لا السنّ ولا بنية الجسم ولا اصناف الاحترازات اجدت نفعًا بازاء هذه العدوى. فمن المصابين من كان يعتريهم على بغتةٍ حمَّى خفيفة دون ان

يطرأ على هيئتهم تغيير كبير وربَّما كانوا لا يبالون بهذه الظواهر فيحسبها الاطبَّاء كتعب عَرَضي ليس الَّا. على انَّهُ كان يُعقب هذه اللوائح نفَّاطات ودمامل تحت الآباط... وكان المرض اذا اشتدَّت وطأتهُ على المصابين ألحق بهم سُباتًا ثقيلًا محا من ذاكرتهم كل الامور او كحلَ عيونهم بالسُهاد وبلبل افكارهم وكنت ترى بعضهم يضطربون كأنَّ بهم جنونًا ويفرُّون هاربين من اشباحٍ تتخيَّل لهم بصور هائلة. وكان اغلب هؤلاء المنكوبين يذهبون فريسة الداء... وكانت الدمامل في بعضهم محـدَّدة الرؤوس فاذا تفجَّرت وخرجت منها الخُراجات نجا اصحابُها. ومن البثور صَنف اسوأ من غيرهِ عُقبى كان يظهر على الجسم بشكل بُقع محمرَّة يبرز فوقهـا دُبولٌ سود على كبر عدسةٍ. فكان الذين يُصابون بهذه الدمامل يسقطون صَرعى على الحضيض ويتقيَّأون دمًا ويموتون فجأةً »

تلك هي التفاصيل الواردة في كتب المؤرخين عن هذا الوباء وهي لا محالة نفس العلامات التي لَحظها الاطبَّاء في العدوى المنتشرة في ايامنا في الهند والصين

ومذ ذاك العهد تكرَّرت هجمات الطاعون في بلاد شتَّى من آسية واوربَّة. وقيل انَّ اوَّل طاعون ظهر في الاسلام كان بعد فتح المدائن بعد الهجرة بقليل وعقبهُ في ايَّام عمر ابن الخطَّاب سنة ١٨ (٦٤٠ م) طاعون عمواس وهي بلدة على ستَّة اميال من الرملة على طريق القدس فشا منها الى ارض الشام. قال ياقوت الحموي وغيره انَّهُ مات فيهِ خمسة وعشرون الفًا من المسلمين. وقد عدَّد الكُنت فون كريمـير خمسين طاعونًا (١ في القرون الثلاثة الاولى للاسلام

ومن الطواعين التي وجفت لها القـلوب هلعًا طاعون القرن الرابع عشر المعروف بالطاعون الاسود او الموت الاسود وكانت نشأتهُ في الصين سنة ١٣٣٤ فلم يزل يمتد تدريجًا من صَقع الى آخر حتى تجاوز الهند وفارس وتخوم الروس فضرب اطنابهُ في بلاد اللاه والمانية ثمَّ فرنسة وايطالية وانكلترَّة ونروج ولم يتقلَّص ظلُّهُ الَّا في سنة ١٣٥١ بعد ان اجتاح ٢٥,٠٠٠,٠٠٠ من اهل اوربَّة اعني ربع سكَّانها وكان مجموع قطَّان قارة اوربَّة آنئذٍ ١٠٥,٠٠٠,٠٠٠. ويؤخذ من رسالة البابا كليمنس السادس ان عدد الوفيات في المعمور بلغ اذ ذاك ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ وهي لعمري جائحة تطنُّ لها الآذان الى يومنا هذا. وكان من سماتها ان ينتشر على جلد اصحاب هـذا الداء شرًى وغدد

١) راجع A. V. Kremer : *Culturgeschichte des Orients* I, 490

ويتقيؤون الدم ويتفلون موادّ صديديَّة. الَّا انَّ هـذه الاعراض ليست بادية في كل الاوبئة لاختلاف اجناسها فانَّ الوباء الصيني مثلًا يغلب فيهِ على المطعونين عراقيل الرئة والتبقُّعات الحمراء والدمامل

وعاد الطاعون بعد ذلك فاحتلَّ مرارًا في اوربَّة كضيف مشؤوم على انَّ وطأتهُ كانت اخفّ من العدوى السابق ذكرها اللّهم الَّا في السنوات ١٥٧٥ — ١٥٧٨ اذ فشا في كثيرٍ من مدن ايطالية. ثمَّ كرَّ راجعًا في القرن السابع عشر فألحق في انحاء اوربَّة اضرارًا لا تُحصى. الَّا انَّهُ بعد ذلك اشفق على شمالي اوربَّة وزحف بخيلهِ ورجلهِ على الجنوب فلم يُبقِ ولم يذر. فمن ذلك وباء سنة ١٧٢٠ نقلهُ الى سواحل فرنسة مركبٌ تجاري أبحر من مدينة صيداء ميمّمًا مرسيلية وكان شحنهُ حريرًا فبُلي نوتيَّان بداء الطاعون وماتا دون ان يُشعر الركَّاب بسبب موتهما. فسرت العدوى من السفينة الى مدينة مرسيلية ثم الى جنوبي فرنسة وقتلت اهلها ابرح قَتل. وهو الوباء الذي اشتهر فيهِ ذلك الشهم المقدام والبطل الهمام السيّد دي بلزُنس اسقف مرسيلية فانَّهُ ضحَّى نفسهُ عن شعبهِ على مثال الراعي الصالح ولم يزل ليلًا مع نهار يتولَّى بنفسهِ شؤون المصابين حتى انهض الهمم وقوَّى العزائم واجتذب بمثلهِ مئاتٍ من الكهنة والرهبان لتمريض المطعونين واسعافهم بكل ما امكن من الوسائل ولم ينقطع عن اعمالهِ المبرورة حتى نال بصلواتهِ من الله ان يكفَّ ذراع غضبهِ عن رعيَّتهِ. قيل انَّهُ مات منها نحو اربعين الفًا في مرسيلية وحدها. ولا يزال الى يومنا تمثالهُ في اكبر ساحات المدينة اقامهُ لهُ الاهلون كذكرٍ مخلَّد وشكرٍ مؤبَّد

ولم يعد الطاعون الى فرنسة مذ ذاك الحين غير ان صقلية ابتُليت بهِ في سنة ١٧٤٣ اتاها من احدى السفن القادمة من بلاد اليونان الى مسّينة فاتلف باقلّ من ثلاثة اشهر ٤٣٠٠٠ نفس ثم خمدت بعد ذلك سَورة العدوى في اوربَّة جمعاء

امَّا البلاد الشرقيَّة فانَّ كثيرًا منها تكنُّ في صدرها جراثيم الطاعون لاسيا مصر التي تُعدّ كاحدى مصادر الوباء فانَّ عدد الطواعين في مصر بلغ من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٨٤٤ نيفًا وعشرين طاعونًا دام منها كثيرٌ مدَّةً تربي على سنتين. وفي زحفة نابوليون على مصر مات من جيشهِ فوق الفَيْ جندي بالطاعون

وتوارى الداء من مصر منذ سنة ١٨٤٤ بيد انَّهُ في هذه الاسابيع الاخيرة لم تلهج

الالسن سوى بذكر الاصابات الواقعة في الاسكندرية . ونسأل الله الّا يبتلي عباده بهذا الداء العقام

امّا بلاد الشام وآسية الصغرى فان الطاعون وفد عليهما مرارًا في القرون الماضية وقد دفع الله عنهما اذاهُ منذ سنة ١٨٣٩ . وكذا انقطع الوباء عن بلاد المغرب والجزائر مع فشوهِ مرّتين في طرابلس الغرب

ومن البلاد التي امتحنها الله قريبًا بالطاعون بلاد العسير في جنوبي جزيرة العرب وفد عليها الوباء في السنين ١٨٥٣ , ١٨٧٤ , ١٨٧٩ , ١٨٨٩ وكذا يُعدّ العراق العربي وشرقي ما بين النهرين كنواحٍ موبوءة توالت عليها فتكات الطاعون . وقد شنّ الغارة مرارًا على بغداد مدينة السلام

قال المسيو تولوزان ان مركز الطاعون الاصلي في القسم الاعلى من حوض الفرات يدخل في حيزهِ بلاد العجم كما اثبتت ذلك اللجنة العثمانيّة . والاقليم المصاب بهذه البليّة العظمى اكثر ممّا سواهُ اقليم اذربيجان جرف الطاعون اهلهُ في السنين ١٨٦٣ و ١٨٧٠ ١٨٧٢ و ١٨٧٨ و ١٨٨٥ ثمّ يتلوهُ خراسان ثم كردستان

ومن اقاليم الصين الموبوءة عادةً اقليم اليونّام ومركز الوباء في ياخوي احدى عواصمه . ومنها صدر طاعون سنة ١٨٩٢ ودخل كانتون فقتل من سكانها ١٨٠,٠٠٠ نفس وسار من ثمّ الى شمالي غربي الهند فانخلعت لظهورهِ القلوب وهو لا يزال منذ ثلاث سنين ينشر في بماى لواء الموتان

هذه نبذة موجزة تنبئنا بتاريخ الطاعون واعمالهِ الغير المشكورة وهي تبشّرنا بالويل والثبور اذا ما تغاضينا عن سدّ باب اقطارنا في وجههِ واذا لم نتّخذ الوسائل الفعّالة في قطع دابرهِ وهو العدوّ المشؤوم الذي يعمل في الامصار عمل السيف البتّار فلا يرعوي الّا بعد اخلاء الديار وتعمير القبور بنفوس الاحباب والذراري

وفي مقالة ثانية سنستوفي الكلام ان شاء الله عن تعريف الطاعون وخواصهِ وكيفيّة سريانهِ والوسائل التي تعرف حتى الان لدفع بلائهِ (ستأتي البقيّة)

شهيد العلم

بقلم محمّد ابي عزّ الدين كاتب ضبط دائرة الحقوق الاستئنافية في جبل لبنان

عثرت في احدى المجلّات الاجنبيّة على طرفة من سيرة المقدام الطيب الأثر الدكتور

هرمان مولر النمساوي مكتوبة بقلم الشهم الوفي أيسنمان من سكان ڤينة فنقلتها الى العربيَّة مقتفيًا اثر كاتبها ملتزمًا مساق كلامه غير منحرفٍ عنهُ او متصرِّفٍ بشيءٍ منهُ الَّا حيث اقتضى المقام الربطَ بين مواصل الكلام او جاء استطرادًا والاصل لا يخلو عن معناه

قال الشهم المنوَّه بهِ: لمَّا كان الطاعون منذ سنتين فاشيًا في بلاد الهند استقرَّت آراء الاعضاء بالجمع العلمي في ڤينا على ايفاد بعثة مؤلفة من اطباء نمسويين الى بمباي للوقوف على ماهية هذا الوباء الهائل واختاروا رئيسًا لهذه البعثة الدكتور فرانز هرمان مولر (Dr Franz Hermann Müller) الطبيب في المستشفى العمومي واحد الاساتذة في كلية ڤينة وعمره اذ ذاك زهاء ثلاثين سنة وقد طارت شهرتهُ في هذا السنّ بعلمهِ وخبرتهِ بالكلينيك وكان الطلبة عمومًا والانكليز والامركان منهم خصوصًا يتزاحمون ويتسابقون الى سماع خطبهِ في الطب الباطني وفضَّلوهُ على غيرهِ لانهُ انتقى احسن اساليب التعليم وتوخَّى اقرب الموارد تناولًا لفهمهم في كلينيك المستشفى. وكان في مهنتهِ مثالًا للاستقامة وفي مراعاة واجباتهِ عنوانًا للامانة . وفضلًا عن ذلك كلهِ فانَّهُ كان يرأف بالمرضى الفقراء ويعطف ويحنُّ عليهم رأفةً وعطفًا وحنانًا اجتنى بديلها شغفًا بهِ واخلاصًا لهُ واكرامًا

ولمَّا دعوهُ ليتولَّى رئاسة البعثة الموما اليها لبَّى هذه الدعوة الغارَّة غير متردّد عن قبولها مع ما هنالك من التعرُّض للخطر والتهلكة

وسافر رجال البعثة المذكورة الى بمباي واقاموا هناك مدَّة ثلاثة اشهر اتوا في خلالها اعمالًا مجيدة وامتاز رئيسهم المشار اليهِ بجرأتهِ وإقدامهِ. وكان كلَّما سنحت لهُ فرصة بادر الى المغاير لمعاينة المصابين فيها باشدّ ما يكون من اصابات الطاعون غير متهيّب الخطر المستجنّ بهِ ولم يعرف الراحة في جميع اوقاتهِ ولم يطلب النزهة . وهكذا تسنَّى لهُ ان يشاهد في تلك المدَّة القصيرة اكثر من الف مطعون في منازلهم وعلى فُرُشهم ودوَّن معلوماتٍ وافية عن كثير من الحوادث التي عاينها وحقَّقها. ولمزيد رغبتهِ في الوقوف على ماهية هذه الضربة الهائلة شارك زملاءهُ في تشريح عشرات من جثث الذين ماتوا بالطاعون استجلاء لِما خفي عليهم من امرهِ

وبعد ذلك قفل الاطباء الموما اليهم راجعين الى بلادهم مستصحبين كميَّة من

باشلوس الطاعون وكتبوا تقريرًا وافيًا بما رأوهُ في بمباي وارتأوهُ بخصوص الطاعون. وقدَّموا تقريرهم هذا الى المجمع العلمي في ڤينة فعهد اليهم ان يختبروا مفعول الباشلوس المذكور بالحيوان ليتحققوا كيف تدخل جراثيم الطاعون الاجسام وليبحثوا عن الوسائل التي تقي الناس شرّ هذا الوباء واختصُّوهم بمحل في دار الباثولوجيا بالمستشفى العام للتجربة والاختبار وسموه «محلّ الطاعون» ووفَّروا لهم المعدَّات والشروط الصحيَّة وكمَّلوها ولم يعوزهم شيء من التدابير اللازمة للوقاية وعيَّنوا خادمًا مرافقًا لهم اسمهُ «باريش» خصُّوهُ بواجبات اهمُّها ان يعلف الحيوانات المعدَّة لاجراء الاختبار وينظّف المحل المذكور والأقفاص وان ينظّف ايضًا الادوات المستعملة ويطهّرها ويحرق الجيَف. وقد أُفهم هذا الخادم خطارة وظيفته ففهم وعرف واجباتهِ واتمَّها بكمال الدقَّة وقد رافق النجاح عملهم مدَّة سنة اختبروا في خلالها اموراً كثيرة وحقَّقوها. ومع ان الخطر كان يعترضهم غالبًا لم يَنلهم اذى لشدَّة حذرهم ومبالغتهم في التحوُّط وما لبثوا بعد ذلك ان استخفُّوا الخطر لتعوّدهم ملاقاتَهُ واصبح باريش متوانيًا غير مكترث بعملهِ وأغفل اموراً لم يكن بدٌّ منها ولا غنًى عنها في هذه الاحوال حتى ادَّى بهِ التهاون الى المرض فبدت عليهِ يومًا اعراض تشفّ عن التهاب في الرئتين فجيءَ بهِ الى المستشفى واحضروه الى كلينيك الاستاذ نوثناجل (Nothnagel) وفيهِ كان الدكتور مولّر المومأ اليهِ معاونًا اول للاستاذ فباشر اي المعاون فحصَ الخادم ولم يتبيَّن حقيقة مرضهِ بل اشتبه بهِ وهذا الاشتباه دعاهُ الى تكليفهم نقلهُ الى غرفة منفردة وعُني هو بملاحظتهِ بمزيد الدقة. فجاءت نتيجة الملاحظة وَفق ظنهِ وهو ان الخادم مصاب بالطاعون وعليهِ فحصَ دمًا من دم هذا المريض فحصًا بكتيريولوجيًا ازال ارتيابهِ اذ وجد فيهِ باشلوس الطاعون

ولم يكن الدكتور مولّر ليملّ ملازمة هذا المريض وبعد اتمامهِ الفحص المارّ ذكره زاد اهتمامهُ بهِ ولم يفارقهُ الّا نادرًا حتى انَّهُ انقطع عن التدريس وإلقاء الخطب ووكلَ الى زملائهِ عيادة مرضاهُ وقد بلغ انعطافهُ عليهِ درجةً نسي معها أحيانًا ان يأكل. وكان يبقى في غرفة العليل من الصباح حتى نصف الليل باذلًا كلَّ ما في وسعهِ لهذا الشاب وقد فعل ما فعل وهو على يقين من ان باريش مطعون ولا رجاء بشفائهِ البتَّة. وقال لاحد زملائهِ بعد حين «ان الطاعون اذا تمكَّن من امرئٍ خاب الرجاء بالنجاة منهُ

ولقد شاهدتُ في الهند مئات من الحوادث التي تشبه حادثة باريش وبها عرفت ان قد حانت منيّتهُ . وبالنظافة التامة قد تُتَّقى العدوى بعض الاتقاء . امَّا اذا نشبت في الجسم فلا بُرء منها ولا خلاص من شرك المنيَّة

ودام مرض باريش اربعة ايَّام ثم مات وحذرًا من ان يلمس احد جثَّتهُ تولَّى الدكتور مولر نفسهُ تكفينه فلفَّهُ بكفن بعد ما بلَّه بمحلول السليماني ثم رفعهُ من عن فراشهِ ووضعهُ في النعش وطلاهُ بالقير وشدّ الغطاء واخرج النعش من الغرفة ثم باشر تطهيرها فاحرق كل ما كان فيها قابل الاشتعال وقلع ألواح الخشب التي كانت بارضها واشعلها وغمر كل ما لم يحترق بموادّ مانعة العدوى ولم يكتفِ بذلك بل تناول قطعة زجاج وعمد الى حيطان الغرفة وسمانها فكشطها بها

وفي اثناء مرض باريش خالطهُ اثنتان من الممرّضات تناوبتا مع الدكتور مولر على خدمتهِ وبعد موتهِ وضعوهما في مكان منعزل وجعلوهما قيد المراقبة الطبيَّة وثاني يوم موته تصاعدت حرارة احداهما «ألبين بيخا» البالغ عمرها اثنتين وعشرين سنة وارتفعت درجتها كثيرًا ومع ان اعراض المرض لم تكن بادية عليهما استصوب الاطباء نقلهما الى المستشفى المخصَّص بالامراض الوافدة في خارج ڤينة لاسباب العزلة اذا اعتراهما المرض وقد أختير الدكتور مولر ليرافقهما في عربة من عربات المستشفيات وليهتمّ بهما وبعداواتهما

ولمَّا وصلوا الى المستشفى اختارت الفتاتان غرفة من غُرف المأوى المعدّ لحوادث العدوى الخطيرة واقام الدكتور مولر في غرفة مثلهما وفي غيرها اقامت راهبتان من راهبات الشفقة الممرّضات وتنحَّوا كلهم عن المخابرة مباشرةً مع ايّ كان

امَّا المأوى المذكور فهو بناء قائم الزوايا كائن في حديقة المستشفى يشتمل على اربع غرف كل غرفة منها معدَّة لشخص واحد وفيها حمَّام ومحلّ للتطهير من العدوى هذا فضلًا عن غرفة الممرّضة وكل غرفة من هذه الغرف مستقلَّة عن الاخرى ولها مدخل مستقلّ ومنع المرضى من مخالطة بعضهم بعضًا او مخالطة غيرهم من القائمين بادارة وخدمة المستشفى . وجعلوا حول البناء المذكور حبلًا كحدٍ لم يؤذن حتى لاطباء المستشفى ان يتعدّوهُ وبالغوا في التحوّط بتقديم الاكل لهؤلاء المعتزلين في المأوى المحكيّ عنهُ فكانت احدى الراهبات تأتي وتدقّ الشبَّاك وتتقهقر فتجيء احدى الراهبتين الموجودتين

داخلًا وتفتحهُ وتضع صحونًا على عتبتهِ الخارجيَّة ثم تغلقهُ فتعود الراهبة الاولى وتصب في تلك الصحون الطعام التي جاءت بهِ وتنطلق قبل ان يتناولوهُ من الداخل وعلى هذا النمط تمشوا في إدخال الادوية وما شابهها الى المأوى

وكان الدكتور مولر اذا اراد ان يصف لمدير المستشفى حالة المرضى او يخابر احدًا في الخارج تناول ورقة وكتب عليها بحروف كبيرة ما عنَّ لهُ ثم طنَّ الجرس مستدعيًا واحدًا من خدَمة المستشفى ووقف هو عند الشباك والورقة في يدهِ فيجيء الخادم ويقف على بُعد معيَّن ويكتب ما يراهُ مكتوبًا على تلك الورقة ويسلِّمهُ الى الشخص المرسل اليهِ. امَّا وصفات العلاج التي كان يصفها الدكتور مولر فنُقلت بواسطة طبيب من اطباء المستشفى على النحو المار بيانهُ

قلنا ان الدكتور مولر والممرّضتين وصلوا الى المستشفى وكان وصولهم اليهِ عند الظهر ولشدَّة اهتمام الدكتور بهاتين الممرّضتين زارهما بعد الظهر مرارًا فرأى ان احداهما على غاية ما يرام امَّا الاخرى وهي «ألبين بيخا» فكانت دلائل الحمَّى ظاهرة في جسمها وكلما فحصها مرَّة وجد درجة حرارتها في صعود مستمر وعند المساء ساءت حالها حتى اضطرت الى ملازمة سريرها وحينئذٍ ثبت عند الطبيب ان تلك الفتاة الفقيرة قد سرت اليها العدوى واصابها الطاعون. وكانت قبل ذلك بساعات قليلة مثلًا يتمثَّلون بها من حيث كمال الصحة. وبالرغم عن احتياج الدكتور الى الراحة بعد التعب المتعب ابى ان يفارق الفتاة وبقي عندها حتى ارخى الليل سدولهُ وكان يعتقد انَّ واجباتهِ تقضي عليه باستنفاد كامل جهده في خدمتها ولو كان من المقرَّر عندهُ ان شفاءها مستحيل وان الحذق الطبي لا يجدي وقتئذٍ نفعًا

ولمَّا درت الفتاة بدنو اجلها فاضت دموعها وتحدَّرت عبراتها واجهشت بالبكاء فاقبل الدكتور مولر وجلس على طرف سريرها وقد رقَّ لها قلبهُ واخذ يسليها بكلام صادر عمَّا في نفسهِ يمتزج مع القلوب وينفّس الكروب

واذا علمتَ حال الفتاة حكمت انها جديرة بإجازة الغصَّة حقيقة بافضل تعزية فانها كانت متَّفقة مع احد ارباب الاطيان المثرين في بلاد ايرلاندا على ان تكون ممرّضة ملازمة لهُ بشروط حسبتها في غاية المناسبة لظروف حالها ولم يكن باقيًا من مدَّة خدمتها في المستشفى الَّا ايام قلائل عوَّلت بعد انقضائها على السفر الى بلاد المثري الموما اليهِ.



ولكن ما ابرقت اسرَّة هذه الفتاة التي ربيت في مهد الفاقة وشبَّت فقيرةً وما بزغت شمس آمالها حتى فاجأها الطاعون الوبيل وهي تباشر في قينة خدمة جليلة تستحق بها الثواب الحقيقي فسطت على جسمها جرثومتهُ الخبيثة

ولم يفارق هذا الطبيب الامين تلك الفتاة المطعونة حتى حال دونهُ دنو اجلهِ كما سترى وبينما هو عائد الى غرفتهِ اصابتهُ قشعريرة وارتجف جسمهُ وصرَّت اسنانهُ فخاطب نفسهُ متجلدًا قائلًا « إنَّ هذا الَّا نتيجة البرد القارس بليالي تشرين الاوَّل ». ثم احسَّ بان قواه قد انتهكت كأنهُ مشى طول النهار فناجى نفسهُ قائلًا « لا غرو ان اعاني التعب ففي الليالي الاخيرة لم أنم الَّا قليلًا وفي النهار كان حظي انشغال الفكر والقلق »

ولمَّا انتهى الى السلَّم المؤدي الى غرفتهِ ووضع قدمهُ على الدرج كاد يسقط على الارض فاشتكى حينئذٍ قائلًا : « حالة مستغربة وانا لم يصبني الدوار مطلقًا أترى هذا المرض يدهمني انا ». ثم دخل غرفته وفيما هو نازع الى خلع ردائهِ خطر لهُ ان يكتب الى والديهِ تسكينًا لروعهما وجلس على كرسيهِ وكتب مستعجلًا تذكرة قال فيها « من الجبن ان يتنحَّى الطبيب في ظرف حرج كهذا ويتقاعس عن اتمام واجبات مهنتهِ ». وكتب ايضًا ان صحَّتهُ على ما يرام وانهُ يرجو ان يراهما باقرب وقت (التتمَّة للعدد القادم)

الوسائط التجاريَّة الخصوصيَّة

للشاب الاديب عبد الله رزق الله شارَ احد مأموري معيَّة ولاية بيروت الجليلة

ذكرنا في ما سبق (٢ : ٤١٥) شيئًا من مسهِّلات التجارة ووسائلها العمومية ففي هذه النبذة التالية نورد ما سنح لنا من الوسائط التجاريَّة الخصوصيَّة

١ (الشركات التجاريَّة) هي ان يجمع اشخاصٌ متعدِّدة رأس مالهم واقتدارهم وغيرتهم ومقصدهم في نقطة واحدة للحصول على نتيجة عظمى يعجز عنها كلٌّ لوحدهِ . واصول الشركة وان كانت قديمة العهد لجديرة بان تُعدَّ من مخترعات هذا العصر الأنور لبلوغها في يومنا الدرجة القصوى من الكمال والترقي . فأينما سرَّحت النظر ترى منها آثارًا تأخذ بالبصائر والابصار من انشاءات جسيمة واعمال عظيمة لولا الشركات لبقيت بلا شكٍّ في عالم العدم

ولا ننكر انَّ الاقدمين قد أتوا بالاعمال العظيمة والمشروعات الجسيمة دون

الالتجاء الى الشركات كما ترى في الاهرام وابنية بعلبكّ وتدمر. على انّ هذه المآثر انّما كانت نتيجة الظلم والجور يسوق اليها قسرًا ملوكٌ متعسّفون ربواتٍ من البشر استعبدوهم لمصالحهم الخاصّة وهي لم تُجدِ رعاياهم الّا النّفع القليل. وبخلاف ذلك ان حوّلتَ النظر الى انشآآت زماننا ومشروعاتهِ الخطيرة رأيتَ النّاس يقبلون عليها جماعاتٍ وعندهم الشغل فيها لقاء الأُجر أحلى من الشهد. فيبلغون حيث لم تبلغ الآمال. وهاك الفراعنة مثلًا قد تكلّفوا شيب الغُراب لوصل النيل ببحر القلزم لِما حال دون عزائمهم من الموانع والعوائق التي رفعتها بسهولةٍ شركة ترعة السويس الحاليّة

فالشركات التجاريّة اذن على اختلاف انواعها(١ من اهمّ اركان المدنية الحاضرة واقوى عامليها . وعليهِ فما بالُ اغنيائنا لا يتناصرون على المشروعات الخيريّة . ولا يتضافرون على تأليف الشركات التجارية. احياء لمنسوجاتنا الحريرية. وتوفيرًا لوسائل الزراعة والصناعة الوطنية. ولا يعجز القوم اذا تعاونوا. فناشدتك الله ماذا ينقصنا لنأتي مثل هذه الاعمال. أليست بلادنا هي هي تلك البلاد التي لم تدرّ فقط لبنًا وعسلًا بل درّت على سكّانها الاوّلين فضّةً وذهبًا. ألسنا نحن ورثة الفينيقيين واحفاد العرب المخلّدي الشهرة وعلى الخلَف حفظ ميراث السلَف. فالعجلَ العجلَ يا قوم لنشر ما أنطوى من مناقب اسلافنا الغراء قبل ان تُدرس آثارها وتُطمس اعلامها . والبدارَ البدارَ للّحاق بالامم المترقية قبل ان تتراخى المسافة ويعظم البون بيننا وبينها فنعود بخفّي حُنينٍ وينحني علينا الفرنج باللائمة. وفي ذلك عبرة لأُولي الابصار

٢ٌ (روّاد التجارة) اعتاد تجار الغرب ان يرسلوا أُناسًا من قبلهم الى اسواق التجارة ليجلبوا الرغبة العموميّة الى مصنوعات معاملهم ومحصولات أراضيهم يدعوهم الفرنج Commis-voyageurs فينتخبونهم من اشدّ الرجال قوّةً واوسعهم روايةً والطفهم صحبةً ومؤانسةً حتى اذا ما خالطوا القوم وجاذبوهم اطراف الحديث يأخذون بمجامع لبّهم ويستميلون افكارهم. فيبرزون لهم حينئذٍ انموذجات معاملهم ويصفونها بما طاب وراق باسلوب ظريف ولسان بليغ. وكثيرًا ما يتكبّدون النفقات العظيمة فيقيمون الولائم ويتخذون المآدب ذريعةً الى بغيتهم ووسيلةً الى مطلوبهم

١) للشركات انواع ضربنا عن تعدادها وتعريفها صفحًا خشية الاسهاب

٣ً (المصارف) خدمات المصارف للتجارة وارباجا اشهر من ان تُذكر . تُقطع سفاتج التجار وسنداتهم وتمدّهم عند الحاجة بالنقود وتُحصّل لهم لقاء اجرةٍ طفيفة ديونهم او تؤديها سواء كان في البلدة التي يقيمون فيها او غيرها من البلاد الشاسعة فتقيهم بذلك من النفقات الطائلة والغوائل العديدة . وكثيرًا ما تُسهل المعاملات التجارية بين الذين لهم معها حسابات جارية . فيشتري زيدٌ من عمرو سلعًا . فتؤدي المصارف لهذا قيمة السلع بايفاء معاملة حسابية في وفائها دون ان يتجشم التاجران أدنى مشقَّة فضلًا عن اقتصاد الوقت

٤ً (اوصياء التجارة) ويُقال لهم ايضًا عملاء (Commissionnaires) لمن المعلوم ان موقعيَّة التاجر منوطة احيانًا بكتم اسمهِ عن الصانع واخفاء مطلبه عن رصفائهِ حتى لا يُرَدّ في طلبهِ من ذاك لعدم اعتبارهِ (Crédit) ولا يُزاحم من هؤلاء في بضائعهِ . فاذا عهد مُشترى السلع التي يُريد جلبها من الخارج الى شخصٍ ثالث وجب توكيل هذا الشخص حسبما يقتضيهِ النظام فيفشي سرّهُ ويضيع معظم وقتهِ . امّا اوصياء التجارة فبراءٌ قانونًا من هذه التكلّفات والمشقَّات يجلبون باسمهم وعلى حسابهم مطالب التجار فيقتصد هؤلاء الوقت ويخفون ما نووا كتمانه

٥ً (الاعلانات) ما من أحدٍ ينكر خدمة هذه الواسطة الفعّالة للتجارة وفوائدها الكثيرة . وقد تفنَّن فيها الغربيُّون وخصوصًا الاميركان تفننًا عجيبًا . فما يمرُّ يوم الّا وتتحفنا الجرائد بغرائب الاخبار . من مباحث تستلفت الانظار . وتصاوير تخطف بالأبصار . واعلاناتٍ تُضحك الثكلى وتُزيل الاكدار

٦ً (المستودعات) ان خدمة المستودعات (Dépôts, docks) للتجار وخصوصًا القليلي راس المال منهم لخليقة بالذكر وحريّة بالاعتبار . ذلك ان رأس مال زيد يبلغ الفي ليرة فيشتري بها مثلًا قطنًا . فان لم يبعهُ في الحال وقف دولاب تجارتهِ ريثما تنفق بضاعتهُ . على انَّ اربح التجارة ما تعدَّدت معاملاتها . وعليهِ يضع زيدٌ قطنهُ باجرةٍ جزئيَّة في إحدى مستودعات بلدتهِ ويأخذ لقاءهُ من اصحابها سفتجةً بقيمة الف وثمانمائة ليرة ويُرسلها في الحال الى عميلهِ في مرسيلية مثلًا فيشتري لهُ هذا لقاءها صوفًا . فاذا جاءهُ الصوف وضعهُ ايضًا في المستودع وأخذ من صاحبهِ سفتجةً بقيمة الف وخمسمائة ليرة يبتاع بها شيئًا آخر بينما يظهر مشترى لسلعهِ الاولى وهكذا يُعدّد المعاملة بنفس رأس



المال. وقد اكثر الغربيُّون من انشاء هذه المستودعات المفيدة في بلدانهم التجارية وصرفوا عنايتهم الى تنظيم شؤونها

على انَّ هذه الوسائط كلّها لا تجدي نفعاً لولا الصدق والاستقامة. ولا ريب انَّ هاتين الفضيلتين مبدأ كل نجاح مَن سلك جدّدها آمِن العِثار. ومن زاغ عنهما طاش سهمهُ وانقضت وسائلهُ فكان مصيرهُ الى البوار. وربّما يغشّ التاجرُ الكذوب النـاسَ اوَّلًا وثانياً فيربح قليلًا ولكن لا يلبث حتى ينكشف سرّه وينجلي أمره. فيعرض عنهُ الناس ويخذلونهُ فيندم ندامةَ الكسعيّ. هذا قلٌّ من كُثر الوسائط التي يتذرعها التجار لترويج تجارتهم في اقطار العالم. ويشهـد الحقّ انهم سعوا فذلّلوا اشمّ الحوائل. وهوَّنوا صعاب المشاكل. فقرَّبوا منال حوائج ضرورَيّة كانت أبعد من بيض الأنوق وأعزّ من الابلق العقوق. وليس للانسان الّا ما سعَى

مأثرة برمكيَّة

اقتطفها الاب لويس شيخو اليسوعي

من كتاب احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمد البلويّ

انَّ الكتاب الذي اخذت عنـهُ هذه الرواية محفوظ في خزانة كُتب باريس بين المخطوطات العربيـة عددهُ ٧١٠ (Ms Arabes de Paris, Suppl. 710). وقد جاء في هذا الكتاب عدَّة حكايات غاية في اللطف والرقَّة فاخترنا منهـا واحدة تفكيهاً للخواطر وهي الى اليوم لم تُروَ في الكتب المطبوعة. وردت في الصفحة ٥٦ من الاصل

ذُكر في قطب السرور عن عمرو بن مسعدة قال: رفع الى المأمون محمَّدُ بن عبدالله رُقعةً يمتُّ فيها بحرمة ويزعم انَّهُ من صنائع البرامكة وانَّهُ مولى ليحيي بن خالد وقد كانت لهُ نعمة واسعة وضيعة وأنَّ ضيعتهُ قُبضت فيما قُبض للبرامكة وزالت نعمتهُ بحلول النقمة بهم ودفعها الى المأمون فدفعها المأمون الى احمد بن ابي خالد وامرهُ بضمّهِ اليهِ والإجراء عليهِ. فصلحت حال محمَّد بن عبد الله بذلك وتراجع اليهِ امرهُ فكان ينادم احمد بن ابي خالد لا يفارقهُ فتأخَّر عنهُ يوماً لمولود وُلد لهُ فبعث اليـهِ فاحتجب عنهُ فغضب عليهِ بسبب ذلك فحبسهُ وقيَّدهُ والبسهُ جبَّة صوف. فمكث كذلك ايَّاماً فسألهُ المأمون عنهُ يوماً فذكر لهُ ما هو فيهِ من الصَّلف والتيه والافتخار بالبرامكة وانَّهُ لا يزال يذكرهم ويترحَّم عليهم. فامر باحضارهِ فأُحضر على تلك الحال واقبـل عليهِ بالتوبيخ مسفهاً



لرأيهِ ويذكّرهُ ما تقدَّم من فَقرهِ ويعظّم في عينهِ احسان ابن ابي خالد. فقال لهُ: يا امير المؤمنين اطال الله بقاءك لقد وضعتَ من البرامكة غير موضوع وصغَّرت منهم غير مصغَّر وذممت غير مذموم وقد كانوا شفاء ايَّام دهرهم وغياث جدب عصرهم ومفزعًا للملهوفين وملجأً للطالبين فان أذن امير المؤمنين حدَّثتهُ ببعض اخبارهم ليعلم صدق قولي في تفردهم في عصرهم بالايادي النفيسة. فقال لهُ: هاتِ وأَوجز. فقال: ليس بانصاف وانا في القيود. فامر بفكّ قيودهِ. فقال: يا امير المؤمنين أَلَمُ الجبَّة حائل بيني وبين حلو الحديث ومانعٌ لي من الوقوف على غرَرهِ. فامر بخلع الجبَّة عنهُ وان يُخلع عليهِ ثمَّ قال لهُ: هات حديثك. فقال:

يا امير المؤمنين كان وَلائي ليحيى وانقطاعي للفضل ابنهِ. فقال لي الفضل يومًا بحضرة ابيهِ واخيهِ: يا محمد احبُّ ان تدعوني دعوةً كما يدعو الصديق صديقهُ. فقلتُ لهُ: حالي تصغر عن ذلك وتضيق بهِ ومالي يعجز عنهُ وهيأَتي لا تقوم بهِ. فقال لي: دع عنك فلا بُدَّ منهُ. فأعدتُ عليهِ الاستقالة والاستعفاء فرأيتهُ مصمّمًا. فاقبلتُ على بيهِ لائذًا ومستعينًا بهِ واستعنتُ باخيهِ جعفر فاقبلا عليهِ وسألاهُ ذلك واعلماهُ بقصور يدي عن بلوغ ما يحبُّهُ ويشتهيهِ. فقال لهما: لستُ بقانع منهُ دون ان يدعوني واياكما لا رابع معنا. (قال) فاقبلا عليَّ وقالا: هذا قد ابى ان يعفيك وان لم يكن الامرُ الّا لنا فلا حشمة بيننا أقعدنا على اثاث بيتك فأطعمنا من طعام اهلك فنحن بذلك قانعون. فقلت للفضل: ان كنت قد عزمت على ذلك وأَبيت الّا فضيحتي فلا بُدَّ من ان تؤجلني اجلًا اتأهّبُ فيهِ لكم. فقال: استأجلْ لنفسك ما تريد. فقلتُ: أَجلني سنة. فقال: ويحك او معنا امان من الموت لسنة. فقال يحيى: ويحك قد افرطتَ في الاجل ولكني احكم عليكما بما ارجو ان لا يردّهُ ابو العبَّاس فاقبلهُ انت ايضًا. فقلت: احكم جعلني الله فداك ووفقك للصواب وتفضَّل عليَّ بالفسحة في المدَّة. فقال: قد حكمت بشهرين. فخرجتُ من وقتي وبدأتُ برمّ منزلي واصلاح آلتي وشراء ما التجمّلُ بهِ من فرش واثاث وغير ذلك وهو مع ذلك لا يزال يذكّرني حتى اذا كانت الجمعة الذي نجز فيها الوعد قال لي: يا محمّد قد قرب الوعد ولا احسبُ قد بقي الّا عمل الطعام. فقلتُ: نعم جعلني الله فداك. وامرتُ بالطعام فأُصلح بغاية ما تنالهُ يدي ومقدرتي وجاءني رسولهُ عشيّة اليوم الذي صبيحتهُ الوعد فقال: هل تأذن في البكور. فقلت: نعم جعلني الله فداك

فبكّر الي هو وجعفر ويحيي وسائر اولادهم وفتيانهم . فلمّا دخلوا اقبل عليّ الفضل فقال: يا محمّد اوّل شيء ابدأ بهِ ان انظر الى نعمتك صغيرها وكبيرها فقُمْ بنا حتى ادور عليها فاحتاطَ بها علماً . فقمتُ وقام وهما معهُ حتى طاف المجلس ثمّ خرج الى الخزائن ثم الى بيت الشراب وخرج منهُ الى الاصطبل ونظَر الى كبير نعمتي وصغيرها . ثم عدل الى المطبخ فامر بكشف القدور وعرَض كل ما اصنع من الطعام قِدرًا قدرًا ثم اقبل على ابيهِ وقال: هذا اللون الذي يعجبك ولستَ ببارحٍ دون ان تأكل منهُ . ودعا برغيف فغمسهُ في القدر وناولهُ اباهُ ثمّ فعل باخيهِ كذلك ثم امر غلمانه برفع القدور واكل ما فيها

فلمَّا رأيتُ ذلك ضاقت عليَّ الدنيا وقلتُ: ما العمل هذا شيء اجتهدتُ فيهِ ولا يمكنني استئناف عمل طعام اخر . فقال لي الفضل: نحن نقنع منك بما في منزلك من طعام اهلك . ثم دعا بالخلال وخرج الى صحن الدار فادار بصرهُ في جنباتها وسقوفها واروقتها ثم قال لي: يا محمد مَن بجوارك . فقلتُ: جُعلت فداك فلان التاجر عن يميني وفلان الكاتب عن شمالي وخلف ظهري رجل قد ابتاع خربة فهو في بنيانها لا يبرح . فقال لي: أفتعرفهُ . قلت: لا . قال: كان الأليق بمحلك منّا ان لا يجترئ عليك رجل ويشتري بقربك شيئاً الّا بامرك ولاسيما اذا كان ملاصقاً لك . فقلتُ: ما منعني من ذلك الّا ما كنت فيهِ من الاشتغال بهذه الدعوة المباركة . قال: فاين الحائط الذي يتّصل بدارك . فأومأتُ الى موضع من الدار . فقال: عليّ بنجّار . فاتى بهِ . فقال لهُ: افتح هاهنا باباً . فاقبل عليهِ ابوهُ وقال لهُ: نشدتك الله يا بُنيَّ لا تهجم على قوم لم تعرفهم . واقبل عليهِ اخوهُ بمثل ذلك فأبى الّا فتح الباب وخفتُ مغبَّة ذلك ولم اجترِ على الكلام بعد ان ردَّ اباهُ واخاهُ . ففتح الباب في الحائط ودخل منهُ ثم بعث الى ابيهِ واخيهِ أنِ ادخلا: فدخلا فاذا في وسط الدار فتًى جالس على سرير وعلى رأسهِ عشرون غلاماً كأنّهم الدنانير بالمناطق المثمّنة . فقاموا باجمعهم بين يديهِ فدخل الدار وطاف في مجالسها وخزائنها فوجدها مشحونة بآلة الملوك من الفرش والاواني فاقبل عليَّ وقال: يا محمد أيّما احسن هذه ام دارك . فقلت: اصلح الله الوزير والله ما رأيتُ مثل هذه الدار وانها لا تليق الّا بك . فقال لي: اتحبّ ان تكون صاحب الدار ويكون مالكها عبدًا لك . فقلت: جُعلت فداك من اين لي ذلك . فقال: اعلم انك لمّا نهضت من بين يديّ ساعةَ سألتك دعوتي امرتُ غلامي بشراء هذه الخربة وبنائها واتّخاذ كل ما ترى فيها وقد وهبتُها لك بكل



ما فيها . يا غلام هات ما عندك من الطعام . فأُتي بطعام ما رأيتُ مثلهُ فجعلوا يأكلون

ثم نظرتُ الى جعفر فرأيت الكآبة بادية على وجهـهِ وقد التفت الى ابيهِ وقال: يا ابتِ اعزّك الله لا ازال اشكو اخي ابا العبّاس اليك ولا تنصفني منهُ أَقترضى لهُ ان يختص بهذه المكرمة دوني ويضنّ بمشاركتي ايّاهُ . فاقبل يحيى على ولدهِ الفضل وقال: يا بني لقد كنت اولى ان تشرك اخاك في هذه النفيسة . فقال لهُ : جُعلت فداك والله ما تفرّدتُ بها دونهُ ولا استبدّيت بها دونهُ ولقد تركتُ لهُ صَفوها . فقال: ما هو وقد قُضي الامر . فقال الفضل : انّ محمدًا هذا رجل قليل ذات اليد لا مال لهُ ولا ضيعة عندهُ تقوم بهذه الدار ومتى خُلّي بينهُ وبين هذه الدار وهؤلاء الغلمان لم يقوَ على ذلك وكان ذلك مضرًّا بحالهِ وضيعتك الفلانيّة مشاكلة لهذه الدار فأَوْهبها لهُ ليقوى بها على امرهِ . فقال لهُ جعفر : صدقت لقد فرّجت عني . يا غلام هاتِ كتاب الضيعة . فسلّمهُ اليَّ وقام يحيى فضمّ ولديهِ الى صدرهِ وقبلهما وقال بأَبي انتما وبنفسي اقيكما لا اخلاكما الله من مزيد بسطة ونعمة جليلة ولا اخلاني فيكما من دوام العافية وطول العمر واجتماع الشمل .

(قال) فبكى المأمون عند استماعهِ ذلك وقال: والله لقد برّز القوم في فضلهم وسبقوا بمجدهم انك لجدير يا محمد ان تطنب فيهم . وامر بردّ نعمتهِ عليهِ وامر لهُ بالف دينار

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

في شيوخ اليزيدية واصحاب الرُّتَب عندهم

(الكوچك) انّ اليزيديّة يعتبرون الكوچك بمـنزلة نبيٍ . وزد على ذلك ان الكوچك اذا اراد ان يتنبأ يلتحف بعباءة ويضطجع على الارض ثم يُدَمدم فيرنّم فيغني فيروي للحاضرين ما تراءى لهُ في الرؤيا النبويّة ويقول: « اني اعرف كل ما حدث في العصور الخالية والوقائع الماضية من ايّام آدم وحوّاء الى يومنا هذا . والكوچك ايضاً بمنزلة الطبيب عندهم فانهُ اذا سمع بمريض واحدٍ يعودهُ للحال ليصف لهُ الدواء المناسب لدائهِ وكيفية استعمالهِ . وهذا الدواء هو واحد لا يتغيّر وان تغيّرت العاهات والادواء . وهذا الاسم العام هو « تراب » من المزار الفلاني او الفلانيّ حسب اختلاف المرض .

وهذا التراب يضعهُ الكوچك نفسهُ في الجبهة او على بطنهِ او على صُلبهِ او ما بين كتفيهِ بموجب حالة المرض ونوعيَّتهِ

امَّا (القوَّال) فليس من الذين يُقلَّدون المناصب الدينيَّة بأُبَّهة خصوصيَّة بل هو بمنزلة المغنّي او المرتّل عند النصارى ليس إلَّا

امَّا (الپير) فلا يُحتفل بتنصيبهِ بنوعٍ خصوصيّ بل يُشترط ليكون كذلك ان يكون من سُلالةٍ پيريَّة فهي اذًا وظيفة وراثيَّة والپيورة (جمع پير) كلهم امّيون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة إلَّا عُزمة واحدة من هذه السلالة تسكن بَعْشيقا وهي قرية واقعة في حضيض جبل «مقلوب». ولها وحدها بين جميع اليزيدية من هذه البلاد او من البلاد الاجنبيَّة الحق والامتياز ان يتعلَّم فيها الابناء القراءة والكتابة. واذا كان الابناء عديدين فالبكر وحدهُ يحقُّ لهُ الامتياز بذلك الإنعام ليكون بمنزلة الفقيه او المُنلا الاكبر عند المير او الامير الاعظم. والكتاب الذي يُطالع بهِ هذا الفقيه هو «مصحف رش» المذكور سابقًا. وهذا مؤكد لا ريب فيهِ بل لا يختلف في امر صحَّتهِ اثنان من اليزيديَّة. امَّا ما قالهُ الفاضل ڤيتال كينه: «ولا يُعرَف في اي كتابٍ مقدَّس يطالع فيهِ هؤلاء المحظوظون. وقد علم الأديب ليَار (Layard) من الشيخ الاعظم انهُ يوجد كتاب خصوصي مرقوم على صفيحة من خشب» فلا ثبت لهُ (V. Cuinet, p. 774) فانَّ مصحف رش مكتوب على الرقّ وهو مُصحف لا دَرْج

وفوق الپير يوجد (الشيخ الاعظم) ورتبتهُ وراثيَّة ايضًا وهو بمنزلة حبر الأحبار وسائر الاحبار هم بقيَّة الشيوخ. ومقرُّهُ في «قرية الشيخ عادي» وهي بُليدة قريبة من باعدري. وبيد هذا الشيخ العقد والحلّ الامر والنهي في كل ما يتعلَّق بالشؤون الدينيَّة يأتيهِ اليزيديَّة من جميع الانحاء والاصقاع ليستفتوهُ

ويعتقد اليزيدية ان أجداد الشيوخ الموجودين اليوم احياء على الارض نزلوا من السماء شيوخًا أئمَّة فيهم انواع الفضائل التي تميّزهم بعضهم عن بعضٍ وكلّ عُزمةٍ من هؤلاء الشيوخ تمتاز باجتراح نوعٍ من الآيات والعجائب لا يجترحها من كانوا من غير تلك العزمة. والدليل عندهم على ان هؤلاء الشيوخ نزلوا من السماء بهذه الاوصاف هو ان منهم من يلقَّب بالشيخ ناصر وان جدَّهُ الشيخ شرف الدين وهو القمر عندهم. ويلقَّب جدّ شيخٍ آخر آمادين وهو عماد السماء والدين. ومنهم من يلقب جدَّهُ بشيخ



الشمس. امّا سُلالة الشيخ مَنْت فقد مُنحت ان توْتي العجائب والخوارق في رصد الحيّات والعقارب اي رَقيها. ويزعمون انهم اذا مسكوا الحيات الخبيثة لا تؤذيهم وهم يأكلون لحومها. والبعض من هولاء الشيوخ يُلقّب بالشيخ المهدي. ويدّعون بان منهم يأتي المهدي او المسيح الدجّال. ولسلالة هذا الشيخ قوة وهي انهُ اذا حدث وباء او طاعون او نحو ذلك من الامراض الوافدة جاء الشيخ القرية ورسم بالفدّان دائرة حولها زاعمًا بذلك انهُ افتداهم من هذه الاوبئة فلا تعود تفتك بهم لأنهُ قدّم نفسهُ قربانًا للطاووس الملَك. بل وبعض الاحيان هذا الطاووس يعفو عنهم بدون توسّط الشيخ اذا رأى ذلك مناسبًا لامرهم

ولكلّ شيخٍ من شيوخ اليزيدية مُريدون اي محبون لهُ ومحسنون اليهِ. فاذا كان لذلك الشيخ مُريدون كثيرون واغنياء عديدون كان الشيخ بذات الحال غنيًّا. وامّا الذين مُريدوهم فقراء او قليلون فتكون عيشتهم عسرة منغّصة. لان العادة عندهم ان كل شيخٍ يطوف مرّتين في كل سنةٍ على مريديهِ فيجمع منهم غنمًا وبقرًا وسمنًا وصوفًا ونحو ذلك اذا كانوا من اهل الضَرع. والّا فيجمع حنطةً وشعيرًا وقطنًا وارزًا اذا كانوا من اهل الزَرع. وبُسطًا وملاءاتٍ اذا كانوا من الكواچر اي من الرُحّل ونقودًا اذا كانوا من الاغنياء. وكل من لا يُرضي شيخَهُ يُحرَم واذا أُبسِلَ يُعدُّ كسَقَط المتاع الذي لا يُشرى ولا يُباع ولا يُكالمهُ احدٌ ولا يؤاكلهُ يزيديٌّ طالما يكون في هذه الحالة (١. ومن شيوخ اليزيديّة من يُلقّب بشيخ جَرْوَه وخوارقهُ متوقفةٌ على طَرد العقارب بقوّة الماء. فانهُ يَقرأ عليهِ بعض صلواتٍ ثم ينضحهُ في زوايا البيت فيعوّض اهلهُ عن تعبهِ بان يدفعوا لهُ دراهم غير قليلة. ومن هؤلاء الشيوخ من يلقّب « بشيخي دِيكله » اي شيخ الديك فهذا مهنتهُ ان يجول القُرى وفي اي بيتٍ وجد دجاجة مكركة (رنقاء) اخذ منها فرّوجًا واحدًا. فيجمع بهذه الصنعة اكثر من ٣٠ فروجًا من كل قريةٍ فيبيع كل واحد منها بغرشين او ثلثة غروش صاغ

ولكل واحدٍ من اليزيديّة شيخ خصوصيٌّ وپير خصوصيٌّ يكون لهُ بمثابة الاخ في الآخرة ويُقال لهم بلسنهم « براي آخِرَتْ » اي « اخ الآخرة » فاذا مات اليزيدي يجيء شيخهُ ويغسّلهُ ويكفّنهُ ويدفنهُ. ويكون الپير لهُ في بادية الآخرة اخًا والشيخ دليلهُ

(١) وليس الافراد فقط تُحرَم وتُرشق بسهام الإبسال بل العشائر لا بل الاموال نفسها مهما كان جنسها

في ذلك السبسب او البسبس. وهذا الشيخ قد مهر في هذه الصناعة لأنهُ تلقّنها عن جدّهِ الذي نزل من السماء فحينئذٍ يرشدهُ ويهديهِ في الطرق والاودية المؤدّية الى الجنّة. «وبراي آخرَت» يرافقهُ ويشجّعهُ لئلّا يضلَّ جهلًا او خوفًا. لكن يا للعجب العجاب ان للپير نفسهِ لا بل وللامير ذاتهِ بل ومن العجب العجب ان للشيخ عينهِ پيرًا خصوصيًا وشيخًا خصوصيًا لهذهِ الغـاية. فيا لهم من مُنبصرين عُمي وهذا من اغرب الاضداد

هذا من طرف الرئاسة الدينيَّة اما من جهة الرئاسة الدنيويَّة فانَّ لليزيديَّة ميرًا وهو الامير الاعظم ويدَّعي امراء هـذه السلالة انهم من نسل يزيد الابن الحبيب للطاووس الملك فان المير الحاليّ هو من أُسرة حسن بك واسمهُ ميرزا بك ولهذا الامير تؤدَّى جميع الخيرات والارزاق والاموال والجبـايات ولهُ تنقد النقود في الايام المعيَّنة وبالوسائط المرتَّبة عندهم من قديم الزمان كوسائط السناجق التي مرَّ ذكرها وهذه السناجق مضبوطة اليوم بيد الحكومة منذ ايام عمر باشا. وكانت سلطة هذا الامير تمتدّ الى جميع رعيتهِ إنْ في البلاد العثمانيَّة وان في البلاد الاجنبية ومقرُّهُ في قصر عظيم في باعدري على حدود دُهوك وهي قرية تبعد عشر ساعات عن الشمال الشرقيّ من الموصل. وسلطتهُ مطلقة ويُوصلها الى مرؤوسيهِ بواسطة رجالٍ تحت امرهِ وهؤلاء الرجال يبلّغونها الى رعيَّتهِ المنتشرين في جميع البلاد. وكانت الدولة العثمانية تعتبر هذا المير الاعظم اميرًا مطلق السلطة حتى سنة ١٨٧٥ وكان لهُ حقّ الحياة والموت على سوقتهِ. اما اليوم فقد نُزعت من يديهِ هذه القوّة واصبح تُبَّاعهُ تحت الحكومة العثمانيَّة ان كانوا من رعاياها. ودعاوي اليزيدية تُرفع اليوم الى مجلس البداية امام مدير باعدري ان كانت دعاويهم تدخل في دائرتها

المحرَّمات عند اليزيديَّة

من المحرَّمات عندهم كلَّ التحريم الصلوات العموميَّة. امَّا الصـلوات الخصوصية فهي وان كانت ايضًا محرَّمة شرعًا فانَّها تُستعمل فعلًا في أعمال خصوصيَّة او يستعملها الافراد كلّ على حدتهِ كما تقدَّم القول. والپيورة يتعلّمون الصلوات شفـاهيًا خلفًا عن سلفٍ ولا يجهرون بها بل يدمدمون بهـا دَمدمةً. ومن المحرَّمات ايضًا تعلّم القراءة والكتابة ويُستثنى من ذلك أُسرة الپـير الاعظم كما ذكرناهُ في محلّهِ. ويُحرَّم من اللحوم لحم الخنزير وحدهُ بخلاف ما ذكرهُ بعض الكتبة اذ قالوا انَّهُ محلَّل عندهم. ومن الاطعمة كل ما ذكرناهُ في باب طرائقهم وعقائدهم. وربَّما وُجد بينهم قومٌ يأكلون اللوبياء امَّا



الخس ولحم الخنزير واللهانة (الكرنب او الملفوف) فرؤيتها وحدها عندهم حرام. وبالاخص الخسّ فانهُ عندهم من اخسّ ما خلقهُ الله على وجهِ الارض. ومجرَّد روئيته حرام. حتى اذا ارادوا ان يعنوهُ قالوا : « ذاك الوحش ؟ ؟ ». ولا يأكلون السمك على اختلاف انواعهِ لانهم يقولون ان يزيد حين برح بلدهُ طالبًا بلاد اليزيديَّة انتظم السمك تحت اقدامهِ انتظامًا عجيبًا حتى انهُ تمكَّن من المشي على ظهرهِ في البحر الى ان وصل البرّ فزال حينئذٍ من تحت أقدامهِ الشريفة

ومن المحرَّمات عندهم انهم لا يشربون من كوزٍ او جرَّةٍ او قارورةٍ تُبقبق لانهم يزعمون ان ما يبقبق هو روح حيَّة موجودة فيها

ويُحرَّم عليهم حلق الشوارب واستئصالها بالمقصّ بخلاف اللحية فيجوز كل ذلك لكن يجوز ان تُحفى الشوارب ويُستحبُّ ان تُعفى اللحى. بخلاف ما قالهُ صاحب معجم الاديان انهُ يحرَّم عليهم حلق اللحى والشوارب (ص ١١٢٥) والقاعدة المطَّردة عندهم ان تحلق عامة الرجال لحاها وتُعفي شواربها. امَّا الشيوخ من العامَّة فلا يجوز لهم ذلك بل من المحتوم عليهم ان يُعفوا الشوارب واللحى. ويُحرَّم عندهم ايضًا البصاق بصوتٍ يخرج من الفم او الشفتين لانهم يتخذون ذلك شتمًا للشيطان ويؤوّلون غاية الباصق بهذه الصورة توجيه التفلة الى الطاووس الملك

ويُحرَّم على اليزيدية لبس الثياب الزرقاء ويُحلَّل لهم بل ويلزمون بلبس الثياب البيضاء ان كانوا من العامَّة ولبس الثياب السوداء اذا كانوا من خدَمة الدين. وقد تقدَّمت الاشارة الى ذلك. ويقولون بهذا الخصوص انَّ الأبيض يمكن ان يصبغ باللون الازرق. امَّا الازرق فليس لهُ هذه الخاصيَّة ووراء ذلك معنى وهو ان كل من يولد خارجًا من الديانة اليزيديَّة لا يمكنهُ ان يصير يزيديًا كما ان الازرق لا يمكنهُ ان يكون ابيض. امَّا اليزيدي فيمكنهُ اذا حاد عن طريقهِ ان يتديَّن بديانةٍ اخرى كما ان الابيض يمكن ان يُصبغ بلون آخر. ولا يجوز لهم ان يلبسوا السراويل بعد الغسل وهم وقوف لكن ذلك يجوز بعد قضاء الحاجة. ولا يقضون الحاجة الطبيعيَّة في المحلّ المبني لهذه الغاية اي في المستراح بل في الفضاء وفناء الدار ونحوهما. لانهم يزعمون ان غير اليزيدية يهينون الشيطان دائمًا بافتكارهم السيّء انهُ موجود في الكنيف فاذا دخلوهُ وقضوا الحاجة فيهِ يكونون كأنهم فعلوا ذلك على طاووسهم وهذا اثمٌ دونهُ كلُّ اثم.

امّا الثياب الحمراء فليست محرَّمةً عليهم لكنهم لا يلبسونها إلّا قليلًا بخلاف ما قالهُ كينه (ص ٧٧٥) انها محرّمة عليهم

الملبوس والزيّ عندهم

ان ملبوس الرجل ثوب ابيض يُزرُّ من الوراء وصدرهُ مَجوبٌ جوبًا مستديرًا الى الثندُوَتين ويفعلون ذلك تلميحًا الى النور الذي نزل على الشيخ عادي بهيئة قُرص مستدير بعد ان صام ٤٠ يومًا. وهذا الجَوب يُسمَّى « طَوق يزيد ». وما عدا الثوب يلبسون سراويل بيضاء ايضًا على هيئة الشِروال السوريّ. واماً عَمرَتهم اي ملبوس الرأس عندهم فهي عمامةٌ بيضاء صغيرة الحجم ويتمنطقون بمنطقةٍ من النسيج مهما كان لونهُ. ويلبسون في ارجلهم الكالات(١ . والنساء يلبسنَ دِشداشة . طويلة (٢ وتحتها سراويل. وعليهنَّ مِلحفة تُسمَّى عندهنَّ: « مَيزَر » وهي تصحيف مئزر العربية وتُلبس اللحفة بارسال الطرف الواحد منها تحت الابط الأيسر واخراج طرفهِ الآخر من الجهة الآخرة حتى يلتقي مع الطرف الآخر على الكتف من اليمنى ثم يُعقد ويترك الجانب الايمن من المرأة من فوق الى تحت غير محجوب. والفقيرات من النساء يمشينَ حوافي. واماً اذا كنَّ غنيات فيلبسنَ في أرجلهنَّ الأجداك (٣. واماً عَمرة النساء فهي عبارة عن شيء يشبه عمامة الرجل لكن بوَضعٍ خصوصي بهنَّ. وهي تكون بيضاء او سوداء كل امرأةٍ بحسب

---

١) الكالة كلمة بغدادية قديمة الوضع. يُراد بها الحذاء التي يُتَّخذ وجهها من الخنيف او من كلّ نسيج غليظٍ و بالأخصّ نسيج القطن والصوف والكتّان والكلمة فارسيَّة معناها الاصليّ: الانسجة المختلفة ولا سيَّما الغليظة فسُمّيَ الشيء باسم ما يُتَّخذ منهُ وهي بالفرنسيَّة (Espadrille ou Alpargate)

٢) الدشداشة الذُرَّاعة تُتَّخذ من القطن وهي كلمة عراقيَّة مشهورة

٣) الأجداك جمع جِدكٍ وهي جُزمة النساء مع بابوجٍ فوق الجزمة. ويُميّز اهل بغداد بين الجزمة والجِدك. فالجزمة تكون من أديمٍ أحمر او اسود. ومعنى الأديم الجلد المدبوغ مرةً ثالثةً. وهي لا تكون الّا للرجال. امّا الجِدك فهو من اديمٍ اصفر وقد يكون من أفيق اصفر الأفيق هو الجلد المدبوغ مرّةً ثانيةً ولا تلبسهُ الّا النساء. وفوق الجُزمة لا يُلبس شيء. واما فوق الجِدك فيُلبس بابوجٌ خاصٌّ بهِ. والجُزمة كلمة تركيَّة. وكذلك الجِدك. وهذه اللفظة منحوتة من « إيچ إدك » اي الخفّ الداخليّ. وللجِدك والجزمة اسم واحد عند العرب وهو المَوزَج او المَوق. اماً الخُفّ الذي يُلبس فوق المُوق او الموزجِ فاسمهُ عندهم الجُرْموق. وكلا الموق والموزج معرَّب مُوزه الفارسيَّة ومعناها الخف. والجرموق معرَّب سرموزه بالفارسية ايضًا ومعناها: (ما يلبس) « فوق المُوق ». والجزمة والجِدك معروفان بهذين الاسمين وبهذين المعنيَين عند اليزيديَّة. فاحفظهما

اختيارها . والسوداء تُسمَّى عندهنَّ پوشي (Pochi) وهي عندهم نقل كلمة پوشو التركيَّة ومعناها عمامة خفيفة كان يعتمُّ بها الجنود العثمانيَّة وپوشو التركيَّة مأخوذة من پوشيدن الفارسية ومعناها غطَّى او ستر او لبس (ستأتي البقية)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر اخيهم الامير شمس الدين عبد الله ابن جمال الدين حجّي

وهو الثالث من اولاد جمال الدين (١ . كان احد الامراء الذين اسرهم الفرنج ليلة نزولهم على الدامور وكان قتلهم لاخيهِ فخر الدين عبد الحميد في تلك الليلة وهي ليلة الاربعاء الثامن من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة (١٣٠٣ م) واقام في الاسر خمسة ايَّام ثمَّ استفكُّوهُ بمبلغ ثلاثة آلاف دينار صوري(٢ على يد ناصر الدين الحسين وسنذكر ان شاء الله تعالى كيف اسرهُ الفرنج في ترجمة اخيهِ عبد الحميد بعد هذه الترجمة . وتزوَّج عبد الله المذكور ابنة سيف الدين غلَّاب بن معن وغلَّاب هذا كان والدهُ علم الدين سليمان الرمطوني الآتي ذكرهُ ان شاء الله . وعبد الله كان ركبتهُ ديونٌ كثيرة على ما ذُكر وربَّما كان ذلك في وقت أسرهُ الفرنج . وربَّما كان عليهِ ديون سلفًا لناصر الدين الحسين لانَّ ناصر الدين اخذ اقطاع عبد الله بعد وفاتهِ واعطاهُ اخاهُ علاء الدين علي ابن سعد الدين وكان لعبد الله خلفٌ أَحقّ واولى من علاء الدين المذكور . ولم اقف لعبد الله على تاريخ وفاة ولكن يُستدلّ على تاريخ وفاتهِ من منشور علاء الدين . وتاريخ هذا المنشور العشرون من ربيع الاوَّل سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠ م) جهات اقطاعهِ بامرة اربعة (79r) نصف قدرون ونصف رمطون ونصف طردلا ونصف عين كسور

١) جاء في حاشية للمؤلف: «كان يجب ذكر عبد الله قبل اخيهِ شجاع الدين لانَّهُ ثالث وُلد جمال الدين وشجاع الدين هو الرابع فحصل السهو في ذلك . وفي المنشور المذكور تعيَّنت سنة وفاة عبد الله وهي السنة عشرين وسبعمائة (١٣٣٠ م)

٢) الدينار الصوري ضُرب في صور في ايَّام الدولة الفاطميَّة وكان من الذهب يساوي نحو خمسة عشر فرنكًا من النقود الحاليَّة

واسماء اولاد عبد الله : محيي الدين محمود ومجير الدين محمد . وجلال الدين وامهم ابنة غلّاب

ذكر اخيهم الامير فخر الدين عبد الحميد ابن جمال الدين حجّي

هو خامس ولد جمال الدين . كان لهُ ولاخيهِ عبد الله اوشية وزراعة بالدامور وكانوا يباشرون فدُنهم وزراعتهم بها . فلمّا كانت ليلة الاربعاء الثامن جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعمائة (١٣٠٣ م) جلس الاخان يتحادثان فقال عبد الله : انا خائف من نزول الفرنج علينا فيأخذونا أسرى . فقال عبد الحميد وهو لم يعلم ما قُدّر لهُ في الغيب : انا والله لا اسلّم نفسي اليهم ولا ادعهم يأخذونني اسيرًا . وكان الاخوان نويا صيد الحجل وتواعدا مع اخوتهم ان يحضروا اليهما في الدامور سحرًا ليتوجّهوا الى الصيد . فنزلت الفرنج في تلك الليلة وطرقوا عليهما الباب فظنّ الاخوان انّهم الجماعة المتواعدون للصيد فصرخا : ما حلّ الآن وقتُ التوجُّه لصيد الحجل . فقال الفرنج : نعم حلّ . وفتحوا الباب فاخذوا عبد الله اسيرًا ومانع عبد الحميد عن نفسهِ حتى قُتل تمسُّكًا بقولهِ لاخيهِ في اوّل الليل لئلّا يحنث في قسَمهِ . وبعد قتلهِ عرفهُ الفرنج فندموا على فعلهم (١ . وقال كبير الفرنج : « خيرُ والدِ هذا وخيرهُ في باطى » (كذا) . وقُتل مع عبد الحميد مجاهد ابن ابي حسن وابن عمّ مجاهد ومعتب ابن ابي المعالي والحسين اخوهُ (٧٩) من اهل ادميث . وبقي شمس الدين عبد الله معهم خمسة ايّام ثم باعوهُ بالقرب من خلدا كما ذكرنا . ومعرفة الفرنج لعبد الحميد بعد قتلهم لهُ تدلّ على انّهم كانوا من فرنج الساحل قبل فتحهِ والله اعلم . وربّما بالغوا في ثمن فدية عبد الله لمعرفتهم بهِ

فصل من هذا الباب

ويجب بعد ذكرنا الاخوة الخمسة اولاد جمال الدين حجّي ان نذكر اولادهم تبعًا لذكرهم ليكون ذكر الابناء تاليًا لذكر الآباء ولمعاصرتهم ناصر الدين الحسين

ذكر حسام الدين عبد القاهر ابن شهاب الدين احمد ابن جمال الدين حجّي

كان رجلًا عاقلًا حازم الرأي رغب في الدنيا فنال منها جانبًا كبيرًا وسُمّي بتاجر البيت وهو الذي عمر العلّيّة المعروفة بهِ وما تحتها وما حولها وهي العلّيّة التي تقدّم ذكرها

---

١) راجع كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان ص ٢٣٤



قلنا انّهُ عمّرها في وجه عمـارة ناصر الدين الحسين. وتزوّج حسام الدين عبد القاهر ضاجعة بنت فارس الدين معصاد ابن عزّ الدين فضائل في حادي عشر شعبـان سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة (١٣٢٣م). ثم توفيت وتزوّج بعدها اختها شمسة بنت معصاد وهي امُّ ولدهِ نجم الدين محمد واشتهرت بامّ نجم الدين وكانت زوجة اخيهِ جمال الدين حجّي ابن شهاب الدين احمد الآتي ذكرهُ تِلوَ هذه الترجمـة ان شاء الله تعالى. وكان زواج حسام الدين لشمسة زوجتهِ الثانيـة في الرابع والعشرين من الربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٨ م). وكانت وفاتهُ في نهار الجمعة التاسع من شوّال سنة ثلث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢م). وخلفهُ ابنهُ نجم الدين محمد ولم يعش طويلًا بعد والدهِ وقد رأيتُ باسمهِ حجّة بخطّ عزّ الدين جواد ابن علم الدين مكتوبة بعد وفاة والدهِ حسام الدين تاريخها شهر رجب سنة ستّ واربعين وسبعمائة (١٣٤٥م). والظاهر انَّ نجم الدين محمّد لم يعمّر ولم اعرف من امرهِ شيئًا (80^r)

ذكر اخيهِ جمال الدين حجّي ابن شهاب الدين احمد

كان عندهُ معرفـة وفصاحة ولم ينشأ في البيت اقوى قريحةً منهُ في نظم الشعر وسُمّي شاعر البيت تزوّج شمسة بنت فارس الدين معصاد فلمّا توفي عنها تزوّجها اخوهُ حسام الدين كما سبق. وشمسة المذكورة هي الجـدَّة (١ امّ الوالدة. اخبرتني عن جمال الدين حجّي المذكور انّهُ كان في بعض لياليـهِ بعد اضّجاعهُ على الفراش للنوم ينظم ارتجالًا ابياتًا عديدة من غير ان يكتبها ولم اقف على تاريخ وفاتهِ. ولكن توفّي قبل اخيهِ حسام الدين عبد القاهر . اخبرني الامير ناصر الدين محمد ابن جمال الدين المذكور انَّ اباهُ توفّي مقتولًا قتلهُ اخوهُ حسام الدين بغير تعمُّد. وكان الاخوان خرجا الى الصيد فاراد احدهما ان يرمي خنزيرًا بسهم نشّاب فصـادف السهم اخاهُ فقتلهُ وكتموا الامر عن زوجتهِ شمسة بنت معصاد واظهروا لها انهُ وقع عن فرسهِ. وتزوّجهـا حسام الدين وعاشت بعد هذه الكائنـة زمنًا طويلًا ثمَّ توفّيت ولم تعلم بالامر ولم يتكلّم ناصر الدين محمّد بذلك الى بعد وفاتها (81^v) (٢

١) يريد المؤلف انّها جدّتهُ ٢) هنا في النسخة الاصلية ورقة بيضاء لم تكتب كأنّهُ سقط من الاصل صحيفة وكذلك ينقص من ارقام الكتاب رقمان الّا انّنا لم نجد خللًا في المعنى بين آخر صفحة (80^r) واول صفحة (81^v)

ذكر اخيهما فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين

هو اصغر اولاد ابيهِ كان حسن السيرة محبوبًا عند اقاربهِ وكان ناصر الدين الحسين ناظرًا اليهِ فزوَّجهُ ابنتهُ وعمَّر لهُ العليَّة والبيت التي تحتها وهي ملاصقة لعمارة ناصر الدين الى جهــة الشمال بغربٍ وتُعرف الآن بعليَّة حسام الدين علي ابن عبد الحميد. وتوفي عبد الحميد الصبح من نهار الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ثمــان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٧ م). واسماء اولادهِ شهاب الدين احمد سميّ جدّهِ وحسام الدين عليّ. واسماء بناته الكبيرة منهنّ ستّ الجميع امرأة بدر الدين موسى ابن زين الدين ابن ناصر الدين الحسين. والثانيــة زمرُّد امرأة جوبان بن ارسلان. والصغيرة نجيمة امرأة سيف الدين مفرج ابن جمال الدين احمد ابن سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف العرموني. وأُمهم بنت ناصر الدين الحسين

ذكر صفي الدين الحسين ابن شجاع الدين عبد الرحمان ابن جمال الدين حجّي

كان صفيّ الدين المذكور حَسن الخَلق والاخلاق لطيفًا في ذاتهِ منطبعًا مع الناس كيِّس الذات ذا كرم وسماحة محبًّا للفقراء وكاتبــًا بارعًا مع بلاغة. تزوَّج بنت ناصر الدين الحسين التي عاشت بعدهُ مدَّةً طويلًا ولحقت ايَّامنا وهي امّ اولادهِ. توفي رحمهُ الله تعالى ليلة السبت من العُشر الاوسط من ربيع الآخر سنة ستّ وسبعين وسبعمائة (١٣٧٤ م). واسماء اولادهِ جمــال الدين حجّي. وشجاع الدين عبد الرحمان وشمس الدين عبد الحميد (82r)

فصل من هذا الباب

قلتُ وموجب تأخيرنا لذكر اولاد نجم الدين محمد وهو اكبر ابناء جمال الدين حجّي انَّهم صاروا بيتًا منفردًا وسمُّوا بأمراء عيناب فلهذا اخَّرناهم ليكون لهم ذكر خاصّ لانفرادهم عن اخوتهم

ذكر اولاد نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين حجّي

وهم الامراء بعيناب وكانوا اربعة اخوة وامهم من بيت كباس من معيسنون. فالاوَّل منهم سيف الدين ابراهيم ابن نجم الدين كان مشكور السيرة حسن السياسة وافر العقل مشكورًا عند اهل زمانهِ بعد ذمّ النــاس لابيهِ. وجهات اقطاعهِ ربع بطلون. وربع



الطغرانيّــة ونصف القُبيّ ونصف بجوّارة ونصف معيسنون وربع الدُّوَير ونصف مزرعة اقطو (١. وفاتهُ رحمهُ الله نهار الجمعة الثاني عشر من ربيع الاوّل سنة ثلاث واربعين وسبعمائة (١٣٤٢ م). وصار اقطاعهُ الى ولدهِ صلاح الدين خليل. فلمّا توفّي خليل صار اقطاعهُ الى سيف الدين ابراهيم بن خليل واستمرّ بيدهِ الى ايّامنا فنزل عنهُ للامير عزّ الدين حسن ابن ظهير الدين عليّ بن جواد

والثاني من اولاد نجم الدين محمّد جمالُ الدين يوسف وكان لهُ ولد اسمهُ عزّ الدين

والثالث من اولاد نجم الدين عماد الدين اسماعيل وكان لهُ ولد اسمهُ مجد الدين حسن وولد (82v) مجد الدين ابنًا اسمهُ شهاب الدين احمد واحمد هذا باع اقطاعهُ للامير ظهير الدين علي بن جواد ابن علم الدين الرمطونيّ وذلك قبــل تنزّل سيف الدين ابراهيم بن خليل عن اقطاعهِ لعزّ الدين الحسين ابن ظهــير الدين بسنين كثيرة. ومن الاثنين المذكورين بطلت الإمرة من عيناب وكانت قد استكملت بيــد عزّ الدين زيادةً على ما كان بيدهِ من الاقطاع فانّ اقطاع والدهِ ظهير الدين كان قد اتّصل اليهِ بعد وفاتهِ بما كان فيهِ من صنيع شهــاب الدين احمد بن حسن ثم استكمل عزّ الدين النصف الثاني من سيف الدين ابراهيم لأنّهُ كانت إمرة عيناب بيد شهاب الدين احمد وبيد سيف الدين ابراهيم مناصفةً دون اقاربهما بعيناب. ثم بعد ذلك نزل عزّ الدين عن بطلّون والطغرانيّة وبجوّارة لمبادل بن موسى المعروف بابن الحمراء

والرابع من اولاد نجم الدين نورُ الدين محمود وهو اصغر اولادهِ ورزق نور الدين محمود ولدين وهما عزّ الدين حسن ومعين الدين محمــد وكان نور الدين حسن السيرة واعطى امرتهُ بعض اقاربهِ

وهكذا جعلنا ذكر ذريّة جمال الدين حجي بن محمد يتلو بعضها بعضًا (83r) ولم ندخل بينهم ذكر غيرهم. فلنرجع الآن الى ذكر الامراء بعرمون (ستأتي البقيّة)

---

(١) وفي تاريخ الاعيان ص ٢٣٤: رُبع اقطو

اللَّبن

للشاب الاديب الدكتور نجيب افندي اصفر

وهي نبذةٌ اقتطفناها من مقالةٍ ضافية الذيل قدَّمها جناب الكاتب يوم منحتهُ اللجنة المؤلَّفة من اطبَّاء فرنسيّين وعثمانيّين شهادة الدكتوريَّة واثنت على براعتهِ

انَّ بين الاطعمة التي يتقوَّت بها جسم الحيوان لَغذاء ارشدتنا الى منافعهِ الطبيعة او قُلْ بالاحرى العناية الصمدانيَّة نفسها ألا وهو الحليب أودعهُ الله ثديَ الأمهات ليجد فيهِ الاطفال طعاماً مريئاً وشراباً سلسبيلاً تقوم بهما حياتهم مدَّة اشهر متوالية

وليس الحليب قوت الاحداث فقط بل يعدّ من افضل اطعمة الناس على اختلاف اعمارهم لما فيهِ من الموادّ المُغذية الملائمة لامزجة الابدان. وزد على ذلك انَّهُ يدخل عند الاطبَّاء في سلك الاغذية العلاجيَّة (aliments médicamenteux)

بيد انَّنا رأينا قوماً يتأفَّفون بالحليب ويجدون فيهِ تفاهةً تصدُّهم عن الاغتذاء بهِ او ثقلاً تأباهُ معدتهم. فأخذنا نبحث عن خواصّ اللَّبَن لعلَّهُ يقوم مقام الحليب وعدَّدنا الاختبارات لنتبيَّن مفاعيلهُ في جسم الاصحَّاء والمرضى فأدَّت بنا دروسنا الى وضع هذه المقالة وفيها نشرح خواصّ اللَّبن وتركيبهُ وكيفيَّة اصطناعهِ ثمَّ مفاعيلهُ في جسم الحيوان الصحيح البنية وفي المصابين ببعض الامراض

١ً (تعريف اللبن) اللَّبن هو الحليب المختَّر يعرفهُ الشرقيُّون منذ الزمن القديم حتى ان عرب الحضر والمدر يعدُّونهُ في لغتهم كرادف الحليب وهم يجعلونهُ كركن اطعمتهم مع لحوم المواشي. وهو مع ذلك شائع في كلّ بلاد الشرق نائيهِ ودانيهِ

٢ً (تجهيزهُ) تجهيز اللَّبن في بلادنا بان يعمد الاهلون الى كميَّة معلومة من الحليب يغلونها ثمَّ يدَعونها تفتر حتى اذا سكنت حرارتها فامكنهم ان يغمسوا اصبعهم فيها نحو ربع دقيقة (وقد بيَّن لنا الاختبار ان حرارة الحليب توازي حينئذٍ ٤٧ درجةً فوق الصفر) اخذوا رَوْبة وهي الحليب الخاثر المتحمِّض او خميرةً فيلقونها في الحليب الفاتر المُغلى ولا بُدَّ من تحريك الروبة قبل صبّها في الحليب. ثمَّ يُخضخضون الحليب المروَّب ويجعلونهُ في محلّ دفيٍ او يلفُّونهُ بأنسجةٍ تحفظ لهُ حرارتهُ طول مدَّة اختمارهِ

امَّا قَدْر الرَّوْبة اللازمة فيختلف على اختلاف كميَّة الحليب وعادةً يتَّخذون في



كلّ رطل من الحليب (والرطل ٢٥٦٤ غراماً) ستّة او سبعة سنتيغرامات من الروبة ·
واذا كان الحليب حديثاً يُقتضَى لهُ كميَّة اوفر من الروبة لترويبهِ وتخفَّف روبتهُ بقدر قدمهِ يوم او يومين · ولكن اذا مرَّ على الحليب اربعة ايَّام في الشتاء او يومان في الصيف فلم يعد يصلح للّبن وكذا الروبة اذا نقصت عن سنتيغرام واحد لا تعود تفي بالحاجة

ومن الامور المقرَّرة بالاختبار انَّ حليب المَعَز يختمر بسرعة وسهولة ويكفيه لاختماره ٣ او ٤ سنتيغرامات روبة اي نصف الكميَّة اللازمة لحليب البقر

وكذا تحقَّق ان اختمار الحليب بالروبة في ايَّام الصيف او المحل الدافئ اسرع منهُ في الشتاء او المكان البارد وذلك امرٌ شائع في كلّ صنف من الاختمارات وينتج عنهُ انهُ يكفي لتخمير الحليب في الصيف او في المساكن الحارَّة ما لا يكفيهِ من الروبة في الشتاء او المقامات الباردة

والملاحظات السابقة في تعيين كميَّة الروبة تصدق ايضاً في تعريف الوقت اللازم لاختمار اللبن بعد مزجهِ بالروبة · ومعدَّل هذا الزمان بين ٤ و ٥ ساعات لرطل من حليب البقر ذي حرارة تبلغ من ٢٣ درجة الى ٢٧

٣ (خواصُّهُ) للّبن خواصّ طبيعيَّة نختصرها بان نقول انَّ اللبن يشبهُ الرَّوب (اللبنة) الّا انَّ الكازئين (المادَّة الجبنيَّة) فيهِ ممزوجة بمصلهِ بخلاف الروب · وفي طعم اللبن حموضة خفيفة في اوَّل تجهيزهِ فاذا مرَّ عليهِ ٧ او ٨ ساعات او اقلّ في فصل الصيف صارت حموضتهُ حاذقةً · وهو من حيث مفاعيلهِ كبقيَّة الحوامض فاذا غمست فيهِ ورقاً من صبغ الرقيب (tournesol) الازرق احمرَّ للحال · ورائحتهُ كرائحة الحليب · ولونهُ ابيض مع صفرة خفيفة اذا لم يُنتزع عنهُ زبدهُ · امَّا اذا نُزع الزبد فلونهُ الى الزرقة · ويختلف لبن المعزى عن لبن البقر بسلاستهِ وطعمهِ الحاذق ورائحتهِ الخاصَّة بهِ وليس فيهِ قطع متجمّدة من مادَّة الكازئين كما في لبن البقر

٤ (تركيبهُ الكيمويّ) امَّا تركيب اللبن الكيمويّ فتحليلهُ كما يأتي اخذناهُ عن مقالة حسنة لاحد زملائنا في درس الطب(١ وهو قد حلّل ٣٠ سنتيمترًا مكعَّبًا من اللبن:

١ مجموع الحموضة ($SO^4 H^2$)	٤	غرامات	٤١
٢ الحامض الخلّي	٠	″	٥٥

١) راجع N. Georgiadès : *Etude chimique de quelques produits indigènes*

٣ الحامض الحليبيّ	٧	غرامات	٣٦
٤ المادَّة الحليبيَّة (Lactose)	٤٦	〃	٢١
٥ السمن	٣٦	〃	٦٦
٦ المادَّة الجبنيَّة (Caséine)	٥٧	〃	٩٨
٧ خلاصاتٌ	٩٣	〃	٠٠
٨ الازوت	٤	〃	١٠

وممَّا يدخل في اللبن من الموادّ النافعة الپيتون (Peptone) وهو من نتائج الهَضم الدالَّة على فعل الحوامض في الاجسام الالبومينيَّة عند الاختمار. الَّا انَّ الپيتون لا يظهر في اللبن الطريّ الَّا قليلًا ثمَّ يتزايد شيئًا فشيئًا بقدر ما يعتق اللبن فذلك ما يمنع المرضى من الانتفاع بهِ لأنَّهُ عند وفرتهِ يُخلف اللبن فيُصبح سيِّئًا للغذاء

وقد وجدنا ايضًا بالتحليل قليلًا من الكحول في اللبن يبلغ مقدارهُ جزءًا في المئة

٥ً (بكتريولوجيَّة اللبن) فحصنا اللبن فحصًا بكتريولوجيًّا فأدَّى بنا البحث الى وجود نوعين من العُصيَّات الباشلُوسيَّة احدهما يُشبه باشلُوس الحليب عُصيَّاتهُ مكتنزة متحدِّبة والباشلوس الآخر خاصّ باللبن وهو مستطيل ينبئ بخواصهِ ما يتكوَّن في اللبن من الحوامض المختلفة

٦ً (مفعول اللبن في الاجسام الصحيحة البنية) احببنا ان نمتحن مفعول اللبن في بعض اصحَّاء الاجسام فاختبرنا ذلك في جسمنا وجسم احد رفقتنا الدارسين فانقطعنا مدَّة اربعة ايام عن كلّ اكل ما خلا اللبن فكانت نتيجة اختبارنا انَّ في اللبن كلّ خواص الاطعمة المغذية فيمكن الانسان الصحيح الجسم ان يقتات بهِ طويلًا دون ضرر. وكنَّا بعد اتباعنا لهذه الطريقة على غاية ما نروم من الصحَّة بل وجد رفيقي من اكلهِ نفعًا اذ لم يَعُد يحسّ في معدتهِ بثقل الهضم كما كان يشعر سابقًا. امَّا ما ظهر في البَول من تزايد الاوري (urée) في تلك المدَّة فهو من مفاعيل شرب اللبن ولا بأس منهُ

وما زادنا ثقةً في اختباراتنا اننا وجدنا راعيًا اسمهُ خليل ميخائيل من بسكنتا اغتذى باللبن وحدهُ مدَّة سنين طويلة فكان متمتِّعًا بتمام الصحة. ولمَّا اقتضى عليهِ ان يترك رعاية الغنم فينزل الى بيروت ويقتات من اطعمة اخرى لم يلبث ان يشعر بانحطاط في قواهُ كان ينسبهُ الى تركهِ اكل اللبن

ثمَّ اختبرنا مفعول اللبن والحليب في جسم الحيوان وذلك اننا اخذنا كلبين وبعد تصويمهما اشربنا احدهما ٥٠٠ غرام حليب والآخر ٥٠٠ غرام لبن ثم قتلناهما بعد ساعة فاذا بالاوَّل لم يهضم من حليبهِ الَّا ٢٠٥ غرامات وكان الثاني هضم ٣٣٠ غراماً ثمَّ عدَّدنا هذه الاختبارات ووجدنا انَّ الحيوانات تهضم اللبن احسن من الحليب. بل يختثر ايضاً الحليب في معدة الحيوان بالاختمار فاستنتجنا انَّ اللبن اصلح للهضم وانسب للمعدة من الحليب

٧ُ (مفعول اللبن في اجسام المرضى) عدَّدنا اختبارات اكل اللبن في اجسام كثيرين من المرضى الذين قدموا علينا في السنة الماضية فكانت نتيجة ابحاثنا كلها عائدة الى هذا المبدأ « انَّ اللبن يقدر يقوم مقام الحليب في كلّ الامراض التي يصف لها الاطبَّاء شربَ الحليب كاوجاع الكلى والمعدة وسوء الهضم والاستسقاء والبول السُّكري والاسهال وحمى التيفوس وغيرها ». وللبن فضلٌ على الحليب لأنَّ معدة المرضى تقبل اللبن بشهوةٍ بخلاف الحليب الذي كثيرًا ما يتقيَّأهُ المرضى. وفي كلّ هذه العاهات قد اكثرنا من فحص الاعراض بتدقيق وكرَّرنا الاختبارات التي قيَّدناها في مقالتنا المطوَّلة الافرنسيَّة. وانَّما اكتفينا هنا بالتلميح والاشارة لئلَّا يضجر القرَّاء. والسلام

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رنزڤال اليسوعي (تابع لما سبق)

الكمنجة الافرنجيَّة

وعادتهم ان يشدّوا عليها اربعة اوتار اوَّلها من جهة اليمين وهو اغلظ الاوتار ملفوفًا عليهِ سلك دقيق من نحاس يجعلونهُ قرار الرست وثانيها وتر ارقّ منهُ يجعلونهُ يكاه وثالثها وتر ارقّ منهُ يجعلونه دوكاه ورابعها وتر او خيط مزدوج مبروم من حرير ارقّ منها يجعلونهُ نوى. والعمل في اخذ الابراج والارباع الباقية كالعمل في العود تؤخذ بالجسّ على الاوتار باصابع اليد اليسرى (١ . ومنها :

---

١) يظهر من هذا الكلام ان المؤلف لم يحسن معرفة الكمنجة الفرنجية فان اول اوتارها ليس

الكمنجة العربيَّة

يشدُّون عليها جزتين من شعر الخيـل احداها وهي الادقّ من جهة الشمال اي شمال الآلة (١ ويجعلونها النوى والثانية وهي الاغلظ من جهة اليمين يجعلونهـا دوكاه واحيانًا رست و بقيَّة الابراج والارباع تؤخذ بالاصابع كما تقدم. غير ان هذه الآلة وان كان صوتها شجيًّا مطربًا غير كاملة الترتيب واكثر الاحيان يضطر الموسيقي ان يأخذ ابراج القرار من الجواب كالعراق والعشـيران واليكّاه فيعملهنَّ من الاوج والحسيني والنوى اذ ليس محلّ لهنَّ في الآلة لعملهنَّ منهُ. واكثر اربابها يضطرون ان يحملوا معهم كمنجة ثانية قصيرة يجعلون الدوكاه منها بارتفاع النوى في الاولى. ولكن يستر منها هذه العيوب صوت بقية الآلات التي تصاحبهـا في العمل و براعة الذي يشتغل بها اذا كان منفردًا فيتجنَّب العمل من الابراج التي يعسر عليهِ اجراؤُها عليها . ومنها :

الطنبور

يربطون على عنقهِ دساتين من وتر على مكان كل برج وكل ربع ويشدُّون عليهِ

بمشدودٍ على قرار الرست بل على برج اليكاه والثاني على الدوكاه والثالث على الحسينيّ والرابع على الحسينيّ الشدّ. اي

sol ré la mi

١ ٢ ٣ ٤

فيكون البعد الذي بين وترين البعد بالخمسة

١) يذكّرنا وصف المؤلف للكمنجة العربيـة آلةً من الآلات الطائرة الشهرة آلا وهي الرباب المعروف قديمًا في انحاء الغرب باسم Rebec وهو كالكمنجة يُجسّ بقوسٍ. فجاء اسم هذه القوس في رسالة كثر التحَف على صورة « كان » . ومنهُ اشتقَّت لفظة الكمنجة

امَّا الفارابي فانَّهُ لم يُشر الى استعمال القوس ولعلَّها لم تكن بمأنوسة في عصرهِ عند فحول المغنّين فدونك ما كتب عن الرَّباب مختصرًا قال: « وهذه الآلة ... ربَّما استُعمل فيها وتر واحد وربَّما اثنان متساويا الغلَظ وربَّما استعمل وتران متفاضلا الغلظ ويُجعل ازيدها غِلَظًا حالهُ في هذه الآلة كحال المثلث في العود وحال الانقص غلظًا ... كحال المثنى في العود ... وفي اسفلها قائمةٌ على خِلقة دبية الطنبور... واول الامكنة (التي تخرج منها النغم) مكان السبابة وهو على تسع ما بين الانف وبين الحاملة (chevalet) والثاني مكان الوسطى وذلك على سدس ما بين الانف والحاملة والثالث مكان البنصر وهو على تِسع ما بين مكان السَّبابة والحاملة والرابع مكان الخنصر وهو على عشر ما بين مكان البنصر وبين الحاملة » . ويظهر لك من ذلك ان البعد بين المطلق ومكان الخنصر ليس البعد بالاربعة بل انهُ ينقص عنهُ بكثير . فهذه الآلة اذًا كالكمنجة العربية او ابنتها غير كاملة الترتيب امَّا الدساتين فلا استعمال لها فيها

غالباً ثمانية سلوك من حديد فالاربعة اليمنى يشدونها يكّاه والاربعة اليسرى يشدونها نوى والموسيقي وقت العمل يتناول كلٌّ ما يحتاجهُ من الابراج والارباع بان يجسّ السلوك الحديدية باطراف اناملهِ على الدساتين المربوطة على عنق الآلة. والطنبور يُعتبر من اتمّ الآلات الموسيقية واصلحها للعمل. ومنها :

(ذيل على فصل الطنبور)

لعلَّ الطنبور الذي وصفهُ المؤلف نفس الآلة التي سمَّاها ڤيلّوتو(Villoteau) الطنبور الشرقي لاشتمالها على ديوانين كاملين (راجع كتابه Description de l'Egypte, t. XIV p. 273) وقد وصف هذا المؤلف عدة طنابير اخرى منها الطنبور البلغاري (bulgare) المحتوي ديواناً ونصفاً ثم الطنبوران التركي والفارسي الكبيران المشتملان على اكثر من ديوانين ثم الطنبور الفارسي الصغير الى غير ذلك فيتبيَّن من ثمَّ اهميَّة هذه الآلة بين آلات الطرب وما احرزت من رفيع المكان في بلادنا الشرقية. والحق يقال ان قدْرَهُ عندهم قدر العود او ما يقرب منهُ فترى العامة بين الاتراك يطلقون اسم الطنبور على العود نفسه فيسمّونه «طنبوراً» ولنا في ذلك شاهد نؤثر شهادته على ما سواها وهي شهادة الفارابي الذي فاز بالسهم المعلّى في فن الموسيقى فاليك ما اوردهُ في شأن الطنبور قال : «وهذه الآلة قريبة في الشهرة عند الجمهور من العود واعتقادهم لها وألْفُهم لها يقارب اعتقادهم للعود وأَلْفَهم لهُ» وقال ايضاً عند وصفه الطنبور وعدد اوتاره واجناسه : «وتبيان هذه الآلة اكثر الامر يستعمل فيها من الاوتار وتران فقط وربما استعمل فيها ثلاثة اوتار غير انهُ لما كان الاشهر فيها استعمال وترين اقتصرنا اولاً على ذكرها بوترين. والذي يُعرف منها الاشهر في البلدة التي كتبنا فيها كتابنا هذا — (يريد الشام) — صنفان من الآلة صنفٌ منها يعرف بالطنبور الخراساني ويستعمل ببلاد خراسان وفي البلاد التي تتوغل الى شرق خراسان والى شمالها وصنف آخر يعرفهُ اهل العراق بالطنبور البغدادي ويستعمل ببلاد العراق وما توغل منها الى مغرب العراق والى جنوبهِ وكل احد من هذين الصنفين يخالف الآخر في خلقتهِ وفي عظمهِ . . . ولما كان البغدادي اشهر هذين في البلدة التي كتبنا فيها كتابنا هذا رأينا ان نبتدئ اولاً بالبغدادي . .

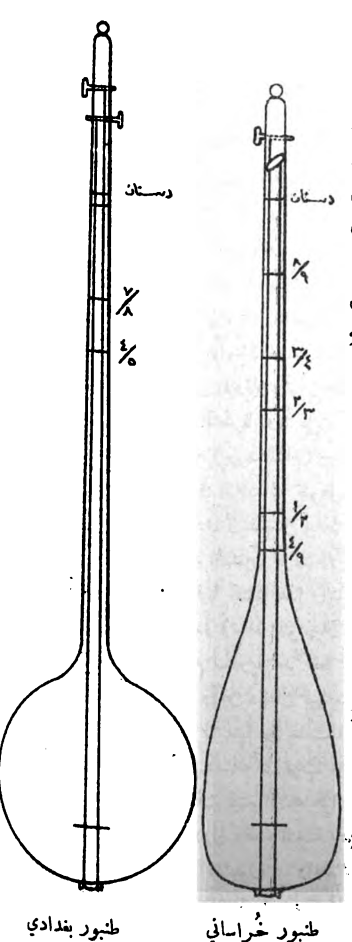
فنقول ان البغدادي يقسم وتراه المتوازيان من جانب الملوى — (وهو الوَتد في راس الآلة) — في اكثر الامر بخمسة اقسام مساوية تحدُّ نقط اقسامها دساتين تشدّ على مقبض الآلة بحيال كل واحدةٍ من نقط الاقسام وآخر دستان فيها مشدود على قريب من ثمن ما بين الحاملة — (اي الفرس) — الى آخر ما ينحركُ منها من جانب الملوى». فيظهر من ذلك انهُ اذا سمَّينا صوت مطلق الوتر يكاه كانت نغمة آخر دستانه ما يقرب من قرار نيم عجم اي ما يتجاوز الاربعة ارباع فقط. اماَّ ترتيب الوترين فالاكثر فيهم ان يجزقوا الوتر الثاني حتى يصير نغمة مطلقه مساوية لنغمة الدستان الثاني من الوتر الاول وهذه النغمة نسبتها ١٩/٢٠ اي اقل من ربع قرار حصار. قال الفارابي «وهذه تسويتها المشهورة». واعلم ان الطنبور البغدادي اقلّ خطارةً وكمالاً من الخراساني. اليك ايضاً كلام الفارابي في وصفهِ قال :

«ان هذه الآلة اي الطنبور الخراساني يستعمل فيها وتران متساويا الغلظ . . ودساتينها كثيرة

مشدودة فيها بين الانف الى قريب من منتصف طول الآلة . . فمن دساتينها ما يلزم امكنة واحدة ومنها ما قد تتبدّل امكنتها . . والدساتين الراتبة على الاكثر خمسة . . فاول الراتبة مشدود على تسع ما بين الانف وبين الحاملة — (اي في العشيران) — والثاني على ربع ما بينهما — (رست) والثالث على ثلث ما بينهما — (دوكاه) — والرابع على نصف ما بينهما — (نوى) — والخامس على تسع ما بين الحاملة والمنتصف (حسيني) — واما الدساتين التي تتبدل فهي التي تقع فيما بين هذه الخمسة . . .

وتسوية هذه الآلة ممكنة على انحاء كثيرة احدها ان نجعل نغمة مطلق الوتر الثاني مساوية لنغمة مطلق الاول . . . وهذه التسوية يسمّونها تسوية المزواج . . . وتسوية هذه الآلة المشهورة بان نخزق الوتر الثاني حتى يصير مطلقه مساوياً لنغمة الدستان الثالث (اي العشيران) والبعد اذاً بين مطلق الوترين بعد طنيني الى غير ذلك من التسويات كتسوية النجاري (بعد بين المطلقين خمسة ارباع tierce mineure) وتسوية العود (بعد بالاربعة quarte)

وهاك صورة شمسية صوّر فيها اعرابي من بادية الشام وبيده طنبورٌ خراساني يضرب به وبقربهِ طنبوران خُراساني و بغدادي



طنبور بغدادي

طنبور خُراساني



صورة بدوي يضرب بالطنبور
(عن صورة فوتوغرافيّة)

القانون

وهو من الالات التي هي في الطبقة العليا من الطرب (١ ومع ذلك فان العمل عليهِ سهل جدًا ويكون صوتهُ كصوت آلتين تشتغلان معًا لان العامل بهِ في وقت العمل تكون جميع الابراج المحتاج اليها من قراراتها وجواباتها مبسوطة قدَّامهُ ويداهُ متفرغتان للعمل يشتغل باليد اليمنى على ذلك الديوان وباليسرى على قرارهِ فيكون المسموع من الآلة صوتين جوابًا وقرارًا معًا. هذا مع ان كلّ برج منهُ يحتوي على ثلاثة اوتار فيكون عبارة عن صوت ست كمنجات تشتغل معًا. واماَّ صِفة دوزانه فقد جرت العادة بان يشدوا عليهِ اربعة وعشرين برجًا كل برج منها ثلاثة اوتار متساوية في الغلظ والدقَّة ثمَّ ان وتر كل برج يكون اغلظ ممَّا فوقهُ وارقّ ممَّا تحته وعلى الغالب يجعلون البرج الاعلى جواب الحسيني وبعضهم يجعلونهُ جواب النوى وهكذا يشدُّون كل برج تحت الآخر على الترتيب اي اذا جعلوا الاعلى جواب الحسيني يجعلون الذي تحتهُ جواب النوى وتحتهُ جواب الجهاركاه وتحتهُ جواب السيكاه وهكذا ينزلون برجًا برجًا الى البرج الرابع والعشرين فيكون موقعهُ قرارُ قرارِ الجهاركاه وبمقتضى ذلك يكون القانون محتويًا على ثلاثة دواوين وثلاثة ابراج اولها من قرار قرار الجهاركاه الى قرار السيكاه وثانيها من قرار الجهاركاه الى السيكاه وثالثها من الجهاركاه الى البزرك ويبقي فوقهُ الماهوران والرمل توتي وجواب الحسيني

وهذا الترتيب يسمُّونهُ دوزانًا سلطانيًا يريدون بذلك انَّهُ مرتَّب على ابراج صحيحة لا ارباع فيها فاذا ارادوا عمل بعض الالحان التي يُفسد فيها بعض الابراج يعمدون الى ذلك البرج الذي يُفسد بذلك اللحن فيشدُّونهُ او يرخونه عن اصلهِ ويجعلونهُ ذاك الربع المحتاج اليهِ. مثل الاول لحن الحجاز فانَّهُ اذا كان قرارهُ الدوكاه يُفسد فيهِ برج الجهاركاه فيشدُّونهُ حتى يكون حجازًا. ومثل الثاني لحن البياني فانَّهُ يُفسد فيهِ برج الاوج فيُرخى حتى يكون عجمًا

١) قد سماَّها الفارابي المزامير. ومنها ما تكون بانبوبةٍ مفردة وهي المعروفة بالناي (والناي كلمة فارسية معناها المزمار). ومنها ما تكون بانبوبتين كالدوَّني او اكثر. ويُجعل من بعضها الى بعض منافذ في امكنة منها معلومة ويُنفخ في الاوسط. اماَّ الصرناي فانها ايضًا صنف من المزامير غير انهُ احدَّ تحديدًا من سائر اصنافها. وقد طالما يطرق صوتهُ مسامعنا مصاحَبًا بدويِّ الطبل في ايَّام الاعياد واستعمالهُ شائع في بلاد تركية. وللصرناي صورٌ مختلفة في الكتابة واللفظ فيقال سرنايي وصورناي وسرناي وسورنا وزورنا وزرنا الى غير ذلك واصله من لفظتين اعجميتين احداهما

— آلات النفخ —

واماّ الآلات ذات النفخ فانواعها كثيرة (١ منها الناي والكيرفت والزمار والصرناي والارغن والجناح وغيره وجميعها عدا الاخير منها يثقبونها ثقوبًا يسدّها الموسيقيّ برؤوس اناملهِ عند النفخ فيها ويفتح منها ما يحتاج اليهِ في عملهِ . وهذه الثقوب غالبًا يحكمون وضعها ان تكون ابراجًا صحيحة واذا احتيج الى ربع ما فعند النفخ يُفتح جزء من الثقب المجعول للبرج الكائن فوق ذلك الربع . ولارباب هذه الصناعة احتيالات في استخراج بعض الابراج والارباع التي يحتاجون اليها بان يسدّوا بعض الثقوب ويفتحوا بعضها فتخرج ابراجٌ وارباعٌ لم يكن لها في الآلات من ثقبٌ مخصوص (١ واماّ الاخير منها وهو الجناح فهذا يضعونهُ من انابيب منظومة في جامعةٍ تجسّ على افواه تلك الانابيب التي يكون عمق قعرها متفاوتًا لكي يكون صوتها عند الصفير بها متفاوتًا كترتيب الابراج (٣ وقد صار هذا الشرح كافيًا لمثل هذا المختصر

« سور » ومعناها احتفال والثانية « ناي » اي مزمار. وكل هذه الآلات التي يأتي بذكرها صاحب الرسالة ما عدا الارغن هي من الجنس المعروف عند عامّة بلادنا بالكرنَيْتة والمِنْجَيرة (clarinette, hautbois, musette...) لا من جنس الشبَّابة (اي flûte) . واختلافهما بان فمَ الآلة من الصنف الاول كائن في نهاية رأسها ويُنفَخ فيها من فوق . اماّ الصنف الثاني ففمها عبارة عن ثقب اكبر ثُقب على بعد معيَّن من رأس الآلة فالنفخ فيهِ يكون من جنب الآلة . ومن المزامير المزدوجة الشائع استعمالها عند عامّة سوريَّة ولبنان الارغول وهو ضخم طويل القصبتين والمسحورة وهي اصغر

١) الآ انَّ عندهم وسائل أُخرى متقنة وهي ان يفتحوا ثقوبًا يجعلون عليها مفاتيح ومن الثقوب ما يبقى مفتوحًا فيسدونهُ عند الحاجة وهو اقلّ عددًا . ومنها ما يكون مرتجًا فيفتحونهُ بواسطة المفاتيح لاستخراج الابراج والانصاف والارباع . وللزمار الكامل (grande flûte) اربعة عشر من تلك المفاتيح ٢) والجناح لا نعلم لهُ استعمالًا غير استعمال الصبيان لهُ يلعبون بهِ مبتهجين لسرعة تعقّب اصواتهِ الليّنة

٣) اجل ان صوت القانون من الاصوات المطربة في الغاية وبهِ كان داود يسكّن حميّة شاول الثائرة الّا ان قانون داود كان كبيرًا يبلغ طولهُ قامة الرجل فلا يجسّهُ الموسيقيّ الّا مستويًا على الاقدام وهو المعروف عند العبرانيين بالنبل (nebel) وعند الفرنج بالهَرْب (harpe). وقد حدَّد الفارابي القانون وقال « انهُ من الآلات التي تُستعمل فيها الاوتار مطلقةً وهي التي يُجعل فيها لكل نغمة على حيالها وترٌ مفرد ». وهذه الآلات معروفة عند العرب بالمعازف وعند العجم بالجُنْك وقد عُرّبت هذه اللفظة وجمعها جنوك وكلها من جنس الهرب يدعوها اللاتين (sambuca). والقانون كثير الاستعمال في الممالك التركية يسمّيهِ العامّة « سَنْطُورًا » واستعمالهُ إماّ بان يُنقَر بشيء من ريش الحوت (baleine) او من الحديد المسنون يجعل في طرف السبابة

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

ولنقل ههنا كلمة عن مدينة شيكاغو اطلاعًا للقارئ على منزلتها من الفخامة يوم قدمها المسافر المجهول الذي مرَّ ذكرهُ

انَّ هذه المدينة مبنيَّة على ضفاف بحيرة ميشيغان ونظرًا لعظمتها تُلقَّب «بملكة الغرب» في الولايات المتحدة حتى انها لتنازع مدينة نيويرك في فخامتها واعتزازها. ومع ان سائر المدائن تفتخر كل واحدة بقدامة نشأتها ترى شيكاغو تباهي بنشأتها السريعة ولذلك يسمّيها الامركيون «مدينة الفُطر» اشارة الى انها نبتت وارتقت بغتةً كما ينبت الفطر من الارض. ومع ذلك يزعم اهلها انها أقدم مدينةٍ ذكرها البيض المحتلُّون في امركة. نعم انها كانت في اول امرها مركزًا حقيرًا لكن هذا المركز الحقير ما لبث ان صار مستقرًّا للشعب الكثير الذي نشاهده اليوم

ففي عام ١٨٣٠ كان سكّان شيكاغو عبارة عن مئات بضع رجل ولكن ما مضت ستّون سنة على ذاك العهد حتى احتشد هناك مليون نفس بل ازيد من هذا العدد. وفي سنة ١٨٧١ حدث فيها حريق هائل فالتهمت النار ١٧,٥٠٠ بيت من منازلها ولكنها ما عتَّمت ان جدَّدت ما تخرَّب منها على نمط احسن واظرف من السابق. وفي سنة ١٨٩٣ أُنشئ فيها اعظم معرض شوهد للآن فاقبل الناس لمشاهدتهِ مئات الوفٍ من كل فجّ. وقد عُرضت فيهِ كل انواع الصنائع في بنايات فخيمة جدًّا ذات خمس عشرة او عشرين طبقة حتى كان الناظرون اليها يتخيَّلون انها تلمس السماء بارتفاعها ومع هذا كانت من الاتساع على جانب عظيم بحيث يمكن ان يدخلها دفعة واحدة لا اقل من عشرين ألفًا من المتفرّجين

ويأتي الى شيكاغو كل يوم ١٧٥ الف مسافر تنقلهم اليها السكك الحديديَّة البالغة سبعة وعشرين سكَّة. وتحمل اليها ادارة البريد ١٠ آلاف طنّ من الرسائل

والوسطى من كلتا اليدين او بالضرب عليهِ بمقرعتين من المعدن يُجريها الموسيقي على الاوتار وربَّما تراهم يجسونهُ ايضًا باطراف انامِلهم غيرَ انَّ هذا مختصّ بالقانون الكبير المارّ ذكره الشائع استعماله في بلاد اوربَّة. اما عدد اوتار القانون عند الاقدمين من العرب فهو ستَّة وعشرون وترًا ليكون عدد نغماتهِ متساوية لنغمات العود الكامل ذي الخمسة الاوتار

والجرائد يوميًّا كما ان العربات العموميَّة التي تتحرَّك بالكهربائية او البخار تنقل نحو مليونين و يدخل مياهها في اليوم لا اقلّ من ستين سفينة او اكثر

وهي في الوقت نفسه مستقرّ الثروات العظيمة والافلاسات الكثيرة. وقد اصبحت هذه الامور من الشؤون الاعتياديَّة فلذلك قلَّ من ينظر اليها بعين الاهتمام. فهذا يرتقي وذاك يهبط ومن يهبط اليوم يقوم في الغد رجل آخر مقامهُ وتتوالى هذه المشاهد كل يوم دون ان يبالي بها احد

ولشيكاغو مكتب واسع الفناء لاستئجار المنازل يأتيهُ كلَّ يومٍ قوم عديد لهذا الشأن. وكان لمَّا فُتح في صباح احد الايَّام هذا مكتب ان حضر اليهِ رجل. فسألهُ المأمور الواقف هناك عمَّا يريد فقال: اريد ان استأجر مخزنًا فهل لك ان تأتيني بما يلزم من الافادات

فتناول المأمور دفترًا كبيرًا ودفعهُ اليهِ قائلًا انك تجد فيهِ كلَّ ما تشتهي. ثم تركهُ واقبل على الاهتمام بالكتابة دون مبالاة بهِ فاخذ الرجل يقلب الدفتر بتمهلٍ لعلهُ يرى ما يوافقهُ ولكن بالعكس فانهُ قرأ فيهِ اعلانات جمة عن مخازن كثيرة اجرة بعضها ١٠٠ الف دولار وغيرها ٥٠ الف دولار او ١٠ آلاف دولار. فحينئذٍ تأوَّه قائلًا: اني لا اجد في هذا الدفتر حاجتي لاني اريد مخزنًا تكون اجرتهُ خفيفة

فلمَّا سمعهُ المأمور قال لهُ اكشف الصفحة ١١٥٥ فكشفها الرجل فرأى اجور مخازن اخرى لا تقلّ عن الف دولار فنادى المأمور قائلًا: ارجوك ان تدلّني على اجور اخفّ من هذه ايضًا فما انا ممَّن يستطيعون ان يدفعوا مثل هذه المبالغ الكبيرة

فتأفَّف المأمور من طلبهِ ومع ذلك تناول دفترًا آخر ودفعهُ اليهِ قائلًا: فتّش فيهِ تجد مطلوبك. فما كاد المذكور يفتحهُ حتى رأى اعلانًا عن مخزن اجرتهُ مئة دولار فقال: قد وجدت مطلوبي. واراهُ للمأمور فاوعز اليهِ ان يعود اليهِ في الغد. ثم ان الرجل خرج في سبيلهِ واخذ المأمور الدفتر واقفلهُ ووضعهُ في محلّهِ فعاد الغريب في اليوم التالي ودفع المئة دولار وسجَّل اسمهُ في الدفتر « پيترس لاضف » ومضى في سبيلهِ

الفصل الثاني

في قاعة اللعب

لمَّا كان منتصف الليل من بعض ايَّام نيسان كنتَ ترى في غرفة كبرى من الطابق

السفلي في احد المنازل الرحبة من شيكاغو قوماً اجتمعوا للمقامرة وكانوا وقتئذٍ جلوساً حول مائدة مغطاة بطنفسةٍ خضراء تتدحرج عليها الليرات والريالات. وكان رئيس اللعب يقول بين كل خمس دقائق « ضعوا يا خواجات رهونكم » فتنهال الدراهم من الايدي على المحلّ المخصوص المرسوم بالالوان فيقول الرئيس « كملت رهونكم وأُغلق البنك». ثم انّهُ يأخذ كرةً فيدحرجها بقوة على مائدة من العاج فتركض مسرعةً وتحدق بها الابصار شاخصةً حتى اذا تراخت حركتها ظهرت علائم الاضطراب على الوجوه وخاف كل احد من وقوفها حيث يكون من الخاسرين. امّا الكرة فبعد ان تتنقَّل ببطء من نقرةٍ الى اخرى تستقرّ اخيرًا حيث تنقطع حركتها وحينئذٍ تسودُّ وجوهٌ وتبيضُ وجوه ويجمع رئيس اللعب كل ما على المائدة من الريالات وبعد ان يضع منها في الصندوق ما يعود عليه يعطي الرابحين رهونهم ضعفين او ثلاثة حسب الشروط. ولا يمضي على ذلك خمس دقائق حتى يُستأنف اللعب ويعود الرئيس لتكرار هتافهِ السابق باللاعبين قائلًا « ضعوا رهونكم »

وكان في جملة اللاعبين على المائدة الثالثة رجل معتدل القامة اصفر اللون برّاق العينين ومع توالي الخسارة عليهِ لم يكفّ عن اللعب بل كان يكابر دائمًا وكلّما خسر من القراطيس ورقةً وضع مكانها ورقةً اعلى منها قيمةً وما زال كذلك حتى جرى بينهُ وبين أحد اللاعبين الحديث الآتي:

يا خواجا ان المنازل الحمراء هي لي

— كلّا يا خواجا فاني وضعت دراهمي قبلك

— لا بل انا سبقتك

— كل هؤلاء شهود

— شهود على انك تريد سرقتي

— لقد اهنتني

— بل انت الذي . . .

وما كاد ينطق بهذا حتى انقضَّ على خصمهِ كالباشق على فريستهِ. وما كان الّا كلمح البصر حتى بادر رجل من الشُرط وأمرهما باسم الحكومة بالكفّ عن الخصام. أما المسافر الذي كان قد تحمّل الخسائر الكبيرة منذ اول السهرة فاجاب قائلًا:





هذه بطاقتي للبراز

— وهذه بطاقتي ايضًا

— اسمي بيترس لاضف وصنعتي المتاجرة بالحبوب

— واسمي بروسبر اولري

— اولري من ذوي قرابة المستر جون اولري ؟

— ابن اخيهِ . ثمَّ تفرَّس في خصمهِ قائلًا : أوَ تعرفهُ . فقال بيترس لاضف بجَهمة : كلَّا لا اعرفهُ . قال ذلك وخرج من قاعة اللِعب ثمَّ توارى بسرعة البرق

ولمَّا حضر الشهود في صباح اليوم التالي الى محل بيترس لاضف شاهدوا في مكتبهِ اختلاطًا واضطرابًا عظيمين لانهُ لما لم يكن قد عاد الى البيت اتى اهلهُ الى المكتب ليروا هل هو هناك . وكان قد خرج المذكور في مساء اليوم السابق وفي صباح اليوم وجدت غرفتهُ مفتوحةً وخزائنهُ مفتَّحة واوراقهُ ملقاة على المائدة بلا ترتيب ولا نظام أمَّا هو فلم يوجد فيها . فتبادر الظنّ الى انَّ لصًّا دخل الحجرة لسرقة ما فيها

ثمَّ انهم انتظروا رجوع لاضف المذكور ولكن ذهب الانتظار باطلًا وبحثوا عنهُ كثيرًا فلم يُجدِهم البحث نفعًا . فأَخذ النَّاس يتأَوَّلون تواريَهُ تأويلات مختلفة وظنَّ بعضهم انَّ خسائرهُ في البورس دفعتهُ الى الاختفاء . ولكن ما لبثت ان ظهرت الحقيقة وبان ان الرجل أَفلس لانهُ خسر مبالغ عظيمة في اللعب فحمل صندوقهُ وأَوراقهُ وسافر دون ان يهتمّ بمبارزة المستر اولري . وفي اليوم التالي انتشر في كل الجرائد خبر هرب المذكور وافلاسهِ

وان قيل من هو بيترس لاضف هذا الذي تشاغل الناس بمسأَلتهِ في شيكاغو ورنَّ صدى اسمهِ في كلّ محافلها ومجالسها . قلنا انَّهُ كان من أَغنى تجَّار الحبوب في المدينة . وكان في اول امرهِ متوسط الثروة لكنَّهُ ربح أَرباحًا عظيمة في احتكار القمح فوصل الى درجة عظيمة من الثروة واليسار . وقد تعلَّق من يوم وجودهِ في شيكاغو بلعب القمار وكان يخاطر فيهِ اي مخاطرة

وقد اخذ الناس عند اعتلان خبر افلاسهِ يتساءلون عن موطنهِ وعائلتـهِ فلم يكن منهم مَن يعرف ذلك ولا عجب فانَّ شيكاغو مدينة عظيمة قلَّما يستفهم فيها رجل عن آخر (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

الدليل الى مرادف العامّي والدخيل

تأليف الشابّ الاديب رشيد افندي عطية اللبناني
طُبع في بيروت سنة ١٨٩٩ . عدد صفحاتهِ ٣٦٢

يسرُنا ما نرى في بعض شبّان بلادنا من النشاط والهمّة في درس اللغة العربيَّة ومحص فرائدها بنار الروّية والبحث عن غثّها وسمينها وصريحها وهجينها . ومن جملة الكتب النافعة التي نُشرتْ حديثًا بهذا المعنى وتستحقُ ذكرًا خصوصيًا كتاب « الدليل الى مرادف العامّي والدخيل » ضمَّنهُ صاحبهُ اللوذعيّ مفردات جمة انتقاها من اقوال العامَّة فرتّبها على حروف المعجم وازال ما وجدهُ فيها من المبهم . وذلك انَّهُ بيّن اشتقاقها من اللغات الاعجمية وما يرادفها من الالفاظ الفصيحة في العربيَّة وقد أَلحق كلَّ لفظة بملاحظاتهِ التي تنبئ بحسن ذوق المؤلف وكثرة مطالعاتهِ

هذا ولمَّا كان صاحب هذا الكتاب ممَّن لا يستنكفون من الانتقاد بل يعدّ حالهُ (ص ٣٤١) : « غريق افضال من يتكرَّم عليهِ بشيء من الملاحظات » احببنا ان نعرض عليهِ ما سنح لنا من الخواطر علَّهُ يستفيد منها لتحسين كتابهِ

اوّلًا لا نرى سببًا كافيًا لاستبدال بعض الالفاظ التي مع كونها في الاصل دخيلة أضحت اليوم مأنوسة الاستعمال وصار فصيحها مستهجنًا مستغربًا . فمن يا ترى يستعمل الصُلبوب او الزَّمخر بدلًا عن الأُرغن او المزمار (ص٢٩) . والنصمة بدلًا عن الايقونة . والعالة بدلًا عن الشمسيَّة (ص ١٩٢) . او ليس (ص ٣٨) البحري افصح من النوتي وهي كلمة اعجميَّة . ولا مشاحَّة من استعمال المأتم (ص ٢١) بمعنى المناحة

ثانيًا كان الاولى ان يكتب المؤلف بعد كلّ كلمة اصلها الاعجمي بحرفه كما صنع في بعض الالفاظ لئلَّا تشتبه على الدارسين . ثمَّ في تعيين الاصول الاوربيَّة اغلاطًا ننسبها الى الطبَّاعين مثل (ص ٢٢) « Armoier » بدلًا عن " Armorier " و(ص ٢٥٧) « fishu » يريد « fichu »

ثالثًا ان الفاظًا كثيرة يعدّها المؤلف دخيلة وليست هي سوى الالفاظ الفصيحة افسدها العامَّة وصحَّفوها كالاميم (ص٢٧) تصحيف « قمين » من اللاتينيَّة (Caminus)

ومثل (ص ٢٥) « التمَّ » تصحيف « التأم) ومثل « اسًّا او اسَّع » (ص ٢٤) تصحيف « هذه الساعة » و « كلّة » (ص ٢٧٦) تصحيف « جُلة » . ومثل هذا كثير في اللغة العاميَّة

رابعًا قد وهم المؤلف في تعيين اصل الفاظ كثيرة لوُ اردنا سرد جدولها لأدَّى بنا الى الاطالة المملَّة . والظاهر ان المؤلف لا يعرف من اللغات الاوربيَّة سوى الفرنسيَّة فانَّهُ كثيرًا ما ينسب الى لغةٍ ما يصدق على اخواتها . وربَّما نسب الى اللاتينيَّة ما يصح فقط عن الفرنسيَّة او الايطاليَّة او الانكليزيَّة . فان « اكسبرس » مثلًا (ص ٢٥) انكليزيّة بمعنى القطار المجدّ في السير . و « بيفي » (ص ٣١) اسبانيَّة او ايطاليَّة . و « اوريجنال » (ص ٢٩) افرنسيَّة بمعنى الرجل المتفرّد باعماله . وكذا قل عن « بوسطة » و« بنضول » و « بلكون » و « فرقاطة » . امَّا « فسقيَّة »(ص٢٥٤) وطلمبة (ص٢٢٢) فهما من اللاتينيَّة « piscina » و « turbo »

وقد ورد في مجلة المشرق مقالات لغويَّة بيَّن فيها مؤلفوها اصل عدّة الفاظ لو راجعها صاحب كتاب الدليل لاستفاد منها كما استفاد من مجلَّة الضياء وامكنهُ ان يُصلح اغلاطًا منها قولهُ في « الشرطي » راجع المشرق (١ : ٤٤٧) وفي « العربة » (١ : ٨٣٠) . كما انَّنا نشير عليهِ بمراجعة مقالة المشرق في الالفاظ المنحوتة (١ : ١٠٢٧) لتتمَّة قوامه عنها (ص ١٥)

هذا ونضرب صفحًا عن اغلاط وردت في اثناء شروح المؤلف لا يسعنا هنا تعدادها كقولهِ مثلًا (ص ٩) « انَّ العربيَّة قبل الاسلام تشعَّبت الى لغتين اصليتين وهما لغة قريش ولغة حمير » والصحيح ان لغة حمير اخت العربيَّة ليست مشتقَّة منها ولعلَّها اقدم منها . ونختم كلامنا بالثناء على محاسن الكتاب رغمًا عن بعض شوائبهِ « لانَّ الانسان موضع النسيان وما العصمة الَّا لله خالق الاكوان » (ص ٣٤٠) ه . ل

تاريخ انكلترَّة

تأليف جرجي افندي زيدان منشئ الهلال

كان منشئ الهلال الاديب نشر في مجلَّتهِ الشهيرة فصولًا حسنة من تاريخ انكلترَّة فرأى ان يجمعها في كتاب مستقلّ تعميمًا للفائدة فطبع منهُ الجزء الاوَّل وهو عبارة عن ٨٤ صفحة تشتمل على اخبار الدولة الانكليزيَّة منذ نشأتها الى انقضاء الدولة اليوركيَّة سنة ١٤٧٥ . وقد زيَّن الكتاب بصور مشاهير الملوك ومن محسّناتهِ انَّ كل

فصل يُختم بجداول مفيدة. وكنَّا وددنا لو تحاشى المؤلف بعض اقوال تشعر ببخس حقوق الكنيسة الكاثوليكية واتباعها ولعلَّهُ نقلها دون تروٍ كافٍ عن تآليفات بروتستانيَّة

كتاب المعين

من تأليف المعلِم الفاضل واللغوي البارع سعيد افندي الشرتونيّ

الجزء الاوَّل . كتاب التلميذ . عدد صفحاتهِ ١١٣ . طُبع في بعبدا سنة ١٨٩٩

انَّنا نغبط احداث مدارسنا لما توفَّر لديهم في هذه السنين الاخيرة من اسباب الترقي في العلوم العربيَّة وآدابها وكنَّا قبل ثلاثين سنة نتمنَّى لو نحصل على النزر القليل منها. ومع وفرة هذه التآليف المستحدثة كانت مدارسنا في حاجة الى تمرينات انشائيَّة يتروَّض بها الطلبة ليحرزوا ملكة الكتابة. فهي الثُلمة التى حاول سدَّها صاحب كتاب المعين فاستعان لوضعهِ بخبرتهِ الطويلة في التدريس ومزاولة الكتابة واودعهُ نيفًا ومائتَي تمرين يمكن التلميذ ان يُجري في مضمارها قلمَهُ فيألف بطريقة سهلة صناعة الانشاء. ولنا الثقة انَّ رؤساء المدارس سيتلقَّون هذا الكتاب بالترحاب ويقبل عليهِ الاساتذة فيدرجونه في مكاتبهم لاسيما اذا ما امدَّهم مصنّفهُ الفاضل بالكتاب الخاصّ بالمعلِم فيغنيهم عن ايجاد مواضيع انشائيَّة يقترحونها على تلامذتهم وعن امثلة يعرضونها عليهم لاصلاح اغلاطهم وتخريجهم في الكتابة ل. ش

شذرات

المحبَّة والمنار - قد بلَّغتنا الحكومة السنيَّة انَّها استاءت ممَّا كتبتهُ المحبَّة في عددها الاخير. فمن ثمَّ لا حاجة الى الردّ عليها. امَّا المنار فاننا نكتفي بما اجبناهُ سابقًا

حلّ المشكلين الرياضيين الواردين في العدد الماضي - قد حلَّ هذين المشكلين او واحدًا منهما بعض قرَّاء المشرق نورد هنا اسماءهم الكريمة على ترتيب التاريخ: شكري حوَّاء من ادباء البلدة. اسكندر ابراهيم طراد. توفيق الحاج من طلبة كليَّتنا. الخوري جبرائيل رزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورة. يوسف عيسى القدسي احد تلامذة الآباء الفرنسيسيين في القدس. والاخ مبارك ابو سليمان من تلامذة كليَّتنا. وهاك الجواب كما ذكرهُ حضرة الاب مرهج وهو واضحٌ جليٌّ اكتفينا بهِ:

(الجواب عن الاول) : ان هذه المسألة قريبة الشبه جدًّا من المسألة الاخيرة

المدرجة في العدد الثامن صفحة ٣٨٢ وتصحّ على كل عدد يقسم على اثنين فيبقى واحد وعلى ثلاثة فيبقى اثنان وعلى اربعة فيبقى ثلاثة وعلى ستة فيبقى خمسة وعلى خمسة او سبعة فلا يبقى شيء. الّا انهُ يظهر من المبادئ الاوليّة في الرياضيات انهُ متى تحقَّق شرط القسمة على ٤ في هذه المسألة تحقق ايضًا شرط القسمة على اثنين ومتى تحقق فيها على ٦ تحقَّق على ٣ وبما ان ٥ و ٧ هما اوّليـان فالعدد المطلوب يقسم دون باقٍ على حاصلهما ٣٥ ايضًا فيكفي اذًا حل المسألة طبقًا لثلاثة شروط من ستة وهي:

(١) ك = ٤ د + ٣ والحرف ك دلالة على المجبوب و د على الصحيح من الخارج

(٢) ك = ٦ دَ + ٥ والحرف دَ دلالة على الصحيح من خارج ك على ٦

(٣) ك = ٣٥ دً والحرف دً دلالة على خارج ك على ٣٥

فالمسألة سيَّالة اذا حللناها طبق القواعد المعهودة في مثلها يكون لنا:

(٤) ٤ د + ٣ = ٦ دَ + ٥ وحسب القواعد المتعارفة نجد :

(٥) د = ٣ ل − ١ الحرف ل دلالة على عدد صحيح غير معيَّن

(٦) دَ = ٢ ل − ١ ″ ″ ″ ″ وبالتعويض نجد:

(٧) ك = ١٢ ل − ١ تحقيقًا للشرطين الاولين ولتحقيق الثالث يجب ان يكون:

(٨) ٣٥ دً = ١٢ ل − ١ وبالحلّ طبق القواعد نجد:

(٩) دً = ١٢ م + ١ تحقيقًا للشروط والحرف م دلالة على عدد صحيح غير معيَّن

(١٠) ل = ٣٥ م + ٣ وبالتعويض عن دً في (٣) بعبارتها في (٩) نجد.

(١١) ك = ٣٥ (١٢ م + ١) = ٤٢٠ م + ٣٥ يمكننا ان نفرض للكميَّة م ايَّ عدد صحيح ايجابي اردنا من الصفر الى ما لا نهاية لهُ. اذا فرضنا م = ٠ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ الخ يكون ك اي عدد المجبوب = ٣٥ ، ٤٥٥ ، ٨٧٥ ، ١٢٩٥ الخ

(الجواب على الثاني): نستنتج بديهيًا من شروط المسألة ما يأتي من المعادلات :

(١) : ك + ل + م + ن = ١٢٠ والحروف ك ل م ن عبارة عن اجرة كلٍّ من الاربعة في اليوم. (٢) : ك = ٢ ل. (٣) : ل = ٣/٢ م. (٤) : م = ٢ ن

ومن ذلك نستنتج بالتعويض معاملة واحدة نهايتها بالنسبة الى ك على ما يأتي :

(٥) : ك + ١/٢ ك + ١/٣ ك + ١/٦ ك = ٢ ك = ١٢٠

(٦) : ك = $\frac{١٢٠}{٢}$ = ٦٠ . اذًا : ل = ٣٠ ، م = ٢٠ ، ن = ١٠

فاجرة الاول في اربعة ايام	٢٤٠	٦٠	٩٠	١١٠	١٢٠
〃 الثاني 〃 〃 〃 〃	١٢٠	١٨٠	٩٠	١١٠	١٢٠
〃 الثالث 〃 〃 〃 〃	٠٨٠	١٤٠	١٧٠	١١٠	١٢٠
〃 الرابع 〃 〃 〃 〃	٠٤٠	١٠٠	١٣٠	١٥٠	١٢٠

جدول الضمان

أسئلة وأجوبة

س سألنا بعض قرَّائنا الكرام أنعدُّ من الاغلاط كلَّ ما خطَّأتهُ مجلَّة الضياء الغرَّاء في اثناء كلامها عن لغة الجرائد

لغة الجرائد

ج للمشرق مقالةٌ في هذا المعنى ندرجها ان شاء الله في عدد قادم

س سألنا حضرة الخوري بولس زخيا: ١ً هل يُشترط لصحة الاشتراك في ثوب الحبل بلا دنس وربح الغفرانات الممنوحة لهُ تدوين اسم المشترك او هل يقتضي ارسالهُ الى مركز الشركة. ٢ً هل يكتسب الكاثوليكي الشرقي الغفرانات الممنوحة في بعض الاعياد يوم تحتفلها الكنيسة الغربيَّة او كنيستهُ الشرقيَّة

الاشتراك في ثوب الحبل بلا دنس

ج نجيب على الاول ان المشترك في ثوب الحبل بلا دنس كان يمكنهُ سابقًا ان يربح الغفرانات بمجرَّد اشتراكهِ على يد كاهن مأذون من رئيس عام رهبانيَّة الثياتيين ولا يحتاج الى تدوين اسمهِ ولكن قد اضحت اليوم هذه الشركة اخويةً وعليهِ فلا بدَّ من تدوين اسماء الاخوة وارسالها الى مركز الشركة. الى الرئيس السابق ذكرهُ

يوم ربح الغفرانات

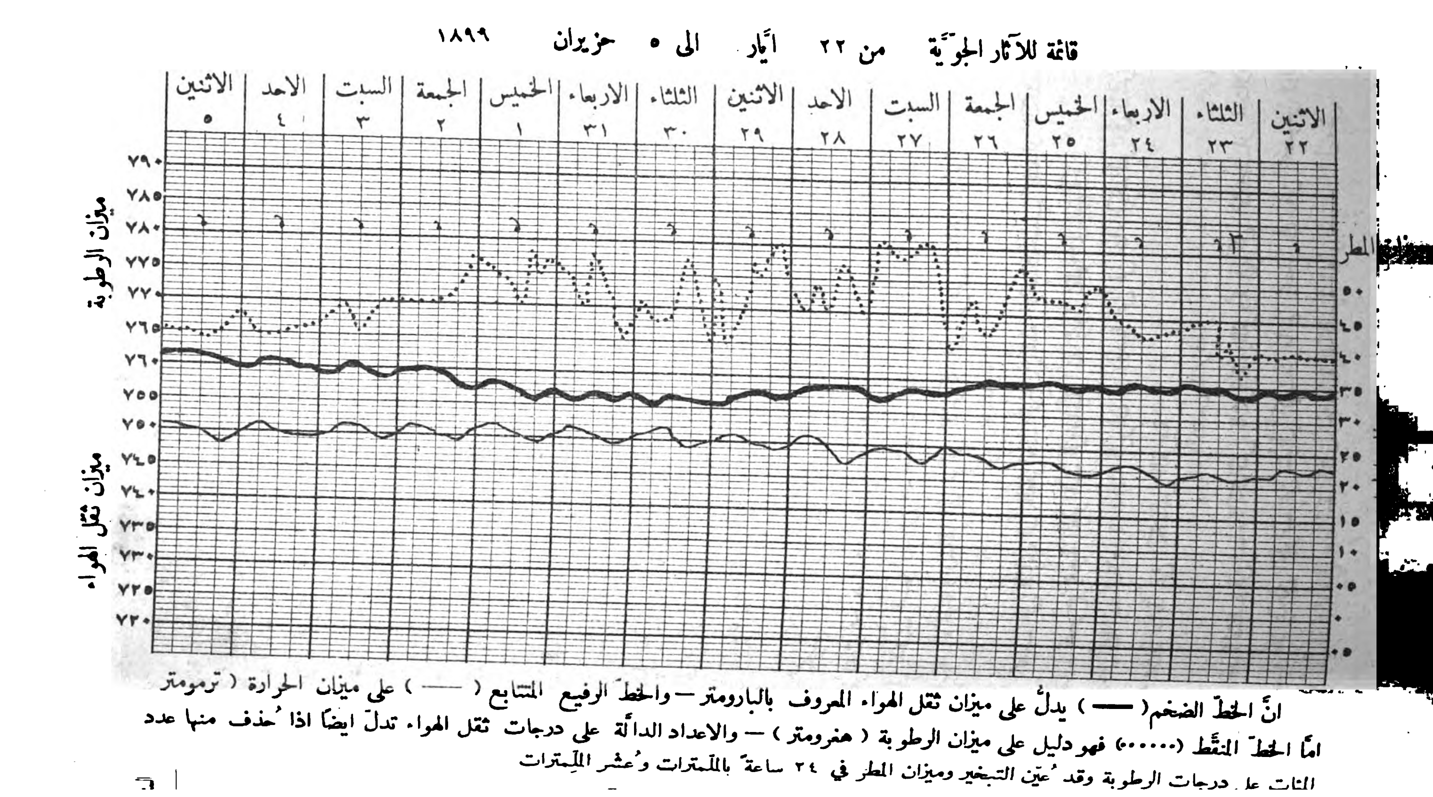
ج نجيب على الثاني انَّ الغفرانات تُربح في ايام الاعياد حسب كلندار الكنيسة الغربيَّة ما لم تصرّح جمعية الغفرانات الرومانيَّة انَّهُ يجوز نقلها الى يوم آخر

س سألنا احد تلامذة مدرسة اليونان في رومية عن فنّ بناء الكنائس في الشرق هل كان مختلفًا سابقًا عن الكنائس الغربية

بناء الكنائس الشرقيَّة

ج قد اختلف فنّ بناء الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة في كلّ الاعصار اختلافًا عظيمًا وعليهِ فلا يمكن الجواب عن سؤالٍ كهذا ما لم يُحصر في زمن مخصوص وبلد معيَّن. ولا بُدَّ لذلك من مطالعة كتب الهندسة الكنسيَّة المطوَّلة ل.ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٢ أيار الى ٥ حزيران ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

السنة الثانية العدد ١٣ ١ تموز سنة ١٨٩٩

المشرق

التعبد لقلب يسوع الاقدس في الشرق

توطئة

صدرت في ٢٥ ايّار الماضي الاوامر المطاعة من مقام سيّد الاحبار وخليفة بطرس هامة الرُسل ونائب المسيح على الارض يتقدّم بها الى جميع بطاركة العالم الكاثوليكي واساقفتهِ ورؤساء رهبانيّاتهِ المتّحدين مع الكرسيّ الرسولي بوحدة الايمان ان يقيموا في ٩ و١٠ و١١ من شهر حزيران أعيادًا يُحتفل بها بغاية ما امكن من الأبّهة والجلال اكرامًا لقلب يسوع الاقدس. ومن جملة ما ورد في براءة الحبر الاعظم انّ قداستهُ صمّم النيّة بان يكرّس في هذه الايام العالم كلّهُ لقلب ابن الله فيكون هذا المشروع الديني الجليل احسن ختام للقرن التاسع عشر وعربونًا يضمن للشعوب السعادة والفلاح في القرن العشرين

ويريد قداسة امام الاحبار ان يشاركهُ في هذا العمل المبرور كلُّ رؤساء الدين بل كلّ ابناء الكنيسة الكاثوليكيّة المخلصين علّهم يستمطرون بذلك من لدن اب المراحم نعمًا سابغة وبركاتٍ فائضة تمكّنهم من سعادة الدارين. ونتأسّف على تأخُّر ورود البراءة البابويّة الى اقطارنا ولذلك لم يمكن اقامة الحفلات في وقتها. وقد عيّن سيادة القاصد الرسولي ثلاثة ايّام كان نهايتها يوم عيد القديسين الرسولين بطرس وبولس فيها احتُفلت هذه الاعياد ببهاء ورونق في كنائس المرسلين اليسوعيين ثمّ العازاريّين ثم الكبّوشيّين

ولمّا كانت الكنائس الشرقيّة قسمًا معتبرًا من حظيرة المسيح لا شكّ في انّها لا تتأخّر عن تلبية دعاء راعي رعاتها المنظور فتتقدّم شاهدًا جديدًا على خلوص انتمائها الى السدّة البطرسيّة مع ابداء فروض التعبُّد لذلك القلب الذي خفق ثلاثًا وثلاثين سنةً في ديارنا الشرقيّة وهو يستعر حبًّا بنا نحن البشر ويتفانى في سبيل خلاصنا

وقد احبينا نحن ابناء تلك الرهبانيّة التي وكل اليها الربّ نشر عبادة قلبهِ الاقدس

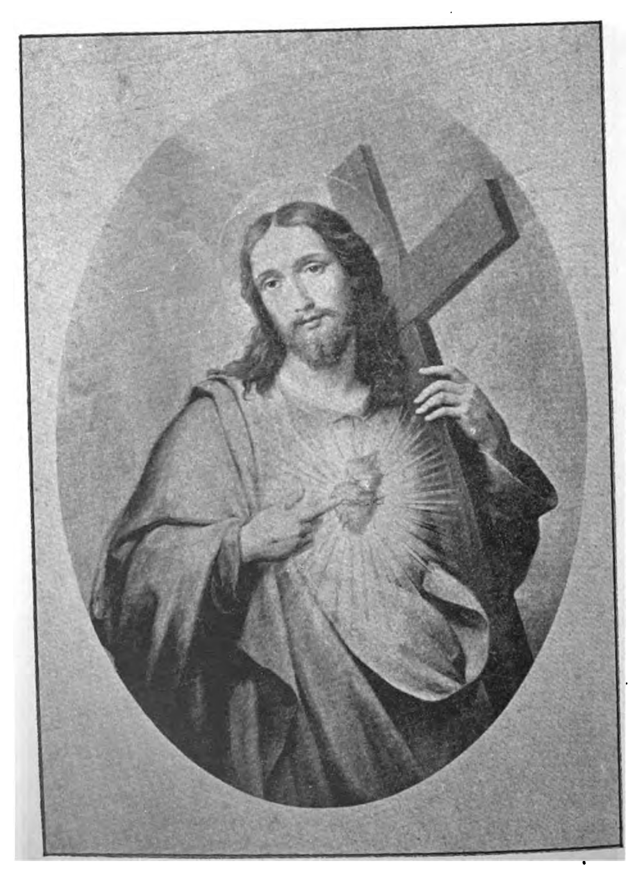
ان نعضد مساعي رأسنا وابينا الحبر الاعظم بوضع مقالة في مجلّة المشرق نبيّن فيها بموجز الكلام ما يختصّ بكُنه هذه العبادة وحقيقتها وغايتها وتاريخها في المشرق ليقف قرّاؤنا الكرام على سموّ مرتبتها وعلوّ شأنها

١ المبادئ اللّاهوتيَّة التي تستند اليها عبادة قلب يسوع الاقدس

اننا معشر النصارى نؤمن بموجب تعليم الانجيل الكريم انَّ في المسيح طبيعتين كاملتين غير ممتزجتين احداهما الهيّة يشبهُ بها جوهريًّا اباهُ الالهي الذي منهُ ولد بطريقة الفهم منــذ الأزل لأَنهُ هو الكلمة والكلمة هو الله (يو ١ : ١) والطبيعة الاخرى انسانيَّة تشبه جبلتنا البشريَّة من حيث خواصّها وكمالاتها واعمالها لان المسيح قد امتُحن في كلّ شيء مثلنا ما خلا الخطيئة (عب ٤ : ١٤)

غير انهُ ليس لهاتين الطبيعتين قيــامٌ منفرد بذاتهما تقوم بهِ كلّ منهما بمعزل عن الاخرى كما زعم نسطوريوس بل تقوم كلتــاهما في اقنوم واحد هو اقنوم ابن الله الذي تُنسب اليهِ كلّ اعمال الطبيعتين كما تُنسب للانسان اعمــال جسده الهيولي واعمال نفسهِ الناطقة المجرَّدة عن الهيولي فيمكن لذلك القول عن المسيح بدون تضادّ انهُ الهٌ (رو ٩ : ٥) وانهُ انسان (في ٢ : ٥ — ٨) انهُ ازليّ (يو ١ : ١) وانهُ محدث في الزمان (يو ١ : ١٤) انهُ واباهُ واحد (يو ١٠ : ٣٠) وانَّ الاب اكبر منهُ (يو ١٤ : ٢٨) انهُ في الآب (يو ١٠ : ٣٨) وانهُ خرج من الآب (يو ١٦ : ٢٨) انَّ فيهِ ارادةً غير الارادة الالهيَّة (مت ٢٦ : ٣٩) الى غير ذلك ممَّا يشير الى فاعل واحد يعمل بطبيعتين مختلفتين يصحّ في الواحدة ما لا يصحّ قولهُ في الاخرى . ومن وحدة الاقنوم في المسيح ينتج انَّ ناسوتهُ وكلّ اقسام ناسوتهِ تكتسب شرفًا فائقًا وعزًّا ساميًا لا يحقّ سوى للاله فيسوغ من ثمَّ ان نسجد لهذا الناسوت سجودنا لعزَّتهِ تعالى . ولذلك نقدّم في سرّ القربان الاقدس لجسد المسيح ودمهِ اكرامًا لا نقدمهُ لغير الله عزّ وجلّ لانَّ فيهما يحلّ كما يقول الرسول « كلّ مِلء اللاهوت جسديًّا » (كو ٢ : ٩) فلمَّا كان قلب المسيح قسمًا جليلًا من ناسوتهِ لا غرو اذن ان نسجد لهُ ونكرّمهُ ونتعبَّد لهُ كما نتعبَّد ونسجد لجسد المسيح ودمهِ الالهيين

بل ينتج من هذا المبدأ انَّ كلّ ما يخصّ المسيح او لهُ علاقة مع شخصهِ الالهي ينال عظمةً وشأنًا لا مثيل لهما . ولذلك نسجد للصليب لأَنهُ راية انتصار ابن الله على الجحيم وعلامة نجاتنا من الهلاك ونكرّم جميع ادوات الآلام كالحربة التي طعنت جنبهُ



صورة قلب يسوع الاقدس (للمصوّر الشهير غلياردي)

واكليل شوكهِ وثيابهُ التي اقتسمها الجند ومنها صدرت المعجزات (مت ١٤: ٣٦)

٢ اصل العبادة لقلب يسوع الاقدس في الانجيل

فثبت اذن من المبادئ اللاهوتيّة السابقة انَّ لعبادة قلب يسوع اساسًا متينًا في معتقدات النصارى. ولكن ترى ما هي الاسباب التي حملت الكنيسة على ان تقدّم لقلب يسوع الاقدس عبادةً خاصّة أفما كان كافيًا ان تسجد للمسيح اجمالًا فلا تفرد هكذا قسمًا من شخصهِ في عبادتها والمسيح كما قال الاناء المصطفى (١ كور ١: ١٣) «واحد لا يُقسم»

نجيب على هذا الاعتراض انَّ الكنيسة مع اتّخاذها طرائق مختلفة تتقرّب بها الى عروسها السماوي لا تقسم المسيح البتّة وانّما تتفنَّن في اكرام شخصهِ الكريم كما يصنع المملوك مع سلطانهِ فانّهُ تارةً يستلم يدهُ وتارةً يقبّل رجليهِ وحينًا يمسّ طرف ثوبهِ وطورًا يلثم موطئ قدميهِ او يكرّم شيئًا ممّا يتعلّق بشخصهِ والاكرام كلّهُ يعود الى الذات الملكيّة فعلى هذا المنوال عددت الكنيسة طرائق تعبّدها لشخص المسيح فاقامت اعيادًا خصوصيّة تذكر فيها دمهُ الكريم وجراحاتهِ الخمس وجسدهُ الطاهر وادوات صلبهِ وموتهِ ودفنهِ لما تجد في كلّ ذلك من الدواعي العديدة لاكرام اقنوم ابن الله. وهكذا تصنع البيعة في تعبّدها لقلب المخلّص فانّها لا تعتبر هذا القلب الكريم منفردًا عن الذات الالهية بل متّحدًا مع الناسوت واللاهوت معًا اتحادًا غير منفصم (١

على انَّ الكنيسة لم تكُ لترضى بهذه العبادة لو لم تجد في الانجيل الكريم اسبابًا حدتْ بها الى قبولها ونشرها في العالم اجمع. أفلا ترى انَّ المسيح لذكرهِ السجود قد عرض علينا قلبهُ وجعلهُ مثالًا نأتسي بهِ حيث قال: «تعلّموا مني اني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩) وانّهُ سمح لاحد تلامذتهِ ان يتّكئ في العشاء السري على صدرهِ (يو ٢١: ٢٠). وانهُ أذِن للجندي الرومانيّ ان يطعن جنبهُ ليكشف عن مكنون جنانهِ (يو ١٩: ٣٤) وانّهُ اظهر جرح قلبهِ لتلامذتهِ (يو ٢٠: ٢٨) وتقدّم الى توما (يو ٢٠: ٢٨) المرتاب في قيامتهِ بان يدخل يدهُ في جنبهِ ويتحقق صحّة اقوال سيّدهِ (٢

٣ التقليد الكنسيّ عن التعبّد لقلب يسوع منذ اوائل النصرانية

فبناء على هذه النصوص الانجيليّة اخذ الرسل يحضّون المؤمنين على محبّة متّقدة نحو

---

١) ولذلك لا تسمح الكنيسة بان تُعرض صور قلب يسوع لعبادة المؤمنين اذا صُوّر القلب وحدهُ لئلّا يظنّ البعض انّنا نفصلهُ عن شخص المسيح ٢) وفي جملة الصور الراقية الى اوائل النصرانية التي وُجدت في دياميس رومة ما يمثّل هذه الوقائع الخطيرة: خصوصًا طعن جنب المسيح بالحربة

المسيح الذي احبّنا واسلم نفسهُ دوننا (اف ٥: ٢ غل ٢: ٢٠) ويتمنّون لو هذا المؤمنون وسبروا غور محبة فادي البشر التي تفوق كلّ معرفة ليمتلئوا بملء الله (اف ٣: ١٨ و ١٩) ويتشوّقون اليهم باحشاء المسيح يسوع (في ١: ٨)

وجعل آباء الكنيسة الاوّلون وملافنتها القديسون شرقاً وغرباً يوجّهون منذ اوائل النصرانيّة انظار المؤمنين الى قلب يسوع لاسيما عند كشفهم معاني الآيات السابق ذكرها. منهم (اوريجانس †٢٥٤م) في كلامهِ عن يوحنا الحبيب حيث يقول: «انّ هذا الرسول لمّا سند رأسهُ الى قلب يسوع وجد فيهِ كنوزاً دفينة من الحكمة والعلم فعرف حقّ المعرفة خفايا الربّ واعلن بها الى العالم» (١

ومنهم القديس (امبروسيوس اسقف ميلان † ٣٩٧ م) في وصفهِ جرح جنب المسيح فقال: «قد طعن الجندي جسد الربّ بعد موتهِ ففاضت الحياة من الميْت وسال للبشر ماء غسل ذنوبهم ودمٌ بُذِل فداهم. فلنشرب ثمن خلاصنا كي نُفدى بشربهِ» (٢

امّا القديس (يوحنا الذهبيّ الفم † ٤٠٦م) فقد اندفع في الكلام عن جرح جنب المسيح فوصفهُ وصفاً يخلب العقول ويأخذ بمجامع القلب. فمن ذلك قولهُ: «انّ دم الحمل الذي جُعل على عتبة الاسرائيليين في مصر كان رمزاً عن دم المسيح ومنهُ اتّخذ كل قوّتهِ فدفع عنهم ملاكَ الرب لمّا ضرب ابكار مصر. فان قوي الرمز على ردّ ذراع الربّ فما قولنا عن الحقيقة؟ ولكن انظر مورد هذا الدم الكريم المُحيي ألا وهو جنب المسيح... فلمّا طعنهُ الجندي خرج منهُ الماء اوّلاً وهو ماء المعموديّة الذي يغسل ادران خطايانا ثمّ خرج الدم وهو الدم السرّي الذي يُروينا. قد فتح الجندي جنبَ الهي وهدم الجدار الذي كان يحجب عني قدس الاقداس وها اني وجدتُ كنزاً ثميناً واصبتُ غنًى طائلاً... هذا هو جنب آدم الجديد الذي نُزعت منهُ وقت نومهِ على الصليب حوّاء الجديدة اي الكنيسة عروسة المسيح ولذلك يحقّ القول في الكنيسة وفي ابنائها انّنا لحمٌ من لحمهِ وعظمٌ من عظامهِ» (٣

ومنهم القديس (اوغسطينوس † ٤٣٠م) حيث يقول: «قد احسن الانجيليّ بقولهِ انّ الجنديّ فتح جنبهُ ولم يقل انّهُ طعنهُ او جرحهُ دلالة على انّ جنب الرب باب الحياة

---

١) مجموع اعمال الآباء اليونان لمين المجلّد ١٣ ص ٨٧ ٢) شرحهُ على لوقا ك ١٠ ع ١٣٥
٣) راجع اعمال الاباء اليونان ج ٥١ ص ٢٢٩ و ج ٥٩ ص ٤٦٣

تفجَّرت منهُ اسرار الكنيسة التي دونها لا يَدخل احد الحيــاة (١.وقال في محل آخر:
«قد فُتح لك باب الحيــاة لمَّا طعنتْ حربةُ الجندي جنب المسيح فاذكر ما سال منهُ
واطلب بهِ الطريق الى الخلاص» (٢

وقد تعدَّدت بعد هؤلاء الآباء الشهادات على عبــادة قلب يسوع في الكنيسة
كالقديس (بولينوس دي نولا †٤٣١م) الذي يدعو قلب ابن البشر «منهل الحكمة»
والقديس(بطرس داميانس †١٠٧١م) الذي وصفهُ «بخزانة تحوي جميع كنوز النعمة
وينبوع الحياة الدائمة». والقديس (أنسلموس†١١٠٩م) المطريْ «محبَّة قلب يسوع نحو
البشر». والقديس (برنردس†١١٥٩م) الذي ينعت قلب يسوع بكلمات تسيل رقَّةً
وحبًّا فيــدعوهُ حينًا «مسكن النفوس» وحينًا «مقدس الاقداس» وتارةً «تابوت
العهد» واخرى يتمنَّى بان يجعــل لهُ مظلَّة في هذا القلب يسكن فيها الى الابد ومثلهُ
(القديس بوناونتورا † ١٢٧٤م) يشيد في مدح القلب الاقدس ويغبط الحربة التي نفذت
في صدرهِ وحظيت بمسّ قلبهِ. والقديس (توما الأكوينيّ شمس المدارس † ١٢٧٤)
يشبِّه طعنة جنب الربّ« بباب فلك نوح الذي منهُ دخلت الحيوانات الناجية من الطوفان»

فلا غرو بعد هذه الشهادات وغيرها كثيرة ضربنا عنها صفحًا اذ نجد عددًا غفيرًا
من القديسين والابرار تعبَّدوا لقلب يسوع في توالي الاعصار كالقديس فرنسيس الاسيسي
والقديس لورنسيوس يوستنيــاني والقديس فرنسيس سالس والقديس لويس غنزاغا
وكالقديسات جرترودة وكاترينة السيانيَّــة ومكتيلدة وترازيا كما تشهد تراجم هؤلاء
الابرار فانهم جميعًا اضرموا قلوبهم بشعلة من نار قلب المخلّص واستعروا بهِ حبًّا ساقهم
الى مباشرة امور عظيمة لاجلهِ والمحبَّة كما يقول الكتاب قويَّة كالموت (نش ٨:٦)

٤ التعبُّد العمومي لقلب يسوع

وكانت عبادة قلب يسوع مع سموّ شأنهــا منحصرة في دائرةٍ ضيّقة يمارسها فقط
بعض افراد اولياء الله الى اواسط القرن السابع عشر اذ اختار الرب راهبةً من رهبانيَّة
الزيارة معروفةً بعظم قداستها وسموّ فضائلها فظهر لها مرارًا والحّ عليها إلحاحًا لم يبقَ
لها بعدهُ ريب في ارادتهِ تعالى وكان السيّد المسيح لذكرهِ السجود تقدَّم اليها بان تشهر

١) العظة ١١١ ع ٣ ٢) المقالة ١٢٠ على انجيل يوحنَّا ع ٢. ولِترتليان
(†[illegible]) معلّم الكنيسة وللقديس قبريانوس (†٢٥٨) اقوال شبيهة جدّه

هذه العبادة وتنشرها في اربع خوافق العالم ومن جملة ما قالهُ الربّ عند ظهوره وكشف قلبهِ للطوباويّة مرغريتا الاكوك الراهبة المشار اليها في تاريخ سنة ١٦٧٥ في اليوم الاحد الواقع بعد عيد الجسد ما نصُّهُ: « ها هوذا القلب الذي بلغ بهِ حبُّهُ نحو البشر الى ان تفانى في سبيلهم ولم يدَّخر وسيلةً ليظهر لهم خلوص ودادهِ نحوهم. على اني لم اجد لقاء محبتي في قلوب الاكثرين سوى الفتور ونكران الجميل . . . فلذا اطلب اليكِ ان يخصَّص لي يوم الجمعة الواقع بعد الايَّام الثمانية من عيد القربان فيكون عيدًا خصوصيًا يُكرَّم بهِ قلبي وليُصعد في ذلك النهار القربان الاقدس على الهياكل وتتقرَّب فيهِ النفوس التقيَّة من سرّ محبَّتي وتعوّض بحبها عن الاهانات اللاحقة بي »

ولمَّا اعتذرت تلك الراهبة الوديعة واشارت الى عجزها عن اتمام ارادة الرب اجابها المخلِّص قائلًا: « أَفما تعلمين اني اختار الضعفاء من العالَم لاخزي الاقوياء لئلاَّ يفتخر ذو جسد امامي (كو ١: ٢٧) » ثمَّ دلَّها على الوسائط التي بها تُنجز اوامرهُ تعالى وكيف يُقتضى لقلبهِ الالهي ان يملك رغمًا عن كلّ اعدائهِ. واوعز اليها ان تختار عبدهُ الاب دي لاكولمبيار اليسوعي ليساعدها في هذا الامر الهامّ

فلمَّا بلَّغت الطوباوية اوامر المسيح الى رؤسائها حال دون اتمام مرامها مصاعب لا تُحصى الَّا انَّ البشر لا يقوون على مشيئة الله فتعـدَّدت المعجزات وظهرت ارادة الله بنوعٍ عجيب ازال كلَّ شكٍّ ففحصت الكنيسة كلّ ذلك فحصًا مدقَّقًا الى ان ثبَّتت هذه العبادة تثبيتًا شرعيًّا واجابت الى مُلتمس السيِّد المسيح باقامة العيد المذكور

وممَّا حمل الكنيسة على قبول هذه العبادة الشهاداتُ السابق ذكرها المستندة الى الانجيل والى اقاويل الآباء. ثمَّ وجدت في اكرام قلب يسوع الاقدس واسطة عُظمى فعَّالة لتحريك عواطف المؤمنين وإنعاش تقواهم لله مخلِّصهم اذ تعرض لاكرامهم قلبًا مضطرمًا بالحبّ نحوهم يُعلن حبَّهُ بالنعم السابغة التي يفيضها على البشر. وعلاوةً على ذلك رأت بيعة الله ان هذه العبادة مبنيَّة على طبيعة الانسان ورأي الشعوب جمعاء وكلُّهم يعزون الحبَّ الى القلب كما انَّ لغات الامم دون استثناء تتَّفق على نسبة المحبَّة لهذا العضو الجليل يؤيّد ذلك آيات عديدة من الاسفار المقدَّسة كقولهُ تعالى (تث ٦: ٥): « أحبب الربَّ الهك بكلّ قلبك وكلّ نفسك » وقولهِ (رو ٥: ٥): « قد أُفيضت محبَّة الله في قلوبنا بالروح القدس ». وقولهِ عزَّ وجلّ (ام ٢٨: ٢٦): « يا بُنيَّ اعطني قلبك ».

فاستدلّت الكنيسة بكلّ ذلك انّ قلب يسوع افضل رمزٍ لذكر محبّة الله للبشر واقوى عامل يجتذب قلوبنا الى حبّهِ تعالى وابداء شعائرنا البنويَّة نحوهُ

وما كاد الاحبار الرومانيّون يثبّتون هذه العبادة بسلطانهم الاسمى في الكنيسة حتى انتشرت عبادة قلب يسوع انتشار النار في يبيس الحطب والكهرباء في اسلاك البرق واليوم اضحت هذه العبادة شاملةً لاقاصي البلاد لا يجهلها احد من النصارى

• انتشار عبادة قلب يسوع الاقدس في المشرق

قد ظهر ممّا سبق انّ آباء الكنائس الشرقيَّة القدماء لم يجهلوا عبادة قلب يسوع بل اشادوا بمدحهِ كآباء الكنيسة الغربيَّة. ولنا شاهد آخر صادقٌ ودليل ناطق على ذلك في ليتورجيات جميع الطوائف الشرقيَّة. وهذه الرُّتب الجليلة كما لا يخفى ترتقي الى القرون الاولى من النصرانيَّة وفي اقوالها براهين لا يقوى على تفنيدها داحض

فانّ هذه الليتورجيات تذكر باجمعها في القداس فتح جنب المخلص وتُشير الى ما ثمَّ من السرّ العظيم وتطلب بهِ الغفران عن الخطايا ونوال النعم وينبوع الحياة (١. امّا الكنيسة اليونانيَّة فانَّ لها رتبةً خصوصيَّة امتازت بها عن بقيَّة الكنائس وهي رتبة الماء المُحمى (ζέον) الذي يُسكَب في الكأس يراد بهِ الدلالة على محبَّة المسيح المفرطة التي اظهرها لمّا أذن للجندي في طعن جنبهِ الالهي لتجري منهُ الاسرار ويفتح لنا بابًا الى احشاء رحمتهِ وقلبهِ الاقدس (١

غير انَّ الكنائس الشرقيَّة الكاثوليكيَّة لم ترتضِ بهذه الدلالات العموميَّة على عبادة قلب يسوع بل ارادت ان تجاري في هذا الميدان الشريف كنائس الغرب

واوّل من تسابق بينها في اكرام قلب يسوع الكنيسة المارونيَّة نجد لعبادتها آثارًا منذ اواخر القرن السابع عشر وكان ابتداء هذه العبادة في حلب بهمَّة الآباء اليسوعيين وكانوا انشأوا هناك اخويَّة باسم هذا القلب الطاهر في كنيسة النبي الياس للموارنة اشترك فيها جمٌّ غفير من اهل الشهباء. وقد اشتهر من اعضائها الطيّب الذكر المطران جرمانوس فرحات ولهُ في مديح القلب الالهيّ قصيدة جليلة المعاني عامرة الابيات نظمها على طريقة ابن الفارض تجدها في ديوانهِ. مطلعها :

---

١) راجع خصوصاً ليتورجية السريان والموارنة والاقباط في ليتورجية القديس كيرلُّس

٢) راجع كتاب كلندار الكنيستين للاب نيلس Ἑορτολόγιον, II, 480

يا قلبُ طِرْ من وُكْنة الاحشاء نحو الحبيبِ الفاخر الازياء

وفيها يقول :

يا قلبَ ربّي انتَ غايةُ مأربي يا ربّ قلبي انت كنزُ غنائي
يا لُجّةَ الجود الالهيّ الذي اغنى الورى بسوابغ الالاء
تصبو اليك عقولنا وقلوبنا ويلذُّ منها فيك كلُّ ثناء
فهي الحديدُ وانت مغناطيسها بل انت شمسٌ وهي كالحرباء
اذ كنتَ انت جمالها وكمالها ونعيمها النافي لكلّ شقاء
مرآة شخص الاب صورةُ مجده ومقرُّ روح القُدسِ ذي الآلاء
سعدي ومجدي أن أُحبك يا مُنى قلبي واهوى في هواك فنائي
بل كيف لا اصلى بحبّك هائماً وأراك في حبّي أتونَ صِلاء
فليسجدنَّ لديك يا ربّ الورى ما في الثراء وفوق كلّ سماء

وامتدَّت هذه العبادة من حلب الى جهات الشام وكان في دمشق هيكل على اسم القلب الاقدس يتوارد اليهِ الزوَّار . وفي غسطا الى اليوم صورة قلبَيْ يسوع ومريم في كنيسة مار يوسف المشيَّدة على نفقة الملك لويس الخامس عشر يرتقي عهدها الى زمان البطريرك يوسف اسطفان. وقد دخل مذ ذاك عيد قلب يسوع في الكنيسة المارونيَّة فتجد في كتبها الطقسيَّة رتبةً فيها قراءات وصلوات على اسم قلب يسوع. وانشأ مؤخَّرًا المعلم الفاضل منصور حكيم فرضاً موسَّعاً وقدَّمهُ لرؤساء كنيستهِ فاثنى عليهِ بعض الاساقفة لمعانيهِ التقويَّة ولهُ الأمل ان يُثبَّت عمَّا قليل فيُعمَّم في كلّ كنائس الطائفة

وفي الكنائس السريانيَّة والكلدانيَّة والارمنيَّة انتشرت عبادة قلب يسوع ايَّ انتشار حتَّى صار عيدهُ عندها من الايَّام الحافلة كما ترى في بغداد والموصل وماردين وديار بكر . ولكل هذه الكنائس فروضٌ جديدة وصلوات وزيَّاحات يُكرَّم بها القلب الاقدس نخصُّ منها بالذكر الرتبة الجميلة التي ألَّفها فقيد المشرق الحبر الجليل يوسف داود مطران دمشق على السريان وقد طُبعت في الجزء السادس من الفنقيط بالموصل (ص ٣٨٣ — ٣٩٧) وقد اودعها من المعاني الشريفة والاقوال البارعة التي تنبئ بسموّ فضل كاتبها

ودخل ايضاً عيد القلب الاقدس في جملة اعياد الكنائس اليونانيَّة في بعض الانحاء كايطالية وترنسلفانية ورومانية . ورأينا صورةَ الكريمة في بلادنا في عدَّة كنائس للروم

الملكيين الكاثوليك بل في بعض كنائس الارثذكس ايضاً منها كنيسة مار الياس شويّا. وقد وضع الاب نيلس اليسوعي فرضاً يونانيًّا مطوَّلًا جمعهُ من اقاويل آباء الكنيسة اليونانيَّة لعيد قلب يسوع فاثنى بعض اساقفة الروثان والمجر وغيرهم على هذا المشروع وجعلوا يتلونهُ في كنائسهم

وقد قرأنا بكلّ مسرَّة ما ورد في السنة الماضية عن الاقباط الكاثوليك انَّ اوَّل ما صنعهُ اساقفتهم الاجلاء عند افتتاح مجمعهم الاوَّل ان كرَّسوا نفوسهم ورعاياهم لقلب يسوع الاقدس

وهنا لا يسعنا السكوت عمَّا بذلهُ من الهمَّة كلّ المرسلين اللاتين من الفرنسيسكان والدومينيكان والكرمليتان والعازاريين واليسوعيين وغيرهم في جميع اصقاع المشرق ليضرموا بلادنا بمحبة ابن الله ومحبَّة قلبهِ الطاهر يشهد على ذلك ما ألَّفوهُ او طبعوهُ من الكتب العديدة وما انشأوهُ من الاخويَّات التقويَّة وألقوه من المواعظ والارشادات جازاهم الله جميعاً كلّ خير

ونختم مقالتنا هذه بما كتبهُ حبر الاحبار البابا بيوس التاسع المخلَّد الذكر في منشورهِ الى الشرقيين بتاريخ ٨ ك ١ سنة ١٨٦٤: « ونحضّ المؤمنين الشرقيين ان يلوذوا في كلّ حاجاتهم بالربّ السيد المسيح الذي فدانا بدمهِ ويتعبَّدوا التعبُّد الصادق لقلبهِ المملوّ عذوبةً وحلاوةً ويطلبوا من هذا القلب الذي ضحَّى نفسهُ لاجلنا كذبيحة الحبّ ومحرقة الوداد كي يجذب قلوب البشر اليهِ ويقيِّدها بمحبَّتهِ فتنال كلُّها من ديم فضلهِ الطافح وتثمر اثمار النعمة والخلاص »

وقد ألحق الحبر الاعظم براءتهُ بتكريس يُتلى في العالم كلهِ لاكرام القلب الاقدس هذه صورتهُ:

يا يسوع المملوّ عذوبةً وحلاوة يا فادي الجنس البشري انظر الينا نحن المنطرحين امام مذبحك بكلّ تواضع. انَّنا ذووك ونريد ان نكون خاصَّتك فلكي نستطيع ان نتَّحد بك برباط اوثق ها انَّنا اليوم نخصّص نفوسنا اجمالًا وافراداً لقلبك الاقدس. انَّ كثيرين من البشر لم يعرفوا قطّ عزَّك الالهي وقد جحد غيرهم خدمتك ونبذوا وصاياك. فنسألك يا يسوع الكلي الحنوّ ان تعطف على هؤلاء جميعاً برحمتك وتجتذبهم الى قلبك. املك ايها الربّ الاله ليس فقط على لفيف المؤمنين الذين داوموا على خدمتك بثبات بل ايضاً على الذين اعرضوا عنك كالابن الشاطر وتناءوا عن عبادتك فامنح هؤلاء الضالّين ان يعودوا الى بيت ابيهم لئلَّا يتلفوا بؤساً ويهلكوا جوعاً. وامِلك اللهمّ على الذين انقادوا الى الآراء الفاسدة او انفصلوا بالشقاق فاهدِهم الى سبيل الحق

ووحدة الايمان لكي تكون عمَّا قليل حظيرة واحدة وراعٍ واحد . واملك اخيرًا على جميع الامم الذين يدينون بدين الاوثان ولا تأبَ ان تقودهم من ظلمة الشرك الى نور الله وملكهِ فأنعِم ايها السيد على كنيستك بالسلام والحرّيَّة التامَّة وامنح كلَّ الامم والشعوب عيشةً آمنة في الأُلفة والنظام . وهبْ ألَّا يُسمع من اقاصي الارض الى اقاصيها سوى صوت واحد : ليمجَّد القلب الالهيّ الذي بهِ فزنا بالخلاص لهُ العزُّ والاكرام الى ابد الابدين آمين

مكتبة دير صيدنايا

للشاب الاديب حبيب افندي زيَّات

صيدنايا قرية من اعمال دمشق تبعد عنها نحو خمس ساعات يقطنها قوم من النصارى الروم من الطائفتين. وقد كانت قديمًا ذات شأن خطير كما تدلّ على ذلك الآثار الباقية فيها والاطلال القائمة على مقربة منها حتى عدَّ فيها بعض الرحَّالة في القرن السابع عشر ست عشرة كنيسة ذكرها باسمائها بقي منها الى اليوم ثمانٍ فقط نصفها للارثوذكس ونصفها الآخر للروم الكاثوليك

ورأيتُ في تاريخ مخطوط للشماس بولس الحلبي ابن البطريرك مكاريوس الانطاكي رسالتين عرَّب احداهما عن الرومية وشرح فيها ترتيب كراسي اسقفيَّات البطريركيَّة الانطاكيَّة وعدَّدها باسمائها ووصف مقامات رؤساء اساقفتها والذين تحت ايديهم ونسبتهم الى البطريرك . ومما ذُكر في النسخة العربيَّة انَّ ترتيب الكراسيّ المذكورة وُضع على عهد انسطاسيوس الاقدس القديم بطريرك انطاكية سنة ستمائة وخمس للميلاد. وفي النسخة الروميَّة عُدَّت صيدنايا في جملة اسقفيات ابرشية فينيقية لبنان وسُمّيت دانافا ولا ادري ما صحَّة هذا اللفظ (١). واما في النسخة العربيَّة فقد جُعل

١) قد ذكر لوكيان (Lequien) في كتاب الشرق المسيحي مدينة دانفا (Danaba) في الجزء الثاني ص ٨٤٧ وذكر لها اسقفين امضى احدهما وهو تاودورس قوانين المجمع الخلقيدوني وحضر الثاني سنة ٥٥٣ المجمع القسطنطيني الثاني ودعا صاحب الجغرافية المقدَّسة (C. a S. Paulo : *Geographia Sacra*) صيدنايا باسم Castrum Danabenum وذكر لها اسقفًا باسم كوخينا (Cochena). وللاب بطرس مرتينوس اليسوعي مقالة مسهبة في صيدنايا وتاريخها مع ذكر صورة السيدة العجائبيَّة التي فيها اختصرها البشير في عدده ١١٨٧ (٢٤ تموز ١٨٩٥). (المشرق)

كرسي الاسقفيَّة في دينة اوَّلًا قيل وهي سابع كراسي مطرنية دمشق ثم نُقل اليها فيما بعد. وعلى كلتا الروايتين تكون صيدنايا اسقفيَّة بنفسها نظرًا لما كان لها من الاهميَّة في ذلك العهد. ولم تزل كذلك الى القرن الماضي وآخر من وجدتهُ من اساقفتها اكليمنضوس الحلبي الذي توفي سنة ١٧٣٢ واما عند الروم الارثوذكس فقد ضُمَّت اسقفيَّة صيدنايا الى اسقفيَّة زحلة واصبح اليوم الكرسي واحدًا

وأجلّ الآثار الباقية الى اليوم في صيدنايا ديرها المشهور المعروف بدير الشاغورة نسبةً الى ايقونة لهُ تمثّل العذراء رأيت في كتاب كتبهُ في ٢٧ صفر سنة ١٢٣٤ الروم الكاثوليك في دمشق الى الخوري سابا الكاتب ان اسمها كان الشاهورة بالهاء وهذا نصّ ما قيل فيهِ: « واما عمار الأوَد وحومة الدير... فجناب ملَّا افندي تعلّل بخصوص التجديد الواقع في حجرة الشاهورة ». وهذا الدير قديم جدًّا قيل انهُ بُني بامر الملك يوستينيانس في اوائل القرن السادس للميلاد. وهو اليوم خاصّ بالروم الارثوذكس

وكنتُ اوَّل ما عرفتُ هذا القِدَم من حالهِ قد سبق الى ظنّي ان تكون في خزائنهِ بعض كتب خطّيَّة قد حُفظت فيها منذ عهدٍ بعيد كما يُرى في سائر الاديرة القديمة. فبينما انا اطالع في التاريخ السابق الذكر الذي لابن البطريرك مكاريوس الانطاكي اذ رأيتهُ يقول في معرض كلامهِ عن كتاب التيبكون الصغير للقديس نيكن ما نصُّهُ بالحرف: « اعلم يا اخي ان هذا الكتاب وجدتهُ في دير ستنا السيدة بعمورة صيدنايا قديم جدًّا فجبتهُ معي الى حلب وأحييتهُ لاني كتبتُ عليهِ نسختين جدد ولم اجد ولا سمعت ان لهُ في بلاد العربيَّة نسخة ثانية »

وقد كان صاحب هذا التاريخ لمَّا ارتقى والدهُ السيد مكاريوس السدَّة البطريركيَّة في منتصف القرن السابع عشر وقبل ذلك قد طاف معهُ ابرشيتهُ الواسعة وزار الاديرة ديرًا ديرًا ونقَّب في مكاتبها فوجد في دير صيدنايا منها كما يؤخذ من كلامهِ السابق كتبًا نادرة المثال ليس فقط في الدينيَّات ولكن في التاريخيَّات ايضًا لانهُ ذكر فيما بعد حاشيةً قال فيها: « اعلم يا اخي اني وجدت في دير صيدنايا المعمور في كتاب قديم فيهِ هذه الاخبار التي اذكرها الآن » ونقل على الاثر طرفًا من اخبار الصليبيين وحروبهم من كتاب مخطوط لم يذكر مؤلفهُ

فلمَّا قرأتُ هذه الحاشية صحَّ عندي ما قدَّرتهُ من وجود مكتبة في الدير المذكور





وسألتُ عنها بعض الاخوان فقال لي: لا اظنّ ان يكون قد بقي منها بقيّة صالحة لان معظمها قد أُحرق وما لم تلتهمهُ النار اجتاحتهُ الايدي بحيث لا تكاد تجد فيها اليوم ما يُعبأ بهِ. وذكر لإحراقها سببًا لم اصدقهُ لاول وهلة حتى اثبتهُ لي بعض ابناء الطائفة فتولّاني منهُ عجب شديد ومنذ ذاك الحين عقدتُ النيّة على الرحلة بنفسي الى الدير المشار اليهُ لأتحقّق صحّة ما وُصف لي واسمع باذني من فم بعض الشهود اذا وُجدوا ثمّ خبر الحادثة كما تمّت لذلك العهد

وبتُّ اتوقّع فرصةً تسنح من الوقت حتى تهيّأتْ لي رفقة خرجت منذ شهرين تبتغي النُزهة في مثل هذا الربيع الاغرّ فسرنا في رياض راق سماؤها ورقّ ماؤها تنثر فيها علينا يد الاشجار عقود الازهار حتى بلغنا الدير. فلمّا حللنا فناءهُ تلقّانا حضرة الوكيل فيهِ على الرُّحب والسعة وذكرتُ لهُ الغاية التي قدمتُ لاجلها فوعدني ان يُريني ما بقي من المكتبة في صباح الغد. ثم غاب قليلًا وحضر فدعاني الى غرفة رئيسة الدير «الحاجّة سعدى هلال» فدخلتُ اليها وهي طريح الفراش وبعد ان استقرّ بي الجلوس سألتها عن المكتبة وإحراقها فقالت: نعم اذكر ذلك كأني اشاهدهُ الساعة وان يكن قد مضى عليهِ ما ينيف على خمسين سنة. وكنت يومئذٍ فتاة صغيرة عند جدّتي في زمن رئاسة «الحاجّة كاترينا مبيّض» ووكالة والد الخوري ميخائيل كلك والشخاشيري وجبران الميداني وكانت المكتبة في ذلك العهد حافلةً بالمخطوطات النادرة ولاسيما السريانيّة منها فانها كانت وافرةً جدًّا حتى خشي الوكلاء من كثرتها ان تكون حجّةً بيد السريان يتقوّون بها على اثبات حقوقهم على الدير (كذا) فأجمع رأيهم على إخراجها وإتلافها تخلُّصًا من شرّها فجمعوها ومعظمها من نفائس الكتب المخطوطة على رقّ الغزال وبدأوا يحرقونها تحت القناطر (واشارت الى مكانها). ثم كرهوا ان تذهب نارها ضياعًا فجمعوها في فرن الدير لتكون وقودًا لهُ وخبزوا عليها خبزتين»

فكدتُ اتميّز حنقًا ممّا سمعتُ واطرقت واجمًا لا انبس بكلمة. فلمّا رأتني كذلك تنفّست الصعداء وقالت: لا تنقضي حسرتي على تلك المخطوطات التي لو كانت قد بيعت في حينها لحصل منها للدير اموال هو اليها في احتياج ولكن ما نصنع بالجهل اذا كان صاحبهُ يجد عذرًا لنفسهِ في اقتراف ما يسوّلهُ من ضروب الفظائع والمنكرات

نعم ايتها الحاجّة الرقيقة الفؤاد انّ في إحراق مكتبتَي الاسكندريّة وفارس لعذرًا

للذين تولَوهُ وهم لم يقدموا على إعدامهما الَّا لاعتقادهم ان في تلك المصنَّفات ضلالًا. واما هؤلاء الوكلاء الاغبياء فايُّ عذرٍ تجدين لهم وقد احرقوا تلك المخطوطات عمدًا وتعصُّبا دون ان يأمرهم باحراقها الانجيل. او يغنيهم عن مضمونها الوحي والتنزيل. فلا تطلبي لهم عذرًا في ما ليس لهم فيهِ عذر ولكن قولي معي جهرًا كما قلتِ لي في السرّ: يا ليت شلَّت تلك الايدي قبل إعدامها مثل هذه الجواهر الكريمة فان من الاسفار ما تُبذل في صيانتهِ الاجساد بل من الآثار ما يقلُّ في فدائهِ دم الاكباد

ومَّا يزيد في هول هذا الخطب ان النار ظلَّت تشتعل اربعة ايام في تلك المخطوطات خلا ما أُحرق منها تحت القناطر كما يؤخذ من قول الوكيل حين اقبلنا في الغد نطوف غرف الدير. فلمَّا انتهينا الى القرن اراني موضعهُ وأخبرني في معرض كلامهِ عن نفقات المطبخ ان الخبزة عندهم تبتدئ مساء الخميس ولا تنتهي الَّا يوم السبت ففهمت عند ذلك معنى قول الحاجَّة لي : « خبزوا عليها خبزتين »

ثم دخلنا المكتبة فجعلتُ اقلِّب ما بقي من الكتب فيها فوجدت بعضها في اليونانيَّة في مجلدات قليلة وسائرها في العربيَّة لا يكاد يُرى فيها غير نُسخ الانجيل وتراجم القديسين وبعض الميامر بين مخطوط ومطبوع. وبينما انا انظر في اسماء الكتب اليونانيَّة عثرتُ على كتاب مخطوط في السريانيَّة قرأتُ في آخرهِ انهُ من وقف القس يوحنا ضوميط من قرية الكفور من جبل لبنان. فعجبت لهذا الاثر الباقي كيف غفل عنهُ حضرات الوكلاء ولم يخشوا من بقائهِ على ذهاب الدير. ثم التفتُ يسرة فرأيتُ ثلاثة وصولات بثلاثة كتب قد استعيرت من المكتبة منذ سنة ١٨٨٦ فاستغربت هذه العناية في ضبط الكتب والحرص عليها من الضياع ونظرتُ في الامضاء لاقرأ اسم المستعير فرأيتُ توقيعًا خُيِّل لي لاول وهلة انَّهُ ختم فتفرَّست فيهِ لاستوضح حروفهُ فاذا هو . . . أثر إصبعٍ فعلمت اذ ذاك كيف انتُهب ما بقي من المكتبة بعد ما أُعدم منها في الحريق

ومَّا يشهد بذلك ايضًا اننا لمَّا دخلنا معبد الشاغورة دنوت لاتفرَّس في الايقونة فلم ارَ في مكانها الَّا شبه صندوق من فضة قيل لي انها من ورائهِ فسألت الوكيل هل يعرف لها تاريخًا يُوثق بهِ فقال: بلى عندنا ههنا كتاب رُويت فيهِ قصَّتها بالتفصيل واشار الى راهبة بجانبهِ ان تأتيني بهِ ففعلت فتصفَّحتهُ قليلًا فاذا هو مجموع اخبار ذُكرت في

آخرها قصة الايقونة والراهب الذي ابتاعها من اورشليم . فتطلَّبتُ عنوان الكتاب لاعلم مَن مؤلفهُ وتاريخ تأليفهِ فلم ارَ لهُ مقدَّمة يمكن ان يُستفاد منها شيء . فنظرتُ في خاتمتهِ فاذا هو من نسخ« الحاجَّة تقلا غزال» . فقلتُ للراهبة التي اتتني بهِ : أليس عندكم الاصل الذي أُخذت عنهُ هذه النسخة . فقالت : هذه النسخة هي طبق الاصل تماماً . فقلت لها : ولكن للاصل قيمة ليست لهذه النسخة ولو اتيتِني بهـا لاستدللت من النظر في بعض حواشيها او من مطالعة الكتابة الملحقة بذيلها على زمن تأليفها او اسم مؤلفها ومكانه لان معرفة هذه الامور ضروريَّة لتقويم الكتاب وتعيين القـدر الذي يمكن ان يُركن اليهِ في قبول روايتهِ . ولو ناقشكم غداً غريب في صحَّة تاريخ هذه الايقونة وقِدَمها فبمَ تحتجُّونه أبشهادة هذه النسخة الحديثة ولا شيء يثبت لهُ سلامتهـا من التحريف والتصحيف لاسيما مع خلوّها من ذكر المؤلف وزمن التأليف . فقالت : ان الاصل ليس عندنا ولكن اخذهُ بعض الزوار . . . فخرجتُ عنـد ذلك وفي قلبي من الحسرة على ذهاب تلك الاسفار اضعاف ما أُشعل فيها من النار

شهيد العلم

بقلم محمَّد ابي عزّ الدين كاتب ضبط دائرة الحقوق الاستئنافية في جبل لبنان (تابع لما سبق)

ثم قام الدكتور مولّر عن كرسيهِ مرنَّحاً بما اعتراهُ من وهن القوى وتقدم الى المرآة المعلَّقة على الحائط ونظر فيها فاذا وجههُ اصفر وهيئتهُ تدلّ على سوء حالهِ وحينئذٍ نطق بهذه الكلمات : « يا والدي ووالدتي الحقّ اقول ان صحَّـة ولدكما ليست على ما يرام » . ثم تناول مقياس الحرارة الكلينيكي وقاس درجة حرارته فاذا هي ٣٧،٥ بمقياس سنتيكراد فسكن عندئذٍ روعهُ وقال : « توهمتُ اني مصاب بالطاعون ولا حمَّى في جسمي »

ثم اضطجع في سريرهِ ونام نوماً لم يذُقْ فيهِ طعم الراحة ولمَّا استيقظ في النهار التالي وجد صحَّتهُ اسوأ ممَّا كانت في الليلة السابقة واصابهُ صرع هو في الشدة غاية واذ نهض من سريرهِ تمايل كالشارب الثمِل وزاد عدد نبضاتهِ وارتفعت درجة حرارته حتى بلغت ٣٨،١ فشرع وقتئذٍ يتحرَّى ما الَمَّ بهِ متأنياً مستبصراً كأنهُ يفحص جماداً بالمجهر « المكرسكوب » وبعد التحرّي استنتج انهُ مصاب بالطاعون ومع ان بعض أعراضهِ لم

تكن ظاهرة فيهِ بعد ولا يمكن بدون ظهورها الجزم بهِ فقد ترجَّح عنــدهُ انهُ ذاك المرض المشؤوم او القضاء المحتوم وبعد ما اتمَّ التشخيص لبس ثوبهُ وهو على ما علمتَ من ضعفهِ وبحكم ارادتهِ انطلق الى غرفة « بيخا » ووصل اليها بعد العناء واخذ المطعون يعالج المطعونة . فوصف لها علاجاً يقوّي حركة قلبها ومكث عندها ساعة يهتمّ بها غير ملتفتٍ ولو لحظة الى ما هو عليهِ . ثم ما لبث ان خانتهُ قواهُ وانهكهُ المرض ففارقهــا مكرهاً وبالرغم عن غيرتهِ وتفانيهِ في المداومة على وفاء واجبٍ كان يسرّهُ وفاؤهُ سروراً لا مزيد عليهِ

ولمَّا انتهى الى غرفتهِ اهتمَّ اولًا بكتابة تقرير يقدّمــهُ لمدير المستشفى واصفاً بهِ حالة الفتاة المذكورة وعاد بعدئذٍ الى فحص ذاتهِ فانجلى لهُ كطبيبٍ وعالمٍ حقائق بهــا حقَّق انهُ مصاب بالطاعون وانهُ اشفى على الموت ومع جلاء هــذه الحقيقة لم يرهب الردى ولم يبالِ بانصرام الاجل بل تناول ورقة وكتب عليها ما يأتي:

« بما اني مصاب بالتهــاب الرئة الطاعونيَّة ارجو الَّا ترسلوا اليَّ طبيباً لاني في مطلق الاحوال ملاقٍ حتفي بعد اربعة او خمسة ايام »

ولصق هذه الورقة على زجاج الشباك وليتصوَّر القارئ مقدار الجزع الذي عرا طبيبَ المستشفى اذ قرأ على حــين غرَّةٍ ذلك الحكم حكم الموت الذي حكم بهِ الدكتور مولّر على ذاتهِ

وحالما فرغ الدكتور مولّر من تشخيصــهِ الآنف ذكرهُ حسب نفسهُ موضوعاً للدرس وواظب بتمام التأنّي والرصانة وبكمال التــدقيق العلمي على درس هذا المرض وكيفية ابتدائهِ وماهيَّة سيرهِ واستدراجهِ مستغنياً بخــبرة وافية اكتسبها في بمباي وبقي الى آخر ساعة من حياتهِ صارفاً افكاره الى ترقية العلم مستقرئاً حالتــهُ في كل ربع ساعة فاحصاً مدققاً مدوّناً ملاحظات اختباره بجسمهِ معيّناً الموضع الذى احسَّ بالالم فيهِ اولًا مداوماً قياس الحرارة وعدّ التنفُّس والنبضات مبيّناً كيفيَّة سير الحمى وبالجملة قد كتب بعبارة موجزة مفيدة كلَّ ملاحظة ارتأى ان لا بدَّ منها لمعرفة هذا المرض وشرح في خلالها حادثة باريش المذكور من بدايتها حتى نهايتها

وكان يكتب نتيجة اختباره العلمي بجسمهِ على اوراق صغيرة يلصقها على الشباك ولم ينفك عن ذلك الَّا بعد ان وهنت قوّته وعجز عن الكتابة . وهذا تفــانٍ ما سمع

شبيههُ وما روى مثيلهُ الرواة وما ابتدع نظيرهُ القصَّاصون

ثم اشتدت عليهِ وطأة المرض حتى اضطُرَّ الى ملازمة الفراش وقويت عليهِ الحمى حتى لم يستطع تدوين ملاحظاتهِ فالتمس بعدئذٍ من الراهبة القائمة على خدمتهِ ان تكتب ما لقَّنها اياهُ بلسان متلجلج من التأَمُّلات والدقائق العلميَّة متوخيًا بذلك خدمة غيرهِ من الاطباء الذين يُعنوَن بعدهُ بدرس هذا المرض ولم تفتر همَّتهُ ولا التمس الراحة قطّ بل انتهز كل فرصة لتدوين ملاحظاتهِ . وكان اذا نابتهُ نوبة حالت دون مرامهِ ترقَّب زوالها وعاد بعدهُ الى اثبات ما رآهُ واختبرهُ وما انفكَّ عن ذلك حتى النزاع الاخير ولم يرهب الموت بل لاقاهُ غير جازع منهُ

امَّا عن رقة عواطفهِ وحبهِ الغير واهتمامه بعمل الخير فحدّث ولا حرج ومن الدلائل الساطعة على خلالهِ الطيّبة انَّهُ الحَّ اشدّ الالحاح على الدكتور بوخ (D^r. Rudolph Poech) بالامتناع عن دخول غرفتهِ . والدكتور بوخ هذا طبيب في مقتبل عمرهِ وهو احد اعضاء البعثة النمسويَّة المقدم ذكرها وخاطبهُ بهذا الصدد قائلًا: « لا ارى في ذلك مصلحة ما ولا رجاء بالشفاء ولهذا لا ارضى ان تعرّض نفسك للخطر من اجلي »

ومنها انهُ كان عند السعال يدور ملتفتًا الى الحائط متحولًا عن الراهبة الممرّضة ثم يسعل ويتفّ في خرقة صوف وقطن مبلولة بالكربول و يلفُّها بخرقة اخرى ناشفة قبل ان يناولها اياها لتحرقها

وممَّا يدل ايضًا على كرم مهزَّتهِ قولهُ للدكتور بوخ: « ان جراثيم الطاعون لا تتلاشى ولا تضمحلّ الَّا بالنار واري ان تحرقوا جثَّتي حذرًا من ان تكون سببًا لتفشي هذا المرض المخيف » . ولم يقتصر على هذا الخطاب الشفاهي بل استكتب ممرّضتهُ كتاب وداع بعث بهِ الى والديهِ وفيهِ صرَّح لهما برايهِ هذا . وهذه الممرّضة قرأت مكتوبهُ والشباك مغلق على مسمع من راهبة اخرى كانت واقفة في صحن الدار وتلك كتبتهُ وهو آخر مكاتيبه ومنهُ يتَّضح صفاء ذهنهِ وكمال تأَهُّبهِ لآخرتهِ وبهِ يُعرف ثبات جنانهِ عند حلول اجلهِ . وهذا نص كتابهِ المرويّ عنهُ :

ڤينة في ٢١ تشرين الاوَّل سنة ١٨٩٨

سيديَّ الوالدين العزيزين

«لا ريب في اني مصاب بالطاعون واؤكد ان الموت واقع لا محالة بعد ساعات قليلة . وقد رأيت اوَّل واجب عليَّ يا والديَّ العزيزين ان استودعكما اذ لم يبقَ لي رجاء لمشاهدتكما في هذه الدنيا راجياً ان تصفحا عني بما سببتهُ لكما من الاكدار وان تبقى وصيَّتي التي كتبتها قبل سفري الى بمباي جارية على حكمها

وحذراً من ان يتعرَّض احد للخطر بسببي ارجو ان تُحرَق جثَّتي على عرمة حطب ويجمع رمادها وبعد تطهيرهِ يدفن بجانب مدفن جدَّتي لامي . واختم كتابي باسم ايديكما

ولدكما المحب هرمان

ويلي هذا الكتاب حاشيةٌ بيَّن فيها اشياء خاصَّة بهِ معلناً محلَّ وجودها وكيفيَّة التصرُّف الواجب بها

ولمَّا اكمل تلقين كتابهِ هذا على الراهبة اوصاها بان تبقي الصورة الاصليَّة في الغرفة وحرَّصها كلَّ التحريص بان لا تتسامح باخراجها منها بايِّ سبب كان على وجه الاطلاق . ومما قالهُ لها انهُ يفضّل ان لا ترسل كلمات الوداع هذه الى والديهِ على ان ترسل اليهما وتكون ذريعة لنقل العدوى الى غيرهِ الى ان قال: «ولو علمتُ قبل موتي ان العدوى سرت مني الى احد لمَا فاضت روحي بسلام »

ثم رسم للراهبة الطريقة التي ينبغي ان ترسل بها تلك الرسالة فوعدتهُ باتباع ما رسمهُ من هذا القبيل فشكر لها شكراً جزيلًا

وكان على الدوام يستطلع احوال « ألبين بيخا » ويسأل الدكتور بوخ عمَّا اذا كان احد أُصيب بالطاعون في ڤينة وبوخ كان يجاوبهُ نافياً وجود اثر الوباء في العاصمة فيبتهج بهذا الجواب ويطرب . ولم يكن ليكتم اعراض مرضهِ عن الدكتور بوخ بل كان يوضحها تماماً مع بيان ما يحسّ بهِ متأنياً في البيان . وكانا اذا اجتمعا كأنهما طبيبان يتشاوران ويتحاوران بمحادثة مفيدة ذات شأن تتعلق بشخص ثالث ولم يسمع من موَّلر ادنى شكوى في مدة مرضهِ

اخيراً اشتدَّ مرضهُ واستعجل سيره وارتفعت درجة الحمَّى بوقت قصير وامست حالتهُ اشد خطراً من حالة الممرّضة « بيخا » وبعد مضي بضع ساعات على اضجاعهِ في سريرهِ بلغت الحمى ٦ ' ٤٠ ْ بمقياس سنتيغراد ثم سعل وخرج مع سعالهِ كميَّة وافرة من الدم

وبعد هذا طلب الدكتور مولّر ان يتزوَّد الاسرار الاخيرة فجاء قسّيس المستشفى ووقف مقابل شباك غرفته على مسافة اذ لم يؤذن له بدخولها واتمَّ من ثمَّ الواجبات الدينيَّة لذاك المحتضر بمشهدٍ كان عنوان الخشوع. ولمَّا وصل القسيس قعد المريض في سريره وصلَّى ثم قال بصوتٍ عالٍ سمعوه خارجاً: « اتوب نادماً على كل خطاياي ». وجثت الراهبة ممرّضته على ركبتيها بجانب سريره وصلّت لاجله صلاة حارَّة. ثم ان القسيس حلَّ الدكتور مولّر ولفَّ القربان بمنديل غُطي الكأس بهِ وفتحت الشباك واخذتهُ وقدَّمته للمريض فتناولهُ ووضعهُ في فمهِ بكمال الخشوع والتوقير ثم فاضت روحهُ. وكانت مدَّة مرضه يومين فقط

وبعد ما تحقق الدكتور بوخ ان صديقهُ الصدوق ورفيقهُ الباسل مات رأى من واجباتهِ ان يتولّى تكفينهُ كما تولَّى المتوفَّى تكفين باريش الذي التقط العدوى منهُ على الارجح. وقد باشر الدكتور بوخ بمعاونة الراهبتين تكفينهُ متحوطين قدر استطاعتهم

وفي صباح اليوم التالي قبل بزوغ الشمس خرجوا من مستشفى فرنسيس يوسف برُفات مولّر موضوعة في نعش بسيط وساروا بها الى المقبرة الكبرى في ڤينة ودفنوها في الزاوية القصوى بالمقبرة الوسطى ولم يحضر دفنهُ سوى اخوتهِ وبعض خلّانه الذين انبثوا بميقات الدفن. ولمَّا وصلوا بالنعش الى المدفن دفنوهُ فيهِ ولم يؤذن لاحد بالدنو من قبرهِ حتى ان الكاهن الذي صلَّى على الجثة اوجبوا عليهِ ان يكون على بُعد عشرين خطوة منها. ومع هذه الظروف الخارقة العادة تمَّت صلاة الدفن محفوفة بالوقار والخشوع وكانت بعض الفاظها الشجيَّة تثير اشجان اقاربهِ وخلّانهِ فتتصاعد زفراتهم وتتوالى حسراتهم

اخيرًا انتصب الاستاذ الدكتور ڤون فرانكل وأبَّنهُ تأبينًا مستجادًا ختمهُ بهذه الكلمات: « انَّك وان قصرتْ مدَّة عملك فحياتك كانت كاملة وهي عبارة عن نشيد نتغنَّى فيهِ بسجيَّتين من اسمى السجايا ألا وهما امانتك في اتمام الواجبات وشجاعتك الادبيَّة ولم تكن حياتك لتنقضي بالباطل ما دام اسمك قد كتب مع اسماء شهداء العلم »

وقد عمَّ بموتهِ الاسفُ سكَّان ڤينَّة واشتركوا بالحداد على هذا الطبيب الشاب الباسل وعند ما اقترحوا إقامة تمثال لهُ يُنصب مع تماثيل غيرهِ من العظماء في باحة

الكليَّة الطبيَّة بمدرسة ڤينَّة انهالت الاكتتابات من كلّ صوب

وبعد موت الدكتور مولّر باسبوع واحد ماتت الممرّضة بيخا ولم يتعدَّ هذا المرض الى غيرها. امَّا الدكتور بوخ والراهبتان الذين أدّوا الامانة مخلصين في خدمتهم بالمأوى المذكور فلم يطرأ على صحّتهم ما يشوّشها بل بقيت صحيحة سالمة وكافأهم جلالة الامبراطور فرنسيس يوسف بمنحهم وسامات جديرة باخلاصهم وامانتهم. انتهى

هذه طرفة من تاريخ ذاك النطاسي المحمود الاثر يراها القارئ حاوية مثال الآداب الكاملة متبطنة العواطف النبيلة والفوائد الجليلة متضمّنة من شواهد المرؤة والشهامة والتفاني في خدمة العلم والبشرية الى غير ذلك من الفضائل السامية ما ليس وراءهُ زيادة لمستزيد. وأخلِق بالنمسويين ان يفاخروا ويفتخروا بهِ كما افتخر الفرنسويون بپاستورهم واحرِ بهم ان ينصبوا لهُ تمثالًا بديعًا يخلّد ذكرهُ الطيّب الى ما شاء الله

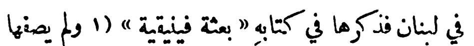
تسريح الابصار

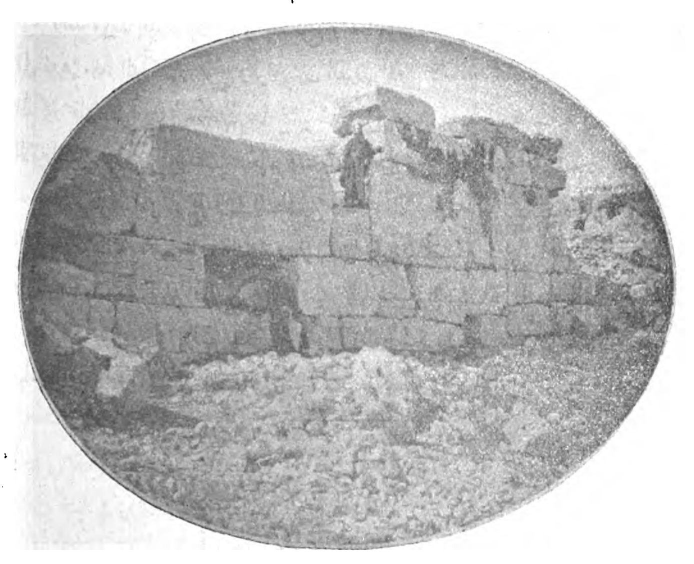
في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٨ مِعْراب

مِعراب مزرعةٌ على عِطف الجبل بين دلبتا وعين ورقة تبعد نحو كيلومترٍ ونصف من عين ورقة في شرقيّها بجهة ريفون. فيها آثار ماثلة يعرفها اهل تلك الضواحي بقلعة معراب او يدعونها بمطلق اسم القلعة. والارجح ان هذه الاخربة احدُ الهياكل العديدة التي ابتناها ارباب الدين القديم على مشارف لبنان تعزيزًا لديانتهم. وهو نِعم الموقع يمتدّ منهُ البصر جنوبًا الى بيروت وبحرها اللازوردي وشمالًا الى جبيل وبطائحها الخضراء. والآثار الباقية عبارة عن حيطان ضخمة الحجارة طولها ٢٥ مترًا في ١٠ امتار عرضًا و ٦ امتار علوًّا. وقد قيست بعض الحجارة فاذا طولها يبلغ خمسة امتار بنيّفٍ في عرض مترين. وفي البناية حجاة متّسعة محفورة في الصخر ذات حافّة ينفذ فيها سقايةٌ لعلّها جُعلت قديمًا لتجري فيها دماء الذبائح وأسكاب التقادُم. وهذه غاية ما نعلمهُ عن هذه البناية التي أعلن اوّلًا امرَها اليسوعيّون في غزير فأرشدوا اليها رينان ايّام سياحتهِ


في لبنان فذكرها في كتابهِ « بعثة فينيقية » (١ ولم يصفها



آثار قلعة معراب

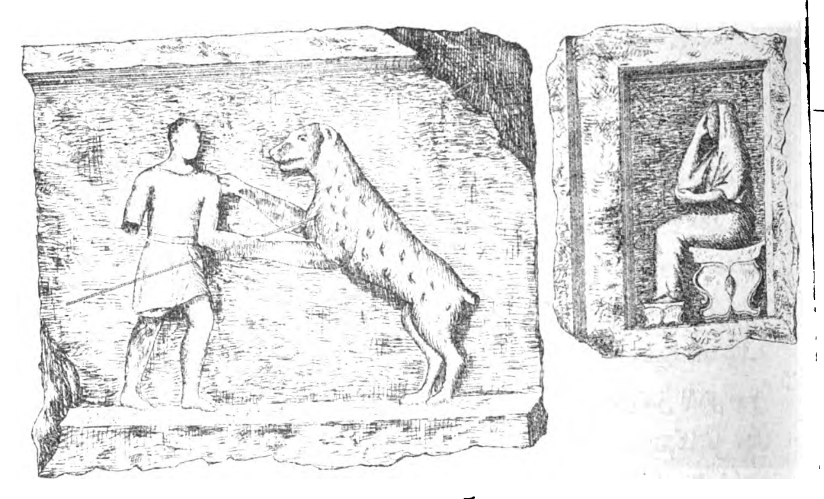
٩ غينة

فاذا انحدرنا الآن من مزرعة مِعراب وعبرنا وادي غزير ثم اتّجهنا الى ناحية كفور (٢حيث تنتصب قمّة مستديرة الشكل تُعرف برأس الكنيسة وجدنا على مسافة نحو كيلومترين منها بجوار قرية غينة صخرةً منفردة يبلغ علوّها بضع امتار وللصخرة المذكورة وجهان الشماليّ والشرقيّ قد نحتهما القدماء فنقشوا في كلّ منهما ثلاث تصاوير ناتئة طمس الدهر قسماً منها وكُسر منها قسمٌ عمداً. واوّل من وقف من العلماء على هذه النقوش الغريبة الابوان اليسوعيّان بوركنو (Bourque-noud) وروز (Roze) في سنة ١٨٥٧ ورسما صورها في مجلة الابحاث (٣

فالجهة الشرقيّة وهي الكبرى تمثّل بطلاً عبل الذراعين شديد الجسم في يدهِ رمحٌ

---

١) راجع Mission de Phénicie, p.328 ٢) راجع ما ورد عن كفور في الكتاب السابق ذكرهُ (ص ٣٢٧) ٣) راجع Etudes Religieuses, 1861



آثار غينة

مُشرع كأنهُ متحفّز للقتال وقد صوَّب بسنانهِ الى صدر حيوان ضارٍ هجم عليهِ وسند احدى قوائمهِ الى كتفهِ كأنهُ يحاول افتراسهُ. والشخص المنوَّه بهِ لابسٌ ثوبًا خفيفًا وهو شعار لا يكاد يبلغ ركبتهُ تضمُّهُ حبكة عند وسطهِ. امَّا هيئة الحيوان فهي اقرب الى الدبّ منها الى الاسد. وقياس القسم المنحوت من الصخر يبلغ مترًا و٩٦ سنتيمترًا علوًّا ومترين و٨٨ س. عرضًا

وبقرب الصورة الموصوفة آنفًا نقشٌ آخر اصغر منهُ يمثّل امرأةً رشيقة القدّ جالسة على مقعد تراها كسيفة البال كئيبة وهي تميل بوجهها الى صورة البطل القاتل. وعلى رأسها قناع يبلغ طرفاهُ الى وسطها. امَّا رجلاها فتسندهما الى مسند نقوشهُ على مثال المقعد التي هي جالسةٌ عليهِ

وفي الجهة الثانية من الصخر على شمال هذه التصاوير رسوم اخرى بيد انَّها داثرة مطموسة. وممَّا يظهر منها جليًّا صورة شخص منتصب يتّكئ الى شبه سهم او صولجان تلوح على وجههِ امارات السكينة والوقار. امَّا بقيَّة التصاوير فلا سبيل الى وصفها او اثبات رسومها لاندثارها وما لا شكَّ فيهِ انَّ ثمَّ صورة حيوان ولعلهما وحشان. وللاب العلَّامة بوركنو (١ مزاعم في شرح تصاوير هذا النصب الثاني لا يوافقهُ عليها العلماء

وما من شأنهِ ان يكشف عن سرّ معنى هذه النقوش انَّ تحت رسوم الجهة الشرقيَّة مغارةً نُحتت في الصخر

ولا ريب ان هذه البقايا تنبئ بآثار من تعبُّد اهل فينيقية لأدونيس او تموز (٢. ولعلَّ الاحاديث الشائعة بين القوم كانت تشير الى قرية غينة وتروي عن موت هذا الاله انَّهُ قُتل في هذا المكان فناحت عليهِ امّهُ الزُّهرة او عشتاروت. امَّا المدفن فالمرجَّح انَّهُ نُحت تخليدًا لهذه القصَّة لا لتمثيل قبر حقيقيّ

وما يَحسن ذكرهُ هنا ما ورد عن مأتم تمُّوز في سفر حزقيال اذ رأى هذا النبيّ رجسًا في الهيكل فوصفهُ بقولهِ (حز ٨: ١٤): «واتى بي الى مدخل بيت الربّ... فاذا هناك نساءٌ جالسات يبكينَ على تمُّوز»

على انَّ هذه الرسوم الدينيَّة لا يتضح معناها تمامًا الَّا بمقابلتها بآثار اخرى صبرت على الأيام عند قرية المشنقة

١) راجع مجلَّة الابحاث Etudes, 1861, p. 945 ٢) ومدلول كلا الاسمين واحدٌ

١٠ المَشنقة

موقع مآثرها الجليلة في وادي نهر ابراهيم على ربوة ذات قطع عموديّ مشرفة على النهر ولتلك الضواحي منظر يجمع بين الحسن والغرابة . امّا الآثار التي تستلفت الخاطر في المشنقة فاربعة :

(الاولى) عبارة عن سور مربَّع مستطيل تكسيرهُ ٩٥ مترًا طولًا في ٥٠ عرضًا . وباب البناء من جهة الشرق . والظاهر انَّ هذا التربيع كان يحدّ سابقًا المعبد والابنية اللاحقة بهِ كما ترى في قلعة فقرا وفي حصن سليمان في بلاد النصيريَّة وغيرها . وحائط السور قليل السمك بسيط البناء يستند في جهتهِ الشماليَّة الى صخر . وفي داخل السور في الجهة المقابلة للباب بقايا اساس مربَّع بُنيت فوقهُ عواميد لم يبقَ منها غير حجارتها السفليَّة . وقد اتُّخذ جانب من اخربة هذا البناء لعمارة حديثة

واذا احفينا في البحث عن اصل هذه الاطلال وجدنا انها كانت هيكلًا يتوسّط السور الذي ذكرناهُ . وكان لهذا الهيكل اعمدة من الطراز الهندسي القورنثيّ يعلوهُ شبهُ هرم مخروط الشكل بقي منهُ حجران منقوشان نقشًا بديعًا

والآثار (الثانية) على شمال السور الموصوف تبعد عنهُ ١٢٠ مترًا . فهناك مجاز قد نُحت في الصخر ونُقش على جانبيهِ رسوم قديمة . وفوق هذا الصخر نواويس ضخمة منقورة في الصخرة على شكل أجران مستطيلة لها اغطية مخروطة الجوانب . امّا النقوش فهي بارزة وهي سبعةٌ عدًّا ففي مدخل المجاز المذكور صورتان عظيمتان متقابلتان من كلّ جانب وهما منقوشتان في ضمن إطار او كوًى من صنف الهندسة الايونيَّة ويلاصق هاتين الصورتين من جانبيهما صورتان اخريان اصغر منهما ولكلّ منها اطار متقوّس كما ترى في الصورة (ص ٥٩٧) . والصورة السابعة وهي متوسّطة في الكبر نُقشت في الصخر منفردةً عن بقيَّة التصاوير من جهة الشرق

واحدى الصورتين الكبيرتين التي على يمين العابر في الصخر تمثّل بطلًا لبسهُ كالشخص الذي وصفناهُ في نصب غينة . ولعلّ الصورة الموازية الدارسة لِقدمها تمثّل امرأة تنوح . وامّا اشخاص الصور الصغرى التي على طرَفيْ الصورتين الكبريين فمن تبعة الشخصين المتوسّطين تراهم يحدجونهما بالنظر ويتأثّرون بحركاتهما

ومعنى هذه التصاوير اذا قوبلت بتصاوير غينة يتَّضح جليًا وانّما تمثّل نبذة من

ترجمة تموز اعني موتهُ ومناحة الزهرة عليهِ. قال مكروب المؤرخ اللاتيني(١): «والزهرة مصوَّرة في لبنان مقنَّعة الرأس كئيبة الوجه تسند رأسها الى شمالها المحتجبة بردائها»(٢

والاثر (الثالث) من آثار المشنقة على مسافة عشر دقائق شرقاً من باب السور فهناك ساحة بُني فيها في القرون الغابرة معبد صغير اخربهُ بعض طلّاب الكنوز منذ سنين قليلة. وبين الرَّدْم نُصب أُقيم ذكرًا للبعل وفي راس النُّصب اكليل وعلى طرفيهِ نقوش تمثّل الصاعقة (٣

امَّا الاثر (الرابع) فهو في شمالي غربيّ السور الاعظم فهناك أبنية من ضيعة سكنها قديمًا النصارى والدليل على ذلك انَّ من جملة الاخربة كنيسة على هيئة الكنائس البوزنطيَّة. ولعلَّ النصارى احتلّوها الى ايَّام الفتح الاسلاميّ

هذا وقد بحثنا عن اسم المشنقة القديم فلم نجدهُ وكذا قُل عن اسمي غينة ودير القلعة فانَّ التواريخ القديمة لم تُفِدنا من امرها شيئًا. وما لا شبهة فيهِ انَّ هذه المعابد التي وصفناها أُقيمت لاكرام تموز إله الجُبيليين وكان ذكرهُ شائعًا في تلك الانحاء وكثرت الهياكل على اسمهِ. يُستدل على ذلك من اسم نهر ابراهيم عند القدماء وكانوا يدعونهُ ادونيس (Adonis) وهو تموز. امَّا عهد هذه الابنية فمجهول ايضًا لكنَّهُ على الاصحّ يسبق زمن تملُّك الرومان على سوريَّة ولبنان (ستأتي البقيَّة)

الطاعون الدملّي

مقالة للاب لويس بولوموا مدرّس العلوم البكتريولوجيَّة في مكتبنا الطبيّ (تتمَّة)

٢ في اعراض الطاعون

لمَّا اكتشف بَستور ذلك العلّامة المفضال مجد فرنسة واحد مشاهيرها المبرِّزين انَّ لأكثر الادواء العَفنة المنتشرة بالعدوى بين الناس والبهائم ميكروبًا خاصًّا قائمًا بذاتهِ لم يستثنِ عن هذا الحكم داء الطاعون وان لم يتيسَّر لهُ إفرازُ هذا الباشلُّوس وبيان خواصِّهِ النوعيَّة

ومن الامور الحريَّة بالاعتبار انَّ احد علماء الرهبانيَّة اليسوعيَّة كان سبق اهل

---

١) راجع كتابهُ Saturnales I, 21 ٢) وسنورد صورتها الموصوفة هنا في عدد قادم
٣) راجع بعثة فينيقية Mission de Phénicie, Pl. XXXII

عصرنا الى تعريف ميكروب الطاعون الدُّمَّلي ووصفهُ في تأليفٍ لهُ عن السموم وصفًا مدقَّقًا كأنهُ نقلهُ عن بعض الكتبة الحدثين الذين يفتخرون بتعليلهم لوباء الطاعون. والراهب المذكور هو الاب اثناس كيرخر (A. Kircher) الالمانيّ صاحب الاكتشافات الغريبة كالفانوس السحريّ والمجهر. امَّا قولهُ عن باشلوس الطاعون فقد رواهُ في السنة الماضية المعلم بَليون مدرّس علم النبات في كليَّة باريس واثبتهُ في كتابهِ الحديث عن النبات الطبّي (١ بعد ان أثنى على قائلهِ ثناء طيبًا وصادق على صحَّة كلامهِ. فدونك تعريب ما كتبهُ كيرخر سنة ١٦٥٨ ميلاديَّة :

« ان علَّة الطاعون ذرَّاتٌ صغيرة حيَّة تجد في جسم المُصاب تدرُّنًا يصلح لنموّها وانتشارها بنوعٍ عجيب. وهذه الحُيَيْوينات غايةٌ في الصغر والدقَّة حتَّى انَّ البصر لا يدركها البتَّة وانَّما يُطَّلع عليها بمجاهر حسنة مكبّرة. والذي يراها يعدُّها هباء لكنَّها في الواقع اجسام حيَّة تنمو نموًّا غريبًا لا يفي بعددها إحصاء. وهي تنبثّ في كلّ مكان فتلصق بكل الادوات وتنفذ في مسامّ الاجسام مهما كانت ناعمة دقيقة... ويمكن سمّ الطاعون ان يتولَّد من تدرُّنات الاخلاط الباطنة الَّا ان الاخلاط ذاتها تُفرز درَنًا الَّا اذا امتزج بها شيء من الجراثيم العفنة بنفوذهِ من الخارج في الجسم مع المآكل. فاذا ولج الدرن المذكور في الجسم افسد اخلاطهُ وجعلها قابلةً للتسمُّم. ولكلّ صنف من التدرُّنات جراثيم خاصَّة تولّد وباء خصوصيًا ». تمَّ قول الاب كيرخر

والحقُّ يقال انَّ هذا الوصف يعرّف ميكروب الطاعون تعريفًا نِعمًا بل يفسّر باجلى عبارة اكثر مطالب العلوم البكتريولوجيَّة الحديثة كوجود الميكروب وافرازهِ لموادّ سامَّة تُفسد(٢ الاخلاط البدنيَّة ونموّهِ السريع ونوع انتشارهِ. فلا ينقص لتتمَّة هذه المباحث سوى الكلام عن تربية الميكروب وطرق الوقاية من اضرارهِ

بيد ان الادوات التي كان يتداولها علماء ذلك الزمان لأرصادهم العلميَّة كانت عزيزة الوجود لم تبلغ الكمال العظيم الذي اتَّصل اليهِ مُجهّزو الآلات الرصديَّة لاسيما المجهر فانَّ عدساتهِ الحاليَّة ضامنةٌ لكل الاسباب المسهّلة لحُسْن الرصد والتشخيص من

---

١) راجع Baillon : *Botanique médicale cryptogamique, p.* 210

٢) كذا دعا الاب كيرخر المكروب. وهكذا ارتأى الپستور وقد اجمع اليوم العلماء على انَّ الميكروب نقاعيَّات من انواع الفُطر (راجع المشرق ١ : ٧٣)

حيث تعظيم المرئيّات وإنارتها بانوار ساطعة تكشف عن خفيّاتها. فلهذا السبب بقي اكتشاف الاب كيرخر نسيًا منسيًّا في زوايا المكاتب الى هـذه السنين الاخيرة حيث فشا الوباء في تخوم الصين وعاد العلماء الى البحث عن كهنهِ واعراضهِ. فاحرزت مساعيهم النجاح التامّ وتمكّنوا من العدوّ المتستّر في الدمامل الوبائيّـة فاخرجوهُ من مكمنهِ وبحثوا عن مقاتلهِ ليردّوا بالعلاج كيدهُ في نحرهِ

وانّما الفضل في اكتشاف جراثيم الطاعون يعود لأستاذَين عالمَين وقفا عليهـا في وقت واحد دون ان يتواطآ على العمل احدهما فرنسيّ وهو الدكتور يرسين (Yersin) الطبيب الاعدادي في مكتب بستور سابقًا واحد اطبّاء المستعمرات حالًا امّا الثاني فهو يابانيٌّ يدعى الدكتور كيتازاتو. وقد اتّصل كلاهما الى إفراد ميكروب العدوى بطريقة خاصّة فجعلا يُنعمان النظر في خواصّهِ الحيويّة ويتبيّنان اعراضهُ ويصفان مفاعيلهُ وقد كتبا في ذلك مقالات مسهبة منذ سنة ١٨٩٤ ونشراها في عدّة مجلّات علميّة لاسيّا « نشرة مكتب بستور » و« مجلّة المكتب العلميّ الباريسيّ » وليست مقالتنا هذه الموجزة سوى خلاصة ابحاثهم ولُباب اقوالهم

كان الطاعون تفشّى في احد اقاليم الصين الجنوبيّة يدعى يونّام منذ بضع سنوات فسرى في اواسط آذار الى كنتون واجتاح من اهلها ٦٠٠٠٠ ثمّ تعدّى بعد قليل الى هنغ كنغ فحصد من اعمـار الصينيين ما حصد فتخوّف الفرنسيّون على املاكهم في التنكين والهنـد الصينيّة لما بين هذه المستعمرات واقاليم الصـين الوبيئة من الحركة التجاريّة. فاخذ اصحاب الامر يفكّرون في الوسائط لتلافي الشر قبل ان يستشري ويتّسع. فتقدّم وزير المستعمرات الى الدكتور يرسين بان يُبحر الى هنغ كنغ من الاملاك الانكليزيّة فينقطع الى البحث عن الطاعون واسبابهِ وطرق الاتّقاء من بلائهِ. فلمّا قدم البلد ونال من الحكومة الانكليزيّة الرخصة للحلول في مستشفى المصابين بالعدوى جعل من وقتهِ يُجري الاختبارات العديدة لبلوغ مرامهِ. واوّل ما تحقّقهُ ان وباء هنغ كنغ هو نفس الطاعون الدمّلي الذي وصفهُ المؤرّخون في القرون الماضية وخصوصًا المؤرّخ اڤاغريوس في عهد يستينيان الملك كما ذكرنا اذ وجد يرسين كلّ الاعراض التي اشار اليها ذلك الكاتب المدقّق كقولهِ انّ مدّة ايّام الحضانة تبلغ اربعة ايّام ونصفًا يحسّ المصاب في اثنائها بتوعّك المزاج وانحطاط القوى وصُداع وحمى خفيفة وهذيان. ومن اعراض المرض

انَّ الداء يعضلُ بغتةً وتقوى الحمّى وتظهر بَثْرة وحيدة او اكثر تكون في الغالب عند الأربيَّة وربَّما كانت تحت الابط وفي بعض الاحيان عند نقرة القفا او غير اماكن. ثم تعظم الغدَّة المجاورة للبَثْرة وتبلغ كبر البيضة. وعاقبة كل ذلك الموت بعد ٤٨ ساعة او اقلّ. واذا عاش المريض فوق خمسة او ستَّة ايَّام تكون الدلائل حسنة وترتخي الدُّمَّلة ويجوز بزلها لتخرج منهُ المِدَّة وكثيرًا ما تتفجَّر من تلقاء نفسها وليس الشفاء حينئذٍ تامًّا بل يحدث مرارًا ارتباكٌ في حالة المريض يذهب بحياتهِ

وفي بعض الاصابات يتفاقم الداء بسرعة غريبة ويأتي بالموت الوحيّ قبل ظهور الدمامل ولكن يصحبُ المرضَ نزيفٌ دمويّ في الاغشية المخاطيَّة وبُقع حمراء على الجلد. ولعلَّ هذه الظواهر هي التي حملت بعض الاطبَّاء على قولهم انَّ الدمامل ليست من اعراض الطاعون الواجبة. ولكن ليس ذلك الّا نادرًا اذا اعضل الداء وسبق سيفُهُ العذل

امَّا الموتان فقد لاحظ الدكتور يرسين انَّهُ مريع هائل يربي على كلّ الاوبئة الاخرى. وكان معدَّل الوفيات في مستشفيات هنغ كنغ يبلغ ٩٥ في المئة اعني لا ينجو الّا الواحد في العشرين. ولمَّا انتشر الوباء من ثمَّ وضرب باطنابهِ في الهند الانكليزيَّة تحقَّق الاطبَّاء قول الدكتور يرسين وصادقوا على ملاحظاتهِ

٣ تعريف ميكروب الطاعون

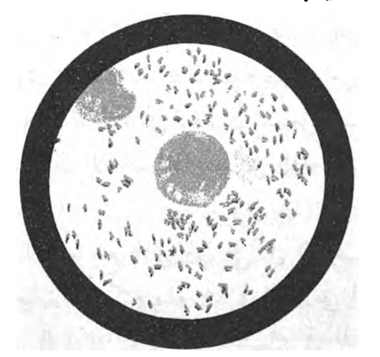
ثمَّ اخذ الدكتور العالم المذكور يبحث عن ميكروب الداء الذي في دم المصابين او في قيح دماملهم هل باشلوس الطاعون يختلف عن باشلوس الادواء الاخرى فما لبث ان تقرَّر لديهِ انَّ للطاعون ميكروبًا قائمًا بذاتهِ ومن صفاتهِ انَّهُ غايةٌ في القصر مكتنزٌ مستدير الاطراف امَّا قصرهُ فبين ميكرونٍ او ميكرونين (والميكرون ١/١٠٠٠ من اللّمتر) تراهُ في شكلنا الاوَّل مكبَّرًا (ص ٦٠٤). والباشلُوس المذكور ينتشر في اخلاط البدن ولا يدخل الدم الّا اذا كان من النوع الخبيث الوبيل الآفات

وينمو ميكروب الطاعون في الاعضاء الباطنة كالكبد والطحال. الّا انَّ صغر جراثيمهِ الآليَّة لا يسمح بدرس أعراضها طالما هي في الجسم. فمن ثمَّ لا بدَّ من ان تُستخرج من كمينها وتُمدّ على صفيحة من الزجاج وتُلوَّن بمحلول احمر من الفوشين (fuschine) او ازرق من الميتيلين (méthylène) او بنفسجيّ من الجنطيانة (gentiane)

فاذا اصابت المادّة الملوّنة الميكروب تلوَّن من ساعتهِ بلونٍ ناصع الّا وسطهُ فانَّهُ يبقى فيهِ فضاء مستدير لا يتلوّن

امَّا تربية ميكروب الطاعون فانَّ الدكتور يرسين اخذ لذلك شيئاً من قيح الدمّلة الطاعونيَّة وجعلهُ في احدى الموادّ الغذائيَّة كالحساء والمصل والجيلاطين فوجد انَّ الميكروب المنتشر صناعيًّا يختلف عن الميكروب العاديّ لاسيما اذا نما في الحساء فانَّهُ يشبهُ سلاسل متَّصلة الحلقات. وفي وسط السلسلة او طرفها غدَّة كرويَّة ناصعة اللون





مدَّة دُبَيْلة الطاعون مكبَّرة ملوَّنة حراثة ميكروب الطاعون (عن الدكتور يرسين)

وممَّا يجدر بالملاحظة انَّ الميكروب في هذه الأغذية الصناعيَّة لا ينتشر بسرعةٍ في اول الامر وانَّما نموهُ بعد بضعة ايَّام. ومنهُ ما يتوفَّر عديدهُ ويتزايد قبل غيره. فاذا اخذتَ هذه الجراثيم الحديثة وجعلتها في انابيب مجهَّزة لحراثة الباشلّوس انتشرت بزمن قليل انتشارًا غريبًا لكنَّ قوَّتها السامّة اخفّ من الاولى فاذا لقَّحتَ بها حيوانًا لم تقوَ على قتلهِ او قتلتهُ بعد زمن مديد. ويُمكن تلطيف شدَّة الباشلوس بحراثتهِ المتوالية بحيث لا يبقى منهُ ضرر. وممَّا تقرَّر بالتجربة انَّ ميكروب الطاعون في اوَّل ظهورهِ وخيم العقبى يفتك اذ ذاك فتكًا ذريعًا ولا يزال يخفّ قوَّةً بانتشارهِ حتى يضمحلَّ تمامًا. وربَّما بقي الميكروب في بلدةٍ سنين طويلة لا بأس منهُ فاذا ساعدتهُ الاحوال كرَّ راجعًا وابتلى بعدواهُ الاقطار ثانيةً

وللسائل ان يسأل هل لميكروب الطاعون حياة طويلة وهل تقوى منهُ العوامل الطبيعيَّة دون عناء

جوابنا على هذا السؤال انَّ الميكروب عموماً جراثيم نباتيَّة تنمو وتتوالد. وكلُّ نبات من حيث نموّهِ يغتذي ويربو ومن حيث توالدهِ ينتج بذرًا ان كان من طبقات النبات العليا وجراثيمَ صغرى ان كان من طبقاتهِ السفلى. فاذا اعتبرنا نبات الصنف الاوَّل وجدنا كثيرًا منهُ لا يعيش سوى شهور ثم يأتي ببذرهِ ويهلك. اماَّ البذر او الحبُّ فانهُ ربَّما عاش سنين طويلة بل اجيالًا عديدة دون ان يفقد قوَّتهُ النابتة فتتوارد عليهِ العوامل الطبيعيَّة والكيموِيَّة دون ان تُعدمهُ قوَّتهُ وخواصَّهُ

ويصحّ هذا القول في نبات الطبقات السفلى ايضاً فانَّ فيها الاركان النباتيَّة والجراثيم المتولِّدة منها فحياة الاولى تختلف في الطول ومنها ما لا يعيش الَّا الزمن القصير. وميكروب الطاعون من هذا الصّنف فانَّ حيويّتهُ ضعيفة ويكفيهِ لابطال نموّهِ حرارة ٤٠ درجة من ميزان السنتيغراد واذا زادت الحرارة قليلًا مات الميكروب

اماَّ الجراثيم المتولِّدة من اصناف النبات السفلى فانها كالبزر ربَّما ثبتت سنين عديدة دون ان تفقد قوَّتها. وقد ذكر الاستاذ ترينكارلّي (Trincarelli) عن جراثيم الطاعون انَّ بعض المصابين بهذه العدوى دُفنوا ورُبطت جُثثهم بحبال واودعت في توابيت فلماَّ مرَّ عليها عشرون سنة فتح بعض الخدم تابوتًا منها وانتزع حبالهُ فابتُلي من ساعتهِ بالطاعون وانتشر الوباء فذهب باعمار ١٠,٠٠٠ شخص

واخبر سومرت (Sumert) انَّ الطاعون الذي فشا في مدينة برسلو سنة ١٥٥٣ كان سببهُ من بعض أسمال رثّة كان لبسها المصابون فطُمرت بقبورهم ثمَّ نُبشت بعد احدى عشرة سنة فأعدت كلَّ الاهلين

فهذه الحوادث وغيرها تبيّن صريحًا انَّ جراثيم الطاعون لا تفقد مضارَّها مع طول الزمان فاذا صادفت احوالًا مناسبة لكيانها عادت وتولَّدت وفشَت لاسيا وانَّ الميكروبات الصغرى تنمو ليس فقط بتولُّدها من بعضها بل ايضاً بانقسام اجزائها اقساماً حيَّة فتنتشر بسرعة لا شبيه لها

٤ في طريقة انتشار الطاعون الدملي

ومن المزاعم التي ذهب اليها بعض العلماء ومن جملتهم العلاَّمة كاوت بك واكثر الاطبَّاء الفرنسيين القاطنين في مصر سنة ١٨٤٦ عند ما فشا الطاعون أنَّ هذا الداء ليس بمعدٍ وانَّما هو من الامراض العفنة الناجمة عن قلَّة النظافة. غير ان رأيهم هذا

خالفتهُ الاختبارات الحديثة وهاك خلاصة ابحاث المحدثين :

اوَّلًا انَّ الطاعون لا يظهر في بلد الَّا اذا انتقلت اليهِ جراثيمهُ المعدية ولا صحَّة لقول من يزعم انَّ العدوى تفشو طوعًا في بعض الاقطار وقد قرَّرت لجان الاطبَّاء جميعها انَّ هذا الوباء فشا في البلاد بعد بلوغ الجراثيم اليها

ثانيًا اكثر من يصابون بالطاعون الذين يتعرَّضون لملامسة المطعونين. يشهد على ذلك معظم عدد الاطباء الذين يموتون وقت الطاعون لتمريض المرضى. أجل انَّ مجرَّد اللمس لا يكفي لنشر العدوى لانَّ الجلد حاجز في وجه الميكروب لا يمكنهُ ان يتعدَّاهُ بيد انَّ الباشلوس ينفذ في جهاز الجسم اذا وجد جرحًا او سحجًا في الجلد او يدخل القناة الهضميَّة مع المآكل الملوَّثة بالميكروب

ثالثًا انَّ الاعتزال عن المصابين ينجي من آفة الطاعون. والدليل على ذلك انَّ البلاد التي يقام لها نطاق صحّي وحجر تامّ يفرزها عن الاماكن المصابة بالعدوى لم ينلها اذًى ولو كان حولها مدن او قرى احتلَّها الوباء فاعداها

رابعًا يمكن الطاعون ان يتعدَّى الى شخص بالتلقيح. كما يظهر ذلك في حيوانات عديدة لُقحت بجرثوم الوباء فماتت بعد ساعاتٍ قليلة. ولا يخرج الانسان عن هذا الحكم اما تلقيح البشر بجرثوم الطاعون فهو امرٌ جرى اختبارهُ في مستشفى الازبكيَّة سنة ١٨٣٥ في خمسة من المجرمين وحُكم عليهم بالموت فأُلبس اثنان منهم ثيابًا سبق فلبسها بعض المطعونين فسرت اليهما العدوى وماتا. ولُقح الثلاثة الآخرون بجراثيم الدُّبَيلات فمات منهم اثنان ونجا الثالث. فثبت من ثمَّ انَّ الطاعون مُعدٍ

ولكن كيف ينتشر ميكروب الطاعون وما هي الطرق التي يتَّبعها لينتقل من شخص الى آخر ؟

نجيب انَّ للطاعون كما لجميع الاوبئة ثلاث طرائق ينتشر بها في البلاد فيستشري شرُّهُ وتشتدّ شوكتهُ: فالطريقة (الاولى) نفوذ الجراثيم في الجلد بان تقع على مكانٍ منهُ أُصيب بجرحٍ او سحجٍ مهما كان خفيفًا فتتعدَّى الى ما وراء الجلد وتمتزج بالاجهزة الباطنة. والطريقة (الثانية) بان يحمل الهواء جراثيم الوباء وينقلها بالتنفُّس الى الاعضاء الباطنة. امَّا (الثالثة) فبنفوذ تلك الجراثيم في اجهزة الهضم كما بيَّنهُ الدكتور يرسين بإطعامهِ الجرذان قطعًا من لحم الحيوانات المطعونة كالكبد والطحال فمات اكثرها

بالعدوى. الَّا انَّ هذه الطريقة الثالثة نادرة في الانسان حتى ان الدكتورين ڤيسوكوڤيتش (Wissokowitch) وزَبلونسكِي (Zablonski) الذين عدّدا الاختبارات في بمباي وفحصا امعاء المصابين أنكرا تجاوز الجراثيم الى الامعاء او نسبا ذلك الى اعراض ثانويَّة لا يُعوَّل عليها. والطريقة الثانية تحدث في بعض الاحيان فيصيب المرء نوع من مرض ذات الرئة الَّا ان اعراضهُ مختلفة عن اعراض المرض العاديّ

الَّا انَّ وباء الطاعون ينتشر عادةً على الطريقة الاولى بنفوذ جراثيمهِ في الجلد. امَّا ناقل الجراثيم الى الجلد فالهوامّ وهاكَ بيانهُ:

اعلم ان الطاعون هو في الاصل عدوى الفيران والجرذان ولذلك يُدعى عند بعض الامم «داء الفيران». ولمَّا كانت هذه الحيوانات تعيش في الاسراب والمحالّ القذرة وتنمو فيها نموًّا بليغًا فانَّها تبحث في الارض وتحفر لها حفرًا وتسكنها. ولا غرو انها في بعض الاحوال تثير الجراثيم المطمورة في القبور او غير اماكن وبيئة فتنتعش وتلسع الجرذان. والدليل على ذلك انك ترى في ايَّام الطواعين عددًا لا يحصى من الجرذان والفيران الميتة. وقد انبأت بذلك الاخبار الواردة من الصين والهند في زمن العدوى الاخيرة التي حدثت هنالك. وفي الاسابيع الماضية قرَّر الاطباء المصريُّون انهم وجدوا في الاسكندريَّة عددًا من الجرذان المصابة

ثمَّ ينتقل الوباء من الجرذان الى البشر بواسطة الهوامّ الحلَميَّة وذلك انَّ البراغيث والقمل واشباهها تأوي الى اجسام الجرُذان فتغتذي من لحومها فاذا ماتت الجرذان انتقلت منها الى الانسان وهي قد امتصَّت جراثيم الوباء فتقرص جلدهُ وتفتح بقرصها منفذًا للعدوى. والاختبارات العديدة قد ايَّدت ذلك بحيث لم يبق سبيل الى نكران الامر

ومن نَقَلة الوباء الذُّباب يحطّ على موادّ ملوَّثة بالوباء فينقل الجراثيم منها الى جلد الانسان. ومن امتحانات الدكتور يرسين انَّهُ اخذ ذبابًا ودقَّهُ وصبَّهُ في الماء ثم لقَّح بهِ الجرذان فاجتاحها الوباء بفتك ذريع. فمن الامور الواجبة اذًا ان يُقطع دابر هذه الحيوانات في المدن التي يتخوَّف سكَّانها عليهم وقوع الطاعون

● الوقاية من الطاعون

بقي علينا ان نذكر شيئًا من الوسائط التي يتَّبعها الآن ارباب الطبّ لكسر شوكة الطاعون في المصابين مع طرق الوقاية من بلائهِ في زمن تفشيهِ

يترتَّب علينا هنا ان نبحث في مطلبين: الاوَل هل يمكن ان يُلقَّح احد الحيوانات المتعرضة لشرّ الطاعون فيُعصم بذلك من سوء عقباه. والثاني هل لمصل الحيوان الذكور قوَّة شافية من العدوى

فنجيب على هذين السؤالين بالايجاب مستندين الى الاختبارات التي اجراها الدكتور يرسين في أرنوي من اعمال القُسِنصين. فانَّ هذا العلاَّمة المفضال بلغ الى ان يجعل الخيل معصومة من سمّ الطاعون حتى انَّهُ كان يلقحها بكميَّة وافرة من الميكروب الوبائي دون ان يلحقها ضرر. ثمَّ استخلص مصلَ الخيل المذكورة فلقَّح جُرذانًا ببعض سنتيمترات مكعَّبة منهُ ثمَّ سلَّط عليها ميكروب الطاعون فلم يُصبها أذًى

واوَّل علاج حصل بالمصل المذكور يستحقُّ الذكر. وذلك انَّ احد الشبَّان الصينيين من تلامذة المرسلين الكاثوليكيين في كانتون نالتهُ العدوى فأدَّت بهِ الى شفا المنون بعد ساعات قليلة فاسرع السيّد شوس (Chausse) اسقف تلك المدينة الى الدكتور يَرسين وطلب منهُ أيعرف علاجًا للطاعون فكان جواب الطبيب النطاسيّ: « انَّ لديَّ دواء ولكنّي لم أُجرّبهُ قطّ في بشر ». فأتى بهِ الاسقف الى المطعون وسألهُ ان يختبر فيهِ قوّة المصل فحقنهُ الدكتور ثلاث حقنات بنحو عشرة سنتيمترات مكعَّبة من المصل الساعة الخامسة مساء ثم الساعة السادسة ثمَّ التاسعة. ففي اليوم التالي كانت الحمى قد توارت وشفي المصاب بوقت قريب

فلمَّا رأى الدكتور يرسين نتيجة دوائهِ اسرع فاختبرهُ في ٢٣ مصابًا من مستشفى البلدة فشفي منهم ٢١ ومات اثنان فقط. وهذا لعمري من اعجب الامور لاسيما اذا اعتبرنا انَّهُ ليس بين الاوبئة داء اوخم عاقبة من الطاعون كما سبق. وما لبث الاطبَّاء ان استعملوا المصل في بمباي فافضت امتحاناتهم الى نتائج مرضية ولولا انَّ الاهلين تمنَّعوا من اتخاذ هذا الدواء وتعصَّبوا عُصبًا وتهدَّدوا ذوي الامر لفاز عدد جمٌّ من المرضى بالشفاء التام

وجعل الآن اصحاب مكتب پستور في باريس وغيرهُ من المكاتب البكتريولوجيَّة يجهّزون المصل الموصوف للوقاية من الطاعون والأمل وطيد انَّ فاعليَّتهُ ستضرب الطاعون ضربة لازبة بحيث يسقط معدَّل الوفيات الى عدد قليل وانّما يشترط في استعمالهِ ان يُحقن به المصاب اوَّل مرضهِ

امّا الوسائل الواقية من الطاعون قبل وروده فمرجعها كلها الى النظافة . واذا أُصيب احد بالعدوى فليعزل تماماً عن اهلهِ لا يقترب اليهِ الّا الممرّضون والاطبّاء . مع اتّخاذهم كلّ التحوُّطات المفروضة عليهم لحسم الداء عن اشخاصهم فيغتسلون غالباً بالمطهِّرات المزيلة للاعفان والادران ولا يأكلون في حجرة المريض ويحرقون كلّ الامتعة التي لمست المطعون او اتّخذها لخدمتهِ . وممّا يبيّن نتائج النظافة في ايّام العدوى انّ البعثة الانكليزيّة التي أُرسلت الى هنغ كنغ لفحص الطاعون لم يُصب احد من اعضائها بالوباء وكانوا احد عشر شخصاً مع انهم لم يزالوا يتردَّدون بين المطعونين وقد نسبوا ذلك الى القوانين الصحيَّة التي اتّبعوها طول مدَّة اقامتهم في تلك البلدة الموبوءَة (١

مجلّة الضياء ولغة الجرائد

لاحد الادباء من محرّري الجرائد

انتقدت مجلّة الضياء الغرّاء على كَتَبَة الجرائد استعمالهم بعض الالفاظ في غير معناها وانزالهم ايّاها في غير منازلها والحقُّ يقال انها نبَّهت في مقالتها التي عنوانها « لغة الجرائد » الى كثير من الاغلاط الفاشية فحقّ لها الشكر على هذه الخدمة المقصود بها صيانة الاقلام عن شوائب الخطاء . الّا انّنا بعد مطالعة المقالة المذكورة خطرت لنا بعض ملاحظات فوددنا ابداءها لرصيفتنا المشار اليها فان أصبنا فذلك ما نتوقَّع وان لم نُصب فالانسان على كلّ حال مظنّة الزلل

١ خطأَت مجلّةُ الضياء الكتبةَ في استعمال التحوير بمعنى التهذيب والتنقيح قائلةً : ان اللفظة لم ترد في شيء من كتب اللغة بمعنى من هذه المعاني وانّما هي في اللغة بمعنى تبييض الثوب

ونحن نرى انّ هذا الاستعمال حسن وفصيح لان الكتبة نقلوا اللفظة من معناها الاصلي الى المجاز ولا مانع يعترضهم دون ذلك وهم يريدون بها اعادة النظر والمراجعة تشبيهاً لذلك بتبييض الثوب . وعليهِ لا نظنّ تخطئتهم صوابيَّة الّا اذا قلنا ان باب

---

١) ارسل لنا جناب الدكتور ف . بركات طبيب المستشفى الفرنسيّ في بيت لحم مقالة حسنة في الطاعون وردتنا بعد مقالة حضرة الاب بولوموا فاكتفينا بالاشارة مع شكر الكاتب الاديب

المجاز مقفل في وجوههم وهذا باطل . أوَ ليست كلمة بيَّض التي هي كحوَّر دلالةً قد استُعملت من زمانٍ قديم دون اعتراض بمعنى تنقيح الكتابة وكذلك لفظة سوَّد استُعملت لِما يُكتب ابتداء بقصد مراجعتهِ

ثم ان كلمتَيْ نقَّح وهذَّب اللتين ارادت مجلّة الضياء استعمالهما بدل حوَّر هما كذلك منقولتان عن معناهما الاصلي الى معنى الاصلاح والإخلاص. فاذا كان قد جاز للمتقدّمين استعمال المجاز فلماذا لا يسوغ ذلك للمتأخرين ؟

٢ ثمَّ خطَّأت قولهم « اشار عليهِ بكذا فانصاع لمشورتهِ » وقالت انهم يعنون بانصاع انقاد واطاع ولا وجود لذلك في اللغة لكن يقال انصاع الرجل اذا انفتل راجعاً مسرعاً

والذي نظنّه ان مستعملي هذه اللفظة غير مخطئين لانهم لم يحوّلوها عن معناها الاصلي الذي ذكرتهُ مجلّة الضياء. فهم يصوّرون المشار عليهِ ممعناً في الشطط ويمثّلون النصيحة كشيء يُعيدهُ الى المسلك القويم فيرجع اليهِ مسرعاً. فهو على حد قولنا ان فلاناً الممعن في غوايتهِ عاد بسرعة الى سواء السبيل لمَّا سمع النصح

٣ وعابت الضياء على الكتبة قولهم « وهم في حاجةٍ الى الغذاء والكساء » فقالت انهم يستعملون الكساء بالمدّ لمطلق الملبوس وانما الكساء ثوب بعينهِ

ونحن لا ننكر انَّ الكساء ثوب خاصّ ولكن يَعذر الكتبةَ أنهم يريدون الجمع بين لفظين متوافقين زنةً ليكون ذلك احسن في السمع ولنا ان نقول انَّهم يقيمون الجزء مقام الكلّ جريًا على آثار البلغاء الذين كثيرًا ما فعلوا مثل هذا

٤ وقد خطأت ايضاً استعمال أمعن متعدّيًا وقالت انهُ لا يقال أمعنتُ النظرَ في الامر

الَّا انَّ كثيرين من المنشئين الجيدين استعملوا هذا الحرف متعديًا. قال النويري وهو من مشاهير الكتَّاب: « أمعنَ النظرَ وطلب الاستخارة ». ثم انهُ يؤخذ من كتب اللغويين ان أنعَمَ كأمعنَ او بالحري هي مقلوب الاولى فاذا كان المنشئون المشهود لهم بالتبريز يستعملون أنعَمَ متعديًا فلماذا لا يجوز استعمال أمعَنَ ايضاً كذلك. قال الحريري في مقامتهِ المراغيَّة: « هل للقدماء اذا أنعم النظرَ من حضرَ غير المعاني المطروقة الموارد الخ». وكذلك ابن حوقل في كتاب المسالك والممالك يقول: « ارشدنا الله وايّاهُ ان يُنعمَ

النظرَ فيما شكٌ فيهِ منهُ الخ ». هذا وانَّ أحمد فارس الشدياق الذي قضى حياته في نقد كتب اللغة وتفليتها وألّف عدَّة من التصانيف الشاهدة لهُ بسعة الاطّلاع في هذا الامر كثيرًا ما استعمل امعن متعدّية بنفسها ولا شكَّ انَّ مثلهُ لا يُتهم بالجهل

وقول الضياء بان أمعن لم ترد في كتب اللغة متعدّية لا يصلح ان يؤخذ حجّة قاطعة طالما ان كتب اللغة لم تُحط بكل الالفاظ كما هو مسلّم وعليهِ فيكون استعمال الكتّاب المشاهير ممّا يستأنس بهِ على الاقلّ في مثل هذا

٥ ومن انتقاد الضياء انها عابت استعمال استأسر بمعنى أسر قائلةً انهُ بمعنى استسلم. والحال ان ذهاب الضياء الى كون هذا الحرف لا يستعمل متعدّيًا منقوض بما جاء في كتاب المغرب للمطرزي الشهير فانَّهُ ذكر استأسر صريحًا بمعنى أسر واورد على ذلك حديث عبد الرحمن وصفوان وهو « انَّهما استأسرا المرأتين اللتين كانتا عندهما من هوازن »

٦ وقد انكرت الضياء قولهم « خرج في موكبٍ يبلغ خمسة آلاف عدًّا » وقالت انهم لا يتدبَّرون معنى العدّ هنا. وبيانه انك تقول لي على فلان خمسة آلاف درهم عدًّا اي عليهِ هذا القدر معدودًا عدًّا لا بطريق التقدير والتقريب فيكون مفاد هذا اللفظ اذًا التحقيق والتوكيد لا الحشو والتزيين كما يتوهَّمونهُ

نقول انَّنا لا نظنّ كتبة الجرائد يستعملون هذا اللفظ في غير المعنى الذي ارادتهُ مجلّة الضياء فاذا قالوا خرج في موكب يبلغ خمسة آلاف عدًّا يريدون انَّ الموكب يبلغ هذا المبلغ بالتحقيق والتوكيد لا بالظنّ والتقدير وهم يقولون ذلك اذا تمكّنوا من معرفة العدد معرفة صحيحة وما ذلك عليهم بممتنع. ولا ندري ما هو السبب الذي يُسوِّغ القول « نقدتهُ خمسة آلاف عدًّا » ولا يُجيز « بلغ الموكب خمسة آلاف عدًّا » طالما ان المقصود توكيد الامر وتقريره في كلا التعبيرين

٧ ثم قالت مجلّة الضياء : « ويقولون فعل هذا لمصلحة اهل جلدتهِ يريدون قومه واهل جيلهِ. وقد أُولع كتّابنا بهذه العبارة وتناقلها بعضهم عن بعض من غير بحث ولا تنقيب عن اصل مغزاها وهي في الاصل من قول جرير وقد مرَّ بنُصيب الشاعر وهو ينشد وكان نصيب اسود. فقال لهُ : اذهب فانت اشعر اهل جلدتك يعني اشعر السود. فقال: وجلدتك يا ابا حرزة وهي كنية جرير اي واشعر البيض ايضًا. وحينئذٍ لا معنى ان

نقول اهل جلدة الانكليزي مثلًا واهل جلدة الفرنسوي والالماني لان لكل هؤلاء جلدةً واحدةً »

نقول انَّ هذا الاستعمال لا ينبغي ان يُلحظ فيهِ معنى الاصل دائمًا بل يجوز التوسُّع فيهِ بدليل ما ورد في التاج قال: « وممَّا يُستدرك عليهِ (القاموس) قوم من جلدتنا اي من انفسنا وعشيرتنا ». فمنهُ يُرى انَّهُ يجوز القول اهل جلدة الالماني مثلًا واهل جلدة الانكليزي اي قومهُ ورهطهُ وعشيرتهُ وان كان للانكليزي والالماني جلدة واحدة بيضاء. ثمَّ انهُ من المقرَّر ان للبياض والسواد درجات وفروقًا وعلى ذلك فاي شيء يمنع من القول « اهل جلدة السوري واهل جلدة البغدادي والحلبي » مثلًا باعتبار هذه الفروق والدرجات في بياض البشرة ؟

٨ وخطَّأَت الضياء ايضًا استعمالهم أمجاد جمع مجد قائلةً انهُ لم يُسمع للمجد جمع على امجاد ولا على غيرهِ لانهُ مصدر في الاصل. نقول ان لفظة مجد وان لم يُسمع لها جمع يصحّ جمعها باعتبار تعدُّد انواعها فاذا اضطرَّ كاتب جريدة لجمعها كما قد يعرض ذلك في الترجمات عن اللغات الاجنبيَّة فلا مانع من تكسيرها على أمجاد

٩ ومن انتقادات الضياء ايضًا على كتبة الجرائد قولهم « جاء فلان خلوًّا من المال » بتشديد الواو فقالت انَّ صوابهُ « خِلْوًا » بكسر الخاء وسكون اللام وهو بمعنى الخالي

نعم ان ما قالتهُ الضياء هو الأصوب والاقرب ولكن اي مانع من ان يكون قولهم خلوًّا نصبًا على المصدريَّة بعامل غير مذكور تقديرهُ خاليًا

١٠ وخطأَت الضياء استعمالهم لفظة رحوم وقالت ان صوابها رحيم

قال اللسان ما حرفيَّتهُ: « رحيم فعيل بمعنى فاعل كما قالوا سميع بمعنى سامع وقدير بمعنى قادر وكذلك رجل رحوم وامرأة رحوم » فيتبيَّن من عبارة اللسان ان كلمة رحوم بمعنى رحيم اي راحم فلا سبيل اذًا لملامة الكتَّاب على استعمالهم

١١ وقالت الضياء: « انهم يقولون هؤلاء اخصامي يريدون جمع الخصم بالفتح وفَعْل الصحيح لا يجمع على أفعال... والصواب جمعه على خصوم » قلنا ان كلام الضياء لا ينطبق على ما ورد في تاج العروس: « وممَّا يُستدرك عليهِ الأخصام جمع خَصِم ككَتِف واكتاف او جمع خَصْم كفَرْخ وافراخ او جمع خصيم كشهيد وأشهاد »

١٢ ومن كلام الضياء انهم يقولون: « مرَّت عليهِ كرور الزمان فيؤنثون لفظ الفعل على توهم انَّ الكرور جمع وانما هو مصدر كرَّ »

غير ان الذي نذكرهُ هو انهم يقولون مرَّت عليهِ كرور الازمان لا الزمان فهم يؤنثون لفظ الفعل مراعاةً للمضاف اليهِ كأن المضاف غير مذكور . وهذا منطبق على قواعد النحو التي بمقتضاها يكتسب المضاف من المضاف اليهِ تأنيثًا

١٣ وخطأَت مجلَّة الضياء لسان الدين بن الخطيب في ما قالهُ عن الغارة على جيَّان وهو « فظللنا ثانيةً غربها وجدَّدنا كربها واستوعبنا حرقها وخربها » فقالت انَّما يُقال أخرب المكان او خرَّبهُ بالتثقيل ولا يُقال خرَبهُ بالمجرد

والحال انَّ الفيروزابادي يقول في قاموسهِ ما نصُّهُ: « خرَب الدار خرَّبها كأخربها » أفننبذ قول القاموس ؟

هذا ما خطر لنا اثباتهُ من الملاحظات الخصوصيَّة على مجلة الضياء وقد بقيت لنا ملاحظة عموميَّة نختم بها الكلام

من الثابت انَّ الذين جمعوا كتب اللغة قد فاتهم كثير من الفاظها بل كثير من معاني الالفاظ التي جمعوها فهل يستطيع المتأخر ان يخطئ مشاهير الشعراء المبرّزين والمجيدين من المؤلفين القدماء اذا رأى في كلامهم الفاظًا لا وجود لها في كتب اللغة او مستعملة بخلاف ما هو مدوَّن في تلك الكتب لاسيما وانَّ كثيرًا من الالفاظ الغريبة الواردة في كتب اللغة لا تستند الَّا الى بيت واحد من الشعر القديم

لعمر الحق اننا على قدر ضعف نظرنا نظنّ تخطئتهم غير جائزة للمتأخر بل غاية ما يجب ان نضمّ ما ورد من استعمالاتهم الى كتب اللغة حتى لا يبقى فيها نقص من هذا القبيل

فاذا كان ابن هانئ المشهور يستعمل « خفَر الذمَّة » متعديةً بنفسها خلافًا لما ذكرهُ جامعو اللغة واذا كان عدي بن زيد يستعمل وثق بمعنى أوثق وهو من اهل الجاهليَّة الذين عنهم أُخذت اللسان فايُّ حرج علينا اذا سلكنا مسلكهم وجعلناهُ حجَّةً نحتجّ بها عند من يخطِّئنا . والسلام

(المشرق) وقد ارسل لنا احد قرَّاء المشرق والضياء في بغداد سؤالين يلقيهما على مجلة الضياء فالحقناهما بالمقالة السابقة :

١ً جاء في الضياء (١ : ٥٠٠) ما نصّهُ : « ومن مخالفتهم في النقل ما أولع بهِ اكثرهم من

استعمال لفظة هاتهِ في مكان هذه ذهاباً الى انّها افصح منها وما هي بالفُصحى ولا الفصيحة . الخ » وقد قرأنا في تاج العروس ما يأتي : ته للمؤنث (اي اسم اشارة يُشار بهِ الى المؤنث) اه . فاذا ادخلنا عليها هاء التنبيه « فالظاهر » انها تصير هاته . وعليهِ فتكون الفصيحة إِلّم تكن الفُصحى . فما قول الضياء في ذلك ؟

٢ وجاء في الصفحة ٥٥٠ لا يقال : « هلَّ شهر يناير مثلًا وجاء في غُرَّة ابريل » وقد قرأنا في الكلّيات : « غُرَّة كلّ شيءٍ أوّلهُ » افلا يدخل في حكم هذا الكل الشهر ايضاً . ثمَّ ان معنى الشهر الاصليّ (اي في اللغة الكلدانية السريانيَّة) القمر واذا جاز ان يسمّى يناير شهرًا افلا يجوز ان يُقرَن بلفظة توافق القمر او الشهر من باب مراعاة النظير او من باب التوسع ؟

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر الامراء بعرامون

وهم من الطبقة الثانية ومن المعاصرين لناصر الدين الحسين . امّا الذين عاشوا بعد زمانهِ فنؤخرهم ونذكرهم في موضعهم

ذكر الامير سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين صالح بن علي

كان اميرًا حسن السيرة مبجّلًا من النـاس مشكورًا عندهم محبوبًا اليهم ذو كرم وحشمة . جهات اقطاعه بامريّة عشرة (١ : نصف عيتات ونصف دفون ونصف مجدليا ونصف شملان ونصف عين درافيل وثُلث بتاثر ونصف سرحمُور وثلث عيناب وثلاث قطع ارض في العمروسيَّة وثلث عميه وثلث حصَّـة الملك في خلدا ومن الفريديس فدّان . وعمَّر [لهُ] ناصر الدين الحسين القبو الذي في الداش الى جهـة الشرق وعمَّر ايضاً المجلس الجنوبيّ والاسطبل فرفعـهُ سيف الدين وعمَّر عليهِ الطبقة التي فوقهُ . وكانت امّ سيف الدين مفـرج زين الدار ابنة سعـد الدين خضر ابن نجم الدين محمّد وهي اخت ناصر الدين الحسين . وتزوَّج سيف الدين ياقوتة ابنـة ناصر الدين الحسين في السابع عشر من ربيع الاوَّل سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩م) . ونقلتُ عن خطّ ناصر الدين الحسين (٨٣ ٧) : « انّ سيف الدين توجّه الى دمشق في جهاز ولدهِ شمس

١) راجع اخبار الاعيان ص ٢٢٣



الدين محمَّد اكبر اولادهِ فمرض بها اربعين يوماً وطلب المجيء فتوجه اليهِ اخوهُ عماد الدين موسى وخالهُ عزّ الدين حسن ابن سعد الدين وأحضروهُ في محفَّة الى المغيثة وحُمل على اكتاف الرجال الى عرامون واقام بها مريضًا يتعلّل ويرجوهُ اهلهُ الى ان اشتدَّ عليهِ المرض وتوفي الى رحمة الله في نهار الخميس التاسع والعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٨ م) وكان عزاؤهُ عظيماً لدى اهلهِ ودُفن عند جدّهِ زين الدين. وهكذا جرى لعمّهِ ناهض الدين بحتر ابن زين الدين كان امير طبلخاناة فتوجّه الى دمشق آملاً انّهُ يعود ويعمل عرسهُ (١ فتوفَّاهُ الله بدمشق». انتهى ما نقلناه من خطّ ناصر الدين الحسين

اسماء اولاد سيف الدين: شمس الدين محمَّد وجمال الدين احمد ويُعرَف بالأعسر وناهض الدين عليّ وصلاح الدين خليل

وقد ذكر محمَّد الغزّي في مقامتهِ الامير مفرج واولادهُ الاربعة كما سيأتي

ذكر اخيهِ الامير عماد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف بن صالح بن علي

كان رجلاً ديّناً خيّراً محمود السيرة مشهورًا بالجودة والديانة. وكانت امهُ زين الدار (84) المذكورة في ترجمة اخيهِ قبلهُ. وكان خالهُ كثير المحبَّة لهُ والاعتناء بامرهِ فزوَّجهُ بنتهُ لؤلؤة في رابع عشر جمادى سنة سبع عشرة وسبعمائة (١٣١٧م) وتُوفيت في الخامس والعشرين ذي الحجَّة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (١٣٢٢م). وكان لها اخت صغيرة في المهد فكان عند عماد الدين موسى من حفظ المودَّة لخالهِ ناصر الدين انّهُ ترك الزواج ووقف ينتظر الصغيرة حتى كبرت فتزوَّجها وكان اسمها صادقة وتزوَّجها في ثامن شهر ربيع الاول سنة ستّ وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٦ م). وكانت وفاتهُ ضحوة نهار الثلاثاء في الرابع والعشرين من جمادى الاولى سنة ثمان وستين وسبعمائة (١٣٦٧م). اولادهُ نجم الدين محمَّد وبدر الدين حسن

ذكر ابن عمّهما الامير عزّ الدين حسين ابن شرف الدين عليّ بن صالح بن علي

عزّ الدين كان حقُّهُ ان يتقدّم على عماد الدين موسى ولكن قدَّمنا هذا ليكون تابعاً لذكر اخيهِ سيف الدين مفرج ولا نفرق بينهما. وكان عزّ الدين حسين رجلاً وافر

١) وفي حاشية للمؤلف: «لعلَّهُ كان عرس ولدهِ شمس الدين كرامة المقدَّم ذكرهُ لانهُ ما كان تزوَّج»

العقل كريمًا مشكورًا بين الناس محبوبًا عند الجميع. جهات اقطاعهِ بامرّية عشرة: نصف عيتات ونصف دفون ونصف شملال ونصف مجدليًا وثلث عين عنوب ونصف سرحمُور ونصف عين درافيل وثلث بتاثر وثلث عيناب وثلاث قطع ارض بالعمروسيّة وثُلث حصّة الملك بجلدا وثلث كفرعمّيه ومن الفريديس من صيداء. فدّان. وهذا الاقطاع قسمة اقطاع سيف الدين مفرج (84v) وتزوّج عزّ الدين غالية بنت ناصر الدين الحسين في سابع عشر من محرَّم سنة ثمان وسبعمائة (١٣٠٨ م) ووفاته رحمهُ الله تعالى نهار الاحد خامس ذي القعدة من سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٩). ودُفن نهار الاثنين في تربتهِ بعرامون. اسماء اولادهِ علاء الدين (١ وشرف الدين عليّ وبدر الدين يوسف

وقد ذكر محمّد الغزّي في مقامتهِ الامراء بعرامون الذين كانوا في ايّامهِ وهما سيف الدين مفرج وعزّ الدين حسين ذكرهما في جملة اقارب ناصر الدين الحسين عند ما فرغ من ذكر ناصر الدين فقال: « امّا بنو عمّهِ الكاشفو كربهِ وغمهِ. ليوث الحرب. وغيوث الكرب. سادات الامراء وامراء السادات. الذين عُرفوا بالهيبة والهبات. الجناب السيفي مفرج الكرب كاسمهِ مجدّ لقبهِ (٢. المأثور بشمس جمالهِ. الناهض بصلاح حسبهِ ونسبهِ. والجناب العزّيّ (٣ اعزّ الله باحسان عُلاهُ حُسن معاليهِ. وادام لشرفهِ سعادة ايّامهِ ولياليهِ. فهما شمسهُ وصبحهُ. وسيفهُ ورمحهُ. تناولا من المجد رايتهُ. وبلغا من الشرف غايتهُ:

لله درُّهما ودرُّ بنيهما فهما اللذان لعُرب طيٍّ جمّلا
ليثا ردًى غيثا ندًى نجما هدًى بدرا دجًى شمسا ضحًى أُفقا عُلى

والجناب العلَميّ (٤ قديم هجرة الجماعة. الموسوم بكرم النفس والشجاعة. أُفق (85r) النجوم الزاهرة. وابو الاشبال الكاسبة الكاسرة. اميرٌ لهُ من سيفهِ عزٌّ رفيعٌ. ومن بهائهِ ركنٌ منيعٌ (٥

---

١) كذا في الاصل دون ذكر اسم علاء الدين. وامّا ابن سباط فانّهُ ذكر لقبهُ بدلًا من علاء الدين « ناهض الدين » ٢) في هذا اشارة الى لقب الامير مفرج بسيف الدين
٣) يريد عزّ الدين واولادهُ ٤) اعني علم الدين الرمطوني
٥) جاء في الهامش: « يشير الى اولاد علم الدين الاربعة: سيف الدين فلّاب وعزّ الدين جواد وبهاء الدين داوُد وركن الدين

علَم لهُ عملٌ هلال صلاحهِ هادٍ مؤملهُ لهُ الآمالُ (١
اسدٌ لهُ الاولادُ أسدٌ ما لها الّا الصوارمُ والرماحُ دُحالُ

ومن المقامة المذكورة ايضاً في مكانٍ بعد هذا:

ان تخشَ بأساً او ترجُ بذلَ ندًى مضاعف المنّ غير ممنونِ
فلُذْ بارضٍ جنابُها حرمٌ ما بين اعبيهِ وعرامونِ

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثالث

في البائع الجوّال

وها نحن نفيدك أيُّها القارئ اللبيب علماً عن بعض اخبار بيترس لاضف فنقول: في ذات يوم بينما كان احد الباعة المتجوّلين حاملاً كيساً من البضاعة على ظهرهِ وبيدهِ جرس صغير يدقّهُ المرَّة بعد المرَّة اذ وقف عند باب بيت في البرّية الكائنة بظاهر مدينة شيكاغو وحطَّ كيسهُ على السلّم ولمَّا شاهد فيهِ نساء يشتغلنَ بامور المنزل اخذ يُقلّب قطعة من القماش زاهية اللون تارةً يطويها وتارةً ينشرها فما لبثت النساء ان نظرنَهُ فجئنَ اليهِ وابتدأ الحديث بين الفريقين. امَّا البائع فعلِق يتكلّم معهنَّ ويخبرهنَّ كلّ ما يدور في دماغهِ ممَّا يتخيَّل انَّهُ مروّج لبضاعتهِ. ثم انهُ فكَّ الكيس ونشر ما فيهِ من الاقمشة والمطرَّزات وانواع القُدَد (الشرائط) الحريريَّة فكانت واحدة تتناول قطعة وتنظر فيها وتشدّها لتختبر متانتها وهذه تأخذ طرحةً (فيشو) وهذه تنُّورة...

وكان البائع اذا سُئل عن الثمن يأبى ان يصرّح بهِ قائلاً فقط انهُ يبيع كلّ ما يحملهُ بنفس الثمن الذي اشتراهُ بهِ وادَّعى انَّ اللصوص سرقوا حانوتهُ فصار مضطرًّا لبيع ما بقي ايفاء لما عليهِ من الديون. امَّا النساء فصدَّقنَ قولهُ واخذن يتسابقنَ الى الشراء حاسبات انَّ الفرصة لا تُصاب في كلّ وقت وهكذا ابتعنَ كل ما كان الرجل يحملهُ من البضائع فذهب محبورًا مسرورًا بما قبض من الدراهم الرنَّانة قائلاً: «ان الانسان يسوغ لهُ ان يحصِل معاشهُ باي طريقة كانت». وقد اصاب البائع المذكور مثل

١) هذان البيتان حروفهما غير منقوطة

هذا التوفيق في كثير من الاماكن التي كان ينثني عنها رابحًا غانمًا

فلمَّا اشتمَّ رائحة الثراء كره حمل الكيس على ظهرهِ والبيع في القرى فاخذ يذهب الى المدن بصفة مفوَّض من قِبل بعض المحلَّات الكبيرة التجاريَّة لترويج سلعها عند ارباب المخازن فاصاب من ذلك ربحًا غير يسير. ثم انهُ ودَّ الانخراط في سلك المضاربين على الحبوب وترك التنقُّل والاسفار واستأجر محلًّا كبيرًا في اسواق شيكاغو وعلَّق عليهِ اسمهُ منقوشًا على قطعة من النحاس: «بيترس لاضف تاجر حبوب»

وفي هذا المقام لا بدَّ من ذكر شيء عن اهمّيَّة شيكاغو وعظمة تجارتها فنقول: ان مدينة شيكاغو هي اعظم سوق للحبوب في اميركا الشماليَّة بل في العالم كلهِ. كيف لا ومستودعاتها تجمع كل الغلال التي تصدر من الشمال الغربي من اميركا. وبورصة الحبوب فيها من اعظم بورصات الدنيا وفي كلّ يوم يربح فيها المضاربون ملايين ويخسرون ملايين. امَّا انقلابات الاسعار في بورصتها فتحدث فجأةً ولذلك كانت اشبه ببحر عجَّاج لا تأمن سفينةُ المضارب من الاصطدام بكثير من الصخور وقد دلَّت التجارب على ان صغار المضاربين يفقدون فيها كل اموالهم لما يحدث بغتةً من ارتفاع وهبوط في الاثمان. ولا يخفى انَّ الحبوب هي اخصّ قوت للانسان واعتدال اسعارها هي شغلة الشاغل في كلّ زمان ومكان. فمن اجل هذا كثيرًا ما تخدع التغييرات الفجائيَّة حسابات اعظم ذوي الخبرة

وكان بيترس لاضف قد برع في طرق المضاربة ودرس تقلُّباتها المختلفة واطَّلع على اهميَّة وسائل النقل مثل القطارات الحديديَّة وسفن البخار ولمَّا عرف ان غلال الخريف في الولايات المتحدة كانت تبشر بالاقبال وأنَّها في اوربَّة متوسطة الخصب وفي غيرها ماحلة فحسب من ثم انهُ اذا هبطت اثمانها في الولايات المتحدة تغلو بخلاف ذلك أسعارها في اوربة فاستقرَّ رأيهُ حينئذٍ على ان يجمع منها كل ما يستطيع جمعهُ ففي شهر ايار عام ١٨٩٥ ابتدأ بشترى الحبوب كميةً بعد كميةٍ. وكانت مشترياتهُ تزيد اهميَّة من يوم الى يوم. امَّا سائر التجار فكانوا يرقبون حركاتهِ وسكناتهِ فبعضهم يتعجَّب من إقدامهِ وعدم تقديرهِ حسابًا للخسارة وبعضهم يعدّهُ جاهلًا وغير عارف بما صنع وغيرهم يقولون غير ذلك من الاقوال

ولكن مسير الاحوال قد صدَّق. ظنون لاضف لأن اثمان الحبوب ارتفعت وكذلك

غلت اسعار الطحين وقدرت الارباح التي تعود على لاضف من تجارتهِ تلك بمبلغ ١٥٠ مليونًا من الفرنكات. وكان وقتئذٍ حاشدًا من الحنطة ٤٢ مليون كيـل بثمن قدره ١٧٥ مليون فرنك. وأرادت جريدة نيويرك هرلد ان تصف ما لديهِ من الحبوب فقالت في احد اعدادها سنة ١٨٩٧: انهُ لا يسعها قطار يبلغ طولهُ ١٥٠ ميلًا وان نقلها بحرًا يستلزم ١٠٠ سفينة محمول كل واحدة منها ٣ آلاف طن

وكان في تلك الأيَّام يشحن السفينة بعد السفينة ويرسلها الى ليڤربول. ولكن ما طالت المدَّة حتى انخفضت الاسعار بواسطة تاجر آخر من شيكاغو اسمهُ فيليب ارمور لانهُ كان مع نصرائه يبيع الحبوب جهارًا بكلّ جراءة وهو مستند على غلَّة الخريف

وعليهِ فان كلَّ ذاك الغنى الذي جمعهُ لاضف بالمضاربة كان مزمعًا ان يصير الى الخراب التام. وقد اخبرنا في الفصل السابق كيف ان العدل الالهي ظهر لهُ بغتة في قاعة لعب القمار بواسطة بروسبر اولري (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

شيعة المعتزلة

لجناب المستشرق الاديب يوسي بندلي صليبا

من طالع كتاب الملل والنحل للعلاَّمة الشهرستاني علم ما كان لشيعة المعتزلة من النفوذ والشهرة في القرون الغابرة. وقد احبَّ المستشرق الروسي الاديب بندلي صليبا ان يبحث عن تاريخ هذه النحلة ويعرّف مذهب اصحابها مستندًا الى اثبت ما كتبهُ عنها مشاهير ادباء العرب ومؤرخيهم. وهذا التأليف المفيد طبع في قازان باللغة الروسيَّة وعدد صفحاتهِ ٢٧١

كتاب الليتورجيات الالهيَّة

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت

بنفقة وعناية الشاب الاديب ميخائيل افندي ابرهيم رحمة

طُبع سابقًا كتاب الليتورجيات بالعربيَّة واليونانيَّة في رومية العظمى ثم في عاصمة النمسا. بيد انَّ نُسخ الطبعتين اصبحت عزيزة الوجود مع انَّ الكتاب لا يُستغنى عنهُ في الكنائس اليونانيَّة الكاثوليكيَّة. فهذا ما حمل الشاب النشيط ميخائيل افندي رحمة على إعادة طبعهِ بالعربيَّة مع ذكر ما يُتلى في القداس باليونانيَّة. وقد زاد على الليتورجيات

الثلاث المعروفة خدمتيِ الغروب والسحريَّة وختام صلوات الجمعة والاعياد السيديَّة وخدمة البروجيازمانات وشرحها عن طبعة ثينَّة والحقها بنبذة في اصل الليتورجيات

والكتاب مطبوع بحرف مُشرق وورق صفيق وحجم لطيف ومصدَّر برسم غبطة السيد الجليل بطرس الرابع الجريجيري بطريرك طائفة الروم الكاثوليك الكلي الطوبى

ومن ملاحظاتنا انهُ وقع في طبع الصلوات اليونانيَّة اغلاط منها (ص ٥٤) μου αἷμά τὸ ἐστι τό τοῦ والصواب τοῦτο و (ص ٦٠ و١١٣) μνήσθτι والصواب μνήσθητι و (ص ٢٠٧) ἀληθηνὸς والصواب ἀληθινὸς و (ص ٢٠٨) Κωνσταντινουπόλεως والصواب Κωνσταντινοπόλεως الخ

وكنَّا وددنا لو أُفرد في آخر الكتاب جدولٌ للالفاظ اليونانيَّة المنقولة الى العربيَّة بلفظها كالافشين والاودية والسينابتي الخ فتُشرح ليفهم الجمهور معناها المبهم ل.ش

شذرات

انتقاد الدليل

ما كنَّا لنظنّ انَّ انتقاد المشرق على كتاب «الدليل الى مرادف العامّي والدخيل» من شأنهِ ان يثير الاضغان ويحرّك كامن الاهواء. والحقُّ يقال انَّ كلّ من طالع نبذة حضرة الاب ه. لامنس تعجَّب من مبالغتهِ في مدح هذا الكتاب ولطف عبارتهِ في ابداء استدراكاتهِ على صاحبهِ ظنًّا منهُ انَّهُ يكون «غريق افضال من تكرَّم عليهِ بشيء من الملاحظات» (ص ٣٤١). فما كان من امر المؤلف الاديب أرشدهُ الله الّا ان قام وقعد وارغى وازبد وزعم في مقالة مسهبة حرَّرها في الاحوال انَّ المنتقد كتب ما كتب عداء وتعصُّبًا. فمعاذ الله ان ننقاد في كتاباتنا الى الهوى مع علمنا بقول القائل انَّ الهوى آفة الالباب وهو يعمي ويصمّ. فان نبَّهنا جنابُ الكاتبِ الى غلطنا بادرنا كما يقول «الى الانتباه من سنتنا واستيقظنا من سباتنا» لئلَّا يصحّ فينا قول عليّ بن ابي طالب: إعجاب المرء بنفسهِ عنوان ضعف عقلهِ

امَّا دحض جناب المؤلف «لاوهامنا واحلامنا» فاننا لا نراهُ فيهِ مصيبًا بل نظن بالاحرى ان كلّ من يطَّلع على كتابهِ يأخذهُ العجب من تقصيرنا في تخطئتهِ. وقد اعدنا النظر في هذا التأليف فلم نجد صفحة واحدة تخلو من غلطة او اغلاط كثيرة. ولئلَّا ينسبنا احد

الى الغلوّ في هذا الحكم ننتقد الصفحات الاولى فقط وليقس القارئ عليها في الباقي

(اباجور) قال المؤلف «معناها الحرفيّ: كفاف او اطار مقعّر من ورق او معدن .... الخ» فان كان هذا الشرح هو المعنى الحرفيّ فماذا ترك للوصف المعنوي — ثمّ قال: «صورتها بالفرنسيَّة abât-Jour». قلنا انَّ في كتابتها غلطتين. والصواب abat-jour. امّا قولهُ انَّ «احسن كلمة تليق بها في العربي الفصيح المضلّع» فلا نسلّم بهِ طالما لا يستند الكاتب الّا الى قول بعض اصدقائهِ وان كان «العلّامة اللغوي ا. افندي ح.» ولعلَّ كفاف النور او حاجز الضوء آنس واقرب الى الفهم

(الأباهيَّة) قلنا كيف يسوغ للمؤلف ان يقول انَّ فصيحها الأُبهة ولا فرق بين اللفظتين الّا انَّ العامّة تصرَّفوا بالأُولى بعض التصرُّف. وان جرى المؤلف على هذه الطريقة كان الأولى بهِ ان يعدّد كلّ الفاظ القاموس لانَّ العامَّة يحرّفونها كلها

(المأتم) بعد إطالة الكلام في هذه المادّة سلّم المؤلف بانهُ يجوز استعمالها بمعنى المصيبة والمناحة. فما بالهُ اذن ادخلها في كتابهِ وليست هي من العاميّ والدخيل

(الارضيَّة) ألم يجد المؤلف لهذه اللفظة الشريفة افصح من الاصيص؟ أوَ لا ترضيهِ المبوَلة او القارورة؟

(الاركيلة) ويقول البعض نركيلة تصحيف العامَّة لنارجيلة ليس الّا. والنارجيلة دخيلة فاين اذن مرادفها وغاية الكاتب ان يعيّن مرادفًا للعاميّ والدخيل؟

(الآرما) لنا في هذه المادَّة ملاحظات عديدة: ١ً ليس بصحيح انَّ اصلها بالفرنسيَّة armoiries والصواب armes التي تأتي بمعنى armoiries فيقال مثلًا les armes de France. ٢ً انَّ اشتقاق armoiries من armorier اي نقّش الشعارَ لا من armoier. ٣ً يقول المؤلف «انَّ هذه اللفظة نظرًا لكثرة تناقلها على الالسنة اصبح من الامور الصعبة الغاؤها واستبدالها بلفظة عربيَّة» فما احرى هذا القول بكثير من الالفاظ التي يريد المؤلف استبدالها بالفاظ غريبة غير مأنوسة فصاحتُها اغرب من اعجميَّتها. كما بيّن لهُ الاب لامنس في ملاحظتهِ الاولى. ٤ً انَّ لفظة الأُرمة بمعنى الآرما من غرائب المكتشفات. اوَ ليست لفظة العَلَم او العلامة او الوسام أوفى بالمراد ان اراد كلمة عربيَّة. ٥ً انَّ العرب استعملوا في كتبهم من القرن الثاني عشر الى الخامس عشر لفظة «رنك» الفارسيَّة ومعناها اللون للدلالة على «الآرما» كما بيَّن

ذلك بشواهد عديدة الاستاذ روجرس (E. Rogers) في مقالة نفيسة بحث فيهـا عن الآرمة واصلها وشيوعها عند العرب قبل الفرنجة

(اصلهِ) زعم انَّ صواب قول العامة« اخذ المال من عين اصلهِ » محرَّف من قول الادباء«اخذهُ باصلتهِ » ونحن نرى ان العامّة لم يحرّفوا شيئًا بل استعملوا كلمة « الاصل » لبعض معانيهم

(ازّان) ليست عربيّتها كما قال المؤلف فنطاسًا لانَّ «فنطاسًا» دخيلة وهي لفظة يونانيَّة

(اسًا) خرج المؤلف عن موضوع كتابهِ بذكر هذه الكلمة العاميَّة في عداد الفاظهِ لأنَّهُ لم يبيّن لها « مرادفًا » بل ذكر تحريفها فقط . وقل مثل ذلك عن « اروح والتمّ »

(اكسبرس) للمؤلف في ايضاح اصل هذه الكلمة غرائب كأنَّهُ لا يدري انَّ في تعيين اصل الالفاظ لا يُنظر الى اصلها الاوَّل بل الى اللغة القريبة التي أُخذ منها المعنى الخاصّ وعليهِ فانَّ اكسبرس بمعنى « القطار المجدّ (١ في سيرهِ » انكليزيَّة كما نصّت عليهِ كلُّ كتب اللغة عند الفرنج وان كان اصلها البعيد من صفةٍ في اللغة اللاتينيَّة

فنكتفي لضيق المكان بهذا النزر القليل ليعلم المؤلف انَّ حضرة الاب لامنس راعاهُ في انتقادهِ غاية المراعاة ولم يبخس قدرهُ ذرَّةً . والسلام

مسئلة رياضيَّة عرضهـا على قرَّاء المشرق حضرة الاب الخوري جبرائيل رزق مرهج : ثلاثة اسلاك معدنيَّـة نحاسًا وذهبًا وحديدًا ضُمَّت الى بعضها على شكل زاوية وتره السلك الحديديّ فكان طولها جميعهـا على حرارة الصفر سنتيغراد ١٣٢ سنتيمترًا ثم وضعت على هذه الحالة في مانع مستمرّ الحرارة على درجة ١٠٠ سنتيغراد فزاد طولها جميعها ٠،١٩٣٤٠٢ سنتيمترًا ومن المعلوم ان تمدّد النحاس النوعي طوليًّا لكل درجة سنتيغراد ٠،٠٠٠٠١٨٧٢ وتمدّد الذهب ٠،٠٠٠٠١٥١٤ وتمدّد الحديد ٠،٠٠٠٠١١٨٢ . فكم كان طول كل قطعة على حدة ؟

اسئلة واجوبة

سألنا حضرة الاب الفاضل بهنام بدريَّة الموصلي : ١ً ما الفرق بين اللغة الاشوريَّة والبابليَّة . ٢ً هل توصّل احد الى لفظها الاصلي . ٣ً ما كانت اللغة الشائعة في اليهوديَّة

١) خطّأَ صاحب الدليل اثارهُ الله هذه العبارة وألحقها بلفظة (كذا) مع انَّ لها في كتب اللغة وجهًا ووردت مرارًا في الكتب القديمة . راجع نفح الطيب للمقرّي ونخب الملح (١٦:٣)

على عهد المسيح . ٤ً أكان يوجد حينئذٍ فرق بيّن بين السريانيَّة والعبرانيَّة . ٥ً هل يجوز وضع صور الموتى في الكنائس على سبيل التذكُّر بهيئاتهم . ٦ً متى جرى استعمال اسم الكردينال في الكنيسة

١ و ٢ لغة اشور وبابل

ج نجيب على الاوَّل والثاني انَّ لغة اشور وبابل هي لغة قدماء الكلدان التي وُجدت آثارها بالحرف المسماري منذ خمسين سنة في العراق . امَّا الفرق بينهما فمن قِبل اللهجة كالفرق بين لهجة المصري والسوري وكلاهما يتكلَّم بالعربيَّة وقد استدلَّ العلماء على هذا الاختلاف باشارات وجدوها وعلامات لحظوها في الكتابات الاشوريَّة لم يقفوا عليها في الخطوط البابليَّة . امَّا التلفُّظ باللغتين فقد توصَّل اليهِ العلماء على طريقة الحدس والتخمين بالمقابلة مع اللغات الساميَّة كالعربيَّة والسريانيَّة وذكر بعض الاعلام في اليونانيَّة والاشوريَّة معًا

٣ و ٤ اللغة الشائعة في اليهوديَّة على عهد السيد المسيح

ج اجمع جمهور العلماء الَّا افرادًا منهم انَّ اللغة الشائعة في اليهوديَّة على عهد المسيح هي اللغة الآرامية او السريانيَّة الَّا انَّ اهل فلسطين كانوا افسدوها بالفاظ عبرانيَّة وتراكيب اعجميَّة خاصَّة بهم فلذلك يدعوها العلماء باللغة السريانيَّة الفلسطينيَّة . وهي تختلف عن العبرانيَّة الفصيحة التي فيها أُنزلت اغلب اسفار الكتب المقدَّسة

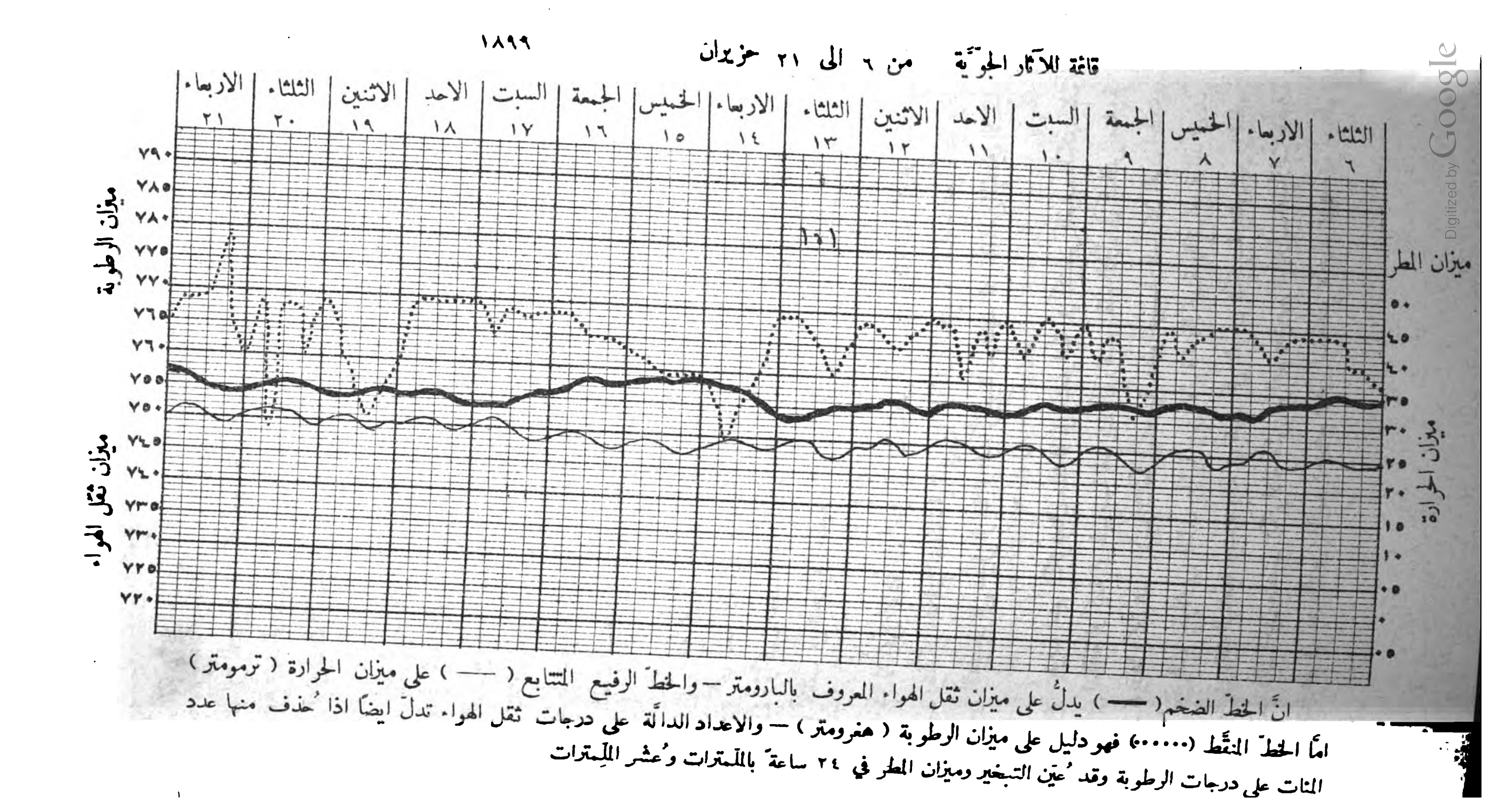
٥ وضع صور الموتى في الكنائس

ج لا يجوز عادةً ان تُعلَّق في الكنائس غير صور اولياء الله الابرار ليكرمهم الشعب ويتذكَّر اعمالهم الصالحة فيأتسي بها . الَّا انَّ الكنيسة تتسامح احيانًا في عرض غير صور القديسين على سبيل الزينة او التذكُّر بهيئاتهم اللهمَّ اذا كانوا من المؤمنين الاتقياء .

٦ اصل اسم كردينال

ج يُعرف اسمُ الكردينال منذ اوائل النصرانيَّة في كنائس الغرب . لكنَّما كان يدلُّ على اساقفة او كهنة او شمامسة لهم بين آل رتبتهم المقام الاوَّل في كنائس معلومة يتولَّون تدبيرها وكان هذا الاسم شائعًا في رومية وضواحيها . فلمَّا كان القرن الحادي عشر اتَّخذ البابا نيقولاوس الثاني حاشيةً من الاساقفة والكهنة والشمامسة المذكورين يخدمونهُ في رتبتهِ السامية ويساعدونهُ في تدبير كلّ شؤون الكنيسة بمشورتهم واعمالهم فتميَّز مذ ذاك الحين منصب الكرادلة عمَّن سواهم ومنحهم الباباوات امتيازات خاصَّة تزيد اعتبارهم في اعين الناس . واليهم وحدهم فوّض انتخاب الاحبار الرومانيين ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٦ الى ٢١ حزيران ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (—) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر)

امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات

المشرق

درع الرئاسة (الپاليوم)

نبذة بقلم حضرة الاب هنري لامنس

لمّا ورد الثغر في اواخر الشهر المنصرم النبأ البرقيّ يبشّر بان قداسة الحبر الاحبار منح غبطة السيّد الملفان مار الياس بطرس الاوّل بطريرك الموارنة الكليّ الطوبى درع الرئاسة طلب الينا بعض افاضل البلدة ان نفيدهم علمًا عن اصل هذه الدرع ومعناها واوصافها فلبّينا الى دعائهم بطيب الخاطر

(تحديدها) درع الرئاسة نسيج من الصوف الابيض يرسلهُ الحبر الاعظم الى البطاركة ورؤساء الاساقفة وبعض الاساقفة والقصّاد الرسوليين دلالةً على السلطة التي يخوّلهم ايّاها في كنائسهم

(اسماؤها) تدعى هذه الدرع عند اللاتينيين پاليوم (Pallium) اي رداء لشبهِ قديمًا بالرداء ويدعوهُ الروم اوموفوريون (Ὠμοφόριον) ومعناهُ ثوب المناكب ويواققهُ عند السريان البطرشيل (من اليونانيَّة Περιτραχήλιον ومعناها العقد). وهم يدعونهُ ايضًا ܩܘܠܣܐ اي قلادة وܐܘܪܪܐ (هرّار) من اللاتينيَّة (Orarium). ويقولون لهُ بالعربيَّة بُغمة وهي مشتقة من اللغة التركيَّة بُغماق اي شريطة وطوق

(وصفها) كانت درع الرئاسة في اوائل النصرانيَّة شبهُ كساء يشتمل بهِ الاساقفة عند اقامتهم الرتب الكنسيَّة. ثم طرأت على هيئتها اختلافات عديدة في كرور الازمان الى ان صارت على الشكل المعهود في ايامنا. وهي من الصوف وصوفها من جزَّة حَمَلين ابيضين يقدّمهما قانونيو كنيسة القديس يوحنا اللاتراني كلَّ سنة للحبر الاعظم. فاذا وافى يوم عيد القديسة الشهيدة أغنس في ٢١ كانون الثاني يُزيَّن الحملان بالزهور ويحملان الى الكنيسة الملكيَّة «Basilique» المبنيَّة على اسم الشهيدة ويُحملان وقت الذبيحة الالهيَّة

على وسادتين من المخمل الاحمر على جانبي الهيكل ثمَّ يتلو عليهما كردينال القديسة اغنس صلوات معلومة يطلب الى الله ان يعضد بقوَّتهِ الذين يلبسون الدرع المنسوجة من صوفهما ويرشّهما بالماء المقدَّس. ثمَّ يُحملان الى الحبر الاعظم فيباركهما ثم يسلّمهما شمّاسان الى راهبات القديس لورنسيوس فيقمنَ برعايتهما وتربيتهما ثمَّ يجزّ صوفهما يوم خميس الاسرار وينسج دروعًا وتصان في خزانة كنيسة القديس بطرس الى بيرامون عيدهِ فيؤتى بها الى عظيم الاحبار فيكرّسها ثم يودعها في محافظ ثمينة ويجعلها على قبر هامة الرسل منذ مساء اليوم السابق لعيدهِ فتبقى هناك الى ثاني يوم العيد. ولذلك يقال عنها أنَّها اخذت من جسم القديس بطرس (Desumptum de beati Petri corpore). وهي عبارة عن قدَّة عرضها ثلاثة اصابع تُجمع حول العنق فتطوّقهُ ولهذا الطوق طرفان ينزل احدهما على الصدر والآخر على الظهر يزيّنهما صلبان سود. وفي صورة الاوفوفوريون الذي يلبسهُ اساقفة الروم بعض الشبه بهذه الدرع الّا انَّ الاوموفوريون ذو الوانٍ مختلفة ولهُ طرفٌ واحد عريض مستطيل ينزل من الصدر الى الاسفل

(تاريخها) كانت الدرع المقدَّسة في اوائل الكنيسة من الملابس الحبريَّة. وقيل أنَّها كانت احدى الحلل المميّزة للحبر الاعظم خليفة هامة الرسل تقوم لهُ بمقام أفود عظيم الاحبار عند اليهود (خروج ٢٨ : ٤) دلالةً على السلطان الاعظم الذي منحهُ المسيح لبطرس الصفاة. الّا انَّ الامر ليس بجليٍّ واضح. وفي نقوش القديمة يرتقي عهدها الى اواسط القرن الرابع وُجدت في رومة يُمثَّل القديس بطرس وحدهُ لابسًا هذه الدرع بين جميع الرسل اشارةً الى سموّ مقامهِ وسلطانهِ الاعلى وعلى درعهِ نُقشت المفاتيح رَمز ملكهِ. وهذه الدرع يلبسها اليوم الباباوات عادةً صُلبَ نهارهم امَّا المُنعَم عليهم بها فلا يلبسونها الّا في وقت القدَّاس الالهيّ

ثمَّ اخذ الباباوات منذ القرن الرابع يمنحون الدرع المقدَّسة لمن يريدون اكرامهُ. واوَّل من فعل ذلك البابا مرقوس[١] ارسل درع الرئاسة لاسقف اوستية ومنذ ذاك الحين فُوّض الى اساقفة هذه المدينة ان يقدّسوا الاحبار الرومانيين. وفي سنة ٥١٣ ارسل البابا سمّاكوس هذه الشارةَ للقديس قيصاريوس اسقف مدينة أرل. ولمَّا ابتنى يوسطينوس

١) راجع ترجمتهُ في تاريخ الاحبار (Liber Pontificalis) وفي اعمال القديسين للبولنديين في المجلَّد ٥١ ص ٨٩٠





غبطة السيد الجليل الملفان مار الياس بطرس الاوّل
بطريرك انطاكية وسائر المشرق الكلي الطوبى

ملك الروم مدينة يوسطينيانة من اعمال ايليرية طلب الى البابا اغابيطوس سنة ٥٣٥ ان ينعم على اسقفها الجديد بلبس الدرع فأبى مجيباً ان الدرع ليست للاساقفة بل خاصة بالبطاركة والمطارنة (١

ومذ ذاك الحين لنا في التاريخ شواهد عديدة تنبئ بحقوق الاحبار الرومانيين من هذا القبيل فمنهم يستمدُّ البطاركةُ وغيرهم درعَ الرئاسة وهم الذين يوسّعون نطاق استعمالها او يحصرونهُ كما يشأوون ويضعون لذلك قوانين محدودة لا يسمحون لاحد ان يتعدَّاها

(معناها) معنى درع الرئاسة سلطة لابسها كما سبق. فلمَّا كان اصل هذا السلطان الالهي في الاحبار الرومانيين فاهم وحدهم ان يمنحوا هذه الدرع لمن يفوّضون اليهِ قسماً من سلطتهم ولا يسوغ للمطارنة ان يتولّوا تدبير كنائسهم ويتصرَّفوا بشؤون رعيَّتهم قبل ان ينالوا هذا الامتياز كما صرَّح بهِ البابا نيقولاوس الاوَّل في رسالتهِ الى البلغار

وفي صورة الباليوم ولبسهِ ورموزهِ مقالةٌ حسنة للبطريرك الجليل اسطفان الدويهي مُثبتة في كتابهِ «منارة الاقداس» الذي تولى طبعهُ حديثاً المعلم الفاضل رشيد افندي الشرتوني نختصر منها ما يأتي قال (١ : ٣٠٧ — ٣١٠):

«لا تُصنع دروع الرؤساء الّا في رومية حيث جسد بطرس... ثمَّ توزَّع على رؤساء الاساقفة في جميع النصرانيَّة لكي يكون جسد البيعة ناجياً من الشقاق وكلُّ مدبّريها خاضعين لصاحب الولاية كخضوع الاعضاء للرأس وعند ما يُنعم بالدرع على احدهم او على قاصدهِ يقال: اقبل الدرع المقدَّسة كمال الحبريَّة. وعند ما يلبسهُ وهو في القداس في الاعياد الجليلة يرتّل الشمامسة مع داود: المجد والجلال وضعتَ عليهِ لأنَّك جعلتهُ بركةً الى ابد الابدين

«ثم انَّ الدرع لا تصنع من حرير ولكن من صوف الغنم رمزًا الى النعجة الضالّة اي الطبيعة البشريَّة التي ضلّت عن معرفة الحقّ كما يقول الاسقف في كنيسة الروم عند ما يلبسهُ: لقد رفعت على منكبيك النعجة الضالّة وقدَّمتها لله ابيك

«ويجب ان يتسلَّم الرؤساء درع الحبريَّة على اكتافهم لتعليم البيعة انَّ السلطان الذي معهم هو من الله... وكذلك يذكر في سيامة البطريرك انَّ الرأس يأخذ البطرشيل

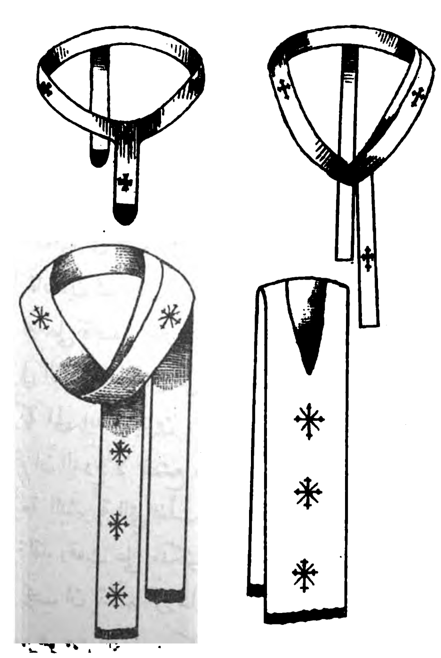
١) راجع منارة الاقداس للدويهي (١ : ٣٠٧)

ويضعهُ على عاتقهِ ويطويهِ على كتفـهِ اليسرى قائلا: لتمجيد ووقار وتعظيم الثالوث الاقدس المتساوي في الجوهر. ولاجل امان وبنيان بيعة الله المقدَّسة

« ثمَّ ان الدرع يُلبس فوق كل ثياب الكهنوت على هيئة البطرشيل ويُطوى ذيلهُ الايمن على الكتف اليسرى بحيث ينسدل على الكتف اليمنى طاق وعـلى اليسرى طاقان احدهما الى قدَّام والآخر الى الوراء. وينعقد الاثنان بجوهرة فوق الصدر لئلَّا يتضيق العنق

« وعلى مثل ذلك الدرع الذي يرسلهُ البابا من رومية وهم يخيطونهُ مدوَّرًا لكي لا يضيق على عنق لابسهِ. ويجعلون الطَّاقين على الكتف اليسرى ويعلّقونهُ بابرة من ذهب بدلًا من الجوهرة وبابرة أُخرى يعلّقون الذيل بالصدر. وباخرى يعلّقون الذيل الى خلف وذلك على عدد الثلاثة المسامير التي ثُقبت بها يدا الرب ورجلاهُ. وعلى عدد الفضائل التي يجب ان تكون في رأس الكهنة (وهي الايمان والرجاء والمحبة)

« وتُرسم على الدرع ستة صلبان اثنان على الكتفين واثنان على الصدر والظهر واثنان على الطرفين دلالةً على انَّهُ يجب ان يتحمَّل رعيَّتهُ التي اؤتمن على تدبيرها اوان الضيق والسعة ويهديها بافعالهِ وكلامهِ ويقرّب الطلب والقربان لاجل الاحياء والاموات منهم



اشكال مختلفة لدروع الرئاسة

« وهذا الدرع يختصّ بالرئيس وبالرعية التي أُقيم عليها ولذلك فاذا انتقل الرئيس الى رعيَّةٍ اخرى لم يجز لهُ ان يلبسهُ الّا برضى راعيها وان خلع نفسهُ من الرئاسة وترهَّب او ارتقى الى كرسي آخر وجب عليهِ ان لا يستعملهُ بل يبقيهِ الى وقت مماتهِ. واذا فُقد الدرع او احترق او سُرق فلا يجوز لهُ ان يصنع آخر مثلهُ بل عليهِ ان يلتمس من رومية غيرهُ. واذا مات الرئيس قبل ان يصل اليـهِ الدرع وجب ان يُحرق ويُطرح رمادهُ في جرن المعمودية. واذا مات بين رعيَّتهِ فلها ان تُلبسهُ اياهُ لكنهُ اذا مات خارجاً عنهـا وجب ان يوضع تحت رأسه ». انتهى

وفي الرسوم السابقة صور مختلفة تمثّل اشكالًا من الدروع المقدَّسة كما تُنسج على عهدنا

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقـة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رنزڤال اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل السابع

في بيان كيفية عمل الالحان من غير مواضعها وهو المسمى التصوير او قلب العيان (١

ان ارباب هذه الصناعة قد تُلجئهم الضرورة احياناً الى ان يُجروا ألحاناً من ابراج غير ابراجها الاصلية كلحنَي الدوكاه والحجاز مثـلًا الذَين اصل كون قرارهما على برج الدوكاه فانهم اكثر الاحيان يجرونهما عن برج النوى لكي ترتفع طبقتهما وتلذّ السامع وقد يكون ذلك ضروريًّا في بعض الالحان المزدوجة التي يكون عملها يتنـاول ديوانين وقرارها على برجٍ عالية مثل لحن شد عربا الذي يَعسر على المنشد ان ينشدهُ بان يكون قراره على الدوكاه لأنهُ حينئذٍ يضطر الى ان يصعـد بصوتهِ الى جواب الحسيني الذي على الغالب يعجز صوت المنشد عن بلوغهِ وان بلغهُ فيكون ذلك بعنفٍ شديد ويكون سماعهُ غير لذيذ. ففي مثل هذه الواقعة يصوّرون اللحن المذكور بان يكون قرارهُ برج اليكّاه او برج العشيران كما انّهم غالبًا يعملون ايضاً لحن الحيّر من هذا العمل

وامّا عندما يُراد إجراء العمل على آلتين مختلفتين في الطبقـة من اصل وضعهما

١) التصوير ما يعرفهُ الافرنج بقلب القرار او اللحن (Transposition, changement de ton) ولفهم هذا الفصل وما يليهِ من الفصول المهمَّة فليراجع القارئ الجدول العام ص ٢٩٨

كقانونٍ كبير طبقتهُ منخفضة ولا يمكن شدّ اوتاره اكثر من احتمالها فتنهتك ومعهُ كيرفت قصير وهكذا تكون طبقتهُ عاليةً بالضرورة فحينئذٍ لا تتوافق ابراجهما الّا بان احدهما يصوّر اللحن المُراد اجراؤهُ من اي برجٍ في آلتهِ يُطابق برج ذلك في الآلة الثانية ولذلك كان يلزم ارباب الصناعة الموسيقيّة الحذاقة التامّة في ضوابط فنّ اللحن المؤسّس على معرفة ابعـاد الابراج عن بعضها في كميّة الارباع بين كل برج وبرج وممّا فوقهُ وتحتهُ لان بهذه المعرفة يتمكّن الموسيقي من تصوير كلّ لحن على اي برجٍ ارادهُ

ولاجل زيادة الايضاح نورد لذلك مثـالين: الاوّل اذا أُريد إحالة برج النوى الى الدوكاه اي اذا أُريد ان يعمل من على برج النوى ما يعمل عن برج الدوكاه يلزم لهذا العمل إفساد برجين من الديوان وهما برج الحسيني وبرج الاوج بان ينزل كلّ منهما ربعًا واحدًا ليكون الاول تيك حصار والثاني عجمًا. وحينئذٍ تكون ابعاد الابراج من النوى الى جوابهِ على نسبة ابعاد الابراج من الدوكاه الى جوابهِ لان نسبة الدوكاه الى السيكاه كنسبة النوى الى تيك حصار ونسبة السيكاه الى الجهاركاه كنسبة تيك حصار الى العجم ونسبة الجهاركاه الى النوى كنسبة العجم الى الماهور ونسبة الحسيني مع النوى كنسبة المحير مع الماهور ونسبة الاوج مع الحسيني كنسبة البزرك مع المحيّر ونسبة الاوج الى الماهور كنسبة الماهوران الى البزرك [الخ]

والمثال الثاني انّهُ اذا أُريد احالة النوى الى الرست بان يعمل لحن الرست من برج النوى فقد تقدّم التفصيل في الفصل الرابع ان العمل من برج الغمّاز كالعمل من البرج الذي هو غمّازٌ لهُ وفي هذا المثال كان النوى غمّازًا لبرج الرست وهكذا الحسيني غمّاز لبرج الدوكاه والاوج لبرج السيكاه والماهور لبرج الجهاركاه والمُحيّر لبرج النوى. فهذه الابراج لا يُفسد منها شيء لانها متناسبة واما البزرك والماهوران فلا تصح نسبتهما الى الحسيني والأوج بل يُفسدان وحينئذٍ يلزم ان يُرفع البزرك ليصير جواب بوسيلك ويقوم مقام الحسيني وهكذا ايضًا يرفع برج الماهوران ربعًا واحدًا ليصـير جواب نيم حجاز ويقوم مقام الاوج وبذلك يتمّ العمل

وبرهان صحّة العمل في المثالين المذكورَين يظهر من هذين الجدولَين المرسومَين كما ترى فيما يليهِ

المثال الاول

في تصوير لحن الدوكاه من على برج النوى

الابراج الاصلية	الارباع	الابراج المصورة
رمل توتي		محيّر
جواب تيك حجاز	٢٤	تيك شهناظ
جواب حجاز	٢٣	شهناظ
جواب نيم حجاز	٢٢	نيم شهناظ
ماهوران	٢١	ماهور
جواب تيك بوسليك	٢٠	تيك نهفت
جواب بوسليك	١٩	نهفت
بزرك	١٨	اوج
سنبله	١٧	عجم
نيم سنبله	١٦	نيم عجم
محيّر	١٥	حسيني
تيك شهناظ	١٤	تيك حصار
شهناظ	١٣	حصار
نيم شهناظ	١٢	نيم حصار
ماهور	١١	نوى
تيك نهفت	١٠	تيك حجاز
نهفت	٩	حجاز
اوج	٨	نيم حجاز
عجم	٧	جهاركاه
نيم عجم	٦	تيك بوسليك
حسيني	٥	بوسليك
تيك حصار	٤	سيكاه
حصار	٣	كردي
نيم حصار	٢	نيم كردي
نوى	١	دوكاه

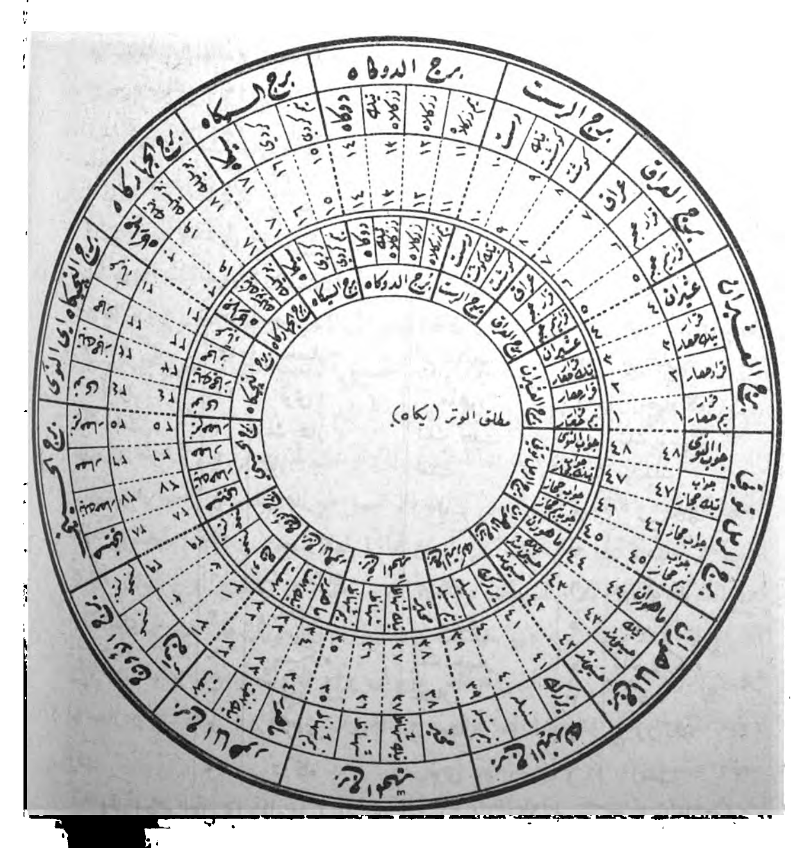
المثال الثاني

في تصوير لحن الرست من على برج النوى

الابراج الاصاية	الارباع	الابراج المصوَّرة
رمل توتي		ماهور
جواب تيك حجاز	٢٤	تيك نهفت
جواب حجاز	٢٣	نهفت
جواب نيم حجاز	٢٢	اوج
ماهوران	٢١	عجم
جواب تيك بوسليك	٢٠	نيم عجم
جواب بوسليك	١٩	حسيني
بزرك	١٨	تيك حصار
سنبله	١٧	حصار
نيم سنبله	١٦	نيم حصار
محيّر	١٥	نوى
تيك شهناظ	١٤	تيك حجاز
شهناظ	١٣	حجاز
تيم شهناظ	١٢	نيم حجاز
ماهور	١١	جهاركاه
تيك نهفت	١٠	تيك بوسليك
نهفت	٩	بوسليك
اوج	٨	سيكاه
عجم	٧	كردي
نيم عجم	٦	نيم كردي
حسيني	٥	دوكاه
تيك حصار	٤	تيك زركلاه
حصار	٣	زركلاه
نيم حصار	٢	نيم زركلاه
نوى	١	رست

وقد وضع اهل هذه الصناعة دائرتين الواحدة ضمن الاخرى مكتوبًا على استدارة كلّ منها اسماء الابراج مع تقسيمها اقسامًا متناسبة فبهذه الواسطة يُعلم بكلّ سهولة

ما يُفسد من الابراج عند تصوير اللحن المراد تصويرهُ من برج غير برجهِ الاصلي . وكيفيَّة العمل بالدائرتين ان تدير الدائرة الداخلة حتى يتوازى البرجان المطلوب تصوير احدهما من الاخر فحينئذٍ يظهر لك موقع كل برج وكل ربع وما يوافق منها وما يُفسد فما يُفسد ترفعهُ او تنزّلهُ كما يظهر لك من مطابقة الدائرة الداخلة مع الدائرة الخارجة وبذلك يتمّ العمل وقد رسمنا الدائرتين المذكورتين بغاية الاستحكام والضبط في التقسيم تحت عنوان الشكل السادس والدائرة العربيّة كما سترى (ستأتي البقيّة)



القوانين الصحيّة

في النّدَوات المدرسيّة (تتمّة)

لجناب الدكتور الفاضل هنري نكر احد اساتذة مكتبنا الطبيّ

٣ المَلهى او ساحة المتنزّهات – التجوُّل – الالعاب

هذا ولا بُدَّ لاحداث المدارس بعد تعب الدروس من آونةٍ معلومة يصرفونها في ترويض الاجسام وتفكهة الخواطر. وعليهِ فلا نُدحة من مَلهىً رحبٍ يمكنهم ان يُركنوا فيهِ الى الدَّعة ويُخلدوا الى الراحة وفراغ البال

ومن خواصّ ساحة اللعب ان تكون واسعة الارجاء يجد فيها الطلبة ما تروق لهُ عيونهم من مناظر بهجة كالاشجار والحدائق والجبال والبحر والسماء

وليكن حضيض هذه الفسحة موثورًا حسن الرصّ لئلَّا تخدّهُ الامطار فتحصل منهُ اوحال يتورَّط فيها الطلبة وقت نزهتهم. وليكن في تجهيز هذه الساحة بعض انحناء او تحدُّب لتجري المياه الى مجاريها

ثمَّ ليجعل في اعلى هذه الباحة رواق او سقيفة (hangar) يأوي اليها التلامذة عند هطول الامطار. وبجوارها محلّ يُروَّض بهِ التلامذة على الالعاب الرياضيَّة المعروفة بالجمنستيك. امَّا اسفل صحن الدار المذكورة فلتغرس فيهِ ثلاثة صفوف من الاشجار الوارفة الظلّ تبعد عن بعضها ستَّة امتار ليستظلّ تحتها الاولاد في الصيف. والأولى ان يُبنى في وسط الصفّ الاخير منها كُنُف لقضاء الحاجة ويكون عددها بنسبة مرحاضٍ لكلّ عشرة طلبة. امَّا تكسير ساحة اللعب فمعدَّلهُ ٦٠ مترًا طولًا في ٥٠ عرضًا اي ٣٠٠ متر مربَّع لسبعين طالبًا. واليك صورة هذه الفُسحة كما وصفناها (انظر ص ٦٣٥)

ثمَّ اعلم ان وقت التفسُّح يُرخى العنان شيئًا ما لطباع التلامذة فيملكون من الحرّيَّة ما لم يملكوهُ في وقت الدرس والتعلُّم فلذلك ينبغي ان يراقب حركاتهم وسكناتهم رجلٌ خبير محنَّك بسياسة الاحداث لا يبالغ في القساوة والفظاظة ولا يتجاوز حدود اللُّطف والرفق يقوم لديهم مقام ملكٍ منظور يصونهم من كلّ ما من شأنهِ ان يُفسد طباعهم او يضرّ صحَّتهم ويُضعف قواهم. والحقّ يقال ان مهنة المناظر في المدرسة لمن اجلّ المهن كيف لا وعليهِ يتوقّف تهذيب اخلاق الاحداث وترويضهم في الآداب

المدنيَّة. وما يزيد منصبهُ شأناً ان المناظر ليس بيدهِ طعم العلوم ليغـذي بهِ عقول التلامذة وينزّه البابهم برياض المعارف كما يفعل المعلمون وانّما يترتّب عليهِ بحذقه ودرايتهِ ان يصرف خواطرهم عن الاميال المنحرفة الى ما فيهِ صلاحهم ويُنكِّب بهم من حيث لا يشعرون عن جادَّة الشرّ. وعليهِ فقد اصاب من قال انَّ ثلاثة ارباع تثقيف الاحداث في المدارس منوطة بالمُناظر فان لم يُحسن قيادة الطلبة اضحت المدارس منجماً للفساد ومثوى للدعارة وتلك الطامّة الكبرى

وربَّ سائلٍ يسأل وكيف يقوى المُناظر على القيام بواجباتهِ هذه الهامَّة؟ جوابنا انَّ الالعاب في وقت التفسُّح هي سلاح المناظر فان فَقِه استعمالها وحبَّبها الى الاحداث اراح اجسامهم من ضنك التعلُّم وصان قلوبهم من الشرّ وألسنتهم من الكلام البذي وعاد التلامذة بعد نزهتهم برغبة جديدة الى دروسهم. ولولا الالعـاب لاستولى عليهم الملل وثارت في عقولهم هواجس الاهواء وزرع الشيطان في تربة قلوبهم زوان الفـتن والآثام. فمن ثمّ لا يؤذن لاحد من التلامذة ان يتفرَّغ للدرس في فرصة التفسُّح لينال الجميع معاً نصيبهم من الراحة

امَّا الالعاب التي يمكن ان يتلاهى بها احداث المدارس فمتعدّدة كثيرة الاصناف وصفها احد الآباء اليسوعيين في كتاب حسن دعاهُ « الالعاب في المدارس » (Les Jeux dans les Collèges) نشير على المنـاظرين ان يطالعوهُ لكثرة فوائدهِ. فمن هذه الالعاب صنفٌ يشغل كلّ تلامذة احدى الفئات. بحيث يجد كلّهم ألهوَّةً لنفسهِ سواء قُسمت الفئة الى قسمين متخاصمـين او لم تُقسم فمن ذلك لُعب الكرَة الانكليزيَّة (le ballon anglais) او الكرَة البلديَّة (الطابة) ولعب الحواجز (les barres) والرايات (le jeu de drapeau) وضروب العَدْو. ومنها صنفٌ يتلهَّى بهِ عدد معلوم من التلامذة كالجُلَل (الكُلل) ورمي الكُرين الخشبيَّة (les boules) والسُدَّر (marelle) الخ. ومنها اخيرًا ما يتلاعب بها كلُّ طالبٍ وحدهُ او مع رفقتهِ كالخذروف (البلبل) والطيَّارات والالعاب الرياضيَّة

واعلم انَّ المُفضَّل بين هذه الالعاب ما شغل الفئة جمعاء لأنهـا لا تورث الملل كغيرها. وتُؤثَر ايضاً الالعاب التي تَضطرُّ التلامذة على الحركة الكثيرة لأنّها اصلح للابدان. ولا بُدَّ ايضاً من مراعاة فصول السنة فان الشتاء يقضي باختيار الالعاب التي

تنفي البرد عن الجسم وتحرّك الاعضاء. وفي حمارّة القيظ الاولى ان يتلاهى التلامذة بلاءٍ قليلة الحركة كلعب الشطرنج والنّرد (tric-trac) وما شاكلهما

ومن العادات الدارجة في المدارس ان يخرج المناظر احياناً في الاسبوع بالتلامذة من المدرسة ليتجوّلوا في احياء البلدة او في الجبال او في الغابات المجاورة ترويحاً لنفوسهم. وفي هذا التطواف ارتياض حسن للجسم. بيد انّهُ يقتضى على المناظر ان يختار الاماكن البهجة المنظر الصافية الهواء الواسعة الافناء حيث يستطيع الاحداث ان يعدوا ويروّضوا اجسامهم باصناف الالعاب دون ان يستلفتوا اليهم انظار القوم او يروا من الغرباء ما لا يليق بسنّهم. وعلى المناظر ان يجد في كلّ نزهةٍ ملهىً جديداً لم ينتظرهُ التلامذة فانّ النفوس ترتاح الى كلّ تلهيةٍ مستطرفة مستحدثة

وكنّا نودّ ان يختار ارباب المدارس معلّمين يروّضون الطلبة على العابٍ أُخرى تزيدهم حذقاً ورشاقةً كالرّمي والصيد والسباحة والسيف والترس وبعض الحركات العسكريّة ليعتادوا حسن المشي. ولا يخفَ رؤساء المدارس ان يقلّلوا شيئاً من الدروس لتنشيط هذه الرياضات الجسميّة فانّ صحّة التلامذة تقوى بذلك وتزيد عقولهم نشاطاً على الدرس فيستعيضون بذلك ما فقدوهُ من الوقت

٤ المطعم

بقي علينا لختام مقالتنا ان نذكر بوجيز الكلام ما يختصّ بالمطعم او بيت الاكل. وليس من غايتنا ان نخوض هنا في ابحاث صناعة الطبخ وانّما نكتفي بايراد بعض ملاحظاتٍ نزفّها الى ارباب المدارس لعلّهم يجدون في مطالعتها فائدةً

قلنا سابقاً ان معدّل ساعات النوم لأحداث المدارس بين ثماني ساعات وعشر. فينتج من ذلك انّ الولد يصرف في العمل نحو خمس عشرةٍ ساعة يحتاج في اثنائها الى الطعام مراراً. واوقات الاكل عادةً اربعة: اكلتان كبيرتان عند الظهر والمساء واكلتان خفيفتان صباحاً وعصراً

لا نرى لطعام الصباح لاسيما في فصل الشتاء اصلح من الحساء (الشوربة) السخن يُثرَد فيهِ الخبز والبطاطا واللهانة (الملفوف) مع شيءٍ من الدهن. وهذه الثردة يقتات بها احداث المدارس في كثير من البلاد وهو القوت الذي يفضّلهُ في فصلي الشتاء والربيع اهل جبال فرنسة الوسطى المشهورين لذلك بشدّة اجسامهم.

على أننا نعلم انَّ احداث سوريَّة لا يألفون هـذا المأكل وما ذلك الَّا لجهلهم بخواصـهِ وهو كثير الغذاء طيّب الطعم قليل النفقة

رواق او سقيفة

محل الملاعب الرياضية

ساحة اللعب

ثلاثة صفوف اشجار

مراحيض

وأكل الغـداء في المدارس مرجعهُ الى مرقٍ يليهِ شكلٌ من اللحم وشكل آخر من البقول مع صنف من الفواكه. وفي اصيل النهار يُعطى للتلامذة كسرة من الخبز يتخلّلون بها الى المساء

امَّا العشاء فهو شبيـهٌ بالغداء ما خلا المرق. والأولى ان لا يبالغ الطلبة في الاكل مساء فذلك اسرع للهضم واهنأُ للنوم جريًا على قول المثل: قلِّل طعامك تحمد منامك

امَّا كميَّة المآكل التي يحتاج اليها احداث المدارس من خبز ولحم ودسم فهذا معدَّلها وفقًا لحسابات الاطباء ومشاهير الاقتصاديين :

	خُبز	لحم	دسم
فئة الكبار المتوسّطين	٨٠٠ غرام	٢٠٠ غرام	٥٠ غرام
فئة الصغار	« «	١٥٠ غراماً	٤٠ غراماً

ولا بُدَّ ان يكون الخبز واللحم من افضل صَنف لانَّ عليهما مُعوَّل أكل التلامذة وهم في سنّ النموّ لا غنى لهم عن الطعام المُقيت والنظيف معًا وليكن ماؤهم عذبًا طيبًا يُمزج بقليل من الخمر اذا كانت العادة جارية كما ترى في مدارس اوربَّة

هذا ما سنح لنا من الخواطر في اثناء كتابة هذه النبذة الوجيزة. على انَّ قوانين

الصحة في الندوات المدرسيَّة تقتضي امورًا أُخرى غير التي ذكرناها كمسألة ملبوس الطلبة وتمريضهم الّا ان هذه الابحاث تؤدّي بنا الى الاطالة والاسهاب المملّ. ونختم كلامنا بقول احد كتَّاب العصر الذين بحثوا في تربية الاولاد:

« لتكن قصوى غاية ارباب المدارس ان يهذّبوا الاحداث نفسًا وجسمًا ويربّوهم افضل تربية وليعتبروا فيهم صورة خالقهم في الحاضر ورجال بلدهم في المستقبل يقومون لديهم مقام الابوين فيعدّون للدين اركانًا ولاهلهم فخرًا وسلوانًا وللوطن انصارًا واعوانًا »

ارجوزة

في وصف الطاعون

للشاعر المجيد المرحوم نيقولا الترك

وقفنا على نسختين من هذه الارجوزة التي الَّفها هذا الشاعر المفلق في العُشر الثاني من هذا القرن وكان قد ابتلى الله دير القمر بهذا الوباء المشؤوم في ايامهِ فامرهُ الامير بشير الشهابي بوصفهِ فكتب لهُ هذه القصيدة التي احببنا ان نتحف بها قرَّاءنا تفكهةً لخواطرهم مع ما فيها من الاوصاف الحسنة المطابقة لبعض اكتشافات العلماء المحدثين. والشاعر يدعو ميكروب الطاعون بالسُّمّ (راجع مقالة الطاعون الدُّمَّلي وشهيد العلم في العددين السابقين). وقد اهملنا من هذه الارجوزة بعض ابيات سقيمة واصلحنا ما امكن اصلاحهُ دون ان نلحق بمعانيها تغييرًا يُذكر

ل. ش

يا طالبًا حقيقة الانباءِ	والحكم في ماهيَّة الوباءِ
انَّ الوبا سُميَّةٌ دبَّاقهْ	لصَّاقةٌ نفَّاذةٌ خرَّاقهْ
تسبح في الابدان سبح الدُّهنِ	اذا جرى في الصوفِ او في القطنِ
والاصلُ فيهِ من فساد الأهويهْ	وكثرُهُ عند اهتياج الأدميهْ
لذاك في فصل الربيع يتَّسعْ	وفي هجير الصيف قطعًا يندفعْ
وبالشتا يخفيهِ عُظم البردِ	وان بدا يمنعهُ من مدِ
وشأنُ هذي العلَّة العضَّالهْ	والآفة المهلكة القتَّالهْ
ان تُعديَ الانسان عند اللَّمسِ	وليس في ما قلتهُ من لبسِ

وليس بالشمّ لها من فعلِ فسمُّها النفَّاذ لمساً يبلي (١
وبعد ما يُعدي ويسري في البدنْ ويمخضُ الأخلاط إمخاضَ (٢ اللبنْ
يبينُ في الجسم اذا ما قشعَرْ (٣ من موضعٍ مسترقٍ (٤ او اكثرْ
وربّما ينفذ في الآباطِ بعد انتكال الجلدِ او خُباطِ (٥
او هو يبدو خلفَ أُذن الشاكي او في مُرقّاةٍ من الاوراكِ
فان بدتْ بثرتهُ محمّرهْ فأمنْ وَخفها ان بدتْ مخضرهْ
والبعضُ منهم قال عن ذي المحنهْ بانها كوَخز رمحٍ طعنهْ
وقولك « الطاعون » ذا مَقولُ ميزانهُ في اللغة الفاعولُ
وكلّما تكاثرت بَثراتهُ بالجسم قلّت منهُ سمّياتهُ
اذ ربّما بالكُثرِ يُرجى السَلمُ ومفردُ الدُمّل فيهِ الوهمُ
لاسيا ان لم يُرَ تفجيرُ او لم يَبِنْ من عرقٍ تفطيرُ
فذاك لا ريب بهِ الوبالُ داء عقيمٌ ناجسٌ عضالُ
وحالُ هذا الداء فيهِ الكلُّ حاروا وعن علاجهِ قد كَلّوا
فأجمعوا الرأي بهِ واعتمدوا ان حلّ يوماً في مكانٍ بعدوا
وان يَقلْ معترضٌ مَن ينهزمْ يوثم لانّ الفرَّ منهُ قد حُرِم
أنكرْ وقُلْ سبحانهُ ربُّ العلى قد قال لا تلقوا بايديكم الى (٦..
واعلم هداك الله يا ابن الودِّ واسمع باصغاء لهذا الرشدِ
ان حلّ طاعونٌ بارضٍ فارحلِ او فاحتجب من خلف بابٍ مقفلِ

وبعد هذا يعدّد الشاعر في نحو عشرة ابيات ما يحتاج اليه من الذخيرة مدّة عزلتهِ ثم يردف قائلاً وقولهُ حريٌّ بالاعتبار :

وجلُّ ما يؤذيك يا انسانُ ألصوفُ ثمَّ القطنُ والكتّانُ
والشعرُ ثمَّ الجلدُ ثمَّ الريشُ كلٌّ بهِ يمتدُّ ذا التشويش
والحبلُ والخيطانُ والاوراقُ فالسمُّ فيها كلُّها خرّاقُ

---

١) والصواب : يبلو ٢) والصواب : تمخض ٣) والصواب : اقشعرّ
٤) فكّ ادغام « مسترقّ » للضرورة ٥) الخُباط كالهذَيان
٦) هذا من نوع الاكتفاء اي الى الخطر والموت

والخلَّ أكثِرْ منهُ فهو الرُكنُ   والسمُّ منهُ في الوبا لا يدنو
والتبغَ خذ مفرومهُ(١ مقدار ما   يكفيك للمشروب طول الاحتما
وبيِّض النُحاسَ قبل القفلِ   كي لا يصيبهُ الصَّدا بالخلِّ
واصنع من الحديدِ في ذا الخطبِ   رمحًا طويلًا رأسهُ ذو شُعبِ
وخُذهُ ملقاطًا طويلًا يجدي   نفعًا للَقطِ ما تشا عن بُعدِ
واقنُ اناَئينِ من الفخَّارِ   واجعلهمـا من خلف باب الدارِ
واملأهما ماءً نظيفًا طاهرا   في كلِّ يومٍ تغدو فيهِ باكرا
فواحدٌ ضعْ فيهِ كلَّ الخضرهْ   وآخرٌ للحم خوف الذَفرهْ(٢
واللحمَ فاغطسهُ بماءٍ ساخنْ   واغسلهُ بالحرص بلا تهاونْ
كذا البقولُ نقّها بالفطنهْ   من شعرةٍ او خرقةٍ او قطنهْ
وان أتت تذكرةٌ من خارجِ   خُذها على منوال هذا الناهجِ
اي مدّ ملقاطًا طويلًا محكمًا   وألقطها لقطًا مستقيمًا ملزمًا
واغمرها بالخلّ الثقيف الحاذقِ   لا تُبقِ قسمًا منها غيرِ غارقِ
وهكذا دراهمٌ او ذهبُ   او فضَّةٌ يُنقيهـا خلٌّ طيّبُ
وغيرَ مكتوبٍ ولحمٍ او خُضَرْ   او درهمٍ لا تقبلنْ خوفَ الخطرْ
وكلَّ يومٍ بكرةً اذ تنتبهْ   إكنس اراضي الدار حَذَرَ رِيبَهْ
من ريشةٍ او خرقةٍ او قطنـهْ   قد ألقيتْ في الليل من ذي فتنهْ
او سقطتْ من طائرٍ منجّسِ   بسمّ شخصٍ بالوبا مدنّسِ
وان ترى شيئًا كذا فألقطهُ   بملقطٍ وخارجًا أسقطهُ
والخبزَ لا تأكلهُ الّا بائتا   واحذرهُ سخنًا او طريًا ثابتا
ثمّ اعتمد تقليبَهُ بالفردِ   من شعـرةٍ تؤذي وخيطٍ يُردي
واحذر دخول الزهر بالاجمالِ   فالزهرُ في العـدوى من الوبالِ
واحذر من الفـيران واخشَ الهرّا   لا تقبلنهُ ان أتى من برّا(٣

١) المفروم عامّيّة يريد ما نُعِّم من التبغ بالقطع
٢) في الاصل: الزَفرة بالزاي يريد بها دسم اللحم وبهِ يعلق باشلوس الطاعون
٣) من برّا عامّيّة ابقيناها على لفظها

فالهرُّ حيوانٌ يحبُّ القوتا	يطوف ثمَّ يفسدُ البيوتا
ينقلُ سمَّ العُدْوى فوق الفرشِ	فاحذرهُ واحذر كلَّ جنس الوحشِ
اذ كلّ ذي جسمٍ وفيـهِ النسمُ	يسري بهِ ذا السمّ فيـهِ العدمُ
وأمن ترابًا وحجارًا او خشبْ	اذ كلّ ذي يُبسٍ سليمٌ من عطب
فبعد اتمامِ لذا القانونِ	لتحتمي في مدّة الطاعونِ
وبعد حفظ الواجبات اللاتي	قد قُرِرت يا صاحِ في اياتي
سلِّم جميع الامرِ للرحمانِ	تسليمَ عبدٍ مُخلص الايمانِ
واعلم بان لا شيء يبدو اصلا	الّا باذن الله فاحذر جهلا
واحرز معاني هذه الارجوزهْ	وكم بها من حكمةٍ مكنوزه
والتُّرْكُ مُنشيها يَسالُ العفوا	اذ لم يكن لمنشاها كفوا

نبذة

في كتاب الشرطونيَّة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي

بقلم حضرة الاب الخوري بطرس شبلي الدفوني

كان المرحوم المطران يوسف جعجع مطران قبرس مولعـًا بجمع الكتب الخطّيَّة وبالخصوص ما احتوى على شيء من تاريخ طائفتنا فاشترى كثيرًا منهـا لمَّا كان في خورنية دمشق ثم لمَّا صار مطرانًا على قبرس استنسخ عدَّة تآليف واستولى على غيرها ممَّا وجدهُ في اماكن شتَّى. وقد عثرتُ بين هـذه الكتب المحفوظة في خزانة المدرسة اللبنانية في قرنة شهوان على شرطونية السعيد الذكر الشائع الصيت العلامة الفـاضل البطريرك اسطفان الدويهي وهي الشرطونية (١ التي امر بنسخها بعد ان اعتنى بتنقيحها على نسخ قديمة ووضع لها شرحًا مطوَّلًا عن رتب وضع اليد مع اعتبارات روحيَّة في شرف الكهنوت وسمو الوظائف الاكليريكية ورموز الحركات في الرسامـة ووصف

١) الشرطونية لفظة يونانية Χειροτονία معناها وضع اليد ويسميها السريان ܣܝܡܝܕܐ والمعنى ذاته. وهي الرتبة التي يتكرّس بها خدام المذبح والاساقفة والكتاب الذي يحوي الصلوات التي يجب تلاوتها عند وضع اليد



اللابس الكهنوتية المختصَّـة بسائر الدرجات. فاحببتُ ان اقدم شيئاً من كلام ذلك الحبر الغيور افادةً لقرَّاء المشرق من ابناء طائفتنا المارونيَّة وطمعاً بتنبيه الافكار الى البحث عمّا حُفظ الى ايّامنا من هذه الكتب القديمة التي قلّما تخلو من فائدة وهي تستوجب الفحص. واني لاودّ لو فُتح لنا نحن الموارنة مكتبٌ تُجمع فيهِ الكتب المتبدّدة في الديار اللبنانيَّة فيسهل على اهل العلم البحث عن تقاليدنا وطقوسنا وتاريخنا اذ بذلك فخرٌ جزيل للطائفة وفائدة عظيمة لكثيرين

امَّا الشرطونيَّة الدويهية فتشتمل على ٣١٩ صفحة يبلغ طول الصفحة ٣٢ سنتيمترًا وعرضها ٢١. والصفائح بعضها بعمود واحد واكثرها بعمودين وقد كتبت بالحبر الاسود والاحمر وفي هامشها بعض زيادات واسنادات باللاتينيَّـة الى قوانين المجامع المقدَّسة وارجح انَّها عُلِقت بيد البطرك السعيد الذكر(١. ويتقدم الشرح الذي في صدر الكتاب باب في تاريخ الشرطونية المارونية وما طرأ عليها في غابر الاجيال. وفي آخر هذا الشرح التاريخ الآتي: «كمل هذا الشرح الذي ولَّفهُ (كذا) الاب البار الجالس على كرسي انطاكية الرسولي مار اسطفان الدويهي المكلَّل بجميع العلوم الالهيَّة والطبيعيَّة على يد احقر الناس وارذلهم العبد الخاطي يوسف بالاسم خوري من قرية حصرون في ٢٣ من شهر نيسان سنة ١٦٧٥ ربانية عيد مار جرجس »(٢

وفي آخر الشرطونية ما نصُّهُ: «كملت هذه الشرطونية سنة ١٦٧٥ ربانيـة في اول يوم من شهر حزيران المبارك. وهي برسم الاب الاقدس والاناء الاقدس رأس الرؤساء والمعلمين البار مار اسطفان الهدناني من العيلة الدويهيَّة الجالس على كرسي انطاكية الرسولي. فريد عصره في معرفة الرتب البيعيَّة والتسالم الرسولية ادامه المولى علينا وعلى سائر البيعة المقدسة زمان طويل امين. وكان ذلك على يد احقر تلاميذه واقلّ عبيده الخاطي الخرطش يوسف بالاسم خوري ليس بالفعل من قرية حصرون طالب من كل قارئ انهُ يذكر حقارتي في محل صلواتهِ »

---

١) اذكر منها ص ٢٤ وص ١٢٠. Bellarm.: *de Ordine*, lib. I c. 12, p. 921: Nicæn. c. 18 — ; c. Apos. — ; c.Ancir. c. 7 الخ

٢) اوردت هذا التاريخ وغيره بحروفـهِ ولم اتعرّض لتغيير شيء مطلقاً من عبارات المؤلف او النساخ

وقد ذكرتُ هذين التاريخين لغاية وهي ان الشرطونية التي بيدنا كمل نسخها سنة ١٦٧٥ اي خمس سنوات بعد ارتقاء البطريرك اسطفان الى السدَّة البطريركية. وسنرى ان الشرح الذي في نسختنا هذه كمسوَّدة الشرح الذي عملهُ فيما بعد واراد طبعه(١

١) ولكيلا تفوت القرَّاء فائدة من هـذا الكتاب اذكر انَّهُ سُطِر في اولهِ بحرف سرياني التاريخ الآتي: [illegible] — (وتحتهُ ختم البطرك الياس المذكور) ثمَّ ما حرفهُ: «فلما كان تاريخ سنة ١٧٤٢ مسيحية في ١٣ ايار نهار عيد العنصرة انتقل الى رحمة مولاه سالفنا المرحوم مار يوسف البطريرك الانطاكي الخازن ابن المرحوم الشيخ ابو قانصوه في دير ريفون في ثالث ساعة من النهار (وهو البطرك الثالث بعد الدويهي جلس من سنة ١٧٣٣ الى ١٧٤٢). وكان دفنهُ في قرية غوسطا في كنيسة مار الياس كرسي مطرنيته. وفي اليوم الثالث من وفاتهِ اجتمع حضرة اخواننا المطارين المحترمين المطران سمعان والمطران فيلبوس والمطران اسطفان والمطران حنا والمطران جبرائل والمطران مخائل (وهم مطارنة دمشق وجبيل والبترون واللاذقية وبانياس. اطلب اسماءهم في المجمع اللبناني الذي عُقد سنة ١٧٣٦. لكنّي لم اجد اسم كرسي المطران جبرائل) في دير مار انطونيوس عين ورقة وبانتخاب عام انتخبوني بطريركاً عليهم انا المحرر اعلاه اسمي وختمي وذلك كان في ١٥ ايار نهار الثلاثة عيد السيدة الملقَّب بالسنبل. والكهنة الذين وضعتُ اليد عليهم بعد ارتقـائي الى هذه الوظيفة هم المحرَّرون ادناه: اولًا القس مخايل لوقا القبرسي تلميذ المدرسة الرومانية. ثانياً القس انطانيوس راهب من شننعير على مزرعة شمعرير (وهي شمعرين) في بلاد الشوف وذلك في سنة ١٧٤٣. وفي اواخر شهر شباط حضرنا الى دير مار موسى الكائن في مزارع كسروان (مار موسى الحبشي) واخذنا السكنى هناك ورسمنا القس سمعان الذي من مزرعة كفرديان راهب على دير مار يوحنا قتاله تابع دير مار موسى. وفي اربعة من نيسان رسمنا الخوري سليمان كاهن عالمي على قرية فغال في بلاد جبيل وفي السابع عشر من شهر ايار للسنة المذكورة رسمنا الراهب يواكيم قساً على دير مار شعيـا. وفي السادس والعشرين من هـذا الشهر وهذه السنة رسمنا الشدياق موسى قساً على مزرعة راس الحرف في بلد المتن». (قلنا) انَّ الياس محاسب الفسطاوي مطران عرقا انتُخب بطريركاً بعـد ان كانت القرعة الاولى اصابت المطران سمعان عواد مطران دمشق الذي ابى قبول انتخابه زهدًا وتعففاً. الَّا ان المطران طوبيا الخازن رفض انتخاب المطران اليـاس المذكور لانهُ كان غائباً اوان الانتخاب واتَّفق مع المطران جبرائل من طائفة السريان واحدثا رسامة مطرانين من الرهبـان وهذان انتخباه بطريركاً في دير اللويزه. ورفع البطريركان امرهما الى الكرسي الرسولي فحكم البابا بناديكتوس الرابع عشر ببطلان انتخابهما واقام بأمرهِ سمعان عواد مطران دمشق بطريركاً على الطائفة المارونية وارسل باسمهِ براءة رسوليـة في ١٦ اذار سنة ١٧٤٣ وامر الجميع بان يقدموا لهُ الطاعة المألوفة والخضوع الواجب فاظهروا الطاعة الكاملة لمراسيمهِ وقبلوا بفرح عظيم بطريركهم سمعان عواد المذكور. راجع النبذة التاريخيَّة في المقاطعة الكسروانية ص١٥٢. — ولم يذكر البطريرك الياس في سلسلة البطاركة التي نشرها في المشرق وعلَّق حواشيها رشيد افندي الشرتوني



وفي آخر الكتاب بعض صفحات تتضمن رتبة « لبس درع البطركية » بالعربية والحروف السريانيَّة « وصلاة الثبات بالميرون » بالعربية ايضاً. و « تكريسَ المقابر على زيّ كنيسة رومية ». ثم ميمرًا سريانيًا على وزن ܟܡܫܘܚܐ ܕܡܥܢܝܬܐ ذُكرت فيهِ كل البدع التي صدرت في الشرق ضد تعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة. ويليهِ « رتبة استقبال التثبيت ولبس الدرع الرسولي » بالسريانيَّة مع منارة بالعربية. وهذه الرتبة أُضيفت الى كتاب الشرطونيَّة « سنة ١٧٠٨ م في آخر شهر كانون الثاني المبارك بايام الحبر الاعظم مار يعقوب الحصروني (١ بطريرك مدينة الله انطاكية وهو الذي رتبها واعتنى بها. وذلك على يد احقر خلق الله بالاسم شماس سمعان عواد تلميذ البطريرك المرقوم » كما هو مذكور في اخر صحيفة

ولنرجع الآن الى ما كتبهُ سيّدنا البطرك اسطفان عن تاريخ الشرطونية كما هو مسطَّر في نسختنا:

« بسم الله الموَحد في الذات والمثلث بالصفات. نكتب شرحاً مختصرًا عن رتبة الشرطونية السريانيَّة وعن معانيها المحتجبة مما نطق بهِ الاب البار والمعلم المختار مار اسطفان الدويهي بطريرك مدينة الله انطاكية افادنا الرب بركة دعائهِ

فاتحة الكلام

« الاجلّ في المراتب الشريفة والمكارم المنيفة الذي تفضَّل بهِ السيد المخلِّص على بيعتهِ وفضَّلهُ على مراتب امراء الارض وسلاطينها وعلى مواكب النورانيين في السماء وجنودها هو سر الكهنوت المكرَّم الذي انعم بهِ على جنس البشر لتقديس جسدهِ الكريم وتوزيعهِ على الخراف الناطقة المشترين بدمهِ الثمين حتى ان الرجل القائم بخدمتهِ يكنّيهِ ملاكهُ وفمهُ ونصيبهُ ونائبهُ ولم يكره ان يسمّيهُ في الكتب المقدسة ايضاً باسمهِ كقولهِ تعالى لموسى كليمهِ. انظر اني قد جعلتك الهًا لفرعون (٢ فيتكنّى الكاهن ملاك الرب لانهُ يشبهُ الملائكة وهو قائم بخدمتهِ ومكمّل لمشيئتهِ بغير فتور. ويدعى فمهُ لانهُ اعطاهُ السلطان الشريف لتقديس جسدهِ ودمهِ وانهُ كالمسلط ينطق بنواميسهِ وسننهِ. ولقَّبهُ بنصيبهِ وقرعتهِ لانهُ ائتمنهُ على تدبير جماعتهِ ووعده ان في الملكوت يقيمهُ على جميع

١) البطرك يعقوب عواد الحصروني وهو البطرك الذي بعد الدويهي جلس من سنة ١٧٠٥ الى ١٧٣٣

٢) سفر الخروج ٧ : ١

ماله بدلًا عن تعبهِ ومنحهُ نيابتهُ على الارض لانهُ وهبهُ مفاتيح الحلّ والربط على خزائنهِ واسرارهِ واثر ايضًا بتسميتهِ الهًا لانهُ جعل امرهُ على جميع خلائقـهِ وذلك بسبب اقترابهِ اليهِ واعتصامه مع عظمتهِ بالروح كقولهِ: كما انك يا ابتاه فيَّ وانا فيك ليكونوا هؤلاء فينا ايضًا واحدًا (١ . وعلى شبه الرسم الذي حرَّرهُ الله في العتيقة عن صفوة موسى وهارون الكاهنين المختارين وفي الجديدة عن انتخاب الرسل الاطهار بوقات (ابواق) الروح روح القدس كذلك امر الآباء الاخيار ان لا احد يصعد الى درجة الكهنوت الّا بعد جهدٍ جهيد وفحص بالغ وشديد عن امانتهِ الصادقة ومحبتهِ الواثقة وعن سعيهِ في العلوم الفاضلة وتردّدهِ في الافعال الطاهرة الكاملة . . .

«وقيل ان وضع اليد في مبتدإِ النصرانيّة كان يكتمل بصـلاتين وثلاثة . ثم ان الآباء المتفاضلين المتولّين كل حكم وسَّعوا الرتبة بالهام الروح وفي قرب ما انعقد مجمع نيقية وانتشرت الديانة المسيحية زادوا عليها صلوات وافاشين وكرازات وحساسي (٢ ثم الوصايا وتسمية المذابح حتى تكون كلمة الله تامّة وذات كل كرامة . ولم يزل ذلك الرسم منصانًا (مصونًا) بلا زيادة ولا نقصان الى ايام الاب البار والاناء الفاضل المختار ارميا العمشيتي بطريرك مدينة الله انطاكية . وكان هذا المتوشح بالله شديد الغيرة والاجتهاد بما يخص الديانة المسيحيَّة والسلوك بمنهج الشريعة الانجيلية وكان بلادنا بعدهُ تحت حكم النصارى والناس يتغايرون على اكتساب العلوم والبرارة . فالزموهُ بتدبير الملة المارونية وبتقليدات النورية (٣) الانطاكية في السنة ١٢٠٩ من التجسد الالهي . ثم لموضع شدَّة عبادتهِ الجزيل قدرها دخل بنفسهِ الى مدينة رومية ام المدائن وتوشحت صورتهُ في هيكل مار بطرس هامـة الرسل لصحة ايمانهِ . وحضر في المجمع المسكوني الذي عقدهُ البابا زخيا الثالث (٤ بهذا الاسم لاجل الاتحاد بين جميع الكنائس شرقًا وغربًا . فنشل كمن رأس النبع معرفة الالهيات وعندما عاد الى جبل لبنان افاضها على شعبهِ كالمياه على غرسان الارز حتى لم تزل عطور روائحها الى يومنا هذا فائحة في كلّ المسكونة (٥

١) يوحنا ١٧ : ٢١ ٢) سيأتي تفسير هذه الالفاظ ٣) نسبةً الى القديس اغناطيوس خليفة مار بطرس الرسول على كرسي انطاكية لانهُ يلقب بالنوريّ (؟) ٤) زخيا أصلًا ترجمة اينوشنسيوس اي الزكي البار ٥) اطلب تاريخ البطرك ارميا في تاريخ الطائفة المارونية ص ٢٨٢ و ٣٥٨ و ٣٧١ وفي سلسلة البطاركة للدويهي وفي نبذة تاريخيَّة في المقاطعة الكسروانية ص ٤٢١ . وقد ترأس هذا البطرك من سنة ١٢٠٩ الى ١٢٣٠



ونسخ جملة كتب بيعيّة لافادة المؤمنين ومن جملتهم الرتبة عن رسامات خدام المذبح التي آباؤنا المتقدمون سمّوها ܣܘܡ ܐܝܕܐ والروم شرطونيّة بسبب انها تتوزَّع على رؤوس المنسامين بوضع يد رأس الكهنة. وتلك النسخة التي رقمها بخط يده لم تزل الى يومنا هذا محفوظة ومنصانة في دير مار سركيس راس النهر في قرية اهدن المحروسة من الله والدير المذكور هو برسم عيلتنا الدويهيّة (١ وقائم بتدبيرهِ وفي رناسة الرعية المذكورة اخونا وابن عمنا المطران بولس المكرَّم بغاية الحرص والعناية. وجعلنا اعتمادنا على تلك النسخة التي ابقاها لنا البطريرك ارميا. ولئلّا يصير اهمال بامر ضروري مثل هذا اجتهدنا على مقابلتها مع الشرطونية التي نسخها الخوري مرقس لثّاوس اسقف عرقا وعكار في السنة ١٦٣٢ يونانية الموافقة لسنة ١٣١١ م (٢ وهي في قبرس بيد مطرانها المطران بولس. والشرطونية التي بدير مار اليشاع انكتبت في دير السيدة بقرية العاقورة بايام رئيس كهنتها المطران ثادروس في سنة ١٦٠٧ يو (١٢٩٦ م) (٣ وكذلك مع التي نسخها الخوري ابراهيم الباني سنة ١٨٠٦ يو (١٤٩٥ م) (٤ ومع التي كتبها حبقوق الادنيتي سنة ١٨٩٢ يو وسنة (١٥٨١ م) (٥ ومع شرطونية دير مار انطونيوس قزحيا التي كتبها الحبيس سركيس من بيت جلوان في سنة ١٥٨٤ م وغيرهم (٦. فان بطول مدى الزمان عرضت بعض تغييرات على كتاب الرسامات البعض من النساخ والبعض من الذين قصدوا يستقصرونها والبعض من الذين طلبوا الزيادة عليها والبعض من عدم فهم معانيها المحتجبة. فالزمتنا الحرارة المسيحية والدرجة التي اؤتمنا عليها نبادر انها تكون سالمة وسليمة من كل زيادة ونقصان لئلّا نميل بجرف عن الرتبة التي اسلافنا الاطهار تسلّموها من الرسل الاخيار واسلموها لنا مُتمَّمة بوساطة تعاليمهم المهذَّبة كما يوصي الرب في الصحاح العاشر من سفر الحكمة قائلًا: لا تغيِّر الحدود التي وضعها آباؤك المتقدّمون. الّا ان النسخات القديمة كانت مقسومة في مجلّدين احدهما

١) ان ملك هذا الدير انتقل الى الرهبنة الانطونيانية سنة ١٧٣٩. راجع تاريخه في تاريخ الرهبنة الانطونيانية للاب عمنوئل البعداتي ص ٢١٣ — ٢٣٨

٢) سنة ١٦٣٢ يو توافق سنة ١٣٢٠ م (٣ ١٦٠٧ يو (١٢٩٥ م)

٤) ١٨٠٦ يو (١٤٩٤ م) ٥) ١٨٩٢ يو (١٥٨٠م)

٦) ان القارئ يفهم قيمة هذه النسخ وليس بوسعنا ان نجد بالتفتيش عليها الّا اننا نرجو ذلك من الرؤساء الجزيلي الاكرام

يحوي مقالات الاسقف والآخر مقالات الشمامسة فاجمعنا الكتابين بواحد لتكون الرتبة ناجية من الغلط والتوهان. وسهلة على الرؤساء والشمامسة المتجدّدين في الترتيب والقربان (١. بل ليجتهد كل اسقف ان في كنيسة الكرسي تكون نسخات عديدة حتى تكون سائر امور الخدمة والزيّاحات محترمة خالصة من المضايق والمزاحمة. ثم زدنا عليها شرحًا مختصرًا في اللغة العربية نصف بهِ رتب جميع الدرجات ومعانيها المقدّسة لاجل افادة القاري الحبيب والكاهن النجيب وقسمناهُ في تسع شروح »

قال مؤرخ حياة البطريرك اسطفان البطرك سمعان عواد (٢ ما نصُّهُ: « من حين ما وقع عليهِ الانتخاب اخذ يطوف جميع الابرشيات ويختار كهنة ذوي علم وتقوى ويفحص الكتب البيعيّة المخطوطة ويصلح ما اوقعهُ النسّاخ او اصحاب الاغراض من الغلط وردّ جميع العوائد القديمة ورتّبها اجمل ترتيب وطالع كتب البيعة وغربل مصاحف المؤرخين. . . » الخ (٣. وصدور الشرطونيّة المصحّحة مع الشرح الذي وضعهُ لها يدلّ على هذه الهمّة ويثبّت قول مؤرخ حياتهِ. وليفهم القارئ كيف امكنهُ القيام بواجب وظيفتهِ والتفرُّغ للتأليف فليعلم انهُ اختار لهُ اناسًا افاضل ليساعدوهُ على ذلك نذكر منهم اثنين من الاساقفة الاجلّاء الذين اشتهروا وقتئذٍ بعلمهم وفضائلهم واتقنوا في مدرسة رومية معرفة العلوم الالهيّة والطبيعيّة وطقوس البيعة خصوصًا ما يتعلق بالكنيسة السريانيّة وهما يوسف شمعون الحصروني مطران طرابلس (٤ وبطرس بن مخلوف الغسطاوي مطران قبرس (٥ وبما ان اهمّ الكتب الكنسيّة كتاب الشرطونيّة التي بها يتناقل سلطان الكهنوت المسيحي فباشروا سويّةً بتنقيح هذا الكتاب ومقابلتهِ مع النسخ التي كان يعول عليها كنسخة البطرك ارميا العمشيتي والنسخ الأُخر التي مرّ ذكرها (٦

---

١) يعني بمقالات الاسقف القطع والصلوات التي يتلوها الاسقف عند منح السرّ وفيها صورة السرّ. اما مقالات الشمامسة فهي جوابات الشماس والشعب الذي يحضر الرسامة (τὰ διακονικὰ)

٢) وهو البطرك الرابع بعد الدويهي جلس على كرسي انطاكية من ١٧٤٣ الى ١٧٥٦

٣) تاريخ الطائفة المارونية ص ١٣ ٤) كان اسمهُ قبل التكريس نعمة الله بن شمعون ولهُ كتاب مفيد في علم الذمّة وهو كتاب صغير الحجم كبير الفائدة لخّص فيهِ قواعد الاداب الدينية وجعلهُ باربعة وعشرين بابًا. وعثرت لهُ على رسالة الى احد ابناء الملّة الملكية وتاريخ النسخة الحاوية هذه الرسالة ١٦٩٤ م ٥) قد ذُكر في تاريخ الطائفة في ترجمة البطرك اسطفان ص ١٨ وفي ص ٢٤٤ ٦) راجع مقدمة كتاب العلّامة يوسف لويس

وبعد ان ضبط متن الشرطونية اعتنى بشرح جميع رتب وضع اليد مع ايضاح معانيها الغامضة وتفسير حركاتها وتحديد وظيفة المرشحين الى الدرجات المقدسة. وسبقهُ الى مثل هذا التأليف مار يوحنا مارون اول بطاركة الطائفة المارونية (١ والمطران جبرائل القلاعي الذي وضع كتابًا في الكهنوت (٢ واظن ان النسخة الاولى التي حوت الشرطونية المنقَّحة كما تركها لنا البطرك الدويهي وأُخذت عنها جميع النسخ فيما بعد هي النسخة التي بيدنا لقرب عهد انجازها من تاريخ انتخاب البطرك المذكور (١٦٧٠ — ١٦٧٥) ثم هذّب الشرح الذي كان وضعهُ وزاد عليهِ وغيّر تقسيم ابوابهِ وامر بنسخهِ وارسلهُ سنة ١٦٨٥ الى رومية ليُطبع هناك وتعمّ فوائدهُ ابناء الطائفة وسائر المشرق. وهذه النسخة لم تُطبع وأُودِعت خزائن مدرسة البروباغندا وكُتب على اوَّل صفحاتها ما تعريبهُ: هـذا المصحف يتضمَّن تفسير وشرح جميع الرتب والطقوس التي توجد في الشرطونية المارونيَّة. ارسلهُ اسطفان الدويهي بطرك الطائفة المارونيَّة إلى مجمع انتشار الايمان المقدَّس في رومية ليُطبع. يوسف الباني الماروني من تلامذة مدرسة رومية المارونيَّة مُدرِّس اللغة السريانيَّة في مكتب مجمع انتشار الايمان المقدس سنة ١٧٨٥ (٣

السمعاني المعروف بمصحف طقوس الكنيسة الجامعة Codex Liturgicus Eccles. Univers. t. IX, p. XLIII, et Seqq.

١) هذا الشرح نسخهُ بيدهِ ابراهيم الحاقلاني سنة ١٦٦٤ وهو في خزائن الواتيكان وذكرهُ العلّامة السمعاني صاحب المكتبة الشرقية مجلد ١ ص ٥٢٠ و ٥٨٠. الّا ان رينودوت (E. Renaudot) انكر نسبة هذا التأليف الى القديس المذكور وادَّعى انَّهُ ليوحنا اسقف دارا مسندًا كلامه الى ما قالهُ السمعاني في المكتبة الشرقية الجلد ١ ص ٤٢٠ والجلد ٢ ص ١٢٢. وقد اثبت يوسف لويس السمعاني نسبة هذا الكتاب الى مار يوحنا مارون بعد ان قابل مضمونهُ مع مضمون كتاب يوحنا اسقف دارا Cod. Liturg., t. X, p. XX et Suiv. والكتاب المذكور يعرف بكتاب الكهنوت ܟܬܒܐ ܕܟܗܢܘܬܐ ويشتمل على اربعين بابًا ٢) المطران جبرائل القلاعي عاش في اواخر القرن الخامس عشر وهو الذي جمع رسالات الاحبار الرومانيين الى بطاركة الموارنة من عهد زخيا الثالث الى ايامهِ. ولهُ تصانيف تاريخية وجدلية في الشعر والنثر كانت كلها في دير قنوبين (وقد خُرب هذا الدير ونُهب كل ما فيهِ لمّا غزاهُ سليمان باشا العضم واراد ان يقبض على البطرك يعقوب الحصروني سنة ١٧٢٦ — وجدت هذا في رسالة تاريخية كتبها القس اسطفانوس ورد الحلبي الماروني سنة ١٧٣٢) — قال مرهج بن نغرون (Evoplia,: *Index Authorum*) ان كتاب المطران جبرائل في الكهنوت محفوظ في دير مار انطونيوس قزحيا

٣) Cod. Liturg. VIII., XXVI

ويتقدم هذه النسخة منشور الى اساقفة الملة المارونية وكهنتها ورؤسائها وسائر الشعب الماروني بتاريخ اول تشرين الاول سنة ١٦٨٣ (١ . وليس هذا المنشور سوى القدّمة التي اوردناها تغيّرت هيئتها وأُضيف اليها بعض اشياء جديدة (٢

وساذكر بالاختصار الشرح الذي يُقرأ في نسختنا والشرح الذي بعثهُ البطرك الدويهي الى رومية ليظهر الفرق بينهما ويقوم البرهان على ان النسخة الاصليّة هي التي بيدنا

والكتاب يقسم الى تسعة شروح معدَّدة الابواب والمؤلف يسمي الفصل شرحاً

الشرح الاول . عن عدد الرسامات وعن خادمها والمواضع والازمنة التي تصير فيها وفيهِ سبعة ابواب : ١ في عدد الشرطونيات وهي عشرة خمسة منها للشمامسة وخمسة للكهنة . ٢ في تأليف الشرطونيات اذا وضعت اليد على واحد او على كثيرين . ٣ ان الشرطونية يُعطيها الاسقف . ٤ ان الشرطونية تصير في الكنيسة (٣ . ٥ ان الشرطونية تصير في القداس . ٦ ان الشرطونية تصير بعد التقديس . ٧ ان في الشرطونية يكون حاضراً شعب كبير

الشرح الثاني . في استعلام المنسامين ومدخل الشرطونية وفيهِ ثمانية ابواب : ١ في طهارة المنسام . ٢ ان المنسام يكون بلغ العمر . ٣ ان المنسام يكون مكشوف الراس . ٤ في سجدة المنسام . ٥ في صلوة البدء . ٦ في صوت ܗܠܠܘܝܐ (٤ . ٧ في الحساية (٥ . ٨ في صوت ܐܠܐ ܐܠܐ

الشرح الثالث . في تكريسات المنسامين وفيهِ ثلثة عشر باباً : ١ في صلاة السرّ . ٢ في صلاة العطر . ٣ في الكرازة . ٤ في سرّ الايمان . ٥ في تشخيص المنسام . ٦ في سجدة المنسامين . ٧ في تكريس المنسامين . ٨ في كلام التكريس . ٩ في دعاء الشعب . ١٠ في دعوة الروح . ١١ في اعطاء السلام . ١٢ في الكرازة (٦ . ١٣ في مسحة راس الكاهن بالميرون (٧

---

١) Ibid. ٢) قد حصَّلت ذلك من ملخَّص المنشور في كتاب يوسف لويس السمعاني المارّ ذكرهُ t. IX p. XLII. ٣) اما الازمنة فيُفرض ان تكون اياماً فارحة جليلة وخاصةً حين تُعطى درجات الرسائلي والقس وراس الكهنة ويتحرم ان تكون الرسامة في صيام الاربعين وجمعة الباض (الحواريين) وكانوا قبلاً يمتنعون من وضع اليد في الخمسينيات (اي في الخمسين يوماً التي بين عيد القيامة والعنصرة) ٤) صوت هللا . وهذا الصوت صلاة لاجل المنسام تُتلى في جوقين بين راس الكهنة والشمامسة ٥) الحسّاية معناها غفران وهي صلاة تُقدَّم لابن الله ليزيّن مختاريهِ بالفضائل ولكل درجة حسّاية خصوصية

٦) في كرازة الباب الثالث يبتهل الشمامسة لاجل حياة رأس الكهنة ومعونة المنسام ولاجل سلام البيعة ويصنعون تذكار والدة الله والقديسين . وفي كرازة الباب الثاني عشر يتوسّلون لاجل المنسامين ليفيض الله الخيرات على ايديهم ٧) قال المؤلف : هذه المسحة قد اهمل

الشرح الرابع . في اشهار المنسامين قدام الشعب وفيهِ خمسة ابواب : ١ في قيام المنسامين . ٢ في اشهار المنسامين . ٣ في ثياب الشمامسة . ٤ في ثياب الكهنة . ٥ في ثياب رؤساء الكهنة

الشرح الخامس . في الرياح قدام المذبح وقراءة الكتب المقدسة . وفيهِ خمسة ابواب : ١ في الرياح . ٢ عن الخروج في الرياح . ٣ في الكتب التي يقرأُوها في الكنيسة . ٤ في الكرازة . ٥ في صلاة الشكران

الشرح السادس . في اكتمال الوظائف التي تخصّ خدام المذبح وغاية الرسامة وفيهِ ستة ابواب . ١ في الوظائف المختصّة بالشمامسة . ٢ في وظائف الكهنة والرؤساء . ٣ في السلام . ٤ في شوتفة (١ الاسرار . ٥ في الختّام (٢ . ٦ عن الوصيّة الاخيرة

الشرح السابع . في ما يخصّ كل واحد من الشمامسة مفردًا . وفيهِ تسعة ابواب : ١ في عدد الشمامسة . ٢ في المرتل (ܡܙܡܪܢܐ ψάλτης) . ٣ في القاري (ܩܪܘܝܐ) . ٤ في الايبودياقون (ܗܘܦܘܕܝܩܢܐ ὑποδίακων) . ٥ في ما يخصّ الايبودياقون . ٦ في الشمامسة الصغار (٣ . ٧ في الشماس (ܡܫܡܫܢܐ خادم) . ٨ في ما يخصّ الشماس . ٩ في راس الشمامسة (ܐܪܟܝܕܝܩܘܢ ومنهُ لفظة شدياق)

الشرح الثامن . في ما يخصّ الكهنة مفردًا . وفيهِ اربعة ابواب . ١ في القس (٤ . ٢ في البردوط (٥ . ٣ في الخوري الذي يسمونهُ ܟܘܪܐ ܐܦܝܣܩܘܦܐ (٦ . ٤ في رسامة الخوارنة

الشرح التاسع . في صفوة (٧ الرؤساء مفردًا وفيهِ خمسة ابواب : ١ في الاسقف . ٢ في رسامة الاسقف . ٣ في الفرق بين الاسقف والخوري . ٤ في رسامة المطران . ٥ في صفوة البطريرك

امّا النسخة التي ارسلها البطرك الدويهي الى رومية فهي ذات اربعة فصول ويسمَّى الفصل شرحًا . فالشرح الاول يشتمل على احد عشر بابًا . والثاني على ثمانية . والثالث على احد عشر بابًا ايضًا . والرابع على خمسة ابواب

ذكرها كثير من النسَّاخ في العنوان الاحمر واصل السبب ان ملّة السريان اليعاقبة منذ زمان ديسقوروس معلّمهم امتنعوا عن تربية الاكليل من الشعر على رؤوس الكهنة ولئلّا يصير ذكر الاكليل لعبوا بذكر المسحة وحذفوها من الكتاب وصارت النساخ تهمل ذكر مسحة القسيس بالميرون لكنهُ امر معلن في الكتب البيعيّة . . . (راجع ما قالهُ بهذا المعنى يوسف لويس السمعاني Cod. Liturg. t. VIII, p. XXIX

١) الشوتفة ܫܘܬܦܘܬܐ المشاركة

٢) الختّام ܚܘܬܡܐ خاتمة الصلوة ٣) وهم السابق ذكرهم

٤) القسيس ܩܫܝܫܐ الشيخ وهي كلفظة πρεσβύτερος اليونانيّة التي صارت prêtre, presbyter

٥) البردوط περιοδευτής في السريانية ܦܪܝܘܕܘܛܐ ومعنى كلتيهما الزائر

٦) وهو نائب الاسقف ومعنى اللفظة اسقف (اي راعي ومناظر) القرى والمعاملات الصغيرة . ومنها لفظة خوري ٧) صفوة بمعنى الاصطفاء والانتخاب

وقد طُبعت الشرطونيَّة المارونيَّة في مدينة انفرس (Anvers) في بلجكة سنة ١٦٩٥ باعتناء العالم يوحنا مورين [١] في تأليفهِ الشهير الذي جمع فيهِ رتب الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة . واليك ما اخبر في مقدَّمتهِ عن النسخة التي نشرها في كتابهِ: « ان النسخة التي اعتمدنا عليها قديمة مُتقنة الخط اهداها الينا سنة ١٦٣٩ اذ كنَّا في رومية ابرهيم الحاقلاني الماروني استاذ اللغتين السريانيَّة والعربيَّة الشهير . . . واستخرجناها وقتئذٍ في رومية الى اللاتينيَّة . ولمَّا رجعنا الى باريس اخذنا تلك النسخة منتظرين فرصة مناسبة لنشرها . وبعد ذلك قدم الى فرنسة ابرهيم الحاقلاني وتبعهُ اليها بعد سنوات قليلة احد اساقفة الملة المارونيَّة لتدبير بعض شؤون طائفته ولمحاولة طبع الشرطونية المذكورة [٢] لافادة ابناء ملَّتهِ . . . ثم رجع الى رومية . . وذهب بعدهُ الحاقلاني لمَّا انتدبهُ الكردينال بالوتُّو ليقوم بخدمة مجمع انتشار الايمان . واخذ بين امتعتهِ النسخة المار ذكرها لكنَّهُ لمَّا انتبه الى ذلك ارسل لي نسختها »

واعلم ان مورين المذكور ارتكب اغلاطاً جسيمة ليس فقط في الترجمة بل خصوصاً بطبعهِ ونشرهِ شرطونية لم يوجد فيها شيء من الرتب الجوهرية التي يتمّ بها تقليد سرّ الكهنوت لانهُ طبع القسم الذي يتضمن خدمة الشمامسة اي الصلوات والتراتيل التي تفوه بها الشمامسة عند اجراء الرسامة وكان كمن يزعم ان خدمة القداس هي القداس مع انهُ لا يوجد بها شيء مما يقوم بهِ التكريس والذبيحة وهذا الشطط او السهو من عالم مدقّق كما كان مورين يذهلنا

وقد اوضح ذلك يوسف لويس السمعاني في مقدَّمة الجزء التاسع من تأليفهِ المعروف بمصحف طقوس الكنيسة الجامعة [٣] وجدَّد طبع الشرطونيَّة المارونيَّة في المجلَّدين الثامن والتاسع على نسخة خطها سنة ١٧٢٨ مخائيل المطوشي القبرسي احد تلامذة رومية وهذه النسخة كانت في انطوش الرهبان اللبنانيين المعروف بدير القديسَين بطرس ومرشلّينوس قبل ان ينتقلوا الى الانطوش الذي بقرب كنيسة سلاسل مار بطرس (S. Pietro in Vincoli) استكتبهُ اياها المطران جبرائيل حوَّاء مطران قبرس [٤] عن

١) Joannes Morinus: *De Sacris Ecclesiae Ordinationibus*, in-4. Anvers, 1698.

٢) هو الذي ارسلهُ البطرك الدويهي لاجل طبع الشرطونيَّة المنقَّحة سنة ١٦٨٥

٣) Codex Liturgic., t. IX præfat.

٤) جبرائيل حوَّا الحلبي احد مؤسّسي الرهبانية اللبنانيَّة (واسم رفيقهِ عبد الله قراألي الذي

النسخة التي ارسلها البطرك الدويهي الى رومية. وكان طبعها سنة ١٧٥٦ و ١٧٥٨ وهي بعمودين في السريانية واللاتينيَّة. وكان المصحح قد وضع في العربية والسريانية الاعلانات اللازمة لفهم الرتب وتنظيم الحركات. فما هو في السريانيَّة قد اورده السمعاني في المتن ووضع في الحاشية ترجمة ما هو في العربية. وذيّل المجلّد التاسع بتفسير وشرح العلاّمة مورين المشار اليهِ سابقًا

هذا ما وقفتُ عليهِ من امر الشرطونيَّة الدويهيَّة ورغمًا عن قصر اليد ذكرت كل المواضع التي اسندت اليها كلامي لتكون بمنزلة دليل للقارئ وللباحث. وقد حسبت لي شرفًا وبركة نشر شيء مما اتى بهِ ذلك الحبر المفضال العلاّمة. والساعات التي قضيتها بمطالعة تأليفهِ ودرس تاريخ حياتهِ اثمن الساعات عندي وابركها . واني لارجو من ابناء طائفتنا الذين يحبون العلم ويرغبون جلاء ما غمض من تاريخ الكنيسة السوريَّة ان يفحصوا حولهم واذا وجدوا ان لا يضنُّوا بهِ تحفةً لاهل الادب فليس العلم مالاً يُبخل بهِ ويجب على العالم ان لا يستخف بشيء فيحتقرهُ ولا يترك قديمًا الّا ويفحصهُ لان في الزوايا خبايا . واني لاتمنى وكثيرين ان تجمع في الكرسي البطريركي الكتب القديمة التي يمكن وجودها في لبنان وتحفظ امانةً للاجيال المقبلة ولا اظنّ انّ احدًا يبخل بتقدمة ما عندهُ للطائفة ويفضّل على ثناء الكرام ان يجعلها قوتًا للسوس والحشرات

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

٩ الزواج عند اليزيدية

لا يُباح لابناء الشيوخ ان يتزوَّجوا غير بنات الشيوخ. ولا يحلّ لابناء البيورة ان يتزوّجوا غير البنات اللاتي من مقامهم. ولا يُباح لعوام اليزيديَّة ان يتأهّلوا بنات الشيوخ

صار اسقفًا على بيروت ويوسف بن البتن) . ترأَّس على الرهبنة الجديدة وذهب الى رومية فاستخدمهُ البابا اقليمس الحادي عشر بمصالح قضاها فكافأهُ بجبتهِ لهُ في رومية ديرًا محاذيًا كنيسة القديسين بطرس ومرشلّينوس . ثم اقيم مطرانًا على جزيرة قبرس سنة ١٧٢٣ وتوفي في رومية سنة ١٧٥٢ — راجع تاريخ الطائفة ص ٢٦٦ و ٢٦٩ و ٢٩٢ و ١٧٦ . وكتاب يوسف لويس السمعاني المجلد ٩ في المقدمة ص ٤٠

او البيورة لكن يؤذن لهم ان يتأهلوا بنات القوّالين والكواچك. ويجوز لابناء القوّالين او الكواچك ان يكاهلوا بنات العوام من اليزيدية. وايُّ شيخٍ او شيخةٍ وبيرٍ او بيرةٍ اتى او اتت واحداً او واحدةً من غير طبقتهِ او طبقتها قتلاً يقتل او تقتل. وايّ واحدٍ او اية واحدةٍ وُجد او وُجدت مضاجعاً او مضاجعةً شيخةً او شيخاً بيرةً او بيرةً موتاً يموت او تموت. ويحرم عليهم الوطء وغسل الرأس والغزل بالدولاب في ليلة كل اربعاء

امَّا طريقة الزواج فتتوقف على الرضى بين الابن والابنة. ثم تكاشف البنت والدتها بما في قلبها وتذكر لها وِجهة حبها. فتذهب الام وتخبر بذلك قرينها قائلةً لهُ: « ان ابنتنا تطلب فلاناً ». فيتراجع اب البنت مع اب الابن ليتمّ الرضى بين الحاتمين. ثم بعد ذلك يتمّ الفريقان بامر الخطبة. فيأتي اهلُ الابن اهلَ البنت فتُلبَس هذه خاتماً وشِنفَين (تراچي) ثم يُقضى جانب عظيم من الليل في اللّهو والقصف وشرب المسكرات واكل الزبيب الاسود. وهذا الزبيب ممّا لا يُستغنى عنهُ في مثل هذه الاحتفالات. واذا تمَّ ذلك يَشرع الفريقان منذ اليوم الثاني بتهيئة الجهاز والثياب ونحوها ولهما شهران لهذه الغاية. وينقد اهل الابن لاهل البنت من ٦٠٠ الى ٧٠٠ فرنك لإعداد اللازم لها. ثم بعد يُخبر بعض الاصدقاء الى عدد ٢٠ او اكثر ليستعدُّوا لشهود العرس في اليوم المعيَّن فيفهمون بذلك انهُ من الواجب عليهم ان يُحضر كلٌّ منهم منديلًا من الابريسم او كيساً او غير ذلك من هذا القبيل ليهديه الى العروس

واذا جاء اليوم المعيَّن يأتي اهل القرية الى بيت الابن فيقدّم لهم اشربة من المسكرات من مثل العرَق ونحوهِ ومعها النُّقل وبالاخصّ الزبيب. ويُدعى الطبَّال والزمَّار وغيرهما فيوقعون أغاني بآلاتهم مدَّة ثلاثة ايام. واذا تمَّ ذلك تركب النساء دوابّ كلُّ امرأتين دابَّة وكذلك الرجال ومع كل رجل ولدٌ راكب ردفهُ. ثم يتوجّه هذا الموكب الحافل الى بيت البنت فاذا وصل الرجال الى الدار اطلقوا الآلات الناريَّة التي بايديهم طلقاتٍ متعدّدة على « البيت نفسهِ » بدون رصاص ليخبروا مَن فيهِ انهم قدموا اليهم. فيخرج اب البيت ويقول: « ما تريدون ». يقولون: « نُريد الابنة ». فيدخل الاب ويخبر الام بذلك ثم يودع كلّ ما يخصّ الابنة خُرجاً. ويؤخذ إزار خصوصي في مثل هذا المقام يسمُّونهُ « خَيليَّة » يكون أحمر في الغالب ويُلقى على العروس من رأسها الى قدميها. ثم يأخذ الوِلدانُ أردافُ الرجال ملاعقَ من بيت الابنة ويشكُّها كل منهم في

رأسهِ ويأتون بيت الابن ويوقع اهل آلات الطرَب على معازفهم ثانية مدَّة ايام متوالية بحضور العروس. ولا يدخل الرجل بعروسهِ الّا في الليلة الثالثة

وقبل انقضاء تلك الليلة الاخيرة بساعاتٍ يأتي الشيخ ليلًا بيت الرجل ويأخذ بيد الشابّ ويدخلهُ حجَلة عروسهِ. ثم يجعل يد الابنة في يد الابن ويلقي على الاثنين « خيليَّة » واحدة ثم يسأل الشيخُ الابنةَ :« مَن انتِ »: فتقول مثلًا :« انا ابن عليّ او حُسين ». ثم يقول للشابّ :« وانتَ من انتَ ». يقول مثلًا : « انا ابن حجّي ». فيقول الشيخ : « أتريد هذه الشابَّة امرأةً لك. وانتِ ايتها الشابة أتريدين هذا الشاب رجلًا لكِ ». فيقول كلٌّ منهما :« نعم ». ثم يأخذ الشيخ شيئًا احمر يشبهُ الحبر ويُعلّم بهِ ما بين كَتفي الابنة والابن. ثمَّ جبينَيهما. ثم يأخذ قضيبًا طولهُ شبران او ثلثة اشبار ويجعل طرفيهِ بين يدي العروسين ثم يقول لكلّ منهما :« اكسر هذا القضيب ». فيلوي كل واحدٍ منهما الطرف الذي بيـدهِ فينكسر القضيب من وسطهِ. ويبقى النصف الواحد بيد الابن والنصف الثاني بيد الابنة ثم يقول لهما الشيخ :« وهكذا انتما تبقيـان متَّحدين الى ان يُفرّق بينكما الموت كما فرَّقت القوَّة بين طرفي هذا القضيب الذي كان واحدًا » وهذا يدلُّك على ان وجود الطلاق نادرٌ او لا يحدث الّا لدفع ملمَّة او لعلَّةٍ كبرى كالزناء. امَّا الإضرار فموجود عندهم

ولا يحضر حفـلة القِران الّا الشيخ وحدهُ. وبقية النـاس ينتظرون خارجًا في ساحة الدار لان الشيخ يوصد الباب ويمنع دخول ايٍّ من كان. وبعد ان يُتمّ الشيخ زواج العرسين يخرج خارجًا ويغلق الباب عليهما. وبعد مدَّة من الزمان يذهب الابن الى الباب ويقرعهُ من داخل ثلاث قرعات متوالية ليخبر بذلك الشيخ الموجود في الخارج ان الاقتران قد تمّ فعلًا. فيطلق هذا البارودة التي بيدهِ طلقة واحدة ثم يتأثرهُ الحضور بالتصفيق وبعد ذلك ينادي الشيخ انهُ قد تمَّ الاحتفال فيرجع كل منهم الى بيتهِ. ويبقى العروسان بدون شغل مدَّة سبعة ِايام ثم بعد ذلك يأخذ كلٌّ منهما بمباشرة الاعمال

١٠ دفن الموتى عند اليزيدية

اذا مات الواحد عندهم من العامَّة وكان شابًّا او عزيزًا او مكرَّمًا عنـد اهلهِ يأخذون خشبةً وينحتونها بهيئة انسان وهـذا ما يسمونهُ عندهم بلفظة « الشكل » ويلبسونها الثياب التي كان يلبسها صاحب الشكل في حياتهِ. ثم يأتي الطبـال والزمَّار

وسائر المطربين ويضربون على آلاتهم النغمة الشجيَّة نغمة الحزن والموت والناس حول الميت يبكون ويندبون و يولولون وهم وقوفٌ من كبار وصغار من اناثٍ وذكور وبعد مدَّة معهودة بينهم يأخذون بالطواف حول هذا « الشكل » ويركعون لهُ ويتبركون بهِ . ثم يتقدَّم الاجانب متجاهلين منعى العزيز ويقولون لاهلهِ : « ما عندكم » . فيقول اصحاب الميت : « نحن تزوّج ولدنا وهذه هي حفلة عرسهِ الجديد (كذا) » . ويقيمون هذه السنَّة الغريبة الحداديَّة ثلثة ايام . وبعد ذلك يوزّعون الخيرات عن روحهِ . و يجدّدون كل ذلك في اليوم السابع واليوم الاربعين وفي مثل يوم موتهِ من قابلٍ . ثم انهم يأخذون صحن لونٍ من الطعام عليهِ قرصةُ خبزٍ ويطعمونهُ الفقراء يوماً بيومٍ زاعمين في ذلك انهم يطعمونهُ بشخص الفقير وهم يفعلون ذلك الى ان تمضي سنةٌ على موتهِ . امَّا اذا كان الميت غير عزيز فلا يفعل لهُ شيء من ذلك بل اذا مات الواحد وكان رجلًا يغسلهُ واحد من الرجال او اذا كان الميت امرأةً تغسلها واحدة من الاناث وذلك بعد ساعةٍ او ساعتين من موتهِ او موتها

ثم يذهبون بالميت الى غرفةٍ من غرف البيت ويضعونهُ على شيء يُشبه باباً من خشب ثم يلبسونهُ ثيابهُ ويكفنونهُ ويسدون منافذ جسدهِ بالقطن وبعد ذلك يتقدَّم الشيخ ويُصلي عليهِ . واذا انتهى من الصلاة يأخذ حبَّة من الحبّ المتَّخذ من تراب قبر الشيخ عادي ويحكُّها ثم يعجن حكاكها في قليل من الماء ويجعل من هذه العجينة شيئاً على وسط جبهتهِ وتحت ابطيهِ وعلى عينيهِ وعلى قلبهِ . ثم يُعيد الشيخ الصلاة وعند ما يفرغ منها يُجعل الميت في تابوتٍ ثم يودع التابوتُ القبرَ . وكل من يُوافق التابوت او يُشيّع الجنازة يحثو عند دفن الميت تراباً ويلقيهِ على تابوتهِ قائلًا : « يا انسان كنت تراباً ورجعت اليوم الى التراب » وبلسانهم : « يا انسان تُو آخ بُولي وتو ڤكَرْ يا يه صَرْ آخ » ثم يقول لهم الشيخ : اننا لمَّا نرجع الى بيوتنا ونقول قبل ذلك : « لنقُم ولنذهب الى بيوتنا » يقول الميت من عندهِ ايضاً : « لأقُم ولأذهب الى البيت مع الجماعة » وحينئذٍ لمَّا يريد النهوض ليرجع الى بيتهِ معنا يصدم رأسهُ حجراً وهو الحجر الذي وضعناهُ على رأسهِ لكي لا ينهض وحينئذٍ يقول : « آخ ها انّي من عداد الاموات » . ويسمون هذا الحجر : « برى حدى Baré hadé » ثم يرجع الجميع الى دورهم

امَّا اذا كان الميت واحداً من اليزيديَّة السود فلا يبكي عليهِ احدٌ ولا تسكب



دمعةٌ عليهِ ولا تُقام لهُ علامات الحداد كمألوف عادتهم بل يُدعى المطربون والمغنّون والرقّاصون وبعـد ان يوفوهُ حقَّهُ يرجعون الى من حيث أتوا مبينين بذلك ان نفسهُ دخلت جنَّة الخلد عند موتهِ رأساً فلا حاجة الى ما لا يستغني عنـهُ اليزيديَّة البيض. لكن بعد سُنَّة الدفن تذبح الذبائح من غنمٍ وبقرٍ وتُوزَّع على الفقراء والبائسين. واقفر اليزيديَّة لا يذبح في مثل هذه الايام اقلّ من اربع او خمس غنمات. امَّا الاغنيـاء والموسرون فاقلّ ما يذبحونهِ مائة نعجة (ستأتي البقيَّة)

آفات التجارة

للشاب الاديب عبد الله افندي رزق الله شارّ احد مأموري معيَّة ولاية بيروت الجليلة

بحثنا فيما سبق عن وسائط التجارة ومسهِّلاتها وسنأتي الآن على ذكر بعض الموانع التي تحول دون ترقيها وتوسّعها:

١ (بحران الزراعة والصناعة) لا مشاحَّة ان الصناعات المختلفة مرتبطة ببعضها كل الارتباط تتقدَّم وتتأخر حسبما يطرأ على واحدةٍ منها او على بعضها من الحوادث المفيدة والمضرّة. فالزراعة تستفيد من ترقّي المعامل. والمعاملُ من ترقّي الزراعة وبالعكس. فلو أُصيبت الكروم بداء الفيلوكسيرا مثلًا وفسد محصولها لتضرَّر ايضاً جميع ارباب الحرف والصنائع. لانَّ صاحب الكرم المتضرّر لم يعد بوسعهِ ان يشـتري كالاوَّل ملبوسات. وعامل الملبوسات يقتصر على اشتراء كميَّة قليلة من الموادّ الاصلية. واصحاب هذه يقتصدون في معيشتهم فلا يبتـاعون كالاوَّل الذخائرَ والحوائج الضروريَّة. ولذا يستفيد اهل المدن من سعادة حال القرويين وينتفع هؤلاء من ثروة اولئك. وهكذا الصناعات والبلدان والامصار والاقوام المختلفة يُعـدّ كلّ منهم مخرجاً للآخر. يتوقَّف نجاح واحدهم ورغده على ترقّي الباقي وسعادتهِ. وعليهِ لو نزلت بالهنـد نازلةٌ واعدمت محصولاتها لوقف دولاب التجارة وخمدت حركتها. فتشقى غيرها من البلاد بسببها ويُحرَم كثيرٌ من منافع هذه المحصولات ولذائذها. اذ لا يمكننا مثلًا ارسال مصنوعاتنا الى الهند حيث لم يبقَ فيها محصولٌ ترسلهُ لنا. فتكسد بضاعتنا ونُحرم من فوائد تلك

٢ (بحران السياسة والحرب) لا تلوح سحابة نزاعٍ في افق السياسة الَّا وتؤثّر في التجارة ايضاً. كأني بهذه السحابة عبء ثقيل يضغط عليها فيقعدها. ويجري هذا

التأثير في زماننا باسرع من لمح البصر لكثرة العلاقات والمواصلات بين الناس وسرعة الوسائط النقليَّة. فلو حدثت في اقاصي الصين حادثة لشوهد حالًا تأثيرها في انكلترة كسيَّالٍ كهربائي يخرق في آنٍ واحدٍ اجسام الوف الالوف من اولئك المتَّصلين بجهازهِ او كهزَّة ارضٍ يشعر بزلزالها على بُعد اميالٍ من مركزها بالنسبة لشدَّتها وخفَّتها. ولنا في حرب الاميركان والاسبان الاخيرة مثال واضح لم يزل نُصب اعيننا. فما اكفهرَّ وجه السياسة بين الاَمتين الَّا واختلجت التجارة العمومية وتمهَّلت في طريقها وتصرعت. فلمَّا تفاقم الامر بينهما واتَّسع الخرق على الراقع وقفت التجارة مختبطةً تقوم وتقعد كامواج البحر تلعب بها رياح الروايات المختلفة فتثيرها مرَّةً وتُخمدها اخرى. حتى اذا ارعدت الحرب وابرقت هبَّت العواصف الشديدة فرفعتها تارةً الى قمم جبالها المزبدة وانزلتها طورًا الى جوف لججها الزاخرة. فلمَّا وضعت الحربُ اوزارها وسكن جأشها عادت التجارة شيئًا فشيئًا الى مجاريها

والحرب الاقتصاديَّة ليست باقلَّ ضررًا للتجارة من الحرب المعروفة كما اوردنا ذلك قبلًا. وادهشها ما هو جارٍ بين الفرنسيس والطليان. فقد شدَّدت فرنسة رسوم الجمرك على جارتها عقيب دخول هذه الى التحالف الثلاثي. فعاملتها ايطالية بالمثل وانتشبت الحرب الاقتصاديَّة اذ ذاك بينهما عوانًا. ولكنَّ الطليان علموا بعد حينٍ انهم جنوا على انفسهم وحطبوا على ظهرهم وان لا ثبات لهم ازاء تيار الثروة الفرنسويَّة (١ فندم بعض عقلائهم ولات حين ندم. على انَّ الانباء البرقية بشَّرت العالم التجاري اخيرًا بعقد معاهدةٍ تجاريَّة تحسم داء الضرر والنفور بين هاتين الدولتين

٣ً (فقدان الامنيَّة) لمن المعلوم ان معظم المعاملات التجاريَّة يقوم بالاعتبار (crédit) ويجري بواسطة القرض والاستقراض. فلو اضطُرَّ البائع والمشتري الى مبادلة اموالهما ومقايضتها في الحال لضاقت دائرة المبايعات وانسدَّت ابواب الربح ووقفت التجارة. فاذا لم يكن حاكم عدل يحكم بالقسط بين الناس ويعاقب المتعدي والماطلَ والمختلس لاقتصر التجَّار على المعاملات الجزئيَّة والمبايعات النقديَّة خوفًا على حقوقهم من ان تُغصب واموالهم من ان تُسلب وديونهم من ان تتلف(تموت) وعليهِ فالامنيَّة نظام التجارة وقوامها بل روحها وحياتها تضمحل حيث تفقد الامنيَّة وتكثر التعديات وهناك الطامة الكبرى

١) تقدَّر ثروة فرنسة بمائتين وعشرين مليار فرنك



٤ً (كثرة الضرائب) لا ريبَ انَّ على الاهالي المستفيدين من سنن حكوماتهم ومحاكمها والراتعين في رياض امانها ان يقوموا بمعيشة اولياء امورهم وحُماة حياتهم واعراضهم وأموالهم من العدوّ الداخلي والخارجي ويتشاركوا بسدّ ما تقتضيه ادارة الملك من النفقات فضلًا عن ان التكاليف تدفع الناسَ الى الاشتغال والعمل · فتقيهم مضرَّات الرخاوة والكسل

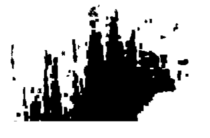
لكن لعلماء المالية (Financiers) في طرح المكوس وجباية الاموال الاميريَّة قواعد عادلة راسخة وطرائق مستقيمة بيّنة تقضي على اولياء الامر براعاتها وتحذّرهم تشديد وطأة الضرائب على الرعيَّة حتى لا تغور ينابيع الثروة العموميَّة فينضب ماء التجارة والصناعة فتضمحلّ · فيستولي الفقر المدقع على البلاد وضنك المعيشة · فتصفر خزينة الحكومة من المال لانَّ الرعيَّة الفقيرة تؤدي التكاليف مُكرهةً واماَّ الغنيَّة منها فتدفعها عن رِضًى وطيبة خاطر · وكلّ اناء بالذي فيهِ ينضحُ

٥ً (الجمارك) لا شكّ ان الجمارك على الاطلاق احجار عثرةٍ في سبيل التجارة تعرقل حركتها وتثبّط سيرها. فعدّد ولا حرج تصعيبات الجمارك وازعاجاتها للتجَّار كتوقيف السلع الواردة ومعاينتها وتقدير قيمتها ومصادرتها ومنازعات اصحابها مع المأمورين الى غير ذلك من المشاكل التي تضيّع اوقاتًا اثمن من الذهب فضلًا عن انها تجرّ الدول على المقابلة بالمثل فتنشأُ عنها الاختلافات القومية والبرودة السياسيَّة

بيد انَّ جميع الحكومات رأبًا لصدع نفقاتها الكثيرة عوَّلت من قديم الزمان على تحصيل بعض وارداتها من الجمارك لِما في جبايتها من السهولة والاقتصاد · وقد صوَّب علماء الماليةِ طرحَ هذه الرسوم على منهج العدل والحكمة

لكنَّ الدول بادئ بدء ركبت العمَّه وخبطت في جبايتها خبط عشواء فذهبت في وضع نظاماتها الغريبة مذاهبَ شتَّى كانت في موانعها للتجارة اعقد من ذَنب الضبّ · الَّا انَّها الغت رويدًا رويدًا انواع الجمارك الداخليَّة(١ التي اضرَّت بالتجارة ايَّ ضرر ورواجًا للتجارة الخارجيَّة رضيت بعد اللتيا والتي بدخول السلع الاجنبيَّة الى بلادها على شروطٍ نظمت سلكها فيما بعد المعاهداتُ التجاريَّة الدوليَّة · وما ادراك ما هذه المعاهدات ؟

(١) لبعض المدن الاوربية الكبيرة حالًا رسوم على بعض السلع الواردة اليها تُدعى دخولية (octroi) سدًّا لثلمة نفقاتها الفادحة وديونها الكثيرة





هي خلاصةُ مذاكراتٍ علميَّة سياسيَّة ومباحثات طويلة يخوض عُبابها ويوقع عليها أعلمُ رجال المملكتين المتعاقدتين باحوال بلادهم الزراعيَّة والصناعيَّة والتجاريَّة. فيسعى كلٌّ منهم باقناع معتمدي الدولة المُعاهدة على قبول سلع بلادهِ بابخس الرسوم الجمركية باذلًا في ذلك النفس والنفيس والحيلة والخديعة وكلّ ما يؤول الى ترويج محصولات مملكتهِ ومصنوعاتها في اسواق هذه الدولة وردّ ما يَرد من مماثل هذه السلع او تشديد الرسوم عليها

وهنا رأيان متباينان لعلماء الاقتصاد في مسئلةٍ كانت ولم تزل موضوع المناقشات العلميَّة والمذاكرات الدوليَّة: هل الباب المفتوح (le libre-échange) افضل للتجارة ام اصول الحماية (la protection) ؟ ويراد بالاوَّل ازالة الموانع التجاريَّة ورفع الرسوم الجمركيَّة بين جميع الممالك او على الاقلّ تخفيفها. ويراد بالحماية اتّخاذ الوسائل الفعَّالة لمنع ورود السلع الاجنبيَّة التي تماثل البضاعة الوطنيَّة خوفًا على هذه من مزاحمة تلك فيرسمون على جمركها ٥٠ ' ٨٠ ' ١٠٠ في المئة وبل اكثر من ذلك

لا اتصدَّى الآن لذكر آراء الاقتصاديين المتضاربة وشرح اقوالهم المختلفة في هذا الشأن. فقد يقصر عن استيعابها المجلّد الضخم. ولكني اقول انَّ معظم هؤلاء العلماء ميَّالون الى الباب المفتوح منهم استاذي الفاضل والاقتصادي العثماني الشهير العلَّامة عطوفتلو اوحانس افندي ناظر الخزينة الخاصَّة. على انَّ التجارب العديدة تعضد ايضًا هذا المذهب وتُظهر للناس يومًا فيومًا محاسنهُ. كفتنا جمارك بريطانية العظمى دليلًا اوضح من الشمس رأد الضحى. فما بلغت والحق يقال تجارة هذه المملكة منزلتها الحاضرة الَّا باتّباع طريقة الباب المفتوح وترويجها بينما تجارة فرنسة تتنزَّل (١ بسبب اصول الحماية التي نهجتها في هذه السنين الاخيرة

غير ان اختلاف الامم والبلاد يستوجب تعديل الحكم في هذا الامر. وربَّما حسن الشيء في محلٍّ وقبح في غيرهِ

ولا يسعنا السكوت في هذا البحث عن ذكر معاهدات توحيد الجمارك (Traité d'union douaniaire) التي من شأنها ان تؤلف بين منافع المتعاقدين التجاريَّة والاقتصاديَّة دون ان تؤثر في استقلالهم وحقّ حاكميتهم. واشهرها عهدة « زولفراين »

١) يُقدَّر تنزل تجارة فرنسة السنويَّة بمليار من الفرنكات.



المنعقدة سنة ١٨٣٠ بين حكومات المانية الشماليَّة حيث يؤْخذ رسم السلع الاجنبيَّة مرَّةً واحدةً عند دخولها دائرة الاتحاد ومن بعدُ يُقسم بين هذه الممالك المختلفة حسب الاصول المتفق عليها. فتخلص التجارة بذلك من كلّ التكلُّفات والعوائق الجمركيَّة

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر علم الدين الرمطونيّ وهو من الطبقة الثانية

نورد هنا ذكرهُ وذكر اولادهِ المعاصرين لناصر الدين الحسين. واماَّ المتأَخّرون من ذرّيتهِ فنذكرهم ان شاء الله تعالى فيما بعد بحسب ما رتّبهُ وبالله التوفيق

هو الامير علَم الدين سليمان ابن سيف الدين غلاَّب ابن علم الدين معن بن معتب ابن ابي المكارم ابن عبد الله بن عبد الوهَّاب بن هرماس بن طريف. ورأيتُ في خطوط بعض المتقدّمين في الهجرة انَّ هرماس هو ابو طارق الذي تنسب اليهِ الطلاسم(١ فخذ من آل عبد الله. ثمّ رأيتُ ايضًا انَّ هرمس مجمع الخلف من طردلا وعين كسود ولم أرَ لهذا النسب ذكرًا غير هذا الذكر. وسمعتُ بعض المتقدّمين في الهجرة (٨٥٧) يؤيد هذا القول الذي ذكرناهُ ويرجّحهُ والنقل امانةٌ فنقلنا ما سمعنا ورأينا ونسأل الله المسامحة

وقد اجمع القول على انَّ علم الدين المذكور لم ينشأ في بيتهم مثلهُ مع انَّ اجدادهُ كانوا امجادًا شُكروا في زمانهم. وكان والدهُ سيف الدين غلاَّب وعمَّاه عبد المحسن وكرامة اولاد علم الدين معن ساكنين في غربيّ اعبيه الى جهة الشمال. ومُوجب تزولهم الى رمطون انَّما كان نجم الدين محمَّد ابن جمال الدين لمَّا انتصب لهم بالعداوة فرحل سيف الدين غلاَّب وعبد المحسن الى رمطون وتخلَّف عنهما اخوهما كرامة لكونهِ حلف انهُ لا يرحل عن وطنهِ فاستمرَّ باعبيه. فلمَّا نزل غالب وعبد

١) يريد هرمس الفيلسوف اليونانيّ الذي نُسبت اليهِ الطلاسم والارصاد. وفي قول المؤلف عن نسبهِ ما يخالف التواريخ الراهنة. وقد جاء في هامش الكتاب ما هو اقرب الى الصواب قال: « ولعلَّ هرمس هذا هرمس آخر قديم غير هرمس جدّ علم الدين المذكور »

الحسن الى رمطون سكنا في شرقيّها بميلةٍ الى جهـة الجنوب فلمّا استقرَّ بهما السكن برمطون توجّه نجم الدين محمّد بجماعة الى رمطون وقصد إحراقها فدخلت عليهِ عمّتهُ وسألتهُ الكفَّ عن ذلك فاجاب سؤلها(١ وكانت عمّتهُ بنت نجم الدين محمد بن حجّي ابن كرامة وكانت زوجة سيف الدين غلّاب

ثمَّ بعد ذلك نشأ علم الدين سليمان المذكور وعمّر العمائر المعروفة غربيَّ رمطون وهي الى وقتنا هذا تُعرف بعمارة علم الدين وربّما كانت عمارتهُ لها مماثلة لعمائر السلف التي عمّروها باعبيهِ. واوّل من شيّد العمارة وحسّنها هو زين الدين ابن عليّ بعرامون فنسج السلف على منوالهِ

و بالجملة كان علم الدين رجلًا جليل القدر عظّمهُ الناس ونظروهُ بعين الوقار وكان مشهور بقوّة (86^r) النفس والحدّة بالحقّ والغلظة على الباطل. وكان ناصر الدين الحسين يعتني بامرهِ واذا قعد في مجلس يجتمع فيهِ الناس لا يقدّم احدًا على شجاع الدين عبد الرحمان ابن عمّهِ وعلى علَم الدين المذكور. وكان يُقعد شجاع الدين عن يمينهِ وعلمَ الدين عن شمالهِ واقاربهُ تحتهم كلٌّ منهم في منزلتهِ. وكان ناصر الدين يخلع على علَم الدين الاكسية وغيرها

ولا اعرفُ احدًا من سلَف علم الدين صارت اليهِ إمرةٌ او نال اقطاعًا سواهُ. وذلك انَّ ناصر الدين الحسين لمّا تولّى على امرة شمس الدين كرامة ابن ناهض الدين بحتر كما ذكرنا ترل عن اقطاعهِ العتيق واستمرَّ على الامرة الجديدة. والاقطاع الذي ترل عنهُ هو ربع قدرون وربع طردلا وربع رمطون وربع عين كسور ونصف عاليه ونصف الدُّوَير ونصف الخربية وعيتا واللباني ونصف قطعة ارض في قرَتيه بالساحل ونصف الصباحيّة من درب المغيثة وخمس قرايط. وذلك قسمة اقطاع عزّ الدين اخي ناصر الدين الحسين

وكان نزول ناصر الدين عن هذه الجهـات لعلم الدين المذكور في شهر محرّم سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٨ م) وفي الرُّوك سنـة ثلاث عشرة وسبعمائة (١٣١٣ م) استقرّت هذه الجهات بامرة خمسة فناصر الدين هو الذي أمّر علم الدين المذكور ولم يكن في سلف علم الدين اميرٌ غيرهُ. وكان علم الدين جليـل القدر مهابًا من اهلهِ وكلمتهُ فيهم نافذة وامرهُ مطاع

١) راجع المشرق (٢:٥١٦)

وسمعتُ (86v) من غير واحدٍ ان علم الدين كان اذا عطس برمطون يسمعهُ الشيخ العلَم بكفر فاقود فيقوم ويقول: « يرحمك الله ». وما ذاك الّا لانَّ علم الدين كان كثيرَ الجلوس في اسطوان تجاه اسطوان الشيخ العلم بكفر فاقود وكان هذا يعرف حِس عطستهِ دون عطسة غيرهِ. وكان يفعل ذلك تعظيمًا لقَدْر علم الدين واجلالًا لهُ

(قلتُ) اربعةٌ لقَّبهم الناس بالكبير تميـيزًا لهم من غيرهم عند ما كثرت الالقاب وتشابهت بالقاب الاربعة المذكورين وهم: حجّي بن محمد بن حجّي تلقَّب بجمال الدين الكبير. واخوهُ خضر بن محمَّد تلقَّب بسعد الدين الكبير. وولدهُ الحسين ناصر الدين الكبير. وعلم الدين الرمطوني تلقب بعلم الدين الكبير. ولعـلم الدين شعر رقيق. فمنهُ: (١

قنعتُ من ربّي بحسن العملْ　　هذا هو القصدُ وكلُّ الاملْ

إنْ قلَّت الدنيـا وقلَّ العنا　　فالاصلُ عند الله خيرُ العملْ

يا معشر الناس فـلا تغفلوا　　فالموت والعرضُ بحكمٍ عجلْ

واستيقظوا قبل حلول القضا　　واستعملوا الخوفَ وكبر الوجَلْ

واستدركوا فارطَ ما قد مضى　　من سوء نيّاتٍ وعظم الخَلَلْ (87r)

ومدح الشعراء علَم الدين المذكور بقصائد عديدة لم يتهيّـأ ذكرها وكان مقصـدًا للناس مشهورًا عند اهل الفضل مشكورًا بينهم. مولدهُ نقـلًا عن خطّ السلَف نهار الاثنين تاسع عشر محرَّم سنة ثلاث وسبعين وستمائة (١٢٧٤ م) ووفاتهُ نقلًا عن خطّ ناصر الدين الحسين العصرَ من نهار الخميس السابع من شهر رجب سنة ستّ واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م). وامرأة علَم الدين من كنيسة بني حمـام. وكذلك زوجة ولدهِ غلَّاب كانت من الكنيسة المذكورة وامّ سليمان بن غلَّاب هي بنت محمَّد ابن محمد بن حجّي بن كرامة بن بحتر وهي اخت زوجة زين الدين ابن علي العراموني

١) هنا في الاصل ثلاث صفحـات من نظم علم الدين الّا ان اكثره مكسَّر ومشحون باغلاط لغويَّة لا تُصلح الّا بتغيير الابيات كقولهِ مثلًا وهو اوَّل ما دوّن من شعرهِ:

يا سيّـدي والهي　　انت العليمُ بحـالي　　يا من اليهِ مصيري　　ومن عليهِ اتكالي

ارحم لضعفي وإرثي　　لذلّتي　　وانتحالي　　ولا تؤاخذ لعبدٍ　　اضحت ديونهُ ثقال (؟)

وما بعد هذه الابيات دون هذا النظم فلم نرَ فائدةً في ذكرهِ وانما اثبتنا قطعةً واحدة حسنة

ثمَّ نذكر من بعد علم الدين اولادهُ الاربعة. واماً اختهم فهي صادقة زوجة زين الدين الجدّ (١

ذكر ولدهِ سيف الدين غلَّاب ابن علم الدين سليمان

هو اوَّل اولادهِ كان جيِّدًا خيِّرًا ذا فضل ودين محبًّا لاهل الخير وكتابتهُ مليحة جدًّا بقلم النسخ. واماً الثلث والرقاع فكان يقارب بهما المنسوب. وكان يتَّبع طريقة ابن البوَّاب ولم يكتب احدٌ في البيت بقلم النسخ احسن منهُ سوى عزّ الدين جواد ولم اعلم على من كتب من المشايخ لأنَّهُ ما كان يتردَّد الى خطيب بعلبك كتردُّد اخيهِ عزّ الدين جواد. مولدهُ نهار الاربعاء خامس ربيع الآخر سنة احدى وسبعمائة (١٣٠١ م)

وقد وقفتُ على ورقة من سيف الدين غلَّاب المذكور الى ناصر الدين تدلُّ على انَّ ناصر الدين كان لهُ قصد بالاقطاع المخلَّف من علم الدين والدهِ. ومن مضمون الورقة انَّ ناصر الدين هو الذي تصدَّق بالاقطاع على والدهِ وما كان عليهِ. والظاهر انَّ ناصر الدين تخلَّى عن الاقطاع المذكور وجعلهُ سيف الدين غلَّاب لاخيهِ عزّ الدين جواد ولم يأخذ منهُ غلَّاب شيئًا

وامرأة سيف الدين غلَّاب من كنيسة بني حمام ايضًا (89ᵛ) (ستأتي البقيَّة)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الرابع

في مناجم بلاد ألاسكا

ان جرائد اميركة على تباين طبقاتها واختلاف مشاربها كانت تفيض وتتشدَّق في الكلام على المناجم الذهبيَّة الجديدة التي كُشفت في ألاسكا وتروي اخبارًا كثيرة عجيبة عن الثروات العظيمة التي حصلها منها قاصدوها في بضع ساعات

وممَّا أخبرت عن أحد المعدِّنين انهُ جمع في مدَّة وجيزة ما تعادل قيمته ستين مليارًا وثمانين مليونًا من الفرنكات وكان في ما عثر عليهِ شذور من الذهب يبلغ وزن الواحدة

---

١) راجع المشرق (١: ٨٠٦)

منها ليرةً او ليرتين ومن المعلوم ان الاوقية من الذهب تعادل عشرين دولارًا. وحكت عن معدن آخر انهُ جمع من تنقية التراب الندي وغسلهِ ثلاثة وثلاثين كيلو من الذهب. وأنَّ المشتغلين باستخراج هذا المعدن الثمين اذا حفروا ارضًا ورأوا ان غلّتها في اليوم سبعون او ثمانون فرنكًا عدلوا عنها الى غيرها مستقلّين ثمرتها

فكل هذه الاشياء بلبلت افكار العامّة وشغلت خواطرهم حتى جعلوا مناجم الذهب حديثهم طول مدَّة ليلهم ونهارهم

أجلْ ان الجرائد كانت تكرّر الكلام في اعمدتها على مشاقّ السفر وما يتعرَّض لهُ قاصد تلك البلاد المتجمّدة من المخاطر والبرد القارس والامراض القاتلة لكنَّ العامَّة نسوا كل هذه المخاوف لدى سماعهم بكثرة الذهب وسهولة تحصيلهِ ولو انك ذهبت الى سان فرنسيسكو لرأيت المدينة غاصَّة بجموع المهاجرين القادمين اليها من كل جهة وصوب وهم منتظرون بفارغ الصبر قدوم البواخر لتقلّهم الى ألاسكا. والغريب انك لا ترى من بين هذه الجموع من يفتكر بما سوف يلقاهُ في تلك الارض المقفرة من الجوع والموت بل ان الكل يعلِّلون نفوسهم بحشد الثروة والعودة منها بالقناطير المقنطرة من الاصفر الرنّان

وكان وقتئذٍ ان الباخرة المدعوة «أنكون» والراسية في ميــاه سان فرنسيسكو أخذت ترسل من مدخنتها عمودًا اسود من الدخان وتُسمع صوتًا شديدًا منكرًا دلالةً على تهيُّؤها للسفر. فلمَّا سمع الركاب المتأخرون علقوا يتواردون اليها بسرعة وهم يزحمون بعضهم بعضًا وكان الرَّبان واقفًا اذ ذاك في وسط المركب يعطي الاوامر الاخيرة للاقلاع وفريق من البحّارة يسحبون المرساة فتحدث عنها جعجعة عظيمة تُصمّ الآذان

ولمَّا تمَّ اجتماع الركاب وأُطلق البخار وأُعطيت آخر علامة للسفر شوهد على رصيف سان فرنسيسكو رجل يحمل محفظة تحت ابطيهِ وجرابًا في يدهِ فبـادر بسرعةٍ غريبة وقفز الى السلَّم قبل أن رُفعت وطلع حالًا الى ظهر السفينة وما كاد يستقرّ عليها حتى زَفرَ زفرة من انكشفت عنهُ غمّة او زالت عنهُ كربة. وكانت السفينة قد تحرَّكت فدارت حول طرف السدّ وسارت في العباب امَّا الركاب فكانوا كثيرين جدًّا وقد بلغ من ازدحامهم انهم ملأُوا كلَّ محلّاتها حتى لم يبقَ فيها مغرز ابرةٍ فارغًا. وكان عددهم ثمانمائة راكب بين يانكيز وانكليز وبرازيليين وافريقيين واسوجيين وكنديين مع بعض

افرنسيين ونحو ١٥٠ كلباً لجرّ العربَات على الجليد وخمسين حصاناً وثمانين ثورًا وأيلًا

ولم يكن لهــذا الجمع كله سوى مطمع واحد وهو الوصول الى ألاسكا ولهذا كثيرًا ما كانوا يكرّرون هذا اللفظ بلذَّة وسرور بل قل انهم لم يكونوا ينطقون بغيرهِ

وكان بعد اقلاع السفينة بقليل ان وفد على ميناء سان فرنسيسكو قطار حامل بضع مئات من الركاب الذين كانوا يأمــلون ركوب البحر في ذاك اليوم. فلمّا شاهدوا المركب مسافرًا وجموا وأخذوا يصرخون صراخ اليئسين ولكن لم يجدِهم ذاك شيئًا ولم يكن لهم بدّ من انتظار سفينة أُخرى. ولا يخفى انهُ في مدَّة شهر واحد او اقلّ سافر من ميناء سان فرنسيسكو وحدها ١٥ الف مهــاجر ومع ذلك ما زالت المهاجرة في بداءة امرها

امَّا ألاسكا التي تتوجَّه اليها الآن كل الابصار ويتزاحم الناس على الذهاب اليها فرادى وازواجاً فقد كانت من قبل ارضاً خاليةً مقفرة لا ساكن فيها ولا أنيس لشدَّة بردها. ولمَّا اشترتها حكومة الولايات المتحدة من الروسية بستة واربعين مليونًا من الفرنكات اخذ الكثيرون يستهزئون ويسخرون من هذه الصفقة الخاسرة ولكن اكتشاف الذهب فيها غير الافكار وبدل الخواطر. واليك خبر كشف المعدن المذكور فيها

سافر بعض المعدّنين من كولومبية البريطانيَّة حتى انتهوا الى ضفاف نهر يوكون الذي يبلغ طول مجراه في ألاسكا نحو اربعة آلاف كيلومتر او ازيد. ولمَّا كانوا من اهل الخبرة في المعــادن ما لبثوا ان كشفوا الذهب في الطين والصلصال الذي تحملهُ المياه فاقبلوا من ثمَّ على العمل فرحين واخذوا يجمعون المعدن الثمين بكثرة وبعد ان كان الناس قد استطالوا غيبتهم وظنُّوهم قد ذهبوا فريسة الوحوش الضارية او قُتلوا بخنــاجر البرابرة عادوا وايديهم ممتلئة من الشذور التي كانوا يوزّعون منها بسخاء على اصحابهم ومعارفهم واذ ذاك دبَّت الغــيرة في قلوب بعض مشاهديهم فركبوا متن السفر الى حيث سافر المذكورون فاصابوا غاية ما يؤمل من النجاح ورجعوا الى اوطانهم وهم من اهل الثروة واليسار. وما زالت المهاجرة الى تلك الارجاء قليلةً حتى ظهرت الحقيقة باجلى بيــان وعرف الجميع ان ضفاف نهر يوكون وجميع الجداول المتفرعة يبلغ غناها من الذهب فوق ما قيل عنها فحينئذٍ سرى في القوم شيء اشبه بالجنون ساق منهم جماعات كثيرة برمّتها الى تلك النواحي القطبية وليس لها مطمع سوى الذهب

وكانت الجماعات الذاهبة تزحم مَن سبقها من الناس الى « جونو سيتي » و« سيتكا » اكبر مدن ألاسكا وتجبرها على التقدم الى الاماكن المستطاعة الاقامة بها من الشط ونظرًا لتزايد عدد المهاجرين لم تكن تلبث تلك الجماعات مدَّة وجيزة حتى تفد جماعات أخرى تبغي لها مقرًّا فلا تجد وكسرةً من خبزٍ لتسدّ بها جوعها فلا تلاقي. وذلك لان شط النهر ضيّق وطرق البلاد الداخلية عبارة عن شِعاب لا يقوى الماعز على سلوكها وهي تسير بين الجلامد والمهاوي والرؤوس وجنوب الجبال وكثيرًا ما تكون مسدودة بجثث الخيل وركام الامتعة التي اضطرّ المسافرون ان يتركوها فيها جبرًا. وفوق ذلك كله لا سبيل الى السير في هذه الطرق الّا مدَّة الصيف التي لا تزيد على ثلاثة اشهر سنويًا في هذه النواحي القطبيَّة. فعن هذه الاسباب كلها صعوبة انتشار الجموع المحتشدة على ضفاف النهر. وقد علمت انهُ كلّ يوم ترد جموع جديدة تلتمس لها محلًّا بين الجموع القديمة

وعلى اثر اشهر الصيف الثلاثة تأتي شهور الشتاء بزمهريرها النافح وبردها القارس الذي كثيرًا ما يهبط الى الدرجة التاسعة والاربعين تحت الصفر واذ ذاك تنفخ الرياح الباردة ويتساقط الثلج ويلجأُ السكَّان من الهنود الى مغاور لهم يحفرونها تحت الارض ولا تعود البواخر تقرب تلك السواحل التي يغشاها الجمد ويمتنع ارسال الاقوات ويشتدّ الجوع وعليهِ فان الذين لا يكونون قد وصلوا الى ضفاف « كلونديك » يموتون قبل الوصول الى الارض التي قد طالما عانوا من المتاعب لاجل مشاهدتها كما ان الذين يعودون مثقلين بالذهب يموتون ايضًا بجانب المعدن الثمين الذي لا يقدر على إشباع جوعهم

ولكن اي شيءٍ يا ترى كان يَعرف من هذا كله ركَّاب الباخرة « انكون » ؟. غاية معرفتهم هو انَّهُ كان عليهم ان ينتظروا مدَّة خمسة عشر يومًا في ميناء سان فرنسيسكو لكي يتمكَّنوا من ركوب الباخرة التي توصلهم الى ألاسكا. وكان جميعهم في ذلك سواء كبيرهم وصغيرهم حتى حاملو رسائل التوصية منهم الى شركات البواخر. وكانت كل الحجرات في الباخرة « انكون » قد استؤجرت من قبل بثمانية ايام ولا احد من الركاب يرضى بان يتنازل عن موضعهِ لآخر ولو بمبلغ وافر من المال. وكان من جملتهم ثلاثة من شرطة سان فرنسيسكو تركوا مراكزهم رغبةً في تحصيل الاصفر الرنَّان. وفيهم ايضًا عدة نساء بينهم امرأة انكليزيَّة من عائلة نبيلة كانت تقصد السفر الى

كلونديك لتفتح هناك مخزنًا فبهذه الامور كان يتحدَّث ركَّاب الباخرة « انكون ». اما الاخطار التي كانت تنتظرهم في القطب الشمالي فكانوا لا يعرفون عنها شيئًا او انهم كانوا يتظاهرون بجهلها. فالفكر الوحيد الذي كان مالئًا لرؤسهم ومالكًا افئدتهم هو كسب الذهب. فلا عجب اذا كان حبّ المعدن الثمين قد انساهم اهلهم واصدقاءهم ووطنهم وخوَّلهم قوَّة عظيمة على اقتحام الاخطار وتذليل المصاعب واحتمال المتاعب والمشاقّ التي لا يحيط بها وصف

ويلاه متى يعقل الانسان فانهُ متى شاهد المنافع الحقيقة والصوالح الصادقة يعرض عنها ولا يعني نفسهُ بطلبها ولكنهُ اذا علَّل نفسهُ بجمع الذهب الذي ليس هو سوى تراب يُفقدناه الموت بالرغم عنَّا يضحّي كلّ شيء لاجلهِ بل يعرض حياتهُ للخطر في جنب اكتسابهِ وكفى شاهدًا انَّ الباخرة « انكون » قد كانت تضم في عداد ركابها كثيرين من الاطبَّاء ووكلاء الدعاوي الذين تركوا كل عزيز عندهم وباعوا جميع مقتنياتهم لاجل مشترى ما يلزمهم للسفر الى بلاد ألاسكا (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Die Commentatoren des Jbn Jshak
und ihrer Scholien, *von Dr P. Brönnle, Halle*, SS. XXXII- 55

اقدم الشروح الاسلامية على السيرة النبويَّة لابن اسحاق

قد بالغ المستشرقون منذ عشرين سنة في البحث عن اوائل الاسلام فهم لا يكتفون بتكرير ما كتبهُ غيرهم وفي هذه الكتابات الغثُّ والسمين بل شمَّروا عن ساعد الجدّ ونقَّبوا عن اقدم ما سطَّرهُ المسلمون انفسهم. والكتاب المعنوَن اعلاه نبذةٌ المانيَّة تُنظم في سلك هذه الابحاث العديدة مدارُها على كتاب السيرة النبويَّة لابن اسحاق المتوفَّى سنة ١٥١ للهجرة (٧٦٨م) وعلى الشروح القديمة التي وردت فيها وهي اربعة: سيرة الرسول لابن هشام وكشف اللثام لبدر الدين الحنفي وكتاب الروض الأُنف للسهيلي وشرح السيرة النبويَّة لابي ذرّ بن محمد الخشني. فقابل المؤلف بين هذه الشروح واكثرها لا تزال مخطوطة وبيَّن خواصَّها ثم نشر منها الفصل المشتمل على واقعة بدر مع

تعليقات مفيدة تاريخيَّة ولغويَّة استحسنها علماء اللغات الشرقيَّة فمنحوا صاحبها رتبة الملفنة. ونحن نثني على همَّة صاحب هذا الكتاب ونتمنى لو يُحفي اهل بلادنا في مثل هذه المسائل ويقتدوا بآثار الاجانب من حيث التنقير والتنقيب

Die Beni Hilal-Geschichten

Von Dr. M. Hartmann

رواية بني هلال

قصَّة بني هلال شائعة في كلّ انحاء المشرق كسيرة عنتر وكتاب الف ليلةٍ وليلة وقد طبعت مرارًا في مصر وبيروت. وهي عبارة عن ٢٩ قسماً تحتوي اخبارًا فكاهية عن بني هلال ورحلتهم وتغربتهم ثمَّ يليها عشرة اقسام أُخر تتعلَّق ببعض فرسانهم ومشاهيرهم. ولمَّا كان الدكتور مرتين هرتمن مُغرى بدراسة هذه الروايات العاميَّة اراد ان يعرّف العلماء الاوربيين مضمونها واسانيدها وما لها من الخطارة لمعرفة التاريخ والعوائد الشرقيَّة. فكتب هذه المقالة المستطرفة باللغة الالمانيَّة باحثًا عن نسخ هذه الروايات ومقابلًا بينها وبين المقاطيع التي وردت في كتب اشهر المؤرخين كابن الاثير وابن خلدون وغيرهما لعلَّهُ يجد في مزابل هذه القصص العاميَّة دررًا ثمينة يُقلِّد بها جيد العلوم. فنعم الغاية وحبَّذا الكاتب

Hymnographie Poitevine

par Dom J. Parisot, moine bénédictin

هي مقالة افرنسيَّة غاية في الدقَّة والتنقيب يبحث فيها مؤلفها الشهير عن التسابيح اللاتينيَّة التي تُنسب الى القديس هيلاريوس اسقف مدينة بواتيار في القرن الرابع. وممَّا اثبتهُ حضرة الاب باريزو في اثناء بحثهِ انَّ القديس هيلاريوس حذا في بعض هذه التسابيح حذو الكنائس الشرقيَّة ونقل عنها شيئًا من معانيها وطرائقها ل. ش

شذرات

(اعتذار) نسأل حضرات الادباء الافاضل الذين ارسلوا لنا مقالات او اسئلة لندرجها في المشرق ان يقبلوا عذرنا لتأخُّرنا عن ادراجها وقد توفَّرت لدينا الموادّ وان شاء الله نوردها في اوقاتها

ابيات مجهولة للمتنبي — قد اقتنى آخرًا مدير البريد النمسوي في الثغر المسيو ليجنر (Legner) نسخةً خطيّة نفيسة من ديوان المتنبيّ يرتقي عهدها الى نحو خمسمائة سنة فقابلناها مع الطبعات الاوربيّة والهنديّة والسوريّة فوجدنا فيها ثلاثة أبيات لم تُذكر في غير هذه النسخة القديمة ولعلّها من قصيدة فُقد اوّلها. فأحببنا ان نثبتها هنا لئلّا تأخذها يد الضياع او يجد احد من العلماء باقيها. والابيات من الهجو كما يظهر:

يا ناحتي الأشعار من آباطهم فالشعرُ يُنشدُ والصُّنان يفوحُ

انا مَن علمتم فاسكتوا او فانبحوا فالكلبُ في إثر الهزبر نَبوحُ

وَبِـدٌ (١ لكم يتركانُ ثوبي انّهُ من بعد أخذ قصائدي مربوحُ

آخر كلامنا على كتاب الدليل — انتقدنا هذا الكتاب. بما رأيناهُ اقرب الى الصواب. فنفر صاحبهُ لانتقادنا وتنمّر. ولم يرضَ بانتقاد غيرنا فزمجر. فلاح جليًّا لكل ذي عيان. انَّ المؤلف لا يتنسَّم غير الثناء الرنّان. وايمُ الحقّ اننا لم نكن لنضنّ عليهِ بالمديح. لولا انَّ لساننا لا ينطلق على غير الصدق والقول الصحيح

وعليهِ فنستميح من كاتبهِ عذرًا ونلتمس منهُ ان فتح اللهُ عليهِ بتأليف كتاب آخر ألّا يرسلهُ الى ادارة المشرق لانَّ اصحابها من ارباب الدين لم يعتادوا تقديم بخورهم لاحدٍ من المخلوقات. والسلام

الساعة المائيَّة — سُئلت مجلّة الضياء المنيرة (ص ٦١٩) عن الساعة المائيَّة التي اهداها هارون الرشيد الى الملك شرلمان. فاجابت انها لم تعرف وصفًا لهذه الساعة او اشباهها في كتب العرب. فان سمحت لنا رصيفتنا اشرنا عليها بمطالعة ما كتبهُ ابن جبير في رحلتهِ عن ساعة مائيَّة كانت في دمشق فوق باب جيرون. وقد نقلنا هذا الوصف في الجزء الرابع من مجاني الادب (ص ٢٢٧). واثبتهُ الشريشي في شرح مقامات الحريري. وبين الروايتين بعضُ اختلاف

وكذلك نفيد رصيفتنا ان رسالة « عمـدة الصفوة في حلّ القهوة » التي باشرت بطبعها « عن نسخة في احدى المكاتب القديمة » قد سبق العلّامة دي ساسي ونشرها في باريس سنة ١٨٢٦ في مجموعهِ الشهير « انيس المفيد للطالب المستفيد » (ج١ص ١٣٨– ١٦٩) عن نسختين قديمتين وترجمها الى الفرنسيَّة وعلّق عليها حواشي مطوَّلة كلّها فوائد

١) هذه الكلمة في الاصل ممحوَّة يصعب قراءتها. ولعلّها من وَبِدَ الثوبُ وَبَدًا اذا بَلِيَ



القوى العاقلة في الحيوان هذا هو عنوان مقالة «لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك السعد» اخذنا العجب لدى مطالعتها في مجلّة الضياء الغرّاء وفي خلال هذه المقالة بل في مجرَّد اسمها ما يخدش آذان ذوي الآراء السديدة وسننتقد ان شاء الله مزاعم صاحبها اذا ما انتهى من تسطيرها

الجواب على المشكل الرياضي الوارد في العدد السابق لم يحلّهُ الى الآن سوى عارضهِ حضرة الاب الخوري جبرائيل رزق مرهج قال: «نستنتج من اصل المسألة طبقًا لمبادئ الهندسة والجبر والطبيعيات ما يأتي:

(١ً) ك^{٢} + ل^{٢} = م^{٢} (الاحرف ك ل م دلالة على طول النحاس والذهب والحديد على درجة الصفر). (٢ً) ك + ل + م = ب (الحرف ب دلالة على مجمل الطول اي ١٣٢ سنتيمترًا). (٣ً) ن ك + ذ ل + ح م = ت (الاحرف ن ذ ح دلالة على التمدُّد النوعي طوليًا في مائة درجة لكل من النحاس والذهب والحديد. والحرف ت دلالة على مجمل زيادة الطول ٠،١٩٣٤٠٢. ثم لنا بنقل م في (٢ً) والتربيع: (٤ً) ك^{٢} + ٢ ل ك + ل^{٢} = ب^{٢} − ٢ ب م + م^{٢} بطرح (١ً) من (٤ً)

(٥ً) ٢ ل ك = ب^{٢} − ٢ ب م بالتعويض عن م في (٥ً) بقيمتها في (٢ً)

(٦ً) ٢ ل ك = ب^{٢} − ٢ ب (ب − ك − ل) بالفك وافراز ك ومقابلتها والقسمة

(٧ً) ك = $\frac{\text{ب}^{٢} - ٢\,\text{ب ل}}{٢(\text{ب} - \text{ل})}$ وايضًا بمقابلة ك في (٣ً) والقسمة بعد التعويض عن م بقيمتها في (٢ً): (٨ً) ك = $\frac{\text{ت} - \text{ح ب} - \text{ل}\,(\text{ذ} - \text{ح})}{\text{ن} - \text{ح}}$ بمساواة (٧ً) و (٨ً):

(٩ً) $\frac{\text{ب}^{٢} - ٢\,\text{ب ل}}{٢(\text{ب} - \text{ل})} = \frac{\text{ت} - \text{ح ب} - \text{ل}\,(\text{ذ} - \text{ح})}{\text{ن} - \text{ح}}$

بالجبر والمقابلة: (١٠ً) ٢ (ذ − ح) ل^{٢} + ٢ [ب (ن − ذ) − (ت − ح ب)] ل = ب [ب (ن − ح) − ٢ (ت − ح ب)] بالتعويض عن الحروف المعروفة بكميّاتها والجبر تصير:

(١١ً) ٦٦٤ ل^{٢} + ١٩٧٥٦ ل = ٢١٥٤٧٦٨ بالاختزال والتجذير بعد اكمال التربيع:

(١٢ً) ل = $\frac{١}{٣٣٢}$ (− ٤٩٣٩ ± $\sqrt{٥٣٨٦٩٢ \times ٤ \times ١٦٦ + (٤٩٣٩)^{٢}}$)

بالتعويض في (٨ً) عن ل بقيمتها الايجابية ٤٤ لنا: (١٣ً) ك = ٣٣

بالتعويض في (٢ً) عن ل و ك بقيمتها لنا: (١٤ً) م = ٥٥»

اسئلة واجوبة

س سألنا حضرة الاب انستاس الكرملي هل ورد في كتب مؤرّخي الاسلام

ذكر حرق مكتبة الاسكندرية لمّا فتحها عمرو بن العاص

حرق مكتبة الاسكندرية

ج نعم اثبت ذلك كثيرون من المؤرخين منهم الوزير جمال الدين علي بن يوسف المعروف بابن القفطي المتوفى سنة ٦٢٤ — ١٣٢٦ م في كتاب تاريخ الحكماء. وعنهُ نقل الحبر ابو الفرج ابن العبري (راجع المشرق ١ : ٥٠٩). ومنهم موفّق الدين عبد اللطيف البغدادي († ٦٢٩—١٣٣٢م) في الفصل الرابع من كتاب الافادة والاعتبار ومنهم المقريزي في كتاب الخطط والآثار. وقد لمح الى الامر نفسهِ ابن خلدون في الفصل الاوّل من مقدَّمتهِ (طبعة بيروت ص ٣٣ و ٣٤). والحاج خليفة في الفصل الرابع من مقدّمة كشف الظنون

س وسأل جناب الشاب الاديب ذ. ز. ما هو اصل تسمية ايّام الاسبوع بالاحد والاثنين والثلثاء الخ والجمعة والسبت

اسماء ايّام الاسبوع

ج اسماء ايّام الاسبوع كما هي الآن مستعملة عند العرب مأخوذة من العبرانيّة وتوافقها الاسماء الآرامية. واصل تسميتها باسماء الاعداد يرتقي الى السفر الاوّل من التكوين حيث وصف موسى الكليم اعمال الله في ايّام الخليقة السبعة. امّا اسم الجمعة فهو من الاجتماع اتّخذهُ العرب بدلًا من اسمهِ القديم عَروبة (وبالسريانيّة ܥܪܘܒܬܐ) دلالة على اجتماعهم فيهِ لإقامة الفروض الدينيّة. وقد دُعي السبتُ سبتًا اي راحة لانجاز الله تكوين الخليقة واستراحتهِ بعدها (تكوين ٢ : ٢)

س وسألنا جناب الاديب شكري افندي حوّاء: ١ً ما هي احسن طريقة لحفظ الكتب سليمةً من التبقيع. ٢ً هل عندكم علم بمدينة موقعها في وادي فيران على مسيرة اربعة ايام من بلدة السويس على طريق المسافر الى طور سينا يوجد فيها الى اليوم آثار مدينة دارسة.

١ الطريقة لحفظ الكتب سليمة من البُقع

ج احسن وسيلة لمنع البُقع التي تلحق بالكتب وتدنّسها ان تصان في مواضع ناشفة لا تمسّها الرطوبة ثمَّ تُعرَض من حين الى آخر في الشمس فان شعاعها يقتل الجراثيم التى تتولّد في الكتب وتوسّخها. ومن الوسائل الحسنة ان يذرّ في خزانة الكتب



شيء من الموادّ المنشّفة للرطوبة كحجارة الكلس (كلورور الكلسيوم). لكنَّ هذه الوسائل لا تجدي نفعاً اذا دخل في تركيب الورق موادّ معدنيَّة لا سيَّما الحديد فان هذه الموادّ تأتكل الورق وتتلفهُ لا محالة

٢ مدينة فيران

ج انَّ المدينة المشار اليها هي مدينة فيران وكانت من المدن الشهيرة قبل الاسلام تنصَّر اهلها منذ اوائل القرن الرابع للمسيح وكان فيها كرسيّ للاساقفة وردت اسماؤهم في عداد اساقفة المجامع الكبرى. امَّا آثار مدينة فيران وتواريخها فقد وصفها احسن وصف حضرة الاب ميشال جوليان اليسوعي سنة ١٨٨٩ في كتاب نفيس يدعى «طور سينا وسوريَّة» (Sinaï et Syrie, p. 85 - 92). وفي تلك الجهات وادٍ آخر مشهور بآثارهِ القديمة يدعى وادي المكتَّب (راجع الكتاب نفسهُ ص٧٧)

س وسأل جناب الفاضل يوسف افندي زياده أُعرف تماماً أصل نبع النيل وأين هو

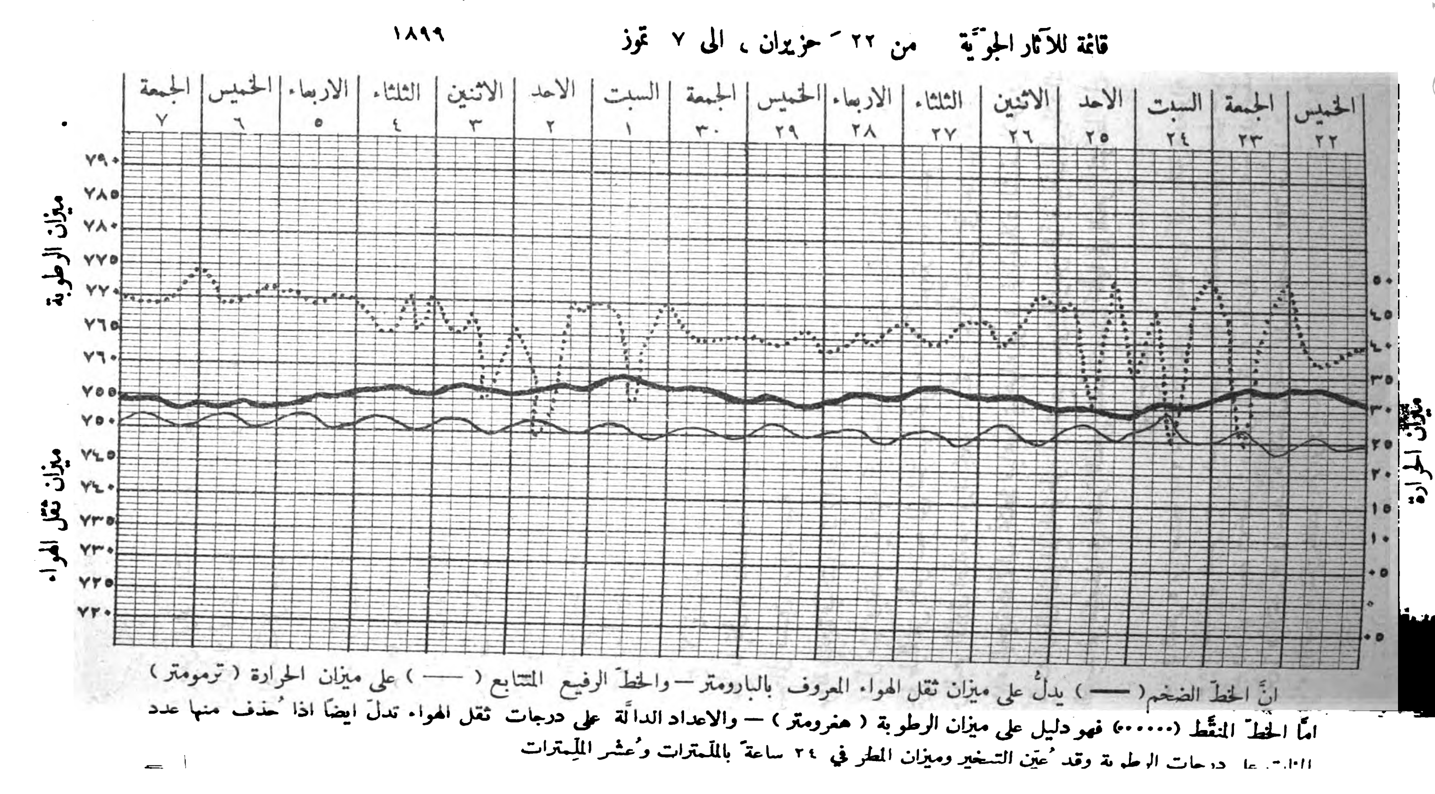
اصل نهر النيل

ج لا يزال العلماء حتَّى الآن مرتابين في تعريف كلّ الينابيع التي منها يخرج النيل واصحّ ما يقال في ذلك وفقاً لما قرَّرهُ آخرًا قومٌ من مشاهير الرحَّالين ان النيل الاعلى يقسم الى قسمين يُعرف احدهما بالبحر الابيض. اصلهُ من جبال في جنوبي بحيرة أُوكاانا المعروفة ببحيرة ڤيكتورية نياترا فيصبُّ في هذه البحيرة ويجري منها الى بحيرة ألبار نياترا ثم يسيل منها وينضمّ اليهِ انهار كبار منها الموج والجور وبحر الغزال والقيلاق والسوبة ويبلغ طولهُ من رأس نبعهِ الى الخرطوم نحو ٢٣٠٠ كيلومتر. امَّا القسم الثاني من النيل فهو البحر الازرق اصلهُ من وراء بحيرة دَمْبيَة في جبال الحبش في جنوبها الغربيّ فينفذ في هذه البحيرة دون ان تختلط مياههُ بمياهها ويمرّ في غربي بلاد الشَّنْغــلاس ويسقي بريَّة سنعار الى ان يبلغ الخرطوم فيجتمع بالبحر الابيض ثمَّ يسيلان في بلاد النوبة ثم الصعيد ثمّ يتشعَّبان في مصر السفلى شُعباً تنصبُّ كلُّها في البحر المتوسّط ل. ش

اصلاح خطإ

جاء في السطر ٥ من الصفحة ٦١١ من العدد السابق «طالما ان كتب اللغة» وصوابه «لما ان الخ» وكذلك في السطر ٢١ من الصفحة نفسها «طالما ان المقصود» وصوابه «في حين الخ» وقد ورد في الصفحة ٣٤٦ س ٩ «وهي التَّكار» والصواب «النَّكاز» — وفي الصفحة ٥٥٤ س ٦ «الاخان» والصواب «الاخوان» — وفي الصفحة ٦٢٣ س ١٦ «على شكل زاوية» والاصحّ «شكل مثلَّث قائم الزاوية»

قائمة للآثار الجويّة من ٢٢ حزيران ، الى ٧ تموز ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر)
امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد
... درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر المليمترات

المشرق

ترقّي التلغراف بدون سلك

للاب موريس كولنجت اليسوعي مدرّس الطبيعيّات في مكتبنا الطبي

١

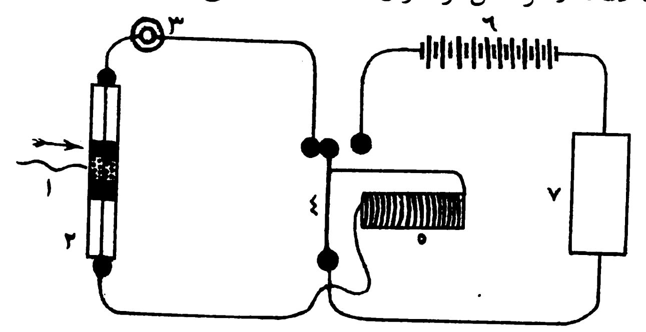
لا نظنُّ ان قرّاءنا الكرام نسوا ما كتبناهُ في غرّة العام الماضي (المشرق ١ : ٧) عن التموُّجات الكهربائيَّة التي وقف عليها الدكتور هرتز (Hertz) وممَّا اثبتناهُ في تلك المقالة ان هذه التموُّجات كانت مبدأً استند اليهِ العلماء لاختراع التلغراف بلا سلك

امَّا الآلة المجهزة لتوليد الكهرباء فقد وصفناها ايضًا في اثناء كلامنا وهي عبارة عن مكبَّة ذات مجرًى ثانويّ (bobine d'induction) تُطلق فيها اهتزازات رقَّاص كهربائي متواترة. فاذا طار منها الشرر حصل في أثير الجوّ حركات شبيهة بتموُّجات الماء اذا ما القيتَ فيهِ حجرًا. ولهذه الامواج الكهربائيَّة قوَّة تنتقل بانتشار دوائرها الى مسافات بعيدة

والحركة المذكورة تكون شديدة ان قربت من مصدرها لا تبعد عنهُ سوى بضعة امتار ولك حينئذٍ ان تطَّلع على تموُّجاتها الكهربائيَّــة بان تضع في جوارها اجسامًا معدنيَّة فيتطاير منها الشرر. امَّا اذا اتسعت الدوائر وبعدت الحركة عن مصدرها فلا بدَّ لرصد هذه التموجات من آلة حسَّاسة كقابل برنلي (Branly) المعروف بموصل الاشعَّة (المشرق ١ : ١٠) وهي مبنيَّة على هذا الاختبار وهو انَّ بُرادة المعـادن كالحديد والفضَّة والنيكل اذا أُقحمت في دائرة كهربائية حالت دون المجرى وقطعتهُ. وبعكس ذلك تزيد قوَّتها المبلّغة للكهرباء اذا نالتها موجة كهربائية فيدور المجرى

واذ اراد المسيو برنلي ان يحرّك الآلة جعل ضمن انبوب قليلًا من البُرادة المعدنيَّة بين مطرقتين من الفضَّة ووضع الانبوب في مجرًى كهربائي ضعيف. فاذا وردت الموجة

الكهربائية من الباعث (Transmetteur) وادركت الانبوب مع ما فيهِ من البُرادة تمّ المجرى الكهربانيّ ومن وقتهِ يعمل في قضيب من المغناطيس المُكهرَب (électro-aimant) يدعونهُ مَوقفًا (relais) فيحرّك مجرًى ثانيًا اشدّ قوّةً يُودع فيهِ آلة دقّاقة وتلغرافًا من طرز مُرس (Morse) ومصابيح الى آخرهِ (راجع الشكل)



١ موجةٌ من الكهرباء
٢ انبوب المعلم برَنْلي
٣ بطاريّة المجرى الاوّل
٤ لولب يوصل المجرى ويقطعهُ بحركتهِ بين الزرّين
٥ مغناطيس مكهرب يجذب اللولب
٦ بطاريّة المجرى الثاني
٧ تلغراف مُرس. آلة دقّاقة الخ

هذا اذا اعتبرنا المبدأ الاساسي لحركة التلغراف ولكن في حركة التموجات بعض اختلاف في الاجهزة المستعملة. وذلك انّ الموجة الكهربائية لا تنتقل توًّا من كُرَى الباعث الى الانبوب المحتوي على بُرادة الحديد بل تدفع الموجات الى رأس صاريةٍ بواسطة سلكٍ معدني فتنتشر من ثمّ في الجوّ. وهكذا في محلّ وصولها تبلغ الى قمّة صاريةٍ ثانية فينقلها سلك آخر معدني الى الانبوب

٢

فبعد تنظيم محلّات البريد كما وصفنا يصحُّ القول انّ اكتشاف التلغراف بلا سلك دخل في عالم الصناعة لاسيا بعد الاختبارات العديدة المُجراة في انحاء شتى بين اماكن نازحة مثل مرسى سپازيا (Spezia) وسفينة بعيدة في البحر وبين معهد البنثايون (Panthéon) وبرج ايفل. وقد افادتنا انباء البريد انّ التلغراف بلا سلك دائرٌ بين انكلترة وفرنسة ذهابًا وايابًا على مدى مسافة بوغاص كالاي (Pas de Calais) وهي

تبلغ خمسين كيلومترًا بين مركزَي البريد ڤيمرو (Wimereux) وسوث فورلند (South Foreland). والمراسلات بين البريدين على غاية ما يرام من الدقّة والنظام.
وما من شأنهِ ان يذهل العقول انَّ السفينة الرائدة ايبيس (Ibis) امكنها في غضون سيرها ان تُراسل حينًا المركز الفرنسي ڤيمرو وحينًا المركز الانكليزي سوث فورلند (١ وتيسَّر لها ان ترسل انباء برقيَّة الى سنغات (Sangatte) رغمًا عن رأس غرينتس (Gris-Nez) المتوسّط بينهما وذلك وفقًا لما قلنا في مقالتنا الاولى ان الموجات الكهربائية لا يحجزها شيء من الحواجز اللّهم الَّا المعدنيات. امَّا الخشب والزجاج والجدران فانَّها لا تقوى في الغالب على صدّ هذه التموجات ما لم تكن غايةً في الثخن والسمك. والعلماء يبحثون في الوقت الحاضر عن نفوذ الكهرباء في الاجسام الكثيفة وشروطه. ولعلَّ التموجات لا تخرق الجبال وغيرها من الموانع المعترضة لها في سيرها بل تدور حولها كما تدور موجات الماء اذا صادفت في مسيرها عائقًا. وما لا مراء فيهِ انَّ للصواري المنصوبة في المركزين البدائي والنهائي فائدة كبرى وخصوصًا في المدن لان القطع المعدنيَّة التي تعلو سقوف البيوت قويَّة من شأنها ان تبطل مفعول الكهرباء.

وقد اخبرتنا الجرائد الواردة الى الثغر في الاسبوع الماضي انَّهُ يمكن استبدال الصواري المنتصبة في الهواء بصوارٍ أُخر تُغمس في عباب البحر فان المفعول واحدٌ في الحالتين. وفي هذا الاكتشاف الجديد منافع لاسيما على سِيف البحر وللسفن في غمر المياه.

٣

وقد بقي علينا ان نوضح هنا مشكلًا طالما شغل الخواطر بعد اكتشاف التلغراف بلا اسلاك. تُرى كيف تُكتم الاسرار في حين كون الامواج الكهربائية تمتدُّ في طبقات الجوّ ويتمكَّن كلّ الناس من الوقوف على حركاتها واشاراتها

نجيب ان العلماء تصدَّوا لهذه المسألة فوجدوا باعمال الفكر للعُقدة حلًّا. فانَّ السفينة إيبيس المذكورة سابقًا امكنها ان تخابر مركز ڤيمرو في فرنسة دون ان يدرك معانيها احدٌ من مركز الانكليزي في سوث فورلند ثم عكست الامتحانَ فلم يفهم شيئًا من

١) ومن الاختبارات الحسنة ما اجرتهُ في الشهر المنصرم سفينة افرنسية لنقل الجنود تدعى لاڤيان (La Vienne) بين ڤيمرو وسوث فورلند والمسافة بينهما ٦٨ كيلومترًا

كلامهـا اصحابُ البريد الفرنسيّ بل لم يشعروا بهِ . فهي لعمري نتائج راضية وان لم تنفِ كلّ ريب

ولعلّك تتحفَّى في السؤال فتطلب وباي طريقةٍ توصَّل ارباب العلم الى غايتهم ؟ نقول انهم اصابوا المطلوب بتوخّي نسبة التموُّجات وائتلاف حركاتها وذلك بان يزيدوا قوّة جهاز الكهرباء بزيادة بعض امتـــار من الاسلاك المُلولَبة فيوازنوا بين آلتين متساويتـــين بالقوَّة ويستثنون من هذه الموازنة آلةً ثالثة اذا لم يريدوا ان يطلعوها على الاخبار المتبادلة بين الآلتين الاوليين

ولادراك ما سبق نضرب للقرَّاء مثـلًا نأخذهُ من فنّ الموسيقى فنقول اذا نقرتَ آلةً موسيقيّة كالعود او نفختَ في غيرها كالبوق لا تسمع صوتًا واحدًا بل اصواتًا متقارنة تجانس هذا الصوت الاوّل او تقرب منهُ وان كان في جوار تلك الآلة ادوات موسيقيَّة غيرها مدوزنة عليها سمعت في هـذه الادوات اصواتًا مجانسة لصوت الآلة الاصليَّة (١ وارباب الموسيقى يدعون هذه الاصوات الثانويَّة الانغام المؤتلفة (Harmoniques) . واذا كان تجهيز الآلات مختلفًا بحيث لا يحصل عدد الهزَّات الموسيقيَّـة اللازمة لتوليد هذه الانغام الثانويَّة بقيت الرَّنة الاصلية منفردة لا تُوافقهـا الانغام الملائمة لها

وعلى هذا المنوال التموُّجات الكهربائيَّة فان جُهّز لها آلتـــان متوافقتان يكون لكليهما موجات متجانسة في الكم والكيف تأثرت احداهما بحركة اختها . وعليهِ فانَّ مركز البريد الفرنسيّ في ڤيمرو والسفينة إيبيس اتّخذتا آلتين متجانستين وافقا بينهما كما يُدَوزن ارباب الموسيقى آلات الطرب الكمنجة والپيانو اذا ما ارادوا ان يدقوهما معًا في لحن من الالحان . والفرق بين الآلات الموسيقيـــة غير الموازنة والتموُّجات الكهربائية غير المتوافقـــة ان دقّ آلات الطرب يُصبح كريهًا للسمع امَّا الموجات الكهربائية فيبطل عملُها

ومع ذلك كله لا ننكر انهُ لممكن ان يطَّلع احدٌ من الاجانب على الاسرار المكتومة ولكن أفليس هذا الخطر موجودًا ايضًا في التلغراف ذي الاسلاك وقد يمكن للافراد ان يطَّلعوا على فحوى رسالة برقيَّة في اثنـــاء مسيرها دون علم احد من عمَّال

١) راجع حاشية الاب ل . رنزڤال على الرسالة الشهابية في المشرق (٣ : ٤١٠)



التلغراف فسيَّان اذن بين التلغراف العادي والتلغراف المستغني عن الاسلاك من حيث خطر اكتشاف الاسرار ولعلَّ الباحثين يجدون عمَّا قليل طريقة أحصن للاسرار

هذا ونرغب في ختام كلامنا الى القرَّاء الافاضل ألَّا يظنُّوا انَّ التلغراف بلا اسلاك قد بلغ غاية كمالهِ وانَّهُ سيقوم قريبًا مقام التلغراف العاديّ فلا يبقى لذوي الامر الَّا ان ينصبوا في بلادهم الصواري العالية تُرسل الاشعَّة في الجوّ الكهربائية وتتلقَّاها. كلاًّ فانَّهُ يبقى اشياء كثيرة لتحسين هذا الاختراع وتنظيمهِ اوَّلها تقوية الآلات الكهربائية ثانيها صيانتها من الاضطرابات التي تطرأُ على الكهرباء في الجوّ وغير ذلك من العوائق التي لم يتمكَّن من ازالتها المختبرون

وعلى كلّ حال فانَّ هذا الاكتشاف الجديد من اجلّ الاكتشافات وانفعها فانَّ السفن السائرة في البحر والمنارات المعتزلة اخذت تتخابر مع مراكز البريد في سواحل البحر. وستظهر خاصَّة فوائده في وقت الحرب لانَّ اهل المدن رغمًا عن حصار العدوّ يمكنها ان تراسل ارباب الحكم البعيدين وكذلك الجيوش في طريقها يتيسَّر لها الاطّلاع على احوال المراكز النائية

وبينما نحن ندوّن على متن القرطاس وصف التلغراف بلا اسلاك اتانا البريد يخبرنا باكتشاف التليفون بلا اسلاك. فيا لله ما اقدر عقل البشر على اختلاس اسرار الطبيعة بل قُل ما اعظم الخالق الذي اودع في الكون كنوزا من المعارف يمكن منها الانسان جيلًا بعد جيل على ممرّ الاعصار

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب يوسف تاَني احد اساتذة مدرستنا الكليَّة (تابع لما سبق)

٣ الدين في تربية الاطفال

قد قيل عن اللبنانيّ انَّ الدين راسخ في قلبهِ كالارز في جبالهِ. وعليهِ فترى اهل لبنان يُرضعون اولادهم افاويق التُّقى مع الحليب. وفي الفصل السابق ذكرنا شيئًا من عاداتهم الدينيَّة بعد ولادة الاطفال. ولهم في اثناء نشأة صغارهم اعمال اخرى تشهد على روحهم الدينيّ

(الصلاة على رأس الطفل) يقدّم الابوان طفلهما الى الكهنة بعد عماده حيناً بعد حين ليباركوهُ « ويصلُّوا على رأسهِ » وفي الكتب الطقسيَّة صلوات معروفة لذلك. واذا مرَّ بالقرية كاهن غريب او راهب ترى الامهات يحملنَ اليهِ اولادهنَّ لينلنَ بركتهُ ويطلبنَ دعاءَهُ

(كبس(١ رأس الاطفال بالكأس) ومن عاداتهم انَّهم يأتون بالاطفال الى الكنائس ويحضرون الذبيحة الالهيَّة فاذا حان وقت دورة الكاهن في آخر القدَّاس وهو حامل بين يديهِ جسد الرب ودمهُ الزكي أتت بالطفل امُّهُ الى الهيكل فجعلتهُ تحت الكأس. اما الكاهن فانَّهُ يمسُّ هنيهةً بالكأس المقدَّس رأس الصغير فيقال « كُبس رأسُ الطفل » واكثر ما يصنعون ذلك اذا « قَبط (١ الولد في نومهِ » اي اصابهُ رعشةٌ او عندما ينالهُ سوء او يُبتلى بمرض. وليس من النادر ان ترى الرجال انفسهم يقتربون من المذبح فيكبسون رؤوسهم تعبُّدًا

(قراءة الانجيل على رأس الاطفال) ولهم عادةٌ اخرى في لبنان كما في كثير من بلاد الشام وغيرها وهي ان تأتي الوالدة بابنها فتطلب من الكاهن ان يقرأ على رأسهِ فصلًا من الانجيل الطاهر. وقد رأينا قومًا من غير النصارى يلازمون ايضًا هذه العادة فيطلبون من الكهنة ان يقرأوا الانجيل على رأس اطفالهم في امراضهم ويُشفون باذن الله

(إلباس الصغار ثوبًا رهبانيًّا) وممَّا يستدلُّ بهِ على تديُّن اهل لبنان وسواحل الشام انهم اذا رأوا الموت قد اخترم بعض صغارهم او تخوَّفوا عاقبة مرضٍ سيّئٍ او مصيبة اخرى تحلُّ باولادهم نذروا ان يلبسوهم مدَّة معلومة ثوبًا رهبانيًّا كثوب القديس انطونيوس ابي الرهبان او الاسكيم الفرنسيسي وهم يقومون بوعدهم حقَّ القيام وربَّما رأيت اولادًا متوشّحين بهذه الثياب الرهبانيَّة سنين عديدة ويتردَّدون بها الى المدارس

(زيَّاح(٣ الاطفال في احد الشعانين) اذا ما قدم احد الشعانين(٤ يُلبس الاطفال اهلهم ثيابًا جديدة ثم يأخذون لهم غصنًا من الزيتون كبيرًا يعلِّقون فيهِ الشموع المزخرفة

١) من السريانية ܟܒܫ اي حَفِظ وشدّ

٢) نظنّ انها مشتقة من اللفظة السريانية ܩܒܛ اي قفز ورقص

٣) سريانية ܙܝܚܐ لا يعرف الناس غيرها بمعنى تطواف (procession, bénédiction)

٤) سنذكر اصل هذه الكلمة عند كلامنا عن الاعياد والمواسم

يقال لهُ « شعنينة ». ثم بعد القدّاس يُحتفل بزيَّاح بهج وتطواف يتقدَّم فيه الصغار صفوفًا او يحملهم آباؤهم وانسباؤهم وكفلاؤهم في العماد رافعين اغصان الزيتون والشموع فيها موقودة وهم يرتّلون: « الشعانين الشعانين محبَّةً بالمسيح كيرياليسون »

وهذه الرتبة تمثيل حي لما ورد في الانجيل الطاهر (متَّى ٢١ : ١٥) عن صبيان اليهود يوم دخول المسيح اورشليم اذ كانوا يصيحون في الهيكل ويقولون هوشعنا لابن داود مبارك الآتي باسم الربّ. وزجر المسيح مَن حاولوا ان يصدُّوهم عن صراخهم قال: « أما قرأتم قطّ انَّ من افواه الاطفال والرّضع هيَّأتَ تسبيحًا »

وقد ذكر البابا بنديكتس الرابع عشر نقلًا عن مكري(١ انهُ كان للموارنة قديمًا عادةٌ اخرى (وهي بطلت في زماننا): وذلك انَّهم كانوا يأتون بشجرة من الزيتون ويجعلونها في صحن الكنيسة ويُستزاد في ثمنها فمن تصدَّق على الكنيسة بمبلغ اوفر استحقَّها فيُصعِد عليها ولدهُ وللوقت يحمل الاهل والانسباء الشجرة ويطوفون بها بين هتاف الشعب وتراتيله حتى اذا انتهى الزيَّاح تحامل الكلّ على الزيتونة ونزعوا منها غصنًا يجعلونهُ في بيوتهم تبرُّكًا

٤ بعض خرافات تتعلَّق بالاطفال

يسوءنا ان ننظر بين العامَّة قومًا لا يزالون مع ترقّي العلوم متشبّثين ببعض الخرافات ينسبون اليها مفاعيل خارقة العادة لاسيا في مضرَّة الاطفال وان هي الَّا محض اختلاق

(الكبسة) هي على زعم العامَّة آفة تلحق بالاطفال بعد ولادتهم ناجمة عن وجود بعض الاشخاص في جوارهم

والكبسة لفظة سريانيَّة معرَّبة ܟܒܫ بمعنى ضغط كأنَّ الكابس يضغط الولد النحيف المزاج ويُضيّق عليه فيمنعهُ من ان ينمو ويتقوَّى

وان سألت مَن هم اولئك الذين يُعزى اليهم هذا التأثير السيّئ في الاطفال؟ اجبنا ان هذا الفعل يُنسب خاصَّةً الى البنت العذراء ولو كانت طاعنةً في السنّ. ومن ثمَّ اذا ولد الصغير وتوارد الاهل والاحباب على الام يهنئونها بالسلامة تُمنع العذراء من

١) راجع Macri : *Hierolexic. s. v. Palmarum fest.* وكتاب كلندار الكنيستين للاب نيلس اليسوعي (١ : ٢٠٨)

دخول البيت مخافةَ ان يُكبس الطفل فيهزل وينحل جسمهُ فتكون مغبَّة مرضهِ موتاً بطيئاً لا ينجع في شفائهِ دواء

وممَّن يُنسب اليهنَّ « الكبس على الاطفال » المتزوّجات في ايام الحَيض فيزعم العامَّة انَّ للنساء في تلك الاثناء أثرًا سيئاً في صحَّة الطفل . وكانت هذه المزاعم فاشيةً شائعة في الزمن القديم عند اليونان وغيرهم كما روى القديس توما الأكويني في الخلاصة اللاهوتيَّة . (القسم الاوَّل البحث ١٢٧ الفصل ٣) عن ارسطو : « انَّ العامَّة يرتأُون انَّ الحائض ان ركبت دابَّة اضرَّت بها او قتلتها وان دخلت حديقة ايبست ازهارها وان رأت طفلًا كبستهُ » . وان سألتَ الفلَّاحين في لبنان عن هذا الامر اجابوك غير مرتابين في صحَّتهِ الامر واسندوا قولهم الى حوادث يزعمون انهم رأوها رأيَ العيان . امَّا العلماء فلا يصدّقون من هذه الاقاويل شيئاً بل يُنظمونها في سلك الخرافات

ولا يقتصر اهل لبنان على خوفهم من العذارى والحُيَّض بل يزعمون ايضاً انَّ الولد يُكبس اذا فُقد ثوبٌ من ثيابهِ او « فَشَخَ (١ » اي قفز فوقهُ احد ولذلك تبالغ الأَمهات في حفظ ثياب اطفالهنَّ ويُحذّرنَ اولادهنَّ وغيرهم من المشي فوق الطفل . واذا عرض لاحد ان يعبر فوق الصغير طار قلب الأَمهات شعاعاً لخوفهنَّ عليهِ

امَّا علاج الكبسة فلا ينال بادوية الاطبَّاء النُّطُس وانَّما دواؤها على ما يزعمون ان يُغسل الطفل بماء البحر فان شفي فنعماً والَّا فلا ينقذهُ من مخاليب المنيَّة بشرٌ . غير انَّ البعض يلجأُون الى ذريعة اخرى غريبة نوردها تفكهةً للخواطر فانهم يسلّمون الصغير الى امرأةٍ تحملهُ وتأتي بهِ الى المقبرة فتضعهُ على الارض وتقول : « يا موتى خذوا ابنكم وأعطونا ابننا » . واذا انتهت من كلامها تركت الصغير في مكانهِ وخرجت من المقبرة لا تلتفت اليهِ بكي او لم يبكِ . ثمَّ ترجع على اعقابها وتأخذ الطفل وتردُّهُ الى امهِ وهي في الغالب تكون واقفة عن بُعد تنظر وقلبها يخفق وطرفها يدمع يتنازع نفسها عاملا الخوف والرجاء

(العين) يفرق العامَّة بين الكبسة والعين وهما جاريان في حكم واحد . والعين على زعمهم آفةٌ تنكبُ المرء كبيرًا كان او صغيرًا اذا وقع عليهِ بصر بعض أُناس معلومين . والتصديق بآفات العين يرتقي الى عهد قديم وشاع بين شعوب كثيرة وربَّما

١) من السريانيَّة ܦܫܚ



نسبوا آفات الحيوان نفسهِ الى العين الصائبة والى ذلك يشير ڤيرجيل الشاعر اللاتيني في وصفهِ نحول قطيع بعض الرعاة حيث يقول (١ :« انَّ عيناً شريرة اصابت خرافي ولذلك تراها في حال من الضعف والهزال ليس وراءها غاية كأنَّ لحمها ذاب ولم يبقَ لها سوى العظم والجلد »

وليس من غرضنا ان نبحث هنا عن صحَّة قول العامَّة وهل للعين حقيقةً مفاعيل شريرة كما يزعمون. وانَّما نكتفي بان نوجه قرَّاءنا الى ما سُطِّر في بعض اعداد المشرق في سنتهِ الاولى (١ : ٩٥٩) وقد جمع كاتبها في اسطر وجيزة خلاصة اقوال العلماء في ذلك

والعامَّة في بلادنا يخافون من العين خوفًا شديدًا وبالخصوص من العين الزرقاء وفيها يضربون المثل قائلين: « لا تعاشر ذا العين الزرقاء والاسنان الفرقاء ». فان كان المرء عينهُ زرقاء كان على رفيقهِ وبالًا وان كانت ايضًا اسنانهُ فرقاء فذلك غاية في السوء وتمام الشؤم

ولعلَّ العرب يتخوَّفون من العين الزرقاء وبالًا وشرًا لانَّ اعينهم سوداء الَّا ما ندر فيطنبون في مدح السواد في الاعين ويقولون: ادعجُ الطرفِ واكحلُ واحورُ وابرجُ وفلان عينهُ كعين الظباء والبقر اي سعةً وسوادًا الا ترى انهم يكتحلون لكي تظهر اعينهم سوداء ولم يُسمع في معرض المدح ابدًا ذو طرفٍ ازرق بل يشبّهُ العامَّة الاعين الزرقاء باعين البوم والهرّ ذمًّا وهجوًا. ولذلك يتشآمون منها ويحذرون شرَّها

ولكن اي الرجال عينهُ شريرة ؟ يندر ان يُعزى للرجل الاصابة بالعين انما يُنسب ذلك للنساء وخاصَّةً العجائز اللواتي سهام لحاظهنَّ لا تطيش بل تقتل من صُوِّبتْ نحوهُ من حيوانٍ او انسان وتهدم الصروح وتفلق الاشجار فحسب مشيئة هؤلاء تتصرَّف الاقدار وتطول او تقصر الاعمار ويخدمهنَّ ملَكُ الموت خدمةَ عبدٍ ذليل فسهام نظرهنَّ تضرُّ في كلّ حال شئنَ او أبينَ ولكنَّ بلاءهنَّ بالاولاد وذوي المزاج اللطيف اعظم منهُ بالاشدَّاء الاقوياء

فالذي عينهُ شريرة ويعزُّ عليهِ ان يضرَّ الناس او غيرهم فعليه ان لا ينظر الى ما

(١) Virgilius : *Bucol.* Vix ossibus hærent;
Nescio quis teneros oculus mihi fascinat agnos.

يقع تحت الابصار وبنوع خاصّ الى الاشياء الحسنة الوسيمة فانها عرضةٌ للتلف اكثر من غيرها او يذكر اسم الله تبارك تعالى حين ما ينظر فيقول « بسم الله » او ما يشاكلها معنًى. ويلوح من ذلك لاي سبب نسمع اهل هذه البلاد جميعهم عند نظرهم الى ولدٍ او شيء باهر يقولون: « اسم الله وذكر الله. يخزي العين. تبارك الله. تبارك الخلّاق. اسم العذراء مريم. اسم الصليب العظيم. الله يبارك. البركة من الله. الخ »

وربّما سكت ذو العين الشريرة فلا يقول شيئًا من هذه العبارات فالناس تتخذ وسائل تخالها واقية من سهام العين ومنها الخرزة الزرقاء يعلّقونهـا في عنق الاطفال وقد اخذوا اللون الازرق دون غيرهِ لانَّ العين الشريرة تكون زرقاء اللون كما اشرنا اليهِ كلّ شيء ضدهُ من جنسهِ ويعلقون هذه الخرزة ايضًا في الاشجار وفي عنق الحيوانات

على هذا النمط كانت عوذة العين عنـد الرومانيين ضربًا من الفطر يعلّقونهُ على صغارهم والعرب كانوا ينظمون في سيرٍ خرزة رقطاء يسمونها تميمةً فيعلّقونهـا في عنق الاولاد الى آن بلوغهم وهذا معنى الشاعر :

بلادٌ بها عقَّ الشباب تمائمي　　　واوّل ارض داس نعلي ترابها

ويأخذ اهل بلادنا طريقة أُخرى اتقاء للعين وهي انهم يكسرون العيدان ويطرحونها على الشخص الذي يصيب ولكن بما انَّ هذه الذريعة لا يليق اتخـاذها الّا مع رعاع القوم عمدوا الى طريقة غيرها وهي انهم عند الالتقـاء بذي العين « الفارغة » يقولون سرًّا : عينك في رجلك (عينك بإجرَك) . فلله درّها من رُقيـةٍ تنجي صاحبها من الآفات

وقد رأيت في بعض الاماكن الفلّاحين يرمون في الكروم قشر بيض ظنًّا منهم ان ذلك يمنع أذى العين وبعضهم يعلّقون الخِرَق في التين والشجر للغاية نفسها

ولكن ما الدواء الشافي لجراحات نكأتها نصال العين في الانسان والحيوانات من حيث ان الجماد والنبات لا يرأب صدعها ولا يُصلح فسادها . إن الدواء واحد مفاعيلهُ اكيدة وعواقبهُ حميدة فان لم ينجع تصرَّمت حبال الآمال . ولم يبقَ في الحال والمآل . الّا التبدُّد والوبال . او رحمة الله المتعال . ذي القدرة والجلال . واليك بالوصفة : تأخذ من ثوب الصائب قطعة وتحرقها امام المصاب كي يستنشق دخانهـا فيبرأ والسلام . او كما تقول



العامّة: بخّر المُصاب « بشققة »(١ من اثر الصائب فتثوب اليهِ قوّتهُ ويطيب ان شاء الله. واذا لم يُعرَف الشخص الذي عينهُ اصابت يؤخذ قليل من الرصاص ويذاب على النار ثمَّ يُصب في وعاء ملآن ماء باردة فيجمد ويُمثِّل صورة الذي عينهُ فعلت ما فعلت

قلتُ وهذه خرافات بري منها كثير من سكّان المدن العامرة في سوريَّة وقوم من اللبنانيين الافاضل الذين منهم الادباء والمعلّمون وعباد الله انقطعوا لخدمتهِ وتنوّروا بنور تعليمهِ الزاهر. هذا وهم يهزأون من الذرائع الانفة الذكر فيلجأون الى الصلاة واعمال الصلاح ليس الّا واكلين امرهم لله. وهي نعم الوسيلة في كلّ المصائب والآفات

(القرينة) قد يحدث للاطفال في بعض الاحيان منامات مزعجة يضطربون لها ويقلقون. فالعامّة يتوهّمون انّهُ يتراءى لهُ وحش او شخص يغلبهُ يدعونهُ « قرينة ». ويزعمون انّ الطفل يستفيق احيانًا واناملهُ حُمر فيقولون « حنَّتهُ القرينة » اي حمَّرت اصابعهُ (وتُنعت القرينة عند الكثيرين « بالمطرودة »)

وعلاج القرينة ان يستكتبوا بعض الكهنة او الرهبان آياتٍ من الانجيل المقدَّس او صلوات منها صلاة مار انطونيوس وصلاة مار قبريانوس فيجعلونها في مثلّثات يخيطونها ويعلِّقونها في عُنق الصبي. (قلنا) انّهُ لا بأس في استعمال الصلاة او آيات الكتب المقدّسة دفعًا للبلايا واضرار النفس والجسد لولا انّ البعض يبالغون في اتخاذ هذه الوسائل ويعلّقون عليها آمالًا لا تَصدُق ومواعيد لا تتحقَّق فتصبح بالخرافات اشبهُ منها بالعبادة الصحيحة

(إسنان الطفل) ومن خرافاتهم انّهُ اذا ابتدأت اسنان الطفل ان تطلع يعلّقون لهُ اسنان خلدٍ (taupe). وهم يفرحون بنسبة هذا الامر ويسلقون قمحًا يفرّقونهُ على الجيران يدعونهُ « سنيّة ». ومن اقوالهم اذ ذاك: « طلع سنّه يا فرحة أُمه »

ويحدثُ مرّاتٍ انهُ يولد للرجل ولد فيعيش ثمَّ يولد اولاد بعدهُ (على راسهِ) فيموتون جميعًا فهذا الامر يتفأل منهُ العامّة ويخال لهم ان الولد البكر أَتوَل بوالديهِ ما اتول من النكبات فيُحمل على سطح بيتٍ رفيعٍ او الى شفيرٍ هارٍ او بئرٍ عميق

١) وهي سريانية ܫܩܩ اي جزّأ وبضّعَ وقسّم

ويوضع في سلّة ويدلّى (١ الى اسفل وحينئذٍ يحلف قائلًا: « لا آكل من القادم والراس حتى يصير اخي يذبح الكرّاز » يحلف ولا يكون في يمينهِ حانثًا ابدًا. صان الله اهل بلادنا من هذه العادات الصبيانيّة والخرافات العجائزيّة. آمين

قدم ليترجية الكلدان

لحضرة الاب الفاضل القس ادّي صليبا ابرهينا الكلداني البغدادي

انّ الليترجيّـــة عند الكلدان تُسمّى ܣܘܪܕ ܩܘܪܒܢܐ (تقدمة القربان) او ܩܘܕܫܐ (التقديس) او ܐܪ̈ܙܐ (الاسرار) او ܩܘܪܒܢܐ ܩܕܝܫܐ الى غير ذلك. والليترجيّة الاصليّة التي للكلدان منسوبة الى مار ادّي ومار ماري وهي معروفة بليترجيّة الرسل. وهذه الليترجيّة تستحق الاعتبار العظيم لكونها تحوي براهين قاطعة ساطعة على قدمها. واني اقدر ان اقول دون الخوف من الغلط انّ الكلدان او السريان الشرقيين حفظوا ليترجيتهم هذه كما تسلّموها من الرسل الاطهار دون ان يزيدوا عليها شيئًا يستحق الاعتبـــار كما فعلت باقي الكنائس. فهي اذًا اقدم من سائر الليترجيّات المعروفة اليوم في العالم المسيحي

قال الاب المحترم بطرس لي برن في كتابهِ المسمّى « تفسير القداس » في الفصل العاشر من المجلد الثالث: « انّ النساطرة لم يحفظوا بهمّة اقلّ ليترجيّة هذه الكنائس الاولى التي لم يزالوا يستعملونها على الدوام ». وقال ايضًا العلّامة مار اقليميوس يوسف داود في كتاب القصارى في المقالة الثالثة: « وقبلما دخلت في سوريّة ليترجيّة اورشليم التي كلامنا عنها (اي ليترجيّة مار يعقوب التي استعارها اهل سوريّة من اليونان في نحو القرن السادس او السابع) كانت البيعة في سوريّة تستعمل ليترجيّـــة سريانيّة غير مكتوبة وهي التي كُتبت بعد ذلك وحُفظت عند النساطرة وهم يسمونها باسم الرسل. وقد وضعها الموارنة في الطبعـــة الاولى من كتاب قدّاسهم سنة ١٥٩٠ برومية مسمّاة باسم مار بطرس الرسول. وهذه الليتورجيّة السريانيّة على ما نرى هي اقدم من سائر الليترجيّات المكتوبة المعروفة اليوم في كلّ الكنائس »

١) يقولون يدندل وهي سريانية ܕܢܕܠ



ثمَّ عند تكلمهِ عن ليترجيَّة يوحنا فم الذهب يقول: « وان جاز لنا ان نبدي رأينا الضعيف في امر الليترجيَّة المنسوبة الى يوحنا فم الذهب قلنا انَّ هذه الليترجية تستحق الاعتبار العظيم لا لكونها منسوبة الى هذا الملفان الجليل لكن لكونها تحوي حججاً ساطعة وبراهين قاطعة على قدمها العظيم بمعزل عن الزيادات . . . فانَّ اشرف الليترجيَّات الشرقية القديمة شبيهة شبهاً عجيباً بليترجية فم الذهب هذه وعلى الخصوص ليترجية الكلدان التي هي من اقدم ليترجيَّات العالم »

وحقيقةً ما من حجَّة تزيل الدعوى في انتساب هذه الليترجيَّة الجليلة الى الرسولين ادّي وماري لا بل فيها كلّ ما من شأنهِ ان يثبِت هذه الدعوى . لانَّ الكلدان تركوها على الحالة التي فيها تسلّموها من الرسل الاطهار ولم يزيدوا فيها شيئاً يُحتفل فيهِ كما فعلت سائر الكنائس في ليترجيَّاتها

١ يُعلمنا التاريخ انَّهُ منذ بدء النصرانيَّة كان يوجد للموعوظين قبل ذبيحة القداس نفسها قسم استعدادي اي طقس فيهِ كانت تتلى بعض مزامير صلوات وفصول من العهد القديم والجديد . وانَّهُ بعد هذا الطقس الاستعداديّ كان الموعوظون يُخرَجون من البيعة ويُبتدأ بقدَّاس المؤمنين من التقدمة . فهذا الطقس الاستعداديّ موجود برمَّتهِ في ليترجيَّة الكلدان . فانهُ بعد قراءة الانجيل يقول الشماس بصوتٍ عالٍ: ܟܠ ܡܢ ܕܠܐ ܡܩܒܠ ܠܗ ܡܥܡܘܕܝܬܐ ܢܐܙܠ (ليذهب من لم يكن قد قبل سرّ العماد) ويجاوبونهُ: ܟܠ ܡܢ ܕܠܐ ܡܩܒܠ ܠܗ ܪܘܫܡܐ ܕܚܝܐ ܢܐܙܠ (ليذهب من لم يكن قد قبل رسم الحياة) ثم يقول : ܟܠ ܡܢ ܕܠܐ ܢܩܒܠ ܠܗ ܢܐܙܠ . ܙܠܘ ܫܡܘܥܐ ܘܚܙܘ ܬܪ̈ܥܐ (ليذهب من لم يقبلهُ . انطلقوا ايها السامعون وعاينوا الابواب) . فهذا من شأنهِ ان يثبّت انَّ الكلدان لم يغيّروا شيئاً من ليترجيَّتهم بل ابقوها على حالتها الأولى

٢ ان اغلب الليترجيَّات تذكر بعضاً من القديسين الذين عاشوا في الجيل الرابع والخامس والسادس . فانَّ اللاتين يذكرون في ليترجيتهم القديسين يوحنا وبولس وقزما وداميانوس والقديسات سيسيلية واغنيسة واغاثة وانسطاسية . والأرمن يذكرون انطونيوس وسرافيون وماقاريوس وقسطنطين العظيم وغيرهم . واليعاقبة يذكرون قورلّس وبرصوم وغيرهما . والقبط يذكرون باسيليوس وقورلُّس وانطونيوس وغيرهم . والحبشة

يذكرون جميع الآباء الذين حضروا في المجمع النيقاوي وغيرهم. امَّا ليترجيَّة الكلدان فلا تذكر الابرار والقديسين الَّا على وجه العموم. فهـذا ايضًا دليل على ان الكلدان لم ينقحوا ليترجيَّتهم كما فعل الغير

٣َ انَّ جميع الكنائس أدخلت في ليترجياتها عبارات يونانيَّة طقسيَّة مثل كيريا أليسون (يا ربّ ارحمنـا) وبروسخومن (لنقف حسنًا) وغير ذلك. الَّا الكنيسة الكلدانيَّة فانَّهُ ليس في ليترجيتها ادنى عبارة يونانيَّة طقسية بتَّةً. فيحقّ لنا ان نستنتج من ذلك انَّ جميع الكنائس ما عدا الكنيسة السريانيَّة الشرقيَّة نقَّحت ليترجيَّاتهـا ورتّبتها وأوسعتها وجعلت لها هيئة جديدة

٤َ انَّ عدم وجودنا كلام التقديس مسطورًا في قداس الرسل من شأنهِ ان يثبت انَّ الكنيسة السريانيَّة الشرقيَّة لم يخطر ابدًا ببالها ان تنقّح ليترجيتها وترتبها كما فعلت سائر الكنائس. فانَّ الليترجيَّات لم تكن قبل الجيـل الرابع كما يعرف الجميع. ثمَّ لمَّا كُتبت لم يُدرج فيهـا في اوَّل الامر الَّا كلام التقديس كما يقول واضحًا القديس مار باسيليوس الكبير (de Spir. Sanct. 27) وكما يُشير الى ذلك البابا أنوكنتيوس الاوَّل (8 epist. : ad Decem) وكثير من الآباء والملافنة القديسين مثل مار اوغسطينوس ومار امبروسيوس ومار قيرلُس الاورشليميّ. وكان الكهنة يتعلَّمون هذه الالفاظ الربانيَّة ويتلونهـا في القداس على ظهر قلوبهم. ثم لمَّا ادرجت جميع كنائس العالم كلام التقديس في ليترجيَّاتها بقيت الكنيسة الكلدانيَّـة وحدها محافظةً اشد المحافظة على هذه السنَّة القديمة فلم تدرج ابدًا كلام التقديس في ليترجيتها

٥َ فيما انَّنا نرى انَّ الأرمن واليعاقبـة وغيرهم قد أدخلوا سمَّ الهرطقة في ليترجيَّاتهم نشاهد انَّ ليترجية الرسل خالية من كلّ اثر للهرطقة. وهذا ايضًا من شأنهِ ان يحملنا ان نستنتج انَّ الكلدان لم يتجاسرون ان يغيّروا أدني شيء في ليترجيتهم

٦َ انَّ بساطة الكلام ووضوح الأفكار في ليترجيت الرسل تثبت جليًّا ما نحن في صددهِ. قال القس اوسيب رينودوت في المجلَّد الثاني من كتابهِ المسمَّى الليترجيَّات الشرقيَّة: « انَّهُ في مقابلة ليترجيَّات سائر الطوائف المختلفة نعاين انَّ البساطة في ليترجية النساطرة عظيمة. فهذه البساطة ليست بدليـل طفيف على قدم هذه الليترجية. وهذا يجب ان يقال ليس فقط عن الطقوس بل عن الصلوات ايضًا. ونعني بالصلوات ما يخص



منها أجزاء القداس الاصليّة والاكثر طقسية. امّا الليترجيّات الأُخرى فتقصو بعيدة جدًّا عن هذا القِدَم لأنها كثيرة الألفاظ ومشحونة بترادف الكلام ومزخرفة بكثرة النعوت والاوصاف. وهذا من ذوق الأجيال المتأخرة. هذه بعض الحجج نعرضها على قرّاء المشرق تفيدهم علمًا بامر الطقوس القديمة. والسلام

العرب في اواسط افريقية

نبذة بقلم الاب هنري لامنس اليسوعي

قد تعدّدت في عصرنا التآليف المبيّنة لاحوال قبائل العرب في شمالي افريقية كتونس والغرب والجزائر ومراكش. ولا نجهل اخبار عرب البادية في السودان المصري والدرفور. امّا العشائر التي تحلّ في اواسط افريقية فلم يبلغ الينا من امورها الّا النزر القليل انبأنا بذلك بعض من ارباب الرِحَل الذين ركبوا الاخطار وخاطروا بالحياة الى ان حطّوا عصا الترحال في تلك الامصار ثمّ عادوا بعد حين واثبتوا في تواريخهم ما شاهدوهُ بالعيان منهم المسافران برث (Barth) ونختيغال (Nachtigal)

امّا لهجة تلك البلاد النائية فلم يُكتب عنها شيء يُذكر حتى تصدّى لسدّ هذا الخلل في السنة الحاليّة احد كبار المستشرقين يدعى الدكتور ج. كمبفماير فوضع كتابًا باللغة الالمانيّة هذا عنوانهُ(١) « موادّ لدرس لهجة عرب البدو في افريقية المتوغلة » نشرهُ اوّلًا في مجلة اللغات الشرقيّة البرلينيّة. والتأليف المذكور عبارة عن ٨٠ صفحة بالحرف الناعم والقطع الكبير. وممّا يزيدنا ثقةً في مضمون هذا الكتاب ان صاحبهُ مولع في درس اللهجات العربيّة المختلفة صرف في التنقيب عنها اعوامًا عديدة وهو اليوم يصنّف كتابًا آخر في لهجة قبائل اليمن وما جاورها من جنوبي جزيرة العرب

ومن جملة الامور ذات البال الحريّة بالاعتبار ما اوردهُ عن لفظ عرب البادية في تلك النواحي فروى انهم ينطقون باكثر حركات الاعراب في اواخر الكلمات. وهذا لعمري امرٌ غريب من شأنهِ ان يكشف الحجاب عن بعض المسائل الغامضة التي

(١ Materialien zum Studium der arabischen Beduinen dialekte Innerafricas, *Berlin* 1899

التبست على ارباب العلم مثال ذلك تعريف لفظ العرب في القرون السالفة وتمييزهم لحركات اواخر المفردات على اختلاف عواملها. واكثر من تفرَّدوا في زماننا بهذا اللفظ عرب مدينة شَنكيط من اعمال بلاد أدرار في افريقية في الشمال الشرقيّ من تُنبكتو وصاحب هذا الكتاب الذي نحن بصددهِ قد كتب لنا رسالةً يطلب فيها من قرَّاء المشرق ان يفيدوهُ علمًا عن اهل شَنكيط وعن لفظ عرب بادية الشام او صحاري الجزيرة او ارياف العراق هل يا تُرى يلفظ بعضهم الحركات الثلاث في اواخر الكلم او على الاقلّ هل يوجد اثر لذلك

وقد بحث المؤلف في اثناء كلامهِ عن اصل قبائل العرب الُمهاجرة لافريقية الوسطى وكان يؤمّل انهُ يجد في مؤرخي الاسلام افادات من هذا القبيل لكنَّهُ لم يعثر على غير ما كتبهُ البكري احد مشاهير الجغرافيين سنة ١٠٦٧ م اذ قال في كتاب المستعجم عن بلاد كانم ما نصُّهُ: « ويزعمون انَّ هناك قومًا من بني اميَّة صاروا اليها عند محنتهم بالعبَّاسيين »

(قلنا) ولم يطَّلع الدكتور كيفاير على ما ورد في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي احد كتبة القرن الخامس عشر المبرّزين وفي قولهِ ما يثبت زعم الدكتور عن تشعب عرب افريقية الوسطى من بني حمير. وهذا نصُّهُ بحرفهِ نقلًا عن النسخة المصونة في خزانة كتبنا الشرقيَّة قال:

« انَّ ملك البُرنو من ملوك السودان كتب كتابًا الى الابواب السلطانيَّة بالديار المصريَّة في الدولة الظاهريَّة برقوق (١ يذكر فيهِ ان المجاورين لهم عرب جذام اغاروا عليهم وسبوا جماعة من نسائهم وذراريهم وباعوهم بالديار المصريَّة وما حولها. ثمَّ قال: ونحن من ذرّيَّة سيف بن ذي يزن العربي القُرشيّ. فخلط القحطانيَّة بالعدنانية لانَّ سيف بن ذي يزن من بقايا التبابعة من حمير من القحطانيَّة وقريش من العدنانيَّة وناهيك بذلك عيبًا لو وقع من كاتب معتبر » (٢

وقد اثبتَ القلقشندي في محلّ آخر من كتابهِ رسالة ملك البُرنو المذكورة بتمامها وفيها ورد ما خطَّأَهُ سابقًا: « نحنُ بنو سيف بن ذي يزن وفي قبيلتنا العربيُّ القرشي

١) وكان تاريخ وصول هذه الرسالة الى مصر على قول القلقشندي في بعض شهور سنة اربع وتسعين وسبعمائة (١٣٩٢م) ٢) « ... ويُكتب بخطّ كخطّ المغاربة » (القلقشندي)

كذا ضبطناهُ عن شيوخنا ». ثمَّ يردف القلقشندي قولهُ بذكر ملك كانم ويليهِ ما حرفهُ: «ملوكها من بيت قديم في الاسلام وجاء منهم من ادَّعى النسب العلويّ في بني الحسن»(١. ولهُ بعد ذلك في مملكة مَالي ما نصهُ: « وهي حيٌّ في نهاية الغرب متَّصلة بالبحر المحيط وهي اعظم ممالك السودان ». ثمَّ يعرّف اصل ملكهم العربي (٢ بقولهِ: « وملك التكرور وهذا (ملك مالي) يدَّعيان نسبًا الى عبد الله بن صالح بن الحسن بن علي ابن ابي طالب »

فينتج من الشواهد السابقة انَّ قبائل كثيرة عربيَّة كانت تسكن اواسط افريقية على الاقلّ منذ القرن الثالث عشر وانَّ بعضاً منها كان ينتسب الى حمير. الَّا ان القلقشندي لم يروِ شيئًا عن لهجة هذه العشائر. فانَّ صحَّ قول الاستاذ كمفماير (ولا نرى داعيًا للشكّ في صحَّتهِ) لا بدَّ من القول انَّ هذه القبائل تناقلت لهجتها الحاليَّة من اجدادها وان قسمًا من العرب القدماء كانوا في العصور الغابرة يلفظون حركات الاعراب كأهل فينيقية والاشوريين. هذا ونرغب الى قرَّائنا الكرام ان يزيدوننا افادةً في هذا الصدد ان أسعدهم الحظ على وجود دلائل جديدة تُثبت حجَّة الدكتور البارع

الكاهن والمريض

نبذة بقلم سيادة المطران جرمانوس معقَّد مطران اللاذقيَّة

اننا نرى بغاية الاسف بعض المسيحيين قد ضعفت فيهم الشعائر الدينيَّة حتَّى يؤدي جم الفتور في الدين الى ان يتهاملوا في اهم فرائضهم. ومن الواجبات الكبرى التي يحكم بها الدين بل تقضي بها الانسانية ان يستدعي الاقارب الكاهن لمرضاهم وبعض الجهلة يتغاضون بذلك زعمًا منهم انَّ دخول الكاهن على المريض يثير بلبالهُ و يزعج بالهُ في حين انَّهُ هو طبيب الروح ومعزّي النفوس ومزيل الاشجان. وما هذا الَّا وهمٌ بذرَهُ الشيطان في عقول البعض ليصطاد النفوس بحبائلهِ ويكتسبها غنيمة باردة خزاهُ الله ووقانا شرَّ اعمالهِ. وفي النبذة التالية ما يبيّن صريحًا ان في هذا الامر لشأنًا كبيرًا لا يتغافل عنهُ الَّا من كان عدوًّا ازرق لمريضهِ. وهي مقتطفة من كتابٍ تحت الطبع لسيادة الحبر الجليل والمطران الفاضل النبيل جرمانوس معقَّد الجزيل الاحترام (المشرق)

١) والارجح انهم ينتمون الى قبيلة بني الحسن الساكنة نواحي بحر الغزال بين الكانم والودَي (راجع كتاب كمفماير ص ١٦٣)

٢) راجع رحلة ابن بطوطة (طبعة باريس الجزء الرابع) وفيها كلام مطوَّل عن بلاد مالي لكن هذا الرحَّالة الشهير لا يذكر شيئًا عن عروبة اهلها واصلهم

قد دهمت الحمّى الوبيلة زيدًا الشاب فوقع الرعب في قلوب ذويهِ وصاحوا بالطبيب فجاء مسرعًا وبعد ان جسَّ النبض ورأى اللسان وعرف درجة الحرارة وفحص عن سائر الاعراض. وَصف لهم الادوية اللازمة وذهب فتبعوهُ الى جهة الباب مستعلمين فاجابهم ان المرض ذو بال. فخفقت قلوبهم وجعلوا يجتهدون في المعالجة والتمريض. والداء يقوى ويشتدّ حتى أنذرت الاعراض بالخطر فدعوا اطبـاء آخرين. ولكن الطبيب الروحي لم يُدعَ. فجاء من تلقاء نفسهِ يعود العليل قيامًا بالواجب. ودخل البيت وسلّم على ذويهِ فقابلوهُ بوجوهٍ « ابغض من وجوه التجار يوم الكساد ». ثم سأل عن حال المريض فلم يبالوا بسؤالهِ ولا ردُّوا عليهِ ذات شفةٍ بل اشاروا اليهِ ان يدخل الصـاعة مجتهدين ان لا يدَعوا المريض يراهُ او يشعر بقدومهِ. ولمَّا همَّ بالانصراف وطلب ان يعود العليل منعوهُ بحجّة من الحجج المعلومة

فخرج مبتئسًا يقول في نفسهِ ان المريض لم يفقد شعورهُ بعد فيقدر الآن ان يعترف جيّدًا ويستعدّ للقاء ربّهِ حسنًا. وربّما بعد قليل يدخل في غيبوبةٍ لا صحو بعدها فلا يستطيع قبول الاسرار المقدّسة بانتباه. ولذلك ما لبث ان عاد ادراجهُ يلتمس الدخول عليهِ فضلَّ سعيهُ ولم ينل مرادهُ. وهكذا كان يمضي ويعود على غير طائل حتى بلغت روح العليل التراقي فبعثوا اليهِ برسول يقول لهُ: « أسرع أسرع لعلّك تدركهُ قبل ان تفيض روحهُ ». فعجّل الكاهن المسكين بالمسير ودخل على المحتضَر فوجدهُ جسمًا بلا روح او بين الحيّ والميت لا ينظر ولا يسمع. ناداهُ فما اجاب وخاطبهُ فلم يفهم. ولم يمضِ الّا قليـل حتى قال احدهم « مات ». اجل مات ميتة الاغرار محرومًا من اسرار الديانة ومؤازرتها

فعلى مثل هذا الميت يجب النوح والبكاء لانهُ لقي ربّهُ بغير استعداد وعليهِ اوساخ المآثم التي لم يتطهر منها بجميم التوبة. وانتم ادرى بما وراء هذا اللقاء من شديد العقاب. فاي عزاء لقلوب ذويهِ وهذه صفة موتهِ المشؤوم. فيـا لهُ من حبٍ كاذب حب هؤلاء الاهل القساة الظالمين الذين تركوا عزيزهم يموت ميتة الاشرار الغير التائبين حذرًا من ان يدركهُ حزن قليل او خوفٌ طفيف

فهذا مثال الطريقة الموبقة التي يجري عليها كثيرٌ من المسيحيين وهو امرٌ يكاد لا يُصدَّق لفظاعتهِ وخروجهِ عن دائرة العقل ومضادتهِ للحبّ الصحيح. ولكنهُ واقعي لا



ريب فيهِ. ولهذا لا يلزمني العناية في اثباتهِ بل في تقريرِ فظاعتـهِ. ومن ذا يتردَّد في نسبة القسوة البربريَّة الى من يقتل نفساً مشتراة بدم ابن الله. ألا يحكم العقل السليم بالجور والغلظة على من يوصد باب النجاة من العـذاب الدائم في وجهِ عزيزهِ. وبماذا يا تُرى يُقضى على من يمنع صديقهُ من نعيمٍ سرمدي وفرحٍ دائم لكي ينقذهُ من حزن ساعةٍ واحدة. فيا ذوي الشفقة والحنو الذين يخافون على عليلهم من اغتمامٍ يسيرٍ ولا يبالون بجعلهِ عرضةً للهلاك الابدي أهذا في شرعكم عمـل الشفقة والحبّ؟ فان كان هذا ثمر المحبة والاشفاق فعلى البغضة والقسوة السلام. والاجدر بالعليل ان يكون حولهُ اعداء لا حنان لهم لكي يتمكَّن من قضـاء واجباتهِ الدينيَّة والتأهب الحسَن للاقاة الديان الرهيب

غير انَّ هؤلاء القوم الرحماء يعتذرون قائلين: اننا لا نقصد اصلًا ان ندع عليلنا يموت بغير استعداد. ولكننا نؤجل مناولتـهُ الاسرار المقدَّسة الى ان يتحقَّق الخطر وحينئذٍ نستدعي الكاهن ليهتمّ بذلك فلا نمنع دخول الكاهن عليهِ اول بدء الَّا حذرًا من تنبُّه فكرهِ لوجودهِ في خطر الموت. وما ادراك ما ينتج عن معرفتهِ هذه من الهلع والاضطراب للذين يحولان دون شفائهِ. وربَّما عملا على تعجيـل وفاتهِ ايضاً. فدفعاً لهذا المحـذور نؤجل عيادة الكاهن لهُ الى حين ظهور الخطر او اشتدادهِ فما نحنُ اذًا بملومين

وليس من الصعب دفع اعتذارهم هذا. لان المريض مهما كان ساذجاً يشعر بثقل وطأة الداء فيحسب للموت حساباً ويشعر بشيء من الخطر ولو لم يعرف درجتهُ. فدخول الكاهن اليهِ لا يزيدهُ بالخطر علماً. ومن المعلوم ان الكهنة يلاطفون المرضى عادةً ويشجعونهم على احتمال مضض الداء بايراد بعض آيات الكتاب حتى يأنس العليل اليهم ويجد في حضورهم لديهِ عزاء عظيماً. وكثيرًا ما يحدث ان العليل يطلب من تلقاء نفسهِ الاعتراف والمناولة لمجرَّد رؤيتهِ الكاهن او لسماعهِ منهُ شيئاً من الكلام الالهي الموافق لمقتضى حالهِ فادّعاء الاهل اذن باضطراب المريض وخوفهِ وهمٌ باطلٌ

ليت شعري اما يخاف العليل ويضطرب عند ما يرى حولهُ ثلاثة اطباء يفحصون عن مرضهِ. كيف لا وهو يعلم ان جمعية الاطباء تدلّ على جسامة المرض. ومع ذلك فشفقة اهلهِ عليهِ لا تمنعهم من عقد الجمعية. فلماذا تمنعهم مظنَّة خوفـهِ عن استدعاء

الاطبّاء. اما يعدّ عملهم هذا ضلالًا وتيهًا بل ظلمًا لا يُغتفر

ان هذه القضية المقرَّرة عند الكثيرين وهي: ان العليل يُذعر ويرتاع من عيادة الكاهن ليست صحيحة على وجهِ الاطلاق. فان صدقت في اشخاص قليلين فذلك لظروفٍ خصوصيَّة لم يتلافَها ذووهم وقد كانوا حقيقين بملافاتها بمثل قولهم للعليل ماذا تنفع الوسائط من دون الله. فعليك ان تلتجئ الى الطبيب السماوي ليعطف عليك ويسهّل شفاءك. واذ ان احسن واسطة لاستعطافهِ هي الاعتراف فانتهز فرصة وجود الكاهن عندنا لاتمام هذا العمل المقدّس. فلا شكَّ ان هذا الكلام وما ماثلهُ مما تُلقّنهُ الظروف الخصوصيَّة يجعل المريض نفسهُ يطلب الاسرار المقدَّسة بجراءةٍ وعدم اضطراب. فيجد فيها تعزيةً عظيمة وينال بها نعومة البال التي تساعدهُ كثيرًا على استرجاع العافية اذا كان لهُ في الحياة نصيب. والَّا فيكفيهِ منها تقديس نفسهِ وحصولهُ على ميتةٍ صالحة. وليس ذلك بالامر اليسير بل هو اعظم من كل امرٍ عظيم. وكل شيء سواهُ يحتقر لاجل نيلهِ

ولتردُّد الكاهن الى السقيم فائدة اخرى جسيمة يشترك فيها العليل وذووهُ. وهي تشجيعهم وتلطيف آلامهم. وتذكيرهم بما يرفع قلوبهم الى الله ويهوّن عليهم احتمال البلاء. فانهم يجدون بهِ ابًا شفوقًا غيورًا على خير نفوسهم واجسادهم يشاركهم في مصابهم ويهتمّ بشؤونهم. ومن ذلك يتبيَّن عظم المنفعة التي تفوت اولئك الذين يأبون استدعاء الكاهن الى عليلهم او يمنعون عيادتهُ لهُ

ولندع الفوائد التي تفوتهم ونكتفِ ببيان الاضرار الفظيعة التي تتأتى من منعهم استدعاء الكاهن. واخصُّها جعل نفس المريض عرضةً للهلاك السرمدي. وهو ضرر لا يماثلهُ ضرر. وكل ضرر سواهُ لا يُحسَب بازائهِ شيئًا مهما كان جسيمًا. ومنهُ ينتج ضرر آخر يختصّ باهلهِ وذويهِ وهو الندم المذيب الذي يحلّ بهم لموتهِ بلا اعتراف. وهو ندم لا يترك مجالًا للعزاء او نسيان المصيبة الى مدى الحياة. لانهُ من المعلوم ان العزاء يشتدّ او يضعف على قدر اشتداد الامل او ضعفهِ في كون الفقيد نال السعادة الابديَّة وهما ضرران ترتعد لذكرهما الفرائص ويهون معهما الموت الزؤام

فيجب اذن على الذين هذا عملهم ان يقصوا عن اذهانهم هذا الوهم الموبق الذي يمثّل لهم كاهن الله بصورة رسول الموت ورائد المنية. مع كونهِ رسول السلام وحامي ذمار

النفس وراند امانها ونجاتها من فتك الابالسة بل هو تعزيتها الكبرى في آونة المحن. وواسطة تقديسها وتبريرها بما اتاهُ المخلّص الرحيم من السلطان السامي العجيب. فاذا مرض احدكم فليستدع الكاهن ليعالج نفسهُ قبل جسدهِ لان النفس افضل من الجسد والله بشفائهِ وخلاصهِ كفيل

المعلم الياس ادّه الشاعر

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

زكا في زماننا زرع العلوم ونما فرعها وامتدّت في كلّ انحاء بلادنا افنانها فتمكّن من جناها احداث مدارسنا فضلًا عن علمائنا. ومع هذا كلهِ لا يزال تاريخ وطننا ملقى في زوايا النسيان لا تكاد تجد من الالوف واحدًا يفقهُ الشيء اليسير من احوالهِ. فترى الشبّان ينظمون الشعر ويُحسنون فروع الآداب اللسانيّة ويعدّدون اخبار الدول الاجنبيّة ويتباحثون في الاكتشافات الحديثة وان سألتهم عن احوال بلادهم القديمة شيئًا انقطعوا عن الجواب كأنّهم فُتّوا في عضدهم. وما لي اذكر التواريخ القديمة ونحن لا نجد من يُحكم معرفة تاريخنا الحديث والاخبار التي جرت قبل عهدنا بمئة سنة بل اقلّ من ذلك

فحسمًا لهذا الداء قد جمعنا وسوف نجمع ان شاء الله في مجلّتنا هذه كلّ ما من شأنهِ ان يزيدنا علمًا بالوطن العزيز

وقد اخترنا اليوم لموضوع بحثنا احد مشاهير الشعراء الذين نبغوا في اواخر العصر الماضي واوائل العصر الحالي وهو المعلّم الياس ادّه الذي يجهل اسمهُ كثيرٌ من حَفَدهِ انفسهم مع انّهُ برّز في زمانهِ وتقلّب في المناصب العليّة وأضحى فخرًا لأُسرة تُعَدّ اليوم من اشرف العيال المارونيّة في الثغر بل مجدًا لطائفتهِ جمعاء ولكلّ اهل الوطن

امّا النبذة التاريخيّة التي جمعناها في هذه الاسطر الوجيزة فهي منقولة من مخطوطاتٍ عديدة مصونة في خزانة كتبنا الشرقيّة نخصّ منها بالذكر تاريخ احمد باشا الجزّار لميخائيل لطفي الحمصي وتاريخ الامير حيدر الشهابيّ المَعنون الغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان وديوان الشاعر الشهير نيقولا الترك. ثمّ نشكر للطف الخواجا الياس افندي ادّه وشبلي افندي ادّه ولدي ناصيف ادّه الذين افادانا امورًا كثيرة عن المعلّم الياس جدّهما

١

وُلد المعلّم الياس في قرية اده من اعمال جبيل سنة ١٧٤١ من ابوين مارونيين اشتهرا بالفضل. واسم ابيهِ الشيخ يوسف اده (١ نسبةً الى مسقط رأسهِ وكان رجلًا بارعًا بالكتابة مقتدرًا على العمل ذا نفوذ ورأي. امّا أُمُّ المعلّم الياس فكان اسمها قمرة وهي ايضًا من بيت اده واخواها منصور وبطرس الآتي ذكرهما. كانت وفاتها في كانون الثاني من سنة ١٧٨٠

وكان بدء امر بيت اده انَّ الشيخ يوسف وكان من ذوي الخبرة في التدبير خدم الامير فخر الدين المعنيَّ في آخر مدتهِ ثمَّ انتقل بعد وفاتهِ الى ديوان الامراء الشهابيين وكانت بيروت وقتئذٍ تحت حكمهم وتمتدُّ ولايتهم الى جبيل فنال عندهم حظوةً ودُعي بلقب الشيخ. ثمَّ ارسل الى اخوَي امرأتهِ قمرة منصور وبطرس اده فادخلهما على الامراء الشهابيين فلمَّا مثل الاخوان لدى الامراء سُرُّوا بحديثهما وعقلهما وتفرَّسوا فيهما النجابة واستلمحوا منهما ملامح الذكاء واختصوهما بخدمتهم واجزلوا عليهما العطايا. فخدم منصور اده الامير منصور الشهابيَّ والي بيروت والجبل فجعلهُ من خواصهِ واخذهُ معهُ الى بيروت واقامهُ على تدبير شؤونهِ واملاكهِ. وجعل اخاهُ بطرس رئيس الشرط. امَّا المعلّم الياس فانهُ تدرَّب على فنون الكتابة على ابيه فلمَّا توفّي ابوهُ سنة ١٧٦٦ خلفهُ في رتبتهِ وكتب في ديوان الامير يوسف ابن الامير ملحم الشهابيّ

فلمَّا كانت السنة ١٧٧٠ صارت ولاية بيروت والجبل الى الامير يوسف المذكور في حياة عمّهِ الامير منصور صحبهُ المعلم الياس الى بيروت وخدمهُ احسن خدمةٍ فجازاهُ الامير برتبة الكاخية. ويراد بالكاخية كبير الكتَّاب ومتولّي تدبير الامور. وعظم امر اولاد اده وكان منصور معدودًا من اهل السيف والقلم واشتهر بطرس بالسيف اكثر منهُ بالقلم. امَّا المعلّم الياس فبرع في الكتابة وبرَّز على من سبقهُ.

ومن مساعيهم الحسنة في تلك الأيَّام بناء كنيسة مار جرجس لاهل ملّتهم. وكانت هذه الكنيسة قبل ذلك صغيرة فكبَّروها على نفقتهم ونفقة مطران بيروت السيد يوسف فاضل. وممَّا يشهد على ذلك ما كُتب على المذبح الكبير: « قد تمَّ بناء هذا

---

١) وجاء في تاريخ الجزَّار (ص ٣٦) انَّ اسم والدهِ ابراهيم والصواب ما ذكرنا. وانَّما ابراهيم كان اخًا للمعلم الياس كما تحقَّقنا ذلك بخطّ المعلم الياس نفسهِ.



الهيكل المبارك بسعي الشيخ منصور اده ». ولم يختص بهذا البناء الشيخ منصور وانما كتب اسمهُ نيابةً عن اخيهِ بطرس وابن اخيهِ المعلّم الياس. وللشيخ منصور المذكور مآثر أُخرى حسنة وهو جدّ صاحب السعادة ميشال افندي اده مدير الامور الاجنبيَّة حالًا. وكانت وفاتهُ في بيروت سنة ١٧٦٩ وقبرهُ الى يومنا في جانب هيكل كنيسة مار جرجس القديمة. وتوفي اخوهُ بطرس في بيت شباب سنة ١٧٨٦. وكان من املاك بني اده في ذلك الزمان في بيروت قسمٌ من حي الدركة حيث بُنيت الكنيسة المسكوبيَّة. وبجوارها باب يُدعى الى اليوم باب يوسف اده في سجلّات الحكومة

فبقي الياس في خدمة الامير يوسف الى ان حضر احد عمَّال احمد باشا الجزَّار موفدًا ليطلب منهُ ان ينقد لهُ دراهم ضربها على لبنان. فتعرَّف بالمعلم الياس اده وتعجَّب من حذاقتهِ في تدبير الامور فلم يزل يلحّ على الامير يوسف الشهابي حتى اذن لهُ ان يستخدم المعلّم الياس. فاستكتبهُ الى سنة ١٧٨٦

وفي تلك السنة تشدَّد احمد باشا الجزَّار والي مدينة عكَّة على كتبة ديوانهِ وكان من جملتهم ميخائيل واخوهُ بطرس سكروج فقبض عليهما وحبسهما واذاقهما من النكال. ثمَّ عهد بكتابة ديوانهِ الى يوسف مارون اشهرًا ثمَّ قتلهُ وطلب لهُ كاتبًا بارعًا فوقف على المعلّم الياس واستحسن خطَّهُ وأُعجب بضبطهِ للحسابات فاقامهُ مكان السكروج ويوسف مارون

وكان المعلم الياس رجلًا عاقلًا كثير الفهم محنَّكًا بالامور محبوبًا من الخاصّ والعامّ. وكان اذا قدم بيروت يخرج جموع من اهل البلدة لاستقبالهِ. وكان علماء المسلمين يأنسون بحديثهِ وافردوا لهُ موضعًا بقرب جامع النوفرة ليتباحثوا معهُ بالعلوم ويتناشدوا الاشعار

ثمَّ بقي المعلم الياس في خدمة الجزَّار مدَّةً الى ان خاف منهُ على نفسهِ. وذلك انهُ اذ كان يومًا ما يصلّي في كنيسة عكَّة هجم عليهِ قومٌ من الشرطة وساقوهُ الى ديوان الجزَّار وهو يريد قتلهُ. فلم يزل المعلم الياس يسترضيهِ ويتلطَّف لهُ حتى امَّنهُ واهداهُ دواةً من الفضة وقدَّمهُ في ديوانهِ. لكنَّ المعلم الياس رأى بعد ذلك من ظُلم الجزَّار واعمالهِ الفظيعة وخيانتهِ للدولة العليَّة ما لم يمكنهُ احتمالهُ فاخذ يترصَّد لهُ فرصةً ليفلت من مخاليب ذاك النمر القسور فكتب الى احد اصحابهِ الدروز من شيوخ بيت تلحوق في عيتات يلتمس منهُ ان يقبل في جوارهِ وحمايتهِ امرأَتهُ وعيلتهُ ويخفيهم

عنده وانبأهُ بفراره من الجزَّار . فلبّى الشيخ دعوتهُ واحسن المعاملة الى عيلة صديقه

ثمَّ ان المعلم الياس اده طلب من الجزَّار ان يأذن لهُ بان يتوجَّه الى بيروت ويأتي بعياله الى عكَّة . فسمح لهُ الجزَّار بان يغيب شهرًا فقط واطلق سراحهُ سنة ١٧٨٧

فلمَّا وصل المعلم الياس الى بيروت اخذ يفكِّر في امر النجاة فلم يرَ محلًّا يأمن فيه على نفسهِ غير حلب . ففرَّ هاربًا اليها . وقد جاء في تاريخ الجزَّار(١ لميخائيل الحمصي (ص ٤٠) انهُ هرب اوَّلًا الى جبل الدروز وانَّ الجزَّار تأسَّف عليهِ وجعل مكانهُ كاتبًا في ديوانهِ يوسف القرداحي الَّا انهُ خاف على نفسهِ وفرَّ الى بلاد الفرنج

ودخل الياس اده حلب واختفى في الدار الاسقفيَّة من طائفتهِ . وطابق وصولهُ اليها ارتقاء السيِّد جبرائيل كنيدر مطرانًا على الموارنة فمدحهُ بهذه القصيدة وفيها يعتذر عن تركهِ الشعر منذ زمن مديد :

أمُنذرٌ ملكٌ قد جاء للبشرِ ... ام طالعُ السَّعد وافى داحضَ الكدرِ
ام ضوء صبحٍ يلاشي ظلمةَ دهمتْ ... ام البشيرُ اتى في اطيب الخبرِ
ام ذا طبيبٌ دنا يشفي لعلَّتنا ... ام اقبل الحبرُ جبرائيل بالظفرِ
العالمُ العامل الفردُ الذي سطعت ... فيهِ فضائلُ ما جُمِعنَ في بشرِ
ومذ اضاءت بهِ الشهباء وافتخرت ... فيهِ ومن رشدهِ امست على حذرِ
فاصبحت جنَّة ممَّا افاض بها ... من حسن منطقهِ بالمعنى مبتكرِ
ومَن جلا لظلام الجهل حين دجا ... بالعزمِ والحزم شبه الصارم الذكرِ
حلَّال مشكلةٍ كشَّاف معضلةٍ ... نقَّادُ عاطلةٍ بالذوق والنظرِ
القائلُ الفصلُ لم تخطئ روايتهُ ... والفاضلُ المخلصُ الصافي من الكدرِ
مذ اصبحت للورى اعتابُ سدَّته ... ملجا العُفاة ومنجى الخائف الحذرِ
يلقاكَ طلقَ المحيا وهو مبتسمٌ ... بمنطقٍ خلتهُ ابهى من الشُّذرِ
لهُ مزايا كزهر الروض زاهية ... يفوحُ منها شذًا في البدو والحضرِ
خذها اليك وان كانت مقصِّرةً ... فشأنُ مثلك ينفي العيبَ بالعذرِ
واستُر فاني تركتُ الشعر من زمنٍ ... لشاغلٍ عنهُ غشَّى مُقلة الفِكَرِ
وان تكن من بليغ القول عاطلةً ... فقد تحلَّت بعقد المدح كالدررِ

١) راجع تاريخ الجزَّار (ص ٣٦) من كتب مكتبتنا الشرقية



لا زلتَ تسمو على الأقران مرتدياً ثوب الفضائل في امنٍ من الخطرِ
ودم لنا ركن مجدٍ ما وشى قلمٌ رياضُ طرسٍ بحسنِ النعت كالزَّهرِ
ما صاح بالروض قمريٌّ وما سجعت حمائمُ الدوح في الآصال والبكَرِ

وبقي المعلّم لياس في حلب بضع سنوات. ولهُ ابيات قالها في وصف بعض قصورها في بستان خلاص في خارج البلدة وتاريخها سنة ١٢٠٦ هجريّة (١٧٩٠م):

قصرٌ بدا روض الحبور اخاهُ نسباً ومعمور السرور اباهُ
زرناهُ نجلي للصدا او نجتدي انسَ التهاني من رحابِ فناهُ
ولذاك لمَّا ان شكى قلبي الضنا ارَّختُ «ايوانُ الخلاصِ شفاهُ»

وقال ايضاً في حلب لمّا سمع بقتل ديمتري سَفر وكان رجلاً ظالماً اضطهد الكاثوليكيين في بلاد الشام وسعى باستصفاء اموالهم وقتل رجالهم:

يا صاح إعلم ما جرى بهلاكِ ديمتري سَفَرْ
قد كان هذا المفتري ما دأبهُ الّا الضررْ
ينصب حبل خداعهِ ابدًا ليوقع للبشرْ
بمهالكٍ وخسائرٍ ومظالمٍ لا تنحصرْ
ما زال يسلك بالظلا مِ المدلهمّ على خطرْ
حتَّى المهيمن قد اجا دَ بشنقـهِ وبذا امرْ
وقضى بتاريخٍ لهُ يذهب الى وادي صقَرْ

(ستأتي البقيَّة)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر اخيهِ الامير عزّ الدين جواد ابن علم الدين سليمان

هو ثاني ولد علم الدين. كان حسن الشكل ذا ذكاء ومعرفة لم ينشأ في وقتهِ احدٌ مثلهُ في جمعهِ للصنائع وكتابتهِ المنسوبة. وقد رأينا من ذلك اشياء حسنة مُتقنة تدلُّ على فضلهِ كتب على الشيخ بهاء الدين محمود بن محمّد خطيب بعلبك شيخ البلاد

الشاميّة بكتابة المنسوب الفائق فاتّبع طريقتهُ وجاراهُ في قلم الطومار (١ حتى انّهُ لا يكاد يُعرَف من طومار شيخهِ. ولهُ اختراعات لم يسبقهُ اليها غيرهُ (٢ منها انّهُ كتب آية الكرسي (٣ على حبّة أرزّ وشاهدتُها عياناً. ورأيتُ في آخر الآية: « كتبهُ جواد ». والكاف مجلّس والكتابة واضحة قراءتُها ولم يَغلق منها عليّ شيء

واخبرني غير واحدٍ منهم مَن لحق ايّام جواد قال: انّ جنديًا بدمشق حدّث في مجلس حافل بالاكابر انّ جوادًا يكتب آية الكرسي على حبّة ارزّ فلم يصدقوهُ فركب من دمشق في اوان مطر وثلج الى رمطون في طلب حبّة أرزّ عليها آية الكرسي. فوجد عزّ الدين غائبًا عن رمطون في مزرعة إدمث من الشوف يشارف زراعتهُ بها. فتوجّه الجندي اليهِ ولم تكن عندهُ بادمث آلة كتابتهِ فارسل احضر آلة الكتابة من رمطون وكان قد اتاهُ ارزٌ من الحولة موافقٌ للكتابة فكتب في ذلك اليوم على عدّة حبوبٍ آية الكرسي. (قال الجنديّ): وقال عزّ الدين جواد: لم توافقني كتابة على ارزّ احسن من ذلك اليوم (89^r) وكان ذلك من بَخت الجندي

ومن اختراعاتهِ على ما قيل انّهُ كتب مصحفًا حمائليًا لطيف القدّ ما سبقهُ اليهِ احدٌ في الخفّة واللطف حتى قالوا عنهُ انّهُ كان يستوي حرزًا في الكلوتة وقدّمهُ لنائب الشام تُنكز. ومنها انّهُ عمل لتنكز نَدب نشّابٍ ميداني من نوى الخرنوب فوقف عليهِ ارباب الخبرة ولم يعرفوا خشبهُ حتى عرّفهم بهِ. وعمل فضّة لجام وقدّمهُ لتنكز ايضًا واستمحن الغلمان في شدّهِ وقلعهِ فلم يعرفوا ذلك حتى بيّن لهم طريقتهُ. ولهُ اشياء كثيرة

ورأيتُ من عملهِ قواعد فولاذ نقش عليها ما يُطبع عليهِ فضّة سيوف ولُجُم وحلي

---

١) الطومار الصحيفة ويراد بها هنا نوع من الكتابة . ٢) كلُّ ما ورد هنا عن حذق عزّ الدين رواهُ عنهُ ابن سباط بحرفهِ في تاريخهِ وصدر روايتهُ بقولهِ: « ذكر لي صالح بن يحيى انّهُ شاهد ذلك عيانًا وقال لي . . . » وهذا دليل واضح على انّ مؤلف تاريخ بيروت كان في اواخر القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للمسيح (راجع المشرق ١ : ٨٦٥)

٣) آية الكرسي وردت في سورة البقرة هذا حرفُها : الله لا اله الّا هو الحيُّ القيُّوم لا تأخذهُ سنة ولا نوم لهُ ما في السماوات وما في الارض من ذا الذي يشفع عندهُ الّا باذنهِ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيءٍ من علمهِ الّا بما شاء وَسِعَ كرسيّهُ السماوات والارض لا يؤدُهُ حفظهما وهو العليُّ العظيم



للنساء وما غير ذلك ليجري عليها مينا ويتوفر على الصائغ تعب في النقش. وكذا فعل بهرام بقوالبهِ اراح الصاغة من التعب ولكن هذه قوالب رمل يُقلب عليها في الرمل القواعد المذكورة يُطبع عليها طبع

ومع هذا كان عند عزّ الدين قوّة ونشاط وعقل. رأيتُ مُخلَ حديدٍ ثقيل لقَلب الحجارة الكبار ذكروا عنهُ انَّهُ كان يقيس من طرفهِ الرقيق شبرًا ويقبض عليهِ فيرفعهُ الى فوق رأسهِ ويُنزلهُ بسكون وهدوء من غير رِكز. وقد قصد جماعة من المنسوبين ان يفعلوا بالمُخل المذكور ما فعلهُ عزّ الدين جواد فما قدروا

وكان يرمي عن قوسٍ قويَّةٍ قيل انَّ قوسهُ كانت فوق القنطار الدمشقي فلمَّا توفّي اخذ قوسهُ تقي الدين ابراهيم ابن ناصر الدين الحسين. ثمَّ بعدهُ باعها ناصر الدين(٧ 89) ابن تقي الدين لرجل يسمَّى الغتريس من قرية البرج ورأيتُ القوس المذكورة عندهُ وهي قوسٌ قويَّة زائدة في الكبر عن قسيّ الناس. ثمَّ اخذها تُنكز بغا نائب بعلبك من المذكور

وكان عزّ الدين تنكز قد تقرَّب الى خاطر تُنكز نائب الشام قيل انَّهُ اعطاهُ من اَحلق دمشق خير حلقةٍ

ورأيتُ لعزّ الدين جواد منشورًا من الملك الناصر محمَّد بن قلاوون عن حسين ابن ابراهيم الاربليّ بحكم الوفاة جهاتهُ: سُدس خارجة بلبيس الغرب من الرملة وسدس بتعان من الرملة ايضًا وسدس عين الدلب من صيداء. تاريخهُ مُستهلّ جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٢ م) وهذا المنشور يأمر بتجديد جواد في الخدمة وهذا قبل اخذهِ لاقطاع ابيهِ وربَّما كان هذا الاقطاع الذي اعطاهُ تنكز. وكان كاتب سرّ تُنكز يحبّ عزّ الدين جواد ويظهر لهُ الصحبة

وسمعتُ انَّهُ لمَّا توفّي علم الدين سليمان اراد ناصر الدين الحسين ان يجعل اقطاعهُ لسيف الدين غلَّاب دون اخيهِ عزّ الدين جواد فلم يفعل غلَّاب فقال ناصر الدين: نجعلهُ مناصفةً. فلم يفعل غلَّاب ولم يأخذ منهُ شيئًا بل تركهُ جميعهُ لجواد مع انَّ غلَّابًا كان اكبر من جواد ويتقدَّم عليهِ. فاخذ جواد اقطاع ابيهِ بعدهُ خمسة اجناد وجهاتهُ المذكورة في منشور ابيهِ. وتاريخ منشور جواد في العشرين من شهر رمضان سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م)

وكان جواد كثير المخالطة مع الناس وفي وقت ضمانهِ ميناء بيروت كان يتحيَّل على الدنيا ولم (90) ينلْ منها غرضهُ. مولدهُ نهـار مستهلّ محرَّم سنة خمس وسبعمائة (١٤٠٦ م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى العصر من نهار الثلثاء عاشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وسبعمائـة (١٣٥٨م). واسماء اولادهِ ظهير الدين عليّ ولؤلؤة زوجة علاء الدين عليّ ابن زين الدين وزمرّد زوجة شهاب الدين ابن زين الدين وأُمهما من بني عزائم وتزوَّج عزّ الدين ثلاث نساء قمرًا من اقاربهِ ثمَّ توفّيت فتزوَّج بعدها امّ ناهض الدين وهي بنت شجاع الدين عبد الرحمان بن حجّي بن محمد بن حجّي بن كرامة. وكان وفاتُها في السابع من شعبـان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م). ثمَّ تزوَّج بنت ابي الفضل بن سويدان من رمطون وعاشت بعد زوجها زمنًا طويلًا

ذكر اخيهما بهاء الدين داود ابن علم الدين سليمان

هو ثالث اولاد علم الدين. كان ذا كرم وشطارة برَمي النشّاب مليحـًا مغرًى بالصيد. وكان قد خالف سُنَّة البيت في الزواج لاقاربهم وبنات نسبائهم ذوي الاصول. فتزوَّج امرأةً مجهولة تسمَّى عزيزة من بنات الاتراك. وكانت صنعتها كحّالة. اخبرني من لحق ايامها قال: كان لها جارية مصريَّة تعقد القاف فكان الناس يضحكون من كلامها ويعجبهم سماعهُ

ذكر اخيهم ركن الدين محمد ابن علم الدين سليمان

هو رابع اولاد علم الدين. كان ذا لطافة في ذاتهِ ويُتقن صنعة النجارة والخراطة. رأيتُ من خراطتهِ قصب اقلام رَسم عملها لاخيهِ جواد وهي نهاية في الحسن واللطافة. وكان لهُ يدٌ في صناعة التطعيم وكتابة كتيسة

واختهم ديـة بنت علم الدين كانت زوجة زين الدين ابن ناصر الدين الحسين الآتي ذكرهُ بعدهم وعمُّهم ونور الدين مجلي ابن سيف الدين غلّاب. مولدهُ في العشر الاوَّل من شوَّال سنة تسعين وستمائة (١٢٩١ م)

(ستأتي البقيَّة)



تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١١ الديانة الفينيقية في لبنان

قد اشرنا في الفصول السابقة الى دين اهل لبنان ومناسكهم وهيا كل آلهتهم المشيدة في مشارف الجبل كدير القلعة وغينة والمشنقة . وعدَّدنا اسماء آلهتهم كالبعل وعشتاروت وتمُّوز . الَّا اننا احببنا ان نفرد هنا فصلًا خصوصيًا لهذا البحث الهامّ ونلخّص كلَّ ما ثبت لدى العلماء من هذا القبيل فانَّ هذا النظر العامّ من شأنهِ ان يوضح كثيرًا من احوال لبنان ويكشف ما استغلق فهمهُ من امور اهلهِ الاقدمين

وقد شاء الله ان يكون الفينيقيُّون قومًا وسَطًا بين الشعوب الشرقيَّة القديمة والامم الغربيَّة التي خلفتها . ولا تخرج ديانتهم عن هذا الحكم بل تراها بعد الفحص المدقّق انَّها تُشبهُ في كثير من امورها ديانة مصر وآشور وانَّ آلهة الفينيقيّين هي آلهة ممالك النيل والفرات استعارها منهم بعدئذٍ اليونان فكساها شعراؤهم بضروب من المحسّنات الخياليَّة وزوَّقوها بمسحة من الرونق والجلال

ومن خواصّ ديانة الفينيقيين انَّهم كانوا يتعبَّدون لاوثانهم دون ان يُجهدوا فكرهم في تنظيم آلهتهم وبيان العلاقات التي تربط الهًا بآخر كما ترى في ديانة الاشوريين واصنام اليونان فانَّ بين آلهة هؤلاء الشعوب بعض النظام بحيث يتسلسل صغيرهم من كبيرهم وينتمي بعضهم الى بعض بخلاف آلهة الفينيقيّين فانَّ في معبوداتهم تشويشًا ما ولعلَّ هذا الاختلاط ينجم عن حالة اهل فينيقية السياسيَّة واستقلال مدنهم . وربَّما وجدتَ المعبود الواحد متَّصفًا في مدينة بصفاتٍ لم يُعرف بها في مدينة أُخرى قريبة منها

وما لا مشاحَّة فيهِ انَّ عبادة البعل كانت تعمّ كلَّ انحاء فينيقية . ومعنى اسمهِ في اللغات الساميَّة الربّ والسيّد وان ذلك الَّا صفة عامَّة لجميع آلهة الفينيقيَّة كانوا ينعتون بها معبوداتهم الخاصَّة في كلّ مدينة فيقولون « بَعل صيدون وبعل بريث وبعل طرسوس و بعل لبنان وبعل حرمون » وهلمَّ جرًّا . واسم الجمع بَعليم وردت غير مرَّة في

اسفار العهد القديم . غير انّ مدلول هذه المسمّيات في الغالب اله واحد كانوا يخصّونهُ في كلّ مدينة بعبادة محليَّة تبيّن بعض صفاتهِ . ثمّ خدع القوم بهذه الصفات الخاصّة فجعلوها آلهةً ثانويَّة قائمة بذاتها دعوها البعليم وكلُّها منبثق من الاله الاعظم الاصلي تشترك بقسمٍ من كمالاتهِ وقواهُ . وامسى الاله الواحد منقسماً الى آلهةٍ متعددة

الّا انّ تقسيم الذات الالهيَّة كثيرًا ما كان يتبع تخطيط البلدان فيبني مثلًا اهل مدينةٍ هيكلًا للاله العظيم فلا يلبثون ان يعتبروا ذلك المقام كمسكن لبعض قوى الاله ثم يتّخذونهُ كمعبودٍ مستقلّ . وعلى هذه الصورة تعدَّدت البعليم في صور وصيداء ولبنان وحرمون وصارت لاحقةً بالمبدإ الاوَّل والبعل الاعظم

امَّا اذا استقصينا البحث عن هذا البعل الاوَّل المذكور فيظهر جليًا انَّ المعنيّ بهِ انَّما هي الطبيعة الهيوليَّة بكلّ قواها تُبدع وتفني . وتخلق وتلاشي . وتحيي وتُميت . وكانوا يعرّفون هذا الاله باسماء مخصوصة في كلّ حالةٍ من حالاتهِ فأدَّت بهم اسماؤهُ الى ان اعتبروهُ كآلهة شتَّى

وكانوا اذا حسبوهُ كعلّة الموجودات ومُولد الكائنات يدعونهُ بعل تمُّوز او ادون ومنهُ اشتقّ اليونان اسم ادونيس (Adonis) (١ . ومن المحتمل ان يكون ادون هذا هو المعروف ايضًا باسم بعل لبنان . امَّا تكنيتهُ ببعل سمائيم او بعل السماوات فكان يراد بهِ اله النور وجرم الشمس . وكان لكل البعليم علاقة مع بعض النجوم السيَّارة الّا ان الاله « تمُّوز ادونيس » معبود مدينة جبيل كانت علاقتهُ مع الاجرام الفلكيَّة اعظم من غيرهِ . وكان الفينيقيُّون في زمن الدولة اليونانيَّة يزعمون انَّ ادونيس المشار اليهِ انَّما كان شابًّا يتصيَّد في الشام وانَّهُ كان ابنًا لعشتروت ففي بعض الأيَّام اذ خرج سائحًا الى جبال لبنان ليتصيَّد في غاباتها المشرفة على جُبيل اذ وثب عليهِ خنزير برّي فقتلهُ

الّا ان هذه الخرافة على زعمهم كانت رمزًا عن الشمس وتقلُّباتها من حالة النور الى الظلام في بعض فصول السنة . فكانوا اذا قدم الخريف يحتفلون باعياد يدعونها جنازة ادونيس (Adonies) ففي تلك الايام كنت ترى نساءهم يلبسنَ الحداد ويذهبنَ الى نهر ابراهيم المخصَّص لذكر ادونيس فيجلسنَ على ضفَّتيهِ باكيات معولات يرثينَ موت

١) ولعلَّ هذه الصيغة هي صيغة المنادى بدلاً من « ادوني » اي سيّدي . وكانوا اذا ابتهلوا شفاعة البعل يدعونهُ بهذا الاسم

الاله ومحاسن الطبيعة التي يعبّر عنها (١. وكان البعض منهنَّ يُسبغنَ ذيولهنَّ ويسدلنَ شعورهنَّ ويسرنَ في شوارع جُبيل مغبَّراتٍ شُعثًا يلطمنَ وجوههنَّ و يولولن على تمُّوز ويغنّين الاغاني الشجيَّة المبكية

امَّا اذا انتهى فصل الشتاء وزهت الدنيا بقدوم الربيع وانقشاع الغيوم عن الشمس فكانوا يقيمون لذلك مواسم تنبئ بفرط سرورهم وعظم افراحهم

ومن تعبدهم للاجرام الفلكيَّة المنيرة نتجت عبادتهم للنار وكان الفينيقيُّون يعظمونها كاحدى اركان الطبيعة ويقدّمون لها الذبائح فيحرقونها وربَّما اتَّخذوا لمحرقاتهم اطفالًا صغارًا لا يرثون لحالهم

وممَّا يشعر بتعبُّدهم للافلاك عبادتهم للبعل حامون اي المحرق وكان اسمهُ شائعًا عند القرطجنّيين وللبعل رصف (Reseph) وهو اله الصاعقة ونار السماء. وكذا كان اهل صور يعبدون بعل ملكرت الههم الاعظم على صورة حجر منيرة. ومن ذلك ايضًا تعبُّدهم للرجوم او الحجارة الواقعة من السماء

وزد على ما سبق انَّ عبادة الحجارة كانت من خواصّ دين الفينيقيّين فكانوا يقيمون انصابًا ينحتونها ويدعونها بيت ايل (٢ اي بيت الله يزعمون انَّ الذات الالهيَّة تحلّ فيها وتسكنها. واكثر ما كانوا يختارون لعبادتهم حجارة الرجوم لاسيما تلك التي رأوها ساقطة من الهواء على شكل شهب ناريَّة فيعدُّونها لذلك هبةً سماوية. ولمَّا كانت هذه الرجوم مركَّبة من موادّ بركانيَّة ذات لون اسود وتوفَّر عددها في لبنان فلذلك شاعت عبادتها في انحائهِ. وممَّا كان يزيد في اعتبارها عند القوم ان يروها على شكل مخروط لما يجدون في هذا الشكل من الرموز الدينيَّة كما اثبتنا ذلك في بعض فصولنا السابقة (١

وكان البعل او الطبيعة الاله معتبرًا عند الفينيقيين كذي مبدأين ممتازين احدهما مبدأ الخليقة الفاعل والآخر مبدأها المفعول. ومن المبدإ المفعول نتجت الإلهات الإناث وليست الأُنثى عندهم سوى إعلان لقوّة الاله الذكَر تظهر خواصّهُ وتقابلهُ. وكما انَّ

---

١) راجع آية حزقيال النبي وما ذكرناهُ في الفصلين السابقين عن نقوش غينة والمشنقة (ص ٥٩٨ و ٥٩٩)

٢) ومنها اشتقَّ اليونان لفظتهم Βαιτύλιον. راجع قاموس التوراة فيغورو

١) راجع المشرق (٢ : ١٢٧)

البعل كان الاله العظيم كذلك كانت عشتاروت الإلهة الكبرى وهي تنقسم اقساماً عديدة على مثال البعل فنرى لكلّ بعلٍ خاصّ يُعبد في بعض المدن بعلة من جنسهِ. وحيثما كان البعل ممثِّلًا للشمس كانت البعلة تمثِّل القمر. ولبعل السمائيم إلهة توازيهِ يدعونها ملكة هالسمائيم. ومن الازواج المذكورة في الكتابات الفينيقيَّة بَعل صيدون وعشتاروت في صيداء وتمُّوز وبَعلة جَبل (٢ في جُبَيل. وكثيرًا ما يُطلق على بَعلة جبل اسم البعلة بلا اضافة وكان هيكلها من اشهر الهياكل تحجُّ اليهِ الزوَّار من كلّ صوب

وكانت عشتاروت والبعل ومَلكرت كصنف من التثليث الالهيّ في صور. وكان لهذا الثالوث مرتبة عليا بين الآلهة يذعن لهُ كل معبودات ثانويَّة. واتّخذت لها صيدون ثالوثًا آخر يتركَّب من عشتاروت والبعل واشمون. امَّا الجبليُّون فكان ثالوثهم ايل وتموز وبعلة. وبعلة هذه هي التي يدعوها المؤرخون في زمن الدولتين اليونانيَّة والرومانيَّة زُهرة لبنان اشتهرت عبادتها في أفقة كما سيأتي (انظر شكلها في الصفحة ٧٠٥)

وكان للفينيقيين ما خلا هذه الاصنام آلهةٌ أُخرى من الطبقة الثانية وردت اسماؤهم في الخطوط القديمة

وخلاصة الكلام انَّ دين الفينيقيين كان مرجعهُ الى تأليه قوى الطبيعة وتعزيزها. امَّا مناسكهم الدينيَّة الظاهرة فتغلَّبت عليها الفظائع والارجاس حتى انَّهم كانوا يعدُّون اعمال العهارة والفجور كافعال تقويَّة يتقرَّبون بهـا الى آلهتهم النجسة ولم يأنف كهنتهم من المجاهرة بالفُحش فانهم كانوا يتَّخذون لكلّ هيكل نساء من المومسات يدعونهن عالمات (عوالم) او قُدسات يعرضون بهنَّ لكلّ ضروب الآثام

ومن قبائحهم انَّ كهنة البعل وعشتاروت في بعض المواقف كانوا يتخنَّثون فيلبسون لبـاس النساء ويطلون وجوههم بالغُمرة ويعرّون اعضادَهم ويسيرون في المدينة جموعاً فمنهم من يشهر السيف والفـأس ومنهم من يضرب الصنوج والطبول ويزمّر بالزمَّارة وكلهم يولولون ويرقصون كرقص الدراويش في ايَّامنا فتـارةً يخلفون بين ارجلهم وتارةً يحنون صدورهم وحينًا يقفـزون قفزًا وطورًا يزحفون على الحضيض وهم يسحبون

٢) ولبعلة جبل هذه ذكرٌ في مراسلات تلّ العمارنة المكتشفة حديثًا التي يرتقي عهدها الى القرن الخامس عشر قبل المسيح



تمثال الزُهَرة المعبودة في لبنان

على الارض شعورهم المتشعِثة المسترسلة . ثم كانوا يعمدون الى المدى والسكاكين والحراب والسيوف فيخدّشون وجوههم ويشرّحون ابدانهم ويقطعون قطعاً من لحومهم ويطعنون بطونهم فاذا سالت دماؤهم واصطبغت اجسامهم قدَّموا ذلك ضحيَّـة لطواغيتهم . وقد ورد في سفر الملوك الثالث (الفصـل ١٨ الآيات ١٦ — ٣٠) ذكر كثير من هذه الامور وفيهِ وصف ضحيَّة كهنة البعل على جبل الكرمل على عهد الياس النبيّ الحيّ

ومن فظائعهم التي ألمعنا الى ذكرها في معرض كلامنا عن دير القلعة التقادم البشريَّة التي كانوا يضحُّونها لاصنامهم وكانت هذه الضحايا احسن موقعاً عنـد آلهتهم يأنسون اليها ويتنسَّمون منها رائحة الرضى . وكانوا يؤثرون لهذه المذابح القطيعة الاولاد الابكار

لاسيما الاطفال الصغار بعد ولادتهم يزعمون انَّ هذه البواكير تستجلب بركات الآلهة على اصحابها

تلك كانت اعمال الدين الباطل التي لم تزل سائدة معزَّزة رغمًا عن اقوال الانبياء وغيرة اولياء الله في العهد القديم حتى ظهر ابن الله وضاءَت انوار النصرانيَّة في العالم فاقشعت هذه الظلمات المدلهمَّة وخذلت عبادة الاصنام واخربت هياكل الشرك على يد ملوكها المعظمين كقسطنطين وثاودوسيوس (ستأتي البقيَّة)

الحرب ومؤتمر السلم

للشاب الاديب عبد الله افندي رزق الله شارْ احد مأموري معيَّة ولاية بيروت الجليلة

يُحسم النزاع بين الدول إمَّا صلحًا وإمَّا حربًا سواء كان دافعًا لمغرم او جارًّا لمغنم. فان تعجز الاقلام عن فصل الخلاف يقطعهُ الصارم البتَّار. وان تصمّ الآذان قصدًا عن استماع الحقيقة يخرقها طنين بوق القتال وقرقعة السلاح

والحرب ليست بجديدة في العالم. فهي منذ خلق البشر ضاربةٌ اطنابها بين ظهرانيهم كما يشهد لنا بذلك تاريخ الاعصر الخالية. فقد اورت زنادها في كلّ اينٍ وآنٍ واسعرت نيرانها مطامعُ الانسان الكثيرة واميالهُ المتباينة واحقادهُ المكنونة

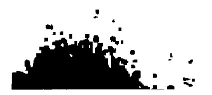
١

الحرب في زماننا ثلاثة انواع: اوَّلها الحرب العاديَّة المعروفة والحظُّ فيها لمن اكثر العَدد والعُدد. وأتقن فنون الحرب وآدابها. ونظَّم الجنود ودرَّبها. وأحسن اسلحتها وادواتها. وادَّخر ارزاقها ولوازمها

لكنَّ هذه الحرب زادت مع ترقي المدنيَّة هولًا وفتكًا ففلَّت شباة المتحاربين وقلَّمت اظفارهم

تقاتل الاوَّلون بالاسلحة البسيطة وتنافح احفادهم بالابيض والاسمر. واما معاصرونا فاشهروا الاسلحة الجهنَّميَّة. واطلقوا القنابل الناريَّة فلم يُبقوا ولم يذروا. سمعنا صليل اسلحة الصين واليابان. ودهشنا من دويّ مدافع الاميركان والاسبان. على ان حربًا عبوسًا بين الفرنسيس والانكليز مثلًا تكون والعياذ بالله آيةً من آيات الساعة يشيب

١) وردتنا هذه المقالة منذ شهرين فتأخَّر نشرها لكثرة الموادّ



لهولها الولدان. ائمّا للاقدمين غرابة في اشهار الحرب وفظاعة في معاملة الاسرى والجرحى ومظالم عديدة في الناس. والتواريخ ملأى بهذه الغرائب والكبائر. ينكث الجار عهدَ جاره بلا سببٍ او لعلّةٍ صبيانيّة فيزحف عليهِ بحشدهِ وحفلهِ ويضرم بلادهُ نارًا ويدوّخها ظلمًا وعدوانًا ويوقع بالاهالي الخالدين الى الراحة ويسبي النساء والاطفال ويدمّر ويقتل وينهب ويسلب كما تفعل في يومنا قبائل اواسط افريقية وسكان البلاد المتوحّشة

نعم انّ الدول الحاليّة وثّابة على الفُرص تتطلع لغفلةٍ من العدوّ تختلسها ولعورةٍ تخترمها حتى اذا ما وجدت لشفرتها محزًا اثارت عليهِ نقع الفتن واصلتهُ نارًا حامية تفتّ في عضدهِ وتطأطئ من إشرافهِ. لكنها وضعت للحروب اصولًا ونظامات تقضي على المتحاربين والمتحايدين باتّباعها في اشهار الحرب واجرائها. ونظّمت جنودها البرّيّة. ومنعت التعدّيات الفرديّة. وحصرت المقاتلات في ساحات الحرب بين العساكر المدرّبة. وحافظت على الحقوق والاملاك الشخصيّة. وعاملت الأسرى والاهالي بالحُسنى الى غير ذلك من الآثار الانسانيّة

ولمّا كان الجمهور ميّالًا الى العدالة محجمًا عن التعدّي اجمع السياسيُّون على مراعاة ميل العامّة في الحلّ والعقد. فتراهم قبل حسر لثام البغضاء ومكاشفة العدوّ بالحرب يعلنون على رؤُوس الملاءِ شواهد حقوقهم المغصوبة ويفرشون في صدور النـاس ادلّتهم المُحقة تحريضًا لرعاياهم على الجهاد في سبيل الحقّ واستجلابًا لمحبـة سائر الامم وطلبًا لمتّفقٍ يأخذ بناصرهم ويُقيل عثرتهم. فتجري حينئذٍ المخابرات السياسيّة والمعـاملات الرسميّة. وتتواصل الرسائل والكتب بين الخصمين وسائر الحكومات الى ان يصرّح الحقّ عن محضهِ فيرعوي المتخاصمان ويقلعا عن المشاحنة والجدال. او ينجـلي الامر عن امتشاق الحسام ونشوب القتال. على انّ هذه المماطلة كثيرًا ما اخمدت ضرام الشحناء واخبت سعير النضال

غير انّ المحاربات البحريّة بقيت على دهشتهـا الاوليّة حتى سنة ١٨٥٦ . فما كانت تقع حرب بين دولتين الّا وتشترك الافراد بهـذه الحرب. فيسلّحون السفائن التجاريّة والمراكب الشراعيّة. ويشنّون الغارة البحريّة على السواحل وسفن العدوّ. فيسدّون طرق التجارة ويوقعون بكلّ ما تصل اليهِ ايديهم من مراكب الخصم ورجاله وامواله. وعليهِ قرّر مؤتمر باريس المنعقد في السنة المذكورة وجوب تنظيم العساكر البحريّة وحصر

المحاربة بينها كما تجري بين الجيوش البرّيّة ومنعت غارات هؤلاء القرصان والغت اصولهم الشنعاء . ومن التصادفات الغريبة ان الولايات المتحدة وحكومة اسبانية لم توقعا على هذه المقررات الدوليّة في ذلك الوقت . فلمّا انتشبت الحرب أخيرًا بينهما هدَّد بعض رجال الاسبان الولايات المتحدة بتجهيز القرصان وتخريب التجارة الامركيّة . فاوجس العالم التجاري خيفةً من وقوع هذا الامر الذي يوهن التجارة ويوقف سيرها . غير ان تهديدات الاسبان بقيت والحمد لله فوق منابر الخطباء وفي صفحات الجرائد عملًا بقررات مؤتمر باريس العموميّة وان لم توقع عليها . لا كما ظنَّ البعض من انَّ اسبانية اسقطت حقّها عن رضىً وطيبة خاطر

ولم يكتفِ المتأخرون بمنع القرصان وتحديد المحاربات البحريّة بل صرفوا عنايتهم الى تخفيف ويلات الحرب وتضميد جراحها

أليس ناشدتك الله من غريب الامور اصطدام جيشين يجهل كلٌّ منهما الآخر وسببَ القتال والخصام بينهما ؟ انَّ لله في خلقهِ آيات

وقائلٍ هي الحقوق القوميّة المقدَّسة يُبذل في سبيلها النفس والنفيس فلا عجب اذا استلَّت الاقوامُ صوارمَ العزم واعملوها في رقاب الغاصبين . نعم ولكنَّ المقصد الاصلي من الحرب هو اضرار الدولة المُحاربة لا الافراد . فاذا اعتزلِ الجنديُّ ساحة الحرب لجرحٍ اصابهُ فكلُّ الصيد في جوف الفرا . فلا حاجة اذن الى تشديد الوطأة عليهِ وتعذيبهِ وقتلهِ كما كان يفعل الاقدمون . وبناء على ذلك عقدت الدول الحاليّة منذ نيف و ٣٣ سنة مؤتمرًا في مدينة جنيفة اسفر عن تشكيل جمعيات الصليب الاحمر والهلال الاحمر لاعانة الجرحى ومداواتهم واخراجهم عن دائرة الحرب وقضى بان تكون هذه الجمعيات الخيريّة بمأمنٍ من كلّ تعرُّض وهجوم . فلا يُطلق رصاص على المحالّ الخافقة فوقها علامتا الصليب الاحمر والهلال الاحمر . ولا يُشهر سلاح على من زيّن صدرهُ باحدى هاتين الاشارتين . كما لا يجوز قتل مثين من الراهبات او الكهنة الذين يضحّون نفوسهم في سبيل الجرحى في ساحة القتال

فما يُطيّر البرق نبأ حربٍ الّا وترى اعضاء هذه الجمعيات وعددًا وافرًا من الكهنة والراهبات يتقاطرون الى ساحة القتال من كل جانب ويعالجون جرحى المُعسكرَين بهمّة لا توصف وغيرةٍ لا تُقدَّر كما شاهدنا ذلك في الحربين العثمانيّة اليونانيّة والاميركيّة الاسبانيّة

وفي ١٦ تشرين الثاني سنة ١٨٦٨ أصدر مؤتمر بطرسبرج الدوليّ قرارًا منع فيهِ استعمال الاسلحة القتّالة الكثيرة الانفجار. فحبّذا السعي ونعم القرار

وقد جاء في احدى الجرائد العلميَّة ان « الاستاذ فون اسمرخ اشار ان يتعلَّم الجنود كلهم كيفيَّة الاعتناء بالجرحى وان يُبطل استعمال الرصاص الذي ينفجر فيكثر الجراح ويزيد الآلام وان يُمنع استعمال المدافع الكثيرة الطلقات في الحروب تخفيفًا لويلاتها ». امّا مجلّة المديكال ريكرد الطبيَّة الاميركيَّة فقد ارتأت رأيًا غريبًا اذ قالت: « ان الحروب لا تُبطل بالرحمة بل بالخوف فاذا اردت إبطالها فابطل كلّ الجمعيَّات التي تساعد الجرحى واكثر من استنباط آلات الهلاك فانَّ الناس اذا رأوا الشرّ تفاقم خافوهُ وابعدوا عنهُ من تلقاء انفسهم »

لا شكَّ ان محرّر جريدة المديكال المذكورة اكثرَ من مطالعة اخبار الحروب القديمة. فاعجبتهُ حالها المدهشة. فاراد ان يرجع القهقرى الى العصور السالفة ولا عجب فانَّهُ اميركيّ تنبعث من دماغه اغرب التصوُّرات واشدُّها. كفانا الله شرّ امثالهِ في مؤتمر السلم

على انَّ أدهش الحروب هي بلا ريب الحروب الاهليَّة. فما قامت في محلّ الّا وجرت الدماء فيهِ جريَ السيل في الليل. لا يُرقع لأصحابها وَهْيٌ ولا يؤسى لهم كلم. سلِ التاريخ يخبرك عن البلاد التي خوى نجمُها وانهار جرفُها من جرّاء هذه المعامع الدمويَّة والذبائح البشريَّة. ولا غرابة فان المتقاتلين عالمون بقوّات بعضهم. دارسون مواقع بلادهم. يعرفون من اين تؤكل الكتف

٢

ثانيها حالة اوربَّة الحاضرة وهي الصلح المسلَّح الذي بلغ حدّ الافراط فأثقل على كاهل الدول حتى كاد ينيخ بعضها الى الحضيض. ومن يدقّق النظر في ميزانيَّات الدول يهلع قلبهُ وينخب لبُّهُ من توفُّر نفقاتها الفادحة ووبال عُقباها. ويظهر من الاحصاآت الرسميَّة ان جملة الجنود الموجودين تحت الاسلحة في العالم كلهِ يبلغ زمن الصلح ٤,٦٠٠,٠٠٠ نفر وعدد الخيول العسكريَّة على وجهِ المسكونة نحو ٧٠٠,٠٠٠ وان مبلغ النفقات اللازمة لمعاش هذه القوّات كلها يفوق ٢٥ مليارًا في السنة ! ! وليتأمَّل القارئ مقدار النفقات زمن الحرب

بيد انّ الحكومات لم تقف عند هذا الحدّ. فقامت تتسابق في ميادين التسليحات على مطهّمة المطامع التي لا حدّ لها. تدبّ كلّ منهـا للاخرى الضَّراء وتمشي لها الخمَر حتى اذا ما بدت مقاتلها انقضَّت عليها انقضاض الجوارح وأنشبت فيها مخالبها. وعليهِ فما تأتي دولة اقلّ اصلاح في جيشها الّا وقامت الاخرى باكثر منهـا. وما اخترع احدٌ آلةً مخرّبة الّا واوجد آخر اشدّ منها

وكانَّ الدول استصغرت نفقات الجيوش البرّيّة فوفَّرت هذه النفقات باعداد الاساطيل الجسيمة المدهشة التي ابتلعت الملايين المقنطرة فكانت ضغثًا على إبالة

والولايات المتحدة الاميركية كانت قبل الحرب الاخيرة ناعمة البال ساكنة البلبال من هذا القبيل تطوي بسرعة البرق اجيال المدنيَّة ومراحل الحضارة. فحملها انتصارها بل طمعها الاشعبي على مجـاراة البرّ العتيق واقتفاء آثارهِ. فقد انبأتنا الصحف السيَّارة ان الرئيس العامّ المستر ماكنلي امر بان يُبلغ عدد الجنود الموجودة تحت السـلاح سنويًا الى مئة الف نفر بعد ان كان ثلاثين الفًا. وللأمل والطمع مخايلُ وبوارق

وقد صوَّر احد مشاهير اوربَّة هذه الحالة قال: « انَّ المزاحمة الموجودة بين الاقوام المتأخّرة وخصومتها لبعضها الخفيَّة والظاهرة أشبـهُ بمأساةٍ مدهشة. فان كلًّا من دول اوربّة المتمدّنة تنظر الى غيرها شزرًا كالوحوش الكاسرة حتى اذا سنحت لها الفرصة فتكت بها واقترستها. يسعى كلٌّ منها في حصر السطوة والسيطرة وجمع المال والثروة. لا ذكر للعدالة في مخابراتهـا ورؤوس رجالها. فكرها الوحيد توسيع ملكها وتزييد نفوذها. فتوصُّلًا لبغيتها تدسّ تارةً الحيل السياسيَّة. وتشهر أُخرى القوى الحربيَّة. تنادي علنًا بالسلم العموميَّة. وتحفر سرًّا الحُفر الجهنَّميَّة. يعقد اولياء امورها المعاهدات الودادّيّة بينما اصابعهم تخطّ اوامر المقاتلات الدمويّة. . . » وختم السياسيّ الموما اليـهِ كلامهُ بقول احد شعراء اليونان: « عسى ان يكون الغد خيرًا من اليوم »

على انَّ الامر ليس وآسفاه كما نتمنّى. والاكثر يجرون على كلام مونتسكيو في سياسة الدول وهو بئس القول: « اذا بقيت احدى الدول مدَّةً مديدة في حالة السلم وازدادت قوَّةً وسطوةً وتوسَّعت معنًى ومادَّةً بحيث تقـدر على تخريب دولة اخرى فيحقّ لهذه ابقاء لحياتها ومدافعةً عن نفسها ان تحول دون اتساع تلك وتدرأ منهـا امرًا يعود على خرابها »



فلعمري ان هذا المبدأ لوخيم يُشمُّ منهُ رائحة الحرص والحسد. ولكن اذا امعنا النظر في أحوال الدول نرى ان هذا الفكر هو روح السياسة الحاضرة ومحور حركتها. فما تخطو دولة خطوةً الّا تنكر عليها سائرُ الدول عملَها وتنادي باختلال الموازنة الاوربيَّة وتقوم وتقعد حتى تشاطرها اللقمة فتبتلعها هنيئاً مريئاً. فيسكن روعها ويرتاح بالها

ويدّعي البعض ان هذه التسليحات المتمادية هي ضمينة السلم وكفيلة الراحة العموميّة. لولاها لغلَت مراجل المطامع الدولية فتأجّجت نيران حروب مدهشة. وهاك ما قال عاهل الالمان الحالي في هذا الباب: «جيش قويّ واسطول قوي اكبر ضمين للسلام»

وقال السلطان سليم خان الاول «حاضر اول جنكه اكر ايسترايسەك صلح وصلاح» وهو في معنى المثل اللاتينيّ القديم (si vis pacem para bellum) «تهيأ للحرب ان اردتَ السلم والسلام». وقال أحد الالمان: «لو لم تزدْ قوانا الحربيَّة لكانت فرنسة جدَّدت الحرب علينا». وقال أحد السياسيّين: «لو تهيَّأت اسبانية للقتال واستعدَّت للحرب لكان في قيام الاميركان عليها ريب وشبهة»

ولا يخفى عليك انَّ معدَّات القتال تتغيَّر من وقت الى آخر. تضرب الدول صفحاً عن اسلحة اليوم وادواتهِ وتدرّ الفضَّة والذهب لاعمال اسلحة الغد. فما يمضي يومٌ الّا وتأتينا اخبار اختراعاتٍ جديدة من غوَّاصةٍ في البحار وسابحةٍ في الهواء تصبّ على المتحاربين نار الهلاك والدمار

فاخال والحالة هذه معاملَ الاسلحة في حركتها الدائمة أشبه بالاجرام المتحرّكة حسب نواميسها الطبيعيَّة. لا يأخذها كلل ولا يُقعدها ملل. فمهما كان غنى هذه الدول لا يمكنها ان تحتمل الى مدَّة طويلة القيام بهذه النفقات الباهظة وقد بلغ السيلُ الزُّبى وانتهى السكين الى العظم. وعليهِ خيف من ان تنجلي هذه الحالة يوماً امَّا عن إفلاس الدول الفقيرة وامَّا عن انفجار بركان حربٍ هائلة يُسمع دويُّها في أقطار المسكونة. وتحترق والعياذ بالله من نيرانها المعمورة. لكنَّ مملكة ابن السماء والقارة السوداء فتحتا للاوربيّين صاغرةً مناجم الثروة وباب الفرج فوردوا فرحين مناهلَ الصين ودخلوا ظافرين مجاهلَ افريقية وغُصَّتهم قد جازت وضيق مذاهب العيش في وجوههم قد توسَّعت

ثالثها الحرب الاقتصاديَّة وقد مرَّ ذكرها وحالتها في رسالتنا التجاريَّة فلا حاجة الى التكرار هنا

(ستأتي البقية)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الخامس

في مدينة جونو

وما زالت السفينة « انكون » مسافرة حتى انتهت الى ميناء « ڤانكوڤر » فألقت فيها مرساتها وكان قد وفد على المدينة المذكورة نحو الف مهاجر من اوسترالية على امل ان يلاقوا باخرة تنقلهم الى ألاسكا فخاب املهم لان « انكون » كما عرفت لم يكن فيها موضع خاليًا . امّا مدينة « ڤانكوڤر » فهي من بعد سان فرنسيسكو اخصّ النقط المقصودة من المهاجرين الى النواحي الشمالية ويبلغ متوسّط الذين يحتشدون فيها سنويًا للسفر الى مناجم الذهب مئة الف نسمة . امّا حكومة كندة فانّها لا تتعارض هذه الحركة لان كلّ واحد من المهاجرين المذكورين ينفق في اساكل البحر الباسيفيكي على مشترى ما يلزمهُ من الاقوات المختلفة لا اقلّ من مئتي دولار ولا يخفى ما ينجم عن هذا من الارباح الطائلة لتجارها فضلًا عن انهـا هي نفسها تربح من هؤلاء المهاجرين ربحًا آخر وهو انها تستوفي رسم عشرة فرنكات على كل مشتغل باستخراج الذهب وقد بلغ مجموع هذا الرسم عام ١٨٩٦ سبعمائة الف دولار

واستمرت السفينة طول النهار تشحن كميّات وافرة من الطحين ومقدّد لحم الخنزير وشحمهِ وانواع المشروبات والملابس وغير ذلك من اللوازم لان الجوع كما لا يخفى هو ألدّ الاعداء التي يترتّب على المهاجر قتالها في تلك البلاد

وكان لمّا ارخى الليـل سدوله ان قطارات السكك الحديديّة اخذت ترد متتابعةً الى ميناء « ڤانكوڤر » مقلّة لجماهير غفيرة من الراغبين في السفر وكانت مداخنها في اكثر الاحيان ترسل اشعّةً من اللهيب فتضيء في الظلمة كانهـا بروق حمراء بينما كانت مياه البحر تعكس اضواء المصابيح الكهربائية المنارة في شوارع المدينة فيتخيّلها الرائي كأنها حبال طويلة من نور

وهذه البلدة هي آخر البلاد المتمدنة الواقعة على طريق الذاهبين الى المنـاجم الذهبية وبينها وبين ألاسكا مسيرة اسبوع كامل في البحر . وكان في السفينة اكثر من



خمسمائة راكب بعضهم فوق بعض حتى انهم كانوا وقت الاكل يتناولون طعامهم وقوفاً
وبالنظر الى شدَّة الزحام كانت تتصاعد من الباخرة روائح كريهة جدًّا كافية لأن تسمِّم اقوى الاجسام بنيةً لولا ان الركاب كانوا يطلعون وقتاً بعد آخر الى ظهر الباخرة لاستنشاق هواء جديد. ولكن ظهر الباخرة هو محفوظ خاصَّةً لركاب الدرجتين الاولى والثانيــة ومع ذلك فقد كان هؤلاء متضايقين ايضاً لأنَّهُ على جانبي الظهر أُقيمت سقائف ربطت تحتها الخيل والحمير والثيران والايائل. امَّا الكلاب فكانت منتشرة في كل موضع من السفينة. ولحسن الحظّ كان الطقس باردًا ولولا ذلك لأدَّى ازدحام الركاب والمواشي الى ظهور امراضٍ وبائية في ثاني يوم من السفر

وسارت السفينة تجاه شبه جزائر وجزائر كثيرة جميــلة المنظر بهيَّة المشهد فان الشطوط كلها مقوَّرة بما هناك من الخلجان العديدة والجبال مكلَّلة بالغابات وقد قامت على الساحل مدن كثيرة جديدة

وكانت السفينة كلما تقدَّمت شمالًا زاد البرد قرساً وشــدَّة ولاسيما لمَّا انتهت بعد مرور اثني عشر يوماً قبالة « جونو » وكانت الغزالة قد ارسلت اشعَّتهــا على الافق. وحينئذٍ طلع الركاب الى الظهر محدقين بابصارهم في النــاحية المذكورة التي كانت بالقياس اليهم كارض الموعد بالقيــاس الى الاسرائيليين ومع ان الزمن صيف كانوا جميعاً يرتعشون بردًا. امَّا مدينة جونو فهي عبارة عن منازل من الاخشاب وعدد من الفنادق قائمة على جبل شامخ شرقيّ سلسلة جبال تُعرَف بسلسلة مار ايليَّا بالقرب من نهر كبير لا تزال مياههُ في عجيج وزئير

ومدينة جونو هذه نشأت في خريف سنة ١٨٨٠ ولمَّا كانت في مدخل المناجم الذهبية اخذت تترقَّى شيئاً فشيئاً حتى صارت مفتاح وادي يوكون. وما لبثت ان اجتذبت الى مينائها كلَّ البواخر التي تتجوَّل في تلك الارجاء وذلك بالنظر لوجودها في مركز ملائم وسهولة اتصاليَّاتها مع سائر جهات الناحية ومع جزيرة دوغلاس الواقعة قبالتها ومدينة سيتكا وبور أورانجل الكائن في الرأس الشمالي لجزيرة برنس دي غال

على انَّ اهل الدين لم يغفلوا هذه النواحي السحيقة المغطاة بالجمد الدائم ففي عام ١٨٨٥ ذهب اليها كاهن كاثوليكيّ للاقامة فيها وفي السنة التي بعدها تأسَّس هناك مستشفى لمعالجة المرضى تحت ادارة راهبات القديسة حنة الكنديات وأُنشئت كنيسة

جميلة على اسم العذراء القديسة. وفي هذه السنوات الاخيرة ارسل الحبر الاعظم بعض المرسلين اليسوعيين الذين اتخذوا « جونو » مركزًا لرسالاتهم في ألاسكا

ولنعد الآن الى ما كنّا في صدده فنقول انَّ الباخرة « انكون » لمَّا القت مرساتها أخذ الركاب يتهيأون بسرعة للنزول منها فكان هذا يحمل خريطةً من جلد وآخر يجرّ صندوقة من خشب فيُسمَع للمسامير صرير بمرورها على الواح السفينة. وكانت الامواج تزأر زئيرًا مخيفًا لدى تكسُّرها على ما في الشاطئ من الصدوع الكثيرة هذا فضلًا عن صياح البحارة وصريف السلاسل التي يسحبونها وعياط الهنود الذين اقتربوا بزوارقهم الى السفينة لنقل المسافرين والامتعة

وبينما الركّاب ينزلون سُمع على السلّم الكلام الآتي:

ما عاد يمكني الصعود يا خواجا

— ولكن يا خواجا يحقّ لي النزول

— كنت على السلّم قبلك

— لا بل انا سبقتك اليها

— انا أصدق منك

— انك رجل وقح

— قد اهنتني فاني...

جرى هذا الكلام كما قلنـا في وسط سلم ضيّقة مُدّت لنزول الركّاب وكانت قد احتشدت حولها زوارق الهنود. وسببهُ انَّ رجلين تشاجرا في المرور عليها احدهما لابس جزمة كبيرة من الكاوتشوك وفروًا ثقيلًا وقبعةً نازلةً على كتفـهِ والثاني اطول منهُ قامةً واحسن كسوةً وبيدهِ خرج وكان هذا المسافر نفس الشخص الذي قفز الى الباخرة انكون وقت سفرها من سان فرنسيسكو

وبينما الاثنان يتشاجران وفد بحار ارلندي فقال: افتحوا طريقًا يا خواجات

— هو الذي يسدّ عليَّ الطريق

— لا بل هو...

— لا يهمني انت وهو فقد قلتُ لكما افتحا طريقًا — وكان الاثنان وقتئذٍ قد تماسكا —

– اذا كنتما تأبيان فتح طريق فانا اعلّمكما كيف تفعلان

قال هذا ودفعهما بيدهِ على السلم فانقلبا يتدحرجان حتى آخرها (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

الجزء الرابع من الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الاكويني

تعريب سيادة الحبر الجليل المطران بولس عوَّاد النائب البطريركي الماروني

طبع بالمطبعة الادبية سنة ١٨٩٨, عدد صفحاتهِ ٦١٦

لو حاولنا تقريظ خُلاصة القديس توما الاكويني لبخسنا قدرها لأَنَّها أعلى مقاماً من ثناء الكتبة فكفى باسم صاحبها مدحاً وشرفاً. امَّا تعريب هذا الجزء فهو شبيه بالاجزاء السابقة من حيث امانة النقل ورصانة التعبير. ومن خواصّ هذا القسم الرابع أنَّهُ يشتمل على كلّ المباحث الادبية التي يدور عليها محور الوعظ والارشاد كالمَلَكات والفضائل والخطايا والسعادات والعقابات والشرائع الى غير ذلك ممَّا لا غنى عن معرفتهِ لكلّ من يهدون النفوس الى جادَّة الصلاح. فنسأل الله ان يجازي خيرًا الحبر الهمام الذي قرَّب الى اكليروس ديارنا جنى هذه التعاليم السامية ويؤيّدهُ على انجاز هذا المشروع الخطير

كتاب المحاماة عن الموارنة وقدّيسيهم

صحَّح عبارتهُ جناب العالم اللغوي سعيد افندي الشرتوني

وطبعهُ بنفقتهِ حضرة القس افرام الديراني احد مدبّري الرهبانيَّة الحلبيَّة اللبنانية

في مطبعة الارز في جونية سنة ١٨٩٩, عدد صفحاتهِ ٥٢٣

يتضمَّن هذا المجموع المفيد عدَّة رسالات او مقالات عن الطائفة المارونية كتبها في اواخر العصر الماضي بعض افاضل هذه الأمَة الشهيرة. فالاولى للخوري انطون القيَّالة البيروتي (ص ١ — ١٠٢) والثانيـة للطيّب الذكر المطران اسطفان عوَّاد السمعاني (ص ١٠٣ — ١٨٣). يليها أسناد وابحاث عديدة للخوري ميخائيل فاضل والقس اليـاس الجميّل. وفي الختام رسالة للسعيد الذكر البطريرك بولس مسعد. وقد

وقف على هذا الكتاب وأصلح عبارتهُ العلامة اللغوي الفاضل سعيد افندي الشرتوني. ولعلَّ هـذا المجموع يزيل الشُّبَه التي تحول دون معرفة نشوء الطائفة المارونية. وكنَّا نتمنَّى لو ضمَّ القائم على طبع هذا الكتاب الى مجموعهِ شهادات عديدة عن الموارنة اكتشفها العلماء في ايَّامنا ومن شأنها ان تجدي الامر بيانًا

وديعة الايمان في ضواحي لبنان

بقلم يوسف جرجس شبلي ابي سليمان المتيني الماروني

طبعت في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٨٩٩, عدد صفحاتها ٧٢

هي رواية تاريخيَّة ذات ثلاثة فصول ومقدَّمة وهي نثريَّة يتخلَّلها شعر موضوعها انتصار مار يوحنَّا مارون وطائفتـهِ على ملك القسطنطينيَّة يوستنيـانس الاخرم وهم يدافعون عن دينهم (راجع المشرق ١ : ٢٥٠). وفحوى هذه الرواية كان سبق اليهِ ونظمهُ بالشعر الفرنسيّ السيد الجليل كيرلُس مقار تلميذ كليَّتنا سابقًا وبطريرك القبط الكاثوليك حالًا فعرَّبهُ المعلّم يوسف ابي سليمان احد مدرّسي العربيَّـة في كليَّتنا وكساهُ من قلمهِ ديباجة رائعة ووسَّع في معانيهِ. ولعلَّ في هذه الزيادات ما لا يطابق احوال ذلك الزمان كقول البطرك (ص ٤): « هات القهوة وقـدّم السوا كير » فليت شعري أين كانت القهوة بل اين كانت السواكير في القرن السابع ؟

Opuscules Maronites

Œuvres inédites de Jean-Maron — Chronique syriaque Maronite.
— Ecrits de controverse. — Histoire de Daniel de Mardin.
— Vie de Sévère d'Antioche
Par F. Nau, du Clergé de Paris, Paris, pp. 104 1899

آثار مارونيَّة

قد جمع الخوري نو الفرنسيّ في كتابهِ هذا مقالات سريانيَّـة شتَّى نقلها من تآليف مخطوطة تُصان في خزانة كتب باريس ولندرة. والمقـالة الاولى تنسب لمار يوحنَّا مارون البطريرك الانطاكي تحتوي ايضاح الايمان وكان العلاَّمة السمعاني سبق ووصفها في مكتبتهِ الشرقيَّة (١ : ٥١٣) ومؤلفها يردُّ فيها على مزاعم اليعاقبـة في طبيعتي المسيـح مستندًا الى شواهد كثيرة من الآباء والمعلمين. ويلي هذه المقالة نبذتان وجيزتان يفند بهما مار يوحنَّا مارون قول اليعاقبة والنساطرة في طبيعتي المسيح واقنومهِ. ثمَّ يتضمَّن المجموع المقالة التاريخيَّـة التي عزاها الاب هنري لامنس لقبيب الماروني



(المشرق ٢ ٢٦٥) ونسبها الاديب بشاره شمالي الى ثاوفيل بن توما (٣ : ٤٥٦) وانكر الاب س. رترڤال نسبتهـا لكليهما (٢ : ٤٥١) — وبعد هذه اللمعة التاريخيَّة خمسة مقاطيع صغيرة لكتَّاب من اليعاقبة منها جداليَّة ومنها اخباريَّة اهمُّها القطعة الاخيرة فيها بعض افادات عن حالة بيروت في القرن السادس كذكر كنائسها ومرسحها وملعب الوحوش فيها وتقاطر التلامذة اليهـا لدرس الفقه. فنشكر لحضرة الاب نو همَّتهُ في نشر هذه المقالات النفيسة وترجمتها الى الفرنسيَّة وتعليقهِ عليها الحواشي المفيدة

كتاب عبادة ماري انطونيوس

للخوري يوحنَّا كيرلّس المارونيّ اللبناني

طبع في المطبعة اللبنانية ببعبدا سنة ١٨٩٨ عدد صفحاتهِ ٣٨٥ بقطع ١٦

يشتمل هذا الكتاب على ٣٠ تأمُّلًا في حياة القديس انطونيوس البـادوي مع تساعيةٍ لاكرام القديس انطونيوس ابي الرهبان وصلوات مختلفة وتراتيل روحيَّة لاكرام القدّيسين المذكورين. فنسأل لهذا الكتاب التقوي رواجًا ولصاحبهِ ثوابًا ل. ش

شَذَرَاتٌ

يوم الصعاب — سُئل صاحب الضياء (ص ٦٥٩) أعزَّهُ الله عن يوم الصعاب فاجاب السائل: « لم نعثر عليهِ في شيءٍ من كتبهم (العرب) فلعلَّـهُ مصحَّف عليكم »

(قلنا) انَّ يوم الصعاب من ايَّام العرب المشهورة ولا تصحيف في لفظهِ. وقد ورد ذكرهُ في كتب كثيرين من الادباء بل في كتب اللغة نفسها (راجع تاج العروس في مادَّة صعب). قال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٣٨٧): الصِعاب اسم جبـلٍ بين اليمامة والبحرين. وقيل الصعاب رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك قُتل فيـهِ الحارث بن همَّام ... في يوم من ايام بكر وتغلب وانكسفت تغلب آخر النهار ». وللمهلهل شعرٌ في تلك الواقعة ذكرناهُ في شعراء النصرانيَّـة (١ : ١٨٠). وجاء عن العسكري انَّ في يوم صعاب قُتل كتَّان بن دهر البكريّ (راجع ياقوت ص ٣٨٨)

فوائد بيتيّة وزراعيّة

احسن التبغ تحقّق الدكتور ترابوت (Trabut) انّ احسن التبغ ما ثقل بزرهُ وغاص في الماء. فانّهُ يأتي باوراق عريضة باسقة شديدة الخضرة. امّا اذا طفا البزر فوق الماء فذلك دليل على انّهُ سيء الجنس وتأتي اوراقهُ ضئيلة مغبَرّة اللون

المرايا الحسنة ان اردت ان تميّز بين المرايا الحسنة وما سواها فخذ منديلًا ابيض واعرضهُ على المرآة فان كان بياضهُ في المرآة كبياضهِ الاصليّ فالمرآة حسنة امّا اذا ضرب لون المنديل في المرآة الى الخضرة او الصفرة او الحمرة فالمرآة فاسدة

الرُضاب او ماء الفم بحث الدكتور ساناريلي عن خواصّ ماء الفم فوجد لهُ منافع كثيرة منها انّهُ احسن عامل لحفظ الاسنان. ومن اختباراتهِ انّ اسنان الفكّ الاعلى تنخر اكثر من اسنان الفكّ الاسفل لانّ الرضاب يتردد في الفكّ الاسفل اكثر منهُ في الفكّ الأعلى. ومن خواصّ الريق انّهُ ينظّف الفم ويبرئ السحوج والجروح. ومنها ايضًا انّهُ يقتل كثيرًا من الجراثيم الوبئة كميكروب التيفوس والهواء الاصفر او يخفف قوّتها السامّة كميكروب الخُناق (الخانوق)

قتل الذُباب اذا كثر الذباب في صاعة فخذ ١٧٠ غرامًا من الصمغ المعروف بالقلفوني (colophane) وخمس ملاعق من زيت اللفت وملعقة من مسحوق السكّر فيُغلى الصمغ اوّلًا ثم يسكب الزيت والسكّر وبعد الخلط الحسن اغمس في المزيج اخشابًا او عصيًّا تجعلها في منافذ الدار فيتوارد اليها الذّباب ويلتصق بها لا محالة

وسيلة لاطفاء الحريق اذا لم يتّسع الحريق كثيرًا يمكن اطفاؤهُ بقليل من النوشادر الذائب فانّ عشرة ليترات منهُ قويت على قطع لسان اللهيب المندلع في مسافة عشرة امتار مربّعة

القطران بدلًا من الفحم وجد احد عملة الالمان اسمهُ شُوِرر (Schurer) آلة تمكّن من استبدال الفحم بالقطران بحيث يُقتصد نصف ثمن الفحم الحجري



البوم في مقام السنانير للبوم في اميركة تجارة رابحة وذلك انَّ العطَّارين واللحَّامين كانوا يتخذون البومة في مقام السنُّور لقتل الفيران والجرذان فجعل كثيرون من الاميركيين يقتفون آثارهم فيقيمون البومة في مخازنهم وبيوتهم طول الليل وهي كما لا يخفى حسنة البصر في الظلمة

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة القس قرياقوس مخنوق الكلداني: ١ً ما اصل اسم الكلدان ومتى اختصَّ هذا الاسم بالطائفة الكاثوليكيَّة المعروفة بهِ. ٢ً من اين أتت الزيادة التي تختم بها الصلاة الربيَّة في بعض كنائس الشرق «لان لك الملك والقوَّة والتسبحة الى الابد»

١ اصل اسم الكلدان

ج نجيب على الاوَّل انَّ اسم الكلدان قديم جدًّا ورد في الكتابات المسماريَّة في القرن العشرين قبل المسيح وقد ورد في الاسفار المقدَّسة على صورة كسديم כשדים بقلب اللام سينًا وفقًا للغة البابليَّة وقيل انَّ معناهُ الفاتحون وقيل انهُ مركَّب من كلمتين كَسْ و ده معناهما بلد الكَسّ — امَّا تخصيص هذا الاسم بالطائفة الكاثوليكيَّة المعروفة بهِ فتمييزًا لهم عن الكلدان النساطرة. ولا نجد اثرًا لاطلاق اسم الكلدان عليهم قبل رجوع يوحنَّا سولاقا الى طاعة رومية سنة ١٥٥٢

٢ ختام الصلاة الربية في بعض كنائس الشرق

نجيب على الشاني انَّ هذه الزيادة لم توجد في اقدم نسخ كتاب العهد الجديد اليونانيَّة واللاتينيَّة كنسخة الواتيكان المكتوبة في القرن الرابع كما انَّ كثيرين من مفسّري الكتاب المقدَّس كالقديس ايرونيموس واوغسطينوس لم يذكروها. وقد وردت فقط في الترجمة السريانيَّة المعروفة بالبسيطة وفي تاوفيلاكطس وبعض الاعمال المنسوبة الى القديس يوحنَّا فم الذهب الَّا انَّ رأي العلماء انَّ بعض الكنائس زادتها على مثال الجدلة والتسبيح ليس الَّا فدخلت في عادة بعض الكنائس ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٨ الى ٢٣ تموز ١٨٩٩

السبت ٨ | الاحد ٩ | الاثنين ١٠ | الثلثاء ١١ | الاربعاء ١٢ | الخميس ١٣ | الجمعة ١٤ | السبت ١٥ | الاحد ١٦ | الاثنين ١٧ | الثلثاء ١٨ | الاربعاء ١٩ | الخميس ٢٠ | الجمعة ٢١ | السبت ٢٢ | الاحد ٢٣

ميزان الرطوبة

ميزان ثقل الهواء

790 785 780 775 770 765 760 755 750 745 740 735 730 725 720

ميزان الحرارة

50 45 40 35 30 25 20 15 10 05 0 05

انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملِمترات

السنة الثانية　　العدد ١٦　　١٥ آب سنة ١٨٩٩

المشرق

الاشجار والغابات في سورية

للشاب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر

ضرب الحرُّ فينا اطنابهُ وتلظَّت معامعهُ فذكَّرنا ذلك في عذوبة الاثمار وظلال الاشجار وحدانا الامر على تأليف مقالة في الاشجار والغابات

١

اذا ما أعملنا رائد الفكر وتصفَّحنا بطون التواريخ وجدنا انَّ بلادنا في سالف الاجيال حظيت بنصيب حسن من انواع الشجر ولستُ ارضى بدليل آخر غير ما ورد في الفصل التاسع من سفر القضاة حيث وصف الكتاب العزيز على صورة المثل اجتماع الشجر ليمسحنَ عليهنَّ ملكًا وقد ذكر في جملة الاشجار المترشحة للملك في بلادنا الزيتونة والتينة والجَفنة اعني أخصّ الاشجار التي هي الى يومنا هذا من اسباب ثروتنا

(الكرم) فلنبدأ كلامنا بالجفنة فانَّها منذ غرسها اوَّل مرَّة ابونا نوح في جوار هذه البلاد لم تزل حراثة الكرمة في سوريَّة معزَّزة تأتي للاهلين بالارباح الوافرة

لكنَّ فلاحة الكرم قد اصابت منذ نحو خمسين سنةً ترقّيًا عظيمًا ولولا الآفات التي توالت على الدوالي لأتت كلُّ جفنة بضعفي حملها السابق بل بثلاثة اضعافٍ. وكنَّا نود لو يسعى كرَّامو بلادنا باتّخاذ وسائل عديدة وآلات جديدة من شأنها أن تخفِّف اتعابهم وتوفّر دخولهم وتحسّن خمورهم التي احرزت منذ القدم سبقًا بجودتها وطيب طعمها حتى اشاد بها الشعراء الاقدمون وذكرها الانبياء. وليس كلامنا هذا محض تخمين او حَدس بل امرٌ واقعيّ تحقَّق بالتجربة في سهول البقاع وبعض انحاء لبنان فكانت نتيجة هذه الاختبارات انَّ الاجانب صاروا يقبلون على الخمور السوريَّة إقبالهم على أجود رحيق ايطالية والاندلس

بيد انَّ للكرمة اعداء لا بُدَّ من مقاومة هجماتهم من ذلك علَّة الترميد المعروفة بالاويديوم (Oidium) . وهي علة سهل علاجها . ودواؤها بان يذرّ عليها شيء من الكبريت او تُبخَّر بابخرتهِ

ومنها ايضاً داء الفيلوكسيرة الذي سرى ظافرًا في كلّ انحاء اوربَّة وأتلف فيها كروماً لا تحصى ثمَّ تعدَّى الى افريقية وزحف على آسية لم يُبقِ ولم يذر . وكان ظهورهُ في بلادنا نحو سنة ١٨٨٥ ولم يزل في نموّ وانتشار حتى اندرتنا الجرائد باقتحامهِ على ازمير سنة ١٨٩٥ . وهو اليوم قد اصبح يتهدَّد كرومنا اللبنانيَّة لأنَّ آثارهُ السيّئة ظهرت في غرَّة هذه السنة في كروم حيفا . وقد وصفنا هذا الداء في مقالة نشرناها سابقًا في المشرق (١ : ٢٩٥ , ٣٤٣) وبيَّنا اعراضها ودللنا على طرائق علاجها فلا حاجة الى تكرير الكلام عنها

(الزيتون) وقد ذكر الكتاب الكريم مع الجفنة الزيتونة وهي في سواحل بلادنا ومنعطف جبالنا شجرة مباركة تكسو الارض بهجةً وتأتي الاهلين جداء طائلًا من ثمرها المصيَّر وزيتها الطيِّب . وممَّا نتمنَّاهُ ان يُزاد في عدد أغراسها وان تُنصب في بلادنا فسائل من اصناف مختلفة شائعة في بلاد ما بين النهرين وجهات ازمير يبلغ ثمرها كبر الجوزة

امَّا (التين) الذي ذكر الكتاب ثمرتهُ الطيِّبة فلنا ان نضيفهُ الى اشجار كثيرة يعمّ نفعها بلادنا كالأترج والنارنج والتفَّاح والسفرجل والاجَّاص والخوخ والمشمش واللوز والفستق الى غير ذلك من الاشجار المثمرة التي يلذُّنا طعمها ويبهجنا منظرها . ولا بأس ان خصَّصنا الجوز بالذكر لكثرة فوائدهِ فانَّ من ثمرهِ يُستخرج الزيت ويتَّخذ الدبَّاغون من قشرتهِ صبغًا . وتُغلى اوراقهُ ثمَّ يصبُّ الماء المغليّ على الخيل ليقيها الذباب في الصيف . ومن قشرتهِ ايضاً تُصطنع انواع من المربّيات ويُستخلص مشروب طيّب الذوق نافع للمعدة

ومن الاشجار التي اجمع السوريُّون على فائدتها شجرة التوت فانَّهم يعتبرونها ايَّ اعتبار لما يترتَّب عليها من تربية دود القزّ . امَّا زمن دخولها في بلاد الشام فمجهول . وغاية ما نعلم عن تاريخ الحرير انَّ ذكرهُ ورد في تواريخ الصينيين قبل المسيح بنيف والفين سنة . وكان الصينيُّون يضنُّون بسرّهم على الاجانب ولا يسمحون بنقل بزر القزّ او انصاب شجر التوت الى بلاد غريبة . وقيل انَّ اوَّل من تمكَّن من تعدّي هذه السنَّة ملكة صينيَّة زُفَّت الى بعلها خارجاً عن تخوم الصين فاخفت في ضفائر شعرها شيئاً

من بزر التوت وبزر القزّ فشاع من ثمَّ نسج الحرير في كلّ البلاد وذلك سنة ٤١٩ للمسيح

وممَّا لا شكَّ فيهِ ان قدماء الفينيقيّين كانوا يعرفون حقّ المعرفة الحرير ويصبغونهُ صبغاً احمر قانئاً ومنهُ الارجوان الفينيقي الطائر الشهرة في كلّ البلاد

لكن صناعة نسج الحرير قد اتّسع نطاقها في عصرنا هذا وشملت سوريَّة عموماً ولبنان خصوصاً فاصابت نجاحاً عظيماً فانَّ اهل بلادنا يجنون ما يناهز ٤,٠٠٠,٠٠٠ أقّة من الفيالج (الشرانق) وذلك عبارة عن ١٥٠,٠٠٠ او ١٦٠,٠٠٠ علبة من البزر المتَّخذ لتربية الدود

ولا غروَ ان المدخولات يمكنها ان تزيد عن ذلك زيادة عظيمة لو راعينا بعض الشروط التي من شأنها ان تحسّن حالة البزر وتقوّي بنية الدودة. وهذه الشروط قد توخّينا بسطها وبيّنا فوائدها في مقالة افردناها لهذا الامر الخطير نُشرت في هذه المجلة (المشرق ٢ : ٣٢٠) فعليك بها. ونكتفي هنا بان نذكر للقرّاء انَّ للدود كما للانسان تنفُّساً فتحلّل الهواء عند نشقهِ وتستخلص منهُ الاكسيجين ثم ترفر كالانسان ويتوفّر بزفيرها الحامض الكربونيك ولا بُدَّ من ازالة اضرار هذا الحامض وذلك بتنقية الهواء

وزد على ذلك انّ الدودة ترشحُ فيخرج من مسامّ جسمها كميَّة من البخار الذي تفسد الهواء. قيل انَّ ٣٠,٠٠٠ دودة ترشح في النهار بنحو ٢٧٣ كيلوغراماً من الماء. وذلك لعمري شيء لا يكاد ان يصدَّق لولا انَّهُ تحقّق بالاختبار

ومن ادواء دود القزّ العلّة المعروفة بالمسكردين او القرن الاحمر وصفناها في المشرق (١ : ٩٧٤) مع طريقة شفائها فليراجع. ونوصي المربّين للدود ان يُحكموا طريقة قطع التوت ولا يجعلوا الشجرة كجذر قُطعت كلّ اطرافهِ فصار كأنَّهُ شلوٌ بلا اعضاء وذلك ممَّا يفسد الشجرة ويمنعها ان تأتي بحمل مضاعف

٢

هذا وانَّ الاشجار المثمرة وأشجار التوت لا تنبت في كلّ الانحاء وفي سوريَّة ولبنان امكنة عديدة لا تصلح تربتها الّا لشجر الغابات وليس ذلك خسارةً للزراعة بل وراء الامر منافع جمّة كما سترى

١ والفائدة الاولى التي لا تخفى على كلّ ذي عيان انَّ الغابات من شأنها ان ترطّب الهواء وتلطّف لظى القيظ. وذلك لانَّ التربة التي فيها غُرست الغابات اندى ممَّا سواها فتُندي الهواء الذي يلاصقها وتبرّده. ثمَّ انَّ لاوراق الشجر تبخُّرًا يصفّي الجوّ ممَّا فيه من الحامض الكربونيك ويلطّف حرارتهُ معًا. وفي جذور الشجر واغصانهِ حاجز لبعض الرياح الشديدة التي تفجأ البلاد وتأتيها حينًا بهبوات الحرّ اللافح وحينًا بنفحات البرد القارس فتقوم الغابات امام هذه الرياح وتكسر صدَماتها

٢ والفائدة الثانية من غرس الغابات انها تحفظ تُربة الاراضي المرتفعة وتصدّ السيول الجارفة عن كسح التربة الجيّدة والحطّ بها الى الوديان وكذا تفعل في وجه الرياح السافية. ألا ترى كيف اضحت بعض قمم لبنان كالقرعة الصلعاء لا تجد فيها غير الصخور التي تَقشَّر ترابها المغذي لنباتها. وانْ ذلك الَّا نتيجة قطع الغابات

٣ ومن خواصّ الغابات انَّها تتشرَّب مياه الامطار فتنفذ في بطن الارض وتسيل سيلًا منظَّمًا وتكاثر بذلك العيون والينابيع وتخصب التربة. ولنا على ذلك دلائل حسّيَّة فان العيون تبجّست في عدَّة اماكن بعد ان غُرست فيها الاشجار. وبعكس ذلك ترى في لبنان آثار جسور رومانيَّة حيث لا يسيل الماء في عهدنا حتى في فصل الربيع

٤ ومن منافع الغابات انَّها تمنع طفوَّ مياه الانهار في الوديان وذلك لانَّها تؤخر ذوَبان الثلوج فلا يسيل ماؤها الَّا بتدريج ونظام ولا تتعدَّى مياهُ الانهار حدودها ولا تستنقع في السهول بطغيانها ومن ذلك تتولَّد الامراض والحمّيات وتتوفّر الجراثيم الوخمة. هذه الاماكن الوبيئة والمستنقعات ليس افضل وسيلة لتنظيفها من غرس الاشجار لاسيا الاوكاليبتس الذي يصفّي الهواء وينشّف التربة

امَّا الاشجار التي تصلح للغابات فكثيرة قد عرفها اجدادنا ووفّروا غرسها في مشارف لبنان. وافضلها الاشجار الراتينجيَّة المخروطة الشكل كالصنوبر والسرو والسنديان فان لهذه الاشجار خشبًا يصلح للابنية ولكلّ اعمال النجارة ثمَّ انَّ الهواء الذي يهبُّ فيها مُنعشٌ للقوى مقوٍ للصدر يناسب المسلولين ايَّ مناسبة ويشفي اكثرهم بلا دواء كما ترى في جبال سويسرة. وقد بيّن حضرة الاب لامنس في مقالتين لهُ الاولى عن جبال الألب ولبنان (مشرق ١ : ٨٢٨) والثانية عن آثار الرومانيين في لبنان (٢ : ٤٤١) ما بذلهُ الرومان من المساعي المشكورة في غرس الاشجار في لبنان

لعلمهم انَّ الغابات من أعظم اسباب الثروة للبلاد الجبليَّة. وفي المقالتين المذكورتين فوائد جمَّة بهذا الخصوص نشير على القرَّاء بمراجعتهما

امَّا (أرز) لبنان فانَّهُ أشهر من ان يحتاج الى وصفنا فانَّ ذكرهُ قد طبَّق الآفاق وأجمعت الاسفار الالهيَّة والتواريخ المدنيَّة على ذكر صفاتهِ الفريدة. وفي مقالة جبال الالب ولبنان (المشرق ١: ٧٢٦) خلاصة بعض الشواهد المفيضة في مدح الارز فاكتفينا بالاشارة

هذا واننا نرى بغاية الاسف انَّ غابات الارز أضحت في بلادنا اثرًا من بعد عين. فان ما بقي منها في سفح جبل ظهر القضيب وبجوار نهر الباروك لا يكاد يُعبأ بهِ لقلَّتهِ ولعلَّنا بعد سنين قريبة نأسف على هذه البقايا نفسها ان لم يتدارك أُولو الامر هذا الخلَل ويقسروا الاهلين على حفظها. ولكن ليس ذلك بكافٍ وانَّنا نتمنَّى لو نرى رؤُوس لبنان جميعها مكلَّلةً بغابات الارز كما كانت في العصور الخالية او تُغرس بدلًا منها اشجار وارفة الظلّ متينة العود تقوم مقام الارز وتعيد لبلادنا رونقها القديم

لعلَّ قرَّاءنا الكرام سمعوا بما أُنشئ في اوربَّة واميركة من الجمعيات للدفاع عن الحيوانات والقيام بامرها في عِلَلها وهرَمها. وذلك بلا ريب من غرائب المشروعات التي تدلّ على حنيَّة وشفقة كان الأَولى بهم ان يصرفوها في خدمة الانسان العاقل وسدّ حاجاتهِ. الَّا انَّ الاميركان لم يلبثوا ان باشروا بعمل آخر كان أجدى نفعًا لوطنهم فانشأُوا جمعيَّات لتوسيع نطاق الغابات ونصب الاشجار ولا يُطلب من اعضاء هذه الجمعيَّات سوى غرس بضعة فسائل كلَّ سنة ولهم عيد يدعونهُ عيد الشجر (Arbor day) يذكرون فيهِ ما تيسَّر لهم من هذا القبيل. وممَّا ذُكر في رزناماتهم انَّهم غرسوا في خمس عشرة سنة نيِّفًا و ٣٥٥ مليونًا من الشجر. فهذه النتيجة العجيبة حملت الفرنسيين في بلاد الجزائر على اقتفاء آثار الاميركان فجاءت اختباراتهم طبقًا للمرغوب

فيا ليت احدًا من ذوي المروءة والنفوذ يقوم بيننا وينشئ جمعيَّةً كهذه فلا يمرُّ على بلادنا خمسون سنةً حتى تُصبح كجنان الفردوس لا ينقصها شيء من اسباب الرفاهيَّة. حقَّق الله امانيَّنا هذه ولا اخاب آمالنا

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رنزڤال اليسوعي (تابع للسبق)

الباب الثاني

في تعريف الالحان التي تكون من على الابراج وكيفيَّة اجرائها وما استعمل فيهِ من الارباع

اقول انني قد رتَّبت الالحان على وجهٍ يقرِّب تناولهُ بان جمعت الالحان التي يكون قرارها على برجٍ واحد في فصلٍ واحد غير مراعٍ نسبة الالحان لبعضها ولهذا جعلت الباب احد عشر فصلًا جامعًا فيها الالحان المعروفة في عصرنا في بلادنا الشاميَّة وهي خمسة وتسعون لحنًا (١

---

١) قد اشرنا في حاشيتنا الاولى من الفصل الثاني الى توليد الاجناس الموسيقيـة عند اليونان والاقدمين من العرب وذلك بادخال أبعادٍ مختلفة على الديوان الاصلي الرباعي واشهر هذه الاجناس ثلاثة :

الجنس الاول المعروف بالقويّ او الرُجليّ (τὸ διατονικὸν γένος) وهو كما مرَّ عبارة عن بعد طنيني يليهِ بعد آخر طنيني ثم نصفه ١ ١ ١/٢

والجنس الثاني المسمَّى الملوَّن (τὸ χρωματικὸν γένος) وهو عبارة عن بعد طنبي ونصف ثمَّ نصفَي الطنيني ١ ١/٢ ١/٢ ١/٢

والثالث الملقَّب بالمنظوم او الرخيم (τὸ εναρμόνιον γ.) وهو عبارة عن ربعي الطنيني يسبقهما بُعْد طنيَّيْن ٢ ١/٤ ١/٤

الَّا انَّهم اضافوا اليها اجناسًا أُخرى كثيرة بانعكاس الاجناس الاولى او بادخال طبقة رابعة وهي ثلث الطنيني (δίεσις χρωματικὴ ἐλαχίστη) فاقتفى آثارهم الشيخ صفيّ الدين عبد المؤمن البغدادي في رسالتهِ الى شرف الدين عن النسب الموسيقيَّة ولهُ عشرة اجناس تتولَّد من تركيب ابعادٍ ثلاثة الكبير والصغير والمتوسّط التي نسبتها كنسبة ٤, و ٢, و ٣, ودونك هذه الاجناس المشهورة (اشرنا الى كلٍّ من الابعاد الثلاثة اي الكبير والمتوسط والصغير باوّل حروفها)

١/	عشاق ... ك ك ص	٦/	عراق ... م ك م
٢/	نوى ... ك ص ك	٧/	اصفهان ... م م م ص
٣/	بوسليك... ص ك ك	٨/	بزرك ... م ك م م ص
٤/	رست ... ك م م	٩/	زيرفكند... م م م ص
٥/	نوروز ... م م ك	١٠/	راهوي (او مزموم) م م م م



الفصل الاول

في الالحان التي يكون قرارها برج اليكاه

الالحان التي يكون قرارها برج اليكاه اربعة: الاول « نهفت العرب » فانهُ نوى ماهور ثم نهفت ثم تيك حصار ثم نوى ثم تنزل برجًا برجًا الى الرست ثم قرار نهفت الذي يقال لهُ كَوَشت ثم قرار تيك حصار ثم يكاه. فهذا الترتيب لا يفرق عن ترتيب حجاز النوى الّا بالاجراء وانّهُ يُعمل من القرار

الثاني « شدّ عربان » وهـذا في الحقيقة لحن الحجاز مكرَّرًا من ديوانين لتسهيل الطبقة على المنشد (١ فيجعلون قرارهُ على اليكاه هكذا: نوى حصار نوى ماهور نهفت حصار نوى محيَّر سنبلة محيَّر ماهور نهفت حصار نوى جهاركاه كردي دوكاه رست كوشت عشيران يكاه (٢

الثالث « نهفت الاتراك » وترتيبـهُ هو ترتيب الماهور بعينهِ يصوّرونهُ عن برج

واذا اَجرينا هذه الاجناس العشرة إجراء الجموع الثلاثة متَّصلةً ومنفصلةً المارّ بيانها (راجع الحاشية الاولى على الفصل الثاني) حصلنا على ثلاثين ديوانًا تختلف عن بعضها فمنها ما أُهمِل ومنها ما استُعمل فامسى بين ايديهم أُسًّا ابتنوا عليهِ ادوارهم الشهيرة فلم يبقَ الّا ثمانية عشر جمعًا وهي: عشاق . نوى . بوسليك . رست . حجاز . نوروز . اصفهـان . زنكله . راهوي . زيرفكند . بزرك . مجرى الحسينيّ . نفت . حمار . كوشت . كَردانيا . حسيني . عراق . اما تلك الجموع فيمكن ابتداء عملها على اية نغمةٍ كانت من النغمات السبع عشرة التي بين مطلق البمّ وجوابه في المثنى وهذا هو اصل الادوار او المقامات الاثنتي عشرة المشهورة في كل انحاء الشرق وهي بمنزلة مثال لكلّ الالحان العربية كالتمديدات والقلوب (Tons et Tropes) في الانغام اليونانية واللاتينية اي الغريغورية وهي هذه:

عشاق	رست	زيرفكند	راهوي (او رهاوي)
نوى	عراق	بزرك	حسيني
بوسليك	اصفهان	زنكله (زركلاه)	حجازي

فظهر من كل ذلك: ١ً ان كل من هذه الادوار يختلف عن غيره في كيفية ارتفاع الصوت من القرار الى الجواب ٢ً ان الالحان العربية لا تكاد تُحصى في الاصل لتفرّعها وتشعُّبها في الثلاثين ديوانًا المذكورة الّا انّهم اقتصروا على ما يتكوَّن من الاثني عشر دورًا وهو اكثر عددًا من ٩٥ لحنًا ٣ً ان جمع الالحان القياسي يكون بان يُفرد باب خاصّ بجميع الالحان التي تندرج تحت كلّ دورٍ وانما خالف صاحب الرسالة هذه القاعدة تيسيرًا للفهم

١) راجع الباب الاول ف ٥ في افتراق الالحان عن بعضها

٢) ومعنى هذه الكلمات المتقطّعة هو توالي الاصوات الواجب عملها للموسيقي

اليكاه وهو يختلف في الاجزاء وانخفاض الطبقة فقط وذلك بان ينقروا : نوى حسيني حجاز بوسليك نوى اوج حسيني نوى حجاز بوسليك دوكاه رست عراق عشيران يكاه

الرابع « النوى المسمّى يكاه » فهو ايضاً ماهور مصوّر من اليكاه بان يُنقر : نوى مظهرًا ثم حجاز بوسليك ثم ينزل الى برج العراق ثم رست عراق عشيران يكاه

الفصل الثاني

في الالحان التي يكون قرارها برج العشيران

الالحان التي يكون قرارها برج العشيران ثلاثة : الاوّل « العشيران » وهو ان يُعمل البياتي من على برج الحسيني كما يأتي بيانهُ عند الكلام على لحن برج الدوكاه ثم نوى جهاركاه ثم بوسليك دوكاه رست عراق عشيران

والثاني « عجم عشيران » وهو ان يعمل الزيد كما يتبيَّن بعدهُ في برج الدوكاه ثم ينزل الى برج العشيران ويَقف عليهِ

والثالث « مقابل عشيران » وهو حسيني ماهور نهفت مكرّرين (١ الى الحسيني ثم ماهور ثم ينزل برجاً برجاً مع البوسليك الى العشيران

الفصل الثالث

في الالحان التي يكون قرارها برج العراق

الالحان التي يكون قرارها برج العراق ثمانية : الاوّل « العراق (٢ » فانّهُ نوى ثم ينزل برجاً برجاً الى العراق

والثاني « سلطان عراق » فهو نوى حجـاز مكرّرًا ثم ينزل برجاً برجاً الى العراق ويصعد الى الماهور ثم ينزل برجاً الى الدوكاه وقد كان الأنسب وَضعهُ مع الالحان التي تقرُّ على برج الدوكاه ولكن وضعناهُ هنا اتباعاً لاصطلاح ارباب هذا الفنّ وهكذا ترى بعض الالحان مختلفة الوضع فاعلم ان وضعنا لها اتباع لاهل الصناعة

والثالث « عراق زمزمي » فهو عراق رست دوكاه ثم نوى ثم تنزل برجاً الى العراق ثم سيكاه وظهرًا الى الدوكاه ثم تلمّح العجم وتنزل برجاً برجاً الى الدوكاه ثم سيكاه

١) يريد بهِ كما علمت اتخاذ هذه الاصوات من ديوانين جواباتٍ وقرارات

٢) وهو من الالحان والادوار الرزينة الصارمة يصلح للحرب والدين



مظهرًا ثم تنزل برجًا برجًا الى اليكاه ثم سيكاه ثم نوى ثم تنزل برجًا برجًا الى الدوكاه

والرابع « مخالف عراق » فهو عراق رست دوكاه جهاركاه ثم سيكاه دوكاه رست عراق

والخامس « راحة الارواح » فهو نوى حجاز مكررًا ثم دوكاه كردي ثم دوكاه رست ثم كردي دوكاه رست عراق

والسادس « راحة الارواح رومي » فهو عمل الحجاز الى الرست ثم دوكاه كردي دوكاه رست عراق

والسابع « رَمل » فهو نوى جهاركاه مكررًا ثم نوى حجاز ثم تلمّح الحسيني ثم نوى جهاركاه مكررًا مع تيك بوسليك ثم جهاركاه وتلمّح النوى ثم سيكاه مظهرًا دوكاه رست عراق

والثامن « راحة شذي » فهو لحن الصبا (١ ثم تقف على العراق

الفصل الرابع

في الالحان التي يكون قرارها برج الرست

هي تسعة: الاوّل « الرست » وهو ان تقرع برج الرست ثم الدوكاه وهكذا تصعد الى النوى ثم ترجع الى الرست ثم تقرع السيكاه وتقف على الرست

والثاني « التكرير » وهو ان تبتدئ نوى ثم حجاز سيكاه مظهرًا ثم حسيني نوى مظهرًا ثم حجاز سيكاه دوكاه رست. ومن ذلك يعلم ان برج الجهاركاه لا يستعمل في هذا اللحن بل يفسد ويكون ربع الحجاز بديلًا عنهُ

والثالث « السازكار الصحيح » وهو ان تقرع السيكاه ظهرًا وتدوس البوسليك وتظهر الدوكاه ثم النوى ثم البوسليك دوكاه عشيران عراق رست

والرابع « الماه رنّاه » وهو لحن الصبا يقرّ على الرست

والخامس « نيشاورك » وهو نوى مظهرًا حجاز بوسليك دوكاه رست ويُفسد في هذا اللحن برج الجهاركاه والسيكاه ويكون بديلًا عنهما ربع الحجاز وربع البوسليك. هذا تعريف ارباب الصناعة والذي أراه ان يكون هذا اللحن من الالحان التي يكون

---

١) والصبا من الحان الدوكاه

قرارها على برج الجهاركاه ويُبتدأُ فيهِ من ماهور مظهرًا اوج حسيني نوى جهاركاه لان النسبة صحيحة بين ما رأيتـهُ وبين ما ذكروهُ غير ان ما ذكرتهُ اقرب الى الفهم اذ يُستغنى بهِ عن الارباع ويكون الاستعمال من الابراج الصحيحة . ولمعترضٍ ان يقول ان برج الاوج في هذه الصورة يقوم مقام نيم حجاز ولا يقوم مقام الحجاز فيحتاج الامر الى استبدال الاوج بالنهفت(١ وحينئذٍ لا يكون كثير فائدة فيما ذكرتهُ اذ لا يُستغنى الامر معـهُ عن استعمال الارباع . فاقول اوّلًا انهم اطلقوا التعريف بالحجاز وهو شامل النيم والتيك ثانيًا اذا فرضنا عدم الشمول فان تعريفهم يُفسد بهِ برج الجهاركاه والسيكاه وما ذكرتهُ يُفسد بهِ برج الاوج فقط وذلك اسهل ادراكًا

والسادس « بنجكاه » وهو من نوى مظهرًا ثم حجاز وبوسليك مظهرًا ثم حجاز نوى ثم اوج مظهرًا ثم حسيني نوى مظهرًا وحجاز بوسليك مظهرًا ثم جهاركاه مظهرًا ثم سيكاه دوكاه رست . فظهر ان هذا اللحن يُستغنى فيهِ اوّلًا عن الجهاركاه والسيكاه ثم عند القرار يُحتاج اليهما

والسابع « السازكار المتعارف » وهو رست دوكاه بوسليك مظهرًا ثم دوكاه رست ثم نوى مظهرًا ثم حسيني مظهرًا ثم نوى جهاركاه بوسليك دوكاه مظهرًا عشيران عراق رست . وفي هذا اللحن يُفسد برج السيكاه ويكون بديلًا منهُ ربع البوسليك وبالحقيقـة انهُ لا يختلف عن لحن الجهاركاه الّا في الاجواء فقط . واما ترتيب الابراج في كليهما فهو على نسبةٍ واحدة لان نسبة الرست الى الدوكاه كنسبة الجهـاركاه الى النوى ونسبة الدوكاه الى البوسليك كنسبة النوى الى الحسيني ونسبة البوسليك الى الجهاركاه كنسبة الحسيني الى العجم لان لحن الجهاركاه يستعملون فيهِ ربع العجم بدلًا عن برج الاوج ثم ان نسبة الجهاركاه الى النوى كنسبة العجم الى الماهور ونسبة النوى الى الحسيني كنسبة الماهور الى الحيّر

والثامن « حجازكاه » وهو رست ثم نوى مظهرًا ثم حصـار ثم نوى مظهرًا ثم جهاركاه مظهرًا ثم بوسليك ثم تيـك زركلاه ثم رست ثم يكاه رست . هكذا رسمته علماء القسطنطينيّة . وفي هذا اللحن يُفسد برج الدوكاه وبرج السيكاه ويكون عوضًا عنهما التيك زركلاه والبوسليك والظاهر من هذا الترتيب انهُ ترتيب الابراج التي تلزم

١) ليكون البعد بين الماهور والنغمة الثانية كما هو بين النوى والحجاز اعني بهِ رُبعين فقط

لاجزاء لحن الحجاز (١ بعينها غير ان ربع الحجاز يكون نيم حجاز فاذا ترتّب على هذه الصورة وجُعل قرارهُ من على برج الدوكاه يتحصل المقصود وذلك اقرب فهماً ولا يُفسد فيه سوى برج واحد وهو الجهاركاه

والتاسع « شاورك مصري » وهو حسيني مظهرًا واخفاء النوى ثم عرباء اي نيم حجاز وبوسليك مظهرَين ثم دوكاه رست وقد كان الاحسن ان يكون من فروع الجهاركاه فتبقى فيهِ الابراج صحيحة (ستأتي البقيَّة)

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

١١ اخلاق اليزيديَّة وعوائدهم

ان اليزيديَّة يمتازون بالصدق في كلامهم والقيام بعهودهم. وانما هذه الخصال الحميدة فيهم لتحمُّسهم في دينهم خوفاً من انهم اذا كذبوا وخانوا عهدهم يُلعن طاووس ملك من جرَّاء ذلك. — واذا لعن واحدٌ امامهم الشيطان يغضبون عليهِ اشدَّ الغضب ولا يتركون اللاعن ما لم يقتلوهُ قتلًا ذريعاً. وقتلهُ واجب عندهم ذمَّةً اينما كان وحيثما يجدونهُ ووقتما تمكّنهم الفُرَص من الفتك بهِ. لا بل و يعدون قتله من اعمال البرّ السامية

واليزيديَّة يُجلُّون النصارى كل الاجلال ولا يتعرَّضون لهم ابدًا اللهمَّ ألّا اذا لعن النصراني الشيطان فحينئذٍ يُستحلُّ قتلهُ. لكنهم لا يذهبون ابدًا كنائس النصارى ليصلُّوا فيها بخلاف ما اوردهُ الكاتب الاديب كينه (ص٧٧٣) واذا ذهب النصارى عند اليزيديَّة ليزوروهم ينزلون ضيوفاً مكرَّمين فيقدّمون لهم انواع المرطّبات والفواكه. وتمرح البنات والنساء في الدار غير متحجبات او متسترّات كما يفعلنَ امام غيرهم

ومن عوائدهم الحلف وهم يحلفون بالله وبطاووس ملك وبالثياب السود وبلابسيها وبرؤوس أصحابها وهم لا يحنثون بيمينهم. واذا اراد الواحد ان يتأكد امرًا من صاحبهِ بغير طريقة اليمين يرسم حولهُ دائرة ويقول لهُ ها انت في « خيس يزيد » اي في دائرتهِ وطريقتهِ وسنّتهِ: فان كنت صادقاً في ما تقولهُ وتدَّعيهِ قُلْ: « اخرج من

---

١) والحجاز من الحان الدوكاه

خيس يزيد على انَّ ما اقولهُ هو عين الحقيقة ». فاذا كرَّر هذا المسجون في الدائرة هذا الكلام تحقَّق صاحبهُ انَّهُ لا يكذب. والَّا يفوه ببنت شفة وحينئذٍ يتحقَّق هذا الاوَّل كذب هذا الثاني. وليس من « الممكن » عندهم انَّ واحداً من اليزيدية يكذب بهذه الطريقة. وقد اورد كينه هذه الرواية بوجهٍ يُضحك منهُ فانهُ قال ما خلاصتهُ: اذا خطَّ الواحد خطَّة حول اليزيدي لا يعود هذا يخرج منها الَّا اذا عفَّى اثرها رجل آخر. وبذات الوقت اذا لعن الراسم الشيطان امام اليزيدي فاليزيدي لا يبدي حراكاً ولا يخرج من دائرته. (قلنا) والفرق بين الروايتين ظاهر لكل ذي عينين

وكل من كتبوا عن اليزيديَّة ذكروا عنهم امرًا منكرًا ليس موجودًا فيهم قطعاً بل في شيعةٍ اخرى تُسمَّى الشبك وهذه الفظيعة هي انهم يجتمعون ليلةً معيَّنةً عندهم في كلّ سنةٍ عند مدخل مغارةٍ سريَّةٍ يُحيونها في الاكل والشرب والقصف واللهو اكرامًا للطاووس الملك وهي الليلة المعروفة عندهم بليلة « الكفشة » ثم يختمونها بارتكاب أشنع المنكرات وأقبح المساوئ يندى لها جبين القلم حياء. (راجع كتاب الفاضل ڤيتال كينه ص: ٧٧ وغيرهُ). وقد أشاع هذا الخبر نصارى تلك النواحي بدون ان يتحقَّقوا ما يذيعونهُ عنهم. بل في سنَّتهم ان كلّ امرأة او رجل يزني بشخصٍ اجنبي عن ديانتهم قتلوهُ ان تمكَّنوا من اغتيالهِ. وإلَّا يُبسل ولو تاب توبةً نصوحاً. امَّا الذي يزني بابناء دينهِ فيعاقَب عقاباً شديدًا لكن لا يُقتل. واذا كان الرجل زنى بامرأةٍ مزوَّجةٍ فعليهِ ان يُرضي زوجها. امَّا اذا كانت ثيِّباً فالمرتكب الاثم يُرضي المتولي امرها بموجب حكم الامير. امَّا اذا وقعت المضاجعة بين الذكور او بين الاناث فقتل الاثنين واجب للحال. واذا لا يستطيع أفراد الحامَّة من الفتك بحياة المجرمين يُطرَد الاثنان من اليزيديَّة طردًا ابديًا ويُبعدان عن بلادهم. ومن هنا ترى ان العفَّة ونزاهة الأخلاق مشهورة عندهم

٢١ صنائعهم

ليس لهم شيء من الصنائع التي يمتازون بها. ولا عهد لهم بالبيع والشراء او التجارة لانهم يعلمون ان مثل هذه الامور تدفع الانسان الى الكذب والغشّ والمكر فتكون وسائط معقود بها السبّ واللعن والشتم ونحو ذلك راجعة اغلبها الى طاووس ملك ولهذا يجتنبونها كلّ الاجتناب عن بُعد كما عن قُرب. ويرتزقون من الحراثة



والزراعة وتربيــة الاغنام والانعام لا غيرُ

١٣ تثقيفهم

ان من نظر الى هؤلاء الاقوام وما عندهم من تشديد النكير على من يتفقَّه في امور الدين او يتعلَّم القراءة والكتابة يقول ان تخريجهم في اصول الدين المسيحي ضربٌ من المحال. وقد توصل مع كل ذلك الرهبان الكبوشيُّون في القرن السابع عشر الى هداية زعيمَيْن من زعمائهم الى الدين القويم وعمَّدوهما باسم بطرس وبولس مع ثلثة عشر شخصاً لكن ما عتمت ان ظهرت العداوة من جانب اليزيديَّة وانقطعت حبـال الوصال بين الطرفين. وفي هذه الايام قد عاد الامل بهدايتهم لانهم يكثرون التردُّد عند النصارى اكثر من سابق ويفضّلون معاشرتهم للرهبان الكلدان على سواهم. فتنصَّر على ايديهم جماعة منهم وهم لا يزالون الى يومنا هذا يردون هذا المنهل العذب ويرتوون من زُلالهِ الصافي الشافي نفساً وجسماً

١٤ اقسام قبائل اليزيدية

ويُقسم اليزيدية الى قبائل عديدة منها مستقلَّة بنفسها يسوسها اميرٌ مستبدٌ برأيهِ وحكمهِ. ومنها خاضعة للامير الاعظم. فمن هذه القبـائل قبيلة الشَّيخان والرُّوبَنشتيَّة والدُّنَاديَّة والقايديَّة والبَلْتينيَّة والرَمْكان والخَبصان والهُويريَّة والخالتـة والنافدنة والحِتاريَّة وغيرها وغيرها ممَّا لا يُعدّ ولا يُحصي. وكلهم يمتـازون بالحماسة والنخوة وشدَّة البأس والبسالة والإبلاء البـلاء الحسن في الحرب ولاسيما امراؤهم. ومن رذائل هذه القبائل الحسد فيما بينها واستسهال القتل. فكم من اخٍ اغتال اخاهُ وكم من ابٍ أَخمد انفاسَ ابنهِ وكم من ولدٍ ذعف والدهُ وكم من صديقٍ ضرب عنق حميمهِ وكل ذلك طمعاً برئاسةٍ او امارةٍ او نحوها. وقبل بضع سنين قتل حُسينُ بك ابنَ عمهِ جاسم بك. وحسنُ بك ابنُ حسين بك وهو ابن اخت جاسم بك المذكور ذبح حسينَ بك القاتلَ اخذاً بثأر خالهِ. وفي حادثة أُخرى قام ميرزا بك وقتل اخاهُ حسن بك وصار اميرًا وهو الى يومنا هذا امير اليزيديَّة. واذا اردنا ان نورد المقاتل والمذابح يُقتضى لنا كتاب برأسهِ. وبالاخصّ ان الاسماء لا تَكاد تخرج عن حدّ العشرة. ويظنّ القارئ ان هذه المذابح يقوم بها رجلٌ واحد لكن الحقيقة انما يأتيها رجال متعدّدون باسماء متشابهة

١٥ تقاطيعهم وسَحَناتهم

قد مرَّ بنا الكلام انَّ أَصل اليزيديَّة من عرب بلاد العراق والجزيرة ثمَّ انضمَّ اليهم عددٌ عديدٌ من اهل العجم حتى تغلَّب العُنصر العربي. وسَحَناتهم وتقاطيعهم وتؤيد هذا القول فانَّك ترى في أغلبهم مثلًا تقاطيع السلالة الهنديَّة الاوربيَّة من زاويةٍ وَجهيَّة تختلف بين ٧٠° الى ٩٠° وبشرةٍ بيضاء رقيقة صقيلة تتفاوت في اللون بين الابيض الوردي والأسمر البيّن السمرة. ووجوه اهل هذه السلالة مَسنونة (١ وقدودهم رشيقة مشيقة وجماجمهم مستديرة وعيونهم نجلاء بين شهلاء وشعلاء ودعجاء وانوفهم شمَّاء ولون شعورهم بين الاسود الفاحم والاشقر الذهبي الى غير ذلك من الفصول المشهورة في هذه السلالة الحسناء

وترى فيهم ايضاً تقاطيع العرب ممَّا هو مشهور بيننا من استدارة الوجه وسمرة اللون وسعة العينين وضخامة الانف وثخانة الشفتين المتوسّطة وسواد لون الشعر الحالك الى غير ذلك ممَّا هو معروف مألوف

ويُرى فيهم تقاطيع الكُرد وهو العنصر الذي دخل بينهم في هذين القرنين المتأخرين لتوسط بلاد هذا الجيل لبلاد اليزيدية لبلاد الفرس. قال المفضال ڤيتال كينه (ص ٧٧٥ و ٧٧٦) ما معرَّبهُ: « انَّ اليزيديَّة وان كان قد اعتبرهم المؤرخون الاقدمون وأغلب الرُّحل كما اوردناهُ سابقًا انهم من إِحدى القبائل الكرديَّة الاصليَّة الخمس وان لغتهم هي الكرديَّة فيُرى اليوم انهُ صعب لا بل من المُحال ان يُسلَّم بان هذا الذي تظهر على سيمائهِ جميع مُميّزات السلالة الهنديَّة الاوربيَّة انهُ اصليّ النشأة في تلك الارض بل يُظنّ ان اليزيدية هجروا بلاد الفرس عقب نشر راية دين الاسلام في تلك البلاد. لكن هذا لا يكفي لبيان انهم ليسوا كرداً بما ان كردستان القديمة كانت تشتمل قسماً عظيماً من جنوبي بلاد فارس

« هذا ويعترض قومٌ وهم الذين يوافقون اصحاب الرأي القائل بانهم من السلالة الهندية الاوربية انهُ يوجد في حضيض جبال حملايا جيلٌ من الناس يُعرفون باسم لبخوس

١) هكذا يُسمّي العرب الوجوه اذا كانت مخروطةً او جبينة البيضة وهي التي يُسمّيها بعض ضعفاء المعرّبين: البيضيّة الشكل وهو تعريب معنوي للفظة figure ovale وهي لم تَرِد عندهم ولا في كتبهم



او لبكوس (Lepchos) وقد ذكرتهم مجلة الرسالات الكاثوليكيَّة (الفرنسية) في عددها الـ ٩٥٦ الصادر في ٣٠ ايلول سنة ١٨٨٧ وعقائدهم تشابه كل المشابهة عقائد اليزيديَّة فاللبخوس يؤمنون كاليزيدية بمبدأين صالح وطالح ولا يترضَّون الّا المبدأ الشرير ولهُ يقدّمون الذبائح تسكيناً لثائر غضبهِ ويعتقدون بانهُ هو وحدهُ علة مصائب الناس كلها ». اه نقلهُ تعريباً عن كينه (١

قلنا وقد اثبتنا في صدر هذه المقالة سبب وَهم كتبة الافرنج في هذا الصدد. ولا حاجة الى إعادة ما ليس فيهِ زيادة افادة. غير اننا تريد هنا ان هؤلاء اللبخوس هم من أصل اليزيديين الموجودين في جبل سنجار ونواحيهِ لانهُ في القرنين التاسع والعاشر من التاريخ المسيحي لمَّا كثر اليزيدية في وطنهم ذهب دعاةٌ من هذه الشيعة ينشرون ألوية دينهم شمالًا وجنوبًا شرقًا وغربًا. ودُحروا كلهم دحرًا لغرابة دينهم وحيث لم يروا في البلاد التي وطئوها جبالًا يلجأُون اليها عند تضييقهم رجعوا بخُفَّي حنين الى من حيث أتوا واما في البلاد التي رأوا فيها وهادًا واوتادًا فتحصَّنوا في جوارها كما فعل أسلافهم في جبل سنجار. فالذين أمُّوا بلاد الشمال لاذوا الى فروع جبل كوه قاف (٢ وهم الى يومنا هذا موجودون هناك ويذهب اليهم كل سنة رسول من جبل سنجار تأييدًا لهم في دينهم. واما الذين ضربوا في الارض نحو الجنوب فاعتصموا بجبال حملايا وتحصَّنوا هناك لكن لمَّا اصبحت بلادهم بعيدة عن وطنهم الاصلي بقوا منفردين

---

١) قد تُرجم كتاب ڤيتال كينه الى التركية وهو يطبع الآن بامر الحكومة السنيَّة في الاستانة لكثرة فوائدهِ

٢) وهو جبل قوقاس عند العرب المحدثين آخذين هذه اللفظة عن الافرنج والاصحّ ان تُروى الاسماء الشرقية كما تروى عند اصحابها لا كما تروى عند الغرباء الاجانب وعليهِ فاللغة التي اوردناها هي اللغة المشهورة في بلاد فارس وزد على ذلك ان الكلمة فارسية لا روسيَّة كما توهمها البعض بل ولا افرنجية ولا من لغة أُخرى. ومعنى « كُوه » بالفارسية « جبل » و « قاف » هو جبل قاف المشهور عند العرب والعَجم ويسمّيهِ العرب ايضًا القيق والقَيق والفيق بفاء موحَّدة فوقيَّة وكلها على ظننا تصحيفات القاف وهو الاسم المشهور في بلاد فارس وعنهم اخذهُ العرب لان اولئك يزعمون ان القاف يحيط بالارض كلّها ويبتدئ في البلاد المسمَّاة باسمهِ كوه قاف (Caucase) ووجود هذا الجبل ليس خُرافيًا او تخيُّليًّا كما يظنهُ البعض بل هو عبارة عن سلسلة جبال الارض كلها التي تحيط بها احاطة الهالة بالقمر او السوار بالمعصم وهذا ما يتحقَّقهُ كل من يسرّح طائر بصره على رسم كرة الارض

عن اخوانهم . ثم فعلت فيهم طوارئ وطنهم الجديد كلَّ الفعل حتى كاد الفرع لا يشبه الاصل بشيء . ولا كأنَّ العصا العُصيَّة . وعليهِ فلا يمكن القول ابدًا ان اليزيدية المتوطنين في الجزيرة هم من أصلٍ هنديّ كما انهُ لا يُمكن القول انهم من اصلٍ كوه قافيّ بدليل انهُ يوجد عصابةٌ هناك من هذه الشيعة . بل الاحسن والاصحّ والاصدق ان يقال : ان ذينك الفرعين هما من هذا الاصل ليس الّا كما ان : « قصيرة من طويلة » فحرّر كل ذلك واحفظهُ حفظك الله (ستأتي البقيَّة)

المعلم الياس اده الشاعر

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

٢

وممَّا يروى عن المعلّم الياس في مدَّة اقامتهِ بحلب انهُ اتَّخذ لهُ حُبًّا (زيرًا) من الفخَّار كان يجعل فيهِ ماء فاذا برد الحُبّ تقطَّر الماء في اناء فيشرب من الماء المقطَّر فرارًا من الحبَّة المعروفة بحبَّة حلب فنجا منها بهذه الواسطة

ثمَّ حنَّ المعلِّم الياس الى وطنهِ وانتهز فرصة محاربة نابوليون لمدينة عكَّة وتضييقهِ على الجزَّار فعاد الى الشام ووجد انَّ الجزَّار استصفى كلّ املاكهِ في بيروت وهي اربع حارات عند باب الدركة . فذهب الى الجبل وسكن بيت الدين فاكرمهُ الامير بشير الشهابيّ ايّ اكرام . ثمّ تنقّل في لبنان الى وفاة الجزَّار وسكن في جهات جبيل مستخفيًا

وفي تلك الاثناء انتشبت حروب كثيرة في الجبل بين الامراء الشهابيين فاستنجد الامير عبَّاس ابن الامير اسعد الجزَّار لمحاربة الامير بشير الشهابي ليأخذ الامر لنفسهِ بدلًا منهُ . فتأهب الامير بشير لمقاتلتهِ واستعان بمشايخ الدروز والمتاولة وحضر اليهِ الامير سلمان واعيان بيت ابي نكد وبيت جنبلاط وجرجس باز الشهير وقاتلوا في طريقهم أنصار الامير عبَّاس من جملتهم عبد السلام مقدَّم حمَّانا ودُعيبس وغيرهما من بيت عبد الصمد فانشد الياس اده في ذلك :

هلك الشقاء مقدّمًا ومسبّقًا وابو دُعَيبس نال حتفًا ملحقا
وحماد يوسفُ ثالثٌ لهما فقُل أجلٌ قريبٌ نالهم متطرّقا
أودَوا وبادوا هالكين فارّخوا رهقوا بموتهم جحيمًا محرقا

ثمَّ التقى العسكران عند خان مراد وانتشب بينهما القتال فانكسر الامير عبَّاس سنة ١٢١٦ (١٨٠١م) وقال المعلم الياس يهنئ الامير بشير (من المتدارك):

بلِّغِ القومَ نصر ذوي الهممِ ظفر الباسل الشهمُ ذي العلَمِ
ثوَّر الهيجاءَ بجملتهِ شحن الآكامَ من الرِمَمِ
كم جال وصال على الابطا لِ كما الرئبال بلا وَهَمِ
سطعت كشهابٍ صوارمهُ تُبلي الارقاب بجزّهمِ
كبَّر الفرسانُ بغارتهِ وسعيرُ الصولة في ضرمِ
وزعيمُ خواصّ سعادتهِ كالباز يفجّر سَيل دمِ
بطلُ الاوصافِ ابو عساً فٌ شجاعٌ شهيرٌ في الاممِ
في حمى سيّدٍ واسعٍ فضلهُ فاق ارباب عصرهِ بالنعمِ
سطعت بلوامع غاربهِ مُهجٌ قد كانت في ظُلمِ
بدَّد الفرسان بجان مُرا دَ بما قد شاد من الهممِ
وتمزَّق شملُ العدوّ وقد ولّوا الادبارَ بخيلهمِ
دع عنك رسومَ غواية من اغراهُ الشكُّ الى الندمِ
وارتعْ برياض رعايتهِ فتنال جَدًا فيضهِ العمَمِ

وهي طويلة ومدح المعلّم الياس الامير بشير بقصيدةٍ حسنة وشكا لهُ بها احوالهُ واستعطف خاطرهُ وكان الامير منحرفًا عنهُ منذ سنين:

بشراك قد وافى البشيرُ بمجدهِ في ابترٍ ملك الورى بفرندهِ
يحكي فراسةَ عنترٍ وجوادهُ ينبيك عن قهر العدوّ وصدّهِ
بِلِواهُ سعدٌ باهرٌ وبكفّهِ نهجُ العلى ونوال غاية قصدهِ
ما كلُّ من رام العلى نال المنى شتّان ما بين الحسام وغمدهِ
كم ساد آساد الورى بمكارمٍ ومحامدٍ تُطري بناطق مجدهِ
ورعايةٍ وبراعةٍ قلْ عنهُ قد فاق الورى شرفًا بطالع سعدهِ
خاض الوطيس بصارمٍ لا ينثني ردَّ الجحافل خيفةً من حدّهِ
منهُ النجا وعليهِ تعويل الرجا وبهِ لجا مَن أمَّ ساحل رِفدهِ
يا سيّدًا بل يا اميرًا عاهلًا أنقذني من مضض الزمان وكدّهِ

فلقد ابى دهري النجاح ولم أرَ الّاك يا من راق منهل وردهِ
انّ الوشاة هم العداة بمكرهم باتوا على عكس المقام وطردهِ
لا تصغِ للواشي ورُدّ خداعهُ واعلم حقيقة صادقٍ من ضدّهِ
فيلوح دينارُ اليقين بصحّةٍ وافوز حظاً من مدارك نقدهِ

فرضي منهُ الامير بشير واخذه في خدمتهِ. وقيل انهُ خرج يوماً الى الصيد بصحبة الامير المذكور وبينما هما في نزهتهما واذا بوافدٍ قدم على الامير واخبرهُ بوفاة الجزّار. وكان الجزّار في آخر حياتهِ بالغ في الظلم وعصى على الدولة السنيَّة فاوعز الامير بشير الى المعلم الياس بان يقول ابياتاً في موتهِ فقال على البديهة وضمَّن ابياتهُ تاريخ وفاتهِ سنة ١٢١٩ (١٨٠٤ م)

وافى السرورُ وصحَّ ترجيحُ الاملْ بهلاك علجٍ لا يعادلهُ مثَلْ
عينُ المآثم والمظالم والردى شرُّ العوالم ان تفكَّر او عملْ
كذب اسمهُ لا يحمدنَّهُ ناطقٌ اذ كان في ثوب المساوئ قد رفلْ
جزَّارُ سمّي للفضائل جازرًا مهدي ولكن بالرذائل محتفلْ
بحياتهِ كان الغلا ثمَّ الوبا والقحطُ والجورُ الذي لا يُحتمَلْ
وبموتهِ زال العنا يا حبَّذا هذا المُنى غاب التعدّي والوجلْ
حاز القدَرُ عند ملكٍ يجتدى فيض المهالك في جحيمٍ لم يزلْ
لله دركُ يا منونُ لقد بدت منك الحياة وطاب حكمك واعتدلْ
فاز الانامُ وارّخوهُ بمقصدٍ هلك الشقيُّ والى جهنمَ قد رحلْ

وقال ايضاً في ذلك:

اتى الاقبالُ بالأمن الوفيرِ فكن فرحاً وذا بصرٍ قريرِ
وزال الهمُّ والاتراحُ عنَّا وبتنا في ربى روضٍ نضيرِ
لقد وهبتْ لنا الأيّام حظّاً سعيدًا لا يُعادلُ بالنظيرِ
فطبْ نفساً وزد لله شكرًا أتى الفرج القريبُ من القديرِ
وكلُّ الناس تطربُ من سرورٍ بعلم هلاك ذيّاك الوزيرِ
لحاهُ الله من طاغٍ تجنّى بجورٍ طال مع ظلمٍ خطيرِ
فلا يرحمْ لهُ الرحمان روحاً هوت في النار عاجلة المسيرِ

وقال ايضاً:

حمدًا لربٍ قد اراح عبيدهُ	من شرّ ذاك الظالم الجبَّارِ
قد عاد تجديد السرور بموتهِ	وبهِ زوال الضيم والاكدارِ
بمنيَّة الجاني الاثيم المعتدي	لرقاب اصناف الملا جزَّارِ
وافى منيَّتهُ بشهر محرَّمٍ	فيهِ جرى امر الاله الباري
في فتوح ذلك حُقق تاريخهُ	يكبو اللعين مُخلَّدًا بالنارِ

وقد اكثر شعراء ذلك العصر بين مسلمين ونصارى ويهود من هجو الجزَّار نخصُّ منهم بالذكر السيد فخر الدين الدمشقي اذ قال:

بشرًا لكم ايُّها الاقوام بالفرجِ	بهلاك من كان ذا بغيٍ وذا عوجِ
من كان معتسفًا بالجور ملتحفًا	بالظلم متَّصفًا لم يخشَ من حرجِ
لا رحمةٌ تدرك الجزَّار حيث أتت	منهُ البلايا وكم أخنى على مهجِ
فكم فظائع ابداها بلا حذرٍ	وكم شنائع أسداها ولم يعجِ

وفي تاريخ الامير حيدر قصائد غير هذه لشعراء كثيرين لا يسعنا ذكرها لضيق المقام

٣

ثم عاد المعلّم الياس الى بيروت بعد وفاة الجزَّار واخذ يسعى في استرجاع املاكهِ واملاك اقاربهِ التي ضبطها الجزَّار بعد فرارهِ منهُ. فاستفكَّ اموال اهلهِ في الجبل بهمَّة الامير بشير. امَّا اموالهُ في بيروت فطلبها ابنهُ ناصيف من خليفة الجزَّار عبد الله باشا وبيَّن لهُ انَّها ملكٌ شرعيٌّ اشتراهُ ابوهُ بمالهِ الخاصّ وليس لأحد عليهِ حقّ او دين. فامر عبد الله باشا بان يُردّ لهُ مالهُ فرجع الى بيروت واستلم الاملاك الّا انَّ قومًا من اهل الفساد اقنعوا عبد الله باشا بان يجعل هذه الاملاك مالًا اميريًا (بيكليك) ففعل بعد مضيّ ٣٨ يومًا من تسليمها الى صاحبها

وعاش المعلّم الياس مدَّةً في بيروت الى ان أتاهُ كتاب من متسلّم طرابلس مصطفى اغا بربر وكان من اصدقائهِ ينبئهُ بان يذهب الى حماة ويدخل في خدمة الملّا اسماعيل الكردي صاحب حمص وحماة لأنَّهُ كان في حاجة الى كاتب ماهر. فقام الياس اده من وقتهِ وشخص الى حماة ودخل على الملّا اسماعيل. فرحّب بهِ اسماعيل وقرَّبهُ منهُ وكان يحبُّ العلماء والادباء لاسيَّما الشعراء فمدحهُ المعلّم الياس بقصيدة عامرة الابيات سُرَّ

اسماعيل لاستماعها غاية السرور وجعلهُ كاتباً اوّل (باش كاتب) في ديوانهِ. وبقي يكتب لهُ مدّة خمس سنوات بنشاط وامانة لا مثيل لهما

وفي غضون حلولهِ في حماة أرسل المعلّم الياس الى أحد كهنة الجبل فاحضرهُ وعمّر لهُ معبداً كان يقدّس فيهِ. ومن ذلك الوقت اخذ الموارنة يسكنون في حمص وحماة ويتمّمون فروضهم الدينيّة في المعبد الذي اقامهُ لهم المعلّم الياس

ثمّ حصل في سنة ١٨١٠ بين يوسف باشا كنج حاكم الشام والامير بشير خصام كاد يعكّر مياه السلام لولا توسّط الملّا اسمعيل الكردي بينهما وكان اسمعيل صهر يوسف باشا فارسل من قبلهِ المعلّم الياس اده الى دمشق وأرسل الامير بشير كمعتمد المعلّم جدعون الباحوط علّهما يحلّان المشكل بالتسوية والصلح. فابى يوسف باشا وتهدّد الامير بشير بالحرب الّا انّ المعلم لم يزل يداريهِ حتى تمكّن بذكائهِ من فضّ المسألة سلمياً

فشكر الامير بشير المعلّم الياس حُسن مساعيهِ وكان هذا الامير منذ ابتعاد الياس اده الى حمص يتلهّف عليهِ ويتنسّم اخبارهُ ويترصّد الفرصة ليستكتبهُ عندهُ فلمّا وجدها بعث الى الملّا اسماعيل برسالةٍ يثني بها على كرمهِ ويطلب منهُ صديقهُ الامين فشيّعهُ اسماعيل بالاكرام اللائق وعاد الياس الى سيّدهِ السابق وعاش في حماهُ

ولكن ما كاد يستقرّ قدم المعلّم الياس اده في دير القمر حتى غلت مراجل الحسد في قلوب اعدائهِ فسعوا بهِ الى الامير بشير وساموهُ خطّة خسفٍ حتى اعارهم الامير سمعاً واعياً وامر المعلم الياس ان يسكن بعبدا هو وعيالهُ. الّا انّهُ جعل لهُ راتباً معلوماً كان يدفعهُ لهُ سنويّاً. فعاش المعلم الياس قرير العين ساكن البال مع عيالهِ في دار كبيرة عمّرها في بعبدا وهي معروفة الى يومنا هذا. وفيها توفي سنة ١٨٢٨ ولهُ من العمر ٨٥ سنة. وقُبر في بعبدا امام باب الكنيسة وعلى ضريحهِ تاريخ صنّفهُ الشيخ ناصيف اليازجي الكاتب الشهير وكان وقتئذٍ في شرخ شبابهِ يتردّد على المعلم الياس ويتخرّج عليهِ بآداب اللغة :

حكم الالهُ بما ارتضى واختار للفردوس عبدَهْ
والحالُ قال مؤرخاً هذا رضى الياس ادّهْ

وابقى المعلم اليـاس بعدَهُ رسائل وكتابات عديدة وديوان شعر فيهِ نظم حسن

الّا ان هذه الآثار ذهبت فريسة الحريق سنة ١٨٤٠ لمَّا هجم الدروز على بيت اولاده في بعبدا فقدم اولادهُ بيروت وسكنوها

٤

وقد بقي لنا من شعر المعلّم الياس اده بعض شذراتٍ متفرّقة في الكتب الخطّيّة او محفوظة في ذاكرة الشيوخ الذين عاشوا بعدهُ بزمنٍ قليـل وفي نظمهِ اغلاط نحويَّة وخلل في الوزن الّا ان معانيهُ حسنة ويعذرهُ انَّهُ لم يتخرَّج في المدارس بل قال الشعر عفوًا هدتهُ اليهِ فطرتهُ السليمة وذكاء عقلهِ. فمن ذلك قولهُ مؤرخًا مولد السلطان سليم الثالث ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) :

لمَّا بدا بدر العـلى في ذروة المجد العظيمْ
والسعدُ قد عمَّ الملا أرَّخت محفوظٌ سليمْ

وينسب لهُ قولهُ في ولادة السلطان مراد سنة ١٢٢٦ (١٨١١ م)

سُلطاننا المحمود في اوصافهِ فخر الملوك وسيّد الافرادِ
الله أسعدنا بمولودٍ لهُ قد جاء يحيي دولة الاجدادِ
بالتسع من ذي الحجّة اعتلنت لنا بشراهُ واحتاطت بكلّ بلادِ
لمَّا تهنَّا الكون فيهِ جاء مَن صار يؤرّخ موقع الميلادِ
فتراهُ في بيتين شعر فيهما سرٌّ بدا للماهر النقَّادِ
في كلّ شطرٍ منهما تاريخهُ جاء جليًّا كامل الاعدادِ
وبمهملات حروف كلٍّ منهما تجد الحساب متمَّمَ التعدادِ
وكذاك معجم كلّ بيتٍ فيهِ تا ريخ صريح للنواظر بادي
وكذا حسابُ العجم فيهِ وكيفما قلَّبتهُ تُهدى لخير رشادِ
وبذاك يعلن سرّهُ الخـافي الذي فيهِ المعاني بالبيان تهادي
« صَدعُ الدهور لآل عثمانَ انجلى خاصًا لرؤيا جوهـر الاولادِ »
« كم قلتُ مع صدق الرجا لمديحهِ محمود مجدٍ هاك خيرَ مُرادِ »

وقال في الامير بشير لمَّا اطلق لحيتهُ سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م):

فريدُ العصر مولانا المفـدَّى بشيرُ الأمن زيَّنهُ الجمالُ
وجُمّعت المحامدُ فيهِ حتى لنور شهابهِ سجد الهلالُ

ومذ ابدى محيّاهُ عذارًا فنادى أرّخوا «ظهرَ الكمالُ»

وقال مؤرّخًا ارتقاء الحبر النبيل المطران بطرس كرم المارونيّ اللّة البسكنتاوي المولد الى كرسي بيروت سنة ١٨١٩:

فازت بنو مارون فانشدهم وقُلْ يا مدنفين الروح نلتم للشفا
أبدوا السرور مؤرّخين لانهُ بطرسْ اتى بيروت حبرًا كالصفا

وكان المعلِم الياس اده من اصدقاء الشاعر المطبوع نيقولا الترك فكتب اليهِ سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) يهنئهُ بولادة ابنهِ فتح الله وكان المعلِم الياس وقتئذٍ مقيمًا في بيت الدين عند سعادة الامير بشير. والتاريخ مسيحيّ:

قد سرّني فرعُ النباهة والادبْ لا زال في عين الصيانة والمدَدْ
فالله يبقيهِ ويبقيكم لهُ حتى تروا من نسلهِ وَلَد الولدْ
وليَ الهناء فأرّخوا لكم اسمهُ بشراكَ فتح الله بالانس اتّلدْ

وكتب لهُ ابياتًا اخرى ضمّنها تاريخًا هجريًّا:

اخلاّي وافى الانسُ واليمنُ والهنا بمولودِ من قد فاق بالنظم والنثرِ
بديع الزمان الفرد تركيّ عصرهِ فهنّوهُ بالافراح والمجد والبِشرِ
وفي طالع الاقبال والسعد أرخوا لقد جاء فتح الله في اجمل النصرِ

فاجابهُ الشاعر نيقولا الترك بهذه الابيات:

لا فُضّ يا شحرور عصرك فوك ما طال الزمان وطابتِ الانفاسُ
تُفدى بروحي يا مطوّق مو لودي بعقدٍ حار فيهِ الناسُ
فالدرُّ يُحسدُ نظمهُ ويغارُ من زاهي سنا بهجتهِ الالماسُ
تاريخك الشادي بفتح الله قد سرّ الفؤاد فزال عنهُ الباسُ
فعساهُ يحيي حيث جاء مهنّئًا بقدومهِ الخضرُ الهمام اليَاسُ
واسلم ودم ما قد اضا بدرٌ وما بزغت لديهِ الانجم الحرّاسُ

وأردف قولهُ بهذين البيتين يهنئهُ بحظوتهِ لدى الامير بشير:

هنيئًا لعينيك اللتين تمتّعا برؤيا شهاب الدين ربّ الملاحةِ
فنُبْ يا ابن ودّي عن اخيك مقبّلًا سنا راحةٍ هي عين روحي وراحتي

وكتب ايضًا اليهِ هذه الابيات مع هديّة من التفّاح ويشير في قولهِ الى رجل

اسمهُ بلبـل كان أتاهُ ببشرى الولادة :

هنّيتني يا خلُّ عن نجلٍ اتى فليهنك المولى بعمر اكملِ
وتُسرّ قلباً في الفروع ونسلهم وتقرُّ عينك في البنين وتمتلي
لا فهتَ الّا بالمسرّ وهكذا في الصبح كان البشر لي من بلبل

وكتب ايضاً :

انَّ البشارة منك عبَق نشرها كنفيس نشر عبيق ذا التفّاحِ
فاستنشقنهُ ثمَّ كلهُ بصحّـةٍ مقرونةٍ بتداوم الافراحِ

ومن اقوال الياس اده المشهورة ما كتبهُ تاريخاً لوفاة بطرس ثابت جدّ المرحوم يعقوب ثابت :

لا تحزنوا يا آل قوم عشيرتي انَّ البقا في الدهر ماضٍ فائتُ
الموت حتمٌ للبرّية شاملٌ كلُّ ابنِ انثى لا محالة مائتُ
وكفى يقيني حيثُ تاريخي روى اني على ايمـان بطرسَ ثابتُ

وأرّخ ايضاً وفاة المرحومة منصورة حرمة بطرس ثابت المذكور بقولهِ :

انَّ التقيّة بالثرى قد أُدرجت وسعت لتلك الغـاية المأثوره
طوبى لنفس ارّخوها ببرّها ولجت لجنّة ربّها منصوره

ومن ظريف نكتهِ ما رثى بهِ صديقاً لهُ اسمهُ ابراهيم بلغـهُ خبر وفاتهِ وكان لابرهيم اخٌ اسمهُ يحيى فقال على البديهة :

مات ابراهيم خلّي آهِ وا اسفي عليهْ
ليتهُ قد كان يحيى ورحمة الله عليهْ

وخلّف المعلّم الياس اولاداً صالحين اكبرهم ناصيف وكان بارعاً في الكتابة خدم الامير بشير مدّةً بوصاةٍ من ابيهِ ثمَّ انتقل الى خدمة الامير حيدر في بكفيا . ومن اولادهِ ابراهيم الذي درس في عين ورقة وصار كاهناً سنة ١٨١٨ وتسمّى بجرجس. واشتهر بفضلهِ وفضيلتهِ وحسن سياستهِ وكان ذا غيرةٍ عظمى على خير النفوس لا يملّ من ارشادها بمواعظهِ وامثالهِ الصالحة . ومنهم بشاره وهو والد حضرة الاب جبرائيل ادّه اليسوعي اشتهر بعمل الخير . ومنهم جرجس وفضل الله ولطف الله . وهؤلاء الثلاثة كانوا يتقنون الطقوس الكنسيّة وكلّهم ذوو اصواتٍ جميلة . وللمعلّم المذكور ايضاً ابنة

تدعى مريم اقترنت بسعد الباحوط في قرية بعبدا لا يزال يذكرها من عرفها ويطنب في تقاها وحسن سيرتها وكانت امهم من بيت الجميّل من بكفيا . وكان للمعلم الياس اخ اسمهُ ابراهيم يُعدّ من فرسان عصرهِ الّا انهُ كان امّياً لا يحكم الكتابة وتوفي قبل المعلم الياس

هذا ما حصلنا عليهِ من ترجمة احد فضلاء الموارنة وان شاء الله سنواصل العمل في كتابة تراجم مشاهير بلادنا من كلّ الطوائف لاسيما الذين عاشوا قبل زماننا لئلاَّ تُفقد اعمالهم . ونرغب الى قرَّائنا الكرام ان يؤازرونا على اتمام هذا المشروع ويبلّغونا ما تتوصَّل اليهِ يدهم من الافادات عن اعيان بلادهم وكبار أُسرهم الذين برَّزوا باعمال الخير او برعوا بالتآليف الادبيَّة والدينيَّة او اشتهروا بخدمة وطنهم فيبقى اسمهم مخلَّدًا في صفحات التاريخ والواح القلوب ويكونوا مثالًا يأتسي بهم آل عصرنا الى كل عمل صالح ومشروع خطير والسلام

الحرب ومؤتمر السلم

للشاب الاديب عبد الله افندي رزق الله شارّ احد مأموري معيَّة ولاية بيروت الجليلة (تتمَّة)

٣

في كلّ حربٍ مُحقِّقٌ ومحقوق . فمَن الغالب منهما في هذه الحروب الثلاث ؟ تطوي الغلبةُ في الحرب عن المنطق كشحًا فتكون دائمًا حليفةَ القوَّة وأليفة الغنى . كأنَّ الغالب لم يظفر الَّا لكونهِ وليَّ الحقّ وفقًا لمبدإِ السياسيين : القوَّة تغلب الحقّ . (La force prime le droit) وبعبارةٍ اخرى : الحكم لمن غلب

تلك سنَّة المخلوقات منذ البدء . بلا حقٍّ يفترس القويُّ الضعيفَ ويَخضع الصعلوك للجبَّار . وفي حكاية الذئب والخروف للناظم الشهير لا فونتن عِبرةٌ واعظة

والحرب لعمر الحقّ نارٌ حامية يلتهم لهيبُها اليابسَ والاخضر ويعمّ بلاؤها القريبَ والبعيد ويكسر ثقلها في ذرع الغالب والمغلوب . تضعضع دعائم المجتمع الانساني وتحلّ عصمةُ . تنقض حبل التجارة والصنائع المتنوّعة وتقصّ جناحها . تمثِّل بالامم وتريهم من الذلّ والهوان أشكالًا وألوانًا . وقد تجرّ بعض الحكومات الى الانحطاط وغيرها الى اللاشاة والاندراس فضلًا عمَّا يتحمَّل المتقاتلون من العناء والمشقَّات في ساحات المعامع حيث يقتل الرجل اخًا لهُ في الانسانية لم يذق من قبلُ حلوهُ ولا مُرَّهُ

فتبيَّن لك مما سبق ان انواع الحرب الثلاثة قُدَّت من اديم واحد وشُقَّت من نبعةٍ واحدة. تفدح القوم بالمؤن المجحفة والكلف الباهظة وتذهب بالملايين المقنطرة فضلاً عن تقهقر الزراعة والصناعة والتجارة وسفك دماء الوف الالوف من الرجال وضياع اوقاتهم الثمينة. وعليهِ طالما اجتهد بعض محبّي السلام لنزع السلاح من ايدي اخوانهم فشكّلوا على اختلاف نِحلهم الجمعيات الادبيَّة والمحافل العلميَّة. وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل هذه الأمنيَّة. فكتبوا المجلّدات الضخمة وألقوا في نوادي اوربَّة الخطب الرنّانة محرّضين فيها الدول على تشكيل محكمةٍ كبرى ترجع اليها في الاختلافات السياسيَّة. والمنازعات القوميَّة

واشهر هذه النشريات السلميَّة « رسالة المصالحة الدائمة » (١ للراهب دو سَن پيار (De S[t] Pierre) في اوائل العصر الثامن عشر عقيب مصالحة اوترَخت الشهيرة. واساس فكر الكاتب توحيد حكومات اوربَّة وتشكيل محكمة دائمة من سفراء الدول المتَّحدة تفصل صلحاً الاختلافات الدوليَّة الداخليَّة والخارجيَّة. فترتفع بذلك ليس فقط المحاربات الخارجيَّة بل ايضاً الحروب الاهليَّة. وقد نسب الراهب المومأ اليهِ هذا الفكر الى هنري الرابع ملك فرنسة المشهور. لكن ثبت لنا في يومنا ان هذا الخيال لم يعلق وقتئذٍ بوهم الملك المشار اليهِ لمكانتهِ في السياسة واقتدارهِ في الادارة بل انَّهُ ايجاد خيال وزيرهِ الدوق دو سولّي (De Sully)

وفي سنة ١٧٩٥ نشر قانت (Kant) الفيلسوف الالماني الشهير رسالة في المصالحة الدائمة بحث فيها عمَّا يحتاج اليهِ المجتمع الانساني من الشروط والتدابير اللازم اتّخاذها لرفع الحرب وتوطيد السلم الدائمة قال: « يتعذَّر توطيد السلم الدائمة ما لم تنبذ الدول افكارها الخفيَّة بتكرار استعمال الوسائط الحربية في المستقبل. ما لم تترك قطعياً اماني الفتوحات. ما لم تعدل عن الدَّين والاستقراض. ما لم تحدْ عن المداخلة الجبريَّة في امور الدول الأُخر واصول ادارتها. ما لم تسدّ كل ابواب المداخلات العدوانيَّة في المقاولات والمعاهدات الدوليَّة ». وقد اشار قانت في هذه الرسالة على الحكومات ان تتخذ « حقوق الدول » (droit international, dr. des gens) دستوراً لفضّ المشاكل وحلّ عقدها. ولو شئنا تعداد الآثار في هذا الباب لضاق بنا

(١ Projet de traité pour rendre la paix perpétuelle.

المقام. على ان تكليفات جميع محبي السلم تنحصر في ثلاثة اشياء: الغاء قاعدة المداخلة الجبريّة في امور الدول الداخليّة. ترك التسليحات والغاء اصول العساكر الدائمة. تشكيل محكمة دوليّة تحسم جميع الاختلافات القوميّة التي من شأنها ان تسبب الحروب والمقاتلات

٤

بيد انّهُ رغماً عن هذه المساعي الخيريّة لم يزل

السيف اصدق انباء من الكتبِ في حدّهِ الحدُّ بين الجدّ واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهنَّ جلاء الشكّ والريبِ

وفي الحقيقة ان هذا الفكر طالما صدر من بعض الافراد والجمعيّات الخصوصيّة بقي في عالم الوهم والخيال. فلمّا جاهر بهِ قيصر الروسيّة مؤخّرًا دخل في طورٍ آخر اذهل العالم اجمع

يعلم قرّاء الجرائد ان الكونت موراڤيف وزير خارجيّة روسية ارسل بايعاز نيقولا الثاني في ٢٤ آب سنة ١٨٩٨ بلاغًا رسميًّا الى سفراء الدول الاجنبيّـة في بطرسبرج يدعيها الى محافظة السلم العمومية وتقليل التسليحات التي بلغت حدَّ الافراط واثقلت على عاتق الامم فسحقتها وانذرت بالويل وسوء المصير. فاسرع بعضها الى اجابة القيصر وتردّد البعض في قبول هذا المشروع الغريب المقترح من صاحب اكبر الجحافل وأعظم القوّات. وما لبثت الدول المتردّدة بعدئذٍ ان قبلت الدعوة فقرَّ الرأي العام على تشكيل المؤتمر في مدينة لاهاي عاصمة هولاندة

وعليهِ فلا حاجة الى بيان ما صادف اقتراح جلالة عاهل الروسية من حسن القبول بين الامم المتمدّنة والى وصف ما خالج صدور الجميع من السرور والابتهاج. فكان لصوت جلالتهِ طنين في انحاء المعمورة يبشِّر الناس بالسلام والرفاه والراحة العموميّة. ولكن ما من احدٍ ينكر انَّ هذا المشروع الخيري لم يزل في مهد الطفوليّة وربّما ابقتـهُ على هذه الحالة المطامع الدولية ومصالحها المتباينة. فيكون كعين الماء النـابع قُرب بُحيرة يُنظَر الى ما سيصير اليهِ في المستقبـل من الاتساع والطول فتتعلّل النفس بسقي الاراضي وارواء الزرع وحمل القوارب والجواري الى غير ذلك من الآمال والاماني. فلا يلبث ان ينقلب هذا المهد الى لحدٍ وان يموت هذا الكبير صغيرًا. فتبتلع البحيرةُ النبعَ

الحديث السنّ . فنعود الى ما كنّا عليهِ

قال البارون شتهنكل مندوب المانية في مؤتمر السلم : « اذا تركنا الحكم في نتائج السلم الدائمة من حيث منفعتها ومضرَّتها للمدنيَّة وبحثنا في المسئلة من وجه آخر قضينا بسَيْر هذه التمايلات الصلحية على غير هدى وبلا مقصد ان لم نقل انها حركات صبيانيَّة . لان الوصول الى هدف الآمال قبل وقوعها مُحال بالنظر الى التخمينات البشرية . على ان الكائنات في حركة متمادية كلها جدالٌ ونزاع . فتبقى هذه المجادلات والمنازعات بين المخلوقات ما بقيت الارض . والافراد كذلك في حال الخصام الدائم(١) . ويدوم هذا الجدال والنزاع في الارض ما برح الانسان انساناً شديدَ الحرص متباينَ المنافع والآمال »

وقال الكردينال فلوري جوابًا على رسالة سَن پيار المذكورة آنفًا : « يستحيل اجراء احكامها ما لم يصفَ جميعُ الناس السريرة ويُحسنوا الطويَّة فيعجز محبُّو السلم عن رفع الحروب لوحدهم »

وكتب ايضًا في هذا المعنى العلَّامة الشهير ليبنتيس (Leibniz) الى احد اصدقائهِ قال : « وقفت على رسالة سَن پيار في السلم الدائمة . فذكَّرتني عبارة « السكون الابدي paix éternelle » التي تُحفر على ابواب قبور بعض الكنائس . نعم ان كانت الاموات في غنى عن الجدال والنزاع فالاحياء اعتقادًا منهم بان الحكم للغالب لا يصيخون سمعًا الى حكمة القبور »

قال احد الالمان : « علَّق مروّجو السلم الدائمة آمالهم في اجراء احكامها على شروط غريبة هزليَّة منها ارجاع ولايتي الالزاس واللورين الى فرنسة وغير ذلك من الاحلام والاماني . وعليهِ ستبتدئ هذه السلم بحروب مدهشة

٥

اذا وقع خلاف بين الافراد وعجزوا عن فصلهِ صلحًا تحكم المحاكم الحليَّة بينهم بالقسط وتعطي لكلّ ذي حقٍّ حقَّهُ . ومع هذا فلا ريب انهُ من المستحيل رفع المدافعة الشخصيَّة بين البشر . والقوانين الموضوعة ذاتها تصوّب لحدٍّ ما مدافعة النفس . ولكنَّ هذه الحال معدودة من الامور الاستثنائيَّة

(١) يشير الى قول دَرْون المشهور : la lutte pour la vie

امّا الاختلافات الدولية فلا تُحسم هكذا لعدم وجود قوّة عالية تفصل النزاع وتحكم بين الحكومات . نعم تدّعي الحكومات المتمدّنة باتخاذ « حقوق الدول » دستوراً لسياستها . ولكنّ هذا الادّعاء لعمر الحقّ اوهى من خيط العنكبوت . وهاك ما كتبهُ فردريك الكبير ملك بروسية بخطّ يدهِ الى معلمي كليَّة الاشراف في برلين : « على استاذ حقوق الدول ان يُفهم الطلاَّب وَهنَ قواعد هذا العلم الخيالي وعدم اهميَّتهِ وانَّ الحكومات والملوك واولياء الامر مع بسط الكلام عن قواعدهِ في محرَّراتهم السياسيَّة ومعاملاتهم الرسميَّة لا يحجمون قطّ عن خرق هذه القواعد والعمل بخلافها »

واقوال مشاهير السياسيين وافعالهم في هذا الباب اكثر من ان تُعدّ . ألا ترى في قبول مندوب بلغارية مثلاً في مؤتمر السلم سياسةً خرقاء لهذه القواعد القاضية صريحاً بتحديد صلاحية الحكومات غير المستقلة في الامور الخارجيَّة ؟

وعليهِ فكَّر البعض في توحيد كافة الحكومات وتشكيل محكمة دائمة فوقها تحلّ بتاتاً كل الاختلافات الدوليَّة فلا تترك للحرب سبيلاً . ولكن فاتهم ان الدول لا تُسأل عمَّا تفعل . هي الخصم والحاكم وخلاف ذلك مُنافٍ لصفة الحكومة . فيتعذَّر اذن تشكيل هذه المحكمة وحسم الخلاف على هذه الصورة

نعم ان المسائل الجزئيَّة تُفضّ بعضاً بواسطة الحكَم كما جرى ذلك في كثيرٍ من المسائل السياسيَّة وعليهِ يمكن تشكيل هيئات حكَميَّة من معتمدي الدول المتحايدة تحسم الخلاف برضى الطرفين ولكن الخلاف فيما يتعلّق بحياة الملّة وشرفها وعر المسلك دون فصلهِ خرطُ القتاد يُلجأُ اكثريًا فيهِ الى الصارم البتَّار

وقال ايضاً البارون شتهنكل : « ليس بوسع احد من البشر ان يطمس حقيقة وجود حكومات مستقلّة متباينة المنافع والغايات . وعليهِ لا ترضى قط دولة قويّة آخذة في النموّ ان تعتزل من سلاحها امام خطر يتهدّدها وعدوّ يفاجئها ام منفعة تتطلّبها

ولهذا سواء كان التكليف من القيصر او غيره لا يقتدر مؤتمر السلم ولن يقدر على توطيد السلم الدائمة وربَّما اسفر عن تشديد الخطر لا عن تخفيفهِ لتصادم الافكار المتضادَّة والآراء المتضاربة »

ولا يخفى عليك ان الدول لن تنزع السلاح كليًا لامنيَّة داخليَّتها ومحافظة مستعمراتها فلو افترضنا اتفاق آراء مندوبيها في مؤتمر السلم على تقليل التسليحات وتحديدها

فكيف يعيّنوا مقدار تسليحات كلٍّ منها ومَن يناظر على اجراء احكام المؤتمر ويراقب حركات الحكومات . أليس هذا الامر وحدهُ داعياً الى الجدال . أليست هذه الشرارة كافيةً لاضرام نيران الحرب .

جاء في احدى الجرائد الالمانية مقالة للمعلم شتورف تحت عنوان (تكليف نزع السلاح وحقوق الدول) قال فيها : « ان اجراء هذا التكليف منافٍ لحقوق الدول الجارية في زماننا ومخالف لقاعدة الاستقلال وحقوق الملك حتى ان هيئة الحكومات المتّحدة اذا ارادت مراقبة قوّات قسمٍ منها يستحيل عليها ذلك ما لم تتداخل في شؤونها الداخليّة »

لا انكر انَّ الحكومات الحاليّة اتفقت في كثير من المسائل الدوليّة كالبريد والبرق ومنع المرميات الانفجاريّة وتشكيل الجمعيّات الخيريّة وحقوق الحرب البريّة والبحريّة والحصار (blocus) الى غير ذلك من المهامّ . بيد إنهُ من الحقائق الراهنة وجود مشاكل اخرى مُعضلة لم تُحلّ حتى يومنا وتحت رمادها نارٌ حامية تتهدد العالم اجمع . فمن الغريب والحالة هذه ادّعاء بعض السياسيين بتمايلات العصر الحاضر الى الصلح والسلم الدائمة مع ان جوّ السياسة لم يتعكّر حتى الآن مثل تعكّره في هذه السنين الاخيرة

نعم من المحتمل ان اسباب الحروب القديمة قد رُفعت الآن ولم يبقَ لها مجال في عالم السياسة . لكنَّ ذلك لا ينفي وجود منافسات شديدة بين الاقوام الحاضرة ولا يمنع حدوث حروبٍ جديدة ترتعد لها الفرائص . فان كلاًّ من الدول المعظّمة لا تكتفي باجراء نفوذها في اوربّة فقط بل تصرف عنايتها الى تأييدهِ وتوسيعهِ في العالم اجمع . ألا ترى في المسابقات الاقتصادية وحدها وميضَ نارٍ محرقة وفي سياسة اميركة الشماليّة الجديدة ما يدعي الى القلق والاضطراب ؟

فكيف لا نخشى فشل المؤتمر وقد تخلّل ضجّات السرور من السلم ضجيجُ مجالس الشيوخ والنوّاب في طلب تزييد القوى الحربيّة . رأينا الفرنسيس والالمان حتى الروس انفسهم بعد اقتراح القيصر يتجارون في توفير معدّات القتال نرى ترساناتهم غاصّةً بالبوارج ومعاملهم بالاسلحة وثكناتهم بالرجال . سمعنا بين خطب مندوبي مؤتمر السلم وهتاف الجمهور وزيرَ بحريّة انكلترة المستر غوشن يقول في مدينة شيفيلد : « فلتزد قواتنا

لان الذين يندّدون بما ننفقهُ لزيادة قواتنا البحريَّة والحربيَّة لا يعرفون شيئاً من سياسة فرنسة والمانية الاستعماريَّة .» وصل الينا مع بُشرى افتتاح المؤتمر ونغمات اعضائهِ المطربة صراخُ الفنلانديين وجعجعةُ سلاح الروسيين في جبال البامير . نرى الآن الروسيَّة بخيلها ورجلها على ابواب بكين عاصمة ابن السماء . اطّلعنا على افكار البارون شتهنكل مندوب المانيــة في هذا المؤتمر فاذا بهِ ميَّال الى الحرب مغرمٌ بفوائدها معتقدٌ بانها الواسطة الوحيدة لبقاء المانية ونموّها . وقيل انَّ القيصر استاء من تعيينهِ . انبأنا البرق اخيرًا بتلبُّد الغيوم في سماء سياسة افريقية الجنوبيَّة وبتكدّر صفائها .. ما بال النمسة تجرّب مدافعها الحديثة الكثيرة الطلقات ؟ ما بال الفرنسيس والانكليز يجدّدون بنادقهم ؟ ما بال الحكومات تداوم عمل المدرَّعات الضخمة ؟ ما بال جواسيس الدول يطوفون البلاد ويتسلَّقون شوامخ الجبال ليسبروا غور الحصون والقلاع ؟ ما بال الحكومات تبذر المال مدرارًا في البلاد الاجنبيَّة لحيلةٍ تدسّها وهدفٍ ترمي اليهِ . ما بالها . . . أهي في ريبة من نجاح مؤتمر السلم ؟ أتشكّ في نيَّات اولياء الامور ؟ أتقول مع بعض الحكماء ان الحرب داء عقام وعُضال . تبقى على الارض ما اختلف العصران . وكرَّ الجديدان . فتتجهَّز لتكون بمأمن من بغتات العدوّ وفجآتهِ

لا ريب ان السلم الدائمة منيعة المطلب بعيدة المتناول دون تحقيقها اختلاف العادات والمشارب . تباين المدنيَّة والحضارة . تزاحم المنافع والمكاسب . غايات في النفوس وحزازاتٌ في الصدور الى غير ذلك من المشاكل العديدة . وعليهِ سوف يرى مندوبو الدول في تحقيق هذه الامنيَّة كؤودًا باهرًا وهدفًا طروحًا ان لم نقل برقًا من الامل خُلَّبًا . وقائلٍ تُرى ما القصد من تشكيل هذا المؤتمر ان لم يكن تخفيف اوزار الحروب وتوطيد اركان السلم الدائمة ؟

تلك لعمري مُعضلة اعقدُ من ذنب الضبّ وهاك ما سنح لنا من الافكار في هذا الشأن: ١ً كلٌّ يعلم ان الروسيَّة وجَّهت همَّتها في هذه السنين الاخيرة الى اعمار سيبيرية واصلاح مفاوزها الوسيعة . فمدَّت ذلك الخطّ الحديدي الجسيم الى اراضي الصين وربَّما توصلهُ ببكين مطمح نظرها . بيد ان المهامّ الخارجيَّة تشغلها عن هذا المشروع وتبتلع الاموال المُعدَّة لاجرائهِ فضلًا عن ادراكها لزوم ترقية بلادها الجسيمة مادّةً ومعنىً . فعمدت حينئذٍ الى دفع الحوائل في سبيل مشروعاتها الخطيرة وحوَّلت



انظار اوربة الى لاهاي بينما تجري هي مقاصدها بمعزلٍ عن الرقيب وسكونٍ وتأني . وفي هذه الخطّة يدٌ بيضاء لسياسيي الروس على الفرنسيس حلفائهم . فتسود السلم ريثما تنتهي جلسات المؤتمر كما انبأتنا الجرائد بامكان انعقاده ثانيةً في العام المقبل . فتفتح فرنسة ابواب معرض العصر العشرين بأمنٍ من لواذع الدهر ولوادغهِ

٢ً من المعلوم انَّ تصادم الافكار يُظهر غالبًا بارقة الحقيقة . فلعلَّ الروس يقصدون من تشكيل هذا المؤتمر تجسُّس سياسة الدول واستكشاف مقاصدها

٣ً رأينا من السياسة في هذه الازمنة روايةً غريبة الموضوع والمقصد فعسى انَّ جوقة المندوبين ينوون تمثيل فصلها الاخير في قصر « بيت الحراج » البديع بين نغمات السلم والحان الطرب . فوراء الاكمة ما وراءها . والزمان كشّاف السرائر

هذا وقد انعقد المؤتمر في الثامن عشر من ايار الماضي بين مُقدمٍ ومحجم وحضرهُ نوّاب الدولة العليَّة واسبانية واسوج والمانية وايطالية والبرتغال وبريطانية وبلجكة والبلغار والدغرك وروسيَّة ورومانية والسرب وسيام وسويسرة والصين وفرنسة ولكسمبرج والنمسة وهولندة والولايات المتحدة واليابان . فانتخب اعضاؤهُ الرؤساء العاملين والفخريين وقرَّروا نظاماته الداخليَّة وقسموهُ الى ثلاث لجان . الاولى للبحث في مسئلة نزع السلاح او تحديد مقداره برًّا وبحرًا . والثانية للبحث في قوانين الحرب وتحويرها تخفيفًا لويلات الحرب وتقليلًا لمضارّها . والثالثة للبحث في انشاء محكمة دوليَّة تفصل بالتحكيم اختلافات الدول وخصوماتها . وقد قُسمت كلّ لجنة الى اقسام مختلفة

فاجتمع اعضاء المؤتمر مرارًا وتذاكروا مليًّا في المواضيع التي قرّروا البحث فيها ولكنَّهم سدّوا ابواب القصر ونوافذه امام المتطلّعين اليهِ فلا يترشّح منهُ الّا ما ندر . وهنا لا يسعنا السكوت عن ذكر رأي احد كبار السياسة في هذا المؤتمر . قال ما ملخَّصهُ : « ان تكليف نزع السلاح هو مولود فكر القيصر . بيد ان هذا المولود نحيف الجسم ضعيف البنية لا قِبلَ لهُ على المعيشة الآن في ارضنا . لكنَّ الدول احترامًا لصاحبهِ جارتهُ في فكرهِ فسارت بهذا المولود الى حدائق هولاندة الغنّاء لتدفنهُ فيها بما يليق بهِ من الاكرام والاجلال » ومع هذا فان لم يكن للمؤتمر المذكور وبلٌ فطلٌ لانهُ ألقى في الهيئة الاجتماعيَّة الحاضرة بذر السلام والوئام وعليهِ فخليق بان يدوَّن ذكرهُ في خاتمة تاريخ العصر الحالي بماء الذهب . على ان نحو قصر لاهاي تمتدّ الآن الاعناق وتطمح الابصار

افادتنا الاخبار الحديثة والمقالة تحت الطبع ان مؤتمر السلم قد انهى اعمالهُ وقرَّر في جلستهِ الاخيرة المنعقدة في ٢٩ تموز الامور الآتية وهي:

اولًا ان سبع عشرة دولة قد وافقت على منع ارسال القذائف من المناطيد وست عشرة على منع القذائف التي ينبعث عنها دخان وروائح خانقة وخمس عشرة على منع الكرات التي تنسطح عند اصابتها الجسم (وهي رصاص دم دم من غره ٤)

ثانيًا وافقت خمس عشرة دولة على معاهدة جنيف وعلى حقوق وواجبات المتحايدين واحترام الاملاك الخصوصيَّة والتئام مؤتمرات جديدة لتعميم احكام معاهدة جنيف على الحرب البحرية الخ

ثالثًا ان ست عشرة دولة وقَّعت اهم الاتفاقيات الثلاث اي الاتفـاق على التحكيم:

الوساطة. ان الدول رغبةً في تلافي الحروب تتعهَّد بالالتجاء الى وساطة دولة او اكثر من الدول المصافية لها. وللدول حقٌّ بتقديم وساطتها للحكومات الواقع بينها الخلاف دون ان يعتبر ذلك كعمل مخلٍّ بشرائط الصداقة

رابعًا ان الوساطة ليست ذات صفة اجبارية فلا تقف في وجهِ التأهُّبات الحربية كما انها لا تمنع اطراد اسباب العداء. واذا حصل التوسط قبـل مباشرة الاعمال العدائيَّة فلا يمكنهُ ان يؤَجل افتتاحها الى اكثر من ثلاثين يومًا

لجنة التحقيق الدولي. متى قُصد الحكم في نقطة خلافيَّة يمكن ان تؤلف لجنـة دوليَّة للبحث عن موقع الخلاف. وعلى الدولتين المتنازعتين ان تدافع كل منهما عن حقوقها امام اللجنـة المذكورة. غير ان الحكم الذي تصدره هذه اللجنة لا يكون ذا صفة اجباريَّة بل يترك للدولتين تمام الحريَّة في القتال او عدمه

التحكيم الدوليّ. ان الدول تعتبر التحكيم انجع وسيلة لتلافي الخلاف الحاصل او المزمع الحصول اما الحكم الذي يصدرهُ المجلس المحكّم فانهُ يجبر الدولتين اللتين اختارتاهُ لفصـل ما بينهما من الخلاف على الخضوع والعمل بمقتضاهُ

وقد أُقيم مجلس دائم للتحكيم مع مكتب دائم لهُ في مدينة لاهاي. فعلى كل دولة بعد مرور ثلاثة اشهر من التوقيع على البند الحاضر ان تعيّن اربعة فقهاء ليكونوا اعضاء في المجلس المذكور لمدَّة ستّ سنوات

على ان الالتجاء الى التحكيم هو مسألة اختياريَّة. ويمكن للدول المتنازعة ان تختار لها محكمين يفصلون ما بينها من الخلاف من غير اعضاء المجلس المذكور

اما عمل المحكمين فيتضمَّن الاستنطاق والمحاكمة ويجب ان تكون المحاكمة علنيَّة اذا رضي المتخاصمان واما المذاكرات فيجب ان تكون سرّية. وينبغي ان يكون الحكم مدعومًا بالادلَّة وغير قابل الاستئناف. ولا يعاد النظر في امر ما لم تظهر براهين جديدة

هذا بالاختصار خلاصة ما عملهُ مؤتمر السلم

الجلسة الختامية. بعد ان قرئت في هذه الجلسة رسالة ملكة هولندة الى قداسة الحبر الاعظم وجواب قداسته عليها لفظ المسيو دي ستال خطبة الوداع قائلًا:

ان المشروع الذي اتممناهُ لم يبلغ حدَّ الكمال كما كنا نشتهي ونريد ولكنهُ مبني على قواعد العمل والحكمة والخلوص وهو يوفق بين مبدأين هما اساس حق الامم اعني سيادة الحكومات والتضامن الدولي

ويؤكد في هذه الازمنة الجديدة ان الاعمال المتولّدة عن حاجة الاتفاق يجب ان تتغلَّب ولا نكير ان مهمَّة المؤتمر كانت من المهمات العظيمة التي يترتَّب عليها فضل كبير

وعلى اثر هذا الخطاب اعلن المسيو دي ستال قفل المؤتمر واقبل الاعضاء يودّعون بعضهم بعضاً

فيظهر من نصّ العقد النهائي ان المؤتمر السلمي لم يأتِ بالامر العظيم والفائدة المقصودة كما توقعنا ذلك. وطّد الله دعائم السلم لراحة العالم من قوارع الحروب وآفاتها

القوى العاقلة في الحيوان

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

طالما حاول المادّيون ان يساووا بين الانسان والبهيمة فبخسوا من حقّ ذاك ورفعوا لهذه رأساً حتى خفنا ان يصدق فينا قول الكتاب (مزامير ٤٨: ١٣): «كان الانسان في كرامة فلم يفهم فماثل البهائم وتشبَّه بها» او قل بالاحرى انهُ آثرها على نفسهِ وانتمى اليها كما ينتمي الابناء الى آبائهم ويفتخرون بمآثرهم الخطيرة

هذا واننا لم نكن لنتوقَّع ان احدى المجلات الادبيَّة التي يتباهى بنورها شرقنا العزيز منذ نحو سنة تكسف ضياء صفحاتها باثبات ما يعضد مثل هذه الاقاويل السخيفة. ولعلَّ المقالة المعنونة «القوى العاقلة في الحيوان» لا تبلغ من حيث التشيُّع للآراء الدروينيَّة ما بلغتهُ غيرها من المقالات الكفريَّة بيد انَّ لها في نفوس القرَّاء وقعاً اسوأ لبروزها في مجلَّة يعتبر القوم صاحبها كمثال الفضل وقد قيل: سهو العالِم يزلُّ بهِ عالَم

١ واوّل ما نأخذ على مقالة «الكاتب الفاضل خليل بك سعد» ما وسم بهِ نبذتهُ حيث دعاها «بالقوى العاقلة في الحيوان» فنسأل جنابهُ ان يفيدنا صريحاً ما يفهم بهذه القوى العاقلة في البهيمة أيُريد العقل نفسهُ او بعض القوى التي تدلّ على انَّ للحيوان شيئاً من النباهة والذكاء فان اراد العقل لم يبقَ بين الانسان والبهيمة فرقٌ يُذكر اللهمَّ الَّا في الكم والكيف وهذه أعراضٌ لا تفصل بين الناطق وغير الناطق فصلاً جوهريًا والحيوان بترقّيهِ المتلاحق سوف يبلغ ما بلغهُ الانسان وان كان ذلك بعد

كرور ادهار عديدة. وقد زاد بعضهم قحَةً فصرَّحوا انَّ الانسان نفسهُ احد هذه العجاوات نشأَ فترَقى الى مرتبة الناطق فلِمْ لا يصيب بقيَّة الحيوان ما اصابهُ احدها احسن حظّاً منها ؟

وان قال صاحب المقالة انَّه اراد بعنوانهِ ذكر بعض خواصّ الحيوان تشهد للبهيمة بالذكاء والنباهة اساء في اختيار اسم مقالته. اذ لا تُدعى هذه القوى عاقلةً لكن غريزة طُبع عليها الحيوان يدعوها الفلاسفة القوَّة الوهميَّة

٢ ان جاوزنا اسم هذه المقالة الى تصفُّح مضمونها وجدناها مبنيَّة كلها على هذا المبدأ الوحيد: انّ للحيوان اصواتًا وافعالًا واخلاقًا تقضي العجب فللحيوان اذن قوى عاقلة

(قلنا) انَّنا نسلِّم بالمقدَّمة وننكر النتيجة. امَّا تسليمنا بالمقدَّمة فهو امرٌ اضوأ من الشمس قد لحظهُ البشر منذ اجيال متتالية قبل اشياع دَروين وأنصار البهائم ويكفي للوقوف على صحَّتهِ ما كتبهُ الفلاسفة الاقدمون سواء كانوا من اهل الشرك او اصحاب الدين المستقيم او الآباء القديسين ولكثير منهم مصنَّفات واسعة نبَّهوا فيها على عجائب المخلوقات وغرائب طبائع الحيوان. ولكن اين ذلك يا تُرى من القوى العاقلة التي تدرك جواهر الامور دون ظواهرها. تفرز بين الكليَّات والجزئيَّات. تعقل الامور التي لا تقع تحت الحسّ الى خصائص اخرى عديدة ذكرناها في ردّنا على المقتطف (المشرق ١ : ١٠٠٩) حيث زيَّفنا رأيهُ السفسطيّ في العقل البشريّ وكان حاول ان يجعلهُ كمجموع افعال الدماغ فليراجع

وهب انَّ للحيوان اصواتًا عديدة يبرزها عند شعورهِ ببعض شؤونهِ لتعريف ضروريَّاته كجوعهِ وعطشهِ وانعطافهِ على صغيرهِ وارتياحهِ الى صاحبهِ أفيُعدّ ذلك لغة اي نطقًا يبرز فيهِ عن حكم كالعاقل ؟ فهيهات بين هذه الاصوات البهيميَّة وابسط حُكم يتركَّب من مبتدأ وخبر بقصد الاسناد يتلفَّظ بهِ ولد صغير من ادنى طبقات المتوحّشين كقولهِ : « انا جائع »

فان كانت اصوات الحيوان لا تدلّ على عقلها أفترى في اعمالها ما يشهد لها بالتعقُّل ؟ كلَّا لعمري ثمَّ كلاً فان اعمال الحيوان مهما كانت عجيبة انما هي غريزة طبعها فيها الخالق لا تتلقَّنها من الابوين بل تُرشد اليها من فطرتها وهي تجري عليها جريًا



واحداً لا تختلف عنهُ الّا في بعض امور طفيفة تُحوجها اليها احوال الزمان او المكان ذلك سيرها منذ اوّل الخليقة الى يومنا وعليهِ فانّنا نُنكر كلَّ الانكار ان في اعمال الحيوان ما يدلُّ على الترقّي والكمال لاسيما الكمال الارتقيّ الذي لو صحَّ وجودهُ في الحيوان لأضحى أعلى رتبةً من الانسان والانسان كما لا يخفى لا يرث من ابيهِ الّا ما يتعلّق ببنية جسمهِ وتركيب اخلاطهِ

٣ امّا القوى الادبية التي اراد صاحب المقالة ان يثبتها للحيوان فانّها محض اختلاق وسفسطة ليس الّا فانَّ الاعمال التي ذكرها و يشاهدها الجميع في الحيوان لا تدخل البتّة في باب الآداب وانّما هي احساسات وشعائر لا تتجاوز نواميس البهائم

أمّا معرفة الحيوان بالخير والشرّ والعمل بالواجب على مقتضى حكم الذمّة والقيام بما تفرضهُ الشريعة وما شاكل ذلك فانَّ بعدهُ من البهميّة كبعد الثريّا عن الثرى لا يقول بهِ الّا من فقد البصيرة وتعنّت في سبيل الضلال وقانا الله شرّهم

هذه عجالةٌ اسرعنا الى كتابتها والمجلّة ماثلة للطبع وان شاء الله سنعود الى هذا المبحث الجليل عند سنوح الفرصة . وفي ما قلنا كفاية لتفنيد مزاعم خليل بك سعد وتزييف النتيجة التي ختم بها مقالتهُ « ان المبدأ العقلي عامٌّ في جميع انواع الحيوان وانَّ العجماوات منهُ تشترك في كلّ ما يفتخر بهِ الانسان من الحواس والبداهة والقوى المختلفة » (الضياء ص ٦٧٩) والعياذ بالله من هذا القول

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

الطبقة الثالثة (91ᵛ) (١

قد ذكرنا اصول البيت في الطبقة الاولى ثمَّ ذكرنا فروعهُ في الطبقة الثانية وذكرنا من عاصرهم وجعلنا اعمدة الطبقة الثانية ناصر الدين الحسين. اذ هو كبير البيت والمشار اليهِ في زمانهِ ونذكر الآن ولد ناصر الدين الحسين وفروع بيتهِ وهي الطبقة الثالثة ثمَّ نذكر معاصريهم وهم اولاد المذكورين في الطبقة الثانية لينتظم سلك ذكر السّلف على

---

١) ظهر الصفحة (90ʳ) بياض في الاصل

المطابقـة والمعاصرة ومناسبة الترتيب وما توفيقي الّا بالله

الامير زين الدين صالح ابن الامير ناصر الدين

كان والدهُ ناصر الدين لمّا جاوز الثمانين قد ضعفت حركتهُ وقصرت همّتهُ فنصب ولدهُ زين الدين مكانهُ وترل لهُ عن اقطاعهِ طلباً للراحة فتولّى الامارة في عهد ابيـهِ وكان عمرهُ نحو خمس واربعين سنة . فاحسن في قومهِ السياسة وسادهم بجميّـة الرئاسة فحسنت سيرتهُ وانقاد اليهِ اهلهُ وعشيرتهُ فحذا حذو والدهِ ونسج على منوالهِ

وقد رأيت خطّ ناصر الدين بالنزول عن اقطاعـهِ لولدهِ زين الدين المذكور من مضمونهِ انّهُ ينزل عن اقطاعهِ لولدهِ بحكم ان يقضي ديونهُ ويقوم بكلفتهِ وكلفة عائلتهِ باقي عمرهِ . تاريخهُ شهر رمضان سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م)

ثم عاش ناصر الدين بعد نزولهِ لابنهِ عن اقطاعهِ سنتين وخمسة وعشرين يوماً وعاش زين الدين ولدهُ بعدهُ نحوًا من (٧ ١٩) ثماني وعشرين سنة وجاوز عمرهُ سبعين سنة فعل بها فعل والدهِ ونزل عن اقطاعهُ لولديهِ وهما شهاب الدين احمد واخوهُ سيف الدين يحيي وجعلهُ فيهما بالسويّة بمنشور واحد واشترط انّ من تُوفّي منهما قبـل اخيهِ يورث نصيبهُ لاخيهِ من غير تجديد منشور ثانٍ . وتاريخ هـذا المنشور بحكم النزول السادس عشر من جمادى الآخرة سنة اربع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٣ م)

واخبرتني امّ نجم الدين زوجة زين الدين المذكور قالت : « قبل نزولهِ عن الاقطاع نوى ان لا يقسمهُ بين اثنين من اولادهِ . ثم ثنى عزمهُ عن ذلك ونزل عنهُ لولديهِ مناصفة كما ذكرنا » . ارادت بقولها ان الاقطاع يكون بكمالهِ لصهرها يحيي فسلك زين الدين الواجب وجعلهُ بين الاخوين مناصفةً ولم يلتفت الى ما سوى ذلك . ومع انّ احمد كان الاكبر فقد ميّز الاصول الطيّبة وكره الاصول الرديّة سالكاً بذلك طريقـة ابيهِ ناصر الدين . وكان زين الدين شديد الغضب حسن الرضى حازماً في قمع ذوي المفاسد ساعياً في سدّ الخلل والاصلاح فحسنت سيرتهُ وساد قومهُ

ذكر حوادث جرت في ايّامهِ

من ذلك حادثةٌ جرت في حياة والدهِ ناصر الدين (١ في ليلة الخميس في الثالث

١) راجع اخبار الاعيان ص ٢٣٦

والعشرين من ربيع سنة خمسين وسبعمائة (١٣٤٩ م) وذلك ان الجبغا المظفَّري نائب طرابلس وصل الى دمشق ليلًا بمرسوم مزوَّر عن السلطان وقبض على نائب الشام ارغون شاه وقتلهُ وامراء الشام (92ʳ) يظنُّون انَّ ذلك بمرسوم السلطان. ثم رجع نائب طرابلس الى طرابلس وعصى بها

ثم بلغ الشاميين قصدُ توجُّه نائب طرابلس الى الساحل وكانت دمشق بغير نائب. فارسل الشاميون الى زين الدين مرسومًا رأَيتُ عليهِ اربع علامـات وهي علامات المملوك مسعود بن الخطيريّ والمملوك طيدمر الحاجب والمملوك الجبغا والمملوك ملك آص[١] من مضمونهِ انَّ المرسوم الشريف وردنا بامساك الجبغا نائب طرابلس وامساك مملوكهِ تمربغا وجماعة مماليكهِ ومن كان معهم في تلك الحركة من الجراكسة. وان يتقدَّم بحفظ دربند نهر الكلب ولا يمكِّن المذكور من العبور فيهِ

فتوجَّه زين الدين وضبط دربنـد نهر الكلب ومنع نائب طرابلس من العبور ثم حضرت عساكر الشام فقبضت عليهِ ووُسّط تحت قلعة دمشق ومعهُ اياس الحاجب

وفي ايَّامهِ في سنة خمس وسبعين وسبعمائة (١٣٧٤ م) أُقطعت فطورة (كذا) البلاد لسيف الدين كبطق (؟) الرمَّاح معلم الجامكية السلطانيَّة الاشرفيَّة وأفتى بذلك الائمَّة وكانت تلك القضيَّة صعبة فسعى فيها زين الدين وابطلها بعد تعب وغرامة غرمها من مالهِ لم يكلِّف فيها احدًا ولا درهمًا فردًا. ثمَّ اقطعوها في ايَّام الملك النـاصر فرج بن برقوق. ثمَّ أُبطلت كما سنذكرهُ ان شاء الله فيما بعد

ومن الحوادث خروج صاحب قبرس واخذهُ الاسكندريَّة واحتراز النـاس منهُ على السواحل فحصل بذلك تعب لاصحـاب الدرك بالسواحل واكثرهم تعبًا امراء الغرب لانهم أَلزموهم بالسكنى في بيروت والركوب ليـلًا ونهارًا (92ᵛ) فوجدوا بذلك مشقَّة كبيرة. وقصـد يلبغا الكبير المتكلِّم عن السلطان في ذلك الزمان ان يحارب قبرس ويأخذها وشرع في عمارة شواني وحمَّالات وارسل بيدمر الخوارزمي الى بيروت في سنة سبع وستين وسبعمائة (١٣٦٦ م) ليعمِّر بها عدَّةً كثـيرة من الحمَّالات والشواني وجعلوا اقامة العساكر الشاميَّة في بيروت بالبدل وقد تقدَّم ذكر ذلك في اخبار بيروت[٢]

١) وفي اخبار الاعيان (ص ٢٣٦) انَّ اسماءهم: ابن الخطيري وبيدمر ويلبغا وملك آص

٢) راجع المشرق (١ : ٢٨٦)

فازداد تعب امراء الغرب وكبرت كلفتهم على العساكر وكابدوا الامور بمشقّة زائدة وعناء ونصب فاعانهم الله على ذلك. وكان كما بدأ هذا الامر قد تكلّم تركمان كسروان عند بيدمر بكلام كثير وجعلوا لهُ الف رجل من الدرك ليدخلوا قبرس وقالوا لهُ انهم تعلّموا اعمال كثيرة تمكّنهم منها. فدخل كلامهم في ذهن بيدمر وساعدهم على قصدهم وتوجّه بعضهم الى مصر ورسم لهم بكتابةِ مثالات باقطاعات امراء الغرب

وكان قد توجّه الى مصر لهذا السبب الاميران سعد الدين خضر ابن عمّ زين الدين المذكور وسيف الدين يحيي ابن زين الدين فاجتمعا بالقاضي علاء الدين فضل الله كاتب السرّ بمصر وكان واصلًا عند الامير الكبير يلبغا فمثلا امامهُ وساعدهما وقال: «هؤلاء غرس الملوك الاوائل ان كان فيهم نفع فقد استحقُّوا بهِ اقطاعهم وان لم يكن فيهم نفع فحاشا لله ان يبطل في ايّام الامير الكبير معروفٌ اسداهُ لهم الملوك الاوائل». وعند ذلك رسم بتمزيق مثالات التركمان وامر بان يستقرّ (93 ^v^) امراء الغرب على اقطاعاتهم

ولمّا قصد سعد الدين وسيف الدين العود الى بيروت عرّفهما علاء الدين بن فضل الله انَّ قصدهُ عمارة خان الحصين (كذا) وان يكون زين الدين ملاحظًا في عمارتهِ وطلب اليهما ان يجهّزا لهُ ما وجدا من الخطوط المنسوبة ففعلا ذلك

وكان علاء الدين المذكور من كتّاب الخطّ المنسوب في الاقلام السبعة. وكان اوقف على خان الحصين المزرعة المعروفة بجرن الدبّ فتغلّب عليها اولاد الحمراء وجعلوها لهم. فلمّا استقرّ بيدمر في بيروت لعمارة الشواني عجز تركمان كسروان عمّا يُطلب منهم على خاصّة اقطاعهم (كذا) وعن القيام بخدمة بيدمر فهربوا الى الروم وشكر الناس لامراء الغرب. وارسل بيدمر كتابًا الى الامير الكبير يلبغا يثني عليهم. وقد تقدم من ذكر عمارة بيدمر للمراكب ما يغني عن اعادتهِ هنا

ووقفتُ على مرسوم من ملك الامراء منجك نائب الشام الى غرس الدين متولي بيروت من مضمونهِ ان يطلب جمال الدين حسّان ويأخذ سيفهُ ويرسم عليهِ ويقابلهُ اشد مقابلة على سوء ادبهِ نحو الجناب الزينيّ امير الغرب وكذلك لمحمّد بن قرياش والخليل ابن سعدان وكتابهُ إشهاد عليهم وعلى جماعتهم بالركوب والنزول معهُ ولا يتوجّه احد منهم من بيروت الّا باذنهِ وان لا يفارقوا خدمة المذكور ليلًا ولا نهارًا ومتى فعلوا

غير ذلك كان عليهم خمسون الف درهم لاصطبلات خيول البريد. تاريخهُ سنة سبعين وسبعمائة (١٣٦٩ م) (١ (93v)

وكان لمنجك بزين الدين عناية تامَّة ويقرّب مقعدهُ عندهُ وكان اذا حضر زين الدين الى دمشق يرتّب لهُ سماطاً وعليقاً واذا قصد الرجوع الى البلاد يخلع عليهِ منجك الخلع السلطانيَّة من طرد وحش وحياصة وشاش بطرفين (٢ او ممَّا لبس منجك وبعد لبس الخلع كان يعطيها تفاصيل حرير وغيره برسم هديَّة للحريم

وسمعتُ من كان يقول عن زين الدين انَّهُ لمَّا اختفى منجك استتر عندهُ وانَّ ذلك كان بواسطة بهادر أُستداره لانَّ بهادُر المذكور ربي عندهم مدَّةً ببيروت وكان ارمني الجنس ثمَّ ارتقى من استداريَّة منجك الى استداريَّة السلطان بمصر. والحوادث في ايَّام زين الدين كثيرة اختصرتُ منها على ما ذكرتهُ

وكان زين الدين مقصدًا للوارد والصادر ومدحهُ الشعراء بقصائد كثيرة فمن ذلك ما ذكرهُ محمد بن عليّ بن محمد الغزّي في مقامتهِ المذكورة بعد فراغهِ من مدحهِ لناصر الدين والدهِ فقال: «واماً فرع اصلهِ الكريم. ووارث مجدهِ الصميم. نجمٌ اشرق في سماء معاليهِ. وغصن اورق في دوحة جدهِ وابيهِ. الجناب الزيني زان الله باشراق طلعتهِ السعيدة افق المحافل والجحافل. وجعلهُ لقضاء حقوق المعالي خير كافٍ كافل. صالح كاسمهِ وفعلهِ. زينٌ كفرعهِ واصلهِ. قد جمع فضيلتي السيف والقلم. ومن اشبه اباهُ فما ظلم. والشبل في المخبر مثل الاسد (94r):

فرعٌ زكا من خير اصلٍ طاهرٍ	ما زال يُثمرُ بالمنايا والمُنى
يُخشى ويُرجى سطوةً ومكارماً	ويرى الثناء اعزَّ شيءٍ يُقتنى

وقال محمَّد الغزّي المذكور عند ما انهى ذكر اقارب ناصر الدين الحسين واخوتهِ وولدهِ: «فهؤلاء الذين ذكرتُ بعض وصفهم. وعطَّرتُ مجلس أُنسكم بطيب عرفهم. هم امراء الثغر وساداتهُ. ورعاة سرحهِ وحماتهُ

من تلقَ منهم تقلْ لاقيتُ سيّدَهم	مثل النجوم التي يسري بها الساري

١) جاء في هامش الكتاب ما نصهُ: «وكان عليّ بن ارسلان بن مسعود كثير الكلام والقلقلة وكان يوشي في حقّ زين الدين المذكور بالكذب ويرميهِ بالباطل فمسكهُ واهانهُ فكتب عليهِ اشهاد بسوء سيرتهِ وتوبتهِ عنها سنة اربع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٣م) ٢) راجع المشرق ١ : ٣٢

أما سمعتَ من عبد اياديهم · جامعًا ذكر نداهم وناديهم

ان تخشَ بأسًا او ترجُ بذل ندًى مضاعف المنّ غير ممنونِ
فلُذْ بارضٍ جنابها حرمٌ ما بين اعبيهِ وعرامونِ

ولعمر ابيكم انهم احقّ بقول حسّان:

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ احسابهم شمُّ الانوف من الطراز الاوّلِ

وما نطق شاعر بلدي · الّا بما كان في خلدي · اغنى بهِ الغزّي عن الغزّي الاوّل الشاعر المشهور والأولى بالمعنى من القائل عن نفسهِ فهو اقرب:

قومٌ اذا قُوبلوا كانوا ملائكةً حسنًا وان قُوتلوا كانوا عفاريتا

والأليق بمجدهم · قول عبدهم:

تقاصر فهمي عن وصفهم فماذا يقالُ وماذا اقولُ (94)
جبالٌ تسيرُ شموسٌ تنيرُ اسودٌ تصول سيولٌ تنيلُ »

ولمحمّد الغزّي في زين الدين اشعار كثيرة وكذلك لغيرهِ اختصرتُ ذكرها · فمن شعر الغزي قولهُ من قصيدةٍ:

ان اذنبتْ بالصدود مُعرضةً فقلب مشتاقها يسامحها
زاد سناهـــا سنا الوجود كما قد زانها زينها وصالحها
مكارمٌ في تواضع وعُلىً يكلُّ عنها في الوصف مادحُها
ونفسُ حرٍّ ترتاح ان تعبت في كسب حسن الثنا جوارحها
وهمّةٌ همُّها بلا مللٍ مصالحُ الغير لا مصالحها
وراحةٌ راحةٌ للائمها يفوزُ باللمس من يصافحها
لهُ محيًّا تُحيي بشاشتهُ فالشمس فيها منها ملامحها
هانت عليهِ بأسًا ومكرمةً دنياهُ حتى لم يُخشَ فادحُها

ولهُ من قصيدةٍ أخرى:

وحقك انَّ الغدر شينٌ وفاسدٌ وصالح زين الدين زينٌ وصالحُ
تقيٌّ نقيُّ الجيب للعيب ساترٌ ولكنّهُ للغيث بالجود فاضحُ (95)
فكلُّ الذي يحوي علاه محاسنٌ وكلُّ الذي يحوي عداهُ مقابحُ
فاقلامهُ بالسلم تبكي بكفهِ وتضحكُ يوم الحرب فيها الصفائحُ

من العُرْب انسابًا لها الغرب منزلٌ يجود بحسن المدح فيها القرائحُ
فان كنت فيها عن صفاتك قاصرًا ففضلك يُغضي محسنًا ويسامحُ
فدم في سرورٍ من ابٍ وعمومةٍ اليك الثنا يهدى بهِ كان صائحُ

وقد وجدتُ لمحمَّد الغزي المذكور اشعارًا كثيرةً ومدائح في السلف ولو ذكرناها لطال بها الكتاب (١ (ستأتي البقيَّة)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل السادس

في كشف القاتل

وكانت جرائد سان فرنسيسكو الصادرة في صباح ذلك اليوم قد أعلنت في صفحاتها الاولى بحروف كبار ان الشرط وقفوا على آثار المسترجون نسيب فان المذكور بعد ان طاف كثيرًا من المدن الاميركيَّة متَّخذًا اسمًا كاذبًا فرَّ اخيرًا الى مناجم ألاسكا وعليهِ فقد ارسلوا عمَّالًا خصوصيين لاجل مطاردتهِ والقبض عليهِ

ومع هذا لم يكن في مدينة جونو من يعرف شيئًا من أمر هذه الحادثة التي كانت الجرائد الاميركية تطنطن بها مالئة اعمدتها بذكر اخبارها وتفاصيلها

١) جاء هنا في الاصل ما نصُّهُ: « وكان محمد الغزّي المذكور من فصحاء زمانهِ نظمًا ونثرًا مشهورًا بين الناس بالبلاغة ذكرهُ المؤرخون في تواريخهم فمنهم من قال عنهُ انَّهُ توفي سنة ٧٦١ (١٣٦٠ م) ومنهم من قال سنة ٧٦٢. قال الشيخ محب الدين محمد بن القطَّان احد اعيان الفقهاء بمصر في كتاب سألتهُ في تأليفهِ وانا بمصر سنة ٨٣١ ه (١٤٢٨ م) وان يجعلهُ ذيلًا على عيون التواريخ لصلاح الدين الكتبيّ المعروف عند ذكرهِ محمد الغزي المذكور بأسنادهِ عن مشايخ التاريخ: هو شمس الدين محمد بن علي بن محمد ابو عبد الله المعروف بابي الطرطور الشاعر الناثر والاديب الماهر وكان من علماء البيان وائمَّة التبيان مصريّ المولد والمحتد غزي المنشأ اقام بعدهُ مدَّة طويلة. وكان كثيرًا ما يتردَّد الى السواحل والثغور ثمَّ بعد ذلك ورد الى دمشق وسكنها (٧٥٩) وازاح بآدابها غيًّا ولكنها. واحال بباقي ذكرهِ على كتاب آخر من تأليفهِ سمَّاهُ نوادر البوادر ثمَّ في ايَّام زين الدين المذكور نشأ شاعر آخر يسمى احمد الشامي ولكن لم يصل الى منزلة الغزّي ولا داناها. وطالت مدَّة احمد الشامي الى بعد تيمورلنك. اختصرت ذكر شعرهِ وشعر غيرهِ خوف الاطالة والملل

امّا الباخرة « انكون » فبعد ان أوصلت ركّابها الى طيّتهم ومحل قصدهم عادت الى سان فرنسيسكو لتنقل غيرهم من المهاجرين. واما المهاجرون الذين انتهوا الى ألاسكا فجدُّوا في البحث عن وسيلة تفضي بهم الى داخليَّة البلاد حتى كلونديك. وقد صرف هؤلاء التعساء عدة ايَّام اتمامًا لأُهبتهم كشترى الملابس المدفئة والفراء والاقوات لمدَّة سنة كاملة لان كلونديك كما لا يخفى خالية من الاقوات وقد لزم كل أحد منهم للقيام بهذه المشتريات ثلاثمائة فرنك على الاقلّ. فلمَّا تجهَّزوا على الوجه المشروح ركب جماعة منهم باخرة صغيرة سارت بهم في خليج ضيّق يبلغ طولهُ مئة ميل حتى اوصلتهم الى سفح جبل شيلكوت. ومن هناك مشوا في طريق البرّ وكان بعضهم قد اتّخذوا هذه الطريق ابتداء من مدينة « جونو » لان المسافرين فيها قد يرزقون الحظ بوجود الادلّاء لهدايتهم

وكان في احد الفنادق العديدة الموجودة في مدينة « جونو » الصغيرة مُهاجرٌ يكلّم احد السماسرة قائلًا:

أتسافر القافلة الاولى اذًا صباح الغد ؟

— نعم غدًا صباحًا

— أيمكنك ان تجهز لي حمَّالين ينقلون امتعتي ؟

— انهُ أمر صعب

— ولكن لا بدَّ لي من هذا

— املي ضعيف جدًا بوجود حمَّالين

— وما العمل اذًا أ ابقى هنا دون ان أصل الى المقصود ؟

قال هذا واخذ يتمشّى مغضبًا ويقول: كلاً لا أقدر على البقاء هنا ولا بدَّ لي ان اسافر الى الداخليَّة ولعلّي اذا وصلت الى ميناء بحريّ اكون... كلاً انهم لا يأتون لمطاردتي الى داخلية ألاسكا وبالرغم عنهم وغصبًا عن كل من سعى في خرابي ساصير غنيًا مثريًا

— قد بقي يا خواجا اربعة هنود لحمل اثقالك وسيفدون بعد مرور ساعة

فحينئذٍ ابرقت اسرَّة المهاجر واخذ يتمشى وامائر الفرح بادية على جبينهِ وهو ينتظر بفروغ صبر مجيء اولئك الحمَّالين



ولكن مضت ساعة ولم يأتِ الهنود المذكورون. فكشف المهاجر ساعتهُ وانقبض وجههُ واستأنف المشي وهو يدمدم ويتذمَّر. ثمَّ مضى نصف ساعة فوق الساعة فما جاء احد من الهنود

— قلتَ لي انهُ بعد مرور ساعة يحضر اربعة من الهنود وها قد مضى الآن اكثر من ساعة ونصف ولم يحضر احد. لقد خدعتني ومكرت بي ولكن ساريك ان . .

— أؤكد لك يا خواجا وجود اربعة هنود

— اربعة هنود اين هم ؟

— لا اعلم

— يجب ان تعلم لانك وعدتني باحضارهم

— لكن يا خواجا . . .

— لكن لكن . . . ما هذه لكن ؟

— اذ شئت يا خواجا فانا اذهب في طلبهم

— اذهب او بالحري نذهب معاً ونرى

وحينئذٍ ذهب السمسار والمهاجر واخذا يطوفان المدينة وكانا كلَّما دخلا طريقاً يريان فيها وجوهاً جديدةً لان طالبي الغنى والساعين في احتشاد الذهب كانوا قد ملأُوا ارجاءها بل ضواحيها ايضاً وكان الزحام عند مَفارق الطرق شديداً ولذلك لم يكن يتيسَّر لهما شقّ القوم الَّا بمشقَّة وعناء. وبعد ان قاسيا تعباً جزيلًا وطافا المدينة من أقصاها الى اقصاها شاهدا اخيرًا اربعة رجال اشدَّاء اقوياء صفر الوجوه مشقوقي الشفاه وقد زيَّنوا جباههم بالقطع الذهبية المتلألئة وسواعدهم باساور من حديد وصدورهم باشكال من الوشم غريبة. وكانوا مسرعين في مسيرهم وهم يترنَّمون بالغناء

حينئذٍ صرخ السمسار قائلًا: هؤلاء هم الهنود الذين تكلَّمت عنهم. ثم ركض فوقف في طريقهم قائلًا: ها قد مضى اكثر من ثلاث ساعات ونحن بانتظاركم

فحملق الهنود فيهِ ولم يردُّوا عليهِ جوابًا. فقال: سيروا معنا ولكن جدُّوا قليلًا

— نعم ولكن متى ما دفعتم ضعف ما هو مدفوع لنا

— ضعف ما مدفوع لكم ! أما اني قد اتفقت معكم من قبل على الاجرة ؟

— نعم ولكن الطير متى وجد شجرة غبياء لجأ اليها

— ماذا تعنون بهذا القول ؟

— قد جاء آخر بعدك

وحينئذٍ صرخ المهاجر قائلاً: مَن هذا الاخر وهكذا تتركونني بسبب رجل آخر. وما هو اسم هذا الرجل الآخر؟

فاغرب الهنود في الضحك قايلين: ماذا يهمّنا اسم المسافر انهُ رجل ممتقع الوجه مثالك

— وكم دفع لكم ؟

— ضعف ما دفعت

— حسنٌ سيروا معي

وبينما هم في هذا الكلام اذا برجل آخر صرخ قائلاً: كلّا لن يسيروا معك بل يسيرون معي

— ستعلم مع ايّ منا يسيرون

— بل ستعلم انت

— ومن انت ؟

وكان الاثنان قد اقترب احدهما من الآخر وكلٌّ منهما يحملق في رفيقهِ ويتفحّصهُ بنظرهِ من رأسهِ الى قدمهِ. ثم انهما تراجعا بغتةً فقال الاول: آه انت الذي منعتني هذا الصباح من الصعود الى سلّم الباخرة « انكون »

— وانت منعتني عن النزول

— ها قد تلاقينا الان (قال هذا وهو متبسم تبسُّم مستهزئٍ ساخر) او تظن اني غير قادر على اخذ ثأري فاعلم من الان انك لن تذهب الى ألاسكا

— بل أنت لن تذهب اليها

— تعساً لك. هلمّ ايها الحمّالة

— كلاً لا تسيروا من هنا خطوةً

— سيروا وانا ادفع لكم ١٢٥ فرنكاً

— انا ادفع لهم ١٣٠

— ١٤٠

— اذا كنتَ صاحبَ مال فادفع نقدًا الى هؤلاء الحمّالة ما تعدهم بهِ من المال



قال هذا بصوتٍ هادئ فوقف المهاجر حائرًا مبهوتًا. اما الرجل المجهول فاغتنم هذه الفرصة وساق الهنود أمامه وبينما كان يشقّ الجمع المزدحم الذي احتشد لشهود الخصام كان الآخر يكرّر هذه العبارة: ويلًا لك وستعلم كيف اخذ الثار اذا اجتمعنا مرّة أخرى (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

AL-MOSTATRAF
Traduit pour la 1re fois par G. Rat
Tome Premier, paris 1899, *E. Leroux in*-8, *pp*. 830

ترجمة افرنسيَّة لكتاب المستطرف للسيد شهاب الدين الابشيهي

لقد اكثر المستشرقون من البحث عن آثار الشرق التاريخيَّة والجغرافيَّة واللغويَّة فعمَّموا بنشرها بين قومهم معرفة احوال الشرق وتقلُّباته. الَّا انّ الاوربيين لا يعرفون من مآثر العرب الادبيَّة الَّا النزر القليل. فسدًّا لهذا الخلل باشر الاستاذ غستاف رات احد اعضاء الجمعيَّة الاسيويَّة ترجمة كتاب الابشيهي المعروف بالمستطرف في كلّ فنّ مستظرف لما رأى فيهِ من التفنُّن في آداب العرب واحكامهم فنقلهُ الى الافرنسيَّة والجزء القسم الاول منهُ. وكان الاديب المذكور اطلعنا منذ امدٍ مديد على فكرهِ وعرض علينا كثيرًا من المشكلات التي صادفها في اثناء ترجمتهِ فاحبّ ان يدوّن ذلك في مقدّمة كتابهِ فلهُ منّا الشكر على شكرهِ ونتمنَّى لكتابهِ رواجًا استحقَّهُ بضبط نقلهِ وطلاوة عبارتهِ الفرنسيَّة التي من شأنها ان ترّغب في درس لغتنا ومطالعة كتبها

Publicazioni scientifiche del R. Instituto Orientale in Napoli
FETHA NAGAST O LEGISLAZIONE DEI RE
Tradotto eannotato da Ignazio Guidi, Roma 1899, *XVI*-552

ترجمة كتاب فِتحة نجَست الى الايطاليَّة مع تعليقات وفوائد للدكتور

قد اطلعنا قرّاءنا الكرام على فحوى الكتاب الحبشي المعروف بفتحة نجَست اي شرائع الملوك (المشرق ١: ٣٧١ — ٣٧٢) وما يتضمَّنهُ من فقه الحبش وسُنَنهم الدينيَّة والدنيويَّة. فلم يكتفِ اللغوي الشهير اغناطيوس غويدي بنشر هذا الكتاب بل الحقهُ بقسم ثانٍ جزيل الفائدة اهدتنا اياهُ جمعيَّة الدروس الشرقيَّة في نابولي

وهذا الجزء عبارة عن ترجمة الكتاب الى اللغة الايطالية ومقابلة الحبشي مع النسخة

العربيَّة يليهما حواشٍ وتعليقات تنطق بفضل مصنّفها وسعة معارفهِ واطّلاعهِ على الفقهِ الكنسي بابوابهِ العديدة فنثني على الكتاب وعلى حسن نقلهِ وعلى الساعين بنشرهِ اطيب الثناء طالبين من الله ان يُثمر شرقنا العزيز مثل هذه الاثمار اليانعة لخير الوطن والدين معاً ل٠ش

شَذَرَاتٌ

﴿ حادثة جراحيَّة فاجعة ﴾ ارسل الينا جناب الدكتور اسبيريدون ابو الروس مقالة يستلفت فيها الانظار الى خطر الكلوروفورم (البنج) ويذكر حادثة فاجعة حصلت من جرَّاء ذلك في مستشفى الروم نثبتها ان شاء الله في العدد القادم

﴿ علاج التدرن ﴾ روى البشير ان المسيو ماندل قدَّم للمجمع الطبّ الافرنسي علاجاً جديدًا لالتهابات الشُّعَب الرئويَّة وخصوصاً للتدرُّن الرئوي وهو انهُ يحقن كل يوم في قصبة الرئة خلاصات السعتر والاوكالبتوس والقرفة محلولة في زيت الزيتون. وقد اثبت ان الحقن المذكور سهل الاستعمال لا يتسبَّب عنهُ لا انزعاج ولا سُعال. امَّا الزيت الذي يحقن بهِ في قصبة الرئة فانهُ ينزل رشحاً على جوانب الرئة وشُعَبها الاولى. ثم ان الغازات الطيَّارة تتصاعد فتملأُ الهواء داخل الرئة حتى يتشبَّع منها وتؤثّر في الغشاء المخاطي الرئوي على ابعد مدى ينفذهُ الهواء.. وقال المسيو ماندل انهُ عالج بهذه الطريقة احد عشر مريضاً مصابين بالتدرُّن واثنين مصابين بالتهاب الشعب الرئويَّة البسيط. وقد تأكَّد في معالجتهِ لكلّ هؤلاء الاشخاص انهُ بعد مضي اسبوع او اسبوعين كانوا يشعرون بخفَّة او زوال السعال والبصاق ورجوع الرقاد وشهوة الطعام وقوَّة الجسم

﴿ سؤال حسابي لشكري افندي حواء ﴾ استخدم اربعة اشخاص برواتب معلومة فخدم الاول خمسة اشهر والثاني ستة اشهر والثالث سبعة اشهر والرابع ثمانية اشهر وبعد ذلك خرجوا من المحلّ واتفقوا بان يعطي كل منهم لكل واحد من اصحابهِ اجرة شهر واحد من راتبهِ وعند اتمام هذا الامر حصل مع كل واحد منهم مبلغ متساوٍ من الغروش وهذا المبلغ الذي اخذه كل واحد منهم لو فُرض توزيعهُ على عدة اشخاص مجهول عددهم وذلك بان يُعطى الاول غرشاً واحدًا وجزءًا واحد من مائة ١٠٠/١ من الباقي ويعطى الثاني (من بعد خصم ما اخذهُ الاول) غرشين و ١٠٠/١ من الباقي والثالث (من بعد خصم ما اخذهُ الاول والثاني) ثلاثة غروش و ١٠٠/١ من الباقي



وهكذا الرابع اربعة غروش و ١٠٠/١ من الباقي والخامس خمسة غروش و ١٠٠/١ من الباقي الى الاخير الذي أُعطي كلٌّ ما كان باقياً من القيمة (اي بدون ١٠٠/١) لأصاب كل واحد منهم مبلغاً متساوياً ايضاً — فكم كان راتب كلٍّ من المستخدمين شهريّاً والمبلغ الذي حصل مع كل واحد منهم وكم كان عدد الاشخاص الذين وُزّع عليهم هذا المبلغ وكم أصاب كلًّا منهم

الرجاء حلّه بطريقة الحساب مع بيان حلّهِ . ويجوز حلهُ بطريقة الجبر

سؤَال آخر ليوسف عيسى القدسيّ احد تلامذة المدرسة الرعويّة للآباء الفرنسيسيين في القدس — ثلثة انفار ترافقوا الى بلد ومع احدهم ٤ بغال ومع الآخر ٦ جمال ومع الآخر ٧ حمير فاتفقوا ان كلًّا منهم يبيع ما معهُ ويعطي كلّ واحد من صاحبيهِ ثمن واحد ممَّا يبيعهُ وكان كذلك فحصل مع كلّ واحد منهم ١٥٥ درهماً فكم كان الثمن

اسئلة واجوبة

س سأَلنا جناب الاديب ا . لفلوفه الافادة عن خبر انتقال بيت السيدة العذراء مريم من الناصرة الى قرية لوريت في ايطالية وكيفيَّة هذه الحادثة واي سنة جرت فيها

انتقال بيت العذراء من الناصرة الى لوريت

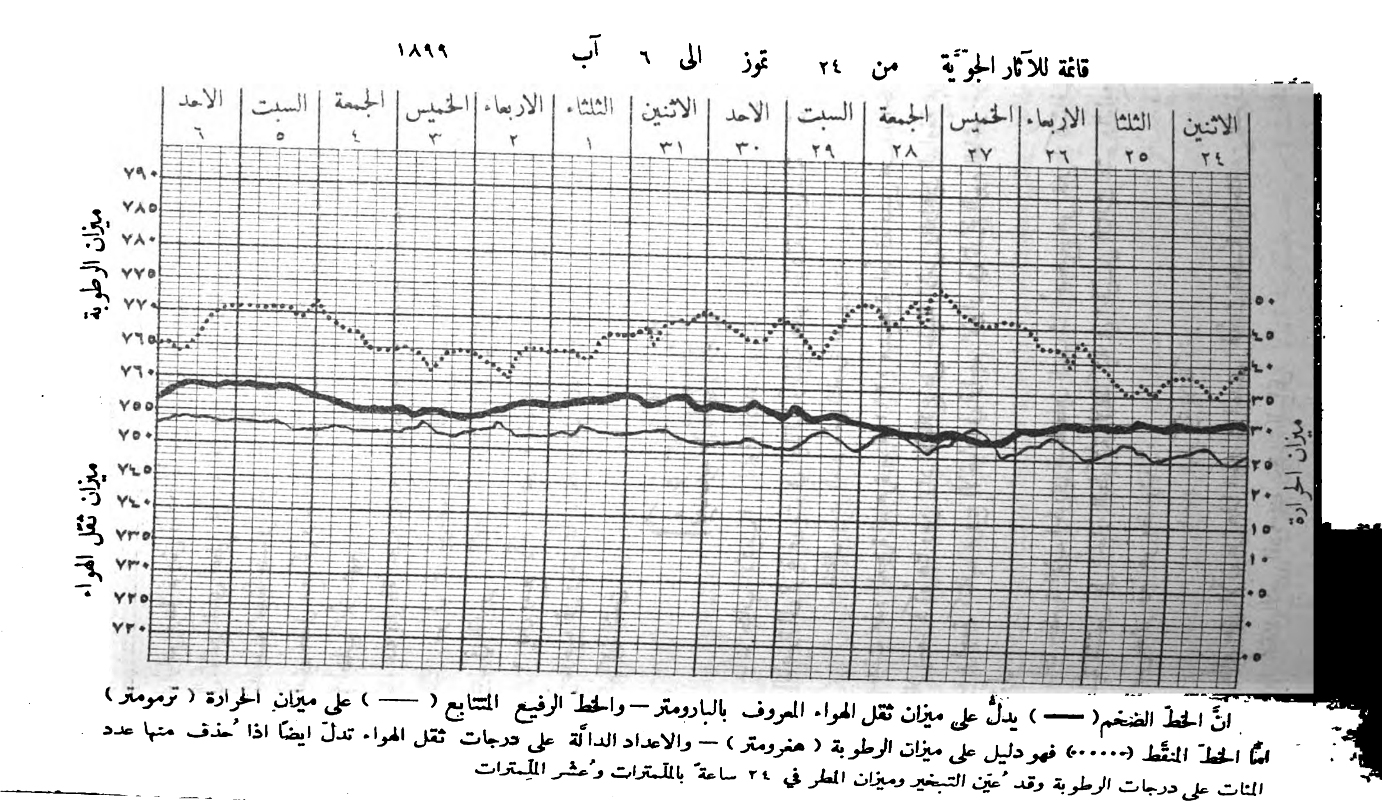
ج حدثت هذه المعجزة الباهرة سنة ١٢٩١ مسيحيَّة امَّا تفاصيل هــذا الخبر العجيب فلا يسعنا ذكرهُ هنا ومن اراد الاطلاع على حقيقة الامر والبراهين الدامغة عن صحَّتهِ فعليهِ بمراجعة كتاب مروج الاخيار في تراجم الابرار في تاريخ اليوم العاشر من كانون الاوَّل

س سأَلنا حضرة الاب الخوري قسطنطين البــاشا أَصحيح هو خبر اكتشاف كتب خطّيَّة تشتمل على اخبار البطركيَّة الانطاكية في الجيــل الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وما هو مضمونها

اخبار البطركيَّة الانطاكية

ج لم نطَّلع حتى الآن على هذا الخبر في احدى المجلَّات العلميَّة الباحثة عن الشرق واحوالهِ . فاذا تحقَّقنا الامر افدنا عنهُ حضرة السائل

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٤ تموز الى ٦ آب ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

السنة الثانية العدد ١٧ ١ ايلول سنة ١٨٩٩

المشرق

منارة الساعة العربية في بيروت

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

جمعت بيروت في عهدنا من المفاخر. ما لو قُسّم على كثير من البلاد لأولاها المجد الباهر. واكسبها الثناء العاطر. لها الحسن الفتّان. والمنظر الآخذ بالجنان. هواؤُها مستطاب. وماؤُها اعذب من الشراب. هي موسم التجّار. ومُستراد جواري البحر من كل الاقطار. مدارسها بالعلوم زاخرة. ومعابدها بالمناسك زاهرة. لها في التاريخ المقام الاثير. والذكر الخطير. كما يصبو اليوم الى محاسنها كل نقّاد بصير

ومع كلّ هذه الاوصاف الفريدة. والخواصّ العديدة. كنت ترى السيّاح الذين يتفقّدون اصقاعنا السوريّة. يتمنّون لو وجدوا في بيروت شيئًا من البنايات العربيّة. يجديها رونقًا. ويزيد في شذاها عبقًا. فلمّا عُهد بزمام التدبير. الى عطوفتلو رشيد بك افندي ملاذ ولايتنا وعلَمها المنير. اسرع الى تحقيق هذه الاماني. باقامة اثر ليس لهُ في البلدة ثاني. يُنظم مع التحف في سِلك المباني. فطلب الرخصة من ذوي الامر في الاستانة العليّة. بان تبني الدائرة البلدية من مخصّصاتها منارة كبيرة على الهيئة الشرقيّة. لتُجعل فيها ساعةٌ كبيرة دقّاقة لتعريف الاوقات العربيّة. فما لبثت الارادة السنيّة ان وردت مؤْذنة بمباشرة هذا العمل المحمود. الذي خرج اليوم الى حيّز الوجود

ولمّا كان هذا الاثر الجليل. ممّا يستوجب لاصحابهِ الشكر الجليل. ويعود على بلدتنا بالثناء الجميل. احببنا ان نصف لقرّاء المشرق. ما افادناهُ القوم الثقة عن هذا العمل الموثق. نخصُّ منهم بالذكر جناب مهندس البلديّة رفعتلو يوسف افندي افتيموس وفتوتلو مصطفى افندي قبّاني فنقول:

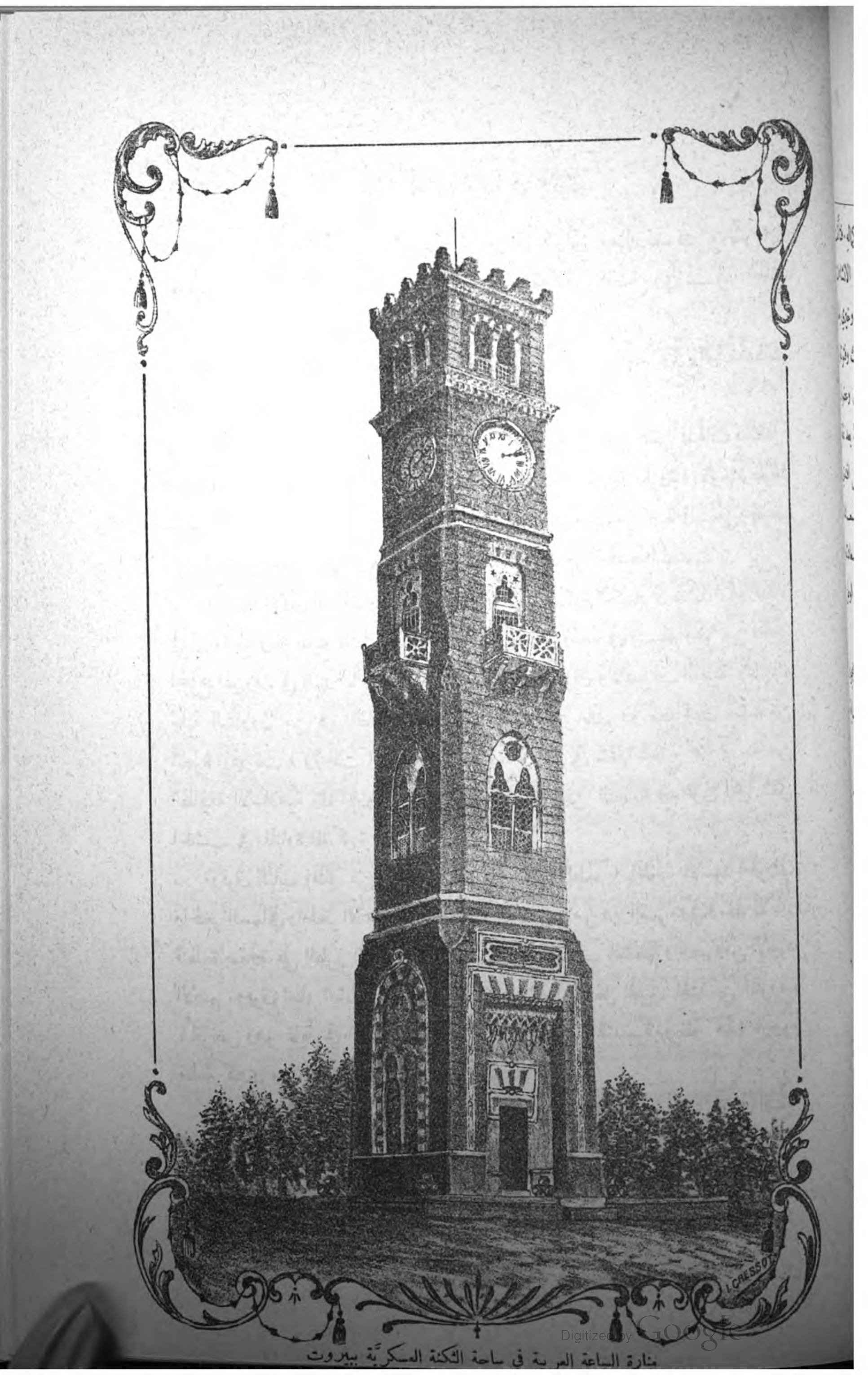
ما فتئَ ملجأ الولاية حين بلغهُ رضى الباب العالي ببناء البرج المنويّ حتى بادر الى

تشكيل لجنةٍ تقوم بشؤون هذا المشروع الخطير وتنهض باعبائهِ الى غاية كمالهِ . فتألّفت اللجنة المذكورة برئاسة قومندان الموقع سابقًا عصمت باشا من اعضاء لجنة الانشاءات العسكريّة اعني صاحبَي العزّة عُمر بك بيكباشي طابور البشنجي التاسع وخيري بك طبيب اول في المستشفى العسكري وصاحب الرفعة قول اغاسي حسين بك وفتوتلو مصطفى افندي قبّاني وأُضيف اليهم سر مهندس النافعة عزتلو بشاره افندي وعضوان من مجلس البلديّة وهما مكرمتلو الشيخ طه افندي النصولي (الذي خلفهُ بعد نقلهِ الى محكمة الاستئناف رفعتلو محمّد امين افندي البربير) ورفعتلو جرجس افندي الشويري ورفعتلو مهندس البلدية . ولا يسعنا هنا السكوت عن همّة صاحب السعادة عبد القادر افندي قباني رئيس المجلس البلدي فانهُ قد سعى مع حضرة سعادتلو عصمت باشا قومندان موقع بيروت سابقًا بتنشيط هذا العمل الاثير فخدما بهِ الوطن خدمةً صادقة تخلّد ذكرها مع شكرنا في هذه الصفحات

واوّل ما قرّرتهُ اللجنة المذكورة ان تقام منارة الساعة في الساحة الممتدّة بجوار ثكنة العساكر الشاهانيّة والمستشفى العسكريّ وهو بلا مراء انسب موضع للغاية المطلوبة لارتفاع المكان وتوسُّطهِ بين انحاء المدينة

ثمَّ وكلوا برسم البناء الى مهندس البلديّة البارع رفعتلو يوسف افندي افتيموس احد افاضل طائفة الروم الكاثوليكيين في دير القمر . وقد اشترطوا عليهِ بناء البرج على النمط العربيّ . والحقُّ يقال انَّ القوس أُعطيت باريها فان المهندس الموما اليهِ قد اتقن مزاولة هذا الفنّ ولهُ في ذلك اعمال تُشكر منها بناية القسم التركيّ والعجمي في معرض شيكاغو وبناء القسم المصري في معرض انفر في بلجكة فأحرز لهُ الذكر الحسن عند اهل الخبرة

وكانت حفلة وضع الحجر الاول من منارة الساعة العموميّة في تاريخ ٩ كانون الثاني ١٨٩٧ الموافق لليوم الخامس من شهر شعبان من السنة ١٣١٥ الهجريّة . وفيهِ كان عيد المولد السلطانيّ المنيف . فأُقيم هذا الاحتفال بحضور عطوفة ملاذ الولاية واركانها والامراء العسكريين واكابر المأمورين ووجوه البلدة فصدحت الموسيقى العسكريّة بابهج الحانها ثمَّ تُليت الخطب البليغة في التركيّة والعربيّة ودُعي للذات الشاهانيّة بالعز والبقاء فأمّن الجميع على هذه الادعية الحميمة



منارة الساعة العربية فى ساحة الثكنة العسكرية ببيروت

وبعد نحر خروف كمألوف العادة قُدّم لعطوفة الوالي معول فضرب بهِ ضربتين اساس البناء.ووضع الحجر الاوَّل وأركزهُ بطرقة صغيرة من الفضَّة. وفي نهاية الحفلة أُخذ رسم المحتفلين بالتصوير الشمسي

ثم باشرت اللجنة والبنَّاؤون في العمل وشمَّروا عن ساعد الجدّ ولم يزالوا مذ ذاك الحين في مواصلة الشغل الى ان انتهوا منهُ في مدَّة ١٥ شهرًا

والمنارة مربَّعة الشكل يبلغ علوها ٢٥ مترًا وهي مؤلَّفة من خمس طبقات يستقبل وجهها مشرق الشمس. وفي حضيض الطبقة السفلى دكَّة مربَّعة مفروشة بالرخام طولها سبعة امتار ونصف في مثل ذلك عرضًا يُصعد اليها بدرجتين من جهة المدخل ويحوط بها سلسلة من حديد وفي زواياها الاربع ثلاثُ كُرات من الحديد المُصمت

والطبقة الاولى السافلة مبنيَّة في وسط الدكَّة المذكورة تكسير قاعدتها اربعة امتار في اربعة لها وجه بديع المنظر استفرغ جناب المهندس وسعهُ في تنميقهِ وهو من الحجر الجزَّع المعروف في البلد بأبي ظفر لما فيهِ من آثار الحيوان والاصداف القديمة والنبات جلبهُ البنَّاؤون من دير القلعة (١. وفيهِ المدخل وهو باب ذو مصراعين خشبهُ من شجرة أزدرخت (زنزلخت) عمرها فوق المئة سنة تأنق في شغلها الحاج عُمر قُرَيعة من الطائفة الاسلاميَّة ولمَّا كان من المعلّمين البارعين بفن النجارة فقد تولَّى كلَّ شغل الخشب في المنارة المذكورة

وفوق الباب إطار من الرخام الابيض المرصَّع (المطعَّم) بالحجر الاسود الحوراني والحجر السمَّاقيّ والحجر الاحمر المعروف بابي زنَّار المجلوب من دير القمر. وفي وسط الاطار قنطرة صغيرة على الطرز العربيّ تتركَّب من الحجر المعروف بالشحم واللحم ومن الاسود الاصمّ. وفوق اطار الباب عند اعلاهُ قطعةٌ جميلة من الشغل العربيّ الهندسيّ المعروف بالمُقرنص وهو غاية في الحسن تزيّنهُ ضروب من النقوش الهندسيَّة. ويعلو هذه الرسوم قطعة كبرى من حجر الشحم واللحم والاسود الاصم

ويحدق بكلّ المدخل طنفٌ من الرخام مزيَّن باشكال هندسيَّة ناتئة في البناية على طريقة الخطوط العربيَّة

---

١) ومن هذا الحجر الاصمّ اتَّخذ مهندس كنيستنا الاربعة العواميد الكبرى التي وراء الهيكل

وفي اعلى كل ذلك صفيحة كبيرة من الرخام دُهنت باللون الاخضر وكُتب عليها باحرف ذهبيَّة تاريخ انشاء البناية بالتركيَّة وهي من خطّ الكاتب الشهير علّام افندي علّام . وهذا نصّ الكتابة :

« زينت افزاى مقام معلاى خلافت اسلاميه واريكه بيراى سلطنت سنيهٔ عثمانيه السلطان بن السلطان السلطان الغازى عبد الحميـد خان ثانى حضرتلرينك طرف اشرفلرندن اشبو ساعت قله سى موسسات نافعهٔ ملوكانه لرينه علاوةً بيك اوچيوز اون التى سنهٔ هجريه سنده بنا وانشا ايدلمشدر هجري سنة ١٣١٦ رومى سنة ١٣١٤ »

وترجمتها في العربية :

« أُنشئ برج الساعة هـذا من جانب مَن ازدانت بهِ اريكة السلطنة السنيَّة العثمانيَّة ومقام الخلافة الاسلامية حضرة السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبدالحميد خان الثاني علاوة على مؤسَّساتهِ الملوكانيَّة النافعة وذلك سنة ١٣١٦ هجريَّة »

امَّا الثلاث الجهات الباقية من هذه الطبقة السفلى فيزيّنها شمَّاسات زجاجيَّة (١ مختلفة الالوان على اشكال هندسيَّة عربية وهي مزدوجة في وسطها عمود (شمعة) من الحجر الفرنيّ المكلّس الموجود في جوار البـلد . وحول الشمَّاسات صفٌّ من الحجر الابيض الملكيّ (مجلوب من جونية) والاسود الشاميّ الناري (basalte) يتـلوهُ اطار اوسع من الرخام العادي يبرز منهُ طنفٌ مفتولٌ فَتْل الأسورة

وكلّ اشغال الرخام هذه قد قام بنقشها المرحوم ديونيسيوس صوّان من اهالي المصيطبة من طائفة الروم الارثوذكس . الّا الُمقَرنص فقد هندمهُ احسن هندام المعلِم يوسف العنيد الشاميّ من طائفة الروم الكاثوليك

امَّا الطبقات العليا فيُرقى اليها من داخل المنارة بسلَّم من الحديد ذي ١٢٥ درجة اشتغلهُ احد حذّاق الحدَّادين من الثغر عبد الستَّار سوبرة من الطائفة الاسلاميَّـة واحكم شغلهُ . فالطبقة الثانية يزينها اربع شمَّاسات كبرى (قمندلونات) من الرخام الابيض المطعَّم بخطوط سوداء واسفل دفَّاتها (درفاتها) من الخشب المخروط المعروف بالمشربيَّات . ويعلو المشربيَّات زجاج ملوَّن كما في الطبقة السفلى

وفي الطبقة الثالثة اربعة ابواب تفضي الى كِنَان (بلكونات) كلُّها من الرخام

١) كذا يدعو ابن جبير ما يعرف عند العامَّة بالقمندلونات



الابيض المطعَّم بالاسود والابواب من خشب المشربيَّات المارّ ذكرهُ . وفي هذه الطبقة عُلّق الجرس الذي يبلغ قطرهُ ٨٥ سنتيمترًا وثقلهُ ٣٠٠ كيلو

امَّا بيت الساعة ففي الطبقة الرابعة وفيها اربع مبوّقات على اربع جهاتها معمولة من الرخام الابيض المطعَّم بالحجر الاسود والاحمر . وقد اجتلبت الساعة من معمل الساعاتي الشهير بولس غرنيه (P. Garnier) في باريز بواسطة سفارة الدولة العليَّة فيها وهي ممتازة برشاقة ادواتها وخفَّتهـا تنزل منها الاثقال الى الطبقات السفلى واكبر هذه الاثقال لا ينقص عن ٣٩ كيلو . وعلى الجهات الاربع اربع ميناوات قطرها متر وستون سنتيمترًا رُسمت عليها في جهتي الشرق والغرب الارقام الرومانية وفي جهتي الجنوب والشمال الارقـام العربية الَّا انَّ الإبر جميعها تدلُّ على الساعة العربية . وكذلك يكون دقّ الساعة على التوقيت العربي . والذي وُكل اليـهِ تركيب الساعة هو الساعاتي الماهر قيصر شكري المارونيّ فقام بهذه المهنـة احسن قيام . وتنتهي هذه الطبقة الرابعة باطناف ناتئة (كرنيش) من الحجر الملكي على الطراز المعروف بالمقرنص

والطبقة الاخيرة موءلفة من اربعة شبابيك بُنيت بالحجر الابيض الملكي والاسود الشاميّ الناريّ تنتهي ايضًا بأطناف من المقرنص الابيض من الحجر الملكي

وفوق المنـارة سطح مساحتهُ تسعة امتار مربَّعة تكتنفهُ شُرف على شبه التاج من الحجر الرمليّ البيروتي المطعَّم بالحجر الاسود الناريّ . ويرى الناظر من اعلاهُ منظرًا شائقًا يأخذ بالابصار فانَّ العين تشرف على جميع انحاء المدينة لا يفوتها منها شيء . ثم تمتدُّ الى ضواحي البلدة وسواحل البحر ومشارف لبنان فتُبهَر بروعة هذه المناظر الفائقة ومحاسنها الرائقة . امَّا جملة ما أُنفق على هذا البناء الجميـل مع ثمن الساعة ومستلزماتها فقد بلغ ١٢٦ الف غرش ذهبًا جازى الله خيرًا كلَّ من قاموا بهذا العمل ونفعنا زمنًا طويلًا بهمَّتهم وسموّ مداركهم

وقد عُيِّنت حفلة تدشين المنارة في هذا النهـار (٣١ آب — ٢٤ ربيع الآخر) بنسبة عيـد الجلوس اعادهُ الله على متبوعنا الاعظم اعوامًا طوالًا فانَّهُ قدير وبالاجابة جدير



خطر الكلوروفورم (البنج)

موتٌ هائلٌ

للدكتور اسبيريدون أبي الروس معاون اسبق في المستشفى الافرنسي

لا خلافَ في ان التخدير بالكلوروفورم قد خدم الجراحة في اثناء الخمسين سنة الاخيرة التي انتشر استعمالهُ فيها خدمة جليلة لا ينازعهُ في اهمِيَّتها سوى تطهير الجراح وضمدها بالموادّ المضادّة للفساد (Antiseptiques) كاليودوفورم والمركَّبات الزئبقيَّة وغيرها

بيدَ ان المخدّرات والمطهِرات عموماً يُعاب عليها كونهـا موادّ سامّة تستلزم من قِبَل الجرَّاح زكانةً وعناية وانتباهاً كثيرًا والّا نشأ عنها شرّ جسيم وويل عظيم وسأحصر الكلام اليوم في مضارّ الطائفة الاولى اي المخدّرات مبتدئاً منها باكثرها شيوعاً وضررًا وهو الكلوروفورم

وقبل ان اتكلَّم نظريًّا عن مساوئ التخدير بهذه المادَّة في الاعمـال الجراحيَّة والاخطار التي تنشأ عنها غالباً وتنتهي بالموت احيانًا اقصّ على مسامع القارئ الحادثة المحزنة الآتية التي جرى فيها « التبنيج » بالكلوروفورم ومات على أثرهِ الجريح بفظاعة هائلة مسموماً بذلك المخدّر الغدَّار

شابٌّ في ريعان الصبا في الثامنة عشرة من العمر أُطلقت عليهِ رصاصـة مسدَّس فأَصابت فخذهُ فدخل مستشفى الروم الارثوذكس متداويًا من آفتهِ . وبعد معالجة طالت شهرًا ونيفًا قضى عليهِ احد اطبَّاء المستشفى المتشبِّعين بالجراحة ببتر فخـذهِ فاستعان بطبيبٍ حدَثٍ في المستشفى المذكور ليُكَلفر الجريح (اي يعطيه البنج) وقبض هو على مبضعهِ منتظرًا نومهُ . وبالواقع فان الشاب لم يكد ينشق من ريح الكلوروفورم بضعة انفاس حتى خمدت انفاسهُ وتعطَّلت حركتهُ وحواسُّهُ فنـام ولكن نوماً لم يستيقظ من بعـدهِ الَّا في الآخرة . . . ولا تسل عن دهَش الطبيبين وانبهاتهما في ذلك الموقف الرهيب : الجرَّاح قابض على مبضعـهِ يهمّ بالعمل والمبنّج على قمع التبنيج يستقصي علامات النوم فاذا بهما في لحظةٍ من الزمان ازاء جسم جامد لا حسّ فيهِ ولا حياة فحاولا انعاشه من سباتهِ العميق وعالجـاهُ جهد المستطيع وهو لا يزيد الَّا موتًا

ورقادًا. ولمّا اعيتهما فيهِ الحيل ورأيا الموت لا مردّ منهُ وبعث الارواح لا سبيل لهما اليهِ اطلقا ساقيهما للريح فعمد الواحد الى جوادهِ ولطا الجرّاح الى منزلٍ مجاور للمستشفى حتى وافتهُ العربة فغاص فيها متواريًا عن الابصار

الّا انَّ الحادثة لم « تُخنَق » كما تمنّى صاحباها بل افتضح امرها في بيروت جمعاء ونُمِيَ الخبر الى الحكومة المحليّة فانفذت لجنة طبيّة الى المستشفى المشار اليهِ فحقّقت عن كيفيّة الحادثة وحالة الجريح وآفته وكميّة الكلوروفودم والصورة التي أُعطي بها ولم أعلم بعدُ نتيجة التحقيق

ومهما يكن من كلّ ذلك فالنتيجة واضحة لا ظلّ للإبهام عليها ولا تفعل فيها التفاصيل شيئًا أكثرتُ منها او اقللت. وخلاصتها ان الجريح الشاب اغتالهُ الكلوروفودم فاهلكهُ مسمومًا ولولاهُ لم يمت في تلك الساعة بل بقي الى الآن حيًّا يسعى

وممّا يستوجب الاسف في تصرُّف هذا الجرّاح ويزيد في ثقل المسؤولية الملقاة عليهِ ان طبيبًا قديمًا في خدمة المستشفى ومناظرًا لهُ في الجراحة أبى ان يجري العمليّة ورفض مشاركتهُ رأيًا وعملًا محتجًّا عليهِ بحالة العليل من الضعف وتعذُّر احتمالهِ لصدمة الكلوروفودم. امّا هو فلم يحفل بنصيحة رفيقهِ وسوَّلت لهُ نفسهُ اقتحام الخطر طمعًا بلذة المجد والشهرة فكان ما كان ممّا دارت فيهِ دائرة السوء على ذلك الفتى المسكين

فلو سلّمنا بان التخدير روعيت فيهِ كامل الشروط العلميّة المتعلّقة باستعمالهِ كمًّا وكيفًا (الامر الذي لا أزالُ على ريب منهُ) فالطبيبان ولاسيما الجرّاح منهما لا يسلمان من هذا الخطإ الرئيسي والمسؤوليّة العظمى وهي عدم التمييز بين المواضع التي يسوغ فيها التخدير والتي لا يسوغ لانهما سلّطا الكلوروفودم على جريح لا تسمح لهُ علّتهُ وقواهُ باحتمال هذا العقار السام

ويغلب على ظني ان الشاب مات بالاغماء ووقوف القلب (Syncope) على أثر صدمة الكلوروفودم لمركز الاعصاب القلبيّة وتقبيضهِ للاوعية الدمويّة بحيث لم يعد القلب قادرًا على تفريغ الدم في الاقنية المتضيّقة امامهُ فرزح مشلولًا كما سافصّل ذلك فيما بعد ان شاء الله

فاذا علمت ذلك اجمالًا يتّضح لك جليًّا خطر التخدير بالكلوروفودم ويقع الطبيب المشار اليهِ في خطإٍ ثانٍ عظيم يشركهُ فيهِ سائر جرّاحي سوريّة وهو عدم استبدال



الكلوروفودم بمادَّة اخرى تمتاز بخلوّها من مضارّهِ وجمعها لمنافعهِ المخدّرة وهي الايثير (Ether) الذي عليهِ وحدهُ الآن اعتماد معظم جرّاحي ليون في فرنسة وبوستن في اميركة وبرلين في المانية

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٣ اليمّونة

اليمُّونة قريةٌ على عطف جبل منيطرة من جهتهِ المشرفة على سهل البقاع بينها وبين افقة بعض الشبه. واسم اليمونة مشتقٌ من السريانيَّة ܝܡܬܐ معناها البحيرة دُعيت بذلك لانَّ بقربها حوضاً تجتمع فيهِ مياه تلك النواحي يدعوها الاهلون بركة اليمونة. امَّا قول المسيو رينان في كتاب بعثة فينيقية (ص ٣٠٧) انَّ البحيرة اشتقَّت اسمها من اسم القرية فهو خلاف الواقع كما ترى

والبحيرة المذكورة في غور عميق تكتنفهُ الجبال العالية من كلّ صوب ما خلا الجهة الشماليَّة الشرقية. فانَّ في هذه الجهة ربوةً صغيرة تقوم في وجه المياه وتصدّها عن السيلان. امَّا وطأ الارض الذي تمتدُّ فيهِ البحيرة فتربتهُ مرصوصة من الحُوَّارى الشديدة البياض فاذا دخل فصل الصيف نضبت مياه البركة ويبس غورها البالغ طولهُ نيفًا وكيلومترين في عرض نحو الف متر. فيسير السائر في تلك البطحاء على هونهِ لا تزلُّ بهِ الرجل ولا تغوص في وَحل وكلُّ ذلك دليل على ان المياه وقت اجتماعها لا تتصفَّى في ذلك الوطإ وانَّما تغور في الارض كما سنذكر

وفي شمال البحيرة عند سفح الجبل المنتصب عليها ترى نبوعاً عديدة تتفجَّر في الارض ماؤها زلال عذب اصفى من الدمعة. يتجمَّع في مسيل عرضهُ بين مترين وثلاثة امتار فيجري عند طرف البركة الشرقيّ ثم يجتاز البحيرة في عرضها الى ان يبلغ حوضاً قليل السعة كأنَّهُ بركةٌ في بركةٍ كبرى. وهذا الحوض الصغير غير منتظم الجوانب لا يتجاوز ٤٠ مترًا في اوسع امكنتهِ. امَّا عمقهُ فيبلغ في شهر ايلول خمسة امتار ثمَّ يأخذ بالنقصان الَّا انَّ هبوطهُ لا تكاد العين تلحظهُ لكثرة ما يجري اليهِ من المياه

وما لا ريب فيهِ انَّ المياه المتجمِّعة في الحوض الصغير تسيل من منفذٍ خفيّ يدعوهُ



رسم بركة اليمونة واخربة الهيكل من جهة الغرب

الاهلون بالوعا وهو محجوب عن العيان تخفيهِ الحجارة وطَبَقات من الحصى والرمل. فتسيل المياه من هذه الشقوق الى سرب تحت الارض

واوَّل من عرَّف الاوربيين بهذه البحيرة السائح الفرنسيّ بولس لوقاس (P. Lucas) زارها في اثناء القرن السابع عشر وهو يزعم في رحلتهِ انَّ هذه البحيرة حديثة العهد. وهو زعم مردود يشهد على بطلانهِ اسم اليمونة السِرياني وهو اقدم من ذلك العصر بكثير

ثمَّ تردَّد كثيرون من السيَّاح الى لبنان وزاروا البحيرة المذكورة وبعضهم صحَّفوا اسمها ببحيرة ليماين (Laimaïn) (١

وممَّا يجدر بالذكر ان سطح مياه بركة اليمُّونة مع صعودهِ وهبوطهِ سنويًّا لم يبلغ الى نضوب البحيرة تمــامًا الى سنة ١٨٧٠. فلمَّا دخلت السنة المذكورة ساخت الارض بطبقة الوحل والرمل التي كانت في قعر البالوع فاتّسعت فوهة المنفذ الداخلي وانحطَّت مياه البحــيرة على حين غفلة وجرت من هذه النافذة. وكانت سابقًا تنضُّ في الارض نضيضًا

هذا ثم تعود مياه البحيرة عند الاعتدال الربيعي فيرتفع سطحها وتتدفَّق جوانبها الى ان تبلغ معظمَ ارتفاعها بعد شهر من الزمن وذلك انَّ الميــاه تتبجَّس من مغارة قريبة في منعطف الجبل فتسيل الى البحيرة وتغمرها. وهي لا تزال تجري من تلك المغارة بقوَّة شديدة الى انقلاب الشمس الصيفيّ وهو منتهى ذوبان الثلوج على رؤوس الجبال فتنقطع المياه اذ ذاك بغتةً وتأخذ البحــيرة بالنضوب شيئًا فشيئًا للسبب السابق ذكرُهُ حتى لا يظهر من البحيرة الَّا قعرها. على انَّ هذه اليبوسة التاجمة اليوم عن نفوذ الميــاه في قعر البالوع كانت قبل سنة ١٨٧٠ جزئيَّةً لانَّ الارض المنخسفة في ذلك العام مع كونها نخرة كانت من ذي قبل تمسك قسمًا من المياه حتى في اوان حمارَّة القيظ

ولعلَّ القارئ يسأل وماذا يحدث بالمياه المتوارية من بحــيرة اليمونة والى اين مجراها؟ اجبنا ان هذه المياه تنفذ في قلب الجبل فتجري الى جهة الغرب وتخرج من مغارة أفقا وعند قرية العــاقورة منحدرةً نحو ١٥٠ مترًا عن سطح بحيرة اليمونة ومن هذه المياه يتكوَّن نهر ادونيس المعروف اليوم بنهر ابراهيم. وهــذا الامر قد ثبت الان عند العلماء لا يرتابون في صحَّته لانَّ مياه اليمونة لا اثر لها في منعطف الجبل الشرقيّ

١) راجع كتاب ريتر (Ritter : *Erdekunde* XVII, 301)

من جهة البقاع وزد على ذلك انَّ الجبل الفاصل بين وادي نهر ابراهيم وبطحاء اليمونة قليل الاتّساع في باطنهِ مغاور عديدة يسهل نفوذ المياه اليها

وان سرتَ بضعة اميال الى جنوبيّ بحيرة اليمونة على منعطف الجبل الشرقيّ وجدت واديًا كثير الاشجار في وسطهِ بحيرة صغرى جميلة المنظر تدعى بركة الزينيّة طولها نحو كيلومتر في عرض ٥٠٠ متر مياهها صافية كالزلال وليس في هذه البركة من السمك شيء. وانّما تسبح في مياهها الضفادع والحيّات المائيّة بخلاف بركة اليمونة التي يتوفّر فيها السمك

وبحيرة الزينيّة تحفُّ بها التلال المرتفعة وتسيل اليها المياه المتجمّعة من الثلوج الذائبة وتنصبُّ فيها جداول عديدة تجري في تلك الاصقاع. وقعر المياه من الموادّ الكلسيّة النخرة الكثيرة التفتُّت الشائعة في اعالي لبنان فتنفذ منهُ المياه وتغور كما تنضب مياه بركة اليمونة فتقحل الارض وتيبس بالتمام وعلوّ هذه البحيرة الصغيرة عن سطح البحر نحو ١٨٠٠ متر كأنها في حسنها احدى بحيرات جبل الالب (راجع المشرق ١: ٤٢٦)

ومن الآثار القديمة التي تُرى في اليمونة دكّة مربَّعة من الحجارة المنحوتة بُنيت على طرف البحيرة في وسط النبوع المتفجّرة التي تُحدق بها. وهناك بقايا من أسوار واعمدة وافاريز وصفائح ضخمة من الحجارة تدلّ على انَّ ثمَّ كان هيكل رومانيّ اباده الدهر. ولا اثر هناك لكتابات قديمة

وقد حاول بعض المحدثين ان يثبتوا انَّ هيكل افقا الذي ذكرهُ القدماء كان في جوار بحيرة اليمونة. الّا انَّ هذا الزعم لا سند لهُ كما بيَّن الامر رينان في بعثة فينيقية(١ والصواب انَّ القدماء اتّخذوا لهم هيكلين احدهما على مقربة من بحيرة اليمونة والآخر عند نبع مغارة افقا وكان بين الهيكلين تناسب يعدُّهما القوم كمعبدَي إله واحد لما بينهما من الشبه في خروجهما من حوض واحد. ولعلَّ هذا الوفاق بين الهيكلين حمل المؤرخ اليوناني زوزيمس (٢ على ذكر بُحيرة بقرب هيكل الزهرة عند افقا. وانّما قال ذلك توسعًا لا يريد بلفظة « πλησίον » اليونانيّة « المجاور القريب » بل مطلق الاقتراب فقط. ومن الممكن ايضًا انَّ هذا المؤرخ لم يتثبَّت الامر بنفسهِ بل اوردهُ عن سمع (٣

١) Renan : *Mission de Phénicie*, 308

٢) Zozime : *Hist.* 309 *seqq.*

٣ راجع في هذا الصدد مقالة حسنة نشرها مسيو شرل غايزدو بك في مجلة مصر ومؤلفها العلّامة المسيو بانش هذا عنوانها (Les eaux d'Adonis au mont Liban, p. 12, *seqq.*)



هذا ثمَّ انَّ الطريق المؤدّية من بركة اليمونة الى بعلبك كثيرة الآثار فيها كتابات عديدة الّا انَّ اكثر هذه الخطوط دارسة مطموسة لا حاجة الى ذكرها في هذه الخلاصة

نظرٌ

في اهمّيّة مطالعة تآليف الآباء القديسين والتصانيف المسيحية القديمة

بقلم حضرة الاب سبستيان رنزقال اليسوعيّ

لقد اصاب من قال في مقدمة السنة الاولى من هذه المجلة عن ترقّي اسباب العمران والتمدُّن في هذه الديار: فلا شكَّ ان الغريب الذي ينزل بها يندهل اندهالًا شديدًا اذ « يبصر فيها الارجاء بالفنون والصناعات زاخرة· والمدارس بالطلّاب زاهرة· والمطابع حافلة بالتآليف الفريدة· والجرائد مفعمة بالمباحث المفيدة· · · » ذلك لعمري كلام من عرف احوال المشرق حقَّ معرفتها· كلام يقين لا تشوبهُ مِرْية ولا يجحدهُ الّا من اعمت بصيرتهُ الغيرة · صاننا الله من شرّ الحسد وعواقبهِ

وممّا يتميَّز بهِ ابناء الشرق عن سواهم استعدادهم العجيب الى تلقّي العلوم المختلفة واللغات الاجنبيَّة والآداب الغربية· ترى الشبّان منهم يبارون انجال الاوربيّين في تثقيف عقولهم وينافسونهم في انارة اذهانهم فيصعدون بذلك الى معارج التقدُّم ومعالي النجاح حتى انهُ لو دامت هذه الحال من النشاط والنمو لصحَّ القول بان مرتبة المشرق من حيث المعارف وانواع الآداب الصحيحة لا تلبث ان توازي الدرجة التي ادركتها الاقطار الغربية بعد الجهد الجهيد. اسعد الله اهل بلادنا الى بلوغ هذه الذرى الشريفة لخير الوطن ومجدهِ تعالى الاعظم

غير انَّهُ مهما كان من توفُّر اسباب التهذيب العقلي في هذه البلاد واتساع نطاق المعلومات فيها وعدد الادباء المشغوفين بمطالعة التآليف المفيدة وكثرة العلماء المزاولين لوضع التصانيف الفريدة قلّما تراهم يتفرَّغون لدراسة قسم كبير من الكتب الشهيرة الجديرة باعتبار كلّ من لهُ المامٌ بآداب السلفاء ومآثر الاولين. ألا وهي الودائع الجليلة والكنوز الثمينة التي خلَّفها لنا اجدادنا الشرفاء وآباؤنا القديسون وملافنة الكنيسة المسيحية· تصانيف قد طارت شهرتها في الآفاق وامتدَّت منفعتها الى الخافقين. فايم الحقّ اذا استثنينا بعض الاكليريكيين لاسيما ممن يترشّحون للعلوم اللاهوتية في مدارس الشرق

وكليّات المغرب فاين الشرقيون الذين يَرِدون تلك الموارد الصافية التي قد طالما يستقي ادباء اوربَّة من مائها الزلال ويصرفون العناية في البحث عن دررها ويتبحّرون في غوامض معانيها فيحرزون فوائدها الجمَّة ومنافعها العميمة

ولئلّا تَنسب قولنا هذا الى المبالغة والتجاوز فاعطف نظرك ايها القارئ الاديب الى مدارس اوربَّة الكَنَسيَّة والعالمية. تشهد فيها من الاهتمام بدرس التصانيف التي نحن بصددها ومواصلة السعي في طلب غُررها ما تدهش منهُ العقول. فبالحقيقة لم تكد تظهر بدعة « دُعاة الاصلاح » في العالم المسيحيّ حتى اخذ علماء اوربة يرجعون الى تآليف الآباء لردّ مكايد المبتدعين في نحرهم. ومنذ ذلك الوقت لم تزل مدارسة الكتب المسيحيَّة القديمة في النمو والترقّي. ففي القرنين السابع والثامن عشر ابرز الكردينال بلارمينوس اليسوعيّ تأليفهُ المشهور في الكتَّاب الكنسيّين ثم تبعهُ عدَّة مصنفين كالماركيّين لينوري (Le Nourry) وسيليار (Ceillier) وشرام (Schram) ولومبر (Lumper) والدومينيكي لوكيان (Lequien) صاحب كتاب « الشرق المسيحي » والعلماء دوپين (Dupin) وتلمون (Tillemont) والسمعاني العلَّامة الماروني الطائر الصيت الى غيرهم من نُطس الكتَّاب ومتقدّميهم

امَّا القرن الحاضر فقد ظهر فيهِ رجال مشهورون وضعوا كالسلف التآليف الضخمة. نخصُّ منهم بالذكر العلامة مين(Migne) صاحب المكتبة العظيمة التي هي اشهر من ان تُوصف والكردينالين المبرّزَين ماي (Mai) وپيترا (Pitra). فهم الثلاثة الذين احيوا تلك الدروس الشريفة احياء لم يصدّهُ مانع ويحدّهُ حاجز. ولم يقتصروا على طلب آثار الآباء اللاتينيين واليونانيين فقط بل بالغوا بالجدّ وراء مطالعة مصنَّفات الشرقيين ايضاً ونشرها كملافنة الكنيسة السريانيَّة وكتَّاب الارمن والقبط الى غير ذلك من الطوائف المسيحيَّة التي تردان بها بيعة الله المقدَّسة. والحقُّ يُقال ان مساعيهم اتت باثمار طيّبة وافرة فاقتفى معالمهم جمٌّ غفيرٌ من رجال الكنيسة واعيان العلم والادب في جميع اقطار اوربَّة واميركا وبالخصوص في فرنسة وانكلترة والمانية والنمسة وايطالية. ومن اعجب الامور انَّ الشعوب التي قد طالما غلب عليها روح البغض والتقريع لتعاليم الآباء الاقدمين وتصانيف ملافنة الكنيسة هي اليوم في مقدَّمة سائر الامم في دراسة تلك التآليف الجليلة والسعي الحسن وراء نشرها واتقان ترجمتها الى

اللغات الاوربية المختلفة . فان اردت شاهدًا على ذلك عليك بمراجعة ما كتبهُ الاب كندامين في مقالة مهمّة بيَّن فيها اجمالًا معاملة المراطقة لآباء بيعة يسوع المسيح منذ ظهور بدعهم الى ايامنا الحاضرة (١ . وهذا باب تاريخيّ واسع ليس غرضنا قرعهُ في هذه العجالة . بل جلّ ما قصدناهُ من ايراد ما تقدَّم على وجه العموم بيان قلّة المزاولين لتلك الكتب بين مواطنينا لاسيما اذا وُضِع عددهم الوجيز بازاء كثرة ادباء المغرب وعلمائهِ . وهذا لعمري نقص بيّن يؤسف لهُ . ولعلّهُ ناتج عن عدم الاكتراث لفوائد هذه الدروس او الزعم ان كلّ ما دُوّن في سالف الدهور من كتب الدين وتواريخ الكنيسة وآداب الاقدمين انما هو جملة امور لا علاقة لها باحوالنا الحاضرة او مسائل دقيقة لا عائد منها ولا طائل تحتها . وهذا غلط ظاهر لا بدَّ من اقتلاعهِ عن اذهان العامّة والخاصة

وما لا مِرْية فيهِ ان الاقبال على هذه الدروس لا يليق فقط برجال الكنيسة بل ايضًا بالعالميّين وبكل من يهتمّ باعزاز ديانتنا ويرغب في الوقوف على كنه عوائدها وتقاليدها واصل طقوسها و براهين صحّتها ومتانة اركانها وقوَّة تدبيرها وبالجملة الوهيَّتها وقداستها الابديَّة . أَجِل لحظك في تواريخ الاعصار وقل لي : كم هم المنافقون او الضالّون عن سبيل الحقّ القويم الذين بمجرَّد مطالعتهم تآليف الاقدمين من الآباء واللافنة قد ارتدُّوا عمَّا كانوا عليهِ من الجهل والتسكُّع والبغض فانضمُّوا الى حظيرة يسوع المسيح فرحين شاكرين لله تعالى على هذه الموهبة الفائقة والنعمة الخالدة (١ . واذا كان الامر كذلك فماذا يكون حالنا عند ربّ العالمين ان اهملنا هذه الدروس وسهونا عن هذه الكنوز واغفلنا التمتع بتلك الوراثة العالية تاركين تلك العدَّة البهيَّة في ايدي مَن يستخرجون منها اسلحة جديدة لتقويض دعائم اعتقاداتنا واركان عوائدنا (٢

ولمزيد ايضاح هذه الاهميَّة يحسن بنا ان نأْتي عليها بتفصيل بعض الادلَّة الصادقة موردين اختصارًا اقوى الاسباب التي تحثنا على مطالعة كتب اجدادنا المسيحيين فنقول :

١ً : ان السبب الاول هو اهميَّة تآليف الآباء في تأييد التقليد . لا يخفى على احدٍ ان التقليد المقدَّس عين من عيون الحقائق المنزلة على لسان يسوع المسيح لهُ المجد . والحقّ

---

١) راجع المشرق ٣ : ٢٤١-٢٤٦ ٢) راجع في اعداد البشير من هذه السنة مناظرة حديثة تُطلعك صريحًا على وجوب دراسة التآليف القديمة للردّ على مزاعم المحرّفين

وكليّات المغرب فاين الشرقيون الذين يَرِدون تلك الموارد الصافية التي قد طالما يستقي ادباء اوربّة من مائها الزلال ويصرفون العناية في البحث عن دررها ويتبحّرون في غوامض معانيها فيحرزون فوائدها الجمّة ومنافعها العميمة

ولئلاّ تَنسب قولنا هذا الى المبالغة والتجاوز فاعطف نظرك ايها القارئ الاديب الى مدارس اوربّة الكنَسيَّة والعالمية. تشهد فيها من الاهتمام بدرس التصانيف التي نحن بصددها ومواصلة السعي في طلب غُررها ما تدهش منهُ العقول. فبالحقيقة لم تكد تظهر بدعة « دُعاة الاصلاح » في العالم المسيحيّ حتى اخذ علماء اوربة يرجعون الى تآليف الآباء لردّ مكايد المبتدعين في نحرهم. ومنذ ذلك الوقت لم تزل مدارسة الكتب المسيحيَّة القديمة في النمو والترقّي. ففي القرنين السابع والثامن عشر ابرز الكردينال بلارمينوس اليسوعيّ تأليفهُ المشهور في الكتّاب الكنسيّين ثم تبعهُ عدَّة مصنّفين كالباركيَين لينوري (Le Nourry) وسيليار (Ceillier) وشرام (Schram) ولومبر (Lumper) والدومينيكي لوكيان (Lequien) صاحب كتاب « الشرق المسيحي » والعلماء دوبين (Dupin) وتلمون (Tillemont) والسمعاني العلاّمة الماروني الطائر الصيت الى غيرهم من نُطس الكتّاب ومتقدّميهم

امّا القرن الحاضر فقد ظهر فيهِ رجال مشهورون وضعوا كالسلف التآليف الضخمة. نخصُّ منهم بالذكر العلامة مين(Migne) صاحب المكتبة العظيمة التي هي اشهر من ان تُوصف والكردينالين المبرّزَين ماي (Mai) وبيترا (Pitra). فهم الثلاثة الذين احيوا تلك الدروس الشريفة احياء لم يصدّهُ مانع ويحدّهُ حاجز. ولم يقتصروا على طلب آثار الآباء اللاتينيين واليونانيين فقط بل بالغوا بالجدّ وراء مطالعة مصنّفات الشرقيين ايضاً ونشرها كملافنة الكنيسة السريانيّة وكتّاب الارمن والقبط الى غير ذلك من الطوائف المسيحيَّة التي تردان بها بيعة الله المقدَّسة. والحقُّ يُقال ان مساعيهم اتت باثمار طيّبة وافرة فاقتفى معالمهم جمٌّ غفيرٌ من رجال الكنيسة واعيان العلم والادب في جميع اقطار اوربّة واميركة وبالخصوص في فرنسة وانكلترة والمانية والنمسة وايطالية. ومن اعجب الامور انَّ الشعوب التي قد طالما غلب عليها روح البغض والتقريع لتعاليم الآباء الاقدمين وتصانيف ملافنة الكنيسة هي اليوم في مقدّمة سائر الامم في دراسة تلك التآليف الجليلة والسعي الحسن وراء نشرها واتقان ترجمتها الى



اللغات الاوربية المختلفة. فان اردت شاهدًا على ذلك عليك بمراجعة ما كتبهُ الاب كنداميين في مقالة مهمَّة بيَّن فيها اجمالًا معاملة الهراطقة لآباء بيعة يسوع المسيح منذ ظهور بدعهم الى ايامنا الحاضرة (١. وهذا باب تاريخيّ واسع ليس غرضنا قرعهُ في هذه العجالة. بل جلّ ما قصدناهُ من ايراد ما تقدَّم على وجه العموم بيان قلَّة المزاولين لتلك الكتب بين مواطنينا لاسيما اذا وُضِع عددهم الوجيز بازاء كثرة ادباء المغرب وعلمائهِ. وهذا لعمري نقص بيّن يؤسَف لهُ. ولعلّهُ ناتج عن عدم الاكتراث لفوائد هذه الدروس او الزعم ان كلّ ما دُوّن في سالف الدهور من كتب الدين وتواريخ الكنيسة وآداب الاقدمين انما هو جملة امور لا علاقة لها باحوالنا الحاضرة او مسائل دقيقة لا عائد منها ولا طائل تحتها. وهذا غلط ظاهر لا بدَّ من اقتلاعهِ عن اذهان العامَّة والخاصَّة

وما لا مِرْية فيهِ ان الاقبال على هذه الدروس لا يليق فقط برجال الكنيسة بل ايضًا بالعالميّن وبكل من يهتمّ باعزاز ديانتنا ويرغب في الوقوف على كنه عوائدها وتقاليدها واصل طقوسها و براهين صحّتها ومتانة اركانها وقوَّة تدبيرها وبالجملة الوهيَّتها وقداستها الابديَّة. أَجِل لحظك في تواريخ الاعصار وقل لي: كم هم المنافقون او الضالّون عن سبيل الحقّ القويم الذين بمجرَّد مطالعتهم تآليف الاقدمين من الآباء والملافنة قد ارتدُّوا عمَّا كانوا عليهِ من الجهل والتسكُّع والبغض فانضمُّوا الى حظيرة يسوع المسيح فرحين شاكرين لله تعالى على هذه الموهبة الفائقة والنعمة الخالدة (١. واذا كان الامر كذلك فماذا يكون حالنا عند ربّ العالمين ان اهملنا هذه الدروس وسهونا عن هذه الكنوز واغفلنا التمتع بتلك الوراثة العالية تاركين تلك العدَّة البهيَّة في ايدي مَن يستخرجون منها اسلحة جديدة لتقويض دعائم اعتقاداتنا واركان عوائدنا (٢

ولمزيد ايضاح هذه الاهميَّة يحسن بنا ان نأتي عليها بتفصيل بعض الادلَّة الصادقة موردين اختصارًا اقوى الاسباب التي تحثنا على مطالعة كتب اجدادنا المسيحيين فنقول:

١ً : ان السبب الاول هو اهميَّة تآليف الآباء في تأييد التقليد. لا يخفى على احدٍ ان التقليد المقدَّس عين من عيون الحقائق المنزلة على لسان يسوع المسيح لهُ المجد. والحقّ

١) راجع المشرق ٣: ٢٤١-٢٤٦ ٢) راجع في اعداد البشير من هذه السنة مناظرة حديثة تُطلعك صريحًا على وجوب دراسة التآليف القديمة للردّ على مزاعم المحرّفين

يقال ان المؤلفين الاوَّلين لاسيما الآباء القديسين وملافنة الكنيسة هم اقدم الشهود واصدقهم على ذلك التقليد. فانهم تسلَّموا الايمان من الرسل الاطهار إمَّا مباشرةً او بواسطة من حظوا بمشافهة الرسل واقتباس تعاليمهم. فخلَّفوا لمن بعدهم من زعماء ديانتنا وآبائنا الموقَّرين كل الحقائق المتينة والعقائد الصحيحة التي اتَّصلت الينا بالتسلسل الواصل والتواتر الغير المنقطع. وقد ايَّدوا وديعة الايمان بكل نوع من الادلَّة المقنعة والبراهين القاطعة. لا بل لم يتردَّدوا في بعض الآونة من بذل حياتهم للذبّ عن صحَّة الديانة والمناضلة عن سلامتها. فان اردت شاهدًا حسّيًا عن متانة التقليد المسيحي كما هو مدوَّن في تصانيف الكتَّاب الاوَّلين راجع جدول اسمائهم كما سردناها (ص ٧٩٢) فبالحقيقة لا نعرف برهانًا اجلى من هذا الجدول واقطع منهُ لبيان مواصلة تقاليدنا المقدَّسة

تحقَّق اذن ان للكتب المسيحيَّة القديمة اهميَّة عظيمة في معرفة التقليد وتأييد صحَّتهِ. ولا حاجة الى الاسهاب في بيان هذا الموضوع فانهُ اضوأ من نور الشمس

٢ً السبب الثاني وهو اهميَّة تآليف الاقدمين في توطيد الكتب المنزلة وتفسيرها . ان الكتب المقدَّسة من العهدين العتيق والجديد هي كالتقاليد ركن من اركان ايماننا وينبوع من ينابيع عقائدنا. فاذا ثبت ذلك فاين يا ترى نجد مفسّرين افضل من الاباء او اصدق من الملافنة. فانهم فضلًا عمَّا لقوهُ من الايد والمساعدة في تقليدٍ خالصٍ قريب من عهدهم قد جمعوا بين العلم والفضيلة بين قداسة السيرة وخلوص النيَّة بين ثبات الجنان واضطرام الغيرة. ومن ثمَّ جلبوا على انفسهم أعلى نعم ربهم فانار الله تعالى عقولهم الثاقبة فاتحًا لهم غوامض اسرارهِ. وان زدت على كل ذلك ان معظم هؤلاء الكتبة قد عاشوا في نفس الديار التي دُوّنت فيها الكتب المنزلة. بين الشعوب الذين بشَّرهم الرسل الاطهار بالانجيل المقدَّس فلا مندوحة لك عن الاقرار بسموّ شأن تآليفهم في كل ما يختصّ بتفسير الكتب المقدَّسة

وممَّا يبيّن صريحًا ما في الانكباب على مطالعة تصانيف الآباء من علو الفائدة وعظم الاهمية ما نشاهدهُ اليوم من انفساح مجال الدروس المتعلّقة بالكتب المنزلة قاطبةً وترامي اقلام الكتَّاب فيها الى ابعد مرامي البحث واناًى مطارح الفكر. فكأني بهذه

١) راجع المقالة المذكورة آنفًا ص ٢٤٧ – ٢٤٨

الدروس اصبحت نقطة مركزيَّة اليها يُرجع في جميع المسائل دينيَّةً كانت ام عاليَّة.
وقد اتّسع نطاقها في هذه السنين الاخيرة اتساعاً عظيماً جعلها كمأزقٍ يتقاتل فيها الحقّ والباطل العلم والجهل الديانة والكفر بيعة المسيح وجماعة البِدع التعاليم المستقيمة ومذاهب المنفصلين. وهذا الاتّساع العجيب لم ينحصر في قطر من اقطار المسكونة بل عمَّ كافَّة البلاد المتمدّنة واخذ فيها من النمو والشان ما شغَل فكرة الحبر الاعظم ابينا لاون الثالث عشر وهو لم يزل ولا يزال مترقّباً لحاجات رعيَّتهِ الروحية. فرأى من اللائق بل من الضروري ان يصدر في هذا الموضوع منشوراً خاصّاً عنوانهُ Providen-tissimus Deus وبهِ استلفت ليس فقط ابصار المشتركين في وحدة الايمان بل ايضاً جميع الشيَع حتى اشدّ الهراطقة بغضاً للكنيسة الكاثوليكيَّة واظلمهم لحقوقها

والحال ان المسألة التي يوضحها الاب الاقدس باجلى عبارة والنقطة التي يسهب المقال فيها بذلك المنشور الفائق الشهرة انما هي اهمِّيَّة مدارسة تآليف الآباء والاجتهاد في تفقُّه معانيها واتقان تأويلها. اليك ايها القارئ اللبيب نصّ كلامهِ مترجماً عن اللاتينيَّة. قال: « وتأييداً لتعاليمنا وتحريضاتنا يحسن بنا ان نذكّركم كيف ان جميع الذين اشتهروا في اوائل النصرانيَّة بقداسة سيرتهم ومعرفتهم للعلوم الالهية لم يألوا جهداً في درس الكتب المنزلة. فان تلامذة الرسل كاكليميس الرومانيّ واغناطيوس الانطاكيّ وبوليكربوس واوَّل الاباء الذين دافعوا عن الايمان وبالخصوص يوستينوس وايراناوس لم يزالوا ليل نهار يردون موارد الكتب المقدَّسة فيرتشفون من زُلالها الصافي ايماناً وقوَّةً ونعمةً وتُقىً كما هو ظاهر في جميع رسائلهم وتصانيفهم التي ألَّفوها امَّا للذب عن عقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة او لتحبيبها الى قلوب المؤمنين. وأمَّا المدارس التي أُقيمت في كثيرٍ من الكراسي الاسقفيَّة لاسيما في الاسكندريَّة وانطاكية الشهيرتين لتدريس التعاليم الالهيَّة فقد اصبحت دائرة التهذيب فيها مقصورة على تلاوة النصوص الكريمة وتفسيرها والمناضلة عن حقائقها. ومن تلك المدارس برز معظم الآباء والكتَّاب فوضعوا من التآليف الضخمة الجليلة الاتقان والتصانيف الكثيرة الفائقة المنفعة ما يُعدّ سلسلةً بهيَّةً لم يكن لها من انقطاع في مدَّة ثلاثة قرون متوالية. فبكلّ صواب يُحسب عهدهم عهداً ذهبيّاً لتفسير الكُتب المنزلة. وفي مقدّمة الآباء الشرقيين نخصُّ بالذكر اوريجانس الذي اشتهر بذكاء عقلهِ ومواظبتهِ العجيبة على الكتابة والتدريس فانَّ

مآثره العديدة وخاصّةً كتابهُ العظيم المشتمل على ستة نصوص من العهد العتيق اضحى ينبوعاً يستقي منهُ جميع الخلف. وتبع اوريجانسَ موءلِّفون عديدون وسَّعوا نطاق تفسير الالهيَّات. افضلهم في الاسكندريَّة اكليميس وكيرلوس وفي بلاد فلسطين اوسابيوس وكيرلوس آخر. وفي قفدوقية باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزي وغريغوريوس النيسيّ. وفي مدينة انطاكية يوحنا المدعو فم الذهب ذاك الذي قرن حلاوة الفصاحة بعلوّ معرفتهِ للنصّ المقدّس. . . »

ثمَّ يعدّد الاب الاقدس اشهر آباء الغرب واصفاً لهم كوصفهِ للاباء الشرقيّين ولا حاجة الى الاتيان بكلامهِ. ففي العبارات المارّ تعريبها كفاية لأُولي الابصار. فحقَّ القول اذن ان من يرغب في الوقوف على صحَّة معاني الكتب المنزلة لا بدَّ لهُ من مطالعة تآليف الآباء وحسن فهمها

٣ً : السبب الثالث وهو اهمية مطالعة تصانيف المسيحيّين الاوَّلين لفهم التواريخ القديمة.

اعلم اننا لا نقصر قولنا هذا على الكتّاب الذين افردوا للتواريخ تآليف مخصوصة كايبوليتوس الروماني ويوليوس الافريقي واوسابيوس القيصري وغيرهم بل نشمل ايضاً معظم الآباء والملافنة والموءلفين من النصارى على اختلاف مواضيع مآثرهم. فانهُ من المقرَّر ان مصنّفات هوءلاء كلهم مفعمة بتفاصيل تطلعنا على الاحوال الغابرة وتخبرنا عن كنه الامور اخباراً جليًّا. فان اوّل المسيحيّين قد قطنوا الممالك الرومانيَّة شرقاً وغرباً وفي هذه البلاد الواسعة انتشرت ديانتنا وامتُحن الشهداء وتقدَّس اولياء الله ودوّنت كتب آبائنا الجليلة ونُشرَت تعاليم ملافنتنا المنيرة. فاذن كل ما يتعلّق بانتشار النصرانيَّة في العالم القديم يلقي بلا شكّ نورًا بهيًّا على التواريخ الكَنَسية والمدنيَّة معًا. وممَّا يزيد تآليف المسيحيين الاولين شأنًا انك تجد فيها روايات وتفاصيل اصدق ممَّا أُدرج في تصانيف المؤرّخين الوثنيّين لاسيا الكاذبين منهم الذين غلب عليهم روح البغض للديانة النصرانيَّة. فبكل حقّ نستنتج ان الاديب الذي يقبل على درس تواريخ القرون الاولى بعد المسيح لا مندوحة لهُ عن مطالعة كتب الآباء والملافنة والموءلفين المسيحيّين الاقدمين على اختلافهم

ثم اذا اعتبرتَ ان احوال القرون المتوسّطة والازمان القريبة من عصرنا متعلِّقة باحوال العالم القديم والقرون الاولى للنصرانيَّة تعلُّقًا لازبًا فلا بدَّ لك من التسليم بان

درس التواريخ القديمة امرٌ يتحتَّم ايضاً على كل من تفرَّغ لدرس التواريخ المتوسّطة او المقاربة لأيامنا اذا ما اراد (كما قلنا) الوقوف على كُنه الامور واسباب الاحوال وكل ما تقدَّم شرحهُ امر قد نَبِهَ لهُ علماء عصرنا. فترى المؤرخين منهم يكثرون يوماً بعد يوم من الرجوع الى الكتب المسيحيَّة القديمة وبالخصوص الى تآليف الشرقيّين كالسريان والكلدان والارمن والقبط مفتقدين آثارهم لينتقوا منها كل ما يؤول الى انارة عقولهم في المواضيع التاريخيَّة التي اختاروا البحث عنها. ولسان حالهم يقول باجلى عبارة واصدق دليل ان التاريخ الكَنسيّ والدينيّ لا يفترقان ولا يُفهَم الواحد دون الاخر. فاذا وضح الاول سَهُل فهم الثاني اذ يرى المؤرخ مثلًا ما كان للكنيسة في سالف الاعصار من المقام الرفيع والتأثير الجسيم في عامَّة الاحوال لاسيَّما في محاربة العالم الوثني ورذائلهِ وفظائعهِ. فتظهر حينئذٍ بيعة المسيح على هيئتها الحقيقيَّة تحت عناية الباريْ وتدبير رؤسائها الاعظمين. وبالعكس يرى المؤرخ ما كان عليهِ المجتمع الانساني من الانحطاط والتقهقر فيحكم بوجوب اتيان الفادي الرؤوف ليرفعهم من دركات الذلّ ويبيد ظلام الاضاليل التي قد طالما تسكَّعوا فيها. وفي تلك المقابلة ايضاً يتبيَّن وجه انتصار الكنيسة على بقايا الوثنيَّة وكيف انها نالت الفوز على عهد قسطنطين الكبير ونشرت راية الدين المستقيم بانيةً على وجهِ المسكونة الفضيلة والنظام وحسن الآداب وكلّ ما تتميَّز بهِ الشعوب المسيحيَّة من الامم الغابرة. ثم يتجلّى ايضاً وجه ارتقاء الكنيسة الكاثوليكيَّة الى الذرى التي بلغتها في القرون المتوسطة وما كان للاحبار الرومانيين من التسلُّط والنفوذ في جميع امور المدنيَّة. وعلى هذا المنوال يدرك المؤرخ حقيقة التقلُّبات التي تتابعت في العالم فحوَّلت الاحوال شيئاً فشيئاً حتى افضت بعصرنا الى ما هو عليهِ

وممَّا يجب اخيرًا ان يحرّضنا على مدارسة التآليف المسيحيَّة القديمة من حيث اهميَّتها في التاريخ ما نسمعهُ او نطالعهُ من الاكاذيب التي ينشرها بعض الكَفَرة رغبةً في حطّ شأن الكنيسة وتذليل مقامها الى غير ذلك من البواعث التي لا تخفى على النبيه. وهم ينتحلون العلم فيؤسّسون اقاويلهم على التاريخ مدَّعين ان ادلَّتهم صادقة وبراهينهم قاطعة. فان لم يكن لنا المام بتاريخ القرون الاولى ومصنَّفات اجدادنا المسيحيّين فكيف يمكننا الردّ على هؤلاء البغاة ودحض حججهم الفاسدة واظهار تحريفاتهم الشنيعة

فثبت اذن ان الاقبال على درس التآليف المسيحيَّة القديمة غربيَّة كانت او شرقيَّة امر مهمّ لفهم التواريخ

٤ً : السبب الرابع وهو ما لتلك التآليف من الاهميَّة الادبيَّة · لا نرى حاجة الى التطويل في بيان هذا القول لأنَّهُ من المقرَّر ان لتآليف الآباء من الفصاحة والبلاغة وضروب الفنون الادبيَّة والفلسفيَّة ما لا ينكرهُ الَّا الجاهل او من اظلم عقله بالغيرة · فمن ذا الذي قضى بضعة سنين في مدرسة من المدارس الثنويَّة ولم يقرأ ولو في ترجمةٍ بعض اسطر من مؤلفات القديس يوحنا الذهبي الفم او القديس اغسطينوس او مار افرام وغيرهم من مشاهير الملافنة · او لم يسمع على الاقلّ ذكر مآثرهم وسموّ مقامهم في الادب والتهذيب العقلي · أفيرفض احدٌ التسليم بان هؤلاء الكتبة كانوا اول رجال عهدهم ومتقدّميهم في الخطابة والشعر والفلسفة ؟ كلاَّ · وقد اثَّرت بلاغة تآليفهم في ذهن العلامة والخطيب المصقع بوسويت الفرنسيّ حتى انهُ اصبح مائلًا الى الغاء كتب الوثنيين من اليونان واللاتين في المدارس الثنويَّة (١ · وان كان في هذا الرأي بعض الافراط فلا يُنكر انهُ يُظهر جليًا حقيقة ما نحن عليهِ من بيان اهمّية تاليف الآباء في تنوير الاذهان وتزيين العقول

وان اردتَ قاعدةً للحكم بعظم شأن هذه التآليف فعليك ان تتذكَّر انها تجمع بين الحقيقة والخير والحُسن خلافًا لمعظم الكتب التي وضعتها يد الوثنيين · فان وجدتَ فيها فصاحةً وبلاغةً كثيرًا ما ترى بدلًا من الحقيقة خرافات واضغاث احلام · وان عثرتَ فيها على حقيقةٍ فقلَّ ما تجدها خالية ممَّا يهتك ستر الاخلاق الحسنة · ولا نجهل ان بعض كتب الآباء ناقصة من باب البلاغة · على ان ذلك لا يحرمها قطّ فوائد اخرى وهي العظمى اعني بها الحقيقة وسداد الرأي وحسن الاخلاق وجميل النصيحة وصالح القدوة

فبان اذًا ان في قراءة تآليف الآباء فوائد ادبيَّة لا تحصى

ولاظهار اهمِيَّة هذه التآليف براهين اخرى نضرب صفحًا عنها قصد الاختصار · وانَّما نريد هنا ان افضل طريقة للانتفاع من كنوز الآباء والملافنة مطالعة تآليفهم في

١) يعلم قراؤنا الافاضل ان الطلَّاب في مدارس اوربَّة يتعلَّمون اللاتينيَّة واليونانيَّة القديمة فضلًا عن لغتهم الوطنيَّة · وذلك خصوصًا لما في هذه الطريقة من الفوائد الجمَّة لتخريج التلامذة وشحذ قرائحهم



لغاتها الاصليّة. الّا ان ذلك امر عسر في هذه البلاد لعدم معرفة السواد الاعظم من الشرقيّين للغات القديمة كاللاتينيّة واليونانيّة لا بل السريانيّة ايضًا مع انها لغة اجدادهم العزيزة (١ فلذا ما دام بنو الشرق لا يتعلّمون تلك اللغات اللازمة معرفتها يضطرون الى مطالعة كتب الآباء في التعريبات او في اللسان الفرنديّ الاكثر شيوعًا في هذه الانحاء. أفلا يليق والحالة هذه بادباء المشرق الذين حصلوا على معرفة اللاتينيّة او اليونانيّة او السريانيّة وقد رزقهم الله فراغًا كافيًا ان يسعوا وراء تعريب بعض تلك التآليف التي هي اسمى شهرةً واوفر عائدةً فينشروها بالطبع افادةً لعامة القرّاء وطلّاب المدارس. ففي مثل هذا المشروع خدمة جليلة للوطن والعلم والدين

وما لا نتمالك عن ايراده قبل الختام ما نشاهدهُ من دفن بعض الكتب النسخيّة القديمة والغير المطبوعة في مكاتب بلادنا لا ينتفع منها اصحابها ولا يفيدون بها غيرهم من الادباء. فكم وكم من المجلّدات السريانيّة مثلًا يتمنّى العلماء اشهارها بالطبع وهي لا تزال معفّرةً في غبرة الرفوف. ثم كم وكم من المصنّفات العزيزة التي لم يتّصل الينا اسماؤها قد اصبحت فريسة العثّ والهوامّ او تقلّبات الجوّ او لهيب النار كما حدث في مكتبة صيدنايا على ما رواهُ الشاب الاديب حبيب افندي زيّات في هذه المجلة (ع ١٣ ص ٥٧٦)(٢ افيحتمل الشرقيّ الخالص دوام مثل هذه الحالة من التقهقر او يقنع بان يسبقهُ علماء اوربّة الى نشر تآليف آبائنا والاهتمام بجمعها في مكاتب عواصمهم وقد قال الشاعر :

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على الكمالِ

١) والحقّ يقال ان اغفال السوريّين للسريانيّة لمن اغرب الامور في هذا العصر الذي هو عصر الانوار. واغرب من ذلك انك ترى الصبيان في بعض المدارس الابتدائيّة يتعلّمون فضلًا عن قراءة الخطّ الكرشوني قراءة بعض الكتب السريانيّة ولا احد يهتم بتلقينهم معاني ما يقرأونهُ. وهكذا يذهب تعبهم ضياعًا. وما يزيد في التأسّف على هذه الحال ان الشرقيّ قادر على هذا الدرس فانّهُ مجبول على تعلّم اية لغة كانت لاسيما اللغات السامية التي تُعدّ في جملتها العربيّة. فكلما اقبل مثلًا طلّاب المدارس الاكليريكيّة الشرقية على مدارسة السريانيّة يتعلّمونها بسهولة عجيبة وينجحون في اقتنائها بعد سنة او سنتين بينما ترى تلامذة اوربّة يقضون في تلقّيها ضعف هذه المدّة مع مكابدتهم عناء اشدّ. وكذا قل عن العبرانيّة

٢) راجع ايضًا مقالة حضرة الاب بطرس شبلي في الشرطونية المارونية (المشرق ٢ : ٦٤٠)

لكن هذا الموضوع الذي يهمُّنا للغاية ليس من مدار هـذه المقالة وانما استطردنا اليهِ لرغبتنا الشديدة في تقدُّم الشرقيين الادبي والعقـلي وبلوغهم المراتب العالية التي ادركها ابناء الغرب ولا يزالون يتعدَّون منها الى اسمى الذرى. وعلى كل حال ففي مطالعة تآليف الآباء والملافنة وسائر الكتبة من قدماء النصـارى جانب عظيم من اسباب الترقّي في معارج الفلاح الادبي والعلمي والديني. وهذا حسبنا في هذه العجالة

جدول

للكتَبة الكنَسيّين في القرون الاولى الخمسة للنصرانيَّة *

اكليمبس الرومي تلميذ بطرس الصفا (ي) † نحو ٩٨
برنابا تلميذ الرسل (ي)
اغناطيوس الانطاكي (ي) † ١٠٧
پوليكارپوس تلميذ يوحنا الانجيليّ (ي) † ١٥٥
پاپياس اسقف هيرَاپوليس (ي) † في منتصف

القرن الثاني

قوادراتوس الاثيني (ي) عاش في القرن الثاني
يوستينوس الفيلسوف الفلسطيني (ي) ١٠٠–١٦٦
ثاوفيلس الانطاكي (ي) † نحو ١٩٠
ايراناوس اسقف ليون (ي) نحو ١٢٥–٢٠٢
هجزيپوس المؤرّخ (ي) عاش في القرن الثاني
اثيناغوراس الفيلسوف (ي) 〃
اپوليناريوس اسقف هياراپوليس (ي) 〃
مليتُون اسقف سَرْد (ي) 〃
اكليمبس الاسكندري (ي) نحو ١٩٠ – ٢١٥
ترتوليانُس الافريقي (ل) نحو ١٦٠ – ٢٣٠
هيپوليتوس الرومي (ي) † في الثلث الاول من

القرن الثالث

اوريجانوس الاسكندريّ (ي) ١٨٦–٢٥٤
قبريانوس الافريقيّ (ل) † ٢٥٨
غريغوريوس العجائبيّ (ي) ٢١٠–٢٧٠
اوسابيوس القيصري المؤرّخ (ي) نحو ٢٦٥ – ٣٤٠
اثناسيوس الاسكندري (ي) نحو ٢٩٦–٣٧٣
هيلاريوس اسقف مدينة Poitiers (ل) † ٣٦٦
مار افرام السرياني (س) † ٣٧٣
كيرلس الاورشليمي (ي) ٣١٥ – ٤٠٣
اپيفانيوس الفلسطيني (ي) ٣٢٥–٤٠٣
غريغوريوس النزينزي (ي) ٣٣٠ – ٣٩٠
باسيليوس الكبير القيصري (ي) ٣٣١ – ٣٧٩
امبروسيوس اسقف ميلانو (ل) ٣٤٠ – ٣٩٧
يوحنا فم الذهب (ي) نحو ٣٤٤ – ٤٠٧
ايرونيموس (ل) نحو ٣٤٠ – ٤٢٠
اغسطينوس الافريقي (ل) ٣٥٤ – ٤٣٠
كيرلُّس الاسكندري (ي) نحو ٣٧٠–٤٤٤

* (تنبيه) قد ضربنا عن ذكر اسماء بعض الآباء وعدَّة من الكَتَبة فرارًا من الاطالة. ففي ما دُوِّن في هذا الجدول الوجيز كفاية للغرض المقصود اذ يرى القارئ ان تتابع المؤلفين في القرون الاولى للنصرانية كسلسلة متواصلة. ثمَّ اعلم ان العلامة † تدل على سنة الوفاة. ويُراد بالحروف ي ل س ان الكاتب ألَّف كتبهُ باللغة اليونانية او اللاتينية او السريانيَّة

النحل وجناها

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

ليس بين الهوامّ طائرٌ جمع الله فيهِ من العجائب ما جمعهُ في النحل. قال قسطا بن لوقا النصرانيّ الملكيّ في كتاب الفلاحة اليونانيَّة: ان النحل تحاكي الطير والبهائم والهوامّ وتشبهها في كثير من لطيف امورها وهي اشبه بسوَّاس المدن الكثيرة الاهل من ذوي المهارة والعلم بالامور الغامضة والتدابير الخفيَّة. فانَّها تجعل عليها مقدَّمًا ورئيسًا وتتَّفق جماعتها على ما فيهِ مصالحها وانتظام امورها. ثمَّ انَّها تجتني ما بدا لها من الشجر وسائر النبات فتأكل منهُ فمن ذلك ما يصير عسلًا ومنهُ ما يصير شمعًا فتبني مساكنها من الشمع بنيانًا تتحيَّر فيهِ عقول البشر من حسن الشكل والتقسيط والمنافع. ومن عميق لطفها بما يصلحها انَّها تعلم من ضعفها انَّها غير مقاومة لكثير من الآفات اللاحقة بها فتسدُّ لذلك عشَّها وتحصِّنهُ بالاعوجَاج والإظلام وتجعل ابواب عشها التي تخرج منها من قذرٍ لا يُنتفع بهِ تحصينًا لبيوتها. واذا رامها شيء من الهوامّ اجتمعت عليهِ وقاتلتهُ الى ان تقتلهُ ومن امر النحل انها لا تقرب قذرًا ولا تمسُّ نتنًا من لحم او من ادم. ولا تقرب الَّا الشجر وسائر ما يستحلى من النبات فجميع ما تأكلهُ نظيف وكذلك ما تأتي بها الى اعشاشها. ومن امر النحل انَّها لا تضرُّ بشيء من معايش الناس وان اضرَّ بها احد علقت بمن التمس ذلك منها...

على انَّنا في هذه النبذة الوجيزة لا نريد ان نتقصَّى اوصاف النحل وعجائب اخلاقها فانَّ ذلك يؤدّي بنا الى الاسهاب المملّ ويقتضيهِ كتاب موسَّع فضلًا عن الصفحات القلائل انَّما نكتفي اليوم بذكر جنى النحل وعسلها اللذيذ

كانت بلاد الشرق عمومًا وبلاد الشام خصوصًا ممتازةً في غابر الزمان بكثرة عسلها حتى انَّ الله عزَّ وجلَّ لمَّا اراد تعريف ارض الميعاد التي جعلها ميراثًا لشعبهِ وصفها مرارًا بكونها ارضًا تدرُّ اللبن والعسل. ولا غرو فان النحل تجد في سهولنا وجبالنا كلَّ ما تحتاج اليهِ لتأتي بجناها الطيِّب. فلذا كان العسل في الزمن القديم يعدُّ من اسباب الثروة في سوريَّة وكان الفينيقيُّون يتاجرون بهِ ويربحون منهُ الاموال الطائلة

ولكن بئس الدهر وصروفهُ فانَّهُ ذهب بهذه التجارة الرابحة كما أقفل في وجهِ الوطن كثيرًا من ابواب الارتزاق والمكسب

الَّا اننا نودُّ لو عاد الاهلون الى تربية النحل لما يترتَّب على جناها من الفوائد ولقلَّة ما تقتضيهِ منهم تربيتها من النفقات والعناء . قال حضرة الاب ميشال جوليان اليسوعي في مقالة افرنسيَّة حسنة كتبها في هـذا الموضوع : « لا حاجة لتربية النحل الى الحقول الواسعة بل يكفيها كوارة صغيرة من الخشب او الطين . فانَّ في عسلها لتجارةً رابحة بلا رأس مال . فانَّ النحل تقوم وحدها بمعاشها وتسعى وراء قوتها تجنيهِ من ازهار الحقول واذا دخلت البساتين فامتصَّت أري زهورها فلا تلحق باصحابها ضررًا البتَّة بل تفيدهم لانها تنقل غبار اللقاح من الذكور الى الاناث ولا تؤذي الثمرة في شيء اصلًا » . ومما صحَّ بالاختبار انَّ الاشجار المثمرة وجفنة الكرم والزروع باجناسها والاعشاب المتَّخذة لقوت الدواب يزيد دخلها ويتحسَّن ثمرها اذا كانت النحل تتردَّد اليها وتجني الأري من زهورها واوراقها

ثمَّ انَّ بلادنا اصلح ما يكون لتربية النحل لخلوّها من البرد القارس الذي يفني النحل في بلاد الشمال ومن الرطوبة التي تفسد العسل فضلًا عن انها غنيَّـة بالازهار العطريَّة الذكيَّة العرف التي تزيد العسل طيبًا وثمنًا

هذا وان ارباب الزراعة في اوربَّة لم يهملوا تربية النحل لعلمهم بانها تكفل لألوف من الناس بالارباح الواسعة . وقد كدُّوا ذهنهم لايجاد وسائل جديدة تضمن لهـا وفرة العسل فدرسوا طبائع النحل واختبروا عاداتها ولحظوا الزهور التي تأْنس اليهـا وتحسِّن جناها وتغزر مادتها . فمنهم من اخترع كوائر على نمط جديد تأْوي اليها وهي على شكل جرَّارات بديع ومنهم من جعل للنحل شهادًا صناعيَّة كأَنَّها الشمع في العين يضعونها في الكوائر فتملأُها النحـل عسلًا صافيًا غزيرًا بلا شمع فيشتارها العسَّال مرارًا في السنة ثم يعيدها الى مكانها واكثرهم يجتهدون في توفـير الزهور العطرة التي تستطيبها النحل كالخزامى والصعتر وغيرها فيزرعونها بجوار الكوائر فتجنيها النحل بلا عناء

امَّا خواصُّ العسل وفوائدهُ فكثيرة :

١ اوَّلها انَّهُ من ألذّ الاطعمة التي يقتات بها الناس لا يختلف في ذلك اثنان .



وزد على انهُ قوت مغذٍ نافع لاسيا للاطفال فانَّهُ يدفئ المعدة وتقبلهُ الشهوة دون كراهية ومَّا يزيد في فضلهِ انَّهُ من الاطعمة التي لم يتمكَّن المخرقون واهل المكر ان يتلاعبوا فيها بالتزييف اللهم اذا بقيت في شهدها

٢ ومن فوائد العسل انَّهُ يجوز استعمالهُ في كلّ الموادّ التي يدخل اليوم في تركيبها السكَّر. وكذا فعل الاقدمون قبل اكتشاف السكَّر وشيوعهِ في البلاد المتمدّنة منذ نحو ٥٠٠ سنة. وقد اخذ مؤخَّرًا احد الكرَّامين المشتهرين المسيو لوغرا غاليو (Le-gras-Gaillot) يطيّب بالعسل خمر شمپانية المشهور بدلًا من السكَّر القند فتحسَّن بذلك طعمها

٣ ومن فوائدهِ ايضًا انَّهُ يُتَّخذ لكثيرٍ من الحلويات والقطائف والمربَّيات والاثمار المجفَّفة والاشربة فيحصل المشتارون بتعسيلهِ مبالغ وافرة

٤ امَّا منافع العسل الطبّيَّة فلا تُكاد تحصى فانَّهُ يُعالج بهِ كمسهل ليّن يقي اعتقال البطن وكدواء يشفي امراض الحلق والخناق ويُتَّخذ كِمرهم يُسكّن آلام الجراح وكان العرب يستعملونهُ في علاج النواسير والقروح الغائرة وكانوا يقطرونهُ فاترًا في الاذن اذا ورمت فيسكّن ورمها ودويّها وتبرأ من اوجاعها وكذلك كانوا يفعلون في اوجاع العين ولا يزال قوم على هذه العادة الى يومنا. وكانوا يطلون بهِ رؤُوس الاطفال فيقتل الصئبان والقمل المنتشرة فيها وكانوا يُلعقونهُ لمن عضَّهُ الكلب الكلِب فينتفع بهِ الى غير ذلك ممَّا لا يسعنا هنا تعدادهُ

٥ ومن اكتشافات العسَّالين الحدثين ان الشوكولاتا المصنوعة بالعسل بدلًا من السكَّر أفضل للصحَّة واطيب للذوق. وقد اتَّصل احد الكيمويين المحدثين المسيو پوله (Poulet) ان يجعل العسل جامدًا فيخلطهُ بالكاكاو ويصنع منهما صفائح صُلبة يمكن المتاجرة بها ونقلها الى البلاد النائية (١

٦ ومن منافع العسل اشربةٌ كثيرة يصطنعها ارباب الصناعة يدخل العسل في تركيبها وكلها لذيذة الطعم سلسة المساغ. واشهر هذه الاشربة ما يُعرف بشراب العسل (hydromel) وهو شرابٌ طيّب يُحصل عليهِ بتخمير العسل وذلك بان يُعمَد الى كمّيَّة معروفة من العسل فيصفَّى ويغلى ثمَّ يُجعل في الشراب ويُمزج بعقاقير كالفلفل

(١ راجع مجلة الطبيعة La Nature, 31 Déc, 1898, p. 74

والسنبل وغير ذلك ثم يوضع في الشمس ايّاماً. وقد وجد المسيو جَكمين (Jacquemin) تلميذ العلامة بستور طريقة سهلة لصنع شراب العسل فانَّهُ يعمد الى حِراثة خميرة الشراب فيذرُّها في العسل المغلى فينال شراباً من العسل طيّباً يباع عند الخمّارين يشبهُ بطعمهِ ولونهِ خمر شمپانية الشهير

٧ وقد جعل بعض الكيمويين يصطنعون خمراً بل اصنافاً من الخمر (œno-meles) يتّخذونها من العسل فمن يشربها لا يشكّ في انها احدى الخمور المشهورة المعصورة من الجفنة. وقد اشتهر في صنعها المسيو پيكار (Péquart)

٨ امّا المسيو فلندر (Flandre) المتولّي تقطير الخمور في مدينة ريمس فانَّهُ توصَّل الى ان يصفّي العسل من كلّ شوائبهِ فيجعلهُ كالماء الزلال ويصطنع منهُ اشربة غاية في اللذة. وفي السنة الماضية تمكّن من تقطير العسل فنال منهُ مُسكراً كالعرق لا يختلف عنهُ شيئاً

هذه بعض منافع العسل سردناها هنا للقرّاء ليروا ما في مزاولة تربية النحل من الجدوى. لاسيما وان سواحلنا واعطاف جبالنا توافق ايّ موافقة اصطناع العسل الطيّب لاعتدال هوائها ووفرة زهورها. فاذا اتّسعت هذه التجارة اتت للبلاد بارزاق جديدة ومنافع عديدة. وفّق الله الاهلين الى كلّ عمل نافع ومشروع مفيد

مجلّة الضياء ولغة الجرائد

لجناب الكاتب الفاضل رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كليّة القديس يوسف

كتبنا في العدد الثالث عشر من مجلّة المشرق كلاماً تحت العنوان السابق ذكره وقد اثبتنا فيهِ بعض ما خطر لنا من الملاحظات على حضرة رصيفنا اللغوي الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء في ما انتقدهُ على كتبة الجرائد وكنّا نتوقّع من كرمهِ ولاسيّما بعد أن اعلن مراراً كلَفَهُ بخدمة اللغة وتنزيه الاقلام عن شوائب الخطإ ان يُقابل ملاحظاتنا بمثل ما قابلها بهِ كثيرون من جلّة اهل الادب والفضل لاننا اسندناها الى نقول أيمّة اللغة الذين يُعوَّل عليهم عند الاختلاف. ولكن جاءنا الجزء



الثاني والعشرون من مجلة الضياء الموما اليهـا حاويًا عكس ما كنّا نأمل فقد قال فيهِ حضرة الشيخ ما نصهُ :

« قبل ان نمسح القلم من هذا الفصل لا بُدَّ لنا من ذكر أمرٍ فاجأتنا بهِ احدى المجلات الأدبيَّة بما لم نتوقَّعهُ ولعل ذكرهُ لا يخلو من فائدةٍ وتبصرة. وذلك ان بعض رصفائنا الالبَّاء توهم اننا نريد من هذا البحث مناقشة اصحاب الجرائد فقام يردّ علينا ويتمحَّل الحجج والاعذار تصحيحًا لبعض ما نبهنـا عليهِ من الاغلاط — ولعلهُ توخى منها ما كان قد اتّفق لهُ السقوط فيهِ — فكدَّ ذهنه وأسهر جفنه في البحث وتقليب الصحف ثمَّ جاءنا بامور حاصلها تخريج بعض تلك الاوهام على بعض المذاهب الساقطة واحالة بعضها على بعض اللغات المتروكة وتوجيه بعضها على وجوهٍ من التأويل والمجاز ممَّا نحن اعلم بهِ (!!). ولو ذهبنا الى التخريج كما يريد هذا الاديب لما كتبنا في هذا المعنى حرفًا اذ قلَّما تجد تركيبًا مخالفًا للصحَّة الّا ولهُ وجهٌ يُردّ اليهِ. على ان التخريج انَّما يُنحى في ما يصدر عن قائلهِ سهوًا او لضرورةٍ لا في ما يرتكب عن جهل او في سعة من اجتنابهِ ولا على ان يُجعل قاعدةً يُسوَّغ بها ركوب الشطط ثم تتكلَّف لهُ الاعذار الباردة والحجج الواهنة وهذا القدر كافٍ في هذا المقام والسلام على من اتّبع الهدى »

نقول أمَّا كون الشيخ لم يكن يتوقَّع ما ابديناه لحضرتهِ من اللاحظات فسببـهُ أنهُ كان على يقينٍ من صحَّة انتقاداتهِ فلا عتب عليهِ ولكنَّهُ يؤاخذ على استمرار هذا اليقين بعدما ابنَّا لهُ بالدليل الساطع انَّهُ لم يقع في بعضها مواقع الصواب. وقوله اننا كددنا الذهن وأسهرنا الجفن في البحث وتقليب الصحف فهب انَّهُ صحيح أيحقُّ لهُ ان يلومنا على الاشتغال في خدمة اللغة وإعمال الرويّة والبحث في مسائلها وقوفًا على حقائقها. أو ليس حضرتهُ ايضًا يكدّ ذهنهُ ويقلِّب الصحف للبحث عن الامور اللغويَّة التي لا تُستفاد الّا من المطالعات. ومع ذلك فانَّ دعواه هذه غير ملاقيـة للواقع لان أحد الاصدقاء عرض علينـا ذات يوم مجلّة الضياء وسألنا رأينا في ما تنتقدهُ على لغة الجرائد فتصفَّحناه المامًا وبدون كدّ ذهن واسهار جفن بدت لنا بعض مؤاخذات فتناولنا في الحال كتب اللغة التي بين ايدينا فوجدنا انها تصوّب ظنَّنا فبادرنا الى كتابة فصل في مجلَّة المشرق نعرض فيهِ ما تأكَّدناهُ فكان نصيبنا من حضرة الشيخ انهُ وصفنا — ولكن دون ايراد أقلّ دليل — بكوننا « نتمحَّل الحجج والاعذار الباردة

ونخرج بعض تلك الاوهام على بعض المذاهب الساقطة » الى آخر ما هنالك ممَّا لم نكن نتوقَّعهُ من ادبهِ

وقولهُ اننا توخَّينا تصحيح الاغلاط التي اتفق لنا السقوط فيها فنجيب عليهِ اوَّلًا اننا كغيرنا من الناس عرضة لارتكاب الشطط وليست العصمة الّا لله تعالى باري الأكوان فلو سقطنا في غلط ثم بان لنا انهُ غلط لا نخجل من الاعتراف بهِ علماً منا بان الاعتراف بالخطإِ مزيَّة حسنة تكسبنا في عين الشيخ وغيرهِ اعتباراً فان الاصرار على الشيء مع وضوح الدليل على نقيضهِ عنادٌ ومكابرة مذمومان

وثانيًا ان ما يحسبهُ الشيخ غلطاً ليس غلطاً بل هو الصواب بعينهِ ولئلاَّ نوصف بما لم نأتِهِ نعيد بعض ما سبق لنا ذكره من الملاحظات حتى يتأكَّد القرَّاء ان دعوى الشيخ علينا خالية من دليل:

— كان انكر الشيخ استعمال حوَّر بمعنى نقَّح وهذَّب قائلًا ان أصل معناها في اللغة التبييض. فاجبناه ان الكتبة يعرفونها بهذا المعنى ولكنَّهم ينقلونها منهُ الى المجاز مريدين بها اعادة النظر والمراجعة تشبيهاً لذلك بتبييض الثوب فاين يرى اننا أوَّلنا « تأويلًا فاسدًا » ؟. أمَا يعلم انهُ لو سُدَّ باب المجاز في وجوه المتكلّمين والكاتبين لضاقت عليهم مذاهب التعبير عن كثير ممَّا يريدون ؟. أما يرى ان نقَّح وهذَّب اللتين يريد اقامتهما مقام حوَّر هما منقولتان عن حقيقة معناهما الى معنى الاصلاح والاخلاص ؟ وهل يحسب ان نقل اللفظ الى المعنى المجازي يجب ان يكون مدوَّنًا في كتب اللغة ؟ فان ذهب اليهِ وجب حرمان كلّ متأخر من هذه النعمة التي تمتَّع بها المتقدّمون

— قال الشيخ ايضاً ان استأسر بمعنى استسلم ولا ترد بمعنى أسر فاجبناهُ ان قولهُ منقوض بما رواهُ المطرّزي الشهير في كتاب المغرب حيث اورد حديث عبد الرحمن وصفوان وهو « انهما استأسرا المرأتين اللتين كانتا عندهما من هوازن » فهل يحسب الشيخ هذا « وهمًا او حجَّةً واهنة » ؟

— انكر الشيخ ايضاً قولهم « فعل هذا لمصلحة أهل جلدتهِ يريدون قومه واهل جيله » وعنَّف الكتبة جدًّا على هذا الاستعمال قائلًا انهم يتناقلونها بعضهم عن بعض من غير بحث ولا تنقيب وبعد ذكر الاصل فيها كما نقلناه عنه في مقالتنا السابقة ختمهُ بقولهِ « لا معنى ان نقول اهل جلدة الانكليزي مثلًا واهل جلدة الفرنسوي

والالماني لانَّ لكلَّ هؤلاء جلدةً واحدةً »

أمَّا نحن فأوردنا من كلام التاج ما يثبت عكس مدَّعى الشيخ وهو « ومِمَّا يُستدرك عليهِ (اي القاموس) قومٌ من جلدتنا اي من انفسنا وعشيرتنا » او بالحري من قومنا واهل جيلنا فاين يرى الشيخ هنا اننا « أحلناه على لغة متروكة وعذر بارد » كما يقول واذا كان لا يُعوَّل على نصوص اصحاب المعجمات ومشاهير البلغاء في مثل هذه المسائل فعلى من المعوَّل يا ترى ؟ ومن لهُ الحكم فيها ؟

والظاهر ان الشيخ ذهل ما كان قد خطَّهُ بقلمهِ في الجزء الرابع من مجلّتهِ في الصفحة ١٠٤ منها عند كلامهِ على غوائل الحرب حيث يقول « وقد فُقِدت من الانسان عاطفة الرقة والحنان فانقلب وحشًا ضاريًا ينقضّ على ابن جلدتهِ فيمزقهُ كل ممزَّق . . الخ » فما معنى « ابن جلدتهِ » هنا سوى اخيهِ في الانسانيَّة كيفما كانت جلدتهُ سوداء او بيضاء او صفراء ؟ . ارأيت كيف ان الشيخ يستعمل ابناء جلدة الانسان لاهل جيلهِ بل لجميع اخوانهِ في البشريَّة دون تفريق في مسألة الجلدة وينكر استعمالها على غيرهِ . أفما كان ينبغي ان يجتنب ما ينتقدهُ على سواه ؟ ولا اخالهُ هنا يقول اننا « تكلَّفنا عذرًا باردًا »

— انكر حضرة الشيخ وجود رحوم في اللغة بمعنى رحيم اي راحم فخالفناه في ذلك بالاعتماد على ما قرأناه في لسان العرب لابن منظور الذي يقول « رحيم فعيل بمعنى فاعل كما قالوا سميع بمعنى سامع وقدير بمعنى قادر وكذلك رجل رحوم وامرأة رحوم » ومعلوم ان لسان العرب هو المعوَّل عليهِ في المسألة فأين « التمحُّل » ؟

— قال الشيخ ان خَصْم لا يُجمع على أخصام بل الصواب جمعهُ على خصوم . فاوردنا كلام تاج العروس وقد جاء فيهِ ما نصهُ : « الأخصام جمع خَصِم ككَتِف وأكتاف او جمع خَصْم كفَرْخ وأفراخ او جمع خصيم كشهيد وأشهاد » فهل يحسب هذا « تخريجًا او اعتذارًا او كلامًا ساقطًا » ؟

— خطَّأَ حضرة الشيخ لسان الدين بن الخطيب في قوله « جدَّدنا كربها واستوعبنا حرقها وخَربها » فادَّعى ان خرَب بالمجرَّد لا وجود لهُ . فأتينا اذ ذاك بنصّ كلام الفيروزابادي الذي يقول في قاموسهِ « خرَب الدار خرَّبها كأخربها » فهل هذا « مذهب ساقط او لغة متروكة » ؟

هذا بعض ما تضمَّنتهُ مقالتنا السابقة من الملاحظات ولا ريب ان القارئ يرى انَّها معتمدة على ادلَّة راهنة لا كما وصفها الشيخ بأنَّها مخرَّجة على مذاهب ساقطة ولغات متروكة وموجهة على وجوه من التأويل والمجاز . وقس على ما ذكرنا منها ما لم نذكرهُ حبًّا بالاختصار

وقد كنَّا اقتصرنا في مقالتنا السابقة على ثلاث عشرة ملاحظة والآن نضيف اليها ملاحظات أخرى غير قاصدين التعنُّت كما ذهب اليهِ وهم الشيخ بل انَّنا نؤثر ما يؤثرهُ حضرتهُ من خدمة اللغة

١ قال الشيخ في جملة انتقاداتهِ « يقولون قد أصبح هذا الأمر اصلح من ذي قَبْلُ يعنون أصلح ممَّا كان عليهِ من قَبْلُ فيحرفون اللفظ والمعنى جميعًا والذي يؤخذ من نصوص اللغة انَّك تقول سآتيك من ذي قِبَل وقَبَل اي في ما يُستقبل من الزمان »

ونحن نعجب من الشيخ كيف يريد ان يُقيّد الاقلام في دائرة ضيقة لا تخرج عنها وهو يعلم انها تأبى ان تتقيَّد ما دامت اللغة تفسح لها مجال التصرُّف . ويا ليت شعري هل يمكن للشيخ ان يدَّعي بان كتب اللغة تدوّن كل صور التراكيب ؟ . ومن اين لهُ ان يتَّهم الكتبة بالتحريف وينسب لهم الجهل في حين ان سوادهم الاعظم من ذوي الاطلاع الذين لا يجهلون ما جاءت بهِ نصوص اللغة ؟ . وكيف يريد اجبارهم على اتباع هذه النصوص ولا يسوّغ لهم ان يحتذوا حذوها ؟ . واي مانع يمنع من القول « اصبح الامر أصلح من ذي قَبْلُ » اي من الذي قَبْلُ قياسًا على قولهم سآتيك من ذي قبل اي في الذي يُستقبل من الأيَّام . وهل صار يستحيل على من يمسك القلم ان يركِّب الالفاظ كما يستدعيهِ المعنى الذي يريدهُ . ولو ان كلمة « ذو » وكلمة « قَبْل » غير واردتين في اللغة او ان ارباب اللغة نصُّوا صريحًا على عدم جواز تركيبهما معًا لوجب ان نقبل كلام المنتقد ولكن الحال بعكس ذلك

٢ وعاب ايضًا استعمال احتمى عن ذكر الامر بمعنى تحاماهُ قائلًا « ان احتمى لم يأتِ في شيء من كلامهم بهذا المعنى ولا سمع في كلام العامَّة »

قال لسان العرب حمى المريض ما يضرُّهُ حِمْيةً منعَهُ إياهُ واحتمى هو وتحمَّى امتنع » . أفلا يجوز ان يكون المعنى في قولهم « احتمى عن ذكر الامر » امتنع عنهُ كما يمتنع المريض عمَّا يضرُّهُ ؟ أفلا يسوغ في عرف الشيخ الخروج باللفظ الى المجاز ألا



في الكلمات التي نصّت عليها المعجمات او مجلة الضياء . فان صحّ ذلك وجب حذف باب المجاز من كتب البيانيين لانهم يطلقون الحرّية فيهِ لارباب الاقلام ولا يحصرونهُ في الفاظ وتراكيب معلومة

٣ وانكر ايضاً قولهم « اذا لا سمح الله حدث كذا او ان لا سمح الله حدث كذا » فقال « انهم يفصلون بين اذا وما أُضيفت اليهِ وبين إن وشرطها وكلاهما لا يجوز فالصواب تأخير الجملة المعترضة وقد وقع مثل هذا لبديع الزمان في رسائلهِ الى الامام ابي الطيب حيث يقول وان والعياذ بالله لم يوافق مرادهُ قدرًا »

والجواب ان تأخير الجملة المعترضة هنا يخفّف من قوّة الكلام كثيرًا فتقديمها اذًا واجب للدلالة على اهتمام المتكلم بسؤالهِ عدم حدوث الشرط قبل الاخبار بهِ وهذا هو مقتضى العقل ولو ان هذا الاقحام يخلّ بشيء من قواعد اللغة لما كان جرى عليهِ بديع الزمان الذي كان يجب على الشيخ ان يتّخذهُ حجّة بدلًا من ان يخطّئهُ . ولا يخفى ان النحاة قد اهتمّوا فقط بصحة التراكيب دون التفات الى شيء آخر الّا انّ البيانيين نظروا الى ما هو اسمى من ذلك اي فصاحة العبارة وبلاغتها وفي جملة ما اوجبوهُ تقديم المهم في المعنى ولذلك فلا نعجب من بديع الزمان اذا خالف نصوص النحاة ففصل بين اذا وما أُضيفت اليهِ بجملة معترضة اولًا لان الذي يهمّ في عبارته هو تقديم الجملة المذكورة قبل الاتيان بفعل الشرط . وثانيًا لان القواعد اللفظيّة كثيرًا ما لا تراعى اذا خالفت ما هو ارفع منها اي القاعدة البيانيَّة فكم من كاتب بليغ مشهود لهُ بالفضل يدوس كثيرًا من قواعد النحو دوسًا لاعتراضها في سبيل فصاحة التركيب . ومن شاء منّا امثلةً على صحة ما نقول فلا نضن عليهِ بها

٤ وانكر الشيخ ايضاً على الحرث ابن حلزة اليشكري صاحب المعلّقة المشهورة تأنيث الضوضاء في قولهِ :

أجمعوا امرهم بليل فلمّا اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء

قال « فأنّث الضوضاء على توهّم انهُ من باب شحناء وبغضاء » . .

قلت وهنا وَهِم الشيخ فقد جاء في لسان العرب لابن منظور « قال ابن سيده وعندي ان ضوضاء ههنا فعلاء » اي من باب فعلاء كشحناء فمقتضى كلامه اذًا انها

مؤنثة ولا يخفى على احد مقام ابن سيده في اللغة حتى كان اكثر اعتماد اللغويين عليهِ واين منهُ ابناء هذا الزمان ؟

وجاء في اللسان ايضاً الضوضـاة والضوضاء اصوات الناس وجلبتهم فمقتضى هذا السرد ايضاً ان الضوضاء مؤنثة

ثمَّ انَّ قول الشيخ بتذكيرها لكون همزتهـا منقلبة عن واو لا يصلح حجَّة فهذه همزة سماء ايضاً منقلبة عن واو ومع ذلك فان سماء من الالفاظ المؤنثة

على اننا لو جارينا الشيخ وقلنا ان ضوضاء لفظ مذكَّر فلا يمكن مع ذلك ان يُخطَّأ الحرث بن حلزة على تأنيثهِ فقد نصَّ البيانيُّون ان الشعراء قد يؤنثون المذكَّر على تأويلهِ بمرادف لهُ مؤنث وعلى هذا القياس تُؤوَّل الضوضاء هنا بالجلَبة وينتفي وجه الانتقاد. وكثيرًا ما ورد مثل ذلك في الشعر القديم قالت الدعجاء بنت المنتشر ترثي اباها:

اني اتـتني لسان لا أُسرّ بهـا من علوُ لا عجب منها ولا سخرُ

قال في الخزانة اللسان هنا بمعنى الرسالة وارادت بهِ نعيَ المنتشر ولهـذا أنثت لهُ الفعل فانهُ اذا أُريد بهِ الكلمة او الرسالة يؤنث واذا كان بمعنى جارحة الكلام يذكَّر. وورد مثلهُ ايضاً في شعر المتأخرين قال فارس الشدياق:

حَبلت بهِ رأسي خلافاً للنسا

فأنث الفعل على تأويل الرأس بالهامة

٥ ومن انتقادات الشيخ ايضاً « يقولون هو عدوٌّ لدود وهو الدّ اعداء فلان يريدون باللدود الشديد العـداوة وهو خلاف المعروف في استعمال العرب لان اللدود عندهم هو الشديد في الخصومة » .

قلنا وهنا لا يصحّ انتقاد الشيخ لانَّ شدَّة العداوة تستلزم شدة الخاصمة فوصف العدوّ اذًا بشدَّة الخاصمة التي هي من لوازم شدَّة العداوة بمثابة وصفهِ بشدَّة العداوة فلا لوم اذًا على من يقول « عدوّ لدود » بمعنى شديد العداوة

٦ ومنها ايضاً انتقادهُ على العلاَّمة الحريري قولهُ في مقامتهِ الحجريَّة « امَا انك لو ظهرت على عيشي المنكدر لعذرت دمعي المنهمر » وقال ان كتب اللغة لا تذكر انكدر بمعنى تكدَّر واستشهد بمـا في لسان العرب حيث قال انكدر يعدو اسرع وانكدر عليهم القوم اذا جاؤوا أرسالًا حتى ينصبوا عليهم وانكدرت النجوم تناثرت.

وختم الشيخ ذلك بقولهِ « لم يحكوا فيهِ غير ذلك »

ونحن نكرّر القول هنا لحضرة الشيخ ان أضخم ما أُلف من المعجمات العربيَّة مقصِر عن الاحاطة باللغة فاذا كان لسان العرب مع سعتهِ لم يثبت انكدر فقد اثبتها البيضاوي في تفسير سورة التكوير قائلًا انكدر بمعنى انقض او أظلم من كدرت الماء فانكدر. واثبتها غيره ايضًا من مفسّري القرآن بمعنى تغيَّر ولا يمكن ان نتَّهم هؤلاء الائمة بالجهل والتقصير بل الواجب ان نتخذهم حجة فكان الاليق بحضرة الشيخ ابرهيم قبل الاقدام على تخطئة الحريري الذي هو من كبراء الكتَّاب وجهابذة اهل الانشاء ان يحسن التدبُّر والتبصُّر

٧ ومنها « يقولون أزورهُ رغمًا عن هجرهِ لي » قال « ولا معنى للرغم هنا انما هو من التعريب الحرفي والذي يقال في هذا المقام ازورهُ مع هجرهِ لي او على هجرهِ لي وهو المعنى المراد من التعبير الافرنجي »

قلنا ان التعبير الذي يريدهُ حضرة الشيخ لا يفيد ما يفيدهُ التعبير الذي عرَّبهُ كتبة الجرائد عن اللغات الافرنجيَّة لان قولهم « ازورهُ بالرغم عن هجرهِ » معناهُ ازورهُ متغلبًا على هجرهِ بالقهر او ازورهُ راغمًا ما القاهُ من مقاومة هجرهِ فهو اقوى وابلغ من قول القائل « أزورهُ مع هجرهِ » فان معناه ازورهُ وهو هاجرٌ لي او انَّ زيارتي لهُ يصاحبها الهجر من قبلهِ وعلى هذا فمعنى المقاومة والقسر منتفٍ من التعبير الثاني الذي يريدهُ حضرة الشيخ. فقد رأيت اذًا ان للرغم هنا معنىً حسنًا لا وجود لهُ في قولهم « أزورهُ مع هجره »

امَّا الاحتجاج بكون التعبير معرَّبًا بالحرف عن الافرنجيَّة فهذا لا يقدح في صحَّتهِ وبلاغتهِ ما دام حسن السبك ومفيدًا معنًى جديدًا وبليغًا

٨ وقال الشيخ ان البيت المشهور

خفرتْ بسيف الغنج ذمَّة مغفري وفرت برمح القدّ درع تصبري

هو لابن هانئ والصواب انهُ لابن معتوق وهو من الشعراء المتأخرين والبيت مطلع قصيدة يمدح بها السيّد علي خان

٩ وعاب الشيخ على بعض شعراء اليتيمة استعمالهم انصلح بمعنى صلَح وما كان حقُّهُ ان يفعل ذلك وهو يعلم انهم كانوا من ذوي الاطلاع الواسع والادب الراجح

فاستعمالهم لهذا الحرف حجّة للمتأخرين لاسيا وان الثعالبي نفسهُ قد استعملهُ في كتابهِ لطائف المعارف المطبوع في ليدن في الصفحة ١٢٨ والسطر الثاني ومعلوم ان الثعالبي المكنّى بابي منصور كان في وقتهِ راعي تلَعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم ورأس المؤلفين وامام المصنِفين كما وصفهُ ابن بسام في كتاب الذخيرة

١٠ انّنا نستهجن من الشيخ تعرُّضهُ لتخطئة المبرّزين من اهل الادب وجلّة المصنِفين المشهود لهم بالبراعة وسعة الاطلاع مثل الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم مع ان هؤلاء وامثالهم اعلى من نقد الناقدين في مسائل اللغة فقد شهد ابن خلكان ان أبا بكر الخوارزمي « كان إماماً في اللغة يُشار اليهِ بالبنان وكان احد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير » فكيف يسوغ الاعتراض على كلمات يستعملها امام في اللغة كبير مشهور يصغر بالقياس اليهِ كل من يسمي نفسهُ لغويًّا في هذا الزمان

وقال ابو منصور الثعالبي عن بديع الزمان « انّهُ كان فريد الدهر وغرّة العصر لم يُلفَ نظيرهُ في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وصفاء الذهن ولم يُدرك قرينهُ في ظرف النثر وملحهِ وغرر النظم ونكتهِ ولم يرَ ان احدًا بلغ مبلغهُ من لبّ الادب وسرهِ وجاء بمثل اعجازهِ وسحرهِ . وكان يُنشَد القصيدة لم يسمعها قط وهي اكثر من خمسين بيتًا فيحفظها كلَّها ويوردها الى آخرها لا ينخرم حرف منها وينظر في الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفهُ ولم يرَهُ نظرةً واحدةً خفيفةً ثم يعيدها عن ظهر قلبه ويسردها سردًا . وكان يُقترح عليهِ عمل قصيدة وانشاء رسالةٍ في معنًى غريب وباب بديع فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عمَّا فيها . وكان ربَّما يكتب الكتاب المقترح عليهِ فيبتدئ بآخر سطوره ثم هلم جرًّا الى الاول ويخرجهُ كاحسن شيء واملحه »

والآن فليحكم حضرات القراء هل من كان موصوفًا بمثل هذه الاوصاف ولاسيا تلك الذاكرة الغريبة والمبلغ العظيم من الادب يُتصوَّر انهُ لا يحفظ قواعد لغة العرب حقّ حفظها او يجهل مناحيها الفصيحة وتعابيرها البليغة وهل يسوغ الانتقاد عليهِ في امور كان هو اعلم بها واعرف ؟

واما لسان الدين بن الخطيب فقد وصفهُ مؤرّخو زمانهِ بانهُ المثل المضروب في الكتابة والشعر فكيف اذًا تسوغ تخطئة من كان مثلًا مضروبًا في الكتابة والشعر .



ولو ان الشيخ مثلًا انتقد بعض المعاني في كتابة المؤلفين المشار اليهم او قال ان بعض مناحيهم في التعبير صارت اليوم مهجورة لكان في الامر ما فيهِ ولكنهُ يعيب عليهم استعمال بعض الالفاظ بحجة انها غير واردة في المعجمات وهي حجّة لا معوَّل عليها لان هؤلاء المؤلفين ممَّن يصلحون ان يُعتمَد عليهم في اللغة كالمعجمات

١١ بقي علينا ان نقول ان تخطئة حضرة الشيخ ابرهيم لشعراء الجاهليَّة هي ايضًا في غير محلّها بل لا تجوز بحال من الاحوال . فقد خطَّأَ عدي بن زيد في استعمالهِ موثوق بمعنى موثق وقال انَّما وقع لهُ ذلك لانهُ كان قرويًا كما ذكر الاصفهاني في ترجمتهِ »

وياليتهُ قال ان استعمالهُ موثوقًا بمعنى موثق لغة قرويَّة غير فصيحة لكان الامر محمولًا ولكن نسبة الخطاء اليهِ تهوُّر من الشيخ لان عديًا من الذين جُمعت عنهم اللغة واذا كان قرويًا فقرويَّتهُ لا تدلّ على انَّهُ يخطئ في ما يستعملهُ من التعابير والالفاظ بل غاية ما يمكن تقديرهُ انهُ لمَّا كان من اهل القرى استعمل كلمات وتعابير غير مألوفة عند اهل المدن ولذلك عدُّوها خارجة عن دائرة الفصاحة في ذوقهم ولو انها كانت في أعلى درجة من الفصاحة في ذوق اهل القرى

ولعدي بن زيد منزلة عالية بل ممتازة في اللغة حتى ان اصحاب المعجمات كثيرًا ما يستشهدون بشعرهِ كما يعرف ذلك من طالع لسان العرب . فكما ان من هو اسبق من اصحاب المعجمات لا يصحّ لاصحاب المعجمات تخطئتهُ لانهم يجمعون ما يجمعون عن كلامهِ وكلام أمثالهِ . كذلك من يستشهد بهِ اصحاب المعجمات مستندين الى نظمهِ لا يحقّ للشيخ ابرهيم تخطئتهُ . او لم يكن الأَخلق بهِ بعد ان وجد في كلام عدي ما ليس في المعجمات ان يُحيل الذنب على اصحاب المعجمات قائلًا انهم لم يجمعوا كل لغة العرب بل فاتهم منها شيء كثير مثل وثق مثلًا بمعنى اوثق ويعلّل ذلك ببيت عدي

امَّا كون المعجمات لم تحط بكل اللغة فهو ظاهر ظهور الشمس وما كنَّا نظنّ ابدًا ان حضرة الشيخ الذي قد طالما « كدَّ ذهنهُ واسهر جفنه في تقليب الصحُف » يغيب عنهُ أمر كهذا

ولو رجعنا الى رأيهِ لكان يجب ان نخطّئ من يستعمل « القلَّاع » بمعنى قالع الاضراس قائلين كما يقول « انها لم ترِد في شيء من كتب اللغة بهذا المعنى وان كان

لها وجه في القياس » وذلك لانهُ لم يذكرها احد من اصحاب المعجمات ما خلا الزمخشري ذكرها في غير مادَّتها

ولكان يجب ايضاً ان نخطّيء الاخطل في استعماله كلمة « وغّال » بمعنى الذي يغلي الثمن غير حافلين بمنزلته من الفصاحة ومقامهِ من اللغة ونقول ايضاً مع الشيخ انها « لم ترد في شيء بهذا المعنى في نصوص اللغة »

ولكان يجب ان نخطّيء الامـــام عمر في استعمالهِ « بارح » بمعنى فارق فقد ورد في كلامهِ « فما بارح الارضَ حتى فعل الثلاث »

ولكان يجب ان نخطّيء كل من يستعمل « اتّفق » بمعنى وقع عرضاً لانهُ لم يذكرها احد من اصحاب المعجمات مع كثرة استعمالها

وكذلك يجب ان نخطّيء صاحب اللسان في قولهِ بمادَّة خصر « الاختصـار في الكلام ان تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعنى » ومعنى تستوجز تختصر وهذه لم يذكرها صاحب اللسان ولا غيرهُ في مادّتها

وكذلك يجب ان نخطّيء أبا تمام في قولهِ « بموجزة يرفض من وقعها الدم » اي بطعنة سريعة اخراج الدم . ولم يذكر الموجزة بهذا المعنى احد من ارباب المعجمات . وكذا يتعيّن أن نخطّيء أبا الاسود في استعماله مملاقاً بمعنى الكثير التمليق في قولهِ « من لم يشب ليس مملاقاً حليلتهُ » . وكلّ احدٍ يعلم ان جميع الذين تقدَّم ذكرهم هم وأمثالهم حجة في كل ما يستعملونهُ من الفاظ اللغة فالتعرّض لتخطئتهم تهور

هذا ولو شئنا ان نكثر مما افتلتتهُ اقلام اللُغويين واستعملهُ مشاهير الشعراء والبلغاء قبل الجاهليَّة وبعدها لطال بنا الامر وفي ما سبق كفاية وتبصرة للاريب

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ولنرجع الآن الى ذكر زين الدين فنقول انّ المذكور كان يتعاطى اعمالًا لطيفـة جدًا من النجارة . وقد رأيت من صنعتهِ اقفالًا صغيرة لطيفة القدّ من خشب النـارنج والعنّاب ترّل فيها تطاعيم ظريفة وكان يهديها الى اصحابهِ من باب اللطافة والمحبة

وكان عندهُ بعض معرفة من صناعة الطبّ ويحتكر شيئًا كثيرًا من الادوية الاشربة والكحول والدهانات برسم الثواب لينفع بذلك الناس. وكان عندهُ برّ وصدقة للمحتاجين وكان كثير النظر في حقّ ذوي البيوت الاصيلة يعاملهم بالاكرام يُدني فقيرهم ويوقّر صغيرهم محافظةً لسلفهم. وكان يصغِر نفسهُ مع الاجواد ويكبّرها مع الارذال والانذال فسلك احسن الطرائق وشُكرت سيرتهُ

تزوّج زين الدين ديمة بنت علم الدين الرمطوني وهي امُّ اولادهِ جميعهم الآتي ذكرهم ان شاء الله. كان مولدها في نهار الثلثاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وسبعمائة (١٣٠٣ م). وتوفّيت المذكورة الى رحمة الله نهار الاثنين رابع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٧ م). وتزوّج بعدها امّ نجم الدين وهي شمسة بنت فارس الدين معصاد ابن عزّ الدين فضائل ابن معصاد مقدَّم الشوف (96[1]) بصيداء كانت اوّلًا زوجة جمال الدين حجّي بن احمد بن حجّي فتوفّي وتزوَّجها اخوهُ حسام الدين عبد القاهر وتزوَّجها عمهما شجاع الدين عبد الرحمان بن حجّي فتوفّي وتزوَّجها زين الدين المذكور سنة تسع وخمسين وسبعمائة (١٣٥٨ م) ولم يُرزق منها ولدًا وعمَّرت شمسة عمرًا طويلًا قالت: كان والدي يُحسن النجارة فآلى على نفسهِ مساعدة ناصر الدين الحسين في عمائرهِ بايّام كثيرة. وكان يومًا يجذب مسمارًا اليهِ من زاوية سقف العلّيّة الكبيرة وهي الزاوية الشرقيّة فوقع مع طلوع المسمار ولم يكن هناك عمارة فخيف على حياتهِ. وكان ناصر الدين يركب الى كفرفاقود يعودهُ وكنتُ كبيرةً مشتدّةً وتاريخ عمارة العلّيّة سنة سبع عشرة وسبعمائة (١٣١٧ م). وعاشت الى بعد الثمانمائة فعلى هذا كان عمرها قريبًا من المائة سنة. وكانت قبل وفاتها بمدّة يسيرة تنظم الخيط في الابرة ليلًا في نور السراج وتخيط ايضًا في نور السراج. وكانت بنتها طاوس بنت حجّي ابن احمد زوجة اسد الدين محمود قد عمَّرت نيفًا عن ثمانين سنة ولم يُنكر عليها كبرٌ فكانت كأنّها في قواها وحركتها بنت خمسين سنة

(قالتُ) ولم اعرف لزين الدين المذكور مولدًا وامّا وفاتهُ رحمهُ الله تعالى فكانت ليلة الخميس سابع عشر صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٧ م) وكان لهُ من العمر اربعًا وسبعين سنة وكان ضعفهُ سبعة ايّام او ثمانية بحمّى دمويّة واحتاج الى الفصاد فلم يُفصد

[(١ وكانت وفاة امّ زين الدين المذكور وهي بنت زين الدين بن عليّ بن بحتر نهار السبت الحادي والعشرين من ربيع الاوّل سنة ست وسبعمائة توفّيت بعد مولد ابنها زين الدين بمدّة قليلة فربّتهُ عمّتهُ زين الدار بنت سعد الدين خضر وهي امرأة بدر الدين يوسف ابن زين الدين عليّ العراموني. فتربّى زين الدين المذكور عند عمّتهِ في الرأس بعرامون وكان ناصر الدين كثيرًا ما يبيت في الليل عند اختهِ في ايّام عزوبيّتهِ وفي النهار يسكن في اعبيه عند عمّتهِ. قلتُ وربّما كانت وفاة امّ زين الدين بمرض النفاس لمّا ولدت ابنها فيقرّب ذلك معرفة مولد زين الدين]

(96ᵛ) واسماء اولاد زين الدين: جمال الدين محمّد وعلاء الدين عليّ وشهاب الدين احمد. وبدر الدين موسى وعيسى وسيف الدين يحيى

واسماء بناتهِ: ستُّ البنات امرأة سعد الدين خضر ابن عزّ الدين حسن وستُّ العزّ امرأة ظهير الدين علي ابن علم الدين سليمان الرمطوني وستُّ العدل وهي لم تتزوّج وستُّ الجميع امرأة القاضي عماد الدين حسن ابن ابي الحسن ثمّ توفّي وتزوّجها عماد الدين اسماعيل بن فتح الدين محمّد وسيأتي ان شاء الله ذكر اولادهِ ثمّ ذكر ازواج بناتهِ كلّ منهم في موضعهِ

وممّا يضاف الى ذكر زين الدين ذكر اخيهِ تقيّ الدين ابراهيم بن ناصر الدين كان ذا شكل حسن عبل الجسم شديد القول صادق الفعل لهُ قدرةٌ على القوس القوي ولم يكن بعد عزّ الدين احدٌ في البيت يرمي على قوسٍ اقوى منهُ واخذ بعدهُ جواد الدين قوسهُ فاحسن الرمي بهِ. وتقيُّ الدين المذكور قد اشتهر بالجودة والعقل وكان والدهُ قد افرد لهُ القاعة البرّانيّة بالقرب من البوابيّة (؟) ودارها وما حولها وهي آخر عمارة ناصر الدين. وامّ تقيّ الدين هي بنت اسماعيل بن هلال كما ذكرنا

وتزوّج تقيّ الدين المذكور عُميمة بنت علم الدين سليمان بن غلّاب الرمطونيّ نهار الاربعاء السادس من شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١م) وتزوج معهُ سعد الدين خضر بن عزّ الدين حسن وشهاب الدين احمد بن زين الدين وعُمل لهم عرسٌ واحد

وكان مولد تقيّ الدين المذكور ضُحى نهار الثلثاء السابع عشر من جمادى الاولى

---

١) ما اثبتناهُ بين معكّفين كتبهُ المؤلف في هامش الكتاب لكنّهُ اشار الى انهُ من الاصل

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٦ م) . وتوفّي رحمهُ الله (97ʳ) نهار الثلثاء الخامس والعشرين من شهر ذي الحجّة سنة اربع وستين وسبعمائة (١٣٦٣ م) وتأخّر دفنهُ الى نهار الاربعاء . واسم ولدهِ ناصر الدين الحسين سمي جدّهِ واسم بنتيهِ سارة امرأة شهاب الدين احمد ابن زين الدين . فلمّا توفّي تزوّجها جمال الدين احمد بن صلاح الدين خليل العراموني . ونجيمة امرأة جمال الدين بن ظهير الدين علي الرمطوني

ذكر الامير جمال الدين محمد بن زين الدين صالح

وهو اوَّل اولاد زين الدين كان شابًا حسنًا ذا عقل ودين . وقد رأيت بخطّ جدّهِ ناصر الدين انَّ محمَّدًا هذا نشأ نشوءا حسنًا ولم يُعرف لهُ جهل ولا صبوة . وكان جدُّهُ كثير المحبة لهُ شديد الاغتباط بهِ كتب لهُ مكتوبًا بالعلّيَّتين الملتصقتين وهما اوَّل عمارة ناصر الدين شماليَّ الحارة وما يُعرَف بهما وزوَّجهُ بستّ الجميع بنت سيف الدين غلّاب الرمطوني وزوَّج معهُ اخاهُ علاء الدين وعمل عرسهما في يوم واحد ودعا اليهِ والي صيداء ووالي بيروت وغيرهما وكان عرسًا عظيمًا وفرح بهما جدُّهما ناصر الدين لأنَّهُ كان كثير السرور باولاد ولدهِ زين الدين

ورأيتُ لجمال الدين محمَّد المذكورة كتابةً حسنة وانَّما كانت اخلاقهُ احسن . مولدهُ في الثلث الاوَّل من ليلة الاربعاء الحادي عشر من ذي الحجّة سنة سبع وعشرين وسبعمائة (١٣٢٧ م) . ووفاتة رحمهُ الله (97ᵛ) سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م) في حياة جدّهِ ناصر الدين . واولادهُ ناصر الدين محمَّد سمي ابيهِ وفاطمة امرأة ظهير الدين علي بن جواد الرمطوني . ووجد عليهِ جدُّه وجدًا عظيمًا ورثاهُ بقصائد (١) . وكانت وفاة شجاع الدين بن حجّي وفتح الدين محمد بن سعد الدين خضر وجمال الدين محمَّد في مدّة متقاربة كما تقدّم ذكر ذلك وكلٌّ منهم كان عزيزًا على ناصر الدين (98ʳ)

١) هنا في الاصل قصيدتان لناصر الدين تبتدئ الاولى بقولهِ :

اعيناي جودي بالبكا بسماحِ فالخطب اعظم ان تكنَّ شحاحِ (؟)

والثانية بقولهِ :

قد كان في فقد ابن العمّ والولد ما آلم القلب مني واقرح الكبدِ (؟)

وابياتهما مختلة الوزن والاعراب كما ترى فلم نرَ في اثباتهما فائدة

ذكر اخيهِ علاء الدين عليّ بن زين الدين صالح

هو الثاني من اولاد زين الدين كان لقبهُ اوَّلا مظفَّر الدين. وكان حسن الهيئة زائد الحشمة وافر العقل ذا كرم ومروءة وقيل انَّهُ لم يكن في اخوتهِ احسن شكلًا منهُ. وكذلك كان سعد الدين خضر والد ناصر الدين مشهورًا بحسن الشكل. وكان علاء الدين المذكور يُحسن التجمُّل في ملبوسهِ وآلة مركوبهِ وترتيبهِ في حشمتهِ. زوَّجهُ جدُّهُ ناصر الدين مع اخيهِ جمال الدين وعمل عرسهما في يوم واحد كما سبق في العشر الاوسط من جمادى الآخرة سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م). وتزوَّج علاء الدين لؤلؤة بنت خالهِ عزّ الدين جواد بن علم الدين الرمطوني وهي امرأتهُ الاولى وام ولدهِ بدر الدين حسن ثم توفيت وتوفي اخوهُ جمال الدين فتزوَّج امرأتهُ وهي ستُّ الكلّ بنت خالهِ سيف الدين غلَّاب الرمطوني وهي امّ باقي اولادهِ

وكان مولد علاء الدين ليلة الجمعة الثاني من شهر صفر سنة ثلاثين وسبعمائة (١٣٢٩ م). ووفاتهُ بمدينة بيروت الظهر من نهار الجمعة الثامن من شهر المحرَّم سنة اثنتين وستين وسبعمائة (١٣٦١ م). وحُمل (98ᵛ) الى اعبيه ودفن يوم السبت بالتربة

اسم ولدهِ بدر الدين حسن. وبناتهُ الاولى خاتون امرأة ابن عمّها علم الدين سليمان بن شهاب الدين احمد بن زين الدين. ثمَّ بعد وفاة علم الدين تزوَّجها ناهض الدين حمزة بن فتح الدين محمَّد بن سعد الدين. والثانية دية امرأة سيف الدين غلَّاب ابن ظهير الدين عليّ بن جواد. والثالثة حسنة امرأة بدر الدين حسن بن عماد الدين موسى بن يوسف بن زين الدين بن عليّ العراموني. ثمَّ بعد وفاتهِ تزوَّجها ناصر الدين الحسين بن تقيّ الدين ابرهيم بن ناصر الدين الحسين

ولمَّا توفي علاء الدين المذكور اخرج نائب الشام بيدمر اقطاعهُ لسعيد بن عيسى التركماني فلم يقم بالدرك فكتب محضرًا بغيبتهِ تاريخهُ شهر ذي الحجة من سنة اثنتين وستين وسبعمائة (١٣٦١ م). ثمَّ بعد ذلك استرجعوا اقطاعهُ باسم ولدهِ بدر الدين حسن. وجهاتهُ ادفون ونصف عين حجيَّة ونصف الفسيقين ونصف شطرا اخذوهُ من عليّ احد بني ابي الجيش

(ستأتي البقيَّة)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل السابع

في السفر على الجمد

ولمَّا كانت الساعة الثامنة صباحاً بينما الجوّ مكفهر بالغيوم والبرد قارس قرساً شديداً كنت ترى في الشِعْب المؤدّي الى مضايق شيلوكوت مزلقة يجرُّها كلبان وعليها مسافر ملتحف بالفراء الثقيلة من رأسهِ الى قدمهِ وامامها دليلان من الهنود يسير خلفهما شرذمة من الكلاب تركض من غير ترتيب وبعضها يسبق بعضاً فينتج عن ذلك انها كانت تشتبك في الحبال التي رُبطت بها المزلقة. ومن ثمَّ كان الدليلان مضطرَّين من مدَّة الى مدَّة ان يشتغلا بفكّ الحبال واعادتها الى سابق حالها تيسيراً لمسير المزلقة. وفي بعض الاحيان كانت الكلاب تشتمّ في اثناء السفر ريح الثعالب فتخرج عن الطريق ساعيةً في طلبها دون ان يقدر الهنديان على ردعها

امَّا المزلقة فكانت تمشي على الجمد بسرعة الَّا انهُ كثيراً ما كان يعرض لها اثناء الطريق بعض الموانع فتعوقها وتنقلب براكبها فتلقيهِ على مسافة بضعة امتار في الثلج. وما كانت تلك الموانع سوى ركامات من عظام المئات من البشر الذين قصدوا بلاد الذهب فماتوا في الطريق امَّا جوعاً وإمَّا برداً. ومع ذلك فان هذه المشاهد المحزنة قلَّما كانت تؤثّر في الذين يذهبون بعدهم لان حبّ الذهب يعمي البصيرة ويطوّح باصحابهِ الى المخاطر دون خشية من خطر الموت

ولا تزال مزلقة المسافر تسير على هذه الكيفيَّة ساعات طوالًا دون ان يعوقها عائق سوى ما تقدَّم الالماع اليهِ من الجثث البشريَّة التي تغطيها الثلوج

ولا يجد المسافر كيفما التفت يمنةً او يسرةً سوى ثلوج بيضاء على مدى البصر. وعلى تلك الارض كلها يسود السكوت المحزن فلا يُرى طير في الهواء ولا يُسمع صوت وحش ولا تشاهد نبتة خضراء فهناك الموت كل الموت

وزد على ذلك انهُ لا تمضي مدَّة حتى تزيد الطريق ضيقاً ووعورةً فيلتزم المسافرون ان يتسلقوا الصخور ويهبطوا اقصى الشقوق والصدوع ويجتازوا المهاوي دون أن يجدوا أثر اقدام على الاطلاق

واذ ذاك يضطرّون الى ترك المزالق وشأنها ويربطون بعضهم بعضاً بحبال شديدة ويتقدّمهم في هذه الطريق دليلهم من الهنود وبيدهِ فأس ليفتح لهم ممرًّا في الجليد وجميعهم يتبعونهُ واضعين أرجلهم حيث وضع رجلهُ. والويل حينئذٍ لمن تزلّ بهِ القدم فانهُ يهبط الى الهاوية وربما جرَّ معهُ كل رفقائهِ الى الموت. وحينئذٍ يزيد المسير عناءً وبطئاً والبرد شدَّةً وقرساً فضلًا عن ان البصر ينبهر ببياض الثلوج والمسافر يشعر في كل دقيقة بتزعزع الارض تحت قدميهِ

امَّا الهنود فانَّهم يغتنمون هذه الفرصة الحرجة ويطلبون من المسافرين زيادة في الاجور ويتوعدونهم بمغادرتهم في تلك المخاطر اذا لم يرضوهم فيضطرّ المسافرون حينئذٍ الى اجابة مطاليبهم بتمامها لمعرفتهم انَّهم اذا تركهم الهنود ماتوا لا محالة

وبعد ان يمشي المهاجرون وقتاً طويلًا ينهكهم التعب وتخونهم القوة وتستكّ منهم الركب ومع ذلك فان ادلاءهم من الهنود لا يدعونهم يتوقّفون نظرًا لما هناك من المخاطر الكثيرة. وغاية ما كانوا يجيبونهم اليهِ هو انَّهم كانوا يأذنون لهم في أخذ النفس يسيرًا بين كل ربع ساعة من المشي ثم يستأنفون المسير بهم كالعادة

واخيرًا وصل المهاجر الى المحل الذي كان الادلاء يشيرون اليهِ بالاصابع فوقع على الارض كالميت من فرط العناء ولكن الهندي تقدَّم اليهِ وصبَّ في فيهِ شيئاً من ماء الحياة (العرق) من بطة معهُ فما لبث ان فتح عينيهِ وبعد هنيهةٍ جلس فزحف على الركب الى حذاء صخر في سفح جبل شامخ. ولم يكن بدّ من قلب الصخر المذكور لاجل التمكن من المسير فعمل الهندي على قلبهِ وتوصَّل بعد التعب الى وطرهِ فانقلب الصخر وتدحرج في اوَّل الامر ببطءٍ لكنهُ كان يزيد سرعةً على قدر تقدّمهِ في الهبوط فكان يقفز في الهواء بقوة وكلما وقع على صخر آخر تطاير الشرر لامعاً من ظلمة الوادي. وما زال بعد ان غاب عن البصر يُسمع صوتهُ واقعاً على صخر بعد صخر الى ان سُمع أخيرًا دوي عظيم دل على انَّهُ وقف في مكان معلوم

امَّا الهنود فناموا في المحل الذي كان الصخر مرتكزًا فيهِ وامَّا المهاجر المسكين فكاد يموت من الجوع وهو يتفرقف بردًا ولم يكن يستطيع ان يجد نارًا ليستدفئ او يغلي شيئاً من المشاريب المقوّيَة في تلك الناحية المقفرة. وهكذا اضطرّ الى الاكتفاء بقطعة من الجامبون المدخَّن مع قليل من البسكوتي. امَّا الكحول القليل الذي اجتلبهُ

فكان قد انفقهُ لإذابة الجمد الذي تناولهُ اطفاء لعطشهِ المحرق

وبعد هذه الاكلة الخفيفة تمدَّد المهاجر على التربة المتجمدة وكان الهنود قد ناموا ومع انهُ كان منهوكًا من التعب لم يستطع في بادئ الامر رقادًا ولكنَّهُ اغفى اخيرًا مدةً يسيرة من الزمن ثم استيقظ بعدها وهو يسمع صوتًا منكرًا فاصاخ ليتأكَّد هل الصوت حقيقي ام تخدعهُ أذناه الَّا ان الصوت كان قد قوي ولم يبقَ شكٌّ في حقيقتهِ. وكان الهنود اذ ذاك نيامًا فصاح بهم فما افاقوا فكرَّر الصياح فلم يستيقظوا فدنا منهم وهزَّهم بعنف بيديهِ المرتجفتين بردًا ففتحوا عيونهم وما كادوا يسمعون الصوت حتى طارت نفوسهم شعاعًا وصرخوا مرتعبين واخذوا يشيرون الى الجبل اشارة من قطع الرجاء من الحياة. لانهم عرفوا ان الصوت متسبِّب عن تدحرج قطعة ثلج من اعلى الجبل تزيد ضخامة وعظمة بمقدار سقوطها وما كان الَّا كلمح البصر حتى وقفوا جميعًا خلف المنجاة التي التجأوا اليها. امَّا قطعة الثلج فكانت تنزل بعزم شديد. ولمَّا انتهت اخيرًا الى قرب المحلّ الذي كان قد لجأ اليهِ المهاجر مع الهنود قفزت من فوقهم دون ان تضرُّهم وهبطت الى قعر الوادي حيث سمعت لها زمجرة عظيمة (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

De Re Metrica Hebræorum Disputatio
Auctore P. Niv. Schloegl, O. Gist.
Vindobonæ, 1899 *in*-4 *pp. VIII*-80

بحث في عروض قدماء العبرانيين

مسألة العروض في العبرانيَّة من المباحث التي كثر فيها الجدال بين العلماء المستشرقين منذ خمسين سنة. فمنهم من يزعم انَّ النظم في العبرانيَّة لا يتعدَّى الجناس اللفظي او المعنويّ. ومنهم من يريد انَّ للشعر العبراني وزنًا وايقاعًا. والبعض يجعلون النظم العبراني في عدد اللهجات والتفاعيل المتساوية. فوضع حضرة الاب شلوغل هذا الكتاب وتقصَّى فيهِ البحث عن هذا الامر واورد اقاويل الاقدمين والحدثين وتبيَّن ما فيها من الصحَّة والبطلان الى ان ذكر الاصول الراهنة التي رجَّحها في تعريف عروض العبرانيين وبيَّن انَّ بين العبرانيَّة والسريانيَّة توافقًا عظيمًا في طرائق النظم وألحقَ ذلك بعدَّة شواهد من الكتاب الكريم قطَّع فيها الشعر العبرانيّ وفقًا لهذه القواعد التي استخلصها. فنثني

على واضع هذا الكتاب المفيد ونتمنّى انتشارهُ بين المستشرقين

كتاب اللمعة الشهيّة في نحو اللغة السريانيّة

تأليف الطيّب الذكر السيد اقليميوس يوسف داود مطران دمشق على السريان

طبع في الموصل بمطبعة الاباء الدومينيكيين طبعة ثانية منقّحة . مع بعض زيادات

الجزء الثاني عدد صفحاته ٤٣٠

قد اتينا في العام الماضي على وصف الجزء الاوَّل من هذا التأليف النفيس . وقد تصفّحنا اليوم الجزء الثاني منهُ المنشور حديثًا فوجدناهُ مثل القسم الاوَّل من حيث اتقان الطبع وضبط القواعد وسعة المادَّة . فانَّ صاحبهُ جازاهُ الله كلَّ خيرٍ لم يكتفِ بان ينقّح تأليفهُ الاوَّل بل اضاف اليهِ عدَّة فوائد واصلاحات من شأنهـا ان تزيدهُ حسنًا وقد راجع التأليفات الاوربيَّة الجديدة التي نشرها الاوربيُّون في هـذه المدَّة الاخيرة فاعمل نظرهُ فيها واستفاد منها بحكمةٍ ورويَّة . وألحقهُ بخاتمة ذات ستَّة فصول ضمَّنها ملخَّص علم العروض عند السريان وذكر اشهر شعرائهم . فجاء هذا تحفةً يحقُّ للشرق ان يفتخر بها ويقدّمها لعلماء اوربَّة كمثال حيّ يشهد لاهل بلادنا بالذكاء وتوقُّد الفهم رحم الله صاحبهُ رحمةً واسعة واثاب حضرات الآباء الدومينيكان القائمين بنشرهِ

درجات الانشاء

تأليف جناب الاديب نجيب حبيقه مدرّس البيان في كليَّة القديس يوسف

طُبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٩ وهو جزءان (ص ١٧٠ و ٢٤٤)

انَّ صناعة الانشاء لمن اوعر الصناعات واصعبها منالًا لا يتمكَّن الراغب من ادراكها الَّا بعـد الزمن الطويل والارتياض المديد فاحبَّ الشـابّ الالمعي نجيب افندي حبيقة ان ينهج طريقها للاحداث ليأمنوا فيها العثار . وقد ضمَّن هذا الجزء الاوَّل من كتابهِ تمرينات عديدة شأنها تنبيه افكار الطلبة شيئًا فشيئًا ليضعوا الالفاظ موضعها ويبدلوها من بعضها ويضمُّوا المفردات الى ما يناسبها ويحسنوا اختيار الكتايات والصفات وينظّموا العبارات على مقتضى المعاني . الى غـير ذلك من التمرينات الانشائيَّة الجزيلة الفائدة . وقد ألحق هذه الفصول بثلاثة ابواب يقترح فيها على الطلبة انشاءات سهلة من الروايات والرسائل والتعريب

ذلك في قسم التلميذ امَّا كتاب المعلِّم فانَّهُ يحتوي على اصلاح الموادّ وتوسيعها

مع الافادات اللازمة لتثقيف عقول الاحداث

هذا واننا لا نجهل ان كتاباً مثل هذا لا يبلغ كمالهُ الَّا بعد الاختبار الطويل وعليهِ فانَّ المؤلف يشكر سلفاً كلَّ الاساتذة على الافادات والملاحظات التي يتكرَّمون بها عليهِ لتحسين تأليفهِ في طبعة جديدة

كتاب ابداء الناموس

في اخصّ فرائض عامَّة الاكليروس

للشماس اسطفان ضوء البتروني تلميذ مدرسة عين ورقة

الجزء الاوَّل عدد صفحاتهِ ٤٨ طبع في مطبعة الارز بجونية

هو كرَّاس مفيد ضمَّنهُ صاحبهُ قسماً من فروض الاكليروس ليقدّسوا بها نفوسهم ويقوموا بخدمة رعاياهم. كتبهُ صاحبهُ الفاضل بعبارة سهلة واستطرد فيهِ الى ذكر عدَّة امور لا يستغني عن معرفتها من اقامهم الله في كنيستهِ رعاةً ولشعبهِ قادةً لئلَّا يكونوا على حسب قول الرب كعميانٍ يقودون عمياناً فيسقطوا كلهم في الحفرة

هدايا أُرسلت الى إدارة المشرق

١ اعمال الديوان السرّي المنعقد في اليوم ٢٨ من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٩٨ الذي فيهِ اثبت قداسة لاون الثالث عشر السيد اغناطيوس افرام رحماني بطريركاً انطاكيًا على طائفة السريان ومنحهُ الدرع المقدَّسة. طبع في رومية باللاتينيَّة والعربيَّة

٢ خطبة القاها السيد انبا اغناطيوس اسقف تيبا والصعيد يوم تجليس غبطة البطريرك الكاثوليكيّ انبا كيرلُس الثاني على الكرسي الاسكندريّ. طبعت في المطبعة المرقسيَّة الكاثوليكيَّة في القاهرة

٣ بحث في الآية اليونانيَّة المتضمّنة قول الرب لليهود (يوحنا ٨:٢٥) «انا ذلك الذي كلَّمتكم عنهُ منذ البدء» للاب ألبار كندمين اليسوعيّ   ل.ش

شَذَرَات

واسطة لمنع الرطوبة عن الحائط — اضف ليتر ملح عادي الى ليتر من الكلس المطفأ والمصفَّى جيدًا وضع ذلك في اربعة ليترات من الماء ثم اغلِ المزيج على النار وانزع الرغوة وخذ ما تبقَّى من هذا المزيج واضف الى كل ليتر منهُ

نحوًا من عشرين غرامًا من الشَّبّة و ١٥ غرامًا من البوتاس ومائتي سنتيمتر من الرمل الدقيق او شيئًا من رماد العظام وبعد ذلك اطلِ الحائط بالمزيج المذكور فتمتنع الرطوبة

واسطة للنسيج حتى لا ينفذهُ الماء — اذب ٥٠٠ غرام من الشبّة في ١٥ ليترًا من الماء ثم اذب ٥٠٠ غرام من خلات الرصاص في نصف ليتر من الماء وضع المزيجين في اناء واحد حتى اذا صفا تغمس فيهِ الثياب فلا يعود ينفذها الماء

واسطة لمنع الورق والقماش وغيره من الحريق — اوَّلًا خذ اربعة اجزاء من البورق و ٣ اجزاء من سلفات المغنيزيا واذبهما في عشرين جزءًا من الماء وبعد ذلك اغمس ما تريد وقايتهُ فتأمن اشتعاله اذا مسَّتهُ النار

حلّ المسئلتين الحسابيَّتين — اتانا حلّ المسئلتين الحسابيَّتين المدرجتين في العدد السادس عشر من المجلّة بطريقتي الجبر والحساب من قلم حضرة الاب جبرائيل رزق مرهج. ووردنا حلّ بطريقــة الحساب فقط لسؤال الخواجا يوسف عيسى القدسي بقلم الاديب شكري افندي حوًا فارجأنا الحلّين الى العدد الآتي لضيق المقام

اسئلة واجوبة

س سألنا احد الادباء من يافا: في اي سنة ابتدأ استعمال النرجيــلة والتبغ في هذه البلاد ؟ وكيف او على يد من وصلت هذه العادة ؟

زمن دخول التبغ في الشرق

ج نجيب انهُ لا يُعرف بالتدقيق زمن دخول التبــغ في بلاد المشرق ولا كيفيَّة ورودهِ. على ان هــذا الزمان لا يمكن ان يكون بعيدًا عن تاريخ دخول الدخان في الاقطار الاوربيَّة اي عن سنة ١٥١٨ التي فيها أُرسلت الى قرلس الخامس بزور التبغ من اميركة. فان تواريخ السلاطين العثمانيين تخبرنا ان السلطان الذي جلس على تخت الملك منذ سنة ١٦٢٣ م منع منعًا شديدًا استعمال التبغ في مملكتهِ

س سألنا احد قرّاء المشرق في بغداد: ١ً هل وردت لفظة الجَلَد بمعنى الرقيع اي firmament في كتب لغة العرب. فان الجَلَد مذكورة في سفر التكوين وفي محيط المحيط وكل من اخذ عنهما ولم اجدها في معاجم العرب بهذا المعنى. ٢ً هل ورد في كلام الكتبة المجيدين لفظ الصُّدفة بمعنى الاتفاق اي hasard او هل هذا اللفظ من

مخترعات العامَّة . ٣ً للعبـرانيين اصطلاحات اشاريَّة تدلّ على التجويد في قراءة التوراة . فهل لكم ان تذكروا لنا زمن دخولها عندهم وعدد هذه العلامات واسماءها ومنزلتها من التجويد وممَّن اخذوها

١ لفظة الجلَد بمعنى الرقيع

ج نجيب على الاول ان استعمال لفظة الجَلَد بمعنى الرقيع ضرب من المجاز المستحسن . وهي توافق موافقةً تامَّةً معنى كلمة الرقيع العربيَّة و רקיע العبرانيَّة و ܪܩܝܥܐ السريانيَّة و στερέωμα اليونانيَّة . وهي مصدر جَلُدَ بمعنى «كان ذا صلابةٍ»

٢ لفظة الصُدفَة

نجيب على الثاني ان لفظة الصدفـة بالمعنى المذكور اي hasard وان لم ترد في المعاجم فقد استعملها بعض كتبة العرب المشهود لهم بالبراعة ولعلَّنا في فرصة أُخرى نأتي بنصّ كلامهم

٣ قوانين التجويد في القراءة العبرانية

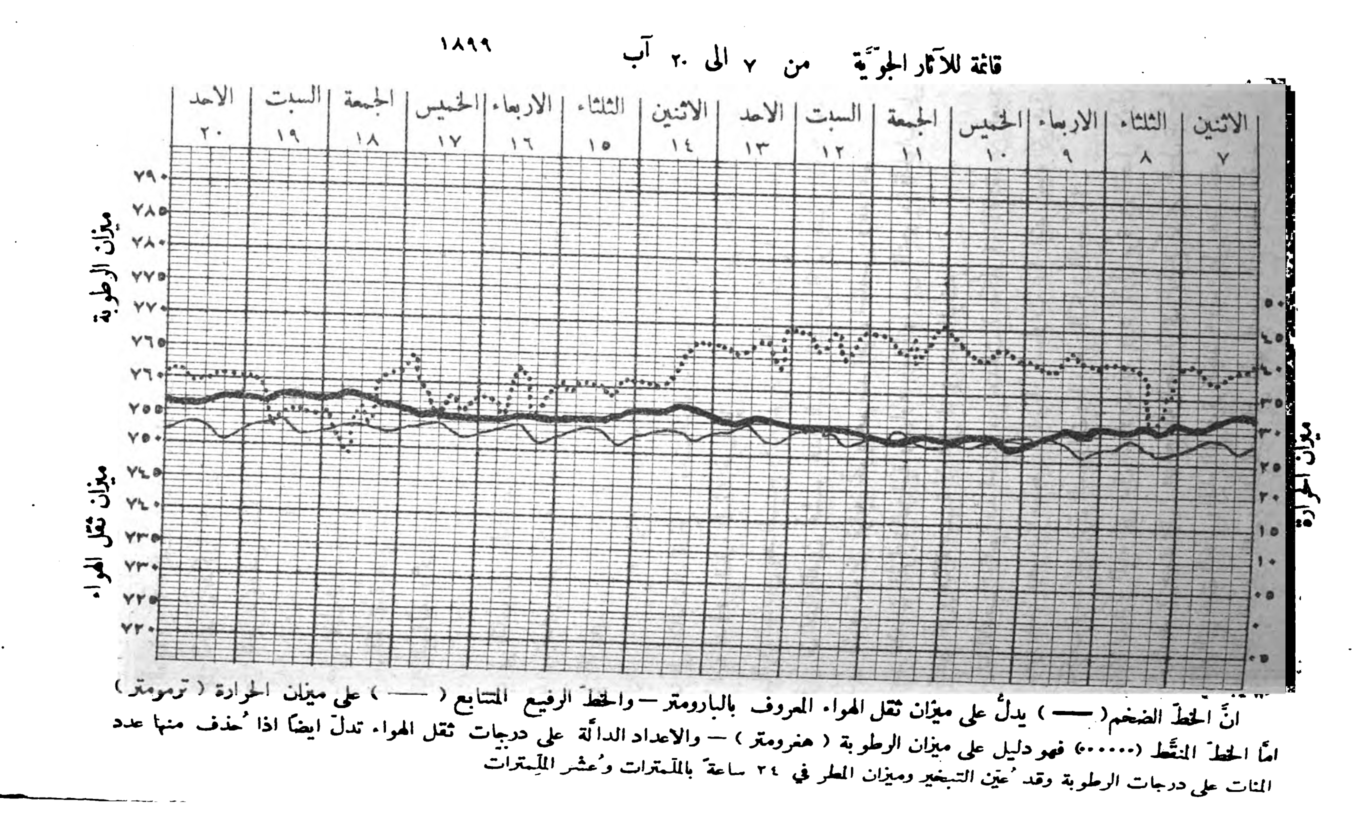
نجيب على الثالث ان تاريخ علامات التجويد عند اليهود غير معروف معرفـةً يقينيَّة . الَّا انَّهُ قد اجمع العلماء المستشرقون على ان ابتـداء ظهور هذه الاشارات لا يرتقي فوق القرن السادس بعد المسيح وانهُ لم يتمّ هذا الاختراع الَّا في غضون القرن التاسع . وقيل ان العلماء الذين تجشَّموا هذا الشغل الشاغل اقتفوا بعض الاقتفاء معالم السريان الذين باشروا تدوين قوانين تجويدهم منذ القرن الخامس . والله اعلم

واماَّ عدد علامات القراءة العبرانيَّة واسماؤُها ومنزلتها من التجويد فالجواب على كل ذلك يقتضي تحرير مقالة مسهبة لا محلَّ لها في هذا الموضع

س سألنا الاديب ابرهيم عبد الجليل من عندقت (عكَّار) : الافادة عن العدد الرابع من المزمور ١٤٨ وهو : « سبِّحيـهِ يا سماء السماوات ويا ايتها المياه التي فوق السماوات » فكيف توجد المياه فوق السماوات والماء هو بالكرة الارضيَّة ؟

ج جوابنا ان ذكر المياه التي فوق السماوات قد ورد لاوَّل مرَّة في الفصل الاوَّل من سفر التكوين عد ٧ حيث قيل « فصنع الله الجَلَد (اي الرقيع كما مرَّ قبيل ذلك) وفصل بين المياه التي تحت الجَلَد والمياه التي فوق الجَلَد » وبناء على هذا النصّ فالمراد بالمياه التي فوق الجلَد انما هو الغيوم والسُّحُب التي تظهر للعين كأنَّها تعلو الرقيع

قائمة للآثار الجوّيّة من ٧ الى ٢٠ آب ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (ـــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) اما الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

المشرق

نبذة

في الليتورجية القبطيّة الحديثة والقديمة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ خبر ارتقاء غبطة الحبر المفضال والعلاَّمة الملفــان السيّد كيرلُس مقار الى الكرسي البطريركيّ الاسكندري على طائفة الاقبــاط الكاثوليك قد رنَّ صداهُ في جميع انحاء المعمور فصار من جرَّاء ذلك للامَّة القبطيَّة شأن خطير حبَّبهــا الى قلوب اهل الخافقين فودَّ كثيرون لو وقفوا على شيء من مميّزات هذه الطائفــة وخواصّها الليتورجيّة . فاجابةً الى سؤلهم اسرعنا الى كتابة هذه النبذة الموجزة علّها تبرّد حرقة غلّتهم إلّم تروِ رحتّهم تمامًا . فنقول :

ان تصفَّحت كتاب خولوجيون (١ الاقباط المطبوع حديثًا في المطبعة القبطيّــة المرقسيّة (٢ وجدت انَّ لهم ثلاثة نوافير (٣ كبارًا او قدّاسات يليها نافور صغير يُدعى تعمير الكاس

١ النوافير الحالية

النوافير الكبار الثلاثة المستعملة اليوم عند الاقباط تُنسب للملافنة القديسين باسيليوس وغريغوريوس وكيرلُس

واشهر هذه النوافير نافور القديس باسيليوس وهو اسقف قيصاريَّة من اعمــال

١) الخولوجيون والافخولوجيون تعريب اللفظة اليونانيَّة Εὐχολόγιον ومعناها كتاب الصلوات

٢ ُطبع هذا الكتاب اوَّلاً في رومية العظمى سنة ١٧٣٦ همَّة السيد الشهير روفائيل طوخي الجرجاوي اسقف ارسينوا حتَّى جُدِّد طبعـهُ آخرًا في المطبعة المرقسية التي انشأها غبطة السيد كيرلُس مقار

٣) النافور من اليونانيَّة ἀναφορά يُراد بهِ تقديس الاسرار



قبادوقية ممَّن برَّزرا بفضائلهم السامية وعلومهم القاصية في اواسط القرن الرابع عشر للمسيح . وكان سبب وضعهِ لهذا النافور انَّهُ احسَّ من مؤمنيّ عصرهِ فتوراً فخمدت حرارة ايمانهم وتراخت همَّتهم في حضور الرتب الطقسيَّة التي وضعتهـا الرسل وكانت هذه الطقوس مطوَّلة يسأم الحضور لطولها فعمد القديس باسيليوس الى ليتورجية يعقوب الرسول اسقف اورشليم فاختصرها باللغة الرومية وسبكهـا في قالب جديد لينشط المؤمنون باستماعها . قال صديقهُ القديس غريغوريوس عنهُ في تأبينهِ : « وهو الذي نظَّم ترتيب الصلوات المقدَّسة التي تتلى على المذابح » . وزاد القديس فرقلوس خلَف القديس يوحنَّا فم الذهب على كرسي القسطنطينيَّة : « انَّ ليتورجيَّة القديس باسيليوس ملخَّصـة عن ليتورجيَّة يعقوب الرسول وكليميس تـلميذ الصفا »

وما كاد القديس باسيليوس ينتهي من هذا المشروع الجليل حتى اخذت الكنائس الشرقيَّة نافورهُ الجديد وجرت عليهِ حتى عمَّ استعمالهُ بعد قليـل كلَّ كنائس آسية الصغرى وكثيرًا من كنائس الشام ومصر . ونافورهُ شائع بين الاقباط يتلونهُ في كل ايام السنة ما خلا بعض الاعياد . امَّا الروم فانَّهم يتلونهُ الآن في بيرامون عيدي الميلاد والغطاس وفي آحاد الصوم الَّا احد الشعانين وفي يوم خميس العهد وفي سبت النور وعيد صاحب النافور

ومن ليتورجيَّة القديس باسيليوس اشتقَّ القديس يوحنَّا الذهبي الفم ليتورجيَّتـهُ وهي اقصر منها وقد شهد بذلك القديس فرقلوس خلفهُ (١ ولم يكن في الاصل بينهما اختلاف يُذكر (٢ ثمَّ زيد في كلتيهما بعض صلوات وطقوس منها التريساغيون ادرجها القديس فرقلوس المذكور بعد المجمع الخلقيدوني بزمن قليل بايعاز الملكة القديسة بلخارية على انَّ الاقباط الخاضعين للبطريرك الاسكندري لم يرضوا بتغيير ليتورجيَّتهم التي كانوا يعزونها للقديس مرقس البشير وجروا عليها مدَّة طويلة الى ان زادت سطوة بطاركة القسطنطينيَّة ونفذت كلمتهم في الشرق فصاروا يلحُّون على بطركي انطاكيـة

١) راجع كتاب العلَّامة دون غيرانجهْ (Don Guéranger) المعنون Institutions liturgiques الجزء الخامس ص ٢٣١ وكتاب منارة الاقداس للدويهي ٢ : ١٥٠

٢ وقيل انَّ ليتورجيَّة يوحنا فم الذهب مختصرة من ليتورجية الرسل وانَّهُ لم يأخذ من الليتورجية الباسيلية . وزعم البعض انَّ الليتورجية نُسبت اليهِ اجلالًا لهُ . والصواب كما قلنا



غبطة السيّد الملفان كيرلُّس الثاني مقار

البطريرك الاسكندري على القبط الكاثوليك الكلي الطوبى

والسيدان الجليلان مكسيموس صدفاوي واغناطيوس برزي

والكاهنان الفاضلان لويس سلامة وحنّاً دوس

تهنئة من مدرستنا الكليّة لتلامذتها الملافنة الاقدمين

والاسكندريَّة باتباع طقوس عاصمة الروم. ولمَّا قصد مرقس البطريرك الاسكندري مدينة القسطنطينيَّة في غضون القرن الثاني عشر ورآهُ باسمون البطريرك القسطنطيني انَّهُ يقدّم الذبيحة وفقاً لتقاليد كنيستهِ المصريَّة انكر عليهِ ذلك وادَّعى امام سلطان الروم « انَّهُ ينبغي على كلّ كنائس الله ان تقتفي آثار رومية الجديدة وتقيم الذبيحة على طريقة الملفانين المعظَّمين ومصباحي الايمان القديس يوحنّا فم الذهب والقديس باسيليوس » (١. فاضطرَّ مرقس ان يتَّخذ ليتورجيَّة القسطنطينيَّة. ولعلَّهُ هو الذي اذاعها في جميع الاقطار المصريَّة. ثمَّ انفصل الاقباط الكاثوليك بعد ذلك في القرن الثالث عشر وابوا الخضوع لبطاركة الاسكندريَّة لما وجدوا فيهم من الذلّ والانقيـاد الى مطامع كنيسة القسطنطينيَّة لكنَّهم حفظوا نافور القديس باسيليوس وأنفوا ان يعودوا الى ليتورجيَّتهم بعد ان بطل عندهم استعمالها وألفوا ما سواها من الطقوس

وما يُقتضى هنا ملاحظتهُ انَّ الليتورجيَّة اليونانيَّة المنسوبة الى القديس باسيليوس تختلف في صلوات كثيرة عن الليتورجية القبطيَّة المعروفة باسمهِ وهذا الاختلاف نفسهُ موجود بين النسخ اليونانيَّة القديمة فيستدلُّ من ذلك على انَّ الكنائس الشرقيَّة تصرفت في ممرّ الاجيال بهذه الليتورجيَّة وزادت فيها بعض الصلوات وبدلت اخرى او اختصرتها حتى انَّها لا توافق بعضها بعضاً اللهمَّ الَّا في اقسامها الجوهريَّة (٢. وما لا ريب فيهِ انَّ ليتورجيَّة الاقباط بقيت على حالها منذ القرن السابع

٢ الليتورجية الثانية التي تجدها في كتاب افخولوجيون الاقباط تُنسب الى القديس غريغوريوس النزينزي المعروف بالثاولوغس. والكتبة المصريّون كابن عسَّال وابي البركات وجبرائيل بن طريق يشهدون بصوت واحد انَّها لهذا الملفان الجليل. ولعلَّ بعض العبارات الواردة في هذا النافور تؤيد ذلك فانَّها تشهد لصاحبها بالتضلُّع في علم اللاهوت

على انَّ هذا النافور لم يُعرف عند الروم الذين ينسبون الى غريغوريوس الثاولوغس ليتورجيَّة اخرى تعرف بالبروجيازمانا (Προηγιασμένη) اي السابقة التقديس يتلونها في الصوم الكبير غير الاحاد والسبوت منهُ والثلاثة الايام الاخيرة من الجمعة الكبرى. وفي هذه الليتورجيَّة لا يصير تقديس الخبز والخمر وانَّما تُتلى صلوات معلومة امام القربان

١) راجع تاريخ الكنيسة الاسكندريَّة لصاحب النبطة البطريرك كيرلُّس مقار ص ٢٩٦

٢) راجع رينودوت Liturgiarum Orient. Collectio I, 169 - 300

الذي سبق تقديسهُ . وليس بين صلوات البروجيازمانا وليتورجية الاقباط المعروفة باسم القديس غريغوريوس ادنى شبه وتطابُق

وهذه الليتورجية يستعملها الاقباط في بعض الاعياد الحافلة . ومن خواصّها انَّ الكاهن يوجّه فيها صلواتهِ الى الكلمة ابن الله الحيّ بخلاف ليتورجيّتي القديسين باسيليوس وكيرلُّس والخطاب فيهما الى الله الآب

٣ امَّا الليتورجيَّة الاخيرة التي يستعملها الاقباط فهي منسوبة لبطريركهم العلامة الجليل وشرف قطرهم المصري القديس كيرلُّس . وعليهِ فانَّ هذا النافور يرتقي الى القرن الخامس للمسيح (١ . لكن الصواب ان هذه الليتورجيَّة اقدم عهدًا واعلى مقامًا فانَّ تقليد الكنيسة المصريَّة المتواتر يثبت انَّها لتلميذ بطرس هامة الرسل اعني مرقس الانجيليّ اوَّل ناشر الايمان المسيحي في الاقاليم المصريَّة وانَّما نُسبت للقديس كيرلُّس لأَنهُ هو الذي دوَّنها واثبتها في بطون الصفحات مع بعض التغيير وكان الكهنة قبلًا يتلقّنونها من السلف مشافهةً لئلّا يطلع المشركون على اسرارها السامية (٢ . فمن ثمَّ يتَّضح ان هذا النافور شريف جدًّا لأَنهُ من الآثار الرسوليَّة المنبئة باحوال الكنيسة في اوائل النصرانيَّة

والاقباط يستعملون هذه الليتورجيَّة الجليلة في عهدنا هذا ايام الصوم الاربعيني فقط . ولعلَّ ابطالها في بقيَّة السنة كان في زمن بلسمون البطريرك القسطنطيني الذي انكر على البطريرك مرقس التقديس بها كما سبق . ومن سمات هذه الليتورجيَّة أنها ساذجة خلوة من بعض التصنُّع الذي وقع في الليتورجيَّتين السابقتين ليس فيها شيءٌ من الدلائل المشيرة الى الهرطقات التي نجمت في القرن الرابع والخامس

٤ ثمَّ اعلم انهُ قد أُلحق بالليتورجيَّات الثلاث السابق ذكرها رتبة او نافور صغير يُدعى عند الاقباط تعمير الكاس (٣ وهو طقس معلوم يقدَّس بهِ دم الرب

---

١) راجع Duschesne : *Origines du Culte*, p. 54

٢) زعم الدويهي انَّ للقديس مرقس نافورًا وللقديس كيرلُّس نافورًا آخر . وارتأى « دون غيرانجه » انَّ القديس كيرلُّس وضع نافورهُ لاكرام القديس مرقس . والارجح ما اثبتناهُ

٣) انَّ للموارنة نافورًا يشبه هذا النافور اسمًا يدعونهُ رسم الكاس لكنَّهُ يختلف معنًى وهو عندهم عبارة عن رتبة البروجيازمانا اي ما سبق تقديسهُ

الكريم اذا عرض للكاس عارضٌ اعني انَّ التقديس يعاد ثانيةً اذا لم تصحَّ التقدمة الاولى لاحد الاسباب المذكورة في كتاب الافخولوجيون

٢ النوافير القديمة

هذه هي النوافير الشائعة اليوم عند الاقباط وفيها كلها مع قدمها مسحةٌ من الآثار البوزنطيَّة سرتْ اليها من جرَّاء نفوذ بطاركة القسطنطينيَّة في سياسة المشرق وتدبير شؤون كنائسهِ بعد الاربعة المجامع الاولى

ولعلَّ سائلًا يسأَل ألم يكن لنصارى مصر قبل هذا العهد ليتورجيَّة اخرى قديمة تخلو من هذه النوافل ؟

نجيب على ذلك ان احد علماء العاديَّات الشرقيَّة اتانا في هذه السنة باكتشاف مهمّ هتك بهِ قناع الشبهة من هذا القبيل. والعالم المذكور المانيّ الاصل يدعى ڤوبرمين (Wobbermin) اسعدهُ الحظّ بان يجد في دير لَفرة بجبل اثوس كتابًا على رقّ الغزال يتضمَّن مجموعًا من الطقوس النصرانيَّة في مصر والكتاب المذكور مخطوط في القرن الحادي عشر باليونانيَّة وهو مصدَّر برسالة للانبا سيرافيون اسقف مدينة طما (Thmuis) في القرن الرابع وكان سيرافيون هذا معاصرًا للقديس اثناسيوس الاسكندري وهو احد اصدقائهِ الحميمين والمنتصرين لهُ في جهادهِ ضدَّ شيعة آريوس

وقد فحص العلَّامة ڤوبرمين هذا الاثر الخطير فوجدهُ اشبه شيء بطقوس ذلك العصر وبيَّن انَّهُ لا يجوز ان يؤخر تاريخهُ الى بعد اواسط القرن الرابع وان بعض الصلوات التي فيهِ هي لسيرافيون المذكور كما ورد ذلك صريحًا مرَّتين في الكتاب ولعلَّهُ هو مؤلّف القسم الكبير من هذا المجموع الشريف او يكون مؤلفها احد معاصريهِ بل احد اسلافهِ

ثمَّ انَّ لغة الكتاب وبعض ما يحتويهِ من الدلائل والاشارات التاريخيَّة لا تبقي ريبًا في انَّ هذا التأليف من اعمال القرن الرابع ومن جملة ذلك عبارة تلمح الى بدعة اريوس الحديثة وتنفي قولهُ الكفريَّ في اوَّل بروزهِ

امَّا مضمون الكتاب فانهُ يشمل ما يتعلّق بالتقديس وتوزيع الاسرار المقدَّسة كالعماد والميرون والكهنوت والجنازات واجتماع ايَّام الآحاد. وكلّ هذه الرتب والطقوس

غاية في الاهميَّة والشأن تبيّن عادات المسيحيين الاقدمين وتثبت صحَّة تقاليد الكنيسة الكاثوليكيَّة من هذا القبيل

بيد انَّنا نكتفي هنا ان نذكر النافور الذي سُطِر في افخولوجيون الاسقف سيرافيون فانهُ جدير بالاعتبار يؤيد تعاليم الكنيسة ويزيّف اضاليل المبتدعين

والنافور المذكور قسمان. فالقسم الاول يحتوي على احدى عشرة صلاةً يقيمها الشعب المؤمن والموعوظون معاً قبل تلاوة الاسرار. وفي هذه الصلوات اشارة الى بسط الذراعين وغسل الايدي. وكان يُفصل بين الصلوات بقراءة من الاسفار المقدَّسة من العهد القديم والعهد الجديد. وهذا القسم الاوَّل يوافق مقدَّمات القداس كما هو جارٍ اليوم في كل الطقوس الغربيَّة والشرقيَّة

امَّا القسم الثاني وهو المختصّ بالمؤمنين فانهُ يبتدئ بتقدمة التقادم ويلي ذلك تسبحة التريساغيون على هذه الصورة: «قدُّوس قدُّوس قدوس الربّ الصباؤوت. السماء والارض مملوءتان من مجدك ومن عظمة جلالك» وبعد التريساغيون صلوات منقولة عن كتاب «تعليم الرسل» الذي وجد في عهدنا وكان لوجودهِ صدًى حسن في كلّ جهات المعمور الكاثوليكيّ لقدم زمانهِ. ثمَّ يعقب ذلك ذكر عمل الرب في العشاء السرّي لمَّا بارك الخبز والخمر واحالهما الى جسدهِ ودمهِ الكريمين. كما ترى اليوم في الكنائس على اختلاف طقوسها

وفي اثر الكلام الجوهري ابتهال نعمة الروح القدس('Επίκλησις) على التقادم حسب تقليد الكنائس الشرقيَّة قديمًا. وبعد هذه الصلاة ادعية اخرى للشعب المؤمن ولانفس الراقدين بالرب «كي ينيلهم السكنى في ملكوتهِ»

ثمَّ يتلو الاسقف صلوات الاستعداد لتناول القربان الاقدس يفتتحها بثلاث صلوات مخصوصة بكسر الخبز وهو طقسٌ لم يُذكر ذكرًا واضحًا في النوافير القديمة ما خلا نافور سيرافيون. ثم يناول الاسقف الاكليروسَ الحاضر ويبارك الشعب ويختم القدَّاس بدعاء الشكر الى الله

فهذا النافور كما ترى يوافق في اقسامهِ الجوهريَّة اقدم الليتورجيَّات المعروفة وهو شاهد جديد على قدم طقوسنا الالهية. واذا قابلناهُ بالليتورجيَّات الشائعة في القرون الاولى وجدنا انهُ اقرب الى نافور الكنيسة السريانية منهُ الى غيرها من الكنائس



والارجح انَّ الكنيسة الاسكندريَّة اخذتهُ عن ليتورجية القديس يعقوب الرسول والله اعلم

وفي الختام نثني على همة صاحب هذا الاكتشاف المهمّ لان كتابهُ هذا انبأنا بلسان حالهِ على شأن نوافيرنا الحالية التي لا تختلف عن نوافير اجدادنا الَّا في الاعراض. فسبحان الله الذي لا يزال يؤيد ايماننا بوسائل جديدة وينفي عنا الشبهات بمنّهِ وكرمهِ والسلام

نبذة من كتاب الباكورة

للخورفسقفوس جرجس شلحت الحلبي السرياني

مقالة في تأويل قصيدة ابن سينا الشهيرة في النفس تأويلًا يحلها من ربقة الزعم الضالّ الذي بنيت عليهِ وهو قول افلاطون بان النفوس تقدَّمت الاجسام في الوجود. فلمّا خطئت في السماء قضى الله عليها بسجن الجسد

١

هبطتْ اليكَ من المحلِّ الأرفعِ ورقاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتمنُّعِ

هذا البيت هو مطلع قصيدة مشهورة لابن سينا في النفس. وهي برمَّتها تُلمع الى ما ذهب اليهِ افلاطون (١ من ان النفس وُجدت في السماء قبل اتحادها بالجسم. فلمّا خطئَت قضى الله عليها بسجن الجسد. وعلى هذا فقد شاهدتْ في زعمهِ الطبيعة الالهيَّة قبل تجسُّدها وستشاهدها بعد انتقالها من هذه الدنيا. وكان يقول ان النفس حياة خالدة محجورة في حبسٍ فانٍ والموت ضربٌ من البعث فان مات الحكيم انفتحت نفسهُ للحقائق السامية ورأت الله مبدعها

وذلك القول بان النفوس وُجدت قبل وجود الاجسام مردود عند الحكماء ببراهين قاطعة أخصّها انَّ الله سبحانهُ لم يخلق الخلائق الَّا في حالة كمالها. ومن المعلوم انَّ كمال الانسان قائمٌ باتّحاد النفس بالجسد. وناهيك ان النفوس ان كانت منذ بدء العالم فلا جرم انها كانت مُتحلّية بقواها العقليَّة عاملةً بها. فكيف يا تُرى نسيتْ كلَّ ادراكاتها السابقة ولا يردّ ذلك ما اتى بهِ افلاطون برهانًا على زعمهِ من ان النفس لا تكتسب معاني الجمال والحقّ والخير والعدل بالاختبار بل تنجلي لها كأنَّها تتذكَّر امرًا قديمًا على حدّ قول صاحب نظم السلوك:

١) افلاطون احد مشاهير فلاسفة اليونان وتلميذ سقراط ولد سنة ٤٣٠ ق م وتوفي سنة ٣٤٧

ويُنبيك عن شأني الوليدُ وان نشا بليدًا بإلهام كوحيٍ وفطنةِ
اذا أنَّ من شدّ القماط وحنَّ في نشاطٍ الى تفريج افراط كربةِ
يُناغَى فيلغي كلَّ كلٍّ اصابهُ ويُصغي لمن ناغاهُ كالمتنصِّتِ
ويُنسيهِ مرَّ الخطب حلوُ خطابهِ ويُذكرهُ نجوى عهودٍ قديمةِ
اذا هام شوقًا بالمناغي وهمَّ ان يطير الى اوطانهِ الاوليَّةِ
يُسكَّن بالتحريك وهو بمهدهِ اذا ما لهُ أيدي مُربيهِ هزَّتِ

فانَّ هذا القول انما هو مردودٌ ايضًا. وتلك المعاني تُكتسب بالافتكار والتأمل بعد تجريد الصور من العلائق المادّيّة ونقل الجزئيّات الى كليّاتها. حتى ان المذهب الصحيح في الفلسفة ان تصوّرات غريزيّة في الانسان بل كلُّها تحصل لهُ بطريقة الاكتساب. والعقل يُوجد في مبدإِ امرهِ مستعدًّا لقبولها كأنَّهُ « صحيفة صقيلة لم يُكتب فيها شيء » (١ كما شبَّههُ ارسطو تنطبع فيهِ الافكار بالتدريج شيئًا فشيئًا

ولقد جاء في كتب اوريجنيس الملفان ذكر ذلك الزعم الضالّ بقدم النفوس. وقيل ان بعض المبتدعين حرَّفوا كُتُبه والله اعلم وكان هؤلاء التابعون مذهب افلاطون يُعلِّمون ان النفوس خُلقتْ في البدء ثمَّ سقطت في الخطيئة. فبرأَ الله العالم ليكون سجنًا لها وعقابًا (٢. وقد حرَّمت الكنيسة هذه البدعة في المجمع الخامس المسكوني عام ٥٥٣.

ولا يحقّ لنا ان نجرّد عَضب القَدح والطعن على افلاطون. من حيث انهُ كان رجلًا وثنيًّا لم تُشرق عليهِ الديانة المسيحيَّة بانوارها الالهيَّة اللامعة واضواء وحيها الساطعة. فكان نورُ العقل قائدهُ الوحيد في مباحثهِ السامية. وما اقتبسهُ من مبادئ الاديان او هي الفلسفة الشرقيَّة كان عقائد اعتورتْ معانيها عادياتُ الزمان وتقلُّبات الحدثان. فاصبحت آثارًا مشوّهة لعين الحقيقة لا تشفي بلَّتها غلَّةَ ذلك القلب المحترق بحبّ الطبيعة الالهيَّة. ولا تفي أدلَّتها بما كان يشرئبّ لبُّهُ الى البحث عنهُ من الحقائق الفائق ادراكها طورَ العقل البشري. فلا لوم عليهِ ولا تثريب اذا كان قد سقط في اغلاطٍ وغوايات

بيد انَّ الذنب كلَّ الذنب على اولئك الذين كانوا سائرين في اشعَّة شمس الحقّ وقد تسكَّعوا في ديجور الاضاليل. وغرامهم بالفلسفة الاشراقيَّة ثم بالفلسفة المشائيَّة حداهم على التهوّر في ما ينافي الوحي الالهيّ. فكان على تبَّاع افلاطون المسيحيين ان ينصِروا

---

١) الخلاصة اللاهوتية ق ١ مب ٧٩ ف ٢ ومب ٨٤ ف ٣

١) طالع شرح مجاني الادب ص ١٨٧ من القسم الاول

فلسفتهُ ويُصلحوا اغلاطها بما في الدين الحقّ من التعاليم الصائبة كما فعل القدّيس اوغسطينوس. وكان كذلك على مُشايعي ارسطو ان يُعمّذوا فلسفتهُ وينقّوها من أدران الخطإ كما فعل القديس توما الأكويني

وهاءنذا ايضاحاً لما انا مُثبتهُ اذكر على وجهِ المثل ما كان يجب فعلهُ على ممثّلي فلسفة افلاطون المسيحيّين في شأن قولهِ الضالّ بقدم النفوس. على ان الكتاب المقدّس في الفصل الاول من سفر التكوين يذكر خلقة الانسان صادعاً بانّ النفس والجسد خُلقا معاً. فبذلك الوحي يبطل زعم افلاطون. وعلى هذا كان ينبغي لتبّاعهِ المسيحيين لا ان يأتوا ببدعة تناقض الوحي الالهيّ بل كان يمكنهم ان يؤوّلوا ذلك القول تأويلاً مسيحيًّا موافقاً لهُ من غير ان يضلّوا. وانا على سبيل التجربة اذكر هنا تأويلاً مطابقاً للتعاليم المنزلة في شأن زعم افلاطون المشروح آنفاً فاقول:

ان هذا الزعم يُحاكي مُعتقد الهنود والصينيين والبابليين والمصريين والفينيقيّين وغيرهم من الشعوب القديمة. وهؤلاء كانوا يعتقدون ما اعتقدهُ الاسرائيليُّون من ان الأب الاول طُرد من الفردوس هو والامّ الاولى بسبب جريرتهما. ولكنّ هذا المُعتقد عند اهل آسية عدا الشعب الاسرائيلي كان ممتزجاً بافكار شعريّة وخرافاتٍ لا طائل فيها اختلطت بهِ مع تمادي زمن التقليد. ومصداقاً لذلك أُورد هنا ما أتى بهِ في هذا الصدد صاحب معجم (١ المقابلة بين تعليم الايمان الكاثوليكيّ وغيرهِ من التعاليم الفلسفيَّة والدينيَّة. قال رحمهُ الله لدى كلامهِ على الخطيئة الاصليَّة ما مُحصَّلهُ: « لو حاولنا ان نأتي على سرد كلّ التعاليم الوثنيَّة التي لنا ان نثبت بها عقيدة الخطيئة الاصليَّة اذًا لكان علينا ان نشفع بتاريخٍ وافٍ جميع هذه المزاعم الضالّة الناجمة عن تقليد سقطة الابوين الاوّلين. وهذا باب واسعُ مجالِ القول. فنجتزئ عنهُ ببيانٍ شافٍ نحتق بهِ ان الوثنيّين قد احتفظوا بهذه العقيدة الاساسيَّة. وان مسخوها مسخاً. على ان الهنود مثلاً يعتقدون ان النفوس مُجلاة عن وطنها. وفي اثناء جلائها المشؤوم لا تزال متنقّلةً من جسمٍ الى جسم. فان الممالك الطبيعيَّة من حيوان ونبات وجماد انما هي مشحونة بالارواح الساقطة من محتدٍ شريف ووطنٍ منيف. وهي تنزع ابدًا الى العود اليهِ.

١) هو المجلّد الثامن والثلاثون من موسوعات العلوم اللاهوتية التي نشرها الاب مين الشهير صاحب مكتبة الاكليروس الجامعة

فالعالم باسرهِ ان هو من هذا القبيل الّا مطهر رحيب ». فلعلّ معتقَد هذه الامم التي اخذ عنها اليونانيُّون خرافاتهم حمل افلاطون على ما ذهب اليهِ من ان النفس لمَّا خطئت في السماء قضى الله عليها بسجن الجسد. دونك تأويل زعمهِ تأويلًا مسيحيًا مفصَّلًا. وفيهِ آتي على شرح مغزى تلك القصيدة البليغـة لابن سينا. وهي التي جئت بمطلعها في مُفتتح الكلام:

تبكي وقد ذكرت عهودًا بالحمى بمدامعٍ تهمي ولمَّا تُقلعِ
حتى اذا قرب المسيرُ الى الحمى ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسعِ
هجعتْ وقد كُشف الغطاء فابصرت ما ليس يُدركُ بالعيون الهجَّعِ

انَّ الدين قائمٌ بذكر الله. والانسان الخالع ربقـة الدين هو ذلك الذي لا يذكر الله ولا يترجاهُ « قال الجاهل في قلبهِ ليس اله ». ومنذ نشأة الانسان كلَّما كانت تكمل عبادة الباريْ عزّ جلّ وديانتهُ الحقَّة كان يكمل ذكرهُ ورجاؤهُ (١. فبادئ بدءٍ قد طُرد ابوانا من جنَّة عدن لداعي معصيتهما وجلبا معهما ذكر الخالق الذي كانا قد رأياه وسمعاهُ وكلّماهُ في الفردوس ورجاءهُ الذي سوف يحشرُ صبحةُ لهما ولذراريّهما لِما قيل من ان « المرأة ستسحق رأس الحيَّة » وعُني بالمرأة امَّ الله الفادي وبالحيَّـة ابليس عدو البشر. ولكن كم كان ذلك الذكر مُرمِضًا مُمضًا وكم كان ليل ذلك الرجاء بعيدًا تباشيرُ فجرهِ. فكانّي بلسان حال ابوينا ونسلهما يصيح اذ ذاك منشدًا:

الا ايها الليل الطويل الا انجلِ بفجرٍ خارٍ مَطمحٍ للمؤمّلِ
ولمَّا عهدناهُ المفضَّل لم نقـُـل بصبحٍ وما الاصباحُ منك بأمثلِ

فقام الدين ردحًا من الدهر بذينـك الذكر والرجاء. والآباء الاوَّلون لم يكن لهم تعزية الّا بهذه العلالة في عالم الشقاء. فكانوا يُكرّرون على مسامع ابنائهم وحفدتهم انهم مُجلون عن الوطن السعيد حيث كان الجدَّان معاشرين الله. بيد انهم بحسب وعدهِ تعالى سيعودون اليهِ سالمين غانمين اذا آمنوا وعملوا الصالحات. وبذلك كان يُسكّن روعهم ويُسرَّى عن افئدتهم وتَعذب لديهم مرائر الحياة:

وما صبابة مشتاق على املٍ من اللقاء كمشتاق بلا املِ

فكان « ابناء الله » يذكرون العزَّة الالهيَّة فيرجونها ويتصوَّرونها فيحبُّونها ويتمثَّلونها

١) اقتبستُ هذا المعنى الشريف من خطبة نفيسة في التناول الروحي للخطيب المصقع الاب لاكردار الفرنسويّ الدومينيكي الخطير

فيتوقون الى بهاء رؤيتها وسناء طلعتها على حدّ قول الشاعر :

وما برحوا معنًى اراهم معي فان نأوا صورةً في الذهن قام لهم شكلُ
فهم نصب عيني ظاهرًا حيثما سروا وهم في فؤادي باطنًا اينما حلُّوا

وعلى ذكر الطرد من جنَّة عدن ورجاء الرجوع اليها استمرّ الدين قائمًا الى ان اخذ ذانك الذكر والرجاء ينقصان بين الآدميين على تمادي الزمن وترامي مسافة تحقيق الرغبة في العود الى ذلك الوطن. حتى نُسي الخالق وعُبدت الخلائق وكادت تمَّحي من لوح الاذهان تلك سطور التقليد الذهبيَّة الخلاصيَّة بما طرأ عليها من صدإ الاوهام والخرافات الخياليَّة. فصحَّ حينئذٍ القول في النفس اذا حُمل على محملٍ مجازي وعُني بهِ الجنس البشري :

وصلت على كرهٍ اليك وربَّما كرهت فراقك فهي ذات توجُّعِ
أنفتْ وما ألفت فلمَّا واصلت القتْ مجاوَرة الخراب البلقعِ
وأظنها نسيتْ عهودًا بالحمى ومنازلًا بفراقها لم تقنعِ

ولمَّا زاد الآدميُّون نغمةً في طنبور طغيانهم وتاهوا وعربدوا في مهامهِ نسيانهم وكفرانهم ما خلا صفوةً منهم اقاموا على ذكر الله ورجائهِ وقليل ما هم شاء الله ان يُجدّد وجه الارض ويبعث ذكره ورجاءهُ من رمس الاهمال. فغطَّى البسيطة بالغمر وسُرَّ عدلهُ بان تُنَلّ دعائم ذلك المعمور الذي عَلقهُ البشر بطامَّةٍ كبرى أبقتْ لها اثرًا في كلّ اينٍ وآن فأين ومتى اتَّجهت معارف الانسان تُلفي يد الله مطبوعةً في الخلقة ثمَّ في بقايا الطوفان. ولقد خلُص منهُ نوح واسرتهُ وخرجوا من الفُلك ساحبين معهم ذكر الله الذي أخلى الارض وانقذهم من هذا البلاء العميم ورجاءهُ الذي أصبح حينئذٍ وثيق العرى موطَّد الاركان. وقوس قُزح الذي اراهُ الله نوحًا بين الغمام علامة ذلك الرجاء وتذكارًا لحفظهِ وعترتهُ من تلك الجائحة التي استأصلت شأفة البشر وأبادتهم عن آخرهم

بيد ان ذكر نوح ورجاءهُ لم تلبث يد الزمان ان عبثت بهما وراح الآدميون يعبدون الاوثان وطغى الجهل وطمى الفساد وكاد ذلك التقليد الصحيح تُنسف رسومهُ بما عاد فعصف عليها من سوافي الخرافات وهُوج الترَّهات التي على ما يبين ورَّطت فيما بعد افلاطون ان يذهب ذلك المذهب الضالّ. فنظر الله الى الارض فاسخطتهُ شرورها.

فهمَ بالانتقام. فذكر عهدهُ مع نوح. فشفق على جبلة يديهِ. واشفق من ان يُفقد من بين البشر ذكرهُ ورجاؤهُ. فدعا رجلًا بقي مقيمًا على عبادتهِ وهو ابرهيم خليلهُ وامرهُ ان يبرح وطنهُ ويُغادر عشيرتهُ. واختار لهُ بلاد فلسطين ووعدهُ بان يورثها ذرّيّتهُ التي سيجعلها شعبًا عظيمًا يُبارك فيهِ كلّ امم الارض وسُميت لذلك ارض الميعاد. ولما اوعز اليهِ ان يُضحّي ابنهُ اسحق الذي كانت تضحيتهُ رمزًا وشبهًا لذبيحة ابنهِ الوحيد وهمَ هو بذلك مُطيعًا أمره الالهي أوقفهُ واستأنف لهُ مواعيد الرجاء واقسم لهُ بذاتهِ ان سيُخرج منهُ مخلصَ العالم

واستمرَّ ذكر ورجاء ابرهيم واسحق ويعقوب والانبياء من بعدهم محفوظًا في الاسرائيليين حفظًا لم يكن ليُزيلهُ كرّ الاعصار حتى انَّ اليهود الذين عَمِيت بصائرهم ولم يؤمنوا بمجيء الفادي لو لم يحتفظوا بذلك التقليد لكانت قد بادت جنسيَّتهم واضحوا أثرًا بعد عين

وما زال ذانك الذكر والرجاء سائدين بين شعب الله المختار الى ان حُمَّ إبّان تحقيق المواعيد. فجاء يسوع المسيح الاله المتأنس ورآهُ وسمعهُ ولمسهُ في شخص التلاميذ واليهود البشرُ باجمعهم. وما برح الرُّسل عرضةً للشكّ لداعي إقامتهم على العهد القديم الى ان مات المخلّص وقام فاقام معهُ ذكره ورجاءهُ الجديدين صاعدًا الى ابيهِ فاتحًا للآدميين تلك الابواب الدهريَّة التي كانت قد أُوصدت بسبب المعصية الجدّيّة. فتقوَّى بذلك الرُّسل وانتعش التلاميذ. وانتشروا يبثُّون الدين الحقّ في اصقاع المسكونة هم وخلفاؤهم من بعدهم الى ان دُكّتْ عُمُد الكفر وانقلبت الاصنام ودخل الناس في دين المسيح افواجًا. وثبتت الكنيسة التي اسَّسها على الصخرة بطرس حافظةً برأسها المنظور حفظًا معصومًا من الغلط ذكر تعاليمهِ ورجاء مواعيدهِ وستدوم ثابتةً الى انقضاء الدهر. وهو تقدَّس اسمهُ معها وفي وسطها فلن تتزعزع ولن تقوى عليها ابواب الجحيم

هذا ولقد وجدت في مقدَّمة القسم التاريخيّ من كتاب آثار الادهار رأيًا غريبًا في تفسير السبب الذي حدا افلاطون على ان يذهب الى القول بقدم النفوس. فدونكهُ على علّاتهِ: « بديهيٌّ انَّ جميع هذه العلوم صدرت عن العقل وتقدّمت باقبال الانسان عليها كما تقدّم هو بتقدّمها ولولا ما ذكر من عوارض ضعفهِ لبلغ من النجاح غايةً لا

يكاد يتصوَّرها الآن. على انَّ مرور الأيام وبقايا السلف ما زالت تزيده تقدُّماً. فانهُ مخلوق عاقل ينتفع بما يرى وما يُطلعهُ عليهِ التاريخ من احوال الماضين فانَّهُ يكفيه مؤونة الامتحان. وحسب التاريخ بهذا فضلًا. ولولا ذلك لغنيَ الانسان في طلب ما وجدهُ غيرهُ من قبلهِ وانتثر سلك الاختراعات بتقادم العهد وتبدّل الاعصار فانَّ العالم قديم لا محالة وان اختُلف في تحديد زَمنهِ لانَّ وضع بعض العلوم والفنون ممَّا عرف الهنود والبابليُّون والمصريُّون وغيرهم من الشعوب القديمة اقتضى بلا ريب زمناً طويلًا. وربَّما كان ذلك ممَّا حمل افلاطون على ما زعم من انَّ نفس الانسان تكون قبل حلولها بالجسم في محفل الآلهة عارفة اسرار الخليقة فاذا هبطت الى الجسم ليتولَّاها الضعف حتى تصير كأنَّها سُلبت تلك المعرفة. ولا تلبث بعد ذلك ان تتجرَّد من ذلك الضعف فتجد ما أضاعت او تتذكَّر ما نسيت»

امَّا التأويل الذي أتيتُ بهِ لذلك الزعم فلست باوَّل من قالهُ فانَّ الخطيب العصري الشهير الاب منسبري الفرنسوي الدومينيكيّ قال في عرض خطبته في معرفة الله بعد اذ سرد زعم افلاطون ما نصُّهُ: «يمكن ان يُفسَّر هذا التعليم الغريب بتطبيقهِ على سقطة الانسان». وقالت المجلَّة الفرنسويَّة الموسومة بالكاثوليكيَّة في عددها الصادر في كانون الثاني عام ١٨٥٦ ما تعريبهُ: «لا خفاء انَّ نفسنا على رأي افلاطون قد شاهدت الكلمة الالهيَّة وعرفت الحقّ في حياة تقدَّمت حياتها الحاضرة ثمَّ حُبست عقاباً لها على مآثمها في جسدٍ أرضيّ مائت. فاضاعت معارف كانت محرزةً لها سابقاً حتى انَّ التعلُّم للانسان انْ هو الَّا ذكرى. وقد قال العلَّامة اللاهوتيّ الاب لويس تومسَّان: لو وضعت عوضاً عن هذه القصة الخرافيَّة الحادثة التاريخيَّة الصحيحة وهي حالة برّ وسعادة وحظوة الابوين الاولين التي كانَّي بالجنس البشري حصل في شخصيهما عليها وفقدها بسبب جريمة العصيان. اذًا لكنت تُلفي في زعم افلاطون الضالّ أثرًا للتعليم المسيحيّ القويم». وما احسن وابدع ما قالهُ في النفس القدّيس اوغسطينوس في الفصل السادس والعشرين من الكتاب الاول من المكتبة الروحيَّة المشتمل على تأملاتهِ. فهاكهُ معرَّبًا شعرًا بقلم المترجم اثابهُ الله:

النفس جلّ سؤالها في الارض حلُّ عقالها
تبكي وتندب اربُعًا فُقدت بسوء فعالها

ذكرى الخسارة في الشقا زادت على اثقالها
لكن اذا بلغت الى اوطانها ومآلها
نالت من الافراح ما يُربي على آمالها
فرح الجنانِ اذا بدا تُكفى ضنى احوالها
فرحٌ تنوء بوصفهِ لسنُ الورى بمقالها (١

وختاماً لما اثبتُهُ في هذه العجالة آتي هنا بقطعة نظمتها في هذا الصدد وضمَّنتها صدر مطلع معلَّقة امرئ القيس وهي :

الذكرى

خليليَّ نجوى عهدنا المتقادم رمتنيَ في موج الجوى المتلاطمِ
«قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل» هما الله والفردوس موطن آدمِ (٢
يذكّرني التقليد والوحي بالذي جرى قدماً والذكر شقوة عالمِ
فابكي على فقد السعادة نادباً وألطم خدّي قارعاً سنَّ نادمِ
وتوشك نفسي ان تفيظ تلهُّفاً على وطن الجدّين مجلى العظائمِ
فينعشني رجوُ المعاد الى الحمى فاسعى لكسب الاجر سعي الاكارمِ
أُزجي حياتي في المبرَّات دائباً رجاء امتاعٍ بالسعادة دائمِ

اليزيدية

لحضرة الأب انستاس الكرملي البغدادي (تتمَّة)

١٦ اسلحة اليزيدية

من اسلحتهم الاسلحة الناريَّة الحديثة المستعملة عند الجميع . واماً قبل خمس عشرة سنة فكان من اسلحتهم « تفنكة الششخان » وهي البارودة المسدَّسة الانبوب من الداخل . وكانت من أهول البواريد المعروفة في تلك البلاد يومئذٍ والقَرَبِينة وهي بندقيَّة قصيرة خفيفة واسعة الفم والفرد وهو معروف . وما كان لهم عهد بغير هذه الاسلحة الناريَّة . امَّا ألواح السلاح (٣ فمنها الرماح المتَّخذة من القَنا الهندي (Bambou)

---

١) كذا رأيت اصلاح هذه الابيات ٢) ليغتفر لي سادتي العروضيون هذا السناد الذي لم يجزهُ الخليل . والّا فليكسروا الدال حاسبين اللفظة اعجميَّة . فلا بأس في التصرف بلفظ الكلم الاعجمية ولاسيما اذا دعت اليهِ ضرورة الشعر

٣) وهي التي سمَّاها بعض الكتبة المحدثين الاسلحة البيضاء تعريباً للفظتي Armes blanches

ذوات الاسنَّة المذلَّقة . والسيوف والشِمشير وهو صفيح اعقف قطَّاع (Cimeterre) والكلمة فارسيَّة ومعروف عندهم بهذا الاسم . والمِشمَل ويُسمّيها البعض القامة وهو ضرب من المدية عريض متوسّط الطول منها ما هو برأسٍ واحدٍ ومنها ما هو براسين اي حدّين . والخنجر والدُبوس ويسمّيه البعض الطُبوس بطاء مثالة وهو النبُّوت عند اهل سوريَّة . والمِقيار وهو دُبوس ذو كرةٍ من القار في رأسهِ . والكُلُنك وهو المِفقاص عند العرب اي شبه رمَّانة تكون في طرف عمودٍ من حديد تفقص كل شيء ادركتهُ (Masse) والبلطة ذات راس وذات رأسين وغير ذلك ممَّا لا فائدة في ذكرهِ

١٧ مساكنهم

يتحصَّل ممَّا ذكرناهُ في فصل قبائل اليزيدية انهم حضَر واهل مدرٍ ووبر . امَّا الحضر فيأوون الى منازل مبنية بالحجارة او الآجرّ او اللَبِن على الطرز المعروف في تلك النواحي. وامَّا اهل المدَر فهم الذين يقيمون في بعض القُرى الصغيرة الحقيرة متَّخذين مبانيهم من المدَر لا غير . وامَّا اهل الوبر فهم الرُحَّل ويسمُّون عندهم بالكوچر (Cotchar) وهم يظعنون لارتياد مواقع الغيث ومواطن الكلاءِ ويتَّخذون خيامهم من الشعر والوبر باشكال مختلفة على النمط المعروف عند اهل البادية من العَرَب

١٨ محلُّ وجودهم وقُراهم ومدنهم

يؤخذ ممَّا ذكرناهُ في مطاوي هذه المقالة وتضاعيفها ان من اليزيديَّة من هم موجودون في الهند وهم المعروفون باسم اللَنبخوس او البكوس . ومنهم من هم في بلاد الروس في بلاد كوه قاف وهم السَرخدار . ومنهم من هم في شمال شرقيّ سوريَّة وهم المِلّيَّة . ومنهم منتشرون في بلاد ما بين النهرين او الجزيرة وهم المعروفون باليزيدية وذلك من باب الغَلَبة . امَّا مدنهم فمنها:

١ (سِنجار) بكسر الاوَّل واسكان الثاني جبلٌ وبلد مشهوران على ثلاثة ايَّام من الموصل وسِنجار مأخوذ من سَنجَر كجعفر بالفارسيَّة لان تلك النواحي كانت

الافرنجيتين والبعض الآخر سمَّاها الاسلحة القاطعة وكلاهما لم يستعملهُ العرب بالمعنى الذي اوردناهُ ولا يجوز لنا ان نستعملهُ لانَّ الابيض ان كان يصدق على ما ابس بناريّ في اللغات الاعجميَّة لا يصدق معناهُ كذلك في العربية . واما القاطعة فلا تصحّ هذه التسمية الَّا ببعض تكلُّف لان في ألواح الاسلحة ما ليس بقاطع فاذا اطلقت هذه التسمية عليها فيكون من باب تسمية الكل باسم الجزء . وعلى كلٍّ لا يجوز ترك ما هو معروف عند العرب للتشبُّث بما لم يكن معروفًا عندهم

من بلاد الفُرس قديمًا وهم اول من سمَّاها بهذا الاسم. ويُراد بهِ طيرٌ من الجوارح وهو النسر على ما يُظنّ وسبب تسمية هذا الجبل بهــذا الاسم ان اللائذ بهِ يصبح كالنسر منيعًا امينًا لا يُرام ولا يُنال

٢ً (الشَّيخان) وهي ارض واسعة فيها قُرى عديدة تُربي على العشرين. وهي كلمة فارسيَّة ومعناهُ الشيوخ اي بلاد الشيوخ

٣ً (بَحشيقا) والبعض يقول بَعشيقا وهو خطأٌ او لغة وهي قرية على مسير ست او سبع ساعات من الموصل. فان قلت بحشيقا بالحاء فهي منحوتة من ܒܝܬ ܫܚܩܐ الكلدانيَّة اي بيت المسحوق. وان قلت بَعشيقا بالعــين فهي من ܒܝܬ ܥܫܝܩܐ اي بيت المظلوم او بيت المُتَّهم

٤ً (باعِذري او باعِدري) وقليلٌ من الناس يقول بَعذِري وهي لغة قبيحة. وهي على اربعة وار بعين كيلومترًا من شمال شرقيّ الموصل. والكلمة كلدانيَّــة او سريانيَّة منحوتة من ܒܝܬ ܥܘܕܪܐ اي بيت الملتجأ (١

٥ً (شيخ عادي) اي قرية الشيخ وهي قريبة من البليدة المذكورة قبلها

٦ً (بحزاني) وهي منحوتة من ܒܝܬ ܚܙܘܢܐ اي مكان الوحي او بيت الوحي او الأحسن الموحى

٧ً (عَنسِفنِ) من ܥܝܢ ܫܦܝܐ اي عين صافية او من ܥܝܢܐ ܫܦܝܬܐ اي عيون صافية

٨ً (طَفتيا) لا نعرف معنى هذه اللفظة

٩ً (كابار Gâbâr) من ܓܢܒܪܐ اي جبَّار راصلها ܒܝܬ ܓܢܒܪܐ اي بيت الجبابرة

١٠ً (خَرزِزا Khôrezâ) من خود بالفــارسيَّة اي حقير و رز اي عنب ومحصَّلهُ منبت العنب الذميم

١١ً (بوزان Bôzân) بجوار ألقوش القرية الكلدانيَّة الشهيرة من ܒܘܙܐ او ܒܘܣܢܐ ومنها اسم المؤلف الشهير الكلداني مار يوسف بوسنايا

١٢ً (شَيخذِري) وهو تصحيف الشيخ خضر اي قرية الشيخ المذكور

١) اننا في تعريب هــذه الكلِم السريانية نقول بيت... تعريبًا حرفيًا والاصحّ ان يُعرَّب بصيغة المكان لا غير. فاعلمهُ

١٣ً (تَلخَش) من ܬܠܚܫܐ اي تلّ الآلام وهي قرية عالية الارض استشهد فيها كثير من النصارى في ايام الفُرس

١٤ً (با قِصري) من ܒܝܬ ܩܨܪܐ اي بيت القصّارين

١٥ً (سينا) اي قرية القمر ܣܝܢܐ

١٦ً (كِرشكَستي) من كرس بالفارسيَّة اي الكردوسة وشَكِستَه اي المدحورة او المكسورة وكان اصحابها من النصارى قد كُسروا فيها على يد كُردوسةٍ من الفُرس

١٧ً (خانكو قِپاخ) والبعض يقول خانكو قِپاق او خانچوقباخ. من خانقاه بالفارسيَّة وهو معروف اي دار الدراويش وقپاق القَرع وكانت بادىء بدء خانقاهاً للدراويش مولعين باكل القرع الذي كانوا يزرعونهُ في ارضهم

١٨ً (خَطار او ختار) مقطوعة من ܒܝܬ ܚܛܪܐ اي مكان قصر الثياب

١٩ً (دُو غاتا) من دو بالفارسيَّة اي اثنان وغاتار اي غادِر ومعناها القرية التي كان يأوي اليها الغادران الشهيران

١٣ً (سَربچكا) من سَر بالفارسيَّة اي راس وبچكان جمع بچه اي اطفال وهي القرية التي قُطع فيها رؤوس كثير من اطفال النصارى

٢١ (پير بوبي) والمعنى ظاهر اي قرية الپير المسمَّى بوبي المدفون فيها

٢٢ً (مُقلَّب) وهو اسم جبل مقلوب عندهم بجوار دير مار متى بقرب الموصل

٢٣ً (جَكانا) من جاه القارسيَّة اي مكان وكاهان جمع كاه ومعناهُ المنقِص وكان اصحاب هذه القرية مشهورين ببيعهم الناقص وزنًا

٢٤ً (زَينيا) من ܙܝܢܐ اي الاسلحة. ولعلَّها كانت مستودعاً للاسلحة عند انشائها

٢٥ً (جَرحيا) ومعناهُ بالكرديَّة مكان الجرح. ويوجد غير هذه القرى أضربنا عن ذكرها حبًّا بالاختصار

بعد ان ذكرنا قرى اليزيدية بوجهٍ خاصّ لننظر اليها الان بوجه عامّ فنقول ان كل قرية من هذه القرى تشتمل على بيوتٍ لا يتجاوز عددها الستين فيها مزارع وبساتين تكثر فيها انواع الفواكه. وكل هذه القرى متجاورة وهي عند حضيض جبل سنجار وتحيط بهِ احاطة الهالة بالقمر. وسعة الجبل مسيرة ثلثة ايام ويكثر فيه من الاشجار البلوط والجوز واللوز والحبة الخضراء وغيرها. وهم يزرعون الصيفي بالدَّشت وسعتها

مسيرة ساعتين. ولكلّ قرية من هذه القُرى الموجودة عند اسفل جبـل سنجار مغارة فيها مصنع للماء. ويتّخذون هذه المغاور في ايام الحرب بمنزلة قلاع يلوذون اليهـا هم وكُراعهم وكل ما معهم

١٩ تاريخ احوالهم

كان اليزيديَّة في غرَّة القرن الثـامن عشر ٢٥٠,٠٠٠ نسمة منهم ٤٠٠٠ فارس و ٨٠٠٠ راجل من الجنود. وصاروا في اوَّل هذا القرن ٢٠٠,٠٠٠ نسمة منهم ٣٠٠٠ فارس و ٦٠٠٠ راجل. ولم يكن عددهم في منتصف هذا القرن الَّا ٥٠,٠٠٠ نسمة فيهم ٢٥٠٠ فارس و ٥٠٠٠ راجل ومن هذا العدد الاخير ترى انهم وان قلُّوا عددًا فانهم ارادوا ان يبقوا على عددهم السابق من جهة التجنُّد. وخضعت طائفة عظيمة منهم في بدء هذا القرن ولم يتمرَّد الَّا يزيدية جبـل سنجار اذ بقوا مستقلّين امَّا تاريخ بعض الهجمات التي فاجأتهم فمنها هجمة ١٧٨١ اذ خرج عليهم امير من امراء راوندوز يُقال لهُ: « بك راوندوز » وقتل منهم عددًا عديدًا في غارة شعواء غار بهـا عليهم بعساكر غير منتظمة من الاكراد فهجموا على قراهم وهزموهم الى نينوى بازاء الموصـل والتجأوا الى اهل الموصل فلحقهم هذا البك الى المحلّ المسمَّى: « تلّ عَرموش » بقرب نينوى وذبح منهم خلقًا كثيرًا وسبى عددًا وفيرًا من اولادهم ونسائهم وبنـاتهم حتى انهم الى يومنا هذا كلما حفروا في تلّ عرموش وجدوا فيهِ بقايا حُلى نسائهم وهي نوع من الحلى لا يستعملها الَّا اليزيديَّة. وفي سنة ١٧٩١ بعث وزير بغـداد سليمان باشا قائدًا اسمهُ لطف الله افندي ومعهُ جيش عرمرم فسيَّر في بلادهم النـار والبتَّار حتى لم يُبقِ في خارج جبل سنجار تابعـًا واحدًا من تبَعَة يزيد. وفي سنة ١٨٠٢ عبر عليّ باشا وزير بغداد نهر دجلة من الموصل لمقاتلة اهل سنجار فأبلى بلاءً حسنًا واخضع جمًّا غفيرًا منهم وقتل منهم خلقًا لا يحصى عددهم. وفي سنة ١٨٠٩ شنَّ الغارة سليمان باشا وزير بغداد وهجم على اهل سنجار ودخل القرية المعروفة بالبلد فغنم وقتل وسبى وتحصَّن اهلها بثنية من ثنايا سنجار لا يمكن الوصول اليها الَّا بشقّ النفس

وفي سنة ١٨٣٧ حارب اليزيدية رشيد باشا ومعهُ جماعات من الكُرد فذبح منهم خلقًا حتى جرت دماؤهم سيولًا في طُرُق القرى فانكسرت بـذلك شوكتهم ولم يبق منهم سنة ١٨٤٥ الَّا ٥٠,٠٠٠ نسمة. وفي سنة ١٨٩٢ أرسل البـاب العالي الفريق



عمر باشا وكان رجلًا بعمر ٤٥ سنة بصفة « مأمور اصلاحات خطّة العراق » فحارب اليزيدية حربًا عوانًا ونكّل بهم ايّ تنكيل حتى اسلم منهم ١٥٠٠٠ يزيدي

ثم صارت امرة بغداد الى بكر باشا واستراح اليزيديّة وفي ايّامهِ علا امر كوچك ميرزا. ولد هذا في كابان من قرى الشيخان وهي تبعد عن دير ربّان هرمز ثلاث ساعات. وكان يعيش في بيت عمّهِ قاسو الكوچك الاعظم وكان محبًا للرئاسة. فوشى بعمّهِ الى الحكومة قائلًا: ان الكوچك الاعظم قاسو يدّعي انّهُ اله وانهُ لا يموت وان كلامهُ لا كذب فيهِ وليس لقضائهِ مردّ ونحو ذلك. فقبضت عليه الحكومة وزجّتهُ في السجن فبقي فيهِ اياماً ثم نُفي الى بلادٍ بعيدة فلمّا اخذ بالمسير الى منفاه وقطع مرحلتين تبعدان عن الموصل قُطع دابرهُ فقال اليزيديّة: « طار الكوچك » وبالكرديّة « كوچك فرى » والحقيقة انّهُ دُفن حيًا في جبّ عميق في قرية يُقال لها سيمير مطمورًا بالتراب. امّا الكوچك ميرزا ففرّ هاربًا الى جبل سنجار ولمّا وصلهُ تنبّأ عن خراب الشيخان فصدّقهُ اهل سنجار واحلّوهُ منزلة الكوچك الاعظم ونفحوهُ بالعطايا والهدايا وبقي عندهم مكرّمًا الى مجيء عمر باشا. ولمّا حلّ ببلاد الشيخان ما حلّ من البلايا والرزايا تأكّدوا انّهُ مرسل من الله فطلبوا اليهِ ان يكون قائد الجنود في الجبل ومتوليًا امرهم واهدوهُ لهذه الغاية نصف اموالهم. ولمّا برح الباشا تلك البلاد حنّ الى مسقط رأسهِ فجاءهُ بالقناطير المقنطرة من الاموال وبعد ان اجازتهُ الحكومة بالاقامة في قريتهِ شيّد فيها قصرًا دونهُ الخَوَرْنق والسدير. فعظم شأنهُ بين اصحابهِ حتى بلغ منهم اكرامهم اياهُ انهُ اذا قال لواحدٍ منهم « ارمِ بنفسك من العلو الفلاني » يفعل. وقد امتثل امرهُ هذا الشنيع كثيرون من اليزيديّة وهم يقولون اثناء سقوطهم « نموت حبًا بالكوچك ». وبعضهم كانوا يُهشّمون ويُقطّعون مقاسين اهول العذابات حبًا بهِ. ومع هذا كلهِ فالكوچك يقول لهم: « انكم لا تفعلون شيئًا لاكرامي اذ نيّاتكم ليست صافية » فزادوا على ما تقدّم انهم حبسوا ارزاقهم وهداياهم وموظفاتهم ونذورهم عن المير الاعظم واخذوا يؤدّونها للكوچك الاعظم فحسدهُ المير على ذلك واضمر لهُ العداوة حتى توصّل الى قتلهِ

امّا حالة اليزيديّة في يومنا هذا فانها في انحطاط دائم. فقد هُدمت المزارات والاشخاص واخذ البوم ينعب فيها وضُبطت السناجق كلّها الّا واحدًا وهو سنجق سنجار

فانهم يحافظون عليهِ كل المحافظة ولا يظهرونهُ الى الخارج. امَّا مقام الشيخ عادي فهو اليوم في يد الحكومة وفيهِ إمام من اهل سليمانيَّـة وتحت يدهِ عشرة موالٍ (ملالي او منالي) ولهم رواتب من الحكومة. وقد سُئل اليزيدية مرارًا كثيرة: كيف اصبحتم في هذه الحاجة الشقيَّة؟ فيقولون: ان الطاووس الملك غضبان علينا لكثرة ذنوبنا وكبائرنا اذ بلغت منا القحة الى ان نبيع ونشتري ونتعاطى انواع الاشغـال والحِرَف والمهن وهذا حرام عندنا الَّا الزراعة ورعاية الاغنام والمواشي وعمل الطنافس فانَّها محلَّلة. وهم اليوم لا يزالون يرتكبون هذه المنكرات بل ويرتكبون اعظم منها كاستحلالهم لاموال الذين ليسوا من دينهم

والقرى التي ليس فيهـا اليوم دَيّار ولا نافخ نار هي جميع قرى القايديَّة وسينا وشيـخ حذري وشاريا وركافا وخَزشنه وكَرَبخنـه وكذلك القرى التي بين بوزان وباعذري. وقد اسلم هذه الايام المير علي بك والمير ميرزا بك ومعهما ثمانون من الاكابر ثم انَّ الاكراد يفتكـون بهم كل يوم. وقد قتـلوا منهم في حزيران الماضي مائة من الدوستكيّين وجرحوا منهم كثيرًا. وفي هذه السنة تنصَّر منهم عدد غير يسير. هداهم الله الى ما بهِ نعم المصير. فانَّهُ على كلّ شيءٍ قدير (تمت)

المحبة ودواعيها

نبذة ادبيَّة لحضرة القس عبد الاحد جرجي السرياني

اوَّل ما يفعل المرء عند ولوجهِ هذا العالم الغدَّار انَّهُ يستهلُّ بالبكاء كأنّي بهِ يندب سوء حالهِ ويرثي نفسهُ لما يشعر بهِ من الألم. ولكن اذا لُفَّ بدنهُ بالقُمُط وأُضجع في المهد اصاب جسمُهُ حرارةً وصار حليف الدعة والراحة فيألف تلك الحالة ويستطيبُهـا ويمسي في حاجة ماسَّة اليها لا يمكنهُ الاستغناء عنها. فيتأَتّى ممَّا تقدَّم انَّ اوَّل شعائر تظهر في الانسان هي النفور ممَّا يضادُّهُ والميل الى ما يلائمهُ. وهذا النفور وهذا الميل لا يبرحان ينميان فيهِ حتى يبلغ السنة السابعة من عمرهِ ويعرف ان يميّز الخـير من الشرّ فيكون حينئذٍ ميلهُ الى الشرّ اكثر منـهُ الى الخير وتوطنهُ على المنكرات فوق سعيهِ وراء الصالحات

ومن المعلوم انَّ الانسان لمَّا ابدعهُ الخالق كان يميل الى الخير غير انَّهُ بعد ان فسدت طبيعتهُ بخطيئة آدم ابي الجنس البشريّ امسى ينظر الخير شرًّا فينحرف عنهُ والشرّ خيرًا فيأنس بهِ وهذا ما يؤيدهُ قول الرسول الى اهل رومية (٧: ١٦): ما اريدهُ من الخير لا اعملهُ بل ما لا اريدهُ من الشرّ ايَّاهُ اعمل

ولا حاجة في ان اذكر هنا فريضة الوالدين بالمبادرة الى تأديب اولادهم منذ نعومة اظفارهم لئلَّا يثبت فيهم ذاك الاعوجاج المشؤوم فيصير بهم الى نتائج وخيمة كما سيأتيك بيان ذلك

هذا وانَّ تلك الشعائر المضادَّة بعضها لبعض اعني بها الميل الى ما يُظنّ خيرًا والنفور ممَّا يُعدّ شرًّا تنشأ من مصدر واحد ألا وهو «المحبَّة» فهي التي تولّد فينا الميل الى ما يلائم طبعنا واخلاقنا وهي التي تعدل بنا عمَّا يضادُّنا ويخالفنا. فانها حقيقة ركن حياة الانسان ومحور جميع افكارهِ واقوالهِ واعمالهِ. كيف لا وعنها يقول القديس فرنسيس دي سال: «انَّ للمحبَّة المقام الاوَّل فيما بين الاهواء النفسانيَّة وهي بمنزلة ملكةٍ لجميع حركات القلب تحوّل كلّ شيء الى طبعها». وعليهِ فانَّ افضل مديح يمكنك ان تُثني بهِ على قريبك قولك لهُ: «اني احبُّك». فيقوم هذا الكلام الوجيز مقام افضل الاقوال واعذبها على قلب الانسان. ألا ترى مثلًا الطفل اذا اراد ان يعبّر عن عواطف قلبهِ حصرها كلّها بلفظة «احبُّك». وهي اللفظة التي يتوقَّعها الصديق من صديقهِ والحبيب من محبوبهِ والاخ من اخيهِ والاب من ابنهِ والرئيس من مرؤوسهِ وقس على ذلك. كأنَّ من اكتسب محبَّة غيرهِ يكون قد ملك قلبهُ بل جميع كيانهِ وكأنَّ المحبَّة تنوب عن الانسان كلهِ بل هي الانسان نفسهُ

ولا عجب في قولي انَّ المحبَّة هي الانسان نفسهُ اذا ما اعتبرنا انَّ الانسان خُلق على صورة الله ومثالهِ والله محبَّةٌ هو كما ورد في رسالة القديس يوحنَّا الاولى (٤: ١٦). غير انَّ هذه المحبَّة التي تكون في اوَّل الامر كجمرة نار تحت رماد لا تلبث ان تتَّقد فتضرم القلب بسعيرها وتطلب البروز الى الخارج. وبينما كان الانسان في صغرهِ يحسب نفسهُ سعيدًا اذا احبَّهُ الناس وانعطفوا اليهِ اصبح اليوم لا يرضى بهذه السعادة بل يطمح بصرهُ الى ما فوق ذلك ويرى ان قلبهُ يتأجَّج بنار لا يخمدها النزر القليل من الملذَّات والافراح

فحينئذٍ ينفع التأديب الذي تلقَّنهُ المرء في صغرهِ والاخلاق الحسنة التي طُبع عليها وتخلَّق بها في بداءة امرهِ لانَّ آخرتهُ تكون على حدِّ ما يوجَّه اليهِ محبَّتهُ فتكون صالحةً ان وجَّه محبَّتهُ نحو الصالحات وطالحةً ان وجَّهها نحو الطالحات. وعليهِ ترى البعض يرمون بسهام حبّهم الى غرض الإكثار من المال فيجعلونهُ نصيبهم من الدنيا وهم يصرفون اطراف الليل وساعات النهار في اتّخاذ الوسائط الملائمة لهذا الميل الشديد لا يمنعهم مانع ولا يوقفهم حدٌّ وربَّما حرموا انفسهم من طيّبات الدنيا خوفًا من نقصان يلحق بهم ورغبةً في زيادة يخشون عليها. وكم من اناس بذلوا لهذا المحبوب ليس اشغالهم واتعابهم فقط بل صحّتهم بل حياتهم ذاتها كما تشهد لنا بذلك مجلة المشرق الغرَّاء (٢: ٩٦) حيث تقول: لا حيًا الله الذهب ولا بيَّاه وهو مع كَيْنيَّتهِ النزرة قد قتل الوفَّ الوفِ من البشر ويقتلهم كل يوم بصفرتهِ الخدَّاعة (اه). وقد اجاد في قولهِ ابن جبير الكنانيّ اذ وصف محبّي المال بالابيات الآتية:

عجبتُ للمرء في دنياهُ تُطمعهُ ... في العيش والأجلُ المحتوم يقمعهُ
يمسي ويُصبح في عشواء يخبطها ... اعمى البصيرة والآمالُ تخدعهُ
يَغترُّ بالدهر مسرورًا بصحبتهِ ... وقد تيقَّن انَّ الدهر يصرعهُ
ويجمع المال حرصًا لا يفارقهُ ... وقد درى انهُ للغير يجمعهُ
تراهُ يُشفق من تضييع درهمهِ ... وليس يشفق من دين يضيّعهُ
واسوأُ الناس تدبيرًا لعاقبةٍ ... من انفق العمر في ما ليس ينفعهُ

ومن الناس من يسوقهم حبّهم الى اتباع الهوى واقتحام المنكرات فيجعلون سعادتهم وقصارى افراحهم في تلك الافعال المذمومة الحيوانيَّة التي يُستحيا منها كانهم لذلك خُلقوا وبها أُمروا. ومع علمهم بدناءة تلك الافراح وقبح نتائجها لا يبرحون منهمكين في إرواء غليلهم منها يأبون الفرار من فخاخها اذا سنحت لهم الفرصة بذلك كأنَّهم اذا تركوها لا يبقى لهم نعيم في الدنيا. وعلَّة هذه الاوهام الجهل الذي يوهمهم انَّ لا سعادة اعظم من سعادتهم ولا افراح غير افراحهم فيستغنون عن سواها وربَّما اشتروها بافراح الآخرة التي هي وحدها بهيَّة باقية فبئس الحظ حظُّهم اذ انهم بافعالهم تلك يحطُّون شرف الانسان وعظمتهُ ولا يبقون لهم سوى الهيئة الخارجة. فللهِ درُّ من قال في مثل افراحهم الباطلة:

«الدنيا كالماء المالح كلّما ازداد صاحبهُ شربًا ازداد عطشًا . وكالكأس من العسل في اسفلهِ السم فللذائق منهُ حلاوةٌ عاجلة وفي اسفلهِ الموت الذعاف . وكأحلام النائم التي تُفرحهُ في منامهِ فاذا استيقظ انقطع الفرح . وكالبرق الذي يضيء قليلًا ويذهب وشيكًا ويبقى راجيهِ في الظلام مقيمًا . وكدودة الابريسم التي لا يزداد الابريسم على نفسها لفًا الّا ازدادت من الخروج بعدًا كما قيل :

كَدودٌ كدودِ القزّ ينسج دائمًا ويهلك غمًّا وسط ما هو ناسجهُ »

وقوم يحبُّون العلم وفي اكتسابهِ يبذلون النفس والنفيس ويفرغون الجدّ والجهد فلا يجدون كتابًا الّا تصفَّحوهُ ولا يطالعون بحثًا الّا وتبحَّروا فيهِ ولا يصادفون عالمًا الّا وسألوهُ واستفتوهُ وأنِسوا بمجالستهِ ومفاوضتهِ الا ترى باعة الكتب من مالهم يتموّلون وبتآليفهم يربحون تراهم منشغلي البال دائمًا متفرّغين للدرس والمطالعة ابدًا لا تلذّ لهم جلبات العالم وافراحه الموبقة ولا تسرّهم معاشرة الانام ومخالطتهم الّا اذا كانوا من طبقتهم . فلا ريب ان هؤلاء اسعد جدًّا ممن تقدّم ذكرهم وهم حقيقون باكرام الناس وبالثناء عليهم بيد انهم ليسوا بكاملين ولم يصيبوا الغرض الاصليّ بل قرطسوا غرضًا قريبًا منهُ . ولذا يوجد من يفوقهم سعادة ومجدًا وهم الآتي ذكرهم

بقي علينا ان نذكر افضل الاقوام شرفًا واعظمهم غبطةً وسعادة ألا وهم الذين يحصرون محبّتهم كلها في الخالق الوهّاب ويوقفون ذواتهم لخدمتهِ جلّ جلالهُ شغفًا بجمالهِ وكمالاتهِ فيقبلون على النفس ويستكملون فضائلها رغبةً في استجلاب رضى الله عنهم والتقرُّب منهُ تعالى لان من شأن المحبّة ان تحدو الحبيب على التشبُّه بمحبوبهِ والتخلّق باخلاقهِ فيشمّرون عن ساق الجدّ وينزلون الى ميدان الحرب . ولعمري ان حربهم لَحرب عوان اذ انهم ذواتهم يحاربون فهم المحارِبون وهم المحارَبون وبعد ان تكون الدائرة تارة لهم واخرى عليهم يظفرون اخيرًا بعدوّهم بل باعدائهم وينالون اكليل الغلبة والنصر ممن استمالهم اليهِ واخذت محبّتهُ بمجامع قلبهم ويقينًا اني لا اجد كلامًا اقولهُ في وصفهم احسن من قول بهاء الدين العامليّ واليكهُ بحرفهِ :

« فالمتقون فيها (اي في الدنيا) هم اهل الفضائل . منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع . غضُّوا ابصارَهم عمّا حرّم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم . . . عظم الخالقُ في انفسهم فصغر ما دونهُ في اعينهم . . . أرادتهم

الدنيا فلم يريدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها . . . اذا زُكيّ احدهم خاف ممَّا يُقال لهُ فيقول: انا اعلم بنفسي من غيري وربّي اعلم بنفسي مني اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل ممَّا يظنون واغفر لي بما لا يعلمون . . اذا استصعبت عليهم نفسهم فيما يكرهون لم يُعطوها سؤلها فيما تحب . قرَّة عينهم فيما لا يزول وزهادتهم فيما لا يبقى . يمزجون الحلم بالعلم والقول بالعمل . تراهم قريبًا املهم قليلًا زللهم . خاشعًا قلبهم قانعةً نفسهم متزوّدين أُكلهم سهلًا امرهم حريزًا دينهم ميتة شهوتهم . كتومين غيظهم . في الزلازل وقورون . وفي المكاره صبورون . وفي الرخاء شكورون . لا يحيفون على من يبغضهم ولا يأثمون فيمن يحبُّون . . . ان ضحكوا لم يعلوا صوتهم وان بُغي عليهم صبروا حتى يكون الله هو الذي ينتقم لهم . . . بعدهم عمَّن تباعد عنهم زُهدٌ ونزاهة ودنوُّهم ممن دنا منهم لينٌ ورحمة ليس تباعدهم بكبرٍ وعظمةٍ ولا دنوُّهم بمكرٍ وخديعةٍ » (اه) . فسقيًا لأُناس هذه حالتهم لعمري انهم اعظم الناس غبطةً وسعادةً وهم الذين اصابوا الغرض الاصليّ دون غيرهم وانفقوا العمر في ما ينفعهم

فاستنتج ممَّا تقدَّم ايها القارئ اللبيب نتائج الحبّ في البليد والاديب . ان المحبَّة واحدة بيد ان مفاعيلها في النفس مختلفة . فانها اشبه شيء بالنار تحرق التبن وتطهّر الذهب وترفع وتحطّ وتشرّف وتذلّ . فمن احسن ادارتها رفعتهُ الى سعادة واضعها ومبداها ومن اساء في استخدامها ذلَّلتهُ ودهورتهُ في ظلمات الغيّ والاباطيل والله حسبنا ونعم الوكيل

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

٣١ ومن المعرَّبات (القُطرُب) قال المجد الفيروزابادي في القاموس: « القُطرُب بالضمّ اللِص والفأرةُ والذئب الأَمعَط وذكر الغيلان كالقُطرُوب . والجاهل والجبان والسفيه والمصروع ونوع من الماليخوليا وصغار الكلاب وصغار الجنّ وطائر ودُويبَّة لا تستريح نهارها سعيًا » اه . قلتُ: والاصل في ذلك كلِّه معنى واحد لحرف واحدٍ . ثمَّ فرَّعوا عليهِ معاني أُخر توسُّعًا . والقُطرُب والقُطروب شيء واحد اذ هما معرَّبا حرف

اليونانيّ λυκάνθρωπος. فقالوا فيهِ: « لقُنطرُب ولقُنطرُوب » ثمَّ حذفوا اللام ظنًّا منهم انها للتعريف فكان منها « قُنطرُب او قُنطرُوب ». ثمَّ حذفوا النون امَّا لحمل الكلمة على الاوزان العربيَّة واماَّ اجتنابًا لساكنين متجاورين ثقيلين على اللفظ. واماَّ لانها من احرف الذلاقة التي تدخل الكلم او تسقط عنها بدون ان تحدث تغييرًا في المعنى. وحذف النون في حشو الالفاظ المعرَّبة كثير الوقوع في العربيَّة فانهم قالوا مثلًا: اوقيَّة والاصل اونقيَّة οὐγκία وفرسخ والاصل فَرْسَنْك الفارسيــة وهو الرأي الاصحّ (راجع البرهان القاطع لفرهنك الشعوريّ ٣: ٢٥٩) او παρασάγγης اليونانيَّة وهو رأيٌ ضعيف لا يُعتدّ بهِ والنون ايضًا موجودة فيهِ. وامثال ذلك كثيرة لا حاجة الى الاكثار منها هنا على غير جَدوى. فصارت اللفظة بالصورة المعهودة اي « قُطرُب او قُطرُوب ». ومعنى اللفظة اليونانيَّة الذئب الانسانيّ او المتأنّس او الانسان الذئبيّ. وكما ان الذئب مشهور باللُصوصيَّــة عند جميع الأقوام اطلقوا لفظ القطرب على اللِص من باب المشابهة. اماَّ من انَّ معاني القطرُب: « الفأرة » فهذا من تصحيف القاموس ومن اخذ عنهُ والاصحّ ان يُقال: اللِص الفارِهُ كما صحَّحَهُ ابن منظور وابن المكرَّم والشيخ المرتضي ومعنى « الفاره » الحاذق الماهر النشيط الخفيف. ومثلهُ قولك: اللِص الأمعط وهو الذي يُشبِهُ الذئب الامعط بدهائهِ في السرقة ومشيهِ الذي لا يُسمع فيهِ جَرْس. واما القُطرُب بمعنى « الذئب الأمعط » فهو مأخوذ من معنى الكلمة اليونانية لانَّ الذئب الذي توهَّموا فيهِ انهُ يتلوَّن بلون الانسان لا يكون الَّا من دُهاة الذئاب. والأمعط من الذئاب الخبيث منها الذي قلَّ شعرهُ لخبثــهِ ودهائهِ. واماَّ القُطرُب بمعنى « ذكر الغيلان » فهو من تأويلهم ايضًا لان العرب يطلقون اسم الغول على كل ما يتنقَّــل من حالة الى حالة اخرى وعلى كل ما يتلوَّن ويتغيَّر ويتغوَّل. او على كل ما يغتال الانسان فيهلكهُ. (راجع ما قالهُ الدميري في مادَّة غول ٢: ١٦٧) ويظنون ان الغول يظهر بمظاهر مختلفة. ومنهُ قول كعب بن زهير بن ابي سلمى:

فما تدوم على حالٍ تكون بها كما تَلوَّنُ في أثوابها الغُولُ

واماَّ انَّهم نسبوا الى القُطرُب الذكورة فهو اماَّ لكون معنى اللفظة اليونانية يوجب ذلك. واماَّ لان ذكورة الغيلان أدهى من اناثها السعالي. ومن معاني القُطرب: «الجاهل» وهو لانَّ القُطرب ايضًا نوعٌ من الماليخوليا تعرض للانسان بها يخرج عن الانسانيَّــة

ويدخل حالةً تقرب من الحيوانيّة. ومن كان كذلك فخليقٌ بهِ ان يُنعت بالجاهل. ومعنى القطرب ايضاً « الجبان » وذلك لان من اوصاف المُصاب بهذا الداء خوفهُ الناس وهربهُ منهم وضَرْبهُ في البراري والبوادي. ومعناهُ ايضاً: « السفيه » وذلك لان الجهل يجرُّ وراءهُ السفه. ومعناهُ ايضاً: « المَصْرُوع » لان الصرع ينتاب القطرب وكثيرًا ما يُرى مصروعاً في انحاء مختلفة. واماً القطرب بمعنى: « نوع من الماليخوليا » فهو معرب λυκανθρωπία بمعناهُ. واما القُطْرب بمعنى صغار الكلاب وصغار الجنّ فنظن انّها معرَّبة عن الروميّة: caterva canum et caterva dæmoniorum (١) ومعناها جماعة الكلاب وجماعة الجنّ فحذفوا القَيْد الاجنبيّ اي canum dæmoniorum لكثرة ورودهما مع لفظة caterva وابقوا المعنى على أصلهِ مع بعض زيغان. وكثيرًا ما يتصرَّف العرب هذا التصرف بالالفاظ المركّبة او المضافة الى كلمةٍ آخرةٍ سواء كان ذلك في الفاظ لغتهم او في الفاظ لغة غيرهم وباب حذف المُضاف وابقاء المُضاف اليهِ او بالعكس كثير لا يحتاج الى شواهد لاثباتهِ. واماً مثل فعلهم هذا بالألفاظ الاعجميَّة فليس نادرًا ايضاً اذ انهم تارةً يحذفون صدر الكلمة ويبقون عجزها وطورًا يتشبَّثون بعجزها ويخلُّون سبيل صدرها. فانهم قالوا مثلًا: « نشا » في « نشا ستج » و« هزار » في « هزاردستان » و« مارستان » في « بيمارستان » و« بختج » في « ميبختج » وهلمَّ جرًّا. واماً تفسيرهم القُطْرب بمعنى طائر او دويبّة لا تستريح نهارها سعياً » فالمراد بهما هذا ذكر الغيلان نفسهُ. لان آراء الاقدمين كانت متضاربة فيهِ. إذ كانوا يزعمون انهُ نوع من الجنّ يتلوَّن تارةً بلون ذئب وطورًا بشكل دُوَيبّة مهما كانت ومرة بهيئة طائر. وربَّما تغوَّل بصورة دولاب طيَّار لا يوقفهُ شيء ولهذا زاد صاحب التاج على القاموس بعد قولهِ: « والقطرب طائر ودويبة » ما يأتي: « كانوا في الجاهليّة يزعمون انّها ليس لها قرارٌ البتّة » اه. وهذا ما يقولهُ الافرنج نفسهم عن القُطْرب وغيرهُ من الذين تكلّموا عن هذا الموضوع (Voy. Bouillet, *art.* loup-garou)

---

١) ان اشتقاق قطرب من اللاتينيّة caterva فيهِ تعسُّف ظاهر لان لفظة caterva وحدها تطلق على الجماعة ايّةً كانت. ثمَّ انّنا كرَّرنا مرارًا في المشرق انَّ الالفاظ العربيّة المشتقّة من اللاتينيّة قليلة جدًّا واكثرها يدلُّ على اصطلاحات السياسة والحرب والموازين. وفي قول اللغوي الفاضل بعد هذه الاسطر ما يبيّن معنى القطرب جليًّا ه. ل

بتطويل. وهذه الأوهام التي ذكرناها مبثوثة الى يومنا هذا في أصقاعِ شتّى من بلاد فرنسة وألمانية. امّا ما نقلهُ صاحب محيط المحيط عن الشريف الادريسيّ ان القطرب هي الدويبَّة التي تضيء في الليل كانها شعلة نار والعامَّة تسمّيها سراج الليل فلا يوافق نصَّ سائر اللغويّين ولهذا لا يُعتدّ بهذا القول. لانهم لم يقولوا إنَّ القطرب دويبة تظهر في الليل فقط بل في النهار ايضًا. ثمّ ان اليَرَاعة (وهو اسمها الفصيح بالعربية) يُعرف لها قَرار بخلاف القُطرب اذ ليس لهُ قرار البتَّة

وامَّا سبب وجود معانٍ كثيرة في العربيَّة لحرفٍ واحدٍ اعجميّ ليس لهُ الَّا معنًى واحد في أصلهِ فهذا ناشئ عن كثرة اقاويل اللغويين وآرائهم المختلفة في تعريف المعنى الاصلي. وقد امتدَّ بنا النفَس في هذا الموضوع لان اشباه هذه اللفظة كثيرة في العربية فحسبنا بعد ذلك ان نقول: وهذا من نظائر مادّة «قطرب». وحينئذٍ يُفيد التلميح اكثر من التصريح

بقي علينا ان نوضح مسئلة هذا محلُّها وهي هذه: ما كان يريد القدماء بالقُطرب بمعنى ذكر الغيلان. أمن ذئبٍ يتشكَّل بالحقيقة بشكل انسان؟ قلنا هذا رأي قال بهِ غير العرب من الناس. وهو بهذا المعنى يُسمّيهِ الفرنسيس loup-garou وهو بالحقيقة ليس الَّا انسانًا فاجأهُ مرض يدفعهُ الى العواء والنباح بحيث ان من يسمعهُ لا يشكّ في انهُ ذئب متأنّس او متغوّل. وبالاخصّ اذا كان الشاهد لا عهد لهُ بالمريض اذ القطرب لا قرار لهُ البتة بل ينتقل هائمًا تائهًا من مكان الى مكان كما اسلفناهُ بُعيد هذا

هذا واصحاب المعجمات لا يدخلون كلمة اجنبيَّة في لسانهم الَّا ويفرغونها بقوالب متعدّدة يسمّونها لغات وربَّما كانت تصحيفًا. وهذا ما نراهُ في لفظة قُطرب فانهم قالوا فيها ايضًا: قُطروب تبعًا للاصل. وان أنكرهُ أئمّة اللغويين. لانهم لا يفسّرون القطروب بمعاني القطرب كلها بل القُطروب عندهم السفيه وذكر الغيلان فقط. غير ان هذا من تحكُّماتهم. وامَّا تصحيفهم لهذه الكلمة فانهم قالوا فيها ايضًا: «القُرطب والقُرطوب» بتقديم الراء ولم ينصُّوا بتصحيفهما. قال صاحب التاج: «القرطب والقرطوب بالضمّ الذكر من السعالي. وقيل هم صغار الجنّ. وقيل القراطب صغار الكلاب واحدهم قِرطب. كذا في لسان العرب». اه بحرفهِ. وقد اشتقُّوا من هذين الحرفين افعالًا منها: قطرَب وقَرطب وتقطرَب

٣٢ً (الزرنيخ) معرَّب عن اليونانيَّة ἀρσενικόν بتقديم الراء على الزاي وهذا التقديم عندهم كثير حتى في العربيَّة نفسها . فانهم قالوا مثلًا: « ناقة ضمزر وضمرز وضمارز وضمازر (راجع المزهر ١ : ٢٣٠) وليس فارسيًا ابدًا بل الفرس اخذوها من العرب (١

٣٣ً (القالج) لمرض يحدث في احد شقَّي البدن طولًا فيُبطل احساسهُ وحركتهُ وهو تعريب ἡμιπληξία باسقاط الصدر وابقاء العجز ومعناهُ: « المُصاب او المضروب بنصفهِ او شقّهِ » وليس عربيًّا كما توهمهُ جمهور اللغويين . لانهُ لو كان عربيًّا فصيحًا مشتقًّا من فلجهُ بمعنى شقَّهُ فلجين اي نصفين لكان حظ المعنى للنصف الواحد كحظّ معناهُ للنصف الآخر . والامر على خلاف ما يُظنُّ . اذ اللفظ يفيد معنًى آخر وهو ان الفالج يصيب الشقّ الواحد فيُعلّهُ ويترك الشقّ الثاني سالمًا . وهذا معناهُ باليونانيَّة . ولعلَّ لفظ فلَج مشتقٌّ من الفالج وليس الفالج من فلج على حدّ اشتقاق قَرْطب وقطرَب وتقَطْرَب من القُرطب . فتنبَّه

٣٤ً (البان) للشجر المعروب تعريب βάλανος بخلاف ما يدَّعيهِ جمهور لغويي العرب . وحُذفت اللام لانها من احرف الذلاقة (٢

٣٥ً (سُخنون) طائر مشهور بتوقُّد ذهنهِ وحدَّة ذكائه . تُشبهُ اخلاقهُ اخلاق الكلب ومن بعض هذه الاخلاق انَّهُ يُبصبص بذنبهِ تودُّدًا وتملُّقًا وتقرُّبًا من صاحبهِ وهو معرَّب σαίνουρος ومعناهُ: « المحرّك ذنبهُ » وسبب التسمية ظاهر . قال الدميري: سَحنون بفتح السين وضمّها طائر حديد الذهن يكون بالمغرب يسمونهُ سُخنونًا لحدَّة ذهنهِ وذكائهِ اه . قلت ومن العراقيين من يسميهِ اليوم بالبرهان وان كان يُعرف ايضًا بالمسحنون وهو بالفرنسيَّة Agami وبلسان العِلم Psophia وقد ذكرهُ صاحب دائرة المعارف باسمهِ الفرنجيّ اي « أغامي » . امَّا من ان الحرف اليوناني ؛ قُلب حاء فنظنُّ

---

١) ولعلَّ الانسب ان يقال ان العرب بدلوا الهجاءة الاولى من ἀρσενικός بال التعريف كما نبَّه على ذلك حضرة الاب انستاس سابقًا. وهذا الاشتقاق ممَّا سبق اليهِ كثيرون من المستشرقين

٢) نظنّ ان هذا الاشتقاق غير الصحيح لانَّ معنى البان بالعربية يطلق على شجرة معلومة بخلاف βάλανος المراد بها تارةً السنديان وتارة النخلة ثمَّ ان حركة اللفظة اليونانية على اللهجة الاولى ممَّا يزيدنا ارتيابًا في هذا الاشتقاق . ومعلوم انَّ اعتبار الحركة امرٌ مهمّ في الاشتقاق ه . ل

انهُ عُرّب اوَّلًا بالهاء كما قد وقع مثل ذلك في كثير من الالفاظ المعرَّبة عن اليونانيَّة . وهو مشهور . ثمَّ نقلت الهاء الى الحاء ومثلهُ بالعربيَّــة نفسها ما لا عدد لهُ فقد قالوا مدَهَهُ ومدَحهُ وكدَحهُ وكدَههُ وقحل الجلدُ وقهل والجلَح والجلَه (راجع المزهر ١ : ٢٢٤ و ٢٢٥) . وقلب الراء في آخر الكلمة نونًا هو من تصحيفاتهم ايضًا وسترى بُعَيد هذا في العدد ٤٤ ما يشبههُ فأفرخ روعك

٣٦ً (البوَّة) بمعنى البومة تعريب βύας

٣٧ً (القِرطيل) بمعنى راس من الارض يتقــدَّم في البحر تعريب ἀκρωτήριον وقد وردت هذه الكلمة مرارًا عديدة في كُتب علماء البلدان من العرب

٣٧ً (البوقير) ويجدر بنا اوَّلًا ان نورد هنــا ما قالهُ الدميري عن هذا الطائر نقلًا عن القزويني ما حرفيَّتهُ : « انهُ طائر ابيض تجيء منــهُ طائفة كلَّ سنةٍ في وقت معلوم الى جبل يقال لهُ جبل الطير بصعيد مصر . . . فتتعلَّق على هذا الجبل . وفيهِ كوَّة يأتي كلّ واحدٍ منها ويُدخل رأسهُ فيها ثم يخرجهُ ويلقي نفسهُ في النيل ثم يخرج ويذهب من حيث جاء ولم تزل هكذا حتى يدخل واحد منها رأسهُ فيها فيقبض عليهِ شيء من تلك الكوَّة فيضطرب ويبقى معلَّقًا حتى يتلف ثم يسقط بعــد مدَّة . فاذا تعلَّق ذلك الطائر انصرف الباقون في الحال فلا يرى شيء من ذلك الطير في ذلك الجبل الى مثل ذلك الزمان من العام المقبل . اه . وهو نفس الطائر المعروف عند اللغويين بالبقَرة . قال القاموس : « البقَرَة طائر يكون ابرق او أطحل او ابيض ج بَقَر » اه . قلتُ والبوقير معرَّب عن اليونانيَّة : βούκερος, (c'est le Bucérus ou Bucéros ou Calao) وهو المعروف عند علماء الحيوان باسم : « Calao ou Buceros Rhinoceros ومعنــاهُ : « ذو القرن البقري » فقالوا في تعريبهِ « بوقير » تبعًا للاصل و « بَقَرة » لشبه منقارهِ بقرن البقَرة او على سبيل حذف المضاف وابقاء المضاف اليهِ . وهو في الحقيقة ابرق اي في ريشهِ لونان . وهما الطُّحلة والبياض . امَّا ما اوردهُ القزويني عن هذا الطائر فهو صحيح الَّا انهُ يحتــاج الى بعض شرحٍ وتنقيح . فاعلم هدانا الله واياك ان هذا الطائر يطير طوائف واذا عشَّش عمد الى الصدوع والشقوق . والفراخ في صغرها تشبه سائر العصافير الَّا انَّهُ مع الزمان يطول منقارها ويضخم . بل ينمو عند منبتهِ من اعلاهُ هنةٌ قرنيَّة عنقاء الى الوراء تمنعهُ من الخروج من عشّهِ اذا كان ضيق الفوهة وقد نمت هذه الزائدة

نموًّا كافياً. والظاهر من كلام القزويني ان هذا الطائر يعشّش في جبل الطرّ في صدع منهُ ينطبق وصفهُ على ما وصفناهُ فيضيق حينئذٍ بهِ المخرج فيموت. وهذا النموّ الفـاحش يوافق وقت عود الطير الى اوطانها كما تظعن سائر القواطع عند بلوغ الفراخ أشدَّها. فتظعن راجعـةً الى من حيث جاءت فرأى القزويني في ذلك ما رأى. واوّلهُ ما اوّلهُ. فليراجع الى الحقيقة

٣٩ً (القنص) بمعنى الصيـد معرَّب كلمة κυνηγέσιον ومعنـاهُ « الصيد بالكلاب » او κυνηγεσία وهو بمعناهُ. ثم حلَّ القَيد عن اللفظ وأُطلق معناهُ. ويشهد على ذلك ما عدا اصلهُ اليوناني قديم استعمالهِ عند العَرب اذ انهم ذكروا كلمة القنص كل مرَّة ارادوا بها الصيد بالكلاب. راجع المستطرف للابشيهي (الجزء الاول الصفحة ١٢٢ والسطر ١٩) ترَ انهُ خصَّص لفظة القنَّاص للصيَّاد بالكلاب. فاحفظهُ

٤٠ً (عَسَطوس وعَسَّطوس) تعريب ἀσκητής وقد عرَّفـهُ العرب تعريفات غريبة ومعناهُ الحقيقي الزاهد او القانت

٤١ً (ثُوعة) شجرة معروفـة تعريب θυία بمعناها (١

٤٢ً (صَاصل وصاصَلي وصَوصَلاء وصاصَلاء) كلها معربة عن كلمة واحدة وهي: σέσελι ولم يصرّح باعجميَّتها احدٌ

٤٣ً (سوس) تعريب σής ووهو نوع من الدود. ونقـل الياء الى الواو امرٌ مشهور لا ينكرهُ اثنان

٤٤ً (القَسطل والقَسْطال والقَسْطلان بفتحهنَّ والقُسطول كزنبور زاد الازهري وكسطل وكسطن وقسطان وكسطان كل ذلك بمعنى الغبار الساطع والقصطل بالصاد لغة فيهِ. . . وقسطلانيَّة (التاج في ق س ط ل) والقِرصطال (من التاج). فهذه احدى عشر لغةً معربةٍ عن لفظةٍ واحدة يونانية وهي κονιστήριον وبالروميَّة Conisterium ومعناها على ما قالهُ الثعالبي في باب الغبـار « غبار الحرب » وهو اصحّ ممَّا قالهُ غيرهُ من اللغويين لان معنى الكلمة اليونانيّة هو « محلّ للرياضة الجسديَّة يفرك فيهِ المتصارعون

١) قد جرى العرب في تعريب « عسطوس وثوعة وصاصل وقسطل » عن اليونانيـة على موجب القاعدة التي اثبتناها في المشرق (١ : ٨٢٤) حيث قلنا ان الحروف اليونانية اللينة يوافقها في العربيَّة حروف شديدة كحرفي α , υ الموافقين لحرف ع وكحرف τ الموفقين للطاء الخ ه. ل

اجسامهم بالغبار . او بعبارةٍ اخرى هو « غبـار المتصارعين » ففسَّرهُ الثعالبي : « غبار الحرب » ولا يخفى على الناقد ما في ذلك من مقاربة المعنى . والكلمة اليونانيَّة مشتقَّة من χόνις وهو الغبار . ثم ان هذه اللغات المختلفة تطلعك اولًا على ان كثرة اللغات هي شيء كالدليل يرشدك الى اعجميَّة اللفظة . وثانيًا على ان العرب ربَّما عرَّبوا اللفظـة الواحدة بصورٍ عديدة تقرب من الاصل قليلًا او كثيرًا حسب رواية ودراية الراوي . ثالثًا على ان العرب لا يؤوّلون الكلمة تأويلًا مدققًا فيهِ بل يحتاج الى تنقيح واصلاح . رابعًا على انهم يتصرَّفون بالكلمة الواحدة كما يشاؤون فيزيدون عليها وينقصون منهـا معنًى ومبنًى بدون ان يكترثوا لذلك ولا ينوصوا . وهذا ما يذكّرني ما جاء في التاج في مادة كبريت اذ قال ما حرفـهُ : « فسَّروهُ (الكبريت) بالذهب الاحمر . قال ابن الاعرابي : ظنَّ رؤبة ان الكبريت ذهب . قال شيخنـا : وخطئ فيهِ لان العرب القدماء يخطئون في المعاني دون الالفاظ » اه . فهل من دليل اوضح من هذا لديك على صحَّة ما نقولهُ . ولهذا فقد عجبنا من كلام اللغوي البارع الاب لامنس في حاشيتهِ على كلمة : (٦ً العَرَق) اذ قال ان معنـاهُ في اليوناني « السطر من الاشجار » نعم ان معناهُ هذا في الاصل لكن العرب حوَّلوا التقييد . ومثل هذا كثير حتى في الكلم التي ذكر اعجميَّتها في كتابهِ « الفروق » . فليراجع بعضًا ممَّا فيهِ

(ستأتي البقيَّة)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر شهـاب الدين ابن زين الدين صالح

وهو الثالث من اولاد زين الدين كان سيّدًا من سادات الناس ذا عقل وعلم ودين جمع محاسن كثيرة منها الكتابة الجيّدة والبلاغة ونظم الشعر والذكاء وحسن النظر في الامور ومحبَّة اهل العلم واشتغل في علم النحو ومعرفة الكواكب على شيخ كان عندهُ . وكان يعمل النشَّاب المليح وتعلَّق بصنعة الصياغة وربَّما كان اقتبس ذلك من خالهِ عز الدين جواد ابن علَم الدين الرمطوني (99ر) فسار شهاب الدين المذكور مع اهل زمانهِ احسن سيرة فمالت اليهِ القلوب وذُكر بكل جميل . وكان والدهُ كثير الاركان اليهِ لعقلهِ

وكفاوتهِ وحسن ترتيبهِ . وكان مع هذا مشكورًا عند كل من يعرفهُ

وسمعتُ انَّهُ حضر عند بيدمُر نائب الشام يومًا والمجلس حافل بالامراء والاعيان فشكرهُ بيدمر بقولهِ: « يكتب مليحًا ويرمي نشَّابًا مليحًا وهو رجل جيّد السلاح »

وسمعتُ ان شهاب المذكور كان يعمل طوامير وسبكات ويقدّمها لبيدمر فيفرّقها بيدمر على مماليكهِ ومن حضر عنـــدهُ . وكان شهاب الدين مرّةً بدمشق فرسم لهُ بيدمر ان يركب خيل البريد ويتوجّه الى قرية عين زحلتـــا من شوف صيداء ليكشف عمّا فيها من اشجار التوت النافع لعمل النشّاب فلم يجدهُ موافقـــًا . وربّما كان لشهاب الدين تطلّع الى التوفرة على البلاد من الصداع (كذا) بقطع الخشب ونقلهِ والكلفة عليهِ

وبلغني انَّ اهل الشوف اجتهدوا من ذلك الوقت على قطع شجر التوت وتعطيل نشوئهِ واستئصالهِ لئلا يصدعهم احد من جهتهِ . فدثر ولم ينشأ منهُ بعـــد ذلك الّا القليل . وقد اشتهر شهاب الدين بالمناقب الحميدة والصفات الجميلة وكان يتواضع مع الناس ويصغّر نفسهُ من علوّ مجدهِ وما كان يتكبَّر على شغل باشر بعملهِ

مولدهُ ليلة الاربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجّة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة (١٣٣١ م) ووفاتـهُ رحمهُ الله تعـــالى الرابعة من نهار السبت الحادي عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلث وثمانين وسبعمائة (١٣٨١ م) . ودُفن (٧٩٩) في التربة وقد اجتمع في عزائهِ خلقٌ كثير لم يعهد في عزاء مثلهِ حتى ضاق بهم الفضـــاء حول التربة وما بَعُد عنها . وحضر اهل جزّين في يوم عزائهِ قبل دفنهِ . وهذا يدلُّ على انَّهم اخَّروا دفنه الى ثاني يوم وفاتهِ والله اعلم

تزوّج زمرُّد بنت خالهِ عزّ الدين جواد ابن علم الدين الرمطوني وهي امُّ ولديهِ علم الدين سليمان وشرف الدين عيسى . ثم توفيت وتزوّج بعدها نجيمة بنت عمّتهِ وابوها عمـــاد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن عليّ العرامونيّ وهي امّ ولدهِ سيف الدين ابي بكر واختهُ لؤلؤة . ثمَّ توفّيت وتزوّج بعدها سارة بنت عمّهِ تقيّ الدين ابراهيم ابن ناصر الدين الحسين وهي امّ ولدهِ عبد الله الذي توفّي صغيرًا بعـــد ابيهِ بمدّة . وهي ايضًا امّ بنتيهِ عُميمة امرأة ناصر الدين محمّد ابن علاء الدين عليّ ابن شمس الدين محمّد العرامونيّ واختها رحمة امرأة علَم الدين سليمان ابن بدر الدين محمد

ابن صلاح الدين يوسف ابن سعد الدين خضر . واما جهات اقطاعهِ فهو نصف اقطاع ابيهِ شركة اخيهِ سيف الدين يحيي

ذكر اخيهِ الامير بدر الدين موسى ابن زين الدين صالح

وهو الرابع من ولد زين الدين وكان كريمًا جوادًا ذا مروّة وافرة وكان لهُ سطوة على المتمرّدين ويحبّ قمع المفسدين وردع الطغاة عن اغراضهم ممّن تصل يدهُ اليهم . وتعلّق بصناعة النجارة وعمل النشّاب وبعض صياغة مثل طبع الفضّة على نسج عزّ الدين جواد واجرانها مينا (١٥٥)

ولم يكن بيدهِ اقطاع وكان اخوهُ سيف الدين يحيي يعطيـهِ من اقطاعهِ شيئًا يستعين بهِ على حالهِ مع قليل املاك . وتزوّج بنت عمّتهِ ووالدها فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين احمد ابن حجّي وهي امّ بنتهِ زمرّد امرأة بدر الدين موسى ابن ظهير الدين عليّ بن جواد ابن علم الدين الرمطونيّ . ذكروا انّ بدر الدين المذكور تزوّجها على غير رضى ابيهِ زين الدين ولم يقبل ابوهُ ان يحضر عرسهُ

مولدهُ بكرة نهار الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الاوّل سنة اربعين وسبعمائة (١٣٣٩ م) ووفاتهُ رحمهِ (١

ومن بعد بدر الدين موسى ولد اخوهُ عيسى ولم يمكن ان نجعل لهُ اسمًا لكونهِ توفّي طفلًا صغيرًا جدًّا ولم يُعرَف . كان مولدهُ العصر من نهار الاربعاء الحادي عشر من شهر رمضان سنة احدى واربعين وسبعمائة (١٣٤٠ م) ورثاهُ جدّهُ ناصر الدين الحسين فقال من قصيدةٍ :

ولمّا نعى الناعي لعيسى تتابعت	مدامعُ عيني لا اطيق لها ردًّا
وقد كنتُ ارجوهُ وآمـل انّهُ	يصير جمالًا في البنين اذا اشتدّا
فعاجلهُ صرف القضا قبل فطمهِ	صغيرًا ولم ينطق ولا فارق المهدا
سقت وجهـهُ الميمون رحمةُ ربّهِ	لقد كان وجهًا ابيضًا ليس مسودًّا

(١٥٥ب) ذكر اخيهم الامير سيف الدين يحيي ابن زين الدين صالح

هو اصغر اخوتهِ سنًّا فلم يُرزق ابوهُ بعـدهُ . وكان المذكور زائد الحسن حسن الترتيب في مشيهِ وامرتهِ سلك في ذلك احسن طريق واشتهر بالرئاسـة بين الامراء

١) كذا في الاصل بدون ذكر السنة

والاكابر فعدّ فيهم من الاعيان . شاد البيت فاجمل فيهِ الرئاسة وانقادت اليهِ اقاربهُ وقومهُ . وحجَّ الى البيت الحرام وحجَّ معـهُ ولدهُ فخر الدين عثمان (١ والحاج احمد بن عيسى استادارهُ والحاج حسين من بيصور ويُعرف بابي جميـل وعلي بن جديس بيطارهُ والحاج محمد بن اللبَّان من بيروت وناصر الدين ابن معن واخوهُ الحاج احمد بن معن والحاج حسن ولد ناصر الدين ابن معن وتكلَّف على سفر الحجاز كلفةً كبيرة وهدايا لملك الامراء نائب الشام وللامراء اصحابهِ ولغيرهم

وعمَّر القاعة المعروفة بهِ باعبيه ورخَّمها وزخرفها واجرى اليها الماء وأضاف الى القناة الجارية الى حارة اعبيه زيادةً كبيرة تسمَّى بالعين البـاردة فحسَّن حال القناة المذكورة وزاد ماءها ثمَّ جدَّد عمارة ايوان اعبيه . ثمَّ عمَّر ايوان بيروت وقصـد ترخيمهُ وزخرفتهُ فلم تكمل زخرفتهُ . واجرى الماء الى حارة بيروت المجاورة للبحر والمعروفـة بهِ . ونابهُ على العمائر كُلَف كثيرة وتحمَّل الديون التي تخلَّفت بعدهُ

واماَّ جهات اقطاعهِ فهو نصف اقطاع ابيهِ قسمة اقطاع اخيهِ شهاب الدين احمد وكُتب لهما منشور واحد بنزول والدهما (١٠١) حسب ما ذكرنا في ترجمـة والدهما . وتاريخ المنشور المذكور اليوم السادس من جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وسبعمائة (١٣٤٣ م) واستجدَّ لولدهِ عثمان امرة خمسة (٢ وجهاتهـا شعقاب واكتور وحصور وبعقلـين ومزرعة الدينوريَّة ومزرعة البوشريَّة ومزرعة الدكوانة ومزرعة كفريا(؟) ومزرعة كفرتانيث . وكان قصد ان يشرك فيهِ علَم الدين سليمان ابن اخيهِ شهاب الدين احمد فتوفي علم الدين سليمان فاستقرَّ لفخر الدين عثمان وهو صغير . وكان ابوهُ يستعين بهذا الاقطاع على حالهِ مع مستأجرات زيتون وطباخة صابون ولوشية زراعة بجديدة بيروت واملاك وغيرها

وسمعتُ انَّهُ كان يعمل في بعض السنين اربعين رطل حرير من ملكهِ وتارةً يكون ازيد من ذلك . وكان كثير الخرج ويوسّع في امورهِ فكثرت عليهِ الديون مع كلفـة الحجاز ومغرم العمائر

١) جاء في حاشية الكتاب ما حرفهُ : « اخبرني ابو عمر الحكيم قال كنت مع فخر الدين عثمان لمَّا توجَّه ابوهُ ليهدي الهدايا لملك الامراء وكان الطنبغا الجوباني وذلك لما حضروا من الحجاز النوبة المذكورة وكانت الهديَّة على ثلاثة اطباق كبار فتشكَّر ملك الامراء واحسن الكلام

٢) جاء في حاشية الكتاب : « الخمسة المذكورة اخذها من صلاح الدين من ذرّيَّة بني ابي الجيش »

ذكر بعض حوادث جرت في ايامهِ

قد تقدَّم ذكر توجُّههِ الى مصر صحبة سعـد الدين خضر ابن عزّ الدين الحسين ابن سعد الدين في سنة فتح الفرنج للاسكندريَّة وتعميـر بيدمر للشواني في بيروت عند ما قصد تركمان كسروان ما قصدوه كما ذكرنا. وقد تقدَّم ايضاً ذكر حضور تعميرة الجنويَّة في ذكر اخبار بيروت وكان حضورها بيروت في العشر الآخر من جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٨٢م). وذكرنا ان العسكر الشامي تقهقر من مدافع الفرنج ونشّاب جروخهم واستتر (101^v) بالحيطان وان الفرنج نزلوا من مراكبهم الى البرّ وطلع منهم شرذمة الى جوانب القلعة القديمة لنصب سنجقٍ في شرفة عالية اشارةً الى انَّ الفرنج ملكوا البرّ ولتقوية قلوب من نزل منهم الى البرّ لنزول باقيهم من الشواني. فلمَّا رأى الامير يحيي (١ ذلك هجم بمن معهُ من اصحـاب النخوات ورمى بنفسهِ على الذين معهم السنجق فطعنوهُ برماحهم حتى برك بهِ الفرس ثمَّ نهض قائماً واقتحمهم حتى وصل الى حامل السنجق فرماهُ ووقع السنجق. فلمَّا نظر الفرنج الذين نزلوا الى البرّ انَّ السنجق قد وقع لم يسَعهم غير الرجوع الى مراكبهم. وركبت المسلمون اقفيتهم فازدحموا على الصقائل حتى انقلب بهم بعضها فوقع منهم جماعة كثيرة في البحر وكانوا مثقلـين باللبوس فغرقوا ولم يقدروا على السباحة فعند ذلك نسبوا كسرة الفرنج الى الامير يحيي وعُرفت بهِ. وقد قال لي ملَّي مقدَّم جبّ حنين من البقاع بعـد ذلك: « أمَا وابوك في الجَنَّة لأني كنتُ الى جانبهِ يوم وقعة الفرنج ببيروت فلمَّا رمى الذي كان معهُ السنجق انا الذي قطعتُ رأسهُ ». وكان ملَّي يفتخر بذلك بين النـاس. ثمَّ بعد هزيمة الفرنج ونزولهم في الشواني وصل نائب الشام بيدمر الى بيروت وقد فات الامر. وكان بيدمر قد وغر صدرهُ على الامير يحيي فغلَّظ لهُ في الكلام. ومن كلامهِ: « انت مباطن للفرنج على المسلمين ». وكانوا قد شكروا فرس يحيي لبيدمر فاضطرَّ الى ان يقدّمهُ لهُ مع فرس آخر (102^r). وعاب الناس على بيدمر اخذهُ لفرس يحيي وقالوا: « كان الواجب على بيدمر ان يعطيهُ ويُنعم عليـهِ ». وكان هذا الفرس من عند شهاب الدين الكردي صاحب درك نهر ابراهيم قد غالى بثمنهِ عند بيعهِ

واماَّ موجب انقلاب بيدمر على الوالد بعد ما كان من جهتهِ فهو لانَّ بيدمر كان

(١) الامير يحيي هو ابو المؤلف

قد عمَّر في بيروت مركبًا ليسافر ثمَّ يعود الى بيروت. فلمَّا كان بيدمر مشغولًا بدمياط
حضر المركب الى بيروت فاحتاج الى مصروف فتوقَّف الوالد في اخراج ذلك فسرَّها
بيدمر في خاطرهِ . وكان ابو بكر خليـــل بن ملّى من صيداء قد توصَّل عند بيدمر
وكان شديد البغض للوالد كثير الحسد لهُ وكان يذكرهُ عنـــد بيدمر بما يُغضب بيدمر
عليهِ . فلمَّا عاد بيدمر الى نيـــابة الشام جعل ابن ملّى المذكور خوندارًا صغيرًا واضمر
الحقد على الوالد . فمن ذلك لمَّا تحرَّكت الشيعة في بيروت وجرى لذلك حركة رديئة
اغتنم بيدمر الفرصة فطلب الوالد واهانهُ ومنها انَّهُ اخرج اقطاعهُ مرَّتين فاعطاهُ مرَّةً
لشخص يُعرف بابن صـــاري والاخرى ليحيى ابن العفيف . ولم ادرِ ايُّهما الاولى
من الثانية

اللحية والشعر في الكنيسة الشرقيَّة

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

ليس لِلِّحية من ذكر في اسفار العهد الجديد وانَّمـــا نعلم من تاريخ شعب الله انَّ
اليهود كانوا يربّون لحاهم . يشهد بذلك سفر الملوك الثـــاني (١٠ : ١ — ٥) وسفر عزرا
(٩ : ٣) الى غـــير ذلك من الآيات المشهورة . ومن ثمَّ يصحّ القول ان المسيح لذكرهِ
المجد والحواريين بعدهُ اطلقوا لحاهم جريًا على عادة بلادهم

وان فحصنا الآثار القديمة كالتصاوير والنقوش التي تمثـــل هيئة الرب وشخصهُ
الكريم وجدنا ان بين المصوّرين الاقدمين اختلافًا فمنهم من يرسم هيئة المخلص بلحية
مسترسلة ومنهم من يمثّلهُ بلا لحية . الَّا ان في هذا التباين رمزًا كما بيَّن ذلك اصحاب
العاديَّات الكنسيَّة وذلك انَّ المصوّر كان يحلّي وجههُ بلحيـــةٍ اذا ما اراد الاشارة الى
طبيعتهِ الالهيَّة وكان بعكس ذلك يمثّلهُ بلا لحيـــةٍ ان اراد وصف طبيعتهِ البشريَّة وقد
أيد العلّامة كراوس (Kraus) هذا الرأي في دائرة العـــلوم المسيحيَّة القديمة [١] وذكر

(١) راجع .Encyklop. d. Christ. Alterthümer II, 24

نحو ٤٠٠ صورة قديمة تبيّن هذا الامر اجلى بيان. مثال ذلك انك ترى الرب أمرد عند غسل ارجل الحواريين وعند وقوفه امام بيلاطس وهلمّ جرّا وهو ملتحٍ في صور القيامة والصعود (١

امّا رُسل الرب فان الصور القديمة تجعلهم كلهم ذوي لحىً الّا يوحنّا الحبيب فانّ المصوّرين يمثّلونهُ امرد غايتهم بذلك ان يشيروا الى بتوليّتهِ لا لخلوّهِ من اللحية

ثمّ تبع الرسلَ خلفاؤهم فساروا على عادتهم من حيث الالتحاء بيد ان الامر لم يعمّ الكنيسة جمعاء. وذلك لان قسماً من الاساقفة كانوا في بدء النصرانية من الرومان واليونان فلا غرو انّهم حذوا حذوَ معاصريهم واهل جلدتهم في الالتحاء كما في باقي الامور وكان من عادة الرومان واليونان حلاقة اللحى اللهمّ الّا في مواطن الحزن كما يفعل اليوم السوريّون في حدادهم

وان تصفّحنا آثار القرن الثالث وجدنا ان اطلاق اللحيـة في كنائس المشرق كان اضحى عادةً ألفها ارباب الدين الّا قليل منهم. يشهد بذلك كتاب الرسوم الرسوليّة الذي كُتب في ذلك العهد (راجع مجموع مين ١ : ٥٦٥) وكليميس الاسكندري (٨ : ٥٨٠) ثمّ القديس ابيفانيوس (٤٣ : ٧٦٨) ولعلّ الشرقيين لم يبطلوا مذ ذاك الحين عادة الالتحاء الى يومنا. امّا كنائس الغرب فكانت تختلف عوائدها في ذلك فيلتحي البعض من زعمائها في امكنةٍ ويحتلق غيرهم لحاهم في امكنة اخرى وربّما كانت الكنيسة الواحدة تبدل عادتها من هذا القبيل حيناً بعد حين

ويُستفاد من تاريخ القرون المتأخرة ان اكثر الكهنة اللاتينيين كانوا ذوي لحىً في القرن السادس عشر الى اواسط القرن السابع عشر. وممّا شاهدتهُ بالعيان في المكتبة الشهيرة المعروفة بالروسيانا (Rossiana) في ڤينَّة صور قديمة تمثّل الاحبار الرومانيين رُسمت في القرن الخامس عشر فترى بينهم كثيرين مجمّلين باللحى. وجرى خلفاؤهم على ذلك الى القرن السابق لعصرنا هذا

٢

هذا ما يختصّ باللحى امّا إعفاء شعر الرأس او قصّهُ فلنا في ذلك شواهد نثبتها هنا:

(١ راجع ايضاً - Le Blant : *Sarcophoges chrétiens d'Arles*, p. 7 et 19 - *Sarcoph. de la Gaule* 117, 160.

اعلم انَّ الآثار القديمة التي وردت فيها صورة الرب تمثِّل المسيح تارةً بشعر مسترسل وتارةً بشعر قصير (١ ولعلَّ الذين رسموا صورة الفادي على الهيئة الاولى ارادوا بذلك الاشارة الى انقطاعهِ الى الامور الالهيَّة شأن النذراء في بني اسرائيل. ومن المعلوم انَّ النذير لم تكن الموسى تمسّ شعر رأسهِ طول ايام نذارتهِ

هذا واوَّل من ذكر الشعر في العهد الجديد الرسول المصطفى في رسالتهِ الاولى الى اهل قورنتس (١١ : ١٤) حيث يقول: « انَّ الرجل اذا كان يربّي شعر رأسهِ فهو عار لهُ » وزاد على قولهِ هذا: « انَّ الطبيعة نفسها تعلِّم ذلك »

فيؤخذ من كلام الرسول انَّ الرجال المؤمنين مطلقًا في بدء الكنيسة كانت عادتهم قصّ شعورهم لا حَلقها لانَّ ظاهر كلامهِ يصحُّ في تربية الشعر فقط

وينطبق قول الرسول على نقوش العاديَّات المسيحيَّة فانَّ صور الرسل القديمة في دياميس رومة وغيرها من الاماكن تمثِّلهم بشعر قصير. وقد جاء في رسالة كتبها البابا أنيقيت سنة ١٦٧ للمسيح: « انَّهُ لا يجوز للاكليركيين ان يربُّوا شعورهم وفقًا لقول الرسول ». ومن اقوال القديس هيرونيموس في شرحهِ على نبوَّة حزقيال (ك ١٣ ص ٤٢) « انَّهُ ينبغي على من خصَّصوا نفوسهم لخدمة الرب ألَّا يحلقوا رؤوسهم حلقًا تامًا كما هو شأن كهنة الاصنام ولا يدعوا شعورهم مسترسلة كالمتخنِّثين او الجنود والبرابرة. والاليق بالكاهن ان يكون شعرهُ قصيرًا ساترًا الجلدة رأسهِ » (in tantum capillos demittere ut operta sit cutis). وقال في محلّ آخر: « انَّ قصر الشعر يميِّز الكاهن من العامَّة »

ولمَّا شاع في بلاد ما بين النهرين عن بعض الرهبان انَّهم اخذوا يُعفون شعر رؤوسهم ولحى ذقونهم اخذ آباء الكنيسة يبكّتونهم على هذا الفعل منهم القديس ابيفانيوس (في كتاب الهرطقات ف ٨٠ ع ٢) والقديس هيرونيموس في رسالتهِ الحادية والعشرين الى اوستوخيوم (ف ١٤). وكان القديس اوغسطينوس يسخر من اصحاب هذه العادة فيدعوهم « اصحاب الجمم والشعور الكثَّة » (criniti fratres)

وقد اخبر المؤرخ سقراط انَّ يليانس الجاحد لمَّا اراد مراءً ان يدخل في عداد

١) راجع الصفحة ١٢٦ و ١٢٧ من كتاب نواويس النصارى في غالية (Sarcophages chr. de la Gaule)

الاكليركيين ويقتبل رتبة القارئ حتم عليهِ الاسقف ان يقص شعره قصًا ناعمًا حتى كاد ان يُرى من خلالهِ جلد رأسهِ

وروى اڤاغريوس الكاتب متمم تاريخ سقراط عن بعض المترشحين الى درجة الكهنوت انّهم لم يرقوا الى هذه الرتبة الّا بعد قص شعورهم. وقد ونّب القديس غريغوريوس مكسيموس الاسقف الدخيل على انّهُ كان يمشي في الاسواق وعلى رأسهِ جمّة شعر طويل

فكلُّ هذه الشواهد تبيّن صريحًا انَّ ارباب الكهنوت في المشرق لم يربُّوا شعورهم في القرون الاولى . وقد بقيت هذه العادة الى القرن السابع والثامن والدليل على ذلك شكايةٌ وردت على احد الكهنة في مجمع القسطنطينيَّة سنة ٦٤١ مُحصَّاها « انّهُ كان يربّي شعر رأسهِ كالعامَّة »

وممَّا اثبتهُ الواقدي في كتاب فتوح الشام انَّ الخليفة ابا بكر الصديق اوصى سريَّة المسلمين الَّا يتعرَّضوا لرهبان النصارى ووصفهم بانّهم « حلقوا اوساط رؤوسهم »

فثبت اذن ممَّا تقدَّم ان قصر شعر الرأس كان عادةً ألفها الاكليريكيون الشرقيُّون ليمتازوا بها عن القوم والاحرى ان يقال ان العامَّة انفسهم كثيرًا ما كانوا يأنفون الشعور المسترسلة ويعتبرون ذلك من اعمال المتخنّثين او الشامخين بانفهم (١

امَّا حلق قمَّة الرأس الَّا جوانبهُ على هيئة اكليل كما يفعل اليوم الرهبان الفرنسيسيُّون والدومينيكيُّون فتلك عادة جرت اوَّلًا بين قدماء النسَّاك منذ القرن الرابع تعبُّدًا ثمَّ اتّخذها منهم الرهبان الى ان شاع استعمالها بعدئذٍ بين الاكليروس العلماني. الَّا انَّ هؤلاء العلمانيين اقتصروا بعد ذلك على الاكليل الصغير كما هو جارٍ عندهم اليوم. ولعلَّ الكهنة الموارنة اخذوا عن المرسلين اللاتين عادة حلق شعرهم على شبه طريقة الرهبان ولا نظنّ انّهم ألِفوها قبل القرن الرابع عشر (٢

وفي الختام يحسن بنا القول انَّ اطلاق اللحية وإعفاء الشعر عادات اختلفت مع اختلاف الزمان والمكان في الكنائس الغربيَّة والشرقيَّة وليس لها مع الدين علاقة (٣

---

١) انَّ لفظة κομάω في اليونانيَّة تدلّ على تربية الشعر والعجرفة معًا وهكذا استعملها مرارًا القديس يوحنا الذهبي الفم. وهذا دليل آخر على انَّ معاصريهِ لم يألفوا هذه العادة

٢) راجع منارة الاقداس للدويهي (١: ٢٩٧)

٣) وممَّا يستحق الذكر انَّ القيصر

ومن ثمَّ فايتّبع كلٌّ العادة الجارية في كنيسته دون ان يقبّح عادة غيره ٠ وقصارى بغية امنا الكنيسة ان نتشبّث بتعاليم الايمان وندافع عنها مدافعة الابطال ونعيش كالمؤمنين الاوَّلين قلباً واحدًا ونفساً واحدةً (١

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثامن

في مضايق شيلكوت

ثم دنت ساعة السفر وكان المهاجر قد كلَّ من التعب وتورَّمت قدماهُ فلم يَعُد يستطيع ان يتقدَّم خطوةً واحدة وجعل الهنود يتغضَّبون ويتذمَّرون ويتهدَّدون المهاجر المسكين بمغادرته وحدهُ في تلك المجاهل بعد سلبه كل ما معهُ من فضَّة

وكان في تلك الساعة ان اكفهرَّ الجوّ بالغيوم ودمدم الرعد ولمع البرق وثارت الزوابع فجعل المهاجر يغشي من حلاوة الروح مع ادلَّائه وجميعهم يغوصون حتى الركب في الثلج الحديث السقوط ٠ وكانت الصواعق تنقضّ بين المدَّة والمدَّة فتنير تلك مرآة الجليد الصقيلة عاكسةً عليها انوارًا غريبة اشبه بسهام نارية تتصاعد من الارض الى السماء ثمَّ تتلوها الظلمة الحالكة ٠ فكان المهاجر مع ادلَّائه بعد ان يبهر النور القوي عيونهم يسعون ولكن سدى لخرق حجُب القتام الكثيف وما زالوا يتقلّبون في هذه الشدَّة حتى اوصلهم البخت الى نخروب في الجبل فلطأُوا فيه وعلقوا ينتظرون بارتعاج طول مدَّة الليل حتى تتبدَّد الزوبعة وتنقشع الغيوم ٠ ولمَّا طلع الصباح كان قد انقطع سقوط الثلج الَّا ان المهاجر كان قد برَّح بهِ التعب واصبح عاجز عن استئناف السفر فغضب الهنود قائلين :

بطرس الاكبر امر كلَّ اهل رعيَّته في القرن الماضي ان يحلقوا لحاهم وتشدَّد على كثيرين ليقسرهم في ذلك ٠ الَّا انَّ شيعة الستار وفرتس (Starowertze) جاهدت جهادًا دونهُ الموت ونقدت اموالاً بالفةً حتَّى أُبيح لاصحابها ان يحفظوا لحاهم

١) هذه المقالة اختصرناها عن كتب عديدة فمن اراد التوسُّع في هذا الموضوع فعليهِ بكتاب معجم التوراة للخوري فيكورو (*art.* barbe) ومعجم مرتيني (Martigny) وكرواس (Kraus)

— يجب عليك ان تدفع لنا اجرة الأيّام التي كنت فيها سبب عاقتنا

— يا لكم من مكّارين وقتلة تنتظرون المسافر حتى يبلغ معكم الى محلّ لا يستطيع فيهِ تقدّماً ولا تأخّرًا وتأخذون في إعناتهِ ليدفع لكم كل ما تريدون

وبعد ان طال الاخذ والردّ بين الفريقين انقلب الامر اخيرًا الى مشاتمة وسباب

ولمّا وصل الهنود بالمهاجر الى مضايق شيلوكوت وكانت الريح وقتئذٍ شديدة الهبوب هجموا عليهِ كالذئاب فسلبوهُ كل ما معهُ واوجعوهُ ضربًا وغادروهُ بين حيّ وميت

وبعد مدّة افاق المهاجر فرأى الهنود قد بعدوا عنهُ كثيرًا فاخذ يصيح بهم ولكن لم يكن من مجيب فشعر حينئذٍ بخوفٍ شديد استولى على فؤادهِ وشرع يصرخ صراخ الآنس وهو يلطم خدّيهِ وينتف شعرهُ لانهُ اعتقد ان الموت جوعًا وبردًا سيلاقيهِ في ذاك البرّ القفر ويترك جثّتهُ على الجمَد كعلَمٍ يهتدي بهِ من يغرهُ الطمع فيسافر من بعدهِ الى بلاد الذهب. وكان ينادي قائلًا: يا لك من موتٍ قاسٍ شديد لماذا انتظرتَ لماذا تأخرتَ أفما كان في وسعك ان تقبضني قبل الآن بدلًا من ان أموت على فراشٍ من الجمَد موتًا قاسيًا بطيئًا

واستمرَّ على مثل هذه الاقوال وهو يتوقَّع المنيَّة ان تأتيهُ فتخلّصهُ مما بهِ. وكان في خلال ذلك يجدّف ويقذف الشتائم على الحق سبحانهُ كأنَّ الله هو الذي حملهُ على ان يتهوّر في ما تهوّر بهِ اكتسابًا لبعض شذرات من الذهب. وهـذا هو شأن ذوي الاطماع الذين اذا اصابتهم الشدَّة لجأوا الى التجديف بدلًا من الصلاة وطلب المعونة

وكانت الغيوم وقتئذٍ انقشعت واخذ الثلج يتصلّب وآثار اقدام الهنود التي تركوها على الثلج تزول وتمّحي شيئًا فشيئًا واذ ذاك ثارت في المهاجر عاصفة يأس ما عليهِ مزيد وبلغت منهُ الحماقة كل مبلغ فاقبل يركض على الجمَد كمن اصابهُ جنون ثمَّ زلّت قدمهُ فنهض مستئنفًا الركض وهو غير عارف اين يذهب. وبينما هو مسرع انخسف الجمد تحت قدميهِ فسقط في مهواة كادت تبتلعهُ وهو حي فاجتهد في الخروج منهـا وما كان اجتهادهُ الّا ليزيدهُ اندفاعًا لانهُ بينما كان يمشي على حافة الهاوية سقط وهو يتدحرج من صخر الى صخر ومن قطعة جمد الى اخرى حتى تشقّق رأسهُ واخذ يتفجّر منهُ ومن فمهِ وعينيهِ واذنيهِ. وكان انهُ لمّا قرب من السقوط في قعر الهاوية علقت ثيابهُ برأس صخر

فوقها وحينئذٍ انتبه لنفسهِ وامسك الصخر بيديهِ بينما كانت رجلاهُ مدلّاتين في الهواء. ثمَّ نظر الى هوَّة فاتحة فاها لابتلاعهِ فقفَّ شعر رأسهِ خوفاً وارتجفت يداهُ وتشنَّجت رجلاهُ وترك الصخر وصرخ صرخةً تفتت قلب الجماد. وبعد ذلك رؤيت برنيطة طائرة في الهواء ثم ساد السكوت التام

وبينما كان المهاجر المسكين الذي مرَّ وصفهُ يذوق سكرات الموت كنت ترى فئة اخرى من الهنود ترقى في تلك المضايق مع رجل آخر من المهاجرين فوقف هذا وسألهم: متى نبلغ قمّة هذا المضيق ؟

— بعد نصف ساعة

انَّكم قوم مكّارون... ها اننا نسير في هذه الثغرة الحرجة منذ ستّ ساعات وانتم لا تزالون تسخرون بي... واين الطريق أيميناً او شمالاً ؟

— سر على اليمين... ولكن قد ادركنا ضباب كثيف فلا سبيل الى الاهتداء الى الصراط المستقيم... وكأنَّنا نرى صدوع « ستون هَوس »

— فامشوا اذن بنا وتبيَّنوا السبيل

فاخذ الهنود يهبطون بطون الوديان ويرقون المراقي الصعبة في وسط الثلوج وهم يلهثون تعباً وما كانوا يسيرون في تلك المجاهل الّا ويزيدون ضلالاً فلمّا يئسوا من وجدان الطريق وقفوا وقالوا للمهاجر : لا ندري اين الطريق

— يا لله وكيف اخذتم على أنفسكم ان تدلُّوني على الطريق وانتم تجهلونهُ ؟

— انَّ الثلوج حجبت الطريق عن العيان فضللنا

— ولكن لا بدَّ من الخروج من هذه الوهاد... فارتادوا لنا طريقاً لئلَّا نموت هنا

— لم نعد نستطيع السير

— بخٍ بخٍ أيها القوم الاشرار انَّكم اتيتم بي الى هذا الحدّ لتحوجوني على زيادةٍ في اجرتكم لكنّي اقسم بحياتي اني لا اعطيكم بارةً واحدة فوق ما وعدتكم بهِ

فلمّا سمع الهنود هذا الكلام وجموا مدّةً ثمَّ تبادلوا بينهم لحظاتٍ كأنَّهم يتشاورون في امرهم واذا بواحد منهم وثب كالوحش الضاري على المهاجر واستلَّ مديةً كانت تحت ثوبهِ فشهرها فوق رأس الغريب يريد قتلهُ. فارتدَّ المسافر الى الوراء ونجا من تلك الضربة الهائلة التي كانت قطعت حبل حياتهِ لا محالة ثم صرخ :

« اوّهْ ايها النذل اللئيم أهكذا تحاول قتلي فاقتربْ تلقَ جزاء فعلك »

قال هذا ثمَّ ارى الهنود الثلاثة فردًا ذا ثلث طلقات واردف قولهُ: تقدَّموا ايها الوحوش هذه رصاصة اعدتها لكل واحد منكم اخمد بها انفاسكم

فلمَّا نظر الهنود المسافر يتهدَّدهم وهو شاكي السلاح ارادوا القرار لكنَّهُ انتهرهم بقولهِ: انَّ اول من يتحرَّك منكم ويقصد الهرب اسقطتهُ ميتًا من ساعتهِ. وانت أيها القاتل أولى بان تختبر رصاصي فها اني احطِّم رأسك شعاعًا

فاذ سمع الهندي هذا الكلام طار قلبهُ خوفًا وجثا عند اقدام المهاجر يقبِّلها وهو يستنشدهُ بالله طالبًا ان يرقَّ لهُ ويرحمهُ (ستأتي البقيَّة)

شذرات

حلّ المسألتين الحسابيتين الواردتين في العدد السادس عشر ص ٧٦٦

اذا لاحظنا كيفيَّة التوزيع على الاشخاص المجهول عددهم يتبين ان كلًّا منهم يأخذ عددًا من الدراهم يساوي رتبتهُ في صفه ويضيف اليها ١/١٠٠ من الباقي لتتساوى حصتهُ مع حصَّة سالفهِ وبما ان السالف يأخذ بموجب رتبتهِ عددًا من الدراهم اقلّ بدرهم واحد ممَّا يأخذ تاليه بموجب رتبتهِ ايضًا فيجب ان يكون ١/١٠٠ من الباقي السابق ازيد من ١/١٠٠ من الباقي التابع بدرهم واحد ايضًا حتى يتعوَّض بهذه الزيادة ما نقص بفرق الرتبة وهذا الفرق بين الاجزاء ثابت بين كل حصتين متتابعتين كما لا يخفى عند ادنى تفكُّر اذًا هو ثابت بين حصَّة الاخير وسالفهِ ايضًا. لكن سالف الاخير اخذ عددًا من الدراهم يساوي رتبتهُ في صفهِ و ١/١٠٠ من الباقي. والاخير اخذ الاجزاء الباقية من هذا الباقي اي ٩٩/١٠٠ فساوت عدده في صفهِ ولم يبقَ شيء. او بعبارة اخرى بقي صفر. فيجب اذًا ان يكون الجزء من مائة من الباقي الاخير الذي اخذهُ السالف الاخير يساوي درهمًا واحدًا وعليهِ قيمة ٩٩ جزءًا التي اخذها الاخير تساوي ٩٩ درهمًا وهي حصة كل واحد من المقتسمين بموجب شروط المسألة. وممَّا تقدَّم يتَّضح ان عدد الاشخاص كان ايضًا ٩٩ وقيمة المال المقتسم ٩٩ × ٩٩ = ٩٨٠١ غرشًا وهي ما بقي مع كل واحد من الاربعة اشخاص بعد مبادلة الاخذ والعطاء. وحتى نعرف كم كان يُعطى كلّ منهم

شهريًا فلنفحص بالترتيب عمَّا تحتوي بالنسبة الى كل منهم: فهي بالنسبة الى الاول والثاني تحتوي بالنسبة الى الاول اجرة شهرين من اشهرهِ وشهر واحد من كل من الثلاثة الباقين. وبالنسبة الى الثاني تحتوي اجرة ثلاثة اشهر من اشهرهِ وشهر واحد من كل من الثلاثة الباقين اذًا لما نقصنا عند الثاني اجرة شهر من شهري الاول اقتضى ان نضيف بدلها اجرة شهرين من اشهرهِ لئلا تتغيَّر قيمة العدد. فأُجرة شهر من اشهر الاول تساوي اذًا اجرة شهرين من الثاني واذا قابلنا على هذا النسق ما بين الاول والثالث والاول والرابع نرى ان اجرة شهر من اشهر الاول تساوي ثلاثًا من اشهر الثالث او اربعًا من اشهر الرابع وبالنتيجة فالعدد ٩٨٠١ يحوي على اجرة شهرين من اشهر الاول + ١/٢ شهر + ١/٣ شهر + ١/٤ شهر اي على ٣٧/١٢ شهرًا من اشهر الاول فاذا كان ٣٧ جزءًا تساوي ٩٨٠١ فالجزء الواحد يساوي ٣٧ مرَّة اقل اي $\frac{٩٨٠١}{٣٧}$ واثني عشر جزءًا اي اجرة شهر كاملة تساوي ١٢ مرَّة اكثر اي $\frac{١١٧٦١٢}{٣٧} = \frac{١٢ \times ٩٨٠١}{٣٧}$ وعليهِ فاجرة شهر من اشهر الثاني تساوي $\frac{٥٨٨٠٦}{٣٧} = \frac{١١٧٦١٢}{٢ \times ٣٧}$ واجرة الثالث شهريًا $\frac{٣٩٢٠٤}{٣٧} = \frac{١١٧٦١٢}{٣ \times ٣٧}$ واجرة الرابع شهريًا تساوي $\frac{٢٩٤٠٣}{٣٧} = \frac{١١٧٦١٢}{٤ \times ٣٧}$ فيكون الاول اخذ مدَّة الشغل $\frac{١١٧٦١٢ \times ٥}{٣٧}$ $= \frac{٥٨٨٠٦٠}{٣٧}$ والثاني $\frac{٣٥٢٨٣٦}{٣٧} = \frac{٦ \times ٥٨٨٠٦}{٣٧}$ والثالث $\frac{٢٧٤٤٢٨}{٣٧} = \frac{٧ \times ٣٩٢٠٤}{٣٧}$ والرابع $\frac{٨ \times ٢٩٤٠٣}{٣٧}$ $= \frac{٢٣٥٢٢٤}{٣٧}$ ومجموع ما اخذوا يساوي $\frac{١٤٥٠٠٤٨}{٣٧} = ٣٩٢٠٤ = ٤ \times ٩٨٠١$ كما يمكن اختبار ذلك بكل سهولة

وهذه هي الحلّة الجبريَّة: لنفرض ان قيمة المقتسم هي ك فتكون حصَّة الاول بموجب شروط المسأَلة:

$$\frac{ك \times ٩٩}{١٠٠} = \frac{ك - ١}{١٠٠} + ١ \quad (١')$$

وتكون حصة الثاني طبقًا للشروط نفسها:

$$\frac{ك\ ٩٩ + ٢٩٩ - ٢٠٠٠}{١٠٠٠} = \frac{ك - \frac{٩٩ + ك}{١٠٠} - ٢}{١٠٠} + ٢ \quad (٢')$$

وبما ان الحصص هي متساوية فلنا بمساواة (١') و (٢'): هذه المعادلة الثالثة من الدرجة الاولى

$$\frac{٩٩ + ك}{١٠٠} = \frac{ك\ ٩٩ + ٢٩٩ - ٢٠٠٠}{١٠٠٠٠} \quad (٣')$$

واذا حللناها يكون:

(٤') $ك = ٩٨٠١$ فحصَّة كلٍ واحد كانت اذًا $\frac{٩٨٠١ + ٩٩}{١٠٠} = ٩٩$ وعدد المقتسمين

كان $\frac{٩٨٠١}{٩٩}$ = ٩٩ ولاجل الاستعلام عن اجرة كل من الاربعة الاشخاص شهريًّا فلنفرض ان اجرة الاول شهريًّا ف والثاني ل والثالث م والرابع ن فيكون لنا :

(٥) ٢ ف + ل + م + ن = ٩٨٠١
(٦) ف + ٣ ل + م + ن = ٩٨٠١
(٧) ف + ل + ٤ م + ن = ٩٨٠١
(٨) ف + ل + م + ٥ ن = ٩٨٠١

وبمساواة الاولى مع كل من الثلاث الباقيات نجد: ن = ٢ ل = ٣ م = ٤ ن ومن ذلك تصير الخامسة: ٢ ف + $\frac{١}{٢}$ ف + $\frac{١}{٣}$ ف + $\frac{١}{٤}$ ف = $\frac{٣٧}{١٢}$ ف = ٩٨٠١ و ف = $\frac{٩٨٠١ \times ١٢}{٣٧}$

ثم يكمل العمل كما في الحلّة الحسابية اي ان ف = $\frac{١١٧٦١٢}{٣٧}$ و ل = $\frac{٥٨٨٠٦}{٣٧}$ الخ

حلٌ لسؤال الخواجا يوسف عيسى — لنفرض ان ثمن البغل ك وثمن الجمل ل وثمن الحمار م فيكون لنا :

(١): ٢ ك + ل + م = ١٠٠
(٢): ك + ٤ ل + م = ١٠٠
(٣): ك + ل + ٥ م = ١٠٠

واذا ساوينا (١) بكل من المعادلتين التاليتين نجد ك = ٣ ل = ٤ م وعليهِ فتصير الاولى :

(٤) ٢ ك + $\frac{ك}{٣}$ + $\frac{ك}{٤}$ = ١٠٠ = $\frac{٣١}{١٢}$ ك فتكون ك = $\frac{١٠٠ \times ١٢}{٣١}$ = ٦٠ ومن ذلك لنا ل = $\frac{٦٠}{٣}$ = ٢٠ و م = $\frac{٦٠}{٤}$ = ١٥

اي يكون ثمن البغل ٦٠ درهمًا وثمن الجمل ٢٠ درهمًا وثمن الحمار ١٥ درهمًا

قد حلَّ هذين السؤالين حضرة الرياضي البارع الخوري جبرائيل رزق مرهج. اما السؤال الثاني فقد حلّهُ ايضًا حسابيًّا احد الرهبان الفرنسيسين الافاضل من المدبّرين للمدرسة الرعويّة في القدس الشريف والافنديين شكري حوّا واسكندر ابرهيم طراد

عدد الاطباء في فرنسة — كان الاطباء الذين يتعاطون مهنتهم في فرنسة في غرّة ١٨٩٨ نحو ١٥,٩٨٤ طبيبًا فبلغ في اوّل السنة الجارية ١٧.٥٥٥ فزاد عددهم ١٥٧١ شخصًا

الاكتتاب المصري الاخير — كانت نتيجة الاكتتاب الاخير في مصر ان عدد سكّانها عشرة آلاف الف (١٠,٠٠٠,٠٠٠) يبلغ الاجانب منهم ١١٢,٠٠٠ شخصًا فقط منهم ٣٨٠٠٠ يوناني و ٢٤٠٠٠ ايطالي و ١٩٠٠٠ انكليزي

و ١٤٠٠٠ فرنسي

تجارة الحنطة بيّن الكيمويّ الشهير وليم كروكس انّ المتاجرة بالحبوب لاسيما الحنطة اضحت في ايّامنا من اربح التجارات لانّ عدد المغتذين بالبرّ لا يزال يزيد زيادةً عظمى تبلغ سنويًا ستة ملايين. وقد اضحى هذا العدد ضعف ما كان عليهِ قبل ٢٥ سنة. فاذا بقيت هذه الزيادة على حالها لم تعد كلّ سهول اميركة وروسيّة كافية لنصف عدد الآكلين في العالم بعد خمسين سنة. ومن ثمّ لا بدّ من توفير هذه التجارة واتّخاذ الوسائل الكيمويّة الجديدة لتزكية زرع الحنطة وتوسيع نطاقها في العالم

مطبوعات شرقية جديدة

Vom Mittelmeer zum persischen Golf
Von Dr M. F. Oppenheim, I, SS. 334, Berlin 1899,

من البحر المتوسّط الى خليج العجم
رحلة حديثة للدكتور مكس فون أوپنهيم

اهدى الينا الدكتور فون أوپنهيم الجلد الاوّل من اخبار رحلتهِ سنة ١٨٩٣ الى سوريّة ولبنان وحوران وجبل الدروز وتدمر وبادية الشام. وقد وصف باللغة الالمانيّة سفرهُ هذا احسن وصف حتى يخال لقارئهِ انّهُ يرى الموصوف رأيَ العيان. ومن مزايا هذا التأليف انّهُ يتضمّن عدّة تصاوير بديعة رسمها المؤلف نفسهُ بالفوتغرافية في اثناء رحلتهِ وأحسن اختيارها. ثمّ انّ هذا الجزء مفعم بفوائد تاريخيّة وجغرافيّة وادبيّة قديمة وحديثة تشهد لصاحبها بسعة العلم ودقّة التنقيب. ونعم ما صنع بذكرهِ اعلام المدن والاشخاص والاسماء الاصطلاحيّة بحرفها العربيّ لئلّا يلتبس على احد حقيقة لفظها. وفي الاجمال انّ هذا الكتاب جامع لاصناف المحاسن نحثّ عامّة القرّاء من المستشرقين على مطالعتهِ والتقاط فرائدهِ

Der Islamische Orient, I
Islam und arabisch—Der heilige Barsisâ, etc
Von M. Hartmann, Berlin, Peiser, 1899, pp. 40

طرائف شرقيّة

قد اختلب الشرقُ قلبَ الدكتور مرتين هرتمن فهو لا يزال يتقصّى البحث في

امور بلادنا ومختلف احوالها . وفي تأليفهِ هذا الحديث عدَّة مقالات لا يسعنا الخوض في وصفها لخروج معظمها عن دائرة هذه المجلة . بيد انَّنا لا نخالهُ مصيباً في ما كتبهُ عن المرسلين المسيحيين في نبــذتهِ الاولى وعن استبدال الاحرف العربيَّة في طباعة الكتب باحرف فرنجيَّة لخدمة العامَّة لاسيما وهو قد وصف في نبذتهِ الاخيرة ولوع الشرقيّ بلغتهِ وكتابة اجدادهِ — امَّا الفوائد التاريخيَّة والجغرافيَّة التي حلَّى بها الكاتب تصنيفهُ فهي جديرة بالثناء

س . ر

(تنبيه) لدينا عدَّة كتب أُرسلت الى ادارة المشرق لم يسمح لنا ضيق المكان ان نبسط فيها الكلام هذه المرَّة فأجَّلنا وصفها الى عدد آخر

اسئلة واجوبة

س سألنا احد قرَّائنا الافاضل في بغداد ما هو نبــات الزّنيه المذكور في اقرب الموارد وفي محيط المحيط الَّا انَّهُ لم يُذكر في غيرهما من المعجمات

نبات الزّنيه

ج الزّنيه كلمة مصريَّة ورد ذكرها في كتاب الكواكب السائرة في اخبار مصر والقاهرة لشمس الدين البكري الصدّيقي من كتبة القرن العاشر للهجرة فقال في اثناء كلامهِ عن الحشيش الذي يستعملهُ الحشَّاشون « انَّ الحشيش يعرف ايضاً بالزّنيه » . ولم يزد على ذلك شرحاً

س وسألنا الخواجا انطون سليمان شديد ما هي الواسطة الاكيدة المجرَّبة المانعة حدوث المالوش او الحالوت في التوت الجوي فيبيس تتابعاً كل عام

دواء المالوش او الحالوت

ج المالوش (courtillière) دويبَّة تؤذي كلَّ الزروع وخصوصاً البقول واحسن دواء لقتلها ان يؤخذ ثلاثة اجزاء من الماء ويضاف اليها جزء من غاز البترول فيصبّ في ثقب وكرها فتتلف لا محالة ل . ش

اصلاح غلط

الصفحة ٧٩٤ س ٥ و ٦ œnomeles والصواب œnomels ص ٨١١ س ١٦ .Gist والصواب .Cist

١٨٩٩

قائمة للآثار الجويّة من ٢١ آب الى ٥ ايلول

الاثنين ٢١	الثلثاء ٢٢	الاربعاء ٢٣	الخميس ٢٤	الجمعة ٢٥	السبت ٢٦	الاحد ٢٧	الاثنين ٢٨	الثلثاء ٢٩	الاربعاء ٣٠	الخميس ٣١	الجمعة ١	السبت ٢	الاحد ٣	الاثنين ٤	الثلثاء ٥

ميزان الرطوبة — ميزان ثقل الهواء: ٧٩٠ ٧٨٥ ٧٨٠ ٧٧٥ ٧٧٠ ٧٦٥ ٧٦٠ ٧٥٥ ٧٥٠ ٧٤٥ ٧٤٠ ٧٣٥ ٧٣٠ ٧٢٥ ٧٢٠

ميزان الحرارة: ٥٠ ٤٥ ٤٠ ٣٥ ٣٠ ٢٥ ٢٠ ١٥ ١٠ ٠٥ ٠ ٠٥

انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر)
امّا الخطّ المنقّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد
[illegible] درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات

المشرق

سياحة في بلاد البترون

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

كان السفر من بيروت الى البترون قبل عشرين سنة شاقًّا مُملًّا فيقوم اليها الراحل قبل ان يتنفَّس الصبح ويبلغها في شفَق النهار بعد سيرٍ حثيث يركض فيهِ جواده على رمل البحر ساعاتٍ مستطيلة ينالهُ فيها لظى الحرّ صيفًا ونفحات القرّ شتاء. امَّا الآن فقد اضحى السفر الى البترون ونواحيها من أسهل الامور. فانَّ جناح البخار يطير بك الى المعاملتين في ساعةٍ واحدة فتركب من ثمَّ عربةً تجيز بك المسافة الباقية في اقلَّ من خمس ساعات فتدرك بلدة البترون وانت فارهٌ نشيط القوى طيّب النفس

وافق خروجنا من بيروت في ١٧ تموز المنصرم خروجَ طلَبة المدارس الى العطلة السنويَّة فما وصل القطار ايابًا من المعاملتين حتى رقيهُ المسافرون الاحداث متزاحمين مع معلّمي مدارسهم وقصوى رغبة الجميع ان يهجروا باقرب وقت معاهد بيروت حيث تتوهَّج معامع القيظ ليتسلَّقوا مشارف لبنان فيتمتَّعوا بنسماتهِ الباردة وزلال مياههِ الصافية. وكنت تسمع ضجيج كلّ هؤلاء الشبَّان لا يتمالكون فرحًا ويتحادثون باصوات عالية كادت تنسي عجيج القطار

وفي اثناء ذلك كنَّا نساير البحر شمالًا ولبنان يمينًا ونحن نسرّح الابصار في مناظرها البهجة بين سُفن تجري على سطح المياه فتنعكس صورها في مرآة البحار وغابات تكلّل هامة الجبال وقرًى تُحدق بها مزارع التوت والحدائق الغنَّاء. حتى ادَّى بنا السير الى محطَّة جونية

فنزلنا من القطار وركبنا عربة لحوذيّ حسن الاخلاق عفيف اللسان لم نسمع

طول مسيرنا من فيهِ سنّةً او تجديفاً وذلك امرٌ يندرُ في امثالهِ فيُشكر ·
فسرنا اوَّلًا في وسط الابنية الجديدة التي جعلت خور جونية من انزه المناظر حتى ان بعض الكتبة شبَّه محاسنها بنابولي وضواحيها الفتَّانة · ولم نزل في دهش من بدائع اعمال الخالق الى ان تعدَّينا جسر المعاملتين فاخذت العرَبة ترفع بنا تارةً وتهبط بنا أُخرى في اخاديد طريقٍ لم تُوثَّر ولم تُصلح منذ سنين عديدة · الَّا انَّنا صبَّرنا النفس على هذا العناء مع علمنا ان ذلك هو شأن اكثر طرق الجبل او قُل بالاحرى أغلب سكك المدُن
ثمَّ ادركنا نهر ابراهيم والبقعة الخضراء التي تسقيها مياههُ العذبة فجاوزناهُ سائرين على جسر من حديد حسن الهندام أُصطنع منذ عهد قريب في معامل بلجكة · ثمَّ استأنفنا السير مسرعين فبلغنا مدينة جُبيل بعد نصف ساعة · وهي المدينة الشهيرة وعاصمة بلاد فينيقية بيد اننا نؤجل وصفها وذكر عاديَّاتها فنفرد لها فصلًا في مقالتنا الموسومة « بتسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار » وانَّما غايتنا في هذه العجالة ان نقصَّ على قرَّائنا خبر رحلتنا اجمالًا شأن المسافر الذي يروي لاصحابهِ ما لحظهُ في طريقهِ او يفكِّه خواطرهم بما عرض لهُ من العوارض السارَّة او الفاجئة في اثناء غيبتهِ
هذا وبرحنا جبيل اصيل النهار ميمِّمين البترون فسرنا في طريقٍ يحصرها الجبل يمينًا والبحر شمالًا · وتلك الناحية قفرة لا ترى فيها ديَّارًا غير انك تلقى من مسافة الى أُخرى خانات حقيرة المنظَر يأوي اليها المسافر بضع دقائق ثمَّ يرحل عنها سائرًا
وكانت هذه الجهات في القرون الغابرة مأهولةً كثيرة القرى مزدانة بالمزارع والغابات وطريقها الرومانيَّة كانت تزدحم فيها السابلة ذهابًا وايابًا وكان الزوَّار يألفونها وهم يحجُّون الى جبيل لزيارة هيكل ادونيس الشهير او الى معابد افقا والمشنقة · وكانت السفن العديدة تمخر البحر في هذه الجهات وتنقل ارفاق البلاد من مكان الى آخر
وبينا كنَّا نفكِّر في احوال السلَف اذ غابت الشمس عن العيان وانارت الافق بضيائها الارجوانيَّة · فشعرنا بنسيم ليِّن أنعش قوانا ونشَّط الخيل فصارت تلهب في عدوها الهابًا وتثير هبَوات من الغبار · ولم تمرَّ علينا ساعة حتى ارخى الليل جلبابهُ على الارض وشعَّت النجوم في الزرقاء · الَّا انَّنا لم نلبث ان نرى انوار البترون تقترب منَّا كأنَّها تحاكي في اضوائها سرج السماء · فوقفت بنا الخيل عند فندق شعارهُ « لوكندة سوريَّة » فبتنا فيهِ تلك الليلة وهي بئس ليلة قضيناها والعين لم تكتحل بسهاد لِما شعرنا من وقدات الحرّ

ولسع البعوض على انَّ ماء البترون مالحٌ أجاج لا يبلُّ غلّة من لم يألفهُ

ولمَّا كان الغد تجوَّلنا في انحاء البلدة وسلَّمنا على بعض وجهائها فرأينا من انسهم اكثر ممَّا سمعنا. واهل البترون مشهورون بالحزم وحسن الطباع والحذاقة في العمل والاستمساك بعروة الدين. وفي جهاتها يُستخرج الاسفنج الغالي الثمن منهُ الكبير الحجم ومنهُ الصغير الناعم اللطيف. وقد زرنا مدارس البلدة فوجدنا احداثها من ذكور واناث مجدّين في تحصيل مبادئ العلوم وكنَّا نتفرّس في جميعهم سمات النجابة وملامح الذكاء لاسيما البنات اللواتي يربّيهنَّ راهبات قلبي يسوع ومريم فيبذلنَ الوسع في تهذيبهنَّ. والحقّ يقال اننا حيثما سرنا كُنَّا نسمع الاهلين يُثنون اعطر الثناء على همة اولائك الراهبات اللواتي يتفانينَ في سبيل الخير وتربية الفتيات

٢

وفي ضحى النهار وجدنا بعد اللتيا واللّتي خيلًا اكتريناها بضعف الاجرة المألوفة لزعم اصحابها انَّ الخيل في الصيف عزيزة الوجود لكثرة طلّابها فتوغّلنا في لبنان قاصدين مدرسة مار يوحنَّا مارون. وكان مسيرنا في وسط رُبىً تربتها بيضاء من الحوّارى لا ينبت فيها الّا شجر الخرّوب. وسكَّان هذه النواحي قليلون لا ترى فيها سوى بعض القرى الصغيرة كجدابرة وعبرين. فجاوزنا هذه الضياع وبلغنا عند العصر كفرحيّ فمررنا بقرب الدار التي نشأ فيها السيّد المفضال فقيد ملّته ووطنهِ الطيب الذكر المطران يوسف فريفر. وما عتمنا ان وصلنا الى مدرسة مار يوحنَّا مارون فلمَّا حللنا ربعها بادر حضرة الاب بولس طعمه نيابةً عن رئيس المدرسة الغائب فرحب بنا واكرم مثوانا. وكانت المدرسة يوم وصولنا فارغةً من الدارسين والطلَبة عند اهلهم يصرفون في بيوتهم زمن العطلة السنويَّة. فبعد ان اخذنا نصيبًا من الراحة زرنا معاهد المدرسة وتاريخ بنائها يستحقّ الذكر نرويهِ ان شاء الله لقرّاء المشرق في مقالة اخرى. ثمَّ طفنا في جهات القرية ونقلنا فيها كتابةً يونانيَّة قديمة سيأتي وصفها في هذه المجلة مع كتابات اخرى وجدناها في القرى المجاورة. وكفرحي من الضياع الصغيرة الَّا انَّ الآثار الموجودة فيها تثبت قدمها وتنبئ بشأنها في القرون السالفة

وفي ١٩ تموز قمنا باكرًا قاصدين التجوُّل في الانحاء القريبة للاستطلاع على كتابات لاتينيَّة ترتقي عهدها الى زمن ادريانس قيصر ألمحنا اليها في المشرق (١ : ٧٢٨ و ٢ :

٤٤١) . وباشرنا البحث اوَّلًا في فتاحات وهي مزرعة ذات اربعة بيوت فقط وجدنا فيها ثلاث كتابات لادريانس وقد تلفت كتابتان اخريان منذ سنين قليلة

واجتزنا عند المساء بكفر شليان حيث رأينا اخربة قديمة العهد ثمَّ مررنا بحَلتا وطن غبطة السيد الملفان البطريرك مار الياس الحويّك وفي احد جوانب كنيسة هذه القرية خطّ عربي كوفيّ طُمس اكثرهُ لكنَّهُ شبيه بخطوط اخرى وقفنا عليهــا في داعل فاخذنا رسمهُ . وكنَّا في اثناء مسيرنا نسمع كلّ اهل هذه القرى يطنبون في محامــد راعي رعاتهم ويذكرون سجاياهُ الحسنة ويعدّدون ما امتاز بهِ منذ صباهُ من المزايا والصفات الطيّبة فذكَّرنا ثناؤهم قول الشاعر :

اتتهُ السيادة منقادةً اليهِ تجرُّ اذيالها
فلم تكُ تصلح الَّا لهُ ولم يكُ يصلح الَّا لها

وانجزنا طوفنا في ذلك النهار بزيارة قرية بقسمايا . وفيها كنيسة بُنيت كلها بحجارة من بقايا هيكل قديم بديع الحسن

ولمَّا كان العِشاء اتّشحت الجبال المجاورة بغلالة من الضيــاء والانوار الساطعة فصارت كانها شعلة نار وكانت الوديان تردّد دويّ البنادق واصوات الاجراس وتهاليل السكَّان اجلالًا لعيد القديس الياس الواقع في غد ذلك النهار وهو شفيع غبطــة البطريرك الكلّيّ الطوبى فكانت هذه الحفلة البهيَّة برهانًا جديدًا على تعلُّق الموارنة ببطريركهم الجليل

٣

وفي الحادي والعشرين من تموز استأنفنا السفر قاصدين قرية دوما وكانت طريقنا كاليوم السابق في ارض كلسيَّة وتربة بيضاء خالية من المياه تنبت فيها بعض اشجار سقيمة من التوت يدلّ ظاهر حالها على حنينها الى ريّ الامطار لتبلَّ ظمَئها المحرق . امَّا التبغ هناك فعلى خلاف ذلك لانهُ يزكو زرعًا ويكون من افخر جنس واحسنهِ . ولا يخفى ان بلاد البترون هي التي تخرج التبغ المسمى بالكوراني وانما سُمّي هكذا لانَّ مصدرهُ قضاء الكورة بل لانّ اوَّل من تعاطى بيعهُ في الديار المصريَّة كان من قضاء الكورة فنُسب اليهِ وظلَّت هذه التسمية جاريةً على علَّاتها مع انَّها تجحف بحقّ البترون . وكانت زراعة التبغ من مدَّة سنوات في غاية النماء والاهلون يقبلون عليها كل الاقبــال لما كانت

تدرّ عليهم من الارباح الّا انَّ ادارة الرجي قضت عليها قضاء مبرّحًا حتى كسدت سوقها

وبعد مسيرة ساعة انتهينا الى داعل وهي قرية آهلة بالمتاولة الشيعيين وليس للشيعيّين غيرها من القرى في كل ناحية البترون الّا قرية بشتودار . فوقفنا في داعل هنيهةً من الزمان لكي نزور كنيسةً قديمةً تُلقَّب بكنيسة مار تادروس وكان قد قيل لنا ان فيها كتابات عربيَّة . فلمَّا زرناها وجدنا كتابات منقوشةً على بعض حجارتها السفلى ولكنَّها ظهرت لي اقلّ اهميَّة من الكتابة التي تقدَّم الكلام عليها في قرية حلتا . والكنيسة المذكورة خربة اليوم ولكنَّها في الحقيقة عريقة في قدميَّتها كما تبرهن ذلك حجارتها المشغولة شغلًا متقنًا تامّ التناسب وقد بقي منها الآن حنيَّتها وهي متَّجهة الى الشرق . وقد قامت في وسط الخراب شجرة سنديان كبيرة لا يمسُّها احد بقطع او افساد والمتاولة يجلُّون هذا الموضع

ثمَّ مررنا بعد نصف ساعة على قرية بشتودار ولعلَّها تصحيف بيت عشتار او عشتاروت ممَّا يدلّ على انهُ كان هناك في القديم هيكل للالهة عشتاروت اي الزُّهرة ولا يبعد ان تكون باقيةً الى الان آثار هذا الهيكل لكنَّنا لم نُعنَ في البحث والتفتيش لاجل اكتشافهِ . وبعد ذاك وصلنا الى دير مار يعقوب للرهبان الموارنة وهو في اسفل قلعة الحصن المشرفة اخربتها على كل الناحية

ومن مار يعقوب يُشاهد وادٍ جميل تكتنفهُ الجبال من كل الجهات ما خلا ناحية الشمال الشرقي حيث يجري نهر الجوز . وقرية دوما قائمة ما بين مروج من الخضرة وفيها كثير من البيوت الكبيرة المسقفة بالقرميد ممَّا يدل على انَّ اهلها في سعة من العيش . غير انَّ الطريق اليها من مار يعقوب في غاية الوعورة تشبه السلم في مرتقاها . وعلمت لدى وصولي اليها ان الاهالي قد طالما التمسوا من الحكومة اللبنانيَّة مدّ طريق للعربات تصل قريتهم بالساحل والجبال . وفي دوما ثلاث طوائف روم ارثوذكس وروم كاثوليك وقليل من الموارنة والاوَّلون هم معظم الاهالي غير انَّ الروم الكاثوليك اوفر نشاطًا واحدّ اذهانًا ولذلك كانت لهم في القرية الكلمة النافذة والقول الراجح . وأوجههم جناب الخواجا الياس الحاج الذي انزلنا في دارهِ ولهُ غيرة شديدة على صوالح ابناء طائفتهِ وعلى صوالح الموارنة

وقد صارت اليوم دوما اشبه بمدينة منها بقرية لانها مركز تجاري لكل القرى المجاورة لها. واهميَّتها هذه قديمة تدلّ على ذلك كتابة يونانيَّة على ناووس متَّخذ اليوم جرنًا للعين السفلى في القرية فهي تذكر انهُ كان بدوما في القرن الرابع هيكل لاسكولاب اله الطب ولإلهة الصحَّة مما ينطبق كل الانطباق على حسن مركز المحل وجودة هوائهِ وطيب مناخهِ. وقد اتخذت على ورق مخصوص رسم كتابة أُخرى يونانية وبما انها منزلة في حائط الكنيسة الارثوذكسيَّة بالقرب من السقف فقد اقتضى لذلك مشقَّة عظيمة لاننا رقينا سلَّمًا رديئة كانت تترجرج تحتنا مثل القصبة ولم نبلغ بها الكتابة الَّا بعناء وما ادراك ما يقتضي اتخاذ رسم الكتابة على الورق المخصوص من الحركة والتعب. وكان جناب صديقي وتلميذي القديم الخواجا انطون الحاج يعاونني على مقصدي بغيرة ومروءة عظيمتين واذا كنت قد اتصلت الى جمع بعض كتابات في دوما وما جاورها فذلك باسعافهِ لانهُ ما عدا كرم الضيافة التي حفَّني بها مدَّة ستة ايام قد يسَّر لي بوجاهتهِ ونفوذهِ التوصل الى كل ما توصلت اليهِ. ولذلك اسئلهُ على صفحات المجلة ان يتكرَّم بقبول عاطفة شكري على ما بذل لي من الخدم التي هزَّتهُ عليها مروءتهُ واريحيَّتهُ

٤

ومن الآثار العجيبة التي قصدناها لنزورها بجوار دوما قلعة الحصن الشهيرة بيدَ أَنَّنا نُرجِئ وصفها لندرجهُ في مقالتنا « تسريح الابصار ». وسنذكر هناك كتابة يونانيَّة وجدناها على رأس عمود قديم في قرية بشعلي على مقربةٍ من قلعة الحصن. ولهذه الضيعة كنيسة محكمة البناء واسعة الارجاء تعلوها قبَّة لجرسها جميلة المنظر بديعة النقوش تولَّى نقشها عملة هذه الجهات. وبينهم صنَّاع غايةً في الذكاء والحذاقة اذا رأوا شغلًا دقيقًا حذوا حذوهُ. من ذلك اني رأيت بندقيَّة من طرز مرتيني ابدع صُنعَها رجلٌ من دوما فلا يشكّ من يشاهدها انَّها خرجت من اشهر معامل اوربَّة

وفي مساء ذلك النهار احتفل القوم في بيت الياس الحاج وطالت المسامرة. فسمعتُ تلك الليلة غرائب عن الكنوز الخفيَّة المرصودة. وانَّما دار الحديث على ذلك لانَّ بعضًا من البسطاء اذ رأوا فيَّ كلفًا بالكتابات القديمة ظنُّوا اني اتطلَّبها لما فيها من الدلالة على المطالب والدفائن. ومما يؤسف لهُ انَّ قومًا من الجهلة اذا رأوا كتابة قديمة على صخر بادروا الى اتلافها ظنًّا منهم ان وراءها القناطير المقنطرة

وقد تجوَّلت في اثناء اقامتي بدوما في جبل تَرْتج وهو عبارة عن سلسلة جبال عالية صعبة المُرتقى. وكانت الغابات قديمًا تظلّل اطرافهُ الّا انّ اكثرها قُطعت تسهيلًا لتعدين الحديد

وحديد هذا الجبل مشهور كان اهل هذه البلاد يستخرجونهُ سابقًا ثمَّ يصطنعون منهُ ادوات شتّى ولاسيما انعالًا للخيل يفضّلونها على الانعال الاجنبيَّة لسهولة تطرُّقها. وقد بطل في زماننا تعدين الحديد في هذا الجبل لما يُقتضى لذلك من النفقات البالغة. امّا الكتابات القديمة فقد وجدنا منها عددًا وافرًا كلها للقيصر ادريانس

٥

وفي غضون نزولنا في دوما قدم علينا بعض اهل تنُّورين التحتاء فاخبرونا سرًّا انّهم يعرفون صخرًا نُقش عليهِ اربع حيَّات يزعمون انها رصد لكنز مدفون غالي الثمن فطلبوا اليَّ ان اصحبهم ليروني هذا الاثر الجليل. ومع إنّي عالم العلم اليقين ببطلان وهمهم اردت ان اتبعهم لعليّ اجد بعض الكتابات القديمة المنبئة باحوال السلف واخبار لبنان

وموقع تنُّورين التحتاء في وادٍ وارف الظلّ عذب المياه يجري فيهِ جدول صغير ينصب في نهر الجوز. ويحدق بالوادي جبال مرتفعة تنتصب كأنّها الجدار. فتسلّقنا هذه الصخور ولمّا بلغنا نحو مائة مترٍ علوًّا وجدنا صخرًا عليهِ كتابات لا يمكن قراءتها الّا بان يُركَز سلَّم فيُرقى اليها الّا ان رفقتي اصعدوني على اكتافهم فتمكّنت من نسخ هذه الخطوط وهي باللغة اللاتينيَّة وكلها للقيصر ادريانس السابق الذكر. امّا الحيَّات المنقوشة فكان يزعم من تولّى دلالتي انّها فوق هذا الصخر بنحو مائتي متر. فاخذنا نتوقل في هذه الاماكن الخطرة التي هي بالماعز اولى منها بالانسان فكنّا نستند تارةً الى صخر ونتشبَّث اخرى بعشبة او غصن شجرة حتى بلغنا بعد شقّ النفس الصخرَ الموهوم. فما اعظم ما كانت خيبة آمالي اذ رأيتُ بدلًا من النقوش صدوعًا في الصخر على هيئات شتّى ليس بينها وبين صور الحيّات شبه وانما كانت محض تخيُّلات ابتدعها هؤلاء الاغبياء لِما سمعوا او قرأوا عن ركائز الارض وكنوزها الدفينة. ولمّا حاولت ان أُقنع رفقتي عن فساد رأيهم لم يرضوا بمقالي وظنُّوا اني اريد المكر بهم لانفرد بالكنز وحدي دونهم. فيا لله ما أقبح الجهل وأوخم عاقبتهُ

ورجعنا من ثمَّ الى تنُّورين الفوقاء على طريق تمرّ في وادٍ غير الوادي الموصوف

سابقًا وهو من ابدع ما وجدتُ في لبنان من المناظر الجميلة تتبجّس فيهِ المياه من كلّ جهة وتتحدَّر على شبه الشلّالات وعلى جانبي النهر اغراس الاشجار المختلفة يمتاز بينها الجوز الذي لاجلهِ أُطلق على النهر اسم نهر الجوز . وكنتُ في خلال المسير افكّر في خصب تربة هذه النواحي وكثرة ارفاقها واتأسّف على من يبرحها ليهاجر الى اميركة ويطلب رزقًا بعيدًا وقد اناله الله في وطنهِ عيشًا هنيئًا

ووصلنا الى تنُّورين الفوقاء عند المساء الّا انَّ الضباب كان انتشر في الضيعة وهو يشملها من كل صوب فبتنا تلك الليلة وأجّلنا زيارة الآثار القديمة الى غد

٦

ولمّا تبلّج نور الصباح قمنا من الفراش وابداننا تقشعرّ من البرد فتذكرنا أنّنا في اعالي بلاد الجرد وكان النهار صحوًا ولم تلبث الشمس ان ترسل اشعّتها المنيرة في ذلك الوادي المستدير على شكل تنُّور وفي وسطهِ القرية التي استعارت اسمها من هيئة الوادي فدُعيت تنُّورين . وفي هذه القرية ترى المياه جارية في كل جهات الجبل منحدرةً الى مسيل النهر

وتنُّورين ضيعة معتبرة واهلها يسعون اليوم في بناء كنيسة حسنَة رحبة الّا انَّ الشغل بطيءٌ لا نظنُّهُ ينتهي الّا بعد سنين طويلة . وحول تنُّورين كتابات كثيرة لم يسمح لي الوقت ان انقلها غير انَّ احداها كانت أعظم شأنًا واوسع مادَّةً قيل لي أنّها في سهلة غَيمون . فاخذت دليلًا وسرت الى المحل المقصود فصعدنا قلة من الجبال منيفةً صعبة المرتقى وفي اعلاها سهلة غيمون وكان الادلاء الذين رافقوني في بطن وادي نهر الجوز ينتظرونني وكانوا وعدوني بان يدلوني على هذه الكتابة . فلمّا طلبتُ منهم انجاز وعدهم أبوا ان يروني اياها وزعموا انهم نسوا موضعها . ففهمتُ انهم طامعون في الكنز المطمور هناك على زعمهم لئلّا تفوتهم هذه الغنيمة واتمتّع بها انا وحدي . فرجعت بخفّي حنين راثيًا لجهل هؤلاء الاغرار

وفي صباح النهار التالي انثنيتُ قافلًا الى بيروت بعد ان مررت ايابًا بدوما ومدرسة مار يوحنّا مارون والبترون

هذا واني اشكر لكلّ الذين لقيتهم في طريقي لطفهم فقد رأيت من رقّة طباعهم ورحب صدورهم ما قيّد لساني بحسن معروفهم جازاهم الله خيرًا

تقسيم التجارة

للشاب الاديب عبد الله افندي رزق الله شارّ احد مأموري معيَّة ولاية بيروت الجليلة

تُقسم التجـارة اساسًا الى قسمين: التجارة الداخليَّة والتجارة الخارجيَّة. ويُعرف مقدارها من سجلّات الجمارك. غير انهُ لا يمكن تعيـين مقدار الاولى بضبط لتعذُّر الوقوف على كميَّة الموادّ المستهلكة في المحلّ الحاصلة فيهِ ولإلغاء الجمارك الداخليَّة التي اضرَّت بالتجارة وعرقلت حركتها كما بيَّنّا سابقًا. واماَّ الثانية فيمكن تعيـين مقدارها التقريبيّ من دفاتر الجمارك والاحصاآت الرسميَّة. والتجارة الخارجيَّة ايضًا قسمان عموميَّة وخصوصيَّة. فالتجارة العموميَّة هي مجموع الادخالات (importations) والاخراجات (exportations) اي مقـدار السلع الواردة من مملكة الى أُخرى او الصادرة منها اليها. والتجارة الخصوصيَّة عبارة عمَّا يُستهلك من تلك الواردات في نفس المملكة وعمَّا يخرج من حاصلاتها المحلية الى البلاد الاجنبيَّة. ويُدعى فرق هاتين التجـارتين مروريَّة (transit) وهو مقدار السلع التي ترد من بلاد اجنبيَّـة الى غيرها من البلاد الاجنبيَّة فتمرّ في المملكة فقط. مثال ذلك انَّ كلّ الوارد الى المملكة العثمانيَّة من البلاد الاجنبيَّة وكلّ الصادر الى هذه من تلك يدخل في قسم تجارتنا العموميَّة. بيد انَّ من الواردات والصادرات ما يُستهلك او يستحصل في مملكتنا فيدخل في تجارتنا الخصوصية ومنها ما يُخرج الى ما يجاورنا من الممالك او يمرّ في مملكتنا فيُدعى مروريَّة. وكانت الحكومات سابقًا تأخذ رسم المروريَّة ولكنَّها تركت مؤخرًا هذه الرسوم المضرَّة بالتجارة وبمنفعة البلاد والسكَّان. فالبضائع المارَّة في بلدةٍ وان لم تكن غاية تجارتها تُجديها فوائد عظيمة منها استخدام اهالي تلك البلدة ووسائط نقلها ومستودعاتها الى غير ذلك من المنـافع. والدولة العليَّة تأخذ الآن من رسم المروريَّة واحدًا في المئة. الّا انَّها تحقَّقت مضارّ هذا الرسم ومالت كلّ الميل الى الغائهِ فتبطلهُ حينما تجد مصدرًا آخر لوارداتها تسدُّ بهِ ثلمة حاصلات المروريَّة في ميزانيَّتها

مقدار تجارة بعض الدول

ألمعنا في ما سبق الى رواج التجارة البرّيَّة والبحريَّة وما يبديهِ الجميع من الإقدام والجهد في توسيع نطاقها. والجدول الآتي يُظهر جليًّا ما وصلت اليهِ تجارة بعض الدول الخارجيَّة من الخطارة والاتّساع

اسماء الدول	سنة	ادخالات	اخراجات	مقدار المرورية
الدولة العلية	٩٣ـ٩٤	س* ٤٠٢,٢٨٧,٥٧٨	٢٧٩,٢٠٨,٨٤٢	
مصر	٩٦	س ٢٥٢,١٠٣,٦٩٢/٦٠ م ٩٥,٤٢٨,٩٠١/٢٥	٣٣٩,٤٠٣,٥٧٠/٢٠ ٤٦,٨٤١,٠٠٤	١٤,٤٧٤,٣٤٦/٣٠
امارة البلغار	٩٦	٧٦,٥٣٠,٠٠٠	١٠٨,٧٤٠,٠٠٠	
المانية	٩٦	س ٥,٣٨٣,٩٥٣,٧٥٠ م ٣١٣,٤٨٥,٠٠٠	٤,٣٩١,٤١٢,٥٠٠ ٢٨٥,٨٦٥,١٠٠	
النمسة والمجر	٩٦	س ١,٧٦٤,٤٦٧,٥٠٠ م ١٧٢,٠١٧,٥٠٠	١,٩٣٥,٠١٠,٠٠٠ ١٠٦,٣٣٢,٥٠٠	
بريطانية العظمى	٩٦	س ١١,١٥٥,٦٧٤,٨٢٦ م ٩٧٩,٦٤٩,٥٠٠	٧,٤٨٣,٥٧٥,١٥٣/٥٠ ١,١٤٠,٥٩٣,٠٠٠	
فرنسة	٩٦	س ٣,٧٩٨,٦٠٠,٠٠٠ م ٤٧٩,٠٠٠,٠٠٠	٣,٤٠٠,٩٠٠,٠٠٠ ٥١٣,٠٠٠,٠٠٠	٥٨٩,٩٠٠,٠٠٠ ٢٣,١٠٠,٠٠٠
روسية اوربة واسية	٩٤	س ٢,٢٣٨,٠٠٠,٠٠٠	٢,٧٣٨,٠٠٠,٠٠٠	
ايطالية	٩٦	س ١,١٧٣,٢٠٠,٠٠٠ م ١٠,٣٠٠,٠٠٠	١,٠٥٢,١٠٠,٠٠٠ ١٩,٩٠٠,٠٠٠	١٠٠,٢٠٠,٠٠٠
الولايات المتحدة	٩٦	س ٤,٠١٥,٤٥٥,٠٠٠ م ٣٢٠,٨٤٥,٠٠٠	٤,٥١١,٤٠٠,٠٠٠ ٩٢٤,٤٢٥,٠٠٠	٣٥٩,٠٩٨,٠١٥/٥٠
اسبانية	٩٥	٨٣٨,٤٩٥,٠٠٠	٨٠٤,٩٤٢,٠٠٠	
هولاندة	٩٦	س ٣,٤١٩,٢٢٠ م ١٤,٠٧٠	٢,٨٠٥,٨١٠ ٢,٧٣٠	
بلجكة	٩٥	س ١,٦٨٠,٤٠٠,٠٠٠	١,٣٨٥,٤٠٠,٠٠٠	١,٢١٩,٤٠٠,٠٠٠
برتغال	٩٦	س ٢٢١,٣٦٩,٤٦٧/٢٠ م ٧,١٩٥,٦١٣/٦٠	١٤٦,٣٩٩,٠٢٤/٨٠ ٢٠,٩٢٨,٢٧٥/٢٠	
دنمرك	٩٥	س ٥٠٩,٦٥٤,٦٠٠ م ١٤,٠٠٠,٠٠٠	٣٧٦,٤٥١,٦٠٠ ٢,٨٠٠,٠٠٠	
رومانية	٩٦	٣٣٧,٩٢٢,٩٢٩	٣٢٤,٠٥٦,٦٥٢	
اسوج	٩٥	سم ٤٨٢,٠٠٦,٠٠٠	سم ٤٣٦,٠٠٧,٦٠٠	
نروج	٩٦	٣٣٦,٣٠٥,٢٠٠	٢٠٦,٨٧٩,٤٠٠	
سويسرة	٩٦	س ٩٩٣,٨٥٩,٠٠٠ م ٦٧,٩٧٣,٠٠٠	٦٨٨,٢٦١,٠٠٠ ٥٠,٥٥٥,٠٠٠	
سربية	٩٦	٣٣,٤٤٨,٠٠٠	٥٣,٣٨٦,٠٠٠	
اليونان	٩٥	١٠٦,٨٢٢,٠٠٠	٧١,١٥٦,٠٠٠	
الصين (١	٩٦	س ١٣٠,٨٧٧,٩٧٤/٨٠	٥٥٠,٣٨١,٩٦٨/٢٠	
العجم	٩٦	١٣٢,٠٠٠,٠٠٠	٧٨,٠٠٠,٠٠٠	٢)

* الحرف س يدلّ على السلع والحرف م على المسكوكات والحرفان سم فعلى السلع والمسكوكات مـ
واماً نوع المسكوكات فالفرنك ١) لا تدلّ هذه الأرقام على مجموع التجارة الاجنبية فانّ كثيرًا من الـ
تُنقل بواسطة مراكب صينية غير تابعة لمراقبة الجمارك الاجنبية ٢) عن تقويم غوطا طبعة سنة ٩٨

لا ننكر ان اصول وضع الاحصاآت التجاريَّة متباين في كل مملكة وانَّ الايام والسنين تتعاقب ولا تتشابه وعليهِ تعسر المقابلة الصحيحة بين تجـارة الدول. غير ان مقدار التجارة العموميَّة يُظهر نوعاً ما درجة الاشغال وكميَّة المحصولات والمستهلكات في الممالك. واماَّ احسن شيء لتقدير ترقي التجـارة وتقهقرها في احدى الممالك فهو ان يُقابل بين مقادير تجارة هذه المملكة في سنين مختلفة. لكنَّ هذا التحقيق بعيد المرام وعر المسلك يستوعب زماناً طويلاً

الموازنة بين الكلوروفورم والايثير

للدوكتور اسبيريدون ابي الروس المعاون الاسبق في المستشفى الافرنسي

في العدد السابع عشر من المشرق (ص ٧٧٥) أجملتُ الكلام على خطر التخدير بالكلوروفورم في العمليَّات الجراحيَّـة واستشهدتُ على ذلك بالحادثة التي جرت في بعض المستشفيات وقلتُ هناك ان التخدير بهـذه المادَّة مخيف جدًّا يقضي على الجرَّاح بالانتباه والتيقُّظ الكثير وان الايثير يفضلـهُ من هذا القبيل استناداً الى رأي اكابر الاطبَّاء والجرّاحين في فرنسة والمانية واميركة. وقد عوَّلت اليوم على متابعة الكلام في هذا الموضوع المفيد تقويةً لهذا الوجه وتفصيلاً لذلك الاجمال

واعلم ان نشر ذلك يعود بالفائدة على صاحبهِ لأنهُ يضطرُّهُ الى مزيد التعقُّـل والانتباه ويكون لغيرهِ عبرةً وتعليماً فلا يسقط سقوط المتهوّر. وانَّ التنبيه على الاغلاط الطبيَّة واجبٌ تطالبنا بهِ الذمَّة والضمير لانها ليست ممَّا يمكن تلافيهِ واصلاحهُ دائماً بل قد يكون من ورائها هدم هيكل الحياة كما رأيت

وأعود الآن الى البحث في الموضوع فأقول اجمالاً انّ المخدّرات لا تجلب التخدير دفعة واحدة بل يمرّ فعلها بدرجات محدودة قبـل ان يبلغ الدرجة المطلوبة في العمليَّات الجراحيَّة ففي الدرجة الاولى تتعطَّل وظائف الدماغ فقط فيقع النوم. وفي الثانية يبطل عمل النخاع في نقل الحسّ فيحصل التخدير المطلق. وفي الثالثة يفقد تسلُّطهُ على الحركة فيحدث ارتخاء العضلات وانحلالها وهذه الدرجة هي المطلوبة في الجراحة لا يجوز تعدّيها البتَّة لئلَّا يقع المريض في الدرجة الرابعة فيبطل عمل البصلة وتتعطَّل وظيفتا التنفُّس

والدورة الدمويَّة (والبصلة مركز عصبي في أعلى النخاع الشوكي من وظائفهِ الحكم على الحركات القلبيَّة والتنفسيَّة)

والكلوروفورم ينطبق فعلهُ تماماً على هذا الوصف ويفعل على التوالي في المراكز العصبيَّة الثلاثة اعني الدماغ والنخاع والبصلة فيعطِّل وظائفها تدريجاً . فالدور الدماغي يبتدئ باعراض تنبُّه فيشعر المخدَّر اوَّلاً بكرب وضيق صدر وطنين في الآذان وتضعضع الفكر مع بقاء الإدراك والاحساس . فاذا نودي أجاب واذا قُرص تألَّم وشكا وبعد دقيقتين الى خمس يتهيَّج ويأخذهُ نوع من الهذيان فيكثر من التخليط في الكلام وربَّما كان سكّيراً ويسرع النبض والتنفُّس ويحتقن الوجه وتنتشر الحدقة اي تتَّسع وتكسل . ثم يعقب ذلك السكون وينقطع الهذر فينام المُخدَّر ويضعف النبض والتنفُّس الَّا ان الاحساس يدوم فاذا قُرص او أُعمل فيهِ المبضع تحرَّك وتوجَّع . والحدقة تبقى منتشرة والعضلات متقبِّضة عاصية على الثني والمدّ واذا مُسَّت ملتحمة العين (اي باطنها) رفَّت واختلجت الجفون

والدور النخاعي يفقد فيهِ الحسّ اولاً فيحصل التخدُّر التامّ ثم تتلاشى على أثرهِ القوَّة المحركة فتُشلّ العضلات وترتخي . وفي هذا الدور النخاعي تنقبض الحدقة وتجمد ويبطل رفّ العين عند مسّها وتنحلّ العضلات . وهذا هو دور التخدير القانونيّ والحدّ الذي لا يسوغ تجاوزهُ وهو يدوم ٣ او ٥ دقائق ولو أُوقف تنشيق الكلوروفورم فاذا زادت الفترة تراجعت القوى الحسَّاسة والمحركة ولزم لابطالها ثانيةً ٣ او ٥ انفاس جديدة من الكلوروفورم . وعلى هذه الكيفيَّة يمكن ابقاء المريض تحت التخدير ساعة وزيادة بدون خطر بشرط التحفُّظ والانتباه

والكلوروفورم يُسرع في البدء حركات التنفُّس ثم يُبطئها متى حصل التخدير تماماً وكذلك يُسرع النبض في الاوَّل ثمَّ يُبطئهُ ويضعضعهُ ويشوّشهُ . وابطاء التنفس والقلب ناشئ عن فعل الكلوروفورم رأساً على مركزيهما والاوعية الدمويَّة تتمدَّد في بدء التخدير الَّا انَّها لا تلبث حتى تتضيَّق وتدوم متضيِّقة مدَّة دور التخدير كلهِ فيشحب لون الجلد وتنتظم ضربات القلب ويمتلئ النبض ويشتدّ ويرتفع الضغط الشرياني فاذا طالت مدَّة التخدير يتناقص ضيق الشرايين ويُضعف عمل القلب ويرتخي النبض ويهبط الضغط الدموي

ولمعرفة سير التخدير بالكلوروفورم ينبغي تفقُّد اربعة اشياء: اوّلًا الوجه وهو يكون عادةً شاحب اللون (باهتًا) ممتقعًا فاذا ازرقّ لونهُ وجمد واصطبغت الجفون بلون رصاصي فالتسمُّم على الابواب. ثانيًا العيون فان زوال اختلاجها لدى المسّ يدلّ على ان التخدير متمكّن ويقضي بتخفيف التنشيق وتقليلهِ وكذلك جمود الحدقة وتضيُّقها فانها من علامات التخدير الكافي فاذا عادت وظيفة الحسّ اخذت الحدقة بالاتساع تدريجًا. ثالثًا التنفُّس فانَّهُ يجب ان يكون هادئًا ومنتظمًا فاذا كثر السعال والغطيط وخفي السبب يحسن ان يوقف الكلوروفورم برهة ٤ او ٥ تنفسات. رابعًا النبض فان البنج اذا فات حدّهُ القانوني صار النبض خيطيًّا متقطِعًا والتنفُّس ضعيفًا مختلًا وحصل التسمُّم والموت

هذا هو فعل الكلوروفورم الطبيعيّ وسير التخدير بهِ الّا انهُ كثيرًا ما يشذّ عن القاعدة فيفعل افعالًا مضرَّة. ومضارهُ هذه اما بسيطة لا يترتب عليها كبير امر كتواتر السعال وشدَّة التهيُّج وصعوبة التنفس (ويكفي لازالة هذه الصعوبة توقيف البنج ورفع الذقن وجذب اللسان خارج الفم بالملقط الطويل) ووقوف التنفُّس واحتقان الوجه احتقانًا شديدًا فيصير بنفسجيًّا واحيانًا القيء. وفي دور التخدير قد يشتدّ شحوب الوجه فيشبه وجه الموتى أو يصغر النبض ويتسارع وذلك دليل على وجوب مضاعفة الانتباه والملاحظة. واما رديئة قد تؤدي الى الموت والموت يمكن ان يحدث في اوّل التخدير فينشأ حينئذٍ عن وقوف القلب والتنفس معًا وسببهُ صدمة الكلوروفورم للبصلة منتقلًا اليها بالاعصاب الحسَّاسة المتوزّعة في الانف والحنجرة ومنعكسًا عنها على اعصاب القلب والتنفس ومما يساعد على وقوع الموت استعمال العنف والشدَّة في تنشيق الكلوروفورم والامراض القلبيَّة على انواعها وخصوصًا قصور الاؤرطى والامراض الرئويَّة والبليوريَّة المتسعة كذات الرئة وذات الجنب. ويقع ايضًا في اثناء التخدير اذ ينتشر الكلوروفورم في الجهاز التنفُّسيّ فينبه البصلة ويتبع ذلك وقوف القلب اوّلًا ثمَّ وقوف التنفُّس ويقع اخيرًا اذا طالت مدَّة التخدير وكانت الكميَّة المعطاة من الكلوروفورم كبيرة فيتسمَّم القلب بالدم المشحون من هذا المخدّر ويقف ولكن لا دفعة واحدة بل تدريجًا بعد وقوف التنفُّس بعض ثوانٍ. واعتمادًا على ما تقدَّم يشير المعلِم ارلوان (Arloing) بملاحظة القلب والتنفس في الدور الابتدائي وملاحظة القلب في الدور الثاني وملاحظة

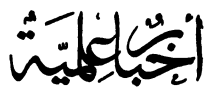
التنفس في الثالث على ان موضع الخطر الاكيد هو القلب لا التنفس لان وقوف التنفُّس لا يغشى المريض بغتةً بل لهُ علامات منذرة بهِ ثم انَّهُ يمكن علاجهُ بواسطة التنفس الاصطناعي كما حدث ويحدث غالبًا لكل جرَّاح خلافًا لوقوف القلب فانَّهُ لا علاج لهُ في اغلب الاحيان

امَّا الايثير فانَّ فعلهُ المخدّر يقرب كثيرًا من فعل الكلوروفورم ولهُ دوران الاوَّل دور التنبُّه والثاني دور التخدُّر الَّا ان تنبيه الايثير أطول مدَّةً واشدّ من تنبيه الكلوروفورم واعراضهُ تحاكي غالبًا اعراض السكر تمامًا. والتخدير بهِ اسرع زوالًا من التخدير بالكلوروفورم ولا يحصل الَّا بعد تنشيقهِ بعشر او عشرين دقيقة. وممَّا يميّز هذين المخدّرين ان الكلوروفورم يضيّق الاوعية الدمويَّة الدقيقة كما سبق تفصيلهُ امَّا الايثير فيمدّدها وينشّط الدورة في اطراف الجسم وبناء على ذلك يكون للايثير مزيَّتان كبريان على الكلوروفورم الأولى انهُ مع التخدير بهِ اي بالايثير لا يخشى من حدوث الاغماء (syncope) كما يخشى من حدوثهِ مع الكلوروفورم لانهُ لا يصدم البصلة كما يصدمها هذا والثانية انَّهُ لا يمدّد القلب ولا يتعبهُ لانهُ يوسّع الشرايين امامهُ فيفرغ فيها الدم بسهولة وراحة خلافًا للكلوروفورم فانهُ يضيّق الاقنية المذكورة فلا يقهرها القلب ويفرّغ دمهُ فيها الَّا بالجهد والعناء ممَّا يفضي سريعًا الى تمدّدهِ ورزوحهِ

وقد تقرَّر الآن بصراحة لا مزيد عليها ان الايثير اخفّ خطرًا وضررًا من الكلوروفورم يؤيد ذلك تقويم غورلت (Garlt) الذي خدَّر بالايثير ١٣١٦٠ حادثة فلم يقع الموت الَّا مرَّة واحدة. في حين ان الكلوروفورم كان معدَّل الموت بهِ مرَّة لكل ١٩٢٤ تخديرًا. وتقويم كولس (Coles) انطق واقنع من السابق وبيانهُ ان معدَّل الوفيات بالايثير وفاة لكل ٢٣٨٠٤ حوادث وبالكلوروفورم وفاة لكل ٢٨٧٣ حادثة وافصح من ذلك ايضًا ما ذكرهُ ڤلاس (Wallas) من ليون وهو ان المعلّم اوليه (Ollier) الجرَّاح الطائر الصيت واحد اعضاء اللجنة الفاحصة التي قدمت لبيروت منذ سنتين استعمل الايثير في ٤٠٠٠٠ حادثة جراحيَّة فلم يقع الموت في واحدة منها وكتب الاستاذ ليبين المحقق المشهور في جريدة « الاسبوع الطبي » ان معدَّل الوفيات بالكلوروفورم وفاة واحدة لكل ١٢٠٠ تخدير امَّا معدَّلها بالايثير فوفاة لكل ٢٣٨٠٤ حوادث فتأمل هذا الفرق البعيد

هذا وفعل الايثير الفيزيولوجي نفسهُ يثبت ايضاً افضليَّتــهُ على الكلوروفودم لانهُ لا يصدم مراكز اعصاب القلب والتنفس في البصلة صدمة فجائيَّة بل تدريجاً ورويداً وبذلك يكون تنبهُ لطيفاً لا خطر منهُ ويكون الايثير أفضل واوفق من الكلوروفودم ولاسيما في العلل القلبيَّة التي يعرض فيهــا الاغماء. ثمَّ انَّ الايثير لا يسبب العوارض المزعجة التي يورثها رفيقهُ فان النوم بهِ اهدأ واشبه بالنوم الطبيعي والافاقة أسهل واقرب من الحالة الطبيعيَّة. واعتمادًا على هذه الحسنات التي انفرد بهــا الايثير اصبح هذا المخدّر الوحيد المعوَّل عليهِ في ليون و بوستن وقد شاع استعمالهُ كثيرًا في المانية في السنين الاخيرة

وممَّا يحسن التنبيه عليهِ ان التخدير بالايثير لا يحصل عليــهِ بمجرَّد صبّهِ على خرقة وتنشيقهِ للمريض كما يُفعــل بالكلوروفودم بل لا بدَّ من تغليف الخرقة بنسيج يمنع نفوذ الايثير وتطاير ابخرتهِ منها او استعمال جهاز خصوصي كقمع جوليار (Masque de Julliard) يكشف ابخرته من دون ان يحرم المريض من الهواء الضروري والمقدار المستعمل للتخدير يختلف بين ٢٠ و ٥٠ غراماً ولا بدَّ من تعويد المريض عليهِ وذلك بتنشيقهِ في بادئ الامر مزيجاً من الايثير والهواء



ترقّي العلوم في سنة ١٨٩٩

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

١ فن المناطيد

قصوى غاية الانسان ان ينشر لواء ملكهِ في الجوّ كما ذلّل البراري والبحار. ومن ثمَّ تعدَّدت في ايامنا الاختبارات لتحسين المناطيــد وهدايتها. فمن ذلك منطاد آدر (Ader) على شكل خفَّاش خفيف الجرم منتشر الاجنحة. ومنهُ منطاد روز (L. Roze) وهو عبارة عن اسطوانتين فارغتين يجعل فيهما الغاز وبين الاسطوانتين سفينة مجهَّزة بأربعة رقَّاصات رقَّاصان يُرتقى بهما الى العلوّ ورقَّاصان في مقدَّم السفينــة

ومؤخَّرها لدفع المنطاد. وقد جرَّب مبتدع هذا المنطاد آلتهُ امام قوم غفير في باريس فكانت نتائج الاختبار حسنة

ومن المناطيد التي شاع في هذه السنة استعمالها مناطيد الرَّصد (ballons-sondes) فانَّ العلماء استخدموها في اكثر عواصم اوربَّة للوقوف على حالات الجوّ وتقلُّبات الهواء في الطبقات العليا وقابلوا بين النتائج التي حصلوا عليها في مراكز مختلفة فكان بذلك لعلم الهيئة نجاحٌ عظيم (راجع المشرق ١ : ٣١٧)

٢ فنّ الدرَّاجات

بلغت الدرَّاجات في هذه السنة من الترقي غايةً لم تكن في الحسبان. فبعد ان كانت هذه الآلات تُدفع بالارجل بضغط الدَستان اضحت اليوم تجري بحركة ذاتيَّة تتعدَّى من بطاريَة كهربائيَّة الى الدواليب فتسيّرها بسرعة عجيبة يمكن ان يلطّفها راكبها كيفما شاء. ومن هذه الدراجات صنف كالعرَبات والحوافل (امنيبوس) والقطارات يسير فيها المسافرون وهي تجري بهم على اسلاك الحديد بدلًا من الخيل. ومن الدرَّاجات ايضًا ضرب آخر يسير على سطح المياه وقد جُعل لهُ في اسفلهِ جهاز من الخشب يثبّتهُ فوق الماء وتحت الخشب نسيج من المشمَّع المرن لمطاوعة حركة المياه مع شكل دقَّة لتدبير الآلة. وهذه الدرَّاجات تقطع نحو ١٢ كيلومترًا في الساعة

هذا وقد ذكرنا سابقًا في المشرق (٢ : ٤٧٨) الدرَّاجات الحربيَّة التي يُناط اليها مدافع صغيرة سريعة الطلقات من طرز مكسيم. وهي مثلَّثة الدواليب يركبها جنديان ويحركانها بالارجل او يتَّخذان محرّكًا كهربائيًا كما سبق

٣ علم الهيئة والفلك

اختبر الفلكيّ وودوَرْد (Woodward) فعل اشعَّة الشمس في الامكنة المفرغة من الهواء فوجد انَّ الشمس لا تضيء في الخلاء. وذلك انَّهُ عمد الى قارورة من زجاج مفرغة من الهواء ثمَّ جعل عليها في كلّ اطرافها ورقًا اسود اللون فيهِ ثلاثة ثقوب صغيرة اثنان منها متوازيان على جانبي قطر الزجاجة والثالث على خطّ عمودي من الثقبين الآخرين فاجاز شعاع الشمس من هذين الثقبين في الزجاجة ذات الهواء المتخلخل ورصد نور الشعاع من الثقب الثالث فلم يرَ في باطن الزجاجة شيئًا وكان اذا ادخل الهواء في الزجاجة رأى الشعاع منيرًا لكلّ جوانبها. فاستنتج من ذلك انّ اشعَّة الشمس

لا تنير طبقات السماء الخالية من الهواء. وانما تتَّصل الى عالمنا على طريقة انتشار اشعَة رنتجن فاذا ادركت هذه فلك ارضنا صارت في جوّنا مضيئةً نيّرةً حامية

= كدَّ الطبيعيّ مونيار (Stan. Meunier) في هذه السنة ذهنهُ في البحث عن الرُّجم والنيازك التي تهبط من الجو في ارضنا ففحص تركيبها وقسمها اقساماً فوجد منها ما هو معدن محض اكثر ما يدخل في تركيبهِ الحديد والسيليسيوم والنحاس والنيكل والقصدير والاثمد والزرنيخ. ومنها ما لا معدن فيهِ فاذا حُلِل وُجد كالموادّ البركانيَّـة مركَّبًا من الكبريت والكربون والازوت والهيدروجين ومزيج الاوكسيجين والمغنيسية وربَّما دخل في تركيب هذه النيازك شيء من الهيليوم والكروم والكوبَلت. وقد ارتأى العالم المذكور ان هذه الرجم قد انفصلت عن بعض الاجرام الفلكيَّة التي تركيبها الجيولوجي كتركيب ارضنا. واكبر مثالٍ يُعرف لهذه النيازك المعروفة يصان اليوم في متحف نيويورك نُقل اليهـا من بلاد غرونلند ثقلهُ ٩٠ طنًّا اي ٩٠٠٠٠ كيلو وهو كلهُ مركَّب من الحديد بنسبة ٩٢/١٠٠ والنيكل بنسبة ٨/١٠٠

٤ علم الجيولوجيا

روت مجلة « العلم » الامركية انَّ في بلاد اوتاه (Utah) من اعمـال الولايات المتَّحدة جسرًا طبيعيًّا طولهُ ٤٥ مترًا وكان اوَّلًا رضام من الصخور فاندفع عليها الرمل ولم يزل يحفُ سفحها حفًّا حتى ثقبها وجعلها على ما هي اليوم. فترى من ثمَّ انَّ للرمل تأثيرًا في هيئة الارض كما انَّ المياه بصدماتها تخرق الوديان وتثقب الجلمود الاصمّ. وما الجسر الطبيعيّ المشهور في لبنان بقرب نبع اللبن الّا من فعـل المياه كما مرَّ في المشرق (١ : ٧٢٥)

٥ الطبيعيَّات والكيميا

بيَّن حضرة الاب كولنجت في مقالة سابقة (المشرق ٢ : ٦٧٣) ترقي فنّ التلغراف بلا اسلاك والمبادئ التي يستند اليهـا هذا الاكتشاف العجيب اذ تنتشر الموجات الكهربائيَّة في الجوّ بعد بلوغها الى سالك مُوصل برأس بعض السواري العالية. فاحبَّ احد العلماء وهو الفرنسيّ دوكريته (Ducretet) ان يتَّخذ هذا الجهاز لمعرفـة قوَّة كهربائيَّة الجوّ وعدد الموجات الكهربائيَّة في وقت العواصف الشديدة. فوضع في قمَّة [illegible] ٦٢ مترًا سلكًا من الحديد جامعًا للتموُّجات الكهربائيَّة التي في الفضاء وهو

مُناط من جهة يقابل الدكتور برَنلي ومن جهة اخرى بالارض. فاختبر دوكريته آلتهُ في عاصفة جرت في شهر حزيران فدلَّ الراقم على انَّ عدد طلقات الكهرباء في الجوّ بلغ ٣١١ وكانت كلّها تسبق ظهور البرق للعيان

= ومن الاكتشافات الطبيعيَّة الحديثة تقوية الصوت في الفونوغراف. ولا يجهل القرَّاء انَّ الفونغراف آلة ترقم الصوت بحيث يمكن حفظهُ واستعاعهُ زمناً طويلاً. الَّا انَّ هذا الصوت دقيق ضعيف فوجد المسيو دوسو (Dussaud) طريقـة لتعظيم هذا الصوت المرقوم في الفونغراف بحيث يضحي جهوراً كالصوت الاصلي وذلك بان يؤخذ فونوغراف ثانٍ ذو قطر اكبر من الفونوغراف الراقم الصوت فيوضع امامهُ فاذا تكلَّم الفونوغراف بلغ الصوت فوهة الفونوغراف الثاني فيرنُّ جهوراً كأنَّهُ صوت المتكلِّم الاصلي

= بلغ المسيو هنري كروس (Cros) من مشاهير الكيمويين الى وضع طريقة سهلة لمعرفة تركيب الاجسام فاذا اراد الوقوف على حقيقة بعض الموادّ الكيمويَّة جعلها وراء حاجز من الزجاج الملوَّن فترى للحال ما كان يظهر للعـين متشابهاً بالبياض او الحمرة او الخضرة يختلف اختلافاً عظيماً على مقتضى تركيبهِ ويظهر اللون الواحد على هيئات عديدة لا تُحصى فيعرف العلماء بذلك ما يدخل الجسم من التركيب. ومن نتائج هذا الاكتشاف معرفة المحصولات المزوَّرة التي يتلاعب بها بعض المشعبذين فيصبغونها مكرًا ويبيعونها كأنَّها خالصة صرفة لا غشَّ فيها

٦ علم الكهرباء

قد دُعي عصرنا عصر الانوار. وذلك يصـدق لا محـالة في النور المادّي لاسيما الكهرباء فانَّها لا تزال في ترقٍّ متواصل. وقد دخلت الكهرباء في هذه السنين الاخيرة بين ادوات المنازل منها للاستصباح ومنها للاصطلاء ومنها للطبخ ومنها للحديث بين طوابق البيت وحُجرهِ المختلفة. وكل ذلك يصير بسرعة عجيبة ونظافة عظيمة كما يقتضي لبيوت الخاصَّة. وما هو احرى بالاعتبار انَّها اقلّ كلفة من سواها. ومن الادوات البيتيَّة التي تستحقّ الذكر مراوح كهربائيَّة تدور بمجرَّد ضغط المروِّح لزرّ يتَّصل باسلاك كهربائيَّة ومنهـا الباذهنجات الكهربائيَّة لترطيب الهواء في مساكن الخاصَّة. ومنها آلة لقصر الثياب وكيّها الى غير ذلك من المبتدعات العجيبة التي تضمن لاصحابها رفاهية العيش. وفي السنة الحاليَّة اختبر البعض الكهرباء في زينة الكنائس والمعاهد العموميَّة فوجدوا

انّ لها مناظر تسحر اللبّ وتبهر العين مع اختلاف ألوان الكهرباء في انابيب غيسلر المشهورة. وقد اصطنع الامركيُّون في خزانة كتب نيويرك قمرًا اصطناعيًّا من الكهرباء يرمي باشعَّتهِ على مئين من القرَّاء يجتمعون ليلًا في تلك القاعة للدرس. وقد سمعنا انّ بعض الامركان والانكليز يفكّرون في استخدام شلّالات اسوان لتوليد الكهرباء اللازمة لانارة اهرام مصر وتمثال ابي الهول ليتمتَّع المصريُّون ليلًا بعجائب بلادهم القديمة

وممَّا ورد في مجلة انكليزيَّة (the Marine Engineer) انَّ جماعة من علماء الكهرباء اجمعوا رأيهم ان ينزعوا المدرَّعة العظمى ڤيكتوريا التي غرقت عند ساحل طرابلس سنة ١٨٩٢ وذلك بواسطة ادوات كهربائيَّة مُمغنطة قادرة على جذب السفينة الَّا انَّ هذا المشروع يقتضيهِ نفقات عظيمة لعلّها تحول دون اخراجهِ الى حيّز الفعل

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رنزڤال اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الخامس

في الالحان التي يكون قرارها من برج الدوكاه

هي واحد واربعون لحنًا الاول « الدوكاه المسمَّى عشاق الاتراك » وهو من دوكاه رست دوكاه رست ثلاث مرار ثم نوى جهاركاه سيكاه دوكاه دوكاه دوكاه رست دوكاه ثم تصعد الى برج الحسيني برجًا برجًا مظهرًا برج الحسيني ثم عجم ثم نوى وجهاركاه مظهرًا ثم سيكاه دوكاه وهذا اللحن يلحقهُ اكثر علماء البلاد الشاميَّة بلحن البياتي بواسطة قرارهِ على برج الدوكاه ولكونهِ يُستعمل فيهِ ربع العجم بدلًا من برج الاوج وسيظهر لك فرقهُ عند تعريف البياتي وانواعهِ

والثاني « الصبا المسمَّى بالمراكب » وهو ان تُظهر الجهاركاه وتلمح الحسيني ثم جهاركاه سيكاه دوكاه

والثالث « صبا همايون » وهو رست مظهرًا كردي دوكاه رست مخفيًا ثمَّ جهاركاه مظهرًا ثم سيكاه دوكاه . وهذا اللحن يكون استعمال ربع الكردي فيهِ ليس كبرج

حقيقي موضوع لقيام اللحن بل تلميحاً منهُ لانَّ الابراج التي قبلهُ وبعدهُ لا يبطل استعمال احدهما

والرابع « صبا چاويش » فهو جهاركاه مظهرًا ثم حجاز جهاركاه مظهرَين ماهور مظهرًا ثم شهناظ ملمَّحاً ثم ماهور عجم مظهرًا حسيني حجاز جهاركاه سيكاه دوكاه. فظهر ان هذا اللحن يُفسد فيهِ برج النوى و برج الاوج ويُستبدل عنهما بربعَي الحجاز والعجم وبسبب فساد برج النوى يبطل استعمال غمَّازهِ الذي هو برج الحير ويستعمل بدلاً منهُ ربع الشهناظ تلميحاً لانهُ غماز برج الحجاز الذي قام مقام النوى. وفي عصرنا هذا يكثر المنشدون من اهل مصر الحركات من هذا اللحن عند انشادهم لحن الصبا غير انهم قلَّما يرتفعون بهِ الى الماهور

والخامس « النادي » وهو اظهار النوى ثم جهاركاه بوسليك مخفيًّا دوكاه فيفسد في هذا برج السيكاه ويستعمل بدلاً منهُ ربع البوسليك

والسادس « بياتي عجمي » وهو اظهار النوى قليلًا ثم اظهار ربع العجم كثيرًا ثم حسيني ثم نوى جهاركاه مظهرَين ثم عجم حسيني نوى جهاركاه سيكاه دوكاه فيُفسَد في هذا اللحن برج الاوج ويكون بدلاً منهُ ربع العجم ولا يصعد فيهِ الصوت الى ما فوق العجم من الابراج

والسابع « بياتي نوى » وهو اظهار النوى ثم نيم حصار مرغوغاً ثم نوى جهاركاه مظهرًا ثم نوى ثم حصار ثم نوى جهاركاه سيكاه مظهرًا ثم عجم ثم حسيني نوى جهاركاه سيكاه دوكاه. وهذا اللحن يستبدل فيهِ الاوج بالعجم واما برج الحسيني فيبقى فيهِ على حاله غير انهُ يلمَّح بهِ نيم حصار في الابتداء

والثامن « بياتي الحسيني » وهو حسيني مظهرًا ثم نيم عجم مرغوغاً ثم حسيني نوى مظهرًا جهاركاه سيكاه مظهرًا نوى حسيني ثم تنزل برجاً برجاً الى الدوكاه. وهذا اللحن ايضاً لا يُستعمل فيهِ برج الاوج وما فوقهُ بل يُستبدل الاوج بربع العجم وهو البياتي المعروف عند اهل الشام في عصرنا هذا وعند اهل مصر يقال لهُ نيريز [1] واما النيريز في الحقيقة فهو غيره وسيأتي بيانهُ

والتاسع « الشوري بياتي » وهو اظهار النوى ثم ماهور ثم ربع النهفت ثم تيك

[1] او نيرز (راجع رسالة روض المسرات ص ٣٩)

حصار ثم نوى مظهرًا جهاركاه بوسليك مظهرا ثم نوى ثم حصار ثم نوى ثم تنزل برجًا برجًا الى الرست مظهرًا ثم عجم ثم تنزل برجًا برجًا الى الدوكاه. فهذا اللحن مركَّب من لحنين احدهما الحجاز من على برج النوى عند الاستهلال وبسببه اقتضى الامر استعمال الحصار والنهفت بدلاً من الحسيني والاوج والثاني لحن البياتي الحسيني عند القرار وحينئذٍ يُبطل الحصار ويُستعمل بدلاً منهُ الحسيني ويبطل النهفت ويستعمَل بدلاً منهُ العجم وفي هذا اللحن لا يُبطل مطلقًا سوى برج الاوج فيكون النهفت بدلاً منهُ اولاً والعجم ثانيًا

والعاشر « ذوري بياتي » وهو اظهار النوى ثم محيَّر ثم ماهور عجم حسيني نوى ثم جهاركاه بوسليك مظهرًا ثم عجم ثم تنزل برجًا برجًا الى الدوكاه . وهذا اللحن يُستبدل فيهِ الاوج ربع العجم واما برج السيكاه فلا يبطل منهُ دائمًا بل عند الاستهلال يُستعمل بدلاً منهُ البوسليك واما عند القرار فيستعمل السيكاه ويُهمل البوسليك

والحادي عشر « اليَزيدْ كَند » وهو ان تعتبر النوى دوكاه وذلك بابطال برج الحسيني والاوج واستبدالهما بربعَيْ الحصاد والعجم وتعمل من عليهِ لحن الصبا (١ ثم جهاركاه سيكاه ثم عجم حصار نازلاً برجًا برجًا الى الدوكاه الاصلي. هكذا عرَّفتهُ ارباب هذه الصناعة والذي اراه في تعريفه ان يقال هو بان يُعمل الصبا من الدوكاه ثم يُنزل من الجهاركاه برجًا برجًا الى العشيران لان ما ذكروه مُميِّز على النسبة التي ذكرتها وتعريفهم يصعب فهمُهُ على المتعلم لتكلفهِ ان يصوِّر الصبا من برج النوى ويتحمَّل مشقَّة ادراك الارباع ولا حاجة الى ذلك مع امكان تصوير اللحن المذكور واجرائهِ من الابراج الصحيحة. وبرهانه ان نسبة العشيران الى العراق كنسبة الدوكاه الى السيكاه ونسبة العراق الى الرست كنسبة السيكاه الى الجهاركاه ونسبة الرست الى الدوكاه كنسبة الجهاركاه الى النوى ونسبة الدوكاه الى السيكاه كنسبة النوى الى الحصار ونسبة السيكاه الى الجهاركاه كنسبة الاوج الى العجم ٢) واعلم ان لحن الظرفكند الذي

---

١) لانك اذا صورت لحن الصبا من على النوى وجب ان يكون البعد بين النوى وما بعده ربعَين اي حصار والبعد بين الحصار وما بعده اربعة ارباع اي عجم لان الصبا على ما قد سبق يستعمل دوكاه ثم كردي ثم جهاركاه . والصبا هنا صبا همايون

٢) كذا في جميع النسخ

يستعملهُ اهل عصرنا في البلاد الشامية فهو لحن البَزِيدْ كَندْ بعينه والظرفكند غير هذا كما يأتي بيانه في محلّهِ

والثـاني عشر « الحسيني » وهو حسيني جهاركاه نوى حسيني مظهرًا ثم ماهور اوج مخفيّين ثم نوى مظهرًا مع ربع الحجاز ثم نوى ثم حسيني ثم ماهور ثم اوج ثم تنزل برجًا برجًا الى الدوكاه. واعلـم ان ربع الحجاز لا يستعمل دائمًا في هذا اللحن لكن استعمالهُ احيانًا عند ما يكون المنشد هابطًا اليهِ من الابراج التي فوقه وقاصدًا الرجوع منهُ الى فوقهِ واما من كان قاصدًا النزول الى ما دونه سواء كان يقصـد القرار ونهاية الحركة ام يقصد الرجوع الى ما هو اعلى منهُ قبل القرار فحينئــذٍ يلزم ان ينزل من برج النوى الى الجهاركاه ثم الى ما دون ذلك ولا يتعرَّض لربع الحجاز وهكذا عند الصعود من الادنى الى الاعلى فيمرّ على الجهاركاه ولا يتعرَّض لهُ كما تقدم

(تنبيه) متى قلنا عند تعريف احد الالحان تنزل الى برج او ربع كذا وتنزل برجًا برجًا الى برج كذا فالمراد بهذا النزول هو النزول على الابراج الصحيحة دون الارباع

والثـالث عشر « لحن حسنيك » وهو حسيني حصار ثم نوى مخفيًا ثم جهاركاه ثم سيكاه دوكاه

والرابع عشر « البوسليك المشهور عند عامة القوم بالعشاق » [1]) وهو حسيني نوى جهاركاه بوسليك دوكاه وهذا اللحن يُفسد فيهِ برج السيكاه ويكون بديلًا منهُ ربع البوسليك

والخامس عشر « حصار بوسليك » وهو حسيني حصار مكرَّرَين ثم محير ثم شهناظ ثم اوج ثم حصار جهاركاه بوسليك دوكاه . وهذا اللحن في غاية التشويش لانهُ يُفسد فيهِ ثلاثة ابراج وهي السيكاه والنوى والماهور ويكون البوسليك والحصار والشهناظ بدلًا منها وقد رأيتُ بعض الموسيقيين يصور هذا اللحن من برج العراق هربًا من هذا

---

[1]) فكثيرًا ما تراهم يطلقون اسم العشَّاق على الحان ليست من هذا الدور وسبب ذلك شهرة العشاق واهميته لانهُ على ما يروي لاند في تأليفهِ على الديوان العربي Land : *Recherches sur la Gamme ar.* p. 36-37) كمثالٍ قياسي لكل المقامات التي لا تختلف عنـهُ الّا بانتقال نصفَي الطنينيّ معًا كما في الادوار اليونانية والكَنَسة او بتبديل بعض الابعاد في الجمع التام المنفصل غير ان الظرفكند وغيره تنحرف عن تلك المماثلة انحرافًا يُذكر

التشويش وذلك بان يرفع برج الرست ربعًا واحدًا ويجعلهُ نيم زركلاه وينزل الدوكاه ربعًا واحدًا ويجعلهُ تيك زركلاه ويجريه على هذا الدوزان ويقربهُ الى العراق

والسادس عشر « لحن الحصار » وهذا اللحن كالذي قبلـه غير ان برج السيكاه يكون فيهِ على حالةٍ ولا يُستعمل فيهِ ربع البوسليك

والسابع عشر « لحن الشهناظ » وهو محير مع ربع الشهناظ مكرَّرَين ثم اوج ثم محير شهناظ ثم محير حسيني ثم نوى ثم اوج ثم حسيني ثم اجراء لحن الحجاز بتمامـهِ الى الدوكاه . وهذا اللحن يُفسد فيهِ برج الجهاركاه وبرج الماهور ويكون بديلًا منهما ربع الحجاز وربع الشهناظ

والثامن عشر « شهناظ بوسليك » وهو لحن الشهناظ بتمامـهِ ثم نوى جهاركاه وبوسليك دوكاه . فعُلِمَ من ذلك ان لحن الشهناظ الاصليّ هو ما كان معهُ لحن الحجاز وهكذا لا يكون الحجاز ذيل البوسليك ولذلك يُفسد في هذا اللحن برج السيكاه وفي ذاك برج الجهاركاه وفي كليهما برج الماهور ١)

والتاسع عشر « كردي حسيني » وهو لحن الحسيني لكن يُستعمل فيـهِ ربع الكردي بدلاً من السيكاه وينزل الى برج الدوكاه مع الرست

العشرون « الظرفكند » وهو ماهور اوج مكررَين ثم ماهور الى النوى مظهرًا ثم ماهور ثم نوى وحسيني مخفيَّيْن ثم اوج مظهرًا ثم ماهور اوج حسيني نوى مظهرًا ثم عجم مخفيًا ثم تنزل برجًا برجًا الى السيكاه ثم دوكاه رست ثم ماهور مع تلميح المحير ثم تنزل برجًا برجًا الى الدوكاه وفي هذا اللحن لا يُستبدل شيء من الابراج الصحيحة لكن في بعض الحركات يُلمّح العجم اذا كان ابتداء النزول منهُ لا ممَّا فوقهُ

(تنبيه) هذا اللحن مع اللحن الذي يليهِ حتى ان الحانًا اخرى في عصرنا هذا لا تميزها ارباب الموسيقى بمصر عن لحن الحسيني ٢) وذلك لعدم تعمُّقهم في هذا الفن ولان اكثر عنايتهم بتنميق الالفاظ والتخنُّث في التلحين على وجه يحرّك السامع الى التهتك

١) يريد بهِ ان البوسليك (وهو اللحن الرابع عشر من الدوكاه) يفسد فيهِ السيكاه وان الشهناظ يفسد فيهِ برج الجهاركاه لان الشهناظ كما قال يعمل فيهِ لحن الحجاز وسنرى في هذا الاخير افساد الجهاركاه

٢) والحسيني الثاني عشر من الحان الدوكاه وقد مرّ بيانه

والخروج عن الادب ولذلك لم يصرفوا عنايتهم الى اتفاق اصول الفن وفروعه

والحادي والعشرون « نجدي الحسيني وهو ماهور مظهرًا ثم تنزل برجًا برجًا الى الجهاركاه ثم نوى وحسيني ثم تلمح العجم وتنزل برجًا برجًا الى السيكاه ثم جهاركاه ثم ماهور وتنزل برجًا برجًا الى الدوكاه وفي هذا اللحن ايضـًا لا يكون استعمال ربع العجم الا تلميحًا عند ما يكون الربع المذكور اعلى محل تنزل منهُ الى ما دونه

والثاني والعشرون « صبا حسيني » وهو ان تجعل الحسيني بمنزلة الدوكاه وتعمل من عليهِ لحن الصبا ثم تنزل نوى جهاركاه وتختم بلحن الصبا على برج الدوكاه الاصلي

والثالث والعشرون « لحن الشروقي » وهو حسيني مظهرًا ثم ماهور اوج مخفيين حسيني مظهرًا نوى وحجاز ثم دوكاه ثم تختم بلحن الصبا . وهذا اللحن عنـد استهلاله والهبوط فيهِ من الاعلى قد يُستعمل ربع الحجاز بدلاً من الجهاركاه وعند الختام يبطل ذلك الاستبدال ويكون العمل منهُ برج الجهاركاه

الرابع والعشرون « لحن العروب » وهذا لحن الحجاز بتمامهِ ثم تنزل الى برج العشيران ثم ترجع الى الدوكاه . وهذا اللحن يُفسد فيهِ برج الجهاركاه ويكون بديلًا منـهُ ربع الحجاز

الخامس والعشرون « لحن الحجاز » وهو اظهار النوى ثمَّ حجاز ثمَّ سيكاه دوكاه وهذا اللحن كالذي قبلهُ يُستبدل فيهِ برج الجهاركاه بربع الحجاز واماَّ اهل عصرنا فيُجرون الحجاز اجراء لحن العرباء وفي اكثر اعمالهِ يصعدون بهِ الى برج الاوج والى ما فوقه ايضًا

السادس والعشرون « لحن العرباء » وهو نوى مظهرًا مع العرباء اي نيم حجاز مكرَّرَين ثمَّ حسيني مظهرًا ثمَّ نوى ثمَّ عرباء مظهرًا ثمَّ سيكاه دوكاه . وهذا اللحن ايضًا يستبدل فيهِ برج الجهاركاه بالعرباء

السابع والعشرون « لحن الاصفهان » الحجازي وهو نوى مظهرًا ثم حجاز مكرَّرَين ثم حسيني نوى حجاز سيكاه ثمَّ حسيني نوى حجاز ثمَّ سيكاه ثم دوكاه وهذا اللحن ايضًا يُستعمل فيهِ ربع الحجاز بديلًا من الجهاركاه

الثامن والعشرون « لحن الشاورك » وهو نوى مظهرًا ثم حسيني ثم نوى ثم عرباء ثم بوسليك دوكاه هكذا عرَّفوه والأصوب ان هذا اللحن من الالحان التي تكون على

برج النوى وحينئذٍ لا حاجة الى استعمال الارباع لانهُ يخرج من الابراج الصحيحة وبامتحان النَسَب يتَّضح ما ذكرناهُ وذلك لا يخفى على من لهُ بصيرة في هذا الفن

التاسع والعشرون « لحن الماءرتَّاه الروميّ » وهو لحن الشهناظ المتقدّم بيانه عند الهبوط الى القرار يُستعمل لحن الصبا بدلًا من لحن الحجاز الذي يُتَمِمون بهِ لحن الشهناظ ولهذا لا يُفسد في هذا اللحن سوى برج الماهور الذي يكون ربع الشهناظ بديلًا منهُ (١

الثلاثون « لحن العَرَزْباي » وهو ماهور مظهرًا ثم عجمي ثم حسيني ثم ماهور ثم حسيني نوى جهاركاه ثم عجم حسيني نوى الى الدوكاه . وهذا اللحن يُفسد فيهِ برج الاوج ويكون بديلًا منهُ ربع العجم

الحادي والثلاثون « لحن الرندين » وهو ماهور نهفت تيك حصار نوى جهاركاه ثمَّ يُسلّم تسليم البياتي الى الدوكاه(٢ . هكذا عرَّفوه وبمقتضى هذا التعريف يُفسد فيهِ برج الاوج والحسيني ويكون بدلها ربعا النهفت والتيك حصار والاصوب ان يجعلوا هذا اللحن من فروع العشيران لان ذلك اقرب الى الفهم اذ لا يُفسد فيهِ الَّا برج الجهاركاه ويكون بديلًا منهُ تيك الحجاز وبرهانه امتحان النسب ولا حاجة الى تكرارهِ

الثاني والثلاثون « لحن البزيز » وهو عجم مظهرًا ماهور محيَّر عجم حسيني عجم نوى جهاركاه كردي دوكاه واماّ اذا نزلتَ بعد ذلك الى العشيران ووقفت عليهِ فيقال لهُ حينئذٍ « عجم عشيران » وهذا يُستبدل فيهِ الاوج بالعجم والسيكاه بالكردي

الثالث والثلاثون « لحن بابا طاهر » وهو محيَّر وتلميح البزرك ثم محيَّر ماهور اوج ثم ماهور اوج حسيني نوى ثم حسيني نوى جهاركاه سيكاه ثم جهاركاه دوكاه سيكاه رست ثم تسلّم تسليم العرزباي وهذا اللحن لا يُفسد فيهِ شيءٌ من الابراج ولكن عند التسليم يستعمل ربع العجم بحيث لا يصعد الى ما فوق

الرابع والثلاثون « لحن المحيَّر » هو محيَّر يعمل من عليهِ صبا ثم تنزل الى الدوكاه وتعمل من عليهِ صبا

الخامس والثلاثون « مقابل محيَّر » وهو محيَّر ثم تنزل برجًا برجًا الى النوى ثم بياتي نوى الى الدوكاه . وهذا اللحن عند التسليم فقط يُوغرغ فيهِ ربع الحصار بسبب ختامهِ بالبياتي

(١) راجع اللحن السابع عشر من هذا الفصل (٢) التسليم هو الانتهاء والخروج من اللحن

السادس والثلاثون « لحن العكبري » وهو رست سيكاه ثم نيم كردي ثم تختم بلحن الحجاز الى الدوكاه . وهذا اللحن عند العُبور فيهِ يُستعمل نيم الكردي بدل الدوكاه وعند التسليم يبطل نيم الكردي ويقرّ على الدوكاه واماً برج الجهاركاه فيُفسد فيكون ربع الحجاز بدلًا منهُ

السابع والثلاثون « لحن الغُذَّل » بضمّ الغين وفتح الذال المشدَّدة معجمتين بعدهُما لام وهو ان تعمل اعمال الحجاز ثم رست ثم كوشت اي قرار نهفت ثم قرار تيك حصار ثم يكّاه ثم ترجع الى الدوكاه . وملخَّص هذا اللحن انَّهُ لحن الحجاز من الدوكاه وعند التسليم ينزل فيهِ بحركة حجاز من على الرست نوى اي اليكاه ويرجع يقف على الدوكاه وهكذا يحصل لو جعلت لحن الحجاز من برج الحسيني ونزلت عند التسليم بحركة حجاز من على برج الدوكاه ورجعت واقفاً على برج الحسيني

الثامن والثلاثون « لحن الزركلاه » وهو من الالحان التي يكون قرارها على أحد الارباع وقد استُحسن وضع كلّ منها مع الالحان التي تكون من على البرج المجاور لذاك الربع لانها قليلة العدد فاستُغنيَ بذلك عن وضع بابٍ مخصوص لتعريفها . وهذا اللحن الذي نحن في الكلام عنهُ فهو دوكاه زركلاه مكرَّرًا ثم بوسليك حجاز نوى ثم حجاز بوسليك ثم تظهر الجهاركاه ثم بوسليك دوكاه وتقف على ربع الزركلاه

التاسع والثلاثون « اسكي زركلاه (١ » وهو دوكاه زركلاه عراق زركلاه دوكاه وتختم باعمال الحجاز وهذا اللحن يُستعمل فيهِ عند الدخول فيهِ ربع الزركلاه بديلًا من برج الرست ثم عند التسليم يُستعمل فيهِ ربع الحجاز بديلًا من برج الجهاركاه

الاربعون « عجم بوسليك » وهو لحن العجم (٢ واعماله ثم حسيني واعمال لحن البوسليك وبالتسليم على برج الدوكاه

الحادي والاربعون « قراركاه » وهو اعمال لحن الصبا الى الدوكاه ثم زركلاه عراق ثم دوكاه وفي هذا اللحن يُفسد برج الرست ويكون بديلًا منهُ ربع الزركلاه

(ستأتي البقيَّة)

---

١) اي زركلاه القديم في اللغة التركية

٢) وهو من الحان برج الاوج حسب تقسيم المؤلف

بَركة العِنَب في الكنائس الشرقيَّة

ملخَّص بتصرُّف عن مقالة للاب يوحنَّا باريزو البندكتيّ

من جملة ما اوصى بهِ الربّ في العهد القديم شعبهُ اسرائيل (خر ٢٢: ٢٩،٢٣: ١٩ عد ١٨: ١٢) ألَّا يتأخَّر عن تأدية بواكير غلَّاتهِ وثمارهِ. فجرت الكنيسة على هذه العادة في بدء النصرانيَّة كما يشهد على ذلك كتاب الرسوم الرسولية (٧: ٢٩) وكتاب تعليم الرسل (١٣: ٣ و ٤). امَّا محصول هذه التقادم فكان يُجعل للذين خصَّهم الربّ بنعمة النبوءة او يُوزَّع على الفقراء. ثمَّ قرَّرت الكنيسة ان تُعطى بواكير الحنطة والزيت والخمر والاثمار والصوف لكهنة الكنيسة (الرسوم الرسولية ٢: ٣٤) ليستعينوا بها في معاشهم

وكانت العادة ان يأتي المؤمنون بهذه البواكير فيضعها الاسقف بازاء المذبح ويتلو عليها صلوات معلومة. وفي كتاب رسوم الرسل (٨: ٤٠) اقدمُ صلاةٍ وضعتها الكنيسة لمثل هذه الرُّتبة الدينيَّة وفيها يطلب الاسقف من الله ان يحلَّ سابغ بركاتهِ على ثمار الارض وغلَّاتها التي جاد بها على البشر بمنّهِ ورحمتهِ

ثمَّ اقتصرت الكنيسة على بركة السنابل الجديدة وبواكير العنب لما بينهما وبين القربان من العلاقة ثمَّ اضافت الى ذلك بركة الزَّيت المتَّخذ لانارة الكنائس وبركة البخور الموقد في الرُّتب الدينية. وكان المؤمنون يأتون باكداس السنابل ومقاطف العنب ليُبارك عليها في اثناء الذبيحة المقدَّسة بركةً خاصَّة وعيَّنت الكنيسة لذلك صلاةً معلومةً تُتلى باحتفال وأُبَّهة. امَّا بقيَّة الاثمار فكانت تُحمل الى دار الاسقف او الكاهن فيبارك عليها بركةً عموميَّة

وهذه العوائد عمَّت كنائس الغرب والشرق معاً مع بعض الاختلافات في امورٍ طفيفة منها انَّ المؤمنين في القسطنطينيَّة كانوا يحفظون التقادم بعد بركتها ويأكلونها اكلهم للزاد المقدَّس. واوَّل من اثبت هذه التقارير البابا اوطيخيان (٢ في القرن

(١ راجع Jacquier : *La Doctrine des Douze Apôtres*

(٢ راجع Duchesne : *Liber Pontificalis*, I, 159

الثالث (٢٧٣—٢٨٣) وعيَّن لبركة اثمار الكرم اليوم السادس من آب (١ وادرج في القداس الصلاة الآتية ليتلوها الاسقف على العنب :

بارك اللهم هذه بواكير العنب التي بلَّغتها بفضلك الى تمام النُّضج بما آتيتها من ندى السماء وغزارة الامطار وصفاء الجوّ ثمَّ انعمت علينا بها لتتخذها لمعاشنا شاكرين. نطلب ذلك باسم ربّنا يسوع المسيح الذي بهِ لم تزل تجدينا هذه الحسنات(٢

ثمَّ اخذت الكنائس الخاصَّة هذه البركة ونظمتها ايضًا في سلك رُتبها الليتورجيَّة بعد نقلها من اللغة اليونانيَّة التي بها كُتِبت (٣ فتجد لذلك في الليتورجيَّات القديمة كالسريانية والكلدانيَّة واللاتينيَّة والارمنيَّة الصلاة نفسها مع بعض عبارات أُضيفت اليها . وهاك مثالًا عن هذه الترجمات وهي الصلاة التي كانت تُتلى سابقًا بالسريانية كما وجدناها في بعض الكتب المخطوطة في مكتبة باريس الكبرى (٤ :

ܨܠܘ[ܬܐ] ܥܠ ܒܟܘܪ̈ܐ ܕܦܐܪ̈ܐ ܚܕ̈[ܬܐ].

ܒܪܟ ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ ܦـــܐܪܐ ܗܢܐ ܚܕܬܐ ܕܓܦܬܐ
ܕܪܒܝܐ ܕܐܐܪ ܒܫܘܦܪܐ ܡܛܪܬܐ ܕܫܡܝܐ. ܘܡܛܪܐ
ܕܫܡܝܐ. ܘܫܘܠܡܐ ܕܙܒܢܐ ܕܫܢܬܐ. ܕܡܛـــܐ
ܕܢܓܡܪ ܘܐܬܡܠܝ ܠܡܫܡܠܝܘܬܐ. ܘܗܘܐ ܠܢ
ܘܢܗܘܐ ܠܗܘܢ ܡܘܟܠܐ. ܠܡܫܒܩܢܐ ܕܚܛܗ̈ܐ.
ܠܡܫܒܩܢܘܬܐ ܕܚܛܗܐ ܕܦܓܪܐ ܩܕܝܫـــܐ. ܕܡܫܝܚܟ
ܘܡܫܝܚܢ. ܘܢܗܘܐ ܠܒܘܪܟܐ ܘܠܬܘܕܝܬܐ ܠܗ. ܐܝܠܝܢ
ܕܐܟܠܝܢ ܡܢـــܗ. ܠܚـــܕܘܬܐ ܘܠܚܘܠܡـــܢܐ
ܘܠܦܘܪܩـــܢܐ ܕܢܦܫ. ܘܠܚـــܕܘܬܐ ܕܠܒܘܬܢ
ܘܠܚܘܠܡܢܐ ܕܦܓܪܢ ܘܢܦܫܬܢ. ܒܛܝܒܘܬܗ ܕܒܪܟ
ܡܪܢ ܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܕܥܡܗ ܠܟ ܫܘܒܚܐ ܘܐܝܩܪܐ
ܘܐܚܝܕܘܬܐ. ܥܡ ܪܘܚܟ ܩܕܝܫܐ ܛܒܐ ܘܡܚܝܢܝܬܐ.
ܗܫܐ. ܘܒܟܠܙܒܢ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ. ܐܡܝܢ

صلاة على ثمار العنب الجديد

بارك ايها الرب الاله هذا الثمر الحديث ثمر الجفنة الذي نما بحسن ندوَّة الهواء ومطر السماء وقرار فصول السنة حتى بلغ الى تمام نضجهِ واضحى لنا مأكلاً . فليكن لنا نحن الذين اتَّخذنا منهُ هذه التقدمة غفرانًا للخطايا بواسطة الجسد الطاهر المقدَّس جسد مسيحك . وليكن بركةً وتكثيرًا وسعادةً لمن يقتربون فيأكلون منهُ ليخوّل قلوبنا بهجةً واجسامنا ونفوسنا صحَّةً بنعمة ابنك يسوع المسيح ربّنا الذي يحقُّ لك معهُ التسبحة والعزّ بصحبة روحك المقدَّس بكل النعم ومسبب الحياة الان وكل اوان الى دهر الداهرين امين

١) وكانت الكنيسة تعيِّد في هذا النهار عيد الشهيد البابا سيكستس (†٢٥٨) ثمَّ انتشر في الكنيسة عيد تجلي الرب فبقيت رتبة بركة العنب في هذا النهار

٢) وقد جرت العادة في كثير من كنائس ايطالية ان تتلى هذه الصلاة نفسها لبركة الباقلاء (الفول) بابدال لفظة « العنب » بالباقلّاء. وقد اختصوا الباقلّاء بالبركة لانها من مآكل الايطاليين الشائعة

٣) لا يخفى ان الكنيسة الرومانية في الثلاثة القرون الاولى كانت تستعمل اللغة اليونانيَّة في طقوسها

٤) Fond Syriaque N° 100, *fol.* 216ᵛ, 217ʳ

وفي السريانية صلاة أُخرى تراها مدوَّنة في ليتورجيَّــة الروم الملكيين في المجموع الذي اخذنا عنهُ الصلاة السابقة (*fol.* 224) :

ܣܓܘܠܐ ܕܚܝ̈ܐ ܕܐܬܦܪܩܘ ܒܪ̈ܝܬܐ ܒܕܡܗ .
ܘܐܬܚܘܪܬ ܐܣܛܠܝܗܘܢ ܡܢ ܨܐܬܐ ܕܚܛܝܬܐ
ܒܚܡܪܗ . ܘܐܬܥܛܝ ܪܘܫܡܐ ܕܚܒܠܐ ܡܢ ܦܓܪܐ
ܕܐܕܡ ܚܝܒܐ . ܗܘ ܢܚܕܝܢ ܒܛܝܒܘܬܟ . ܘܢܩܒܠܝܗ
ܡܢܟ ܘܢܗܘܐ ܡܢܛܪܢܐ ܠܟܪ̈ܡܝܢ ܘܢܥܒܕ
ܡܢ ܛܥܢܐ ܠܣܘ̈ܓܠܝܗܘܢ . ܐܝܟ ܬܐܡ̈ܐ ܒܟܪܣܗ
ܕܪܦܩܐ . ܘܬܣܩ ܬܫܒܘܚܬܐ ܠܫܡܗ ܕܝܗܘܒܐ
ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ ܐܡܝܢ

هذا هو عنقود الحيــاة الذي بدمهِ فُديت البرايا وبخمرهِ غُسلت حلَّتها من رجس الخطيئة فأمَّحت علامة الهلاك من جسم آدم الاثيم . فليسرَّنا هذا العنقود الذي يأتينا من فضلك وانقبلهُ منك كحرز يصون كرومنا و يوقر الثمار على دوالها حتَّى تنضغط كالتوأمين في بطن رفقة وتصعــد تسبحتنا لاسم الرب الوهَّاب الى دهر الداهرين آمين

وكانت عادة بعض كنائس الغرب بعــد هذه البركة ان يُعصر في الكأس شيء من عصير العنب فيُقدَّس مع الخمر الاعتيادي

امَّا اليوم فقد بطلت اكثر هذه الصلوات القديمة وفي الكنيسة اليونانيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة يُتلى بدلًا منها صلوات عموميَّة تشمل كلَّ الاثمار الجديدة وتُقــال على البيادر وقطف الكروم كما ترى في الدعاء الآتي حسب طقس الكنيسة السريانيَّــة الكاثوليكيَّة :

ايها الرب الاله يا من يُقيت كلَّ ذي جسد ويكفيهِ نتوسَّل الى مراحمك الغزيرة بان تبسط يمينك الغير المنظورة وتبارك هذه الاثمار (او البيادر) وتضاعف غلَّات عبدك هذا وتوعب خزائنهُ من ثمرة الحنطة والخمر والزيت ومن جميع الخيرات وتهبهُ ازمنــة صالحة وتحفظهُ من كل شرّ وضرر ولك نُصعد الحمد والشكر الان وكلَّ اوان

وفي الانخولوجيون الكبير للروم الكاثوليك (ص ٢١١) صلاة كهذه . وتجد مثل ذلك في الليتورجيَّــة اللاتينيَّة الَّا ان هذه الصلوات لم تعد تُتلى في اثناء القــدَّاس الالهي . واعلم انهُ لم تزل رتبة بركة العنب جاريةً برونق واحتفال في الكنيسة الارمنيَّــة لاسيما الغريغوريَّة وذلك في ١٥ آب يوم عيد السيِّدة فيُبــارك العنب بالكنيسة ويخرج الشعب الى البساتين لزيارة الكروم ولترويح النفس

ومن كلّ ما تقــدَّم يظهر جليًّا ان كثيرًا من الطقوس الجارية حتى اليوم في الكنيسة كانت في القرون الاولى من النصرانيَّة شائعة في كنائس الغرب والشرق معًا ولم يكن فقط وفاق تامّ بينهما في ما يختص بعقائد الايمان بل كان الشرقيون يتَّخــذون

من الغربيين اعيادهم وطقوسهم ورتبهم الدينيَّة كما انَّ الغربيين لم يأنفوا ان يقتفوا بكنائس الشرق في امور كثيرة من شأنها انعاش روح التقوى والعبادة في القلوب. ولم يشذّ عن هذه القاعدة سوى اهل الاصلاح الموهوم الذي ثلَّ دعائم الايمان ونقض التقاليد القديمة وابطل الطقوس والرُّتب البهيَّة التي كانت حلية الكنيستين بعد ان اثبتها الآباء وقرَّرتها المجامع فعمَّت كلَّ الامم. فهذا هو الاصلاح او بالحريّ الزوان الذي اشار اليهِ الربّ بقولهِ انَّ رجل السوء هو الذي زرعهُ في حقلهِ. فحذارِ أيها الشرقيون من هذا الزوان الذي يخنق في قلوبكم بذرًا حسنًا زرعهُ الزارع الالهيّ وما بغيتهُ الَّا ان يلقى تربةً صالحة فيزكو ويأتي بعضهُ بثلاثين وبعضهُ بستّين وبعضهُ بمئة ضعف.

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ووقفتُ على منشور للوالد باسترجاعهِ لاقطاعهِ عن يحيى بن ابراهيم وبني ابن العفيف تاريخهُ في الخامس جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٧٢ م) وكان الوالد قد تعرَّف بجركس الخليليّ (١ عينهِ كبير امراء مصر وكان خصيًا متميّزًا عند السلطان برقوق يستعين بهِ على اغراض (102 ^٧^) الدولة. وكان جركس يُحضر القمح من مصر في البحر الى بيروت. ثمَّ يحضر الى بيروت الشيخ شمس الدين محمَّد بن الجوزيّ فيما يتعلَّق بالقمح المذكور. وكان ابن الجوزيّ من علماء زمانهِ وكان مقرَّبًا عند جركس الخليليّ. فلمَّا اختلفت الحال على المذكور توجَّه الى بني سلجوق وحظي عند السلطان ابن عثمان وكان السلطان يعمل برأيهِ. وكان ابن الجوزيّ متمكّنًا في المملكة السلجوقيَّة متعلّقًا باهلها ثمَّ توجه الى شاه رخّ بن تمرلنك وحظي عندهُ وتوفي في بلادهِ. ولمَّا حضر ابن الجوزيّ الى بيروت مدح الوالد بهذين البيتين:

شبهنا بهِ الفضل بن يحيى بن خالد ... فلام ابن يحيى في المكارم خالدا
ولمَّا دخلنا ثغر بيروت لم نجد ... بهِ غير يحيى للمكارم رائدا

وقال يمدحهُ ايضًا:

١) كان من اكابر الامراء في اواخر دولة الاتراك المصرية واوائل دولة الجراكسة قتلهُ يلبغا الناصري سنة ٧٩١ ه (١٣٨٩ م)

رأيتُ اميرَ العرب يحيى بن صالحٍ يفوق وزير الشرق يحيى بن خالدِ
وأين زمانٌ بالكرام معمَّرٌ الى زمن فيهِ نزى فرد واحدِ

وقيل كانت معرفة الوالد بجركس الخليليّ بواسطة قُطْلُبك وكان قطلبك من اصحاب بهادر الاستادار الذي نشأ عند منجك ثمْ صار الى استادارية السلطان برقوق. وقد تقدَّم في ذكر بهادر انَّهُ قد رُبّي صغيرًا ببيروت وكان جركس ترل(103[ظ]) عن اقطاعهِ لولدهِ ناصر الدين محمَّد بن عليّ الآتي ذكرهُ بعد هذه الطبقة ان شاء الله. وكان تزولهُ عن اقطاعهِ لمرض اصابهُ وخيف عليهِ منهُ. ثمّ ابلّ من مرضهِ فاستمرّ ولدهُ على الاقطاع في حياة ابيهِ. وجهاتهُ بامرية عشرة وقد تقدم ذكرها. فباعوا منها امرية خمسة للاميرين شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين ولعزّ الدين ابن ظهير الدين ابن جواد. ثمّ باعوا لابن الحمراء رحيين ونصفًا ثمّ استرجعوهما

وتزوَّج علاء الدين عليّ المذكور ستّ الجميع بنت عماد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف وهي امّ ولدهِ ناصر الدين المذكور وامّ اخوتهِ الذين تُوفوا صغارًا فلم يُعرَفوا بين الناس معرفةً تستحقّ الذكر. وفاتهُ رحمهُ الله (١

فصل

قد تقدَّم ذكر عمائر زين الدين صالح بن علي في عرامون وانَّهُ اوَّل ما عمَّر الحارة التي عند العين. وكانت عمارتهُ لها قبل الفتوح للسواحل بعدَّة سنين ثمَّ سكنها هو واولادهُ ولم اسمع انّ عليًّا والد زين الدين عمَّر شيئًا بعرامون ولا غيرها. ثمَّ انَّ زين الدين المذكور عمَّر في رأس عرامون وقصد في بدايتهِ ان يجعلهُ حصنًا ثمَّ ثنى عزمهُ عن عمل الحصن وعمَّرهُ بيوتًا للسكن ولم يسقف البناء وكان سكنهم في الحارة التي عند العين. فلمَّا توفّي وتوفّي بعدهُ ناهض الدين بحتر وكرامة بن بحتر وبقي الاخوان شرف الدين علي وبدر الدين يوسف ولدا زين الدين اقتسما السكن فطلع بدر الدين يوسف الى عمائر الراس وسكنها وبقي شرف الدين علي في (103[و]) الحارة التي عند العين. فذريَّة بدر الدين يوسف سكنوا عمارة الراس وذريَّة شرف الدين علي سكنوا حارة العين واستمرُّوا على ذلك الى هذا الوقت. وكل من توفّي من الذريَّتين دُفن في التربة

١) كذا في الاصل بدون تعيين السنة

التي في الرأس. وذكروا عن بدر الدين يوسف انّهُ بعد طلوعهِ الى سكنى عمارة الرأس لم يكمِل اربعين يوماً حتى توفّي وكانت وفاتهُ سلخ صفر سنة احدى وسبعمائة (١٣٠٢ م) كما تقدّم ذكرهُ

واماً عرامون فقد ذكروا عنها انّهُ قبل ما يعمِّر فيها زين الدين ابن عليّ عمائرهُ لم تكن بيوتها العامرة الّا دون عشرين بيتاً وهي حول العين. ولم يكن عمارة غير ذلك البتّة فلم تزل الناس تتكاثر بها وتعمِّر فيها الى ان صارت كما هي اليوم. وذكروا انّ اوّل من رغب في عرامون جماعة من اهل خلدة طلعوا منها فسكنوا عرامون. وكذلك اهل مرتغون طلع منهم جماعة فسكنوا في عين كسور وكانوا اربع طوائف وهم: بنو الجيش وكان منهم اعيان واستقطعوا إقطاعات وكانوا طائفة قليلة. وفي هذا الوقت قد فرغوا. ومنهم مهاجريّة ونشأ بينهم بعض الاعيان. ومنهم بنو غازي المشكورون في عقلهم ودينهم. ومنهم بنو نحرير. واماً المهاجريّة فكانوا اكثرهم عدداً. وهم طوائف فَلَحوا عرامون وعمّروها الى وقتنا هذا. وقد اختلط بعضهم ببعض. وبلغني انّ بينهم بعضاً يُعرفون ببني عبيدة (104[r])

المُلحقون بالطبقة الثالثة

هم الذين كان اوّل منشإهم في اواخر ايام زين الدين ابن ناصر الدين المذكور في اوّل الطبقة الثالثة فجعلنا زين الدين المذكور اوّلها وهؤلاء الذين نذكرهم هنا آخرها ونبتدئ بذكر جمال الدين احمد ابن صلاح الدين ليكون ذكرهُ تابعاً لذكر اقاربهِ الامراء بعرامون

جمال الدين احمد ابن صلاح الدين خليل ابن سيف الدين مفرج العراموني

كان كريماً وافر المروءة ذا ذكاء وفطنة وعلم ومعرفة حسن الذات والاخلاق محبّاً لاهل الخير مشكوراً بينهم رماهُ اهل زمانهِ بالاغراض وتتبّعوهُ بالمضاربات فتحمّل لذلك ديوناً غرمها. ثمّ نزل عن اقطاعهِ لعماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين محمّد بن خضر وجهاتهُ بامريّة خمسة: ربع عيتات وربع شملال وربع سرحمور وربع دقون وربع عين درافيل وربع مجدلياً وربع رمحالا وسدس عين عنوب وسدس عيناب وسدس بتاتر وسدس كفرعمّيه وسدس قطعة ارض العمروسيّة

وتزوّج جمال الدين المذكور سارة بنت تقيّ الدين ابرهيم ابن ناصر الدين الحسين ابن خضر وكانت قبلهُ زوجة شهاب الدين احمد ابن زين الدين ابن الحسين وتوفيت المذكورة في ايامهِ سنة خمس وثمانمائة (١٤٠٣م)

ذكر ولدي فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين احمد

أحدهما الامير شهاب الدين احمد بن عبد الحميد وهو الكبير كان شهاب الدين رجلًا خيّرًا مشكور السيرة (104[v]) تزوّج سارة بنت فتح الدين محمد ابن سعد الدين خضر وهي ام ولدهِ جمال الدين محمّد. وكانت وفاة شهاب الدين المذكور رحمهُ الله تعالى ليلة الاربعاء السابع عشر من شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبعمائة (١٣٨٣م) قطرتهُ فرسهُ في سيرها فتوفّي لساعتهِ وكان ذلك في ظاهر بيروت فحُمل الى اعبيه

والثاني اخوهُ حسام الدين عليّ كان رجلًا كريمًا ذا مروءة وكان كثير المخالطة للنّاس كثير الاسفار. اخذ في زمن بيدكر نائب الشام مباشرات على بعض جهات اقطاعهِ واخذ مباشرات بالبقاع وبلد صفد وكان قد اشترى اقطاعًا من ابن خالهِ ناصر الدين الحسين ابن ابرهيم ابن ناصر الدين الحسين وجهاتهُ(١ . . . . ثم باعهُ حسام الدين المذكور للحاج حسن بن عبدان ثمّ اشتراهُ من حسن هذا الاميرُ عزّ الدين ابن شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد. وكانت وفاة حسام الدين رحمهُ الله (٢ قتيلًا وشُنق غريماهُ في يوم دفنهِ

ذكر ولدي ظهير الدين عليّ ابن عزّ الدين جواد بن سليمان الرمطوني

اكبرهما الامير سيف الدين غلّاب كان جيّدًا خيّرًا ذا عقلٍ وسكون وصغر نفس ورائضة خلق فسكن رمطون في عمائر جدّه وجهات اقطاعهِ: نصف عين حجّة ونصف القبيّ ونصف الفسيقين. بقي بيدهِ مدّةً ثم باع ذلك لشرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد (105[r]) تزوّج ريمة بنت علاء الدين عليّ ابن ناصر الدين الحسين في الثاني عشر من ربيع الاوّل سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (١٣٧١م). وكانت وفاتهُ رحمهُ الله في رجب سنة تسع وثمانمائة (١٤٠٧م) ولم يعقب خلفًا

واخوهُ هو الامير عزّ الدين حسن كان اميرًا جليل القدر ذا منزلة بين الناس حسن السياسة والتدبير جيّد الرأي وافر العقل ساس نفسهُ احسن سياسة ورأسها أجمل رئاسة

١) هنا بياض بالاصل ٢) كذا بلا تعيين السنة

وكان مُغرَى بالصيد بالطيور الجوارح. وتربَّى صغيرًا بعد وفاة أبيهِ عند خالتهِ امرأة سعد الدين خضر ابن عزّ الدين فتعلَّم من خضر الحشمة وغواية الطيور. وكان بيدهِ اقطاع ابيهِ وجهاتهُ بامرة خمسة: ربع قدرون وربع رمطون وربع عين كسور ونصف عاليه ونصف الدوير ونصف الخربة وعيتات واللبانة ونصف قطعة ارض بقرطيّه ونصف الصبيحيّة ومن درب المغيثـة خمس قراريط ومن العبَّاسيَّة نصف بطلُّون ونصف الطغرانيَّـة والحوراء والقبيّ. واخذ عليهِ زيادةً من سعد الدين خضر واخذ اقطاع رمحين ونصف من علاء الدين العراموني ونصف بطلون والطغرانيَّة والحوراء ونصف مزرعتي البون (١ ودارَيّا مع جهـات في بيروت. وتزوَّج زمرُّد بنت خالهِ بدر الدين موسى ابن زين الدين وهي امُّ اولادهِ. ولم ينشأ منهم احد غير محمَّد عاش بعد ابيهِ مدَّةً يسيرة وكان صغيرًا. وكانت وفاتهُ رحمهُ الله (٢

وبعد وفاة عزّ الدين المذكور جعلوا لولدهِ محمَّد نصف اقطاعهِ وجعلوا لسيف الدين ابي بكر ابن شهاب الدين احمد النصف الآخر ليناظر محمَّدًا المذكور وكان صبيًّا صغيرًا عاش بعد أبيهِ مدَّةً ثمَّ توفي واتَّصل اقطاعهُ الى الامير عزّ الدين صدقة وذلك خارجًا عن رمحين ونصف الزيادة المشتراة من علاء الدين كان عزّ الدين حسن قد اعطاهـا شرف الدين عيسى بمنشور كتبهُ قبل وفاتهِ

ذكر الامير ناصر الدين الحسين ابن تقيّ الدين ابرهيم ابن ناصر الدين

كان هذا من اهل الخير والدين والثقة كثير الدرس للعلوم صادق اللهجـة مقبول القول متمسكًا بالكتاب والسنَّة ودودًا لاصحابهِ كثير الشفقة والحنوّ عليهم محبًّا لاهل الخير يؤثر مجالستهم ومحادثتهم وكان قد نال من اقطاع ابن عمّ ابيهِ سعد الدين خضر ابن عزّ الدين حسن ثمَّ باعهُ لحسام الدين عليّ بن عبد الحميد المقدَّم ذكرهُ وذكرنا معهُ هذا الاقطاع. وتزوَّج ناصر الدين المذكور ريمة بنت ظهير الدين عليّ بن جواد الرمطوني وهي أُمّ اولادهِ. ثمَّ توفيت وتزوَّج بعدها حسناء بنت علاء الدين عليّ ابن زين الدين وكانت قبلهُ زوجة بدر الدين حسن بن عماد الدين موسى العرامونيّ وكان زواجهُ بها في ثالث شهر شعبان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة (١٣٩٠ م) ولمَّا توفي ناصر الدين المذكور كان عمرهُ خمسًا واربعين سنـة وكانت وفاتهُ رحمه الله في نهار السبت خامس

١) تُعرف اليوم بمزرعة البوم ٢) كذا بلا ذكر السنة

عشر جمادى الآخرة سنة احدى وثمانمائة (١٣٩٩ م) (106¹)

قدَّمنا ذكر هؤلاء المذكورين على ذكر ابناء اولاد زين الدين المبدوء بذكرهِ في الطبقة الثالثة لكون فيهم من هو اسنّ منهم واقدم عهدًا فقدَّمناهم بالذكر على ابناء زين الدين لترتيب المعاصرة التي عاصروا فيها بعضهم بعضاً وان كان منهم من هو اصغر من ابناء اولاد زين الدين فهو تبع لقرابتهِ فاقتضت الحال ان نجعلهُ مع اقاربهِ ونجعل ابناء اولاد زين الدين يتلو بعضهم بعضاً ويكون ذكرهم خاتمة طبقة جدّهم

(ستأتي البقيَّة)

عقل الحيوان

(ردّ على مكاتب الضياء)

للاب لويس شيخو اليسوعي

لم يقنع « الكاتب الفاضل خليل بك سعد » بانتقادنا على مقالتهِ في « قوى الحيوان العاقلة » التي نشرها في مجلة الضياء . فحاول في العدد الاخير من هذه المجلة (١٥:٢) نقض الادلَّة اللامعة التي اثبتنا فيها فساد رأيهِ والاحرى ان نقول انَّهُ ضرب عن هذه البيّنات صفحاً ليلتجئ الى المماحكة والتمويه ويسرُّنا انَّهُ صرَّح هذه المرَّة عن نيَّتهِ ودافع جهارًا عن وحدة العقل في الانسان والبهيمة ولم يتستَّر كما فعل في مقالتهِ الاولى

هذا واننا نشكر لجناب الكاتب ثناءهُ على الاباء اليسوعيين « لفضلهم في نشر المعارف ولوقوفهم بالمرصاد لانتقاد كل ما يشتمون فيهِ رائحة المباينة للمبادئ الموكول اليهم تعضيدها فيخدمون بذلك الأمَّة والعلم خدمةً تذكر فتشكر اذ لا يخفى ما يترتب على الانتقاد والمناظرات الادبيَّة في العلم من العوائد الكثيرة التى تنجم عن البحث واحتكاك القرائح فضلًا عن استلفات الجمهور للمطالعة والاستفادة » . والحقّ يُقال أننا لم نردّ على كاتب هذه الاسطر ألَّا لما لمحنا في مقالتهِ من ثلّ اركان « المبادئ الموكول الينا تعضيدها » بل قل بالاحرى انها المبادئ الموكول تعضيدها الى كل ذي عقل صائب وذوق سليم فان رشقها احد بسهامهِ وجدنا في طريقهِ للدفاع والمناضلة عنها . وذلك ما اوجب نكيرنا على « حضرة العلامة الفاضل صاحب مجلة الضياء » لأنَّهُ بتسامحهِ في

نشر مقالة سفسطيَّة تساوي بين الحيوان والانسان في مجلة مصدَّرة باسمه كأنَّهُ يصادق على هذه الآراء الكفريَّة فضلًا عن كونه يُريب القرَّاء بصحَّة معتقده. فهيهات اذن ان نعدَّ « نشر مثل هذه الحقائق (الاباطيل) خدمةً للعلم والدين » وانَّما نعتدُّها ضلالًا ومفسدةً للاخلاق يتَّفق معنا في ذلك كلُّ اصحاب الاديان ونصراء الآداب. وقد شعر بذلك قرَّاء مقالة « قوى الحيوان العاقلة » لانهم لم يطلبوا من صاحبها متابعة هذا البحث الَّا « مع التردُّد والوجل » فليت شعري ما لهم يتردَّدون ويوجلون ان كان مدار الكلام على حقيقة من الحقائق. فانَّ الحقَّ لا يتردَّد ولا يوجل بل لهُ الفوز والظفر شاء اعداؤهُ ام ابوا. والاولى ان يقول جناب المدافع عن عقل الحيوان انهم لم يتردَّدوا الَّا لعلمهم بان مقالتهُ تخالف مُعتقد كلّ من لهُ شاعرة دينيَّة او حسٌّ ادبيّ

ولكن هلمَّ نفحص ما اتانا بهِ « الكاتب الفاضل » من الادلَّة الجديدة لدحض مقالتنا. قال: « يُعترض علينا بما جاء في المزمور التاسع والاربعين: وهو الانسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي لا عقل لها . . الخ »

(جوابنا) على هذا القول: اوَّلًا أنَّنا لم نعترض على جناب الكاتب بهذه الآية او غيرها من آيات الكتاب الكريم لعلمنا انَّ من يُثبت عقلًا للحيوان لا يؤمن بالكتب المنزلة وانَّما اتخذناها مطلعًا لمقالتنا. امَّا ادلَّتنا فانَّها ادلَّة عقليَّة وقد سكت عنها جناب الكاتب أفلعلَّهُ لم يقف عليها ؟ وان وقف فما لهُ لم يدحضها ؟

ثانيًا لم نروِ آية المزمور كما رواها جناب الكاتب فلم نَقُل: « هو الانسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي لا عقل لها » بل رويناها بالحرف عن ترجمتنا المطابقة للاصل العبرانيّ: « كان الانسان في كرامة فلم يفهم فماثل البهائم وتشبه بها ». فكيف اجاز الكاتب لنفسهِ ان يفسد روايتنا كي يردَّ عليها فذلك ممَّا يدلّ على احد امرين امَّا أنَّهُ لم يطالع مقالتنا او انَّهُ حرَّفها عمدًا ليفنِّدها وكلا الامرين عارٌ على صاحبهما

ثالثًا انَّ آية المزامير كيفما ترجمها جناب البك الى العربيَّة تؤيّد قولنا لانَّ مرجعها الى انَّ الانسان يختلف اختلافًا جوهريًّا عن الحيوان فاذا تعدَّى وصاياهُ تعالى أضحى كالبهيمة فلم يتخذ عقلهُ المفرز لهُ عن الحيوان كمصباح يستنير بهِ لمعرفة ارادة الخالق واتمامها. هكذا فسَّر عامَّة المفسّرين لهذه الآية منذ بدء النصرانيَّة الى يومنا وعليه فانَّ قول الكتاب يبيّن صريحًا انَّ العقل هو المميّز الوحيد بين الحيوان والانسان

ثمَّ اردف جناب الكاتب بعد ذلك قولهُ بان الكتاب المقدَّس « لم ينفِ كون المبدإ العقلي فيها وفي الانسان واحدًا »

(فنجيب) اوَّلًا كجوابنا السابق انَّنا لم نبنِ بحثنا على آيات الكتاب بل على براهين عقليَّة قاطعة فما بال جناب البك يغيّر نقطة الجدال ؟

ثانيًا قد تعدَّى الكاتب طورهُ بالالتجاء الى الكتاب الكريم فانهُ ليس من ذويه ولعلَّهُ لم يقرأهُ قطّ بل ولم يؤمن بهِ . وعلى كل حال نجيبهُ جواب ذاك المصوّر الشهير للحذَّاء المنتقد على ما سوى النعل في صورتهِ : « لا تتجاوز الحذاء » فلكل رجل صنعتهُ

ثالثًا قد استغربنا في الضحك عند مطالعتنا ما سطَّرهُ جناب البك ليثبت انَّ للحيوان عقلًا اذ استشهد بالحيَّة التي نطقت فأغوت المرأة الاولى في الفردوس . فنسأل راقم هذه الحروف ألعلَّهُ رأى حيَّات كثيرة تنطق مثل هذه ؟ وان كانت هذه الحيَّة نطقت بطبعها فما لبقيَّة الحيَّات نسينَ لهجة اجدادهنَّ لاسيَّما وانَّ اصحاب الترقّي يزعمون انَّ الحيوان كما الانسان كان في البدء جرثومةً صغرى فلم تزل في تحسُّن دائم الى ان صارت كما هي اليوم وسوف تصير كالانسان في مستقبل الزمان — وان كانت لم تنطق الحيَّة بطبعها فكيف استحلَّ جناب البك قولهُ « بانها لم تكن شيطانًا » او آلةً في يدهِ الَّا انَّ هذا القول مطابق لزعم من ينكر وجود السحر كما فعل الضياء (١ : ١٢٩ , ٢٠٢) والهلال والمقتطف مرارًا وقد فنَّدنا زعمهم بما لا يُنقض من البراهين الشرعيَّة والعقليَّة في البشير والمشرق

رابعًا وكان في وُسع الكاتب ان يأتينا بآية أُخرى من آيات الله هي أقوى على بيان حجَّتهِ وما نعلم سبب سكوتهِ عنها ألا وهي آية أتان بلعام (سفر العدد ٢٢) التي نطقت بكلامٍ اعقل من كلام الحيَّة وحرَّضت راكبها على طاعة الله عزَّ وجلَّ بينما كان نُطق الحيَّة للتمرّد والعصيان . ولكن ابى كاتب مقالة « قوى الحيوان العاقلة » ان يستشهد بأتانٍ لعلمهِ انَّ لا احد من القرَّاء يسلِّم لهُ بعقل امّ الآذان الطويلة

فلنأتينَّ الآن الى براهين جناب البك التي أسندها الى الوجه العلمي . وما ادراك ما هذه البراهين ؟ هي « شواهد عديدة تدلُّ دلالة صريحة على وجود التعقُّل في الحيوان والتدرُّج في الادراك الى حدّ يكفي للدلالة على كون المبدأ العقلي فيهِ وفي الانسان واحدًا ولا يختلف عن تعقُّلنا الَّا في الكمّ والكيف »

(نقول) انّنا كنّا نتوقّع براهين عقليّة تنقض الحجج التي اوردناهــا في ردّنا الاوّل (المشرق ٢ : ٧٥٢) فعاد جناب الكاتب يذكّرنا « بالشواهد الدالّة على تعقّــل الحيوان » التي عرضها بمقالتهِ السابقة . كأنّنا نجهل او لم نسلّم لهُ صريحًا (راجع مقالتنا ص ٧٥٤) بان في العجماوات دلائل كثيرة تدلّ على نباهتها وذكائها . وانّما نكر عليهِ كلّ النكير انّ هذه الدلائل تنبئ بعقلٍ او مبداٍ عقليّ في الحيوان . اثبتنا ذلك ببيّنات ناطقة وشواهد صادقة لم ينقض منها جناب الكاتب ذرّةً واحدة بل ولم يأتِ لهــا بذكر . أفهكذا يكون فنّ الجدال ? فلينصف المنصفون

امّا قولهُ « انّهُ لا يمكننا ان نبيّن الى ايّ حدّ تنتهي الغريزة في الحيــوان » فذلك محض سفسطة . كما لو قلنا « انّهُ لا يمكننا ان نبيّن الحاجز الموجود بين النبات والحيوان فاذن مبدأ حياة الحيوان والنبات واحد » أفلا يرى جناب البك ان النتيجــة تخرج عن المقدّمات . فان لم يمكن بيان هذا الحدّ انّما يكفي ان نميّز بين قوى الحيوان وقوى النبات فانّ للنبات النموّ والتناسل وللحيوان الحسّ والقوى المشتركة كالمخيلة والذاكرة ولا يشتبه الامر على احد من البشر . وكذلك نقول عن سليقة الحيوان والعقل البشري فانّ لكل منهما خواصّ يميّزها كل انسان وان سلّمنا بعدم علمنا بالحدّ الذي يمكن السليقة ان تبلغهُ . وعليهِ فقد سقطت حجّة جناب البك ونعيد الامل بان ينظر في ادلّتنا السابقة ويجيبنا عنها . ولهُ الفضل سلفًا

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

فلمّا رأى المسافرُ الهنديَّ عند أقدامهِ قال :

لا تظن انَّ بكاءك يخدعني أيّهــا الشقيّ فانكم تريدون ان تدفنوني حيًّا في هذه المضايق كما فعل امثالكم بغيري فذهبوا ضحيَّة اطماعكم

قال هذا واطرق صامتًا وسكت الجميع معهُ . . .

وبينما هم كذلك اذا بصدى صوت بشريّ دوت لهُ الجبال كأنّهُ صوت ملهوفٍ آنس من الحياة يطلب عونًا في بلائهِ

فنصت الكلّ ليعلموا ما الامر الّا انّ الصوت انقطع عنهم فلم يعودوا يسمعوهُ ثانيةً . . . فقال المسافر للهنود:

أسمعتم . . لعلّهُ مسافر مثلي ضلّ السبيل في هذه المهاوي . . وا لهفي عليهِ فان صوتهُ اثار في فؤادي لوعةً كأنّهُ سهم نفذ في سويداء قلبي . . . بل ويلًا لي انا الذي وقعت في مثل اخطار هذا المنكود الحظّ

وبينا هو يقول ذلك اذ لاحت منهُ نظرة الى الثلج فوجد آثار اقدام حديثة . فصرخ من وقتهِ: « سيروا امامي متَّبعين هذه الآثار فلا ريب انها تبلغ بنا الى حيث ضلّ المسكين الذي سمعنا صوت صراخهِ »

قال هذا ودفع امامهُ الهنود وهو لا يزال يتهدّدهم بفردهِ ان لم يسيروا طوعًا واخذ المسافر يقتفي الآثار على الثلج ويسير ركضًا الى الهاوية وهو لا يدري . فما كان غير قليل حتى انهار الثلج وسمعت بغتةً ضجّة عظيمة اشدّ من الاولى هولًا فارتدّ المسافر حالًا الى الوراء وكانت قد انسلخت وقتئذٍ قطعة من الثلج فهبطت الى القعر وكان لها دويّ عظيم دلّ المسافر على انّ هناك هاوية كبيرة

هناك هناك . . . في تلك الهاوية كان قد وقع مسافر نظيرهُ في طلب الذهب ولولا الدويّ المذكور لكان هو لحق بسالفهِ . هناك . . . كان يريد الادلاء ان يتركوهُ . . . ولو لم يهدّدهم بالرصاص لما رجعوا عن قصدهم الخبيث . ثمّ انّ المسافر اخذ يفتكر في نفسهِ قائلًا: « اذا كان هؤلاء الهنود قد عدلوا في الظاهر عن مغادرتي لخوفهم من القتل فمن يضمن انهم لا يتركونني متى جنّ الليل وانا نائم لا اعي على شيء » . ونظر بعدئذٍ الى الهاوية فشاهد جسمًا ينوس في الهواء فظنّ انّ بصرهُ يخدعهُ ولكنّهُ حدّق ليتبيَّن ما يراهُ فشاهد حقيقةً جسم انسان يتذبذب في الفضاء

وحينئذٍ ظهرت علامات القلق على وجه احد الهنود . وكان هذا الهندي قد صاحب المسافر من نصف يوم وقد صادفهُ مع اثنين من رفقائهِ فعرضوا عليهِ خدماتهم وادَّعوا انهم راجعون من ألاسكا

والتفت الغريب الى الهندي فرأى سحنتهُ متغيّرة فعلم انهُ هو هو الذي كان قد شهر عليهِ خنجرهُ من مدَّة قريبة ليقتلهُ وعلم الهندي انّ المسافر قد عرفهُ فاسرّ الى رفقائهِ بعض كلمات وما كاد يتمّمها حتى اجتمعوا جميعًا حول المسافر المسكين وخناجرهم

مسلولة وهم يتهدَّدونهُ بالقتل. امَّا المسافر فمد يدهُ الى غدَّارتهِ بثبات جاش ووقف ينتظرهم ثمَّ رمى احدهم فاصابت الرصاصة كتفهُ فوقع جريحًا وكان احدهم قد جاء من ورائهِ زحفًا قاصدًا ان يُغمد فيهِ خنجرهُ بينما يكون مشتغلًا بقتال الاثنين الباقيين الَّا انَّ المسافر تنبَّه لهُ فتركهُ حتى اقترب ووجَّه اليهِ رصاصة فجندلتهُ على الارض صريعًا

وكان ان هنديين وفدا حينئذٍ لنصرة اخوانهم على المسافر وكانا خفيفي الحركة فتسلَّقا الى صخر هناك ووقفا وراءهُ واخذا يرميان الغريب بالحجارة فاصابهُ حجر في جبهتهِ فجرحهُ وخرج الدم متدفقًا. فلمَّا شاهدهُ الهنديان الباقيان تحتُ مجروحًا هجما عليهِ فاطلق عليهما الرصاص من غدَّارتهِ تباعًا حتى انعقدت سحابة من دخان البارود فوق الفريقين. ثمَّ انتشب القتال بين الفريقين جسمًا الى جسم فكان المسافر يدافع عن نفسهِ دفاع اليأس والهنديان يشتدَّان كلَّ ما طال الوقت. ولمَّا رأى الهنديَّان الآخران اللذان كانا قد تسلَّقا الى الصخر انَّهُ لم يبقَ عليهما خوف من الرصاص ترلا بسرعة وطفقا يعاونان رفيقيهما على قتال المسافر الذي كان اذا اتَّقى ضربة احدهم لا يسلم من ضربة الآخر

الفصل التاسع

في تلاقي الاعداء

وبينما كان المسافر في ضيق شديد وقد اوشك الهنود ان يفتكوا بهِ اذ انفتح باب الفرج لانهُ ما شعر بالهنود الَّا وقد اطلقوا سوقهم للريح هاربين ملتمسين النجاة. امَّا المسافر فما كاد يصدّق ما يرى فاخذ يتطلَّع حولهُ ويحدق النظر ليرى ما السبب الذي حمل اولئك الهنود على الهرب فلم يبصر شيئًا. واخيرًا شاهد قافلة قد طلعت من المضيق فطلق يصرخ باعلى الصوت: «اليَّ اليَّ هلمَّ الى مساعدتي». فلم تسمع القافلة صوتهُ بل ظلَّت سائرةً. وكان قد بقي معهُ غدَّارتان فاطلق بهما عدَّة طلقات متتابعة استلفاتًا لانتباه القافلة وهو ينادي ويصرخ: «هلمَّ لمساعدتي هلمَّ اليَّ»

فما كان غير ثانيةٍ او ثانيتين حتى وقفت القافلة واخذت تتنصَّت الى موضع الصوت. وكانت القافلة تتركَّب من ثلاثة حمَّالين يتقدَّمهم دليل بيدهِ عصًا طويلة ومسافر ذو قامةٍ معتدلة لابس برنيطة عريضة الجوانب. فدارت ببطء حول الجبل حتى انتهت اخيرًا الى محل اللهيف وهكذا تمت نجاة المسافر. وامَّا صاحب البرنيطة العريضة فتقدَّم

ثمَّ انهُ وقف فجأةً ولاح عليهِ ان هزَّة فرح عظيم اخذتهُ فخفض بجدة جوانب برنيطتهِ فوق عينيهِ وهو يقول همساً: « هو . . . هنا !! »

الّا انَّهُ كان قد تقدَّم كثيرًا بحيث تعذّر عليهِ الرجوع وشعر ان الهنود مستعدّون لمبادرتهِ او للثوران عليهِ ورأى جثّتين ملقاتين على الارض وهما تختبطان بالدماء وشاهد الغدَّارات تلمع في منطقة المسافر

وكان المسافر قد اتى اليهِ وجعل يخبره ُ عمَّا جرى لهُ من الحوادث وكيف ضلَّ الطريق وكيف مكر بهِ الادلّاء وهمّوا بقتلهِ ثم اراهُ الجراح التي أُصيب بها وكانت كلها لحسن الحظّ غير خطيرة. وكان صاحب البرنيطة العريضة يسمعهُ وهو ناكس البصر وقائل في نفسهِ: « انهُ لم يعرفني ولا يستطيع ان يعرفني ومع ذلك فلننتظر ونرَ ما يكون ». واخيرًا التفت اليهِ قائلًا:

هل انت آتٍ من مدينة جونو ؟ والى اين تذهب ؟

— نعم واني سائر الى داوسون . ولعلّك أنت ذاهب اليها ايضًا ؟

— لا انا قاصد « فورتي ميل »

— بما انَّ الادلّاء والحمَّالين الذين كانوا معي قد تركوني تضطرّني الحال للالتجاء اليك

وكان صاحب البرنيطة محوّلًا رأسهُ ومشتغلًا بالنظر الى الهاوية فظنّ المسافر انَّهُ لم يسمعهُ فكرَّر عليهِ مقالتهُ. امَّا صاحب البرنيطة فلم يجاوبهُ على شيء. ولكنَّهُ نادى بالهنود الذين معهُ آمرًا اياهم بالسير. وحينئذٍ انتبه المسافر من غفلتهِ وحدَّق البصر في صاحب البرنيطة فتذكَّر انَّهُ يعرف الرجل لكن لم يتذكر اين شاهدهُ. وكان هذا مُصَمِّمًا على السير اذ لاحت من المسافر التفاتة الى الهاوية فصرخ بصوتٍ هائل قائلًا: « يا الله ما هذه الجثّة المعلّقة في الفضاء ». ولمَّا رآهُ يتشنَّج المرَّة بعد المرَّة قال: « كلاَّ انهُ حيٌ وليس بميت ولكن كيف السبيل لانقاذهِ ». والتفت المسافر الى صاحب البرنيطة قائلًا: « أترى هذا الجسم المعلّق في الفضاء ». واشار اليهِ بيدهِ

— وماذا يهمّني منهُ

— انهُ حيّ فقد رأيتهُ يتحرَّك

— واذا كان حيًا أتظنّ انَّهُ يمكن انتشالهُ ؟

— نعم ذلك ليس بمستحيل بواسطة الحبال والامراس لان الهنود اخفاء الحركة لبقون

— او تظن اني ارضى بتعريض الهنود الذين معي للهلكة في سبيل الاتيان بميت لا حراك به ؟

— كيف تقول انهُ ميت ألا ترى انهُ يتحرَّك فضلًا عن اني سمعتُ صراخهُ. انظر انظر اني اعطي مئة فرنك للهندي الذي ينزل اليهِ ويخلّصهُ: لا بل اني ابذل مئتي فرنك في سبيل نجاتهِ. ولا يعرف قيمة الاخطار الّا من عاناها مثلي

امَّا صاحب البرنيطة فاخذ يتبرَّم من العاقبة التي حصلت لهُ. ولكن الهنود لمَّا رأوا بريق الذهب طمعوا في احرازهِ ولم يكن بدٌّ لصاحب البرنيطة من الرضى بما حكمت بهِ الظروف

واخذ ثلاثة من الهنود ينظرون الى حافات الهاوية فاحصين كيف يمكنهم النزول. وكان وقتئذٍ انَّ المعلَّق في الفضاء تنهَّد لآخر مرَّة وتحرَّك ولم يكن معلَّقًا في الصخر الّا بطرف ثوبهِ

وبعد ان نقَّب الهنود عن موضع يستطيعون منهُ النزول عثروا اخيرًا على شبهِ سلَّم طبيعيَّة فربطوا في الصخر حبلًا قويًّا وتمسَّك بهِ احدهم ونزل بغاية الاحتراس. وكان الجسم ينوس في الهواء وفي كلّ لحظة يتوهَّم الناظر انَّهُ سيسقط في الهاوية. وكان المشاهدون من أعلى جالسين سكوتًا كانَّ على رأسهم الطير. اخيرًا توصَّل الهندي بعد الجهد الى حيث كان الجسم معلَّقًا وربطهُ بحبل كان قد استصحبهُ ورفعهُ اليهِ واخذ يجرُّهُ شيئًا فشيئًا صاعدًا بهِ الى ان اوصلهُ الى فوق حيث كان الكلّ ينتظرونهُ بذاهب الصبر. ولكن لم يكن في الجسم ادنى دليل على الحياة فقد كان الوجه اصفر والشفتان زرقاوين متقلصتين والصدر باردًا

امَّا المسافر فانحنى واضعًا اذنهُ على القلب فسمع لهُ نبضانًا خفيفًا فصرخ قائلًا: « انهُ حيّ ». واذ ذاك اقبل الكلّ يفركون الجسم بشدَّة وفصل احدهم اسنانهُ المشتبكة وسقاهُ قليل من العرق وما طال الامر حتى تنفَّس ثم فتح عينيهِ ورفع رأسهُ. ولمَّا وقع بصرهُ على صاحب البرنيطة صرخ صرخةً عظيمة وعاد الى الغيبوبة عن الحسّ

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

الفارس الاسود

مأساة ذات خمسة فصول نثريَّة يتخلَّلها شعر

بقلم نجيب حبيقـه

طُبعت بالمطبعة العثمانية في بعبدا سنة ١٨٩٩ صفحاتها ١٤٧

ما احوج المدارس واندية الادباء والجمعيَّات الخيريَّة الى روايات مهذَّبة تستوفي شروط فنّ التمثيل من حيث اختيار الموضوع وسبك العبارة والتفنُّن في المشاهد والحركات الى غير ذلك من مقتضيات الملاعب التمثيليَّة . وقد طُبع في هذه السنين الاخيرة في مصر وسوريَّة روايات كثيرة الَّا انَّ اغلبها لا يحسن تمثيلها في المدارس لما تتضمَّن من الخلاعة او عواطف العشق البارد فضلًا عن اسهابها المُملّ او ايجازها المُخلّ ومباينتها لسنن الروايات

فسدًا لهذا الخلَل قد عانى الشابّ الاديب نجيب افندي حبيقه مدرّس البيان في مدرستنا الكليَّة دراسة اصول فنّ التمثيل وفروعهِ وطالع تآليف الائمة فيـهِ ثم وضع عدَّة روايات تعريبًا وتأليفًا اجاد فيها ومثَّلها مرارًا فاصابت الحظوى عند الجمهور . ومن جملتها هذه الرواية الموسومة « بالفارس الاسود » جمع فيهـا بين ثلاث روايات افرنسيَّة أَلَّفها الاب كاميل اليسوعي (Le Solitaire des Tombeaux ; le Roi des Oubliettes ; l'Homme de la Forêt noire) فجاءت روايةً بديعة مختلفـة الحركات بهجة المناظر الفجائيَّة لا يؤخذ على واضعها الَّا بعض وهنٍ في لحمة اقسامها وهي مع ذلك رصينة التعبير منشّطة على الآداب الحسنة فنحضّ كل ارباب المدارس على اقتنائها وتمثيلها تفكيهًا لخواطر الجمهور وتنشيطًا لهمم الطلبة

كتاب مصباح اللغتين

وهو اسلوب جديد لتعلُّم اللغة الافرنسيَّة

للمعلم سبع فارس معلوف

طُبع في المطبعة العثمانية سنة ١٨٩٩ . صفحاتهُ ١٨٨

صار لدرس اللغة الفرنسيَّة في بلادنا شأن عظيم لرغبة الجمهور في تعلُّمها واقتباس

فوائدها فتعدَّدت لذلك الكتب المدرسيَّة التي تبحث عن اصول هذه اللغة وصيغها وتراكيبها . والكتاب الذي نحن بصدده من احسن ما طُبع في بلادنا من هذا القبيل استفاد فيهِ صاحبهُ من كُتب المؤلفين السابقين فجمع في تسع وخمسين مثالة اكثر خواص التصريف الفرنسي وألحق كل مثالة بتمرين يتمكّن بهِ الطالب على ممارسة ما درسهُ . هذا وقد لحظنا في طبع هــذا الكتاب بعض الخلل يشوّه شيئاً من محاسنهِ لانهُ من شروط التآليف المدرسيَّة ان تكون مشرقة الحرف صفيقــة الورق حسنة الضبط . فنتمنَّى لهذا الكتاب المفيد رواجاً كي يستوفي صاحبهُ الفاضل عمَّا قريب جميع شروطهِ في طبعةٍ ثانية فيصبح دستورًا لمدارس بلادنا

كتاب الاقتداء بالمسيح

اعاد ترجمتهُ عن الاصل اللاتيني وعقَّب كلَّ فصل من فصولهِ باعتبار يلائمهُ

الاب فرنسيس ماريًا الفرَّاء الحلبي الفرنسيسي المرسل الرسولي

طُبع في اورشليم بمطبعة الارض المقدَّسة سنة ١٨٩٩ , ق ١٦ ص ٦٢٣

اوَّل من عرَّب هذا الكتاب الطائر الذكر الاب سلستينوس دي سان ليدوينا سنة ١٧٣٤ ثمَّ عرَّبهُ ثانيةً الاب انطون ماريَّا الفرنسيسي سنة ١٧٤٢ . فبقي الكتاب منذ ذاك الحين على لغتهِ السقيمة الى ان اعمل النظر فيــهِ المرحوم جرجس زوين ونقَّح عبارتهُ قبل اعادة طبعهِ في مطبعتنا . ففي هذه السنة احبَّ حضرة الاب فرنسيس ماريًا الفرّاء ان يعيد ترجمتهُ ليحلّيها بالضبط والبلاغة معًا . وقد قابلنا بعض الفصول مع الاصل اللاتيني فوجدناها اجلى بيانًا واوفى بالمعنى المقصود مع بعض التأنّق في اختيار الالفاظ . وما يزيد الكتاب حسنًا اعتبارات تقويَّة الحقها حضرة المترجم الفاضل بكل فصل من فصول الكتاب . ومن محسّناتهِ ايضًا انَّهُ طُبع بالحرف القسطنطيني الجميــل يزين صفحاتهِ اطارٌ احمر أنيق . فنهنئ حضرات الآباء الفرنسيسيين على هذا المأثرة الجليلة التي يحقّ على الشرقيين شكرها لحرَّاس الاراضي المقدَّسة

كتاب فلسفة البلاغة

تأليف جبر افندي ضومط

استاذ اللغة العربيَّة بالمدرسة الكليَّة الاميريكيَّة في بيروت

طُبع بالمطبعة العثمانية في بعبدا عدد صفحاته ١٦٢

قلَّما يبحث الجمهور عن فلسفة العلوم وغاية ما يطلبهُ القوم في درس علمٍ ما ان يقف على قواعدهِ ليقتبس من فوائدهِ الَّا انَّ الحكماء لا يرضون بذلك وانَّما ينقبون في البحث عن سبب وضع هذه القواعد ويتقصَّون في كلّ مسألة ليتبيَّنوا عِللها فضلًا عن معلولاتها وبواطنها فضلًا عن ظواهرها فينهجوا بذلك لغيرهم سُبلًا جديدة يسلكونها بعدهم وللبلاغة كما لغيرها من العلوم فلسفةٌ خصوصيَّة توخَّى جناب الاستاذ الاديب جبر ضومط التبحُّر فيها فوضع لكلّ باب من ابواب البلاغة فصلًا جعلهُ كنظر عقلي يتتبَّع بهِ مفردات ذلك الباب لبيان خواصها وتعريف محاسنها التي حمات البلغاء على ايثارها. ثمَّ انتقل الى باب الشعر وبيَّن ما يمتاز بهِ الشعر عن النثر مسندًا اثباتهُ الى ائمَّة الكتَّاب الذين اوردنا كلامهم في كتاب « مقالات علم الادب » وفي كلّ هذه الفصول فوائد كثيرة نحضُّ اهل النظر والتعقُّل على مطالعتها ولا شك في انهم يثنون معنا على همَّة كاتبها ويتمنَّون لكتابهِ الحظوى والانتشار

Les Éres de Gébal-Byblos

par le Dr Jules Rouvier

تاريخ مسكوكات جُبيل

هي مقالة للدكتور جول روڤيه الذي لا يزال يتابع ابحاثهُ المفيدة في المسكوكات القديمة التي ضُربت في مدننا الساحليَّة. ونتيجة هذه المقالة انَّ لمسكوكات جبيل تاريخين احدهما تاريخ اليونان المشهور والثاني تاريخ انتصار اكتاف اوغسطوس على خصمهِ مرقس انطونيوس في اكسيوم السنة ٣١ ق م

ل. ش

شذرات

جبابرة الحيوان — كنَّا نظرنا في متحف كينزنغتون (Kinsing-ton) في لندرة هياكل بعض الحيوانات القديمة التي يبلغ طولها نحو خمسة عشر مترًا

وقد بُني لكلّ واحد سربٌ عظيم كافٍ لعشرين فيلاً. لكنَّ الطبيعيين اكتشفوا على هياكل حيوانات اعظم من هذه جسماً وهو النوع المعروف بالدينوزوري (Dinausu-riens) انتشر في القرون السالفة في كثير من البلاد وقد وُجدت آثاره في اربعة اقطار العالم وكان اكبر مثال يُعرف منهُ الى اليوم يبلغ ٢٠ متراً طولاً الّا ان الاستاذ الاميركي ريد (Reed) وجد آخراً في صحاري كولورادو عظام حيوان منها يبلغ طولهُ ٤٠ متراً وثقلهُ بالمناسبة ٤٠ طناً. وكان عنقهُ يبلغ تسعة امتار وذنبهُ ١٨متراً. والحكومة تسعى اليوم في بناء قاعة كبرى ليُعرض فيها الحيوان بعد تركيب اقسامهِ المختلفة

مقالة الحرب والسلم وقعت هذه المقالة المنشورة في الاعداد السابقة من المشرق موقع الاستحسان فأثنى القرَّاء على صاحبها الشاب الاديب عبد الله افنـــدي رزق الله الشارّ. وقد نقلتها روضة المعارف بحرفها الّا انَّها سكتت عن المجلة المنقولة عنها. وفي سكوتها خلل بالآداب المرعيَّة بين اصحاب الجرائد

تعليم الكتاب المقدَّس للّاتين طلب منَّا اهل القدس الشريف ان نجاوب على كريريسة بهذا العنوان صوَّبها بعض البروتستانت على التعاليم الكاثوليكيَّة ووزَّعوها في جهات كثيرة الّا انَّنا بعد تصفُّحها وجدناها من اكسد البضاعة وهي عبارة عن بعض آيات الكتاب الكريم انتقاها احد الجهَّال فحرَّفها او عرضها في غير معرضها فاستنتج منها نتائج سقيمة لا تخدع الاطفال فضلاً عن اصحاب العقول النيّرة. فمن ثمَّ لم نرَ داعياً للجواب عليها لاسيما انَّ صاحبها تخوَّف من ذكر اسمهِ ولم يتجرَّأ على تعريف محلّ طبعها. ولولا ذلك لكنَّا استلفتنا انظار حكومتنـــا السنيَّة لتجازي مثل هؤلاء الاوباش بما تجنيهِ يدهم

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الاخ نقولا سابا تلميذ مدرسة القديس اثناسيوس برومة: من اين طرأ الاختلاف بين الكنيستين في تلاوة الفروض الكنسيَّة فاليوناني لا يلتزم بتلاوة الفرض بنفسهِ ويكفيهِ الاصغاء اليها بخلاف اللاتيني الذي يُقتضى عليهِ ان يتلو ولو نصفها بنفسهِ

الفرض الكنسي في الكنيستين اللاتينيَّة واليونانية

ج كان المؤمنون في بدء النصرانيَّة يتلون الفرض الكنسيّ على السواء لا يختلف

في ذلك العالميون عن الاكليركيين ولم يكن ذلك سنَّة على الافراد بل على الجمهور اجمالًا لانَّ كثيرًا من المؤمنين لم يعرفوا القراءة فكانوا يكتفون بالاصغاء الى تلاوة الفرض. ولمَّا برد الايمان في القرون المتتالية حتمت الكنيسة على بعض ابنائها بان يقوموا بهذه الصلوات القانونيَّة نيابةً عن لفيف المؤمنين الَّا انَّ كنائس الشرق بقيت على عاداتها القديمة اي انَّ تلاوة الفرض مسنونة على الجمهور ويكفي كل ذي قبل ان يصغي الافراد الى تلاوة هذه الصلوات اذا رأوا داعيًا صوابيًا لذلك. هذا وان اغلب الكنائس الشرقيَّة المتحدة اخذت اليوم توافق في سُنَّة تلاوة الفرض الكنيسة اللاتينيَّة

س وسأل جناب المعلِّم الياس لطف الله كيف امكن المسيح مع علوّ مقامهِ ان يخاف من الموت ويرتعد امامهُ في بستان الزيتون

خوف المسيح في بستان الزيتون

ج لا يُخفى ان المسيح جمع في اقنومهِ الواحد الطبيعتين الالهيَّة والبشريَّة والطبيعة البشريَّة قد اتَّخذها المسيح مع كلّ ضعفها لأنَّهُ جُرِّب في كلّ شيء مثلنا ما خلا الخطيئة (عب ٤ : ١٥) والخوف من الموت ليس بخطيئة فلا يحطُّ من مقامهِ شيئًا لاسيَّما انَّ هذا الخوف حصل لهُ بعلم مشيئتهِ الالهيَّة ليبيِّن لنا انَّ طبيعتهُ البشريَّة لا تخالف طبيعتنا ذرَّةً. وزد على ذلك انَّهُ اراد ان يعلِّمنا كيف ننتصر على الخوف من الموت بالصلاة والدعاء الى الله فتنازل وصار بذلك قدوةً للمنازعين جلَّ اسمهُ وتبارك شأنهُ

س وسألنا جناب الفاضل ابراهيم عبد الجليل: ١ً لماذا تصوم بعض الكنائس صوم نينوى مع انَّ السنن القديمة قد بطلت بمجيء المسيح. ٢ً لماذا ينقطع الروم عن اللحم في يوم قطع رأس يوحنَّا المعمدان

صوم نينوى — انقطاع الروم عن اللحم في يوم قطع رأس يوحنا المعمدان

ج نجيب على الاوَّل ان صوم نينوى ليس هو من الصيام المفروضة في العهد القديم وانَّما اتَّخذتها الكنائس السريانيَّة والكلدانيَّة تذكارًا لما فعلهُ الله من الرحمة مع اهل تلك البلاد بعد انذار يونان النبي — ونجيب على الثاني ان سبب انقطاع الكنيسة اليونانيَّة عن اللحم في يوم استشهاد يوحنَّا المعمدان لتنبيه المؤمنين على انَّ النَّهم والقصف والتأنُّق في الأكل والشرب هي التي سبَّبت موت يوحنَّا الصابغ وعلى انَّهم بالانقطاع عن بعض المآكل ينالون من الله نعمًا في دنياهم وآخرتهم

ل. ش

قائمة للآثار الجويّة من ٦ الى ٢١ ايلول ١٨٩٩

انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر)
امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

المشرق

ميزان رطوبة الهواء او الهغرومتر

للاب الكسيس مالُّون اليسوعي

لا تُعرف الآثار الجويَّة حقَّ المعرفة الَّا بالوقوف على احوال الهواء الثلاثة وهي تمدُّده او انضغاطهُ ثمَّ حرارتهُ او برودتهُ واخيرًا رطوبتهُ او يبوستهُ. وقد اطَّلع قرَّاء المشرق في ما سبق على الامر الاول في مقالة ضافية الذيل بيَّن فيها حضرة الاب زموفن نواميس تمدُّد الهواء ومقياس ضغطهِ المعروف بالبارومتر (المشرق ١: ٨١٧ و ٨٩٢) وقد شرحنا في مقالتنا المُعنوَنة «بالترمومتر او مقياس الحرارة» (٢: ٢٦٩ و ٣٥٨) ما يختصّ بالامر الثاني. فبقي علينا ايضاح حالة الجوّ الثالثة اي رطوبتهُ او يبوستهُ والموازين التي وضعها الطبيعيون لقياس هذه الرطوبة وهي تُعرف بالهغرومتر

١　بيان اسباب الرطوبة في الجوّ

لا بدَّ لنا قبل وصف مقاييس الرطوبة ان نقدّم هنا بعض ملاحظات من شأنها ان تعرّف اسباب هذه الرطوبة

الكلُّ يشعرون بانَّ في الهواء تغييرات تطرأ عليهِ فتنديهِ تارةً وتارةً تيبّسهُ فيتأثر جسمنا برطوبتهِ او جفافهِ. ولكن ترى ما سبب هذه النداوة وكيف انتشرت في الهواء؟ الجواب البديه عن ذلك انَّ الهواء يندى بما يتصاعد اليهِ من البخار المائي ويظهر ذلك بالاختبار فانَّك ترى الغدران تيبس في الصيف والماء اذا عُرض في إناء لاشعَّة الشمس لا يلبث ان ينقص الى ان يتوارى تماماً. والصواب انهُ لم يتلاشَ بل يبقى متفرّقاً في الهواء على هيئة البخار فاذا اصابهُ البرد تكاثف فصار غماماً وربَّما سقط على الارض على هيئة الندى او المطر

ومن الاختبارات التي يجريها ارباب علم الطبيعة انَّهم يعمدون الى قارورة زجاجيَّة مملوَّة هواء رطبًا ثمَّ يُدخلون فيها شيئًا من الموادّ المجفِّفة الجاذبة للبخار مثل كلورور الكلس او كربونات البوتاس فترى بعد قليل هذه الموادّ تزيد حجمًا بامتصاصها البخار المنبثّ في تلك الكميَّة من الهواء ويُضحي الهواء في غاية اليبوسة

ثمَّ يعكسون الاختبار بان يأخذوا ذلك الهواء المجفَّف فيجعلونهُ فوق اناء من الماء فيتصاعد البخار من ساعتهِ في الهواء اليابس. فيرطّبهُ واذا أُشبع الهواء بخارًا زادت النداوة حتى يتكاثف البخار ويلصق بجوانب الاناء على هيئة نُقط تسيل من اطرافهِ. وعلى هذا النمط يصير التبخُّر من سطح الارض والمياه عند سخونتها فينبثّ البخار في الجوّ ويُشبع الهواء رطوبةً فاذا تجاوز حدَّ الاشباع تكاثف على هيئة غمام او ضباب واذا بلغ طبقة باردة من الجوّ انعقد فسقط على هيئة مطر او ثلج او برَد على مقدار برودة الطبقات الجوّيَّة وحركة الرياح

وما لا بدَّ من معرفتهِ ان الرطوبة الجوّيَّة لا تنجم عن كثرة ما في الهواء من البخار فتزيد بزيادتهِ بل الصواب ان الرطوبة الجوّيَّة تنمو بقدر ما يكون هذا البخار بعيدًا عن حدّ تكاثفهِ

وعليهِ فانَّهُ يمكن الهواء ان يكون باردًا وكثير النداوة معًا وهو مع ذلك قليل البخار وبعكس ذلك اذا كان الهواء حارًّا ربَّما كان كثير الجفاف مع مقدار ازيد من البخار. مثال ذلك انَّك ترى الهواء في الصيف اكثر يبوسًا مع انَّ انتشار البخار عادةً في الصيف اكثر منهُ في الشتاء والسبب لانَّ البخار ابعد من نقطة التكاثف لارتفاع درجة الحرارة. ومثلهُ ايضًا انَّك اذا أسخنت الهواء في حجرةٍ ما جعلتهُ أيبس لكنَّك لا تُنقص كميَّة بخارهِ وانَّما تبعدهُ من درجة التكاثف ونقطة الاشباع

ولقائل ان يقول ومتى يبلغ الهواء ذلك الحدّ؟ وما السبيل الى تعريف الفرق بين درجة التكاثف وكميَّة البخار في وقتٍ معلوم؟

نقول انَّ لذلك طريقةً وهي بان تُقاس قوَّة انبساط البخار المائي. لانَّ البخار يزيد انبساطًا على قدر نموّ درجات الحرارة الى ان يبلغ معظم انبساطهِ ونداوتهِ فاذا تجاوز هذا الحدّ تكاثف وانقلب الى حالة السيول. وبعكس ذلك ربَّما خفَّت قوَّة انبساطهِ الى حدٍّ لا يُتعدَّى فالحالة الهغرومترية إذن هي النسبة بين هذين الحدَّين اي معظم

قوَّة انبساط البخار ومعظم ضعف انبساطهِ. فاذا دعونا الحالة الهغرومتريَّة (هـ) ومعظم درجات انبساط البخار (ب) ومعظم انحطاطهِ في الانبساط (بَ) وجدنا النسبة الآتية:

$$هـ = \frac{بَ}{ب}$$

فمن هذه النسبة يعرف علماء الطبيعة معظم انبساط البخار في كلّ درجة من درجات الحرارة. وقد وضعوا لذلك جداول سنذكر منها ما نراهُ ملائمًا لغرضنا

٢ مقاييس رطوبة الهواء

لقياس الندى والرطوبة آلاتٌ عديدة مرجعها الى صنفين منها ما بُني على مبدإِ الامتصاص ومنها على مبدإِ التكاثف

١ فمبنى (الصنف الاوَّل) على انَّ بعض الاجسام الآليَّة كالاوتار والشعر تتأثَّر من فعل الرطوبة والجفاف اعني انَّها تطول بنداوة الهواء وتقصر بيبسهِ. ألا ترى مثلًا في الشام عند هبوب السموم (الشلوق) كيف تتغضَّن الاجسام وتتقلَّص اوراق الشجر ويلتوي القرطاس وجلد الكتب من الجهة الموازية لهبوب الريح وذلك لانَّ عروق هذه الاجسام تجفُّ وبجفافها تنسحب وتتقلَّص وتنضغط ملتويةً. وقد يصيب الخشب من التقلُّص ما يصيب النبات في وقت الجفاف فيتصدَّع خشب الابواب والنوافذ وتسمع لها فرقعة لما يطرأ عليها من التغيُّر في طولها

والى هذا المبدإِ قد استند العلماء لوضع آلات مختلفة تبيّن بتقلُّصها او امتدادها حالة الجوّ من حيث جفافهِ او نداوتهِ ومنها يُستدلُّ بالحدس بل بالترجيح وشكٍّ وقوع المطر او اقتراب الصحو

الشكل الاول هغرومتر الشعرة

فمن ذلك هغرومتر الراهب وهو عبارة عن دميةٍ صغيرة تمثّل راهبًا ذا اسكيم جاثيًا للصلاة فاذا كثرت نداوة الجوّ انتشر الاسكيم فغطَّى رأسهُ واذا جفَّ الهواء انكشف عن رأسهِ الاسكيم منزويًا. وسبب تقلُّص الاسكيم وامتدادهِ ارتباطهُ بوترٍ محجوب عن العيان ينفتل وقت الجفاف ويُنقض فتلهُ عند الرطوبة

وعلى هذا المبدإِ نفسهِ بُني مقياس الشعرة المعروف بمقياس سوسور (Saussure) وهو الذي اخترعهُ. وهذا المقياس عبارة عن اطار مربَّع مستطيل من النحاس يوصل برأسهِ الاعلى ملقطٌ معدني (ع) يضغط احد طرفي شعرةٍ (ش شَ) ويلفّ طرفها الاسفل على بكرة خفيفة (ب) ودائرة حول قطبٍ افقي ولهذه البكرة تجويف ثانٍ يعلّق عليهِ خيط من الحرير في طرفهِ ثاقول صغير (ث) ويُجعل على طرف هذه البكرة ابرة (ا) يتحرّك رأسها على قوس (ق) مجزَّأة اجزاء متساوية الى مئة جزء. فاذا زادت الرطوبة طالت الشعرة فأهبطت رأس الابرة على القوس واذا نقصت قصرت الشعرة فارتفع رأس الابرة على درجات القوس

هذا ولا بدَّ ان تكون الشعرة المذكورة طويلة رفيعة نظيفة تؤخذ من رأس رجل حيّ وتُجعل في ماء مُغلى يضاف اليهِ شيء من كربونات الصودا او الايثير الكبريتي مدَّة ٢٤ ساعة ليزول دسمها تماماً ولولا ذلك لما فعلت فيها الرطوبة فعلها التامّ

امَّا الطريقة لتقسيم القوس الى مئة درجة فتتمُّ بتعيين نقطتين ثابتتين فيها وهما نقطة معظم الجفاف ونقطة معظم النداوة. وذلك بان توضع الآلة اوَّلا تحت قبَّة زجاج فيجفَّف فيها الهواء بادخال بعض الموادّ التي تتشرَّب البخار كالحامض الكبريتي وكلورور الكلسيوم وكربونات البوتاس. فاذا يبس الهواء تماماً تقلَّصت الشعرة وبقيت دالَّة على نقطة ثابتة فيُرقم عندها صفرٌ اشارة الى معظم الجفاف. ثمَّ تُنقل الآلة الى قبَّة أُخرى مُشبعة بالبخار بان يوضع اناء مملوء ماء تحت القبَّة المذكورة وتبلّ جوانبها فترى الشعرة تطول والابرة ترتفع الى ان تثبت عند نقطة هي معظم النداوة فيُرقم عندها العدد مئة. ثم تقسم المسافة التي بين النقطتين الى مئة قسم متساوٍ

ولكن لا بُدَّ هنا من تنبيهِ القرَّاء الى ان هغرومتر الشعر لا يخلو من بعض الخلل فترى بين الآلات اختلافاً محسوساً والسبب لانَّ الشعر المتَّخذ لذلك يختلف غلظاً وتركيباً. ثمَّ اذا تمادى عليهِ العهد بالامتداد تضعف قوَّة تقلُّصهِ وقت الجفاف. ولذلك يُقتضى اعادة تقسيمه من حين الى آخر

ثمَّ اعلم ان دلالة الابرة لا تُعرف منها توًّا درجةُ رطوبة الهواء فاذا وقفت مثلاً الابرة عند نصف قوس المقياس فليس معنى ذلك انَّ الهواء بلغ ٥٠ درجة من الرطوبة بل يلزم حسابات وأرصاد اخرى لمعرفة النسبة بين درجات الابرة ونداوة الجوّ والصواب

ان هذه الخمسين درجة في المقياس تدلُّ على نحو ٢٨ درجة من الرطوبة وقد نظَّم العلاَّمة الشهير كاي لوساك (Gay-Lussac) جداول بيَّن فيها هذه النسبة . وقد لخَّصنا منها شيئاً لتعريف هذه الموازنة بين درجات الهغرومتر ودرجات الرطوبة الحقيقيَّة

درجات الهغرومتر	درجات الرطوبة	درجات الهغرومتر	درجات الرطوبة
١٠	٠,٠٤٦	٦٠	٠,٣٦٣
٢٠	٠,٠٩٤	٧٠	٠,٤٧٢
٣٠	٠,١٤٨	٨٠	٠,٦١٢
٤٠	٠,٢٠٨	٩٠	٠,٧٩١
٥٠	٠,٢٧٨	١٠٠	١,٠٠٠

فاذا روعيت هذه الشروط لا بأس من اتخاذ مقياس سوسور لمعرفة رطوبة الهواء. ومن خواصهِ انَّهُ قريب المنال سهل التركيب

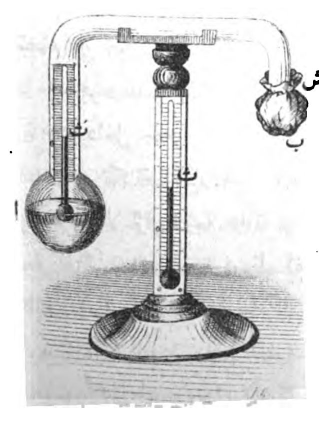
٢ . امَّا (هغرومتر التكاثف) فقد شاع اليوم شيوعاً عظيماً ويفضَّل على هغرومتر الشعر . وهو مؤسَّس على مبدإٍ آخر

وذلك انَّك اذا ملأتَ اناء من الماء البارد رأيت حُباباً من الندى يلصق بجوانب الاناء الخارجة حتى يكاد يسيل منها . وليس لذلك سببٌ اخر سوى انَّ الاناء يبرد ببرودة المائع ويُلامس الهواء المحيط بهِ فيتكاثف البخار المنبثّ في هذا الهواء الملاصق ويتجمَّع على جوانب الاناء الظاهرة . ولنا في ذلك مثال آخر مشهور في فصل الشتاء فاذا برد الجوّ وأقفلتَ نوافذ الدار الزجاجيَّة وأصليت فيها ناراً لا تلبث ان ترى صفائح الزجاج في داخل الحجرة يشوبها شبه غمامٍ فتندى الى ان يجري نداها على الصفائح . والسبب هو تكاثف بُخار هواء الحجرة المُقفلة لدى مسيسهِ الزجاج البارد . فانَّ هذا الهواء الماسّ لا تزال درجة حرارتهِ في هبوط متوالٍ وببرودتهِ تهبط ايضاً درجة تكاثف البخار الى ان يبلغ البخار معظم انبساطه فيشبع الهواء واذا زادت برودتهُ عن ذلك تكاثف وصار مائعاً . وهذا الحدّ الذي يأخذ عندهُ البخار بالتكاثف يُدعى عند الطبيعيين درجة الندى . ولانَّ هذه الدرجة تختلف باختلاف درجات الحرارة فقد وضع العلماء جدولًا يُعرف بهِ معظم قوَّة انبساط البخار في كلّ درجة من درجات الحرارة نذكر منهُ ما يُحتاج الى معرفتهِ في هذه البلاد :

درجات الحرارة	معظم قوّة انبساط البخار بالملّمتر	درجات الحرارة	معظم قوّة انبساط البخار بالملّمتر
٠	٤,٦٠٠	١٦	١٣,٦٣٥
١	٤,٩٤٠	١٧	١٤,٤٢١
٢	٥,٣٠٢	١٨	١٥,٣٥٧
٣	٥,٦٨٧	١٩	١٦,٣٤٦
٤	٦,٠٩٧	٢٠	١٧,٣٦١
٥	٦,٥٣٤	٢١	١٨,٤٩٥
٦	٦,٩٩٨	٢٢	١٩,٦٥٩
٧	٧,٤٩٢	٢٣	٢٠,٨٨٨
٨	٨,٠١٢	٢٤	٢٢,١٨٤
٩	٨,٥٧٤	٢٥	٢٣,٥٥٠
١٠	٩,١٦٥	٢٦	٢٤,٩٨٨
١١	٩,٧٩٢	٢٧	٢٦,٥٠٥
١٢	١٠,٤٦٧	٢٨	٢٨,١٠١
١٣	١١,٠٦٢	٢٩	٢٩,٧٨٢
١٤	١١,٩٠٦	٣٠	٣١,٥٤٩
١٥	١٨,٦٩٩		

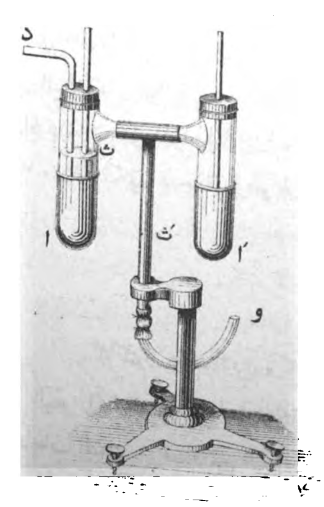
فمن اراد معرفة مقدار قوّة انبساط البخار لدرجة معلومة من الحرارة فلينظر العدد الموازي في الجدول السابق فهو المقدار المطلوب وهذا العدد عبارة عن ملّمترات من مقياس الزئبق. فانّ العدد ٣١,٥٤٩ مثلًا يدلّ على ان قوّة انبساط البخار يناسب ضغط عمود من الزئبق طولهُ ٣١ ملّمترًا و٥٤٩ قسمًا من الملّمتر عند بلوغ ميزان الحرارة ٣٠ درجة

اما الآلات الهغرومترية المبنيّة على مبدإ التكاثف فثلاث: هغرومتر دانيال (Daniell) ورينيو (Regnault) وألوارد (Alluard) والاحرى ان يقال ان الهغرومترين الاخيرين انّما زادا على هغرومتر دانيال تحسينًا فقط كما سترى:



الشكل الثاني هغرومتر دانيال

وهغرومتر دانيال (راجع الشكل الثاني) يتركَّب من كرتين (ا ب) مفرغتين من الزجاج الرقيق تجمع بينهما انبوبة ملتوية عند طرفيها التواء الزوايا القائمة . والكلُّ مسدود سدًّا هرمسيًّا بعد افراغ الهواء من الآلة بواسطة الايثير الُمغلى . وهي تُجعل فوق عمود معدنيّ يُناط بهِ ترمومتر (ث) . والكرة الاولى (ا) زرقاء اللون تتضمَّن شيئاً من الايثير المائع يغوص فيهِ ترمومتر آخر (ثَ) . امَّا الكرة الثانية (ب) فتبقى فارغةً ويُلفّ حولها شاشٌ خفيف (ش) . واذا اراد المختبر ان يعرف درجة رطوبة الجوّ صبَّ على الشاش نقطاً من الايثير فيستحيل هذا المائع الى بخار وتبرد الكرة (ب) لامتصاص الايثير المتبخر حرارتها . والكرة المبرَّدة تبرّد بخار الايثير المحتوي فيها فيتكاثف وبتكاثفهِ يخفُّ ضغط البخار عن سطح الايثير المائع في(ب) فيتحوَّل منهُ قسم الى بخار فتهبط حرارتهُ كما يدلُّ على ذلك هبوط الزئبق في الترمومتر (ثَ) . فبعد برهة يتكاثف فيصير على شبه الندى ملاصقاً للكرة الزرقاء الى علوّ سطح الايثير الباقي فيها . وعند بداءة تكاثف البخار عليك ان تلاحظ درجة حرارة الترمومتر (ثَ) فانَّها درجة الندى . ثم اطلب في الجدول السابق العدد الموازي لهذه الدرجة فتجد معظم انبساط البخار المنبثّ في الهواء وقت العمل . امَّا حرارة الجوّ فتُعرف بالمقياس الموضوع على العمود في الخارج



الشكل الثالث هغرومتر رينيو

الَّا انَّ في هذه الآلة نقصاً لما يوجد من الاختلاف في درجة الحرارة خارج الكُرة وداخلها لانَّ الزجاج سيّئٌ في نقلهِ للحرارة الخارجة . وربَّما زاد المُختبر بتنفُّسهِ في بخار الهواء الملاصق للكرة فتزيد رطوبة الجوّ في موضع الاختبار

فتلافياً لهذا الخلل قد وضع الاستاذ رينيو هغرومتراً آخر يتركَّب من ظُرفين صغيرين من الفضة (ا اَ) رقيقين صقيلين يُدخل فيهما انبوبان من الزجاج وفي سداد

الانبوبين ينفذ ثرمومتران (ث ثَ) . ويُصبّ في الظرف الواحد (ا) ايثير مانع ويُجعل فيهِ انبوب (د) يغوص طرفهُ الاسفل في الايثير وطرفهُ الاعلى مفتوح ثمَّ يتَّصل بالايثير قسطلٌ ينتهي الى وعاء مملوء ماء (و) فاذا نُزع من الوعاء قسم من الماء يتخلخل الهواء في الظرف (ا) فيأتيهِ من الانبوب (د) هواء جديد فللحال يتبخَّر الايثير ويبرد فيبرد معهُ الظرف المعدني الملاصق لهُ في الخارج ويبرد ايضاً الهواء المحيط بهذا الظرف فيتكاثف ويصير ندًى . فتلك هي درجة الرطوبة يدلُّ عليها الثرمومتر (ث) بينما يشير الثرمومتر الثاني (ثَ) الى درجة الحرارة الخارجة

وقد زاد المعلِم ألوارد تحسيناً على هذه الآلة بان جمع بين الظرفين فجعل الايثير في اناء من النحاس وركَّب هذا الاناء في قائمتين من المعدن ليتمكَّن المختبر من المقابلة بين المعدن الذي يتجمَّع عليهِ الندى والمعدن الثاني الذي يبقى على حالتهِ من الصقالة والجفاف فتُعرف للحال درجة الندى ثمَّ يطلب في الجدول السابق العدد المشير الى معظم قوَّة انبساط البخار المناسب لتلك الدرجة . والرَّصد بهذين الهغرومترين يكون بالنظَّارة

وفي القائمة التي توضع في آخر صفحة من كلّ اعداد المشرق دلالة على رطوبة الهواء أشير اليها بنقط متوالية (....) امَّا الاعداد المناسبة لدرجة الرطوبة فلا تختلف عن اعداد درجات ثقل الهواء الَّا بحذف عدد المئات . فان كانت مثلًا درجات ثقل الهواء ٧٦٠ ملمترًا تكون درجات الرطوبة ٦٠ مِلمترًا وقس على ذلك

البخَر

للدكتور فيليب افندي بركات طبيب المستشفى الافرنسي في بيت لحم

البَخَر رائحة النفَس الكريهة المنتنة وقد سألني علاجاً لهذا الداء كثيرون من الاصحاب أصبتُ في مداواتهم النجاح ولمَّا كان المرض المذكور شائعاً يستحي منهُ صاحبهُ ويزعج القريب منهُ كل الازعاج رأيت ان اضع في اسبابهِ وعلاجهِ مقالة على القرَّاء يستفيدون منها فيذكروني بالخير

اسباب البخَر

اهمّ اسباب البخَر امراض الجهاز الهضميّ والجهاز التنفُّسي . امَّا البول السكَّري

(الديابيطس) وفقر الدم واخضرار اللون وبعض الامراض القلبيَّة والتسمُّم بالبول (اوريميا) فانَّها مع تأثيرها في ذلك ليست باسباب تعادل اهميَّتُها امراضَ الجهازَين الهضميّ والتنفسي. واعلم ان امراض الاسنان كثيرًا ما تكون علّة كراهية النفس لانَّ الاسنان مع صلابتها هي عرضةٌ لكثير من الامراض لسبب ما يؤثر فيها من الموادّ الغذائيَّة او من التهيُّجات الباطنيَّة فالاولى كتأثير الاغذية الباردة عقيب الحارَّة والحوامض او امراض اللّثة او من الفضلات الواقعة بين الاسنان لانها تؤثر فيها فتلهبها او من بعض الامراض كداء الخنازير فانهُ يسبب تسوُّسها غالبًا. والثانية السكن في الاماكن الرطبة الوخيمة والتهاب القناة الهضميَّة. واكثر من يُصاب بامراضها سكَّان المدن والاغنياء منهم اكثر من الفقراء وذلك ناشئٌ عن كيفيَّة معاشهم وتركيب بنيتهم. وكذلك تشم رائحة منتنة من فم انسان مُصاب بالتهاب في عظم الفك الاعلى او الاسفل او من لثة مريضة مقرَّحة او ملتهبة منتفخة

والعياذ بالله من رائحة فم مُصاب بالغنغرينا او بمرض في اللسان او بورم في المريْ فانها رائحة تنفر اشدّ الناس صبرًا على المكاره

ومن نتائج امراض المعدة (خصوصًا تلك التي يسوء بها الهضم فتختمر فيها الاطعمة) الحموضةُ في الفم والتخمة والجشأ وبالتالي البَخَر الذي تكون اسبابهُ كثرة الاكل او سوء المأكول او تناول الاطعمة الروحيَّة بافراط

قلتُ ومن اسباب البَخَر امراض الجهاز التنفسي وخصوصًا امراض الانف من زكام مزمن زهري او خنزيري او قروح تحدث في باطنهِ تكون قشورًا وتمكث مدَّة فيحل فيها الفساد وتنتشر منها تلك الرائحة التي لا أَنساها مذ اخبرني احد اساتذتي على احتمالها حينما كنت حديثًا اقرأُ العلم وبجانبي رفيق مصاب بزكام مزمن لا يطيق رائحتهُ ابلدُ البلداء

علاج البخَر

قال الحكيم: بازالة العلّة يزول المعلول. فان كانت سنُّك مسوّسة استأصلتها تسترح وتُرِحْ وعالج التهاب الفم بما يوافقهُ من التغرغر بالمليِّنات والمطهِرات ومن الادوية البسيطة المفيدة التي يحسن التغرغر بها: ثلاثة دراهم كلورات البوتاس محلولة بمائة درهم من الماء البسيط. او تغرغر بالدواء الآتي:

برمنقات البوتاس ١ غرام — ماء ورد ١٢٠ غرام

واذا كان البَخَر ناتجًا عن غنغرينا الفم او ورم او مرض مخصوص عليك باستشارة الطبيب او الجرَّاح الماهر فصناعتهُ تفيدك وتشفيك. وكذلك انَّ للبخر المسبَّب عن البول السكَّري او المرض الزهري او فقر الدم او المرض القلبيّ او التسمُّم بالبول علاج طويل عريض يضيق بنا المقام دون استيعابهِ في مقالة صحيَّة نظير هذه

واذا كانت الرائحة الكريهة مصدرها مرض في المعدة فدواؤها دواء ذاك المرض المعدي وأفضل علاج للامراض المعديَّة عمومًا هو العلاج الصحي والنجعة الحمية فانها « رأس كل دواء ». ثانيًا تناول الاطعمة السهلة الهضم الموافقة للحالة الشخصيَّة. ثالثًا الرياضة الجسميَّة والراحة العقليَّة. رابعًا اتخاذ المآكل والمشرب باوقاتٍ معيَّنة وفي كلّ من الوصايا المذكورة حكمة لا تخفى على الناقد البصير واليك الآن بعض وصفات نافعة ناجعة في سوء الهضم المسبب رائحة منتنة

(اقراص) فحم نباتي ١٠٠ غرام — سكَّر ابيض ١٠٠ غرام — متحلِّب الصمغ (كميَّة كافية)

خذ من الاقراص المذكورة من اربعة الى عشرة في اليوم

(غيرها غرغرة) كلورور الكلس ١٢ غ — امزجها في ٦٠ غرامًا من الماء المقطَّر بعد ان تصفّي المزيج أضف عليهِ :

الكحل (بدرجة ٥٦) ٦٠ بغرامًا — عطر القرنفل غرامًا واحد

ضع نصف ملعقة صغيرة في قدح ماء واغسل وغرغر بها الفم تحصل على رائحة حسنة عطرة

هذا وان كان البخر ناتجًا من المنخر احقنهُ بمحلول حامض البوريك بنسبة ٤٠ غ الى ليتر ماء او حامض الفنيك بنسبة ٥ غ الى ليتر ماء او سليماني بنسبة غرام واحد الى ليتر ماء

وقد علمت من كلّ ما ذكرتهُ لك ان للنظافة شأن كبير في المداواة فاعتمد عليها ما استطعت ولا تخجل من غسل فمك بعد تناول الطعام امام الفرنجة او غيرهم فان بعض عاداتنا واخلاقنا مفضَّلة على غيرها من عادات سائر الشعوب المتمدّنة

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

٤٥ (السَلكوت) قال جمهور اللغويين في تعريب السلكوت انهُ: «طائر»!!! ولم يزيدوا على ذلك كأَن تعريفهم هذا يُزيل الشبهة. هذا ولو لم أرَ هذا الطائر واسمع باسمهِ لما اهتديت الى اصلهِ المعرَّب عنهُ. وهو نفس «الصُعصُع» (وهذه الكلمة مأخوذة من حكاية صوتهِ: صُع صُع) عند اهل نجـد والحجاز. وهو «ابو جَرادةٍ» عينهُ عند اهل الحسا والقطيف (وسُمّي كذلك لانهُ لا يُرى الّا وفي منقادهِ جرادة). وهو «الباذنجان» بذاتهِ عند اهل العراق (وسُمّي كذلك لان لونهُ لون الباذنجان). وهو ايضاً «البصير» عند اهل الشـام (لانهُ ينظر الجرادة عن بُعدٍ شاسع) راجع من هذه الاسماء الصُعصع في التاج. والبقيَّة في كتاب حياة الحيوان للدميري في مادة «ابو جرادة» (١: ٢٠٥) غير أنّنا حصلنا على هذه الاسماء ومواطن استعمالهـا من الذين عرفوا تلك البلاد وسكنوها مدَّة طويلة. والسلكوت ضربٌ من الدُّجّ مولع باكل الجراد وهو عدوُّهُ الالدّ. والكلمة معرَّبة عن «Σελευκίς» واسمهُ بلسان العلم «Turdus Seleucus». بالانكليزيَّة «Locust-eater» اي آكـل الجراد. ولم اعثر على اسمهِ بالفرنسيَّة امَّا قلب السين تاء فهو لغة من لغات بعض قبائل العرب سواء كانت هذه السين في صدر الكلمة او في حشوها او في طرفهـا والشواهد على ذلك ليست بقليلة نكتفي منها بثلثة امثال فانهُ: «يُقـال الكرَم من تُوسهِ ومن سوسهِ اي من خليقتهِ. ورجلٌ حَفَيْتأ وحَفَيْسأ اذا كان ضخم البطن الى القصر ما هو. والناسُ والناتُ» (اه بحرفهِ عن المزهر ١: ٢٢٤) قلتُ: ومن هنا يُرى ان البحث عن المعرَّبات مفيد جدًا لانهُ يهتك الحجب التي تستتر وراءها بعض الالفـاظ المبهمة المعنى. وبالاخصّ الالفاظ العلميَّة اذ تصح اللغة بعد ذلك كأنّما أُنشطت من عقال. او زُحزحت عن عاتقها الجبال

وازيد على ما تقدَّم ان السلكوت او الصعصع وان كان مولعًا باكل الجراد فليس

بالسمرمر ابداً. بل هو طائر آخر بقدّهِ. كما ان السمرمر ليس بالسَوادَّية او السودانيَّة او السودانة (عن اللسان والتاج) كما ورد في المشرق في مقالة الجراد (٢: ٣٦٥) بل يُراد بالسودانيَّة الزرزور واسم السودانيَّة يعرفهُ اعراب شمَّر وعنَزَة باطراف ولايتنا. واسم الزرزور يعرفهُ اهل بغداد. هذا وان الدميري قال في مادة السودانيَّة ما يأتي: « قلتُ الظاهر ان السودانيَّة هي الزرزور » اه. وسمِّي الطائر بالسودانيَّة للونهِ. لكن ليس في لون السمَرْمر ما يؤَيد اطلاق لفظة السوادية عليهِ لانهُ وردي اللون ومنهُ اسمهُ بلسان العلم Pastor roseus او Gracula rosea وبالفرنسيَّة Martin roselin او Étour-neau rose ومعناهُ الزرزور الورديّ. فاحفظهُ

٤٦ُ (القاوَند) لكي تطَّلع احسن الاطلاع على علم العرب وتحكم على تصرُّفهم بمعاني الالفاظ الدخيلة يحسن بنا ان نورد لك هنا اقوالهم في ترجمة هذه اللفظة. قال ابن البيطار في كتاب المفردات: « القاوند. [قال] ابو العباس الحافظ: هو دهن معروف لونهُ مثل لون السمن. وقوامهُ في الجمود كذلك. وهو معروف بالحجاز يؤتى بهِ من اليمن ومن بلاد الحبشة ويأتيهم من الهند... ويُقال انَّهُ يُستخرج من ثمرة شجرة لم تُنعت لي. والثمر كلهُ شكلهُ شكل الجلَوز ويُطحن في المعاصير ويخرج منهُ دهن لونهُ ابيض خاثر ثم يجمد... اه بحرفهِ. وقال الدميري: « القاوند طائر يتَّخذ وكرهُ على ساحل البحر ويحضن بيضهُ سبعة ايام في الرمل ويخرج افراخهُ في اليوم السابع ثم يزقّها سبعة ايام ايضاً والمسافرون في البحر يتيمَّنون بهذه الايام ويوقتون بطيب الوقت وحلول اوان السفر. وقيل انَّ الله تعالى انما يمسك البحر من هيجانهِ في زمن الشتاء عن بيض هذا الطائر وفراخهِ لبرِّهِ بابويهِ عند كبرهما وذلك انَّهما اذا كبرا حمل اليهما قوتهما وعالهما حياتهما الى ان يموتا. وهذا الطائر المتَّخذ منهُ شحَم القاوند المعروف وهو يُقيم المُقعَد ويحلّل البلاغم المزمنة وفي المفردات: دهن القاوند... (الخ كما ذكرناهُ قُبيل هذا نقلًا عن ابن البيطار)

فانت ترى ان ما سمَّاهُ ابن البيطار بالقاوند سمَّاهُ الدميري بدهن القاوند وأصلح بذلك قول الاول. وما ظنَّ ابن البيطار ان هذا الدهن يؤخذ من ثمرة شجرة جزم الدميري بان القاوند هو اسم الطائر ومن هذا الطائر يُتَّخذ الدهن المعهود. والصحيح في كلّ ذلك ما ذهب اليهِ الدميريّ لان القاوند هو تعريب ἀλκυών (Alcyon) بمعناهُ وقد

نقل الدميريّ في كتابهِ قول قدماء الرومان واليونان في هذا الطائر ولم يزد شيئًا عليهِ. بل ربَّما كانت الكلمة معرَّبة عن ἀλκυονίδες لوجود الدال في اللفظة ومعنى هذه اللفظة الاخيرة: « الايام القاونديَّة » (وهي الأيَّام التي اشار اليها الدميري بقولهِ: « والمسافرون يتيمَّنون بهذه الايام » السبعة التي يزقّ بها فراخهُ ويهدأ فيها البحر). واماً اذا أُريد بالقاوند الدهن فيجب ان يُقال: دهن القاوند كما يقول الافرنج (Huile d'Alcyon)

وقد عرَّب كتبة العرب حرف القاوند اليوناني بصورة اخرى وهي: « فنون » كذا تُرى مكتوبة في كتاب القزويني على هامش كتاب عجائب المخلوقات (٢ : ١٨٤). وتظنّ ان الكلمة كُتبت اوَّلًا هكذا: « القنون » فنقل الناسخ احدى النقطتين الى الحرف الذي يليهِ. ثم حذف « ال » ظنًّا منهُ أنَّها للتعريف فصارت بهذه الصورة الغريبة اي فنون. وامثال نقل نقطة من الحرف الواحد الى الحرف الذي يليهِ او الذي قبلهُ كثير الوقوع في العربيَّة فمن ذلك: الرقع بمعنى الزواج فهي تصحيف الرفغ (التاج واللسان) والفازر والفارز والفازرة والفارزة والقثع والقُبع القُثع ويَصّص الجرو ويضّض وبصّص وبصبص وقد جمعتُ من هذه الامثال اكثر من الف حرف

وعليهِ فالاصح ان يقال في فنون «ألقيون » واذا أُريد ادخال اداة التعريف عليهِ فيقال « الألقيُون » وقد عرَّف القزويني هذا الطائر بهذا الاسم الاخير كما عرَّفهُ الدميري باسم القاوند. ومن العجب العجاب ان هذين المؤلفين العربيين ذكرا هذا الطائر باسمهِ الاعجميّ بصورتين مختلفتين ولم يُصرّحا باسم الآخر العربي او المعرَّب وهو « المازور » مع انَّهما ذكرا ايضًا هذا الاسم في محلّهِ مع الاوصاف التي وصفا بها القاوند او الألقيون. وزد على ذلك ان كلمة المازور نفسها طُبعت مصحَّفةً في كتاب القزويني اذ هي مذكورة في هامش ص ٢٠١ هكذا « الماروز » (بزاء موحدة فوقيَّة في الآخر) . هذا وكأنَّ الكتبة المعاصرين لم يعرفوا شيئًا من هذه الالفاظ السابقة الذكر فسمَّوا هذا الطائر باسماء منها: الخَنكلة والجنقلة والدنقَّلة والدَّنكلة والقنقلة وهي كلها اعجميَّة تعريب كلمةٍ واحدة وهي (Cincle) Cinclus وهو طائر يشبه المازور لكنهُ ليس بهِ. هذا واذا جمعت ما مرَّ بك من اسماء هذا الطائر حصل لك منها عشرة وهي: القاوند والفنون والألقيون والمازور والماروز والخنكلة والجنقلة والدنقَّلة والدَّنكلة والقنقلة. فتنبَّه ولا تغفل ولا تحفظ الَّا الصحيح منها ولا تُسقط الَّا القبيح منها

٤٧ (المازُورُ) معرَّب ايضاً كما تقدَّم الكلام قُبيـل هذا وان ادَّعى بعض الكتبة بعربيَّتهِ . ويونانيَّتهُ μετέωρος ومعناهُ : « الطائر او المرتفع في الهواء او المرفوف على وجه او سطح الماء . وهو وصفٌ لهُ غلبت عليهِ الاسميَّة . وسبب الغلبـة على هذا الطائر ظاهر

٤٨ (القوقيس) قال الدميريّ : « قال القزويني : انَّهُ طائر بارض الهنـد من شأنهِ انَّهُ عند التزاوج يجمع حطباً كثيرًا في عشّهِ ولا يزال الذكر يحكّ منقـارهُ بمنقار الانثى حتى تتأجَّج النار من حكّهما في ذلك الحطب وتشتعل فيحترقان فيها . فاذا سقط المطر على ذلك الرماد تولَّد منهُ دودٌ ثم تنبت لهُ اجنحة ثم يصير طيرًا ثم يفعل كفعل الاوَّل من الحكّ والاحتراق . اه . قلنا وهو تعريب مصحَّف لكلمة Φοῖνιξ ونظنّ انَّها كُتبت اوَّلًا « فعس وفوىعس » مهملة غـير منقوطة وغير مشكَّلة او مضبوطة كما كانوا يفعلون في اوَّل عهدهم بالكتابة العربيَّة بالصورة الحاليَّة . وحينئذٍ اختلفت فيهـا القراءات والروايات فمنهم من قرأها : « قَوقيس » (كالدمـيريّ والقزويني وصاحب كتاب الغرائب) . ومنهم من قرأها « قَقنُس او قَقنوس » بقافـين فوقيَّتين في صدر الكلمة والاولى منهما مفتوحة والثانيـة ساكنة (كالشعوريّ صاحب كتاب البرهان القاطع) (٣ : ٣٠٣) . ومنهم من قرأها « فَقَنُّس » وقالوا انهُ نفس القوقيس (كالزبيديّ وابن سينا والفيروزابادي في مادَّة ققنُس) . ومنهم من قرأها « قفنَّس » بتقديم القاف على الفاء ونظنّ انَّ هذه الرواية من جملة غلط طبع التاج (في مستدرك مادَّة قوقيس والدليل على ذلك انهُ يقول راجع مادَّة ققنَّس وفي كتابهِ لا يوجد الَّا قَقنَّس) . ومنهم من قرأها « قَوقش » ولم أرَها الَّا في محيط المحيط . ولولا وجود المطابع اليوم لكثرت هذه الروايات الى ما لا نهاية لهُ

وقد ذكروا عن هذا الطـائر غرائب غير التي ذكرناها وقد اجتزأنا بما ذكرنا خوف الاطالة على غير طائل ومن احبَّ الوقوف على البقيَّة فليطلبهـا في مظانّها إن في الكتب العربيَّة المذكورة وان في كتب الافرنج في ترجمة Phénix لان العرب لم ينقلوا في كتبهم عن هذا الطائر الَّا ما قالهُ عنهُ اليونان والرومان

امَّا اصحاب المعاجم الفرنسيَّة الى العربيَّة فانهم ذكروا للفظة Phénix عنقاء مغرب مقابلًا لها . وقد مرَّ بك ممَّا قرأت في المشرق ان ما يقابل حرف عنقـاء مغرب هو

عند القدماء . من الاجانب وهو Dinornis في الحقيقة و Anhinga عند Gryphon
المحدثين (المشرق ١ : ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٨٣٤) . وقد اخذني العجب من
ان الدكتور جورج پوست في كتابهِ عن الطير أعجم الكلمة « القوقيس الملكي »
Aptenodytes patagonica . قلتُ ثم زال عني هذا العجب بعد ان رأيت كثيرًا من
مصطلحاتهِ في منتهى الغرابة

ويخطر ببالي الآن اني قرأتُ في الهلال في احدى سنيهِ الاولى سؤالًا اقترحهُ
احد الادباء على القرّاء فيهِ يطلب منهم ان يرشدوهُ الى اللفظة المقابلة لكلمة Phénix
ولم أقف بعد ذلك على جوابٍ لاحدٍ . وعليهِ فكاشفهُ بها

امَّا اذا سألتني عن حقيقة هذا الطائر قلتُ لك وعلماء الافرنج : « انَّهُ رمز عن خلود
النفس لا غير » كما كان القدماء يرمزون الى حقائق اخرى كثيرة بثياب هذه المحسوسات
للوصول الى ادراك تلك المجرَّدات العقليَّة

٤٩ً (العَرَكيّ) ليس في اصول هذا الحرف باللغة العربيَّة ما يدلُّ على معنى :
« صيَّاد السمك » بل هو معرب عن اليونانيَّة بدون ادنى شكّ واعجميتهُ : εὐαγρία
ومعناهُ الصيد الحسن . فقدَّموا الراء على الكاف وابقوا الياء المشدَّدة في الآخر ليلحقوها
بالالفاظ الدالَّة على اصحاب المهن المختومة بمثل هذه الياء كالهاجريّ للبنَّاء والهالكي
للحدَّاد والهبرقيّ للصائغ والقساميّ لمن يطوي الثياب اوَّل طيّها حتى تنكسر على طيّهِ
والماسخيّ للقوَّاس الى ما لا يحصى عدهُ ولا يستقصيهِ حدهُ

٥٠ً (الشَّلبا) سمكة ذكرها الدميري في ٢ : ٢٩ بألفٍ في الآخر وذكرها
صاحب محيط المحيط بالتاء المربوطة في الاخر عوضاً عن الالف . ونظنّ ان رواية الدميري
اصحّ من رواية البستانيّ لانها في الاصل Σάλπη بمعناها وهي بالفرنسيَّة Saupe او
Salpe وبلسان العلم Salpa

٥١ً (الكِندارة) سمكة لها سنام يونانيَّتها κάνθαρος وبالفرنسيَّة Canthére
وبلسان العلم Cantharus

٥٢ً (الأَبرامِيس) سمك مضرٌّ اكلهُ بالمعدة . الدميريّ في ٢ : ٢٨ يونانيَّتها
ἀβραμίς وبالفرنسية brême وباللاتينيَّة Brama

٥٣ً (الأَسبور) نوع من السمك يأتي بالبصرة في وقت معيَّنٍ يعرفهُ اهل البصرة

ويبقى مقدار شهرين وبعدهُ لا توجد هناك واحدة من هذا النوع. اه. عن القزويني في هامش ص ١٩٧ : ١ . وهو الى اليوم معروف بهذا الاسم وربَّما قالوا الأُصبور او الصبور باسكان الصاد وهو تعريب Σπάρος بمعناهُ . وبالفرنسيَّة Spare وبالروميَّة Sparus

(ستأتي البقيَّة)

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رنزفال اليسوعي (تابع لماسبق)

الفصل السادس

في الالحان التي يكون قرارها برج السيكاه

هي اثنا عشر لحنًا الاوَّل « لحن السيكاه » وهو سيكاه ثم رست ثم سيكاه ثم نوى مظهرًا ثم ماهور اوج حسيني نوى جهاركاه سيكاه وهذا اللحن لا يُستعمل فيه شيء من الارباع ولكن ارباب الموسيقى في مصر يفسدون فيهِ برج الحسيني ويستبدلونهُ بربع الحصار

والثاني «لحن المستعار » وهو حسيني مظهرًا ثم نوى حجاز ثم اوج مظهرًا ثم نيم عجم حسيني نوى حجاز سيكاه ولا يُنزل فيهِ الى برج الرست وهذا اللحن يُستعمل فيهِ ربع الحجاز بدلاً من الجهاركاه واماَّ نيم العجم فلا يكون استعمالهُ الَّا عند الهبوط الى القرار بعد انفصال النقرة على برج الاوج ويكون ذلك باعتبار ابتداء الحركة ولا يصحّ ان تردف نقرة الاوج بالعجم وتردفهما بنقرة الحسيني لان إرداف ثلاث نقرات متباينة في البعد من مسافة برجين لا يصحّ ابدًا وهو مخالف لطبيعة الصوت الانساني كما تقدم بيانهُ في الفصل الاوَّل من الباب الاوَّل

الثالث «لحن الحزام» وهو نوى مظهرًا ثم حصار نوى حجاز ماهور نهفت ثم حصار نوى جهاركاه سيكاه وهذا اللحن يُستعمل فيهِ ربع الحصار والنهفت بدلًا عن ربع الحسيني والاوج واماَّ ربع الحجاز فيستعمل اولًا عند الاستهلال ثم يبطل عند التسليم ويكون العمل من برج الجهاركاه

الرابع « لحن القذح » بالذال المعجمة المخفَّفة وهو نوى مظهرًا ثم حجاز ثم حسيني نوى جهاركاه سيكاه دوكاه رست ثم سيكاه وهذا اللحن يُستعمل فيهِ ربع الحجاز عند الابتداء ويبطل عند التسليم

الخامس « لحن المايا » (١ وهو تركيب بياتي النوى الى الدوكاه ثم الى السيكاه

السادس « لحن السلمك » وهو نوى مظهرًا ثم نيم حصار ثم نوى جهاركاه ثم نيم حصار نوى جهاركاه سيكاه وفي هذا اللحن يُفسد برج الحسيني ويكون بديلًا منهُ ربع نيم حصار

السابع « حصار سيكاه » وهو اوج مظهرًا نيم عجم اوج ماهور نيم سنبلة بزرك جواب العرباء بزرك نيم سنبلة (٢ ماهور اوج ثم تنزل برجًا برجًا الى السيكاه. وهذا اللحن في غاية الاشتباك لكثرة استعمال الارباع فيـهِ وبعضها يبطل من بعد استعمالهِ وذلك النيم سنبلة يُستعمل بديلًا من المحـيَّر وجواب العرباء بدلًا من الماهوران واما نيم العجم فيُستعمل عند الاستهلال بدلًا عن الحسيني ثم عند التسليم يبطل ويُستعمل برج الحسيني ولولا استعمال نيم العجم عند الاستهلال لكان الاوفق في بيان هذا ان يُقال انهُ يبتدئ بلحن الحجـاز مصورًا عن برج الاوج وينتهي بلحن السيكاه من برج السيكاه واذا اعتبرت النَسَب يظهر لك ذلك

الثامن « لحن بنتيكار » وهو اوج ثم ماهور اوج حسيني نوى مظهرًا ثم ماهور وتنزل برجًا برجًا الى السيكاه. وهذا اللحن لا يفسد فيهِ شيء من الابراج واختلافهُ عن لحن السيكاه انَّمـا هو في الاجزاء فقط لان الدخول في لحن السيكاه من برجَي السيكاه والرست وفي هذا يكون من برجَي الاوج والماهور

التاسع « نجدي سيـكاه » وهو سيكاه ثم جهاركاه نوى حسيني اوج حسيني نوى ثم حسيني اوج وماهور ثم تنزل برجًا برجًا الى السيكاه وهذا اللحن ايضًا يختلف عن لحن السيكاه في الاجزاء فقط

العاشر « عجم السيكاه » وهو اعمال العجم ويقف على السيكاه

الحادي عشر « لحن البزرك » ويقـال لهُ صوت الله وهو صوت بنزك ثم ماهور سنبلة ثم بزرك وتنزل برجًا برجًا الى السيكاه

(١) ويقال ايضًا مايه (٢) والسنبلة كما ذُكر جواب الكردي

الثاني عشر « عراق البنجكاه » وهو نوى مظهرًا ثم تيك حصار عجم تيك حصار نوى ثم ماهور تيك حصار ماهور عجم تيك حصار نوى جهاركاه سيكاه وهكذا عرَّفوهُ وعلى مقتضى تعريفهم يفسد فيهِ برجا الحسيني والاوج ويكون بديلًا عنهما التيك حصار والعجم وقد كان الصواب ان يجعلوا هذا اللحن من الالحان التي قرارها برج العراق وحينئذٍ لا يفسد فيهِ شيء من الابراج وبرهانه مقابلة النسب

الفصل السابع

في الالحان التي يكون قرارها على برج جهاركاه

هي ثلاثة الاول « لحن الجهاركاه » وهو جهاركاه نوى جهاركاه ماهور عجم حسيني نوى جهاركاه سيكاه دوكاه رست ثم ماهور عجم حسيني الى الدوكاه الى الجهاركاه وهذا اللحن قد يُستعمل فيهِ ربع العجم بدلًا من برج الاوج

الثاني « لحن الشرنكله » وهو جهاركاه نوى جهاركاه سيكاه مظهرًا ثم جهاركاه ماهور عجم حسيني نوى جهاركاه وهذا اللحن يختلف عمّا قبله في الاجزاء فقط

الثالث « لحن الماهوران » وهو ماهوران ثم تنزل الى الماهور ثم عجم حسيني نوى جهاركاه وهذا اللحن لا يُستعمل فيهِ برج الاوج ويكون بديلًا منهُ ربع العجم

الفصل الثامن

في الالحان الكائنة من برج النوى

هي خمسة الاول « لحن النوى » وهو نوى حسيني ثم عجم حسيني ثم تنزل برجًا برجًا الى الدوكاه وتقف عليهِ وبعضهم يقفون على النوى . وفي هذا اللحن يفسد برج الاوج ويكون ربع العجم بديلًا منهُ

والثاني « لحن النهاوِند »وهو نوى محيَّر عجم حسيني نوى جهاركاه نوى مكرَّرَين جهاركاه كردي رست ثم نوى. وهذا اللحن يُتلف فيهِ برجان اصلًا وهما الماهور والدوكاه ويُفسد فيهِ برجان وهما الاوج والسيكاه ويُستبدلان بربعَيْ العجم والكردي هكذا عرَّفتهُ ارباب هذا الفن

الثالث « لحن النهاوند » الصغير وهو نوى ماهور عجم حسيني نوى حجاز هكذا عرَّفوهُ ومن الموسيقيين من يعمل هـذا اللحن من على برج العراق والاوج من غير استعمال الارباع

الرابع «لحن الرهاوي» وهو نوى حسيني نوى حجاز مكرَّرَين حسيني نوى حجاز نوى ومنهم من يعمل هذا اللحن من برج السيكاه من العرباء ونيم الكردي والنسبة بذلك واحدة

الخامس «لحن نيشابور» وهو نوى ثم حسيني اوج مظهرًا ثم ماهور عجم حسيني نوى حجاز بوسليك ثم نوى وهذا اللحن يفسد فيهِ السيكاه والجهاركاه ويكون بدلًا منهما ربع البوسليك وربع الحجاز واماً ربع العجم فقد لبث محل بديلًا من الاوج عند الهبوط من الماهور فقط وكان الاصوب في تعريفهِ ان يُجعل مع الحان برج الرست وحينئذٍ لا حاجة الى الارباع الَّا عند الهبوط من الجهاركاه الى الرست فيستعمل ربع الكردي بدلًا من السيكاه والبرهان على ذلك هو امتحان النسب

الفصل التاسع

في اللحن الكائن من برج الحسيني

هو« الحسيني المصري » وهو ماهور اوج مكرَّرًا ثلاث مرار ثم نيم الصبا من برج الحسيني ثم يصعد الى الماهور وينزل الى برج الجهاركاه برجًا برجًا ثم يصعد الى الحسيني وينزل برجًا برجًا الى الرست ويقف على الدوكاه ثم يصعد الى الماهور ويعمل الصبا من برج الحسيني ويقف عليهِ وبعضهم يرجع الى الدوكاه ويقف عليه

الفصل العاشر

في الالحان الكائنة من برج الاوج

هي خمسة عند العجم: الاول « لحن الاوج » وهو اوج حسيني مظهرًا ثم حجاز مع النوى ثم حسيني اوج نوى ماهور محـيَّر ثم تلمّح البزرك مع المحيَّر ثم ماهور اوج ثم تنزل برجًا برجًا الى العراق . وفي هذا اللحن لا يُفسد شيء من الابراج واستعمال ربع الحجاز فيهِ انَّما هو عند ما يكون العمل من برج النوى فصاعدًا ولكن عند ما يكون النزول بقصد التسليم عند القرار لا يكون المرور على ربع الحجاز بل على برج الجهاركاه

الثاني لحن البهلون (١ وهو اوج ثم حسيني نوى حجاز وتقف على البوسليك ثم ترجع الى الاوج

(١) لعلَّهُ جلوان فعناهُ بالتركية والفارسية الماشي على الحبل او المصارع

الثالث « اوج دارة » وهو اعمال الاوج بتمامهِ ثم نيم شهناظ ثم اوج نيم عجم نوى جهاركاه سيكاه ثم نيم كردي رست عراق ثم ترجع الى الاوج

الرابع « اوج حصار » وهو اعمال الاوج من فوق وتنزل الى النوى وتظهر لحن شد عربان (١ ثم جهاركاه كردي عراق

الخامس « لحن اوج خراسان » وهو اعمال الاوج ثم اعمال الحجاز وتقف على الدوكاه

السادس « لحن العجم » وهو عين لحن البزبز ثم ترجع وتقف على ربع العجم وانّما ذكرناهُ هنا لان ربع العجم هو جزء من برج الاوج

الفصل الحادي عشر

في الالحان المختصَّة بالماهور

هي ثلاثة : الاول « لحن الماهور » وهو ماهور اوج حسيني نوى ثم حسيني نوى جهاركاه بوسليك دوكاه رست ثم سيكاه ماهور الى الرست

الثاني « كارداني (٢ غزلي » وهو اعمال الماهور من غير بوسليك ثم ماهور ثم تسلّم تسليم البياتي

الثالث « لحن رمل توتي » المعروف بجواب النوى وهو ان تبتدئ من جواب النوى وتعمل اعمال لحن الرمل المتقدّم بيانه في العدد السابع من الحان برج العراق وتقف على الماهور

هذا ما انتهى الينا من الالحان المتداولة في عصرنا هذا عند علماء البلاد الشاميَّة ولعلّ الالحان المعروفة الآن عند علماء القسطنطينيَّة اكثر عددًا من ذلك لان تفريع الالحان عديم النهاية كما لا يخفى (٣

---

١) راجع الالحان التي قرارها اليكاه ٢) ويروى كردانيا وقد مرَّ ذكرهُ في سردنا للجموع الثمانية عشر المستعملة عند الاقدمين والمتأخرين من العرب (راجع الباب الثاني العدد ١)

٣) والسبب واضح اذ لا مانع يمنعك ان ترتّب نغمات الديوانين ترتيبًا يخالف كل ما سبقهُ من الترتيبات بيد ان الذوق السليم واستعمال الادوار او المقامات المعيَّنة على ما اشرنا اليهِ يحدّان دائرة الالحان ويصدّان الموسيقي عن كل تركيب يمجّهُ السمع وليس ذلك ليُذعر من أُولع باستنباط الجديد من الالحان لان نطاقها مع ما يحصرهُ واسعٌ افيح فاذا كان الاوريون مع دورَيهم الاكبر والاصغر (Gamme majeure et mineure) يخترعون من الالحان ما لا يكاد يحصى فما عسى ان يكون للعرب مع ادوارهم الاثني عشر. فليُسمح لنا في تتمَّة سرد الالحان الشاميَّة ان نكرر

الخاتمة

في اصول معتبرة في هذه الصناعة

اني قد اطَّلعت على مؤلفـات كثيرة في فنّ الموسيقى ولم اجد احدًا من مؤلفيها تعرَّض لذكر طريقة يتوصَّل بها الطالب الى معرفة حقيقة الابراج فعليًا سوى ما ذكروهُ من ان الصوت يُقسم من قرارهِ الى جوابهِ الى اربعة وعشرين ربعًا وانَّ هذه الارباع كائنة ضمن سبعة ابراج وهذه بعضها ضمنهُ اربعة ارباع وبعضها ثلاثة كما مرَّ في اوَّل هذه الرسالة . وهذا التعريف لا يتعلَّق منهُ افادة فعليَّة بذهن المتعلِّم بل هو كلام نظري يستفيد به من كان ذا علمٍ بهذا الفنّ وحصلتْ في سماعهِ الملكة التي بها يقدر على تمييز النغمات في ارتفاعها وانخفاضها ونسبتها الى بعضها ومن كانت هذه صِفتهُ لم يكن كثير الحاجة الى هذا التعريف غير انَّ معرفتهُ بهذه الدقائق تجعلهُ مزيَّنًا بمعرفة مباني هذا الفنّ

وقد كنت في سنة ١٢٣٦هـ قدمتُ على مدينة دمشق مبارنًا وطني بدير القمر لبعض اسباب واغتنمتُ الفرصة في درس بعض الفنون على استاذي الشيخ محمَّـد العطار المشهور في العلوم العقليَّة فضلًا عن النقليَّة وحضرتُ مشاجرات كثيرة جرت بينهُ وبين عبد الله افندي مهردار في المباحث الآتي ذكرها والشيخ محمَّد لا يزال مُصرًّا على رأيهِ حتى انتبه في رسالتهِ التي وضعها في فنّ الموسيقى على ان عبد الله كان يصيب فيما يعترض بهِ الَّا انَّهُ لا يقدر ان يأتي ببرهانٍ يُقنعهُ سوى انَّهُ كان يقول لو عملنا كما تقول لم يكن خارج العمل مطابقًا للدعوى وصورة ما رآهُ الشيخ العطار ان يُشدَّ وترٌ او ما اشبهُ على آلةٍ كالطنبور مثلًا ويُقرَع فتسمَّى النغمة الحاصلة من ذلك القرع على مطلقهِ يكَّاه . ثم يُربَط في ما يجازي منتصف ذلك الوتر دستان فتسمى النغمة الحاصلة عند قرع ذلك الوتر اذا ضُغط على ذلك الدستان نوى وهو جواب اليكَّاه ثم يقسم ما بين ذلك الدستان ومبتدأ مطلق الوتر اي مكان شدّهِ اربعة وعشرين قسمًا متساوية ويُربط ما بين كل قسم وما يليهِ دستان فاذا ضُغط على ظهر الوتر من ظهر الدستان وقُرع عليهِ تكون نغمة قرار نيم حصار وعلى الثاني قرار حصار وعلى الثالث قرار تيك حصار وعلى الرابع برج العشيران وعلى الخامس قرار نيم العجم وهكذا يصعـد على التوالي

ثانية ابداء رجائنا في ان يسعى احد ابناء الشرق باختراع طريقة سهلة مختصرة لكتابة الموسيقى الشرقيَّة فيكفاه بذلك لطول عمره مجدًا وعند اهل الوطن شكرًا مخلَّدًا

دستاناً فدستاناً فبالقرع على الوتر عند كلٍّ منها تكون نغمة ربع من الارباع الاربعة والعشرين على وعند الدستان الرابع والعشرين يكون برج النوى الذي هو جواب اليكّاه الخارج من القرع على مطلق الوتر ثم يُنصَّف ما بين النوى ومنتهى الوتر وعند النصف يكون جواب النوى وهكذا يُنصَّف الباقي فيكون جواب جواب الى ما لا نهاية لهُ وكل نصفٍ يقسم الى اربعة وعشرين قسماً متساوية وتسمَّى هذه الاقسام باسماء الارباع والابراج الواقعة عليها. هذا ما اعتمد صحّتهُ الشيخ المذكور وهو سهوٌ منهُ كما يظهر من امتحان هذه الطريقة بالعمل ولم يُسلّم ما ذكرهُ سوى انَّهُ عند النصف يكون جواب المطلق فكلما قسم الباقي الى نصفين يكون عند النصف جواب الجواب الى ما لا نهاية لهُ ولاجل ايضاح الخطإِ في ذلك يلزم ان تقيم البرهان القاطع الذي لا ريب معهُ (ستأتي البقيَّة)

اوَّل مجمع لكنيسة القبط الكاثوليك

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

مذ توطّدت اركان الكثلكة في الاقطار الشرقيَّة وتوثّقت عُرى الاتحاد بين الطوائف المختلفة وكرسيّ نائب المسيح على الارض لم يزل الاحبار الشرقيون يرنون بنظرهم الى كنيسة رومة امّ الكنائس لا ليقتفوا معالمها في عقائد الايمان فقط بل ايضاً ليستنّوا بسُننها ويتحلوا بآدابها مع المحافظة التامَّة على طقوسهم القديمة والاعتصام بالامتيازات التي خُصَّت بها كنائسهم منذ أَمد بعيد

ومن الوسائل الفاعلة التي التجأ اليها الشرقيّون لتحقيق هذه الاماني المجامعُ الخصوصيَّة يتألب اليها رؤساء الدين وزعماء الكنائس للنظر في شؤون الملّة وتحسين احوالها وتداركُ خللها

واوّل هذه المجامع الشرقيَّة المستحدثة المجمع اللبناني الذي عُقد في دير اللويزة سنة ١٧٢٥ في غاية ايلول واوئل تشرين الاول على عهد البطريرك يوسف ضرغام الخازن بحضور العلاَّمة يوسف شمعون السمعاني كقاصد رسولي. وقد طُبعت اعمال هذا المجمع في مطبعة انتشار الايمان في رومة سنة ١٨٢٠ وكان سبق نشرها بالعربيَّة في المطبعة الشويريَّة سنة ١٧٨٨. وهذه النسخة قد اضحت عزيزةً جدًّا وستنجز عمَّا

قليل طبعتها الثانية منقولة عن الاصل اللاتيني على التمام والكمال

وعُقد بعده مجمع آخر للروم الكاثوليك سنة ١٨٠٦ في دير مار انطونيوس قرقفة على عهد البطريرك اغابيوس مطر وطُبعت اعمالهُ في الشوير سنة ١٨١٠ الّا انّ الكرسي الرسوليّ لم يصادق عليهِ لاسبابٍ وامر ان تُعدم نسخهُ. ولمّا أُلقي بزمام طائفة الروم الكاثوليكيين الى الطيّب الذكر مكسيموس مظلوم جمع سنة ١٨٣٥ في عين تراز مجمعاً اتّفق فيها الاساقفة على ٢٥ قانوناً وقد نُشرت هذه القوانين في رومة سنة ١٨٤١

ومن المجامع التي سعى بعقدها السيد البطريرك مكسيموس مظلوم لخير طائفتهِ المجمع الاورشليمي الملتئم سنة ١٨٤٩ في القدس الشريف وفيهِ أُصلحت الامور التي لم تُصب الحظوى لدى الكرسي الرسوليّ. واعمال هذا المجمع لم تُنشر بالطبع الى يومنا هذا وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة مخطوطة منها

امَّا الكنيسة السريانيَّة الانطاكيَّة فانها احبَّت ان تجاري الكنيستين السابقتين فلمَّا كانت اواسط السنة ١٨٨٨ اجتمع اساقفة السريان الكاثوليكيين في دير السيدة المعروف بالشرفة تحت امرة بطريركهم الجليل اغناطيوس جرجس شلحت وبحضور نيافة القاصد الرسوليّ السيِّد لودوفيكو پياڤي نيابةً عن الحبر الاعظم فدار الكلام في هذا المجمع على اكثر المباحث التي لها علاقة مع دستور الايمان والآداب الكنسيَّة وتوزيع الاسرار المقدَّسة والوسائط المناسبة لخير المؤمنين ونموّ الروح الرهباني وحقوق البطاركة والاساقفة والكهنة وواجباتهم نحو رعاياهم. وللمثلَّث الرحمة السيد اكليميس داود في انشاء اعمال المجمع وتنظيم مباحثهِ وشرح موادهِ النصيبُ الاوفى فكان كنفس هذا المشروع الخطير وقطب هذا العمل الاثير. ولمّا تمّت الجلسات السينودسيَّة واتفقت كلمة آباء المجمع على الموادّ كلها أُرسلت الى رومية فنُقحت وصادقت عليها لجنة من الكرادلة ثمَّ طُبعت هذه الاعمال في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٨٩٧

امَا اليوم فقد نجزت اعمال مجمعٍ آخر كبير الشان كان لافتتاحهِ احسن وقع في قلوب الكاثوليكيين عموماً والمصريين منهم خصوصاً نريد المجمع الاوَّل للقبط الكاثوليك . وقد بلغتنا هذه الاعمال منشورةً بالطبع المتقن في مطبعة انتشار الايمان والكتاب عبارة عن ٣٥٠ صفحة يتصدَّرها مقدّمة طويلة تنيف على ٥٠ صفحة وقد أجلنا النظر في هذا المجموع النفيس فاذا هو طرفةٌ من الطرائف الدينيَّة التي

تضمن لأمّة القبط الترقّي في معارج الفلاح ولا مراء بأنَّ ابناءها يجدون بهِ مصباحًا مضيئًا في بِيَعهم بل كوكبًا زاهرًا في سماء شريعتهم يهتدون بهِ جميعهم على اختلاف دعوتهم

وكان افتتاح هذا المجمع القبطي في ١٨ يناير من السنة المنصرمة برئاسة السيّد الجليل غودنسيو بونفيلي القاصد الرسوليّ على مصر وقد حضرهُ رئيس اساقفة آمد السيد فرنسيس سوغارو موفدًا من قِبل قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر كستشار المجمع. وفي صباح ذلك النهار لبس الآباء ثيابهم الحبريَّة وساروا باحتفالٍ عظيم من الدار البطريركيَّة الى الكنيسة الكاتدرائيَّة العظمى. ومشى في هذا الموكب الحافل قومٌ من نخبة اكليروس الطوائف الكاثوليكيَّة والجمعيَّات الرهبانيَّة يليهم سفير الدولة النمساويَّة في مصر البارون كرل دي هيدلر اكريك (C. de Heidler-Egeregg) والبارون كرل سونلَيتنر (C. Sonneleithner) ثم وجهاء الطائفة القبطيَّة وعدد غفير من المؤمنين

ولمَّا انتهى الجمع الى الكنيسة اقام السيد كيرلُّس مقار النائب الرسولي على البطريركيَّة الاسكندريَّة الذبيحةَ الالهيَّة ثمَّ تُليت تسبحة الروح القدس وقُرئت المناشير الرسوليَّة المؤذنة بمباشرة المجمع مع البراءات التي تخوّل للقاصد الرسولي حقّ الرئاسة وللسيد فرنسيس سوغارو إبداء المشورة. ثمَّ انتصب الآباء وجاهروا بصحَّة معتقدهم بتلاوة دستور الايمان موقعين عليها بالامضاء ومقرّرين ذلك بالقَسَم على الانجيل المقدَّس

وخُتمت هذه الحفلة الشائقة بانشاء معروض أُرسل تلغرافيًا الى اعتاب الكرسي الرسولي يشعر الاب الاقدس بافتتاح المجمع ويطلب لاعضائهِ بركة خليفة بطرس. فاجاب في اليوم نفسهِ الحبر الاعظم بلسان التلغراف بغاية اللطف على المعروض السابق مهديًا البركة الرسوليَّة على آباء المجمع ومتمنيًا لهم كل نجاح لمجد الله وخير طائفتهم

ثمَّ عُقدت بعد ذلك ثماني جلسات سرّيَّة تباحث فيها الآباء عن امور الايمان والآداب واثبتوا بامضائهم ما اتّفقوا على تقريرهِ

وكان الآباء قد عيَّنوا تسهيلًا للعمل ثلاث لجنات خصوصيَّة تتركَّب من عدد معلوم من اللاهوتيين المتضلّعين بعلم الكلام والحقّ القانونيّ والآداب الكنسيَّة والتواريخ الدينيَّة لينتخبوا الموادّ وينظِّموها ويُحسنوا اثباتها بالبراهين العقليَّة والاسانيد النقليَّة

والادلّة التاريخيّـــة حتى اذا اجتمع الآباء تُتلى هذه الفصول وتُنقَّح ثم تُختم بامضاء ذوي الامر

وعلى هذه الصورة تمّت بعد خمسة اشهر فقط اعمال المجمع الذي خُتم في اليوم الثالث من حزيران بأبهة عظيمة واحتفال لم يُعهد لهُ مثيل وفيــهِ تمّ تكريس الأمّة القبطيّة لقلب يسوع الاقدس على يد نائب بطريركيّتها الرسوليّ

ولم يمرّ على هذه الاعيــاد سوى بضعة ايام حتى أُرسلت الى رومية اعمال المجمع مخطوطةً ليثبتها امام الاحبار بتمام سلطانهِ فسُرَّ قداستهُ ايَّ سرور لما رأى في هــذا المجمل النفيس من الايمان الحيّ والتقى والتعلّق بالسدّة الرسوليّــة فأمر للحال بمباشرة طبعها ولم يزل يحرّض على مواصلة الشغل في نشرها الى ان نجز العمل بزمن قليــل في مطبعة انتشار الايمان

وهذه الاعمال لمن يتصفّحها كخلاصة العلوم اللاهوتيّة والآداب البيعيّــة والحقوق القانونيّة وهي تُقسم الى ثلاثة اقسام مدارُ البحث في اوّلها عن عقائد الايمــان وفي الثاني عن الرتب الليتورجيّة والاحتفالات الكنسيّة وتوزيع الاسرار وفي الثالث عن نظام الكنيسة وحقوق اعضائهــا وواجباتهم فردًا فردًا وفي مُجتمعاتهم السينودسيّة او مجالسهم في الدعاوي الدينيّة

وقد وجدنا القسم الاوّل غايةً في الدقّة والضبط ينبئ بسعة علوم من تولّوا انشاءهُ ويشهد لهم بالتضلّع بالدروس الكتابيّة وتآليف الآباء الاقدمين. وهذا القسم يتضمّن لباب المعتقدات المسيحيّة في الثالوث الاقدس وتجسّد ابن الله لخلاص البشر من الخطيئة الارثيّة وفي اقنوم المسيح الالهي مع كمال طبيعتيهِ ومشيئتيهِ. ثمّ سعيُ المسيح بانشاء كنيسة خصّصها بصفاتٍ تميّزها عن الكنائس الباطلة واختيارهُ لبطرس الهامة وخلفاءهُ ليقوموا مقامهُ في تدبير الكنيسة ورئاستها بينما هو يبقى معها الى منتهى الاجيال كرأسها غير المنظور. والفصل الاخير من هذا القسم يختصُّ بالحقائق التي يُقتضى اعتقادها عن اواخر الانسان كقيامة الاجساد والدينونة والجحيم والنعيم والمطهر. وقد سرّنا ما رأيناهُ في هذا القسم الاوّل من البراهين اللامعة التي تدحض مزاعم القبط اليعاقبــة بخصوص الطبيعتين في المسيح وانبثــاق الروح القدس من الاب والابن ووجود المطهر ورئاسة بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين. وهذه الادلّة منها عقليّة ومنهــا نقليّة اخذها آباء

المجمع من معلّمي الكنيسة الاسكندريّة كاثناسيوس وكيرلُّس واوريجانس ومن اقوال المجامع الاولى بحيث لم يبقَ شكٌّ لمن يقنع بالبرهان ولا يعاند الحقّ

وليس القسم الثاني دون الاوّل شأناً واهميّةً فانّ الآباء لم يدعوا مبحثًا من مباحث الرتب الدينيّة والآداب البيعيّة الّا واعملوا النظر فيهِ كتعيين كتب الليتورجيا واللغة الطقسيّة والانغام الدينيّة والفرض الكنسي والاصوام والاعياد ثم انتقل الاباء الى ذكر الاسرار وخواصها وشروط توزيعها مع ما يختصّ بالاواني المقدّسة والحلل الكهنوتيّة والجنّازات والمقابر. وفي هذا القسم امور كثيرة مستحسنة لا يسعنا ذكرها حبًّا بالاختصار. الّا انّنا نثني ثناء حسنًا على ما حتمهُ الاباء بخصوص عزوبة الكهنة ليتجرّدوا عن هموم الدنيا وملذّاتها ويتفرّغوا لخدمة رعاياهم دون شاغل يشغلهم عن ذلك. وهكذا فعل قبلهم آباء مجمع الشرفة (ص ٢٠١)

امّا القسم الثالث فهو كلهُ مخصّص ببيان الدرجات الكنسيّة وما لاصحابها من الحقوق والواجبات وهو يبتدئ بالحبر الروماني راعي الرعاة في الكنيسة جمعاء ثمّ يتخطّى الى ذكر البطريرك الاسكندري الرئيس الاكبر بعد خليفة هامة الرسل وذكر رؤساء الاساقفة والاساقفة والكهنة مع ما يختصّ برتبة كلّ واحد منهم ويلي ذلك فصول مطوّلة في الاجتماعات السينودسيّة والدعاوي والمشاجرات المختصة بالديوان الاسقفي والتأديبات الكنسيّة والاعشار والاوقاف الى غير ذلك من الفوائد الجمّة التي تجعل هذا الكتاب كدستور يُرجع اليهِ في جميع المشاكل الدينيّة

هذه لُمعة وجيزة يستدلّ بها القرّاء عمّا تتضمّنهُ اعمال السينودس القبطي الكاثوليكي من الامور الخطيرة وكان بودّنا ان نبسط الكلام في كلّ فصل من فصولهِ لولا خوفنا من الخروج الى الاسهاب المملّ. الّا انّنا نخصّ بثنائنا ما اودعهُ اصحاب هذا المجمع في كتابهم من السُّنن والقوانين الواضحة التي من شأنها ان تزيل ارتياب المؤمنين في امور كثيرة مُشتبهة على الشرقيين او بطل بينهم استعمالها كتحديد السنّ الذي ينبغي فيهِ الصوم وحصر بعض الاعياد (١ الى غير ذلك من الاصلاحات الحسنة الموافقة لاحوال عصرنا. امّا ما يختصّ بالكلندار القبطي الذي بدء تاريخهِ من سنة الشهداء اي

١) لم نجد في جدول الاعياد المفروضة عيد ميلاد الرب (ص ٦٧) وعلى ظنّنا ان ذلك سهوٌ. اما اهمال عيد تجلي الربّ وثاني عيد الفصح فلا نعلم ايكون السكوت عنهما ابطالاً لهما او نسياناً



السنة ٢٨٤ للمسيح فان المجمع لم يستحسن ابدالهُ بالكلندار الغريغوري ولعلَّ الظروف بعد زمن قليل تقتضي هذا التغيير فلا يتأخر احبار الكنيسة القبطيَّة عن اجرائهِ

هذا وغاية ما نتمنَّاهُ ان تكون هذه القوانين كمنار تستضيء بهِ الامَّة القبطيَّة لا تحيد عنهُ في شيء لانَّ فيهِ هدًى وصلاحاً ونتوسَّل الى الله الَّا تبقى طائفة في الشرق متحدة مع الكرسي الرسولي دون ان تقرّر لها دستوراً مثل هذا يرجع اليهِ المؤمنون في معرفة واجباتهم مع المحافظة على الطقوس الشريفة التي ورثها الخلَف عن اسلافهم القديسين

رحلة المطران اسحق الشدراوي الى فرنسة (سنة ١٦٦٠)

اسحق الشدراوي احد مشاهير الامَّة المارونية ولد في قرية شدرا من بلاد عكَّار نحو سنة ١٥٩٠. فلمَّا راهق ارسلهُ البطريرك يوسف الرزّي الى رومة سنة ١٦٠٣ ليتلقَّى فيها العلوم في مدرسة الموارنة التي كان يدير شؤونها الاباء اليسوعيون فمهر في العلوم الالهية والطبيعية ونال شهادة الملفنة ١٦١٨ ثم عاد الى لبنان وبعد زواجهِ رُسم كاهناً سنة ١٦١٩ وتولَّى تدبير كنيسة بيروت. ولمَّا توفيت امرأتهُ اقامهُ البطريرك يوحنَّا مخلوف اسقفاً على مدينة طرابلس سنة ١٦٢٩ فتولَّى امر كنيستها الى سنة وفاتهِ وفلح كرم الربّ بنشاط وعزَّز النصرانية في بلاد كسروان وتوفي في جبيل سنة ١٦٦٥ ودُفن في كنيسة مار يعقوب التي في سهل جبيل. ولهُ تآليف كثيرة منها قصيدة سريانيَّة في مدح البابا اوربانس الثامن ومنها ترجمة اعمال المجمع الكلداني المعقود في آمد سنة ١٦١٦ والمطبوع في رومية سنة ١٦١٧. ولهُ كتاب في نحو اللغة السريانية طُبع في مدرسة الموارنة سنة ١٦٣٦. ومن تآليفهِ كتاب لاهوتي في عقائد الايمان كثير الفوائد يدعى كتاب المناجاة بين المعلم والتلميذ. وهو لا يزال مخطوطاً. ومنـهُ نسخةٌ حسنة في مدرسة مار يوحنَّا مارون كتبها في حياة المؤلف القس جرجس بن افرام الباني وفي هذا الكتاب قد ذكر المطران اسحق الشدراوي رحلتهُ الى بلاد فرنسة ليطلب من ملكها رتبة القنصليَّة الفرنسية للشيخ ابي نوفل الخازن وقد تلطَّف حضرة الاب بولس طعمة فارسل لنا هذه النبذة التاريخية التي اثبتناها على صورتها الاصلية لم نصلح منها الَّا شيئاً قليلًا ليتَّضح معناها ل . ش

التلميذ لا تسأل يا معلم عمَّا حصـل لي من الحزن والهمّ لمَّا عرفت انك رحلت الى بلاد النصارى. ولكن اشكر الله تعالى الذي ازال همي وزاد فرحي برجوعك ومجيئك الينا بخير وسلامة. وقبل ان ابدأ فاكلّف خاطرك في مساءلتك عن العلوم وما خطر منها في بالي اطلب منك يا معلّم ان تخبرني شيئاً قليلًا عن سفرك الى بلاد النصارى لاني عارفٌ انهُ ليس احد اخبر منك بذلك. وقد كنتُ سمعت منك سابقًا انك دخلت تلك البلاد اربع مرَّات وهو امرٌ لم يفعلهُ احد غيرك من طائفتنا

المارونيَّة وكلُّ هذا عملتهُ لاجل مصالح الطائفة وخير بيعة الله جازاك الرب كلّ خير لاجل تعبك مع بيت مارون برًّا وبحرًا

المعلّم ❦ ارضاء لخاطرك اعلم أيُّها التلميذ العزيز انني دخلتُ بلاد النصــارى المرَّة الاولى في زمن البطريرك المرحوم يوسف من بيت الرزّ (١. وهو الذي بعشتي واخي سركيس (٢ واثنــين آخرين من قرية حصرون اسمهما يوحنّا (٣ ومخائيل (٤ فذهبنا مع المطران يوحنّا الحصروني (٥ الراهب الدومينيكاني لنتعلّم في مدرسة الموارنة التي في رومية (٦ وقد ذكرت ذلك في مقدّمــة غراماطيقي السرياني الذي طبعتهُ في رومية . ومنها تعرف ايضًا سبب رحلتي من حلب ودخولي بلاد النصارى ثاني مرَّة (٧. امّا سفرتي الثالثة فقد تمت بامر البطريرك يوسف العاقوري (٨

١) تولى السدَّة البطريركيّة على الطائفة المارونية من السنة ١٥٩٥ الى السنة ١٦٠٨

٢) لم نجد لهُ ذكرًا في ما لدينا من تواريخ الموارنة

٣) هو القس يوحنا بن قرياقوس الحصروني الذي تولى مع القس جبرائيل الصهيوني ترجمة اللغات الشرقية عند ملك فرنسة لويس الرابع عشر

٤) هو ميخائيل بن سعادة الحصروني الذي رُقي الى كرسي الاسقفيـة سنة ١٦٤٤ وكان مساعدًا للبطريرك يوحنا مخلوف

٥) هو يوحنا بن حاتم الحوشبي الحصروني تلقّى العلوم في مدرسة الموارنة في رومية وترهب في رهبانية القديس عبد الاحد ثمَّ اختارهُ البطريرك يوحنا مخلوف اسقفًا لتدبير شؤون دير قنوبين وارسلهُ سفيرًا الى رومية سنة ١٦٠٣ . وكانت وفاتهُ في حلب سنة ١٦٣٢ . وقد عرَّب جزءًا من الخلاصة اللاهوتية لمار توما وصنَّف في اللاهوت الادبي كتابًا دعاه قطف الازهار

٦) هذه المدرسة انشأها غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٥ وعهد بادارة شؤونها الى الرهبانية اليسوعية وبقيت في يدهم الى ان أُلغيت الرهبنــة المذكورة سنة ١٧٧٣ . وقد خرج منهــا قوم من العلماء المبرّزين تفتخر بهم الى يومنا هذا الطائفة المارونية

٧) وفي هذه المرَّة الثانية سكن الشدراوي مدَّة في ميلانو ودرَّس فيها اللغة السريانية كما ترى في هذا الثناء اللاتيني الذي وُضع تحت رسمهِ الكريم في كتاب تذكار السنة المئة للمدرسة المارونية المطبوع في رومية سنة ١٦٨٥ جمعة الاباء اليسوعيين

ISAAC SCIADRENSIS

ARCHIEPISCOPUS TRIPOLIS SYRIÆ

Vel hoc uno maximus quod Frederico Card. Borromeo percarus: in Mediolanensi Accademia Syriacis et Iurisprudentiæ disciplinis excultus eam nactus est gloriam ut litterarum Parentem dixerint, non Alumnum. Merito igitur ambigas maioremne insulis contulerit an retulerit dignitatem.

٨) هو يوسف بن بطرس بن حليب العاقوري تولى البطركيَّة المارونية من سنة ١٦٤٤ الى سنة ١٦٤٨



من بيت حليب ارسلني لمصالح الطائفــة

وكان دخولي المرَّة الرابعة في بلاد النصارى على عهد البطريرك يوحنَّا الصفراوي (١ وبامرهِ لاجل الشيـخ ابي نوفل من بيت الخـــازن (٢ لنأتي لهُ بقنصليَّة مدينة بيروت من عند سلطان فرنسة. فكان خروجي من مدينـــة طرابلس في غاليون (٣ فرنساوي اسم قبطانهِ « ريفردوى » وهو بارون فرنساوي وصاحب الغاليون. وكان ذلك في اليوم السادس من شهر شباط سنة ١٦٦٠ م وبعد ما مكثنا في البحر سبعة وعشرين يوماً وصلنا الى مدينة ليفورنو (٤ بخير وسلامة. ورحلنا من ليفورنو بعد مدَّة شهر الى مدينة بيزا (Pise) ومنها دخلت مدينة فيرنسا (Florence, Firenze) مدينة الكرندوكا (٥ ومنها عبرتُ الى مدينة سيا نَّا (Sienne) ثمَّ الى بلاد البابا ووصلت الى مدينة رومية العظمى في آخر يوم من شهر نيسان سنة ١٦٦٠. وكان سبب مروري برومية ان اتكلَّم مع البابا وآخذ منهُ مكاتيب توصية للشيخ ابي نوفل في شأن قنصليَّة بيروت لاقدّمها في مدينة باريس لملك فرنسة. ولكن بعد ان وصلتُ الى رومية بنصف شهر حدث فيهـــا الطاعون ولم يعد يمكن احدًا ان يخرج الى البلاد او يدخل منها. وهكذا عملوا في جميع بلاد النصارى لئلَّا ينقل احدٌ رائحة الطاعون ولهذا السبب بقيتُ سنتين محبوساً في رومية والدروب مقفلة

وبعد سنتين انعم الله علينـــا وعليهم ورفع الطاعون عنَّا وعنهم وانفتحت الدروب فخرجتُ من رومة واتيت الى مدينة ترني (Terni) ومنها الى مدينة سبوليتي(Spolète) ومنها الى فولينيو (Foligno) ومنها الى كامرينو (Camerino) ومنها الى ماشيراتا (Macerata) ثم الى ريكاناتي (Recanati) ثم الى لوريتو (Lorette) وهنـــاك بيت سيدتنا العذراء مريم (راجع المشرق ٢ : ٧٦٧). فمكثتُ في هذه المدينة اربعة

---

١) جلس على الكرسي الانطاكي بعد البطريرك يوسف العاقوري من سنة ١٦٤٨ الى ١٦٥٦

٢) هو الشيخ ابو نوفل نادر بن الخازن تولى امر كسروان من سنة ١٦٤٧ الى سنة ١٦٧٩ وكان من اصحاب الفضل والدين متصفاً بسموّ الهمَّة وعلوّ المدارك فخدم الدين والوطن احسن خدمة. وقد عهد اليهِ ملك فرنسة لويس الرابع عشر بتدبير القنصليــة في بيروت سنة ١٦٦٢ م (راجع تاريخ الطائفة المارونية ص ٢٣٧)

٣) تعريب (galion) وهي سفينة لشحن السلع

٤) ليفورنو (Livournes) مدينة ايطالية مشهورة من اعمـــال بلاد توسكانا على شاطئ البحر المتوسط

٥) Grand-duc. كان اسم دوق توسكانا وقتئذ فردينند الثاني مديسيس

اشهر في فصل الشتاء بسبب الثلج والبرد الذي صار بتلك السنة. والحمد لله الذي يسَّر لي ان اقدم لهذا الموضع المبارك واحظى ببركتهِ وشفاعتهِ. ومن هذه المدينة سرت الى مدينة اسيمو (Osimo) ومنها الى ياسي (Iesi) ومنها الى انكونا (Ancône) ثم الى سينيكاليا (Sinigaglia) ثم بيسارو (Pesaro) ثم ريميني (Rimini) ثم راوونا (Ravenne) وهناك مكثنا اربعين يومًا في المدرسة التي انشأها المرحوم القس نصرالله الماروني العاقوري (١ ورسمتُ فيها مدبرها كاهنًا باسم متى بن ميخائيل من قرية بان في جبَّة بشرَّاي ورسمت شدياقين جرجس القيّم وبولس تلميذي المدرسة (٢ وانا كنتُ سابقًا اخذتهما معي من بلاد كسروان لتلك المدرسة. ومن هذه المدينة رحلتُ الى مدينة ايمولا (Imola) ثم الى بولونيا (Bologne) وهي مدينة معظمة ليس اكبر منها بعد رومية في حكم البابا. وهناك ثبَّتُّ في عيدين بنات وصبيانًا يبلغ عددهم خمسة آلاف وخمسمائة. ورسمتُ اكثر من خمسة عشر شمَّاسًا وشدياقًا. وهناك صار لي عزٌّ واكرام عظيم من اعيان المدينة. ثم استكرى لي وكيل المطران محارةً (٣ وبعثني بها الى مدينة فيرنسا التي بها مكثتُ سبعة عشر يومًا في دير الرهبان الدومينيكيين وهو الموضع الذي فيهِ صار مجمع فيرنسا (سنة ١٤٥٠) وصار رضًى ووفاق بين الفرنج والروم. وثبَّتوا بهذا المجمع انَّ رأس الكراسي واولها هو كرسي رومية والثاني الكرسي القسطنطيني والثالث الاسكندري والرابع الانطاكي والخامس الاورشليمي

ومن هذه المدينة نزلنا في مركب في النهر الى مدينة بيسا ومنها سرنا في قاربٍ الى مدينة ليفورنو وهناك مكثتُ سبعة وعشرين يومًا حتى سافرتُ في غاليون انكليزي الى مدينة مرسيلية ومنها الى مدينة ابينيوني (Avignon) وهي وبلادها لبابا رومية. وكنتُ سكنتُ في مرسيليا اربعة ايام في بيت الخواجا يوسف بدوق ابي الخواجا كرم واخيهِ انطون القيمين الآن في بيروت. امَّا ابينيوني فبقيتُ فيها سبعة عشر يومًا عند الرهبان الدومينيكيين. ثمَّ ركبتُ مركبًا منها (على نهر الرون) الى مدينة ليون فوصلنا

---

١) اسمهُ نصرالله بن شلاق العاقوري تربَّى في مدرسة الموارنة في رومية ثم انتقل الى راڤنة وانشأَ فيها مدرسة لابناء طائفتهِ وخلَّف لها ثروة عظيمة عند وفاتهِ سنة ١٦٣٥ ودامت هذه المدرسة بعدهُ الى السنة ١٦٦٤ فنُقل تلامذتها الى مدينة رومية ٢) لم نقف على شيء من اخبار هؤلاء المذكورين ٣) المُحارة الهودج



اليها بعد عشرة ايَّام. وسمتُ في هذه المدينة عشرة قسوس من الايسوعيَّة وواحداً عامّيًا. ومنها ركبنا مركبًا الى مدينة شالون حيث استأجرتُ عربةً بلّغتنا في اربعة ايَّام مدينة اوصير (Auxerre). ومن هناك نزلتُ في مركبٍ الى مدينة باريس. واجتزتُ في طريقي بمدنٍ وقرى ومزارع لا تُحصى

وفي باريس انتظرتُ شهر زمــان حتى عاد السلطان من الحرب (١. وبعد عودتهِ بثلاثة ايام سهَّــل الرب امر قنصليَّة بيروت وتسليمها للشيخ ابي نوفل. وجئتُ بامر من السلطان في ذلك وقفلتُ راجعاً الى مرسيليا بالطريق التي اتيت منها الى باريس

وقبل ان اذكر لك ايُّها التلميذ الحبيب خبر رجوعي بحرًا الى بلادنا اصف لك عظم مدينة باريس وما فيها. وكنتُ مكثتُ قبلًا سنةً تامَّةً. وهاك ما وجدتُ في كتاب مطبوع في لسان اللاطين عنها قال انَّ في باريس خمسين مدرسة لتعليم الاولاد غير مدارس البنات وفيهــا خمسمائة درب واكثر من ستين قصرًا من القصور الكبار وللمدينة سبعة عشر بابًا واحد عشر جسرًا وعلى الجسور بنايات مليحة وفيها ثلاثون نبع ماء وآبار بلا عدد. وكنائسها اكثر من ثلثمائة واديرة رهبانها ثلاثون ومثلهــا للراهبات. وفيها اكثر من ستين خورنة (رعيَّة). ودعاني احد الخوارنة وقال لي انَّ تحت يدهِ اثنتين وسبعين الف نفس (٢. وعدد سكَّانها قرب خمس عشرة كرَّة (٣ من النفوس (١,٥٠٠,٠٠٠). ويُذبح فيها كلَّ يوم ثلاثمائة رأس بقر وثلاثة الاف رأس غنم وثمــانون الف من الفراريج والحمام وغيرها من الطيور. هذا ما وقفتُ عليهِ من امر باريس

ولمَّا طلع الامر الشريف من عند سلطان فرنسة بخصوص قنصليَّة بيروت للشيخ ابي نوفل المكرَّم وعدتُ الى مرسيلية وجدتُ غاليونًا فلامنكيًا مبحرًا الى جهة طرابلس الَّا اني انتظرتهُ الى حين سفرهِ اثنين واربعين يومًا. وهذا الغاليون كان منيعًا فيهِ ستة وثلاثون مدفعًا وستة وستون نفرًا غير الركَّاب. فسافرتُ فيــهِ ولمَّا وصلنا الى جزيرة

---

١) لا نعلم الى اي حربٍ يشير المؤلف فان الحرب الاولى التي خرج اليهــا لويس الرابع عشر بنفسهِ كانت حربهُ مع اسبانية سنة ١٦٦٧

٢) وفي ايَّامنا مثل ذلك فانَّ رعيَّة الجدلية (Madeleine) تبلغ ٨٠,٠٠٠ نفس

٣) واليوم عدد سكان باريس نحو ثلاثة آلاف الف

قورسقا ردَّنا الريح الى مدينة ليڤورنو ومنها بعد ستَّة ايام وصلنا الى جزيرة مالطة ومكثنا فيها خمسة ايَّام وسافرنا منها الى طرابلس ولم نقف في البحر الَّا اثنين وعشرين يوماً ولله الحمد الذي وفَّق مسيرنا فلم ننظر في طريقنا شيئاً نكرههُ

ولمَّا وصلتُ الى طرابلس استأجرتُ قارباً بسبعة قروش وجئنا ليلًا الى جونية ومنها وصلنا الى بيتنا في زوق مُصبح وصار في وصولنا الى بلادنا فرح عظيم عند الشيخ ابي نوفل المذكور وعند ولدنا الشدياق يعقوب وعند ولديهِ فضل الله ولطف الله وعند اهل بيتهِ وعند اهالي زوق مُصبح وعند بقيَّة الاقارب والمحبين. وبعد وصولنا بثمانية ايام قرئ الامر الشريف في كنيسة بيروت (١ وباركتُ خلعة القنصليَّة ولبَّستُها للشيخ ابي نوفل وصار ذلك في حضور الفرنج وشعب غفير من الموارنة. وعمل الشيخ دعوةً للتجَّار الفرنج وحضر الوليمة كثيرون من النصارى والمسلمين وصار فرح عظيم

وتسلَّم الشيخ المذكور قنصليَّة بيروت في اليوم العشرين من كانون الثاني سنة ١٦٦٣ الله يهنئهُ فيها هو واولاد اولادهِ الى الدهر الداهرين آمين لأنَّهُ قائم في ناموس النصارى في نظر الله وفي نظر الاميرين من اولاد معن الامير احمد والامير قرقماز اخيهِ جعلهما الله دائمين الدهر كلهُ ونصرهما على اعدائهما امين يارب العالمين

واعلم اني لمَّا ذهبت المرَّة الثالثة الى بلاد النصارى دخلتُ مدينة سيراقوسة (Syracuse) وسرتُ منها الى مدينة مسّينة (Messine) ومنها اتيت بحرًا الى مدينة نابولي ومنها الى رومية ثم الى البندقيَّة ثم الى بادوا (Padoue) ثم الى فيرونا (Vérone) ثمَّ الى منتوا (Mantoue) كرسي دوكا منتوا ومنها الى مدينة بيركمو (Pergame) ومنها الى ميلانو ثم الى تورينو كرسي دوكا سابوديا وفيها مكثت اكثر من اربعين يوماً. ونزلت في دير الرهبان الدومينيكيين فبعثت لي حرمة الدوكا التي كانت في ذلك الزمان اخت سلطان فرنسة خدمةً واعطتني زوَّادة حتى وصلتُ الى مدينة باريس اوَّل مرَّة وكان ذلك سنة ١٦٤٧. وفي هذه الاربع مرَّات التي فيها دخلت بلاد النصارى نظرت ستَّة باباوات وتكلَّمت معهم وهم اقليميس (الثامن ١٥٩٢ — ١٦٠٤) ولاون (الحادي عشر ١٦٠٤ — ١٦٠٥) وبولس (الخامس١٦٠٦—١٦٢١)

---

١) وهذه البراءة قد اثبتها المعلم الفاضل رشيد افندي الشرتوني في كتاب تاريخ الموارنة ص ٣٣٣

واوربانس (الثامن ١٦٢٣ — ١٦٤٤) واينوشنسيوس (العاشر ١٦٤٤ — ١٦٥٥) والكسندروس (السابع ١٦٥٥ — ١٦٦٧) وهو في يومنا هذا جالس على الكرسي الروماني . ولله الحمد قد حظيت ببركة كل هؤلاء . وايضاً على زماني صار ستّة بطاركة في قنُّوبين البطرك يوسف من بيت الرزّ الذي بعثني الى رومة والبطرك يوحنّا بن مخلوف وهذا رسمني قسيساً وخوريًّا ومطرانا والبطرك جرجس من بيت عميرة من قرية اهدن والبطرك يوسف العاقوري من بيت حليب والبطرك يوحنّا الصفراوي والبطرك جرجس من قرية سبعل ابن الشيخ رزق الله من اعيان اهالي زاوية طرابلس وهو الجالس اليوم على كرسي الانطاكي على الملّة المارونيّة ادامهُ الله زمناً طويلًا امين



السيد اسحق الشدراوي مطران طرابلس († ١٦٦٥) عن رسم قديم طبع في رومية سنة ١٦٨٥

هذا ما اعلمتك ايها التلميذ لئلا يخفى عليك شيء ولم أُرد ان اسمّي لك المدن والقرى والمزارع التى مررتُ بها ونظرتها كي لا اطوّل عليك الشرح (تمت الترجمة بعون الله) .

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ابناء اولاد زين الدين

فلنرجع الان الى ذكر ابناء اولاد زين الدين الذين يُعدُّون في اواخر الطبقة فانَّ منشأهم في اواخر ايَّام جدهم زين الدين المذكور والصغير منهم ممَّن نشأ بعد وفاة جدّهِ نجعلهُ خارجاً عن هذه الطبقة فيكون ذكرهُ مُلحقاً بهذه الطبقات الثلاث

ذكر الامير بدر الدين حسن ابن علاء الدين علي ابن زين الدين صالح

كان هذا حسن الخلقة والاخلاق لطيفاً مع النـاس محبوباً اليهم مشكوراً عندهم وكان ذا كرم وسماحة لهُ رغبـة في الصيد والركوب. ونشأ في رغد عيش. وكان اقطاعهُ اقطاعَ ابيهِ اتّصل اليهما من بني ابي الجيش وكان قد خرج بعد وفاة ابيهِ سعـد الدين عيسى التركماني فاسترجعـهُ جدُّهُ زين الدين وجعلهُ لبدر الدين المذكور كما تقدَّم ذكر ذلك وذكر ابيهِ وذكر جهـات اقطاعهِ ايضاً. تزوَّج واسطة بنت شرف الدين سليمان (106ᵛ) ابن سعد الدين خضر وهي ام اولادهِ جميعاً ولم ينشأ منهم غير محمد واسماعيل. وكان زواجهُ بها في الثاني عشر جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة (١٣٧٠م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى سلخ شهر ربيع الاوَّل سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (١٣٨١م)

ذكر الامير ناصر الدين محمد ابن جمال الدين محمَّد بن زين الدين صالح

كان ذا عقل ومعرفـة وحسن رأي وتدبير عيش محسناً في تصريف اموره جيّد السياسة لنفسهِ حاسباً للعاقبة جازماً لرأيهِ متفكّراً في احوالهِ متذكِّراً لاخبار الاقدمين قبلهُ عندهُ خبرةٌ باخبار السلف ومعرفة لانسابهم وتقلُّباتهم بالدُّوَل وما كان من حوادث الأيَّام السالفة. ومع هذا كان حسن الطريقة مشكور البصيرة محبّاً لاهل الخير يعرف مقادير الناس وكان لهُ نظرٌ وبصيرة في الهندسة والصنائع حاذقاً بعدَّة صنائع. فصياغتهُ حسنة ولم يروا في زمانهِ احسن ضرباً منهُ بالمطرقة واحذق في النجارة والخراطة وعمل

الكرالك (١. وكان اذا وضع يدهُ في شيء اتقنهُ. وكتابتهُ حسنة وبالجملة كان عندهُ دربةٌ وخبرةٌ في ما يُعنى بهِ

وجهات اقطاعهِ نصف وربع بعورتا ومزرعة كفراغوص وذلك بجنديّة حلقة اخذهُ من بني ابي الجيش. وعمّر المذكور الطبقة الملاصقة علِيَّتي ناصر الدين الحسيني بن خضر (107r) وتزوّج ناصر الدين المذكور صادقة ابنة عمّتهِ. وابوها هو القاضي عماد حسن بن ابي الحسن المنصوري. واخبرني رجلٌ انّهُ لمّا توفّي والد ناصر الدين محمد كانت أُمهُ حاملًا بهِ وكانت وفاة والدهِ جمال الدين محمّد سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨ م). فلمّا وُلد ولدهُ سمّوهُ باسم ابيهِ. فلمّا توفّي جدُّ ابيهِ وهو ناصر الدين الحسين ابن سعد الدين خضر في الثالث عشر شوّال سنة احدى وخمسين وسبعمائة (١٣٥٠ م) كان عمر ناصر الدين المذكور سنتين ونصفًا فلقّبوهُ ناصر الدين بلقب جدّ ابيهِ ناصر الدين الحسين. وتوفي بدمشق بمرض الزنطاريّة ودُفن بظاهر الباب الصغير وذلك في..(٢ وكان المذكور كثير التردُّد الى دمشق ولمّا توفّي لم يُعقب خلفًا

ذكر الامير علم الدين سليمان بن شهاب الدين احمد ابن زين الدين صالح

نشوءُهُ نشوءُ اهل الفضل كما قيل: « الشبل في المخبر مثل الاسد » وكان مهذّب النفس مؤدّب الاخلاق عاقلًا فاضلًا حسن الذات والصفات مُغرى بالكتابة فنال منها طائلًا ولو طال عمرهُ لكتب المنسوب وأتقنهُ. وقد رأيتُ بخطّهِ مصحفًا حمائليًا بقلم الحواشي وكتابتهُ كيِّسة. تزوّج المذكور خاتون بنت عمّهِ علاء الدين عليّ ابن زين الدين وهي امُّ ولدهِ بهاء الدين داود الآتي ذكرهُ ان شاء الله. وامّا علم الدين المذكور فهو اوّل (107v) اولاد ابيهِ شهاب الدين احمد. وقد ذكرنا انّ زواج شهاب الدين ابيهِ كان مع زواج عمّهِ تقيّ الدين ابراهيم في سادس شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م) بامرأتهِ الاولى وهي زمرُّد بنت خالهِ جواد ابن علم الدين سليمان الرمطوني وهي امّ علم الدين سليمان هذا وسمي جدّ ابيهِ وهو اوّل اولاد ابيهِ كما ذكرنا. ذكرتُ ذلك لتقدير المعرفة بالولد ليكون ذلك تقريبًا لمعرفة اوّل عمر المذكور. وامّا وفاتهُ رحمهُ الله ..(٣

---

١) الكرالك واحدها كرلك تعريب قرلق بالتركية وهي الاكواز يبرَّد بها الماء

٢) كذا بدون تعيين السنة ٣) كذا دون ذكر السنة

ذكر اخيهِ الامير شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد بن زين الدين صالح

كان هذا الامير سيّدًا جليل القــدر عالي المنزلة موقّرًا بين الناس ذا عقلٍ وحزم وحسن سياسة وتدبير وكان رجلًا كبير النفس شفوقًا وداعيًا رفوقًا وابنَ عمٍ مسايرًا وإلفًا مؤازرًا. فكم لهُ من افعال جمّة واياد بالاحسان عامّة جمع بين علم ودين ودنيا مع كتابة مليحة. والفاظ فصيحة. وكان ينظم الشعر المليح. فكم لهُ من قصيدة ومديح لم يَسِرْ احد في ارجوزته احسن من سيرهِ. فمن شعرهِ قصيدةٌ مدح فيها السلطان الظاهر برقوق منها (١ قولهُ (108r):

مالكٌ على الافلاك يعلو مجدهُ والانسُ ثمَّ الجنُّ ايضًا جندهُ
وفي المكارمْ كان حاتمْ عبدهُ قد فاز مذ اضحى نزيلًا عقدهُ
لانهُ آمنْ صروف الدَّهرِ (كذا)
خضعتْ لهُ كلُّ الملوك لبأسهِ والدين والتقوى شعار لباسهِ
ما في ملوك الاولين قيــاسهُ اقسمتُ بالله ونعمة رأسهِ
بانهُ اشرفْ ملوك مصرِ (كذا)

(108v) ولهُ من قصيدةٍ لمَّا قدم الملك المؤيد الى دمشق:

لك السعد والاقبال والنصر قد بدا ورأيك في كلّ الامور مسدَّدا (٢
فحين حللتَ الشام اذهبتَ ظلمةً واشرقت نورًا بعد ما كان اسودا
فانت الذي تُرجى لكلّ ملمّــةٍ لك الدهر عبدٌ طائعًا ومساعدا

(109r) ولهُ اشعار كثيرة ضربتُ عنها خوف الاطالة. ولمّا كانت سنــة الجراد التي وقعت بعد دخول تيمورلنك وحصل ذلك الغلاء الذي ذهبتْ فيهِ الانفس توجّه المذكور الى بلاد مصر فابتاع قمحًا واحضرهُ في البحر الى بيروت فحصل لهُ وللنــاس بذلك خيرًا كثيرًا

وفي ايّام الملك الناصر فرج بن برقوق استقطع اقوامًا فطرة صيــام رمضان التي كانت استُقطعت في ايّام جدّهِ زين الدين فابطلها وغرم عليها من مالهِ ولم يُغرم احدا

١) قد ذكر المؤلف هذه القصيدة في اصل الكتاب الّا انّها كثيرة الاغــلاط مختلّة الوزن كما ترى في المثال الذي نورده هنا ٢) كذا

من ماله شيئًا اقتداء بما فعلهُ جدُّهُ المذكور لمَّا استقطعها طبطق الرمَّاح. وطبطق المذكور اوَّل من احدثها في سنة اربع او خمس وسبعين وسبعمائة (١٣٦٣ — ١٣٦٤) وقد تقدَّم ذكر ذلك. ومع هذا كان شرف الدين المذكور ناظرًا في سداد الحال مفكرًا في العواقب كثير الرفد للناس عمَّالًا للخير مشكور السيرة وكانت بيدهِ وبيد اخيهِ الامير سيف الدين امريَّة والدهما وهي بينهما مناصفة لكلٍّ منهما امرة خمسة. فتنزل شرف الدين عمَّا يخصُّهُ فيها لولديهِ وابقى في يدهِ اقطاعًا كان اشتراهُ من سيف الدين غلَّاب القدَم ذكرهُ ومن ناصر الدين محمد ابن بدر الدين الآتي ذكرهُ ان شاء الله. وجهاتهُ عين حجَّة والفسيقين ونصف شطرا

وتزوَّج المذكور حسنات بنت شرف الدين سليمان ابن سعد الدين خضر في ثاني شعبان سنة ثمان وسبعين وسبعمائة (١٣٧٧ م) وهي امرأتهُ الاولى. والثانية هي ابنة الشيخ اسماعيل. (109ᵛ) وامُّهُ زمرّد بنت عزّ الدين جواد. ومولدهُ ثاني مولد اخيهِ المذكور قبلهُ. ومولد اخيهِ بعد تاريخ زواج ابيهِ بمدَّة لا تكثر على مدَّة الحمل والولادة وهي سادس شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م). وتاريخ زواج ابيهما يُعرف بتاريخ مولدهما. ووفاتهُ رحمهُ الله بعلَّة السكتة وكان مرضهُ اربعة ايَّام لم يقدر في مدَّتها على الكلام وتوفي في العشر الاخير من ربيع الآخر سنة ست وعشرين وثمانمائة (١٤٢٢ م)

الخارجون عن الطبقة الثالثة

امَّا الخارجون عن الطبقة الثالثة فهم الذين نشأُوا بعد وفاة جدّهم زين الدين صاحب هذه الطبقة. فمنهم من كان مولدهُ قبل وفاتهِ ومنهم بعد وفاتهِ بسنين فألحقنا ذكرهم بهذه الطبقات الثلاث فصار ذكرهم بابًا مفردًا بصفة باب رابع لاحق بها

الامير سيف الدين ابو بكر بن شهاب الدين احمد

هو اخو شرف الدين السابق ذكرهُ. كان رجلًا شهمًا شجاعًا مقدامًا ذا كرم ومروءة جازمًا لرأيهِ جيد البصيرة محسنًا ذا مودَّة بين الناس مُغرى بالصيد بالجوارح والطيور والكلاب يرمي النشَّاب عن قوس قويَّة. حضر مع الملك الظاهر برقوق حصار الشام فكان معهُ في وقعة (110ʳ) شقحب لمَّا كسر منطاش. ثم حضر مع عساكر الشام

ونائب الشام يلبغا الناصري الحروب التي جرت لهم مع منطاش. ثم حضر وقعة الناصري المذكور مع عرب نعير وغيرها من الحروب

وفي سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق تملّك الطامعون على بعض اقطاعاته واقطاع اقاربهِ فتوجّه الى مصر وتعرَّف بابنال حطب (كذا) من اعيان امراء مصر واسترجع ما خرج من الاقطاع وحصل بسفرتهِ هذه على نفع. وجهات اقطاعه شطرٌ من اقطاع ابيهِ شركةً مع اخيهِ شرف الدين لكل منهما امريَّة خمسة. فلمَّا توفّي عزّ الدين ابن علاء الدين العراموني بقيت بيد شرف الدين امريَّة الخمسة بكمالها وهي المباعة من علاء الدين لشرف الدين وعزّ الدين. فجعلوا خبز عزّ الدين الذي كان تلقَّاهُ عن ابيهِ ظهير الدين مناصفةً نصف منهُ لمحمد ابن عزّ الدين وكان محمَّد صغيرًا ونصف لسيف الدين ابي بكر المذكور بما فيهِ من جهات بيروت زيادةً على اقطاع عزّ الدين

وتزوَّج سيف الدين المذكور سارة بنت شرف الدين سليمان ابن سعد الدين وهي ام ولدهِ احمد. وتوفي احمد صغيرًا وكانت تلوح عليهِ ملامح النجابة وحسن الخلق وتوقُّد الذهن. توفّي بعد وفاة امّهِ سارة وفي ايام ابيهِ ولم يكن لهُ ولد ذكر غيرهُ. ثمَّ تزوَّج سيف الدين المذكور بزينب بنت عزّ الدين الحسين ابن بدر الدين يوسف (١١٥ [٧]) العراموني. وكانت وفاتهُ رحمهُ الله تعالى ليلة الاربعاء السابع عشر من شهر ذي القعدة سنة ثلثين وثمانمائة (١٤٢٧ م) (ستأتي البقية)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل العاشر

في تتمَّة قصَّة بروسبر اولري ونسيب وبيترس لاضف

انَّ بروسبر اولري ابن اخي جون اولري الذي كانت لاسمهِ رنَّة عظيمة على اثر حادثة نسيب كان اوَّل من هاجر الى ألاسكا. وكان في بدء امرهِ شكس الطباع لا يعمل الَّا بهواهُ فكرهُ عمّهُ مفضّلًا عليهِ المستر نسيبًا لما شاهد فيهِ من الرقّة والدماثة ولين العريكة وعهد اليهِ بادارة مناجمهِ في كاليفورنية. وما طالت المدَّة حتى مات جون

اولري وكان ابن اخيهِ بروسبر مسافرًا وقتئذٍ في ألاسكا فلم يكن ليستطيع ان يطالب بتركة عمهِ فضلًا عن انَّهُ لم يبلغهُ خبر وفاتهِ الَّا بعد فوات الوقت ومضي المدَّة الطويلة

وكان انَّ امرأتهُ لم تقوَ على احتمال البرد القارس في النواحي القطبيَّة فأُصيبت بمرض شديد. وفي ذاك الحين وردتهُ احدى الجرائد ناقلة خبر اكتشاف تلك الورقة الملطَّخة بالدم فتواردت الظنون على خاطرهِ لكنَّهُ لم يكن قادرًا على مفارقة امرأتهِ في حال مرضها الاخير. ثمَّ ان امرأتهُ بعد ان قاست الاوجاع المبرّحة مدَّةً من الزمان لفظت روحها فدفنها ما بين الثلوج وعاد قافلًا الى مدينة سان فرنسيسكو

وكانت الاوراق المتعلقة بمسألة نسيب وحميهِ اولري قد علاها الغبار ونسج عليها العنكبوت فلمَّا انتهى الى سان فرنسيسكو اخبرت الجرائد عن قدومهِ وقد سعى بعض السعي لمعرفة السرّ الذي اكتنف وفاة عمّهِ فلم يقدر. ومن ثمَّ سافر الى مناجم كاليفورنية التي كانت قد انتقلت اليهِ بالميراث على اثر هرب نسيب ووفاة ابنة عمهِ جنّي اولري وبعد ان اقام بضعة ايام في سان فرنسيسكو اضطرتهُ الاشغال للذهاب الى شيكاغو

وهناك التقى بالمسمَّى بيترس لاضف وكان ذلك ليلة عزمهِ على السفر ولاضف المذكور هو ذاك المسافر الذي ركب آخر الكل في الباخرة « انكون » التي سبق الكلام عليها. وجرت لهُ مع احد الركاب عند وصول الباخرة الى كلونديك مشاجرة عند السلّم مرَّ خبرها ثم انهُ اتخذ من الادلاء الهنود من خانوهُ في الطريق ودهوروهُ في وادٍ عميق ولحسن حظهِ علق ثوبهُ قبل الوصول الى قعر الوادي بنتوء في الصخر ولولا ذلك لمات وانطفأ ذكرهُ وقد مرَّ الخبر في كيفيَّة خلاصهِ من هذه المحنة

والحاصل ان ذينك المتخاصمين في الامس بيترس لاضف وبروسبر اولري التقيا وجهًا لوجه وكان كل واحد ينظر الى الآخر متعجبًا دون ان تبدو من أحد منهما كلمة. وطال تحديق الاثنين احدهما بالآخر الى ان وقف بيترس لاضف ودنا من منقذ حياتهِ وعيناهُ كأنهما لسانان ناطقان بما تضمَّن فؤادهُ من معرفة الجميل لمن خلَّصهُ من الموت

فعندها وقف بروسبر اولري معانقًا خصمهُ ولبث الاثنان على هذه الحالة مدَّة من الزمان دون ان ينطقا بكلمة وأخيرًا بعد ان سكن ثائر العواطف قال بروسبر اولري: «اني قد انقذتك من الموت امَّا الشؤون التي جرت في شيكاغو فلنطوِ عليها كشحًا ولقد هربتَ من مبارزتي وما كنتُ لاظنَّ اني التقي بك هنا. ولكن فلننسَ ما مضى»

امَّا پيترس لاضف فاقتصر من الجواب على كل هذا بان نظر اليهِ نظرة ابتهالٍ ثمَّ حوَّل وجههُ متأثرًا وتحركت شفتاهُ كأنَّهُ يريد ان يتمتم بعض كلمات فانحنى اولري مصغيًا اليهِ ليعرف ما يقول: وكان وقتئذٍ ان الرجل صاحب البرنيطة الكبيرة قد دنا من الاثنين فنظر نظرة الغضب الى كليهما. امَّا پيترس لاضف فارتعشت اعضاؤهُ وقال: « احذر من . . » ولم يزد على ذلك وكانت قد اخذتهُ حركات تشنُّجيَّة فلم يقوَ على الكلام وكان رافعًا يده كأنهُ يريد الدلالة بها على شيءٍ معلوم

والتفت بروسبر اولري فلم يرَ غير صاحب البرنيطة الكبيرة فاذا بهِ يحملق بنظرهِ اليهما فتعجَّب من ذلك لكنَّهُ لم يعبأ بهِ وكان في غضون ذلك انَّ پيترس لاضف انتعش مستردًّا قوَّتهُ شيئًا بعد شيءٍ ثم جلس سويًّا فعمد بروسبر اولري الى بطَّة ممتلئة شرابًا كانت في جيبهِ وناولهُ اياها. وكان صاحب البرنيطة الكبيرة يراقب ذلك كلهُ محدقًا ببصرهِ فيهما وكان لنظراتهِ تأثير قوي على لاضف بحيث كان يشعر منها بارتعاجٍ عظيم. امَّا بروسبر اولري الذي كان مهتمًّا بمداواة الجريح فخطر لهُ انَّ ما اعتراهُ من تلك الحركات التشنُّجيَّة ناجم عن تأثير البرد فيهِ فانهضهُ قائلًا: « لهُ انك محتاج الى الراحة. واسعفه على المشي حتى انتهى الى صخر منفرد كان الى جانبهِ ثغرة في الارض فاقعدهُ هناك قائلًا لهُ ان يرقد لعلَّهُ يستعيد قواهُ لاسيما وان الثغرة بمنجاة من الريح والبرد

قال هذا وبسط في ذلك الغار الطبيعي قطعة من الكاوتشوك كان قد وجدها في طريقهِ لان جميع امتعتهِ كما عرفت بقيت في ساحة العراك بعد خيانة الهنود الذين استأجرهم لحمل اثقالهِ ثمَّ مدَّ فوقهُ غطاء من جلد الحيوان وترك عندهُ البطَّة ذات الشراب المنعش وابتعد عنهُ بضع خطوات متمنِّيًا لهُ رقادًا هنيئًا

وبينما هو متباعد ابصر صاحب البرنيطة الكبيرة الذي كان قد لحقهما عائدًا خلفهُ. وكانت قد هبَّت وقتئذٍ ريح خفيفة فبدَّدت الغيوم واثارت الشمس القطبيَّة باشعَّتها الضعيفة عند مغيبها تلك البقعة المتجمّدة فكان لانعكاس انوارها على الصخور والوهاد والجبال مناظر غريبة مدهشة. فجلس بروسبر يريد الراحة غير انهُ لم يمكنهُ ان يذوق طعمها بل كان يجيل في ذهنهِ ما جرى لهُ من الحوادث فتمثَّلت لهُ تلك الهاوية العميقة وذاك الجسم الذي كان معلَّقًا في الفضاء ونقط الدم التي كانت تصبغ الجمد بلونها

الاحمر القاني وتذكر العراك الذي انتشب بينهُ وبين الذين استأجرهم من الهنود لهدايته الى الطريق وكيف نجا من شرّهم بوصول صاحب البرنيطة الكبيرة. وكان اولري يرتجف مرتعدًا لدى عودة هذه التذكارات المؤثرة على ذهنهِ

ثمَّ أنهُ افتكر في هذا الرجل الغريب الشكل وجعل يقول في نفسهِ: من هو يا ترى هذا الشخص الذي شاهد فيهِ هيئة شؤم وما الداعي لنطقهِ بكلمات متقطعة دون إبانة... ولماذا صرخ پيترس لاضف عند مرآهُ تلك الصرخة المنبئة بخوف شديد... ولماذا انقطع عن الكلام لدى اقترابهِ بعد ان كان قد همَّ بكشف ضميرهِ

وتذكَّر انهُ قال لهُ حينئذٍ: « احذر من ... » دون ان يقول لهُ ممَّن ولا ممَّا يحذر. ثم خطر لهُ انَّ لاضف اراد ان يحذّرهُ من صاحب البرنيطة الكبيرة لا بل تأكَّد عندهُ ذلك لاسيما وانَّهُ كان قد رآهُ يراقب پيترس لاضف مراقبة الغادر بينما كان مستندًا الى ذراعهِ في ذهابهِ الى الغار

وبينما كان الهدوّ قد نشر جناحهُ على كل شيء وكان الهنود قد اغفوا وناموا التفت بروسبر اولري فرأى شبحًا منتصبًا ولكن ما لبث الشبح ان غاب عن بصرهِ فلم يحفل لمرآه. وبعد ان استمرَّ بضع دقائق واقفًا في المحلّ نفسهِ التمس لهُ كنًّا يرقد فيهِ واشتمل بغطاء فنام

واذ ذاك شوهد خيال رجل ينساب ما بين الصخور وهو يمشي ببطء حتى لا يشعر احد بحركتهِ. وكان يتوقَّف المرَّة بعد المرَّة ثم يستأنف السير ماشيًا وراء الصخور وما مضت بضع ثوانٍ حتى صار على مسافة خطوات يسيرة من بروسبر اولري وحينئذٍ تمدّد على بطنهِ فوق الجليد ورفع رأسهُ قليلًا فشاهد انَّ بروسبر اولري لم يزل مستيقظًا فاتحًا عينيهِ فعاد الى الوراء وجثم لا يتحرَّك ولا يتنفَّس منتظرًا رقادهُ

وكانت الريح تنفخ في تلك الساعة بحيث لم يكن يُسمع سوى هبوبها في وسط الهدوّ التام والجوّ عاد فتلبَّد بالغيوم المظلمة كانه يريد ان يزيد شقاء المحلّ شقاء

على ان بروسبر اولري ما لبث ان اغفى واختلط صوت شخيرهِ بما كان يُسمع من صوت هبوب الريح. اما صاحب البرنيطة فنهض متسمِّعًا ولمَّا تأكَّد كل التأكد ان بروسبر اولري مغفٍ تسلَّل ثمَّ اخرج نصلة مرهفة الحدَّين وشهرها فوق رأس النائم يريد قتله

وبينما هو يهمُّ باغماد مديته في قلب المسكين اذ سمع صوتًا ضعيفًا ينتهرهُ قائلًا: ويلك يا نسيب ماذا تفعل ؟

فتوقَّف الضارب مندهشًا وقال:

« من هو الذي يدعوني باسمي ؟ »

— انا بيترس لاضف الذي عرفتهُ باسم « فاضل »

وفي حقيقة الامر لم يكن ذلك المنكوب الذي رأيناهُ في اسوإ الحالات معلّقًا على نقرة صخر فوق هوَّة فاغرة فاها لتبتلعهُ غيرَ اللبناني فاضل وكان قد بدل اسمهُ باسم بيترس لاضف ليتخلّص من يد الحكومة خوفًا من نسيب يوم رماهُ بسرقة شذرات الذهب. وكان من امرهِ بعد نجاته من الموت على يد بروسبر اولري انهُ رأى وجه صاحب البرنيطة الكبرى فعرفهُ للحال انَّهُ المستر نسيب بعينهِ. ولمَّا رآهُ ينظر شزرًا اليهِ والى بروسبر اولري فهم انهُ يضمر لهما سوءًا. فما كاد يبتعد اولري عنهُ حتى قام من مكانهِ ومشى مستندًا الى عصاتهِ ليتفقَّد امر مخلّصهِ فرأى ذلك الشبح يترصَّدهُ فاستخفى فاضل وراء صخرة حتى يدافع عند الحاجة عن منقذهِ. ولمَّا نظر القاتل ورأى بيدهِ شفرتهُ اللامعة انتهرهُ باسمهِ كما رأينا

فقال نسيب: قد عرفتك يا « فاضل » او بالحري يا « شرّير ». وماذا تريد ؟

— اريد قيامًا بسُنَّة العرفان بالجميل ان انقذ مخلِّصي من الموت الاحمر وان اقتضى الامر ان افديَهُ بحياتي

فلمّا سمع نسيب هذا الكلام خاف ان يوقظ فاضلُ بروسبر اولري فيقوم الاثنان في وجههِ ولا يعود يقوى عليهما فالتجأ الى الحيلة وقال لفاضل كأنهُ ندم على ما فرَّط: « لقد احسنت صنعًا يا فاضل بصدّي عن اتيان جريمةٍ لا تأْتي بنفع. فلندع بروسبر اولري ينام هنا قدر ما يريد ولا يخفى عليك ان الهنود لشدَّة غضبهم من قتل اخوانهم لا يبتغون الّا مطاردتنا فاحسن شيء اذًا ان نجدّ في السير. هذا ولا اظنك تؤثر ان تنتظر من انقذك من الموت الى ان يفيق فموتا كلاكما في هذا المضيق »

(ستأْتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب حسن الختام

طُبع بالمطبعة العلميَّة ليوسف صادر في بيروت سنة ١٨٩٩ . ق ١٢ ص ٢٧٩

تأليف السيد العلاَّمة الجليل جرمانوس معقَّد مطران اللاذقيَّة

لا يجهل احدٌ ما للخطابة الدينيَّة من المقام الشريف والغاية السامية الَّا انَّ طريقتها حرجة ومسلكها وعر لانَّ صاحبها لا يتوخَّى اقناع السامع بالبرهان فقط بل يجاهد في سبيل الله ليستقصي من قلب الخاطئ اهواءهُ المنحرفة واميالهُ السيِّئة التي هي كطعام يستمرئهُ او شرابٍ يستطيبهُ وفي كليهما السمُّ الذعاف

وقد اصاب المرمى السيد الجليل المطران جرمانوس معقد في كتبهِ الخطبيَّة التي نشرها بالطبع فانهُ يمزج اللذيذ بالمفيد فيشوّق القارئ الى مطالعة عظاتهِ ثم يعطف بهِ الى سبيل الهدى وطرق الرشاد. واليوم قد اتحفنا سيادتهُ بكتاب « حسن الختام » الذي جعلهُ كتتمَّة لخطبهِ السابقة. وهو عبارة عن ٣٥ عظة تولَّى فيها المؤلف اكرمهُ الله شرح الفصول الانجيليَّة التي تُتلى في الكنائس التابعة للطقس اليوناني ايام الآحاد. وهذا الكتاب الثالث يشبه اخويهِ الاكبرين من حيث الاسلوب وسلاسة العبارة وقوَّة البرهانِ ولنا الامل الوطيد بان مطالعيهِ « يتنشَّطون للتوقُّل في مصاعد الفضيلة والقداسة والقيام بما تندبهم اليهِ تعاليم الفادي الكريم ونصائحهُ المُثلى ليقضوا ايامهم وادعي النفس ويفوزوا بعدها بحسن الختام »

The Arabic Press of Egypt
by Martin Hartmann, *London*, *pp*. 94, 1899

الصحافة في مصر للاستاذ مرتين هرتمن

بلغت الصحافة المصريَّة منذ عشرين سنةً حدًّا لا يعادلهُ غير نموّها في بعض الدول الاوربيَّة او الاقطار الامركيَّة . ولا شكَّ بانَّ في هذا النموّ الغريب دليلًا على حركة الافكار واتّساع نطاق المداولات السياسيَّة والفنون الادبيَّة. فاستلفتت هذه النهضة انظار المعلّم مرتين هرتمن مدرّس العربيَّة في برلين واحبَّ ان يكتب في ذلك مقالة انكليزيَّة مستحسنة يُطلع بها القرَّاء الغربيين عمومًا والمستشرقين خصوصًا على تاريخ فنّ

الصحافة في مصر وتفاصيل اخبارها مع سرد اسماء المجلّات والجرائد التي تُنشر الى سنتنا هذه الجارية وقد عدَّ منها بين صحائف ومجلات ١٦٨ جريدة بيّن اسماءها واسماء محرّريها وزمن ظهورها وما تحرَّتهُ كلّ واحدة منها من الغايات المختلفة. وفي كلّ هذه الاعلامات فوائد لا تُنكر. فنحن نشكر للمعلّم الفاضل صاحب هذا الكتاب مداومتهُ على اتحافنا بتصانيف كهذه تكشف القناع عن كثير من الامور الشرقيَّة المبهمة

كتاب كليلة ودمنة

نقَّحهُ وضبطهُ وعلّق حواشيهُ الشيخ خليل اليازجي اللبناني

طبعة ثالثة بنفقة خليل الخوري صاحب المكتبة الجامعة سنة ١٨٩٩

ما بلغ كتاب في المشرق ما بلغهُ كتاب كليلة ودمنة مذ نُشر بالطبع في مصر وبيروت والموصل والهند الّا انّ كلّ هذه الطبعات متشابهة لا تختلف عن بعضها اختلافًا يُذكر وهي منقولة الّا في بابها الاخير عن الطبعة الباريسيَّة التي اشهرها سنة ١٨٠٨ العلاّمة الفرنسيّ دي ساسي بعد ان جمع منها عشر نسخ خطيَّة طبّق بينها واختار من كلّ منها احسنها. امّا الطبعة التي تولى نشرها المرحوم الاديب الشيخ خليل اليازجي والتي جدّد طبعها الخواجا خليل الخوري هذه المرَّة فتمتاز عن غيرها من الطبعات بنضارة حرفها وضبطها بالشكل الكامل وشرح الالفاظ الغريبة مع بعض اصلاحات أُخذت عن نسختين خطيَّتين

هذا ولا نزال نتمنَّى ان توضع لكتاب كليلة ودمنة طبعة تستند الى نسخة قديمة مهذَّبة يمكن الركون اليها فانَّ نسخ هذا الكتاب مع كثرتها سقيمة قريبة العهد تختلف بينها ايَّ اختلاف لكثرة تنقُّلها في ايدي النسَّاخ والكتبة فلم نعد نعرف ما بقي لابن المقفَّع في ترجمة هذا الكتاب من النصيب والفضل. وزد على ذلك انَّ كليلة ودمنة نُقل سابقًا من ترجمتهِ العربيَّة الى لغات كثيرة فاذا قابلتَ هذه التراجم وَجدت بينها وبين نقل ابن المقفَّع فروقًا لا تُحصى وكلُّ ذلك دليل على انَّ الايدي تلاعبت بالترجمة العربيَّة الاولى وعبثت بها (راجع المشرق ١:٩٣). فعسى احد الادباء يعيد هذا الكتاب الى رونقهِ السابق وهيئتهِ القديمة

ل. ش

هدايا أُرسلت الى إدارة المشرق

١ مقالة افرنسيَّة للاب هنري لامنس عن تاريخ النصيريين وتعريف ديانتهم
Les Nosairis : Notes sur leur Histoire et leur Religion.

٢ بيان اسماء مدينة عكّا وتواريخ مسكوكاتها على عهد السلوقيين والدولة الرومانية للدكتور جول روفيه مدرّس الطب في مكتبنا الطبي

Ptolémais - Acé, ses noms et ses ères sous les Séleucides et la domination romaine avant sa transformation en colonie (198 A. C-54 P. C.) *par le Dr J. Rouvier* (Extrait de la Revue biblique)

٣ قائمة الكتب التي تباع في مكتبة الهلال في القاهرة لسنة ١٩٠٠

شَذَرَاتٌ

قصيدة الحلّي — كنّا اثبتنا في الجزء السادس من مجاني الادب (ص ٥٨) قصيدة لصفيّ الدين الحلّي قبل طبع ديوانهِ في دمشق رويناها عن طبعة ليبسيك التي تولى نشرها سنة ١٨١٦ العلاَّمة المستشرق برنشتين (Bernstein) نقلًا عن النسخة الباريسيَّة. الّا انَّ هذه الطبعة كانت كثيرة الاغلاط لم نرضَ ان نأخذ على نفسنا اصلاحها لئلّا نتصرَّف بمعاني المؤلف. واليوم وجدنا انتقادًا حسنًا على بعض ابيات هذه القصيدة في مجلة الضياء. فنشكر للعلاّمة اللغوي الشيخ ابراهيم اليازجي اهتمامهُ بتنقيح ما مسخهُ الكتّاب بالروايات المصحّفة. هذا وقد كنّا اصلحنا في الطبعة الاخيرة (والظاهر انَّ الشيخ لم يطَّلع عليها) كثيرًا من هذه الاغلاط كقول الشاعر: «عثار الرأي» بدلًا من «عثار الرجل». وقولهِ «في يومي وغى وقرى» بدلًا من «رعيٍ وقرى». وقولهِ «ظهر الغيبَ» بدلًا من «ظهر العتبَ». وقولهِ «حصاة جدّك» بدلًا من «حصاة وجدك». امَّا اصلاحهُ «ظنّوا تأنيك» بقولهِ «ظنّوا تأيدك» فانَّهُ لا يوافق النسخة الباريسيَّة ولا الطبعة الدمشقيَّة وكلاهما يروي كما روينا. وعلى كلّ حال اننا نطلب من الشيخ الفاضل ومن غيرهِ من الادباء الّا يضنّوا علينا بهذه الملاحظات المفيدة فنكون لهم من الشاكرين

فتوى المقتطف في الضمير سُئل المقتطف عن الضمير واحوالهِ فاجاب السائل جوابًا يدلُّ على طول باعٍ في الخرقة وقصر نظر في العلوم الفلسفيّة فترجئ ردّنا عليهِ الى عدد قادم ان شاء الله

ذهب الترانسفال انَّ بلاد الترانسفال التي تطمح اليها في هذه الايام عيون الانكليز اغنى بلاد الله بمعادن الذهب. وكان مقدار الذهب المستخرج من ارضها في السنة ١٨٩٧ يبلغ نحو عشرة الاف كيلو من الذهب تساوي نحو عشرة الاف الفٍ من الليرات الاسترلنيَّة. وقد زادت هذه الكميَّة في السنة المنصرمة زيادة وافرة حتى بلغ ثمنها خمسة عشر مليونًا من الليرات

مستودعات للپترول في الاسماعيليَّة اخبرت مجلة «العلوم» الانكليزيَّة ان جمعيَّة من الانكليز باشرت في ابتناء مستودعين للپترول في الاسماعيليَّة يسع كل منهما خمسة الاف طنّ من الپترول لتذّخر منهُ السفن الانكليزيَّة في اسفارها البعيدة بدلًا من الفحم الحجريّ. وقد وجد الانكليز انَّ في اتّخاذ الپترول بدلًا من الفحم منافع جمة لاسيما اقتصاديَّة وكان الروس قد سبقوهم في استعمال الپترول منذ بضع سنوات اتّخذوهُ لمواقد اسطولهم المتجول في البحر الاسود

تسمين المواشي قد جرَّب قومٌ من ارباب الزراعة الفرنسيَّة في اعلاف المواشي مسحوق العظام يخلطون منهُ بعليف المواشي والدوابّ نحو مئة غرام كلَّ يوم. فوجدوا حالة المواشي تحسَّنت بنوع عجيب حتى ان عجلًا زاد وزنهُ ٩ كيلو على بقيَّة العجول غير المسمَّنة بالعظام في مدَّة شهر فقط. ويكفي ان تؤخذ العظام فتجفَّف وتُسحق سحقًا خشنًا. وفي العظام كما لا يخفى مادَّة مقويَّة هي الفسفات

اسئلة واجوبة

س سألنا ا. م. من فضلاء البترون عمّا قرأهُ في كتاب المقاطعة الكسروانيَّة في الصفحتين ٧٦ و ٢١٧ بخصوص سليلة بني سلامة قال: «يظهر من قول المؤلف بانَّ مزرعة كفردبيان يوجد بها عائلتان بهذا الاسم عائلة مارونيَّة وعائلة روم كاثوليك»

عائلة بني سلامة

ج جوابنا ان في كلام المؤلف بعض ابهام والظاهر ان أُسرة بني سلامة المحكي

عنها في الصفحة ٧٦ غير العائلة المذكورة في الصفحة ٢١٨ لانَّ الاولى كانت في اواسط القرن السابع عشر والثانية سنة ١٨٠٠ ما لم يُرد انَّ الثانية متسَلسلة الى الاولى متصلة بها بالنسب. هذا ولم نسمع بوجود عائلتين من بني سلامة في مزرعة كفردبيان احداهما من الروم الكاثوليك والاخرى من الموارنة. ونرجو مؤلف الكتاب ان يزيل هذه الشبهة فيبيّن الصواب بارسال جوابهِ الى مجلة المشرق

س وسأل حضرة الخوري بولس باسيل: «هل من عادة في طقس الروم بان يتوشَّح الكاهن بالحلة البيعيَّة والصليب المقدَّس امامهُ ويخرج الى بيت العروس ذهاباً واياباً»

حفلة العرس البيعيَّة في كنيسة الروم

ج لم نجد في كتب الروم الطقسيَّة شيئاً يشعر بمثل هذه العادات وانَّما يُذكر فيها قدوم العروسين الى البيعة فيستقبلهما الكاهن ويتقدَّمهما بالبخور. امَّا خروج الكاهن الى بيت العروس بالحلة الكهنوتيَّة فمن الامور المستغربة ولعلَّ بعض كهنة القرى أَحدثوا هذه العادة دون علم الاساقفة

س وسأل حضرة القس جرمانوس ديراني «كيف تحيا الاسماك في الابحار دون هواء»

حياة الاسماك في البحار

ج ليس بصواب ان الاسماك تحيا في البحار دون هواء والدليل على ذلك انها تخرج من وقت الى آخر على سطح الماء للتنفُّس ولكن لبرودة دمها لا تحتاج منهُ الى كميَّة وافرة وهي تتنسَّم الهواء فوق المياه وتستنشق منهُ في نفس الماء لتخلخلهِ في المياه بل تحلّل شيئاً من اكسيجين الماء لتنفُّسها وقد جهَّزها الخالق بجهاز خاصّ لكل هذه الاعمال الحيويَّة

ل. ش

اصلاح غلَط = ورد في الحلّ الجبري للمسألة الحسابية (ص ٨٦٠) سهو في العلامات (س ١٩) $\frac{٦٦ \times ك}{١٠٠}$ والصواب $\frac{٦٦ + ك}{١٠٠}$. ويجب زيادة صفر على ٢٠٠ و ١٠٠ في تحويل المعادلة الثانية وصفر على ١٠٠٠ في الجزء الاول من المعادلة الثالثة – وقد ورد بالغلط في هذا الجزء (ص ٩٤٠ س ٢٩) insulis بدلاً من infulis

قائمة للآثار الجوية من ٢٢ تشرين الاول الى ٦ تشرين الثاني ١٨٩٩

الجمعة ٢٢ | السبت ٢٣ | الاحد ٢٤ | الاثنين ٢٥ | الثلثاء ٢٦ | الاربعاء ٢٧ | الخميس ٢٨ | الجمعة ٢٩ | السبت ٣٠ | الاحد ٣١ | الاثنين ١ | الثلثاء ٢ | الاربعاء ٣ | الخميس ٤ | الجمعة ٥ | السبت ٦

التبخير

ميزان المطر

ميزان الحرارة

٥٠ ٤٥ ٤٠ ٣٥ ٣٠ ٢٥ ٢٠ ١٥ ١٠ ٥ ٠ ٥-

ميزان الرطوبة

ميزان ثقل الهواء

٧٩٠ ٧٨٥ ٧٨٠ ٧٧٥ ٧٧٠ ٧٦٥ ٧٦٠ ٧٥٥ ٧٥٠ ٧٤٥ ٧٤٠ ٧٣٥ ٧٣٠ ٧٢٥ ٧٢٠

انّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر)

امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد

... في ٢٤ ساعة بالمليمترات وعُشر المليمترات

المشرق

المشاهد الفتّانة في رحلة الاستانة

للاب بولس جوون اليسوعي

١

قال ادمنـــد ابوت (E. About) احد مشاهير كتبة الفرنسيس: « أبحرْ الى الاستانة العليَّة فاذا بلغتها لازم السفينة وسرِّح مليًّا طرفك في اصقاعٍ جمَّلها الخالق بما لا ندّ لهُ من الحسن الرائق والكمال الفائق. ثم اقفل راجعًا الى بلادك واستغنِ بمنظرها الفاتن الالباب عن التجوُّل في ساحاتها وتفقُّد معاهدها »

(قلنا) انَّ في هذا القول غلوًّا ظاهرًا بيـــد انهُ يُشعِر بما خصَّ الله بهِ موقع الاستانة من المناظر البديعة. التي ضنَّت بمثلها الطبيعة. فهناك الرُّبى السبع تتباهى فوقها الابنية الرحاب. والرياض الغنَّاء تحاكي بنضرتها السحاب. قد حاز خليجها من المفاخر. ما لم يطمع فيهِ اوَّل وآخر. ففُتِن الانسان بهذه المناظر. وحاول ان يباري بعملهِ القاصر. اعمال خالقهِ فعاد بصفقة خاسر. ومع كل ذلك فلا يُنكر ان في الاستانة العليَّة محاسن جميلة. وآثارًا جليلة. منها قديمة مستطرفة. ومنها حديثة مستأنفة. تجعل ايام زائرها ابهى من الاعياد. واحلى من عسل الشهاد

أجل انَّنا وجدنا للاستانة مرأًى لا يُضاهى بفخار. وحسنًا لا يجارى في مضمار. فما كادت تلمحها البواصر. حتى اكتحل طَرْفنا بجمالها الساحر. وما زاد منَّا العجب. وضاعف الطرب. انَّا لم نرَ عند ولوجنا في خليج الدردنيـــل ما تقرّ لهُ العين. فكانت ضفَّتاهُ منتصبتين. في وجهنا كحاجزين هما منتهى القارتين. ثمَّ انتهينا الى بحر مرمرا فانبسطت البطاح. واتَّسعت الارجاء الفساح. دون شيء من المناظر البهجة. او الحدائق الارِجة. حتي ظهرت عن بعد نحو الشمال عاصمة الاريكة العثمانيَّة وانتصب عن يميننا جبل

قاضي كوي تعلوهُ المنازل العامرة. وتنمّقهُ الجنّات الزاهرة. فكان لهـذا المنظر احسن موقع في قلبنا. ثم اخذت السفينة تسير الهوينا كأنّها تعرض على ركّابها هذه البدائع الفريدة ليجيلوا فيها العين ويملأوا منها القلب. فكنّا نرى القسطنطينيّة على شمالنا كأنّها الغادة تختال على آكامها السبع. فهناك القصور البهيّة والمباني الزهيّة والمنائر المرتفعة والدور الرحبة المتسعة

ولم تكن الضفّة اليمنى اقلّ حسناً من اختها فانّها كانت تباري القارة الاوربيّة برونقها فسرنا اوّلًا تجاه قاضي كوي وهي مدينة خليقدونية القديمة ثم حاذينا اسكدار (Scutari) فراقتنا غاباتها السوداء من السرو الباسق. امّا الخليج فكان امامنا كرآة صقيلة تنعكس فيها صور الاشجار والابنية المائلة على جانبي البسفور. وعلى قدر مسيرنا كانت المدينة تقترب شيئًا فشيئًا فتنجلي مبانيها وتتسع مغانيهـا. وشاهدنا الاسوار الضخمة المحدقة باستانبول ثم برج السر عسكريّة والجوامع الكبرى وحيّي غلطه وبيره. غير انّ السفينــة لم تمخر توًّا الى المرسى بل تقدّمت صاعدةً في الخليج خوفًا من تيّار المياه ثم انثنت عائدةً فمرّت عند قرن الذهب والقت مراسيها في ميناء القسطنطينيّة. تلك ملكة البحار. ومورد التجار. تنشر لواءها على الخافقين. وتجمع بين عالمين

٢

وما يقضي العجب انّ القسطنطينيّة مع حسن موقعها وصلاحيتها للتجارة وللمراكز الحربيّة بقيت اجيالًا عديدة في جملة المدن الصغرى القليلة الشأن. وكان اسمها قبـل قسطنطين الكبير بوزنطية. ويُنسب بناؤها للميغاريين والارغيين شادوها سنة ٦٦٧ قبل المسيح. زعموا انهم وضعوا اساسها عند رأس المثلّث الذي يوازي قارة آسيّة عند رأس السراية الحاليّة. وانّما اختاروا هذا المكان وفقـًا لوحي من إلهم ابلّون استشاروهُ فاجابهم: « أن ابنوا مدينتكم بازاء ارض العميان ». فنعت بالعميان اهل خلقيدونيـة الذين آثروا قبل ٧٠ سنة الضفّة الاسيويّة لبناء مدينتهم فشطّوا باختيارهم

وبقيت مدينة بوزنطية في حالة من الرفاه والنعمة الى القرن الرابع قبـل المسيح وكان اهلها يزاولون الصيد ويترزّقون بالتجارة. وفي سنة ٣٤٠ زحف اليهـا فيليبوس المقدوني فحاصرها وضيّق عليها وكاد يدخلها عنوةً لولا بلاغة الخطيب ديموستين الذي دفع مواطنيهِ الاثينيين الى ان ينجدوا البوزنطيين محالفيهم. ويُخبر ان جند العدوّ تسلّقوا

في ليلة دامسة اسوار المدينة ولم يشعر بهم اهلها فأبرقت السماء بغتةً فرأى الاهلون جيش العدوّ بلمعانهِ فناجزوهُ القتال وردّوهُ خائبًا فصار الهلال مذ ذاك الحين كشعار بوزنطية

ولمَّا صار ملك العـالم للرومان بقيت مدينة بوزنطية زمنًا طويلًا مستقلةً الى ان دخلت في حكم رومة على عهد فسبسيان. وفي سنة ١٩٦ للمسيح قوَّض سبتيميوس ساويرس اسوارها المنيعة لانتصار اهلها لخصمهِ بسنّيوس نيجر (Pescennius Niger) وتقدَّم بقتل شيوخها والجنود الذين دافعوا عنها. لكنَّ الحرب بعد حين وضعت اوزارها واخمد الظافر لظى غضبـهِ ورضي عن البوزنطيين وعاد فزيَّن مدينتهم بالابنية الفخيمة والمعاهد العظيمة كالحمَّامات والاروقة والمراسح. وهو الذي اصطنع لسباق الخيـل المضمار الكبير الذي ورد ذكرهُ مرارًا في تاريخ القسطنطينيَّة وقد بقي من اساسهِ بقايا ضخمة الى يومنا هذا ولعلها اقدم أثر بوزنطية القديمة صبرت الى يومنا هذا على آفات الدهر. وقد قدم ساويرس على هذه الاعمال لما رآهُ في بوزنطية من حسن الموقع ليجعلها في وجه اعداء المملكة كحصن حريز لا يقوى عليهِ فاتح

هذا وان قسطنطين الملك لمَّا جعل في بوزنطية عرش المملكة آتاها من العزّ والفخر ما لم تحرزهُ مدينة غيرها اللهم الَّا روميـة العظمى فاخذت مذ ذاك الحين ترقى معارج المجد وتفاخر امَّهات المدن فاصبحت كمحور تدور حولهُ شؤون الامم وكلهم ترنو اليهِ ابصار الشعوب. وكان قسطنطين الملك دعا المدينـة باسم « رومية الجديدة » الَّا انَّ الاهلين اعربوا عن شكرهم لمنشئهـا الهمام فسمَّوها باسمه قسطنطينيَّة. ولا حرَج فان قسطنطين اجدر من سواهُ بان تُنسب اليهِ هذه العاصمة. كيف لا وهو الذي اوسع نطاقها ورحَّب جوانبها فادخل في ضمن دائرتها الرُّبى السبع التي منهـا يتركَّب ذلك المثلَّث العجيب الواقع بين بحر مرمرا وقرن الذهب. وذلك انَّهُ خرج في موكب عظيم ثم شرع يخطُّ برمح اساسًا جديدًا يبعد عن اسوار المدينة السابقة خمس عشرة غلوةً (اي نحو ٣٠٠٠ متر). وكان على شكل دائرة تمرُّ بالمقبرة القديـمة بقرب جامع محمد الثاني الفاتح وتنتهي الى « فلانغا بستان ». وجرت هذه الحفلة في ١١ ايَّار سنة ٣٣٠ للمسيح وكان ذلك اليوم موسمًا مشهودًا اردفهُ قسطنطين باعياد متواصلة وأفراح دامت اربعين يومًا. ثم حسر العَمَلة عن معصم الجدّ فشادوا الاسوار وابتنوا القصور واحكموا صنع المعاهد العموميَّة ولم ينجزوا العمل الَّا في عهد قسطنس بن قسطنطين (٣٣٧–٣٦١).

ولمّا ملك والنس باشر ببناء قناة كبرى يُرى منها الى يومنا هذا بقايا حسنة وقناطرها العظمى من اجمل الآثار القديمة تعشّقها اللبلاب فاحدق بها من كلّ جوانبها. ولمّا قسم ثاودوسيوس الكبير المملكة الرومانيّة بين ولديهِ هونوريوس واركاديوس اضحت القسطنطينيّة حاضرةً لملك الشرق. وفتحها الفرنج الصليبيّون فملكوها من سنة ١٢٠٤ الى ١٢٦١ ثم استرجعها الروم ودام فيها ملكهم الى سنة ١٤٥٣ ففتحها محمد الثاني الغازي واتخذها كرسيًّا لمملكة آل عثمان عزّز الله شأنهم على مدى الدوران

٣

هذا وقد طرأ على القسطنطينيّة من الطوارئ الجمّة كتعاقب الدوَل وتوالي الحروب وحدوث الزلازل والحريق ما طمس كثيرًا من آثارها القديمة. الّا انّ ارباب العاديّات يجدون الى يومنا هذا في الاستانة رسومًا عديدة تقودهم الى معرفة رونقها في القرون الغابرة. وها نحن نتتبّع هذه الآثار لنطرف بها قرّاءنا علّهم ينالون من ذلك عائدةً لعقولهم وتفكهةً لخواطرهم

١ (اسوار القسطنطينيّة) اوّل هذه الآثار القديمة الحريّة بالذكر انّما هي القسطنطينيّة فانّ قسمًا صالحًا منها ماثلٌ الى اليوم بعضُها على سِيف البحر لاسيا بحر مرمرا وبعضها من جهة البرّ وهو القسم الذي تفقدناهُ فوجدنا هذه الاسوار غايةً في المنعة والاحكام وهي كما كانت في سنة ١٤٥٣ يوم فتح فيها السلطان الغازي محمد الثاني مجازًا لجيشهِ الظافر

ولم يقتصر ملوك الروم لصيانة مدينتهم على بناء سور ضخم بل كانت اعمال التحصين تشغل مسافة سبعين مترًا فكانوا اوّلًا حفروا في خارج المدينة خندقًا عرضهُ نحو عشرين مترًا وللخندق المذكور عطفان يعلوهما جدارٌ قليل الارتفاع وسدود تحول دون سيلان المياه. ووراء هذا الخندق ساحةٌ عرضها خمسة عشر مترًا تنتهي الى سور اوّل خارجي شديد المنعة في اعلاهُ شُرفٌ. ثم يليهِ مسطّح من اللاط المتين يفصل السور الخارجي عن السور الداخلي. والسور الداخلي المذكور هو تتمّة الخطوط الدفاعيّة. وكان لهُ بروج جمّة يردُّ منها الجند غارات العدوّ. وتاريخ بناء السور الخارجي يرتقي الى سنة ٤١٢ امّا السور الداخلي والخندق فكان بناؤهما سنة ٤٤٧. وفي اٰبان زيارتنا لهذه الاسوار كنّا نفكّر في الوقائع العظيمة والحروب الهائلة التي جرت بجوارها. وكانت الثلمة التي

منها دخل السلطان محمد الثاني سنة ١٤٥٣ تنطق بلسان حالها عن الحرب العوان التي دارت رحاها على الروم وقُتل فيها ملكهم الصنديد قسطنطين پاليولوغ

وفي الطرف الشمالي من هذه الاسوار آثار بناية فخيمة تدعى اليوم تكور سراي زعم البعض انَّها من بقايا بلاط الإبدمون الشهير . والصواب ان هذا البلاط كان في جنوبي غربي السور خارجاً عنهُ بجوار مقري كوي . امَّا تقفور سراي فالارجح انَّهُ بلاط قسطنطين السابع المعروف بپرفيروجينات

٢ (المضمار) هو احدى النُّقط الثابتة التي يمكن الركون اليها لمعرفة قسطنطينيَّة القديمة . ويسهل تعيين قطر دائرتهِ بما بقي من الآثار الجليلة اعني المسلَّتين العظيمتين ثم عمود الحيَّات ثم ردم بناية ساويرس المار ذكرها . وممَّا يثبت صحَّة موقع المضمار القديم اسمُهُ الشائع الى يومنا فانَّهُ يعرف بالميدان . وكان اهل القسطنطينيَّة يجتمعون كثيرًا في هذا المكان لرحب باحتهِ فهناك كان يخاطب الملك شعبهُ وتجري الحفلات الدوليَّة والمواسم الكبرى والالعاب العموميَّة . وكم جرى في هذا المضمار من فِتَن وثارت ثوائر القوم . الَّا انَّ الفتنة العمياء التي حدثت في عهد يستنيان الملك سنة ٥٣٤ أنست ما سواها . وكان بدء الامر انَّ فئتين تُدعيان الزرقاء والخضراء تخاصمتا أمام الملك في وقت الالعاب فانتصر الملك للزرقاء واخذت الملكة بناصر الفئة الخضراء فحدث من جرَّاء ذلك هَرْج ومَرْج ودام ذلك ستة عشر يوماً وكاد يستنيان بسببهِ يفقد الملك والحياة . فانَّ اهل الثورة امتدُّوا في كلّ انحاء العاصمة كسيل جحاف فنهبوا وسلبوا وقتلوا وخربوا وأحرقوا احد قصور الملك وكنيسة ايَّا صوفيَّا ونادوا بهيپاس ابن عم الملك انستاس ملكاً . غير ان بليزار قائد جيش يستنيان تمكَّن بعد الجهد الجهيد من اطفاء نار الفتنة وكشف قناعها . قيل انَّهُ قُتل في تلك الداهية نيِّف وخمسون الف رجل

وكان للمضمار المذكور مقاعد على شبه الدرج واسراب يُدخل منها اليهِ . وقد تلف كل ذلك . امَّا المسلَّتان فاحداهما من المسلَّات المصريَّة ذات الحجر الواحد . نقلها الملك ثاودوسيوس من عين شمس الى القسطنطينيَّة . وقد جُعلت هذه المسلة على ركن عظيم من الرخام وعلى الركن نقوش خَشِبة تمثِّل ثاودوسيوس وحاشيتهُ مجتمعين لنصب المسلَّة . والمسلة من الحجر الصوَّان على جوانبها الاربعة كتابات هيروغليفيَّة مُحكمة الحفر . والمسلَّة الثانية اشبه بهرم صغير مُصمَت شيَّدها بعض ملوك الروم بحجارة عاديَّة وكانت

سابقًا مصفَّحة بصفائح من الشَّبَه المذهب من عمل ملوك الفرنج الّا انَّ هذه الصفائح نُزعت عنها . وحجارة هذه المسلة تتفتَّت يومًا فيومًا وهي على وشك السقوط

امَّا عمود الحيَّات فانَّهُ من اجمل الآثار القديمة التي بلغت عصرنا . يرتقي عهد هذا العَمود الى سنة ٤٧٩ قبل المسيح وهو تذكار لانتصار احدى وثلاثين مدينة من مدُن اليونان على الفرس في وقعة بلاتاي (Platée) . فنصبوا هذه السارية في هيكل ابلون في دِلفي (Delphes) . ولمَّا جلس قسطنطين على عرش الملك في بوزنطية وزَيَّن هذه المدينة بالتماثيل القديمـة امر بنقل العمود المذكور الى عاصمتهِ . وهذا الاثر عبارة عن ثلاث حيَّات ضخمة يبلغ طولها نحو سبعة امتار وهي ملتفَّة بعضها حول بعض وكانت رؤوسها تحمل لوحًا مثلَّث الزوايا (trépied) تجلس عليها كاهنة ابلُون . وكان الاثر من الصُّفر ولم يبقَ منهُ الّا قطعة طولها خمسة امتار و ٥٥ سنتيمترًا . وفي دار العاديَّات في الاستانة حنَك احدى الحيَّات الثلاث . وهذه الطرفة الجميلة تشهد بترقّي فنّ الصناعة عند القدماء وهي مسبوكة سبكًا واحدًا

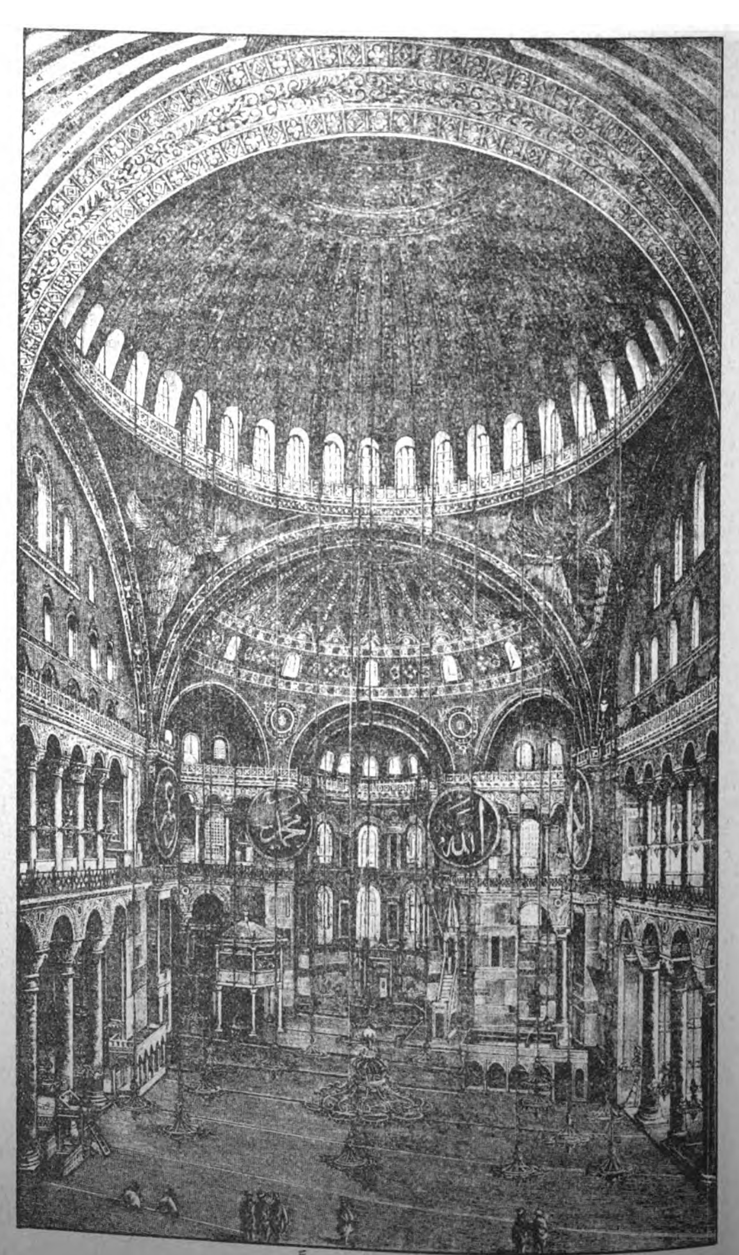
٣ (قصور ملوك الروم) كان لملوك الروم قصور عديدة بيد انّ اكثرها دخل في خبر كان . وقد بقي بعض الجدران من المعاهد التي سكنوها بعد القرن الثاني عشر وكان موقعها في العُدوة الغربيَّة عند الرأس المعروف بقرن الذهب في حيّ بلاكرناس عند السراي . امَّا الابنية الاساسيَّة التي كانت تسندها فهي الى يومنا هذا بارزة وكلها محكمة الصنع متقنة الهندام

٤ (الصهاريج القديمة) وممَّا يُشعر بعظم شأن القسطنطينيَّة في سالف الادهار الصهاريج العديدة الواسعة الحوض المحكمة البناء التي كانت تزينهـا وكان الاغنياء يتباهون بصنعها واتقان هندستها . وقد اشتهر منها صهريج يُعرف بصهريج الالف عمودٍ وعمودٍ والسيَّاح يأنسون بزيارة بقاياه الجميلة

٤

٥ (ايَّا صوفيَّا) هو البناء فخر القسطنطينيَّة وابدع الآثار البوزنطيَّة الباقي من مدينة القياصرة الرومية تراهُ جمع فيهِ طُرَف الهندسة اليونانيَّة فضـلًا عن محاسن الابنية الاسيويَّة

ولا يُخفى انَّ يستنيان الملك هو الذي اوعز ببناء ايَّا صوفيَّا لتكون كنيسةً اهلًا



رسم باطن اجیا صوفیا

بعاصمة الدنيـا فاستقدم من جميع اطراف مملكتهِ ابرع البنّائين وامهر الصنّاع واحذق ارباب الهندسة فوكل اليهم هذا المشروع الشريف والحقّ يقـال انهُ جاء متناهياً في الجلالة والفخامة حقيقاً بان يُعدّ من عجائب الارض وابنيتها الباهرة. وقد دعا يستنيان هذه البيعة أيّا صوفيّا لانهُ اقامها ذكرًا للحكمة الازليّة المقدّسة فاتخذها السلطان الغازي محمد الثاني جامعاً يوم فتح القسطنطينيّة

وقد تمتّعنا بمشاهدة هذا الاثر الجليل فملأ بمحاسنهِ عيننا وصدرنا وخلب عقلنا واستبى لبّنا. وكان خارجها في قديم الزمان بهيًّا باهرًا وقد وصفـهُ وصفاً مدقّقاً الرحّالة الشهير ابن بطوطة (راجع مجاني الادب ٢ : ٢٦٠). واليوم لا يرى الرائي شيئاً من هـذه الطرائف الخارجة التي ذهبت بها يد الحدثان

امّا هيئة البناء فعلى شكل مربّع طولهُ ٧٥ مترًا و ٦٤ سنتيمترًا ما خلا حنيّـة الهيكل (Abside) وعرضهُ ٧٠ مترًا. وفوق هذا المربّع القبّـة العظمى التي يكلّ الطرْف بنظره اليها على مدى تحديقهِ. وقطرها عنـد فوهتها ٣١ مترًا و ٤٨ سنتيمترًا وهي مستندة الى اربع حنايا يتوازى سقفها. وقد بُني على الحنيّتين اللتين على يمين الداخل وشمالهِ شبه نصف قبّة. وتحت نصف القبّة نصف قبّة أخرى من الجهتين وهذان النصفان اصغر من النصفين الاعليين يستندان الى عَمَد. فينجم من ركوب هذه القباب على بعضها منظرٌ لا عديل لهُ وترى للبناء هيئة رشيقة خفيفة غاية في الحسن والجمال

والذي تولى هندسة ايّا صوفيّا كان اسمهُ انثيميوس وكان نسيج وحدهِ في الهندسة وصناعة البناء وعلم تحريك الاثقال. قال المؤرخ پروكوب في كتاب الابنية (١ : « تفرّد انثيميوس بالاكتشافات العديدة في علم البناء وسبق الاقدمين ببراعتهِ في العلوم الميكانيكيّة ». وغاية ما توخّاه في هندسة ايّا صوفيّة ان يجعل قبّتهـا في السماء منتهى الخفّة والرشاقة كأنها الطائر المحلّق في الجوّ لا يكاد يسندها غير يمين العليّ بقوّة خفيّة. وقد فضّل المهندس هذه الخاصّة على ما سواها فاستفرغ جهدهُ في تنميق هذه القبّة واتقان اقسامها فتراهُ كأنهُ أفرغها في القوالب

وقد أُغري مهندسو الاستانة بجمال ايّا صوفيّة فحاولوا الاقتفاء بهـا فترى اكثر جوامع العاصمة تشبه بعض الشبه ذاك البناء الفريد. امّا الكنائس التي شيّدها المهندسون

(١) راجع Procopius : *De Ædif.* I ; Agath. : *Hist.* V, 8

اليونانيون قبل الفتح الاسلامي فهي تختلف في صورتها عن اآيا صوفيَّة. فمنها ما بُني على الطرز المعروف بالملكي (basilique) نسبةً الى هندسة الدور الملكيَّة الرومانيَّة. ومنها ما هو على شكل مستطيل ولهذه الابنية قبَّة مرتفعة تستند الى إطار على شكل طَبل (tambour) وقد شاع هذا الطرز في القرن الثاني عشر

ومن الكنائس الشهيرة بهندستها « اآيا صوفيًّا الصغرى » بناها ايضًا انثيميوس المذكور وكانت على اسم القديسين الشهيدين سرجيوس وباخوس وقبَّتها راكنة الى إطار مطبَّل ذي ثماني زوايا فوق قناطر وحنايا متوازية كجامع اآياصوفيًّا الَّا انَّ عددها ضعف عدده. امَّا زخرفة جدران هذه الكنائس القديمة فقد بقي منهُ مثال في « قهريه جامع ». وهي كنيسة قديمة للدير الشهير المعروف بخوره (χώρα). فترى في رواق الكنيسة ووجه الهيكل قطعًا كبيرة من الفسيفساء. وهي نقوش مختلفة ذات الوان عجيبة وفي جملتها صور بديعة تمثِّل بعض اعمال السيد المسيح. فترى في هيئة الاشخاص وحركاتهم وسحناتهم ما يدلّ على ترقٍّ عظيم في فنّ التصوير. والفضل في اكتشاف هذه الفسيفساء عائد الى سعادة ناظر الصنائع والفنون في الاستانة العليَّة

هذه لُمعة وجيزة في بعض ابنية القسطنطينيَّة القديمة اكتفينا بذكرها لئلا نخرج الى الطول المملّ بوصف سواها

٦ (متحف الاستانة) وممَّا يحقّ للاستانة ان تفتخر بهِ دار عاديَّاتها الفخيمة. ولا يسعنا هنا السكوت عن ذكر صاحب السعادة حمدي بك الذي تولى منذ نحو عشرين سنة نظارة هذا المتحف الشهير فجعلهُ في عداد المتاحف الكبرى التي تتباهى بها عواصم اوربَّة. وسعادتهُ تخرَّج اوَّلًا في مكتب باريس ثم عاد الى الاستانة العليَّة فبذل قصارى الهمَّة بجمع شتات العاديَّات العثمانيَّة ونال من الكرم الشاهانيّ ان يخصِّص لعرض هذه الطرائف جوسق چينلي وهي دار رحبة مصفَّحة بالصفائح الصينيَّة من عمل العجم

ثمَّ ضاقت هذه الدار عن محتوَياتها لمَّا اكتشف سعادة وكيل المتحف نواويس صيداء سنة ١٨٨٧ فامر جلالة السلطان اعزَّهُ الله ان يُزاد على ذلك بناء آخر شُيِّد في حدائق السراي القديمة. ومنذ ثلاثة اشهر قد شرع المهندسون ببناء قصر واسع الجوانب كثير القاعات لتودع فيهِ العاديَّات التي تتوارد الى كرسيّ السلطنة من كل [illegible] أُسست دار العاديَّات العثمانيَّة اخذ العلماء الاوربيُّون يتقاطرون الى زيارة

هذه الآثار وفحص كتاباتها وحلّ ألغازها وكلهم يثنون اعطر الثناء على سعادة حمدي بك الذي يستقبلهم بما جُبل عليهِ من الانس واللطف يشاركهُ في ذاك اخوهُ خليل بك واخو كريمتهِ العالم في العاديّات البوزنطيّة ميستاكيديس افندي

ولدار العاديّات معاهد عديدة كلها في غاية الاهميّة على اختلاف اصلها. وقد نظّم حضرة الاب شيل (Scheil) الدومينيكيّ العاديّات الاشوريّة التي اكتشفها في بابل ووضع لها قائمةً حسنة وزاد عليها وصف العاديّات المصريّة. وتولّى العالم الالماني مرتمان (Mordtmann) تنظيم الكتابات والتماثيل الحميريّة والتدمريّة والعبرانيّة ونشر اوصافها بالطبع. امّا العلّامة الفرنسيّ جوبين (Joubin) فانّهُ استفرغ جهدهُ في تعريف النواويس التي تُصان في هذا المتحف ولكلّها نقوش باهرة عجيبة. وبعضها كانت لمشاهير الملوك والاعيان كنواويس صيداء وناووس اسكندر ذي القرنين وغير ذلك. ولا حاجة للقول انّ للعاديّات الاسلاميّة القديمة وآثارها ونقودها موضع خصوصي يجمع من الطُّرَف البهيّة ما ندر وجود مثلهِ في المتاحف الاوربيّة (ستأتي البقيّة)

الزلازل في بيروت

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

حدّثت الجرائد فأسهبت في وصف الزلازل الهائلة التي حلّت ضيفاً ثقيلاً على ولاية آيدين وما يليها فجلبت عليها البوار وانزلت اهلها في الحضيض بعد السنام (راجع البشير ع ٩ و ١٦ ت ١). وقبل هذا الخطب العظيم في منتصف كانون الثاني كانت حدثت في بيروت بعض هزّات ارضيّة الّا انّها كانت والحمد لله خفيفة الوطأة قصيرة المدّة حتى ان كثيرين لم يشعروا بها. وما لبثنا ان قرأنا في الجرائد ان بلاد اليونان طرأت عليها هذه القارعة فزلزلت ارضها زلزالًا. ففهمنا ان هزّات بيروت لم تك آنئذٍ غير عكس فعل تلك الزلزلة العظيمة التي ضعف لحسن الحظ تأثيرها في اصقاعنا لبعدها عن مركز الخطب

بيد انّ بيروت ذاقت في القرون الغابرة من اهوال الزلازل نكالًا امرّ من الشّري ألمعنا الى ذلك الماعاً في مقالة سابقة (المشرق ١ : ٣٠٥) ولم نستوفِ اذ ذاك الكلام

عن هذا الامر الجلل فسدًا لهذه الثلمة رأينا في استئناف هذا الموضوع فائدةً فتكون مجالتنا هذه كصحيفة من تاريخ مدينتنا وليس التاريخ في غالب الاحيان الّا سلسلة نكبات الدهر وطوارقهِ ولذلك قال القائل: طوبى لقوم لا تاريخ لهُ

قلنا سابقًا (المشرق ١: ٣٠٣) ان للزلازل في الثغور الشاميّة خطّين وانَّ احدهما هو الخطّ الساحليّ يمتدُّ على مدى سِيف البحر المتوسّط فهو الخطّ الذي نعنيهِ في هذه النبذة. ويؤخذ من مقالتنا السابقة انَّ الاهتزازات الحادثة على مسير هذا الخطّ الساحلي أتت بنوائب لا تُحصى وقد اقتصرنا على وصف بعضها. وربَّما ضربنا صفحًا عن ذكر بيروت بيد انَّهُ من المقرَّر ان بيروت نالت من هذه المصائب حظّها في كلّ زلزال ولعلَّ المؤرخين سكتوا مرارًا عن تدوين اسمها في عداد المدن المصابة وما ذلك الّا لقلّة الخسائر الناجمة لها عنها. وكذلك نفعل نحن فنخصّ بالذكر الزلازل الخطيرة التي ألمّت بيروت فالحقت بها من الاضرار ما انخلعت لهِ قلوب سكّانها هلعًا

ففي سنة ٣٤٩ طرأ على بيروت زلزال اخرب نصفها. وكان فيها حينئذٍ كثير من عَبدة الاصنام المشركين فطارت قلوبهم شعاعًا واسرع العدد الغفير منهم الى التنصر علّهم يستمطرون بذلك ديم رحمتهِ تعالى لكنَّ هذه الاهتداءات الناتجة عن الرُّعب والهلع لم تكن كلها ثابتة وبعد زوال الخطر عاد منهم قسمٌ الى التوثُّن وتمذهب منهم قسمٌ آخر بمذهب جديد مزج بين معتقدات النصرانيّة وخرافات المشركين (١

الّا انَّ بيروت لم تلبث ان تنزع عنها ثوب الحداد وتُميط ستر الخراب فعادت الى ما كانت عليهِ من البهاء والسُّمعة الطيّبة وداومت على تدريس الفقه والبيان كما كان شأنها قبل ذلك

وفي السنتين ٤٩٤ و ٥٠٢ شعر البيروتيّون بهزّات جديدات لكنّها كانت خفيفة فيها بخلاف مدينتي صور وصيداء فانَّ الزلزال مدَّ عليهما رواقهُ فخربتا تمامًا. وممّا خرب في بيروت في ٢٢ آب من السنة ٥٠٢ كنيسُ اليهود ذكر ذلك المؤرخان زوناراس ومالالا

على انَّ هذه النوازل لم تكن غير مقدّمات لجوائح اسوإ غائلةً فما مرَّ على بيروت

١) راجع تاريخ تيوفان وكدرينس وغيرهما لسنة العالم ٥٨٤٠

نصف قرن بعد هذه النكبة حتى دهمتها زلزلة هائلة لم تقم من بعدها هذه القصبة القيام التامّ الّا بعد اربعة عشر قرنًا وقد اشرنا الى ذلك في مقالتنا الاولى. امّا زمن وقوع هذه المصيبة الصمّاء. فليس بامرٍ يسير لاختلاف آراء المؤرخين في تعيين تاريخ هذه البائقة ولكثرة ما اصاب بيروت في ذلك العهد من الزلازل. وعلى ظنّنا انّ هذه الفجيعة نزلت بيروت في السنة ٥٥١ كما رواهُ الاب مرتين اليسوعي في تاريخ لبنان (١

وقد اهتزّ آنئذٍ كلُّ الساحل من جزيرة ارواد حتى صور اهتزازًا شديدًا امّا بيروت فكان لها في هذا المصاب السهم الاوفر. قيل انّ البحر فيها ارتدّ الى الوراء نحو مسافة ميل ثمّ عاد بصدمة هائلة وغرّق سُفنًا عديدة والوفًا من الناس. فرثى بيروت المؤرخ اغاثياس بما تعريبهُ: «ذوت بيروت زهرة فينيقية بعد تلك الزلزلة العظيمة وتقلّص ظلّ جمالها. دُكّت ابنيتها الشامخة البديعة المنظر المتقنة الاحكام فانتقضت عن آخرها ولم يبقَ منها الّا ردمٌ وخراب وقد هلك تحت أنقاضها جمٌّ غفير من الاهلين والاجانب وذهبت شعوبُ بنخبة الشبّان الاشراف الذين قدموا بيروت لدرس الحقّ الرومانيّ في مدرستها الشهيرة التي كانت فخرًا لها وتاجًا على مفرقها تباهي بهِ اخواتها من المدن العظمى. وعلى اثر هذه الزلزلة انتقل الاساتذة الى صيداء ريثما يتجدّد بناء المدينة ومدارسها وقد نجز هذا العمل بعد سنين قليلة فكادت تُنشر من اكفانها وكان الاساتذة على وشكٍ من الرجوع الى مقرّهم اذ شبّت النار في البلدة سنة ٥٦٠ فالتهمت معاهدها ودور سكّانها (٢

والى هاتين الحادثتين اشار احد شعراء اسبانية يوحنّا بربوقلوس في قصيدة لهُ عن لسان بيروت يقول فيها: «انا اشأم المُدُن طائرًا واسوأهم حالًا رأيت جثث ابنائي تغطي ساحاتي دفعتين في ظرف تسع سنوات. رماني فُلكان (٣ بسهامهِ الناريّة بعد ان صدمني نِپتون (٤ بكلكلهِ. وا اسفي على جمالي السابق مسحهُ الدهر فاحالني الى رماد

---

١) خلافًا لما زعم البعض انّها حدثت سنة ٥٢٩ ولما اثبتنا ايضًا في المشرق (١:٣٠٦) عن وقوعها سنة ٥٤٣

٢) راجع تاريخ اغاثياس في مجموع آباء اليونان (مين ٨٨:١٣٥٩) وقد ذكر هناك زلزلة اخرى حدثت في بيروت سنة ٥٥٤ لكني لم اتبيّن امر وقوع هذه الحادثة

٣) اله النار ٤) اله البحر والمسمّى ايضًا ἐνοσίχθων اي مزلزل الارض

فتلهّفوا ايها السَّفر على سوء طالعي واندبوا بيروت المضمحلّة ». وهذا دليل بيّن على انّ بيروت امست خرابًا يبابًا

ولم تقم لبيروت بعد ذلك قائمة فانّ السائح انطونين الذي اجتاز بها زهاء سنة ٥٧٠ م وجدها على حالتها المشؤومة التي سبق وصفها

وقد وفدت على بيروت الزلازل بعد ذلك فزارتها غير مرّة. لكنْ ثقل وطأتها تحوّل مذ ذاك الحين الى صور وصيداء. فلم يعد المؤرخون يخصون بالذكر غير هاتين المدينتين

وآخر زلزال ذي بال نابت بيروتَ خطوبُهُ كان في غرّة سنة ١٨٣٧ وانّما كان انعكاسًا للهزّات المريعة التي أنشبت مخالبها في الوف من اهل صفد. فرمدت يومئذٍ عين الشمس واغبرّ الجوّ وخُيِّل للناس انّ الطبيعة غالتها اغوال الموت. غير انّ الله لطف بعبادهِ فلم تكن الخسائر كما توقّعهُ الناس وانهدمت دور كثيرة وتداعت بعض الابنية (١ لكنّهُ والحمد لله لم يمت من الاهلين احد. وفي السنتين ١٨٧٢ و ١٨٧٥ توالت فيها الهزّات الارضيّة بيد ان رعبها في القلوب زاد عن اضرارها

فيتّضح ممّا تقدّم انّ بيروت وان لم تكن بمأمن عن الزلازل تزداد يومًا فيومًا ثبوتًا وانّ وقوع مثل هذه الطوارئ يخفُّ مع الايّام تواردًا وضررًا

هذا وان اتّساع بيروت وعلوّ طبقات منازلها وقلّة الاعتناء بتوثيق ابنيتها لمّا يشير في القلب خوفًا اذا ما المّت بها يومًا نكبة الزلازل الشديدة فلا ريب في انّ قسمًا كبيرًا من بناياتها يتضعضع وينخسف وقانا الله من أذى هذه البليّة العظمى بمنّهِ ورحمتهِ فانّهُ السميع المجيب

الحركة التجاريّة في المملكة العثمانية

لجناب الاديب عبدالله افندي رزق الله شارّ من مأموري معية ولاية بيروت الجليلة

كانت امانة الرسومات الجليلة نشرت خلاصة سجلّ ادخالات واخراجات سنتي ١٣٠٧ و ١٣٠٨ مالية الموافقة لسنة ٩١ و ٩٢ تحت عنوان « بيان عمومي » ذكرت فيهِ مقدار الوارد والصادر وقيمتهُ واجناسهُ ومقادير تجارة الدولة العليّة مع بعض الحكومات الاجنبيّة ودرجة الفرق والتفاوت بين هاتين السنتين واليك الجدول المذكور

(١ راجع Ritter : *Erdkunde*, 448

بيان عمومی

اسامي	اخراجات: قيمة ١٣٠٧ غروش	اخراجات: قيمة ١٣٠٨ غروش	اخراجات: قيمة تفاوت غروش	اخراجات: رسم الجمرك ١٣٠٧ غروش	اخراجات: رسم الجمرك ١٣٠٨ غروش	اخراجات: رسم الجمرك تفاوت غروش	ادخالات: قيمة ١٣٠٧ غروش	ادخالات: قيمة ١٣٠٨ غروش	ادخالات: قيمة تفاوت غروش	ادخالات: رسم الجمرك ١٣٠٧ غروش	ادخالات: رسم الجمرك ١٣٠٨ غروش	ادخالات: رسم الجمرك تفاوت غروش
ممالك الدول الاجنبية												
انكلترة	٦٨٦٣٠٢٣٣١	٧٠١٩٣٩٢٢٢	+ ١٥٦٣٦٨٩١	٦١٧٦٧٢١	٦٣١٧٤٥٣	+ ١٤٠٧٣٢	١٠٢٠١١٢٨٩٦	٩٧٨١٥٠٨٠٤	− ٤١٩٦٢٠٩٢	٧٣٩٠٢٩٢١	٧١١٠٧٥١٨	− ٢٧٩٥٤٠٣
المانية	١٣٩٩٦٢١٨	٣١٦٧٧٢٢٠	+ ١٧٦٨١٠٠٢	١٢٥٩٦٦٦	٢٨٥٠٠٩٥	+ ١٥٩٠٤٢٩	١٨٤٣٣٩٢٧	٢٧٩٧٨١٩١	+ ٩٥٤٤٢٦٤	١٣٢٧٢٤٣	٢٠١٤٤٣٠	+ ٦٨٧١٨٧
اوسترية	١٢٣٢٢٦٩٩٧	١٥١١٧٩٨٨٣	+ ٢٧٩٥٢٨٨٦	١١٠٩٠٤٣	١٣٦٠٦١٩	+ ٢٥١٥٧٦	٤٥٩٧١٨١٣٠	٥٠٩٩١٩٦٦٤	+ ٥٠٢٠١٥٣٤	٣٣٠٩٩٧٠٥	٣٦٧١٤٢١٦	+ ٣٦١٤٥١١
ايطالية	٥٤٣٦٥٤٤١	٧٨٤٤٦٥٥٩	+ ٢٤٠٨١١١٨	٤٨٩٢٨٩	٧٠٦٠١٩	+ ٢١٦٧٣٠	٥٧٦٩٨٧٢٠	٥٨٠٠٥٠١٦	+ ٣٠٦٢٩٦	٤١٥٤٣٠٨	٤١٧٦٣٦١	+ ٢٢٠٥٣
اسبانية	٤٠٦٣٣٣	٢٨٢٠١١١	+ ٢٤١٣٧٧٨	٣٦٥٧	٢٥٣٨١	+ ٢١٧٢٤	٥٨٣	٧١١١	+ ٦٥٢٨	٤٢	٥١٢	+ ٤٧٠
العجم	١٥٢٥٦٤٨	٢٠٢٥٣٨٨	+ ٤٩٩٧٤٠	١٨٣٠٧٨	٢٤٣٠٤٧	+ ٥٩٩٦٩	٦٥٣٢١١٥٩	٥٥٨٦٣٦٩٩	− ٩٤٥٧٤٦٠	١٣١٠٨٨٣٥	٧٩٨٧٤٦٠	− ٥١٢١٣٧٥
اسوج	٥٥٥	٠	− ٥٥٥	٥	٠	− ٥	٦٦٦١٤٠٢	٨٠٦٤٢٦٥	+ ١٤٠٢٨٦٣	٤٧٩٦٢١	٥٨٠٦٢٧	+ ١٠١٠٠٦
اميركة	٢٣٢٨١٣٣٣	١٦٣٦٧٨٨٧	− ٦٩١٣٤٤٦	٢٠٩٥٣٢	١٤٧٣١١	− ٦٢٢٢١	٣٢٤٥٣٩٢	٨٧٦٥٤٠	− ٢٣٦٨٨٥٢	٢٣٣٦٦٨	٦٣١١١	− ١٧٠٥٥٧
بلجيكة	٣١١٠٦٦٦	٣٨٨٢٣٣٤	+ ٧٧١٦٦٨	٢٧٩٩٦	٣٤٩٢١	+ ٦٩٢٥	٦٤٦٧٦٤٢٣	٦٦٧٩٠٢٨٢	+ ٢١١٣٨٥٩	٤٦٥٦٧٠٢	٤٨٠٨٩٠٠	+ ١٥٢١٩٨
دنمرك	٣١٨٢٢١	٦٨٢٣٣٢	+ ٣٦٤١١١	٢٨٦٤	٦١٤١	+ ٣٢٧٧	١٣٣٤٧	٣١٦١٠	+ ١٨٢٦٣	٩٦١	٢٢٧٦	+ ١٣١٥
الروسية	٢٥٣٣١٣٣١	٣٢١٧٦٣٢٧	+ ٦٨٤٤٩٩٦	٢٢٧٩٨٢	٢٨٩٥٨٧	+ ٦١٦٠٥	١٨٦٨٩٨٩٢٥	١٢٨٩٣٤٧٩١	− ٥٧٩٦٤١٣٤	١٣٤٥٦٧٢٣	٩٢٨٣٣٠٥	− ٤١٧٣٤١٨
رومانية	٢٩١١٧٨٨٦	٢٣٦٢٤٨٨٦	− ٥٤٩٣٠٠٠	٢٦٢٠٦١	٢١٢٦٢٤	− ٤٩٤٣٧	٤٥٩٧٨٤٣١	٥٧٧٠٣٢٢٢	+ ١١٧٢٤٧٩١	٣٣١٠٤٤٧	٤١٥٤٦٣٢	+ ٨٤٤١٨٥
اليابان	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣٣١٦١١٦٧	+ ٣٣١٦١١٦٧	٠	٢٣٨٧٦٤	+ ٢٣٨٧٦٤
سربية	٥١٥١١٠٤	٤٧٦٢٨٨٨	− ٣٨٨٢١٦	٤٦٣٦٠	٤٢٨٦٦	− ٣٤٩٤	٧٢٥١٨٤٣	٧٠٥٠٥٣٨	− ٢٠١٣٠٥	٥٢٢١٣٣	٥٠٧٦٣٩	− ١٤٤٩٤
الفلمنك	٢٣٥٩٢٢٢١	٤٢٩٤٢٦٦٦	+ ١٩٣٥٠٤٤٥	٢١٢٣٣٠	٣٨٦٤٨٤	+ ١٧٤١٥٤	١٢١٧٢٣١٣	١٢٤٨٣٣٧٢	+ ٣١١٠٥٩	٨٧٦٤٠٦	٨٩٨٨٠٢	+ ٢٢٣٩٤
فرنسة	٤٥٠٧٠٠٢١٦	٣٨٠٠٣٥٧٧٨	− ٧٠٦٦٤٤٣٨	٤٠٥٦٣٠٢	٣٤٢٠٣٢٢	− ٦٣٥٩٨٠	٣٠٢١٣٧٣٧٥	٢٩٦٢٩٠٦٧٤	− ٥٨٤٦٧٠١	٢١٧٥٣٨٩١	٢١٣٣٢٩٢٨	− ٤٢٠٩٦٣
جبل الاسود	٤٦٧٤٩٧	٢٦٨٤٨٧	− ١٩٩٠١٠	٣٣٦٦٠	١٩٣٣١	− ١٤٣٢٩	٨٣٢١٦٥	٧٩٥٥٥٤	− ٣٦٦١١	٥٩٩١٦	٥٧٢٨٠	− ٢٦٣٦
اليونان	٥٤٧٧٩٤٣٨	٤١٣٧١٣٣٥	− ١٣٤٠٨١٠٣	٤٩٣٠١٥	٣٧٢٣٤٢	− ١٢٠٦٧٣	٤٢٢٨٥٤٢١	٣٧٢٨٠٢٧٧	− ٥٠٠٥١٦٤	٣٠٤٤٥٥١	٢٦٨٤١٨٠	− ٣٦٠٣٧١
الجمع	١٤٩٥٦٧٣٤٣٦	١٥١٤٢٠٣٣٠٣		١٣٦٥٩٨٦١	١٣٨٦٩٥٦٣		٢٢٩٣٤٣٨٤٧٢	٢٢٤٩٥٢١٧٧٧		١٧٢٤٧٨٨٠٧٣	١٦٦٦١٢٩٤١	
الايالات الشاهانية الممتازة												
مصر	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٦١٧١٤١٦٨	٦٦٤٢٦٤٦٨	+ ٤٧١٢٣٠٠	٤٤٤٣٤٢٠	٤٨٠٢٣٣٤	+ ٣٥٨٩١٤
بلغارية	٤٠٢٦٥٦٧٠	٤٢٩٧٤٥٦٤	+ ٢٧٠٨٨٩٤	٣٦٢٣٩١	٣٨٦٧٧١	+ ٢٤٣٨٠	٩٤٠١٠٤١٨	١٢٤٤٨٤٣٩٨	+ ٣٠٤٧٣٩٨٠	٦٧٦٨٧٥٠	٨٩٦٢٨٧٧	+ ٢١٩٤١٢٧
سيسام	٢٨٦٥٠١	٤٦٢٦	− ٢٨١٨٧٥	٢٠٦٢٨	٣٣٣	− ٢٠٢٩٥	١٠١٧٣٧	٧٣١٢٣	− ٢٨٦١٤	٧٣٣٥	٥٢٦٥	− ٢٠٦٠
تونس	٢١٩٩٢٣	٧١٧٠٧	− ١٤٨٢٦٦	١٥٧٣٨	٥١٦٣	− ١٠٦١٥	٦١٢٩١٩٣	٦١٧٢٧٧٦	+ ٤٣٥٨٣	٤٤١٣٠٢	٤٤٤٤٤٠	+ ٣١٣٨
الجمع	٤٠٧٧٢١٤٤	٤٣٠٥٠٨٩٧		٣٩٨٨٥٧	٣٩٢٢٦٧		١٦١٩٥٠٠١٦	١٩٧١٥٦٧٦٥		١١٦٦٠٧٩٧	١٢٢١٢٩١٦	
جمع الجمع	١٥٣٦٤٤٥٥٨٠	١٥٥٧٢٠٤٢٠٠		١٤٠٥٨٧١٨	١٤٢٦١٨٣٠		٢٤٥٥٣٩٣٤٨٨	٢٤٤٦٦٩٨٥٤٢		١٨٦٢٤٤٨٨٧٠	١٨٠٨٣٧٨٥٧	

وتتميماً للفائدة نقلنا عن تقويم غوطا المذكور آنفاً قائمة تجارة المملكة العثمانيَّة مع بعض الممالك الاجنبيَّة سنة ١٨٩٣ — ٩٤

اسماء الممالك	ادخالات الوف غروش	اخراجات سنة ١٨٩٣ — ٩٤ الوف غروش
انكلترة	٩٠٥,٤٩٨	٥٧٣,٥٩٨
فرنسة	٢٧٤,١٠٥	٣٥٥,٨٢٦
النمسة	٥١٦,٣٥٣	١٣٢,٨٦٥
روسية	١٥٠,٤٤٣	٣٣.٥٢١
ايطالية	٦٢,٤٤٨	٤٦,٩٨٦
امارة البلغار	١٢٣,١٢٩	٣٦,١٤٤
رومانية	٧١,٤٨٩	٢٣,٨٦٦
مصر	٦٨,٣٥٦	
المانية	٢٨,١٧٠	٢٩,٤٦٦
اليونان	٤٢,٨١٥	٢٣.٣٨٤
بلجكة	٦٦,٥٧٩	٥,٨٦٤
العجم	٦٧,١٥٨	١,٧٢٠
سربية	٦,٦١٥	٦,٧٣٠
اميركة (الولايات المتحدة)	٢,٠٥١	١٥,٠٣٣
تونس	٢,٠٤٢	٤١
غيرها من البلاد	٩,٨٢٠	١,٥١٤
مجموع سنة ٩٣ — ٩٤	٢,٤١٠,٨٦٦	١,٣٢٦,٢٤٢
〃 〃 ٩٢ — ٩٣	٢,٤٤٦,٦٩٩	١,٥٥٧,٥٢٢
〃 〃 ٩١ — ٩٢	٢,٤٥٥,٣٩٤	١,٥٣٧,٠٠٥

انَّ السلع المعفاة من الرسم الجمركي كالاسلحة والآلات الحربيَّة والامتعة الواردة باسم السفراء والقناصل والمعابد والمكاتب وادوات الزراعة والصناعة ولوازم المعامل والخطوط الحديديَّة والصادرات من التبغ المحلي لم تُذكر في هذين الجدولين. وعليهِ فقد حسب احد المدقّقين العثمانيين ان تجارة الدولة العليَّة العموميَّة تبلغ مع هذه المواد وبعض الاشياء المستثناة الواردة من مصر ورومانية زهاء اربعة مليارات غرشاً

ويظهر من الجدولين المذكورين ان اكثر مناسباتنا التجاريَّة هي مع بريطانية العظمى وتليها فرنسة فالنمسة فالروسيَّة الخ

وقد بدأت تجارة الممالك المحروسة الخارجيَّة في اواسط القرن الرابع عشر مع اهل البندقيَّة (Venise)· لكنَّ فرنسة ما لبثت ان زاحمت هذه الدولة البحريَّة في اسواق البلاد العثمانيَّة على عهد السلطان سليمان القانوني وملكها فرنسوا الاوَّل لما حدث بينهما من العلائق الوداديَّة· واتَّجر معنا من بعدُ الهولانديون والانكليز وغيرهم من الاقوام حتى بلغت تجارتنا منزلتها الحاضرة· على انَّ اهمَّ وارداتنا الآن من انكلترة هي الخام والشيت والحديد والقصدير والفحم الحجري وصادراتنا اليها هي الصوف والقطن وانواع الحبوب· واماً من فرنسة فتأتينا المنسوجات الحريريَّة والقطنيَّة والتخاريم وادوات الزينة وانواع التحف والمشروبات· ويُخرج اليها الزبيب والحرير الغير مصنوع والبلُّوط والقطن والصوف والنبيذ والتين اليابس

وهاك مفردات اهم واردات سنة ١٨٩٣ — ٩٤ وصادراتها

ادخالات	مليون غروش
سكر	١٧٥٥
حبوب وطحين	١٧٢١
اقمشة	١٦٧٧
پيكه	١٣٣٠
منسوجات صوفية وقطنية	١٢٠٧
اجزاء طبية وعطاريَّة ودهانات	١٠٢٤
قطن وغزل	٨٩٥
قهوة	٨٨٧
ارز	٨٧٣
جلد وسختيان	٨٣٤
مادا پولام	٥٤٣
كزمير	٤٦٣
پترول	٤٦١
حديد	٤٦٠
معمولات حديدية	٤٢٩
اجواخ	٤٢٤
اخشاب	٣٧٤
حرير غير مصنوع وشرانق	٣٣٢
خرده	٣٢٩
سمن وجبن	٣٢٥
ورق	٢٨٧
بسط وسجادات	٢٧٢
حراير	٢٥٥
فحم حجر	٢٥٣
خيش أثواب واكياس	٢٤٩
البسة (بدلات)	٢٤٠
نحاس	٢٣٨
طرابيش وبرانيط	٢٢٦

اخراجات	مليون غروش
عنب وزبيب	١٧٨٢
حرير غير مصنوع وشرانق	١٦٦٨
حبوب وطحين	١٢٧٤
مهير (نوع من الاقمشة)	٦٩٤
قطن	٦٧٥
اجزاء طبيَّة وعطارية ودهانات	٥٣٨
عفص	٥٣٠
قهوة	٤٧٢

جلد وسختيان	٤٣٩	بزور	٢٤٤
المعادن غير المصنوعة	٣٩٣	سيرج وسمسم	٢٤١
بقول	٣٩٢	تمر	٢٤٠
زيت زيتون	٣٨٥	بسط وسجّادات	٢٠٨
صوف	٣٨٤	حيوانات	١٩٨
تين	٣٨١	بندق	١٤١

هذا وكنت اودّ ان افرد في رسالتي هذه فصلًا لتجارة سوريّة واحوالها الاقتصاديّة الحاضرة فلم اعثر لسوء الحظّ على شيء استعين بهِ وعليـهِ ابقيت هذا الشغل الى وقتٍ آخر

في ان جمع فَعْل على افعال قياسيٌّ مطَّرد

لحضرة اللغويّ البارع الخوري يوحنا مرتا المرسل الرسولي في بطريركيَّة اورشليم اللاتينية

قالت النحاة: ان الاسم اي الموصوف الصحيح العين اذا كان على وزن فَعْل جُمع قياسًا مطردًا على أفعُل وفِعال وفُعول وفُعلان كبَحْر وأبْحُر وسَهْم وسِهام وفَلْس وفُلوس وظَهر وظُهران لكنَّهم صرَّحوا بانهُ لا يجمع على أفعال الّا شاذًا او نادرًا (١. ووافقهم على ذلك اهل اللغة. قال ابن برّيّ: ان فَعْلًا لا يُجمع على أفعال الّا قليـلًا او شاذًا كما نقلهُ ابن منظور والزبيدي في ترجمة « رزن وجنى ». وجاء في الصحاح والمختار واللسان والتاج: ان الاصل في أبٍ وأخٍ وحمٍ وماءٍ هو أَبَوٌ وأَخَوٌ وحَمَوٌ ومَوَهٌ بالتحريك لانها تُجمع على افعال فيقال: آباء وآخاء واحماء وامواه. وذهب الجوهري الى ان الابن اصلهُ بَنَوٌ « لان جمعهُ ابناء مثل جمَل واجمال . . . ولا يجوز ان يكون فَعْلًا ساكن العين لان الباب في جمعهِ انما هو أفعُل مثل كلب وأكْلُب او فُعول مثل فَلس وفُلوس ». ونقلهُ في اللسان والتاج. واما « الاثنان » فقالوا ان اصلهُ ثِنْيٌ او ثَنَيٌ كما في القاموس والمصباح واللسان لجمعهم ايَّاه على اثناء. وجزم صاحب التـاج بان جمع فَرْخ على افراخ شاذ

١) قال ابن هشام في شرح الشـذور: « ان فَعَلًا لا يُجمع على افعال قياسًا الّا في معتل الوسط كأثواب وأبيات ». ويندرج في ذلك نحو باب وناب لانَّهُ في الحال وِزانُ ثَوب وَبَيت وفي الاصل وزان جمَل وفرَس وكلاهما ممَّا يُجمع قياسًا على أفعال عند جمهور النحاة واللغويين [illegible] ابواب وأتواج وارياش وانياب ونحو ذلك. خلافًا لصاحب التسهيل وصاحب مختصر الجمانة

« لان فَعْلًا الصحيح العين لا يُجمع على افعال وشذَّ منهُ ثلاثة الفاظ « فَرْخ وأَفراخ وزَند وازناد وحمل واحمال » قالهُ ابن هشام في شرح الكعبيَّة واشار اليهِ في التوضيح وغيره قال: ولا رابع لها بخلاف نحو « ضيف واضياف وسيف واسياف » فانهُ باب واسع كذا نقلهُ شيخنا . وكرَّر ذلك في ترجمة زند وسطر وشهد ونجد وغيرها

قلتُ ان ما ذهب اليهِ النحاة واللغويُّون في جمع فَعْل الصحيح العين على افعال لَمِن الامور الغريبة لانهم قد اجمعوا على غلط مبين والعصمة لله رب العالمين

وادلُّ دليل على غلطهم ان ما سُمع عن العرب من جموع فَعْـل على أفعال اكثر جدًّا ممَّا سُمع من جموعهِ على أفعُل وفِعال وفُعلان. وان كانوا يسلّمون بجمعهِ قياسًا على افعُل وفِعال وفُعلان فأَنْ يسلِّموا بجمعهِ قياسًا مطَّردًا على أفعال احقُّ واولى. وتأكيدًا لهذه القاعدة المستدركة عليهم اقول اني قد استقريت جميع الموادّ الثلاثيَّة التي تضمَّنها محيط المحيط للمعلم البستاني واقرب الموارد والذيل للمعلّم الشرتوني وجمعت كلّ ما ورد فيهما من جموع فَعْل الصحيح العين على فُعول وفِعال وأفعُل وفُعلان وأفعال ثم راجعتها في امهات كتب اللغة فاذا الوارد منها على فُعول اربعمائة وستون جمعًا. وعلى فِعـال مائتان وواحد وعشرون. وعلى افعُل مائة واثنان واربعون. وعلى فُعلان اثنان وثلاثون لا غير. وامَّا جموع فَعْل على أفعال التي قيل عنها انهـا ثلاثة فقط اي افراخ وازناد واحمال ولا رابع لها فيرتقي عددها الى ثلاثمائة وبضعة وثلاثين وكلها مسموعة لورودها في الاصول المعتمدة كالاساس والصحاح والمختار والمصباح ولاسيما اللسان والقـاموس والتاج (١ وها انا اذكر اكثرها واشهرها اتمامًا للفائدة واثباتًا للقاعدة

فممَّا جاء مجموعًا على أفعال:

اَرْضٌ وآصٌ والفٌ وأَلْوٌ وأَلْيٌ (٢ وأَمْس وأَمْل وأهل. وبَدْء وبرت وبرث وبرٌ وبرض

١) وجدتُ في بعض المعاجم العصريَّة كمعجم فريتغ ومحيط المحيط واقرب الموارد واحدًا وثلاثين جمعًا على أفعال اغفلتها أمَّهات اللغة. فاذا ضممناها الى ما ورد في الامهات اوفى الجموع على الثلثمائة والستين. وكذا رأيتُ في المعاجم العصريَّة واحدًا وعشرين جمعًا على فُعول وستة على فِعال وخمسة على فُعلان لكنّي لم اجدها في الاصول القديمة

٢) ورد في القاموس وشرحهِ: « والآلاء بالمدّ النعَم واحِدها إِلْيٌ بالكسر وأَلْوٌ بالفتح كدَلْو وأَدلاء وأَلْيٌ بالياء »

وبث (١ وبعد وبعض وبغل وبَهْو. وتلّ. وثأر وثطّ وثغب. وجدّ وجدل وجرس وجرش وَجزْء وجش ء وجفر وجفل وجفن وجلس وجلد. وحَبْر وحبس وحَبل وحتّ وحدس وحضج وحفص وحقو وحلق وحم ء وحمل وحمو. وخبت وخرت وخشف وخصم وخطر وخطّ وخق. ودأث ودجن ودحل ودرك ودمث ودهس. وذحل. ورأس ورأي وربّ وربع ورَبْق ورذل ورطل ورغس ورمس ورهط. وزند وزهر. وسجع وسحر وسجل وسطر وسطل وسلع وسمع. وشتّ وشجب وشجْر وشجن وشحص وشخص وشرّ وشرق وشط ء وشطس وشعر وشغل وشكل وشنف وشنّ وشهد. وصبغ وصحب وصحن وصمو وصفر وصلت وصلد وصمد وصنف. وضبع وضحل وضفث وضفر. وطبل وطرف (٢ وطفذ وطلق. وعبد وعجب وعجز وعجس وعرش وعرض وعقد وعلث وعلد وعمر وعمق وعمّ وعمو. وغرب وغرس وغرض وغمض. وفخذ وفذّ وفرخ وفرد وفرط وفزّ وفسل وفظّ وفنّ. وقدر وقرق وقزح وقلد وقلس. وكبد وكبش وكتف وكرّ وكسر وكفء وكفّ. ولحظ ولحن ولطع ولعط ولغط ولمظ ولفّ. ومأق ومحل ومرت ومرس (٣ ومرش ومرع (٤ ومرق ومرن ومشج ومشط ومغص ومنّ. ونبذ ونبل ونجد ونجل

---

١) اعلم ان كثيرًا ممَّا اوردتهُ هو من باب الصفة لاني اذهب ان فَعلًا موصوفًا كان او صفةً صحيح العين او معتلّها يُجمع قياسًا مطّردًا على أفعال

٢) قال صاحب اللسان: « الطَّرْفُ والطَّرف الحذقُ الكريم من الفتيان والرجال وجمعها أطراف ». وجاء في الحديث: « غضُّ الأطراف » وهي جمع طَرْف بمعنى العين. ولا دليل على تصحيف « الاطراف » في هذا الحديث كما ادَّعاهُ الزمخشري. واما قول اهل اللغة « انَّ الطَّرف لا يُثنَّى ولا يُجمع لانهُ في الاصل مصدر او لانَّهُ مصدر » فغير سديد لان المصدر اذا جُعل اسمًا خرج عن المصدريَّة فجاز تثنيتهُ وجمعهُ كسائر الاسماء كما صرَّح بهِ غير واحد من المحققين. ثم ان المصدر اذا كان مبيّنًا للعدد او للنوع فلا شكَّ في جواز جمعهِ قياسًا كما ذهب اليهِ جمهور النحاة خلافًا لاهل اللغة. والشواهد على جوازهِ اكثر من ان تحصى فمنها قولهم: الظنون والضُّبوم والحتوم والعقول والفضول والنضوح والحلوم. والاحلام والاشغال والامراض والاعمال والانصاب والافزاع والاصباغ. والاحمُد والبُلّان. والاعذبة والاسولة والاسئلة والسؤالات. والتحاسين والتكاذيب والتكاليف والتسابيح والتحاميد والتماجيد. والعَواوِل والهواجر والجواعر والجوازي والثواغي والرواغي والصواهل والعوافي. والملاحس والتجارب والتجاريب والمواعيد. ومنها الوُعود جمع وَعد انكرها طائفة من اهل اللغة ولكن حكاها ابن جنّي وهو ثَبَت من الاثبات واستعملها الحريري في مقاماتهِ ٢٩ و٣٤ و٤٢ و٤٧ وقال المتنبي:

لقد حالَ بالسيفِ دون الوَعيدِ   وحالت عطاياهُ دون الوُعودِ

٣) الامراس نقلها صاحب التاج في مظنَّتها وذكرها اللسان والتاج استطرادًا في ترجمة مرش

٤) قال في اللسان: « المَرْعُ الكلأ والجمع امرُعٌ وأمراع مثل يمن وأيْمُن وايمان ». فالايمُن والايمان في جمع يَمْنٍ ممَّا يُستدرك بهِ على كل المعاجم كما يُستدرك عليها ايضًا بأفلاس جمع فَلس وأدلاء جمع دلو استطرد للاولى صاحب التاج في ترجمة شحص والثانية في ترجمة « الي وقرا وغى »

ونجم ونحوٌ ونذل ونسل ونصب ونصف ونعم ونفر ونقب ونمر . وهجل وهجم وهضب وهضم وهكٌّ . ووأب ووبش ووتد (ويُقال فيهِ وَدٌّ) ووجم ووحش ووحل (١ ووخش ووخم وورب وورق وورك ووزن ووسق ووصف ووضع ووطب ووعر ووعل ووغب ووغد ووغل ووغم ووفد ووفش ووفض ووفع ووقب ووقت ووقس (٢ ووقف (٣ ووقل ووكر ووهز (٤ ووهط ووهم

فهذه مائتان ونيّف وعشرون لفظة على فَعْل قد سُمع جمعهـا على أفعال ولو لم يأتِ غيرها لكانت كافيةً لاثبات القاعدة المشار اليهـا . ثمّ ان النحاة الذين صرَّحوا بان ما كان من الاسماء على فَعِـلٍ وفَعُلٍ يُجمع قياساً على أفعال قد نصّوا ايضاً على جواز تسكين العين في نحو كتِف وعضُد فيقال كتْف وعضْد وهلمَّ جرًّا وهو لغة تميم وقبائل ربيعة . وعليهِ فيكون نحو اكتافٍ واعضادٍ جمعًا قياسيًّا لـكَتِف وعضُد ولكتْف وعضْدٍ على حدٍّ سواء

فمن امعن النظر (٥ في كل ما اسلفنا ذكرهُ فلا مناص لهُ من ان يُجيز جمع فَعْلٍ

---

١) قال الجوهري والصاغاني والرازي وابن منظور والزبيدي ان الوَحْل لغة رديئة . قلتُ : وصريح عبارة الاساس والقاموس والمصباح انَّها فصيحة كالوَحَل بل لتقدم ذكرها في القـاموس يُفهم انها اشهر واعلى من الوَحَل ٢) ورد في اللسان والقـاموس ان الأَوقاس لا واحد لها . على ان ابن السكّيت قد نقل في باب الجماعة من كتاب تهذيب الالفاظ انهُ : « يُقال بها اوقاس من الناس واحدهم وَقْسٌ » . وجاء في التاج : « وقال كراع واحدها الوَقْس »

٣) الاوقاف والاسطال والابغال قد اغفلتها امهات اللغة ما عدا المصبـاح . وجاءت الاوقاف ايضاً في المقامة الاربعين لبديع الزمان وشرح الاشموني على الالفية . واما الاسطال فقد ذكرها ايضاً الازهري في التوضيح على التصريح قال : « وسُمع ايضاً فَعْل وأَفعال في شكل وسَمع ولفظ ولحظ وبعل ورأي ورأد وهو اصل اللحيين وسطل وجفن ولحن ونجد وفرد وجلد والف وانف وثلج » . ثم ان جمع الثلج على أثلاج ممّا يُستدرك بهِ على كل المعجمات كما يُستدرك ايضاً عليها بدَرْج وادراج . قال الصبان في حاشيتهِ على مقدمـة الاشموني : « والادراج بفتح الهمزة جمع دَرْج بفتح الدال وسكون الراء او فتحها ما يُكتب فيهِ »

٤) قال صاحب اللسان : « ورَجُلٌ وَهْزٌ غليظ شديد مُلزَّز الخلق قصيرٌ والجمع اوهاز قياساً » . وقال صاحب التاج : « الوَهز بالفتح الرجل القصير قالهُ ابن دريد قال : والجمع اوهازٌ قياساً » . فكأنَّهما نسيا ما قالاهُ غير مرةٍ ان فَعلًا الصحيح العين لا يُجمع على أفعال الَّا قليـلًا وشاذًّا واقرّا بالقاعدة التي نحن بصددها

٥) نقل في محيط المحيط واقرب الموارد : « امعَن النظر في الامر بالغ فيهِ وابعد في الاستقصاء » واغفلتْ كل المعاجم القديمة امعن متعدياً بنفسهِ في مادتهِ . ومع ذلك فلا مانع من استعمالهِ متعدياً لورودهِ على هذه الصورة في كلام البلغاء والثقات . قال الحريري في المقامة الحلوانيـة : « امعنت

على افعال قياساً مطرداً والّا لزمهُ ان ينبذ معظم قياسات النحاة واللغويين لانهم ربَّما بنوا قياساتهم على اربعين لفظةً او ثلاثين او عشرين او اقلّ. ومما يدلُّك على صحة قولنا ان ما جاء من جموع فَعْلٍ على فُعلان لا يبلغ الاربعين كما تقدَّم ومع ذلك فهذا الجمع قياسيٌّ عند النحاة. وذهب الجوهري وابن منظور وصاحب التاج (في مادَّة عاب) والنحاة الاقدمون (١ الى ان المصدر الميمي من الاجوف الثلاثي المكسور العين في المضارع يجوز بناؤهُ قياساً على وزن مَفعَل ومفعِل. ونقلهُ في خاتمة المصباح عن ابن السكّيت مع ان المسموع منهُ على مفعِل لا يتجاوز الاثنين والعشرين حرفاً كما تثبّتهُ غب استقراء جميع الموادّ الاجوفيَّة في لسان العرب. وذهب ايضاً الجوهري وابن سيده وصاحب اللسان ان استعمال النحت في نحو عَبدريّ وعَبشَميّ جائز قياسيٌّ مع ان المحفوظ من هذا الباب هو دون العشرين. وعليهِ فلا اكاد اشكُّ في ان النحاة واهل اللغة العصريين يُحلّون محلَّ القبول القاعدة التي قدمت بيانها واثباتها لاسيما وبها نستدلّ على فصاحة بعض الفاظٍ وعربيَّةِ غيرها وبها نتمكَّن من اصلاح ما ورد في المعاجم القديمة والحديثة من السهو والخلَل في عدّة مواضع. وها اناذا موردٌ بعضها خدمةً للغة

اختلفت آراء الائمَّة في الجِبر والحَبر ولخَّصها في مختار الصحاح بقولهِ: « الحَبْر

النظر في تَوسُّمهِ وسرَّحتُ الطرف في ميسمهِ ». وقال العلَّامة الشريشي في شرحها: « امعنتُ بالغتُ وادمتُ النظر واصلهُ من امعن في الارض اذا ابعد الذهاب فيهِ ». وقال صاحب التاج في ترجمة قطن: « وهو الذي تكلَّم في الرجال وامعنَ البحثَ منهم ». وفي ترجمة نطس: « كلّ من امعن النظر في الامور واستقصى عليها فهو متنطّسٌ ». واعلم ان عبارة صاحب التاج « واستقصى عليها » المنقولة عن اللسان مما يُستدرك بهِ على كل المعاجم لانها اغفلت استقصى متعدياً بعلى. قال صاحب الكلّيات: « استعمال الثقات الالفاظ في المعاني يُجعل بمنزلة نقلهم وروايتهم وإن لم يوجد في كتب اللغة ولا في استعمالات العرب» وهو قول نفيس جدًّا فاحفظهُ. ويمكن تخريج « امعن النظر » وما شاكلهُ على التضمين وهو مَقيسٌ عند الاكثرين كما نقلهُ ابو حيان وغيره. او على نزع الخافض فان بعضهم يقيسهُ كما في حاشية يس على شرح التصريح وقد نزّلهُ المصنّفون عموماً منزلة القياسي لكثرة ما سُمع منهُ كما في حاشيتي الصبَّان والخضري. واعلم ان التخريج اي التوجيه قد استعمله النحاة واللغويون في كلام العرب وفي ما جاء في الحديث والقرآن نفسهِ اي في ما صدر عن قائلهِ عمداً لا سهواً وفي ما نطقوا بهِ عن معرفة تامَّة لا عن جهل وفي ما قالوهُ وهم في سعة من اجتنابهِ لا لضرورة. اي في ما يسوغ لكل ناثرٍ وناظمٍ ان يعتمد عليهِ كحجَّة وقاعدة

(١) قال في اللسان: « قال ابو اسحق وعند النحويين انَّ المصدر في هذا الباب بابهُ المَفعَل والمَفعِل جيدٌ بالغ » (مادَّة ح ي ض)

بالكسر والفتح احد احبار اليهود والكسر افصح لانهُ يجمع على أفعالٍ دون فُعُول (او دون فَعل كما في اللسان) . وقال الفرّاء : هو بالكسر . وقال ابو عبيد : هو بالفتح . وقال الاصمعي : لا ادري اهو بالكسر او بالفتح » . قلتُ : ولا بيّنة لمن انكر الحبر بالفتح او توقّف في عربيّتهِ او ادَّعى ان الكسر أفصح سوى زعمهِ ان فَعلًا لا يُجمع قياسًا على أفعال وهو مردود بالقاعدة المذكورة فالفتح لغة فصيحة كالكسر ان لم تكن الفصحى . وكذا القول في البِـذر والبَذر والرِطل والرَطل خلافًا لمن جزم بان الكسر فيهما أفصح . قال في القاموس : « الحَسْيُ ويُكسر . . والجمع أحساء وحِساء » . وانكر الفتح صاحب التاج غير ان الحَسْي بالفتح قد حكاهُ ايضًا الثعالبي في فقه اللغة (طبعة الاباء اليسوعيين ص ٢٨٧) ونقلُ العَدل مقبول . نقل ابو زكريّاء التبريزي في كتاب تهذيب الالفاظ لابن السكّيت : « والارزان مواضع تمسك الماء وفيهـا صلابةٌ واحدها رَزْنٌ ورِزنٌ » (طبعة الآباء اليسوعيين ص ٣٩٨) . ومثلهُ في اللسان والتاج . وامَّا ابن حمزة فقال : « هو الرزن بالكسر لا غير » وصوَّبهُ ابن برّي بدليل « ان فَعْلًا لا يُجمع على افعال الَّا قليلًا » . ولكن لا عبرة بانكارهما الرَزن بالفتح لان غيرهما قد حكاها بل هي اللغة الفصحى لاقتصار الجوهري وصاحب القاموس عليها

وكما انهم انكروا مفرداتٍ لمجيئها على فَعـل وجمعها على أفعال فكذلك انكروا جموعًا لكونها على أفعال ومفردها على فَعل . نقل في القاموس انهُ يُقـال في جمع أجر آجارٌ وفي جمع الوَرْد من الخيل أوراد واستعمل الأنسار جمعًا لنَسر كما استُدرك في ذيل اقرب الموارد . وامَّا صاحب التاج وشيخهُ فقد انكرا هذه الجموع الثلاثة بحجة انها غير معروفة والقياس يأباها . الَّا انهما محجوجان بحكاية صاحب القاموس وبالقاعدة التي اثبتناها فالجموع المذكورة عربيَّة صحيحة لان السماع يؤيدها والقياس يعضدها

ورد في الصحاح والمختار والمصباح والتاج ان الأسطار انما هي جمع سَطَرٍ بالتحريك[1] والاسحار جمع سُحرٍ او سَحَر وعندي ان رأي هؤلاء الائمَّة ممَّا لا يُعرَّج عليهِ لان ابن منظور والفيروزابادي قد نقلا ان الاسطار هي ايضًا جمع سَطْر والاسحار جمع سَحْر

١) قال صاحب التاج : «قال شيخنا : وظاهرهُ (اي ظاهر كلام المجد) ان اسطارًا جمع سَطر المفتوح وليس كذلك كما قرَّرناهُ غير مرَّة ان فَعْلًا بالفتح لا يُجمع على أفعال في غير الالفاظ التي ذكرناها غير مرَّة (اي فرخ وحمل وزند) بل هي جمع لسَطَرٍ المحرَّك كسَبَبٍ وأسباب » . والصحيح خلافهُ كما رأيت

وهو القياس. وقال صاحب التاج في بَدْء وبرث وجَش. وغيرها انَّها جُمعت على أفعال شذوذًا او على غير قياس وانت خبير بان ذلك دعوى عارية من الدليل. وجزم ايضًا بان الأخراج جمع خَراجٍ غير ان نصّ القاموس صريحٌ في انهُ جمع الخَرج ايضًا. ومَن حفظ حجَّةٌ على من لم يحفظ

وقال صاحب المصباح حسب عادتهِ: « ان الاذحال انما هي جمع ذَحلٍ (مع ان سائر الامهات قد اقتصرت على الذَحل بالفتح) وان الأشداق انما هي جمع شِدقٍ والاشعار جمع شَعَر والاصناف جمع صِنف والاقراء جمع قُرء والالحاد جمع لُحد والانهار جمع نَهَر والاوحال جمع وَحَل والاوساق جمع وِسق والاوعال جمع وِعل والاوفاز جمع وَفز » لكنَّ قولهُ ليس بشيء. لان سائر أمَّهات اللغة ولاسيما اللسان والقاموس والتاج قد صرحت بان واحد هذه الجموع هو بالفتح ايضًا اي وزان فَعل. ولا حجَّة للفيومي على مدَّعاهُ خلا زعمهِ ان فَعلًا الصحيح العين لا يُجمع قياسًا على أفعال وقد بيَّنَّا خلافهُ بيانًا كافيًا واثبتنا الصواب اثباتًا شافيًا

واما جموع فَعل على أفعال التي انفردت بذكرها المعاجم العصريَّة فهي: أبحاثٌ وأبراح وابقال واتبال واثفار واثقاب واجزان واجناب واخداش (١ وادراب (٢ وادهار (وفي اللسان والتاج « لم نسمع الادهار ») وارقام واشطاظ واشفاع واخراب وامجاد وانباض وانجاع وانغام واوجار واوقاط. فهذه الجموع وان تكن قياسيَّة كما قررناهُ ألَّا ان اهمالها في المعاجم اولى. قال عبد اللطيف البغدادي: « اعلم انَّ اللغويّ شأنهُ ان ينقل ما نطقت بهِ العرب ولا يتعدَّاهُ واما النحويُّ فشأنهُ ان يتصرَّف فيما نقلهُ اللغوي ويقيس عليهِ » كما نقلهُ السيوطي في المزهر (٣

١) نقل في محيط المحيط واقرب الموارد ان الخَدْش يجمع على خدُوش وخِداش وأخداش. وقد اقتصرت جميع الامهات على الخُدوش. فالخداش والاخداش قياس لا سماع

٢) اقول هنا استطرادًا ان الدرب بمعنى الطريق والدروب بمعنى الطُرُق ليستا من كلام المولدين ولا من كلام العامَّة كما ظنَّهُ بعضهم. قال ابن منظور في ترجمة درب: « وقيل هو بفتح الراء (الدَرَب) للنافذ منهُ وبالسكون (الدَرْب) لغير النافذ ». وقال بُعيد ذلك: « ويجوز ان يكون (التدريب) من الدُروب وهي الطُرُق كالتَبويب من الابواب يعني ان المسالك تضيق فتَقِف الحرب » ومثلهُ في القاموس وشرحه

٣) ولكن لا مانع من استدراك ما اوردتهُ امهات اللغة من الالفاظ والمعاني والتراكيب في

وجاء في محيط المحيط: ثَقلٌ واثقال وثَلمٌ واثلام وكَظم واكظام غير ان الثقل

غير مظنَّتهِ ومعلَمــهِ وما استعملهُ المصنفون الثقات مع التنبيه على مأخذهِ كما صنع لغويُّ عصرنا الشهير والعلَّامة الفاضل النحرير سعيد افندي الشرتوني اقتداءً بالجوهري وابن سيــده والفيومي وابن منظور وغيرهم من اعيان اللغويين الذين لم يجتزئوا بكلام العرب بل نقــلوا ايضاً الفاظاً ومعاني لا تُحصى عن كتب الفصحاء. قال في الصحاح: « الحرشفة الارض الغليظة نقلتُهُ من كتاب الاعتقاب من غير سماع ». وقال في المصباح: « والقابول هو الساباط هكذا استعملهُ الغزالي وتبعهُ الرافعي ولم اظفر بنقل فيهِ ». ونقل ابن سيده « الاعرف » افعل تفضيــلٍ عن كتاب سيبويه وقال ايضاً: « ورأيتُ ابن جني قد جمع الغَلَط على غِلاط والعَنبر على عنابر » ونقل انَّ الاخفش ادخل الباء على دون فقال في كتابهِ في القوافي: « من ليس بدونهِ » واستدرك ابن منظور: « يبرهن حقيقتهُ » اي يُبينها عن قول الزجاج. « والاصليَّة » اي التأصُّل « وانافوهُ » اي زادوهُ « والتنزيلات » جمع تنزيل « واسرعهُ » عن ابن جني. « الخُروم » جمع خرم عن ابي اسحق « والنضوح » جمع نضح عن ابي حنيفة. « وقد تَجوْرَب جورَبين يعني لبسها » عن ابن السكيت. واستدرك ايضاً الزبيــدي وشيخهُ « مَن اقيسهُ اليك » عن شعـر المتنبي. « والمُستفاض » عن ابي تمام. « واستطالهُ » اي عدَّهُ طويلًا نقلًا عن مصنَّفات البيضاوي والزمخشري والسعد. « وأغْرَهُ » متعدياً عن استعمال الازهري وابن المعتز وعبـد القاهر والسكاكي وغيرهم. وقال ابن برّي: « اثانينُ (وهو جمع يوم الاثنين) ليس بمسموع وانما هو من قول الفرَّاء وقياسهِ. (قال) وهو بعيد في القياس » كما في اللسان والتاج ومع ذلك فقد استدركوهُ واثبتوهُ في الصحاح والمختار والمصباح والقاموس وغيرها من الأمّهات. الى غير ذلك ممَّا لا يُحصى. فمن هذا مثال هؤلاء الائمَّة قدَّم خدمةً جليلة للعربيَّة التي هي اوسع من أن تحيط بها كتب اللغة المعروفة. ومصداق ذلك انك تجد في تصانيف الاثبات بل في كلام العرب والحديث بل في القرآن عينهِ الفاظاً ومعاني جمَّة اغفلتها المعاجم في مظانّها او لم توفها حقَّ شرحها فدونك غصناً من دوحةٍ وبرضاً من عدّ. قال امرؤ القيس: « أَرْبى » اي اعظمُ واكبرُ (اللسان والتاج في درص). وقال ذو الرُّمَّة: « نوازِبه » اي ظباؤهُ جمع نازب (الاساس في صهل). وفي شعر الاخطل ص ٢٥٥ « مُستوجساتٌ » وروى ابن برّيّ قول ذي الرُّمَّة: « اذا استَوجسَتْ » بمعنى تسمَّعت (اللسان في انس). وجاء في الحديث: « تجلْبَبوا السكينةَ » متعدياً (اللسان والتاج في لؤم). وفيهِ ايضاً « ما كنَّا نتعاجمُ انَّ ملَكاً ينطق على لسان عُمر » فسَّر اللسان والتاج وذيل اقرب الموارد التعاجم بالتكنية والتورية والاصحُّ عندي انَّهُ بمعنى الشكّ والارتياب كما في الالفاظ الكتابيَّة ص ٢٦٥ وليس في المعـاجم. وقال في القرآن: « فما لكم عليهنَّ من عدَّةٍ تعتدُّونها » اي تستوفونها او تستوفون عددها كما في المزهر وكليات ابي البقاء وردت في اللسان بدون شرح. وقال ايضاً في سورة الانبياء: « ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون » واغفلت المعاجم عكَف متعدياً باللام. ومن غريب ما يُستدرك بهِ على كل المعاجم قولهم في جمع المُعجم « مُعجماتٌ ومعاجم »

بمعنى الكنز والثلم بمعنى الثلم لا ذكر لهما في سائر المعاجم واماَّ الكَظم بالفتح فلم يرد الَّا في ضرورة الشعر . وجاء في اقرب الموارد وذيلها : رَقطٌ وارقاط نقلًا عن التاج وندبٌ وانداب الَّا ان التاج لم يضبط الرقط فلا يُعرف ان كان ساكن العين او متحركها . واماَّ الانداب فهي عند صاحب القاموس جمع نَدْبة وعند سائر اللغويين جمع نَدَبة او ندَب بالتحريك كما في اللسان وهامشهِ . وقال في التاج : النَدْب ساكن الوسط لم يُسمع الَّا « في بعض الاشعار ضرورةً » . وورد ايضًا في محيط المحيط واقرب الموارد « نمرٌ وانمار ووَفطٌ واوفاط ووَفظ واوفاظ ولكٌ وألكاك ولكوك » على ان النَّمر بالفتح قياس لا سماع ويؤخذ من اللسان والتاج ان « الاوفاط والاوفاظ » لا واحد لهما وقد اغفلت اللكَّ وجمعَيهِ كافَّة الامهات وشفاء الغليل للخفاجي . ونقل فريتغ والبستاني والشرتوني وصاحب الفرائد الدريَّة انهُ يُقال مَعْيٌ في واحد الامعاء . والذي اراهُ انهم لم يستندوا في نقلهم الَّا على نصّ عبارة الفيروزابادي . لكني لستُ منهُ على ثقةٍ لان المَعْيَ بالفتح قد اغفلتهُ كلُّ الاصول المعتمدة حتى القاموس الذي ورد في متنـهِ المطبوع « المَعَى » مضبوطاً بفتحتين كالفتى . واماَّ عبارة صاحب القاموس « والمَعَى بالفتح » فليس المراد بها ان المعى ساكن العين بل ان الميم مفتوحة مع قطع النظر عن حركة العين . نعم من اصطلاحاتهِ في القاموس انهُ اذا ذكر اسماً ثلاثيًّا مجرَّدًا وعقَّبهُ بقولهِ « بالفتح او بالضم او بالكسر » او « يُفتح ويُضمّ ويُكسر » كان ذلك الاسم وِزان فَعْل او فُعْل او فِعْل باسكان العين في الجميع لكنَّهُ قد جرى على هذا الاصطلاح في غير باب الواو والياء واماَّ في باب الواو والياء فقد يجري عليهِ وقد يخالفـهُ مستعملًا ذلك التعبير بعينهِ في الاسم المقصور اي المفتوح العين كقولهِ : « أَبَى بالفتح والحجَا كإِلَى العقل وبالفتح (الحَجَا) الناحية . والطَّلا بالفتح . والعِـدا كإِلى ويُفتح (العَدا) . وفِدًى ويُفتح (فَدًى) . إِنًا بالكسر . جُثًا الحرم بالضمّ والكسر . جُذًا بالضم والكسر . الفَحا ويُكسر » الى غير ذلك . وعليهِ فالمَعْيُ غير عربيّ ما لم يعزَ الى ثقةٍ وثَبتٍ . وفي المَعى اربع لغات اشهرها المِعَى وهي واردةٌ في كل المعاجم . والثـانية المَعَى كما في المحكم لابن سيده واللسان والقاموس والتاج . والثالثة الِمعاء كما في المصباح ومحيط المحيط واقرب الموارد والفرائد الدريَّة . واما الرابعة فقد استدركتُهـا على جميع المعاجم وهي المِعْيُ ذكرها استطرادًا صاحب اللسان في ترجمة حسا قال : « وحكى الفارسي عن احمد بن يحيى حِسْيٌ وحِسًا

ولا نظير لهما الا مِعْيٌ ومِعىً وإنيٌ من الليل وانًى ». ونقل كلامهُ صاحب التاج

(المشرق) نستلفت القرّاء الى هذه المقالة المستملحة وهي كلّها فوائد تشهد لصاحبها بطول الباع في اللغة وتدحض بعض مزاعم الضياء دحضاً تامّاً

نبذة في المقابر

للاب خليل اده اليسوعي

كتبها بنسبة وقوع تذكار الموتى في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني

هو المشهد يستلفت بلا شكّ منك الابصار اذا ما ساقتك يوماً الى البلاد الاوربيّة حركة الاشغال او رغبة الاسفار مشهدٌ يستهدف لاعينك حيثما حطّت بك مطايا البخار شرقاً ام غرباً شمالاً ام جنوباً لم يختصّ بهِ قطرٌ دون غيرهِ بل ولا بلدة دون اختها ألا وهو مشهد المقابر يروقك حسن اتقانها وجميل تنسيقها فهي اشبه بحدائق عامرة للاحياء منها بمنازل داثرة للاموات. والحقّ يُقال انّهُ لا يشعر من يطأ تربتها غمّ الفراق والوحشة لانّ أعلام الاستئناس لا تزال في ارجائها بيّنة واضحة فكأنّ سكّانها غابوا عن العيان وتواروا لزمنٍ ليس الّا

ولكي يتّضح لك صدق مقالنا فلنصرفنّ النظر عن المدن الزاهرة التي بوسعها ان تقوم بالنّفقات التي تقتضيها زخرفة مقابرها الرحبة فتبذل المال الطائل عن يدٍ سخيّة لاكرام موتاها وهلمّ الى احدى القرى الضائعة بين الحقول والاحراش واسأل هناك :

اين المقبرة مدينة الموتى (١)؟ اين المرقد (٢)؟ كما سمّاها اليونان واللاتين في لفظة تنطق عن صدق ايمانهم ومستقيم معتقدهم يعتبرون الموتى كقوم راقدين على اسرّة الثرى ينتظرون مجيء مخلّصهم ليفيقوا من سُباتهم لحياةٍ لا رقاد بعدها. لا تجهد نفسك بالتفتيش دونك الكنيسة منتصبة وقد كرّت عليها الاجيال فكست جدرانها بمسحة من جمال القدم. بجانبها يتصاعد الى الاعالي برج مكلّل بصليب كأنّهُ يريد خرق القبّة الزرقاء مستمطراً غيث النعم على من لاذ بجوارهِ هناك مرقد المؤمنين «الحقل المقدس (٣)» على قول الطليان و « دار الكنيسة » او « دار السلام (٤) » في لغة الجرمان. وقد

١) ترجمة كلمة « Nécropole » المأخوذة عن اليونانية

٢) κοιμητήριον = dormitorium = cimetière

٣) il campo santo ٤) Kirchhof, Friedhof

فُرشت تربتهم ببساط من العشب الناضر تنمّقهُ انواع الزهور على اختلاف الفصول. ذلك فعل الطبيعة ساعدتها يد الاحباب اللبقة وعينهم الساهرة. وناهيك عمّا يظلّل القبور من اشجار السرو الباسقة المورقة ابدًا فهي كدليل حيّ على خلود النفس بعد انحلال الجسم وحبّذا اشجار الخلاف المتهدّل الاغصان (الصفصاف المستحي) الذي تتلاعب الريح بافنانهِ فيُسمع لها صوت اشبه بصوت ثواكل ينُحنَ على قبر فقيد وحيد

وقلّما ترى في مقابر القرى بنايةً مرتفعة اللهمّ الّا مدافن بعض اهل الثروة لكنّك تجد غالبًا فوق القبور صفحة من رخام او من حجر صُلب طُبع على صفحتها صفات الراقد وآيات تعزّي من بقي وتستعطي صلواتهِ يعلوها صليب بسيط تكلّلهُ زهور نضرة ابدًا لانّ ايدي المحبين لا تنفكّ تجدّدها

هذا وان الداخل الى الكنيسة والخارج منها يمرّان بين الراقدين ولا جزع من الموتى هم الاخوة والاحباء والاقارب انتهوا من الرحيل وبلغوا الوطن يُحيّون تحيّة الهاجعين «رقدتم بسلام» او يزارون مليًّا ان سنحت فرصة فيُقبّل ضريحهم ويُفاض عليهِ طيب صلاة ذكيّة ودمع قلب يتلهّف على الفراق ويتوق الى الاجتماع. لا يُنسون ايام السرور والافراح ولا يُتشاءم من ذكراهم. فربّما يأتي الخطيبان قبل ان ينحنيا تحت يد الكاهن المكلّل فيجثوان على قبر والديهما طالبَين بركتهما. وكذلك الطفل الرضيع قبل ان يُحمل الى جرن العماد ربّما وضع على ضريح جدّهِ الراقد حديثًا وقد طال ما بغى لهُ خلفًا. والجالي عن الاوطان لا يزايلها قبل توديع من في المرقد من الاحباب والقافل بعد طول الغيبة لا ينسى زيارة من سافر الى الابدية في اثناء رحلتهِ

لله ما اجمل هذا الائتلاف فالاموات احياء واراهم عن الاعين ستار الابديّة وما حال دون التعاشر. لا تزال الارواح تتواصل مودّتها وان فنيت الاجسام وتتفاوض السنتها ولو بلا شقشقة الكلام لان عين الايمان لا تنظر الى الموت هادم اللذات ومُفني الاعمار ومعري الاجسام يجعلها كما قال بوسويت (Bossuet) شيئًا لا اسم لهُ في لغة من اللغات بل تعدّهُ كمخلّص يحلّ قيود النفس الطالبة راحتها في حضن الله فتطير وتستقرّ في وكنة سعادتها. ونعم ما قالهُ الشاعر اللاهوتي دانتي (Dante) في هذا المعنى:

« أما ترى انّي دودةٌ خُلقتْ لتتحوَّل فراشةً ملائكيَّة تطير بلا عوائق الى عالم الابديَّة » (١

واذا ما اهلَّ شهر تشرين الثاني تقاطر الاهلون جمًّا غفيرًا الى الكنيسة والمقبرة يزورون موتاهم ويتحفونهم بصلواتهم. واليك شاهدًا على شديد تمسُّك الافرنج بهذه العادة الحميدة يغنيك عن اسهاب الكلام:

وقع الجدال سنة ١٨٦٨ بين اعضاء دار الندوة الافرنسيَّة (Corps Législatif) في شأن ابعاد المقابر عن باريس فعارض جول سيمون هذا الاقتراح اشدَّ معارضة. ومما قالهُ: « هما يومان في السنة عيد جميع القديسين ويوم الموتى اعتاد فيهما شعب باريس ذاك الذي طالما نُسب الى قلة الدين ان يتقاطر الى المقابر افواجًا لا ينقصون عددًا عن الثامنمائة الف (وكانت وقتئذٍ سكّان باريس الف الف وثمانمائة الف نسمة) اما ترون انكم بابعاد المقابر تقلِّلون عدد الزوَّار ... ومن ثمَّ تُضعضعون أشرف ما في الانفس من عواطف البرّ. ذاكم الداعي لتكدير خاطري ». وما كان احرى هذا الخطيب ان يضطرب بالأ. فكم من ضالٍّ عن باب الكنيسة اهتدى اليها في ذينك اليومين يدعوهُ قبر والدٍ او ينذرهُ صوت زوجةٍ او لحد ولدٍ حبيب فلا يصمّ عنهم سمعهُ

أجل وثيقٌ هو ركن هذه العبادة لأنَّهُ مبني على اصحّ دعائم الايمان المسيحي وذلك ان الكنيسة جسمٌ واحد اعضاؤهُ في السماء منتصرون وفي المطهر منتظرون وعلى الارض مكافحون أفنكرم اخوتنا الظافرين وننسى الجرحى المنكوبين ؟ لا لعمري فانَّ محبة المسيح وكنيسته لا تفصل ما جمعهُ الله

وليس تذكار الموتى هذا اختراعًا حديثًا كما يتوهَّمهُ من لا معرفة لهُ في التاريخ بل هو عريق في القدم تمتدُّ اصولهُ حتى الازمنة الرسوليَّة وتشهد بذلك كتابات اقدم الآباء (٢ مثل ترتليانس في الجيل الثاني فانهُ يذكر الصلوات للموتى كعادة أُخذت عن السلف اعني المسيحيين المعاصرين للرسل. قال القديس اغوسطين (٣: ان الكنيسة قد رسمت تضرّعات عموميَّة لراحة نفوس المائتين في الجمعيَّة المسيحيَّة دون ان تخصّ

(١ Dante : *Purgatoire*, Chant X

(٢ راجع مرتيني Martigny : *Dictionnaire des Antiquités*, art. *Fêtes* IX

(٣ راجع ميمره De cura pro Mortuis gerenda IV

احدهم بالذكر فمن لم يبقَ لهُ على الارض والد او ولد او صديق يذكرهُ تولّت الكنيسة ذكرهُ نيابةً عن الاحباب. وذلك شأن الامّ المملوءَة حبًّا ورأفةً». ويُستنتج من كلام فم الذهب (١ في بعض خطبهِ القاها في مقبرة من مقابر انطاكية يوم الجمعة العظيمة ان تذكار الموتى في عهدهِ ربّما كان يوم الجمعة هذه وعلى كل حال لا نشكّ في انّ الكنيسة جعلت يومًا محدودًا لهذه المبارّ لا نعلم يقينًا تاريخهُ الّا انّ القديس اوديلون رئيس كلوني (Cluny) في الجيل العاشر عيّن اليوم الثاني من تشرين الثاني فجرت عادةً اتّخذها اللاتين الى عهدنا ونعم العادة كما سبق القول

٢

هذا ما نراهُ في اوربّة وما ابعدنا نحن ابناء المشرق المسيحيين عن اقتفاء آثار اخوتنا الحميدة والاقتداء بجميل حرصهم على اكرام موتاهم. تحزن العين ويتوجّع القلب لما نحن عليهِ عمومًا من الاهمال والتهاون في اتمام واجب تفترضهُ العقائد الدينيّة بل عواطف الانسانيّة. اين المقابر في غالب انحائنا ؟ وليس الكلام عن القرى بل ايضًا عن بعض المدن. اين مرقد المؤمنين والحقل المقدّس ؟ اني استنكف عن الجواب. مقابرنا في الغالب ارض موات بعيدة عن المساكن لا سياج حولها ولا ظلّ صليب يخفرها تأنف الاحياء مقاربتها ولا حرج لان رائحة النتن تنبعث منها على بعد مسافة طويلة. وان قويتَ على قهر حسّك واقتربت رأيتَ ما يرتاع لهُ البدن. هنا عظام رميمة وجماجم منتشرة واضلاع منتثرة تطأها رجلك بين التراب وقطع اخشاب بالية. هناك بعض حجار مكوّمة او سافة ترابٍ رقيقة لا تكاد تغطّي جثة ميتٍ لا يحويه تابوت. هذا قبر نبشتهُ الكلاب او بنات آوى فاكلت ما تيسّر لها. ويا ليت الوحوش وحدها تثب على المقابر فكم من مرّة استفزّ الطمع لصوصًا اشبه بالبهائم فسلبوا ما عهدوهُ على الميت من الحليّ. لا تتهمني بالغلو أيها القارئ اللبيب حسبي الاشارة الى هذه الامور الفجيعة كي تتسابق الى الاذهان صور الاماكن واسماء الاشخاص والحوادث ممّا لا يدع ريبًا لمرتاب

لِمَ لم نقتصّ آثار اجدادنا سكّان سوريّة في الاجيال الاولى. قال الاب جوليان اليسوعيّ: ما كان السوريّون ليرتاعوا من منظر القبور بل يعرضونها على الاعين في

١) عظتهُ الـ ٥٧ (édit. de Montfaucon)

حدائقهم بالقرب من منازلهم حتى في اسفل مساكنهم » (١ فكان الرجل اذا توفَّاهُ الله لم يغيِّر مقرَّهُ في بيت اجداده بل ينزل في اعماق دارهِ كي يرقد براحة لا تستطيع تكديرها حركة الحوادث الزمنيَّة لا يُنسى كما لا يَنسى مَن رقد وطال رقادهُ

وما امتن ما كانت هذه القبور واحكم صنعتها. تُحفر في الصخور او تُنحت في نواويس من الحجر الصلب كي لا تقوى عليها طوارق الحدثان لعلمهم بانَّ قصور الاحياء تصير يومًا الى الخراب ولا يأوي اليها الناس الَّا بضع سنين ثمَّ تغتالها يد الزمان فتصير خرابًا يبابًا. امَّا منازل الاموات فانَّها تبقى اجيالًا طويلة ريثما تؤوب الى الاجساد ارواحها

وكانت زينة هذه القبور جميلة. وما كان آباؤنا ليكتفوا بتشييد سكناتهم الاخيرة على اساسٍ لا يزعزعهُ الدهر بل يتفاخرون بحسن تنميقها ما استطاعوا كيف لا وهي للمسيحي كدهليز دار السعادة ورواق قصر الخلود ترى عليها رسم الصليب المقدَّس او اسم المسيح بحروف مشتبكة (Monogramme) بين اكاليل الزهور او غيرها من النقوش الرمزيَّة تصحبها كتابات تارةً تثبت ايمان الراقدين ورجاءهم وتارةً تستعطي زكاة صلاتهم كما ترى في الكتابات الآتية:

« لانك قلتَ الرب معتصمي وجعلتَ العليَّ لك موئلًا لا يصيبك شر ولا تدنو ضربة من خبائك » (المزمور ٩٠ , ٩ , ١٠)

« بيزوس بن بارادوس. عيشي كان حسنًا وكذاك محيئي ورقادي صلوا لاجلي » (٢

ومن اجمل الكتابات وابلغها بوجيز عبارتها التحيَّة « بالسلام » ἐν εἰρήνῃ in pace, (٣ تقرأ على اكثر القبور في اوائل النصرانيَّة شرقًا وغربًا وتشهد ان الراقد ابن الكنيسة. هي تحيَّة المسيح لتلاميذهِ « السلام لكم » اتخذتها الكنيسة في بادئ امرها واستعملتها في رتبها المقدَّسة ثم رقمتها على قبور ابنائها. واساليبها متنوعة دعائيَّة انشائيَّة « ارقد بسلام الرب ». « عش دائمًا بسلام » او « مع الله بسلام ». « بردَّ الله غليلك بسلام »

١) P. Jullien : *Sinaï et Syrie*, p. 126, 188 ; de Vogüé : *Syrie Centrale*

٢) راجع P. Jullien, *op. cit.* p. 229 ; de Vogüé : *Syrie Centrale* p. 113, planche 91

٣) قد وردت ايضًا هذه الكتابة على بعض قبور اليهود الَّا ان الرموز التي تصحب هذه التحية لا تبقى شكًّا في ان المقبورين من النصارى راجع Martigny, *art.* in pace

ومنها ما يُطلب فيها للفقيد ان يحظى سريعًا بمعاينة الله فيقرّون كذلك بوجود مكانٍ ثالث بين السماء والجحيم اذ لا يُشتهى لاحد نوال ما قد ناله او ما يتعذّر عليهِ قطعًا نواله

ومنها ما ورد على صورة الجملة الخبرية: « رقد بسلام » — « ارتاح بسلام الرب » — « قفل بسلام (الى الوطن السماوي) » — « استُقبل بسلام » (اي من الملائكة) — « وُلد بسلام » (الى الحياة الابديَّة)

وكثيرًا ما يصحب هذه الكتابات اناء الدم وهو الدليل القاطع على ان الراقد حاز اكليل الشهادة ودخل توًّا في فرح ربّهِ فلا يجوز والحالة هذه الدعاء لاجلهِ بل هو اولى ان يتشفَّع بنا لان الصلاة لاجل الطوباويين اهانة كما صرَّح بهِ اوغسطينوس (١

وربَّما وُجد على القبور شيء من الادعية على من يهتك حمى القبور . وكان عهد السلاطين المسيحيين الاولين بعض السفلة يفتحون القبور خفيةً اماًّ لدفن موتاهم في مكانها اذ ما كان يتيسَّر لهم من شدَّة فقرهم انفاق ما يقتضيهِ بناء جديد واماًّ ايضًا طمعًا في سلب الحليّ والنفائس . دونك لعنةً تظهر ان المسيحين الاولين كانوا يقدّرون سلطة المجامع تقديرهم للاناجيل ذاتها :

« ليكن محرومًا مع يهوذا من دفن عليَّ رجلًا آخر . ليحرمهُ الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر الذين اوضحوا القوانين مع الانجيليّين الاربعة » (٢

وما فشا هذا الخلل الّا في الجيل السادس اماًّ قبل هذا العهد فقلّما نرى لهُ اثرًا وان وُجد شيء فتراهُ على صورةٍ تُشعر بمزيد الرقة والوداعة . « ارجوكم بالمسيح الّا يغتصبني احد ولا يخرق حرمة قبري »

ولا يخفى على احد ما في هذا كلهِ من الدلائل على اعتناء المسيحيين الاولين بقبورهم وموتاهم

فناشدتك الله لِمَ الحرص الزائد ؟ لِمَ الاهتمام بما هو فانٍ ؟ هل يمسّ النفسَ من ضرر ان لم يحوِ الجسدَ لحدٌ او ضريح ؟ لا وعمر الحق لا يخالج فكر عاقل هذا التوهم الخسيف وان اعتقد ذلك بعض الوثنيين من القدماء واليهِ قد اشار الشاعر اللاتيني (فيرجيليوس) بقولهِ (٢ :

(١ في عظتهِ ١٥٩ (٢ راجع Martigny, *art.* Anathème

(٣ Virgile, Enéide L. VI v. 327-328

« لا تستطيع الروح مزايلة هذه الشطوط الفظيعة ولا مجاز النهر العجّاج (١ قبل ان ترتاح العظام في اللحد »

وذهب بعض اعداء النصرانيَّة في اوائلها ان اعتناء المسيحيين بدفن موتاهم وانكارهم لحرق جثث الموتى كما جرت العادة مدَّةً بين الرومان انما هو ناجم عن خوفهم ان تتعذَّر قيامتهم ولكنَّهُ قد افترى مَن قذفنا بمثل هذه الحماقة وقد ردَّ منذ اجيال على فاسد مُدَّعاهُ مينوسيوس فيليكس (Minutius Felix) قائلًا: « اما هي حماقة لا نهاية بعدها ان ننكر على الرب الذي خلق الانسان وانتشلهُ من العدم القدرة على نشرهِ من القبر كما كان. . . اننا لا نخاف من حرق اجسادنا ولكنَّنا نتبع احسن عادة واقدمها»

هذه العادة التي هي الاقدم والافضل قد اخذها المسيحيون عن الآباء والانبياء وخصوصًا عن السيد المسيح لهُ المجد وقد « وُضع في قبر منحوت لم يكن قد قُبر فيهِ احدٌ ». وكان في هذه الآية تعليم لنا ففقهتهُ الكنيسة منذ الابتداء ومشت بموجبهِ حتى في رسم قبور ابنائها

وان اردنا الداعي الاخير في ذلك اجاب الى سؤالنا القديس اغوسطينوس(٢ :

« لا نهملنَّ اجساد الذين ماتوا لاسيما المؤمنين واهل الصلاح فانَّها آلات يحركها الروح القدس لكل اعمال البرّ

« يضنّ البنون بثوب والدٍ او خاتمهِ الى غير ذلك ويزيد تنافسهم بذلك على قدر حبّهم للاقارب فكيف بالاجسام وهي ليست فقط لباسًا او زينةً للانسان بل جزءا من طبيعتهِ. ولذا كان يُعتنى كل الاعتناء في العهد القديم بجنازة الاصدقاء ودفنهم حتى انهم هم انفسهم اوصوا بنيهم بحسن القيام بهذه المبارّ الاخيرة او بنقل اجسادهم من مكان الى آخر. هذا طوبيا البار قد أُثني عليهِ لانهُ كان يدفن الموتى وشهد لهُ الملاك انهُ نال من وراء ذلك حظوةً في اعين الله. والمسيح لهُ السجود وان كان عارفًا بقيامتهِ من الاموات بعد ثلاثٍ فقد مدح فعل تلك التي افاضت عليهِ طيبًا ذكيًا لدفنهِ وامر بالانذار بهِ في المسكونة كلها تذكارًا لها (لوقا ٢٣)

نعم ان لا يستدلّ من هذه الشهادات ان في جثث الموتى ادنى حسّ ولكن ان

١) نهر الستيكس (Styx) الذي في معتقدهم الفاسد يجب عبورهُ قبل الدينونة والراحة الابدية

٢) راجع كتاب مدينة الله للقديس اغوسطينوس ك ١ ف ١٣

الباري يحيطها بعنايتهِ الالهيَّة لاجل الايمان بالبعث فضلًا عن ان هذه الاعمال المبرورة مقبولة لديهِ ». اذًا نكرّم اجسام المؤمنين لانها هياكل الروح القدس ولكي يتقوى فينا الايمان بالبعث

وهناك سبب آخر اشار اليهِ القديس المذكور وهو ان القبور تذكّرنا بمن مات كي نصلّي لاجلهِ ان كان في حاجة الى ذلك او نصلّي اليهِ ان كان ممن نشر الله عرفَ فضائلهِ وزاد كرامته عندهُ. ويؤيد هذا القول اسم القبر عند الروم واليونان μνημεῖον memoria تذكارًا او ذاكرة (١. وعليهِ كان المسيحيون الاوَّلون يرغبون في تشييد مقابرهم بالقرب من ضرائح القديسين فاذا امَّها الزوَّار قصْد التبرك بها صلوا عندها ايضًا لمن طلب جوارهم على الارض كي يحظى بسعادتهم في السماء

هذا وان لم يتيسَّر لنا دفن احبائنا بالاكرام الواجب فلا يجوز اهمال التضرّعات التي ترفع الى عرش العزَّة الالهيَّة بايمان صحيح (٢ وتقوى لاجل الموتى والّا فلا فائدة مطلقًا للنفس ان يكون الجسد مدفونًا في اي مكان مقدَّس كان

وبالاحرى لا فائدة البتة لمن اكتفى بتشييد ضريح شائق على جثمان فقيدهِ إن لم يَسعَ في اسعاف نفسهِ بالمبرَّات لا سيما تقدمة الذبيحة الالهيَّة كي يُنيلها الله الراحة الدائمة

فتوى المقتطف في الضمير

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

للمقتطف فتاوى لم تدُر على خلَد احد من ائمة الحكماء وهي اذا عُرضت على محكّ

---

١) راجع عظة القديس اوغسطينوس السادسة عن الموتى. هذا ولا يدحض هذا القول ان الاسم المذكور وُضع قبل النصرانيَّة لان الكنيسة اثبتت ما كان مطابقًا لعقائدها لئلّا تغيّر ما علمتهُ الطبيعة ٢) اننا نقرأ في سفر المكابيين (١٢-٤٣) انهُ قُدمت الذبيحة لاجل الموتى وان لم يرد شيء من ذلك مطلقًا في كلّ الاسفار القديمة فخطير هو حكم الكنيسة الجامعة مثبتةً هذه العادة لتنال انفس المائتين حظها في الصلوات التي يتلوها الكاهن على مذبح الربّ. قال القديس اوغسطينوس: « قد احسن الرسل اذ اوصوا ان تذكر الموتى في وقت الذبيحة المقدَّسة لعلمهم حق العلم ان للموتى من هذه الصلوات عظيم الفائدة »
S^t Jean Chrysostôme, Hom. 69 ad pop.

العقل وجدت اوهى من نسيج العنكبوت. ومن يطالع هذه المجلة لا يكاد يجد فيها عددًا خاليًا من مثل هذه الاقاويل السفسطيَّة التي تموّه الباطل بزخرفة الكلام. ولو حاولنا ان نفند هذه المزاعم فردًا فردًا لضاقت عن الردّ صفحات مجلتنا مع رحبها. ومما ورد من ذلك في العدد الاخير (تشرين الاول ص ٧٩١) جوابهُ على سؤال اقترحهُ عليهِ يعقوب افندي سمعان «هل يبقى ضمير الانسان على حالة واحدة» فافتى المقتطف بما حرفهُ:

«ان الضمير او الاخلاق الادبية كلها لا اثر لها في الجنين ثمَّ تظهر جراثيمها في الطفل بعد ولادتهِ وتنمو فيهِ رويدًا رويدًا. ومعلوم انَّ الانسان من حين تكوُّنهِ الى ان يبلغ تمام نموّهِ يمرُّ على الادوار التي مرَّ عليها نوع الانسان في ارتقائهِ وذلك تاريخ موجز لنوع الانسان من حين كان مثل ابسط انواع الحيوان. ويظهر من هذا التاريخ انَّ الاخلاق الادبيَّة قد ارتقت وتنوَّعت كثيرًا ويؤيد ذلك ما نراهُ من الفرق الكبير بين طوائف الانسان الان فان ضمير المتوحّش الذي لا يحرّم قتلًا ولا سرقة ولا كذبًا ولا خداعًا احطّ من ضمير الرجل الفاضل الذي يعرف ما عليهِ ويحاسب نفسهُ على كل هفوة»

(قلنا) انهُ لقد اخذنا العجب من صاحب المقتطف الفاضل الذي «يحاسب نفسهُ على كل هفوةٍ» كيف لم يضبط نفسهُ عن مثل هذه السفاسف. فانَّهُ خبط في هذه الاسطر الوجيزة خبطًا دونهُ خبط العشواء. وليعلم القرَّاء انَّ تعرُّضنا لمثل هذه الاقاويل ليس هو من باب الملاجَّة والمماحكة بل صيانةً للمبادئ الصحيحة التي عليها يقوم شرف الانسانيَّة واليها تستند اركان الآداب الحسنة والدين القويم ها نحن نسبر قولهُ السابق بعيار العقل ليرى العقلاء انَّهُ خلوٌ من كلّ صواب

قال المقتطف في جوابهِ: «انَّ الضمير او الاخلاق الادبيَّة كلها لا اثر لها في الجنين»

نطلب من المقتطف اين وجد انَّ الضمير مرادف للاخلاق الادبيَّة كلها؟ فلا يحسن برجل يلقّب نفسهُ في صدر مجلّتهِ «بدكتور في الفلسفة» ان يخلط مثل هذا الخلط فانَّ الضمير شيء والاخلاق الادبيَّة شيء آخر ولو راجع صاحب هذا القول في بعض كتب الفلاسفة تحديد الخُلق الادبي والضمير لفهم انهُ على شطط ظاهر

فانَّ الخُلق حالةٌ ثابتة تتَّصف بها النفس فتحملها امَّا على صنيع الخير وهي الفضيلة وامَّا على الشرّ وهي الرذيلة. امَّا الضمير ويُقال لهُ ايضًا الذمَّة فهو قوَّة باطنة من قوى

العقل تحمل الانسان على عمل الخير لما فيهِ من الصلاح وتنكّبهُ عن الشرّ لما فيهِ من الطلاح فكيف مزج «الدكتور في الفلسفة» هذه الامور المتباينة ؟ أتُراهُ نسي الفلسفة التي نال فيها شهادة الدكتوريَّة ؟

ولعلَّهُ يقول ان مجموع الاخلاق الادبيَّة هي الضمير فنجيب انَّ مجموع الشيء لا يغيّر طبيعتهُ واذا اجتمعت الاخلاق الادبيَّة فلا تزال الاخلاق صفات تتكيَّف بها النفس ويبقى الضمير قوَّة محرّضة على عمل الخير واجتناب الشرّ

ثم قال المقتطف اناره الله « انَّ الضمير او الاخلاق الادبيَّة لا اثر لها في الجنين ». لله درهُ من فيلسوف محنَّك اخذ المجهر وشرَّح الجنين فلم يرَ تحت مبضعهِ اثرًا للضمير. بئسًا لك ايها المادّي أفتظنّ انَّ الضمير بصَل تجد جرثومتهُ في الجنين ؟ ولو فقهتَ معنى الضمير وعرفت انَّهُ قوَّة من قوى العقل لما بحثت عمَّا لا تدركهُ العيان كما انك لو توضَّحت كلّ اعضاء الانسان وشرطتَّها بالمشرط لما رأيت للنفس البشريَّة ولعقل الانسان اثرًا ماديًّا. ولا تجهل انَّنا أقفلنا لك باب الخصام من هذا القبيل يوم فنَّدنا قولك في العقل البشري (المشرق ١ : ١٠٠٩) فسكتَّ خوفًا من الفضيحة

ثم اردف « الدكتور في الفلسفة » قولهُ عن الضمير (او الاخلاق الادبيَّة على زعمهِ) : « ثمَّ تظهر جراثيمها في الطفل بعد ولادتهِ وتنمو فيهِ رويدًا رويدًا ». أيلومنا احد القرَّاء بعد ذلك ان ننسب المقتطف وصاحبهُ الى قول أوخم المادّيين اذ جعل الضمير كاحدى خلايا الدماغ التي لا اثر لها في بادئ الامر ثم تظهر في الصغير الى ان تتوارد عليها اطوار النموّ. نناشدك الله أيُّها المقتطف لانَّ مجهرك أطلعك على جراثيم الضمير ألا تلاطف بجهلة القوم مثلنا فترسم لنا شكلها في مجلّتك العلميَّة علّنا نمتّع نظرنا برؤيتها فنكون لك من الشاكرين

وزاد « الدكتور في الفلسفة » ضغثًا على ابَّالة فقال: « انَّهُ معلوم انَّ الانسان من حين تكوُّنهِ الى ان يبلغ تمام نموّهِ يمرُّ على الادوار التي مرَّ عليها نوع الانسان في ارتقائهِ وذلك تاريخ موجز لنوع الانسان من حين كان مثل أبسط انواع الحيوان »

لم يكتفِ المقتطف بان يجعل ضمير الانسان جرثومةً مادّيَّة فاراد ان يبيّن لقرّائهِ أنَّهُ يعتبر كلَّ النوع البشري كاحد انواع البهائم ومتسلسلًا منها على رأي دروين فوافق بقولهِ صاحبنا كاتب الضياء « خليل بك السعد » المساوي بين عقل الانسان والحيوان

فجرى الكاتبان كفرسي رهان في ميدان واحد. فما ظنُّك ايها القارئ اللبيب بكلَف هؤلاء القوم بالبهائم وانتصارهم لها وانتمائهم الى هذا النَسَب الشريف؟ افٍ للضلال ما أقبح عاقبتهُ

ثم واصل المقتطف فتواهُ عن الضمير بان قال: « ويظهر من التاريخ انَّ الاخلاق الادبيَّة ارتقت وتنوَّعت كثيرًا الخ » فبهر بذلك عقلنا بمعرفتهِ في فنّ التاريخ الَّا انَّهُ أشعر بقصر باعهِ في الفلسفة اذ انتقل من الكلام عن الضمير الذي خلطهُ بالاخلاق الادبيَّة الى الكلام عن الاخلاق الجنسيَّة او الأُميَّة المراد بها التمدُّن والالفة. وفي كل ذلك شطط عظيم كما لا يخفى

وقد ختم المقتطف فتواهُ عن الضمير بذكر ضمير المتوحّش وعرضهِ على ضمير الرجل المتمدّن فقال: « انَّ ضمير المتوحّش لا يحرّم قتلًا ولا سرقةً ولا كذبًا ولا خداعًا » فنطلب من « الدكتور في الفلسفة » متى ولج في ضمير المتوحّش ليعرف انَّهُ لم يحرّم على نفسهِ قتلًا او سرقة. وقد شهد لنا كثيرون من المرسلين الكاثوليكيين الذين رأيناهم انَّهم وجدوا لمتوحّشي اوقيانية واقاصي الجزائر ضميرًا رادعًا عن كلّ هذه الآثام بل شاهدوا من استقامتهم ما لم يجدوهُ في كثيرين من المدَّعين بالتمدُّن. واذا فرط من بعض المتوحّشين بعض اعمال فظيعة فما ذلك لخلوّهم من الضمير بل هي نتيجة عبادتهم الباطلة لاصنامهم او بالاحرى للابالسة الذين يغوونهم ويزجونهم في كلّ اصناف الآثام. وكم يفعلون ذلك بالمتشدّخين بالتمدُّن كما ترويهِ لنا كل يوم جرائد الطوائف المتمدّنة. ومن اعمالهم خزاهم الله انَّهم يسوّلون لبعض الكتبة ان ينقضوا اركان الدين والآداب ويعلّموا الناس انَّ الضمير والعقل من الجرائيم المادّيَّة لا حرَج على من يصم الآذان عن سمع صوتهما في داخل القلب كما هو شأن المقتطف هداهُ الله الى صراطهِ المستقيم ووقانا من الانخداع بتعاليمهِ الفاسدة الكفريَّة

انقطاع خليل بك السعد عن الجواب

لمدير المجلَّة

ركب « حضرة الكاتب الفاضل خليل بك السعد » طريقًا وعرة يوم حاول ان يدافع عن عقل الحيوان فتقصَّينا آثارهُ وبيَّنَّا لهُ بالادلَّة العقليَّة (المشرق ٢ : ٧٥٣) ان

قولهُ مبنيّ على شفيرٍ هارٍ . فترك ادلّتنا كما هو شأن اهل السفسطة والتجأ الى الكتاب الكريم لعلّهُ يجد فيهِ حجة فتأثرنا أعقابهُ ودحضنا اوهامهُ . وفنّدنا قولهُ في اثبات العقل للحيّة التي خدعت في الجنّة ابوينا الاوّلين . فلمّا ضاقت عليهِ المسالك فهم انّ السكوت أسلم لشرفهِ لكنّهُ أنف ان يقرّ بكسرتهِ فظنّ انّ اقرب وسيلة للتملّص من هذه الردغة ان ينسب سكوتهُ لقلة ادبنا في المناظرة . وهي لعمري حجّة غريبة لم يتخيّلها غيرهُ وان كان صادقاً فليأتِ بكلمةٍ واحدة اخترمنا فيها لحرمة الادب وليحكم بيننا اهل النزاهة والانصاف من ايّ دين كانوا . فان حكم علينا منهم احدٌ لم نتردد في الاستغفار من حضرة خصمنا . ولا يقولنّ حضرتهُ انّنا نسبناهُ الى « المماحكة والتمويه » فايّ تمويه اعظم من نسبة النقل للعجماء وحطّ شأن الانسان الى دركات البهيمة ؟ . وان قال اننا نسبناهُ الى « الآراء الكفريّة الفاسدة » فليت شعري ايّ كفر افظع من هذا الكفر الذي يقوّض اركان كلّ الاديان المبنيّة على علوّ مرتبة ابن آدم وتوسطهِ بين عالم الارواح وعالم الهيولي ؟ . أفيقول انّنا اسأنا بملامة صاحب الضياء على نشرهِ في مجلّتهِ مقالةً كفريّة ؟ فنجيب انّ جمهور علماء اللاهوت الادبي قد أجمعوا على انّ المجلاّت مأخوذة بما يبرز فيها من المقالات الفاسدة وان صاحبها مسؤول عن الشرّ الناجم عن قراءتها ولا يجوز لاحد من الكاثوليك ان يطالعها . تلك فتوى افتوا بها استناداً الى المبدإ المشهور : انّ المساعد على الشرّ كفاعلهِ

فان كانت هذه هي اقوالنا المخالفة لخطّة الادب فانّنا نقرّ بها ونثبتها من جديد امّا غير ذلك فلا . وعلى كلّ حال انّنا لم نقرّع جناب البك بمثل قولهِ فينا « انّ عجز الحجّة ساقنا الى البذاءة والتطاول » وقولهِ « اننا قابلناهُ من اللفظ الخارج عن خطّة الادب بما لم يكن صدورهُ من قلمنا اشدّ استغراباً من صدورهِ من مطبعتنا ودروجهِ الى عالم القرّاء » وانّنا خضنا في حمأة لم يرضها لنفسهِ فلا يتلطّخ باوزار البذاءة » وقولهِ « انّ رؤساءنا لو اطّلعوا على ما خطّتهُ يميننا . . . لقيّدوا قلمنا عن الجري بما يشوّه كرامتهم ويطلق الالسنة فيهِ بما يسوءُ سماعهُ » فايم الله ان كان ادب المناظرة يكون على هذه الصورة فلا ادري كيف تكون خشونتهُ وجلفهُ

هذا ونصرّح لجناب البك انّنا مستعدّون لمقاومة رأيهِ الفاسد اذا عاد الى المدافعة عنهُ لا يثبطنا عن ذلك مثبطٌ ما مسكت يميننا قلماً

تفلية مجاني الادب

لجامع المجاني ومصحّحهِ

تحرّى جناب اللغويّ الشهير الشيخ ابراهيم اليازجي غاية هي نعم الغاية (لولا انّها ناتجة عن هوى) وهي تفلية كتاب مجاني الادب الذي تولّينا طبعهُ منذ خمس عشرة سنة. ولكن يسوءنا انّ الشيخ يضيع وقتهُ الثمين ويكدّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ في إصلاح اغلاط تداركناها قبلهُ منذ زمن مديدٍ فاصلحناها في طبعات هذا الكتاب المختلفة.

فتُرى ماذا يقول عنّا القرّاء لو حاولنا اصلاح الاغلاط التي وردت في الطبعات الاولى من كتبهِ ألا ينسبوننا الى التعنُّت والقحة. وزد على ذلك انّ اصلاحنا لكثيرٍ من هذه الاغلاط خيرٌ من اصلاح الشيخ لأنّنا نستند الى روايات صحيحة نجدها في نُسخ قديمة منها مطبوعة ومنها خطّيَّة بينما الشيخ يسندها الى الحدس والتخمين. مثال ذلك ان الشيخ اصلح هكذا قول ابن التعاويذيّ (المجاني ٥: ١٢٥):

من كلّ رحب المعى واجوفَ نا ريّ الحشا لا يمسُّهُ الشَبعُ

وفي رواية ابن خلكان التى صحّحنا عنها روايتنا منذ ثلاث سنَوات جاء البيت:

من كلّ رحب المعاء اجوفهِ ناري الحشا لا يمسُّهُ الشبعُ

وهذه الرواية اجود وإن اجاز الشاعر تخفيف الياء في «ناريّ». بل ربّما شوّه الشيخ الروايةَ الاصليَّة بتصحيحهِ الموهوم كقولهِ في البيت التالي لابن التعاويذي (وهي روايتنا المصحَّحة عن طبعة ابن خلكان):

حاشا لرسم الكريم يُنسخ من نسخ دواوينكم فينقطع

فروى الشيخ: «يُنسخ في نَسْخ دواوينكم»: و«من» اصح كما ترى

وقد زعم الشيخ انّنا صحّفنا بيتًا لابن حمديس (المجاني ٦: ١٨٣) فروينا «كأنّما أللازوردُ» بدلًا من «كانّ ماء اللازوردِ» فتفكّه في حقّنا (والتفكُّه اولى بالآخِر).

فالصواب انّ هذه القصيدة لم تُروَ في نُسَخ ابن حمديس الخطّيَّة وقد نقلناها عن كتاب نفح الطيب (طبعة بولاق ١: ٢٣٢) ورُوي هناك بالغلط: «وكأنّما اللازورد فيهِ مخرَّم» فحذفنا في روايتنا لفظة «فيهِ» لاستقامة الوزن وقطعنا همزة أل. ثمّ اصلحنا هذه الرواية على صورة اخرى في طبعتنا الاخيرة بما رأيناهُ اقرب الى الاصل «وكأنّما اللازَرْدُ

فيهِ مخرَّم » بكتابة لفظة « اللازورد » على حسب اصلها الفارسيّ . فترى من ثمَّ انَّ دعابة الشيخ عليهِ لا لهُ ويحقّ لنا ان نعكس عليهِ قولهُ فينا «سبحان مفرّق الذكاء» على المنتقدين

امَّا انتقاد الشيخ على لفظتين وردتا في المجاني (٣ : ٢٦١ و ٢٦٤) عن القزويني فلا نسلّم بهِ لانَّ الرواية التي اخذنا عنها (طبعة ليبسيك ص ٢١ و ٢٤ المنقولة عن اربع نسخ قديمة) روت كما روينا فجاء فيها : « وسببهُ (اي كسوف الشمس) كون القمر حائلًا بين الشمس وبين الابصار لانَّ جرم القمر كمدّ (كذا) فيحجب ما وراءهُ عن الابصار » فروى « كمدّ » بتشديد الدال لا « كَمِد » كما صحَّح الشيخ . يريد الكاتب ان كسوف الشمس يحدث عند إبدار القمر واستدارتهِ على شكل مدٍّ . وماذا يا تُرى يفيد لون البدر الكَمِد في حدوث كسوف الشمس ؟ فليجب جناب الشيخ . وروت طبعة ليبسيك عن المجرَّة انَّها البياض « الذي يُقال لهُ سرج (كذا) السماء » بالسين لا بالشين . فاذا وجد الشيخ نسخة خطيَّة ترويها بالشين اسرعنا الى اصلاح الغلط

هذه ملاحظاتنا على انتقاد الشيخ ونكرّر الرجاء ان يواصل انتقادهُ مستندًا الى طبعاتنا المصحَّحة ليكون شكرنا لهُ بحتًا صافيًا فلا يعزى الانتقاد الى غرض وهوى

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

وكانت غاية نسيب بجوابهِ السابق ان يُبعد فاضلًا عن عدوّهِ بروسبر اولري فيبقى بروسبر وحدهُ ضالًا في تلك المضايق ويموت من شدَّة البرد . امَّا فاضل فرأى ان الانسب لهُ ان يتبع نسيبًا الى مدينة داڤسون فيستريح هناك ممَّا لحق بهِ من شدَّة الضنك والالم بعد تلك الفاجعة التي وصفناها . فاستسلم لقيادتهِ

ثم انَّ نسيبًا اخرج خارطةً من جيبهِ واخذ ينظر فيها فقال : ان هذه البحيرة التي نشاهد مياهها المتلألئة امامنا هي بحيرة « لندرمان » Lindermann امَّا البحيرة الثانية فلا ادري ما اسمها

فقال احد الهنود هي بحيرة بنيت (Bennett)

— وكيف نجتازها ؟

— نصنع قوارب من الاشجار النابتة على ضفافها
— وكيف نصل الى داڤسون سيتي (Dawson City)
— نصل اليها اذا وافقتنا الاحوال ونجحنا في كل شيء وعلى الخصوص اذا لم ينقلب بنا القارب . . . واظنُّك لا تجهل السباحة يا خواجا . والّا فلا فائدة من ركوب القارب لان هذه البحيرة قد طالما ابتلعت كثيرين من المهاجرين
— لا تخف من هذا الوجه
— اعلم انه اذا وافقنا الجدّ نصل الى الغاية من سفرنا بعد مضي عشرين يوماً

الفصل الحادي عشر

في مستشفى مدينة داڤسون

كانت الثلوج تتساقط منذ بضعة ايام وقد اعتكر وجه الجوّ واسودَّت جوانبهُ وظنَّ القائم هناك في ظهيرة ايلول انَّهُ في عشية يوم متلبـد الضباب كثير الغيوم من شهر شباط لضعف النور رغماً عن كثافـة الثلج الذي غطّى الارض . امَّا البرد فكان قارساً ولذلك هبط الميزان الى الدرجة العشرين منذراً بتواصل الهبوط الى ما دونهـا حتى تبادر للذهن انَّهُ لا تمرّ بضعة ايام حتى تتوارى مدينـة داڤسون تحت هذا الكفن الابيض

وكان في هذه المدينة الصغيرة الناشئة جديداً مستشفىً لايواء المرضى ومعالجتهم وقد تشيَّد كسائر منازل البلاد من الخشب بطول ثمانين قدماً في عرض ثلاثين غير انهُ يظهر من حسن ترتيبهِ ونظامهِ ان ايدي قوم من ذوي الدراية والشفقـة قد تولَّت وما زالت تتولّى تدبيرهُ . وهو يشتمل على طبقتين منقسمتين الى غرف صغيرة فيهـا مواقد كافية لاجل تدفئتها امَّا منافذهُ فمضاعفة وعليهِ سجوفٌ كثيفة لا تدع ادنى مسلك لدخول الهواء البارد من الخارج

وقد ضمَّ المستشفى المذكور نحو العشرين مريضاً وكانوا وقتئذٍ رقوداً الَّا انهم كانوا يتنفَّسون بجهدٍ وصعوبة وكأن حجارة ثقيلة على صدورهم وكلُّهم ممَّن فقدوا الصحة بسبب شغلهم في مناجم الذهب واقامتهم تحت جوّ تلك الاصقاع الباردة

وكان في المستشفى المذكور راهبة من اخوات المحبة اسمها جانّ ماري فكانت

تُعنى بخدمة المرضى وتعزيتهم وتجد بذلك لذَّةً عظيمة شأن من هجروا العالم انقطاعاً لخدمة البشر خدمةً حقيقيَّة ولذلك كان سرورها عظيمًا لمَّا قال لها طبيب المستشفى ذات يوم: « ان المريض الراقد في السرير المعدود بالعدد الثامن قد زال عنهُ الخطر »

فوقع هذا الكلام منها احسن موقع وشكرت الطبيب على هذه البشارة المفرحة.

وبيان الخبر ان اثنين من الهنود كانا قد حملا اليها من نحو عشرة ايام مريضاً في اقصى حالات الخطر وصل الى داڤسون من مضايق شيلكوت على آخر رَمَق يتخيَّل كل من رآهُ انهُ جثة خالصة لا حراك بها. فلمَّا شاهدهُ الطبيب هزَّ رأسهُ كأنهُ يقول مالي حيلة في نشر الموتى من القبور. ومع ذلك فقد تناول ورقة ووصف لهُ دواء وهو لا يأمل لهُ شفاء

امَّا الراهبة جانّ ماري فرقَّ قلبها على المريض واخذتها بهِ رأفة وحنان واقبلت على معالجتهِ بغاية ما يمكن من العناية. فيا لله ما كان اعظم تلك المصارعة التي ارادت هذه الراهبة المسكينة اعلانها ضدَّ امراض الاصقاع القطبيَّة المخيفة التي يضطرّ اهل العلم انفسهم ان يلقوا عندها سلاحهم راجعين عنها بالخيبة والفشل. ولكنَّها كانت حاوية ما هو اعظم واسمى من العلم اي الاخلاص المسيحي والرحمة القويَّة التي لا تفشل من الصعوبات

وقد صرفت في معالجتهِ اَيامًا وليالي لا تكلّ فيها من التعب ولا يهجع لها جفن خوفًا على حياتهِ. وفي بعض الليالي كان المريض يُصاب بنوبات هذيان شديدة فتسمعهُ ينطق بألفاظ متقطِّعة يذكر فيها جبل لبنان وعلى الخصوص والدتهُ. وكان متى نطق باسمها تلوح على وجههِ المتقبض من الآلام لوائح البشاشة

على انَّ الله وحدهُ يعلم عدد المسابح التي صلَّتها الراهبة الشفوقة وهي جاثية عند السرير المذكور. فلما منَّ الله على مريضها بالراحة وبشَّرها الطبيب بزوال الخطر عنهُ كما سبق الكلام خاطبتهُ ذات يوم بصوت قائلة: « هل والدتك حيَّة تُرزق »

فما كادت تسأَلهُ هذا السؤال حتى فاض الدمع من عينيهِ غزيرًا ثم اجابها: « اني لمَّا فارقتها كانت حيَّة تُرزق غير اني لا اعلم ماذا جرى لها بعد غيابي منذ سنوات عديدة عن جبل لبنان »

— هل انت من جبل لبنان اني احبّ واشتهي ان تحدثني كثيرًا عن هذا

الجبل المعدود من جبال الاراضي المقدَّسة

امَّا فاضل — وهو المريض الذي لم تكن تعرفهُ الراهبة عنهُ سوى ان سريرهُ معدود بالعدد الثامن — فابرقت اسرَّتهُ وظهرت امائر المسرَّة على محيَّاهُ لانَّهُ كان يحبُّ ان يتكلم عن ماضيهِ. ومذ اخذت قواهُ تثوب اليهِ شيئاً فشيئاً عرف خطأهُ واخذ يوبّخ نفسهُ على طمعها المُفرط الذي جرّها الى اقبح المساوئ واقصى درجات الذلّ. ولذلك كثيرًا ما كان يرتاب في حقيقة حالهِ فيستفهم نفسهُ هل هو فاضل بعينهِ بل هل هو ذاك الذي ربَّتهُ والدتهُ الورعة مريم في مخافة الله واحترام شرائعهِ المقدَّسة. وكانت عند ذاك تتمثَّل لذهنهِ كالاشباح المخيفة تلك الفظائع التي تلطَّخ بها في السنتين الاخيرتين من حياتهِ كالأيمان الكاذبة والسرقات والمظالم وغير ذلك ممَّا ارتكبهُ. وكان هذا المنكود اللبناني يستر وجههُ بيديهِ لدى تذكُّرهِ مقابحهُ كأنَّهُ يريد التخلُّص من هذه الافكار المقلقة المزعجة. ولقد تأسَّف كثيرًا على انَّهُ لم يسمع لنصائح والدتهِ الفاضلة التي لم تكن تُريد بهِ الَّا خيرًا ولكن لات حين ندامة فقد اوصلهُ سوء بختهِ الى الاقامة من مستشفىً ببلاد الجمد بعد ان فقد الشرف والضمير وكلُّ شيء. ولذلك صمَّم النيَّة على الخلاص من هذه الحالة والرجوع الى الله تعالى ومسالمة ضميرهِ

ولمَّا كان يفتكر في هذه الامور زارهُ احد الرهبان اليسوعيين المقيَّدين برسالة ألاسكا وكان الراهب المذكور قد عرّج على داڤسون سيتي قضاء لفروض وظيفتهِ. امَّا فاضل فكاشفهُ بعزمهِ على الرجوع في اقرب وقت ممكن الى بلادهِ فنشَّطهُ المرسل على البقاء في عزمهِ واعداً بانهُ يُركبهُ معهُ على مزلقتهِ ويُعيدهُ الى جونو

ففرح فاضل بما توفّق لهُ لانهُ رأى انَّ خروجهُ من تلك البلاد يكفل بنجاتهِ ونهضتهِ الادبيَّة. وقد جرَّب اميركة وخبرها فكان طالعها شؤمًا على جسدهِ ونفسهِ فكان احسن شيء لديهِ ان يهجرها بتاتًا راجعاً الى وطنهِ في لبنان. وقد رضي هذه المرَّة بالفقر لانهُ رأى فيهِ ضمانة للشرف والحريَّة

. . . .

وبعد مرور اسبوعين شوهدت مزلقة تجرّها الأيائل خارجةً من داڤسون وكانت تسير على الثلج كالسهم الراشق وعليها اثنان من الركَّاب ملتحفان بالفراء الثقيلة. وكان يقودها رجل هندي وكان هذا الهندي اذا حدَّث احد المسافرَين يكلّمهُ بغاية الاحترام

والوقار مسمياً اياهُ ابي وهو المرسل اليسوعي الذي زار مستشفى داقسون. واما رفيقهُ فهو فاضل الذي كان قد نقه من مرضهِ وصمّم على الرجوع الى وطنهِ

وبينما كانت المزلقة جارية بالمسافرين المذكورَين أمر المرسل بتوقيفها لزيارة احدى قرى الهنود في طريقهِ لان جماعة من الكاثوليك فيها كانوا ينتظرون قدومهُ لقبول الاسرار من يدهِ. وكان مرض الجُدَري قد انتشر وتفشّى في القرية ففتك بسكّانها فتكاً ذريعاً غير انّ المرسل الشاب الذي كان قد انتهى الى تلك البلاد من فرنسة لم يبالِ بالخطر ولم يهتمّ بالموت بل اطاع صوت غيرتهِ وهمّتهِ ودخل القرية لاسعاف من فيها من الكاثوليك بالمساعدة الروحيّة

ولكن يا لهُ من مشهد فظيع تتفتّت لهُ المرائر حزنًا وأسفًا فان المرض كان قد انتشر في كل البيوت فصرع من سكّانها عددًا عظيمًا حتى ان المرسل وجد في احد الاكواخ احدى عشر جثة ممدّدة على الحصر ومتيبّسة كقطع من الحطب وكانت درجة البرد نحو العشرين. فدنا المرسل وعيناهُ تفيضان دمعًا لاجل الصلاة على جثث اولئك المسيحيين فشاهد مع التعجّب والدهشة العظيمة ان كلّ جثة ممسكة بيديها ورقة من قشر السَندر مطوية (يُتّخذ قشر السَندر في تلك الاصقاع الباردة للكتابة). فظنّ في بادئ الامر ان ذلك من جملة خرافات التي يتعلّق بها الهنود فتأسّف ولكنهُ دنا ليرى جليًا فشاهد في خارج الورقة هذه العبارة «لا يقرإ الاسطر التالية غير أبينا وحدهُ» وكانوا قد كتبوا فيها صورة اعترافهم لانهم لمّا تأكّدوا انّهم مائتون لا محالة وليس هناك كاهن يعترفون لهُ بخطاياهم بادروا فخطّوا على تلك الاوراق ما كانوا قد ارتكبوا من الذنوب. وهل كتبوا ذلك بايديهم الضعيفة الواهية او كلّفوا بذلك مؤتمنين لهم ذالك امر لا يعلمهُ غير الله لأنهُ لم يبقَ احدٌ في تلك القرية ليخبر المرسل عن الكيفيّة

وقد كتبوا جميعًا في تلك الاوراق ما نصّهُ: «ارغب اليك يا أبانا ان تتلو القداس لراحة نفسي وقد خلفت لك اقرارًا بجميلك جلد كاستور ... او جلد وحش آخر». وبعضهم كتب «تركت لك فأسي» وهو كل ما يملكهُ الهندي

فلمّا شاهد المرسل هذا الايمان العظيم الذي قلّما يوجد لهُ مثيل في القرون الاولى للنصرانيّة سالت الدموع من عينيهِ بغزارة وصرخ قائلًا: يا لكم من مسيحيين حقيقيين فانكم لمّا سمعتم انهُ اذا لم يوجد كاهن تُغفر الخطايا بالانسحاق التامّ مع الرغبة

الحقيقيَّة في قبول الاسرار اردتم ان تقدّموا برهاناً لله ولضميركم ولابيكم الروحي انكم متم بهذه الاستعدادات الحَسَنة فسقياً لكم

وكان المرسل قد عرَّج على القرية وحدهُ لزيارة الاكواخ ولم يرضَ من فاضل بان يصاحبهُ في هذه الزيارة خوفًا عليهِ من المرض

فبعد ان اكمل زيارته وقضى ذاك الواجب الروحي تغيَّر الجوّ بغتةً وهبَّت الزوابع والارياح مصحوبةً بالثلوج فعندها حار المسافران في امرهما فان انتظرا في القرية حتى تنتهي الزوبعة التي قد تطول مدَّتها عدَّة ايام عرَّضا بانفسهما للانحصار في تلك الاماكن عدَّة اسابيع لان الثلوج تسدّ الطريق الوحيدة المستطاع سلوكها هناك. وعليه فمع الاسف اضطرَّا ان يعودا الى مدينة داڤسون التي كانا قد بعدا عنها فقط نحو مئة كيلومتر وهناك كان يجب عليهما ان يتوقعا عودة الصحو لاستئناف سبيلهما الى جونو

امَّا فاضل ففرح من انقلاب الامور على هذا الوجه وسترى في الفصل التالي ما كان الغيب قد خبَّأَهُ لهُ من الحوادث في داڤسون (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

ACTA SS. GURIÆ ET SHAMONÆ
Exarata a Theophilo Edesseno A. C. 297
Romæ, 1899 *in*-8 *pp.* XXVII - 48

اعمال القديسين الشهيدين غوريا وشامونا

كتبها ثاوفيل الرهاوي بالسريانيَّة سنة ٢٩٧ للمسيح

وسعى بنشرها لاوَّل مرَّة غبطة بطريرك السريان الكاثوليك الكلّي الطوبى السيّد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني

كان العلماء بآثار الكنيسة الشرقيَّة يتأسَّفون على فقدان اعمال القديسَين غوريا وشامونا المستشهدَين سنة ٢٩٧ للمسيح على عهد ديوقلسيان ومؤلف هذه الاعمال ثاوفيل الرهاوي كان قد كتبها بالسريانيَّة بعد وفاتهما بخمسة ايَّام فقط. ثمَّ نُقلت الى اللغة اليونانيَّة وشاعت هذه الترجمة. امَّا الاصل السرياني فاخذهُ يد الضياع الى ان أسعد الحظّ

غبطة السيد الهمام اغناطيوس افرام الثاني على اكتشافها في خزانة الكتب الخطيَّة المصونة في كنيسة اليعاقبة في القدس الشريف فلم يكتفِ ان يحيي هذا الاثر الجليل بنشره مطبوعًا بل صدَّره بمقدَّمة لاتينيَّة بيَّن فيها ما يتعلَّق بامر الكتاب وعظم شأنهِ وفوائدهِ التاريخيَّة واحوال الكنيسة الرهاويَّة في ذلك العصر. ومن النتائج التي استنتجها منهُ انَّ الكنيسة الرهاويَّة ترتقي الى عهد الرسل خلافًا لما رواهُ بعض المستشرقين كدوفال وتيكسرون (في تاريخ الرها) الذين ارتأوا انَّ النصرانيَّة لم تدخل في تلك الانحاء الَّا في اوائل القرن الثالث للمسيح. وقد زيَّن غبطة السيِّد الهمام هذه الطبعة بترجمة لاتينيَّة وحواشي مفيدة. فنخلص الشكر لغبطتهِ على هذا الاثر الجليل ونسأل الله ان يبقيهُ زمنًا طويلًا سندًا للعلوم وفخرًا للوطن　ل. ش

ܟܬܒܐ ܕܝܘܢܐ

كتاب الحمامة لابي الفرج المعروف بابن العبري

نشرهُ حضرة الاب جبرائيل القرداحي مدرّس اللغات الشرقية في مدرسة انتشار الايمان – طُبع في رومة سنة ١٨٩٨ عدد صفحاتهِ ١٠٧

ورد ذكر هذا الكتاب في ترجمة ابن العبري التي نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي في مجلَّة المشرق (١ : ٤٥٢) وفيها بيَّن ما يشتمل عليهِ هذا التأليف من الابواب والفصول. وهو كتاب دينيّ وضعهُ ابن العبريّ للرهبان والنسَّاك ليرشدهم الى الترقّي في الكمال وفقًا لثلاثة اطوار الحياة الروحيَّة اعني تنزيه النفس عن ادرانها ثمَّ ترويضها في ممارسة الفضائل واخيرًا راحتها في الله. وتعليم ابن العبري في هذا الكتاب كاثوليكي صرفٌ فانَّهُ يقرّ برئاسة بطرس الهامة على الرسل (ص ٥ و ١٩) والطبيعتين في المسيح على مقتضى تعليم مجمع نيقية (ص ٥١ و ٧٥). ولا نأخذ عليهِ غير ترخيصهِ للكذب في بعض الاحيان (ص ١٥). وعلى كلّ حال نُشير على اليعاقبة بمطالعة كتابٍ وضعهُ احد مشاهير بيعتهم علَّهُ يقرّبهم الى معرفة الحقّ والاتّحاد مع الكنيسة البطرسيَّة. ثم نثني على حضرة الاب قرداحي الذي خدم بنشر هذا التأليف العلوم الشرقيَّة والدين معًا. ومن محاسن الكتاب حواشٍ عديدة ذُيِّل بل زُيِّن بها. وفي آخر كتاب الحمامة مقامة ادبيَّة لابن العبري وضعها في السريانيَّة على الطريقة الحريريَّة ܐܡܬܠܐ ܕܥܠ ܚܟܡܬܐ ܫܦܝܪܬܐ اي حكاية عن صَبوة العقل　للاب يوسف برون

هدايا أُرسلت الى إدارة المشرق

ارجأنا فيها الكلام الى عدد قادم لضيق المقام

١ كتاب المعين في الاقتراح على طلبة العربيَّة. الجزء الاول للمعلّم. من تأليف جناب الفاضل سعيد افندي الخوري الشرتوني

٢ سيرة القديس روكس معرَّبة بقلم القس سمعان الخازن الراهب الانطوني

٣ نغمات الكنيسة المارونيَّة للاب يوحنَّا باريزو الراهب البندكتيّ

(Rapport sur une Mission scientifique en Turquie d'Asie, par Dom J. Parisot O. B.)

منثورات

مسألة رياضيَّة للاب الكسيس مالُّون ــ عُهد الى ملَّاح ان يركب قاربًا صغيرًا ويجرّ وراءهُ بحبل فُلكًا ثقلهُ الف الف كيلوغرام مملوءًا قمحًا فيذهب بهِ من بيروت الى طرابلس والمسافة بينهما ٧٢١٠٠ متر. يُطلب اوَّلًا هل يجري الفلك المذكور على فرض انَّ الريح ساكنة والبحر هادئ. ثانيًا واذا جرت السفينة الى كم تبلغ سرعتها بعد عشر ساعات. واخيرًا كم يقتضيها من الزمان لتبلغ طرابلس؟

سكَّان مصر ــ روت مجلة انكليزيَّة (Popular Science monthly) انَّ عدد سكَّان مصر بلغ في الاكتتاب الاخير ١٠,٠٠٠,٠٠٠ من الوطنيين يُضاف اليهم ١١٢,٠٠٠ من الاجانب. واكثر هؤلاء عددًا الاروام وهم ٣٨٠٠٠ ثمَّ الطليان ٢٤٠٠٠ ثمَّ الانكليز ١٩٠٠٠ الفًا ثم الفرنسيُّون ١٤٠٠٠ والباقون من دول مختلفة

مرصد زيكاواي ــ هو مرصد فلكي ابتناهُ المرسلون اليسوعيون في مدينة زيكاواي من سواحل الصين سنة ١٤٨٠ فلم يزل بترقٍ دائم تحت ادارتهم حتى اضحى اليوم في عداد المراصد الكبرى التي تراسلها مراصد عواصم الدنيا جمعاء. ومن خدماتهِ المشكورة انهُ يُشير الى انواء البحر والاعاصير قبل وقوعها فاذا وقعت أنبأ بسيرها وشدَّتها وزمن وصولها الى نُقط معلومة. ويأتي لزيكاواي كلَّ يوم عدة

اعلامات جوّية تُرسل الى مرصدها من ٤٢ محطّة تلغرافيّة منها في يابان والهند الصينيّة وكورية ومنها في جزائر الفيليبين وسيبيرية. وكلّ السُّفن المسافرة الى الصين او القافلة عنها لا تمخر عباب تلك البحار الهائلة دون ان ترجع الى القوائم الجوّية التي يصطنعها اليسوعيون في المرصد المذكور و يوزّعونها على رؤساء السفن في كلّ سواحل الصين

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الخوري قسطنطين باشا ان نفيدهُ اسم الكتاب الذي اخذنا عنهُ في ترجمة ابن العبري (المشرق ١ : ٢٩٤) قولنا عن البطرك الأنطاكي الذي مات في زلزلة سنة ١١٧٠ وعن داود البطريرك الذي خضع للحبر الروماني سنة ١٢٤٠ وقد وجد حضرتهُ ان قولنا لا يوافق ما ورد في كتاب الشرق المسيحي للعلّامة لوكيان

بطريركان انطاكيّان من بطاركة الروم

ج انّ كتاب الشرق المسيحي كثير الخلل في ما يختصّ بذكر البطاركة الروم الانطاكيين في القرون التابعة للقرن الحادي عشر فلا يوثق بهِ تماماً. امّا قولنا عن البطريرك المتوفّى في زلزلة سنة ١١٧٠ فقد ذكرهُ في تاريخهِ البطريرك ميخائيل الكبير ونقلهُ عنهُ راي (Rey) في كتابهِ المعنون المستعمرات السوريّة في الشام (ص ٣٢١). وتاريخ ميخائيل المذكور قد تمّ طبع قسمهِ الاوّل بهمّة الخوري شابو (J. B. Chabot) وكذلك ذكر راي (ص ٨٩) خضوع البطريرك الانطاكي داود لسلطة الحبر الاعظم نحو سنة ١٢٤٠

س وسأل جناب الاديب ا. ط. من دير القمر هل يُعرف اوّل من اخترع البارود ومتى استعملهُ العرب

البارود

ج قد اختلفت آراء المؤرخين في مكتشف البارود اختلافاً عظيماً وما لا ريب فيهِ ان روجر باكون الراهب الانكليزيّ (+ ١٢٩٤) وصفهُ في كتاب لهُ وصفاً واضحاً وبيّن ما فيهِ من الخواصّ الانفجاريّة. وقيل ان اهل الهند عرفوا البارود قبل المسيح وانّ الصينيين اخذوهُ عنهم بعد المسيح بثمانين سنة اماّ العرب فالارجح انهم تعلّموا تركيبهُ من اهل الهند بعد الهجرة بثمانين سنة لكنّ استعمالهُ لم يَشعْ بينهم الّا في القرن الثاني عشر ل. ش

قائمة للآثار الجويّة من ٨ الى ٢٣ تشرين الاول ١٨٩٩

الاثنين ٢٣	الاحد ٢٢	السبت ٢١	الجمعة ٢٠	الخميس ١٩	الاربعاء ١٨	الثلثاء ١٧	الاثنين ١٦	الاحد ١٥	السبت ١٤	الجمعة ١٣	الخميس ١٢	الاربعاء ١١	الثلثاء ١٠	الاثنين ٩	الاحد ٨

ميزان الرطوبة

ميزان ثقل الهواء

٧٩٠ ٧٨٥ ٧٨٠ ٧٧٥ ٧٧٠ ٧٦٥ ٧٦٠ ٧٥٥ ٧٥٠ ٧٤٥ ٧٤٠ ٧٣٥ ٧٣٠ ٧٢٥ ٧٢٠

التبخير

ميزان المطر

ميزان الحرارة

٥٠ ٤٥ ٤٠ ٣٥ ٣٠ ٢٥ ٢٠ ١٥ ١٠ ٥ ٠ ٥-

انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد ... ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

السنة الثانية العدد ٢٢ ١٥ ت ٢ سنة ١٨٩٩

المشرق

البويرس وبلاد الترانسفال

نبذة تاريخية جغرافيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

انطلقت ألسن الصحف منذ اشهر على البويرس وبلادهم الترانسفال فصار اسم اقطارهم شائعاً بعد ان كان مندرجاً في طيّ النسيان. ولئلاّ يفوت قرّاءنا شيء من امر هذا الشعب احببنا ان نفرد لذكره مقالة موجزة ليكونوا على بيّنة من احوالهِ فيحضروا بمزيد شوق هذا الصراع الجديد الذي انتشب بين الجبَّار البريطاني والقزَم الترانسفالي ولعلَّ التنبل ينتصر من الجبَّار كما فعل سابقًا

١

البويرس (Boers) في لغة الهولنديين الفلَّاحون قيل لهم ذلك لانَّ مهنتهم الاولى كانت الحراثة زاولوها منذ دخولهم تلك البلاد فاحرزوا لهم في هذه الصنعة ثروة طائلة مكَّنتهم من السيادة على قسم من افريقية الجنوبيَّة

امَّا اصلهم فمن المستعمرين الهولنديين الذين احتلُّوا رأس الرجاء الصالح في القرن السابع عشر. وذلك ان هولندة لمَّا تولَّت على بعض بلاد الهند في اواخر القرن السادس عشر واوسعت نطاق تجارتها في الاوقيانس الهندي الى اليابان وجزائر الشرق الاقصى لم ترَ بدًّا من احتلال بعض سواحل افريقية لترسو عندها ذهابًا وايابًا سُفنها التجاريَّة فتأخذ منها حاجتها من المؤونة للسفر. وكان من غاياتها ان تترصَّد من ثمَّ حركات السُّفن الاجنبيَّة لاسيما مراكب البرتغال التي فازت في ذلك العصر قصبة السباق في سيادة البحر. فأجمعت شورى جمعيَّة الهند الشرقيَّة على ان رأس الرجاء الصالح افضل نقطةٍ يمكن الهولنديين احتلالها لبلوغ مرامهم فبادروا الى ارسال بضع مئين من الجنود الى الرأس المذكور. وكان نزولهم في لحف جبل المائدة (Table-Mountain)

في جنوبي مدينة الكاب سنة ١٦٥٢ . واستوطن اكثرهم تلك البلاد وتفرَّغوا لاستعمارها وتأهلوا هناك واستعبدوا قوماً من الهوتنتيّين وسودان تلك النواحي

وبقي المستعمرون الجدد مدَّةً في ذلك المقام لم يأتوا عملاً يُذكر لسوء تصرُّف ولاتهم وجورهم على المرؤوسين وكان عددهم لا يتجاوز في سنة ١٦٨٠ ستمائة شخص وفي سنة ١٦٨٥ انضمَّ الى المستعمرين الهولنديين قوم من الفرنسيين الكلوينيين جلوا عن وطنهم بعد ان أشهر الملك لويس الرابع عشر القرار المعروف بقرار نانت (l'édit de Nantes) . فامتزج الفرنسيُّون بالهولنديين امتزاج الخمر بالماء واخذوا لغتهم وكانوا كلهم من المتعصِّبين لشيعة كلوين . ومن بناياتهم مدينة الرأس « كاب تَوْن » (Cape-Town) التي صارت مذ ذاك الحين عاصمة مستعمرة الرجاء الصالح

ومع هذا فلم تزل المستعمرة في اسوإ حال لما كان عليه اصحاب امرها من الاستبداد والظلم . وبلغ « ڤان در ستال » احد ولاتهم من سوء الخطَّة غايةً كلَّفهم بها شيب الغراب فاعتصب البويرس وخرج منهم عدد غفير ميمِّمين الصحاري الواقعة في شمالي تلك البلاد فتوطَّنوا وسرَّحوا فيها مواشيهم ولم يزالوا في امتداد وانتشار الى ان بلغوا ضفَّة نهر اورنج سنة ١٧٨٦ وكانوا يسمُّونهُ قبلاً نهر السمك الكبير (Groot Vish-rivier)

وكان هؤلاء القوم الجالية يعيشون مستبدِّين لا يقوى ولاة مستعمرة الرجاء على اخضاعهم لسلطتهم . وانَّما كانوا قسموا البلاد التي احتلُّوا الى ايالاتٍ عديدة واقاموا على كلّ منها مناظرًا او مديرًا (Veld-cornet) عُهدت اليهِ سياسة الفلَّاحين الذين في ايالتهِ يجمعهم عند الحاجة لردّ غزوات القبائل الوطنيَّة

ودامت الحال على ذلك الى ان رمت انكلترَّة بطرفها الى مستعمرة الكاب لحسن موقعها فتربَّصت مدَّة وهي تتوقَّع الفرصة لقضاء وطرها فلمَّا لمحت غرَّة العدوّ حملت عليهم حملة القويّ على الضعيف فسحقتهم سحقًا واستولت على مستعمرة الكاب سنة ١٧٩٥ . وقتلت من الهولنديين ما تيسَّر لها وفرَّ الباقون الى اخوانهم في اواسط البلاد فصاروا يدًا واحدةً للقيام في وجه العدو

ثمَّ انتشبت مذ ذاك الحين بين الانكليز والبويرس حرب عوان كانت الدولة على البويرس في بعض الآنات وعلى الانكليز في غيرها . وقد ابلى الاوَّلون في هذه الحروب احسن البلاء . فدافعوا عن حرّيتهم دفاع الصناديد الابطال . الَّا انَّ انكلترة لم تكن



خارطة الترانسفال
او
جمهورية افريقية الجنوبية
١
١٠٠٠٠٠٠٠
شرح العلامات
سكة حديد
حدود الممالك
ترانسفال
املاك انكلتره
اورنج
املاك البرتوغال
املاك المانيا
املاك المانية
رودسية الانكليزية
ترانسفال
افريقية الشرقية
املاك البرتوغال
اورنج الحرة
ناتال
باسوتولند
بشوانالند
كريكالند الغربية
كريكالند الشرقية
بوندولند
مستعمرة الرأس الانكليزية
الاوقيانوس الاتلانتيكي
الاوقيانوس الهندي
بريتوريا
جوهنسبورغ
نيلستروم
بيترسبورغ
ليدندورغ
زيروست
مفكين
فريبورغ
كلركسدورب
كرونستاد
بلومفنتين
كيمبرلي
نيوكسل
فولكسرست
اوترخت
خليج ديلاكوا
دربان
بور ناتال
ستنجر
الكسندريا
هوبتون
ده آر
كالسبرغ
بورغرسدورب
دوردريشت
ثواستوان
كرنارفون
كرايف رينت
قراسبورغ
زويرتسون
كاب تون
جبل المائدة
راس الرجاء الصالح
ملمسبورغ
است لندن
برنس الفرد
بورت اليزابات
نهر اورنج

لتنكص الى الوراء بل كانت تمدّ اصحابها بالأمداد المتواصلة ففهم البويرس انَّهُ لم يبقَ لهم غير الجلاء عن الاوطان سنة ١٨٣٧ فتحفَّزوا للرحيل وباعوا املاكهم ونقلوا اثاثهم وهاموا على وجوههم وطووا البيد وتوقّلوا الجبال وطافوا الوديان الى ان بلغ قسم منهم سواحل البحر الشرقيَّة فتوطَّنوا هنــاك بعد ان حاربوا قبائل الزولو وملكهم دِنغان واتَّخذوا لهم مستعمرةً مستقلة في بلاد ناتال وجعلوها جمهوريَّةً حاضرتُها مدينة دُربان على شاطئ البحر . امَّا القسم الآخر من جالية البويرس فانهم قصدوا جهــات الشمال وعبروا نهر اورنج وتوطّنوا الاراضي الواقعة بينهُ وبين نهر فال فتلك مبــادئ جمهوريَّة اورنج الحرَّة (Oranje Vrij-staat)

الَّا انَّ الانكليز الساكنــين في بلاد الكاب اصابهم بخروج البويرس ما اصاب فرعون والمصريين عند فرار اسرائيل من ارض النيل . فرأوا ان مستعمرة الكاب فقدت أفضل سكَّانها وانشطهم في حراثة الارض وتوسيع نطاق العمران فجنَّـدوا جنودهم وتأثروا أعقاب البويرس الفارّين وناجزوهم القتــال حيثما وجدوهم في جمهوريَّتَي ناتال واورنج . بيد ان البويرس أبوا الَّا ان يعيشوا احرارًا وبعد مناوشات طويلة غابوا فيهــا مرارًا العسكريَّة اضطرَّ جالية بلاد ناتال ان يزايلوها ويتوغَّلوا في الجهــات الشماليَّة ما وراء نهر الفال (Transvaal) فزاحموا هناك بالمناكب قبائل من الوطنيين الافريقيين يُدعون مِتابلي الَّا انَّهم ما لبثوا ان قطعوا دابرهم واباحوا ذمارهم وسكنوا بلدهم . امَّا جاليــة بلاد اورنج فلم يرضوا ان يبرحوا مكانهم وواصلوا القتال مدَّة طويلة مع الانكليز الى سنة ١٨٤٨ وبها انتصرت الجيوش البريطانيَّــة على البويرس الاورنجيين انتصارًا عظيمًا في واقعة بومپلتس واستولت على بلادهم بضع سنين . لكنَّ البويرس اشتدَّ بعد ذلك ساعدهم وأجاؤوا الانكليز سنة ١٨٥٤ الى ان يدعوهم وشأنهم احرارًا مستقلين رغمًا عن طمعهم في بلادهم . ومذ ذاك الحين اخذت بلاد اورنج ترقى في معارج الفلاح حتى زاد سكَّانها ستَّة اضعاف عمَّا كانوا قبلًا . ولهم دار ندوة يسنّ اعضاؤها السُّنن . وعدد اصحاب الشورى خمسون ينتخبهم الشعب كلّ اربع سنوات . وللجمهوريَّة رئيس يسوسها يُجدَّد انتخابهُ بعد اربع سنين . وعاصمة هذه الجمهوريَّة مدينة بلومفنتــين (Bloemfontein) انفسها نحو عشرين الف . واهــل كلّ الجمهورية يبلغون نحو ١٨٠,٠٠٠

ولنرجع الى جالية الترانسفال لتتمة اخبارهم فانهم لمَّا حطُّوا في بلادهم الجديدة عصا الترحال اخذوا يجدُّون في تمصير بلدهم وحراثة اراضيهِ. وكان النمر البريطاني مع بعد البويرس عنهُ لا يزال يزمجر وينظر نظر الطامح الى بلادهم. غير انَّ بويرس الترنسفال اشتدَّت شوكتهم بعد وقوع بلاد اورنج في يد الانكليز لانَّ كثيرين من اهل هذه الجمهوريَّة لم يرضوا بحكم بريطانية ولحقوا باخوانهم في الترنسفال وكان رئيس هذه العصابة يُدعى بريتوريوس وكان من اصحاب الشدَّة والبأس محنَّكًا في الآداب الحربيَّة فاختارهُ اهل الترنسفال عليهم رئيسًا لمقاومة العدوّ سنة ١٨٤٨. فقام بريتوريوس احسن قيام بوظيفتهِ ونظم جمهوريَّة الترنسفال وابعد تخومها وسمَّاها جمهوريَّة افريقية الجنوبيَّة (Zuid-Afrika Republiek) وجعل لها عاصمةً دُعيت باسمهِ بريتوريا (Pretoria)

وكانت كلّ خطوة تخطوها الجمهوريَّة الجديدة في سبيل التمدُّن والنجاح كسَهم في قلب بريطانية الَّا انَّها كظمت غيظها وخافت من قصور يقع بجنودها اذا ابتعدوا عن سواحل البلاد. لكنَّها هاج هائجها لمَّا اسعد الحظ اهل الترنسفال ووجدوا مناجم الذهب في حدود امصارهم فقامت انكلترة وقعدت وحشدت جنودها سنة ١٨٧٧ لمحاربة الترنسفال وهي تدَّعي انَّها أتت لنصرة القبائل الافريقيَّة لتردّ عنهم ظلم البويرس. فزحف اهل الترنسفال لملاقاة أخصامهم يؤثرون الموت على الذلّ ولم ينكصوا على الاعقاب حتى كسروا الانكليز كسرةً فاضحة في ثلاث وقعات وفرَّقوهم شذر مذر. فلمَّا رأى وزراء لندرة منقلب الامور في الترنسفال ارسلوا بلسان البرق تلغرافًا هذا تعريبهُ: « قد اسأنا الصنع الى البويرس فاعقدوا الصلح معهم »

لكنّ هذه الحرب لم تحطّ عن اوزارها قبل سنة ١٨٨١ وفيها عُقد الصلح بين الفريقين وصفت بينهما سماء السياسة واقرَّت بريطانية العظمى باستقلال الترنسفال وحقوقهِ. وهذه المعاهدة قد جُدّدت سنة ١٨٨٤ وكتب المستر تشمبرلن في ذلك رسالة نشرتها جمهوريَّة الترنسفال في كتابها الاخضر

غير انَّ قلب انكلترة لم يصفُ بعد على جارتها وهي لم تزل عند سنوح الفرصة تكشّر لها عن انيابها وتكشف ما يكنُّ صدرها من المطامع. ولمَّا كانت سنة ١٨٨٧ اخذ الانكليز يتقاطرون زرافات الى تعدين مناجم الذهب المكتشفة في الترنسفال وزاد عددهم هناك الى ان ابتنوا لهم مدينة دعوها جوهنسبرغ وجعلوها مستقلّة عن حكم

البوير فلم يرضَ هؤلاء بهذا الاستبداد في ضمن تخومهم وحملوا على اهلها فشتَّتوا شملهم سنة ١٨٩٥. واليوم عادت انكلترة الى مطامعها فانتشبت الحرب بينها وبين البوير والله يعلم ما يعدُّهُ المستقبل لتعدّي الاسد البريطاني:

وقد تسلبُ الايامُ حالات اهلها   وتعدو على أُسد الرجال الثعالبُ

٢

تلك لمعة موجزة من تاريخ البوير واخبارهم. امَّا بلادهم التي رسخت فيها قدمهم بعد الجلاء المتوالي عن اوطانهم الاصليَّة فهي كما سبق عبرُ نهر الڤال او الترانسڤال وهي عبارة عن بلاد واسعة الارجاء يبلغ رُحبها ثلاثة اخماس سعة فرنسة فانَّ مساحتها لا تقلُّ عن ٣١٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع والترانسڤال واقع في وسط البلاد تحدق بهِ املاك دول مختلفة فتحدُّهُ شرقًا جبال لوبُمبو الفاصل بينهُ وبين الولاية البرتوغاليَّة الافريقيَّة وزولولند اي بلاد الزولوس. وجنوبًا نهر الڤال وراءهُ بلاد اورنج الحرَّة ونهر بوفالو وراءهُ بلاد ناتال الانكليزيَّة. وتخومهُ الغربيَّة ولاية افريقية الجنوبيَّة الانكليزيَّة وحكومة الرأس. امَّا الحدود الشماليَّة فتنتهي عند نهر اللِمپوپو يفصل بين الترنسڤال وردوسية. فللترنسڤال كما ترى حدود طبيعيَّة تصونهُ من كلّ جهاتهِ الَّا انَّهُ بسبب موقعهِ هذا لا يمكنهُ ان ينال الأمداد من الخارج اللهمَّ الَّا من اورنج الحرَّة وهي ايضًا تكتنفها الاملاك الانكليزيَّة من ثلاث نواحي لا فُرضة لها على البحر

هذا وان بلاد الترانسڤال مع سعة تخومها قليلة السكَّان فانَّ عدد النفوس فيها لا يُربي كثيرًا على الالف الف ويُقال انَّ السودان منهم ٧٥٠,٠٠٠ نفس وهم السكَّان الاصليُّون من قبائل شتى كالزولوس والكفر وعدد البيض ٣٤٨,٠٠٠. ويُقسم البيض الى قسمين القسم الاول البوير او الافريكندر وهم العنصر الهولندي اصحاب البلاد ولهم النفوذ والسيطرة ويتسمون بالبلديين (Burghers) ولهم من الحقوق ما ليس لغيرهم اخصُّها حقّ الانتخاب وعددهم نحو ٢٦٠,٠٠٠ . والقسم الثاني ويتلندر (Uitlanders) وهم الاوربيُّون الذين احتلُّوا بلاد الترنسڤال من غير الهولنديين منهم نحو خمسين الف انكليزي يطالبون البوير بحقوق المدنيَّة ويريدون مشاركتهم في سياسة البلد وبسببهم ترى اليوم انكلترة فغرت فاها تريد ان تضطرَّ البوير على موافقتهم في مطالبهم

وموقع بلاد الترنسقال كموقع اورنج الحرَّة فانهُ في مشارف افريقية الجنوبيَّة ذلك ما يجعل هواءها طيّبًا نقيًا. وفيها ثلاثة جبال متسلسلة تخترقها مباشرةً من الجهة الشرقيَّة وتنتهي الى الغرب. واهـل الترنسقال يقسمون بلدهم ثلاثة اقسام فالقسم الاول هو نجدٌ موقعهُ فوق هضاب مرتفعة جنوبي البـلد يبلغ علوهُ من ١٣٥٠ مترًا الى ٢٣٥٠ وارض تلك الانحاء صلعاء لا ينبت فيهـا شيء من النبات. والقسم الثاني هو بلاد الغابات موقعهُ في جهات الشمال والشمال الغربي. وهناك انهار وجداول كثيرة وأحراج من الاشجار الباسقة الوارفة الظلّ. امَّا القسم الثالث فيشمل بطاح البلاد وسهولها وفيهِ المراعي الخصبة والمواشي العديدة لولا انَّ قسمًا كبيرًا من تلك الاصقاع قد سلَّط الله عليها عدوًّا صغيرًا من الهوامّ يقهر كل الدوابّ ويدسُّ في عروقها سمًّا لا يبقي ولا يذر ألا وهي ذبابة صغيرة تُدعى تسيسي (tsétsé) تفتك بالخيل والبقر وكبار الدوابّ فتكًا ذريعًا وتذيقها الموت عاجلًا. وهذه الذبابة تؤذي الانسان وتؤلمهُ بُجمتها لكنَّها لا تقوى على قتلهِ كما تفعل بالدوابّ والمواشي. واهل الترنسقال يتَّقون شرَّهـا بلبس الثياب الغليظة التي لا تنفذها ابرة الذباب. والذبابة هذه تتأثر اعقاب الوحوش الضارية ولاهل الترنسقال املٌ في إعدامها بصيد سباع الحيوان

وللترنسقال عشرون ايالة او مقاطعة يُدعى اكثرها باسماء حواضرها. وعلى كلّ مقاطعة مدير يسمُّونهُ محافظًا (Land-drost) يحكم على اهل ايالتهِ حكمًا مقيَّدًا وعلى السودان حكمًا مطلقًا

وليست مدن الترانسقال كثيرة السكَّان واغلبها اشبه بالقرى منها بالمدن. وعاصمتهم مدينة بريتوريا التي لا تكاد نفوسها توفي على ١٥,٠٠٠ نفس الَّا انها حسنة البناء فيها المعاهد الكبرى والعمارات الواسعة والقصور الرحبة شيَّدها البويرس سنة ١٨٥٥ ودعوها باسم بريتوريوس كما روينـا. ومن مدن الترنسقال التي شاع ذكرها في هذه السنين الاخيرة مدينة جوهنسبرغ على بعد مئة كيلومتر من بريتوريا جنوبًا بناها المعدّنون لمَّا اكتشفوا بقربها مناجم الذهب سنة ١٨٨٤ وهي اليوم من أمهات تلك البلاد. ومن مدنهم البهجة التي يتوارد اليها الاجانب لطيب هوائها مدينة زيروست (Zeerust) التي موقعها على نهر يصبُّ في لِنبوبو وقد قيل لتلك الاصقاع حديقة الترنسقال لخصبها وعذوبة مياهها وكثرة أرفاقها. وهناك ايضًا مدينتان حديثتان تدعيان بَربرتون وأُوريكا

زاد بوقت قليل عدد سكانهما فاضحتا من المراكز المهمَّة وتتَّصل بهما السكة الحديديَّة التي بدؤها عند فرضة لورنسو مركيز

٣

سبق لنا القول ان البويرس قومٌ من الفلَّاحين ارتزق اجدادهم بحراثة الاراضي في مستعمرة الكاب ثم داوموا على فلاحة البلاد التي سكنوها بعد جلائهم وما كلَّفهم ببلاد الترنسفال الَّا لما يجدون فيها من اسباب المعاش المناسبة لمهنتهم. فالكلّ عائلة املاك واسعة تتولَّى حراثتها وتزرع فيها من الحبوب والبقول والتبغ الحسن والاشجار المثمرة ما تأخذ منها كفايتها وتتاجر بما يزيد عنها

والشابُ عندهم اذا بلغ السنّ الشرعي يركب جوادًا ثمَّ يركض فرسهُ في الاملاك الاميريَّة مدَّة معلومة فيستملك الارض التي امكنهُ ان يدور حولها في مسيرهِ وهي عبارة عن عدَّة فدادين ثمَّ يحتلّ ماكهُ الجديد ويحصّنهُ بسياج خوفًا من سباع الوحوش ويبتني لهُ سكنًا. ويصطنع حوضًا يجمع فيهِ مياه الشتاء ثمَّ يكبّ على حراثة الارض بمساعدة عددٍ وافر من العبيد فلا يلبث بعد قليل ان يستغلّ من ارضهِ اصناف الغلَّات

وكَلَفُ البويرس بالفلاحة يؤدي بهم الى القناعة ويبغض عندهم التمدُّن الاوربيّ. فتراهم لا يعتبرون سوى ما يصلح لتحسين تربتهم وعمران املاكهم وهم يأبون التأنق في البنايات والانصباب على درس الفنون الجميلة كالتصوير والموسيقى. ويستنكفون من فنّ الصحافة ويكرهون الجرائد وكتبتها ولا يهتمُّون بتربية اولادهم وتثقيفهم بالعلوم فيجتزئون بالآداب الاهليَّة والتربية البيتيَّة ولذلك لا ترى بينهم من اشتهر بالكتابة او خدم العلوم خدمةً تُذكر. وفي طباع البويرس فظاظة وخشونة حملتهم مرارًا الى اعمال فظيعة يأباها التمدُّن والدين. فانهم اساؤوا الصنع الى قبائل السودان غير مرَّة واستباحوا ذمارهم ودوَّخوا بلادهم بثقل وطئتهم واستعبدوهم لاشغالهم الخاصَّة

وممَّا يزيد في غلاظة طباع البويرس تشيُّعهم لآراء كلوين فانَّ الكلوينيّين قد اشتهروا في كلّ آن بشراسة طباعهم ونفورهم من الذين لا يدينون بدينهم. والبويرس من اشد الكلوينيين تعصُّبًا وهم لا يزالون محافظين على عادات اجدادهم ولبسهم ونطقهم يجتمعون اربع مرَّات في السنة في معابد لهم ليتحمَّسوا في الدين ويشتركوا في « العشاء السرّي ». امَّا باقي السنة فهم يقتصرون على مطالعة الاسفار الكريمة ليس الَّا

امَّا تجارة البويرس فانَّها ضيّقة النطاق . وغاية ما كانوا يصنعون من هذا القبيل ان يحملوا ما فضل عنهم من الغلّات الى مدنهم الكبرى او عواصم البلاد المجاورة فيبدلونها بما لا غنى لهم عنهُ من اسباب المعاش قوضاً بقوض

وفي سنة ١٨٦٥ باشروا بتجارة ريش النعام فكانوا يجمعون من هذا الطائر عدداً كبيرًا في حظائر رحبة المجال ولا يصرفون عليها الّا النزر القليل فاذا كبر نزعوا عنها ريشها وارسلوها الى اوربَّة فكانوا يربحون من كلّ نعامــة في السنة ٣٥٠ فرنكاً . وفي سنة ١٨٨٠ كان عدد النعــام الذين يُعنون بتربيتهم يبلغ ٣٠٠٠٠ حتى كسدت هذه التجارة وصار ربح البويرس من النعامة لا يتجاوز ١٥٠ فرنكاً

هذا وما استلفت منذ عشرين سنة انظار الدول الاوربيَّة الى البويرس اكتشاف مناجم الماس في كمبرلي من اعمال اورنج الحرَّة ثمّ وجود معادن الذهب في انحاء مختلفة من الترنسقال لاسيا في جوهنسبرغ . وكان اكتشاف هذه المعادن سنة ١٨٨٤ وقف عليها اوَّلًا اخوان المانيَّان يدعيان ستروبن (Struben) فبنيــا لهما اكواخاً واخذا باستخراج الذهب وما سمع طلّاب المال بهــذا الخبر حتى تواردوا أفواجاً الى المكان واضحت جوهنسبرغ بعد خمس عشرة سنة مدينة ذات مئــة الف نفس اكثرهم من الانكليز . وفي الترنسقال مناجم اخرى غنيَّة بذهبها لاسيا في غربي بريتوريا في جبل كاپ (Kaap) حيث تشيَّدت مدينتان جديدتان بربرتون واوريكا يتزاحم فيهما المعدّنون . وقد ذكرنا في عدد سابق (المشرق ٢ : ٩٥٨) ما استُخرج في الترنسقال من الذهب في السنتين الاخيرتين فليراجع . امَّا البويرس فلا يرون هذه المناجم بعين الرضى لانها تُطمع فيهم الدول الاجنبيَّة وخصوصاً بريطانية العظمى ولذلك لا تراهم يسعون في توثير الطرق وتوفير اسباب الهناء بل ربَّما اجتهدوا في صرف السودان عن تعدين المناجم ومساعدة الاجانب في استخلاص الذهب يؤثرون على جمع الاصفر الرنَّان العيشة الراضيةَ الهنيئة تُصرَف بالشغل والقناعة . والحقّ يقال انَّ البويرس اصابوا من سعادة الحياة الحاضرة ما يغنيهم عن طلب الثروة التي في طيّها الذلّ والجشع

وهي القناعة التي تسوق البويرس على سذاجة العيشة والاكتفاء بعدد قليــل من الجنود لحماية الثغور لكنهم اذا اضطرَّتهم الحاجة تألَّبوا وحاربوا عن استقلالهم محاربة الابطال وردُّوا غارات اعدائهم . وهاك اليوم قد قامت الحرب على ساق ولعــلَّ ظنَّ

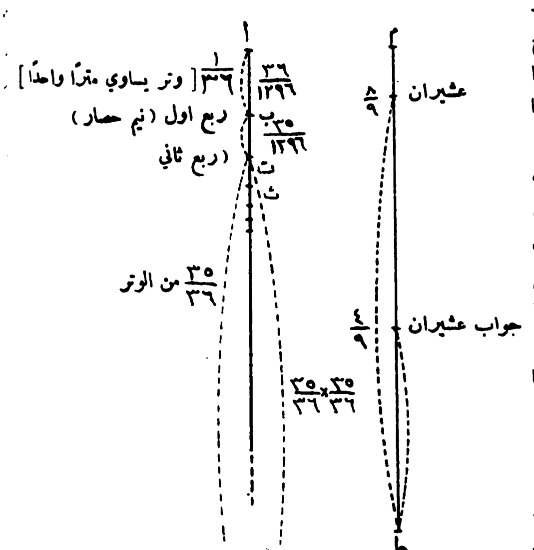
بريطانيـة في ضعف البويرس وفشولهم سيخيب فتروح آمالهم ادراج الرياح وعلى كلّ حال انَّ البويرس سواء كانوا منتصرين او مكسورين سوف يحرزون لهم فخرًا مؤبدًا لقيامهم بالدفـاع عن شرفهم وحرّيتهم بازاء دولة كانكلترة لا تغيب الشمس قطّ عن املاكها المتسعة. والله يعطي الملك من يشاء.

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقـة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رنزفال اليسوعي (تابع لما سبق)

مقدّمة اولى ان البعد بين كلّ ربعين يكون باعتبار طول الوتر وقصره فكلّما كان الوتر اطول كان البعد بين الربعين اكثر وكلّما كان الوتر اقصر كان البعد بين الربعين اقلّ(١. ألا ترى انهُ في الاول كان الجواب عند النصف من الوتر والثاني كان عند نصف



١) لا جرم انَّهُ يريد المقابلة بين وترين يُستخرج منهما ارباعٌ متوازية فاذا اختلفا طولاً وقرعنا في كليهما على ربع نيم الحصار لا غرو ان يكون البعد بين الطرف ومحلّ ضغط الحصار اطول في الوتر الاطول واقصر في الاقصر. فما يزيدهُ على الانصاف هو تأكيدٌ لما قبلهُ بيد انهُ صعب المأخذ دون ان يُرسم لهُ رسم فهاك ما يُغنيك عن تخطيطهِ. اذا حبستَ على ٨/٩ الوتر م ط حصلتَ على العشيران فالعشيران هو قرار النغمة التي تخرج من الوتر اذا حبست على منتصف ما بين ٨/٩ و ط اي ٤/٩

نصفهِ فاذًا ايّ محل من الوَتر حبستَ عليهِ وقرعتهُ تكون نغمتهُ قرارًا للنغمة التي تحصل من الجسّ على المنتصف الكائن بين المحلّ الذي حبست عليهِ اوّلًا بين منتهى الوتر وهذه المسافة دائمًا تتضمَّن الاربعة وعشرين ربعًا طويلة كانت ام قصيرة

❊ مقدّمة ثانية ❊ اذا كان ثبت ممّا تقرَّر ان نصف الوتر الاول يحتوي على الاربعة وعشرين ربعًا وان النصف ممّا بقي وهو ربع جميع الوتر يحتوي ايضًا على الاربعة وعشرين ربعًا جواب الاوَّل فوجب من هذا ان يكون مقياس الربع من القسم الثاني بقدر نصف مقياس الربع من القسم الاول وهذا النقصان حاصل من دخول القصر على طول الوتر. النتيجة ممّا تقدَّم انَّ قصر الوتر موجب لقصر مقياس الربع ومن المعلوم ان الربع الاول يكون مقياسهُ باعتبار ان الوتر كائن على غاية طولهِ. وامّا الارباع التي بعدهُ فكل منها قد نقص طول الوتر بالنسبة اليهِ بمقدار طول المقياس ممّا تقدَّمهُ من الارباع ولذلك وجب ان كل ربع ينقص مقدار قياسهِ عن الربع الذي تقدَّمهُ بنسبة نقصان طول الوتر الذي هو مقدار قياس الربع المتقدّم عليهِ حتى ينتهي الامر الى الاربعة وعشرين ربعًا التي هي نهاية الديوان الاوَّل الكائن عند منتصف طول الوتر(١ وحينئذٍ

---

١) ولنا في ذلك برهان حسابي فلنفترض انك لتناول الربع الاول تحبس الوتر على ٣٦/٣٥ من طولهِ اي تعبث ٣٦/١ منهُ (اي ٣٦/١ المتر اذا كان الوتر يساوي مترًا واحدًا) فترى جليًا انك لاستخراج الربع الثاني لا تحبس ٣٦/٣٥ الوتر بل ٣٦/٣٥ × ٣٦/٣٥ الوتر لان بعد الضغط الاول ما كان بقي من الوتر الّا جزء منهُ يساوي ٣٦/٣٥ الكلّ امّا الحاصل من ضرب كسرَين اقلّ من المضروبين. وعليهِ ما تحبسهُ من الوتر للحصول على النغمة الثانية وهو ١٢٩٦/١٢٢٥ الوتر اقلّ مطلقًا ممّا حبستهُ للنغمة الاولى لان ٣٦/٣٥ يعلو ١٢٩٦/١٢٢٥ بقدر ١٢٩٦/٣٥ وهاك رسمًا لذلك يظهر لك منهُ ان المسافة من ا الى ب اطول ممّا بين ب و ت وهي اكبر ممّا بين ت و ث وعلمّ جرًّا كلما استخرجت ربعًا جديدًا

نيم حصار ب نيم حصار

الشكل الاول
يكاه

ترى ان الربع الخامس والعشرين صار مقياسهُ نصف مقياس الاوَّل (١ وهكذا يصير السادس والعشرون نصف مقياس الثاني وهلمَّ جرًّا كما يظهر لك ذلك من الشكل الاوَّل المرسوم في هذه الرسالة وهو ان ترسم مثلَّثاً قائم الزاوية طول احدى قائمتهِ (٢ « اب » على قدر ما شئت وطول الثانية « ات » تفرضهُ طول الربع الاول من الطنبور (٣ وتسحب خطاً على وتر الزاوية من رأس القائمة الاولى وهو « ب » الى رأس الثانية وهو « ت » ثم تنصف القائمة الاولى من « ب » الى « ا » فيكون نصفها « ج » فتقسم من « ج » الى « ا » اربعة وعشرين قسماً متساويًا وتسحب على هذه الاقسام خطوطاً موازية للقائمة الثانية وهي « ا ت » حتى تتلاقى الخطوط مع الخطّ المسحوب على وتر الزاوية من « ت » الى « ب » فهذه الخطوط هي موقع طول كلٍّ من الارباع الاربعة والعشرين باعتبار ان القائمة الثانية التي هي « ا ت » هي طول الربع الاول ثم ان شئت ان تعلم طول ارباع الديوان الثاني فتنصف الباقي من القائمة الاولى من « ج » الى « ب » فيكون النصف « د » فتقسم ما بين « ج » و « د » اربعة وعشرين قسماً متساوية وتسحب عليها خطوط متوازية كما عملتَ اوَّلًا فعند تلاقي كلٍ منها بالخطّ المسحوب على وتر الزاوية

---

١) والحق يقال ان الربع الخامس والعشرين في الشكل هو الخط المكتوب عليهِ ٢٤ لانَّنا تركنا الخط الاول بدون رقم لليكاه. وليس احد يجهل ان الديوان الكامل محتوٍ على ٢٥ نغمة و ٢٤ ربعًا او بعدًا (على تقسيم مشاقة) ٢) يريد احد ضلعي الزاوية القائمة ٣) والاصحّ انهُ يكون طول مطلق الوتر وطول الربع الاوَّل هو الخطّ المرقوم ا

يكون طول مقياسهِ وكلّما نصَّفتَ الباقي من القائمة يخرج جوب الجواب الى ما لا نهاية لهُ فبهذا الشكل اتَّضح ان الارباع يتناقص مقياسها على نسبةٍ هندسيَّة لا كما ذكر الشيخ من «ا ت» ارباع الديوان الاوَّل من اليكاه الى النوى يكون طول قياسها متساويًا وانهُ من النوى الى جوابهِ تكون الارباع مثل نصف الاولى لان هذا يستلزم ان يكون البعد بين برجَي الجهاركاه والنوى ضعف ما بين النوى والحسيني وهذا لا يكون بين برجين متماثلين متجاوزَين بل ان هذا التناقص يقتضي بُعد ديوانٍ كامل لما تبيَّن من ان الربع بالجواب هو مثل نصف قرارهِ فظهر من ذلك وقوع الخلل على ما ذهب اليهِ شيخنا المشار اليهِ(١ ولذلك استحسنت

اصلاحنا لشكل مشاقة الاول

ا ب ت ث ج ح

ا ب ت ث ج ح اجزاء متساوية تخرج على التوالي لتناول الارباع فكان ينبغي ان يكون الجزء الاول اكبر من الثاني والثاني اكبر من الثالث الخ الى الرابع والعشرين وانما اكتفينا بستة اقسام اختصارًا للعمل

١) ما تقدَّم من ذكرهِ للشيخ هو دحض مزاعم هذا الموسيقي. فيريد صاحب الرسالة انَّ الوتر اذا انقسم الى اقسام متساوية لنوال الارباع ينبغي ان يكون طول الوتر من النوى الى الحسيني نصف ما بين الجهاركاه والنوى لان على رأي الشيخ ارباع الديوان الثاني متساوية ايضًا وقدرها نصف طول ارباع الديوان الاول وهذا غلط كما يظهر من شكل مشاقة ومقدمتهِ. الَّا ان براهينهُ وعباراتهِ في غاية الاشتباك والابهام لا يكاد يطلّعها مطلع الَّا خبط فيها اول وهلة خبط عشواء وهذا عيبٌ يأخذهُ بهِ كل من حاول ادراك معانيهِ فسبحان مضيء العقول. وعلاوة من ذلك نقول ان شكلهُ الاول و[illegible] [illegible] في زعم الشيخ من الخلل فلا [illegible]

ان اختم رسالتي هذه ببحثٍ لطيف في هذا المعنى يتضمَّن بيان الطرق الموصّلة الى معرفة حقيقة موقع نغمة كلّ ربع وكلّ برجٍ في ذلك الوتر المشدود على الطنبور مُوضحاً ذلك بالبراهين الهندسيَّة والحسابيَّة وذلك ممَّا يحتاج الى فكرٍ ثاقب وتأملٍ دقيق

فاقول انهُ قد تقدَّم الشرح الكافي انهُ عند منتصف الوتر يكون جواب مطلقهِ وهذا امر معلوم بالعقل لا ريب فيهِ. ثم ان النصف الثاني يكون عند نصفهِ جواب الجواب وهكذا كلما نصَّفت الباقي يكون جواب ما نصَّفتهُ واذا تقرَّر هذا فنقول: ان النصف الاوَّل هو الديوان الاوَّل المحتوي على اربعة وعشرين ربعاً من اليكَاه الى النوى ونصف النصف الثاني هو الديوان الثاني وهو يحتوي ايضاً على اربعة وعشرين ربعاً من النوى الى جوابهِ الذي يقال لهُ رمل توتى فاذا قسمنا كلّاً من القسمين المذكورين الى اربعة وعشرين قسماً كان بالضرورة مقياس كل ربعٍ اي قسمٍ من اقسام القسم الاول ضعف كل قسم من اقسام القسم الثاني لان نسبة الاجزاء الى الاجزاء كنسبة الاضعاف الى الاضعاف وعلى هذا يكون قياس الربع الاول من الديوان الاول مثل ضعف القسم الاوَّل من الديوان الثاني. وهكذا كل قسم من ارباع الجواب يكون مثل نصف قسم الربع الذي يقابلهُ من ارباع القرار. واذا قد ثبت بالبرهان ان طول الربع[1] متعلّق بطول الوتر وجب ان يكون الربع الاول أطول الارباع والذي يليهِ اقصر منهُ. وهكذا كل ربع يُقصر عمَّا قبلهُ على نسبةٍ هندسيَّة الى الجواب الذي هو نصف الوتر فيكون

يخلو هو نفسهُ من الخطإ البيّن وهو انك ترى فيهِ طول الوتر ينقص من ربعٍ الى ربعٍ على نسبةٍ متوالية عددية (en progression arithmétique) بينما كان الواجب ان يتناقص نسبةً هندسيةً (en progression géométrique) وهذا من المقرَّر قد بيَّنا منهُ جانباً في رسمنا الاخير حيث اظهرنا ان استخراج الارباع او مهما كان من النغمات المتساوية المتوالية لا يتمّ بحذف اجزاء من الوتر متساوية بل مختلفة عن بعضها يكون كل جزء منها اقصر من الذي حذفتهُ قبلًا فاوردنا مثلًا عن نسبة كسورية ٣٦/٣٥ تكون عبارةً عن الربع الاول فرأيت ان القسم المحذوف كان ٣٦/١ او ١٢٩٦/٣٦ للربع الاول ثم لاحظت ان الجزء المحذوف للربع الثاني لم يكن مساوياً للاول بل اقل منهُ ولو كنَّا أتممنا بيان الامر لأدركتَ ان الثالث هو اقل من الثاني وهلمَّ جرًّا لان تلك التتائج نتائج ضرب الاعداد لا جمع او طرح. وهذا ما اعتمد صحَّتهُ صاحب الرسالة نقضاً للشيخ الَّا ان رسمهُ خالف قولهُ من جهةٍ فترى في شكلنا ان الاجزاء المُبطلة متساوية بينها الى ان ينتهي العمل الى نصف مطلق الوتر وهذه نسبة متَّصلة حسابيَّة لا هندسيَّة كما كان الصواب وسنرجع الى تقسيم الوتر الى اربعة وعشرين ربعاً

قياس الربع الواقع عند النصف مثل نصف قياس الربع الاول وهكذا يؤخذ في التناقص بالديوان الثاني والثالث فيتكوَّن من ذلك مثلَّث قائم الزاوية وهو مرسوم في الشكل الاول المتقدّم شرحهُ آنفًا. فعلى هذا لو كان طول الربع الاول من الديوان [الثاني نصف قيراط] الاول قيراطًا واحدًا لكان طول الربع الاول من الديوان الثاني نصف قيراط. واماً وجه استخراج معرفة طول كل ربع بالطريقة الحسابيَّة فهو ان تضرب الاربعة وعشرين ربعًا في مثلها وتضرب الحاصل في اربعة وعشرين وهلمَّ جرًّا الى ان يبلغ الضرب في الاربعة وعشرين ربعًا وعشرين مرَّةً مهما بلغ العدد فهو مخرج الكسر لهذه المسألة وحينئذٍ تقسم هذا المخرج على اربعة وعشرين فخارج القسمة هو سهام الربع الاوّل فتطرحهُ من المخرج فما بقي تقسمهُ على اربعة وعشرين وخارج القسمة ايضًا تطرحهُ ممَّا بقي من المخرج بعد طرح سهام الاول لان سهام الربع الثاني وما بقي ايضًا تقسمهُ على اربعة وعشرين وخارج القسمة ايضًا هو سهام الربع الثالث وتفعل كما فعلت بالاول والثاني حتى تستخرج سهام الاربعة وعشرين ربعًا ثم تجمع هذه السهام وتطرحها من اصل المخرج وما بقي من المخرج تردّهُ على السهام بعمل النسبة لتكون كميَّة مجموع السهام كمقدار المخرج. ومهما بلَغتْ سهام كل ربع فنسبتها الى المخرج كنسبة مقياس طول ذاك الربع الى طول نصف الوتر المشدود على الآلة ولمَّا كان يندر وجود العارفين بضوابط فنّ الحساب من ارباب صناعة الموسيقى كان استخراج ذلك بوجه حسابي يقرب من المستحيل لاسيا ان هذه المسألة تبلغ اعدادها الوفَ الوفٍ كثيرة فيعسر على الغير الحاذقين في فنّ الحساب ادراك نسبة اعدادها. هذا عدا التعسُّرات التي تحصل من عدم آلةٍ مدقّقة تُعين على ضبط قياس كسوراتها فلذلك اخترت ان اورد لاستخراجها طريقة هندسيَّة بان يُرسم شكل هندسي تؤخذ منهُ النتيجة المقصودة بواسطة المقياس من غير تكلُّف لمعرفة نسبة الاعداد (١

١) ولنا اقوال كثيرة في هذه الطريقة الحسابيَّة الوَعرة اوَّلاً ان هذه المسألة كما اثبتها المؤلف تبلغ اعدادًا تدهش العقول فانها تبتدئ بقوَّة ٢٤ الرابعة والعشرين اي (٢٤)[٢٢] ومخرج مثل هذا العمل الحسابي هو عددًا يشمل ٣٤ رقمًا اولها ....١٣٣٣٧٣٦ وقد حصلنا على معرفتهِ بحساب لوغارثمي (logarithme) فمن تُرى بطاقتهِ ان يكمّل اعمالاً طويلة يكون أُسُّها عددًا يبلغ ما وراء الرُتَب والطبقات

ثانيًا وان سلَّمنا ان صاحب الرسالة استخدم هذه الواسطة لعظم جلدهِ وثبات صبره

فاقول ان طول فُسحة الطنبور من مبتدأ مطلق الوتر عند رأس الآلة الى منتهى الوتر المطلق اعني الى حدّ الجحش يُقسَم الى قسمين متساويين . فالقسم الاول منها هو من جهة رأس الآلة يحتوي على الديوان الاول من اليكّاه الى النوى . والقسم الثاني اذا نصّفت ما بينهُ وبين الجحش فعند المنتصف يكون جواب النوى وهذا النصف الذي هو من النوى الى جوابهِ يحتوي ايضاً على الديوان الثاني من النوى الى جوابهِ الذي يقال لهُ ايضاً رمل توتى وذلك جواب الديوان الاوّل كما تقرَّر من تفصيل ذلك آنفاً . واذا عُلم ذلك فنقول : بما ان الديوان يحتوي على اربعة وعشرين ربعاً ومقياس الربع الاول من الديوان الثاني يكون مثل نصف مقياس الربع الاول من الديوان الاول فوجب من هذا بمقتضى البرهان الهندسي انهُ اذا كان طول نصف فسحة الطنبور اربعة وعشرين قيراطاً يكون الربع الاول من الديوان الاول قيراطاً وثلث القيراط (* والربع الاول من الديوان الثاني ثُلثي القيراط ليكون الاول ضعف الثاني ويكون تناقص الارباع عن بعضها على نسبة هندسيَّة كما يتضح ذلك من الشكل الثاني فان نصف طول فسحة الطنبور « ا ب

الشكل الثاني

الشكل الثالث

وحصل على نتيجة صحيحة فلا يمكن امتحان صحَّة طريقتهِ لابهام والتباس وقع في كلامهِ حتى ان القارئ لا يقدر على معرفة ما يجب طرحه او قسمه وربَّما كان هذا من تصحيف الناسخ

ثالثاً اذا سألنا احدٌ عن الطريقة الاعتيادية الموصلة الى تقسيم وترٍ ابعاداً متساوية نجيبهُ ان هذا موضوع فصل من فصول كتب الطبيعيات حيث يُشرح على اي نمط قسموا الديوان الى اثني عشر نصف برج متساوية (12 demi-tons égaux) حتى وصلوا الى ما سمَّوه الديوان المتعدل (la gamme tempérée) وهذه الطريقة بان تقسم ١ على $\sqrt[12]{2}$ اي $\frac{1}{\sqrt[12]{2}}$ ثم $\left(\frac{1}{\sqrt[12]{2}}\right)^{2}$ او $\frac{1}{\sqrt[12]{2^{2}}}$ ثم $\left(\frac{1}{\sqrt[12]{2}}\right)^{3}$ او $\frac{1}{\sqrt[12]{2^{3}}}$

ت ث » ومن « ت » الى « ا » قيراط واحد ومن « ث » الى « ب » قيراط واحد ايضاً . فاذا سحبنا خطاً مستقيماً من « ج » الواقع على ثلثي القيراط ماراً على لفظة « د » التي هي نصف طول الشكل كانت نهايتهُ عند « س » بعيداً عن « ا » بثلث قيراط فيكون من « ث » الى « ج » نصف المسافة من « ت » الى « س » والذي نقص من « ب ج د » زاد في « ا س د » فحصل من هذا الشكل مثلث قائم الزاوية مقطوع على نصف قائمة التي هي منهُ « ت » الى « ث » اذ لو وصلت الخطَّ « ت ث » بخط مثله الى « ص » بحيث تصير « ث » في منتصف الخط بين « ت ص » ثم وصلت الخطَّ « س د ج » بخط مثله على استقامة التلاقي في « ص » كما يظهر لك من الشكل الثالث فيكون مثلَّث قائم الزاوية احدى قائمتيهِ « ت ا س » والاخرى « ت ث ص » ووترها « س د ج ص » فهذا المثلَّث نصفهُ الاول من « ت » الى « ث » وهو الديوان الاول ونصفهُ الآخر من « ث » الى « ص » فاذاً نصفهُ عند « ط » يكون من « ث » الى « ط » الديوان الثاني وهكذا كلما نصَّفت الباقي يكون جواب الجواب الى ما لا نهاية لهُ . ومن ذلك عُلم انَّهُ اذا اردتَ قسمة فسحة الطنبور على اي نوعٍ كان من الاقسام تكون قسمتها بمقتضى هذا الشكل بان يكون القسم الاول زائداً مقدار ثلث اصلهِ والقسم الاخير ناقصاً مقدار ثلث اصلهِ فاذا كانت القسمة الى ابراج كبرى كبرج العشيران وامثالهِ فضمَّنهُ اربعة ارباع هي سدس نصف فسحة الطنبور عبارة عن اربعة ارباع قراريط منها فيلزم ان يكون الاول خمسة قراريط وثلث القيراط والاخير قيراطين وثلثي

وهلمَّ جرًّا وتنال منهُ طول الوتر لاستخراج الانصاف المتساوية واجرينا هذا العمل لتقسيم الى ٢٤ ربعاً مبدلين ١٢ الى ٢٤ فكانت النتيجة بواسطة اللوغاريتمة :

$\left(\frac{1}{\sqrt[24]{2}}\right)$ = ٠,٩٧١٥٣٢٠٠٠٠٠ للربع الاول (فاخذنا ١ افتراضاً ان طول الوتر هو متر ١)

$\left(\frac{1}{\sqrt[24]{2}}\right)^{2}$ = ٠,٩٤٣٨٧٠٠٠٠ المربع الثاني الخ . . فمن الواجب ان ينتهي العمل الى ٠,٥٠ وهو طول الجواب

*) والقيراط هنا بمعنى قسم من اقسام طولٍ متجزّئٍ الى الاربعة وعشرين ومماَّ لا يخفى ان ليس لهُ طول معيَّن . اماَّ قولهُ ان الربع الاول من الديوان الاول يكون قدرهُ قيراطاً وثلث فهو [illegible] قد امتحنا صحتهُ مقدار ما بلغنا من الكسورات في العددَين السابقَين

*

القيراط واذا كانت القسمة الى ابراج صغرى كبرج العراق وامثاله فضمّنهُ ثلاثة ارباع عبارة عن ثلاثة قراريط من نصف فسحة الطنبور فيلزم ان يكون اربعة قراريط والاخير قيراطين

وفي الاجمال نقول انَّ البرج الكبير يكون جزءًا من تسعة اجزاء من كلّ طول فسحة الطنبور والصغير جزءًا من ستَّة اجزاء كلّ الفسحة . وبما اننا قد انتهينا من شرح المبادئ الموصلة الى الغرض المقصود ساغ لنا ان نشرح كيفيَّة رسم الشكل المقتضى رسمهُ لاجل ما يؤخذ منهُ قياس رباط ذاك الطنبور المراد ربطهُ (التتمَّة للعدد القادم)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٤ مجاري المياه في لبنان

لا يتمُّ وصفنا السابق لينابيع أفقة ولبحيرة اليمُّونة إِلَّم يحطْ قرَّاؤنا علمًا بحالة لبنان من حيث مسايل الميـاه في جهاتهِ المختلفة وذلك فنٌّ يلحق بفنّ الجغرافية يدعوهُ الفرنج الهدروغرافية اي رسم المياه وفي تعريف مجاري المياه في لبنان فوائد مرتبطة بتاريخهِ ارتباطًا لا تنفصم اواريهُ . وقد ادرك الاقدمون ما في هذا الامر من الشأن الخطير حتى انَّهم اعتبروا بعض عيون لبنـان ومياههِ المتفجِرة كآلهةٍ حيَّة اكرموها إِكرامَهم لمعبوداتهم المختلفة . وقد أتينا بشواهد على ذلك في ذكر عين أفقة ونهر ابراهيم المخصَّصين لاكرام الزُهرة وتمُّوز

ومن المعلوم ان لا خصب للتربة في الشرق اذا ما انقطعت عنهـا المياه او قلَّت كمِيَّتها بحيث لا تفي بحـاجة الزراعة . وما بلغ لبنان من العمران ما بلغ الَّا لغزارة مياههِ وكثرة مسايلهِ

ومن لطف الخالق انَّ طبقات لبنان العليا تتركَّب من عناصر كلسيَّة كثيرة التفتُّت نَخرة ينساب الماء فيها دون عائق ويتسلسل في منافذ ضيّقة ثمَّ يتجمَّع في مغاور تحت الجبال كأنَّها خزانات للماء يفيض منها الى اسافل البلاد . ومن المَدَد الذي يجري الى تلك الاحواض الطبيعيَّة الماء المتكوّن من الثلوج الذائبة في قمم لبنان ومادَّتها لا تكاد تنقطع عنها ابدًا فانَّ جبل صنّين مثـلًا ووادي الارز والنُقَر المحيطة بهما عبارة عن

احواض من الثلوج يبلغ عمقها من ٣٠ الى ٧٠ مترًا وطولها من ٧٠ الى ٣٠٠ متر عرضًا فلا يزال مددها متواصلًا يجري الى المغاور والاوشال التي منها تحصل الجداول والانهار والبُحَيرات الموجودة في باطن الجبل

وقد اخبر المهندسون الانكليزيون الذين عُهد اليهم سنة ١٨٧٣ فحص مياه نهر الكلب انهم ركبوا قاربًا وتتبَّعوا مجاري هذا النهر في اعماق الارض. فلمَّا قطعوا ١٢٠٠ متر وصلوا الى بحيرة واسعة غزيرة المياه يبلغ عمقها بضع مئات من الامتار وكان ماؤها زلالًا شديد الصفاء والبرودة. وكان يتدلَّى من سقف المغارة عُمُد لطيفة من الماء المتحجر (stalactites) وكانت عُمُد اخرى (stalagmites) تخرج من حضيض الارض وجوانب البحيرة فتنتصب مرتفعة كشُمُع. فحاولوا ان يقطعوا تلك البحيرة ويتقدَّموا في اسراب الجبل فلم يقووا على ذلك فانفتلوا راجعين

واجتهد غير هؤلاء الانكليز من ارباب الهندسة ان يزوروا مغاور أفقة فتقدَّموا في منافذها المتعدّدة ووجدوا جداول واحواضًا من الماء لكنَّهم لم يبلغوا الى نهايتها. وهذا ممَّا يؤيد رأي من قال ان بين افقة وبركة اليمونة وصلةً تجمع بينهما

وهذه المياه الوافرة المخزونة في اعالي الجبال واوشالها الباطنة تنصبُّ شيئًا فشيئًا الى الأهوية والبطاح على حسب اعطاف الجبل وأسرابهِ المختلفة. وربَّما وصلت المياه الى سفح الجبال بشدَّة غريبة فتنفجر وتفور صاعدةً في الجوّ ثم تجري من نبعها كأنَّها النهر في كثرة مياههِ. ترى ذلك في نبع نهر بيروت وانطلياس وجعيتا وخصوصًا في نبع نهر العاصي عند خروجهِ من مغارة مار مارون بقرب هرمل. وليس في الشام كهذا النبع يتفجَّر بقوَّة عجيبة من بين الصخور كأنَّهُ مدفوع بمضخَّة (طلمبا) قويَّة ثم يمتدّ في مسيل طولهُ ١٥ مترًا الى ١٧

ومن خواصّ عيون لبنان انقطاعها في بعض فصول السنة. وقد ذكرنا هذا في غضون كلامنا عن بحيرة اليمُّونة. وقد لحظ الاهلون مثل ذلك في نبع نهر بيروت المعروف بالديشونيَّة كما ورد في المشرق (١ : ٢٣٧) وشرح اسباب هذا الانقطاع حضرة الاب صالحاني. ولعلَّهُ يوجد سبب آخر لوقوف مياه هذا النهر وذلك اذا انهار شيء من الردم والصخور فحال مدَّة دون مجرى المياه. ففي غرَّة سنة ١٨٣٧ لمَّا اصاب مدينة صفد زلزال هائل نقض ابنيتها وهدم بيوتها انقطعت بغتةً مياه نهر بيروت ولم تعد الى

مسيرها الّا بعد مدّة وكان لونها ضاربًا الى الحمرة ففهم الناس انّ قسمًا من الجبل تهوّر في المياه الداخليّة وحجز دونهـا. وقد ذكرنا في البشير (في تاريخ ٢٣ ت ١ من هذه السنة) ان بعض التراب والصخور انهارت من سقف المغارة التي يخرج منها نهر الكلب فتناقصت المياه من جرّاء ذلك مدّة ساعتين الى ان دفعت المياه الحاجز من طريقها وعادت تجري كمألوف عادتها. هذا وفي تقسّم المياه على جوانب لبنـان فائدة كبرى تجدي نفعًا كلّ بلاد الشام فضلًا عن الجبل وحدهُ. فكما انّ النيل يحيي البلاد المصريّة كلها كذلك لولا لبنان لأصبحت بلاد الشام كصحراء غامرة لا خير فيها كصحارى جزيرة العرب. فانّ لبنان يمتصّ فوق رباهُ نداوة البحر ويجذب الأبخرة المتصاعدة الى الجوّ فتتكاثف وتنزل على قممهِ امطارًا وثلوجًا تتوزّع من ثمّ على جميع انحاء الشام على هيئة ينابيع وجداول وبُحيرات. فلو عُدم لبنـان لنضب نهرا العاصي والليطاني بل ليبست كلّ مسايل سواحل فينيقية. وما كنتَ لتجد شيئًا من حدائق طرابلس ورياض بيروت وبساتين صيداء وبطاح البقاع المخصبة بل كنت ترى مفازات مقفرة تمتدّ مدى البصر وهي جرداء صلعاء ليس في أرمالها ديّار ولا نافخ نار (ستأتي البقيّة)

وسائلنا التجاريّة

لجناب الاديب عبدالله افندي رزق الله شارّ من مأموري معية ولاية بيروت الجليلة

لمّا كانت الوسائل التجاريّة من اهمّ عوامل هذه المهنة ومسهِّلاتها رأينا من اللزوم ذكر نصيب الممالك المحروسة من هذه الوسائط الفعّالة:

١ الانهار: (navigation intérieure) من امعن النظر في خريطة المملكة العثمانيّة رأى انهارها القابلة لحمل المراكب قليـلةَ العدد وبعضها قصيرة المجرى. اعظمها في شمال الروملي نهرُ الطونة (Danube) المشهور. ومن انهارها مريج ووارادار وبويانه. لكنها لا تحمل البواخر الجسيمة بل تصلح لنقـل الذخائر والكرسته على الجواري الصغيرة. وانهـار الاناضول عديدة كقزيل ايرمق ويشيل ايرمق وميخاليج وكدوس وكوجك مندرس وبيوك مندرس وسيحان وجيحان والعـاصي. الّا انّ اعظمها فائدةً واكثرها رواجًا للتجـارة هو شطّ العرب المؤلف من الفرات ودجلة. فتمخرهُ السفائن بسهولة من بصرة الى بغداد. وللعرب هنالك أطوافٌ يسمُّونها كلكات ينقلون عليها من دياربكر حتى بغداد انواع السلع والامتعة

لا جرم ان تطهير هذه الانهار وتعميقها ولاسيا دجلة والفرات يعود على التجـارة والبلاد بالرواج والنفع . فتكثر المواصلات في داخليَّة البلاد وينفسح مجال الاخذ والعطاء فتزيد الارباح ويعمّ العمران . حقّق الله الآمال

٢ الطرق البرّيَّة العاديَّة : بلغ مقدار هذه الطرق الآن تقريباً ١٣٤٧٨ كيلومترًا. على انَّها لم تزل والحقُّ يقال قليلة بالنسبة الى مملكتنا الوسيعة

٣ الخطوط الحديديَّة : وجّهت الحكومة السنيَّة منذ زمن همّتها الى توفير هذه العروق الحيويَّة في جسم بلادها جامعةً فيها بين منافع ترويج التجارة وتعبية الجيش . وقد نشرت مؤخرًا جريدة ديوان التجارة (chambre de Commerce) في الاستانة العليَّة جدولًا اعدّهُ المسيو الكسري مدير السكَّة الحديديَّة بين دار السعادة وسلانيك يُستفاد منهُ انَّ طول السكك المذكورة بلغ حتى الآن ٤٩١٤ كيلومترًا . وهذه مفرداتهـا :

في الروملي : الخطّ الشرقي ١٢٦٣ كيلومترًا = خطّ سلانيـك ودار السعادة ٥١٠ كيلومترات = خط سلانيك ومناستر ٢١٩ ك

في الاناضول : خط حيدر باشا وانقره ٤٨٥ كيلومترًا = خط اسكيشهر وقونيه ٤٤٤ ك = خط اسكي قصبة ٢٥٥ ك = خط يكي قصبة ٢٥٢ ك = خطّ آيدين ٥١٦ ك = خطّ بيروت والشام ٢٥٠ ك . المجموع ٤١٩٤

على انَّ صفير القطار لا يلبث حتى يُسمع بين حيفـا ودمشق ويرنّ صداهُ في بيرهجك وبغداد كما بشَّرتنا بذلك الجرائد . فتجاري عجلاتهُ مياهَ الرافدَين (دجلة والفرات) وتخترق مفاوز الجزيرة المخصبة وتقرّب بعيد الخافقين . تلك ضالَّة الجميع المنشودة وغايتهم المقصودة

٤ المسالك البحريَّة والاساكل التجاريَّة : لمملكتنا سواحل عديدة على اهمّ البحار الكرة كالبحر الاسود ومرمرا والارخبيل والادرياتيك والمتوسّط والاحمر وخليج العجم طولها نيف وثلاثين الف كيـلومتر يصلح اعظمها لدخول السفائن الكبيرة . واشهر اساكلنا التجاريَّة الاستانة وازمير وسلانيك واسكندرونة وبيروت وطرابزون وبصرة وبغداد يتّجرون مع كافة اقطار العالم ويصدرون الى الخارج محصولات البلاد ومصنوعاتها

٥ بحريّتنـا التجاريَّة : بلغ سنة ١٨٩٧ عدد بواخرنا التجاريَّة ١٠٤ سفن

محمولها ٤٨٥٧٢ طنًّا ومقدار المراكب الشراعيّـة ١٠١٠ قطعة محمولها ٢٠٠٦٣٤ طنًّا. وفي سنة (٩٥ — ٩٦) دخلت المرافئ العثمانيّة وخرجت منهـا ٤٦٢٢٣ باخرة محمولها ٣٥,٥٢٣,٤٣٨ طنًّا. وهاك جدول السفائن الواردة الى الاساكل العثمانيّـة والصادرة عنها سنة ٩٤ مع بيان جنسيّتها :

الراية	باخرة	مركب شراعي	طن
الدولة العلية	١٢,٢١٦	١٣١,٠٤٣	٧,٣٧٠,٠٨٣
المانية	٤١٣	١١	٤٣٥,٢٣٤
انكلترة	١٤,٧٦٣	٤٧٢	١٤,٤٤٦,٦٢٢
النمسة والمجر	٤,٦٢٣	١٢٦	٤,٣٣٩,٩٠٤
باجكة	٨٤	—	١٥٠,٥٠٨
دنمرك	١٨٣	١	٢٠٠,٤٦٠
اسبانية	٤٠	—	٢٤,٥٩١
فرنسة	١,٦٦٣	٥٦	٢,٢٦٨,٤٤٧
اليونان	٧,٥٦٦	٩,٨٠٣	٣,٧٥٦,٧٣٩
فلمنك	٢٤٦	٢	٢٧٤,٩٢١
ايطالية	١,٢٥٤	٤٩٩	١,٤٩٩,٢٦٠
الجبل الاسود	—	٢٥٦	١٢,٢٢١
العجم	—	٣٩٩	٢١,٧٥٦
رومانية	٣	١٢	١,٦٣٥
روسية	١,٤٢١	٢١٥	٢,٠٦٩,٦٣٠
سيام	—	٤,١٨٧	٥٤,٥٠٧
اسوج ونوروج	٦١٨	١	٦٩٨,٩٣١
زنجبار	١	٣	٥٥٣
مختلفة	—	١١٣	٢,٤٥٧
المجموع	٤٥,٠٩٤	١٤٧,١٨٩	٣٧,٦٢٨,٤٥٩

٦ البريد والبرق : بلغ عدد مراكز البريد العثماني في الممالك المحروسة حتى سنة (٩٢ — ٩٣) ١٦٤٩ مركزًا وبلغت وارداتهُ ٢١,٣٥٨,٩١١ قرشًا ونفقـاتهُ ٧,٢٣٦,٨٢٩ وبلغ عدد مراكز التلغراف ٧١١ مركزًا وطول خطوطه ٣٥١٠٣ كيلومتر ومجموع طول الاسلاك البرقيّة ٥٤٣٦٦ كيلومترًا . وعدد التلغرافات العموميّة في السنة المذكورة ٣,٠٢٦,٠٨٥ تلغرافًا منها داخليّة ومقدارها ٢,٣١٨,٢٢٢ وخارجيّـة

(internationaux) ٤٤٢,٤١٥ ومارَّة داخل الممالك الشاهانيَّة (transit) ٥٨,٧٨٠ ومجانيَّة (service) ٢٥٦,٦٦٨ . امَّا واردات التلغراف فبلغت ٦٢,٥٥٠,٤٦٢ قرشًا ونفقاتهُ ٢٧,٥٦٤,٨٨٤ . والدولة العليَّة داخلة في اتحاد البريد والبرق الدولي الذي ذكرناهُ آنفًا . وقد مُدَّ اوَّل خطٍّ برقيّ في الممالك الشاهانيَّة سنة ١٢٧١ مالية وجرت المخابرة الاولى بين الاستانة وادرنة في رابع شهر آب من السنة المذكورة . ومُدَّ من بعد هذا الخطّ الى شنمي وورانه ومنها الى شبه جزيرة القرم . واوَّل نبإ برقيّ ورد من المحل المذكور الى دار السعادة باللغة الفرنسيَّة وهذه ترجمتهُ : « دخلت سيواستبولَ جنودُ الدول المتفقة » في ١ ايلول سنة ١٨٥٥

٧ المصارف : ان اكبر موسَّساتنا الصرافيَّة هو البنك العثماني تشكَّل برأس مال ١١ مليون ليرة عثمانيَّة وفُتح بموجب الارادة السنيَّة في ٤ شباط سنة ١٨٦٣ وكانت مدَّة امتيازه في اوَّل الامر ٣٠ سنة الَّا انها بلغت عام ١٨٧٤ الى ٥٠ سنة وموخرًا الى ٦٢ سنة من بدء الامتياز . ولهذا المصرف شعبات في عواصم اوربَّة ومراكز الولايات الشاهانيَّة وبعض الالوية المهمَّة . على انَّ لبعض بنوك اوربَّة ايضًا مثل قره دي ليونه (le crédit lyonnais) شعبات في بعض مدننا الكبيرة

ولمَّا رأت الدولة العليَّة احتياج الزرَّاع احيانًا الى النقد واحتكار بعض الصيارفة وخداعهم اسَّست سنة ١٨٨٩ بنكًا زراعيًا في دار السعادة وفتحت لهُ شعبات في اكثر البلاد العثمانيَّة تسهيلًا لاشغال الزرَّاع ودفعًا لاحتياجاتهم . وقد باشر البنك المذكور معاملاتهِ برأس مال ٣٦٠ مليون قرش . وبلغ عدد شعباتهِ في الممالك المحروسة نيِّف و٤٣٠ شعبة رأسُ مال كلٍّ منها يوخذ سنويًا من حاصلات اعشار القضاء الموجودة فيهِ واحدًا في العشرة

وفي البلاد العثمانيَّة كثير من المصارف الخصوصيَّة لها في ترويج التجارة المحليَّة ايضًا يدٌ بيضاء ونفع كبير

٨ دواوين التجارة : شكَّلت الحكومة السنيَّة هذه الدواوين في مراكز الولايات الشاهانيَّة على ما ذكرناهُ في كلامنا عن مسهِّلات التجارة . غير ان لديوان دار السعادة فقط جريدة تجاريَّة . فحبَّذا لو اقتدت بهِ سائر الدواوين فتنشر كل ما يوول الى احياء التجارة وترويجها في الممالك المحروسة

(التتمَّة لعددٍ قادم)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر الامير فخر الدين عثمان ابن سيف الدين يحيى ابن زين الدين صالح

كان فخر الدين شابًا عاقلًا فطنًا ذا معرفـة وافرة حوى منذ صغر سنّهِ فنونًا من المعارف مع كتابة حسنة وبلاغة وفصاحة. وكتب مدّةً على الزيلعي شيخ الشام بالكتابة المنسوبة ثمَّ جوّد على شهاب الدين ابن جوبان الكاتب بعض تجويد وتعلّم شيئًا من النحو وحفظ ملحة الاعراب للحريري وكان لهُ رغبة في مطالعة الكتب وتواريخ الاقدمين والنظر في كتبهم ولهُ معرفة في القريض والنثر بقريحة شريفة ونَسج المعاني وانشاء الكلام وكان اذا شرع في كتابة شيء من المكاتبات والمراسلات وغيرها اشغلهُ ذلك عن سماع كلام المخاطِب لهُ وعن ردّ الجواب عليهِ. واجمع من رأوهُ على انهم لم يروا احدًا على هذه الطريقة مثلهُ ومثل الشيخ الثقة (كذا) الذي كان نائبًا عن ناظر الجيش في ديوان الجيش بالشام وبالجملة فالمذكور كان جامعًا محاسن كثيرة محتويًا على لطائف عدّة منها ما كان يحفظهُ لبديع الزمان من نظم ونثر وبعض معرفة بالجبر والمقابلة وصناعة الحساب اشتغل في ذلك على نجم الدين كاتب المينـاء في بيروت. وتولّى رئاسة ابيهِ بعد وفاتهِ سنة تسعين وسبعمائة (١٣٨٨ م) وكان عمرهُ اذ ذاك (111^r) قريبًا من ثماني عشرة سنة فحزم رأيهُ وساس نفسهُ سياسةً تعجز عنها الشيوخ الكبار. وسمعتُ من جماعة شيوخ لهم قدمـةٌ في السنّ من البيت ومن غيرهِ انهُ لم ينشأ في البيت مثلهُ في صغر سنّهِ فسلك في رئاستهِ احسن طريقة فشكرهُ قومهُ وكان الناس يتعجّبون من حسن عقلهِ وسياستهِ في صغر سنهِ مع انّهُ قاسى في ايّامهِ صعوبةً ومشقّةً من اختلاف الدول وما جرى بينها من الفتن مع جملة الديون الكثيرة المتخلفة عن والدهِ والمغارم والكُلَف بتغيُّرات نوّاب الشام في تلك السنين. ومع هذا جميعهِ كان ثابت الجأش رابط الحزم قويّ الهمّة شديد العزم حجَّ الى البيت الحرام مع ابيهِ كما تقدَّم ذكرهُ وكان المذكور متوليًا جميع امور ابيهِ

ذكر بعض حوادث جرت في ايّامهِ

في سنة احدى وتسعين وسبعمائة (١٣٧٩ م) خرج السلطان الملك الظاهر برقوق

من سجن الكرك وحضر الى دمشق وحاصرها بعد ان كسر نائبها جنتمر. وكان في ذلك الوقت دولت بار السنجاري عيَّنهُ امراء الطبلخانات بدمشق متوليًا في بيروت. فارسل السلطان برقوق مرسومهُ وهو محاصر لدمشق الى امراء الغرب يستدعيهم بالحضور اليهِ ورسم لهم ان يحملوا على دولت بار المتولّي ويمسكوهُ ان امتنع عن الحضور معهم. وورد ايضًا على دولت بار المذكور مرسوم بمثل ذلك. فاتّفقوا جميعًا وتوجَّهوا الى السلطان برقوق (١ وهو مقيم (111 ^٧) على قبَّة يلبغا محاصرًا لدمشق وطلب منهم رصاص منجنيق كان في بيروت فارسلوا عزّ الدين حسن ابن ظهير الدين عليّ بن جواد لاحضار ذاك

ونظر السلطان برقوق امراء الغرب بعين المحبَّة واستمرُّوا عندهُ في هناء حتى حضر تمرغا منطاش بالسلطان حاجي الملقَّب بالمنصور وبالعساكر المصريَّة. فتوجَّه السلطان برقوق الى شقحب لقتال منطاش ومن حضر معهُ وجعل على ميمنتهِ كتبغا الحمويّ نائب حلب. وكان امراء الغرب مع كتبغا المذكور في الميمنة فكسر عساكر منطاش ميمنة برقوق فانهزم كتبغا وامراء الغرب معهُ وعادوا الى بلادهم وهم يظنُّون انَّ برقوق مكسور مع انهُ كان منصورًا في تلك الوقعة. فلمَّا وصل امراء الغرب الى الغرب وجدوا ارغون من قبل المنطاشيَّة قد حضر الى بيروت متوليًا عليها واجتمع عليهِ علي ابن الاعمى واقاربهُ من تركمان كسروان وجماعة من المنطاشيَّة. وكان الغرب قد عصى عليهم لكون اقاربهم عند السلطان برقوق. فتوجَّهوا لمحاربتهم ونزل اهل الغرب الى قرب الساحل ولم يحسنوا التدبير فاستظهر عليهم المنطاشيَّة وقتلوا منهم تسعين نفرًا ومسكوا منهم جماعة فسمَّروا منهم البعض ووسَّطوا البعض ونهبوا ما وجدوا في بيروت لامراء الغرب. وكان لفخر الدين المذكور في بيروت زيت وصابون وقماش وآلات مختلفة عن والدهِ فنهبوا ذلك جميعهُ (112 ^٢) وحصل على المذكور بذلك ضرر كثير وكان قد حصل عند امراء الغرب من هزيمتهم من شقحب حاصل كبير فتضاعف بما جرى في

١) جاء في حاشية الكتاب ما نصّهُ: اسماء امراء الغرب الذين توجَّهوا الى السلطان برقوق في قبَّة يلبغا: فخر الدين عثمان وعماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين وعزّ الدين ابن حسن ابن ظهير الدين وسيف الدين ابو بكر وناصر الدين محمَّد ابن جمال الدين. وهؤلاء حضروا المصافّ على شقحب خلا عماد الدين الذي رجع الى البلاد عند ما ركب برقوق الى جهة شقحب ولحق باهل الغرب

الغرب من جهة المنطاشيّة . فما تمادى بهم المقام في البلاد حتى تعقّبهم من كان تخلّف عنهم من جماعتهم في شقحب واخبروهم بان السلطان برقوق انتصر على منطاش في وقعة شقحب ثم فاز بهِ في وقعة ثانية بظاهر دمشق وقيل لهم ان السلطان توجّه منصورًا الى مصر وفي قبضتهِ الخليفة والسلطان حاجي ابن الاشرف شعبان والقضاة الاربعة. فلمّا تحقّق امراء الغرب ذلك توجّهوا على الساحل الى مصر وكان توجّههم الى مصر في اواخر محرّم سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة (١٣٩٠م) فكان وصولهم الى مصر عقيب وصول السلطان برقوق حتى ظنّ انهم حضروا في جملة العساكر معهُ وأنفق عليهم مثلما أنفق على العساكر واعطى السلطان برقوق نيابة الشام الطنبغا الجوبانيّ . فلمّا عاد امراء الغرب الى البلاد وجدوا عليّ بن الاعمى وجماعة تركمان كسروان قد طلعوا واوقعوا باهل الغرب وكسروهم وقتلوا منهم جماعة ونهبوا عدّة قرى وكان في جملة المقتولين عماد الدين موسى ابن حسّان بن ارسلان وكان المذكور خير قومهِ واجودهم. فلمّا استقرّت قواعد الدولة الظاهريّة جرّدوا لمقاتلة تركمان كسروان علاء الدين ابن الحرفوش (؟) وعشران البقاع فقتلوا عليّ بن الاعمى وهزموا جماعتهُ (112[٧]) من التركمان وبعد مدّة مسكوا اخاهُ عمر ابن الاعمى ثمّ افرجوا عنهُ بعد حبسهِ مدّة وحصل عليهِ مشقّة

فلمّا جرت الواقعة التي قُتل فيها الجوباني اعطوا يلبغا الناصريّ نيابة الشام. فطلب امراء الغرب ان يكونوا مجرّدين بدمشق فتوجّه فخر الدين وجماعتهُ وحضروا مع يلبغا الناصريّ في الحروب التي كانت بينهُ وبين منطاش بدمشق وقتل جماعة امراء الغرب في هذه الحروب المذكورة عزّ الدين عبد العزيز العسقلاني محتسب بيروت. ولمّا جرى المصافّ بين الناصري المذكور ونعير (؟) البدويّ بارض عذراء بظاهر دمشق كان امراء الغرب مع الناصريّ وكانت الكسرة على الناصري وجرى على عسكر الشام كلُّ مكروه ونُهب امراء الغرب وجميع جماعتهم وجُرح منهم جماعة. وممّن جُرح فخر الدين المذكور في صدغهِ جرحًا بليغًا وفُقد شجاع الدين عبد الرحمان ابن عماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين محمد. وقُتل في ذلك اليوم علاء الدين ابن الحاش (؟) وكان ذا سطوة وكان منطاش قد قتل قبلهُ اباهُ واخاهُ امسكهما في بعلبك. وكان السلطان قد اعطى علاء الدين المذكور امرة طبلخاناة. ولم تزل بلاد الشام في خباط حتى قُتل منطاش وحضر السلطان برقوق الى حلب وقتل الناصريّ فهدأت بلاد الشام بذلك

فلمّا سكن الاضطراب جعل السلطان يولي على الشام في كلّ وقت نائبًا جديدًا فما زال امراء الغرب وفخر الدين في مغارم وتعب حتى تولّى الشام تَنَم (113r)

فاستقرّت القواعد وكانت ايّام تَنَم احسن الايام وكان فخر الدين المذكور بعد وفاة ابيهِ قد شرع في تكملة ايوان بيروت الذي كان عمّره ابوهُ وكان تأخّر من عمله البياض والطراز والترخيم فلم يكمل ذلك حتى جرت حركة المنطاشيّة في بيروت فبطل الصنّاع منهُ ولم يكمل ذلك. وكان فخر الدين قد شرع بوفاء ديون ابيهِ فوفى منها جانبًا ولم يطل عمرهُ حتى يكملها وكان كبير الاجتهاد عليها. وفاتهُ رحمهُ الله تعالى في الثلث الاوّل من ليلة الاربعاء عشرين من شهر محرّم سنة ستّ وتسعين وسبعمائة (١٣٩٣ م). وقد اجمع قول اقاربهِ على انهُ لمّا توفي كان عمرهُ اربعًا وعشرين سنة ومنهم من قال انّها تنقص شهرًا واحدًا ومنهم من قال انّها تزيد اربعة عشر يومًا. ثمّ بعد وفاتهِ بأيّام قليلة كان طاعون هلك فيهِ صبيان كثيرون واطفال وبعض الكبار. وكان عامًّا في سائر البلاد (١

والصغار الذين توفّوا من البيت هم عبد الرحمان سميُّ اخٍ لهُ توفّي قبلهُ واحمد وفاطمة وهؤلاء اخوة فخر الدين عثمان المذكور. وتوفّي احمد ابن شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد وحسن ابن ناهض الدين حمزة ابن فتح الدين محمد ثمّ ابراهيم وكان سميُّ اخٍ لهُ توفّي قبلهُ وهو ابن ناصر الدين الحسين ابن تقيّ الدين ابراهيم بن الحسين ثم عليّ وكان سميّ اخٍ لهُ توفّي قبلهُ. ثمّ احمد ويوسف واختهما اولاد عزّ الدين ابن عليّ بن جواد. هؤلاء جميعهم كانت وفاتهم في جمادى الاولى سنة ستّ وتسعين وسبعمائة (١٣٩٤ م) (113v)

ذكر الامير شجاع الدين عبد الرحمان بن عماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين محمد

كان هذا الامير شجاعًا جوادًا متطبّعًا باخلاق الناس وكان ابوهُ عماد الدين اسماعيل قد نزل لهُ عن اقطاعهِ وهو امريّة عشرة فتجرّد مع امراء الغرب في نوبة يلبغا الناصري صاحب الشام لمّا حارب نعيرَ امير العرب على قرية عذراء بظاهر دمشق وانهزم الناصري المذكور وسلبت عربان نعير عسكر الشام وقتلت منهم خلقًا كثيرًا وسلبوا

١) جاء في هامش الكتاب بيتان في الطاعون :
« قُبّح الطاعون داء ذهبت فيهِ الاحبّه ارخص الانفسَ بيعًا كلّ محبوبٍ بحبّه »

امراء الغرب وجُرح منهم جماعة وفُقد من بينهم شجاع الدين عبد الرحمان المذكور وذلك سنة ستّ وتسعين وسبعمائة (١٣٩٣ م) وكان عمرهُ قريبًا من سبع عشرة سنة وكان مع هذا السنّ رجلًا ملتحيًا يعلق المشط بلحيتهِ وبقي اهلهُ مدّة بعد فقدهِ يرجون انهُ اسير عرب نعير ويعلّلون نفوسهم بعودهِ ثمَّ أيسوا بعد مدَّة واسترجع ابوهُ الاقطاع عن ولدهِ لانهُ لم يكن لهُ ولد ذكر غيرهُ

ذكر الامير بهاء الدين داود بن علم الدين سليمان ابن شهاب الدين احمد

كان رجلًا عاقلًا قليل الجهل ساكن الطباع ريّض النفس لم يكن عندهُ التفات الى شيء من انواع الصيد واللهو ساس نفسهُ ودبّر حالهُ بعقل ودعةٍ. وأُغري بالكتابة فكتب كتابة كيّسة واجود كتابتهِ الثلث وهو دون طبقة ابيهِ المقدَّم ذكرهُ. واشتغل في صناعة الصياغة ونقشهُ جيّد اقتبس الصياغة من خالهِ ناصر الدين محمد (114ʳ) ابن جمال الدين محمد ابن زين الدين. واقطاعهُ ريحان ونصف وهو كان اوّلًا لصلاح الدين من بني اولاد ابي الجيش من عرامون. وكان لصلاح الدين المذكور امريّة خمسة. فاتّفق شهاب الدين احمد واخوهُ سيف الدين يحيي وولدا زين الدين على اخذ هذه الامريَّة وان يجعلاها لولديهما علم الدين سليمان ابن شهاب الدين ولفخر الدين عثمان ابن سيف الدين فلم يحضر المنشور حتى توفّي علم الدين المذكور فتزل شهاب الدين لابن اخيهِ فخر الدين عمَّا كان باسم ولدهِ وبقيت امريّة الخمسة بكمالها لفخر الدين. فلمَّا توفي فخر الدين في عشرين محرَّم سنة ستّ وتسعين وسبعمائة (١٣٩٣ م) جعلوا لبهاء الدين داود نصف امريَّة بواسطة عمَّيهِ شرف الدين وسيف الدين ابي بكر السابق ذكرهما

وكان مولد بهاء الدين داود نقلًا عن خطّ والدهِ المغرب من نهار الجمعة العاشر من شهر شعبان سنة اربع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٣م) الموافق للرابع من شهر شباط. ولمَّا جاء تيمرلنك الى بلاد الشام سنة ثلاث وثمانمائة (١٤٠٠م) وحضر الملك الناصر فرج بن برقوق لمحاربتهِ ارسل قبل وصولهِ الى دمشق مرسومًا الى تنكز بغا نائب بعلبك والكاشف على صيداء وبيروت ان يأخذ عشران البقاع وصيداء وبيروت ويلاقي السلطان الى دمشق فحضر تنكز بغا الى صيداء وبيروت فتوجّه امراء الغرب معهُ وبينهم بهاء الدين المذكور وتوجّه المقدَّمون والعشران من ثلاث معاملات ومعهم متولّي بيروت وهو (114ᵛ) ناصر الدين محمد بن سويدان البيدمري. فلمَّا وصلوا وادي دمَّر وراء جبل الصالحيَّة

وجدوا عساكر السلطان هاربة من تيمرلنك فرجع المذكورون مع الهاربين وتصوَّر لهم ان التيمرلنكيَّة تطردهم فلاذوا هم ايضاً الى الهرب ورموا لبوسهم وبعض سلاحهم وقماشهم ليخفِفوا بذلك عن خيولهم ووثقوا على السرعة بالخفَّة. ففارق كلّ خلّ خليلهُ ولم يلتفت الرفيق الى رفيقهِ وفُقد في ذلك اليوم بهاء الدين المذكور ولم يُعلم لهُ خبر. فمن رفقتهِ من قال: رايتهُ وصل الى البقاع. ومنهم من قال: كان قدَّامنا عند وصولنا الى زبدل. ومنهم من قال: انقطع عند ميسنون ولم يصل الى البقاع. ومنهم من ظنَّ انَّهُ اختلط بعسكر السلطان وراح معهم الى بوادي التيم. واختلف القول في امر المذكور ولكن القول المرجَّح انَّهُ تعدَّى البقاع في اوائل الناس. والمظنون انَّهُ أُصيب عند بساتين زبدل او فوقها والله اعلم « وعند الله تلتقي الخصوم »

وقد أُصيب من عسكر السلطان في ذلك اليوم وبعدهُ من العشران واهل الجبال خلقٌ كثير ومن انفرد من العسكر اباده العدوّ سلباً وقتلاً وبيعت الخيل واللبوس والسلاح بارخص الاثمان. وجرى على المنفردين من العسكر ما لا يستحلُّهُ عبَّاد النار والاوثان فنسأل الله العفو والعافية. وكان هرب العسكر من تيمرلنك يوم الجمعة العشرين من جمادى الاول سنة ثلاث وثمانمائة (١٤٠٠ م) وهو اليوم الذي فُقد فيهِ بهاء الدين المذكور (التتمَّة للآتي)

المشاهد الفتَّانة في رحلة الاستانة

للاب بولس جوون اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

٥

وصفنا في مقالتنا الاولى شيئاً من الآثار القديمة التي تزيّن الاستانة وتذكّر مفاخرها الغابرة فبقي علينا ان نورد عن محاسنها الحاضرة ما راقنا مدَّة اقامتنا فيها

انَّ في عاصمة الدولة العثمانيَّة لموقعها بين قارتي اوربَّة واسيَّة آثاراً لتمدُّنين مختلفين احدهما مستحدثٌ جديد يأتيها من العالم الاوربي والآخر قديم وهو ثمرة الشرق. فامَّا الاول فلا حاجة الى الإطالة في وصفهِ وهو عبارة عن دور رحبة حافلة بأطايب البناء ومخازن كبرى تزدحم فيها الباعة والمشترون ومراسح ومطاعم الى غير ذلك

ممّا يُسرّ بهِ المحدثون وتجدهُ متوفرًا في حارة بيرا . واماّ التمدُّن الشرقي فهو الضالّة التي كنّا ننشدها بمجيئنا الى الاستانة فأحببنا ان نورد لقرائنا ما عثرنا عليهِ من هذا القبيل

قد صُحّف اسم القسطنطينيّة باسطنبول واسلامبول سواء اشتقّ من قنسطنطينوبوليس (Κωνσταντινοπόλις) او من قول الروم : لنذهبنّ « الى المدينة » (εἰς τὴν πόλιν) وزعم البعض ان المراد باسلامبول « مدينة الاسلام » والصواب ما ذكرنا . اماّ «الاستانة» فهو اسمها الفارسيّ ومعناهُ العاصمة او البلدة

والآراء متضاربة في عدد سكّانها فمن مقلّ يزعم ان نفوسها لا تتجاوز ٥٠٠٠٠٠ ومن مكثر يرتأي انّ اهلها يبلغون ١,٢٠٠,٠٠٠ . وانّما نرى اقرب الى الصواب قول من يرجّح عدد الفٍ الفٍ نفس اللهمّ اذا أُحصيت سكّان الاستانة مع دساكرها اللاحقة بها على ضفّتي البسفور كأشكودرة وحيدر باشا وقاضي كوى من جهة آسيّة وكأرباض البلد المتسعة من جهة اوربّة شمالًا . قيل انّ المسلمين فيها يبلغون ٤٥٠٠٠٠ القًا والروم ٣٥٠٠٠٠ والارمن ١٠٠٠٠٠ منهم نحو خمسة عشر القًا من الكاثوليك وعدد اليهود ٧٠٠٠٠ والفرنج ٤٠٠٠٠

والاستانة طيّبة الهواء معتدلتهُ الّا في بعض الشتاء فانّ البرد يشتدّ فيها ويكثر تساقط الثلج وتهبّ نفحات القرّ من البسفور . اماّ الحرّ في الصيف فليس بلافح لما يمرّ على البلدة من النسيم الآتية من الشمال وهي ريح باردة ترطّب هبوات الحرّ . وفي جوّ العاصمة بعض الرطوبة تتكوّن من تبخّر مياه البسفور فتلطّف حرارة القيظ وربّما انعقد البُخار وهطلت الامطار الغزيرة فتكسر شباة الحرّ

وممّا يجعل سكنى الاستانة طيّبةً في الصيف كثرة مياهها وهي تجري اليها بالقني من بحيرة تبعد بضعة اميال عن العاصمة تدعى تيركوس . بيد انّ كثيرين لا يرضون بهذه المياه لشربهم ويؤثرون مياه عيون عذبة ينقلها الحمّارون الى بيوت الخاصّة بجروس (براميل) من ضواحي القسطنطينيّة ومنها ما يؤتى بهِ من عيون عذبة على الضفّة الاسيويّة فيباع بالقناني

هذا وما يزيد القسطنطينيّة بهاء وحسنًا خليجها الشهير المعروف بالبسفور وقد سبق لنا شيء من وصفهِ . واسمهُ مشتقّ من اليونانيّة (Βόσπορος) معناهُ معبر البقرة

وذلك لانَّ بقرةً تقوى على اجتيازهِ بالسباحة لقصرهِ. وزعم اليونان في خرافاتهم انَّ المشتري مسخ الإلهة إيو بقرةً فقطعت هذا الخليج سابحةً. وطول البسفور من بحر مرمرا جنوبًا الى البحر الاسود شمالًا عبارة عن ٣١ كيلومترًا في شرقيهِ و ٣٨ كيلومترًا في جهتهِ الغربيَّة. امَّا عرضهُ الاوسع فلا يتجاوز ٣٠٠٠ متر وهو يضيق بين قلعتي اوربَّة وآسية فيصبح عرضهُ ٥٥٠ مترًا فقط. والجيولوجيون يرتأون انَّ قارة آسية كانت في القرون الغابرة متصلة بقارة اوربَّة وانَّما فتح الخليجَ بينهما سيلٌ عرمرم او زلزال هائل. وهكذا جرى لبوغاز بيرينغ الفاصل آسيَةَ عن اميركة. وعلى ضفَّتي البسفور قصور ومعاهد رحبة ومطاعم وحدائق متواصلة تتوفَّر فيها اسباب الهناء فزرناها وتحقَّقنا صحَّة قول الشاعر عنها:

ودهرٍ بقسطينيَّةٍ قد قطعتُهُ إذ السعد عبدٌ لي جا وخديمُ
بلادٌ هي الدنيا اذا ما قطنتُها فوجهُ الاماني مسفرٌ ووسيمُ
وما هي الَّا جنَّة الخلد بهجةً وما غيرها الَّا لظىً وجحيمُ
فكم في مغانيها قضيتُ لبانةً وزالت عن القلب الكليل همومُ
تقول اذا شاهدتَ عالي قصورها أهذي جنانٌ زُخرفت ونعيمُ
كستها الغوادي حلَّةً سندسيَّةً واهدى شذاها للنفوس شميمُ
يقابلها ذاك الخليج بصفحةٍ كانَّ لها متن السماء خذومُ
ترى السُّفْن فيها جاريات كانَّها جيادٌ فنها سابقٌ ولطيمُ

والحقّ يقال انَّ مرسى الاستانة من اجمل مراسي الدنيا واكثرها حركةً فترى السفن فيهِ بين واردة وصادرة لا تني في مسيرها. وقيل انَّ عدد المراكب التي تدخل ميناء الاستانة في السنة تبلغ نحو عشرين الفًا عدًّا. وقد تولَّت شركة افرنسية ابتناء مرصف للميناء على ضفَّتي قرن الذهب بيد انَّ هذا العمل استلزم مالًا طائلًا لان قرار الخليج هناك بالغ العمق لم يتَّصل اليهِ البنَّاؤون الَّا بمشقَّة. وقد ساخت الارض بقسم من هذا المرصف منذ عهد قريب فاقتضى المهندسين اعادة بنائهِ

امَّا قرن الذهب فهو خليج من البسفور يمتدّ من الشرق الى الغرب الشماليّ طولهُ نحو اربعة آلاف متر وعرضهُ نحو ٥٠٠ ضفَّتاهُ حافلتان بالمخازن فترى في جنوبهِ وغربهِ اسطانبول وفي شمالهِ وشرقهِ الترسخانة وغلطه. وقد دُعي بقرن الذهب لهيئتهِ وغنى الناس الساكنين بجوارهِ وحسن مناظرهِ من جانبيهِ. وعليهِ جسران من خشب على عوَّامات وقوائم ثابتة وهما ينفتحان من وسطهما لعبور المراكب

امّا بيوت القسطنطينيّة فهي مرتفعة ذات طبقات عديدة كدور عواصم البلاد واكثرها مبنيٌّ بالخشب لكثرتهُ وبخس اثمانهِ. ولا غرو انَّ النار تجد لها في مثل هذه الابنية طعامًا سهلًا فتلتهمها بوقت قليل. والحريق احدى آفات الاستانة قيل انَّ معدَّل وقوعها مرَّة في ثلاث ليالٍ. وكثيرًا ما تنتبه في ليلك اذ تسمع صوت العسس يصرخون بملء اشداقهم « يانغين وار » اي « وقع حريق » وهم يقرعون البلاط بهراوى في ايديهم قرعًا هائلًا ثمَّ تسمع جلبة اصحاب المضخَّات يسرعون الى الشوارع المعيَّنة لاطفاء النار وربَّما ساعدوا اللهيب بالنهيب وتلك ثالثة الاثافي. وقد اخبرني كثيرون انَّ الحريق يحدثُ في الغالب عمدًا يقصدهُ اصحاب بعض الحارات طمعًا في ما يضمنهُ لهم من المال شركات الاستعهاد (السيكورتاه) بدلًا من مبلغ معلوم يؤدّونهُ لها. وقد شرع البعض يبنون دورهم او قسمًا منها بالآجرّ يطلونهُ بالدهون كما يفعل الانكليز في بلادهم

٦

وممَّا يبهج مناظر احياء الاستانة مآذنها الرشيقة التي تنطح برأسها الجوَّ كأنَّها المسلّات وهي من الرخام يعلوها رواق مخروط ينتهي الى نقطة. وتحتها قُبب الجوامع على شكل قبَّة ايَا صوفيَا. ودخلنا بعض هذه الجوامع فوجدناها رحبَة لكنَّها لا تضاهي في حسنها جوامع القاهرة. وكثير منها يزيّنها الخزَف الصينيّ المعروف بالقاشاني ذو اللون الازرق او الاخضر وهم يأخذونهُ ترابيع ينظّمونها على طراز جميل ومنها ما هو على شكل الفسيفساء بتصاوير ونقوش حسنة وكتابات جميلة كما ترى في جوسق چينيلي والعثمانيّون مُغرَون باستعمال الخزف المنقوش

ومن الابنية التي تستحقّ الذكر في الاستانة الجواسق والقصور. امّا الجواسق فكلها لطيفة رائقة المنظر تجعل في وسط الحدائق والمروج الخضراء فيجتمع فيها سراة المدينة لرشف كؤوس الهناء والراحة. واحسن جوسق وجدناهُ في الاستانة الجوسق المنسوب لبغداد وهو مثمّن الزوايا. امّا قصور الاستانة فعديدة نخصُّ منها بالذكر قصر يلديز العامر الذي يسكنهُ صاحب العزّ والجلال السلطان عبد الحميد خان ايّد الله اركان دولتهِ مدى الدوران. وهو عبارة عن قصور متعدّدة متَّصلة بعضها على احسن هندام تشرف على خليج البسفور ومناظرهِ الفتانة. وحول يلديز من الرياض الزهيَّة والحدائق البهيَّة والزهور البديعة الالوان والاشجار الباسقة الافنان وعيون المياه الرائقة والاحواض

المتدفقة والجداول المترقرقة ما يبهر الابصار ولا تفي بوصفهِ الاسفار

ومن القصور الشهيرة التي يتوارد الى زيارتها السيّاح طلمه بغجه وبكلربغ وهذا من جهة آسية قد اجتمعت فيهما اصناف البدائع وضروب التحف واللطائف. وباني طلمه بغجه انَّما هو السلطان المعظَّم عبد المجيد خان أنفق عليهِ القناطير المقنطرة فجاء من العجائب التي يندر وجود مثلها في عواصم البلاد لما ضمَّنهُ من المعاهد البديعة العظيمة والردهات الوسيعة الضخمة والنقوش المفرغة في قالب الحسن والبهاء

ومن الابنية الفسيحة في الاستانة عدَّة سرايات ودور شهيرة منها سراي السلطان محمد الثاني شيَّدهُ في محلّ قصر الملك يستنيان وتأنق في تزيينهِ ويزيدهُ موقعهُ جمالًا وقد احترق منهُ جانب في سنة ١٨٦٥. وبجوار هذا السراي باب همايون اي الباب الملكي الشريف وهو باب مرتفع من رخام ابيض واسود وفي قائمتيهِ عمودان صغيران من الرخام وكان يُدخل من هذا الباب الى مقام الانكشاريَّة سابقًا

وسراي السلطان محمد الثاني كان رحب الارجاء يشغل رأس قرن الذهب وكان حولهُ سور حصين. واليوم قد اتُّخذ لمتحف العاديَّات المذكور سابقًا وخُصّص قسم آخر للمكتب الطبي العثماني الذي فيهِ يدرّس صاحبا السعادة مظهر باشا استاذ علم التشريح وخير الدين باشا استاذ الامراض الخارجيَّة وصاحب الرفعة اسماعيل بك استاذ الاكلينيك الداخليَّة الذين قدموا بيروت في هذه الأيَّام الاخيرة لامتحان تلامذة مكتبنا الطبي

وفي السراي المذكور ايضًا مكتبة السلاطين قيل انَّها تتضمن من الكتب الخطّيَّة النفيسة ما لا يُحصى. وهناك ايضًا الخزينة السلطانيَّة التي اسعدنا الحظّ على زيارتها ولا يدخلها احد دون الارادة السنيَّة. وقد شاهدنا فيها من الجواهر الثمينة والحجار الكريمة والاسلحة والآنية والثياب ما لم يتخيَّلهُ وهمٌ. وفي بعض تلك المعاهد ترى تماثيل سلاطين آل عثمان العظام بحللهم القديمة الفاخرة. والسكَّة الحديديَّة تمرُّ اليوم حول سراي السلطان محمد قاصدةً سان ستيفانو

ومن البنايات الشهيرة في اسطنبول الباب العالي الذي منهُ تصدر الاوامر الشريفة وهو بجوار جامع ايا صوفيا ولهُ موقع حسن يشرف على نواحي المدينة وهو عبارة عن دار واسعة تشتمل على ردهات كثيرة يقيم فيها الصدر الاعظم وبعض الوزراء ولهُ مدخلان جميلان احدهما قديم من جهة ايا صوفيا من الرخام الابيض الصقيل والآخر

حديث موقعهُ الى الجنوب لهُ قنطرتان بدعائم من رخام

ومنها ايضاً دار السر عسكريّة في وسط اسطنبول وهو بناء عظيم أنفق في تشييدهِ نحو عشرين مليون فرنك تسكنهُ امارة الجيوش الشاهانيّة. وفي وسط هذه الدار برجٌ رفيع يكشف الناظر من اعلاه على العاصمة كلها. ومنهُ يرقب الحرس ما يحدث من الحريق في المدينة

ومن البنايات الحريّة بالذكر في الاستانة منازل سفراء الدول. وموقع اكثرها في غلطه في مشارفها المطلّة على البحر وهندستها على الطريقة الاوربيّة تُحدق بها الحدائق الحسنة التنسيق الجامعة لكل اصناف الهناء. واجمل هذه القصور واعظمها شأنًا دار سفارة المانية يراها الركّاب عن بُعد من بحر مرمرا فيعجبون من سعتها ورحب مغانيها وهي مبنيّة بالحجارة البيض تكتنفها الغياض الخضرة والرياض النضرة. وليست بقيّة السفارات اقلّ شأنًا من السفارة الالمانيّة لاسيا قصور سفارة الدولة الفرنسيّة والروسيّة والانكليزيّة

٧

وممّا تفتخر بهِ القسطنطينيّة مدارسها ومكاتبها ومطابعها. فالمدارس فيها كثيرة نخصُّ منها بالذكر المكتب السلطاني يدرّس فيهِ نحو خمسين استاذًا اللغات الشائعة في انحاء المملكة العثمانيّة مع فروع العلوم الادبيّة والتاريخيّة والجغرافيّة والرياضيّة يبلغ عدد طلبتها نحو ٥٠٠ طالب من كلّ الملل والطوائف والحكومة السنيّة هي التي تقوم بنفقات دروسهم. ومنها ايضاً مكاتب للفنون العسكريّة وللفقه والحقوق ثم للطب بفروعهِ. ولكلّ هذه المكاتب اساتذة بارعون تلقّنوا المعارف العلوم في مدارس اوربّة الشهيرة. ومن مكاتب الحكومة السنيّة بنكلدي يتهذّب فيهِ الضبّاط على آداب الحرب. ومكتب حلقي من جزائر الامراء لتثقيف الضبّاط البحريين

هذا ولا يسعنا السكوت عن مدارس عديدة زاهرة يتولى تدبيرها المرسلون اللاتينيون كمدرستي الآباء العازاريين في غلطة وبيره ومدرسة الاباء الصعوديين ومدارس عديدة لاخوة المدارس المسيحيّة لاسيا مدرسة قاضي كوي ومدرسة الآباء الارمن المكيتاريين الشائعة الشهيرة وكلّها حافلة بالطلّاب يحرز اساتذتها ثقة الاهلين واعتبارهم

امّا المكاتب فمنها عدد وافر واكثرها بجوار الجامع يصعب الدخول اليها. وقد

تمكّن بعض فضلاء المستشرقين من تدوين قوائمها فنشرها بالطبع وكلها غنيَّة بالمخطوطات الشرقيَّة القديمة. وبعض هذه المكاتب لا يتوصَّل اليهـا العلماء الّا بمشقَّة كمكتبة ايا صوفيا الشهيرة. ومن المكاتب العامَّة الحافلة بالكتب الشرقيَّة مكتبة جامع السلطان بايزيد تحتوي على تآليف عديدة بالعربيَّة والتركيَّة والفارسيَّـة. وقد أُلحقت بالمتحف السلطاني مكتبةٌ علميَّة جامعة للمطبوعات الخطيرة في الآثار القديمة والعاديَّات. فوجدنا فيها من هذا القبيل كلَّ ما كنَّا نتمنَّاه من الكتب الغاليـة الثمن العزيزة الوجود. والمتولّي على نظارة هذه المكتبة سعادتلو مستاكيديس افندي. ولا بدَّ ايضاً من ذكر خزانة كتب المكتب الروسيّ فان فيها اشهر ما الَّفهُ القدماء والمحدثون عن القسطنطينيَّة وآثارها وعن التاريخ البوزنطيّ. وفي دار المجمع الرومي (Syllogue) مكتبة اخرى عامة جديرة بالذكر اهداها للعموم بعض المثرين من اليونان

امَّا المطابع فاشهرها المطبعة العثمانيَّة انشأها عثمان بك وجهَّزها بكل آلات الطباعة الحديثـة للطبـع على الحروف الرصاصيَّة وعلى الحجر وقد تولَّى ادارتها سعادتلو جواد بك بعد وفاة ابيهِ وفيها من العملة ما ينيف على المائتي عامل

وقد تعدَّدت في هذه السنين الاخيرة المطابع فمنهـا بلديَّة ومنها اجنبيَّة. وتوفَّرت كذلك عدد الصحف ينشئها اصحابها بالتركيَّة والعربيَّة والافرنسيَّة واليونانيَّة والانكليزيَّة والفارسيَّة بيد انَّ المبرّزين في هذا الميدان قليلون

امَّا تجارة الاستانة فهي قائمة على ساق لا تزال في ارتقاء ونجاح والدليـل على ذلك كثرة البواخر التي ترسو في مينائها تأتيها من البحر الاسود ومن بحر مرمرا فتفرغ فيها محصولات كلّ البلاد ثمَّ تشحن منها سلع الشرق باجمعهِ فتنقلها الى جميع اقطار الدنيا. ولها تجارة واسعة بالطنافس والبسط الشرقيَّـة والمنسوجات الحريريَّة والقطنيَّة واصناف الحبوب والجلود والبنّ والعفص والتبغ والشمع والفواكه المقدَّدة والحلويات وبعض المعادن والمواشي والخيل. وممَّا يزيد يوماً بعد يوم في تحسين التجارة العثمانيَّـة امتداد الاسلاك الحديديَّة من الاستانة الى البلاد الاجنبيَّة والى انحاء الممالك المحروسة

٨

هذا نظرٌ عامٌ في بعض احوال القسطنطينيَّة ذكرناها بغاية ما امكن من الاختصار وكان بودّنا ان نصف شيئاً من المنازه التي بجوار الاستانة على ضفَّتي آسيَّة واوربَّة بيد

انّ ذلك يؤدي بنا الى الاطالة ونكتفي بذكر اسمائها. فمنها سان ستيفانو على الضفّة الغربيّة وعيلة الى الشمال الشرقي « ماقري كوى » وفي كليهما مقامات يستحمّ بها اهل القسطنطينيّة. ومنها الغياض التي عند قعر الخليج يتردّد اليها الناس لترويح النفس وهناك جامع ايوب الذي قُتل سنة ٦٦٨ م لمّا حاصر المسلمون القسطنطينيّة لاوّل مرّة. والجامع المبنيّ فوق قبرهِ قد بناهُ السلطان محمد الثاني الفاتح وفيهِ السيف الذي يتقلدهُ السلاطين يوم جلوسهم على منصّة الملك. ومنها على ضفّة الخليج روملي حصار اي قلعة اوربّة وهي الحصن ابتناه السلطان الفاتح محمد الثاني فجعل اسوارهُ على شكل حروف عربيّة منطقها « محمد » وانجز هذا البناء بثلاثة اشهر مع انّ سمك السور يبلغ عشرة امتار وطولها يناسب سمكها. ومنها ايضاً ترابيا و بويوكدره وعندها مصايف السفراء وفيهما من المحاسن البديعة ما يكلّ عن وصفهِ اللسان وخليج البسفور ينتهي هناك الى بحر الاسود

امّا المنازه التي على ضفّة آسية فهي من جهة الشمال قصر « اناضولي كياك » شيّدهُ الجنويّون في القرن الرابع عشر وآثارهُ الى اليوم ماثلة تنبئ بهندستهِ العجيبة. ثم جبل الجبّار او جبل يشوع يزعم البعض ان فيهِ قبر يشوع بن نون ثمّ بيكوس من ابهى الرياض وابدع الحدائق ثمّ اناضولي حصار وهي القلعة المواجهة لروملي حصار ثم بلاط بكلر بغ حيث نزلت الملكة اوجينيا زوجة نابوليون الثالث ثم اشكدار من ارباض العاصمة وهي المدعوة عند الاقدمين بخريسوبوليس (Chrysopolis) وعدد اهلها اليوم نحو ٥٠٠٠٠ وبالسهول المجاورة لها غلب قسطنطين الكبير خصمهُ لوكينيوس. ثمّ محطة حيدر باشا يليها جنوبًا قاضي كوى او خلكيدونية التي فيها صار المجمع المسكوني الرابع سنة ٤٥١ وفيهِ ارذلت الكنيسة بدعة اوطاخي

واذا ملت من ثمّ الى الجنوب الشرقيّ وجدت عدّة جزائر صغيرة فهي الجزائر المعروفة بجزائر الامراء والترك يدعونها جزائر الكهنة (پاپاز اداس) واليها كان ينفي ملوك الروم اعداءهم من الامراء الذين قهروهم بالملك لئلا يكيدوا لهم المكايد وربّما كانوا يحبسونهم بعد سَمل عيونهم في بعض الاديرة المشيّدة هناك ليقضوا فيها حياتهم. وهذه الجزائر تُعدّ اليوم من ندوات البسط واللهو يزدحم فيها اهل الثروة للمسرّات. فذكّرتني كلّ هذه المشاهد بقول المعلم بطرس كرامة الشاعر المشهور:

مذ جئتُ اسلمبولَ شمتُ محاسنًا دعتِ المحاسنَ كلهنَّ الى ورا
فلوكها شرف الملوك وربعها خير الربوع واهلها نعم الورى

هذا ورأينا ان نختم مقالتنا بذكر شيء من احوال الكثلكة في الاستانة. فنقول انَّ للكاثوليك في عاصمة المملكة العثمانيَّة مقامًا رفيعًا بعناية المتبوع الاعظم جلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني. وعددهم فيها لا يقلّ عن نحو ٨٠ الفًا بين وطنيين واجانب. واكثر الوطنيين عددًا الارمن لهم في الاستانة كنيستان احداهما في بيره وهي الكنيسة الكاتدرائيَّة زرناها يوم جلوس غبطة البطريرك الجديد السيد عمانوئيليان وكانت غاصَّةً بالشعب يتقدَّمهم اعيان كلّ الملل وسفراء الدول الكاثوليكيَّة. وكنيستهم الاخرى في غلطة وفيها دُفن الامير بشير الشهابي والي جبل لبنان الشهير لمَّا توفي في الاستانة في ٢٩ كانون الاول سنة ١٨٥٠. وللروم الكاثوليك بين يونان وملكيين خمس كنائس يدبر شؤون ثلاث منهنَّ الآباء الكُرْجيون وفي احدى هذه الكنائس في فري كوى نُصب تمثال العذراء الطاهرة المنسوب لسيّدة لورد فجرت عندهُ المعجزات العديدة كما تجري في نفس مدينة لورد وذلك ما حمل بعض المؤلفين على ان يصنّف كتابًا دعاهُ « عذراء لورد في الاستانة » اثبت فيهِ قسمًا من هذه الخوارق العجيبة. وللسريان الكاثوليكيين والكلدان والموارنة في القسطنطينيَّة بعض معابد خاصَّة. وقد اشتهر من الموارنة في الاستانة صاحب العزَّة سليم باشا ملحمة ناظر الزراعة والمعادن. امَّا اللاتينيُّون فانَّ كنائسهم في الاستانة كثيرة منها قديمة ومنها حديثة اشهرها كنيسة الروح القدس وهي الكنيسة الكاتدرائيَّة يُجري فيها القاصد الرسولي الحفلات الدينيَّة ثمَّ كنيسة القديس مبارك والقديسة بولخاريا وكلتاهما في يد الآباء العازاريين. وليس لهذه الكنائس ما تمتاز بهِ. هذا وللمرسلين اللاتينيين والراهبات في الاستانة اعمال مبرورة ومشروعات حسنة توجب الثناء عليهم منها المدارس للذكور والاناث والمستشفيات والمياتم والجمعيَّات الخيريَّة كما هو شأنهم في جميع مدن المملكة العثمانيَّة. وعدد الرهبان فيها ينيف على ١٥٠ راهبًا بين دومينيكيّين وفرنسيسيين وكبوشيين ويسوعيين وعازاريين وصعوديين وقياميين. امَّا الراهبات فعددهنَّ ٣٠٠ من عشر رهبانيَّات مختلفة يسعينَ في كلّ اعمال الخير الروحي والجسديّ اجزل الله ثوابهم جميعًا وجعل مثالهم قدوةً لكلّ اهل الخير

الكلم اليونانية في اللغة العربية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تابع لما سبق)

٥٥ (القيصاثة) قال اللغوي المتفنن الاب لامنس اليسوعي في كتابهِ المترجم بالفروق: « القيصاثة (بثاء مثلّثة فوقيَّة بعد الالف) سمكة صفراء مستديرة » اه. قلتُ: واللغويون اجمعون ذكروها باسم قيصانة (بنون موحدة فوقيَّـة بعد الالف). وهذه أذور على ألسن اللغويين من تلك وان كانت ابعدها عن الاصل منها ومصحَّفة عنها. ولا نعلم عمَّن نقل الاب الفاضل تلك الرواية اذ لم نقف لها على اثر في الكُتُب التي بايدينا وهي باليونانيَّة χρυσωτή اي السمكة المذهَّبة وبالفرنسيَّة Chrysotose *ou* lampris tacheté, *vulg*. poisson-lune وباسان علم الاسماك Lampris guttatus فاسقطوا الراء في تعريبها لانها من احرف الزلاقة وحملًا اياها على الاوزان العربيَّة

٥٦ (الشِلَق) قال في التاج: « الشِلَق بالكسر او ككَتِف سمكة صغيرة او على خلقة السمكة لها رجلان عند الذنب كرجلي الضفدع لا يدان لها تكون في انهار البصرة. وقيل هي من سمك البحرين. وليست بعربيَّة. او هي الانكليس من السمك وهو الجرّيّ والجرّيث عن ابن الاعرابي ». اه بحرفهِ. قلنا وقد نقل الضياء (١: ٣٠٨) بعض هذا الكلام ولم يزده ُ ايضاحًا لا بل زاده ُ ابهامًا لانهُ جعلهُ من الأسماك الدبّابة وهو ليس منهـا. ولفظة الشلق معرَّبة كما قالهُ الزبيدي وهي في اصلها اليوناني اسم Σελάχεια ويُراد بهـا: « كل سمكة يشمل انواعًا من السمك وهو في هذه اللغة غضروفية الهيكل » وهي تقابل ما يُسمَّى اليوم عند الافرنج Chondroptérygiens اي الغضروفية الزعانف ويُريدون بهـا ما كان يريد اليونان بلفظة الشلق اي: الحفوش بانواعها (الحفوش جمع حَفش وسيأتي ذكرها انهـا معرَّبة بما معناها Sturioniens بالفرنسيَّة Esturgeon) والأشلاق: Sélaciens *ou* Plagiostomes (والاشلاق جمع شِلْق) ويُراد بها اليوم اسماكًا كثيرة منها: القِرش او الكوسج Requin. وسمك القرس Squale واللّياء Lamie والملاك Squatine *ou* Ange وابو المنشار Scie وقط البحر Raie والجُلـلح Milandre وكلب البحر Roussette *ou* Chien de mer والرعَّادة Torpille وابو مِطرَقة Marteau وخنّوص البحر Humantin وابو مهماز

Aiguillat الخ)والمواصّ Cyclostomes *ou* Suceurs ومنها أبو مَرينا Lamproie

اما في العربيَّة فقد غلب اسم الشِلق على « ابي مَرينا » لكن لمَّا كان هذا ظاهرهُ يُشبه ظاهر الجرّيّ والجرّيث قالوا انهُ احد هذين الاثنين فالتبس عليهم الامر كما التبس عليهم امر الجرّي والجرّيث فجعلوهما اسمين لمسمى واحد وهو خطأ كما ستراهُ في محلّهِ. وابو مرينا كثير الوجود في انهار البصرة الى يومنا هذا. لكن لمَّا كان من السمك الذي يتنقَّل بين البحر والبحر قال قوم من العرب انهُ من سمك الانهار وقال قوم انَّهُ من سمك البحرَين. وأمَّا رجلاهُ فيراد بهما هاتان الزعنفتان اللتان يختلف تركيبهما عن تركيب سائر الزعانف فحقّ لهم ان يسموها باسم يختلف عن اسم الزعانف واماً اهل بغداد فيسمُّون اليوم شلقًا سمكًا غير أبي مرينا واوصافهُ هذه: ابيض اللون واسع الفم نسبةً الى صغر جسمهِ طويل الرأس وصقيلهُ وعريضهُ وفي شاربيهِ اربع شعرات وبفمهِ أسنان ولون ظهرهُ مُشرب سوادًا وهو مرغوب عندهم لجودة لحمه واسمهُ باللغة الفرنسيَّة Lotte goujon وبلسان العلماء Cottus gobio. واظنّ ان سبب تسميته بالشلق مشابهتهُ للجرّيّ في بعض ظواهرهِ وكما انهم ظنوا ان الشلق هو الجرّيّ حذا اهل بغداد حذو من تقدَّمهم في التوهُّم بدون تبصُّر. والله الهادي الى الصواب

٥٧ (القِرّيثُ او الجِرّيث) معرَّب عن أنقليس ἔγχελυς واليك بيان ذلك: انهم ابدلوا اولًا النون لامًا كما قالوا النعاعة واللعاعة ومثل ذلك كثير عندهم. ثم توهموا ان اللام هي للتعريف او زائدة لا للاصالة كما قالوا بَرباريس في أنبرباريس فصارت قليس (او قليسًا تبعًا للاعراب وهو ما نهملهُ في مثل هذه المواضع لاننا نرمي الى غرض الحكاية لا الى هدف الاعراب). ثمَّ قُلبت السين ثاء مثلَّثة تبعًا للثغةِ لبعض قبائل العرب وهم الذين يقولون الوطس في الوطث والسعابيب في الثعابيب والجسمان في الجثمان (المزهر ١: ٢٦٧) فصارت قليث. ثمَّ أبدلت الراء لامًا كما قالوا في ردم الثوب لدمهِ وفي أمرَط املط وفي منقطر منقطل (المزهر ١: ٢٦٦) فصارت قريث. ثمَّ لمَّا كان اصل لفظ هذه القاف الكاف الفارسيَّة المثلَّثة اي گ وهي الجيم الحلقية عاقبوا بين القاف والجيم كما يعاقبون بين الشيرج والشيرق في الآخر والقربز والجربز في الاول والمقذاف والمجذاف في الوسط فقالوا: القرّيث كما قالوا: الجرّيث[1]

(١) انَّ في هذا الاشتقاق لنظرًا مع ما فيهِ من الدقَّة العجيبة (ه. ل)

والجرّيث غير الجرّي بل هما سمكتان متشابهتان اسمًا ومسمًى لكنّهما تختلفان بعض الاختلاف من اوجهٍ خفيّة تظهر للمتبصّر: منها الاشتقاق اللغوي فان الجرّي عربيّ محض وصيغتهُ من صيغ المبالغة مأخوذة امّا من الجَرْي اي العَدو وهو مشهور بهِ في الماء (اللغويون مادة ج ر ي) وامّا من الجرّ وحينئذٍ يكون على طريق النسبة اذ هذا السمك كثيرًا ما يوافي الشواطئ ويجرُّ منها نفاية الاطعمة الملقاة عنها. ولهذا ذكرهُ اللغويون في مادة ج ر ر ايضًا. ومن هذه الاوجه ايضًا الهيئة فان الجرّي في صغرهِ يشبه الجرّيث البالغ اشدّهُ كل الشبه الّا انّهُ يمتاز عنهُ بشواربهِ وهي لا توجد في الجرّيث ويخلو ظهرهِ من حرفٍ ناتئ زعنفي التركيب على ظهرهِ وهو موجود في الجرّيث. وكل من ينظر الى هذه الفروق والفصول ويعدّها عرضيّة اشتبهت عليهِ الحقيقة. غير انّ البغاددة المشهورين بفصاحة الالفاظ وكثرة الحروف الاصطلاحيّة يميزون بين هذين السمكين. واسم الجرّي معروف عندهم ومنهُ القول المأثور والمثل المشهور عند اهل الشيعة: «مَن يأكل الجرّي. من عليٍّ متبرّي» وامّا الجرّيث فاسمهُ عندهم: «المرمريج» وهو تصحيف المارماهيج او المارماهي اللتين هما من اسماء الجرّيث

(ستأتي البقيّة)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني عشر

في العود الى خدمة نسيب

— هلمّ نشرب على صحّة بروسبر اولري.. لماذا لا تحير يا فاضل جوابًا... أأنت من محبّي بروسبر اولري الذي لو كان عرفك ل... ولكن هامّ هلمّ الى الشراب فانّ بروسبر اولري يرقد مطمئن البال في وسط الجليد بمضايق شيلكوت. والرجلُ كلّ الرجل من يقدر على اكتشاف مدفنه الجليدي في تلك المجاهل... ألا تنطق ألا تجاوب ولو بكلمة.. ألا تعلم انك لولاي لوقعتَ في خطر عظيم هو السقوط اوّلًا في الهاوية وثانيًا الشنق. ولا أخفي عليك انني أُحب لو وقفت على تاريخ حياتك يا من تتكرّ باسم «بيترس لاضف»

– ماذا يهمّك من تاريخي ألا تعلم اني غير ملتزم ببيانهِ لاحد من الناس ؟
– ما لك وهذا الامتناع . أو ما تدري انني مع إبائك إيضاحهُ استطيع ان أتوصّل الى معرفتهِ فاوّلًا لا يُنكر انك في مدّة اقامتك القصيرة باميركا اعربت عن دراية عظيمة امكنتك بها ان تجتنب الوقوع في ايدي رجال الشرطة والجواسيس الذين كانوا يبثّونهم للتفتيش عنك . ولقد أحسنتَ في ما عملت لانك لولا ذلك . . .

قال هذا ولم يُسمع بعدهُ سوى صوت الضحك والقهقهة يقاطعـهُ التطام الاقداح وقناني الشراب

ثم استونف الكلام على الوجه الآتي : « لقد شوهد فاضل هذا في شيكاغو غير انهُ كان قد تسمَّى هناك بيترس لاضف وكان ذا ثروة عظيمة مكّنتهُ من احتكار الحبوب امَّا قبل ذاك فكان يبيع البضاعة متجوّلًا . هكذا جاء في حكايتهِ فهل لك ان تخبرني من اين جاءهُ الثراء بغتةً فان في ذلك لسرًّا ولا نكير ان فاضل من الحذّاق البارعين . . ومع هذا فما زلتَ يا فاضل في السنة الثلاثين من عمرك فكيف لو تجاوزتها »

وما كاد فاضل يسمع هذا الكلام حتى اعتراهُ خجل لا يوصف فخفض رأسهُ ولم ينطق ببنت شفة وكان يتذكَّر الراهبة جانّ ماري وما وعدها بهِ من استقامة السلوك في اثناء مرضهِ

وعاد المتكلّم الى حديثهِ قائلًا : « لا اقصد ممَّا سبق تأنيبًا او توبيخًا فاننا نعلم ان حضرة الخواجا خبير بتدبير الامور وكفى دليـلًا انهُ أقصى بروسبر اولري الذي كان طلبهُ للبراز الى النواحي القطبيَّة . ومع كلّ هذا فقد كان يريد ان يقتفي خطوات بروسبر اولري هذا ويتخوَّن من اجل شيء يسير صديقًا لهُ . ولكنَّ فاضلًا يخـاف على جلده ويعلم ان أقلَّ كلمة تجرّ عليهِ الوبال كيف لا وكُرة صغيرة من كرات المسدَّسات كانت كافيـةً لتخرق عظم رأسهِ . هلمَّ نشرب يا فاضل على صحتك بل على صحّة بروسبر اولري »

حدث كلّ ما تقدَّم ذكرهُ في غرفة منخفضة ضيّقة مظلمة عند مائدة (طاولة) عرجاء كان يلتطم عليها قدحان مُشتبَه في نظافتهما وكان وقتئذٍ يتفلّت من بعض صدوع المواقد الموضوعة في زاوية الغرفة لهيب كَمِد مصحوب بدخان اسود . وكان باطن الغرفة المذكورة كباطن سائر المنازل في مدينة داقسون سيتى التي أُنشئت على عجـل في تلك

النواحي القطبيَّة فجاءَت ركاماً من البيوت . هذا اذا تسامحنا باطلاق اسم البيوت على اكواخ حقيرة مبنية بالاخشاب دون ترتيب ولا هندسة حتى كانت اشبه شيء بالاخصاص التي يقيمها الباعة المتجولون في ايَّام المواسم ثمَّ ينقضونها في اليوم التالي

والصيف في هذه النواحي القطبيَّة يدوم عشرة اسابيع الى اثني عشر اسبوعاً في الكثير وتبقى فيهِ الطرق مسلوكة والانهار صالحة لسفر القوارب من غاية حزيران حتى اوائل ايلول . فاذا انقضى هذا الوقت يأخذ الترمومتر في الهبوط حتى انهُ قد يتَّصل الى الدرجة ٦٣ من مقياس فارنهيت وحينئذٍ تتكوَّن طبقة كثيفة من الجمد في نهر يوكون ويتساقط الثلج بغزارة سادًّا مضايق شيلكوت

ويا لله كيف يتأتى العيش اذ ذاك لاولئك الالوف المنكوبين المحبوسين في داڤسون سيتي . كيف يستطيعون الحياة وقد تعذَّر عليهم كلّ اتصال مع الساحل وكل سعي في جلب الاقوات بل امتنع عليهم ايضاً ان يفرّوا من مقامهم هذا الى مقام آخر يجدون فيهِ فرجاً . لا شك انهم يموتون جوعاً تجاه الذهب المدفون تحت ارجلهم

ولنعد الان الى الكلام على نسيب فنقول انهُ حالما وصل الى داڤسون سيتي بادر الى مأموري حكومة كندة التي هي المالكة لمناجم كلونديك لكي يؤدي الرسوم المضروبة ويكتسب كغيرهِ حقّ البحث عن الذهب . امَّا الرسم المضروب فيختلف بين ٢٠ و ٣٠ في المائة على المؤن التي يكون قد احتملها المهاجر ولا يخفى ان المهاجر لا يستطيع ان يستصحب معهُ الى تلك الجهات اقلّ من اربعمائة كيلو من الاقوات والَّا عرض نفسهُ للموت جوعاً

ثمَّ ان مأموري حكومة كندة يعاملون المهاجرين من الغرباء بشدَّة وقساوة لاسيما اذا كانوا من الاميركيين . ولمَّا كان نسيب وفاضل قد صرَّحا بانهما اميركيان وتقاضوهما أعلى درجة من الرسم . وكان فاضل قد اضطرَّ ان ينفق كلّ ما معهُ مذ خروجه من جونو حتى وصولهِ الى دائسون سيتي وهكذا فرغ كل ما كان قد ادخرهُ من المال فاضطر ان ينخرط في خدمة نسيب الذي عيَّن لهُ اجرة مئة فرنك في اليوم واعداً اياهُ بالمساعدة على استحصال قطعة من الارض يشتغل فيها لحسابهِ باستخراج الذهب

وكانت بداءة الشغل متعبة شاقةً ولاسيما على فاضل

هذا وبعد ان عرف القارئ ما جرى في داڤسون سيتي يتعجب بلا شك من رؤيتهِ فاضلًا متقيّدًا بخدمة نسيب. لاسيما وان هذا المنكود اللبناني كان قد وطن النفس على مجانبة من كان يحسبهُ سبب بلاياهُ ومصائبهِ. وكان قد سافر مع المرسل اليسوعي الى جونو غير ان ثوران الزوبعة التي لم تكن منتظرة حال دون انتقالهِ لان الثلج كان قد سدّ الطرق وجعل كل سفر ممتنعًا

وبما ان فاضل كان صفر اليدين وفارغ الجيب من النقود اغتنم نسيب فرصة ارتباكه لاجل استجلابهِ اليهِ. وقد سبق الخبر في اثناء هذه الرواية كيف انهُ اشغلهُ عندهُ في مناجم كاليفورنية هاضمًا حقوقهُ واتعابهُ فاسدًا اخلاقهُ وآدابهُ

اما فاضل هذا فبالنظر الى ضيق ذات يده لم يطلب سوى ما يدفع عنهُ غائلة الجوع وقد رضي بكلّ ما اقترحهُ عليهِ نسيب من الشروط القاسية وعلى هذا صار خادمًا بل عبدًا لنسيب فكان هذا الاخير يأمر وينهي وفاضل يخفض الرأس ويطيع صاغرًا

وكان وقتئذٍ قد قارب الصيف ان ينتهي وخاف الباحثون عن الذهب ان يدهمهم الشتاء فيحول دون مرامهم فجدّوا في الشغل ايّ جدّ حتى لم يكن يُسمع في تلك الارض سوى ضرب المعاول وصرير الجارف وخرير المياه التي كانت تُصبّ على التبر لاجل تصفيتهِ. واذا جاء المساء وعاد كلّ واحد الى كوخهِ لم يكن من يتكلّم الّا عن مقدار ربحهِ في نهارهِ وما التقطهُ من شذور الذهب الى غير ذلك من الاقوال التي كان مدارها على المعدن الثمين وكلّ ذلك بين تعاطي الكؤوس وتلاطم قناني الشراب والاغاني الخلاعيّة المفسدة للآداب. ومن ثمّ كان شراب « الويسكي » يسيل ما بينهم كالسواقي فان تلك الجهات المقفرة اذا خلت من كل شيء لم تكن لتخلو من المسكرات

وبينما كان الشراب قد لعب بالادمغة قال نسيب لفاضل:

« ما اظنّك يا فاضل مغضبًا بانتهائك الى كلونديك حيث تجمع الذهب وافرًا. آه لو اردتُ ان أُعدم حضرة الخواجا لفعلتُ في اسرع من لمح البصر ولكن لم تزل لي بهِ حاجة لبعض الشؤون. فعلى بيترس لاضف اذًا ان يخدمني بالحذق الذي اشتهر عنهُ في شيكاغو »

اما فاضل فما كان ليسمع او ليرى لان الأبخرة كانت قد ملأت دماغهُ وسرى

تأثيرها في سائر جسمهِ فكان يضحك مقهقهاً كالابله المعتوه

واذ ذاك تقدَّم اليهِ محدّثهُ وعيناه تقدحان شرراً فقال: «هذه ورقة صغيرة عليك ان توقّعها». ثم ناولهُ اياها مع القلم. فنظر اليها فاضل نظر المبهوت. ثم تدحرجت من يد نسيب على المائدة قطع الذهب فمدَّ اليها فاضل يد طامع شره في اخذها

— مهلًا ايها الصديق اني اعطيك كلّ هذه القطع ولكن عليك قبل كل شيء ان توقّع الورقة

— ولماذا التوقيع ؟

— كن مطمئنًا فما هذه الّا ورقة صغيرة كما ترى. وثقْ اني اعطيك هذه القطع كلها ومثلها ايضاً فتصير غنيّاً... غنيّاً... بل أغنى ممّا تتصوَّر. هلمَّ ايضاً نشرب قدحاً آخر على صحّة بروسبر اولري

قال هذا وضحك مقهقهاً كاهل الجحيم وشرب فاضل قدحهُ دفعةً واحدةً متظاهراً بان الشراب لم يؤثّر فيهِ

— قلتُ لك انهُ لا بدَّ من توقيع هذه الورقة لاسيما وانك بتوقيعها تصير غنياً

فنظر فاضل اليها وكان الشراب قد اعماه فاصبح لا يعرف قراءة حرف منهـا ثمَّ تناول قلماً وخطَّ بيد مرتجفة اسمهُ على المحل الذي عيَّنهُ لهُ محدّثهُ. وما كاد ينتهي حتى انقلب على كرسيهِ ونام

(ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

1

EBN MALEK

L'ALFIIAH TRADOTTA E COMMENTATA

da Errico Vitto, *Beirut*, 1898, pp. XX-425

شرح الفيَّة ابن مالك في اللغة الايطاليَّة

2

HOSSAN KUEIDER

DIZIONARIO DEI TRIPLICI

Tradotto da Er. Vitto *Beirut.*, 1898, VIII-242

نيل الارب في مثلّثات العرب لحسن قويدر وترجمتهُ في الايطاليَّة

اهدانا سعادة قنصل ايطاليا العام في بيروت العلّامة المستشرق هنري ڤيتو هذين

الكتابين اللذين سعى بنقلهما الى اللغة الايطاليَّة وزيَّنهما بشروح حسنة تدلُّ على طول باعهِ في معرفة آداب اللغة العربيَّة. وفي صدر كلا الكتابين مقدَّمة يبيّن فيها المؤلف غرضهُ من وضع شروحهِ ويرشد الطلبة الى اقتباس فوائدها. امَّا ترجمة الاصل فهي على غاية ما يمكن من الدقَّة والامانة. والشروح الملحقة بهِ تتضمَّن لباب تفاسير النحويين لاسيا العلَّامة ابن عقيل. فنثني على همة سعادة القنصل الذي يخدم العلوم هذه الخدمة النصوح فضلًا عن خدمة وطنهِ بتتمة واجبات رتبتهِ السامية

كتاب المعين في الاقتراح على طلبة العربية

الجزء الاول للمعلّم

من تأليف اللغوي الفاضل سعيد افندي الخوري الشرتوني عدد صفحاته ٢٢٥

ان ما لاقاه الجزء الاوَّل من كتاب المعين في عالم المدارس من الحفاوة والكرامة استحثَّ همة مؤلفهِ الفاضل للمبادرة الى انشاء الجزء المخصَّص بالاساتذة ليتوفَّر لهم وقت ثمين يصرفونهُ في تثقيف عقول تلامذتهم. ولا نشكّ في انهم يقدّرون هذه الخدمة قدرها ويقبلون على اقتناء هذا القسم اقبالهم على مطالعة احسن التآليف الانشائيَّة. وممَّا يسرُّهم في هذا الكتاب تصرُّف صاحبهِ بالمواضيع المختلفة كالرسالات المنسجمة والاوصاف الرائقة والروايات الشائقة يعرضها بالفاظ حرَّة رصينة وعبارات بليغة متينة ترشد الطلاَّب الى طرائق الانشاء الحسن. فاثاب الله المؤلف الفاضل وايَّدهُ على اتمام الجزئين الباقيين ل. ش

دفع الاوهام لابن سلام

اهدى الينا جناب الفاضل النحرير السيد عبد الرحمان سلام احد كتبة المحكمة الشرعيَّة في بيروت كرَّاسةً سماها « دفع الاوهام لابن سلام » فنّد فيها ما ارتكبتهُ مجلة الضياء من الاوهام بتغليط بعض مشاهير المؤلفين في ما استعملوهُ من الالفاظ والتراكيب. وقد كان بودّهِ ان يتتبَّع كل المقالة التي صدَّرتها بعنوان « لغة الجرائد » غير انَّهُ لمَّا رأى ان سقطاتها كثيرة اعرض عن هذا العزم مكتفياً بان يبيّن لها ان التعامل على جهابذة الانشاء الذين لا تلحق لهم غبارًا هو فوق قدرها واعلى من منزلتها

وبما ان المقام في هذا العدد يضيق عن الاتيان بشيء من الردّ المذكور نؤجل ذلك الى العدد الآتي ر. شر.

شذرات

القوى العاقلة في الحيوان — لنا ملاحظات عديدة في ردّ جناب خليل بك سعد في الضياء على مقالة حضرة الخوري الفاضل قسطنطين باشا نبديها ان شاء الله بعد جواب حضرتهِ لئلّا ينخدع القرّاء ببهرجة كلام « الكاتب الفاضل »

طاش سهم الضياء — نقل الضياء (ص ١١٨) قسماً من كلامنا (المشرق ص ٩٥٧) عن الاغلاط الواردة في قصيدة الحلّي (مجاني الادب ٦: ٥٧) فاخرجهُ غير مخرجهِ وجعلهُ تهكّماً بنا كما هو دأبهُ عند بطلان حجّتهِ. ومن راجع كلامنا هناك تحقّق (اوّلًا) انّ هذه الاغلاط ليست منّا بل « كلّها » في النسخة التي اخذنا عنها. وهي النسخة الباريسيَّة المطبوعة في ليبسيك. (ثانيًا) انّنا لم نصلح هذه الاغلاط كما يفعل العلماء المستشرقون اذا ما نقلوا قطعةً عن اصل مغلوط لئلّا يعبثوا بها باصلاحهم لما يسبق اليهِ وهمهم انهُ غلط وليس بهِ. (ثالثًا) اننا لمّا وقفنا على الطبعة الدمشقيَّة الصادرة بعد طبع مجاني الادب قابلنا بها قصيدة الحلّي فاصلحنا ما تيسّر لنا. (رابعًا) وقلنا انّ اصلاح الضياء لقول الشاعر: « ظنّوا تأنّيك عن عجز. البيت » لا يوافق الطبعتين الليبسيكيَّة والدمشقيَّة اذ روتا كما روينا لا كما اصلح صاحب الضياء (ص٥١). وجوابهُ الاخير مناقض لقولهِ السابق. فطاش اذن سهم المنتقد وما انتقادهُ الّا تعنّت

علاج التدرّن الرئوي — لا يزال الاطباء يبحثون عن الدواء الناجع في شفاء المتدرّنين لانتشار هذه الجائحة وفتكاتها الذريعة الموفية على فتكات أفظع الحروب واسوإها عقبى. وممّا روي في المجلات العلميَّة انّ الدكتور مَندل قدّم تقريرًا المجمع العلميّ في باريس يفيد فيهِ انّهُ عالج كثيرين من المصابين بالتدرن على طريقة ادّت بهم الى الشفاء التامّ او تحسّن بليغ في صحّتهم. والدواء المذكور هو مزيج يتركّب من خمس غرامات من خلاصة السعتر وخمس غرامات من خلاصة الاوكاليبتوس ومئة غرام من زيت الزيتون المعقّم تحقن بهِ قصبة رئة المسلول مرّةً في النهار على مدّة بضعة ايام متوالية

ميكروب داء السرطان — تمكّن الدكتوران برا (Bra) وشوسّه (Chaussé) من إفراز ميكروب داء السَّرطان. وهو عبارة عن فطريَّة

غاية في الدقّة كبرها بين ثلاثة اجزاء الى ١٢ جزءا من الفِ المِلّمتر. وهو مستدير الشكل او بيضويهُ لونهُ اصفر ضاربٌ الى الخضرة. وامل الدكتورين وطيد بوجود عاكسٍ لهذا الداء العقام

أسئلة وأجوبة

س سأل جنابُ المعلِّم الاديب خ. بيدس: ١ً ما هو مراد كتَبَة الفرنج بهذه العبارة « طوبانيا القرون المتوسّطة » عند ذكرهم لنهر الجالود المنساب في مرج ابن عامر والمنصبّ في الاردن. ٢ً ما هي الكتابة الصوابيَّة لعلَمٍ يدلُّون بهِ على السهل الشرقي الواقع في لحف جبلَي عيبال وجرزيم أهو « مخنا » او « محنا » او « الخنة ». ٣ً ما هي الشجرة التي يدعوها الفرنج « ميروفالام » التي ادَّعى روبنصن انَّ عربيَّتها « تسوكوم ». ٤ً ما معنى اسم بحيرة في فلسطين كانت تدعى قديمًا « فيالا » وهل اسمها الحالي « بركة رام » او « بركة ران ». ٦ً ما هي الكتابة الصوابيَّة لاسم رُبى قليلة الارتفاع تفصل بريّة فلسطين المعروفة قديمًا ببرّيّة قديموت (تثنية ٢: ٢٦) الى قسمين شمالي فجنوبيّ ؟ هل اسمها « السويلي » او « السوبلة » او « السبلى ») ؟

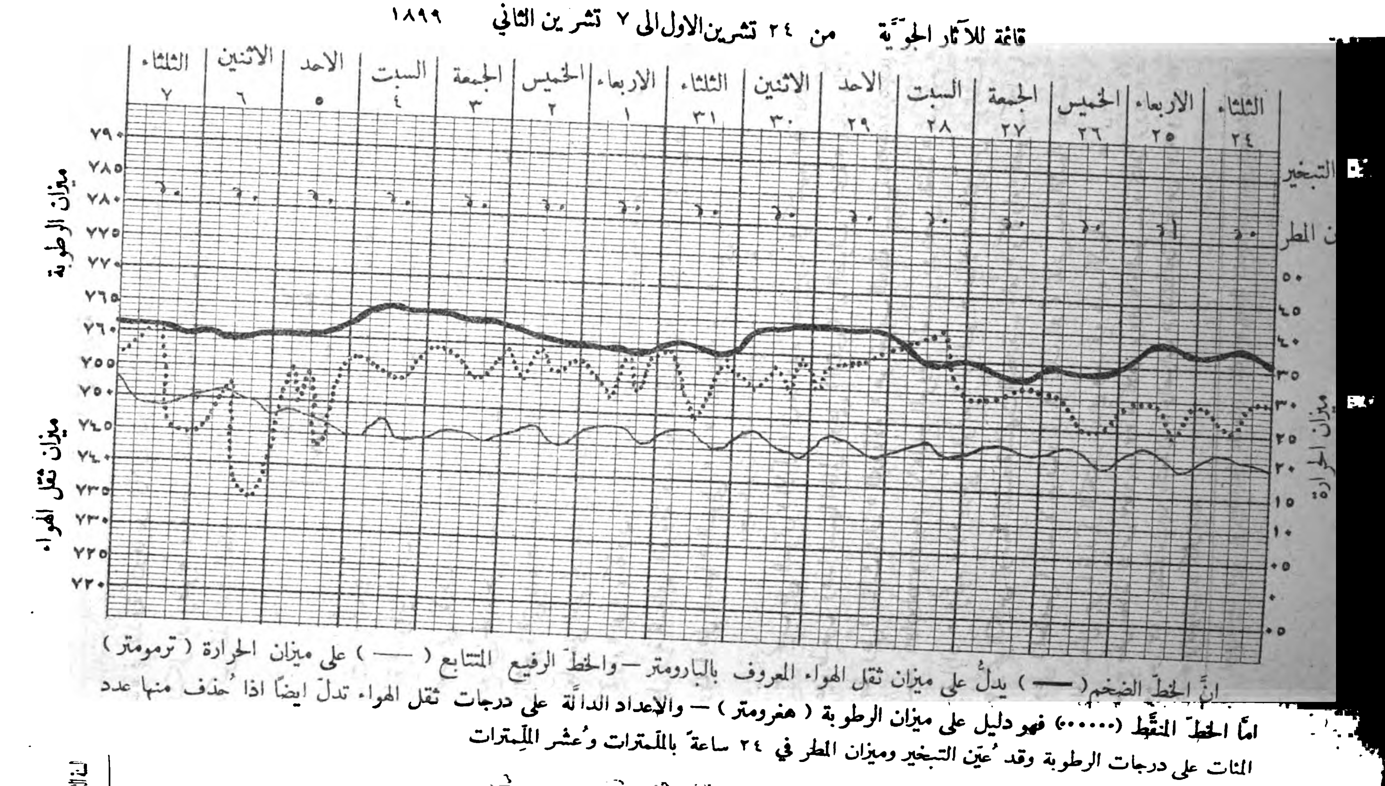
عين طبغون. مخنة. الزقوم. بيت رام الخ

ج نجيب على السؤال (الاوَّل) ان ما دعاهُ الصليبيُّون في كتبهم «Tubania» هي عين طبعون. وهذا اسمها الحاليّ. وعلى (الثاني) ان الصواب « مخنة » بالحاء والتاء المربوطة. وعلى (الثالث) ان « الميروفالام » هو تعريب اللفظة اليونانيَّة μυροβάλανος والفرنسيَّة myrobolan وهو الإهليلج المعروف ولعلَّ روبنصن بلفظة « تسوكوم » المصحّفة اراد « الزقُّوم » (١. وعلى (الرابع) انَّ اسم « فيالا » مشتقٌ من اليونانيَّة φιάλη وهي الكأس الواسعة المنبسطة شبِّهت البحيرة بها. امَّا « بركة رام » فصواب كتابتها بالميم. وعلى (الخامس) انَّنا لا نعرف رُبى في تلك البرّيَّة تدعى بهذه الاسماء المصحّفة. فان اراد السائل جوابًا فليذكر الكتاب الذي وجد فيهِ هذه الاسماء ه. ل.

اصلاح بعض اغلاط = ص ٩٥٧ س ٢٢ « كلاهما يروي » والصواب « كلتاهما تروي » = ص ٩٩٦ س ١٧ « المتشدّخين بالتمدُّن » والصواب « المتشدّقين » = ص ١٠٤٠ س ٢ « لكثرتهُ » والصواب « لكثرتهِ »

(١ راجع تأليفنا Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, p. 251

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٤ تشرين الاول الى ٧ تشرين الثاني ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات

المشرق

مجلّة الضياء ولغة الجرائد

لجناب الكاتب الفاضل رشيد افندي الشرتوني محرِّر البشير ومدرّس الخطابة في كليَّة القديس يوسف

يعلم القراء انهُ قد سبقت لنا مقالتان في مجلة المشرق (١٠٩:٢ و ٧٩٤) تحت هذا العنوان صححنا فيهما ما ارتكبتهُ مجلة الضياء من الشطط في نقدها لما يستعملهُ بعض الكتبة من الالفاظ والتراكيب. وقد رأوا اننا اعتمدنا في كلّ ما كتبناهُ على نقول العلماء الثقات ممن يُعوَّل عليهم في المسائل اللغويَّة فاتحفونا من فضلهم بجوائز الاستحسان والثناء. غير ان مجلة الضياء التي يتوهَّم صاحبها انهُ رُزق العصمة في كلّ ما يقول ويكتب أبى الّا المكابرة والدفاع عن اوهامهِ بما ليس فيهِ وجه من السداد فاثبت في جريدة المحروسة التي تطبع في مصر ردًّا ذا اربعة أعمدة نسبهُ الى الجريدة المذكورة وشحنهُ بالمغالطات التي عادت حجَّةً عليهِ لا لهُ وها نحن نشرع في بيان ذلك

كانت مجلة الضياء قد ادَّعت ان «استأسر» بمعنى انقاد واستسلم وانها لا تأتي متعديةً على سبيل الاطلاق فلمَّا رددنا كلامها بشهادة المطرّزي في المغرب حيث قال انها وردت متعديةً في حديث عبد الرحمن وصفوان وهو «انهما استأسرا المرأتين اللتين عندهما من هوازن» عادت فادَّعت اننا حرّفنا الشهادة المذكورة قائلةً ان أصلها هكذا «استأسر العدوُّ اذا اعطى بيدهِ وانقاد وهو لازم كما ترى ولم نسمعهُ متعديًا الّا في حديث عبد الرحمن وصفوان الخ» واستنتجت من ذلك ان النصّ اولى ان يكون حجَّة علينا لا لنا. وهو في الحقيقة استنتاج غريب ألا ترى أنها كانت قد زعمت ان استأسر لم يرد اصلًا متعديًا فلمَّا أردنا نقض هذا الزعم اثبتنا من كلام المطرّزي ما

يكفي لتخطئتها وهو تصريحه بورود هذا الفعل متعديًا ولمّا كان بعض النصّ كافيًا لتفنيد قولها لم نرَ داعيًا لايرادهِ كله . واغرب من ذلك قولها « ان ورود هذا الفعل في الحديث المذكور لا حجّة فيهِ لان الاحاديث كثيرًا ما تُروى بالمعنى» فكأنها حسبت ان المطرّزي روى هذا الحديث بمعناهُ اثباتًا لورود استأسر متعديًا . وان ما يستشهد بهِ اللغويون في المعجمات من الاحاديث بيانًا لوجوه استعمال الكلم يروون معناهُ دون لفظـهِ وهذا منتهى الغرابة . نعم ان من يروي حديثًا لاثبات حكاية او حادثةٍ قد يتفق لهُ ان يرويه بمعناهُ ولكن من يستشهد بكلام العرب اثباتًا لتعدي فعل او لزومهِ مثلًا يستحيل عليهِ الَّا ان يأتي باللفظ عينهِ لانهُ انما يسوق الحديث لبيـان حالة ذلك اللفظ ووجه استعمالهِ والَّا زال الغرض الذي يرومهُ من ذكر الحديث . أفلا ترى الضياء هنا انها تحاول المكابرة والإصرار على الخطإِ وليس هذا شأن العلماء الصادقين الذين يتوخون من الابحاث ظهور الحقـائق . على ان ورود استأسر متعديًا ولو في كلام واحد فقط من العرب هو حجة كافية لاستعمـالهِ متعديًا دون ان تتوجّه الى مستعملهِ ملامة او انتقاد

ثم انها ما لبثت ان اضافت خطأً الى خطإٍ آخر أقبح من الاول فقالت :« ولذلك لم يتخذها (الاحاديث) المحقّقون حجّةً في شيء من علوم اللغة » وهو كلام لا سند لهُ تردُّهُ كل معجمات اللغة واول شاهدٍ يكذّبهُ اعتماد المطرّزي على حديث عبد الرحمن وصفوان السابق ذكره لاثبات ان استأسر استُعملت متعدّيةً

وانكرت الضياء ورود رحوم في اللغـة بمعنى رحيم فلمّا فنّدنا زعمها بايراد شهادة لسان العرب ادّعت انَّ « رحومًا من متروك اللغة ولولا ذلك لذكرها سائر اهل اللغة » فنجيبها اننا لم نباحثها في هل رحوم من المستعمل او المتروك لكنّهـا لمّا كانت قد زعمت « انَّ رحومًا بمعنى رحيم لا وجود لهُ في شيء من كتب اللغة » أثبتنا لها من كتب اللغة نفسها وجودهُ . فبدلًا من ان تعترف بالقصور ادَّعت انهُ من اللفظ المتروك مع ان هذه دعوى بلا دليل اولًا لان كتب اللغة لم تنبّه الى شيء من ذلك . وثانيًا ان برهانها على كونهِ من متروك اللغة بعدم ورودهِ في غير اللسان هو برهان واهٍ جدًا بل « عذر بارد وحجة ساقطة » لاننا لو عملنا برأيها لوجب ان نقول بان كلَّ ما ذكرهُ اللسان ممّا لم يرد في غيرهِ هو ايضًا من متروك اللغة رغمًا عن كثرتهِ وهـذا ممّا لا يقول بهِ عاقل لان

مزيّة اللسان على غيرهِ هي استيعابهُ لاكثر ممّا وعى سواهُ من الكلم

انكرت انّ أخصاماً هي جمع لخصم فاثبتنا لها بكلام التاج انها « جمع خَصِم ككَتِف واكتاف او جمع خَصْم كفَرْخ وأفراخ او جمع خصيم كشهيد واشهاد » فلمّا ضاق ذرعها عن الجواب وعجزت عن الردّ وكبر عليها الاعتراف بالخطإِ قالت انهُ كالرحوم من متروك اللغة وهو « عذر ظريف » ممن صرف العمر في تقليب الصحف. واضافت الى هذا العذر عذراً آخر اظرف منهُ فقالت ان التاج يتردّد في هذا اللفظ بين ان يكون جمعاً لخصْم او خَصِم او خصيم. والحال انهُ قد مرّ عليك نصّ التاج وليس في عبارتهِ ما يحتمل التأويل والتخريج الذي ذهبت اليهِ مجلة الضياء بل انهُ يقطع قطعاً بكون الاخصام جمعاً لثلاثة الفاظ فتأمل في إصرار الضياء ودعواها الباطلة لله درّها

ثم قالت: « هؤلاء علماء اللغة كلهم لا ترى احداً منهم يورد هذا الجمع لشيء من ذلك » تريد بهِ ايهام القرّاء ان صاحب التاج قد أخطأ في الرواية فلا يصحّ التعويل عليهِ والركون اليهِ ولكن اذا لم نقبل نَقْل صاحب التاج فعلى من نعتمد؟ وهل خلوّ سائر معجمات اللغة من مستدركات التاج داعٍ لعدم تصديق التاج؟ كلّا ان هذا ممّا لا يقول بهِ منصف بل انهُ يثبت الفضل للتاج لاحاطته بما لم يُحط بهِ سواهُ من مفردات اللغة. على انهُ اذا كانت مجلة الضياء تريد ان تطعن في جامعي اللغة وتقلّل الثقة برواياتهم فلا يبقى للباحثين في الامور اللغويّة من سنَد غيرها صانها المولى. وكيف السبيل الى استشارة صاحبها المعصوم واستدرار معارفهِ في كلّ آن ودقيقة والشقّة بيننا بعيدة والمزار سحيق

واتبعت الضياء ما تقدَّم ذكرهُ من كلامها بقولها « وهو (اي لفظ أخصام) كيفما قدّرتهُ ليس من القياس في شيء. لان فَعِلًا بفتح فكسر اذا كان صفةً لا يُجمع على أفعال وفَعْلًا الساكن العين من الصحيح وفعيلًا لا يجمعان على أفعال الّا سماعاً فصحّ ان كلّ ذلك على فرض ورودهِ لا يُعدّ الّا من اللغات المتروكة » وهذا في الاكيد ممن يحسب نفسهُ كعبة اللغة وقبلتها في منتهى الغرابة لانهُ يقتضي ذلك يجب ان نحسب من متروك اللغة أنكاراً جمع نَكِر وأنكاداً جمع نَكِد وايقاظاً جمع يَقِظ وأحراء جمع حَرٍ وأوذالًا جمع وَذِل وأوخاماً جمع وَخِم الخ وكذلك يجب ان نحسب من المتروك ايضاً أزناداً وافراخاً وأفراداً وآنافاً وأشخاصاً والفاظاً وآلافاً وأسماعاً وأغراساً وأرماساً وابعاضاً وألحاظاً

وأوكارًا واجدادًا وأوصالًا واوصافًا (١ الخ وكذا أيتامًا جمع يتيم وأشرافًا جمع شريف وآبالًا جمع ابيل وأشهادًا جمع شهيد وما شاكل ذلك من الالفاظ. فلله درّ الضياء ما اوسع علمها بالعربيّة

وكانت الضياء قد ادَّعت ان قول الكتبة « أصبح الامر أصلح من ذي قَبْلُ » هو تحريف لفظي ومعنوي لما جاء في نصوص اللغة من قولهم سآتيك من ذي قِبَل وقَبَل اي في ما يُستقبل من الزمان. وهذه الدعوى كما ترى باطلة ساقطة لان العبارة من وادٍ ودعوى الضياء من وادٍ. ولذلك فنّدنا هذا الزعم في ما سبق لنا من المقالات واثبتنا انهُ لا مانع من القول « أصبح الامر أصلح من ذي قَبْلُ » اي من الحالة التي كان عليها قبلًا قياسًا على قولهم « سآتيك من ذي قَبَل » اي فيما هو مستقبلٌ من الأيّام وبيّنا للضياء ان كُتب اللغة ليس من شأنها ان تدوّن كل صوَر التراكيب وان الكاتب يؤلف الالفاظ على حسب ما يستدعيهِ المعنى المقصود وانّ اللغويين لم ينصوا على عدم جواز تركيب هاتين الكلمتين اي « ذو وقَبْلُ ». ولكن الضياء أبت الّا ان تتمشّى على طريقها المألوف اي الدعوى العارية عن الدليل ودونك ما ردّت بهِ علينا بلسان المحروسة قالت « ومن غريب ما رأينا من تخريجاتهِ تصحيحه قولهم من ذي قبْل بسكون الباء ومفاد كلامهِ ان ذي هنا بمعنى الذي فتكون هي ذو الطائية فليتأمل ارباب الذوق في هذا التخريج ولينظروا اين هو من بحث الضياء » وارادت بهذه الكلمات ان توهم انها قد اصابت والصواب منها مناط الثريّا. فلتتكرّم علينا الضياء بشرح معنى « من ذي قَبَل » ولتقل ما هي ذو هنا وما هو ذلك الغرض السامي الذي لم تتصل اليهِ مداركنا من بحثها ؟

وقد عرف القرّاء ان الضياء تطاولت على الحارث بن حلزة اليشكري صاحب المعلقة المشهورة فانكرت عليهِ تأنيث « الضوضاء » قائلة انها لفظ مذكر. ولكن دفعنا هذه الدعوى بشهادة ابن سيده الذي لا تلحق الضياء لهُ غبارًا فانهُ قال كما جاء في اللسان « وعندي ان ضوضاء ههنا فعلاء » اي انها من باب شحناء وبغضاء. ثم زدنا على ذلك انها لو كانت مذكرة فلا سبيل لتخطئة الحارث في تأنيثها على تأويلها بمرادف لها مؤنث

١) راجع مقالة حضرة الاب حنّا خليل مرتا في ان جمع فَعل على أفعال قياسي (المشرق ٣: ٩٧٧)

واستشهدنا وقتئذٍ بشعر قديم للدعجاء بنت المنتشر ترثي بهِ اباها حيث تقول:

« اني اتتني لسان لا اسرّ بها الخ » وذيلنا ذلك بكلام الخزانة التي تقول:

« اللسان ههنا بمعنى الرسالة وارادت بهِ نعي المنتشر ولهذا انَّثت لهُ الفعل »

ولكن صاحب الضياء كابر وأبى الّا ان يثبت لنفسهِ صفة العصمة ولو انكرها عليهِ جميع الناس فردّ بلسان المحروسة قائلًا « اذا كان ضوضاء ههنا فعلاء فمن اي مادة بُني وهل ورد في اللغة ضاض يضوض حتى نقول انهُ ورد منهُ ضوضاء » وظنّ انهُ اتى هنا بالمعجب المعجز وما درى ان تفنيد هذا الكلام من أيسر الاشياء. قال ابن سيده في كتاب المقصور والممدود عند ذكرهِ الالفاظ التي جاءت على فعلاء ان « صرف ضوضاء لغة » فالمفهوم من ذلك ان الفصيح المستعمل هو منعها من الصرف لالف التأنيث وان الهمزة في آخرها ليست في المشهور مقلوبةً عن واوٍ كدعوى الضياء بل عن الف فالذين يذكّرونها ويصرفونها وهم أقلّ من القليل يجعلونها بمنزلة قمقام والذين يؤنثونها ويمنعونها وهم الجمهور يجعلونها بمنزلة عوراء

وقول صاحب الضياء ان ضوضاء ليست فعلاء لعدم ورود ضاض في اللغة ليس سديدًا فكم من أفعال ماتت وبقي بعض فروعها. واللبيب يدري ان الحكم على ضوضاء كالحكم على غوغاء. وهاك ما قالهُ سيبويه في الكتاب « واما غوغاء فمن العرب من يجعلها بمنزلة عوراء فيؤنث ولا يصرف ومنهم من يجعلها بمنزلة قضقاض فيذكّر ويصرف ويجعل الغين والواو مضاعفتين بمنزلة القاف والضاد ولا يجيء على هذا البناء الّا ما كان مردَّدًا والواحدة غوغاءة » فانت ترى ان غوغاء فعلاء ولم يرد « غاغ » في معاجم اللغة

وكأني هنا بصاحب الضياء يحنق على سيبويه لمجيء كلامهِ عاضدًا لنا وعليهِ فلا نعجب اذا قام مخطئًا لامام النحويين والصرفيين واصفًا اياه بالجهل. على ان المذكور اذا اراد الاصرار بالرغم عمّا قدّمنا على دعواهُ الاولى بان ضوضاء ليست فعلاء لعدم ورود « أضوَض » لها اجبناهُ أما قيل أتان كرشاء ولم يقولوا حمار اكرش وفرس روعاء ولم يقولوا حصان أروع وناقة فصواء وقرواء ولم يقولوا جمل أفصى وأقرى. أما قالوا ديمة هطلاء ولم يقولوا سحاب اهطل. ومهما كان من الامر فقد يمكن ان يكون لضوضاء أضوَض وهو مهجور فقد جاء في اللسان « حكى ابو علي عن قطرب في نوادر لهُ ان مذكّر الغوغاء

أغوغ. وقال ابن منظور وهذا نادر غير معروف »

وقد كنّا استهجنا من الضياء تحاملها على مشاهير الكتّاب المولدين مثل الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني ولسان الدين بن الخطيب وابنّا لها انّ هؤلاء وامثالهم اعلى من نقد الناقدين لانّ الجميع يشهدون لهم بالامانة في اللغة والاطلاع من كتبها على ما لم يطّلع عليه المتأخرون ولهذا يصحّ الاعتماد عليهم كالمعجمات واطلنا في هذا المعنى وأبنّا بالنقول وَهم الضيـاء فاجابت على ذلك بان تخطئتهم « ليست بالامر الغريب لانهم كانوا يسمعون اللغة العامية ويتكلّمون بها نظير كتابنا اليوم » ولعمري انّ هذا « عذر بارد » اذ انّهُ كيف يخطر ببال عاقل منصف انّ الشاعر البليغ والناثر المجيد من مثل هذه الطبقة يخترع الفاظًا ليس لها اصل في العربيّة وهو—كما قال صاحب الجاسوس—

« بين ظهراني علماء ينتقدون على الطائر طيرانه وعلى البعير وخدانه »

امّا انهُ لو كان الّف احد هؤلاء المولدين كتابًا في اللغة لقبلناهُ لا محالة فهل من الانصاف ان تُقبل روايتـهُ ويُردّ كلامه في شعرهِ ونثره ! ! ! قال صاحب الكليات: « استعمال الثقات الالفاظ في المعاني يُجعل بمنزلة نقلهم وروايتهم وان لم يوجد في كتب اللغة ولا في استعمال العرب » فليتأمل صاحب الضياء

وقس على ما تقدم سائر احتجاجات الضياء التي أعرضنا عنهـا مخافة التطويل غير اننا لا بدّ ان ننبه الى بعض أُمور الاول ان الضياء قد كرّرت عدّة مرات قولها بان فَعْلًا بفتح وسكون الصحيـح العين لا يُجمع على أفعال الّا سماعًا وهو غير صحيح لان من يستقري كتب اللغـة كما فعل حضرة اللغوي الاب حنا مرتا (راجع المشرق ص ٩٧٨) يرى ان ما سُمع عن العرب واثبتتهُ المعجمات من جمع فَعْل الصحيح العين على أفعـال هو اكثر جدًّا ممّا سُمع من جمعهِ على أَفعُل وفِعال وفُعلان لان الوارد على فعال منـهُ واثنان واربعون وعلى فُعلان اثنان وثلاثون وامّا الوارد على أفعال فثلاثمائة وثلاثون كما يعرف ذلك من طالع الاساس والمختار والمصباح واللسان والقاموس والتاج

فعلى الضياء اذًا ان تراجع الامهـات المذكورة لتقف على صحّة هذا القول ولا يعذرها كونها قلّدت بعض النحويين في ما زعمت لان من يكتب في أُمور اللغة ويدّعي فيها منزلةً رفيعة منتقدًا على الاولين والآخرين ينبغي ان لا يفوتهُ مثل هذا الامر. فهذا صاحب الجاسوس لمّا كان من الباحثين في أُمور اللغة نظر بعين الناقد الى مقالة الصغاني

في العباب عند زعمهِ ان افتعل متعدّيًا من النوادر وتروى في مقالة صاحب القاموس ايضاً في المعنى نفسهِ وفي كلام ابن الحاجب وغيره ممن قال قولها « فكدَّ الذهن واسهر الجفن» وقلّب كتب اللغة منقبًا عن صحة قولهم الذي بان لهُ بعد البحث غير مطابق للواقع فاظهر من ثمَّ زيفهُ وذكر من افتعل المتعدّي مئاتٍ

وكانت الضياء قد غلطت عدي بن زيد أحد شعراء الجاهليَّة في استعمالهِ موثوق بمعنى موثق وقالت « انما وقع لهُ ذلك لانهُ كان قرويًّا كما ذكر الاصفهاني في ترجمتهِ » . فاجبناها ان عديًّا من اهل الجاهلية الذين جُمعت عنهم اللسان وانَّ قرويتهُ لا تدلّ على انهُ يغلط في ما يستعمل من الفاظ وتراكيب والَّا لزم ان نغلِّط غيرهُ ايضاً من شعراء الجاهلية العديدين بهذه الحجَّة الوحيدة فقط اي كونهم من اهل القرى وهذا ممَّا لا يقول بهِ احد لبطلانه غير ان الضياء اصرَّت على قولها وأوردت في ردّها الاخير كلاماً لابن قتيبة عن عدي يقول فيهِ « انهُ كان يسكن الحيرة ويدخل الارياف فثقل لسانه واحتُمل عنهُ شيء كثير جدًّا وعلماؤنا لا يرون شعرهُ حجَّةً » وظنَّت انها وقعت على شيءٍ لم يقع عليهِ غيرها فاذا كان شعر عدي — كما تزعم — لا يصلح حجة فلماذا يحتجُّ بهِ جامعو كتب اللغة كابن منظور وغيره من اصحاب المعجمات . واذا كان قد ثقل لسانه لسكناهُ في الحيرة فكيف احتمل عنهُ شيء كثير جدًّا مع ذلك الثقل وكيف يستطيع ثقيل اللسان في لغةٍ ان ينظم فيها القصائد الحسان ويكون كاتب كسرى بالعربيَّة وترجمانًا بينهُ وبين العرب . واذا كان لا يصلح حجَّة فكيف نُظمت داليتهُ الطائرة الذكر في جملة مجمهرات العرب وكيف قال عنهُ ابن قتيبة نفسه انَّ لهُ قصائد من الغُرَر في جملتها القصيدة التي وردت فيها لفظة موثوق وهي من ارقّ الشعر وانفسهِ . وكيف اختار البحتريّ في حماستهِ بعضاً منها ذاكرًا اياها في مقدَّمة الشعر الجيّد . فصحَّ اذًا ان ابن قتيبة قلّد في كلامهِ عن عدي بعض الذين كتبوا ترجمتهُ ممن لم يكونوا عارفين بما لهُ من المنزلة العالية

ثمَّ اذا كان عدي هذا ممن يرتكب الغلط في العربيَّة فكيف قال عنهُ الاصفهاني نفسه « انهُ خرج أفصح الناس بالعربيَّة . . وان فروخ هامان قال يومًا لكسرى ان عندي غلامًا من العرب مات ابوهُ وخلّفهُ في حجري فربَّيتهُ وهو افصح الناس وأَلْبهم بالعربيَّة والفارسيَّة » قال السيوطيّ « بكلّ يُحتجّ والى كلّ يُحتاج » ومرادهُ ان كل شاعر جاهلي مهما كانت صفتهُ يصلح ان يحتجّ بهِ . واذا كان اهل اللسان ما توقّوا اشعار المجانين من

العرب كما قال صاحب المزهر بل رووها واحتجّوا بها واذا كانوا ايضاً أخذوا عن الاولاد قبل البلوغ فكيف صحّ للضياء ان تدّعي هذه الدعوى السقيمة التي تكذّبها حقيقة الحال

هذا واننا بعد ما رأينا من احتقار صاحب الضياء لجلة علماء العربيّة ومشاهير كتبتهم وشعرائهم حتى الجاهليين منهم هان عندنا ما قرأنا في كلامهِ من الفاظ الاستهانة بنا ولم نعلّق عليها اقلّ اهمية فاذا كان لا يراعي الادب مع السلف وخاصة المتقدّمين الذين يستضيء الكل بانوار معارفهم فهل يُؤمل منهُ ان يعاملنا بغير هذه الطريقة

وقد كنّا قبلًا نظرنا نظرًا خفيفًا في الفصل الذي عنونهُ « بلغة الجرائد » دون ان نتعقّب كل شيء فيهِ فضلًا عن انهُ لم تكن بين ايدينا كل الاجزاء التي كتب فيها ذاك الفصل امّا الآن وقد اطلعنا عليها جميعًا فرأينا فيها مؤاخذات كثيرة جديدة تستحق الذكر فاحببنا التنبيه الى اخصها لئلا يطول الكلام وينفد صبر القراء

فمن ذلك انهُ غلّط صاحب نفح الطيب في قولهِ « ولا يخفاك حسن هذه العبارة » وسراج الدين المدني في قولهِ:

« فاجبتُ ما يخفاكمُ حال السراج مع الرياح »

فقال ان « يخفى » لا يتعدّى بنفسهِ بل يتعدى بعلى. وعدّ هذا وهمًا غريبًا مع انّهُ هو الواهم لانّ مفعول اللازم قد يُحذف فيصل الى مفعولهِ بنفسهِ كما قال النحويون واستشهدوا عليهِ بقول الشاعر « تمرّون الديارَ ولم تعوجوا الخ » وقاسهُ بعض ائمّتهم مع غير أنّ وأنْ بشرط تعين الحرف ومكان الحذف كما هنا وعليهِ فنقد المنتقد اذًا باطل فبقي على صاحب الضياء ان يخطئ ائمة النحويين وليس هذا بكبير على سعة علمهِ

ومن سقطاتهِ تغليطهُ الكتبة في استعمالهم الشهامة بمعنى المروءة وعزّة النفس قال « وليس ذلك في شيء من كلام العرب ولكن الشهم عندهم الذكي المتوقد الفؤاد... قال الفراء. الشهم في كلام العرب الحمول الجيّد القيام بما حُمّل وكله بعيد عن المعنى الذي يريدونهُ كما ترى »

والجواب عليهِ ان قول الفراء الذي ظنّهُ مساعدًا لهُ جاء حجةً عليهِ اذ ما معنى قولهُ « الحمول الجيّد القيام بما حُمّل » سوى ذي المروءة والنخوة والانسانيّة. قال في المصباح: المروءة آداب نفسانيّة تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات » وقال في التعريفات « الشهامة الحرص على مباشرة امور عظيمة

تستتبع الذكر الجميل » فلينظر العاقل وليحكم هل يمكنهُ ان يستنتج من اقوال ايمة اللغة انَّ المروءة هي غير الشهامة

ومن تلك الاوهام العديدة ايضًا اخذهُ على الكتبة قولهم « تعذَّر عن الامر » وزعم « انهم يستعملونهُ بمعنى امتنع عليهِ الامرُ والصواب تعذّر عليهِ » والجواب انهم يستعملون تعذَّر عن الامر بمعنى تأخر عنهُ لا بمعنى امتنع عليهِ الامر وتعذَّر بمعنى تأخر ثابت في كل كتب اللغة وقد استشهد عليهِ ابن منظور بقول امرئ القيس :

بسيرٍ يضجُّ العود منهُ يمنُّهُ اخو الجهد لا يلوي على من تعذَّرا

وكنَّا قد ذكرنا قبلًا ان حضرة الاديب صاحب المكرمة الشيخ عبد الرحمن افندي سلام احد كتبة المحكمة الشرعيَّة في بيروت اهدى الينا كراسة عنوانها « دفع الاوهام لابن سلام » اقتصر فيها على تغليط الضيـاء في ما خطَّأت بهِ بعض مشاهير الشعراء والناثرين وقد طالعناها بامعان فرأينا ان حضرة كاتبها النحرير قد وقع في انتقادهِ مواقع الصواب

وقد استحسنَّا منها بالخصوص ردَّهُ على صاحب الضياء في مادَّة « يانع » (العددين ١ و ٢) ومادَّة « انفرط العقد » (ع ٥) و « وأكْرَبَ » (ع ٦) و « انكدر » (ع ١٣) و « خَوَبَ » (ع ١٧) و « موثوق » (ع ٢٠) و « خفر ذمَّتهُ » (ع ٢١). وقد ناضل المؤلف احسن مناضلة عن كثيرين من ائمَّة الكتبة كالحريري ولسان الدين ابن الخطيب والمقّري وبيَّن للمنتقد انهُ لم يدرك معانيهم او بنى اعتراضهُ على غير سند (راجع الاعداد ٢٩ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٨) وكفى بهذا تبصرة وتذكرة. وما العصمة الَّا لله

فوائد لغوية

بقلم جناب الاديب عزتلو الامير شكيب ارسلان احد اعضاء جمعيَّة المستشرقين الفرنسويَّة

١ سألني اديبٌ ما تقول في لفظة « النوادي » فقد وجدناها في كلامك ووجدنا بعضهم ينتقد استعمالها بقولهِ انها لم ترد في متون اللغة وان الوارد في جمع نادٍ هو اندية لا نوادٍ فما جوابك هذا ؟

(قلتُ) لا يُنكر ورود اندية جمعًا لنادٍ في كتب اللغة المعروفة لدينا كما انَّهُ لا

ينكر كون القياس ان يكون جمعهُ نوادي لأنّهُ كما لا يخفى يجمع فاعل على فواعل لغير العاقل. ثمّ اظنّ انّ الفيروزابادي يُوثق بقولهِ وهو يقول في مقدّمـة قاموسهِ « خير من حضر النوادي » واذا اعترض بان الفيروزابادي غير جاهليّ لم نعدم هذه اللفظة بهـذا المعنى في كلام الجاهليّة نفسهِ. ورد في مجمع الامثال للميدانيّ عند شرح مثل(زُرْ غبًّا تزدد حبًّا) ابيات رواها المفضل لمعـاذ الخزاعي فارس خزاعة في وقتهِ في قصّة جرت لهُ مع جحيش بن سودة ومن جملة هذه الابيات قولهُ :

ضربتُ جحيشًا ضربةً لا لئيمةً ولكن بصافٍ ذي طرائق مستكِ
ولستُ برعديدٍ اذا راع معضلٌ ولا في«نوادي» القوم بالضيّق المسكِ

فان لم نثق بالقياس وبالمسموع من كلام العرب فبماذا نثق وعمن نأخذ لغتنا ؟

٢ قال وما تقول في لفظة « استأسر » هل تأتي بمعنى اسر فقد ايّد ذلك بعضهم وانكرهُ آخرون

(قلت) قد تمسّك الذين جوّزوا هذه اللفظة بحديث عبـد الرحمن وصفوان نقلًا عن المطرّزيّ وهذا سنَد لا يُهزأ بهِ. وقد رأيتها في كلام الكبار مثل ابن الاثير صاحب التاريخ وابن الاثير هذا علَمٌ في اللغة من دقّق في عبارتهِ هذه المرسلة عَلِم علوّ كعبهِ فيها ونصيبهُ منها وهو يقول في غزوة شهاب الدين اجمـير بلاد الهند وغلبتهِ على ملك تلك البلاد عند ذكر وقوع الملك اسيرًا في يد شهاب الدين: « انّ بعض الحجّاب اخذ بلحيتهِ وضربَهُ الى الارض حتى اصابهـا جبينهُ واقعدهُ بين يدي شهاب الدين فقال لهُ شهاب الدين: لو « استأسرتني » ما كنتَ تفعل بي ؟ فقال الكافر: قد استعملتُ لك قيدًا من ذهب اقيّـدك بهِ الخ. وهؤلاء قوم رأوا من الكتب ما لم نرَ وسمعوا ما لم نسمع

٣ قال وما تقول في لفظة « احتمى » ؟. (قلتُ) هي واردة في كتب اللغـة المعروفة عندنا بمعنى امتنع عن الطعام حِميـةً. على انّ فحول الكتّاب والشعراء الذين حفظوا اللغة نظير جامعي هـذه المتون ان لم نقُل اكثر قد استعملوها في معنى طلب الحماية قال ابن الاثير: « واحتمى ثلثمائة من فرسان الافرنج على تلّ فقاتلهم المسلمون ». ووردت في كلامهِ مرارًا وقال ابن هانئ الاندلسي المضروب بهِ المثل في الشعر وكان يحمل من اللغة امرًا عظيمًا وذلك من قصيدة يهنئ بها جعفر بن غلبون بفتح قلعة كتامة :

لى هذه تيماء والابلقُ الفردُ فسَلْ أَجمات الاسد ما فعل الاسدُ

الى ان قال:

فتوحات ما بين السماء وارضها لها عند يوم الفخر آلسنةٌ لدُ
سيعبق في ثوب الخليفة طيبُها وما ثمَّ كافورٌ عليهِ ولا نَدُ
حروريَّةٌ ما كبَّر اللهَ خاطبٌ عليها ولا حيٍّ بها مالكًا وفدُ
وكانت هي العجاء حتى احتمى بها ملوكُ بني قحطان والشمرُ والجدُ

٤ قال وما قولك في «بارح» هل تأتي بمعنى بَرِح؟ (قلتُ) اوردوا على ذلك شاهدًا من كلام الامام عمر رضي الله عنهُ. وها انا ذا مورد شاهدًا آخر ذكر ابن عبد ربّهِ في باب التوديع في الجزء الثالث من عقدهِ الفريد هذه الابيات من قول اعرابي:

ابتكرٌ للبين ام انت رائحُ وقلبك ملهوفٌ ودمعك سافحُ
الان تبكّي والنوى مطمئنةٌ فكيف اذا بارحتَ من لا تبارحُ
فانك لم تبرح ولا شطَّت النوى ولكنَّ صبري عن فؤادي نازحُ

٥ قال صاحبنا امَّا استعمال «النوال» بمعنى النَيل كما تستعملهُ الجرائد خصوصًا المؤيد فهو غلط فاضح بلا شكّ. (قلتُ) لا اقدر ان اغلّط كلامًا تكلَّم بهِ اهل الجاهليَّة ورد في ديوان الحماسة قولهُ من ابيات شهيرة:

وهل حملت عيناي في الدار غدوةً بدمع كنظم اللؤلؤ المتهالكِ
ارى الناس يرجون الربيع وانَّما ربيعي الذي ارجو نوالُ وصالكِ
لئن ساءني أن نِلتني بمساءةٍ لقد سرَّني انّي خطرتُ ببالكِ

٧ قال وهل يُقال عدوٌّ الدّ؟. (قلتُ) يظهر ان اللدد من الصفات التي قد يتَّصف بها العدوّ. ويتبعهُ الحنق والحقد وما اشبه ذلك. قال الشاعر وهو ربيعة بن مقروم الضبّي:

والدَّ ذي حنقٍ عليَّ كانَّما تغلي عداوة صدرهِ في مرجلِ

فاذا كان يقال «ألدّ ذو حنقٍ» فكيف يمتنع ان يُقال عدوٌ الدّ. فاستقصى صاحبنا البحث الى الفاظ وتراكيب اخرى زعم بعضهم عدم صحَّتها وآخرون جوازها سائلًا فيها رأيي وان كان يستوري بذلك زندًا لا يفيدهُ قدحًا ويستحثّ ياسرًا لا يجيل في مثل هذا قِدحًا فقلتُ لهُ: تلك اعتراضات فيها وفي اجوبتها مجال واسع للقول والعربيَّة بحرٌ لا ساحل لهُ وقد اخطأ كل من ظنَّ احتكار علمها او التبحُّر في فقهها وما أوتيتم من العلم الّا قليلًا

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب يوسف تاَني احد اساتذة مدرستنا الكليَّة (تابع لما سبق)

٤ المدرسة

ان مررت في لبنـــان قرب عين ماء عذبٍ قراحٍ في ظلّ جوزةٍ او سنديانة بجوار كنيسة القرية فسمعتَ ضوضاء ورأيت عصابة اولاد جالسين على الارض متربعين شأن اهل بلادنا يقرأ هـــذا بصوتٍ جهيرٍ ويكتب ذاك فيُسمع لقلمهِ صرير يترنّم البعض بلحن سرياني والبعض يردّد على مسامع صغارِ الصلوات او آيات الكتاب المقدس ورأيت في الوسط رجلًا معبسًا بيـــدهِ القضيب وعلى حقوهِ دواةٌ فقل هذه المدرسة وهذا الرجل المعلّم يحمل في زنارهِ الدواة التي قال عنها حزقيال (٩ : ٢): « اذا بستَّة رجال مقبلين . . . . . وفي وسطهم رجل لابس كتّانًا على حقوهِ دواةُ كاتبٍ »

لا يكاد الولد يصل الى الرابعة من عمرهِ الّا ويُزجّ في المدرسة كالمجرم في سجن معتم قاتمٍ يُرسل صباحًا فيرجع مساءً ولا يرى من الدنيا نعيمًا ولذّةً . عند الصباح تهيّئ الوالدة لابنها « ترويقتَهُ (١) » اي فطورَهُ فتضعها بقماش تحفظهُ بهِ وكتبهُ توضع في كيس يُدعى « الحمَّال » ويُعلق في الكتف فعلى هذا المنوال يذهب الولد الى المدرسة وحدهُ او مع رفيقٍ لهُ

فاوّل يوم يصلُ الى المدرسة يكتب لهُ المعلم أحرف الهجاء على ورقةٍ ويلصقها على لوحةٍ صغيرة يعلّقها التلميذ في عنقهِ فلا يزال اياماً واللوحة على صدرهِ الى ان يتعلم الاحرف. بعدئذٍ يأخذ بدرس الزبور الالهي « المزامير » سطرًا سطرًا وورقةً ورقةً الى ان يفرغ منهُ تمامًا وفي ذلك اليوم يكون عيد في المدرسة تُشدّ ايدي الولد المذكور خلف ظهرهِ ويقودهُ ارفاقهُ مع الاستاذ الى بيت ابويهِ قائلين: « يا من يفكُّ المكتوف ويعمل معنا ها المعروف » . فحين وصولهم يستقبلهم الوالد والوالدة واهل البيت فرحين مسرورين فتصرم الحبال التي كُبّل بها ويُفرّق على الارفاق « الحلوان » ويكون عادةً زبيب وقضامة او غيرهما من الحلواء . واماً الاستاذ فكثيرًا ما ينفحهُ الوالدان بشيءٍ من الدراهم فيقال

١) الترويقة عند العامة كالرائق في اللغة وهي ما يؤكل ويشرب على الريق

« استفكَ فلان ولدهُ » كانَّ الولد اسير يقدّم عنهُ فدية والّا بقي اسيرًا . وتقول العامَّة اذا تورَّط احدهم في امرٍ عسير يا فلان استفكني اي نجني(١

(الكتابة) بعد درس « المزامير » يبدأ الولد « بالكتيبة » (ܟܬܝܒܬܐ) وهي الكتابة ويأخذ بدرس السريانيَّة لكي يخدم القداس ويشارك الكاهن في صلوات المساء في الكنيسة (لكي يقعد على القرّاية) غير انهُ يقتصر على ان يحسن القراءة دون ان يفقه معنى الكلام واللبناني يفتخر اذا ما خدم ولدهُ في الكنيسة ويعدّ ذلك من آلاء الله وطولهِ . واماَّ الكتابة فلا يُدعى الرجل معلّمًا ماهرًا ان لم يتقنها واذا كان الشرقي جميل الخطّ حسنهُ فمقامهُ رفيع ومنزلتهُ سامية بين قومهِ ومن ثمَّة كان رهطٌ كثيرٌ يتفرَّغون لاجادة التحرير وحسن الخطّ والتسطير والنصارى يُعنون بالخطّ المعروف بالكنائسيّ وقد امتاز منهم الحلبيُّون بحسن الكتابة . اماَّ الخطّ السرياني فكان اللبنانيُّون يهتمُّون بهِ ويتَّخذونهُ لتآليفهم المليَّة وكتبهم الطقسيَّة التي لم تنتشر بالطبع قدماً فكانوا يقضون ليلهم ونهارهم في نسخ الكتب المذكورة ويبيعونها باثمان حسنة . على ان العرب اجمالًا نبغوا في الخطّ وجعلوهُ في مقام فنّ التصوير ففاقوا غيرهم من الامم . فليتأمل طلبة المدارس في ايامنا

وطريقة الكتابة في المشرق تختلف عن طريقة الفرنجة فنحن نبدأ من اليمين الى الشمال ثم نكتب قاعدين متربعين ونحمل الورق بين يدينا فحيثما وُجدنا يرافقنا المكتب (الطاولة) . ثم اننا نسرع في الكتابة جدًّا ونُكثر من الحبر فنرسم احرفًا ضخمةً جافية فان خفنا عليها ان تطمس اذا قلبنا الورق اخذنا رملًا من مرملةٍ لنا وكببنا منهُ على الخطّ والافرنج يستعيضون عن المرملة « بالورق النشَّاس » (papier buvard)

(طريقة التدريس) بعد حضور الذبيحة الالهيَّة في الكنيسة يأتي الاولاد الى المدرسة فيدعو المعلم واحدًا فواحدًا ويقرأ امامهُ أُمثولتهُ مرَّة او مرَّتين ويصرفهُ لكي يدرسها زمانًا ثمَّ بعد حين يدعوهُ ليختبرهُ أتعلّم الولد درسهُ ام لا . اماَّ تقسيم المدارس الى صفوفٍ متتالية فلا يعرفها الاساتذة عندنا فان كل ولد يدرس امثولتهُ وحدهُ لا رفيق لهُ فيها ولا شريك وقد يحدث ان تلميذًا يفقه في النهار عشر امثولات والمعلّم

١) قد اعتاد الاهلون كذلك ان يتحفوا الاستاذ بالهدايا اكرامًا ومودَّة وخاصَّةً في الاعياد الكبرى وتسمى هداياهم « اوانثذ » عيديات وتكون مأكولاً او شرابًا او طُرفةً من الطُرَف

يسمع لهُ قراءتها وغيرهُ لا يتعلَّم شيئًا امَّا لكسلٍ منهُ وتوانٍ او لسوء ذهن وخمود قريحة ثمَّ قبل الظهر الساعة العاشرة يأخذ الجميع بدرس التعليم المسيحيّ فالذين يحسنون القراءة يدرسون في الكتب ويحفظون على ظهر البال عقائد الدين واقوال الآباء القديسين الاطهـار والذين لا يعرفون القراءة بعدُ يفرز لهم الاستاذ ولدًا من الفطنين البارعين يردّد امامهم الصلوات كلمةً كلمةً وهم يقولون معهُ الى ان ترسخ في ذهنهم ويتعلّموها

وقد اعتاد الاولاد في هـذه الاقطار على الدرس بصوتٍ جهيرٍ خلافًا لما يصنع الافرنج الذين يدرسون صامتين فان دخلتَ مدرسة وسمعتَ جلَبةً واختلاط اصواتٍ فتلك شارةٌ حسنة وامارة باهرة وان كان ثمَّ هدوء وسكينة فأطناب الكسل مضروبة واجنادهُ فائزة مظفَّرة

(طرائق التأديب) هذا وان الغلام في لبنـان يرضع مع الحليب شرف النفس والأنفة ودماثة الاخلاق فضلًا عن احترام الدين والميل الى العبادة والصلوات ومرضاة الله فيحمل على الدرس والطاعة لو ذكرتهُ ان تلك ارادة الله ورغبة معلمهِ العزيز ولكن لا يخال لاحدٍ ان الاستاذ يغفل عن القصاص فلا يتخذهُ لهُ سلاحًا بل ان قصاص المعلّم يُضرب فيهِ المثل ومن اقوالهم الشائعـة : « راح العيد (الفصح) وفرحاته وجاء المعلّم وقتـلاته » . فالاستاذ يضرب المذنب بالقضيب ضربًا يوازي الجرم ولا ترى والدًا او والدةً تتشكّى من استاذٍ يضرب ولدها بل كثيرًا ما سمعنا القوم يقولون : هـذا ابني « العظم لي واللحم لك » ادّبهُ وهـذّبهُ وعلّمهُ وثقّف اودهُ واضربهُ ضربًا شديدًا اذا اساء الادب وخالف النظام

ومن قصاصاتهم « الفلَق » وما ادراك ما هو الفلَق . عـدّةُ الاستاذ وسلاحهُ يستهل عليهِ كلَّ حَزنٍ وَعِرٍ ويبلّغهُ الُمنية في الامر العسِر نافي الكسل وموطّد اركان النظام مخافةُ الولد ولا خوف الجرم من الاكبال « نعوذ بربّ الفلَق من الفلَق شرَّ ما خلق » . فان قيل : صِفهُ . قلنا : هو عودٌ يُربَط حبل من احدى طرفيهِ الى الآخر وتُجعل رجلا الجرم داخل ذلك الحبل فيُضرب عليهما ضربًا مبرّحًا وهذا القصاص انّما يُجازى بهِ مَن يهرب من المدرسة . يرسل المعلّم اولادًا فيأتون بهِ مرغمًا ثمَّ يُشدُّ برجليهِ الى الفلَق ويصفعهُ عشر صفعات او عشرين وقد يجاوزها . فالمعلم اذن لا يقتصر على الذرائع الادبيَّـة ابتغاء لنجاح تلامذتهِ بل يلجأ مرارًا الى الضرب والقصاص غير انهُ يتحاشى ما استطاع مثل

هذا الدواء فلا يجرّعهُ الّا الذين لا يعمل فيهم اللطف والمحبّة والحماسة فيؤول ذلك لفائدتهم ويكون ترويعاً لغيرهم اذا وسوس لهم شيطان الكسل

وما يدلّ على خوف التلامذة من القصاص غناء يغنّونهُ يقول منهم قسم « يا معلّمنا حِلْنا يّا نهرب كلّنا يا معلمنا حلّ الحلَة صارت الشمس على التلّة » فيجيب الباقون « يا معلمي ما احلكم والعصا تلمّكم » فالخوف من الاستاذ يضع في قلوب التلامذة اجلالاً لهُ واعتباراً واكراماً لا نهاية وراءها فتراهم يهابون غضبهُ ويخشون توبيخهُ ولو اسعدتهم السعادة فوصلوا الى أعلى المراتب وأسمى الوظائف حتى ان التلميذ ان رقي الى درجة الكهنوت الشريفة فلا يسمح لمعلّمهِ ان يقبّل يدهُ خلافاً لما يصنع غيره من الناس في بلادنا. ثمّ ان لقب المعلّم الذي يلقّب بهِ الاستاذ لهو عظيم جليل سامٍ يُعطى للكهنة نوّاب المسيح فاللبناني يقول للكاهن « يا معلمي » كقول اليهود للمسيح لذكرهِ المجد (يو ٣:٥) يا معلّم نحن نعلم انك اتيت من الله معلّماً

انّهُ لبونٌ عظيم بيننا وبين قوم من بلادنا يزدرون بالاساتذة ازدراء وينعتونهم بصفات الاحتقار والمذمّة قائلين: فلان ابله كاستاذ. فلان ثقيل غليظ كانهُ الاستاذ فنعم ما قال احد الادباء جواباً لشروى هؤلاء:

افضّل استاذي على نفس والدي وان نالني من والدي الجسمُ والاصلُ

(ادوات الكتابة) الدواة تكون الدواة عادةً من نحاس توضع على الحقو بها يمتاز الكتّاب والاساتذة وهي تتركّب من قناة مستوية مثقوبة تخزن فيها الاقلام ومن وعاء للحبر وهو ما يُرى من الدواة الموضوعة في الزنّار وهذا الوعاء يُدعى «البِقسة» من السريانيّة ܟܼܚܼܣܐ. وقد غلب معنى البقسة على وعاء من خزف يوضع فيهِ الحبر ويستعمل كالدواة الافرنجيّة فلا يُحمل

الحبر ليس عندهم حبر الّا الاسود ويدلّ على ذلك تشبيههم كلّ ذي لونٍ اسود حالك بالحبر يقال: « اسود مثل الحبر » ويأخذونهُ من عشب ينبت في جوف الاودية او سفوح الجبال ويُعرف « بحشيشة الحبر » تأخذ النبت اخضر فتغليهِ بالماء ثم تضيف اليهِ قليلاً من العفص وتضعهُ بالشمس فيجمد هنةً سوداء ويزيدون عليهِ سكّراً وصمغاً عربياً ليصير لامعاً

الورق يأتينا الورق من اوربّة. غير انهُ كثيراً ما يُجزَأ الى طلاحي مستطيلة صغيرة

العرض ثم يُدرج درجاً ويُلفّ حزماً مجوّفة وعلى هذا النمط ورق العوذات والحروز التي يكتبها المسلمون تكون قطعاً طويلة جداً اما الكتابة على الورق المحيّز (papier rayé) فلم يألفها العرب

المرملة المرملة وعاء من نحاس او تنكٍ باعلاهُ ثقب جمّة كأنّهُ منخل يوضع فيها الرمل ويُكبّ على السطور التي لم يجفّ حبرها ويتأنق الكتبة بهذا الرمل فمنهم من يأخذ الرمل العادي ومنهم مَن يستعمل مادّةً ناعمة كالرمل ذات ألوانٍ فمنها الاخضر والازرق والاحمر الى غير ذلك من الالوان الناضرة الزاهية

شرح بعض جُمل تقال في المدارس واصحابها يُقال: « فلان يعرف المزامير من اللوح للوح او من الجلد الى الجلد » اي يعرفهُ برمّتهِ لانّ الكتب قدماً كانت اوراقها تُشدّ الى بعضها امّا بلوحتين وامّا بجلدٍ. ويقولون: « فلان قراءتهُ ناصحة » او « قراءته ضعيفة » اذا كان يحسن القراءة او يسيئها. و« فلان يفكّ الاسم » اذا كان يستطيع ان يقرأ مكتوباً « وفلان يعلّق الاسم » اذا كان لهُ بعض المام بالخطّ. ويُقال للولد «روح على المعلم» اي اذهب الى المدرسة. ويُقال: « فلان معلّم حلبون » تهكّماً. والحلبون عندهم النابغ الجيد وما استعملت الّا في معرض الذم. يقول المعلم للتلميذ: «يا معلمي ادرس » والمعنى انت ايها الولد الحبيب الذي انا استاذه ادرس. هكذا الوالد يقول لولدهِ « يا ابي » والام لابنها « يا امي » الخ. وهذا من غريب التركيب. ويقولون: « فلان ذهنهُ مفتوح ومفتّح » اذا كان ثاقب الذهن متوقد القريحة وان كان قليل الذكاء يقال فيهِ: « ذهنهُ مُطَلْمَس » و « هذا التلميذ يقرأ المحي » معناهُ ان لهُ الباع الطولى في الكتابة او هو نادرة داهية. ويُقال « لا يعرف الالف من العصا » او « الالف من المأذنة » للرجل العاميّ الذي لم يتعلّم العلم او الغرّ الجاهل

وما قلناهُ في المدارس اللبنانيّة لا يصحّ في كلّ انحاء لبنان وامّا المدن فمدارسها الآن على غاية ما يرام من الترتيب والنظام فيدرّسُ فيها المعلّمون البارعون على طريقة جديدة اقتبسوها من المرسلين الاوربيّين. بل جرت هذه الاساليب الحديثة في كثير من قرى لبنان الكبرى جرياً على طريقة التعليم في المدن ولا جرم فانّ في هذا الترتيب الجديد فضلاً كبيراً على النمط القديم لما فيهِ من الفوائد لتهذيب عقل الاحداث واصلاح طباعهم

الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية

للدكتور ميخائيل مشاقة

اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب لويس رنزڤال اليسوعي (تابع لما سبق)

فنقول انهُ لاجل استنتاج معرفة واقع طول كل قياس ربع من الارباع وكل برج من الابراج في ذلك الطنبور المراد ربطهُ يلزم رسم مثلَّث قائم الزاوية كما تراهُ في الشكل الرابع بان ترسم طول احدى قائمتيهِ ما شئت ثم تقسم من الزاوية الى نصفها اربعة وعشرين قسماً مسمَّياً اولها قرار نيم حصار وثانيها قرار حصار وثالثها قرار تيك حصار ورابعها عشيران وهكذا على التوالي فيكون القسم الرابع والعشرون نوى. ثم تنصف الثاني الى اربعة وعشرين قسماً فيكون القسم منها مثل نصف القسم من الاقسام الاولى وتسمّي القسم الاول نيم حصار والثاني حصارًا والثالث تيك حصار والرابع حسينيًّا وهكذا على التوالي فيكون القسم الاخير منها رمل توتي الذي هو جواب النوى. فجميع الاقسام الاولى والثانية ثمانية واربعون قسماً اولها قرار نيم حصار وآخرها رمل توتي وذلك ديوانان كاملان. ولا حاجة لذكر دواوين أخرى من الجوابات لان العمل فيها متساوٍ لانك كلما نصَّفت الباقي وقسمتهُ الى اربعة وعشرين قسماً يحصل منهُ ديوان جوابًا لما قبلهُ الى ما لا نهاية لهُ. ولم نتعرَّض هنا لذكر اليكّاه لانهُ يخرج من مطلق الوتر ولا يلزم لهُ ربط دستان (١

١) والى هذا الموضع يرجع شكلٌ ورد في النسختين وقد سمَّاه صاحب الرسالة الشكل التاسع يوضح فيهِ بالارقام نسبة الارباع الى بعضها ويمكن ان نعتبرهُ توطئةً لما يسردهُ المؤلف في هذا الباب من البراهين الهندسيَّة والحسابيَّة

واما وجه اقامة هذا الجدول فبأن تقسم وترًا مهما كان طولهُ الى ٣٤٥٦ جزءًا متساويًا على افتراض ان صوت مطلق الوتر هو يكاه ثم تنصّف تلك الاجزاء فيكون نصفهُ ١٧٢٨ جزءًا اي النوى على ما مرَّ بيانهُ واليك عقيب ذلك ان تزيد على هذا العدد ٤٩ جزءًا ثم ٢+٤٩ اي ٥١ ثم ٢+٥١ اي ٥٣ ثم ٥٥ ثم ٥٧ الخ ٢٤ مرَّة حتى تبلغ ٣٤٥٦ وكلما أضفت احد هذه الاعداد ونقرتَ الوتر كان الصوت المسموع يسفل النغمة المتقدّمة ربعًا واحدًا. ويمكن ايضًا طرح اجزاء مبتدئًا من اليكاه او ٣٤٥٦ فتطرح اولاً ٩٥ ثم ٩٣ . . . كما ترى في الشكل فتحصل حينئذٍ على الارباع المتصاعدة حتى النوى

الشكل التاسع

اجزاء	من مطلق الوتر يكاه الى غمازة الدوكاه
١١٤٨	

اجزاء		
٣٦٨	اجزاء برج العشيران	
	٩٥	قرار نيم حصار
	٩٣	قرار حصار
	٩١	قرار تيك حصار
	٨٩	عشيران
٢٥٥	اجزاء برج العراق	
	٨٧	قرار نيم عجم
	٨٥	قرار عجم
	٨٣	عراق
٢٣٧	اجزاء برج الرست	
	٨١	كوشت
	٧٩	تيك كوشت
	٧٧	رست
٢٨٨	اجزاء برج الدوكاه	
	٧٥	نيم ذركلاه
	٧٣	ذركلاه
	٧١	تيك ذركلاه
	٦٩	دوكاه

اجزاء	من غمازة الدوكاه الى النوى جواب المطلق
٥٨٠	

اجزاء		
١٩٥	اجزاء برج السيكاه	
	٦٧	نيم كردي
	٦٥	كردي
	٦٣	سيكاه
١٧٧	اجزاء برج الجهاركاه	
	٦١	بوسليك
	٥٩	تيك بوسليك
	٥٧	جهاركاه
٢٠٨	اجزاء برج النوى	
	٥٥	نيم حجاز وهو العرباء
	٥٣	حجاز
	٥١	تيك حجاز
	٤٩	نوى

١٧٢٨	اجمالي	الديوان الاول
١٧٢٨	اجمالي	الديوان الثاني
٣٤٥٦	اجمالي	فسحة العود او الطنبور

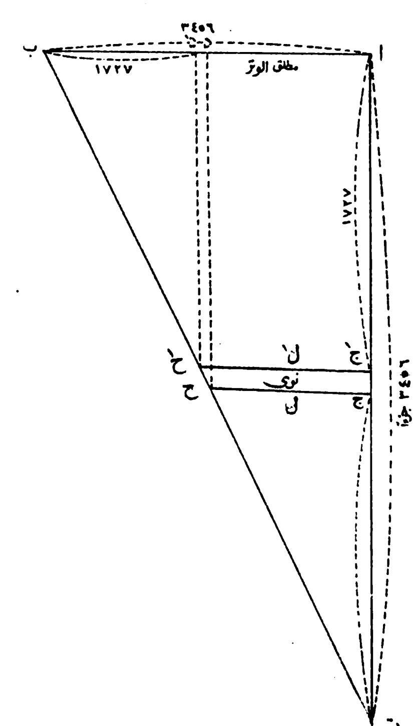
هذا ومما لا يخفى ان هذه الطريقة انما هي تقريبيَّة قصد فيهـا المؤلف العدول عن الكسور ابتغاء التسهيل بيد انها لا تخلو من الصحة لانك ترى الاعداد فيها تتناقص على نسبةٍ متصلة هندسيَّة او ما يقرب وهذا ما تقتضيه المسألة كما مرَّ . فسرَّنا من هذا الوجه مقابلة نتائج صاحب الرسالة بمخارج الفارابي عن ربع البعد الطنيني فقال في كتاب الموسيقى : ان نسبة ربع البعـد الى الكل هي ٣٥/٣٦ . فاحببنا ان نُعمل هذه النسبة في العدد المتخذ في رسالة مشاقة اي ٣٤٥٦ لاستخراج الربع الاول فكانت النتيجة حسنة لا تختلف عن مخرج مشاقة الَّا بالنزر القليل ودونك وجه حسابنا :

٣٥/٣٦ × ٣٤٥٦ = ٣٣٦٠ للربع الاول وكان مخرج مشاقه ٣٣٦١ (اي ٩٥ – ٣٤٥٦).

ثمَّ ٣٥/٣٦ × ٣٣٦٠ = ٣٢٦٦,٦٦ للربع الثاني 〃 〃 〃 〃 ٣٢٦٨ (اي ٩٣ – ٣٣٦١)

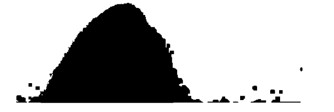
ثم ترسم القائمة الثانية بحيث طولها يكون جزءا واحدًا من تسعة اجزاء من طول فسحة الطنبور المراد ربطهُ ثم تضع علامـــةً على ثلاثة ارباع طولها ليكون جزءا واحدًا من اثني عشر جزءا من طول فسحة الطنبور وعلامةً ثانية على ربعها الاول من جهة الزاوية ليكون جزءا واحدًا من ستَّة وثلاثين جزءا من طول فسحة الطنبور وحينئذٍ تسحب

امَّا الحساب المدقَّق هو ان تضرب ٣٤٥٦ بالنسبة الصحيحة الشرعية وهي $\frac{١}{\sqrt[٢٤]{٢}}$ اي ٠,٩٧١٥٣٢٠ والنتيجة للربع الاول ٣٣٥٧,٦١٤٥٩٢٠ وهذه النتيجة مما يؤيد قولنا ان اعداد الشكل التاسع الواجب طرحها من ٣٤٥٦ لتناول الارباع هي اعداد مقرَّبة لا كاملة الصحة فوددنا ان نتيقّن حق اليقين ما هي بالتدقيق فاقتحمنا حسابًا طويلًا مبنيًّا على أُصول الهندسة فنورده هنا لمن رغب الوقوف عليهِ والشكل



ا ب ت ج ح على ما مرَّ بك قبلًا اعني انَّهُ مثلَّث قائم الزاوية فلنقسم الخطَّين ا ت و ا ب الى ٣٤٥٦ جزءا فمن د اذًا الى ب ١٧٢٧ جزءا كما من ا الى ج فالخط ا ب هو مطلق الوتر اما من د الى ب هو الديوان الاول فترى انَّ في د يكون صوت النوى وانَّك كلَّما سحبت خطًّا مثل لَ موازيًا ل ثم من طرفهِ حَ عمودًا واصلًا الى دَ يكون عدد الاجزاء المحبوسة بين ج و جَ مساويًا للاجزاء التي بين د و دَ

ولعلَّك الان تطلب بايّ وجه يمكنك تقسيم الخطّ ا ج الى ٢٤ قسمًا او ربعًا تكون بين بعضها على نسبة هندسيَّة فالجواب انك تعلم ذلك اذا علمتَ كم هي اجزاء ا ج المتضمّنة بين ربعٍ وربعٍ فلنفترض اذًا ان لَ هو الخطّ الدال على الربع الاول قبل النوى (والنوى خطّ ل) فالمطلوب ان نعرف عدد الاجزاء المحتوية بين ح و ج اي في ي وهذا سهل جدًّا اذا اعتبرنا ان المثلَّثين ت ج



ثلاثة خطوط مستقيمة من رأس القائمة الاولى احدها ينتهي في رأس القائمة الثانية ويسمى خطَّ الابراج الكبرى وثانيها ينتهي عند ثلاثة ارباعها المعلَّم عليهِ ويسمَّى خطَّ الابراج الصغرى وثالثها ينتهي عند ربعها الاول ويسمى خط الارباع ثم ترجع الى اقسام الارباع الثمانية والاربعين المقسَّمة على القائمة الاولى فكل قسم منها يُقسم في وسطهِ خطًا عموديًا واصلًا الى خطَّ الارباع ويُسحب من جانبهِ خطَّان يلتقيـان في رأس العمود عند خطَّ الارباع فيصير مخروطًا قاعدتهُ جزء من القائمة الاولى ورأسهُ عند خط الارباع فكل مخروط من هذه المخروطات الثمانية والاربعين التي ترسمها يكون طول العمود القائم في وسطهِ هو طول قيـاس ذلك الربع المسمى باسمهِ في ذلك الطنبور الذي بنيتَ العمل على قياس طولهِ. ثم ان معرفة طول مقياس كل برج على حدتهِ لها طُرُق كثيرة لا حاجة الى

ح و ت ج ح ح' هما شبيهَين فيسوغ لنا من ثم ان نكتب هذه المساواة :

$$\frac{ل}{ل'} = \frac{١٧٢٨}{ي+١٧٢٨} = \frac{١}{\sqrt[٢٤]{٢}}$$

(فبيَّنَّا آنفًا ان هذه النسبة الاخيرة هي نسبة الارباع بينها من حيث طول الوَتَر) فيخرج من ذلك

١ ي = ($\sqrt[٢٤]{٢}$ − ١) ٥٠,٦٣٣ للربع الاول مبتدئًا من النوى
= ٥٠,٦٣٣ للربع الاول مبتدئًا من النوى

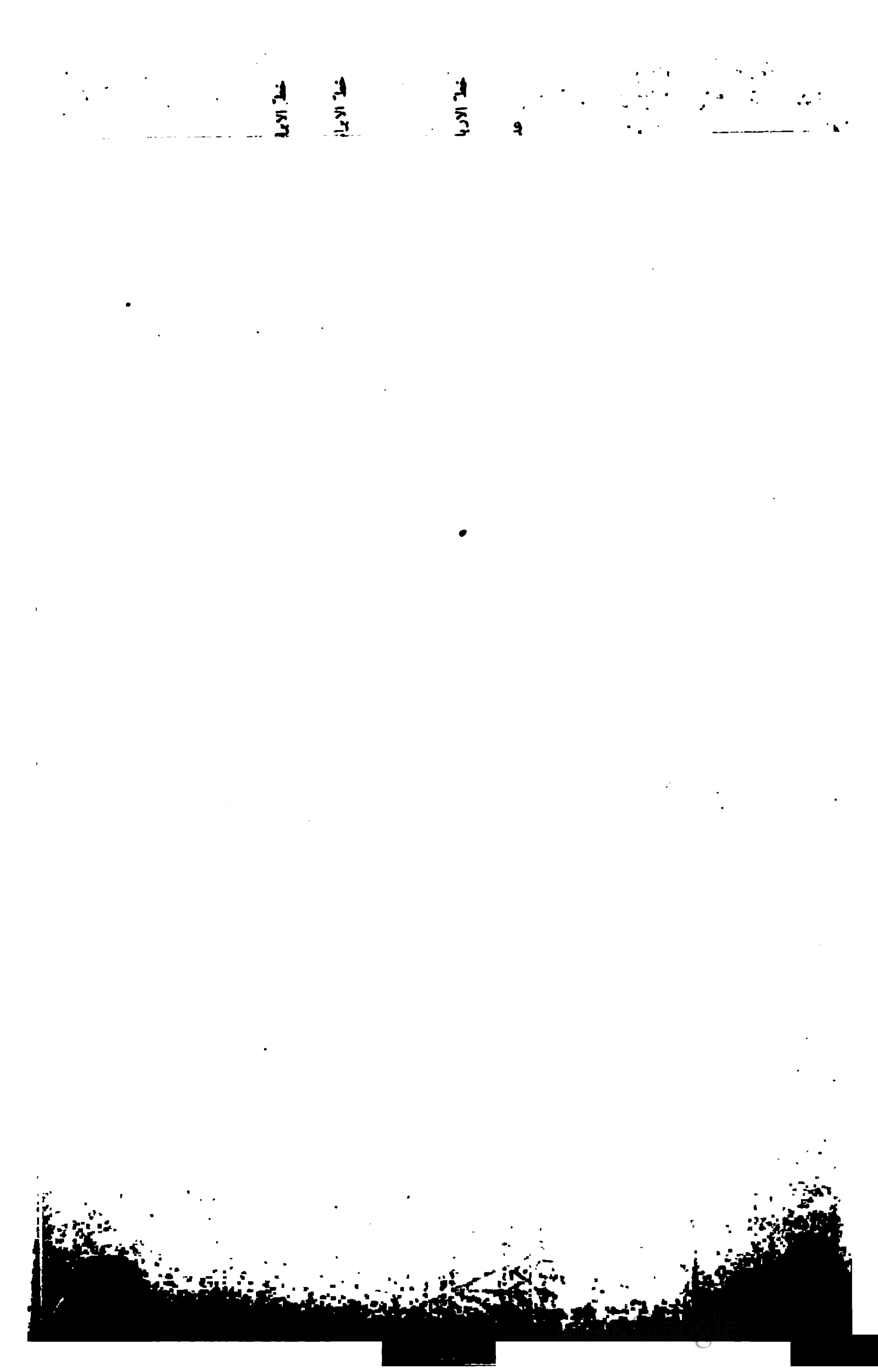
	اعداد مشاقة
٢ ي = ($\sqrt[٢٤]{٢^٢}$ − ١) ١٧٢٨ = ١٠٢,٧٥٣٥ وبسقوط ٥٠,٦٣٣ = ٥٢,١٢٠	٥١ *
٣ ي = ($\sqrt[٢٤]{٢^٣}$ − ١) ١٧٢٨ = ١٥٦,٣٩٦١ « ١٠٢,٧٥٣٥ = ٥٣,٦٤٢٦	٥٣
٤ ي = ($\sqrt[٢٤]{٢^٤}$ − ١) ١٧٢٨ = ٢١١,٦١٤٣ « ١٥٦,٣٩٦١ = ٥٥,٢١٨٢	٥٥
٥ ي = ($\sqrt[٢٤]{٢^٥}$ − ١) ١٧٢٨ = ٢٦٨,٤٤٨٣ « ٢١١,٦٢٤٣ = ٥٦,٧٣٤٠	٥٧
. . . .	. . .
١٢ ي = ($\sqrt[٢٤]{٢^{١٢}}$ − ١) ١٧٢٨ = ٧١٥,٧٦٠٢ « ٦٤٦,١٩٠٨ = ٦٩,٥٦٩٥	٧١
١٣ ي = ($\sqrt[٢٤]{٢^{١٣}}$ − ١) ١٧٢٨ = ٧٨٨,٣٦٨٢ « ٧١٥,٧٦٠٢ = ٧١,٦٠٨٠	٧٣

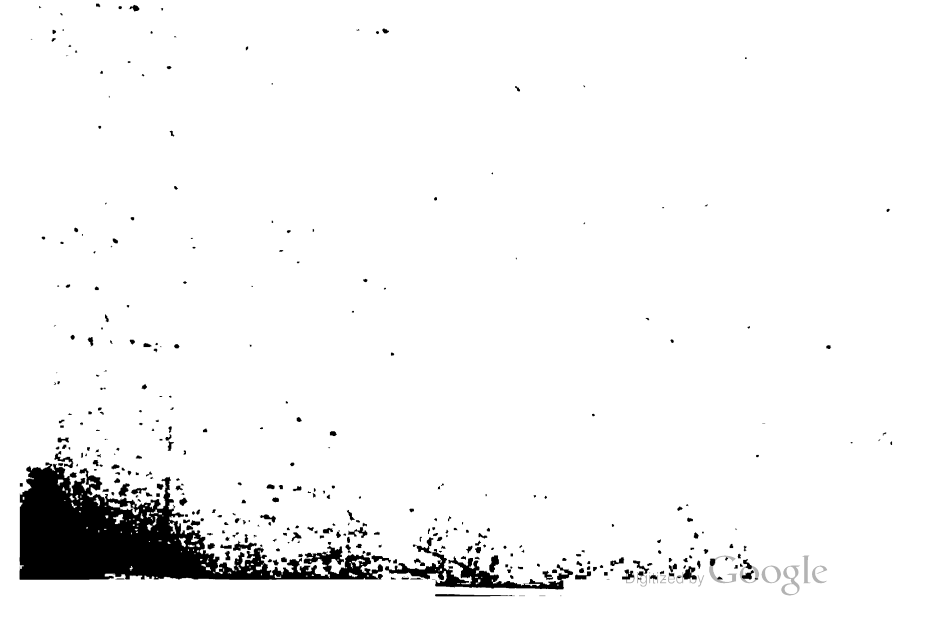
فوجدنا بوجه آخر ان طول الوتر للربع الثالث والعشرين هو ١٦٢٩,٦١٦ جزءًا
والرابع والعشرون اذًا (او الاول اذا ابتدأنا من اليكاه) ١٧٢٨ − ١٦٢٩,٦١٦ = ٩٨,٣٨٤
امَّا عدد مشاقة فهو ٩٥

فيظهر من ذلك ان الفروق ليست بكبيرة ويمكن من ثم اعتبار ديوان مشاقة المقسوم الى ٢٤ ربعًا ديوانًا معتدلاً (gamme tempérée) فلا يخفى على احدٍ ان حلّ هذه المسألة صحّ ايضًا مراعاة العمودين د ح و د' ح' بتغيير ما وجب تغييره في المساواة

---

* (١٠٢,٧٥٣٥ هو عدد الاجزاء بين النوى والربع الثاني قبله)





ذكر جميعها بل نذكر لذلك طريقين الاول منهما هو ان مجموع طول الارباع الكائنة ضمن ذلك البرج هو عين طولهِ والثاني ان يؤخذ رسماً من الشكل بعينهِ مبتدئاً من برج العشيران فانهُ من الابراج الكبرى وضمنهُ اربعة ارباع اولها قرار نيم حصار وآخرها ربع العشيران فتقيم في وسطها ما بين ربعَي قرار الحصار وقرار تيك الحصار خطاً عمودياً واصلاً الى خط الابراج الكبرى المسحوب من رأس القائمة الواحدة الى رأس القائمة الاخرى وتسحب من جانبي الاربعة الارباع خطَّين يلتقيان في رأس العمود عند خطّ الابراج الكبرى. وهكذا تفعل في برج العراق غير ان الخطّ العمودي الذي تقيمه في وسطهِ توصلهُ الى خطّ الابراج الصغرى لانهُ منها وليس ضمنهُ الّا ثلاثة ارباع ثم يجري العمل على هذه الصورة في جميع الابراج فالكبير منها تصل عمودهُ المتوسّط بخط الكبرى والصغير منها تصلهُ بخط الصغرى فيتمّ العمل برسم اربعة عشر مخروطاً هي الديوانان الاربعة عشر برجاً عدا اليكاه فانهُ مطلق الوتر والاعمدة المنصوبة في كل مخروطٍ طولها هو طول قياس ذلك البرج الذي هي ضمنهُ فتأخذ طول العمود بفتحة البيكار وعلى قدرهِ تربط الدستان على عنق الطنبور

وقد رسمت لك الصورة المذكورة في الشكل الرابع مبنية على طنبور فسحتهُ ثمانية وعشرون قيراطاً وذلك لاجل زيادة الايضاح ثم انهُ قد تقدّم الشرح في الفصل الثاني من الباب الاول عن الفرق الكائن بين الابراج العربيَّة والابراج اليونانيَّة ولم نبيّن هل هذا بينهم حقيقي لنفس الابراج اي ان اليونان مثلًا يخفضون صوتهم في برج الجهاركاه عن العرب ام العرب يرفعون صوتهم فيهِ عن اليونان حتى يكون ناقصاً عن اليونان او زائدًا عند العرب بالفعل ام ان مخرج صوت البرج عند الفريقين متساوٍ والاختلاف من خطأ احدهما في ما اعتمدهُ من تقسيم اجزاء الابراج اي الدقائق والارباع وهكذا بقية الابراج الواقع الاختلاف عليها. فبالحقيقة ان الحكم في هذه القضية من المشكلات التي تقف عندها فحول الموسيقيّين اذ لم يكن عندهم بعض اصول هندسيَّة. هذا والعرب لم يأتوا بدليل لإثبات رأيهم سوى قولهم ان الديوان يحتوي على اربعة وعشرين ربعاً مقسومة الى ابراج كبرى ضمن البرج منها اربعة ارباع والى ابراج صغرى ضمن البرج منها ثلاثة ارباع. اما اليونان فقالوا ان الديوان يحتوي على ثمان وستين دقيقة مقسومة الى

ابراج كبرى ضمن البرج منها اثنتا عشرة دقيقة (١ والى ابراج وسطى ضمن البرج منها تسع دقائق والى ابراج صغرى ضمن البرج منها سبع دقائق فهذا القول لا يقوم منهُ دليل كافٍ لمعرفة الحقيقة . ولاجل الوقوف على الصحيح من القوانين عمدتُ الى الطنبورَين وربطت احدهما بموجب رسم الشكل الرابع المتقدم بيانه وربطت الثاني مقسماً على اصطلاح اليونان وامتحنت عليهما مخارج صوت الابراج فعليًّا مجريًا على كلّ منهما بعض الحان راسخة في الذهن والصوت من تقرير الملكة . فوجدت ان موقع مخرج الابراج عند الفريقين في رتبةٍ واحدة وان الخطأ انما هو تقسيم الارباع عند العرب وان الصحيح هو تقسيم اليونان . ولذلك رسمت الشكل الخامس وهو كالشكل الرابع ولا حاجة الى تكرار بيانهِ غير اني أُوضح الفرق الكائن بينهما فقط وذلك اولًا ان القائمة الاولى يُقسم نصفها الى ثمان وستين دقيقة تتوزَّع على الابراج حسب ترتيب اليونان المشروح آنفاً . ثانياً ان القائمة الثانية يكون طولها جزئين من سبعة عشر جزءًا من طول

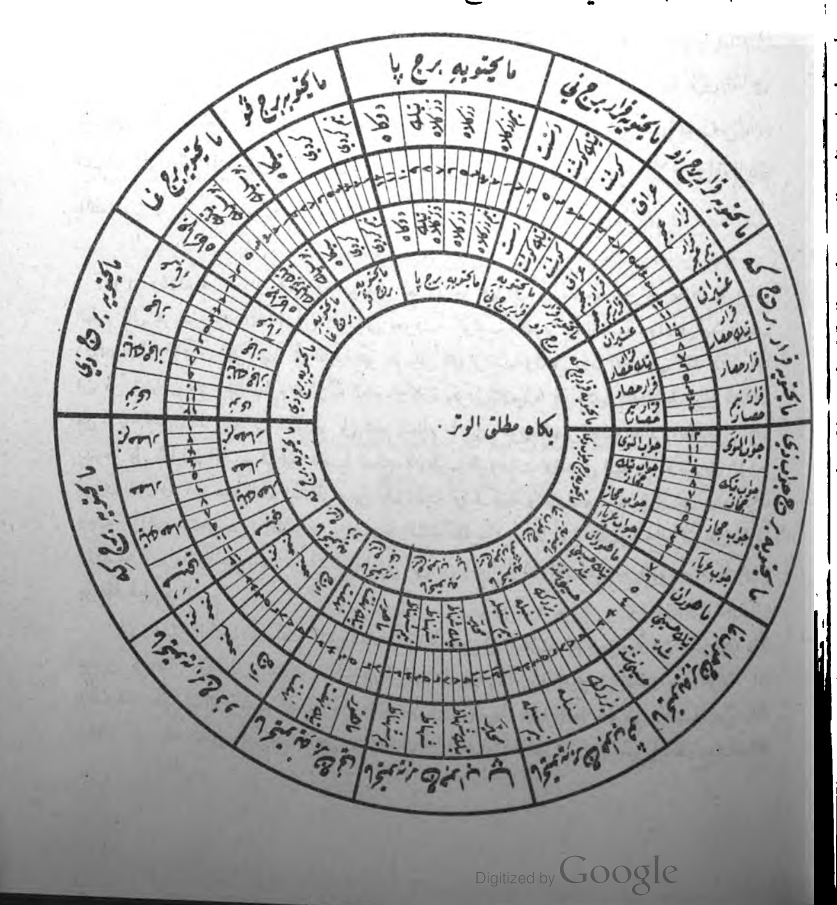
١) هذا كما قدَّمنا زعم المتأخرين من اليونان وقد اسهبنا الشرح عن الديوان واقسامهِ عند الاقدمين منهم وهو التقسيم المعتبر الطائر الشهرة . اما التقسيم الى ٦٨ دقيقة فلا تكاد تعثر عليهِ في التآليف الشائعة في فنّ الموسيقى

واما ما قال صاحب هذه الرسالة عن صحَّة تقسيم الديوان العربي الى ٢٤ ربعاً وتفرعهِ الى ابراج كبيرة وصغيرة فانَّ فيهِ نظر ولمزيد الايضاح نقول : اولاً انهُ لا حقّ للمؤلف ان يسمي هذا التقسيم تقسيم العرب بلا شرح ولا توطئة اذ للاقدمين منهم كالفارابي وللمتوسطين كالشيخ صفي الدين تقسيم غير ذلك التقسيم ومرجعهما اما الى ديوان اليونان او الى تفريع البعد بين القرار والجواب الى سبعة عشر جزءًا عدد نغمات العود (راجع مقدّمتنا)

ثانياً ان التقسيم الى ٢٥ ربعاً متساوية لساقطٌ في مبادئهِ لانهُ يخرج عن حدود العرب المألوفة بعض الاصوات والابعاد المستعملة في القرون السالفة فبكل صواب يعاتب العلّامة ف . لَنْد (Ph. Land. *Recherechès ...* p, 43) الحدثين من العرب على اختراعهم الابراج الصغيرة والكبيرة في التقسيم المذكور قال : « وبادخال هذا التقسيم المبتدَع تغيَّر الديوان العربي القديم وفسد حتَّى انك لا يمكنك القطع هل برج العراق مثلًا موضوع ليحلّ محلّ وسطى الزلزل القديمة او ليسدّ مسدّ نغمة العراق من ديوان صفي الدين وكذلك للسيكاه وغيرهما » اه

ثالثاً ومع كلّ ذلك يجوز القول بانَّ هذا الإحداث لا يخلو من بعض الفائدة واول ما نجتني من تأليف صاحب الرسالة تعزيز شان الموسيقى في البلاد الشرقية ثم ردّ هذه الصناعة الى فوائد واصول عقلية واخيرًا تليين بعض الحركات اللحنيَّة وتسهيل بعض الاعمال بتعديل الابعاد الموسيقية هذا فضلًا عن انهُ انعش في القلوب رغبة جميلة في مزاولة هذا الفنّ فنرجو لها نموًّا وازديادًا

فسحة الطنبور وتقسم على اثني عشر قسماً فمن رأسها يُسحب خط الابراج الكبرى ومن تسعة اجزاء منها يُسحب خطّ الابراج الوسطى ومن سبعة اجزاء منها خطّ الابراج الصغرى ومن ثلاثة اجزاء منها خط الارباع العربية الكبرى ومن جزء واحدٍ منها خطّ الدقائق اليونانيَّة . ثم ان الثلاثة الاجزاء من الزاوية الى خطّ الارباع تُقسم الى تسعة اجزاء فمن سبعةٍ منهـا يُسحب خطّ الارباع الصغرى لان الابراج الصغرى سبعة اقسامٍ والعرب يقسمونها الى ثلاثة ارباع مثل الوسطى فوجب ان تكون ارباعها اصغر من ارباع الوسطى ونسبتها اليها نسبة سبعة اقسام الى تسعة ولبيان عدم صحّة تقسيم العرب قد رسمتُ دائرةً يونانيَّة وعنونتها بالشكل السابع مثل الدائرة العربية المتقدّم الكلام عليها في الفصل السابع من الباب الاول والعمل بها كما يُعمل بتلك



ولنذكر طرفًا مما ذكرتهُ قدماء الموسيقيين من الالحان التي كانوا يعالجون المرضى بسماعها معتبرين موافقتها لأمزجة الناس وذلك ان الجهاركاه حارّ يابس مهيّج للدم والاوج والنوى باردان يابسان وعكسهما الحسيني والدوكاه فكلّ منهما حار رطب وكلّ من الرست والسيكاه بارد رطب (١ فيُختار منهـا ما يوافق المزاج. والذي اراه في هذا المعنى انَّ الانسان ينتعش بسماع اللحن الذي يميل طبعهُ اليهِ وهذا الميل ليس من المزاج بل من تقرير العادة وربّما تقرّرت العادة من اول مسموعات الانسان عند ابتداء ادراكهِ او من ولوع حصل لهُ بسماعهِ تلحين بعض النشائد موافقًا لغرضٍ ما كان قائمًا في ذهنهِ فما زال يُردّد ذاك اللحن في مخيّلتـهِ حتى صار لا يهوى غيرهُ. ومن ذلك نشأ ما تعبّر عنهُ العـامّة ببيت النغم وهو انَّ كلّ منشدٍ لا بدَّ ان يكون لهُ ميل خاصّ الى بعض الالحان يحسن الانشاد فيهِ اكثر من غيرهِ واذا خلا بنفسهِ على غير قصدٍ يترنّم بهِ دون غيرهِ فلا ينشد غيرهُ الّا عن قصدٍ. والذي ينفي صحّة ما ذكروهُ اننا نرى الناس يميـلون الى استعمال الالحان المتداولة في بلادهم التي نشأوا بها على سماعهم من غير اعتبار الموافقة المزاجيّـة (٢ لجواز ان يختلف مزاج احدهم عن الآخر والله اعلم بالصواب

١) وللاقدمين اقوال عجيبة في الموسيقى اما في تعريفها او في منافعها او في علاقتهـا بسائر العلوم قال هرمس (Hermes) ان الموسيقى معرفـة ترتيب الامور في الطبيعة. وادّعى پيثاغورس (Pythagore) ان كلَّ شيء في الدنيا هو موسيقى اي ترتيب وتنظيم. اما افلاطون فقد ذهب الى ان فنّ الالحان هو مبدأ العلوم البشريّة العام. وكان يكرّر لتلاميذهِ قولهُ: بان «الالهة انزلوا الالحان من السماء ليس فقط لتطرب الآذان بل لتقيم النظام ما بين قوى النفس». واعتاد الاقدمون ان يبنوها على الطبائع الاربع فزعموا انهـا تصلح لترطيب اليبوسات وتعديل السوداء وترويق الدم. فروى الفارابي ان هذا العلم استُخرج من علم الهيئة والحكمة والطب وعلوم المنجّمين والطبيعيين وعليهِ تراهم يستخرجون المقامات من بروج الفلك كالرست مثلًا من الحمل والعراق من الثور والاصفهان من التوأمين الخ . . . فينسبونها الى كل من الحرارة او البرودة مع اليبوسة او الرطوبة موافقًا للطبائع الاربع

٢) هذا من الصواب لكنهُ قليل الفـائدة لما نحن في البحث فيهِ ومرجعهُ ان الشرقيين مثلًا يميلون كلّ ميل الى الحان بلادهم فلا يستظرفون لاول سماع انغام الافرنج وبالعكس عند هؤلاء. اما ذلك فلا يكفي لبيان السبب الذي لاجلهِ يستحسن ابن الشرق هذا اللحن الوطني ويفضلهُ على ذاك وهذا كما سبقنا متعلّق بالذوق الخاصّ والاحوال اما الذوق الخاص فهو يتولّد من الطباع والعوائد

تتمة في احكام أُخر للالحان

قد علمتَ ما يتعلّق بهذه الصناعة من اعتبار الالحان بحسب الذات واعلم انهُ لا بدَّ من اعتبارٍ آخر لها بحسب الصنعة فان منها ما هو مقيَّد وهو ما التزم في اجزائهِ حركات دوريَّة اذا بلغ بها الى القرار عاد اليها بعينها وموضعهُ اللفظي ما التزم فيهِ بازاء تلك الحركات اجزاء موزونة من الكلام تدور دَور الحركات مطابقةً لها في اتفاقها واختلافها ويقال لهُ « اشغل » وهو قد يكون مرتجلًا في وضعه وقد يكون مأخوذًا من فنون الشعر كالموشَّح والزجل وغيرهما. فان وضع خاتمة لنوبتهِ قيل لهُ « اكرك » ومنها ما هو مطلق وهو ما يجري على حركات اختياريَّة لا يلزم شيء منها. واما موضوعهُ فقد يكون ملتزمًا في نفسهِ اوزانًا دوريَّة كقطعة من الشعر وقد لا يكون ملتزمًا كسورةٍ من القرآن. وكلاهما يجرى عليهِ اللحن بحسب الاختيار فيُحتمَل من اختلاف الالحان عليهِ قدر ما تحتمل صناعة المتصرف فيهِ لا يمتنع اجراؤهُ على جميع الالحان الموسيقيَّة. وربَّما اخذ في اللحن ثم انتقل منهُ الى لحنٍ آخر افتنانًا في العلم ثم عاد اليهِ عند القرار فان لم يعد كان عبثًا في الصناعة. والترنّم الموزون من ذلك يقال لهُ انشاد ولغيرهِ ترتيل واذا جرى اللحن على الآلة فان كان مقيَّدًا بحركاتٍ دوريَّة قيل لهُ بُشرَف والَّا فهو تقسيم (١

ولا يخفى ان الغرض من هذه الصناعة إحداث طَرَبٍ في النفس بسماع ما يوافق هواها. ولذلك كان بعض الالحان اطيب سماعًا عند بعض السامعين دون بعض كما يكون في الاطعمة والمناظر ونحوها. وهذه الموافقة لا تتم بالنسبة الى هوى النفس ما لم تتم بالنسبة الى اجزاء اللحن في انتساقها وسلامتها من التشويش وهذا انما يُطرد عند انفراد المغني بنفسهِ فاذا اشترك مع غيرهِ وقعت مظنَّة التشويش فوضعوا فنّ الاصول لصيانة هذه المشاركة عن تشويش السابق والمتأخر من المشتركين في الغناء حتى يكون مجموعهم كواحد (٢. ولمَّا لم يكن لهُ دستور يُبنى عليهِ فوضعوا جزئين يتركَّب احدهما

١) ومن اراد وصف نوبةٍ بتفصيلها فعليهِ ان يقف على ما سرد في ذلك سلفادور دانيال (Salvador Daniel) المارّ ذكرهُ في تأليفهِ عن الموسيقى العربية (La Musique arabe c. II parag. II, p. 39) بيد ان لابناء الشرق لغنًى عن ذلك لما علَّمتهم العادة الوطنيَّة من هذا القبيل

٢) ولعلم الاصول او الايقاع فصولٌ مطوَّلة في كتاب الموسيقى للامام ابو نصر محمد الفارابي وفي رسالة الشيخ العالم صفي الدين البغدادي الَّا ان بينهما شيء من الاختلاف في التعبير عن السببين الثقيل والخفيف فعند الفارابي يسمى الاول تَنْ والثاني تَ اما عند الشيخ صفي الدين

من حركة فسكون والآخر من حركتين فعبّروا عن الاول بقولهم « دُمْ » وعن الثاني بقولهم « تَكَ » جريًا على اصطلاح العروضيين في وضع السببين الخفيف والثقيل ومن ثم جمعهما بقولهم « لَمْ أَرَ » مقتطفًا من قول العروضيين « لم أرَ على ظهر جبل سمكةً » وركّبوا من هذين الجزئين جملًا في الاستعمال كتفاعيل العروض ووضعوا لكلّ جملة فيها اسمًا يميّزها عمّا سواها يركبونهُ من دُمْ وتَكَ نحو: دُمْ تَكَ تَكَ دُم مكرّرةً بعينها الى النهاية كما يتركّب بيت الشعر من التفاعيل المكرّرة تسميةً لما يُميّز بحرهُ عن غيرهِ كالطويل والبسيط ونحوهما. غير انهم نظروا هيئة اجزاء اللحن عند اجزائهِ فقابلوها بما يوافقهـا من الاصول كالربع والخمس والشبز وغير ذلك قصدًا للمطابقة بين الحركات من الطرفين. فاذا اراد احدهم ان ينشئ تلحينًا لموشحٍ او غيرهِ ربطهُ على اللحن الذي يختارهُ ثم جعل لحركاتهِ ضابطًا ممّا يوافقهُ من الاصول. واما اختراع هذا الانشاء فهو ملكة طبيعيّة لا يُتوصّل اليها الّا بالاجتهاد كملكة النظم عند الشعراء. فالله علّم الناس بفضلهِ وخصّ بمواهبهِ من يشاء

قال مؤلّفهُ الفقير اليهِ تعالى ميخائيل بن جرجس مشاقة اللبنـاني هذا ما انتهت اليهِ معرفتي القاصرة وانا ارجو من مطالعيهِ غضّ الطرف عمّا فيهِ من ضعف العبـارة واصلاح ما فيهِ من الخلل فجلّ من لا عيب فيهِ وعلا (تمت الرسالة)

فالسبب الثقيل هو عبارة عن تَنَ والخفيف معـبّر عنهُ بلفظة تَنْ وليس تحت ذلك الخلاف كبير امرٍ اذ النسبة هي متساوية في كلي التعبيرين. ثم ترى الفـارابي يتّخذ مبدأً او اصلًا للايقاع وهو عبارة عن تن تن تن تن ويقول ان هذا المبدأ يتضمّن بالقوة جميع. اصناف الايقاعات ثم يأتي الى ذكر ما هو اكثر استعمالاً من هذه الاصناف وهو سبعة اصناف الهزَج وخفيف الرمل وثقيـل الرمل او الرمل والثقيل الثاني وخفيف الثقيل الثاني اي الماخورى والثقيل الاول وخفيف الثقيـل الاول (Kosegarten : *Liber Cantilenarum*) . فروى صفي الدين ان للعجم اصناف وادوار كثيرة من الايقاع يجهلها العرب فاهمّها ما يسمونهُ الفاختي: هذا الى غير ذلك من التفاصيل يجدها من يشأ في المجلّة الاسيويّة الافرنسيّة سنة ١٨٩١ (Journal Asiatique, 1891, Baron Carra de Vaux. Le Traité des Rapports musicaux ... par Safi-ed-dîn) فروى العلّامة پرّون (Docteur Perron) ان اول من اخذ عصًا بيدهِ واشار بها الى الوزن والايقاع هو ابرهيم ابن ماهان الموصلي عن فحول المغنين في زمن المهدي والرشيد. ومن المستغرب في الايقاع ان اصول الالحان تختلف احيانًا عن اصول آلات النقر كالدف والطبل فربّما كانت أُصول اللحن على وزن ٣ + ٣ فنُقرت الآلات على وزن ٤ + ٢ او ٢ + ٢ + ٢ فصارت ايضًا اوزان النغم مقسومة الى ٨ اجزاء متساوية وكان النقر على ٢ + ٣ + ٣ الى غـير ذلك مما رواه س. دانيال عن الالحان العربيّة (S. Daniel. *ouvr. cit.* p. 97, 98)

الفونوغراف او آلة النطق

للاب موريس كولنجت اليسوعي مدرّس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

كان السوريون في السنين الماضية يسمعون باخبار الاكتشافات العلميَّة فيعدُّونها كاضغاث احلام لا يمكنهم الوقوف عليها او الانتفاع باسرارها. فلمَّا زادت المعاملات والحركة التجاريَّة بين الشرق والغرب ودخل اهل سوريَّة حواضر اوربة واميركة وجدوا انَّ لهذه الاختراعات حقيقةً وانَّ الغربيين يتَّخذونها لصوالحهم اليوميَّة ومنافعهم الجمَّة وفهموا حينئذٍ ما وراء ذلك من العوائد لوطنهم. ولمَّا قفلوا راجعين الى الديار جلبوا من هذه الادوات ما رأوا فيهِ اكثر جدوى لشؤونهم ونفعًا لترويج اعمالهم

ومن جملة هذه الادوات التي كانت قبل عشر سنين تُعدُّ من الاختراعات النادرة في اقطارنا لا يكاد يُرى من امثالها في غير المدارس الكبرى الفونوغرافُ. وها هوذا اليوم قد تعدَّى حدود بلادنا وانتشر في ظهرانينا بل يُباع في اسواقنا ويُسمع صوتهُ في نوادي الخاصَّة

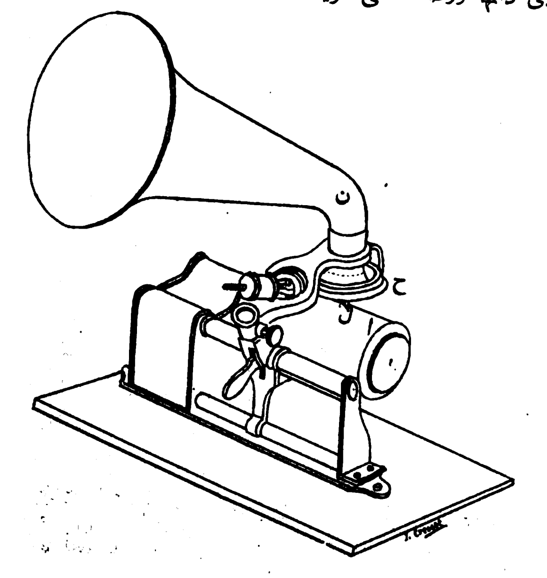
وقد رغب بعض قرَّائنا الكرام ان نبيّن لهم في مقالة موجزة تركيب هذه الآلة العجيبة وما يترتَّب على استعمالها من الفوائد

١ وصف الفونوغراف ومخترعهُ وتركيبهُ

الفونوغراف لفظة مركَّبة من كلمتين يونانيَّتين (φωνή صوت و γράφειν كتب) معناهما اداة « رَسم الصوت ». ويُقال لهُ « غرافوفون » بقلب اللفظتين السابقتين و « غراموفون » بالمعنى ذاته. فيؤخذ من اشتقاق اسمهِ انَّهُ آلة تُرسم فيها الاصوات على اختلافها فتتمكَّن من تكريرها بعد تدوينها

ومخترع هذه الآلة كما هو شائع اليوم في كتب الطبيعيَّات انَّما هو الاميركي أديسون الشهير باكتشافاتهِ الكهربائيَّة. غير انَّ الفرنسيين اثبتوا ان الفضل في هذا الاكتشاف البديع لاحد علمائهم يدعى شرل كروس (Ch. Cros) اخترعهُ بضعة شهور قبل اديسون وقدَّم قرارًا اثبت فيهِ حقيقة اكتشافهِ للجمعيَّة الباريسيَّة العلميَّة في ٣٠ نيسان سنة ١٨٧٧. وفي ١٠ تشرين الاول من تلك السنة نشرت مجلة الاكليروس الاسبوعيَّة (La Semaine du Clergé) خبر هذا الاكتشاف مع وصف الفونوغراف

وكان مكتشفهُ الفرنسيّ دعاهُ باسم آخر وهو « پاليوفون » اي اداة حفظ « الصوت السابق » . امَّا اديسون الاميركيّ فانهُ لم ينشر خبر اكتشافهِ قبل ١٥ كانون الثاني من سنة ١٨٧٨ . بيد ان هذين العالمين الجهبذين المنوَّه بذكرهما اتَّصلا الى هذا الاختراع دون تواطوءٍ بدروسهما الخاصَّة . ومن عجيب الاتفاق انَّهما استندا في ايجاد الفونوغراف الى المبادئ ذاتها ووضعاها على طريقة متشابهة



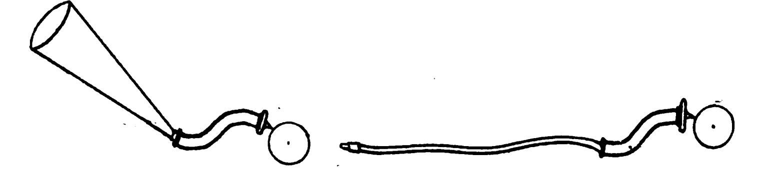
صورة الفونوغراف

والفونوغراف في ادواتهِ الاصليَّة عبارة عن اسطوانة (ا) من الشمع تدور على محورٍ ذي لولب (بُرغي) ويمسُّ هذه الاسطوانة نتوءٌ من حجر اللازورد (Saphir) كرأس قلم (ل) يضغطها ضغطاً خفيفاً ليّناً . ونتوءُ اللازورد المذكور لاصق بحاجز (ح) رقيقٍ من البلَّور وهو ثابت في مكانهِ . ويتَّصل بالحاجز انبوبة (ن) تتلقَّى الصوت الخارجيّ الذي يُراد رسمهُ على الاسطوانة

فاذا شرع المتكلّم بالكلام تُدار الاسطوانة على محورها اللولبي ويُلقى الصوت امام الانبوبة . فللحال يهتزّ الحاجز لتموُّج الهواء ويُضغط رأسُ اللازورد الملتصقُ بالحاجز

الاسطوانةَ ضغطًا بليغًا او ضعيفًا او متوسطًا على حسب اشتداد الصوت او خفّته فتتدوَّن فيها كلُّ نبرات الصوت من كلام او غناء او انغام موسيقيَّة وهامَّ جرًّا. وعند انتهاء المتكلم من كلامهِ او المغني من غنائهِ تُعاد الاسطوانة الى مكانها الاول حول اللولب

فاذا اراد السامع ان يسمع الصوت المُثبَت على الاسطوانة يُبدل اللازورد الناتئ بقطعة اخرى منهُ لا نتوء لها ثمَّ تُدار الاسطوانة كالمرَّة الاولى فالآلة تُعيد الاصوات كما رُقمت فيها لا تختلف عن الصوت الاصليّ ذرَّةً. والسبب في ذلك انَّ الفروض التي طُبعت في الشمع اذا جرت ثانيةً امام اللازورد هزَّتهُ وهزَّ اللازوردُ الحاجزَ فيخرج من الانبوبة صوتٌ شبيه بالصوت المسموع سابقًا وذلك مرارًا عديدة كما يشاء صاحب الآلة. والانبوب الذي منهُ يُسمع الصوت يكون كنربيج النارجيلة يلصقهُ السامع باذنه فيميز الصوت الاصليّ (راجع الشكل الثاني). وربَّما كان الانبوب على هيئة قمعٍ او بوق يخرج الصوت منه جَهورًا يسمعهُ جمهورٌ كبير (انظر الشكل الثالث). وهم يدعونهُ لذلك بوقًا (pavillon) او مُجهر الصوت (amplificateur)



الشكل ٣. بوق الفونوغراف

الشكل ٢. انبوب الفونوغراف

اما دوران الاسطوانة فيكون على سرعة معلومة منظّمة ويحرّكها لولبيًا زنبركٌ كزنبرك الساعة او يديرها محرّك كهربائي. والبعض يتخذون بدلًا من اسطوانة الشمع اطارًا من المطّاط (الكاوتشوك) لمرونتهِ

٢ منافع الفونوغراف

الفونوغراف من آلات الملاهي التي يأنس الخاصَّة باستماعها. وكان يُسمع لهُ سابقًا خنَّةٌ كريهة السمع بيد انَّ ارباب الصناعة لم يزالوا يُعنَون باصلاحهِ وتحسين ادواتهِ حتى اصبحت ترسم الصوت وتمثِّلهُ تمامًا كانهُ الصوت الاصليّ هو هو

ومن منافعه انهُ يتلقّى الاصوات الحسنة والنغمات الرخيمة والاغاني الشجيّة والخطب البليغة ومعازف الآلات في احدى العواصم الكبرى كباريس وبرلين فينقلها الى اماكن شاسعة ويردّدها على مسامع القوم فيطربون بها طرَبهم باستماعها في محلّ صدورها. وقد اخبرت الجرائد انّ الاميركيين طلبوا الى الحبر الاعظم ان يُلقي على فونغرافٍ خطبةً يفتتح بها معرض شيكاغو الاخير ففعل ثمَّ نُقل الفونغراف الى الردهة الكبرى التي فيها اقام رئيس الولايات المتّحدة حفلة افتتاح ذلك المعرض فكان اوّل ماسمع الجمهور خطبة قداسة البابا فتلقّوا كلامهُ باصوات الاستحسان وقابلوهُ بتصفيق الايدي

ومن منافع الفونوغراف انهُ يحفظ صوت الاحباب ممَّن نشبت بهم يد المنيّة فيردّد صوت الوالدين على مسامع الابناء بعد سنين عديدة يتذكّرون كلامهم ويتمتّعون بذكرهم. وينفع ايضاً لتلقين الاحداث اصوات الهجاء بدلاً من المعلم او بغيبتهِ

وقد اخذ التجّار يستعملون الفونغراف لقضاء اغراضهم. فمنهم من يرتزق بهذه الآلات ويدعو الجمهور الى ليالي ساهرة يقضونها باستماع الالحان المطربة. ومنهم من يجعل في باب مخزنهِ فونغرافاً يعلم المارّين بما يبيعهُ صاحبُ المكان فيكثّر بذلك عدد المشترين. وبعض الاميركان والانكليز يضعون الفونغراف على طريق السابلة فان اراد احد ان يسمع صوتهُ ادخل في ثقبٍ قطعةً من الدراهم تُحرّك من ساعتها اسطوانةَ الفونوغراف فيُسمع لهُ نغمات او كلام هزلي مضحك يبتهج بسمعهِ ناقدُ الدراهم

ومن فوائد الفونوغراف انّ اصحاب الامر ونظراء الدواوين وغيرهم اذا ما ارادوا تبليغ نيّاتهم الى عمّالهم ألقوها على الفونغراف صباحاً ثمّ يذهبون الى اشغالهم مطمئنين فاذا اتى العمّال انصتوا الى صوت الفونوغراف واتمّوا الاوامر. وربُما أملى عليهم الفونغراف رسالةً من اربابهم ينسخونها ليوجّهوها الى حيث يريد رؤساؤهم

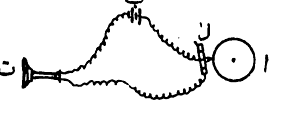
ومن الاختراعات اللطيفة التي سبق اليها بعض مجهّزي الساعات في سويسرة انهُ عمد الى فونوغراف فركّبهُ في جسم ساعةٍ تركيباً بديعاً ولقّنهُ اسماء الساعات وما يتعلّق بها فاذا حان الوقت سُمع للساعة صوت يفيد صاحبَها الاوقات او يفيقهُ من رقدتهِ وينبهُهُ على اعمالهِ الى غير ذلك من الافادات

٣ الميكرفونوغراف

ومن الاكتشافات الحديثة المستندة الى مبادئ الفونوغراف آلة اخرى تدعى

الميكروفونوغراف اي فونوغراف الاصوات الخفيفة . والغاية منهُ تقوية الصوت فهو للسمع بمثابة المجهر المكبّر لصور المرئيَّات

امَّا طريقة تركيبهِ فبأن يؤخذ الفونوغراف مع اسطوانتهِ (ا) وحاجزهِ (ل) كما وصفناهُ سابقًا لكنَّ الصوت الخارج من الحاجز لا ينتشر في انبوب او بوق بل يتَّصل بآلة الميكروفون التي يجري اليها مجرى الكهرباء من بطاريَّة (ب) فاذا مرَّ بها صار الصوت عظيمًا ذا قوَّة شديدة لا يُطاق استماعهُ لشدَّتهِ لولا تلطيفهُ وتخفيفهُ . وهذا الصوت يمكن نقلهُ الى مسافات بعيدة بواسطة التليفون (ت)



الشكل ٤ . الميكروفونوغراف

وفي استعمال هذه الآلة فائدتان عظيمتان الاولى طبيَّة فانَّ الميكروفونوغراف من احسن الوسائل لتبليغ الصوت الى آذان الصُمّ البُكم بل الى شفائهم تمامًا فان صوت الميكروفونوغراف ينبّه فيهم حاسَّة السمع بعد ان كانت مخدَّرةً ليس مفقودة تمامًا . واطبَّاء الآذان يبنون آمالهم على هذه الآلة لشفاء هؤلاء المنكوبين وقد زعم بعضهم انهُ سيُشفى بها ٩٧ اطرش في المئة بعد ارتياضات متوالية . وبما انَّ البكَم في كثيرين من الطرش ناتج عن صمَمهم فسوف يبرأون من العاهتين معًا . وقد ادَّت الامتحانات الجارية في السنة المنصرمة الى احسن النتائج . فانَّ الدكتور دوسُّو (Dussaud) مخترع هذه الآلة اختبرها اوَّلًا في ولد اطرش ابكم منذ ولادتهِ فاخذ فيهِ الفرحُ كل مأخذ لمَّا سمع لاول مرَّة صوت البشر واصوات الطبيعة

امَّا الفائدة الأُخرى فهي نقل الاصوات الى البلاد النازحة وذلك بواسطة اسلاك التليفون المتَّصلة بالفونوغراف . وعليهِ فيمكن ان يُسمع في دمشق صوت المتكلّم في بيروت ويُحرَّر صوتهُ هناك فيُحفظ في الفونوغراف . كما انَّهُ يمكن البيروتي ان يسمع فونوغرافًا يردّد الصوت في دمشق . ولا شكَّ انَّ المعرض الباريسي في العام المقبل سيأتينا بالعجائب بهذا الخصوص ويفيدنا امورًا غريبة لم تدرُ من ذي قبل على خلَد احد . ولله الشكر عمَّا صنع فابدع

اليهود في فلسطين ومستعمراتهم

للاب هنري لامنس اليسوعي

اتتنا الاعداد الاخيرة من جرائد الاستانة العليّة وفيها كلام مُسهب عن اليهود وانتشارهم في فلسطين. وربّما استلفت اصحاب هذه المقالات انظار ذوي الامر الى استدراك ما يعدّونهُ مخالفًا لنظام الدولة ويؤيدون قولهم بذكر الاوامر الشريفة التي كرّرتها مرارًا الحضرة السلطانيّة في هذا الشان. فكان ذلك داعيًا لنا الى البحث في المستعمرات اليهوديّة في فلسطين لنفيد القراء عن عددها وشيء من احوالها مستندين في ذلك الى تقارير اعلنها اليهود في مجلّاتهم ونقلتها عنهم مجلة الجمعيّة الفلسطينيّة (١. وقد تحقّقنا بنفسنا صحّة بعض هذه الاعلامات في سفرةٍ باشرناها في تلك النواحي

المستعمرات اليهوديّة في فلسطين خمسٌ تشتمل على عدّة محالّ وهي: مستعمرة يافا وضواحيها. ثم مستعمرة القدس الشريف. ثمَّ صفد وبلاد بشارة. ثم حيفا وتوابعها واخيرًا مستعمرة الحوران وعبر الاردن

١ يافا وضواحيها

انشأت الجمعية الروسيّة المدعوّة «مساعدة الفلاحين والصنّاع اليهود في فلسطين والشام» لجنةً في يافا سنة ١٨٩١ ولّت تدبيرها المهندس زيب تيومكين وغاية هذه اللجنة ان تنظر في امور المهاجرين الاسرائيليين وتساعدهم ادبيًّا وماديًّا في ابتياع اراضٍ واسعة يقوم بتثميرها الافراد او الجماعات منهم

والجمعيّة الروسيّة المذكورة ليست سوى فرعٍ من جمعيّة اخرى يهوديّة ممتدّة في بلاد كثيرة تُدعى «احبّاء صهيون» (חובבי ציון) واعضاء هذه الجمعيّة ينقدون في اوقات معلومة شيئًا من الدراهم ثمَّ يقترعون على السفر الى فلسطين فمن خرج اسمهُ دفعت لهُ الجمعيّة حقَّ السفر وعيّنت لهُ ارضًا يفلحها في الاراضي المقدّسة. وعدد اليهود اليوم في يافا ينيف على ٦٠٠٠ لهم محلّة واسعة يدعونها المنشيّة

وفي شماليّ شرقي يافا على طريق نابلس ترى مقامًا يدعى «نوه صدق» נוה צדק فيهِ نيف وعشرون بيتًا قد ابتنتهُ جمعيّة اخرى لليهود وهذه المنازل يدفع السكّان حقّها باقساط سنويّة متهاودة. وهناك بستان واسع يخصُّ ورثة صاحب المصرف الشهير

١) راجع Z. D. P. V., XVI, 192-201 et XVIII, 190

في لندرة السير موسى منتيفيوري استأجرهُ بعض يهود القدس

وفي ضواحي يافا مستعمرات اخرى هذه اسماؤها :

١ً منزل اسرائيل (מקוה ישראל) موقعهُ على مقربة من يافا بقرب طريق العربات المؤدّي الى القدس . وهو عبارة عن حديقة واسعة الارجاء كثيرة الاشجار وافرة الغلّات تبلغ سعتها نحو ٢٤٠ هكتارًا وقد جعلها منشئها شرل نِتّر (Ch. Netter) سنة ١٨٧٠ كمكتب زراعي يتخرَّج فيهِ زهاء ستين شابًّا من اليهود على الفنون الزراعيَّة

٢ً عيون قارة وفي العبرانيَّة رؤوس صهيون (ראשון לציון) على مسافة سبعة كيلومترات من قرية يازور على طريق غزَّة وهي مستعمرة يهوديَّة باشر بها سنة ١٨٨٢ ستَّة اسرائيليين من الروس ثم دخلت في حمى البارون ادمند دي روتشيلد . وهناك مزدرعات واسعة تمتدُّ في مسافة ٥٩٤ هكتارًا ومَّما غُرس فيها اشجار اللوز والتوت والخروع وفي كرومها ما يقارب ٨٠٠,٠٠٠ جفنة اجتنى منها اصحابها في سنة ١٨٩٠ نحو ١٥٥,٠٠٠ كيلو عنبًا . وبيوت هذه المستعمرة خمسون بيتًا ولها كنيسٌ للصلاة ومستوصف ومدرسة وكلارات واسعة وعدد سكَّانها نحو ٢٧٠ . وكان اصحاب هذه المستعمرة مصمّمين النيَّة على فتح معامل جديدة للحرير والزجاج واستقطار الورد لكنَّنا لا نعلم أخرج ذلك الى عالم الكيان او بقي في حيز الآمال . وهذه المستعمرة على ساقٍ من النجاح نالت ما لم تنلهُ غيرها من العمران . ولخمرها بعض الشهرة يتاجرون بهِ في البلاد واكثر غلَّات هذه المستعمرة يبتاعها عمَلة روتشيلد وهو قد جعل لكثير من المستعمرين راتبًا شهريًّا

٣ً مُلك راوبين (נחלת ראובן) وهو وادي حنين في جنوبي المستعمرة السابقة على مسافة نصف ساعة منها مساحتها ١٣٥ هكتارًا . والفضل في انشاء هذه المزرعة لربَّانيّ اسمهُ راوبين كان حاخامًا في خرشنة (Cherson) وهي تحت نظارة لجنة يافا الروسيَّة . واهلها اثنا عشر عائلة يُعنون بغرس الكروم والاشجار المثمرة وتفسيل النحل وتحت ادارتهم كثيرون من الفلّاحين الوطنيين يكلِفونهم باتعاب الحراثة والاشغال الشاقَّة ويكتفون بنظارة الاعمال

٤ً خربة ديوان وفي العبرانيَّة السهول (רחובות) بقرب بلدة رملة وهي مستعمرة [illegible] اعيان اليهود الروسيين سنة ١٨٩٠ وهي عبارة عن ارض فسيحة لا تقل

عن ٩٥٠ هكتارًا مقسمة الى ٦٥ قسمًا كافيــة لمعاش ٦٥ عائلة وقد غُرس في هذا المكان ١٧٠٠٠٠ جفنة و ١٠٠٠ فصيـلة من التوت. لكنَّ اليهود لا يحبون سكنى هذا المكان وحراثتهُ والعيال الساكنة فيهِ الى الآن تبلغ العشرين

٥ً محطَّة عاقر (ويقال عكرون) وهم يدعونها تذكار بيت الله (מזכרת בתיה) جنوبي غربي الرملة بقرب يَبنية. وهي ايضًا من مشروعات البـارون روتشيلد في سنة ١٨٨٣ مساحتها ٧٠٠ هكتار يستثمرها ١٥٠ يهوديًا. ولهذه المستعمرة كنيس ومدرسة كميون قـاره

وقد مررنا في هذا المكان منذ سنَتين فوجدناهُ عامرًا زاهيًا بضروب الاشجار المثمرة وكانت رباهُ متَّشحة بثوب اخضر من المزدرعات تمدُّ فيها سروغ الكرم النضرة لكنَّنا لم نشاهد شيئًا من الحبوب كالقمح والذُّرة مع احتياج الفلَّاحين الى هذه الغلَّات والسبب أنَّ اليهود لا يجدون في الحبوب الارباح التي يقصدونها فيهملون زراعتها. وما اذهلنا في رحلتنا هذه انَّنا لم نرَ في الكروم والحقول غير فلاحين بلديين اجرهم اصحاب الملك باثمان بخسة. وبيوت هذه المستعمرة اذا شاهدها المسافر من بعيد حسنة المنظر مسقَّفة بالآجر الاحمر وجدرانها مبيَّضة بالملاط. ولمَّا اقتربنا منها وجدناها قذرةً متداعية البنيان مع انَّها حديثة البناء

٦ً قطرا (גדרה) من منشآت جمعيَّة «احبَّاء صهيون» بدأت سنة ١٨٨٤. موقعها على بعـد ساعة من عكرون المذكورة. وكانت الغاية من انشائها إعانة بعض الدارسين الروسيين المهاجرين من روسيَّة حُتم عليهم ان يجرّدوا انفسهم للفلاحة. وليس فيها الآن الَّا عشرة بيوت يسكنهـا نحو تسعين نفسًا من الطلبـة المذكورين وهم اليوم يأملون تملُّك هذه الاراضي واستثمارها على حسابهم الخاصّ. ومساحة هذه المزرعة ٢٨٠ هكتارًا وهي تصلح للحبوب وعدد دواليها ٨٠٠٠٠

٧ً قسطينة وتعرف ببـئر طوبيًا تُعَدّ ايضًا من مستعمرات اليهود تبعد ساعةً ونصف ساعة عن قطرا انشأها روتشيـلد سنة ١٨٨٨ وخصَّصها بيهود بسَّارابيا واليوم يشتغل فيها عشرون فاعلًا كمَلة لهذا الصرَّاف الكبير الثروة وسعة هذه الارض ٦٣٠ هكتارًا

٨ً امّ لبيش (ملبس) وفي اصطلاح اليهود «فتح تقوه» (פתח תקוה)

على طريق يافا الى نابلس شمالي شرقي يافا نزلها يهود القدس منذ سنة ١٨٧٨ فلم يستحسنوا هواءها . ثمَّ عاد المهاجرون الروس سنة ١٨٨٢ فاستوطنوها تحت نظارة جمعيَّة « احبَّاء صهيون » وهي ارض مساحتها ١٣٠٠ هكتارًا لروتشيلد منها ٥٠٠ هكتار يستثمرها ٩٤ عائلة اي نحو ٤٠٠ نفس وهي مقسَّمة بينهم الى ١٣٣ قسمًا وقد غُرس فيها مئتا الف غرسة كرم . وكان قسمٌ من يهود ملبّس سكنوا ضيعةً تدعى يهوديَّة تبعد عنها ثمانية كيلومترات الَّا انها لم تنجح

ولليهود في لدّ أرحية ومعمل لتصفية الزيت

٢ القدس الشريف وضواحيهِ

كان اليهود قبل بضع ثلاثين سنة يسكنون داخل اسوار المدينة المقدَّسة فلم يزل يتوارد عليهم المهاجرون ويزدادون سنةً فسنةً حتى اضطرَّهم الامر ان يبتنوا لهم منازل خارج البلدة فسكنوا في أحياء تولَّت بناءها جمعيَّات مختلفة وجعلتها في شمالي البلدة وغربيها وصارت هذه المحالّ متلاصقةً فتراها اشبه بمدينة كبرى تمتدُّ في ظهراني القدس بين باب العمود وباب الخليل

ثمَّ بنى المثري الشهير مونتيفيوري عند باب صهيون وبركة السلطان مستعمرةً كبرى قسمها بين اليهود المهاجرين من شمالي اوربَّة المعروفين بالاشكنازيم ويهود جنوبيّ اوربَّة من الاسبان والبرتغاليين المسمَّين سفارديم فاسكن الاولين في شمالي المستعمرة الجديدة ودعاهم « بيت ناتان » وانزل الآخرين في الجنوبيَّة ودعاهم « يمين موسى » وبيوت هذه المستعمرة يستأجرها اولًا اصحابها ولا يزالون سنويًا يدفعون مبلغًا معلومًا حتى تصير بعد بضعة اعوام ملكهم الخاصّ

ولمستعمرات القدس احياء عديدة يبلغ الحي من ٣٠٠ الى ٤٠٠ بيت ولكلّها اسماء عبرانيَّة تميّزها واقدم هذه الاحياء يدعى « نحلة شبع » اي ملك السبعة أُنشئ سنة ١٨٦٩ . ثم « إبن يعقوب » اي صخرة يعقوب سنة ١٨٧٠ . ثم « مساكن اسرائيل » قرب ميتم الالمانيَّات غربي المدينة ١٨٧٦ . ثمَّ « مزكرة موشي » اي ذِكر موسى سنة ١٨٨٠ . ثمَّ « أهل موشي » اي خيمة موسى سنة ١٨٨٣ . ثمَّ « سكُوت شالوم » اي [illegible] سنة ١٨٨٧ . ثم بيت يهوذا سنة ١٨٨٨ . ثمَّ « شعر فنا » اي حجر

الزاوية. ثمَّ « بيوت تيمن » سنة ١٨٩٠ لليهود المهاجرين من اليمن كانوا تقاطروا الى القدس ظنًّا منهم ان مسيحهم ظهر ليشيد ملك اسرائيل. ثمَّ « شمعون الصديق » سنة ١٨٩١. وليهود بخارى محطَّتان تدعى احداهما « بيوت بخارى » والاخرى « أُهل شلومو » اي خيام سليمان. هذا الى منازل اخرى كثيرة تحدق بالقدس كالسوار بالزند. امَّا عدد اليهود الساكنين في القدس وضواحيها فبين اربعين الفًا الى خمسين الفًا. واكثرهم يرتزقون بالصنائع والمتاجرة بالاشغال التقويَّة كالمسابح والصور لكنَّهم يفضّلون الصرافة على ما سواها. واذا رأيت الدراهم في يد اليهودي فقل « أعطيت القوس باريها »

٣ صفد وبلاد بشارة

صفد احدى المدن الاربع المقدَّسة عند اليهود وهي: اورشليم والخليل (حبرون) وصفد وطبريَّة. وعددهم في صفد يربي على ثلاثة عشر الفًا لا يتجاوزها في ذلك غير القدس الشريف. وقد انشئت فيها سنة ١٨٩١ جمعيَّة تدعى « هجليليم » اي الجليليين تسعى في اقتناء الارزاق ليمتلكها اليهود

وان سرت نحو ميلين غربي صفد وجدت ضيعة تُدعى ميرون يحجُّ اليها العالم اليهوديُّ لانَّ فيها على زعمهم قبور بعض مشاهير الحاخامين الاقدمين كيوحنَّان سَندلار وشمعون ابن يوحاي والربَّانيِّين الاعظمين هِلِّل وشمَّاي. وليهود طبريَّة هناك ارضٌ سعتها مئة هكتار. ولهم ١٣٥٠ هكتارًا في كفر سبت بين الناصرة وطبريَّة و ٤٥٠ هكتارًا عند فرعيم بقرب صفد. ولبعض اليهود في حطّين ٩٠ هكتارًا ارضًا

امَّا مستعمرات اليهود في بلاد صفد فستٌّ:

١ً « روش فنا » اي رأس الزاوية مركزها في قريَّة جاعونة بين صفد والاردنّ لبعض يهود رومانية في سنة ١٨٨٢ وهي اليوم ملك روتشيلد بلغت مساحتها ٧٢٠ هكتارًا يفلحها ٢٠٠ عامل وفيها تزرع الحبوب ودواليها ٢٠٠,٠٠٠

٢ً عين الزيتون شمالي صفد ابتاعها اليهود سنة ١٨٩٠ ليستثمروا غلَّاتها ومساحتها ٤٣٠ هكتارًا

٣ً مستعمرة (محنايم) مع ملحقاتها عرب الاكراد وعَلما وملوطيَّة وهي اخصب قرى بلاد بشارة بين صفد وبحيرة الحولة. وكل هذه الاملاك تخصّ روتشيلد وهي واسعة جدًّا فان محنايم وحدها مساحتها ٤٧٠ هكتارًا

٤ً مستعمرة جسر الاردن المعروف بجسر بنات يعقوب. اشترى هناك بعض ذوي الثروة من اليهود سنة ١٨٨٤ اراضي تبلغ سعتها ٢٠٠ هكتار واحلّ فيها قوماً من أمّتهِ ليتملكوها شيئاً فشيئاً بأجور شغلهم

٥ً «مشمر هيَرْدن» اي حراسة الاردن وهي قرب مستعمرة جسر الاردن تبلغ ١٨٠ هكتاراً امتلكها ربّانيٌّ من صفد وغرس فيها ٧٠٠٠٠ دالية لعصر الخمرة

٦ً خربة زبيد وبالعبرانية יסד המעלה على شاطئ بحيرة الحولة اقتناها يهود روسيُّون سنة ١٨٨٣ ثمَّ تملّكها روتشيلد سنة ١٨٨٨ مساحتها ٢١٦ هكتاراً. يسكنها قوم من اليهود ويرتزقون بتقطير الماورد وصيد سمك البحيرة الّا ان الحميّات تكثر فيهم وتفتك بكثيرين

وقد سمعنا ان اللجنة الفلسطينية الباريسية حصلت منذ زمن قريب على الف هكتار من الاراضي الواقعة غربي عيون الاردن حيث تملّكوا قرية المُطلّة. واليوم ترى السماسرة اليهود يطوفون معاملة مرج عيون لتحصيل املاك جديدة فيها

٤ حيفا وملحقاتها

كانت لجنة «احباء صهيون» في عام ١٨٩١ تملكت ضيعة كفرعتّا ثم بادرت ان تشتري جزافاً بقاعاً واسعة على سِيف البحر بين حيفا وعكّا ولمّا كان الامر على وشك النجاز علمت الحكومة السنيَّة بهذا الامر وفُسخ عقد البيع بارادةٍ سنيَّة لئلا تقع كلّ سهول عكّا المخصبة في ايدي اليهود

ولبني اسرائيل مستعمرات زاهرة في زمّار وخضيرة فالاولى عبارة عن ١٣٠٠ هكتار بين القيساريّة والكرمل يدعونها بالعبرانيّة «ذكر يعقوب» ولهذه المستعمرة ضيع تلحق بها كطنطورة وامّ الجمال وام التوت وكفارة وعَتليت. واهل هذه المحطّات نحو الفَي نفس. انشئت هذه المستعمرة سنة ١٨٦٢ وهي اليوم تحت حماية روتشيلد الذي لا يزال يُعنى بتحسينها وتوسيعها. امّا خضيرة فقد امتلكتها شركات روسيّة سنة ١٨٩٠ وغرست فيها ١٥٠٠٠٠ نصبة كرم

ولهم ايضاً املاك واسعة عند جبل الطور في مكان يعرف بالشجرة وفي سهول مرج ابن عامر. قيل انهم استملكوا هناك نيِّفاً والفي هكتار

وفي البطائح المذكورة مكان يدعى ابا شوشة مساحتهُ اربعة آلاف هكتار تخص

اليهود القدسيين برغيم (Bergheim) اصحاب مصرفٍ في اورشليم. ويقوم بشؤون هذه الاراضي فلاحون بلديون يؤدُّون ربع غلّاتهم لاصحاب الملك

٥ حوران وعبر الاردن

ان املاك اليهود في حوران اوسع من مقاطعة كبرى من مقاطعات الشام. ولجنتهم الفلسطينيَّة في باريس قد تمكَّنت في عام ١٨٩٢ من ابتياع ١٢٠٠٠ هكتار في جوار قرية شيخ سعد تشتمل على ضياع سحم جولان وجلّين وتلّ عميدون وبيت اكّار الخ خلا ٩٠٠٠ هكتار غيرها جعلها اليهود ملكًا لهم في محلات اخرى كبيتيما وخان الشيخ قريبًا من دمشق عند سفح جبل حرمون

لكنَّ اليهود يعرفون من الاسفار القديمة ما لبلاد جلعاد ومؤاب في عبر الاردن من الخصب والدسم فلم تملْ بهم عنها بارقة الطمع وحاولوا امتلاك تلك الاقطار. ولمَّا كان اللورد غوشن الاسرائيلي سفيرًا في الاستانة عرض على الحكومة السنيَّة ان يجعل تلك النواحي التي مساحتها نحو ٦٠٠٠٠٠ هكتار مستعمرةً لليهود تحت نظارة الباب العالي يسوسونها كما يشاؤون بشرط ان يدفعوا لمولانا السلطان مبلغًا عظيمًا من الدراهم لا يقلّ عن بضعة ملايين من الفرنكات

غير ان الدولة السنية لم تلبِّ دعاء اللورد غوشن واغنياء اليهود فذهبت آمالهم ادراج الرياح. وكانت غايتهم بذلك ان يمهدوا الطريق لابناء جلدتهم لانشاء مملكة مستقلة في الاراضي المقدسة كما كانت قبل المسيح

هذا ولم يزل اليهود يطمحون ببصرهم نحو عبر الاردنّ. ولما اجتزنا منذ ثلاث سنين في تلك الاقطار اخبرنا مختار مُكَيَس ان للبارون دي روتشيلد عمّالاً في تلك النواحي يطوفونها في كل جهاتها ليمتلكوا لسيِّدهم اراضي يجعل فيها اليهود ليفلحوا ويستغلّوا غلاتها

فممَّا تقدم يظهر انَّ لليهود في فلسطين نحو خمسين الف هكتار. اما عددهم فقريب من ٨٠٠٠٠ نفس وهم في ازدياد متداوم لانَّ مهاجرة اليهود الى الاراضي المقدَّسة متواصلة يتقاطرون اليها من كل انحاء العالم

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثالث عشر

في صحو السكران

اين انا وكم الساعة الآن . . . ان ساعتي واقفة . . . آه ان العرق البارد يتصبَّب من جبيني . . . ما هـذه الموائد (الطاولات) والاقداح . . . ومن اين الدواة والقلم ولماذا جيء بهما . . . . نعم قد تذكَّرتُ الآن فقد كنَّا في الامس بهذه الغرفة جالسَين بازاء هذه المائدة وجهًا الى وجه وكان نسيب يحدّثني . لكن ماذا كان يقول لي ؟ . . وقد كان يناولني اقداحًا من الشراب . . . يناولنيها تباعًا . . . ثمَّ انهُ طلب مني توقيع ورقة . . . ولكن ماذا كانت تتضمَّن هذه الورقة ؟ . . لقد قرأتها نعم قرأتها ويا للعجب كيف اني لا اتذكر منهـا شيئًا . . . وقد كان يلحُّ عليَّ لتوقيعها فوقَّعتها محمولًا على ذلك تارةً بوعودهِ وتارةً بمواعيدهِ . . . لقد تلاعب بي هذا الرديء وغشَّني . غير اني لا بدَّ ان أعلم ماذا كانت تتضمَّن هذه الورقة التي حملني على توقيعهـا

وكان فاضل في تلك الدقيقة يهيج ويغضب وترتجف يداهُ وهو يتمشَّى بسرعة في الغرفة متنقلًا من زاويةٍ الى اخرى . ثمَّ انهُ جلس بجانب المائدة وأسند رأسهُ بيديهِ هنيهةً يتأمل . وما كان غير قليل حتى نهض يتمشَّى وحينئذٍ فُتح الباب بغتةً فاذا هو نسيب فهجم فاضل على الداخل قائلًا : آه يا شقي اين الورقة اين هي

— ما هي هذه الورقة التي تطالبني بها وما معنى اضطرابك هذا وما قصدك من هذا التهديد وهذه اللهجة المرَّة ؟

— اذا كنت تريد ان تنكر فاني لم انسَ شيئًا بل اتذكَّر كلَّ ما جرى

— هوّن عليك ولا تبالِ فما اظنّ الَّا انَّ خمرة الامس ما برحت موثرة فيك . ومتى أفاق الانسان من رقادهِ بعد تكاثر الاحلام المزعجة والافكار المقلقة لا يقوى على التعقُّل وحسن الفهم

— انك تهينني وتتلاعب بي واعلم ان عقلي معي ولم اقل لك ما قلتهُ عبثًا فاسمع لي

— كيف اسمع لرجل فاقد العقل يهـذي ويخلط وقد دنت الآن ساعة الذهاب الى العمل ؟

— تقول اني اهـذي كلَّا بل انك امس مساء بعد ان سقيتني كثيرًا من اقداح الشراب حملتني على توقيع ورقة. وقد قرأتُ هذه الورقة

— اذا كنت قرأتها فأخبرني ماذا تتضمَّن ؟

— ان افكاري غير صافية

— صفِّ افكارك ثم اخبرني

وعندها خرج نسيب وأغلق الباب بشدَّة وبقي فاضل في الغرفة مبهوتًا متحيِّرًا وقد وقعت عليهِ تلك الكلمات الاخيرة التي سمعها وقوع الماء البارد على الجسم الحارّ. فبعد ان وقف هنيهةً في الغرفة لا يتحرك من مكانهِ ثاب اليهِ رشدهُ وعاد يتمشى

ولمَّا وضع يدهُ في جيبهِ شعر بالقطع الذهبيَّة التي أُعطيها في مساء الامس فسُرّي عنهُ بعض همّهِ وقال في نفسهِ ماذا يفيد اهمال المتحقّق الاكيد والتعلّق بما ليس متيقنًا.. وماذا كانت تتضمن يا ترى تلك الورقة التي وقَّعتُها ؟ لا علم لي غير اني اصبحت في حالة حسنة وقد وعدوني بقـدر ما أُريد من الذهب وسيعطوني قطعةً من الارض خصوصيَّة لاستخراج ما فيهـا من المعدن الثمين ولا شكَّ اني سأُصيب غنى بل غنى وافرًا. آه لو كانت والدتي... ولكن لعلها رحلت من هذه الدنيا وقد اخفوا عني خبر موتهـا لئلَّا تذهب بحياتي هذه الصدمة الهائلة... وماذا عسى ان يكون قد حلَّ بشقيقتي... ألعلّها هي ايضًا...

وقد ثقلت هذه الافكار على فاضل فاستسلم للحزن الشديد الَّا انَّهُ بينما كان على تلك الحال من الغمّ والهمّ فُتح الباب ثانيةً وسأَل نسيبٌ فاضلًا

— هل سكن منك الغضَب يا خواجا فاضل ؟

— قد كنت اتأمل

— اما رأيت انهُ كان من الأَفيـد لك ان تكون اقلّ حدَّةً وسخطًا. امَّا الآن وقد وعيت وعقلت فما بقي لك الَّا ان تصحبني فتحصِّل معي المكاسب والارباح ولكن ينبغي ان تعدني بكتم السرّ كتمًا شديدًا غير منصفٍ وانت تعرف شروط العمل عندي

— وماذا تعطيني ؟

– اعطيك ذهبًا كلما سألتني . غير اني في الوقت الحاضر قد اعطيتك كفاية

– لقد وعدتني بقطعة ارض استغلُّها لحسابي

– حسنٌ فاتبعني ولكن التزم السكوت واياك ان تنطق بكلمة عمّا مضى بل كن أخرس اصمّ كمدافن الاموات

– ها انا تابع لك وساعمل بكل ما تقول وتطلب

الفصل الرابع عشر

في قتل نسيب

وفي غد ذلك اليوم اذ كان الجوّ وقتئذٍ صافيًا واديم السماء ازرق الى الشهبة والارض متبلّلة بسبب ذوبان الثلوج . اسرع نسيب وفاضل وابعدا عن مدينة داقسون ذاهبين الى الاراضي الذهبيَّة التي كان ابتاعها الاول بثمنٍ غالٍ في محل بعيد عن المدينة وسببهُ ان كل الاراضي القريبة كانت مشتراة

ومن شرائط التعدين في تلك الارض انّ المعدّن اذا اختار قطعةً لاجل استغلالها يجب عليهِ ان يستحصل رخصةً من الحكومة ولا يكون ذلك بدون صعوبةٍ لان الحكومة تحتفظ بقطعة من كلّ قطعتين في الاراضي الذهبيَّة وتستوفي مقابل الرخصة رسمًا اوليًا قدرهُ ١٢٥ فرنكًا ثم رسمًا سنويًا قدرهُ ٥٠٠ فرنك . ثم ان القطعة المرخّص باستغلالها لا يتجاوز طولها ١٥٠ مترًا اذا كانت واقعة على ضفاف نهر وثلاثين مترًا مربعًا اذا كانت في ارض اعتيادية . ويلزم ان تُقام عمدٌ على زواياها لاجل تحديدها ويُكتب عليها اسم مالكها وتاريخ امتلاكهِ . وكل قطعة يُترك العمل فيها اثنتين وسبعين ساعةً تُحسب مهملةً من مالكها فتعود على الحكومة

فبعد معاملات طويلة واتعاب جمة توصّل نسيب الى تحصيل الرخصة بامتلاك قطعة من الارض الذهبيَّة باسم فاضل . وقد اخذهُ في اليوم السابق ذكرهُ لدلالتهِ عليها وابتدأ الشغل فيها طبقًا لما كان قد وعدهُ

ومذ ذاك اخذ فاضل يأتي كلّ يوم الى القطعة التي اشتراها لهُ نسيب غير انهُ ما لبث ان زهد فيها نظرًا لصعوبة العمل . ولا يخفى ان فاضلًا كان قد تعوّد في شيكاغو [illegible] من المعيشة لانهُ كان يكتفي بألعاب البورصة فتتدفّق الدراهم بكثرة على [illegible] ان « بيترس لاضف » كان قد تعاطى صناعة البائع المتجوّل وذاق منها

مرارة عظيمة واتعاباً شاقّةً قبل ان يحصّل تلك الثروة الطائلة ولكن من شأن الانسان ان ينسى الاحوال الصعبة في حياتهِ غير متذكّرٍ الّا ايّام الخير والسعادة. وعليهِ فكان فاضل يفتكر في حالتهِ بمدينة شيكاغو ويقابل بينها وبين حالتهِ في داقسون حيث يشتغل كعامل بسيط ويقضي نهارهُ في ضرب الارض بالمعول والتنقيب في تلك التربة المتجمّدة. وغير خافٍ انهُ لمّا كان قد نشأ في بلاد حارّة لم يكن قد اعتاد مناخ القطب الشمالي فضلًا عن ان القطعة التي يعدّنها لم يكن يستخرج منها بقدر ما كان يأمل فانها ما كانت تعطيهِ في يومهِ سوى خمسين دولاراً ومعلوم ان المرء متى حصل الغنى تشتدّ فيهِ رغبة الربح ولا يعود يقنع بالقليل

فلاجلَ هذا كان فاضل يخاصم على الدوام نسيباً ويشتمهُ ويلعن الساعة التي صاحبهُ فيها. وفي ذات مساء بلغ منهُ الغضب حدّهُ وعاد الى مأواهُ والشرر يتطاير من عينيهِ وما كان بعلهِ ان ثارت في رأسهِ حميّا الخمرة الّا ان قام يشتم نسيباً ويسبّهُ واتّصل الامر بالاثنين الى التلاكم

وبيان ذلك ان فاضلًا لمّا كان قد استخرج من الذهب في يومهِ ذاك اقلّ من العادة بكثير رجع محتدماً من الغيظ وعرّج في طريقهِ على خمّار في تلك الجهة. فبعد ان امتلأ من الشراب ودفع آخر ما معهُ من الفلوس توجّه الى حيث كان مقيماً وضرب الباب برجلهِ ضربة قويّة ففتحهُ. فلمّا رآهُ نسيب خاطبهُ قائلًا: « ما الداعي الى هذا الغضب يا فاضل ؟ »

امّا فاضل فلم يجب ولكنهُ بعد ان اغلق الباب وراءهُ بقوّة قال: « اني محتاج الى دراهم »

— سأعطيك

— لا بدّ ان تعطيني الآن

— اتهزأ بي ؟

— لا بل انت تهزأ بي من زمان مديد

— دع الغضب. ألا تعلم انك تخصّني وفي قبضة يدي ؟

— يا لك من شقي يجسر على امتهاني. ويا لك من كذوب شرير بعد ان كنت سارقاً وقاتلًا

— انك دائماً تقذفني بهذه الشتائم التي ملّت اذني سماعها
— أُريد دراهم أَسمعت ام لم تسمع ؟
— لن أُعطيك فلساً
— اني آخذ الدراهم غصباً عنك والّا . . . بيَّنت للناس اسمك وعرَّفتهم بجرائمك
قال هذا وتماسك الاثنان وما كان كلمح البصر حتى انطرح احدهما على الارض يختبط بدماه وقال فاضل : قد شفيت منك الآن نفسي ايها القاتل

انتهى القسم الثالث (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

RAPPORT SUR UNE MISSION SCIENTIFIQUE EN TURQUIE D'ASIE
Recherches sur la Musique orientale.
بحث في الموسيقى الشرقية
par Dom J. Parisot, Paris, 1899, in-8, 250 pp.

توجهت خواطر الاوربيين الى الشرق فلم يتركوا من آدابهِ باباً الّا ولجوهُ ومن فنونهِ بحثاً الّا خاضوا غمراتهِ . ولمَّا كان علم الانغام لديهم من الفنون الجميلة أحبوا ان يطَّلعوا على موسيقى الشرقيين واصولها . فمنهم من كتب في الموسيقى المدنيَّة كالدكتور لَند وسلفادور دانيال . ومنهم من أُولع بالموسيقى الكنسيَّة وقابل بينها وبين الغناء المعروف بالغريغوري . والذين بحثوا عن خواصّ انغام الكنيسة اليونانيَّة في زماننا اكثر من ان يُحصوا . وقد سمعنا ان حضرة الاب كوتورياه (Couturier) طبع لتلامذة مدرسة القديسة حنة مجموعاً من التراتيل الكنسيَّة يتغنون بها في طقسهم اليوناني . واهتمّ الابوان اليسوعيَّان بلين (Blin) وباده (Badet) بتدوين الالحان القبطيَّة فطبعا منها انغام القداس الالهي . ومنذ سنتين احتلّ اصقاعنا حضرة الموسيقيّ الشهير الاب جانّين (Jeannin) البنديكتي فدوَّن بالعلامات الاوربيَّة اكثر الحان الكنيستين السريانيَّة والكلدانيَّة . وفي تلك الاثناء كان نزل في كليَّتنا ضيفاً كريماً حضرة الاب حنَّا پاريزو من رهبان ليكوجاه (Ligugé) المنتمين الى القديس مبارك فجمع بايعاز وزير العلوم والآداب في فرنسة ما تيسَّر لهُ من الحان الكنيسة المارونيَّة اخذها عن مشاهير المغنين

في بيروت ولبنان نخصُّ منهم بالذكر المرحوم منصور الحكيم وساعدهُ على تحقيق امانيهِ اساقفة الكنيسة المارونيَّة الاجلاء لاسيما سيادة المطران يوسف الدبس وفقيد البيعة والوطن المطران بطرس البستاني. ولمَّا عاد حضرة المؤلف الى فرنسة بادر الى تسطير كتاب واسع اودع فيهِ كلَّ ما استفادهُ من هذا القبيل

وصدَّر تأليفهُ بمقالة واسعة ذكر فيها قرارات الالحان تلخيصاً عن رسالة الدكتور مشاقه التي نشرناها تباعاً في اعداد المشرق. ثم اتبع ذلك بمئتين واربعة عشر لحناً من الحان الكنيسة المارونية في كل رتبها الدينية. وتدوين الالحان بالعلامات النغميَّة (notes) على غاية الاتقان. ويلي هذه الالحان السريانيَّة الحان عربيَّة منها دينيَّة (من العدد ٢١٤ الى ٢٥٦) ومنها عاميَّة (٢٥٧ — ٢٨٨) وعقب ذلك بنغمات للكنيسة السريانيَّة الانطاكيَّة (٢٨٩ — ٣٠١) والكنيسة الكلدانيَّة (٣٠٢ — ٣٥٤) وختمها باربعة الحان من غناء اليهود في اعيادهم ومناحتهم على اسوار اورشليم (٣٥٥ — ٣٥٨)

فهذا المجموع كما ترى حريٌّ بكل ثناء ولعلَّهُ يثير في قلوب بعض الشرقيين الرغبة في درس الغناء الشرقيّ وموافقته على الغناء الفرنجيّ وكنَّا نودّ لو لم يمزج المؤلف بين اوزان النغمات كما فعل في كثير من الالحان اذ ينتقل من وزن الى آخر في النغمة الواحدة بل في السطر الواحد ونظنّ انَّهُ كان الاولى بهِ ان يفرق بين الاوزان بخطوط اصطلاحية وقد حاول بخلاف ذلك ان يحفظ وزناً واحداً لبعض الانغام العربية فذهب رونقها الاصلي وصارت كانها اوربيَّة محضة (هكذا فعل في عددهِ ٢٤٧ انَّ قلبي صار مغرم) ولاحظنا ايضاً في العلامات بعض الخلَل حتى اذا سمع الشرقيّ النغمة كما دوَّنها المؤلف لم يعرفها (راجع العددين ٢٢٥ لك التسبيح والشكران و ٢٣٨ يا امّ الله)

وغاية ما نتمنى لهذا الكتاب ان يقدّرهُ العلماء قدرهُ فانهُ حقيقةً من ابدع ما كُتب في الموسيقى الشرقيَّة. ونبدي الامل بان يسعى الموسيقيون بوضع طريقة سهلة لتدوين الالحان الشرقيَّة يجري عليها كلُّ ارباب الغناء

INSCRIPTIONS MANDAÏTES DES COUPES DE KHOUBEIR

كتابات للمندائيين او الصابئة مخطوطة على اقداح خُبَير

par H. Pognon, consul de France à Alep

Deux parties, pp. 232, *Planches* 31, *Paris*, 1898-1899

المندائيون ويدعون بالصابئة قومٌ من بقايا الشيع الغابرة وهم اليوم يسكنون العراق

على ضفَّة نهر دجلة وعند شطّ العرب امَّا اخبارهم فلا تزال الى عهدنا مكتومة خفيَّة وقد وعدنا حضرة الاب انستاس الكرملي البغــدادي بان يكشف القناع عن احوالهم بمقالة مستوفية ننشرها ان شاء الله في اعداد سنتنا القادمة

وممَّا يساعد العلماء على استجلاء امرهم كتــابات عديدة صابيَّة اكتشفها العلامة المستشرق سعادة هــنري پونيون قنصل فرنسة في حلب وهي مسطَّرة على اقداح من الخزف وُجدت في خُبير على ضفَّة الفرات اليمنى على مسافة ٥٥ كيلومترًا من مسيَّب بينها وبين كربلاء. فبادر المسيو پونيون الى فحصها وتمكَّن من قراءتها الَّا اسطرًا منها طُمست لطول عهدها. ثم ترجمها الى الفرنسية وعلَّق عليها حواشي لغويَّة كثيرة الفوائد تدلّ على ذكاء صاحبها وسعة علمهِ. وزيَّن كتابهُ برسوم هذه الاقداح وألحقهُ باربعــة مُلحقات جمع فيها ما امكنهُ من اخبار المندائيين نقلًا عن الكتبة الاقدمين لاسيا عن احد مؤرخي السريان يدعى تاودورس برخوني في كتابهِ الحادي عشر من تاريخهِ المعنوَن «كتاب الاسكوليون». فنحن نشكر لسعادة قنصل حلب هذه الخدمة الجليلة للعلوم الشرقيَّة ونتمنى ان يتحفنا بشيءٍ من الطُرَف الادبيَّة والعلميَّة التي اذَّخرها في بغداد اثناء تولّيهِ قنصليَّة تلك الحاضرة

ل. ش

شذرات

* انتقاد صاحب الضياء * يظنّ جناب منشئ الضياء انهُ بالتهكُّم يحلّ ما تعرقل بهِ من المشاكل فساه ما ظنّ. وذلك انَّ جنــابهُ امتعض من تفنيدنا لمزاعمهِ في الدين (المشرق ٢: ٨٩٩ , ٩٩٧) والتاريخ (٢: ٦٦٩ , ٧١٧) واللغــة وهو يدَّعي لنفسهِ فيها الامامة (١: ١١٣٦ و ٢: ٦٠٩ و ٧٩٤ و ٩٧٧ و ١٠٦٨ و ١٩٦٥) فاخذ يطلب في مجلَّتنا وتآليفنا الجديدة ما يشفي بهِ حرقتهُ فلم يجد. فجعل يفلّي مجموعنا الموسوم بمجاني الادب لعلَّهُ يصيب فيهِ مغمزًا ولمَّا ظفر على بعض اغلاط في طبعاتهِ الاولى دوَّنها في مجلته ظنًّا منهُ انَّهُ يطعننا بسهم يكون القاضي علينا. فبيَّنا لهُ انَّ سهامهُ طائشة وان بعض هذه الاغلاط التي ذكرها نُقلت عمدًا عن النُسَخ التي اخذنا عنها كما يفعل العلماء المستشرقون ونبَّهنا عليها في شرح المجاني وبعضها أُصلح في طبعات المجاني الاخيرة اصلاحًا افضل من اصلاح صاحب الضياء لانَّهُ هو عوَّل على الحدس والتخمين بينما نحن استندنا الى نصوص قديمة. فرأى الشيخ جوابنا مسكتًا غير انهُ في ضيائهِ الاخير عاد الى جملة من القزويني زعم انَّنا صحَّفناها بنقلنا فلم نسلّم بالتصحيف وهذه جملة القزويني: «وسببهُ (اي سبب كسوف الشمس) [illegible] حائلًا بين الشمس والابصار لان جرم القمر «كمدٌ» فيحجب ما وراءهُ عن

الابصار » فاراد الشيخ ان تُصلح « كمدَ » بكمد . فاجبنا : ١ً ان الاصل المنقول عن اربع نسخ يروي « كمدَ » . ٢ً انَّ « كمُدَ » توفّي المعنى لان القزويني اراد ان كسوف الشمس يحدث عند إبدار (١ القمر واستدارتهِ على شكل مدّ . فقهقه الشيخ واستغرب ضحكاً وشرُّ النوائب ما يُضحك . وزاد على تهكمهِ البارد قولهُ : « وكنا نظنّ انَّ حضرة الاب امام في اللغة فقط فاذا هو من العلماء المتبحرين في الفلك ايضاً » . فلم يبقَ لنا بعد ذلك الّا ان نتستر خجلين منكوسين بازاء فارس هو « امام اللغة وعالم متبحّر في الفلك معاً »

ولكن يسوءنا ان نقول لجناب الشيخ انهُ زوَّر كلامنا لاننا لم نثبت كما زعم لقرائنا « انَّ القمر كمدَ » بل انَّ نصَّ القزويني صحيحٌ كما رويناهُ . واحتججنا عليهِ باربعة براهين : (اولاً) انَّ اربع نُسَخ تروي كما روينا . افيجوز ان نعدل عنها لنرضي جناب الشيخ « امام اللغة والمتبحّر في علم الفلك » . (ثانياً) انَّ لهذه الرواية وجهاً لان الكل يعلمون ان البـدر عند تمامهِ يظهر مستديراً للعين كقعر المدّ فاخذ القزويني هذا التشبيه لقربهِ من فهم القرّاء . وفي الاصل صورة القمر على هذا الشكل ولولا ضيق المكان لرسمناها هنا لبيان مقصد المؤلّف . فشتان اذن بين شرحنا الصوابي وتزوير صاحب الضياء لكلامنا وتفكُّههِ في حقنا . (ثالثاً) اننا ننكر على الشيخ انَّ « كَمِد » تستوفي معنى المؤلف . لانَّهُ شرح « الكمِد » بمعنى الكثيف وهذا لا وجه لهُ في كتاب من كتب اللغة . والكُمدة في اللغة تغيُّر اللون . واذا كُسفت الشمس لا يتغير لون القمر بل تحجب عنا الشمس لان القمر يكون حينئذٍ بيننا وبينهـا كمدَّ مستدير لا يُرى ما وراءهُ من الاجرام . (رابعاً) وزد على ذلك انَّ القزويني اذا اراد الدلالة على عدم شفوف القمر لا يستعمل لفظة « كَمِد » بل كثيف كما ترى في مجاني الادب (٣ : ٢٦٢ . س ١٨) . فبطلت اذن حجة الشيخ وظهر لكل العيان انَّهُ مكابرٌ وان تهكُّمهُ صبيانيٌّ خلوٌ من آداب المناظرة

❋ علم الهلال ❋ كان الهلال بعد ان قلَّمنا اظفارهُ لتطاولهِ على الامور الدينية (المشرق ١ : ١٥٤ و ٢٣٨ و ٣٣٣ و ٤٧٩ و ١١٠١ و ٢ : ١٨٦) لم يعد يتعدَّى طورهُ ويتعرَّض للدينيات . وكأنَّهُ خجـل من سكوتهِ وأبى الّا ان يغني في نغمة المقتطف والضياء . فانهُ في عدده الاخير (١٥ ت ٢ ص ١١٧) زعم « انَّ العلماء وجدوا بابحاثهم الاخيرة في الانسان ان اسنانهُ اكثر عدداً واعظم جرماً مما هي عليهِ اليوم » . ثم قال : « وزعم بعضهم انهُ كان يستخدمها للدفاع عن نفسهِ كما تفعل الحيوانات المفترسة فلما تمدَّن وطبخ طعامهُ وقلَّت حاجتهُ الى خشونتها ومتانتها ضعفت وصارت كما هي الان » . يوهم بذلك سامحهُ الله انَّ الانسان كان كما زعم داروين حيواناً ثم بتوالي الدهور صار الى ما هو عليهِ اليوم . واغرب ما وجدناهُ في هذا القول انَّ صاحبهُ نسبهُ الى

---

١) ألحق جناب المنتقد هذه الكلمة بلفظة (كذا) ليوهم القراء انَّ « أبدر » لا تأتي بمعنى صار بدراً . وكفى شاهداً لردّ زعمهِ قول التهامي الشاعر الشهير في رثاء ابنهِ :

وهلال ايامٍ مضى لم يستدرْ بدراً ولم يُمهَل لوقت سرارِ
عَجِل الخسوف اليهِ قبل اوانهِ فمحاهُ قبل مظنَّة « الإبدارِ »

ولعلَّ امام اللغة لا يرضى بقول التهامي كما يردّ قول كل جهابذة اللغة مكابراً

العلماء . فان كان صادقاً فليذكر اسماء هؤلاء العلماء الذين نجهلهم وليعلمنا في اي متحف وُجدت جمجمة انسانٍ تختلف عن جماجمنا من حيث كثرة الاسنان وعظم الجرم . فان لم يستطع فما لهُ اناره الله يخدع هكذا القرّاء وينسب خداعهُ الى اقاويل العلماء . وما زادنا عجباً من منشئ الهلال قولهُ بعد كلامهِ السابق ذكرهُ : « وبحثوا (العلماء) في تاريخ العيون . . . فلاح لهم بقياس التمثيل (؟) انَّ الانسان كانت لهُ ثلاث اعين عينان جانبيتان وعين رأسية (!!!) يرى فيها ما فوقهُ واستدلوا على ذلك بانَّ عينيهِ كانتا في اقدم زمانهِ جانبيتَين ثم تقاربتا نحو الامام ولا تزالان تتقاربان حتَّى الان . وذكروا مثل ذلك التغيير في الآذان والانوف »

فلمَّا قرأنا هذا الفصل حسبنا ان ابصارنا خدعتنا او نحن في منام تلاعبت في مخيَّلتنا اضغاث الاحلام . فكرَّرنا قراءة هذه النبذة البديعة وتحقَّقنا ان الهلال بقولهِ هذا انخسف ولا انخساف الضياء والمقتطف اذ جعل الانسان مسخاً اشنع من قرد دَروين . فيا لله أَهذا كلام جريدة تنعت نفسها « بمجلة علميَّة » . نناشدك الله ايها الهلال ان تمحو عنك هذه الوصمة وتُعلم قراءك بانَّ ما كتبتهُ دعابةٌ وهزل وان تيقَّنت صحَّتهُ فأَفدنا عن ذلك ودافع عنهُ بالحجَّة نفنّد قولك ان شاء الله بالبرهان

أسئلة وأجوبة

س سألنا ب . ع . من حلب لاي سبب دعي اسكندر الكبير عند العرب بذي القرنين

لقب الاسكندر ذي القرنين

ج قد اختلف كتبة العرب في ذلك فمنهم من يزعم ان القرنين دلالة على قوَّتهِ ومنهم من يريد انَّهُ لُقب بذلك اشارةً الى تملُّكهِ على الشرق والغرب . وعندنا انَّ السبب الصحيح ما ذكرهُ اريان في ترجمة الاسكندر اذ قال عنهُ انهُ بعد فتح مصر زار هيكل عمون الشهير واطَّلع على اسرار ديانتهِ الخفيَّة ثمَّ امر بعد ذاك لاكرام الاله ان تُرسم صورتهُ على نقودهِ بقرنين يزينان رأسهُ . فشاع الامر عند الشرقيين ودُعي لذلك بذي القرنين

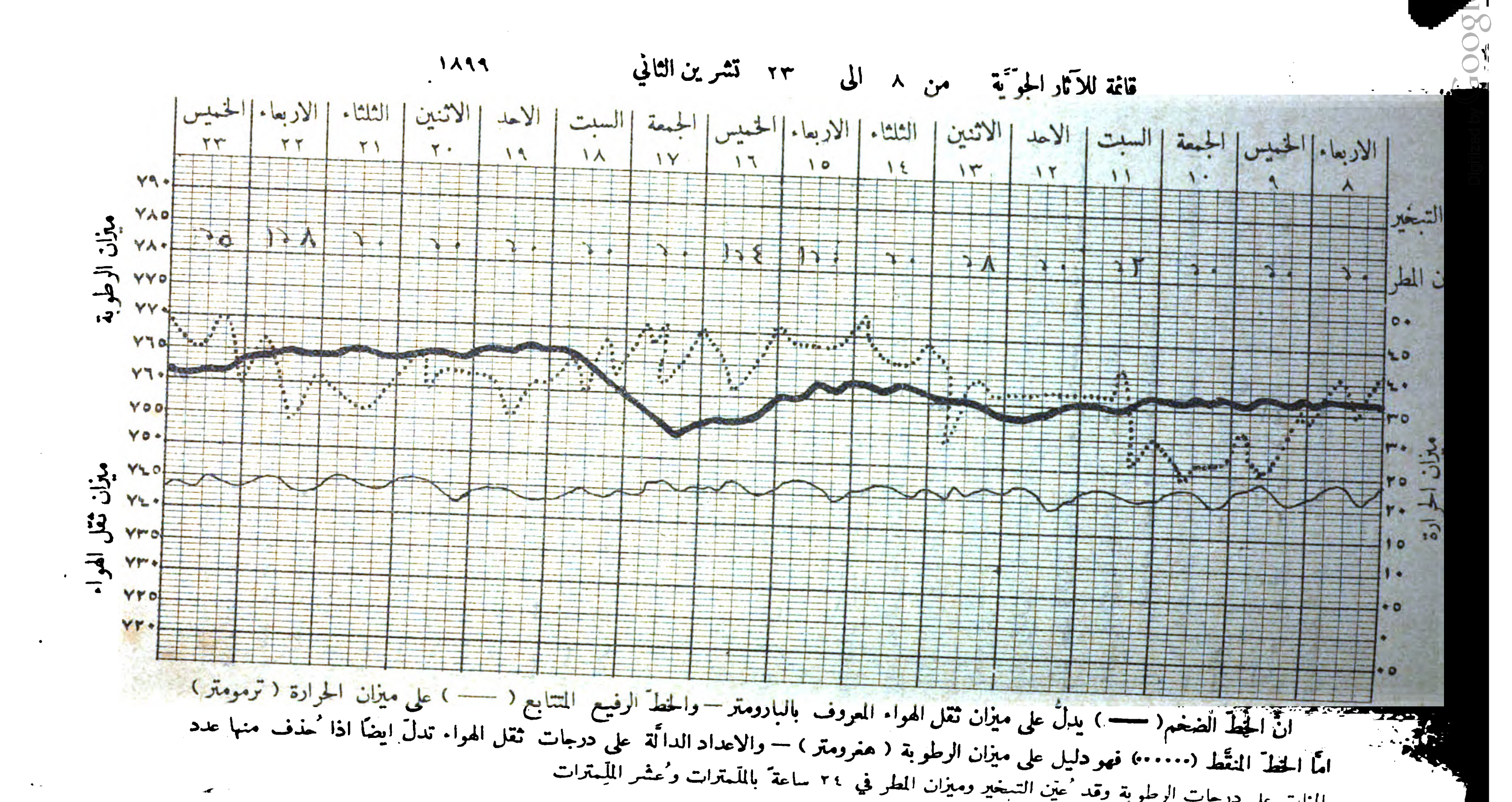
س وسألنا حضرة الاب سكياس الارمني عن معنى اسم دير القمر وبيت الدين ولاي سبب تنسب دمشق الى الشام فيقال دمشق الشام

اسماء دير القمر وبيت الدين ودمشق الشام

ج نجيب على الاول انَّ اشتقاق اسم دير القمر من السريانيَّة ܕܘܪܐ ومعناها الدائرة والمنطقة لشبه موقع دير القمر بدائرةٍ . ومعنى « بيت الدين » من السريانيَّة ܒܝܬ ܕܝܢܐ اي المحكمة لانَّ فيها كانت تجري الأحكام . اما نسبة دمشق الى الشام فالمراد « دمشق عاصمة الشام » فاختصروا بقولهم : دمشق الشام

ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٨ الى ٢٣ تشرين الثاني ١٨٩٩



انّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر)

امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد

... على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملّمترات

المشرق

في الضوء وحقيقتهِ

مقالة لحنين بن اسحق نقلًا عن كتب ارسطوطاليس

سعى بنشرها وتعليق حواشيها الاب لويس شيخو اليسوعي

المقدمة

ان بين المسائل التي شغلت عقول الطبيعيين لبحثًا تعدّدت فيهِ الاراء وتضاربت الاقاويل نريد مسئلة النور وماهيَّتهِ. وهو لعمري مطلب حريٌّ بالاعتبار لانَّ النور حياة البشر لا يستغنون عنهُ ساعةً ولولاهُ لأضحى عالمنا بالعدم اشبه منهُ بالكون. ومن ثمَّ سعى الاقدمون من اليونان في ابحاثهم عن اسرار الطبيعة ان يُميطوا الستر عن حقيقة النور وجهدوا في ذلك جهدًا اوجب لهم الثناء. والمحدثون في هذه المسألة لا يزالون يقرُّون بدقَّة نظرهم واصابة رأيهم

وممَّن بحث بين اليونان عن كُنهِ النور وحقيقتهِ ارسطو الفيلسوف فانهُ كثيرًا ما يعود الى هذا البحث في تآليفهِ العديدة ولاسيما في الكتاب الثاني من النفس وفي كتاب السماء وكتاب الحسّ والمحسوس الى غير ذلك. لكنهُ لم يفرد لهذا البحث بابًا خصوصيًّا

ولما ظهر الاسلام وانتشرت في المشرق علوم اليونان اخذ علماء السريان والعرب يبحثون في النور وحقيقتهِ كبحثهم في غيرهِ من اسرار الطبيعة بيد ان كثيرًا ممَّا كتبوهُ قد اخذتهُ يد الضياع اللهمَّ الَّا مقالة وضعها ابو عليّ الحسن (وقد دعاهُ ابن أبي أُصيبعة محمدًا) بن الحسين بن الهيثم (١ موسومة «برسالة الضوء» نشرها في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG XXXVI, 197 - 237) العلَّامة المستشرق بارْمان (Baarman) وهي حقيقةً نبذة حسنة تشهد لصاحبها بعلوّ المرتبة في المعارف الطبيعيَّة والعلوم الرياضية بحث فيها ابن الهيثم عن ماهية الضوء وكيفية انتشارهِ وعن شكلهِ وماهيتهِ وعن الاجسام المشفَّة التي تنفذ فيها الاضواء

١) ولد ابن الهيثم المذكور سنة ٣٥٤ ﻫ (٩٦٥ م) في البصرة وتوفي سنة ٤٣٠ (١٠٣٩ م) وقد صنَّف نيفًا ومئة كتاب في العلوم الطبيعيَّة والرياضيَّات ذكرها ابن ابي أُصيبعة في كتاب طبقات الاطبَّاء (٢: ٩٠)

هذا وبينا كنّا نفحص كتباً خطيّة جمعها جناب القانوني الشهير والاديب الفاضل النحرير جرجس افندي صفا ابي عكر وقفنا على مجموع قديم فيه رسائل شتّى عربيّة مكتوبة بالخطّ النسخي على ورق متين يرتقي عهدها الى اواخر القرن الرابع عشر (١

١) والمجموع المذكور عبارة عن عشر مقالات نفيسة من تصانيف الاقدمين هذه اسماؤها:

١ً كتاب تهذيب الاخلاق لابي زكريا يحيى بن عدي (من الصفحة ٢ الى ٥٠). وهو فيلسوف نصراني شهير من نصارى اليعاقبة توفّي سنة ٩٧٥ م. ورسالتهُ هذه طُبعت طبعتين سقيمتين سنة ١٨٦٦ في بيروت وسنة ١٨٩١ في مطبعة الاقباط بمصر. وهذه النسخة الخطيّة حسنةٌ سقطت منها صفحتها الاولى

٢ً كتاب برسيس (كذا) في تدبير الرجل لمنزلهِ (من الصفحة ٥٠ الى ٨٤). وهي رسالة في علم الاقتصاد البيتي امّا مؤلفها فلم يمكنا قراءة اسمهِ. ومن المحتمَل ان يقرأ ترسيس او نرسيس او برسيس. وفي ختـام المقالة ما نصّهُ: تمّ قول الحكيم برولس (كذا) فيظهر من ذلك ان الرسالة لاحد حكماء اليونان نُقلت الى العربيّة. ولعلّهُ الفيلسوف. بروكلس الشهير صُحّف اسمهُ كما رأيت. وبروكلوس المذكور من مشاهير كتبَة القرن الخامس للمسيح (٤١٢–٤٨٥)

٣ً رسالة دامسطيوس وزير اليان وهو يليانوس الملك في السياسة نقل ابن زُرعة من اللغة السريانيّة (من الصفحة ٨٥ الى ٩٩). اشتهر دامسطيوس (Themistius) المذكور في القرن الرابع للمسيح وخدم يليانوس المعروف بالجاحد وهو من مفسّري ارسطو ولم نجد لرسالتهِ هذه ذكراً في قائمة كتبهِ. اما ابن زُرعة فهو من علماء اليعاقبـة كان تلميذاً ليحيى بن عدي توفّي سنة ٤٤٨ ه (١٠٥٦ م) ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في تاريخ الاطباء (ص٢٣٥)

٤ً رسالة افلاطون الحكيم الى فرفوريوس في حقيقة نفي الغمّ والهمّ واثبات الزُهد جواباً عن سؤالٍ كان سبق منهُ اليهِ (من الصفحة ١٠٠ الى ١١١). لم نجد في كتب افلاطون ما يشبه فحوى هذه الرسالة. وعندنا انّها من كتب بعض تلامذة افلاطون فنُسبت اليهِ. وفي آخر هذه الرسالة نبذة وجيزة عن الغنى الحقيقي والفقر الحقيقي

٥ً رسالة المعاني لهرمس الفاضل المثلّث الحكمة في معاتبة النفس (من الصفحة ١١٢ الى ١٧٧). طُبعت هذه الرسالة في مدينة بونا (Bonne) من اعمال المانية مع ترجمتها الى اللاتينيّة سنة ١٨٧٣. وفي مكتبتنا الشرقية نسخة خطيّة منها

٦ً مختصر من كتاب الاخلاق لجالينوس (من الصفحة ١٧٩ الى ٢٢٣). نظنّ انّ ناقل هذا الكتاب هو حبيش المترجم السرياني (راجع تاريخ الطبّ العربي بالفرنسيّة للعلّامـة لوكلار (Leclerc I, 155 *et* 245). والاصل اليوناني اوسع من هذا المختصر (راجع Galeni scripta minora, *ed.* Müller II. 931, περὶ ἔθων)

٧ً من مقالة لجالينوس في انّ قوى النفس توابع لمزاج البدن (من الصفحة ٢٢٤ الى ٢٣١). ورد في قائمة كتب مكتبة الاسكوريال (Casiri : *Bibl. Escur.* I, 255) انّ حبيشاً المترجم السرياني نقل هذه المقالة الى العربيّة ولعلّها هي التي أُثبتت في هذا المجموع. اما الاصل اليوناني فهو معروف (*ed.* Müller, 32-79)



وفي المجموع المذكور رسالة في الضوء اقدم من رسالة ابن الهيثم تُنسب لحنين بن اسحق المتطبّب النصراني الشهير المتوفى سنة ٢٦٠ ﻫ (٨٧٤ م) فاستنسخناها برخصة صاحب الكتاب وارسلناها لمؤتمر المستشرقين الذي التأم في باريس في غرَّة ايلول من سنة ١٨٩٧ مع ترجمة افرنسية وبعض تعليقات. فتلقاها العلماء بمزيد الحفاوة ونشروها في جملة اعمال المؤتمر فرأينا ان ننشرها ثانيةً في مجلّتنا لئلّا تفوت فوائدها القرّاء الشرقيين

ولهذه الرسالة خواص تزيد في شأنها: الاولى انّها تبحث في مسألة اعتاصت على علماء زماننا انفسهم كما سبق. وقد وافق المؤلف فيها اعظم الطبيعيين اذ اثبت بالبرهان انّ الضوء ليس بجسم لطيف كما زعم البعض بل هو عرضٌ فنفى بقولهِ هذا رأي العالم الانكليزي نيوتن الذي زعم «انّ النور مادّة لطيفة تتركّب من ذرّات دقيقة وتنبعث من الاجسام المنيرة» ووافق ائمّة العلماء المحدثين الذين يرتأون ان النور اهتزازٌ في أثير الجوّ ينجم عن الاجسام المنيرة فيتموّج امواجاً الى ان يدرك الباصرة فتشعر بهِ وذلك على مثال الصوت الذي ينتشر في الهواء فيبلغ المسامع

والخاصّة الثانية انّ البراهين التي يحتجُّ بها المؤلف منقولة عن كتبٍ شتّى لارسطاطاليس جملها جامعها كرسالةٍ مفردةٍ قائمة بذاتها. ولعلّ بعض هذه الادلّة مأخوذة من كتب ضائعة لارسطاطاليس وعلى كل حال انّ جمعها يدلُّ على انّ حنين بن اسحق كان يعرف تآليف ذلك الحكيم الشهير حقّ المعرفة لا يفوتهُ منها شيء

وهنا يحسن بنا القول انّ بطليموس الكلوذي بحث في كتاب المناظر عن مسألة شبيهة بهذه وقد استخرج مقالتهُ ابو سهل العلاء بن سهل (ZDMG, XXXVIII, 145) منها نسخة في خزانة كتب بطرسبرج

٨ً مختصر مقالة لجالينوس في الحثّ على تعلُّم العلوم والصناعات (من الصفحة ٢٣١ – ٢٣٥) وفي اليونانية (Προτρεπτικὸς ἐπὶ τέχνας) راجع (*ed.* Müller I, 202 - 129) راجع اعمال جالينوس

٩ً كتاب التفاحة لسقراط (من الصفحة ٢٣٦ الى ٢٥٧) ذكرهُ ونريخ (Wenrich) في جملة الكتب المترجمة الى العربيّة ومن العربية الى العبرانية. والكتاب يُنسب عادةً لارسطوطاليس لكنّ ترجمتنا هذه هي اجدر بان تُنسب الى سقراط وفيها ورد ذكر وصاياهُ الاخيرة قبل وفاتهِ

١٠ً من كلام جمعهُ حنين بن اسحاق من ارسطوطاليس في انّ الضوء ليس بجسم للقيم بن هلال الصابئ (من الصفحة ٢٥٨ الى ٢٦٥). وهي الرسالة التي نحن الآن بصددها

١١ً ثمّ يليهِ نحو مئة صفحة تتضمن قطعاً مختلفة من عدّة كتب قديمة جمعها مجلّد الكتاب بلا نظام لئلّا تُفقد. وقد ميّزنا في جملتها. ١ً قطعة من مقالة لعليّ بن ابراهيم الكفرطابي. ٢ً قطعة من كتاب في السُّنن والشرائع للفارابي. ٣ً قطعةٌ من كتاب الثمرة لبطليموس شرح احمد بن يوسف الكاتب (ومنهُ نُسخ عديدة في مكاتب اوربّة). ٤ً قطعة من مقالة في المقولات ٥ً نبذة من كتاب الاخلاص للاسكندر الافروديسي (كذا). ٦ً نبذة من مقالات في الفضائل الادبيّة ٧ً نبذة من قصّة برلعام ويواصاف الذائعة الشهرة. ٨ً قطعة من كتاب تدبير المتوحّد لابي بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة. ٩ً صفحتان من كتاب الملّة لابي نصر الفارابي

والخاصَّة الثالثة انَّ هذه الرسالة لم تُذكر في قائمة تآليف حنين التي سردها ابن ابي اصيبعة في كتاب الاطباء وابن النديم في كتاب الفهرست فتكون من جملة التآليف المجهولة التي صنَّفها حنين واخذتها يد الضياع. ولعلَّ قائلًا يقول ما معنى عنوان هذه الرسالة انَّها «للقيِّم بن هلال الصابئ». (نقول) انَّ المراد بذلك انَّ جامع هذه الرسالة وهو حنين صنَّفها باللغة السريانية ثم نقلها بعدهُ الى العربيَّة القيِّم بن هلال. ونظنّ ان ابن ابي اصيبعة وابن النديم لم يذكرا هذه الرسالة لانَّ صاحبها وضعها باللسان السرياني. ومن المحتمل ان القيِّم المذكور نقَّحها وهذَّبها فقط. والله اعلم

واماَّ القيِّم بن هلال الصابئ المذكور فاننا لم نجد لاسمهِ ذكرًا على هذه الصورة. والمرجَّح انَّهُ هلال ابن ابي هلال الحمصي الذي ذكرهُ ابو الفرج بن النديم في الفهرست (ص ٢٤٤ و٢٦٧) وانهُ ابن اخت الكاتب الشهير ثابت بن سنان بن ثابت بن قرَّة الصابئ (راجع تاريخ ابن العبري ص ٢٩٥) وقد اشتهر كلاهما في القرن الرابع للهجرة الموافق للقرن العاشر للمسيح

في انَّ الضوء ليس بجسم

١ (قال) أصحُّ ما انتهى الينا من قول الاوائل في الضياء حُجَج ارسطو. فمَّا احتجَّ بهِ في كتاب النفس وغيرهِ على ذلك انَّهُ قال: كل جسم اذا تحرَّك فانَّما تكون حركتهُ في زمان والضياء يتحرَّك لا في زمان فليس بجسم. وذلك انهُ مع طلوع الشمس يضيء الافق كلّهُ معًا وليس يضيء جزء منهُ بعد جزء فيكون متحرّكًا لا في زمان لان الزمان يتجزَّأ بالقبل والبعد ويتجزأ ما كان فيهِ من الحركات بتجزُّئهِ (١

٢ ثمَّ احتجَّ فقال: كل جسم لا يخلو ان يكون امَّا بسيطًا وامَّا مركَّبًا. والاجسام البسيطة والمركَّبة لا تخلو اذا تحرَّكت بطبائعها (٢ من احدى حركتين امَّا حركة مستقيمة او مستديرة والمتحركات بالمستقيمة هي النار والهواء والماء والارض وما هو مركَّب منها. وهذه الحركة تنقسم قسمين. امَّا من الوسط (force centrifuge) كحركة النار والهواء وامَّا الى الوسط (force centripète) كحركة الماء والارض. والمتحركات بالحركة المستديرة هي السماء وما فيها من الاجرام السماوية. والضياء ليس يتحرَّك حركة مستقيمة (٣ ولا مستديرة بل يتحرَّك من الوسط الى العلو كحركة ضياء

١) راجع مقالة ارسطو في النفس ك ٢ ف ٧ (من طبعة باريس (*ed.* Didot) ومقالتهُ في الحسّ والمحسوس ف ٦ — واعلم انَّ هذا البرهان الاول مبنيٌّ على جهل الاقدمين بمقاييس النور التي اخترعها المحدثون وقد اثبت علماء الطبيعة انَّ النور ينتشر في كلّ ثانية بسرعة ٣٠٠٣٣٠ كيلومترًا

٢) في الاصل: بتطابعها

٣) هذا لا يوافق قول المحدثين عن انتشار الضوء على خط مستقيم

المصابيح ويتحرَّك من العلوّ الى الوسط كحركة ضياء الشمس ويتحرَّك على الوسط كحركة ضياء الاجرام العلويَّة التابع لحركة اشخاصها . وكل جسم فانَّما حركتهُ الطبيعيَّة الى جهة واحدة فقط والضياء يتحرَّك الى جهات كثيرة فليس بجسم (١

٣ ثم احتجَّ فقال : ان كان ضياء الشمس جسماً فلا يخلو اذا سالك في الهواء واناره (٢ من احدى ثلث خلال امّا ان يجاور الهواء او يداخلهُ او يكون محمولًا فيهِ . فان كان مجاورًا لهُ فمكانهُ غير مكانهِ فهذا شأن الاجسام المتجاورة فيكون المكان الذي يحلّ فيهِ الضياء مضيئاً والمكان الذي يحلّ فيهِ الهواء غير مضيءٍ والحسّ يُبطل هذا لانَّا نجد الهواء اذا اشرقت الشمس عليهِ مضيئاً كلهُ . وان كان مداخلًا لهُ لزم ان يحلّا في مكان احدهما ولو جاز هذا في جسمين جاز في ثلاثة واربعة وفي اجسام العالم كلها حتى يكون العالم كلهُ مداخلًا لهباءة (٣ وهذا محال فلم يبقَ الّا انَّ يكون محمولًا فيهِ والمحمول في الجسم عرض فالضياء عرَض

٤ ثم احتجَّ فقال : ان كان الضياء جسماً نيّرًا فيجب ان يكون اذا خالط الهواء او اذا اتَّصل بهِ ان يكثِّف اجزاء الهواء فيظلم . وذلك انَّا لو اخذنا صفيحة نحاس من جسم نيّر ثم ضممنا اليها صفيحة اخرى مثلها لغلظت واظلمت وليس نجد الهواء يغلظ ويظلم اذا خالطهُ الضياء بل يلطف وينير . واذا كانت الاجسام النيّرة اذا قُرن بعضها ببعض غلظت واظلمت والضياء اذا حلَّ في الهواء اناره فالضياء ليس بجسم نيّر كما قالوا

٥ واحتجَّ ايضاً فقال : اذا كان الضوء مضادًّا للظلمة وكانت الظلمة ليست جسماً فيجب ايضاً ان يكون الضوء ليس هو جسماً وذلك ان قوَّة المتضادَّين واحدة (٤ فان كان احدهما عرضاً كان الآخر عرَضاً كالسواد والبياض وان كان احدهما جسماً كان الآخر جسماً كالماء والنار المتضادَّين بالقوى واذا الظلمة ليست جسماً فالضوء ليس هو جسماً (٥

---

١) راجع كتاب السماء لارسطو ك ٢ ف ٢ وقابل هذا البرهان مع البرهان العاشر

٢) وفي الاصل : انار بهِ ٣) وفي الاصل : لبهائهِ . وهو تصحيف

٤) يشير الى مبدإ الفلاسفة ان الاضداد في حيز واحد Eadem est ratio contrariorum)

٥) راجع كتاب النفس لارسطو ك ٢ ف ٨

٦ ثمَّ احتجَّ فقال: ان كان ضوء النـار جسماً فلا بدَّ ان يكون اماً نارًا واماً جسماً منبعثاً (١ من النار. ولا يجوز ان يكون ضوء النار نارًا لان النار تحرق والضوء لا يحرق لان الضوء يوجد في الماء والماء من شأنهِ ان يبرّد ويرطّب وهو ضدّ النـار. والاضداد اذا تلاقت تفاسدت والضوء والماء اذا اجتمعا لم يتفاسدا فالضوء ليس بنار. وايضاً فنجد ضوء النار واقعاً على القطن والصوف والاشياء التي من شأن النار ان تلهب فيها فلو كان ضوء النار نارًا لكان محرقاً ملهباً لهذه الاشياء. ولو كان جسماً منبعثاً من النار لم يمتنع ان يوجد بعد انطفاء النـار لان الاجسام قائمة بانفسها ومنفردةٌ بذواتها. والحسّ يبطل هذا لانّا نجد ضوء النار يزول بزوالها فليس بجسم

٧ واحتجَّ فقال: ان كان ضوء النار جسماً فهو يقبل الفساد كما تقبل النـار الفساد لانّا نجد ذهابهُ موصولًا بذهابها وكل جسم يقبل الفساد فهو لا محالة منتقل(٢ الى طبيعة مفسدة او الى طبيعة متوسّطة بينهما كالنار التي اذا افسدت الماء صار بخارًا والضوء ليس بمنتقل الى الطبيعتين من الاجسام عند فسادهِ فالضوء اذًا ليس بجسم

٨ واحتجَّ فقال: انّا اذا قلنا في جسم(٣ انّهُ يضيء فانّما نعني انهُ يؤثّر الضياء كما انّا اذا قلنا انهُ يسخن فانّما نعني انّهُ يؤثّر التسخين. والأثر فعل المؤثّر في الشيء القابل للتأثير وليس شيء من الآثار جسماً فاذا كان الاثر عرضاً فالضياء عرضٌ

٩ واحتجَّ فقال: ان الضياء كيفيَّة وذلك انّهُ يقبل الاشدّ والاضعف وهذا من خواص الكيفيَّة. وبيان ذلك اننا نقول هذا الجسم اضعف ضياء من جسم آخر مضيء. (قال) وكذلك نجد الضياء يقبل الشبه وغير الشبه وهذه هي الخاصَّة والعامَّة لجميع انواع الكيفيَّة. وذلك انهُ يُقال ضوء النار غير مشبه لضوء الشمس وضوء هذا الكوكب مشبه لضوء ذاك الكوكب فالضياء اذًا كيفيَّة والكيفيَّة عرض

١٠ واحتجَّ فقال انَّ المكان لهُ قوَّة أثرُهـا بيّن في الاشياء الطبيعيَّة ولذلك يوجد لكل جسم مكان خاصّ بهِ يطلبـهُ بطبيعتهِ فالمكان احد الاسباب المتقدّمة في معرفة طبيعة الشيء. واذا كانت الاجسام المستقيمة الحركة والتي حركتها على الاستدارة لها امكنة طبيعيَّة وكان العلو مكانَ النار والهواء والوسطُ مكانَ الاجسام التي يغلب على

١) وفي الاصل: منتعثاً ٢) في الاصل: منقل ٣) وفي الاصل: بجسم

تركيبها الارض او الماء. والموضع المحيط بالوسط (١ للاجرام المستديرة الحركة وكانت هذه الامكنة الثلثة هي الامكنة الطبيعيّة وكان محال ان يوجد جسم ليس لهُ مكان طبيعيّ خاصّ بهِ. وذلك انّهُ لمّا لم يكن جسم الّا ولهُ حركة طبيعيّة خاصّة بهِ وجب ان يكون لهُ مكان طبيعيّ خاصّ بهِ. فيجب من هذه المقدّمات ان يكون الضياء ليس بجسم. وذلك انّهُ ليس شيء من هذه الامكنة اعني العلوّ والوسط وما احاط بالوسط اخصّ بالضياء من غيرهِ لانهُ يوجد فيها كلها ولا يطلب (٢ منها شيئاً(٣ اذا فارقهُ

١١ واحتجّ فقال: انّ الضوء مخالفٌ للظلمة امّا كمخالفة الشيء لضدهِ وامّا كمخالفة الوجود للعدم وباي الحالين خالف كان عرَضاً. وذلك انّ الوجود والعدم والاسباب المتضادّة هي من النعوت التي يقابل بعضها بعضاً. امّا الاضداد فمثل كون السواد مقابلًا للبياض وامّا كون الوجود مقابلًا للعدم فمثل كون العمى مقابلًا للبصر. والجوهر لا مقابل لهُ فما كان ذا مقابل فليس بجوهر والضياء مقابل للظلمة فهو عرَضٌ

١٢ وقال: انّ الضياء نافذ في الجمرة والجمرة جرمٌ والجرم لا ينفذ في الجرم

١٣ وقال: انّ الصقالة ضرب من الضياء فانّا اذا اخذنا جسماً مستحصفاً اسود فصقلناهُ صار مضيئاً والصقل هو ضمّ اجزاء الجرم بعضها الى بعض ووضعها في سطح واحد حتى لا يكون فيها شيء ناتئ عن شيء وعلى هذه الحال يكون الجرم مضيئاً وهي عرَض. فهذه جُمَلُ قول الحكيم

ولمّا احكم القول في حدّ الضياء وفرق بينهُ وبين اللون بدأ قبل ذلك فاخبر ان الانفعال نوعان احدهما مُفسد والآخر متمم. امّا المفسد فمثل انفعال البياض من السواد فان السواد اذا فعل في البياض أفسد الشيء الابيض فيصير اسود. وامّا المتمم فمثل انفعال الهواء من الضياء فان الضياء يصيرهُ مضيئاً من غير ان يفسد بتغيّر (٤ ذاتهِ بل يصير الهواء بالضياء تامّاً

وبعد ذلك قال اللون هو تمام الجسم الصافي المستشفّ اعني الهواء والماء وما كان مثلهما من ذوات الصفاء التي تدرك ألوان الاشياء فيها على الحقيقة لان الهواء ليس

١) هذا ترجمة اللفظة اليونانيّة περὶ το μέσον وبالفرنسية périphérie (راجع كتاب السماء لارسطو ك ١ ف ٢)　٢) اي لا يقتضيهِ　٣) في الاصل: شيء

٤) وفي الاصل: بغير




بذي لون بذاته لكنَّهُ يقبل الالوان من غيره ولو كان ذا لون بذاته لم يكن يُؤدّي الينا لون شيء على حقيقته وكانت تتَّصف الوان الاشياء المتضادَّة بلونه كالناظر الى الشيء من وراء الزجاجة المصبوغة فانهُ يراهُ بلون ممتزج من لون الزجاجة ولون ذلك الشيء في نفسه. واذا لم يكن الهواء ذا لون بذاته وهو قابل اللون فهو اذًا ذو لون بالقوّة وانّما تنقلهُ من القوة الى الفعل الوان الاشياء الموجودة فيه فيصير ذا لون بالفعل (١. ومصير الهواء ذا لون بالفعل بعد ان كان ذا لون بالقوَّة انفعال تمامي

ثمَّ حدَّ الضياء فقال: هو اثر في الجسم الصافي به يتمّ ويكون قابلًا للون. واعني بالجسم الصافي الهواء وما كان مثلهُ من الاجسام ذوات الصفاء التي تدرك فيها ألوان الاشياء. فقد تبيَّن الفرق بين اللون والضياء فهما وان كانا متمّمين للهواء ألا انَّ الهواء انّما يقبل اللون بتوسّط الضياء (٢ اذ كان هو الذي يجعلهُ اولًا مضيئًا فاذا صار مضيئًا قبل حينئذٍ الألوان ولولا توسُّط الضياء وتتميمه للهواء لم يقبل لألوان الاشياء. والدليل على ان الهواء يقبل الالوان انّا اذا وضعنا الشيء المتلألئ في الهواء استحال الهواء وصار لهُ لون مثل لون ذلك الشيء المتلألئ. فحدُّ الضياء انّهُ اثرٌ في الجسم الصافي به يتمّ ويكون قابلًا للون. وانّما حدَّ ارسطو اللون والضياء من تتميمهما لانهُ كان يزعم ان الهواء الذي فيما بين البصر والمبصر ينصبغ بلون المبصر ويصير ذا لون مثلهُ بالفعل (٣

(قال) ولئن ذلك الهواء متَّصل بابصارنا وأبصارنا من الاجسام ذوات الصقالة (٤ والجسم ذو الصقالة يستحيل من الضياء واللون كما قلنا وجب ان يكون ابصارنا تستحيل من الضياء وتنصبغ من لون ذلك الشيء. ألا انَّ هذه الاستحالة الموجودة في البصر لا تكون ألا بتوسُّط الضياء والهواء وبتوسُّط جسم صافٍ يكون فيما بين البصر والمبصر يقوم مقام الهواء من حيث ينقطع الهواء كالماء وما اشبههُ من الاجسام الصافية. (قال) وهذه الاستحالة متمّمة للبصر لا مفسدةً لهُ ولذلك كان حدّ اللون انّهُ

١) راجع كتاب النفس لارسطو (ك ٢ ف ٧) وكتابهُ في الالوان (ف ٧)

٢) راجع كتاب ارسطو في النفس (ك ٢ ف ٧)

٣) راجع الكتاب الاوَّل لارسطو في الالوان

٤) راجع الكتاب الثاني لارسطو في الحسّ والمحسوس

تمام الجسم الصافي ذي(١ المستشف وحدّ الضياء انهُ اثر في الجسم الصافي بهِ يتمّ ويكون قابلًا للون (٢ . تمّ ذلك ولله الشكر والمنّة

وسائلنا التجاريّة

لجناب الاديب عبدالله افندي رزق الله شارّ من مأموري معية ولاية بيروت الجليلة (التتمة)

٩ القوانين والمحاكم التجاريّة : لمَّا كثر اختلاطنا مع الاوربيّين وجرت الينا بعض عاداتهم التجاريّة كالحوالات والسندات والافلاس قضت الحال بتشكيل محاكم خصوصيَّة تفصل الخلاف بين التجّار وخصوصاً الوطنيين منهم والاجانب. فالّفت الحكومة السنيَّة وقتئذٍ هيئة من التجار العثمانيين والاجانب لحلّ الدعاوي التجاريّة على الاصول الجديدة . فالتأمت هذه الهيئة باديءْ بدءٍ في دائرة الجمرك . وقد عُرفت الاعلامات الصادرة حينئذٍ من تلك الهيئة بسِنتِنزا اي الحكم وهي كلمة مأخوذة من الايطاليّة كغيرها من مصطلحاتنا التجاريّة والبحريّة لابتداء علائقنا الخارجيّة مع اهل البندقيّة

على انَّ هذا الامر لم يكُ ليخلو من المحاذير . فكان اعضاء الهيئة المرقومة يحكمون بين التجار كيف شاؤوا وشاءت الاحوال . فوُضع حينئذٍ قانون التجارة ليكون دستوراً يُرجع اليهِ في المسائل التجاريّة . ثمَّ نُشر ذيل قانون التجارة فاصول المحاكمات التجاريّة واماّ الهيئة المعلومة فبقيت على حالها لكنّها نُقلت فيما بعد مع بعض التعديل من دائرة الجمرك الى نظارة التجارة . فنشأت عندنا المحاكم المختلطة . وهي ان محكمة التجارة تتألف كما تعلم من رئيس واربعة اعضاء فاذا كانت الدعوى التجاريّة بين وطنيّ واجنبيّ تتشكّل المحكمة التجاريّة اذ ذاك من رئيس وعضوَين وطنيَّين وعضوَين اجنبيَّين ترسلهما السفارة او القنصلاتو من قبلها لينظرا في الخلاف المذكور

١) وفي الاصل : ذو ٢) راجع كلّ هذه التحديدات في الكتاب الثالث من تأليف ارسطو في الحسّ والمحسوس

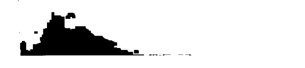


كلمة اخيرة

لم يبقَ ريب مماَّ سبق في اهميَّة التجارة ومنافعها للفرد والهيئة الاجتماعيَّة. كفانا ما نراهُ في تموُّج حركتها تموج الأثير في الفضاء دليلًا على رفيع مكانها وعظم شأنها. لكنَّ الغربيين والحقُّ يقال تفننوا في ترويجها ايَّ تفنن وجاهدوا في الاستئثار بأرباحها ايَّ جهاد. حتى ان نساءهم قمنَ يزاحمنَ الرجال في اسواقها حرصاً على سعة العيش ورغد الحياة. سُنَّة الناس في تنازع البقاء وناموس الارتقاء. فلم يجدوا منهجاً الَّا نهجوهُ وصعباً الَّا ذلَّلوهُ ومُهملًا الَّا استخرجوهُ وغائرًا الَّا استنبطوهُ بعزمٍ امضى من النصل وثباتٍ تندكُّ لهُ راسيات الجبـال. ونحن لم نزل في عشواء التواني ضاربين. وببعض تقاليدنا السقيمة متمسّكين. وعن سرّ النجاح والترقي لاهين. بالرغم عن كثرة سواحلنا وبكورة اراضينا وشرف تاريخ تجارتنا ومركز بلادنا في مُنتصَف البرّ العتيق وُصلةً بين قاراتهِ الاربع. ووجود الغرب وترقّياتهِ العظيمة بمرأى منّا ومَسمع. نرمي باموالنا القليـلة الى شركات اجنبيَّة لا نعرف هويَّتهـا ونضارب في اسهم معادن نجهل محلَّها. نتهافت الى المقامر فنعاقر العابها. ونترع الى الملاهي فيسكرنا لُعابها. الَّا انَّنا نعرض عن المشروعات الوطنيَّة. وتأليف الشركات الكبيرة التجاريَّة. ونهمل التكاتف والتعاون. ونؤثر الكسل والتهاون

فحتى مَ يا قوم نبقى رقودًا والذين حولنا أيقاظ. تمزّقنا الاغراض وتغلّ أيدينا الضغائن ويُقعدنا الفتور. سَلوا البحار فهي تُخبركم عن مجـد أسلافكم. والنجومَ فتنبئكم بمآثر اجدادكم. وحسبكم باليابان بريطانية الشرق مثالًا يُقتصّ اثرهُ ومنارًا يُستضاء بنورهِ. فقد مزّقت هذه الأمّة الشرقيَّـة أطمار الجهالة واخذت مأخذ الغربيين في كلّ شؤونها فقطعت بسرعة غريبة مراحل المدنيَّـة. ورقيت مدارج المعموريَّة. ونافست بمصنوعات بلادها بضائع الاوربيين وسلعهم حتى في اسواق اوربَّة نفسها بينما جارتها الصين تتسكَّع الى الآن في ليل الجهل وأوحال الاضاليل ! !

قلنا في آفات التجارة ان الصناعات المختلفة مرتبطة ببعضها كلَّ الارتبـاط تترّقى وتنحطّ حسبما يطرأ على واحدةٍ منها او على بعضها من الحوادث المفيدة والمضرّة... وما من احد ينكر انَّ الصنـاعة في سوريَّة غضَّت من سيرها بل تأرّضت بمكانها وتلاشت. فقلّت اسباب المعيشة وقصَّر الصانع والزارع في تدارك احتياجاتهما. فتضعضعت



دعائم التجارة وانحلّت عُراها. فاستولى الفقر على البلاد وضيق ذات اليد. فاذا كان ثمَّ مدارس صناعيَّة يتخرَّج فيها ابناء الوطن على الطريقة الحديثة في الحرف والصنائع ينتفع حينئذٍ أربابها. فتزيد اموال البلاد فيدور فيها دولاب الاشغال فتتوسَّع التجارة ويروج سوقها. فيرتاش السكَّان ويستوفرون فيرتعون في بحابيح الرفاهة والرخاء. حقَّق الله الأماني

مناظرة النارجيلة والغليون

قصيدة فكاهيَّة للشاعر المطبوع بطرس كرامة

تولى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

النارجيلة ويُقال لها ناركيلة ونركيلة كالنارجيل وهي جوزة الهند أُفرغت من لبنها ولبّها ثمَّ اتُخذت كآلة للتدخين بأن تُثقب لها ثقبان احدهما في رأسها تُجهَّز لهُ مدخنة يُجعل فوقها تنباك اي تبغ فارسيّ وجمرة نار. والثقب الآخر في جانبها تُنفذ فيهِ قصبة لامتصاص الدخان. ويُجعل في الجوزة ماءٌ ليمرّ بهِ الدخان فيترطب قبل ان يبلغ فم المدخن. وتُسمع للماء قرقرة لتخلخل الهواء في الجوزة عندما يمتصّ الشارب الدخان

هذه صورة النارجيلة على طرزها الاول ثمَّ استُبدلت جوزة الهند بزجاجة والقصبةُ بانبوبة مَرِنة يدعونها ناربيجًا او ناربيشًا ومعناها بالفارسية الحيَّة الفارغة

وتفنن المحدثون في ترويق النارجيلة وادواتها لاسيما المدخنة المعروفة بالقَلْب فان الصاغة تأنقوا في صنعها واهل الاستانة يتخذونها من النحاس الاصفر او النحاس المموَّه بالفضَّة وربَّما جعلهُ الاغنياء من الفضَّة الخالصة. وقد اشتهر الدمشقيون بصنع هذه القلوب من خشب المشمش وهم يرصّعونهُ بعروق اللؤلؤ والاسلاك المعدنيَّة. وكان للامير بشير الشهابيّ عملةٌ برَّزوا بحذقهم في هذه الصناعة منهم ناجي الروميّ الذي توفي في بيروت قبل بضع سنوات وطنوس الهنود الذي لا يزال ابنهُ ملحم الى يومنا متقنًا لمثل هذه الاعمال بارعًا فيها

امَّا الغليون وبالفارسيَّة غاليان فهو انبوب التدخين يؤخذ من اغصان الشجر كالياسمين والورد وغيرهما ويدعوهُ العامَّة ماسورة يتَّصل برأسٍ يُجعل فيهِ التبغ العاديّ



ولم نجد في وصف النارجيلة والغليون احسن من ابيات للشاعر الشهير بطرس كرامة فاحببنا اثباتها في صفحات مجلّتنا تفكهةً لخواطر القرّاء.. وهي مناظرة كتبها هذا الشاعر للامير بشير هذه ابياتها :

وجاريةٍ لطهماز (١ ربيَّهْ مهذَّبةِ الطبيعة اعجميَّهْ
شُغفتُ بها زماناً ثمَّ عادت بهجراني لها كالاجنبيَّهْ
وفي ماسورة (٢ الدخان اضحى فؤادي هائماً صافي الطويَّهْ
وهِمتُ بها وهامت بي وكنَّا اذا ما سرتُ سرنا بالسويَّهْ
ولمَّا قلَّ دخَّاني وتبغي وفرَّغنا الجراب مع الخبيهْ (٣
شكت جوعاً وحنَّت نحو قوتٍ وامست ذات بُعدٍ متَّكيَّهْ
اذكّرها المودَّةَ وهي غضبى وازجرُها فتنفر بي ابيَّهْ
فقامت تلك (٤ لمَّا ان رأتني بلا تبغٍ وفزَّت كالظبيَّهْ (٥
وقد شتمت وقالت بافتخارٍ انا الخَوْد المزخرفةُ الشهيَّهْ
ولي نطقٌ يجود بكلّ شعرٍ ولي نغمٌ حكى الناي الشجيَّهْ
ورأسي مُذهبٌ مملوٌ تبرًا من التنباك والنار المضيَّهْ
وقدّي اهيفٌ رطبٌ كأني جُبلت من الندى بيدٍ نديَّهْ
انا التركيَّةُ الحسناء نطقاً أنادمُ كلَّ ذي شيمٍ ذكيَّهْ
نشأتُ بحجر طهماز كأني فتاة ذات حسن فارسيَّهْ
ولا اشكو الطعام كما شكتهُ صباحاً ضرَّتي (٦ الخرسا الدنيَّهْ
وباتت من فروغ القوت تبكي واضحت بالزوايا منزويَهْ
ولمَّا قلَّ عنها التبغ هبَّت الى ماسورةٍ تبغي المنيَّهْ
فكيف بدلتَني وبدلتَ حسني ولذَّاتي بصدري مختبيَّهْ
وكم نادمتني ليلًا طويلًا سررتك في الصباح وفي العشيَّهْ

١) طهماز اسم رجل من العجم يُنسب اليهِ وضع النارجيلة
٢) الماسورة القضيب ثمَّ استُعملت عند العامَّة لانبوبة الغليون وهي من السريانية ܡܐܣܘܪܐ
٣) اراد بالخبيَّة المكان الذي يخبأ التبغ فيهِ ٤) اي النارجيلة
٥) اراد الظبيَة فشدَّد للضرورة ٦) ضرَّة المرأة شريكتها في الزوج

وكم اسمعتك الآلاتِ طرًّا … بانغامٍ وألحانٍ شجيَّهْ
فلا تغفل فديتُك عن عهودٍ … عقدناها بساعاتٍ بهيَّهْ

فلمَّا وعت لها الماسورُ نطقًا … تلظَّى قلبها بلظى الحميَّهْ
ونادتها كفى يا نارجيلُ … الى كم ذا التطاول يا زريَّهْ
انا الحسناء ذاتَ اللين قدًّا … انيسة كلّ ذي رتبٍ عليَّهْ
أُجالس كلَّ ذي فضلٍ وجيهٍ … بآدابٍ واسرار خفيَّهْ
أُلازم خدمة المولى (١ بانسٍ … وانت بكلّ وقت في بليَّهْ
اراكِ في يدَي زيدٍ وعمروٍ … فلستِ بالُمناصحة الوفيَّهْ
وان كنتِ لدى مولاكِ حينًا … تناقلك الضيوفُ مع الرعيَّهْ (٢
وان غبتِ تكلّف ان ينادي … عليك بجلَّقٍ او في ثَنيَّهْ
ولمَّا ان تدنَّستِ بخبثٍ … تلظَّت فوقك النار القويَّهْ
تنادينَ الحريق بكلّ صوتٍ … يغرغر مثل ريح صرصريَّهْ
سلي نُخُولَ عن حسني وطهري … ونسألُ عن مزاياكِ عطيَّهْ (٣
فكم قد بربرت شفتاهُ حقدًا … ونادتكِ هلمي يا شقيَّهْ
وكم يدعو لطهمازٍ بسُمٍ … وحرقٍ حيث ابدع ذا البليَّهْ
زعمتِ بانني في ذات فقرٍ … وما عندي دخان يا جفيَّهْ
فاني من ندى راحات شهمٍ … بشير المجد والعليا غنيَّهْ
وان يكُ فيهِ مدحي باختصارٍ … فقد فاحت عطاياهُ السنيَّهْ
ادام الله نعمتهُ بسعدٍ … وخلّد عزَّ دولتهِ الزهيَّهْ
ووافاهُ الالهُ بطول عمرٍ … وايَّدهُ بساعدهِ القويَّهْ

وقال ايضًا المعلم بطرس في النارجيلة:

يا حسنها نَرْجيلةً … راقت لنا لذَّاتُها
لعب الهوى بفؤادها … فتصاعدت نغماتها

١) المولى هنا الامير بشير الشهابي. وكان الغليون سابقًا يرافق الامراء في كلّ اسفارهم يحملهُ لهم بعض حاشيتهم ٢) يشير الى تناقل النارجيلة من يدٍ الى أُخرى في النوادي
٣) نخول وعطيَّة خادمان للامير بشير وكان نخُول حامل غليونهِ وعطيَّة حاملَ نارجيلتهُ.

الدين والعقل

لحضرة الاديب الفاضل القس عبد الله جرجي السرياني

وردتنا تحت هذا العنوان مقالة واسعة لم يسمح ضيق المكان باثباتها كلّها فاقتطفنا منها ما يلي (المشرق)

اليك ايها القارئ اللبيب بعض البراهين التي تستند اليها حقيقة ما بين الدين والعقل من العلاقة والموافقة وذلك ردًّا على مزاعم بعض جهلة بلادنا الذين يدعون الكفر تمدّنًا فصغرت لتمدُّنهم المزعوم حقائق الدين في اعينهم وجعلوا يعدُّون التديّن ضعفًا بل امرًا دون طور العقل ان لم نقل مناقضًا لهُ وواضعًا لسموّ شرفهِ

١ من المعلوم انَّ الانسان من طبعهِ وجوهرهِ ديّن وانَّ الدين هو غريزة فُطر عليها ابن آدم كما يظهر لنا ذلك جليًّا من ميل جميع الشعوب الى التديُّن منذ خلقة العالم الى يومنا هذا وإنْ جهل بعضهم حقيقة التدين فمالوا الى باطلهِ. فتوغّلوا في خرافات فظيعة ومعتقدات فارغة. فاذا كان التديُّن غريزة طبيعيَّة في الانسان ينجم من ذلك ان الله هو الذي وضعها فيهِ فكيف امكن اذن لباري الخلق ان يجعل في طبيعتهم غريزة مناقضةً لعقلهم «وهو الحكيم القدوس الذي رتَّب كلَّ شيء بمقدارٍ وعدد ووزن» (حكمة ٧ : ٢١) فالعقل والدين اذن اخوان توأمان او هما اشبه بفرسي رهان

ثمَّ انَّ الغاية من التديُّن هي تقرُّب الانسان من الله والاقتران بهِ تعالى ولهذا ايضًا خُلق الانسان ووضع في العالم. فكيف اذن امكن لمبدع الكون ان يجعل في الانسان غريزةً تبعدهُ عنهُ. اذ ان ما يناقض العقل لا يقدم عليهِ الّا من كان فاقد العقل جاهلًا يؤيد ذلك قول الكتاب المقدس وهو لا يسمّي جاهلًا الّا من ابتعد عن الصراط المستقيم اذ يقول سبحانهُ عزَّ وجلَّ: «قال الجاهل في قلبهِ ليس اله» (مز ٥٢ : ٢)

واذا افترضنا مع اصحاب الكفر ان الله لم يجعل في الانسان غريزة الدين بل انَّما الانسان قد اكتسبها في صغرهِ لضعف عقلهِ فأُجيب ان اعتراضهم هذا باطل اذ ان كثيرين كانوا في صغرهم كفرةً او اشرارًا فارعووا في كبرهم واهتدوا سواء السبيل والامثال في ذلك كثيرة تتجدَّد كل يوم. ثمَّ ان الذين اتَّخذوا الدين ديدنًا من صغرهم نشاهدهم كلَّما تقدَّموا في السنّ وازداد عقلهم قوَّةً ازدادوا هم ايضًا تديُّنًا وتمسُّكًا بعروة الدين الوثقى الذي تلقَّنوهُ في صغرهم. فلو كان الدين مناقضًا للعقل لكانوا نبذوهُ



عندما كمل عقلهم كما نراهم ينبذون نَبْذَ النواة عوائد الطفوليَّة واخلاق الصباء الدالَّة على قلَّة العقل وهذا ما يؤيّدهُ كلام الرسول في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١٣: ١١): « اني لمَّا كنتُ طفلًا كنت انطق كالطفل وأعقل كالطفل وأفكِّر كالطفل فلمَّا صرتُ رجلًا ابطلتُ ما هو للطفل »

٢ انَّ الدين هو عبارة عن مجموع حقائق تقوم على علاقات موجودة بين الله والانسان . وهذه الحقائق والفرائض يجب ان تكون بالطبيعة مرتّبة على ذات الله المعبود وذات الانسان العابد . ولمَّا كان الله روحًا والانسان روحًا وجسدًا اقتضى ان يكون الدين مناسبًا لكليهما اي يوجد فيهِ ما يلائم كون الله روحًا وما يلائم كون الانسان روحًا وجسدًا وهذا الذي نراهُ في الدين. حقائقهُ تصرّح لنا عن ان الله روحٌ محض منزَّهٌ عن المادَّة والجسميَّة وفرائضهُ منها باطنة تتمّ بقوى النفس كالايمان والرجاء والمحبة ومنها ظاهرة تكمل باتفاق النفس والجسد كالسجود والرتب الكنسيَّة وسائر العبادات والمناسك الدينية. فيا لله ما احسن وما اجمل هذا النظام الذي يرفع شأن الانسان عوضًا من ان يحطّ من شرفهِ وسموّ مقامهِ

٣ ولعلَّ جلالة حقائق الدين وقداسة فرائضهِ هي التي حملتك يا هذا على ان تنكرها وتزعم انها مناقضة لعقلك ولكن على رِسْلك يا هداك الله انَّ لفي حكمك تهوّرًا. فما يفوق ادراك العقل شيء. وما يخالف العقل شيءٌ آخر فوجود حقائق في الدين تفوق ادراك العقل امر لا يُنكر ولا بدَّ من ذلك في دين الهيّ كديننا. لان الدين كما قلنا عبارة عن مجموع حقائق وفرائض تقوم على علاقات موجودة بين الله والانسان ولمّا كان كنهُ الله أوسع من كنهِ الانسان بما لا يُحدّ وجب ان تكون الحقائق المتعلِّقة بكنههِ تعالى اوسع ايضًا من عقل الانسان بما لا نهاية لهُ ولذا يُضحي هذا العقل في عجز عن ادراك ما يتجاوز دائرة استطاعتهِ كما يمتنع ادخال جرمٍ ما في أصغر منهُ

ولكن ناشدتك الله قُل لي ماذا حكمت اذ سمعت اوَّل مرَّة عن اكتشاف التلغراف بدون سلك. لا ريب انَّ عقلك لم يستطع ان يحيط بهِ علمًا وربَّما عددتهُ إفكًا وتلفيقًا ومع ذلك فقد أيقنتَ الآن بحقيقتهِ وان كنتَ غير فاهمٍ كيفيَّة تركيبهِ وصنعهِ. وعليهِ ان كنت لا تفهم مع سعة عقلك اكتشاف انسانٍ اوسع منك عقلًا فكيف تحاول ادراك حقائق الله الغير المتناهي حكمةً وعلمًا ومعرفة وتتجاسر على

انكارها والكفران بها لقصور ادراكك اياها . ثمَّ اعلم ان انكارك حقائق الدين الازليَّة لا يمنع من ان تكون تلك الحقائق حقائق . كما انَّ عدم تصديقك اكتشاف التلغراف بدون سلك لم يمنع وجوده ولا يبطل حقيقتهُ

٤ واليك اخيرًا برهانًا مأخوذًا من نفس مناداتك بالتمدُّن والتهذُّب فمن فمك ادينك . فتقول اذن انهُ ينبغي لنا ان نتمدَّن ونتهذَّب وانَّا الشرقيين لفي تأخر وتقهقر وقد فاتتنا بقيَّة الشعوب تمدُّنًا وتهذُّبًا وما اشبه ذلك فقد صدقت بما نطقت واحسنت التكلُّم حتى الآن ولكن ما لي اراك من الجهة الاخرى تقوّض اركان الدين بآرائك المذمومة وتحطّ من شأن اربابهِ كانَّ الدين هو المانع لاتمام رغائبك وكأنَّ اربابهُ هم الاعداء المقاومون لعزائمك مع ان الدين هو اساس كلّ تمدُّن وتهذّب ولولا اربابهُ لاندثر كلّ تهذّب وكلّ تمدُّن من العالم ولعلَّكَ انتَ قد اكتسبت ما لك من المعارف والآداب من ارباب الدين وسادتهِ بيد انك لسوء تصرُّفك الذي نهاك عنهُ ارباب الدين امسيتَ تطعن فيهم وتمزّق اعراضهم بانياب الثلب والقدح

وعليهِ فان كنت تفهم بالتمدُّن والتهذب العلوم والفنون التي تزّين العقل فاحسن علم هو معرفة الله واحسن فنّ هو اتمام فرائض الدين وبدون هذين الامرين يكون تمدُّنك ناقصًا بل ولا يسمَّى تمدّنًا . وان كنت تفهم بالتمدُّن والتهذُّب رياضة اخلاق النفس وحسن تدبير قواها وخاصّياتها وشعائرها (وهذا هو معنى التمدّن الحقيقي) فلا يتمّ ذلك الَّا بواسطة الدين الذي ينهى الانسان عن المنكرات ويعلّمهُ كيفيَّة اجتنابها ويخرّجهُ شيئًا فشيئًا بقداسة مبادئهِ وجلالة فرائضهِ في الشمائل الحميدة والفضائل الجيدة كاملًا متممًا من كل جهة . وهذا ما يسلّم بهِ كل من لهُ بعض المام في تواريخ الامم القديمة التي لم يشرق عليها نور الانجيل والشعوب التي تنوَّرت بهذا النور الالهي فشتَّان بين آداب اولائك وآداب هؤلاء . وهيهات بين خرافات الاولين واعتقادات الآخرين فهل من الممكن اذن ان يكون الدين منافيًا للعقل وهو ركن كلّ تمدُّن وكل تهذُّب حقيقي

ان الانسان كلما زادت ثروتهُ وعظمت شوكتهُ وتفاقمت سفاهتهُ ووقاحتهُ كان اليوم في اعين الجهَلة عظيمًا شريفًا موقَّرًا لهُ تخضع الرقاب صاغرةً . ولكن الامر بخلاف ذلك في أعين الحقّ لان الشرف الحقيقي لا يقوم الَّا بالدين ولا يكون للانسان فضل

على شبيهِ الَّا على قدر تديُّنهِ وتزلُّفهِ من الله لان كلَّ انسان يقدر ان يرتكب الشرور ويأتيها فليس اذن في فعلها فخر او شطارة فضلًا عن انهُ لا يقدم عليها الَّا من كان نذلًا . ولكن ليس الامر كذلك في المبرَّات والصالحات فانها تستقضي في صانعها زيادة عقل وشرف نفس وعظم شهامة ولذا كان صانعها فقط مستحقًّا ثناء الجميع وكراماتهم

ليس من يقطعُ طرقًا بطلًا   انَّمـا من يتقي الله البطل

فينجم ممَّا تقدَّم ان الدين ليس بمضادّ للعقل كما يزعم المتظاهرون بالعقل والحكمة بل انما هو موافقٌ لهُ كل الموافقة بل مهذّبًا لهُ كما لسائر قوى النفس ويحسن ان نختم مقالتنا هذه بابيات ابي العتاهية :

حتى متى ذو التيهِ في تيههِ   أصلحهُ الله وعافاهُ
يتيهُ اهلُ التيهِ من جهلهم   وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العزَّ ليبقى لـهُ   فان عزَّ المرء تقواهُ

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٥ افقا

كرَّرنا مرارًا اسم افقا في فصولنا السابقة على اننا لم نخصها بعدُ بالذكر . فرأينا ان نفرد لها بابًا خاصًا لنفيد قراءنا ما بلغنا عن امرها

قلنا ان وادي نهر ابراهيم كان يُعدّ في القرون الخالية كارض مقدَّسة تعبَّد فيها الفينيقيّون لتموز (ادونيس) فاقاموا لهُ المزارات والابنية الدينيَّة يحجُّون اليها ويتبركون بها . وقد امتاز بين هذه المعابد هيكل افقا الشهير جعلوهُ عند رأس نهر ابرهيم في موقع يفوق بحسنهِ جميع مناظر لبنـان ويأخذ بالابصار لحسنهِ الفتَّان هكذا وصفهُ رينان في كتابهِ الموسوم ببعثة فينيقية وبيَّنَّاهُ في مقالتنا عن جبال الألب ولبنان (المشرق ١ : ٧٢٢)

يشتقُّ العلماء اسمَ أفقا من السريانيَّة ܐܦܩܐ اصلها ܐܦܩܐ او ܢܦܩܐ معناها « المخرج »

يريدون بذلك « مخرج المياه » او العين. فمنهُ دُعي المعبد الذي نحن في صددهِ وكان مبنيًّا لاكرام « زُهَرة أفقا » يتقاطر اليهِ الحجّاج من كلّ نواحي الشام. وكان اهل تدمر يقصدونهُ في كلّ سنة لمناسكهم. لكنهُ لم يبقَ من هـذا الهيكل القديم غير بقايا ضخمة تنبئ بعظم شأنهِ. وهذه الاخربة منتشرة فوق سطحٍ بُني على ركائز متدرّجة بازاء العين بميلة الى الجنوب ومن يتأمل هذا البناء يجد بينهُ وبين هيكل فقرا تشابهًا في بعض اقسامهِ. ومن جملة الآثار الباقية الى يومنا عمود من الصوّان وكثير من الحجارة الكبرى المنحوتة

وقد خرب هذا الهيكل مرّتين. هُدِم مرّةً اولى بايعاز قسطنطين الكبير بعد تنصُّرهِ لاسباب ذكرها اوسابيوس القيصري في تاريخ هذا الملك حيث قال (١:

« لمّا استوى قسطنطين على منصَّة الملك رقب من سموّ عرشهِ ما نصبهُ ابليس من الاشراك في فينيقية لصيد النفوس. فوجد من ذلك على هضاب لبنان في موضع قفر لا تطرقهُ السابلة معبدًا تحدق بهِ غيضةٌ. وكان المعبد المذكور أُقيم لبعض الاصنام الدنسة يدعى الزهرة. يتوارد اليهِ البغايا واهل الفجور فاضحى بذلك اشبه بماخور منهُ بمعبد دينيّ. ومع ما كان يجري في ذلك المكان من الآثام الفظيعة والارجاس الشنيعة كان الامر باقيًا محجوبًا عن عيان لرباب السلطة لانهُ لم يتجاسر احد من اهل الفضل ان يدخل المعبد ليتحقَّق صحّة ما تناقلتهُ الالسن. بيد انَّ قسطنطين وقف على حقيقة الامر فرأى من أخصّ واجباتهِ ان يقوّض اركان ذلك الزون النجس. فتقدّم الى عمّالهِ بان يهدموا ذلك المقام ويكسروا اصنامهُ ويتلفوا ما حُمل اليهِ من الهدايا النفيسة. فأُرسلت الى افقا فئة من الجند وتمّموا اوامر الملك فلم يُبقوا ولم يذروا ». وكان ذلك سنة ٣٢٥ للمسيح امّا سكّان افقا فأُمروا بان يبارحوا سكناهم فتوطّنوا بعلبك

ولكن بعد وفاة قسطنطين عاد سدنة هيكل الزَهرة وحاولوا بناء الهيكل ثانيةً. ولعلّهم حقّقوا امانيهم على عهد يليانوس المعروف بالجاحد فبقيت عبادة الزهرة مدّةً من الزمان الى عهد ثاودوسيوس الكبير. ونظنُّ انّ هذا الملك شدَّد الاوامر فردّ الفينيقيين عن هذه العبادة النجسة كما ابطل عبادة الاوثان في انحاء كثيرة من مملكتهِ. والارجح

١) راجع الجزء الثالث من ترجمة قسطنطين لاوسابيوس الفصل ٥٥ وتاريخ سوزومان في مجموع الاباء اليونان (مين ٦٧ ص ٩٤٨)



انَّ الاخربة الباقية الى يومنا هي بقايا الهيكل الثاني المنوَّه بذكرهِ وخرابهُ بسبب احدى الزلازل التي دهمت سواحل الشام كما وصفنا ذلك في المشرق (١: ٣٠٣, ٣٤٧ و ٢: ٩٧٠). وما يؤيد ظنّنا ان بعض الجدران سقطت دفعةً واحدةً مع بقائها على نظامها الاول وقد وجدت الزلازل مساعدًا لفعل الخراب بما كان يجري من المياه تحت الهيكل. فانهار البناء لذلك عند حدوث الزلزال والله اعلم (ستأتي البقيَّة)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تتمَّة)

(١١٥؟) ذكر الامير بن فتح الدين محمد واخيهِ صلاح الدين يوسف ولدي ناهض الدين حمزة بن محمَّد ابن سعد الدين خضر ابن نجم الدين محمَّد

كان فتح الدين اكبر من اخيهِ وأُمُّهُ هي بنت عمّ ابيهِ صلاح الدين ابن سعد الدين وهي امرأة ناهض الدين الاولى. وكان فتح الدين المذكور حازمًا برأيهِ مدبّرًا لنفسهِ ضابطًا لحاجتهِ لا يرى على نفسه الحاجة الى احد ولا يختار تكليف الناس لهُ. تزوَّج حسنات بنت شرف الدين سليمان بن خضر وهي امرأتهُ الاولى وامُّ اولادهِ. وكانت قبلهُ امرأة بدر الدين حسن بن عليّ. وكان ناهض الدين حمزة قد نزل عن اقطاعهِ لولديهِ فتح الدين وصلاح الدين. وكانت وفاة فتح الدين المذكور رحمهُ الله (١

وامَّا صلاح الدين يوسف اخوهُ فكان ذا عقل وفطنة وذكاء يحفظ فصولًا كثيرة من الحكمة واشتغل بالنحو وكان جيّد النظر في حقّ نفسه مترقبًا لحالهِ مقتصدًا للتمييز بين الناس. وكان لهُ رغبة في مطالعة الكتب وتحصيلها وأُغري بالصيد بالكلاب والبزاة وكان عندهُ ميل الى اهل الخير والحنوّ عليهم. وسكن بيصور في عمارة عمّهِ عماد الدين اسمعيل المقدَّم ذكرهُ وذلك بعد وفاة عمّهِ وكان سكنهُ في بيصور اوَّلًا في ايَّام عمّهِ لمَّا تزوَّج بنتهُ واستمرَّ في عمائرهِ بعدهُ. وأُمُّهُ خاتون بنت علاء الدين عليّ ابن زين الدين وهي ام بهاء الدين داود بن سليمان وهو اخوهُ من امّهِ ولهذا جعلتُ هذه الترجمة بعد

(١) كذا في الاصل دون تعيين السنة

ترجمة بهاء الدين للمناسبة. وكانت وفاتهُ رحمهُ الله تعالى في العشرين من ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة (١٤١٠م) (115v)

ذكر الامير ناصر الدين محمَّد ابن شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد ابن زين الدين

كان شابًّا شهمًا ذا شجاعة وسخاء وكرم ومحاسن في ذاتهِ ممتازًا بالحشمة والرتبة. وكان ابوهُ شرف الدين عيسى قد افرد لهُ اقطاعًا وهو الفسيقين وعين حجَّيه ونصف شطرا. كان مولدهُ في السابع عشر من جمادى الآخرة سنة اربع وتسعين وسبعمائة (١٣٩٢ م). ووفاتهُ رحمهُ الله بمرض الكلَب من عضَّةٍ أُصيب بها من كلب كَلِب فتوفّي منها في الثاني عشر صفر سنة ثلاث عشر وثمانمائة (١٤١٠م) وقاسى مشقَّةً في مرضهِ وكان عندهُ صبر وتجلُّد. ومن عادة هذا المرض انّ صاحبهُ لا يقدر على مقابلة الماء البتَّة. والمذكور كان يجبر نفسهُ كرهًا على مقابلة الماء وشربهِ فيحصل بذلك عليهِ ألم عظيم وهو شديد الاحتمال لما يجدهُ من عظم المشقَّة ومكابدة الصبر على ذهاب النفس. ورثاهُ ابوهُ بعدهُ بقصائد فمن ذلك قولهُ من قصيدةٍ (١:

حكمَ الزمان فشقوتي ما اصنعُ لا حيلةٌ لي في القضا لا مدفعُ
مات الذي قد كنتُ آملُ انَّهُ عند الخطوب شتاتَ شملي يجمعُ
أُرميتُ فيهِ بسهم حتفٍ صابني وسط الفؤاد فنصلهُ لا يُنزعُ
يا ليتهُ من قبل فَقدِ محمَّدٍ ارواني كاسٌ بالمنيَّةِ مترعُ
أسفي عليهِ بان يموت بعضَّةٍ من ناب كَلبٍ فيهِ سمٌ منقعُ (116r)

وفي اليوم الذي توفّي فيهِ ناصر الدين محمد المذكور توفّي ايضًا عليّ ابن بهاء الدين داود ابن علم الدين سليمان ابن شهاب الدين احمد وكان ابن اثنتي عشرة سنة بنيّف قليل. وكان لهُ رغبة في الكتابة ويدمن النظر فيها. وفي الخامس عشر من شهر صفر المذكور بعد وفاتهما بيومين توفي احمد ابن سيف الدين ابو بكر ابن شهاب الدين احمد وهو ابن عمّ ناصر الدين محمّد المذكور وكان ربي معهُ وعمرهُ قريب من عمر علي ابن بهاء الدين وكان حسن النشوّ قد امتاز بالشطارة والمروّة وكلاهما اعني عليًّا واحمد المذكورين توفّيا مطعونين بالطاعون الذي حدث في السنة المذكورة وهي الثلاث عشرة

١) ضربنا صفحًا عن ذكر بعض ابيات هذه القصيدة لكثرة اغلاطها

وثمانمائة (١٤١٠م). ومن مراثي شرف الدين لولده ناصر الدين محمد ولعليّ واحمد المذكورين قوله من قصيدةٍ:

ما لي ومالك يازمان الأنكدِ(١ فرق الردى بيني وبين محمَّدِ
اعدمتني شخصاً عدمتُ بفقدهِ كلَّ اصطباري والقوى وتجلُّدي
وتركتَ قلبي دائماً في حسرةٍ والعين مني مثل عين الأرمدِ (116v)

ومنها: انَّ الرزيَّة لا رزيَّة مثلها فقدي لمثل عليٍّ ومثل محمدِ
قمران من قبل الكمال تخسَّفا قد كان يومهما عظيم المشهدِ
رجَّت لموتهما البلادُ واظلمت فترى النهار كمثل ليل اسودِ

وقال فيها عن احمد:

شهمٌ اذا استسقى الغمام بوجههِ هطلت وجاءت بالسحابِ المرعدِ
كالرمحِ قدًّا والسيوف صرامةً والبدر نورا او كغصن أملدِ
ان كان في سنّ الصباء فعقلهُ عقلُ الكهول ورتبة المترشّدِ

ذكر علم الدين سليمان ابن بدر الدين محمد ابن صلاح الدين يوسف ابن سعد الدين خضر

كان رجلاً خيّرًا ذا عقل وسكون عندهُ مروءة ولين خلق ورقّة نفس محبًّا لاقاربهِ يبتهج لسرورهم ويفكُّ المعضلات من امورهم. تزوَّج امرأتين الاولى بنت ناصر الدين الحسين ابن تقيّ الدين ابراهيم ابن ناصر الدين الحسين والثانية امُّ اولادهِ. وسكن قاعة ناصر الدين حَميهِ. مولدهُ الظهر من نهار الاحد في الثالث من ربيع الآخر سنة احدى وسبعين وسبعمائة (١٣٦٩م). ووفاته رحمهُ الله (٢ (117r)

ذكر القاضي جاء الدين صدقة ابن القاضي عماد الدين حسن ابن جمال الدين

كان يتولّى نيابة القضاء في الغرب على قاعدة ابيهِ وجدهِ وكان رقيق النفس ريّض الخلق وطيء الجانب حسن التدبير لحالهِ عاملًا بتقوى الله محبًّا لاهل الخير معدودًا منهم وكان عندهُ بعض معرفة بصناعة الطبّ يصف الادوية للضعفاء ابتغاء الثواب ويحتكر الادوية والادهان والاكحال ليتصدَّق بها على من تدعوهُ الحاجة اليهِ. تزوَّج المذكور امرأتين الاولى زمرُّد بنت ناهض الدين حمزة ابن فتح الدين محمد ابن سعد الدين وهي

١) كذا في الاصل ٢) كذا بدون تعيين السنة



امُّ ولدهِ علاء الدين عليّ. والمرأة الثانية فاطمة بنت فتح الدين محمَّد ابن ناهض الدين حمزة وهي امُّ بقيَّة اولادهِ. وفاتهُ رحمهُ الله (١

واماَّ ولدهُ علاء الدين عليّ ابن بهاء الدين صدقة فتولَّى نيـابة القضاء على طريقة ابيهِ المذكور وكان سليم الخاطر ساذج الطبـاع متواضعًا ذا نفس ريّضة وجانب ليّن لا يعرف طرُق الشرّ ولا العدوان. مولدهُ — (٢ ووفاتـهُ رحمهُ الله تعالى في الثاني عشر من شوال سنة خمس وثلاثين وثمانمائـة (١٤٣٢ م)

ذكر الامير ناصر الدين محمد ابن علاء الدين عليّ ابن شمس الدين محمد ابن سيف الدين مفرج

كان ذا مروءة وشجاعة يرمي النشّاب ويهوى الصيد بالطيور والجوارح (117ᵛ) واللعب بالحجل وكان كثير المواظبة على الصيد في اكثر فصول السنة لا ينقطع عنـهُ الّا في اوقات يسيرة. وكان خيّرًا في حقّ اصحابهِ وعشيرتهِ محبًا لهم. وتزوّج امرأتين الاولى بنت شهاب الدين احمد ابن زين الدين والثانية خديجة بنت سيف الدين ابي بكر ابن شهاب الدين احمد المذكور. توفيت زوجتهُ الثانية بعد وفاتهِ بيومين وكان قد استقرّ على اقطاع ابيهِ. وكانت وفاة ناصر الدين المذكور رحمـهُ الله تعالى في العشر الآخر من شهر صفر سنة ستّ وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٢ م)

ذكر الامير ناصر الدين محمَّد ابن بدر الدين حسن ابن علاء الدين عليّ ابن زين الدين

كان رجلًا عاقلًا ذا مروءة وحسن رأي جيّد التدبير ناظرًا في إصلاح حالهِ محسنًا الى اصحابهِ ومعارفهِ مراعيًا لحقوقهم وماسكًا لجانبهم. سكن اوّلًا باعبيه الى وقت زواجهِ وتزوّج بنت ظهير الدين عليّ بن جواد ابن علم الدين الرمطوني فجعـل سكناهُ في رمطون وحسنت حالهُ. واقطاعهُ اقطاع ابيـهِ بدر الدين حسن كما ذكرنا ذلك. ولمّا توفّي بدر الدين كان ولدهُ ناصر الدين محمَّد هذا صغيرًا تحت حجر الناظر على تركة بدر الدين وهو شرف الدين عيسى بن احمد وكان شرف الدين ابن عمّ بدر الدين فقضى ديونهم واحسن (118ʳ) تربيتهم. وكان مولد ناصر الدين محمد في نهار الاثنين الحادي والعشرين من شهر شوال سنة خمس وسبعين وسبعمائة (١٣٧٤ م). ووفاتهُ رحمهُ الله (٣. وكان قد ترل عن اقطاعهِ لشرف الدين عيسى وآخر لهُ منهُ ادفون

١) كذا بلا ذكر السنة ٢) بياض في الاصل
٣) كذا بدون تعيين السنة



ذكر اخيهِ عماد الدين اسماعيل ابن بدر الدين حسن

كان ذا مروّة وكان محسناً في احوالهِ مع النـاس متواضعاً رقيق النفس مولدهُ العشاء الآخر من ليلة الثلثاء الثاني عشر من رمضان سنة سبع وسبعين وسبعمائة (١٣٧٦ م). وكان لهما اخوةٌ. وهم عليّ سميّ جدّهِ ويوسف وعبد الله وخليل توفُّوا صغاراً لم ينشأوا ولا عُرفوا بين الناس. وامّ الجميع واسطة بنت شرف الدين سليمان ابن سعد الدين خضر

ذكر جمال الدين محمد ابن شهاب الدين احمد ابن فخر الدين عبد الحميد بن احمد بن حجّي .

كان رجلًا حسن الذات في نفسهِ سليم العشرة رقيق النفس ذا مروّة وحسن طباع كثير الاجتهاد والسعي في قيام أودهِ يتلقّى عوارض الزمان بسكون ودعة اقتبس من خالهِ ناهض الدين حمزة ابن فتح الدين معرفة الانغام والدائرة وسكون الطبـاع ولين الجانب ورياضة الخلق. وكان جمال الدين المذكور قد زوّر عليهِ الحاج حسن ابن عبد الله كفالةً والزمهُ بهـا وأضعف بذلك حالهُ. وفاتهُ رحمهُ الله (١ (118^v) . فهذا الذي وجدتُ من اخبار السلف

(تمّ تاريخ بيروت وامراء بني الغرب)

(قلنا) انَّ تاريخ صالح بن يحيى المعنون تاريخ بيروت وامراء بني الغرب ينتهي عند هذا الحدّ في النسخة الباريسيَّة التي نقلنا عنهـا . وقد الحقهُ المؤلف باثنتي عشرة صفحةً ذكر فيها ثلثة امور جعلها كملحقات لكتابهِ. اوّلها ملخّص اخبار سلاطين مصر من ملوك السراكسة من سنة ٧٥١ ﻫ (١٣٥٠ م) الى سنة ٨٥٨ ﻫ (١٤٥٤ م). ثانيهـا ذكر التجريدة التي اعدَّها المصريون لمحاربة الفرنج في قبرس. ثالثها ذكر نوَّاب الشام. وقد فُقد من آخر الكتاب صفحة او صفحات. فلم نرَ حاجة الى ذكر هذه الملحقات لان اكثر فوائدها قد مرَّت في اثناء تاريخ امراء بني الغرب فاستغنينا بذلك عن التكرار

هذا وانَّنا سنذيل ان شاء الله هذا التاريخ بملحقـين مفيدين نودع الاول بعض تفاصيل من تاريخ ابن سباط عن بني الغرب والثـاني ملخَّص تاريخ بيروت من القرن الخامس عشر الى ايَّامنـا

ل . ش

مطبوعات شرقية جديدة

ترس العاجز المظلوم وعدل الباغي المنقوم

هي كرَّاسة حاول صاحبها ان يثبت فيها من النصوص الكتابيَّة واقاويل اللاهوتيين

---

١) كذا بدون تعيين السنة

انَّ الدعوة على الظالم جائزةٌ للمظلوم. ونحن مع إقرارنا بانَّ ابتغاء الضرر لاصحاب الشرّ واللعنة عليهم لا بأس منها في بعض الاحوال نفضّل المحبة المسيحيَّة التي بموجبها يبتغي الانسان الصلاح والخير لاعدائهِ وفقًا لقول الربّ (لوقا ٦ : ٢٨) «باركوا لاعنيكم وصلوا لاجل من يعنتكم» ولقول الرسول الى اهل رومة (١٤:٦): «باركوا الذين يضطهدونكم. باركوا ولا تلعنوا». وقوله: (٦ : ٢٢): «لا تنغلب للشرّ بل اغلب الشرّ بالخير» ل. ش

LA RECENSION ÉGYPTIENNE DES 1001 NUITS

الرواية المصريَّة في مجموع حكايات الف ليلة وليلة

par V. Chauvin prof. à l'Univ. de Liège
Bruxelles, 1899 *in*-12, *pp*. 122

ممَّا اتفق عليهِ العلماء ان لكتاب الف ليلة وليلة رواةً عديدين لا تزال اسماؤهم مجهولة الى عهدنا هذا. لكنَّهم اجمعوا رأيهم على ان احد هؤلاء الرواة مصريّ المنشأ واللهجة استدلوا على ذلك بدلائل مقنعة بسطوها في عدَّة تآليف. وقد زادهم اليوم الاستاذ الشهير شوفين افادةً فبحث في الامر بحثًا نعمًا وميَّز بين الرواة راويَين مصريَّين يختلفان مذهبًا واسلوبًا. احدهما متخرّج بالفنون الادبيَّة جيّد الكتابة حسن الذوق نسب اليهِ خمس عشرة حكاية منها قصة الاحدب وابو قير وابو صير وجودر ومسرور وقمر الزمان. امَّا الثاني فهو على رأي المؤلّف من يهود مصر الَّا انَّهُ أسلم. وفي ركاكة لغتهِ وتفاصيل رواياتهِ الغريبة وحكاياتهِ عن بني اسرائيل واشاراتهِ الى احوال اليهود شواهد بيّنة على انَّهُ يختلف اختلافًا ظاهرًا عن الراوي الاوَّل. وضرب المسيو شوفين امثالًا لتأييد زعمهِ منها قصَّة جسب وغيرها من القصص عدَّدها وقابل بينها وبين أقاصيص يهوديَّة مشهورة. وفي هذا الكتاب أبحاث أُخرى عديدة استطرد اليها المؤلّف البارع تشهد لهُ بسعة معارفهِ التي اثنينا عليها في مجلة المشرق غير مرَّة ه. ل

LE LIVRE DE LA CRÉATION ET DE L'HISTOIRE

d'Abou-Zeid Ahmed ben Sahl el Balkhi

كتاب البدء والتاريخ لابي زيد احمد بن سهل البلخي

Publié et traduit par M. Cl. Huart, Paris, 1899, *t. I, pp. XVI*-416

انَّ في مكاتب الاستانة كنوزًا مدفونة لم ينشر منها العلماء الى يومنا هذا الَّا



النزر القليل. فمن ذلك كتاب نفيس قديم العهد كثير الفوائد يُدعى كتاب البدء والتاريخ صنَّفهُ ابو زيد احمد بن سهل البلخي المتوفّى سنة ٣٤٠ ه (٩٥٢ م) كان مصونًا في مكتبة داماد ابراهيم باشا والنسخة المذكورة كُتبت في اواسط القرن السابع للهجرة. فتمكَّن احد قناصل فرنسة سابقًا العلَّامة هوارتْ من استنساخها ثم تولى في السنة الجارية طبعها وترجمتها الى الفرنسيَّة وقد تصفَّحنا هذا الكتاب الجليل فوجدناهُ من التآليف الواسعة الموادّ الغزيرة الفوائد تبيّن جليًّا ان صاحبهُ كان متضلِّعًا في العلوم التاريخيَّة لهُ النظر السامي في حقائق الامور نستثني من ذلك بعض الروايات التي نقلها على علّاتها فلم يتثبَّت صحّتها. واقسام الكتاب اثنان وعشرون فصلًا لم يُطبع منهُ في هذا الجزء الاوَّل الَّا ستة فصول. وقد وجدنا في الطبع بعض اغلاط وتصحيفات وانَّما يعذر متولّيَ نشر الكتاب كونُهُ استند الى النسخة الوحيدة التي وجدها. امَّا الترجمة الافرنسيَّة فانها غاية في الضبط الَّا اماكن قليلة شُبهت عليهِ. فجلَّ من لا نقص فيهِ

سيرة القديس روكس

معرَّبة عن الفرنسويَّة بقلم القس سمعان من الرهبنة الانطونية

طُبع في مطبعة الارز بجونية سنة ١٨٩٩

لمَّا انتشر خبر وصول الطاعون الى مصر وخاف السوريون من فتكات هذا العدو الازرق على بلدهم اسرع الصيادلة باستحضار المصل الموقي من شرّهِ الَّا انَّ الانفس التقويَّة تعرف دواء لهذا الداء انجع من المَصل وهي شفاعة احد اولياء الله اشتهر اسمُهُ في الغرب والشرق وهو القديس روكس الذي كثيرًا ما ردَّ بلاء الطاعون عمَّن التجأوا الى حمايتهِ. وبناء على ذلك احبَّ القسّ الفاضل سمعان الخازن ان يستلفت انظار المسيحيين الى هذا القديس فنقل سيرتهُ الى العربية وفيها شواهد كثيرة على قدرة شفيع المطعونين عند الله وحراستهِ للمتعبدين لهُ. وألحق المترجم هذه النبذة بخطاب حسن في الطاعون والوقاية منهُ القاه حضرة الدكتور ده برون احد مدرّسي مكتبنا الطبي

هذا وقد اطَّلعنا على كتاب آخر في الموضوع ذاتهِ وهو «حياة القديس روكس طبيب المطعونين» أَلَّفهُ الاب بولس عويس خوري كنيسة السيدة في الاسكندريَّة وطبعهُ في مطبعة الاتقان وهو لا يقلّ فائدة عن الكتاب السابق ذكرهُ وقد ختمهُ

صاحبهُ بصلوات وتأمُّلات من شأنها ان تضرم في النفوس العابدة الثقة بشفيع المطعونين

تهذيب الاخلاق او القواعد الادبية التهذيبية

للطوباوي يوحنَّا دي لاسال مؤسّس جمعية اخوة المدارس المسيحية

عرَّبهُ بتصرُّف يوسف صفير صاحب مكتبة المدارس (ص ٩٦)

انبأنا البشير الاخير انَّ اسم الطوباوي دي لاسال سيدرج في سلك القديسين في شهر ايَّار القادم. ومن ثمَّ سرَّنا ان جناب الاديب يوسف صفير عرَّب هــذا الكتاب الذي وضعهُ منشئ جمعية المدارس المسيحية وفيهِ ثلاثة اقسام تشتمل على اهمّ واجبات الاحداث والتعريب حسنٌ مع ما وقع فيهِ من بعض اغلاط الطبع والنحو كقولهِ (ص ٢١ س ٤): «لا تأتيان بحركةٍ تدلُّ» والصواب: «لا تأتيا بحركةٍ تدلُّ». وقولهِ (س ٨): «يَجِزُّ رجليهِ» والصواب «يَجُرُّ» الى غير ذلك ممَّا لا فائدة في تعدادهِ. وفي ختام الكتاب بعض منتخبات اوَّلها وصية ابن سعيد المغربي التي وردت في مجاني الادب (٤: ٦٧) وقد وقع في طبعهــا اغلاطٌ كقولهِ (ص ٧٩ س ٣): «مرتقياً» والصواب: «مرتقباً» (س ١٤): «على رِزْقَكُ» والصواب: «رِزقِكَ» الخ

تقويم البشير لسنة ١٩٠٠ (صفحاته ٨٩)

قد صار لتقويم البشير منذ احدى وعشرين سنة شهرة تغني عن تعريفــهِ. وفوائدهُ في هذه السنة كفوائد السنين السابقة ولهُ طبعتان طبعة افرنسيَّة واخرى عربية. وفي ختام النسخة العربية مقالتان للشاب الاديب سليم افندي اصفر وردتا في المشرق عن الزراعة وعن الاشجار والغابات في سوريَّة. وفي غلاف هذا العدد فهرست موادّ هذا التقويم

مطبوخ المكتبة العمومية

المعروف بمطبوخ الارمن لسنة ١٩٠٠

ترجمهُ عن الارمنيَّة حضرة الخوري الفاضل سوكياس چريان الارمني الكاثوليكي

قد وصفنا التقويم الارمني الموضوع للسنة السابقة وبيَّنَّا خواصَّهُ وفضل مترجمهِ. وانَّما لاحظنا في طبعة هذا العام كما في السنة السابقة وقوع بعض الخلل في تعيين ايَّام وجوه القمر كما ترى بالمقابلة بين تقويم البشير وهذا المطبوخ

ل. ش

شذرات

آثار مصريّة قديمة — من جملة الآثار القديمة التي وُجدت حديثاً في مصر كتابات عديدة تربي على ثلاثة آلاف خُطّت على الخزف والبردي وجدها العلامة الانكليزي كويبل (Quibell) في هيكل رعمسيس (Ramesseum) سنة ١٨٩٦ . وهذه الكتابات قد نُشر قسم منها في هذه السنة بالطبع في لندرة مع بيان اسرارها . وفي كثير منها افادات تاريخية وجغرافيّة مهمّة . وبينها مقاطيع ادبية تُعرَف احوال المصريين الاقدمين وتقدُّمهم في الآداب

ومن المكتشفات الحديثة كتابات أُخرى تُدعى بابير كاهون(Kahun) . وقد نشر منها قسماً العلاّمة غريفيث (L. Griffith) وعهدها يرتقي الى دولة الفراعنة الثانية عشرة

ومن الاكتشافات الحديثة ايضاً بقايا مدينة قديمة وجدها المستشرق فلندرس پتري في بلاد الفيوم على ضفة النيل الغربية وهناك هرمٌ كان قبرًا للفرعون اوفرتاس الثاني . امّا المدينة فكان يسكنها الفعلة بُناة الهرم . وفيها وُجد شيء كثير من ادوات البناء وفي أعلى المدينة كان شبه قلعة وُجد فيها كتابات وصكوك عديدة وفي جملتها ثناء من اهل الفيوم للملك اوفرتاس الثالث الغازي عند قدومهِ الى الفيُّوم وهذا الثناء بالشعر يذكر فيهِ المقرّظون فتوح الفرعون لبلاد السودان . ومنها ايضاً رسالات في الطب والصيدلة وغير ذلك (١

وممّا يضاف الى هذه الاكتشافات صفيحة وجدها حضرة مفتش الآثار المصريّة احمد بك نجيب في مغارة الرماد في الجنوب الشرقي من محطّة المعصرة وهذه الصفيحة تمثّل الاسكندر الكبير لابساً تاج الفراعنة وهو يقدّم ضحايا للاله توت والإِلهة نُهِمَوَيت .

اقدم شاهد تاريخي في علّة ابي الركب — قرأنا في تاريخ الجبرتي الموسوم بعجائب الآثار (٢ : ٥١) انهُ « ظهر في منتصف شهر رجب من سنة ١١٩٣ (ايلول ١٧٧٩) بمصر وضواحيها مرض سمّوهُ بأبي الرُّكب وفشا في الناس قاطبة

(١) راجع مجلة بسّاريوني (ع ٣٠ ص ٤١٠)



حتى الاطفال. وهو عبـارة عن حمّى ومقدار شدَّتهِ ثلاثة ايَّام وقد يزيد على ذلك وينقص بحسب اختلاف الامزجة ويُحدث وجعاً في المفاصل والركب والاطراف ويوقف حركة الاصابع وبعض ورم ويبقى اثرهُ اكثر من شهرٍ ويأتي الشخصَ على غفلة فيسخن البدن ويضرب على الانسان دماغهُ وركبهُ ويذهب بالعرَق والحمَّام وهو من الحوادث الغريبة »

انتقاد صاحب الضياء

ضاقت المسالك على صاحب الضياء اذ رأى جمهور الادباء قاموا في وجههِ للدفاع عن ائمّة اللغة وارباب القلم الذين تعرَّض لهم بانتقادهِ المموَّه فلم يرَ بُدًّا من الاغضاء على الضيم الَّا انهُ اراد ان يتشفَّى بتفلية مجموعنا مجاني الادب. فلا بأس ان سلم شرف جهابذة اللسان ان نذهب نحن ضحيـة غضب صاحب الضِياء. لكنَّنا نراهُ في انتقادهِ كحاطب ليل يخطئ كثيرًا كما بيّنا لهُ في اجوبتنا السالفة

وقد انتقد هذه المرَّة (الضياء ص ١٧٤) على اربعة مواضع. انتقد (اوَّلًا) على شرحنا للمثل المشهور « اعزّ من الابلق العقوق » فذكرنا عن ياقوت انّ الابلق هو حصن السموءَل مع كون الشائع انّ الابلق هو الفرس الذكر والعقوق هو الحامل. (فنجيب) انّنا لا نجهل الامر وقد ذكرناهُ مرارًا في تآليفنا. ولكن ان قلنا لجناب الشيخ انّ العزّة معناها « المنعة » والابلق « الحصن المشهور » والعقوق « المتمرّد » فكيف يمكنـهُ ان ينفي هذا المعنى الثاني؟ او لا يدري انّ للمثل الواحد معاني مختلفة؟ او ليس يقال في المثل: تمرَّد مارد وعزّ الابلق؟. وزد عليهِ ان العقوق اسم مكان ذكرهُ اللسان = انتقد (ثانيًا) على كلمةٍ وردت في قصّة عرقوب (مجاني ٢: ١٦١) حيث روينا عن النخلة: « فلمَّا اثمرت عدا عليها البلاء». فزعم الشيخ انَّا صحّفنا لفظة « ليلًا » بالبلاء. فعاذ بالله من تصحيفنا. (قلنا) بل الاولى العياذ بالله من انتقـادهِ لانّ الرواية غاية في الصحّة معناها ان البلاء عدا على النخلة اي سطا عليها فاضطرّ عرقوب الى جدّها اي قطعها فاين التصحيف في كلّ ذلك؟ فلله درّ صاحب الضياء ما اثقب عقلهُ واشدّ ألمعيّتـهُ = وانتقد (ثالثًا) على روايتنا (مج ٤: ٤٥) لبيت ابن عبد ربهِ:

يا من يفيد من البكاء مولهًا ... ما كان يسمع في البكا تفنيدا

فزعم اننا صحفنـا البيت وان الرواية الصحيحة « يا من يفند ». (نقول) مهما

كانت الرواية الصحيحة اننـا ننكر على الشيخ ان التصحيف منّا . فانّ العقد الفريد لابن عبد ربّهِ في ايدي كل الادباء فليراجعوا الجزء الثاني (ص ١٤) وليروا ان كانت الطبعة المصريّة لا تروي كما روينا . فكيف جاز للشيخ ان ينسب الينا تصحيفًا نحن براء منهُ ؟ فكلامهُ اذًا افتراء محض لا عذر لهُ فيهِ الّا ما اقرّ بهِ انّهُ ليس لهُ مكتبة كاليسوعيين للمطالعة والمراجعة . واما ما اردف جنابهُ « اننا ابدلنـا ذلك على حدّ ما فعلنا في بيت « اللازورد » المشهور فيزيد على افتراء الشيـخ ذنبًا آخر لأنّنا بيّنّا لجنابهِ (راجع المشرق ص ٩٩٨) انهُ هو المخطئ في تصحيف بيت ابن حمديس لا نحن فاراد ان يوهم القراء انهُ ظفر في جدال كان هو فيهِ المغلوب = وانتقد (رابعًا) علينا انّنا روينا لبهاء الدين زهير ما كان لزهير بن ابي سُلمى . (جوابنا) ان هذا الغلط أُصلح في طبعتنا المطبوعة سنة ١٨٩٥ فما للشيخ يقرع بابًا مفتوحًا ؟ انسي الشيخ انّهُ نسب مؤخرًا الى ابن هانئ بيتًا مشهورًا لابن معتوق ؟ ولمّا نُبّه الى غلطهِ اجاب في المحروسة « سبق السيف العذل » هذا ولعلّ الشيخ في اصلاحهِ اغلاط مجاني الادب يقابل بين طبعاتنا المختلفة فاذا ما رأى اصلاحًا نبّه عليهِ في ضيائهِ ونسبهُ الى نفسهِ . امّا زعمهُ انّ قول زهير « على معتفيهِ ما تقتُ فواضلهُ » تصحيف صوابهُ « ما تغبُّ » بالغين فمنكر . لان للبيت روايتين كما اثبتنا ذلك في شرح مجاني الادب (ص ٦٠٥ و ٦٠٦) ولكلتا الروايتين معنى صوابي فما للشيخ يريد ان يجبر النـاس ان يقولوا بقولهِ ويُفتي بخطإ كلّ ما يجهلهُ كما فعل في مقالتهِ الموسومة بلغة الجرائد فأثار عليهِ ثوائر لم يخمد لظاها حتى الآن وانزلتهُ من علوّ مقامهِ في اعين الادباء — فسقطت اذن هـذه المرة ايضًا حجج صاحب الضياء وظهر ظهور الشمس انهُ بانتقادهِ على مجاني الادب لا يريد نفع الجمهور بل الازراء بنا . لكنّ قدحهُ ومدحهُ سيّان عندنا . والسلام

حلّ المسألة الرياضية الواردة في العدد ٢١ ص ١٠٠٦ اعلم انّ حلّ هذه المسألة يتوقّف على معرفة المبادئ الميكانيكيّة وانّ المسألة نظريّة محضٌ يفترض فيها واضعها انّ ليس للسفينة قوّة تعوقها في جريهـا كاحتكاك الماء وقوّة الهواء وجاذبيّة الثقل بحيث لا يجد القارب الصغير الذي يجرُّها لفعلهِ مانعًا

فاذا ثبت ذلك نجيب على (السؤال الاول) انّ القارب الصغير يقوى على تحريك السفينة المشحونة وفقًا لمبـدإ علم تحريك الاثقال : « كلُّ قوّة تفعل في اي جسم كان

تحركهُ ما لم تضادُّ الجسم قوةٌ اخرى » (وقد افترض هنـا الاب ماأُون انَّهُ ليس حركة تعاكسهُ) . ونجيب على (الثاني) ان معرفة سرعتهِ بعد عشر ساعات من مسيرهِ تُعرف من مبدإٍ آخر ميكانيكيّ وهو : « اذا كانت القوَّة الجاذبة ثابتـة زادت سرعة الجسم المجذوب زيادةً تدريجيَّة » . والقارب الجاذب ثابت العمل كما هو ظاهر . فاذا دللنا على الوقت بحرف « و » وعلى المسافة التي يقطعها الجسم بحرف « م » وعلى نموّ سرعتهِ في مسيرهِ بحرف « ج » فلنا المعادلة الآتية :

(١) $\text{و}^{2} = \frac{\text{٢ م}}{\text{ج}}$ ومنها (٢) : $\text{و} = \sqrt{\frac{\text{٢ م}}{\text{ج}}}$

امَّا السرعة فتعرف من الناموس الميكانيكي الآتي وهو : « ان القوات بين بعضها مساويةٌ لنموّ السرعة الناتجـة من فعل هذه القوَّات في جسم واحد » فاذا عبَّرنا عن السرعة بحرف « س » وعن الثقل بحرف « ث » وعن القوة بحرف « ق » وعن نموّ السرعة التي تنالهُ من هذه القوَّة بحرف « ك » وجدنا المعادلة الآتية (٣) $\frac{\text{ق}}{\text{ث}} = \frac{\text{ك}}{\text{ج}}$

ومنها يؤْخذ (٤) $\text{ك} = \text{ج}\,\frac{\text{ق}}{\text{ث}} = ٩,٨٠ \times \frac{١}{١٠٠٠٠٠٠} = ٠,٠٠٠٠٠٩٨$

هذا ومن المعـلوم ان السرعة تساوي نموّ السرعة المقتبلة والوقت اي :

س = ك و فينتج من هذه المعـادلة الاخيرة :

س = ٠,٠٠٠٠٠٩٨ × ١٠ × ٦٠ × ٦٠ = ٣٥٢,٠

فالجواب انَّ سرعة الفلك بعـد عشر ساعات تكون ٣٥٢ سنتيمترًا

امَّا الجواب على (الثالث) فيؤْخذ من المعادلات الآتية :

$\text{م} = \frac{\text{ك و}^{2}}{٢} = \text{و} = \sqrt{\frac{\text{٢ م}}{\text{ك}}} = \sqrt{\frac{٢ \times ٧٢١٠٠}{٠,٠٠٠٠٠٠٩٨}} = ١٢١٣٠٢٤$ ثانية

اعني انَّ الفلك المجـذوب يقطع المسافة التي تفصل بيروت عن طرابلس بعد ١٢١٣٠٢٤ ثانية اي بعد اربعة عشر يومًا و ٥٧ دقيقة و ٤ ثوانٍ

أسئلة وأجوبة

س سأل احد ادباء البلدة ما هو اصل لفظة « أنطوش »

اصل لفظة انطوش

ج الانطوش للرهبان كالمأوى . امَّا اصل هذه اللفظة فيظهر من اول وهلةٍ انَّهُ

يوناني لكنَّنا بقينا مرتابين في تعيين الكلمة المشتقَّة منها وكان اوَّل ما فكَّرنا فيهِ لفظة « μετοχή » وهي المنزل والفندق وبهِ يُدعى في القدس احد منازل جمعيَّة القبر المقدَّس بابدال الميم اليونانيَّة نونًا. لكنَّنا لم نجد داعيًا لتصدير اللفظة بالهمزة ما لم يقال ان الهمزة قائمة مقام اداة التعريف ἡ . ولذلك فضَّلنا اشتقاق « انطوش » من ξενοδοχεῖον اي مأوى الغرباء وهي اللفظة الشائعة في الكتب الكنسيَّة ولا نرى في هذا الاشتقاق مشكلًا الَّا في الحرف ξ الذي يظهر انَّهُ حذف امتشاقًا كما اختصروا لفظة ἐπίσκοπος باسقف و χωρεπίσκοπος بخوري و ἀρχιδιάκονος بشدياق و μητροπολίτης, بطران

بولس جوون

عائلة بني سلامة

س و ج كان جناب ا. م. من فضلاء البترون سألنا (مشرق ٩٥٧) عن سلالة بني سلامة أيوجد في مزرعة كفر دبيان عائلتان بهذا الاسم احداهما مارونيَّة يرتقي عهدها الى سنة ١٦٣٥ والاخرى ملكيَّة احتلَّت تلك المزرعة سنة ١٨٠٠ وذلك كما رواهُ صاحب القاطعة الكسروانية. فاجبنا حينئذٍ بالايجاب واستلفتنا نظر المؤلف الى هذا الامر ليزيل بعض شبهة وقعت في الكتاب. واليوم بلغنا جواب المؤلف مؤيدًا لرأينا مثبتًا ان بني سلامة الموارنة غير بني سلامة الملكيين لكنَّهُ لم يأتِ ببرهان جديد غير ما ذكرهُ في كتاب القاطعة

س وسأل احد ادباء صربا ما الدواء للدجاج لبيض اذا انقطع عن بيضهِ

الدجاج المنقطع عن البيض

ج احسن وسيلة لذلك ان يُعطى الدجاج طعامًا حارًّا كورق الفجل وحبوب السمسم والقنَّب وقِطَع صغيرة من اللحم والشحم الملتوت بالفلفل او الفليفلة

س وسأل من صيداء جناب المعلم توما افندي كيَّال كم هي الكميَّة اللازمة من محلول سلفات الحديد لوقاية عشر اقق حنطة من السوس

وقاية الحنطة من السوس

ج يكفي لوقاية عشر اقق (١٢ كيلو) حنطة من السوس ثلاثمائة غرام من الماء يحلُّ فيها خمسون غرامًا من سلفات الحديد وتُندَّى بها الحنطة فقط ويكفي لذلك ان تغمس اليدان بالمحلول ثم تُحرَّك الحنطة الى ان تندى الحبوب ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٢٤ تشرين الثاني الى ٩   كانون الاول   ١٨٩٩

	الجمعة ٢٤	السبت ٢٥	الاحد ٢٦	الاثنين ٢٧	الثلثاء ٢٨	الاربعاء ٢٩	الخميس ٣٠	الجمعة ١	السبت ٢	الاحد ٣	الاثنين ٤	الثلثاء ٥	الاربعاء ٦	الخميس ٧	الجمعة ٨	السبت ٩
التبخير	٫	٫	٫	٫	٫	٫	٫	٫	٫	٫	٫	٫	٫	٫	٫	٫
ميزان المطر	٣٫٣	١٫٣	٠٫٩	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٤	٠٫٠	٠٫٠	٠٫٠	٣٫٤	١٫٤	٤٫٨	٧٫٣	٣٫٣	٠٫٠	٠٫٠

ميزان الرطوبة: ٧٩٠ ، ٧٨٥ ، ٧٨٠ ، ٧٧٥ ، ٧٧٠ ، ٧٦٥ ، ٧٦٠ ، ٧٥٥ ، ٧٥٠

ميزان ثقل الهواء: ٧٤٥ ، ٧٤٠ ، ٧٣٥ ، ٧٣٠ ، ٧٢٥ ، ٧٢٠

ميزان الحرارة: ٥٠ ، ٤٥ ، ٤٠ ، ٣٥ ، ٣٠ ، ٢٥ ، ٢٠ ، ١٥ ، ١٠ ، ٥ ، ٠ ، ٥

انَّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد

امّا الخطّ المنقَّط (......) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر)

المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات

فهرس اوّل

لموادّ السنة الثانية من مجلة المشرق ١٨٩٩

١٠٨) = نظر عقلي في الوحي: للاب ل. معلوف (١٠٩–١١٥ ; ٥: ١٩٨–٢٠٥) = اخبار علمية للاب ل. شيخو (١٢٨–١٣٢) – شذرات: فوائد زراعيَّة واقتصاديَّة (١٤٢–١٤٣) = اسئلة واجوبة (١٤٣)

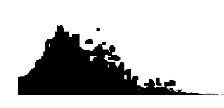
العدد ٤ (١٥ شباط) استنهاض الهمَّة من احد السادة الائمَّة: للسيد اغناطيوس نوري مطران بغداد (١٤٥–١٤٦) = الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقيَّة للدكتور م. مشاقة: اعتنى بضبطها وتصحيحها وتعليق حواشيها الاب ل. رنزڤال (١٤٦–١٥١ ; ٥: ٢١٨–٢٢٤ ; ٧: ٢٩٦–٣٠٢ ; ٩: ٤٠٨–٤١٥ ; ١٢: ٥٦١–٥٦٦ ; ١٤: ٦٢٩–٦٣٣ ; ١٦: ٧٢٦–٧٣١ ; ١٩: ٨٨٣–٨٩٠ ; ٢٠: ٩٢٨–٩٣٤ ; ٢٢: ١٠١٨–١٠٢٦ ; ٢٣: ١٠٧٣–١٠٨٣) = التجارة: للشاب الاديب ع. ر. شارٌ. ١ً اصلها وتاريخها (١٦١–١٦٦). ٢ً اهميَّة التجارة ومسهّلاتها (٩: ٤١٥–٤٢٠). ٣ً الوسائط التجاريَّة الخصوصية (١٢: ٥٤١–٥٤٤). ٤ً آفات التجارة (١٤: ٦٥٥–٦٥٩). ٥ً تقسيم التجارة ومقدارها في بعض الدول (١٩: ٨٧٣–٨٧٥). ٦ً الحركة التجاريَّة في المملكة العثمانية (٢١: ٩٧٣–٩٧٧). ٧ً وسائلنا التجاريَّة (٢٢: ١٠٢٨–١٠٣١ ; ٢٤: ١١١٣–١١١٥) = طُرفةٌ تُقرأ في بدء الصيام: للاب ه. لامنس (١٦٦–١٦٨) = الزراعة السوريَّة في الزمن القديم وفي ايامنا: للشاب الاديب س. اصفر (١٦٨–١٧٢) = شذرات: مضحكات الجرائد–اكتشافات جديدة (١٨٥–١٨٩) = اسئلة واجوبة (١٨٩–١٩١)

العدد ٥ (١ آذار) اتّساع التأليف في الاسلام: للامير ش. ارسلان (١٩٣–١٩٧) = البواسير واكتشاف دواء جديد لها: للدكتور ن. ماريني (٢٠٥–٢١٣ ; ٧: ٣٠٢–٣٠٨) = شذرات: اكتشافات مصريَّة جديدة (٢٣٨) = اسئلة واجوبة (٢٣٩)

العدد ٦ (١٥ آذار) آباء الكنيسة وشيع الهراطقة: للاب ا. كندامين (٢٤١–٢٤٨) تقوع: موقعها وآثارها: للخوري م. حوَيس (٢٤٨–٢٥٠) = قيس الماروني واقدم تاريخ للكتبة الموارنة: للاب ه. لامنس (٢٦٥–٢٦٨) = الثرمومتر او مقياس الحرارة: للاب ا. مالُون ١ً. مبدأ الثرمومتر (٢٦٩–٢٧٤). ٢ً اصطناعهُ وانواعهُ (٨: ٣٥٨–٣٦٥) = شذرات: فوائد زراعية وصناعيَّة وطبيَّة (٢٨٣–٢٨٥) = اسئلة واجوبة (٢٨٦–٢٨٧)

العدد ٧ (١ نيسان) الكرسي الرسولي والطقس اليوناني: للاديب ح. زيَّات (٢٨٩–٢٩٦) = بزر دود القزّ: للاديب س. اصفر (٣٢٠–٣٢٥) = اسئلة واجوبة – ماذا يفيدنا التاريخ عن بيلاطس البنطيّ: للاب ل. شيخو (٣٢٩–٣٣١) – شذرات (٣٣٤–٣٣٥)

العدد ٨ (١٥ نيسان) القوانين الصحيَّة في الندوات المدرسيَّة: للدكتور ه. نيكر ١ً. المنام (٣٣٧–٣٤١). ٢ً اثاث المنام (٩: ٣٩١–٣٩٥). ٣ً بيوت الدرس والتدريس (١١: ٤٨١–٤٨٩). ٤ً ساحة المتنزهات والمطعم (١٤: ٦٣٣–٦٣٧) = الكلم اليونانية في اللغة العربيَّة: للاب انستاس الكرملي (٣٤٥–٣٤٩ , ١١: ٤٨٩–٤٩١ ; ١٨: ٨٤٠–٨٤٧ ; ٢٠: ٩٢٣–٩٢٨ ; ٢٢: ١٠٤٦–١٠٤٨) = صورة عهدَين أُعطيا لبطاركة كرسيّ المشرق الكلدان: نشرها الاب ل. شيخو (٣٤٩–٣٥٥) = ثاوفيل بن توما المارونيّ: للاديب ب. شمالي (٣٥٦–٣٥٨) = الجراد في سوريَّة (٣٦٥–٣٧٢) = شذرات – اسئلة واجوبة (٣٨٠–٣٨٢)



فهرس ثانٍ

اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية الجديدة الوارد ذكرها في المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

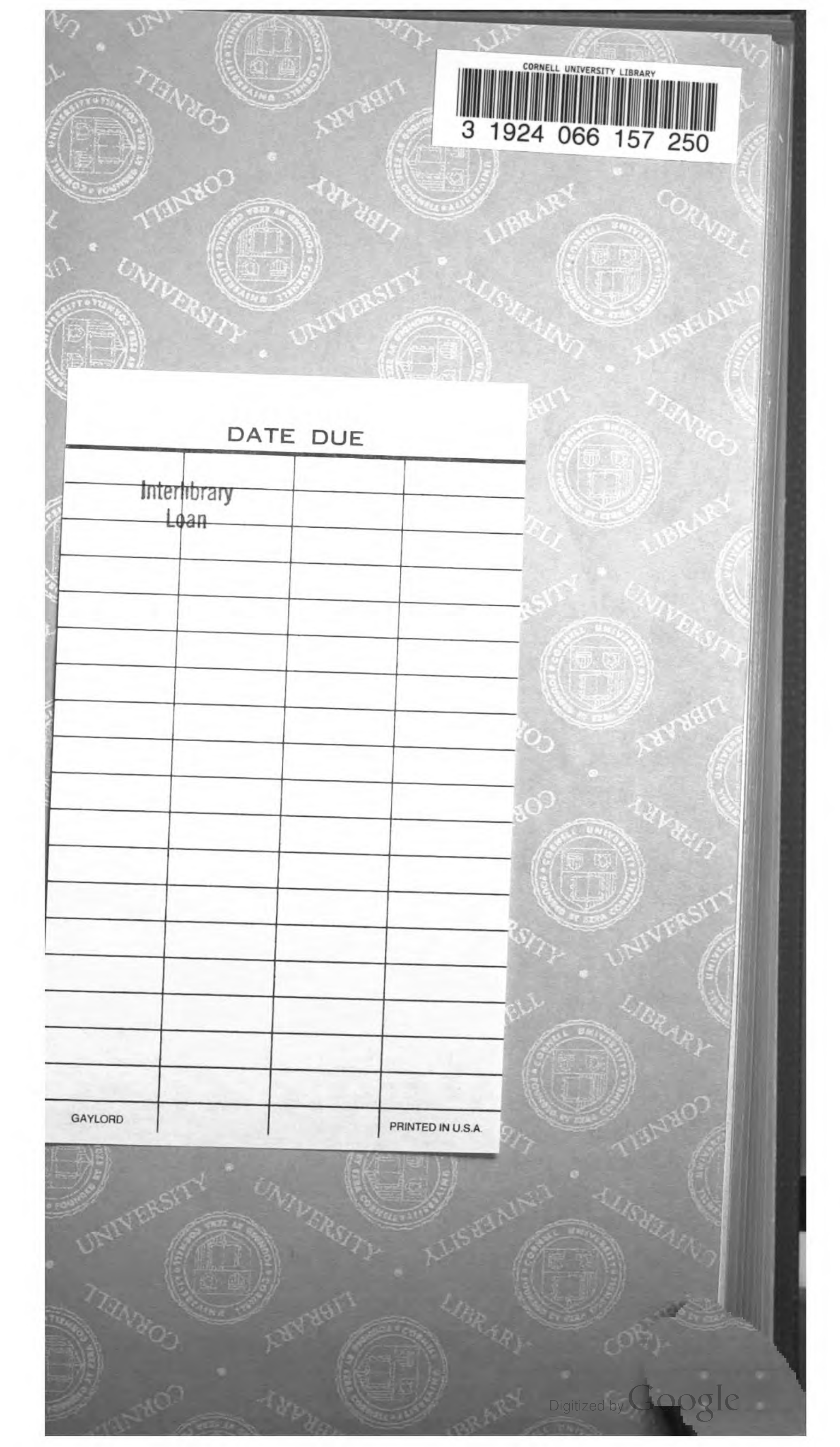
كتب عربيَّة وسريانيَّة

كتب اوربية

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم




CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 066 157 250
DATE DUE
Interlibrary
Loan
GAYLORD
PRINTED IN U.S.A.
Digitized by Google

